

رسائل جامعية ٢٠

دَعْوَةٌ
الْقُرْبَىٰ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِ
دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

تأليف
الدكتور أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

المجلد الأول

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة «الدكتوراه» في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - وقد جرت مناقشتها ضحى يوم الاثنين الموافق ١٧ / ٨ / ١٤٢١هـ، ومنح الباحث مرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها بين الجامعات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد منَّ الله على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فأقام الله به الحجة، وأوضح المحجة. أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وقد كان الناس في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، يستوي في ذلك كتابيهم، ومشركيهم، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْآيَةُ﴾ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِصَّةٌ ﴿٣﴾ [البينة]، (والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب؛ إما مبدل، وإما منسوخ، ودين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك. وإما أمي من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنته، وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك) (١) فحق عليهم، قوله تعالى في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. ابن تيمية، أبو العباس،

تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني.

تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل. مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الرابعة

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). (١/٦٣).

وإنهم اتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتيك، وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء...^(١)، ففتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً، ممن سبقت لهم من الله الحسنى، من أهل الكتاب والأميين. فقال من آمن من أهل الكتاب: ﴿إِنَّمَا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّنَا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يَتُوبُونَ أَعْرَاسُهُمْ مَّرَّتَيْنِ يَمَا صَبَرُوا وَيَدْرُوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصاص]، وقال من آمن من الأميين: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبَرَارِ ﴿٥٥﴾﴾ رَبَّنَا وَءَايَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٥٦﴾﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنكُم مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنتِي بِبَعْضِكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران].

وأما الذين غلبت عليهم شقوتهم، واستكفوا، واستكبروا، فشقروا بدعوته ولم يرفعوا بها رأساً، ولم يقبلوا ما بعثه الله به من الهدى والعلم.

لقد كانت رسالته ﷺ رحمة للعالمين، وبركة على الخلق أجمعين. فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وخلفه ﷺ في

(١) صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. نشر وتوزيع: إدارات البحوث العلمية والإفتاء. الرياض. الطبعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). (٢١٩٧/٤).

أمته الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، الذين يمسون بالكتاب، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. فأحيا الله بهذا النبي الكريم ما اندرس من ملة إبراهيم، وسنن المرسلين، من توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ونبذ ما ابتدعه من سفه نفسه، ورغب عن ملة إبراهيم، من اليهود والنصارى والمشركين. وأكمل الله لهذه الأمة الدين، وأتم عليها النعمة، ورضي لها الإسلام ديناً، حتى صارت خير أمة أخرجت للناس، كما وصفها ربها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران] فنسخ الله بدين الإسلام سائر الأديان، وجعل القرآن، آخر كتبه نزولاً، وأحدثها عهداً به؛ مصداقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيماً عليه، وافترض على جميع الخلق الإيمان بنبيه الخاتم واتباعه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف]، فمن ابتغى غير الإسلام ديناً خاب وخسر: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران]، ومن طلب الهدى من غير القرآن أضله الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا ءَابَاؤُهُمْ لَا يَقُولُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة]. ومن سمع بنبيه محمد ﷺ ولم يؤمن به أكبه الله في النار: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١). وكل هذا معلوم من الدين بالضرورة، لكونه من أصول الإسلام، ومعاهد الإيمان.

(١) صحيح مسلم (١/١٣٤).

ولم يدر بخَلْد أحدٍ من أمة الإسلام أن يسعى إلى توفيقٍ أو تلفيقٍ أو توحيد أو تقريب، بين دين الإسلام وما سواه من الأديان، بل ولا يخطر بالبال، ولا يكاد، عند من فقه مراد الله، ودخل الإيمان قلبه. إن هي إلا همهمات ومؤامرات في دهاليز الباطنية المظلمة، وهذيانات وشطحات في عقول غلاة المتصوفة ما كانوا ليجهروا بها على الملأ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون. وإلا لسحقتهُم أقدام، وانبرت لهم أقلام، ورفعت لحربهم أعلام.

ولكن الزمان استدار، فعز العلم، وفشا الجهل، وانخذل أهل الإسلام، واستطال الكفار، فعصفت بأمم الأرض مذاهب شتى، ومقالات سوء، نشأت في أحضان الغرب النصراني، ترضع من لبان يهود، حتى نمت وترعرعت، وامتدت أغصانها، واسترسلت في فناء المسلمين وعقر دارهم، وليس لعرقٍ ظالم حق.

فمن هذه المقالات التي استحالت دعوات، دعوة التقريب بين الأديان، التي خرجت من حيز الكمون إلى فضاء الاستعلان، ومن طور الفكرة، إلى مرحلة التنفيذ، في العقود الأربعة الماضية. تدعو المسلمين إلى حل عرى الدين، وموادة الكافرين وجعل المسلمين كالمجرمين، وكسر حاجز النفرة من المشركين. وقد تذرع دعائها بألوان الحيل، وتوسَّلوا بزخرف القول، وبهرج العمل، لتسليكهـا بين المسلمين، وتأنيسها، وتوطئـها، وأوضعوا خلالهم يـغـونهم الفتنة، ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

فمنذ انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢م إلى ١٩٦٥م) الذي تواضع فيه أساقفة الكاثوليك على هجر عبارتهم العتيقة: (لا خلاص خارج الكنيسة)، وتوسيع مفهوم «الخلاص» ليشمل غير النصارى، ومؤتمرات التقريب بين الأديان بعامه، وبين الإسلام والنصرانية خاصة تجري على قدمٍ وساق، حتى بلغ عددها خلال العقود الأربعة المنصرمة

- حسب علمي - ثلاثمائة مؤتمر، بل فاق. وأنشئت لها المراكز المتخصصة، وجمعيات الصداقة، بل وشيدت لها مجامع الأديان المؤلفة من كنيس وكنيسة ومعبد ومسجد، وأقيمت لأجلها الصلوات المشتركة!!!

إن ظهور «دعوة التقريب بين الأديان» بثوبها الجديد، وانتشارها الواسع في جميع بقاع المعمورة، يعد «نازلة» جديدة، «وبدعة» حديثة، تتطلب مواجهةً واعية تقوم على دراسة حقيقتها، وتتبع أصولها، واستقراء واقعها، لمعرفة أهدافها وبواعثها، وكشف عوارها وخطرها على المسلمين.

ومما يؤكد ضرورة الاهتمام بهذه الدعوة، ونقدها في ضوء العقيدة الإسلامية ما يلي:

أولاً: خطر هذه الدعوة على أصول الاعتقاد عند المسلمين، من الإيمان بالله وكتبه ورسله، واستزلالهم إلى تصويب عقائد الكفار، وتصحيح أديانهم.

ثانياً: مواكبة هذه الدعوة للاتجاه العالمي السائر نحو «العولمة»، التي ترمي إلى القضاء على الخصائص العقدية والتشريعية والاجتماعية وغيرها، للمجتمع الإسلامي، وصهره في بوتقة «العالمية» مع اليهود والنصارى والذين لا يعلمون.

ثالثاً: الدعم الكبير الذي تحظى به هذه الدعوة من قبل أئمة الكفر، وترويجها بمختلف الوسائل الإعلامية، وإدانة ما يضادها، ووصفه بـ«التعصب» و«الأصولية» تمهيداً لسلخ المسلمين عن دينهم الذي ارتضاه الله لهم.

رابعاً: الانفتاح العالمي الهائل الذي حصل في العقود الأخيرة، اجتماعياً وثقافياً وإعلامياً، واختلاط الأعراق والشعوب المختلفة،

وشيوع المعتقدات والعادات المتنوعة عبر القنوات الفضائية، مما أحوال العالم الفسيح إلى قرية كونية دانية الأطراف، وسوغ الدعوة إلى التقريب بين الأديان والحضارات.

خامساً: عدم التكافؤ المادي بين الأمم الإسلامية، وكثير من أمم النصرى واليهود، حيث يرزح المسلمون تحت ضغط التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ويسلبهم الشعور بالاستعلاء والخيرية الضروريين للأخذ بزمام المبادرة، ويجعلهم مسوقين للطرف الأقوى.

سادساً: انزلاق بعض المنتسبين إلى الإسلام، والمحسوبين عليه، إلى مزالق عقدية خطيرة في هذا المجال، حيث فاهوا بما يخالف الكتاب والسنة والإجماع، واجترحوا من الأفعال والممارسات ما ينقض عقيدة الولاء والبراء. ثم نالوا حظاً من التصدير والتفخيم ليغتر بهم العامة، ويتخذوهم أئمة.

سابعاً: عدم وجود دراسة متوسعة - حسب علمي - عنيت بفحص مناشط هذه الدعوة على المستوى العالمي، وتحليلها، ونقدها في ضوء العقيدة الإسلامية.

ثامناً: وهو الأهم، الحاجة الماسة إلى إحياء المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلتهم بالتتي هي أحسن، واهتبال الإمكانيات الإعلامية الكبيرة، والأوضاع الديموقراطية السائدة في الغرب لتبليغ دين الله، وهداية الخلق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

لهذه الأسباب، وقع اختياري، وانصب اهتمامي على هذا الموضوع.

وقد أدركت منذ البداية - إدراكاً مجملأ - سعة الموضوع في

الرقعة الزمانية والمكانية، وتشعب طرقه، وصعوبة لوازمه، من حيث جمع المادة ودراستها ولكنني استخرت الله تعالى، واستعنت به، واستشرت أهل الخبرة من مشايخي الأجلاء وإخواني الكرام، فألفت انشراحاً في نفسي، وهمة في عزمي، وتشجيعاً وحفزاً من مشايخي وإخواني، وما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوق، وثبت في أمره. وإنني لأرجو الله أن يكون هذا البحث عملاً مبروراً، وجهداً مشكوراً، خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده، مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مراحل إعداد هذه الدراسة:

أ - جمع المادة العلمية: قام الباحث بحضور معارض الكتب التالية، لتوفير مادة البحث:

١ - معرض «عمّان» الدولي للكتاب، المنعقد في الفترة: (٢٤ - ٢٨ / ١٤١٧هـ).

٢ - معرض الكتاب اللبناني الدائم في بيروت، ومكتبات النصارى المختلفة.

٣ - معرض القاهرة الدولي للكتاب، المنعقد في الفترة: (١٤ - ٢٤ / ٩ / ١٤١٧هـ).

٤ - معرض الشارقة الدولي للكتاب، المنعقد في الفترة: (٤ - ١٥ / ٧ / ١٤١٨هـ).

بالإضافة إلى الاستفادة من الخدمات الثقافية المميزة التي يقدمها كل من:

■ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض.

■ مكتبة الملك فهد الوطنية، في الرياض.

وغيرهما من المكتبات الجامعية والعامة في الداخل والخارج، ومحفوظات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. كما أن حيوية الموضوع والاهتمام العالمي به، وتتابع مؤتمراته ومنتدياته في العديد من المواقع في العالم، أوجب متابعة مستمرة لما تنشره وسائل الإعلام حول هذه القضية، ومراجعة لما سبق نشره.

ب - زيارة المراكز والمؤسسات المعنية بقضية التقريب والحوار بين الأديان، والوقوف عن كذب على أهدافها، ومناشطها، وإنتاجها الفكري، ومشاريعها العملية. وكان منها:

١ - زيارة المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمّان - الأردن - يوم الأربعاء الموافق ٢٧/٥/١٤١٧هـ.

٢ - زيارة مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، التابع لجامعة البلمند الأرثوذكسية قرب طرابلس - لبنان - يوم الاثنين الموافق ٨/٤/١٤١٨هـ.

٣ - زيارة معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، التابع لجامعة القديس يوسف في بيروت يوم الاثنين الموافق ٨/٤/١٤١٨هـ.

٤ - زيارة مقر المجمع البابوي للحوار بين الأديان PCID في الفاتيكان، يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩هـ.

٥ - زيارة مقر جمعية سانت إيجيديو، في روما - إيطاليا - يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩هـ.

٦ - زيارة مقر جمعية «كريسلام» CRISLAM في مدريد - إسبانيا - يوم الأربعاء الموافق ٥/٤/١٤١٩هـ.

٧ - زيارة المركز الثقافي في القلعة الحرة، في قرطبة - إسبانيا - مؤسسة روجيه جارودي يوم الجمعة الموافق ٧/٤/١٤١٩هـ.

كما قام الباحث بزيارة بعض دول جنوب شرقي آسيا (ماليزيا،

سنغفورة، أندونيسيا) والوقوف على بعض آثار هذه الدعوة في الأوساط الإسلامية، في صيف عام ١٤٢٠هـ.

ج - إجراء لقاءات ومحاورات مع المعنيين بقضية التقريب والحوار بين الأديان لاستجلاء أبعاد الموضوع وجوانبه التي لا تكشفها الكتابات والشعارات المعلنة، بل تتبدى في ماجريات النقاش. وقد تحاور الباحث مع العديد من المسلمين وغير المسلمين، النصارى خاصة، في هذا الموضوع، ومن أبرزهم:

١ - المونسنيور: ميشيل فيتزجيرالد، أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان في الكنيسة الكاثوليكية يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩هـ، في الفاتيكان.

٢ - الدكتور: ياناري، نائب رئيس جمعية سانت إيجيديو يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩هـ، في روما.

٣ - الدكتور طارق متري، أمين مجلس الكنائس العالمي للعلاقات بين الأديان، يوم الاثنين الموافق ٨/٤/١٤١٨هـ، في بيروت.

٤ - الدكتور رضوان السيد رئيس تحرير مجلة الاجتهاد، المشارك، يومي الجمعة والسبت الموافق ٢٩، ٣٠/٥/١٤١٧هـ، ويوم الجمعة ٥/٤/١٤١٨هـ، في بيروت.

٥ - الدكتور جورج مسّوح نائب مدير جامعة البلمند، ومدير مركز الدراسات الإسلامية والمسيحية يوم الاثنين الموافق ٨/٤/١٤١٨هـ، في البلمند، قرب طرابلس.

٦ - الأب الأسباني إيميليو غاليندو آغيلار، مؤسس جماعة «كريسلام»، يوم الأربعاء ٥/٤/١٤١٩هـ، في مدريد.

بالإضافة إلى عددٍ من الشخصيات العلمية والدعوية في أوروبا وأندونيسيا وماليزيا، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

د - صياغة البحث: توفر لدى الباحث مادة علمية كثيرة، متعددة الجوانب، متشعبة الأطراف، تحتل مساحة جغرافية واسعة، وتوغل في أعماق التاريخ. وتتفاعل باستمرار في الراهن، وتستشرف المستقبل. وكانت أبرز صعوبات البحث تتمثل في الجوانب التالية:

١ - سعة مجال البحث، فهو لا يختص بحقبة تاريخية معينة، ولا يقتصر على دراسة قضية التقريب بين الأديان في بلد معين، ولا يقف عند حد زمني معين.

٢ - تعدد اللغات التي كتبت بها بعض مراجع البحث، مما حمل الباحث على ترجمة بعض النصوص إلى العربية، بنفسه، كالإنجليزية، وبالأستعانة بالناطقين بها كالإيطالية والاسبانية والإندونيسية.

٣ - كثرة محاولات التقريب في السنوات الأخيرة، وتلاحقها، بما يشق معه حصرها والإحاطة بما يكتب حولها في الصحف والمجلات ودور النشر. فلا يكاد يمر أسبوع أو نحوه، حتى يقع الطرف، أو يطرق الأذن نبأ جديد ذو صلة بالموضوع.

وقد قسمت البحث إلى: تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وبعض الملاحق التوثيقية والتوضيحية.

فجعلت التمهيد متضمناً جملةً من الأصول العقدية والتشريعية التي تضبط العلاقة بين دين الله الإسلام، وسائر الملل والنحل التي تسمى «أدياناً» عبر خمسة مباحث:

فعرفت بدين الإسلام، ثم أتبعته بتعريف الراغبين عنه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكيف حادوا عن ملة إبراهيم، وثلثت ببيان الأحكام العقدية التي يستحقونها في باب أسماء الدين والإيمان، والأحكام العملية في باب الموالاة والمعاداة، وصفة معاملتهم. ثم

كشفت عن موقف أهل الكتاب، الذين يريد دعاة التقريب مقاربتهم، من الإسلام وكتابه ونبيه ﷺ. وأخيراً، ألممت بلمحة تاريخية عن طبيعة العلاقات بين أهل الإسلام وأهل الكتاب عبر القرون الخالية، حتى عصرنا الراهن، فيها عبرة وذكرى لمن هم أن يخرق النواميس الشرعية، والسُنن الإلهية.

أما الباب الأول: فخصصته لاستجلاء حقيقة التقريب، وتحديد مدلولاته المختلفة، ودرجاته المتفاوتة، وبيان الخطوط العريضة لكل درجة، والتمثيل لها ببعض المحاولات القديمة والحديثة.

ثم تتبعت الأصول التاريخية لنشأة الدعوة إلى التقريب بين الأديان لدى مختلف الفرقاء، من يهودٍ ونصارى ومنتسبين إلى الإسلام في العصور السالفة.

ثم أفضت في الحديث عن حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث، من خلال ما صدر عن المجامع الدينية، والقيادات المرجعية لأهل الكتاب من مختلف طوائفهم الكبرى كالكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي، ومجالس النصارى العرب. وما جرت به أقلام بعض المفتونين من الإسلاميين العصرانيين من دعاة التقريب. وحاولت تحليل مفهوم التقريب لدى كل طرف، واستخلاص نتائجه.

ثم ختمت الباب الأول باستنباط بواعث التقريب المختلفة والمتعددة، التي تحمل كل طائفة على السعي في هذا المضمار.

وبعد بيان الجانب النظري لحقيقة التقريب في الماضي والحاضر، ومعرفة بواعثها في الباب الأول، جعلت الباب الثاني في بيان المحاولات الفردية والجماعية للتقريب بين الأديان في العصر الحديث. فاخترت في الفصل الأول منه نماذج بارزة جمعت بين التنظير الفكري، والنشاط العملي لترسيخ هذه الدعوة. أما الفصل الثاني فحشدت فيه كل

ما بلغه علمي من أنواع المحاولات الجماعية الصادرة عن هيئات أو جهات دينية أو مدنية في صورة مؤتمرات ثنائية، أو ثلاثية، أو متعددة، حتى تجاوز عددها ثلاثمائة مؤتمر في شتى أصقاع المعمورة. وحاولت إلى جانب التوصيف الإحصائي تحليل بعض المحاولات ودوافعها لدى الأفراد والجهات المختلفة.

أما الباب الثالث: فأفردته للنقد والتقويم. ففي الفصل الأول منه نقدت هذه الدعوة في ضوء العقيدة الإسلامية، واستشهدت بدلالة الواقع الراهن على فسادها ثم كشفت بعض الشبهات التي يتعلل بها الراكضون خلف سراب التقريب.

وفي الفصل الثاني قدمت الأصل الشرعي - ولا أقول البديل - الذي يتعين الرجوع إليه، والعض عليه بالنواجذ، وهو الدعوة بدعاية الإسلام مضموناً وأسلوباً، مهتدياً بنصوص الكتاب والسنة والسيرة النبوية المحفوظة، مستنيراً بعمل سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى عصرنا الحاضر.

ثم إنني ختمت البحث بخاتمة تتضمن تلخيصاً مركزاً لأهم نتائجه، وجملةً من التوصيات العملية التي تعتمد سلامة المنهج، وتأخذ في حساباتها الواقع الذي آلت إليه الأمة الإسلامية، والمجتمع البشري، متحاشياً أنماط التفكير الغالية، والعبارات الخطائية العاطفية. فالأمة الإسلامية مؤهلة لأن تقوم بدورها الريادي الهادي لجميع الناس، إن هي أخذت بأسباب الخير، وسلكت منهج النبيين.

وقد ذيلت البحث ببعض الملاحق التوثيقية لفتاوى بعض علماء الأمة المعاصرين، حول هذه النازلة، من هيئات وأفراد، ونصوص من خطب تحذر من خطر هذه الدعوة من أكرم منابر الإسلام في الحرمين الشريفين، إضافةً لبعض الملاحق التوضيحية التي وردت الإحالة إليها في ثنايا البحث.

هذا، وقد التزمت - ما وسعني - بقواعد البحث العلمي المقررة، ومعاييره المعتمدة، من:

- ١ - ترقيم الآيات القرآنية، وعزوها إلى مواضعها في كتاب الله.
 - ٢ - تخريج الأحاديث النبوية، والآثار، وبيان درجتها. فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بالعزو إليهما. وإن كانت في سواهما نقلت ما وجدت من كلام الأئمة المتقدمين أو المتأخرين في الحكم عليها.
 - ٣ - ترجمة الأعلام، سوى المشهورين، في أول موضع يرد ذكرهم فيه من البحث.
 - ٤ - توثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية - ما أمكن - من كتب ودوريات ونشرات معتمدة.
 - ٥ - التعريف بالفرق والطوائف والمواضع والمصطلحات الغريبة.
 - ٦ - التعليق والاستدراك في الحاشية على بعض المعاني والألفاظ الخاطئة التي لا يعالجها صميم البحث، وترد كثيراً في المنقولات عن اليهود والنصارى وبعض العصريين من المسلمين. فأكتفي بالتنبيه عليها في موضع، عن تكرار ذلك في سائر المواضع.
- كما صنعت بعض الجداول والفهارس الفنية لتسهيل الرجوع والاستفادة من مادة البحث، وهي:
- ١ - جدول يتضمن مسرداً بمؤتمرات التقريب بين الأديان، حسب ترتيب وقوعها الزمني، وتاريخ انعقادها، وأماكنها، وموضوعاتها، والجهات المنظمة لها.
 - ٢ - جدول يتضمن قائمة بالجمعيات والمؤسسات والمراكز المعنية بقضية التقريب - حسب الترتيب الهجائي - ومقارّها. مع الإحالة في الجدولين على مواضع ورودها في غضون البحث.

- ٣ - فهرس بالأحاديث النبوية الشريفة، ومواقع ورودها في البحث.
- ٤ - فهرس بالآثار، ومواقع ورودها في البحث.
- ٥ - فهرس بالأعلام المترجم لهم في الحاشية، ومواقع ورود أسمائهم في البحث.
- ٦ - فهرس بالفرق والطوائف، ومواقع ورودها في البحث.
- ٧ - فهرس بالمراجع، من كتب عربية وأعجمية، ودوريات، ونشرات وخلافه.
- ٨ - فهرس عام بالموضوعات.

واني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى إمطة اللثام عن الوجه الكالح لهذه البدعة الخطيرة التي هي من آخر ما تفتقت عنه عقول أهل الكتاب والمشركين لاستئلال المسلمين عن دينهم الحق، واستدراجهم إلى سبيل المجرمين، وفتنتهم عما أنزل الله إليهم، أو بعضه.

كما أرجو أن أكون قد أوقفت الباحثين والمعنيين على حجم المحاولات الضخمة التي يبذلها دعاة التقريب بين الأديان من الغربيين والعصرانيين من بني جلدتنا، عن طريق الكتابات والمؤتمرات والمشاريع العملية، لإرساء هذه الدعوة الكفرية، وإحلالها محل الدعوة الإيمانية إلى توحيد الله تعالى وعبادته، عن طريق الجمعيات والمراكز المختلفة، التي عرفت بالعشرات منها في هذه الدراسة، وناقشت شبهاتهم، وكشفت عن أهدافهم ومراميهم، تحذيراً للأمة، ونصحاً لله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

واني لمدرّك تماماً أن إيفاء الموضوع حقه، يتطلب توفر عدد كبير من الباحثين عليه لسعة رقعته الجغرافية، وعمقه التاريخي، وتجدد مادته، وحسبي أن أكون رسمت بعض الخطوط العامة، وشرعت السبيل لغيري لاستكمال النقص، فما كان من خير وصواب فمن الله وحده، وبفضله وتوفيقه، وما كان سوى ذلك فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله أولاً وآخرأ.

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي أتاحت لي الفرصة، وأعانتني على جمع المادة العلمية. وأزجي بالغ الشكر والعرفان بالجميل لشيخني الفاضل، المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري، حفظه الله، الذي تابع جميع مراحل إعداد الرسالة، وأفادني بتوجيهاته وتصويباته، وغمرني بلطفه وتواضعه، وكريم خلقه، جزاه الله عني خيراً. كما أشكر فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد الذي زودني ببعض المعلومات والملاحظات القيمة.

كما أشكر جميع الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية والدعوية التي قدمت لي يد العون والتشجيع، وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وغيرها، في الداخل والخارج، وكل فاضل، من عالم أو أخ أو أهل، أمدني برأي ثاقب، أو لفت انتباهي إلى كتاب أو خبر، أو قضى لي حاجة، أو دعا لي دعوةً صالحة، أسأله تعالى أن يعظم له الأجر والمثوبة، وأن يجعل له سهماً في هذا العمل، يفرح به يوم يلقاه. كما أرجو ممن وقف على هذا الكتاب، ورأى فيه خطأ أو خللاً أو نقصاً، أن ينبهني عليه كتابياً أو هاتفياً، مشكوراً مأجوراً. فإن العبد مظنة الزلل والقصور، والمؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً، وحتى يمكن تداركه في طبقات لاحقة إن شاء الله.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين، المبعوث إلى الناس أجمعين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه والتابعين.

كتبه/ د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

عنيزة. المملكة العربية السعودية

ص.ب. (٢٤٦) الرمز البريدي (٨١٨٨٨)

هاتف (٠٦٣٦٤٦٩٠٦) جوال (٠٥٥١٣٢٤٦٨)

البريد الإلكتروني qadisa@yahoo.com

التمهيد

ويتضمن خمسة مباحث:

- * المبحث الأول: دين الإسلام.
- * المبحث الثاني: أهل الكتاب.
- * المبحث الثالث: حكم الإسلام في أهل الكتاب.
- * المبحث الرابع: موقف أهل الكتاب من الإسلام.
- * المبحث الخامس: لمحة تاريخية عن العلاقات بين المسلمين وأهل الكتاب.

المبحث الأول دين الإسلام

خلق الله آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه وزوجه جنته، وأباحها لهما يأكلان منها رغداً حيث شاءا، ومنعهما من قربان شجرة معينة، فأزلهما الشيطان بوسوسته وإغرائه وفتنته ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ لَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَهَدَى ۝ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝﴾ [طه].

ثم أنشأ ذريته من الأرض واستعمرهم فيها، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعلهم خلائف فيها، ليلوهم فيما آتاهم من فضله، وما خولهم من نعمه، وينظر كيف يعملون ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] أي على دين واحد، وملة واحدة، وشريعة من الحق، فاختلفوا^(١)، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. مصر. الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م). (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٧).

فأنبياء الله هم صفوته من خلقه، والواسطة بينه وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه، وخبره وموعظته، أنزل عليهم كتبه، وأيدهم بالآيات البيّنات، والمعجزات الباهرات التي على مثلها يؤمن البشر، يقيم الله بهم الحجة، ويدحض بهم الشبهة، ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾ [النساء].

فمن رحمته بخلقه، وإعذاره إليهم، أنه لم يدع أمة إلا بعث فيها رسولاً: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [فاطر].

الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل (الإسلام العام):

ودين الله الذي بعث به أنبياءه من أولهم إلى آخرهم واحد هو «الإسلام»، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ودعوة الأنبياء واحدة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿١٥﴾ [الأنبياء]. ومفتاح دعوتهم التي يبادثون بها أقوامهم واحد: ﴿يَقُولُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]. ومنهجهم واحد: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. فلا يجوز التفريق بين رسل الله، وقد جمعهم الله، ووجد دينهم ودعوتهم: ﴿لَا تَفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وأكفر سبحانه من فرق بينه وبين رسله، فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾ [النساء].

وسماهم الله المسلمين، ووصفهم بالإسلام، الذي هو الاستسلام لله والخضوع والانقياد والإذعان؛ فقال عن نوح: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس]، وقال عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة]، وعنه وعن إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران]، ووصف بذلك أنبياء بني إسرائيل قاطبة فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، وعن يعقوب وبنيه: ﴿يَبْقَىٰ إِلَهُ اللَّهِ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة]، وقال عن لوط وأهل بيته: ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات]، وعن يوسف عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلَوْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف]، وعن موسى وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ مَآءَمْنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس]، ولهذا قال سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف]، وكذا فاه بذلك فرعون لما أدركه الغرق لعلمه من موسى أنه سبيل النجاة فقال: ﴿مَآءَمْتُ أَنَّمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي مَآءَمْتُ بِهِ وَنَبَأُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس]، ولكن حيث لا ينفعه ذلك. وعن سليمان ومملكة سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل]، وعن الحواريين، أصحاب عيسى عليه السلام: ﴿مَآءَمْنَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة] حتى الجن تسموا بذلك فقالوا: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن].

وبما أمر الله به الأولين من الأنبياء والمرسلين، أمر نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر]، ﴿وَأَمَرْتُ

أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْمَلَائِكَةِ [غافر]، ﴿وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٧) ﴿[النمل]، فامتثل أمر ربه وقال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام].

وبذلك يتبين أن دين الله واحد هو «الإسلام»، ولا دين سواه. ولهذا أرشد الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يعتصم بهذا الأصل العظيم، ويأوي إلى هذا الركن المتين عند مجادلة أهل الكتاب وغيرهم، ويفاصلهم على أساسه فقال: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ مَا أَسَلَّمْتُ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ ائْتَدَوْا فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِمُصِيرِ الْعِبَادِ﴾ [آل عمران]، فمن سبقت له من الله الحسنی اغتبط بنعمة الله، وعرف دين الله: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) وَلَئِنْ يَتْلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفصل: ٥٢ - ٥٤]، ومن تولى وأعرض، فقد أمر الله عباده أن يقولوا لهم: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]. فليس لله دينٌ يعبد به سوى الإسلام، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران].

وإنما حصل التنوع في الشرائع التي شرعها الله لكل أمة على لسان نبيها ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) رحمه الله تعالى: (فدينهم واحد، وهو عبادة الله

(١) صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل. المكتب الإسلامي. استانبول. طبعة ١٩٧٩م. (١٤٢/٤)، صحيح مسلم (١٨٣٧/٤).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين، ابن تيمية، ولد في حوران ثم انتقل إلى دمشق، فنيح واشتهر وبرع في كل فن، وأفتى ودرس وهو دون العشرين، وكان قوياً في ذات الله، =

وحده لا شريك له، وهو يعبد في كل وقتٍ بما أمر به في ذلك الوقت، وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت. وتنوع الشرائع في النسخ والمنسوخ من المشروع، كتنوع الشريعة الواحدة. فكما أن دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ هو دين واحد، مع أنه قد كان في وقتٍ يجب استقبال بيت المقدس في الصلاة، كما أمر المسلمون بذلك بعد الهجرة ببضعة عشر شهراً، وبعد ذلك يجب استقبال الكعبة، ويحرم استقبال الصخرة. فالدين واحد وإن تنوعت القبلة في وقتين من أوقاته. فهكذا شرع الله تعالى لبني إسرائيل السبت، ثم نسخ ذلك وشرع الجمعة، فكان الاجتماع يوم السبت واجباً إذ ذاك ثم صار الواجب هو الاجتماع يوم الجمعة وحرّم الاجتماع يوم السبت. فمن خرج عن شريعة موسى قبل النسخ لم يكن مسلماً ومن لم يدخل في شريعة محمد ﷺ بعد النسخ لم يكن مسلماً^(١).

وهذا هو المعنى الصحيح الوحيد لوحدة الدين، وما سوى ذاك وسواس الشياطين. وقد ختم الله النبوة بمحمد ﷺ: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ

= شديداً على أهل البدع، ولقي بسبب صدعه في الحق الأذى الكثير، وسجن مراراً بسبب ذلك، فصبر واحتمل حتى لقي ربه وهو معتقل في قلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ)، فخرجت دمشق كلها في جنازته. وكان ﷺ يحارب التقليد والبدع، وتعتبر مؤلفاته مرجعاً لمذهب أهل السنة والجماعة، فمن مؤلفاته «منهاج السنة النبوية» و«درء تعارض العقل والنقل» و«الإيمان» وغيرها كثير. وهي غزيرة الفوائد، مكنوزة بالعلم المستند على الكتاب والسنة، وقد جمع فتاويه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في سبعة وثلاثين مجلداً. راجع الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت - لبنان. الطبعة السادسة ١٩٨٤م. (١/١٤٤)، فوات الوفيات (١/٣٥ - ٤٥)، الدرر الكامنة (١/١٤٤)، البداية والنهاية (١٤/١٣٥)، آداب اللغة (٣/٢٤٣)، النجوم الزاهرة (٩/٢٧١).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٨٤٨ - ٨٤٩).

وَحَاتَمَ النَّيِّتَيْنِ ﴿[الأحزاب: ٤٠]، وجعل رسالته للناس كافة عربهم وعجمهم: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

فالإسلام العام هو ما بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والإسلام الخاص هو ما جاء به محمد ﷺ من هدى وبيان، وحلال وحرام ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٨٤]، فنسخ الله به جميع الرسالات والشرائع السابقة، فمن أدركه ولم يدخل في عقده كان من أهل النار، كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة^(١) مرفوعاً: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت وهو لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)^(٢). فتلك هي وحدة الدين التي تنتظم الشرائع جميعاً في عقد الإسلام العام، ثم تختتمها بما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وهو الإسلام الخاص. فلا يعبد الله في المشرق بما لا يعبد به في المغرب، بل الدين واحد، كما أن المعبود واحد. فمن جوّز أو سوغ «تعدد الأديان» وأنها الآن طرق تؤدي إلى الله فقد افترى على الله الكذب، وقال على الله بغير علم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسَتْ بِهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ولهذا ذهب بعض المحققين المعاصرين، وهو الشيخ محمود

(١) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث. قدم على رسول الله ﷺ، في السنة السابعة من الهجرة، وروى عنه ما يقرب من (٥٣٧٤) حديثاً، وتوفي سنة ٥٩ هـ رضي الله عنه وأرضاه.

الأعلام (٣/٣٠٨)، الإصابة ت (١١٧٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٧٠)، حلية الأولياء (١/٣٧٦)، الجواهر المضية (٢/٤١٨).

(٢) صحيح مسلم: (١/١٣٤).

محمد شاكراً^(١) ﷺ، إلى منع إطلاق لفظ «الدين» على ما سوى «الإسلام» فقال: (فصار بيناً بعد هذا أن الله سبحانه لا يرضى لنا أن نسمي شيئاً من الملل، من نصرانية ويهودية وغيرهما «ديناً»، سوى ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، وملة أنبيائه جميعاً، وهي «الإسلام» «دين الله» الذي لا يقبل من عباده ديناً سواه، والذي أرسل به رسوله محمداً ﷺ ليبطل الملل كلها، ولا يكون شيء منها يسمى «ديناً» سوى «الإسلام». وإذا فقول المسلم مثلاً: «الأديان السماوية» قول مخالف لعقيدة أهل الإسلام في حقيقة هذه الملل)^(٢). وما قاله ﷺ حق لا مرية فيه بالنظر إلى المدلول الشرعي لكلمة «دين»، وهو ما بعث الله به أنبياءه ورسله، فهو واحد لا يتعدد، وهو «الإسلام». ولكن بالنظر إلى المعنى اللغوي الدال على العادة والشأن ومطلق الطاعة^(٣)، فإن الأمر واسع، فيتناول الدين

(١) ولد في الإسكندرية عام (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م). تلقى تعليمه الأولي في القاهرة. وفي عام (١٩٢٦م) التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة المصرية، وأستمر بها إلى السنة الثانية، ثم نشب بينه وبين طه حسين خلاف شديد حول منهج دراسة الشعر الجاهلي أدى إلى تركه الدراسة الجامعية. سافر إلى الحجاز عام (١٣٤٧م - ١٩٢٨م)، وأسس مدرسة جدة السعودية الابتدائية بناءً على طلب من الملك عبد العزيز آل سعود - ﷺ - عاد إلى القاهرة بعد عام واحد واشتغل بالتأليف والكتابة الصحفية، وتحقيق النصوص وإخراج التراث. من مؤلفاته: (المتنبي)، (أباطيل وأسمار)، وحقق ثمانية كتب من كتب التراث، وله قصائد ومقالات متنوعة. نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام (١٩٨١)، وعضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة، وجائزة الملك فيصل، وتوفي في الثالث من ربيع الآخر عام (١٤١٨هـ) ﷺ. انظر النشرة التعريفية الصادرة عن هيئة جائزة الملك فيصل.

(٢) أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكراً. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م. (٢/ ٥٥٠ - ٥٥١).

(٣) قال الجوهري: (والدينُ بالكسر: العادة والشأن. قال:

تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبداً وديني ... =

الحق الذي هو الإسلام، وسائر البدع والضلالات والأحوال والتقاليد التي يسير عليها بعض الناس. ولهذا قيد الله تعالى لفظ «الدين» في مواضع من كتابه فقال: ﴿أَفَقَدْ دِينَ اللَّهِ يَبْقُوتُ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ووصفه بما يخصه فقال: ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩]، و﴿الَّذِينَ أَلْقَمُوا﴾ [التوبة: ٣٦، يوسف: ٤٠، الروم: ٣٠، ٤٣]. و﴿دِينَ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، و﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١].

كما أضاف سبحانه لفظ «الدين» إلى غيره، فقال: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاذٍ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، وسمى ما عليه المنحرفون من أهل الكتاب والكفار ديناً فقال: ﴿لَكُذِّبُوا وَلِي دِينِ ۖ﴾ [الكافرون]، وعن فرعون وقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦]، وعن اليهود: ﴿وَعَرَّضُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران]، وذم ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩، الروم: ٣٢]، وعن أهل الكتاب: ﴿وَلَا يَذَرُوكَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩]، وإنما تدنوا بسواه. بل سمي سبحانه ما أحدثه المحرفون من اللعب واللهو ديناً فقال: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لُعْبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلُعْبًا﴾ [الأعراف: ٥١].

فتبين بذلك جواز إطلاق لفظ «الدين» و«الأديان» على ما سوى الإسلام، باعتبار تدنيهم بها، كما جاز إطلاق لفظ «الآلهة» على ما يعبد من دون الله، مع أنه «الإله» الواحد الحق، باعتبار تأليههم لها.

= والدين: الطاعة. ودان له، أي أطاعه. قال عمرو بن كلثوم:

وأيام لنا ولهم طوال عصينا المَلِكُ فيها أن ندنينا

ومنه الدين؛ والجمع الأديان. يقال: دان بكذا ديانةً، وتدني به، فهو دَنِيٌّ ومتدَنٍ. الصحاح: الجوهري، إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الثانية (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م). (٥/

وعلى هذا الإطلاق جرى المصنفون من المسلمين قديماً وحديثاً^(١).

أما وصف تلك الأديان - سوى الإسلام - بـ: «السماوية» فوصفٌ باطل، لما يحمله من دلالة باطلة، من كونها نزلت من السماء، والواقع أنها تحريف لما نزل من السماء^(٢). وكذلك التعبير بـ«الأديان الثلاثة» عن الإسلام واليهودية والنصرانية، فإن فيه غصاً من الإسلام، وإيحاءً بأن هذه «الثلاثة» متساوية. قال شيخنا محمد بن صالح العثيمين^(٣)

(١) من ذلك قول الإمام مالك رحمه الله في كتاب الأفضلية: (ولا من يغير دينه من أهل الأديان كلها، إلا الإسلام) الموطأ (٢/٧٣٦). دار إحياء الكتب العربية. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر في هذا أيضاً رسالة بعنوان: (الدين السماوي هو الإسلام) للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي. ط: دار المجتمع للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

(٣) فضيلة شيخنا محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين، من آل مقبل الوهبي التميمي، أبو عبد الله. ولد في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٧هـ في مدينة عنيزة، بالمملكة العربية السعودية. تتلمذ على العالم الرباني المفسر الفقيه، شيخ عنيزة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ)، رحمه الله، فقرأ عليه التوحيد والفقه والتفسير والأصول والنحو. ثم سافر إلى الرياض سنة ١٣٧٢هـ، للدراسة في المعهد العلمي، فتتلمذ على الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ) رحمه الله، وتأثر به في علم الحديث، والشيخ المفسر الأصولي محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ) وغيرهما من الأفاضل. وبعد وفاة شيخه السعدي سنة ١٣٧٦هـ، خلفه في الإمامة والخطابة والتدريس في الجامع الكبير في عنيزة، بالإضافة إلى تدريسه في المعهد العلمي في عنيزة منذ عام ١٣٧٤هـ. ثم انتقل من المعهد إلى التدريس في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم سنة ١٣٩٨هـ إلى قريب وفاته. وكان مواظباً على التدريس والإمامة، وله حضور قوي في مختلف المناسبات، ومشاركات علمية في وسائل الإعلام، والتدريس والإفتاء في المسجد الحرام في شهر رمضان. وأمتاز بحسن التقرير، وتنظيم العرض والتقسيم، وتسهيل =

حفظه الله: (قد يسمع ما بين حين وآخر كلمة «الأديان الثلاثة» حتى يظن السامع أنه لا فرق بين هذه الأديان الثلاثة، كما أنه لا فرق بين المذاهب الأربعة. ولكن هذا خطأ عظيم. إنه لا يمكن أن يحاول التقارب بين اليهود والنصارى والمسلمين، إلا كمن يحاول أن يجمع بين الماء والنار) من خطبة يوم الجمعة «الأولى» الموافق ١٥/١/١٤٢٠هـ.

والإسلام بالمعنى العام الذي جاءت به جميع الرسل متضمنٌ لأصول الإيمان وآثاره، وأمّهات العبادات والشرائع، وإن اختلفت كيفياتها، وأحوال المعاد والجزاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (إن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده، في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم. وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه.

فالأصل الأول: يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصها على عباده، والأمثال التي ضربها لهم.

= العلم، ودقة الفتيا. فقصده الطلبة من كل مكان حتى بلغوا المئين في حلقاته، وانتشرت كتبه ودروسه المسجلة وفتاواه في أصقاع الأرض. ونال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤١٤هـ، وعين عضواً في هيئة كبار العلماء سنة ١٤٠٧هـ.

كان وقته عامراً بالإفادة والاستفادة، وقضاء حوائج الناس، وكان ورعاً عابداً صواماً قواماً دؤوباً على الوظائف الدينية لا يكل ولا يمل، حازماً في أموره كلها. كما كان سهلاً يكره التكلف، بسيطاً في ملبسه ومسكنه ومركبه، قصداً في منطقه، يكره التملق والتشدد والمديح. ألف عشرات الكتب في الفقه والتوحيد والمصطلح والأصول والفرائض. توفي رحمته الله بعد مرض عانى منه سبعة أشهر، ليلة الخميس ١٦/١٠/١٤٢١هـ عن أربع وسبعين سنة.

والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله ويكرهه.

والأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب. وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح وموقفه عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ الْكُنُوزِ وَالْأَيُّومِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

وقال واصفاً حال مؤمني أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [البقرة] يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران]. وقال ناعياً على الذين تفرقوا منهم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة].

ثم أكمل الله الدين وأتم النعمة ببعثة نبيه الخاتم، ورسوله إلى الناس كافة محمد بن عبد الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وذلك هو الإسلام الخاص الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وإليه ينصرف المراد عند الإطلاق.



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحارثي. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، وابنه محمد. الطبعة الأولى - ١٣٩٨ هـ (١٩/٩٥ - ٩٦).

الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ (الإسلام الخاص):

* قال تعالى مبيناً ما عليه رسوله محمد ﷺ وأتباعه من أصول الاعتقاد: ﴿ءَامَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [البقرة].

* وعين لهم أركان البر الاعتقادية والعملية فقال: ﴿لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تَوَلُّوا وَبُيُوهَكُمْ يَكُلَ الشَّرِيقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ إِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝﴾ [البقرة].

* وعرف أهل الكتاب بعلمات نبيه الخاتم، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدِثُ لَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝﴾ [الأعراف].

* ولهذا عرفه هرقل - عظيم الروم - حين سأل أبا سفيان، لما بلغه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فكان من جملة ما سأله: ماذا يأمركم؟ فقال أبو سفيان - وكان إذ ذاك على الشرك -: يقول: (اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)^(١).

* ولما أراد الله تعالى أن يبين معالم دينه، ويرتب لعباده أركانه،

(١) صحيح البخاري: (٥/١).

انتدب أفضل رسول ملكي إلى أفضل رسول بشري، كما في هذا الحديث العظيم الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربته، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)^(١).

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

(١) صحيح مسلم: (٣٧/١ - ٣٨). قال ابن رجب في شرحه: (وهو حديث عظيم جداً، يشتمل على شرح الدين كله) جامع العلوم والحكم: (٩٧/١).

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث ببسبر، واستُصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة. وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادة. وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر. مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها. تقريب التهذيب (٤٣٥/١).

وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان^(١).

* وعن عمرو بن عبسة^(٢) رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله! ما الإسلام؟ قال: (أن يسلم قلبك لله تعالى، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويذك. قال: فأبي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان. قال: وما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: فأبي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة. قال: فما الهجرة؟ قال: تهجر السوء. قال: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد. قال: وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم. قال: فأبي الجهاد أفضل؟ قال: من عُقر جواده، وأهريق دمه. قال رسول الله ﷺ: ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبرورة أو عمرة^(٣).

* وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو^(٤) رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: (أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)^(٥).

(١) صحيح البخاري: (٨/١)، صحيح مسلم: (٤٥/١).

(٢) عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي، أبو نجيع، صحابي مشهور، أسلم قديماً، وهاجر بعد أحد. ثم نزل الشام. تقريب التهذيب (٧٤/٢).

(٣) رواه أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل: ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني تحقيق: أبو عاصم، حسن بن عباس بن قطب وآخرون. مؤسسة قرطبة - القاهرة، مكتبة الخراز - جدة الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م): (١١٤/٤)، (٣/٥). وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (٦٤/١).

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، صحابي جليل، من الزهاد النساك أسلم قبل أبيه، وشهد مع النبي ﷺ حروبه وغزواته، وكان من المكثرين من الحديث وله ما يقرب من (٧٠٠) حديث توفي سنة ٦٥هـ.

انظر: الأعلام (١١١/٤)، طبقات ابن سعد (القسم الثاني من الجزء الرابع ٨ - ١٣)، الإصابة رقم (٤٨٣٨)، حلية الأولياء (٢٨٣/١)، صفة الصفوة (٢٧٠/١).

(٥) صحيح البخاري: (٩/١) صحيح مسلم: (٦٥/١).

* وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى)^(١).

فتبين من هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التعريف الجلي بدين الإسلام، وأنه متضمن للهدى ودين الحق: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف]. فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح.

فأصول الإيمان ستة:

(١) أعظمها الإيمان بالله تعالى وتوحيده:

• في ربوبيته: فلا خالق سواه، ولا مالك سواه، ولا مدبر سواه. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف]. فمن زعم أن للكون خالقان أو أكثر، أو أن العبد يخلق فعل نفسه، أو سمى أحداً من خلقه - كعيسى عليه السلام - رباً فقد أشرك في ربوبيته.

• في ألوهيته: فهو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه. كما قال: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة القلبية من محبة أو خوف أو رجاء أو توكل، أو العملية من سجود أو ركوع أو ذبح أو طواف، أو لسانية من دعاء أو ذكر أو تلاوة، أو مالية من زكاة أو صدقة أو نذر، لغير الله فقد أشرك في ألوهيته.

• في أسمائه وصفاته: فله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له ولا ينذ ولا سمي ولا كفوء له سبحانه، ولا يقاس بخلقه، ولا تضرب له الأمثال. ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

(١) صحيح البخاري: (١١/١ - ١٢)، صحيح مسلم: (٥١/١ - ٥٣).

أَسْمَاءُ سَيَجُزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ [الأعراف]. فمن سمي الله بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له أباً، أو وصفه بصفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقين كقول اليهود ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأنه استراح بعد خلق السماوات والأرض، سبحانه وتعالى، فقد ألحد في أسمائه وصفاته.

فهذا هو التوحيد الحق، المبني على محبة الله وتعظيمه، المستلزم لإفراده بالعبادة دون ما سواه من ملكٍ مقرب، أو نبي مرسل، أو ولي صالح، أو هوى متبع.

(٢) الإيمان بملائكته الكرام: الذين وصفهم بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْمُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [فصلت]، وما صح في السنة المطهرة من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم، ووجوب محبتهم وموالاتهم، خلافاً لليهود الذين عادوا جبريل عليه السلام، والنصارى الذين غلوا فيه واتخذوه إلهاً في عقيدة التثليث الفاجرة.

(٣) الإيمان بكتب الله التي أنزلها على رسله من عنده، مما سماه الله لنا كالقرآن والتوراة والإنجيل والزيور، وما لم يسم لنا نؤمن به على سبيل الإجمال، وتصديق ما صح من أخبارها، والعمل بما لم ينسخ من أحكامها. وقد حفظ الله القرآن من التحريف والتبديل فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر]، ونسخ به الشرائع السابقة فقال بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي حاكماً وأميناً وشاهداً عليه^(١).

(١) انظر: جامع البيان (٦/٢٦٦ - ٢٦٧)، تفسير القرآن العظيم ابن كثير، =

(٤) الإيمان برسول الله جميعاً، وعدم التفريق بينهم، واعتقاد أنهم بشرٌ تلحقهم خصائص البشرية من المرض والجوع والعطش والموت، لكن اصطفاهم الله واختارهم لتحمل وحيه، وتبليغه للناس، وأنهم أكمل الناس عبوديةً، ليس فيهم شيءٌ من صفات الألوهية البتة. ثم تصديق ما صح من أخبارهم والعمل بشريعة خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ.

(٥) الإيمان باليوم الآخر: ويشمل الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ الصحيحة، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه أو نعيمه والبعث بعد النفخ في الصور، والحساب والجزاء، والجنة والنار.

(٦) الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وذلك يتضمن الاعتقاد الجازم بعلمه سبحانه بالكائنات، ذواتها وصفاتها، جملة وتفصيلاً، وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ومشيتته النافذة، وقدرته الشاملة، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وهو خالق كل شيء. والعباد فاعلون حقيقة، مختارون حقيقة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال: ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُم أَن يُسْقِمْ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ [التكوير].

وتفاصيل هذه الأركان، والأصول العظام معلومة موجودة في كتب أهل الإسلام. وهي بحمد الله عقائد متينة، لا تفاوت فيها ولا خلل، ولا تناقض ولا اضطراب، موافقةً للفطر السليمة، والعقول المستقيمة. عباراتها بيّنة، ودلالاتها واضحة. يقبلها العامي البسيط، ولا يشبع منها العالم المحيط.

= أبو الفداء، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة - الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) (٣/ ١٢٧ - ١٢٨).

ومباني الإسلام العملية خمسة:

(١) الشهادتان: المعبر عنهما باللسان لقصد الاستعلان. فمن أقرَّ بهما صار مسلماً حكماً، ثم لزمته بقية خصال الإسلام. ومن لم يتلفظ بهما لم يدخل في عقد الإسلام. وهما أساس صحة سائر الأعمال وشرط قبولها. فشهادة أن لا إله إلا الله تدل على الإخلاص، كما في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)^(١). وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي كمال المتابعة، لقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٢)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٣). فلا يمكن لأحدٍ كائناً من كان أن يرفع شيئاً أو يضع شيئاً في دين الله، كما صنع اليهود والنصارى في أديانهم: ﴿أَتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُفُكَاهُمْ أَزْوَاجًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فيحلون لهم ما حرم الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم^(٤). فدين الإسلام مبني على الاتباع لا على الابتداع، كما أنه مبني على الإخلاص لا على الشرك.

(٢) إقام الصلاة: وهي خمس صلوات في اليوم واللييلة في أوقاتها وهيئاتها الشرعية.

(٣) إيتاء الزكاة المقدرة شرعاً في الأموال الزكوية إلى مستحقيها.

(٤) صوم رمضان من كل عام بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

(٥) حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً مرة في العمر.

(١) صحيح مسلم: (٢٢٨٩/٤).

(٢) صحيح البخاري: (١٦٧/٣)، صحيح مسلم: (١٣٤٣/٣).

(٣) صحيح مسلم: (١٣٤٤/٣).

(٤) انظر جامع البيان: (١١٣/١٠ - ١١٥).

فمن أتى بهذه الأركان الخمسة صار مسلماً حقاً واستحق الجنة. ويلتحق بكل واحد من هذه العبادات الواجبة تطوع من جنسها، لمن كان لديه نهمة في العبادة، ورغبة في التزود من العمل الصالح. والعبادات في الإسلام مبنية على اليسر والتخفيف ورفع الحرج، بخلاف ما عليه اليهود من إفراط وتشديد، وما عليه النصارى من تفريط وتساهل.

فالضرورات تبيح المحظورات، والمشقة تجلب التيسير. قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وأما الإحسان فوصفٌ يدل على إتقان العبادة، والنصح فيها، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها كما لو كان العابد يرى معبوده تُجاهه، أو يستشعر رؤيته إياه. قال ابن رجب رحمه الله: (فقوله ﷺ في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه... إلخ» يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهي: استحضار قربهِ، وأنه بين يديه كأنه يراه. وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم... ويوجب أيضاً النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها^(١))، وتفاصيل هذه العبادات وأحكامها وآدابها مبثوثة في كتب الفقه ودواوين السنة.

كما تضمنت الشريعة الإسلامية المبنية على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تنظيمًا دقيقاً لأحكام المعاملات والعقود والولايات التي تتناول جميع الجوانب الشخصية والاجتماعية والمالية والسياسية للفرد والأمة. قال تعالى: ﴿وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]. فليس الإسلام مقتصرًا على النسك الخاص كما هو الحال في النصرانية المحرفة، بل يتناول جميع مجالات الحياة المختلفة لتحقيق العبودية التامة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٢٦).

الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ لَا شَرِيكَ لََّ وَبِذَلِكَ نُفِّرُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾ [الأنعام]. فلا فصل بين الدين والدنيا، ولا بين الدنيا والآخرة، وليس ثم إلا حكم الله أو حكم الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [المائدة].

ومن أصول الإسلام الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال من الصدق والعفاف والصلة والعفو وحسن الجوار والإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام.

وفي سبيل تحقيق هذه المقاصد العظام شرع الله لعباده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وجعل ذلك شارة مميزة لهذه الأمة الإسلامية. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فرسوله ﷺ للناس جميعاً، ورسالته للناس كافة، وأمته تعلم الناس الخير، فليس في الإسلام «شعب مختار» منكفئ على نفسه، ولا «رهبانية» مبتدعة سلبية، بل هو الأمر والنهي والدعوة والتعليم. حتى إذا حيل بين هذه الأمة وتبليغ رسالة ربها، وخُشي أن تكون فتنة، فهو الجهاد في سبيل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُمْ قَاتِ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بَعِيدٌ﴾ [الأنفال].

وقد صدق الله وعده، فأظهر دينه على الدين كله بالحجة والبيان، والسيف والسنان على يد صحابة رسوله الكرام، فلم يكذب ينقض قرنهم حتى كان الإسلام قد بلغ الصين شرقاً وبلاد الغال «فرنسا» غرباً، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

ثم لم يزل حال أهله يعلو ويهبط، بحسب تمسكهم بحبل الله، والتزامهم بشرعه، وفقاً للناموس الرباني المطرد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُقَرَّرَ مَا يَأْتُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

المبحث الثاني أهل الكتاب

ورد هذا المصطلح «أهل الكتاب» في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرة، على سبيل الخبر أو الطلب. وورد مثل هذا العدد بلفظ «الإيتاء» بتصرفاته المختلفة مثل «أوتوا الكتاب»، «آتيناهم الكتاب» ونحوها، وفي أربعة مواضع بلفظ «الميراث» مثل: «أورثوا الكتاب». فضلاً عن المواضع الكثيرة التي يعبر عنهم بأسمائهم الخاصة. ومجموع ذلك يدل على العناية التامة التي أولاها الإسلام لدعوة أهل الكتاب، كيف لا، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ لِّأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل].

فمن هم «أهل الكتاب» الذين يتناولهم هذا اللفظ بأخباره وأحكامه؟

قال ابن جرير^(١) رحمته الله: (يعني تعالى ذكره بقوله: «يا أهل الكتاب»: يا أهل التوراة والإنجيل)^(٢). وقال أيضاً: (عنى بقوله: «يا

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، ولد سنة ٢٢٤هـ في أمل طبرستان، واستوطن بغداد، إمام في التفسير والتاريخ، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. اهـ. له «جامع البيان في تفسير القرآن»، و«أخبار الرسل والملوك» وغيرها. توفي سنة ٣١٠هـ.

انظر: الأعلام (٦/٦٩)؛ إرشاد الأريب (٦/٤٢٣)، تذكرة الحفاظ (٢/٣٥١)، الوفيات (١/٤٥٦)، طبقات السبكي (٢/١٣٥)، مفتاح السعادة (١/٢٠٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٣/٣٠٤).

أهل الكتاب: أهل الكتابيين، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب. ولم يخصص جل ثناؤه بقوله: «يا أهل الكتاب» بعضاً دون بعض، فليس بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة بأولى منه، بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة، وإذ لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر، لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح، فالواجب أن يكون كل كتابي معنياً به... وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان معلوماً بذلك أنه غني به الفريقان جميعاً^(١).

فأهل الكتاب إذا هم اليهود والنصارى، وهذا أمر واضح متقرر لدى جميع المفسرين ويزيد الأمر وضوحاً إضافة «الكتاب» إلى هاتين الطائفتين خاصة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِكُمْ﴾ [الأنعام]. قال ابن جرير رحمته الله: (فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد، لثلاث يقول المشركون: لم ينزل علينا كتاب فنتبعه، ولم نُؤمر، ولم ننه، فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر، إذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول، وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا، فإنهما: اليهود والنصارى. وكذلك قال أهل التأويل)^(٢). ثم روى بسنده عن ابن عباس^(٣)

(١) جامع البيان: (٣/٣٠٢ - ٣٠٣).

(٢) جامع البيان: (٨/٩٣).

(٣) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الإمام البحر الحبر، ابن عم رسول الله ﷺ، ولدَ وبنو هاشم في الشعب قبل الهجرة بثلاث، دعا له رسول الله ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، كان يلقب بحبر هذه الأمة، وقال فيه ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. مات بالطائف سنة ٦٨هـ رضي الله عنه وأرضاه.

الأعلام (٤/٩٥)، الإصابة ت (٤٧٧٢)، صفة الصفوة (١/٣١٤)، حلية الأولياء (١/٣١٤)، ذيل المذيل (٢١).

ومجاهد^(١) وقتادة^(٢) والسدي^(٣) نحوه. وهذه القبلية المتقررة لدى المشركين بشأن طائفتي أهل الكتاب؛ اليهود والنصارى، هي القبلية المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري^(٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»^(٥).

وإطلاق مصطلح «أهل الكتاب»، وإرادة اليهود والنصارى بذلك خاصة مستفيضٌ في السنة المطهرة. ومن شواهد ذلك:

(١) ما روى البخاري^(٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «مثلکم

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، ولد سنة (٢١هـ) ويعد من كبار التابعين، من الأئمة المفسرين، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس، توفي سنة (١٠٤هـ).
الأعلام (٢٧٨/٥)، صفة الصفوة (١١٧/٢)، ميزان الاعتدال (٩/٣)، حلية الأولياء (٢٧٩/٣)، غاية النهاية (٤١/٢).

(٢) قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت. مات سنة مائة وبلغ عشرة سنة. تقريب التهذيب (١٢٣/٢).

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد الكوفي، صدوق يهيم، ورمي بالتشيع. مات سنة مائة وسبع وعشرين. تقريب التهذيب (٧٢/١).

(٤) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، من الملازمين للنبي ﷺ، توفي سنة ٧٤هـ. الأعلام (٨٧/٣)، تهذيب التهذيب (٤٧٩/٣)، صفة الصفوة (٢٩٩/١)، حلية الأولياء (٣٦٩/١).

(٥) رواه البخاري: (١٥١/٨)، ومسلم: (٢٠٥٤/٤).

(٦) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب «الجامع الصحيح». ولد عام ١٩٤هـ، في بخارى، وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وله من التصانيف: «التاريخ الكبير»، «خلق أفعال العباد»، «الأدب المفرد»، و«جزء=

ومثل أهل الكتابين، كمثّل رجل استأجر أجراً، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاء؟ قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتي من أشياء^(١).

(٢) وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير... الحديث»^(٢).

(٣) وفي مسند الإمام أحمد^(٣) عن زياد بن لبيد^(٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا أوان ذهاب العلم، قال شعبة: أو قال: هذا أوان

= القراءة خلف الإمام» وغيرها، وكتابه الصحيح انتقاه من ستمائة ألف حديث يحفظها، وكانت وفاته سنة ٢٥٦هـ.

الأعلام (٣٤/٦)، تذكرة الحفاظ (١٢٢/٢)، تهذيب التهذيب (٤٧/٩)، وفيات الأعيان (٤٥٥/١)، تاريخ بغداد (٤/٢ - ٣٦)، طبقات السبكي (٢/٢).

(١) صحيح البخاري: (٤٩/٣ - ٥٠).

(٢) صحيح مسلم: (١١٥/١).

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، الإمام الحافظ المحدث الفقيه أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ١٦٤هـ ببغداد، وسافر في طلب الحديث. امتحن في فتنه القول بخلق القرآن، فثبت، وأوذى فصبر، وأعز الله به السنة. من مصنفاته: «المسند»، و«فضائل الصحابة»، و«الزهد»، و«الأشربة» وغيرها. توفي سنة ٢٤١هـ. الأعلام (٢٠٣/١)، حلية الأولياء (١٦١/٩)، صفة الصفوة (١٩٠/٢)، البداية والنهاية (٣٢٥/١٠)، تاريخ بغداد (٤١٢/٤).

(٤) زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الله، صحابي شهد بدرًا. وكان عاملاً على حضرموت لما مات النبي ﷺ. مات سنة إحدى وأربعين. تقريب التهذيب (٢٧٠/١).

انقطاع العلم. فقلت: وكيف وفيما كتاب الله، نعلمه أبناءنا، ويعلمه أبناؤهم أبناءهم؟ فقال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد! ما كنت أحسبك إلا من أعقل أهل المدينة. أليس اليهود والنصارى فيهم كتاب الله تعالى؟ قال شعبة^(١): أو قال: أليس اليهود والنصارى فيهم التوراة والإنجيل ثم لم ينتفعوا منه بشيء؟ أو قال: أليس اليهود والنصارى أو أهل الكتاب، شعبة يقول ذلك، فيهم كتاب الله ﷻ؟^(٢).

(٤) وفي سنن أبي داود^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة. وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة. وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». ثم رواه من حديث معاوية^(٤) بن أبي سفيان بلفظ: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب، افرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، أبو بسطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متقن. كان الشوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث. وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذبح عن السنة. وكان عابداً. مات سنة مائة وستين. تقريب التهذيب (٣٥١/١).

(٢) المسند: (٢١٩/٤). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٣٧٧/٢).

(٣) سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، أبو داود، إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، ورحل رحلة كبيرة في طلب الحديث، وتوفي بالبصرة، من تصانيفه: «السنن»، و«المراسيل»، و«الزهد». وهو من تلاميذ الإمام أحمد، وله عنه «مسائل». توفي سنة ٢٧٥هـ.

الأعلام (١٢٢/٣)، تذكرة الحفاظ (١٥٢/٢)، تهذيب ابن عساكر (٢٤٤/٦)، تاريخ بغداد (٥٥/٩)، وفيات الأعيان (٢١٤/١)، الذريعة (٣١٦/١).

(٤) معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية، الأموي أبو عبد الرحمن، الخليفة، صحابي، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي. ومات في رجب سنة ستين، وقد قارب الثمانين. رضي الله عنه وأرضاه. تقريب التهذيب (٢/٢٥٩).

على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة^(١).

وعند أحمد من حديث معاوية رضي الله عنه، أيضاً، قال: «إن أهل الكتابين... الحديث»^(٢).

فتبين بهذا أن الله سبحانه سمي «اليهود» و«النصارى» «أهل الكتاب»، ولم يسمهم «مسلمين»، وذلك لرغبتهم عن ملة إبراهيم «الإسلام» ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ مَفَءَ نَفْسِهِ وََلَقدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة]. قال ابن جرير رحمته الله: (عنى الله بذلك اليهود والنصارى لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام، لأن ملة إبراهيم هي الحنيفية المسلمة، كما قال تعالى ذكره: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ - ثم ساق بسنده عن قتادة -: رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية، بدعة ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم، يعني الإسلام حنيفاً، كذلك بعث الله نبيه محمداً صلوات الله عليه بملة إبراهيم. - وعن الربيع بن أنس^(٣) مثله (-)^(٤).

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسوا بمسلمين، ولا يشملهم وصف الإسلام لمفارقتهم ما كان عليه أنبياءهم، وتحريفهم الكلم عن

(١) سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد. دار الحديث. بيروت. الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ. (٤/٥ - ٦).

(٢) المسند: (١٠٢/٤). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٢٠٤) وجمع طرقه وشواهده.

(٣) الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي، بصري، نزل خرسان، صدوق له أوهام. رمي بالتشيع. مات سنة مائة وأربعين أو قبلها. تقريب التهذيب (١/٢٤٣).

(٤) جامع البيان: (١/٥٥٨ - ٥٥٩).

مواضعه. وقد زعم بعض المتأخرين، المداهين لأهل الكتاب، الداعين إلى التقارب معهم، أنهم مؤمنون، وأنه يسعهم - فيما بينهم وبين ربهم - البقاء على دينهم، والعمل بما في أيديهم من كتب، وأنه لا يلزمهم الدخول في الإسلام، والإيمان برسالة محمد ﷺ^(١)، وشبهوا ببضع آيات، وهي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].
- وقوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦].
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

والجواب عن ذلك يسير - بحمد الله -:

- فأما آية البقرة وما شابها، فللمفسرين فيها ثلاثة مسالك:

الأول: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن جرير رحمته الله: (كان يرى أن الله جل ثناؤه، كان قد وعد من عمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله: «وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ»^(٢)).

الثاني: أن معنى القيد في قوله: ﴿مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أن:

(١) سيرد ذكر مقالاتهم في مبحث «الإسلاميون العصريون» من الباب الأول.

(٢) جامع البيان: (١/٣٢٣).

(إيمان اليهود والنصارى والصابئين، التصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به، فمن يؤمن منهم بمحمد، وبما جاء به وباليوم الآخر، ويعمل صالحاً، فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك، فله ثواب عمله وأجره عند ربه)^(١)، واستظهره ابن جرير^(٢).

الثالث: أن الآية تتناول من كان قبل بعثة نبينا محمد ﷺ وحسب. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي^(٣) ﷺ: (الصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺ وأن هذا مضمون أحوالهم... وذلك - والله أعلم - أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس، أنهم كلهم يشملهم الذم. فأراد الباري تعالى أن يبين من لا يلحقه الذم منهم بوصفه)^(٤).

ولم ير ابن كثير^(٥) ﷺ منافاة بين هذه المسالك: (فإن هذا الذي

(١) جامع البيان: (١/٣٢٠).

(٢) جامع البيان: (١/٣٢٤).

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ)، التيمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. مولده ووفاته في عينة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة ١٣٥٨هـ. له نحو ثلاثين كتاباً، منها: «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»، و«طريق الوصول إلى العلم المأمول»، و«توضيح الكافية الشافية لابن القيم» وغيرها. الأعلام (٣/٣٤٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي. المؤسسة السعيدية. الرياض - السعودية، مطابع الدجوي - القاهرة طبعة عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. (١/٩٣).

(٥) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه محدث، ولد سنة (٧٠١هـ) في قرية من أعمال بصرى، ثم انتقل إلى دمشق، ورحل في طلب العلم، من تصانيفه «البداية والنهاية» و«شرح صحيح البخاري» ولم يكمله، وتفسير القرآن العظيم و«جامع المسانيد والسنن» وغيرها، توفي عام ٧٧٤هـ.

قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه الله بما بعثه به. فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل نجاة^(١).

• وأما قوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧] فتوجيهه على القراءتين في (وليحكم).

(«وَلِيَحْكُمَ» بالنصب على أن اللام لام كي، أي وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ليحكم أهل ملته به في زمانهم. وقرئ: «وَلِيَحْكُمَ» بالجزم، اللام لام الأمر، أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ، والأمر باتباعه وتصديقه إذا وُجد^(٢)).

• وأما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَافُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ...﴾ الآية، وقوله: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَقٍّ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ الآية [المائدة: ٦٦، ٦٨] فإن المراد بـ: «وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ» / وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ: (ما جاءكم به محمد ﷺ من الفرقان فتعملوا بذلك كله، وتؤمنوا بما فيه من الإيمان بمحمد ﷺ وتصديقه، وتقرؤا بأن كل ذلك من عند الله، فلا تكذبوا بشيء منه، ولا تفرقوا بين رسل الله، فتؤمنوا ببعض وتكفروا

= الأعلام (١/ ٣٢٠)، الدرر الكامنة (١/ ٣٧٣)، البدر الطالع (١/ ١٥٣)، (٢٥٨٢)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١)، آداب اللغة (٣/ ١٩٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٥). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية: أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: د. علي بن حسن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان. دار العاصمة. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ. (٣/ ١٢١ - ١٢٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٣/ ١٢٦)، وانظر: جامع البيان: (٦/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

ببعض، فإن الكفر بواحد من ذلك كفر بجميعه، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً، فمن كذب ببعضها فقد كذب بجميعها^(١).

فلم يبق بحمد الله مستمسك للذين يريدون أن يفرقوا دين الله، أو يفرقوا بين رسل الله، ويكونوا شيعاً، ثم ينادي بعضهم بالتقريب بين الأديان. فدين الله واحد، ووحدته وتوحيده باتباع ما جاء به الرسول الخاتم ﷺ.

ويحسن في هذا المقام أن ننبه على ثلاث شبه تتعلّق بمدلول: «أهل الكتاب».

الشبهة الأولى: أن اليهود والنصارى، أو معظمهم - على الأقل - لا يستحقون اليوم وصف «أهل الكتاب»؛ إذ قد هجروا دينهم وغيروا وبدلوا، وليسوا كأهل الكتاب وقت تنزل القرآن. وناتج هذه المقدمة أنه لا تجري على المنتسبين إلى هاتين الملتين الأحكام العلمية والعملية المتعلقة بأهل الكتاب.

والجواب: أن هذه دعوى باطلة، فإن انحرافهم عن كتاب ربهم وتغييرهم له وتحريفهم الكلم عن مواضعه، سابق لإطلاق هذا الوصف عليهم. فإن الله تعالى الذي أباح للمسلمين ذبائحهم والمحصات من نساءهم، بوصفهم أهل الكتاب في صدر سورة المائدة بقوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥٥﴾ [المائدة] هو الذي أكفرهم بعدها ببضع آيات بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]، ويقول في نفس السورة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. وحكى عنهم في

آخرها مقالة الكفر في خطابه لنبيه عيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

وكذلك الحال بالنسبة لليهود، وقد لعنهم الله في هذه السورة بنفسه، وعلى لسان أنبيائه. فقال: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ يَسْتَقْبِلُ لَعْنَهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] وحكى عنهم فيها مقالة السوء والكفر فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وكانت سورة المائدة من آخر ما نزل على رسول الله ﷺ. وأما إخلالهم اليوم بشرائع دينهم، وهجرهم لأحكام كتبهم، فإنه قديم فيهم، وليس حادثاً، فقد كانوا يتحايلون على أحكام التوراة ووصايا الأنبياء. ومع ذلك استحقوا هذا الاسم، فلا يزول عنهم لمجرد تماديهم في الكفر والفسوق والعصيان.

وجماع القول: أن القوم ما داموا ينتسبون إلى أديانهم، ويظهرون تعظيم أنبيائهم، وبيعهم، وكنائسهم، ويحتفلون بأعيادهم الدينية وغير ذلك من شعائرهم الظاهرة، وتقاليدهم الدينية الخاصة، فهم «أهل الكتاب» الذين عنى الله بكتابه، ورسوله ﷺ في سنته. فتتعلق بهم أحكام أهل الكتاب العلمية والعملية. ولا يزول هذا الوصف عن جملتهم وآحادهم إلا إذا فارقوا ذلك بإيمان بالله ورسوله ﷺ فيكونون من جملة المسلمين، أو تحول إلى ملّة من الملل الإلحادية أو الوثنية، سوى اليهودية والنصرانية، فحينئذ تجري عليهم أحكام سائر المشركين والملحدين، وتزول عنهم خاصية «أهل الكتاب».

الشبهة الثانية: تتعلق بالنصارى خاصة. ومفادها: أن النصارى المذكورين في القرآن، المشمولين بوصف «أهل الكتاب»، ليسوا هم

«نصارى اليوم»، بل هم فرقة تاريخية خارجة عن النصرانية الرسمية التي أقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥م. وبالتالي فنصارى اليوم غير معنيين بأحكام الكفر والغلو والضلال التي دمج القرآن بها تلك الفرقة، ولا تنسحب عليهم آثارها.

ويروج لهذه الشبهة بعض دعاة التقارب والحوار من النصارى العرب خاصة، وربما تابعهم عليها بعض المنتسبين إلى الإسلام. والحق أنه لا فرق بين النصارى المذمومين في القرآن، ونصارى اليوم البتة مهما تمحل هؤلاء وتحذلقوا بالألفاظ، فالحقائق واحدة، وعقائدهم متطابقة^(١).

الشبهة الثالثة: أن مصطلح «أهل الكتاب»، يشمل المسلمين أيضاً! بناءً على أن الكتاب إذا أطلق في القرآن يقصد به كل كتاب جاء من عند الله. ومراد القائلين بذلك مؤانسة اليهود والنصارى بالاندماج معهم في هذا الوصف تحقيقاً للتقارب، لإقامة جبهة «أهل الكتاب» في وجه الإلحاد^(٢). ولا ريب أنه قول ساقط متهافت شاذ لم يسبق إليه قائله، ولا يغير شيئاً من ثوابت الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فكما تجب المحافظة على الألفاظ الشرعية، ويحرم العدول عنها إلى مصطلحات حادثة، تجب المحافظة على مدلولاتها التي أرادها الشارع، فلا يُدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها، ما هو منها، بأنواع التعطيل والتحريف.

وحتى تستبين سبيل أهل الكتاب، من يهود ونصارى، وأنها مجافية لسبيل المؤمنين، رغبةً عن ملة إبراهيم، نقدم تعريفاً باليهودية والنصرانية من حيث هما ديانتان فقط، دون الاستطراد في الجوانب التاريخية، إلا ما دعت إليه الحاجة، لمقارنتهما بدين الإسلام الذي جاءت به الرسل.

(١) سيرد ذكر مزاعم هؤلاء النصارى ومناقشتها في مبحث «النصارى العرب» في الباب الأول.

(٢) سيرد ذكر هذه الدعوى في مبحث «الإسلاميون العصريون» في الباب الأول.

اليهودية

بعث الله نبيه موسى ﷺ لغايتين:

إحداهما: دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده، وموعظته وهدايته.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ۖ أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ بِكَ أَن لَّكَ إِلَهٌ أَن تَرَىٰ ۚ وَأَهْدَيْكَ إِلَىٰ رَجِكَ فَتَخْشَىٰ ۚ﴾ [النازعات]، ﴿أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ بِكَ أَن لَّكَ إِلَهٌ أَن تَرَىٰ ۚ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَمَكَلُمٌ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ﴾ [طه].

الثانية: تخليص بني إسرائيل من أذى فرعون وقومه، وقيادتهم وهدايتهم.

﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ﴾ [الشعراء]، ﴿أَن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ﴾ [الشعراء].

﴿فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبَهُمْ فَدَحْشَتَكَ يَتَأَيَّرُ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْمَلَائِكَةَ ۚ﴾ [طه].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَن أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ﴾ [إبراهيم].

فأما المهمة الأولى، فقد جرى في سبيلها مواقف مشهودة، انتهت بإغراق فرعون وقومه، بعد عنادهم واستكبارهم وجحدهم آيات الله، وقد استيقنتها أنفسهم.

وأما المهمة الثانية: فقد تمت بآية باهرة، ومئة عظيمة على بني إسرائيل حين فرق بهم البحر، فكان كل فرق كالطود العظيم. وتحقق

مراد الله ﷻ في قوله: ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ⑤ وَتُمْكِنَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَا وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ⑥﴾ [القصص].

﴿وَأَوْفَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرَفَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ ⑦﴾ [الأعراف].

ولكن هذه الأمة المنعتة لتوها من نير العبودية والاستذلال لم تفقه الحكمة، ولم تشكر النعمة، ولم تع حقيقة التوحيد التي جاء بها نبيها ﷺ، ففاجأوه بجملة من الاقتراحات الكفرية، والأفعال الشركية، والتمرد على طاعة الله:

• ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُونُ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

• ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَئِفَةٍ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورٌ أَلَدَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ⑧﴾ [الأعراف].

• ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَكُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، ولما قال لهم نبيهم:

﴿يَقُولُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ⑨ قَالُوا يَكُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ⑩ قَالَ رَبِّجَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابُ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ⑪ قَالُوا يَكُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ⑫﴾ [المائدة].

موقف اليهود من التوراة:

تلك حال أسلاف هذه الأمة المغضوب عليها؛ من الكفر بالله، وسوء الأدب معه، وأذية نبيه الذي كتب الله نجاتهم من عدوهم على يديه. ولكن المصيبة الأعظم التي منيت بها هذه الأمة المغضوب عليها، وتجاوز أثرها ذلك الجيل إلى كل يهودي في الأرض - إلا من رحم الله - موقفهم من كتاب الله ووحيه الذي به العصمة والنجاة، والهدى والنور. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودُ وَآمَرُوا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥] ﴿وَفِي تُسْحِنَهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] فكان موقف أسلافهم الذين عاينوا الآيات البيّنات، الرفض والعصيان:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا لِبَلِّلٍ فَوْقَهُمْ كَانُمْ ظِلٌّ وَطَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١] فلم يرفعوا بذلك رأساً، ولم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله. وسلك خلفهم مسالك شتى في الحيدة عن هدى الله منها:

• تحريف الكلم عن مواضعه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَدْوٍ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].
فوقع التحريف منهم في التأويل، وهو الأكثر، وفي التنزيل بزيادة ألفاظ أو تبديلها بغيرها^(١).

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم، محمد بن أبي بكر. تحقيق وتعليق: محمد عفيفي. المكتب الإسلامي. بيروت - مكتبة الخاني - الرياض. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). (٢/ ٤٨٠ - ٤٩٦).

• كتمان ما أنزل الله وإخفاؤه: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لِمَ تَلْسُونِ الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْفُرُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَقْلُمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّامِئُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة] ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْمَلُونَهُ قُرْآنًا لَيْسَ بِذُنُوبِهِمْ وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

• التحايل على شرع الله بوجوه الحيل للتخلص منه: وهم أئمة هذا المسلك الدنيء، ولهم فيه أفعال مشينة ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فمن ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله يهود حرمت عليهم الشحوم، فجملوها، فباعوها - وفي رواية -: وأكلوا أثمانها»^(١)، جملوها أي أذابوها.

(١) رواه البخاري: (٤٠/٣)، ورواه مسلم: (١٢٠٧/٣ - ١٢٠٨).

ومن حيلهم المِسْقَةُ التي وصفها أحدهم للتحايل على تحريم الحلب يوم السبت، فقال: (رأى الحاخامات الصهاينة أن الحلب الممنوع يصبح مباحاً إذا لم يكن الحليب أيضاً وصنع باللون الأزرق. وهذا الحلب السبتي الأزرق يخصص لصناعة الجبن حصراً. ويغسل الصباغ الأزرق بالمصل. وابتدع الحاخامون غير الصهاينة حيلة أكثر مكرراً، شاهدت بنفسي إجراءاتها في أحد الكيبوتزات الدينية - أي المستوطنات التي أقاموها في فلسطين - عام ١٩٥٢م؛ اكتشفوا حكماً قديماً يسمح بإفراغ ضروع البقرة يوم السبت بغرض تخفيف معاناة البقر من امتلاء ضروعها، بشرط أن يسيل الحليب على الأرض ويهمل. والآن ما الذي يجري فعلاً؟ صباح السبت يذهب أحد المتدينين في الكيبوتز إلى حظيرة الأبقار، ويضع الدلاء تحت البقرة... ثم يذهب إلى الكنيس ليصلي. فيأتي زميل له معتزماً «بحسن نية» تخفيف معاناة الأبقار، يجعل حليبها يسيل على الأرض. فإذا وجد بالصدفة، دلاء تحت الأبقار، فهل هو ملزم بإزاحتها؟ بالطبع لا. ولذلك يتجاهل الدلاء ويؤدي مهمته الرحيمة ويذهب إلى الكنيس. وختاماً يأتي ثالث من زملائه المتدينين إلى-

وهذا مشابه لما فعله أسلافهم «أصحاب السبت» الذين مسخهم الله قردة وخنازير، لما حرم عليهم الصيد يوم السبت، فاحتالوا على صيد الحيتان يوم السبت، ولم يأكلوها إلا ليلة الأحد^(١). قال تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّائُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ يَنْتَهُم لِمَ تَعْمَلُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٨﴾ فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٩﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف].

• هجر العمل به: ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة: ٤٣].

• الاستعاضة عنه بغيره: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة].



= حظيرة الأبقار، ويكتشف، مندهشاً، الدلاء المملأ بالحليب، فيضعها في براد، ويلتحق برفاقه في الكنيس. الأمر كله جيد الآن، ولا حاجة لتبديد الأموال لشراء الصباغ الأزرق). التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاث آلاف سنة: للكاتب اليهودي: إسرائيل شاحك ترجمة: صالح علي سوداح. بيسان للنشر والتوزيع بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٦٩). وقد ذكر أمثلة عجيبة لتحاييلهم على شرائعهم. انظر أيضاً: (٧٨ - ٧٩).

(١) انظر جامع البيان: (٩٠/٩ - ١٠١).

الكتب المقدسة عند اليهود:

١ - تورا «عزرا»:

قد كان للأحداث التاريخية التي عصفت باليهود من بعد موسى ﷺ، أثر بالغ في ضياع التورا ثم محاولة صياغتها من جديد، ثم استحداث كتب أخرى تزاحمها في المنزل حتى فاقتها. يقول السموأل بن يحيى^(١)، الذي كان من أحبار اليهود ثم اهتدى إلى الإسلام في القرن السادس الهجري: (ذكر السبب في تبديل التورا. علماءهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التورا التي بأيديهم، لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم، أنها المنزلة على موسى البتة؛ لأن موسى صان التورا عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوى... وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم، لأن الإمامة وخدمة القرايين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم. ولم يبذل موسى من التورا لبني إسرائيل إلا نصف سورة^(٢)... فأما بقية التورا فدفعتها

(١) كان اسمه ﷺ شموايل بن يهوذا بن أبوان. وكان والده من فاس وأمه من البصرة، وكلاهما من علماء اليهود. وقد اشتغل في صباه بعلوم الآلة والمنطق والرياضيات، ثم قرأ التواريخ ففاده ذلك إلى التفكير في المذاهب والأديان، فقرأ القرآن، فبهرتة فصاحته، ورأى النبي ﷺ مرتين في المنام فأسلم، وحسن إسلامه. وصنف «إفحام اليهود» توفي ﷺ سنة ٥٧٠ هـ. انظر قصته في كتابه المذكور آنفاً: (٧٤ - ٧٥).

(٢) لعل المراد نصف سورة من نسخة التورا المكتوبة، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَانِ مِنْ كُلِّ مَقَامٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقال: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَصْفُ أَخَذَ الْأَلْوَانُ فِي شَخِيحِهَا هَذَى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَهْتَبُونَ ﷻ﴾ [الأعراف]. وأما تبليغ الرسالة فقد جرى كاملاً ولا ريب، ولم يكتف شياً منه عليه السلام، حاشا رسل الله من الكتمان: ﴿الَّذِينَ يُلْقُونَ رِسَالَتِي اللَّهُ وَيَخْشَوْنَ أَلَّا يَخْشَوْا أَلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﷻ﴾ [الأحزاب] قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ=

إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم. وهؤلاء الأئمة الهارونيون، الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها، قتلهم «بخت نصر»^(١) على دم واحد، يوم فتح بيت المقدس. ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة.

فلما رأى «عزرا»^(٢) أن القوم قد أحرق هيكلمهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن... فهذه التوراة التي بأيديهم - على الحقيقة - كتاب عزرا، وليس كتاب الله^(٣).

لقد سبق السموأل بن يحيى المغربي الباحثين الغربيين بقرابة تسعة قرون في الإفصاح عن هذه الحقيقة. فقد ظل اليهود والنصارى يعتقدون لقرون طويلة أن موسى هو كاتب التوراة. ولكن هذا الاعتقاد الموروث

= وَمَنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۖ لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَفُوا رَسَلَتِ رَبِّهِمْ وَلَحَاطَ يَمًا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٨﴾ [الجن].

(١) بخت نصر/ أو نبوخذ نصر: ملك كلداني بابلي، اجتاحت دولة يهوذا، ودمر أورشليم ونهب الهيكل سنة ٥٨٦ ق.م، وأهلك الكثير من سكانها، واستاق الناجين إلى بابل، فيما عرف بالسبي البابلي. انظر: العهد القديم. سفر الأخبار الثاني (٨٣٠).

(٢) عزرا: كاهن وكاتب يهودي، ظهر في فترة السبي البابلي، عاصر عفو الملك الفارسي «قورش» عن اليهود، وإذنه لهم بالعودة لفلسطين. وكان له دور بارز في تنظيم اليهود، وجمع شملهم، وعزلهم عن باقي الشعوب، وإعادة شريعتهم. انظر: العهد القديم. سفر عزرا (٨٤٧ - ٨٥٣).

(٣) إفحام اليهود، للسموأل بن يحيى المغربي تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، طبع ونشر إدارات البحوث العلمية والافتاء. الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) (١٣٥ - ١٤٠).

قد تداعى تحت مطارق النقد الحديث. يقول الدكتور موريس بوكاي^(١):
 (أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تماماً)^(٢)، ثم ذكر بعض الدراسات
 النقدية الجادة التي قام بها المتخصصون، وخلص إلى النتيجة التالية:
 (بهذا إذاً يمتد تحرير نص أسفار موسى الخمسة على ثلاثة قرون بأقل
 تقدير... وبهذا يتضح تكون أسفار موسى الخمسة من أقوالٍ مورثة
 مختلفة، جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفاً محررون وضعوا تارةً ما
 جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف
 إيجاد وحدة مركبة، تارकिन للعين أموراً غير معقولة، وأخرى متناثرة،
 كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن
 المصادر)^(٣)، ويكفي أن تلك الأسفار المنسوبة إلى موسى ﷺ قد
 ختمت بحكاية وفاة موسى نفسه^(٤).

(١) كاتب وطبيب فرنسي معاصر، كان كاثوليكيّاً، عاش فترة شبابه في المغرب
 إبان الاحتلال الفرنسي. اطلع على القرآن الكريم، وانبهر بما فيه من الآيات
 المتعلقة بالخلق والفلك والظواهر الكونية والإنسانية المطابقة للحقائق العلمية
 الحديثة، فأعتنق الإسلام عام ١٩٧٢م في الرياض، وزار مكة والمدينة،
 وتعلم اللغة العربية. من مؤلفاته بعد إسلامه: (القرآن الكريم والتوراة
 والإنجيل والعلم) وما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة. انظر
 التعريف به في كتاب، مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا
 القرآنية. د. محمد بن عبد الله السحيم. ج ١ (٣٨٣ - ٤٠٦).

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف
 الحديثة. د. موريس بوكاي. ترجمة: قسم الترجمة بالدار. مكتبة مدبولي -
 القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٦م. (٣٠).

(٣) المرجع السابق. (٣٣).

(٤) انظر العهد القديم: دار المشرق - بيروت. توزيع: المكتبة الشرقية. جمعيات
 الكتاب المقلم في المشرق - بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٨٩م. (٤١٣ -
 ٤١٤). سفر التثنية: (١/٣٤ - ١٢).

ويقول العالم اليهودي باهليل سلفر في كتابه «موسى والتوراة الأصلية»:

(حتى الوصايا العشر^(١) التي يكاد يجمع العلماء على أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية، لم تكن بكاملها، وعلى هيئتها الحالية كالتي أتى بها موسى^(٢)).

فإذا كان هذا في «التوراة» التي عليها المعول في الديانة اليهودية، فكيف بغيرها مما كتبه الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً؟ وأي سند رباني لليهودية وقد اختلط كتابها، وصبّت فيه روافد متعددة؟.

لقد تزعم «عزرا» حركة الكتابة هذه، ويصفه مؤلف (التوراة: تاريخها وغاياتها) بأنه: (أول الكتبة، ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين «وضعوا» التوراة والشريعة الشفهية، والتي سيطرت لقرون

(١) وردت هذه الوصايا في سفر التثنية (١/٥ - ٢٢). العهد القديم: (٣٦٧ - ٣٦٨). وملخصها:

- لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي.
- لا تصنع لك منحوتاً، أية صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. ولا تسجد لها، ولا تعبدتها، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور...
- لا تلفظ اسم الرب إلهك باطلاً...
- احفظ يوم السبت لتقديسه، كما أمرك الرب إلهك... فلا تصنع فيه عملاً...
- أكرم أباك وأمك... لا تقتل - لا تزني - لا تسرق - لا تشهد على قريبك شهادة زور.
- لا تشته امرأة قريبك، ولا تشته بيته ولا حقله ولا خادمه ولا خادمتها ولا ثوره ولا حماره...

(٢) نقلاً من: اليهود تاريخ وعقيدة: (١٤٢).

عديدة على عقول وجميع مقدرات اليهود. وكان للكتبة هؤلاء حزبٌ منظم، هو حزب «الفريسيين». وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخاميين، أي معلمو الشريعة. تقول الموسوعة اليهودية أمام كلمة «كتبة»: (هم هيئة من المعلمين، كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب. وقد ابتدأ تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسهم. وهؤلاء الكتبة كانوا أول من علم التوراة، وهم واضعو الشريعة الشفهية)^(١).

٢ - العهد القديم:

لقد تتابع هؤلاء الكتبة على الإضافة إلى التوراة، وإلحاق أسفار جديدة حتى تكوّن لديهم ما يسمى بـ«العهد القديم»، وصار يبلغ خمسة أضعاف الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى ﷺ، والتي تؤرخ لبني إسرائيل حتى سنة ٢٤٠٠ ق.م. وتؤلف القسم الأول، المسمى: «أسفار الشريعة» أو «التوراة» وهي: سفر التكوين، والخروج، الأحبار «اللاويين»، العدد، وتثنية الاشتراع. يتلوها أسفار تاريخية تبلغ ستة عشر سفرًا تغطي تاريخ اليهود منذ دخولهم الأرض المقدسة في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. ثم سبعة أسفار تعرف بكتب الحكمة تضم أشعاراً وأناشيد وأمثالاً. ثم ثمانية عشر سفرًا تعرف بكتب الأنبياء تغطي الفترة بين القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد^(٢).

لقد استغرق تدوين «العهد القديم» زمناً طويلاً (يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة، واعتماداً على التراث المنقول شفويًا. وقد

(١) التوراة. تاريخها وغاياتها: ترجمة وتعليق: سهيل ديب. دار النفائس. بيروت. الطبعة الرابعة. (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م). (٤٧). وقد نسبته إلى لاهوتي أمريكي.

(٢) انظر في دراسة هذه المجموعات ونقدها: القرآن والتوراة والإنجيل. مورييس بوكاي (٢٠ - ٦٥) تاريخ بني إسرائيل. محمد عزة دروزة.

صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار، بسبب أحداثٍ حدثت، أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحياناً... ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح، كما يرى الكثيرون^(١).

ولا يخفى أن هذه المدة الطويلة، وما شهدته من أحداثٍ جسيمة تعرض لها بنو إسرائيل من داخلهم وخارجهم قد حادت بهم عن نهج النبوة والدين الحق.

يقول السموأل بن يحيى عليه السلام: (إن الدولة إذا انقضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها، وأخذها بلادها، انطمست حقائق سالف أخبارها، واندرس قديم آثارها وتعذر الوقوف عليها... وهذه الطائفة، بلا شك أعظم الطوائف خطأً مما ذكرناه، لأنها من أقدم الأمم عهداً، ولكثرة الأمم التي استولت عليها من الكنعانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والإسلام.

وما من هذه الأمم إلا من قصدهم أشد القصد، وطلب استئصالهم، وبالف في إحراق بلادهم، وإخرباها، وإحراق كتبهم^(٢)، إلا

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. (٢٦ - ٢٨).

(٢) ذلك مصداق قضاء الله عليهم بقوله: (وإذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) (الأعراف: ١٦٧). ومن أشهر الحوادث التي وقعت عليهم في التاريخ:

- تسلط فرعون مصر «شيشنق» عليهم حتى نهب أورشليم في حدود ٩٠٠ ق.م.

- هجوم «سارجون» ملك الآشوريين عليهم، وقضائه على دولة يهوذا، وسبي بعض أهلها سنة ٧٢٢ ق.م.

- هجوم «نبوخذ نصر» ملك البابليين عليهم مرتين سنة ٥٩٨ ق.م و٥٨٦ ق.م وتدمير أورشليم، وإحراق الهيكل، واستياع عشرات الألوف من اليهود أسرى فيما عرف بالسبي البابلي.

المسلمين. فإن الإسلام صادف اليهود تحت ذمة الفرس، ولم يبق لهم مدينة ولا جيش إلا العرب المتهودة بخير.

فأشد على اليهود من جميع هذه الممالك، ما نالهم من ملوكهم العصاة... وغيرهم من الملوك الإسرائيليين، الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم، وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها، وتعليم رسوم عبادتها، وابتنوا لها البيع العظيمة، والهيكل، وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بني إسرائيل، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة، وأعصاراً متصلة. فإذا كان هذا تواتر الآفات على شرعهم من قبل ملوكهم، ومنهم على أنفسهم، فما ظنك بالآفات المتفنة التي تواترت عليهم من استيلاء الأمم فيما بعد، عليهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، ومنعهم إياهم عن القيام بشعائهم^(١).

٣ - التلمود:

والى جانب «العهد القديم» طور حاخامات يهود عبر القرون تراثاً دينياً ضخماً، يعدونه الأصل الثاني في ديانتهم، وإن كان في حقيقة الأمر هو محل عنايتهم وحفواتهم ودرسهم، ذلك هو «التلمود» ويعني بالعبرية «التعليم».

-
- = - تسلط السلوقيين والبطالسة عليهم في حدود سنة ٣٠٠ ق.م.
 - اضطهاد القائد الروماني «تيتوس» إياهم وتدمير أورشليم وحرق الهيكل، واسترقاقهم سنة ٧٠ ق.م.
 - تجدد الاضطهاد الروماني على يد تراجان ١١٦م، وهادريان ١٣١م وهيرقليدس.
 - اضطهاد «يزدجرد» الثاني ملك الفرس إياهم سنة ٤٣٨م.
 انظر: اليهود تاريخ وعقيدة (١٨ - ٢٦).
 (١) إفحام اليهود. وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ. (١٤٣ - ١٤٥).

ويتكون التلمود، حسب دائرة المعارف اليهودية Jewish Encyclopaedia من جذرين أساسيين:

أحدهما: المشناه: Mishnah وهي مجموع المرويات الشفهية المنسوبة إلى موسى ﷺ التي يزعم الحاخامات أنهم تناقلوها جيلاً بعد جيل.

وقد شرع في تدوينها الحاخام «يوضاض» بعد المسيح بمائة وخمسين عاماً. ثم ضمها مع زيادات ألحقت بها الحاخام يهوذا هاناسي في حدود عام ٢٠٠م. ويحاول اليهودي المستعرب «موسى بن ميمون» تنظير هذه المرويات، بالسنة النبوية لدى المسلمين فيقول: (منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس يهوذا هاناسي لم يتفق أحد من علماء اليهود على أي عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية، باسم «القانون الشفهي»، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهه، لينقلها شفهاً إلى شعبه... وهكذا تقدم الزمن حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات وشرح القانون المروي عن موسى، - معلمنا - الأمور به في كل جيل)^(١).

وقد قام الحاخام يهوذا هاناسي بتنسيق مدونات مائتي عالم يهودي يعرفون باسم «تنائيم»، كتبوها لفترة تمتد من السنة العاشرة للميلاد حتى نهاية القرن الثاني للميلاد. ويضارع مشروع المشناه كتاب «بريثا» Braitha، الذي وضعه الحاخام اليعازر بن يعقوب.

الثاني: جمارا Gemara: وهي شرح لما استغلق فهمه من المشناه مع زيادات وتعليقات، ابتدأها ابنا الحاخام هاناسي، وتابعهم آخرون

(١) عن التلمود: تاريخه وتعاليمه. ظفر الإسلام خان. دار النفائس - بيروت.

الطبعة السادسة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). (١٢ - ١٣).

في هذه المهمة عرفوا باسم «أمورائيم». ولهذا فإن كلمة جمارا تعني الإكمال.

وتم نوعان من الجمارا: جمارا أورشليم، أو فلسطين، صنف في حدود ٤٠٠م وقيل ٣٢٠م، وجمارا بابل، صنف في حدود ٥٠٠م، نسبة إلى موطن الشراح من الحاخامات. فمن ثم تنوع «التلمود» إلى: تلمود أورشليم وتلمود بابل.

ويزعم اليهود أن أصل التلمود هي «الوصية» المذكورة في سفر الخروج: (وقال الرب لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل، وأقم هنا حتى أعطيك لوحى الحجارة والشرعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم) ١٢/٢٤^(١) بحسبان أن لوحى الحجارة هما ما يتضمن الوصايا العشر، والشرعة هي التوراة المكتوبة، والوصية هي المشناه وذلك مصداق قول الله تعالى: ﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِن عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويصفه السموأل بن يحيى: (وأما التلمود، فهو الكتاب الأكبر، ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرتة. ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد، وإنما ألفوه في جيل بعد جيل)^(٢). أما الطبقات الحديثة التي ظهرت في هذا القرن ما بين عامي ١٩٣٥ - ١٩٥٢م فقد بلغت خمسة وثلاثين مجلداً^(٣).

(١) العهد القديم: (١٩٤ - ١٩٥)، وجاء في التلمود. تاريخه وتعاليمه: (قد أعطى الله الشرعة على طور سيناء، وهي التوراة والمشناه والجمارا، ولكنه أرسل على يد موسى الكليم التلمود شفهاً). عن الكثر المرصود في قواعد التلمود: ترجمة كتابي: اليهودي على حسب التلمود د. روهلنج، تاريخ سوريا لسنة ١٨٤٠م. شارل لوران. ترجمة د. يوسف نصر الله. دار القلم - دمشق، دارة العلوم - بيروت. طبعة دار القلم الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م). (٥١).

(٢) إفحام اليهود: (١٦٢).

(٣) التوراة تاريخها وغاياتها: (٨٢).

وقد أضفى أحبار السوء من الحاخامات على «التلمود» هالة من القداسة والتبجيل ليعظمه البله من بني إسرائيل، وبالغوا في وصفه وإطرائه وصونه. فمن مآثراتهم:

■ (إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشنا فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة.

■ من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى.

■ إن التوراة أشبه بالماء، والمشنا أشبه بالنبذ، والجمارا أشبه بالنبذ العطري. والإنسان لا يستغني عن الثلاثة كتب المذكورة، كما أنه لا يستغني عن الثلاثة أصناف السالف ذكرها^(١).

تلك نظرة شاملة على مصادر الديانة اليهودية، وكتبها المقدسة لديهم، تكشف بوضوح عن انقطاع السند بين اليهودية وملة إبراهيم، وطروء زيادات خطيرة، وحصول تحريف، وكتمان لما أنزل الله، أنتج ديانة محرفة، لا تستقيم وقانون الإسلام العام في شقيها العقدي والتشريعي على نحو ما سنوضحه في الصفحات التالية:

العقائد اليهودية:

(١) في باب الإيمان بالله:

بالرغم مما بقي في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، والمعدودة عندهم توراة، من التأكيد على التوحيد، ونبذ الوثنية والشرك، فقد حفل العهد القديم والتلمود بأنواع الكفر والشرك في

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود: (٥٠ - ٥١).

الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، مما تقشعر منه الأبدان، ولا يصدر من أهل إيمان، ومن شواهد ذلك:

□ **فِرْيَة الرؤية في الدنيا:** جاء في سفر الخروج: (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، فرأوا إله إسرائيل، وتحت رجله شبه صنع بلاط سفير أشبه بالسماة نفسها نقاءً. وعلى أعيان بني إسرائيل هؤلاء لم يمد يده، فرأوا الله وأكلوا وشربوا) ٩/٢٤ - ١١^(١). وفي سفر العدد يَرِدُ تَشْفُّعُ من موسى، وهو يناجي الله قائلاً - حسب زعمهم -: (... إنك يا رب، في وسط هذا الشعب الذي تراءيت له، يا رب، وجهاً لوجه، وأن غمامك مقيم فوقهم، وأنتك سائر أمامهم بعمود غمام نهاراً، وعمود نار ليلاً) ١٤/١٤ - ١٥^(٢). وهذا مما افتروه على الله. فإذا كان موسى ﷺ قد سأل الرؤية فلم ينلها في الدنيا، فكيف بهؤلاء الذين شرطوها على موسى لقاء إيمانهم، فأخذتهم الصاعقة. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي فَأَنْظَرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظَرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيَّ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف]. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأُنْثِرُ نَسْلَكُمُوهَا﴾ [البقرة].

□ **فِرْيَة وصفه تعالى - بالندم -:** جاء في سفر التكوين: (فندم الرب على أنه صنع الإنسان على الأرض، وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقت، الإنسان مع البهائم والزحافات وطيور السماء، لأنني ندمت على أني صنعتهم) ٦/٦ - ٧^(٣).

(١) العهد القديم: (١٩٤).

(٢) العهد القديم: (٣٠٨).

(٣) العهد القديم: (٧٧ - ٧٨).

وفي سفر الخروج: (فعدل الرب عن الإساءة التي قال إنه ينزلها بشعبه) ١٤/٣٢^(١). ويرى السموأل بن يحيى أن المترجم حرف اللفظ، وصوابه: فندم^(٢).

وفي سفر صموئيل الأول: (إني قد ندمت على إقامتي شاول ملكاً) ١١/١٥^(٣) فسبحان العليم الحكيم.

أما التلمود فيغرق كاتبه في الإسفاف والتفريط في جنب الله، فيقول: (يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة، حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان، فتحصل الزلازل)^(٤). فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم.

□ فرية وصفه - تعالى - بالتعب: جاء في سفر التكوين: (وانتهى الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله، واستراح في اليوم السابع) ٢/٢^(٥). وقد أكذبهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق].

□ فرية وصفه - تعالى - بالنوم والغفلة: حكى السموأل بن يحيى أن اليهود يقولون في العشر الأول من كل سنة، في صلاتهم دعاءً بشعاً معتدئ فيه: (لِمَ تقول الأمم: أين إلههم؟ انتبه! لِمَ تنام يا رب، استيقظ من رقدتك) ثم علق قائلاً: (وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيان والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار، وانتظار فرج

(١) العهد القديم: (٢٠٩).

(٢) إفحام اليهود: (١٣٣). ويرى تلمذ أن متأخريهم هذبوا بعض الألفاظ بما استفادوه من توحيد المسلمين: (١٣٢).

(٣) العهد القديم: (٥٤٩).

(٤) الكنز المرصود: (٥٦).

(٥) العهد القديم: (٧٠).

لا يزداد عنهم إلا بعداً^(١). فسبحان من ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
[البقرة: ٢٥٥].

(٢) في باب أنبياء الله:

إذا كان القدح وسوء الأدب والجرأة في كتب اليهود قد بلغت
جناب الله سبحانه وتعالى، فلا غرو أن تطال أذيتها رسله الكرام،
ومصطفاه الأخيار، عليهم صلواته سبحانه. ومن شواهد ذلك:

□ نوح عليه السلام: جاء في سفر التكوين: (وابتداً نوحٌ حارث الأرض
يغرس الكرّم، وشرب من الخمر، فسكر، وتكشف في داخل خيمته)
٢٠/٩ - ٢١^(٢). وصدق الله، وكذبت يهود: ﴿إِنَّكُمْ كَانْتُمْ عَبْدًا شَكُورًا﴾
[الإسراء].

□ إبراهيم عليه السلام: يصوره سفر التكوين باذلاً عرض زوجته سارة
لرؤساء الفراعنة حين قدومه مصر، لتحقيق مطامع دنيوية: (فلما قارب
أن يدخل مصر، قال لساراي امرأته: أنا أعلم أنك امرأة جميلة
المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني،
وبيقونك على قيد الحياة. فقلولي: أنك أختي حتى يُحسن إلي بسببك
وتحيا نفسي بفضلك... فأحسن إلى أبرام بسببها، فصار له غنم وبقر
وحمير وخدام وخادمات وحمائر وجمال) ١١/١٢ - ١٧ كل هذا
وامرأته في بيت فرعون^(٣).

(١) إفحام اليهود: (١٣١).

(٢) العهد القديم: (٨٢).

(٣) العهد القديم: (٨٦ - ٨٧). وأصل القصة ثابت في صحيح البخاري: (بيننا
هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هذا الرجل
معه امرأة من أحسن النساء فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال:
أختي. فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري=

فحاشا نبي الله الذي ألقى في النار في ذات الله، أن يتجر بعرضه، وأن يرضى السوء في أهله.

□ إسماعيل عليه السلام: لعل بشارة الملك لهاجر في البرية بتكثير نسل ابنها قد أغاظ كتبة سفر التكوين، فنفضوا فيه من حر غيظهم هذه الجملة: (ويكون حماراً وحشياً بشرياً) ١٢/١٦^(١). وهي عبارة نشاز لا تتفق مع سياق البشارة.

□ لوط عليه السلام وأهل بيته المؤمنون: يقلب كاتب سفر التكوين الحقائق في شأن أهل هذا البيت، فلا يقدح بكلمة واحدة في امرأة لوط الخائنة لزوجها في دينه وضيافته، بل يجعلها مشمولة أصلاً بالنجاة، فيقول عن الملكين حين أمرا لوطاً بالخروج من قرية «سدوم»: (فأمسك الرجلان بيده، وبید امرأته وابنتيه، لشفقة الرب عليه، وأخرجاه، ووضعاه خارج المدينة ١٥/١٩ - ١٦^(٢)). والواقع أنها تبعتهما لما أحست بالخطر. ولهذا لا يكاد يذكر في القرآن إنجاء الله للوط عليه السلام وأهل بيته إلا مقروناً باستثناء امرأته. وبالمقابل فإن سفر

= وغيرك: وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني. فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب ليتناولها بيده فأخذ. فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق. فدعا بعض حجبه فقال: إنك لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني بشيطان. فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي، فأوماً بيده: مهيم؟ قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر (١١٢/٤). فهذا السياق النبوي المعصوم للقصة، يكشف عن حال إبراهيم عليه السلام في هذه المحنة التي ألتمت به وزوجه، وأنه فزع إلى الصلاة. ولم يشتغل باستثمار الحمير والجمال مستغلاً حظوة زوجته الجميلة كما يصور سفر التكوين. وانظر فتح الباري: (٢٧٨/٦).

(١) العهد القديم: (٩١).

(٢) العهد القديم: (٩٥).

التكوين يصور لوطاً الذي وصفه الله بقوله: ﴿آتَيْنَهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ [الأنبياء: ٧٤]، ووصف أهل بيته - سوى امرأته - بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٥) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات]، بصورة هابطة: (وصعد لوط من صُوعَرَ، وأقام في الجبل هو وابنتاه معه. لأنه خاف أن يقيم في صوعر. فأقام في مغارة هو وابنتاه. فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها. تعالي نسقي أبانا خمراً، ونضاجعه ونقيم من أبنينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً هذه الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباهما، ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى: ها أنذا قد ضاجعت أمس أبي، فلنسقه خمراً في تلك الليلة أيضاً. وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبنينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغرى فضاجعته، ولم يعلم بنيامها ولا قيامها، فحملت ابنتا لوط من أبيهما) ٣٠/١٩ - ٣٦^(١). فهذه وقعة الذين يفترون على الكذب، ويؤذون أنبياءه، وقد شهد لآل لوط خصومهم فقالوا: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَظْهَرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢، والنمل: ٥٦].

□ موسى ﷺ: لم يسلم من أذاهم مع ما أجرى الله على يديه من إنجائهم من آل فرعون، وقيادتهم وتعليمهم، حتى إنه عاتبهم على ذلك فقال: ﴿وَلَاذَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥]، أي وأنتم تعلمون أنني رسول الله إليكم.

ومن جملة ما سجله سفر الخروج من أذيتهم إياه: (فتذمر الشعب على موسى. وقال: ماذا نشرب؟) ٢٤/١٥^(٢)، (فتذمرت جماعة بني إسرائيل كلها على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو إسرائيل:

(١) العهد القديم: (٩٦).

(٢) العهد القديم: (١٧٩).

لِتَنَا مَتَنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، حَيْثُ كُنَّا نَجْلِسُ عِنْدَ قَدَرِ اللَّحْمِ، وَنَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ شُبْعَنَا، فِي حِينِ أَنْكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذِهِ الْبَرِيَّةِ لَتَمِيتَا هَذَا الْجُمْهُورَ كُلَّهُ بِالْجُوعِ) ٢/١٦ - ٣^(١)، (فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: مَاذَا أَصْنَعُ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ؟ قَلِيلًا وَيَرْجُمْنِي) ٤/١٧^(٢).

وفي سفر العدد: (وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى مُوسَى، وَقَالُوا: لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لَنَمُوتَ فِي الْبَرِيَّةِ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خُبْزٌ وَلَا مَاءٌ. وَقَدْ سَتَمْتَ نَفُوسَنَا هَذَا الطَّعَامَ الزَّهِيدَ) ٥/٢١^(٣).

فلذلك نهى الله هذه الأمة المحمدية عن سلوك سبيل هؤلاء المعتدين، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا﴾^(٤) [الأحزاب].

□ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نسب سفر الخروج إلى هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الضَّلُوعُ فِي صِنَاعَةِ الْعَجَلِ الذَّهَبِيِّ، وَالتَّهْيِئَةِ لِعِبَادَتِهِ، اسْتِجَابَةً لَطَلْبِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ: (وَرَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى قَدْ تَأَخَّرَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ. فَاجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ، وَقَالُوا لَهُ: قُمْ فَاصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا. فَإِنَّ مُوسَى، ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا حُلُقَاتِ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ، وَأَتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ حُلُقَاتِ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ، وَأَتَوْا بِهَا هَارُونَ فَأَخَذَهَا وَصَبَّهَا فِي قَالِبٍ، وَصَنَعَهَا عَجَلًا مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا رَأَى هَارُونُ ذَلِكَ، بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَ الْعَجَلِ، وَنَادَى قَائِلًا: غَدًا عِيدٌ

(١) العهد القديم: (١٧٩ - ١٨٠).

(٢) العهد القديم: (١٨١).

(٣) العهد القديم: (٣٢١).

(٤) انظر في بيان معنى الأذى جامع البيان: (٥٠/٢٢ - ٥٣)، تفسير القرآن العظيم: (٤٨٤/٦ - ٤٨٧).

للرب. فبكروا في الغد، وأصعدوا مُحرقات، وقربوا ذبائح سَلَامِيَّة، وجلس الشعب يأكل ويشرب، ثم قام يلعب) ٢/٣٢ - ٦(١).

فالحمد لله الذي برأ نبيه في القرآن من بهتان الذين كفروا وظلموا، فقال: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقْوَرُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ (طه). وإنما صنعه سلفهم السامري. وقد أشربوا في قلوبهم حب العجل، والشرك بالله تعالى، فلم يزل يعاودهم الحنين إلى عبادة الأوثان، حتى عبدوها في أزمنة لاحقة، كما شهد عليهم سفر القضاة: (وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب، وعبدوا البعل والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة مؤاب وآلهة بني عَمّون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب، ولم يعبدوه) ١٠/٦(٢).

□ داود عليه السلام: يصمه سفر صموئيل الثاني بوصمة شنيعة، وعمل منحط لا يصدر إلا من أعتى المجرمين، وأدنى الخونة، حيث زعم أنه زنى بزوجة أحد جنوده المجاهدين المخلصين «أوريا»، وتعمد إرساله إلى أخطر جبهات القتال، وحملته كتاباً فيه: (ضعوا أوريا حيث يكون القتال شديداً، وانصرفوا من ورائه، فيضرب ويموت)^(٣) ١١/١٥ كل ذلك ليستأثر بها! حاشا نبي الله، وخليفته في الأرض، عن اتباع الهوى، وهو الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص]، ووصف ملكه وحكمه بقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (١٥) [ص] فهل تستقيم هذه الشهادة الصادقة العادلة مع ما تنزل به الشياطين على كل أفاكٍ أثيم للنيل من نبي مبرأ كريم؟!.

فالحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

(١) العهد القديم: (٢٠٨).

(٢) العهد القديم: (٤٨٩ - ٤٩٠).

(٣) العهد القديم: (٤٩٠).

□ عيسى عليه السلام وأمه مريم: بعث الله رسولا إلى بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرِسُوْلٍ يَّاتِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَخْذُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّؤْتًى ﴿١﴾﴾ [الصف]، فما صدقوا رسالته، ولا قبلوا بشارته، بل وصموه بأبشع الألقاب، وقذفوا أمه العذراء البتول بأقذع السباب، وسعوا في أذيته وقتله. ﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ هَيْتَنَّا عَظِيْمًا ﴿٢﴾﴾ وَقَوْلُهُمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴿[النساء: ١٥٦ - ١٥٧]﴾. ومما جاء في تلمودهم: (إن يسوع الناصري موجود في لجج الجحيم بين الزفت والنار. وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنى)^(١)، وجاء وصفه فيه عليه السلام بأنه «ساحر» و«مجنون» و«كافر لا يعرف الله» و«تمثال» و«مرتد» و«تعاليمه كفر»^(٢)، وأنه (ولد يوسف النجار سفاحا)^(٣).

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطٰنِيْنَ اِلٰنِيسٍ وَالْجِنِّ يُوحِيْ بَعْضُهُمْ اِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوْرًا ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

(٣) في باب الإيمان باليوم الآخر:

مع كون الإيمان باليوم الآخر من أسس الإسلام الذي بعث الله به الرسل كما في قوله تعالى: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالنَّصٰرَى وَالصَّابِئِيْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صٰلِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة]، إلا إن ذكره في العهد القديم نادر جداً، لا يتناسب مع أهميته العقدية في ترتيب الثواب والعقاب على الأعمال والشرائع التي تطفح بها كتبهم الدينية. وربما كان أوضح نص يشير إلى البعث والجزاء والحساب الأخروي ما ورد

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود. المقدمة: (٢٧).

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود: (١٠٥ - ١٠٦).

(٣) إفحام اليهود: (١٠٣).

في سفر دانيال، وهو من الأسفار التي وضعت في وقت متأخر^(١):
(وكثير من الراقيدين في أرض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية،
وبعضهم للعار والردل الأبدي. ويضيء العقلاء كضيء الجلد، والذين
جعلوا كثيراً من الناس أبراراً كالكوكب أبد الدهور) ٢/١٢ - ٤^(٢).

وقد حدا هذا ببعض الحركات اليهودية الحديثة (الحركة
الإصلاحية) إلى عقد مؤتمر في مدينة «فيلادلفيا» الأمريكية عام ١٨٦٩م،
ثم في مدينة «بيتسبرج» تضمن كلاهما توصية صريحة بـ: (إنكار نظرية
بعث الجسد... مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح، ينكر المؤتمر المبدأ
القاتل ببعث الأجساد، وبالعذاب بعد الموت)^(٣).

وقد أغرب بعض الكتاب المعاصرين حين زعم أن هذا القدر
الضئيل من الإشارة إلى البعث والحياة الآخرة اقتبسه اليهود من الفرس،
وأنه لا أصل له في ديانتهم^(٤).

والحق أن الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان الذي
جاءت به رسل الله قاطبة، ولهذا وعظ سحرة فرعون لما آمنوا، فرعون
فقالوا: ﴿إِنَّكُمْ مَن يَأْتِي رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ وَمَنْ
يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۖ﴾ [طه] وهم حديثو عهد بكفر،

(١) انظر «مدخل» للتعريف بسفر دانيال في العهد القديم: (١٨٥٢)، القرآن
والتوراة والإنجيل والعلم: (٢٨).

(٢) العهد القديم: (١٨٨٥ - ١٨٨٦).

(٣) عن: الملل المعاصرة في الدين اليهودي. د. إسماعيل راجي الفاروقي.
مكتبة هبة - القاهرة. الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م). (٥٥، ٥٦).

(٤) انظر مثلاً: اليهودية أحمد شلبي: (١٩٥)، اليهود تاريخ وعقيدة: (١٦٧)،
قصة العقائد. سليمان مظهر: (٣١٨).

فدل ذلك على أن الإيمان بالبعث من أشهر ما جاء به موسى عليه السلام^(١).

أما السبب الحقيقي لندرة ذكر البعث واليوم الآخر في كتبهم الدينية، فلعلمهم بما أعد الله لهم من العقوبة، فهم ينفرون من ذكره، ويطمسون مواضعه. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقال: ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

الشرعة اليهودية:

كما رغبت اليهودية عن ملة إبراهيم في الإيمان والاعتقاد، رغبت عنها كذلك في الأحكام والشرائع. فإن ملة إبراهيم عليه السلام مبنية على رفع الحرج: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) [الحج: ٧٨]، موسومة بموافقة الفطرة: ﴿وَلِذِذِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ رُؤِيَ بِكَامِلَةٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٣) [البقرة: ١٢٤]. أما الشريعة اليهودية فقد آلت إلى جملة من الأغلال والآصار المضروبة على رقاب اليهود، بعضها عقوبة من الله، بسبب معاصيهم وتفريطهم في جنب الله، وبعضها من وضع أحبارهم وحاخاميهـم.

فأما الصنف الأول، فدل عليه قوله تعالى: ﴿فَيُظْهِرُ مِنَ الَّذِينَ

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون: (٣٠٥/٥)).

(٢) قال ابن جرير رحمه الله: (نصب ملة، بمعنى: وما جعل عليكم في الدين من حرج، بل وسعه عليكم كلمة أبيكم) جامع البيان: (٢٠٧/١٧).

(٣) ذهب جمع من المفسرين إلى أن المراد بهؤلاء الكلمات خصال الفطرة. والصحيح أن خصال الفطرة من هؤلاء الكلمات. انظر جامع البيان: (١/ ٥٢٤ - ٥٢٨).

هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّت لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴿١٦١﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١]، وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَرَبِّ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِغَلِيظٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]. وقد كان حال بني إسرائيل قبل ذلك على البراءة الأصلية، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقد فتح الله لهم باب الفرج، لو أنهم ولجوه، مرتين؛ حين جاءهم عيسى عليه السلام بالتخفيف ﴿وَلَا حُدَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، ثم حين جاءهم محمد ﷺ بالمنعوت لهم بجملة أوصاف منها: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وأما الصنف الثاني، فمما شددوا به على أنفسهم، في باب الذبائح والأطعمة وغيرها (مما ليس له أصل عن موسى ولا هو في التوراة، وإنما هو من أوضاع الحاخاميم وآرائهم)^(١). ونقتطف جملة من قوانينهم المعقدة التي يسمونها «هالاخاه شوخيطا» أي علم الذبائح: (لا بد من غسل الأطباق والحلل والسكاكين والملاعق مع الصلاة عليها. وهم لا يجيزون أكل اللحم والأسماك معاً، لاعتقادهم أن ذلك يؤدي إلى البرص. كما لا يجيزون الجمع بين اللحم والحليب ومشتقاته. ويحرم طبخ اللحم في السمن أو الزبد، بل يجب أن تطبخ في زيوت نباتية. كما يحرم وضع اللحم في إناء كان قد وضع فيه لبن أو جبن من قبل أو أن تستعمل سكين واحدة في تقطيع اللحوم والجبن وما إليه. ولذلك يتعين على اليهودي الأكل بأوانٍ تخصص للحوم فقط

(١) إغاثة اللفهان: (٢/٤٤٩).

توضع في مكان، وأخرى للألبان ومشتقاتها وتوضع في مكان آخر... ولا يجوز أن يقوم بعملية الذبح إلا رجل دين يسمى «شوحيط» يتقن الذبح بالطريقة الشرعية. فإن لمس الحيوان أو الطير أثناء ذبحها أو قبل أن يصفى دمها غير رجل الدين المسؤول تصبح الذبيحة محرمة... ولا يجوز للذابح أن يذبح إلا بعد حصوله على ترخيص من حاخام... ويجب أن يكون نصل السكين ضعف زور الطائر أو الحيوان المراد ذبحه... ثم يمر بالسكين مرة واحدة وباتجاه واحد على عنق الحيوان وإلا كان الأكل محرماً، وإن ضغط الذابح بالسكين على الزور، كما لو أنه يقطع شيئاً ما أو كمن يضرب بسيف حرمت الذبيحة. وإذا غطى الريش أو الشعر السكين فالذبيحة محرمة^(١).

ومن صور هذا التشديد الذي ابتدعه حاخاماتهم ما حكاه السموأل بن يحيى: «أنهم أمروهم بأن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواءً، ويتأملوها حتى يخرج الهواء من ثقب منها أم لا؟ فإن خرج منها الهواء حرّموه. وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه.

وأيضاً فإنهم أمروا الذي قدّ الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة، ويتأمل بأصبعه فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة، حرّموه ولم يأكلوه، وسموه «طريقاً» ويعنون بذلك أنه نجس^(٢).

ويرجع السموأل بن يحيى الأمر في تشديدهم الإصر على أنفسهم إلى سببين:

(١) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود: غازي السعدي. دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. عمان - الأردن. الطبعة الأولى ١٩٩٤م. (٦٥ - ٦٦).

(٢) إفحام اليهود: (١٦٦).

أحدهما: (أن الحاخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم، وضيقوا عليها المعيشة، والإصر، فقصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم، فيؤدي اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم.

والسبب الثاني في تضيق الإصر عليهم، أن اليهود مبددون في شرق البلاد وغربها. فما من جماعة منهم في بلدة إلا إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة، يظهر لهم الخشونة في دينه، والمبالغة في التورع والاحتياط. فإن كان من المتفقهة، فهو يشرع في إنكار أشياء عليهم ويوهمهم التنزه عما هم فيه وينسبهم إلى قلة الدين، وينسب ما ينكره عليهم إلى مشائخه وأهل بلده، ويكون في أكثر ذلك الإسناد كاذباً... فأما إن كان القادم، أحد أحرار اليهود وعلمائهم فهناك ترى العجب من الناموس الذي يعتمد، والسنن التي يحدثها ويلحقها بالفرائض، ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه، فتراهم مستسلمين إليه، وهو يحتلب درهم ويحتلب - بحيله - درهمهم^(١). فصدق الله العليم بحالهم ومآلهم: ﴿أَتُخَذُوا أَحْبَارُهُمْ وَرُفُفَتُهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

(١) إفحام اليهود: (١٧٥، ١٧٧).

النصرانية

بعث الله عبده ورسوله وكلمته التي ألهاها إلى مريم وروحاً منه، عيسى عليه السلام، إلى بني إسرائيل الذي طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، آية للناس ورحمة منه، مسبقاً بالبشارات النبوية والملائكية؛ فقد تقدمه يحيى بن زكريا عليه السلام ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]. وقالت الملائكة لأمه مريم بنت عمران: ﴿يَمْرُؤٌ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]. ورافق مولده من خوارق العادات، والخروج عن المألوفات؛ بكونه من أم بلا أب، وتكليمه الناس في المهد، ما يوجب أن يهز العقول البليدة، ويلين القلوب القاسية، ويلفت الأنظار والأفكار إلى ما جاء به: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [آل عمران: ٤٦] قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ [مريم: ٣٠].

وحين شرع في دعوة بني إسرائيل، أيده الله بروح القدس، فأجرى على يديه الآيات العظام التي لا يعرض عنها إلا مفتون مطموس: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْصِتُ الْأَمُوتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

أما مضمون دعوته ورسالته، فكما قيل للرسول من قبله، عبادة الله وتوحيده:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ لِإِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٣﴾ [الزخرف]. وكانت رسالته ﷺ موجهة إلى بني إسرائيل خاصة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَىٰ لِإِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٦]، ومن أغراضها التخفيف عليهم: ﴿وَلِأُخَفِّجَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وقد آتاه الله كتاباً من أعظم كتبه، وهو الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ مَائِدَتِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ١١﴾ [المائدة]. وكانت رسالته ﷺ جلقة وصل بين الرسالات السماوية السابقة واللاحقة: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَبَشِيرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِن بَعْدِي أَتَمُّهُ أَحَدٌ﴾ (١) [الصف: ٦].

ومع ما احتف بحمله ووضعه ومهده من آيات، وما أيدت به رسالته بعد ذلك من معجزات، فإنه بشرٌ خالص البشرية، مخلوقٌ كما خلق آدم ﷺ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥١﴾ [آل عمران]، وتلحقه صفات البشرية: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ أَنْظَرْ كَيْفَ بُنِيتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ٥٠﴾ [المائدة]، ﴿وَلِإِن مِّنْ أَهْلٍ لَّكِتَابٍ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]. وكما كانت ولادته آية، كانت وفاته الأولى آية:

(١) ولهذا قال نبينا ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهااتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي) رواه مسلم: (١٨٣٧/٤).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]. ثم إن له جولة أخرى على الأرض قبل موته كما أقسم على ذلك نبينا محمد ﷺ، فيما رواه أبو هريرة: (والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)^(١). ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

مواقف الناس من عيسى ابن مريم ﷺ ورسالته:

انقسم الناس تجاه عبد الله ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه، عيسى ﷺ، ثلاثة أقسام:

• قسم كفر به، وهم عتاة اليهود، وعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالبهتان العظيم وسعوا في ذمه لدى الحكام الرومان، وراموا صلبه: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وُقُولُهمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ ۖ يَهْتَنُّوا عَظِيمًا﴾ [٥٦] وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَمَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

• وقسم آمن به وصدقه وناصره ودعا إلى دينه وشريعته، واحتمل الأذى الفظيع في سبيل ذلك، وهم الحواريون ومن تابعهم: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْخَوَارِيُّونَ ۖ هُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [٥٧] رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَرْسَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

فكانت نتيجة دعوته: ﴿فَتَأْمَنَّتْ ظَلِيفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ ظَلِيفَةٌ

(١) رواه مسلم: (١/١٣٥ - ١٣٦). ويقع له ﷺ في نزوله هذا أحداث عظام من قتل الدجال واجتماع المؤمنين إليه بعد فتح يأجوج ومأجوج، وحجه وعمرته مما صحت به السنة.

فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٥٦﴾ [الصف] ﴿٥٧﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَٰك يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّيْتُهُمُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ [آل عمران].

٣ - وقسم خلا فيه، ورفع فوق منزلته التي أنزله الله إياها، وهي العبودية والرسالة، وبالغ في إطرائه، حتى خرج به من وصف البشرية إلى مرتبة الألوهية - والعباد بالله - إما انبهاراً بما أجراه الله على يديه من الآيات المعجزات، وإما دسيسة من اليهود الكافرين الحاقدين ليفسدوا دين النصرى، كما وقع من شاول «بولس» وأشياعه من الغلو

(١) للمفسرين في المراد بـ ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ قولان:

أحدهما: المؤمنون به حقاً من النصرى، ثم المسلمون من هذه الأمة. قال ابن جرير: (الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الإسلام وفطرتك، فوق الذين جحدوا نبوتك، وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل فكذبوا بما جئت به، وصدوا عن الإقرار به. فمصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم). جامع البيان (٢٩٢/٣). وقال الشوكاني: (أي اتبعوا ما جئت به. وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلهاً. ومنهم المسلمون، فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى ﷺ ووصفوه بما يستحقه من دون غلو... وقد ذهب إلى هذا كثير من أهل العلم) فتح القدير (٣٤٥/١).

الثاني: إنهم النصرى من حيث الجملة، فوق اليهود. قال ابن جرير: (وجاعل الذين اتبعوك من النصرى فوق اليهود) جامع البيان (٣٩٣/٣). وقال ابن كثير بعد ذكر تفرق النصرى، وظهور الملك قسطنطين: (وهم في هذا كله قاهرون لليهود، أيدهم الله عليهم لأنهم أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفار عليهم لعائن الله) تفسير القرآن العظيم (٤٨/٢). وللشوكاني في هذا رسالة بعنوان: (ويل الغمامة في تفسير: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَٰك يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾).

كما سيأتي. قال ابن كثير رحمته الله: (إن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده؛ فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته. ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة: وقد حكى الله مقاتلهم في القرآن، ورد على كل فريق فاستمروا كذلك قريباً من ثلاثمائة سنة)^(١).

حال النصارى بعد رفع المسيح:

لا ريب أن حواربي المسيح عليه السلام، ومن تبعهم بإحسان قد ساروا على سنن المرسلين، من توحيد رب العالمين، والعمل بشريعته المبلغة بالإنجيل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧]. ولكن المصادر الدينية التي تؤرخ لتلك الحقبة المهمة قد صيغت وللأسف وفق اعتقاد ضلال النصارى، السائد اليوم. ومع ذلك فإنها تشير إلى وجود جماعة واحدة من كبار تلاميذ المسيح وأقربائه ملتزمة بالشريعة اليهودية، معظمة للناموس الذي جاء به موسى عليه السلام، ولا تعزل نفسها عن أداء العبادات والصلوات في الهيكل كسائر بني إسرائيل، لكنها تؤمن بالمسيح عليه السلام، وتدعو إلى دينه في أوساط اليهود خاصة دون سائر الأمم، وتلقت في سبيل هذا التميز صنوف الاضطهاد النفسي والبدني من رؤساء الكهنة اليهود.

ومن أقدم المصادر التي تصف حال الحواربيين بعد رفع المسيح سفر «أعمال الرسل»^(٢) وقد جاء فيه: (وكانوا يواظبون على تعليم

(١) تفسير القرآن العظيم: (٤٧/٢).

(٢) يُظن أن كاتب هذا السفر هو «لوقا» صاحب أحد الأناجيل الأربعة. انظر: مدخل إلى أعمال الرسل العهد الجديد: دار المشرق - بيروت. توزيع: المكتبة الشرقية. جمعيات الكتاب المقدس في المشرق - بيروت. الطبعة الثالثة. (٣٧٢).

الرسل، والمشاركة، وكسر الخبز، والصلوات... وكان جميع الذين آمنوا جماعةً واحدة، يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم، يبيعون أملاكهم وأموالهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم. يلزمون الهيكل كل يوم بقلب واحد... وكان الرب كل يوم يضم إلى الجماعة أولئك الذين ينالون الخلاص) ٤٢/٢ - ٤٧^(١).

ويضم ذلك السفر ذكر حكايات وكرامات جرت لـ «الرسل»^(٢)، تشابه آيات عيسى عليه السلام من إحياء الموتى، وشفاء المرضى بإذن الله، كما يضم ذكر عظات لبني إسرائيل، على لسان بطرس، أكبر الحواريين، وقد نذت في أحدها الجملة التالية:

(إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا، قد مجّد عبده «يسوع» الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام بيلاطس) ١٣/٣. مما أحوج المُحَشِّي أن يثبت التعليق التالي: (قد يكون هذا اللقب لقباً طقسياً... يتفرد به سفر أعمال الرسل... ولا شك أنه قديم)^(٣) وتكرر هذا التعبير في هذا السفر، في موضعين آخرين: (على عبدك القدوس يسوع الذي مسحته) ٢٧/٤^(٤)، (ليجري الشفاء والآيات والأعاجيب باسم عبدك القدوس يسوع) ٣٠/٤^(٥)، مما يدل على صفاء العقيدة عند أوائل النصراني، وإن حاول مشركوهم طمسها.

ولعل أول خلافٍ نشأ بين أتباع المسيح عليه السلام، ليس حول شخص

(١) العهد الجديد: (٣٨٠).

(٢) مصطلح «الرسل» عند النصراني يعني تلاميذ المسيح الاثني عشر، بعد الاستعاضة عن يهوذا الإسخريوطي، الخائن، بـ «مَتَّى» بطريق القرعة. انظر: أعمال الرسل: (٢١/١ - ٢٦). العهد الجديد: (٣٧٦).

(٣) العهد الجديد: (٣٨١).

(٤) العهد الجديد: (٣٨٥).

(٥) العهد الجديد: (٣٨٥).

المسيح وطبيعته، وإنما حول دعوة الأمم من غير اليهود، والآثار المترتبة على ذلك. فينسب سفر أعمال الرسل إلى بطرس رؤيا أو «جذب»، أولها على مشروعية تعميد الوثنيين، وقبولهم مؤمنين بالمسيح ولو لم يكونوا يهوداً، فاستنكر أصحابه ذلك: (وسمع الرسل والإخوة في اليهودية أن الوثنيين هم أيضاً قبلوا كلمة الله. فلما صعد بطرس إلى أورشليم، أخذ المختونون^(١) يخاصمونهم. قالوا: لقد دخلت إلى أناس قلف وأكلت معهم) ١١/١ - ٣^(٢). وتكرر الموقف مع بعض المؤمنين الفارين إلى الأمصار من اضطهاد اليهود، فكانوا (لا يكلمون أحداً بكلمة الله إلا اليهود... فلما قدموا أنطاكية أخذوا يكلمون اليونانيين أيضاً) ١٩/١١ - ٢٠^(٣). وحين قدمها بولس وبرنابا، ووجهها بشغب اليهود قالا بجرأة: (إليكم أولاً كان يجب أن تُبلِّغ كلمة الله. أما وأنتم ترفضونها، ولا ترون أنفسكم أهلاً للحياة الأبدية، فإننا نتوجه الآن إلى الوثنيين) ١٣/٤٦^(٤). وترتب على هذا التوسع في الدعوة مشكلة تطبيقية في حق المهتدين من الوثنيين: (ونزل أناسٌ من اليهودية، وأخذوا يلقنون الإخوة فيقولون: إذا لم تختتنوا على سنة موسى، لا تستطيعون أن تنالوا الخلاص. فكُفِّع بينهم وبين بولس وبرنابا خلافاً وجدال شديد. فعزموا على أن يصعد بولس وبرنابا، وأناس منهم آخرون إلى أورشليم حيث الرسل والشيخ لل نظر في هذا الخلاف) ١٥/١ - ٢^(٥).

وكان أن عقد أول مجمع نصراني لمناقشة وضع المؤمنين من غير

(١) المقصود بهم النصارى الذين يعتقدون لزوم العمل بشريعة موسى، ومنها الختان.

(٢) العهد الجديد: (٤٠٤).

(٣) العهد الجديد: (٤٠٥).

(٤) العهد الجديد: (٤١٢).

(٥) العهد الجديد: (٤١٤ - ٤١٥).

اليهود، تمخض عن القرار التالي: (قد حسن لدى الروح القدس، ولدينا ألا يلقي عليكم من الأعباء سوى ما لا بد منه. وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنا. فإذا احترستم منها تحسنوا عملاً عافاكم الله) ٢٨/١٥ - ٢٩^(١).

فإن صح النقل فهذه أول بادرة لهجر الشريعة وقعت من النصارى، وما زالت تتفاقم حتى تحللوا من جميع الشرائع، وكان ذلك من أعظم أسباب تفرقهم وعداوتهم وضلالهم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُكَ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْغَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤].

إن مؤرخي النصرانية يمنحون لمن يسمونهم «الرسل» ومن دونهم مزايا تشريعية لا تنبغي إلا لله سبحانه، بدعوى متهافة، وهي إلهام الروح القدس^(٢)، ومن ثم يسوغون لأسلافهم إحداث تعديلات في صلب الدين. يقول الأرثوذكسي الروسي أفغراف سميرنوف: (لم يكن اليهود المؤمنون بالمسيح يتميزون كثيراً في البداية عن الكنيسة اليهودية العامة. فكانوا يجتمعون للصلاة... في هيكل أورشليم، ويقدمون فيه تقادم، وبالإجمال يتممون كل ناموس الطقس الموسوي. وبما أنهم نشأوا على احترام الناموس الموسوي، فما استطاعوا بسرعة أن يكونوا لذاتهم فكرة بأن ناموس الطقوس كان ظلاً فقط للخيرات المقبلة، وصار بمجيء المسيح لا لزوم له. وكثيرون منهم كانوا يؤكدون بأنه من الواجب أن يحفظ في المسيحية أيضاً. وتحت تأثير الفكرة اليهودية

(١) العهد الجديد: (٤١٧).

(٢) أبطل الشيخ رحمة الله الهندي هذه الدعوة من سبعة عشر وجهاً. انظر: إظهار الحق: الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوني العثماني. تحقيق: محمد أحمد ملكاوي. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ. (٢/٣٥٣ - ٤٥٢).

القديمة بأن وعود الله بـ«مسيا» ومملكته تختص بالشعب اليهودي وحده، فكثيرون من المؤمنين من اليهود كانوا يؤكدون بأن اليهود وحدهم يجب أن يدخلوا في الكنيسة المسيحية. ولكي يصير قبول الوثنيين في الكنيسة، يجب عليهم أن يصيروا أولاً يهوداً، أعني يقبلوا الختان، ويتمموا كل ناموس الطقوس الموسوي... إن بدء التبشير بين الوثنيين ينسب إلى بدء السنة الأربعين بعد ميلاد المسيح^(١).

ولا شك أن هؤلاء اليهود المؤمنين بالمسيح ﷺ هم أنصاره إلى الله وحواريوه، وإن كانت كتابات ضلّال النصارى تبخسهم منزلتهم، وتغمطهم حقهم، وسبقهم، وتحاول إقصاءهم، مع علمهم التام بأنهم كبار تلامذة المسيح وحواريوه، مثل بطرس، وينبزونهم باللقاب التنقص مثل: «أساقفة الختان»، و«المسيحيين اليهود».

ولا شك أيضاً أن هؤلاء هم حفظة الإنجيل الحقيقي المتضمن للهدى والنور والموعظة، فإلام آل أمرهم، ومن ثم أمر دين المسيح؟.

يقول الأمير الحسن بن طلال في تعريفه بالمسيحية - حسب تعبيره -: (ومن بعد يسوع، عمد هؤلاء الأتباع: «العبريون» أي الإسرائيليون، وهم الذين عُرفوا باسم: «النصارى» باليونانية Nazarenoi إلى تنظيم أنفسهم في أورشليم كمذهب خاص بقيادة يعقوب بن يوسف أحد إخوة يسوع الأربعة^(٢))، ثم بقيادة آخرين من أقربائه باعتبارهم من

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية (٢٦). ألفه باللغة الروسية أفغراف سميرنوف. تعريب: الكسندروس جحا. مطرانية الروم الأرثوذكس بجمص - سوريا. طبعة ١٩٦٤م. وقد منحه المجمع المقدم الروسي جائزة، وحبه ليكون كتاباً مدرسياً لطلبة الصفوف العالية - من المقدمة.

(٢) يزعم النصارى أن عيسى ﷺ هو ابن يوسف النجار، وإخوته هم: يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان. ويسمونهم «إخوة الرب» - تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً - انظر: إنجيل مرقس (٣/٦)، متى (٣٦/١٢) قورنثس الأولى (٥/٩).

نسل داود. فتوجس الرومان خيفةً من أن هؤلاء يطالبون بملك محلي، ولذلك قاموا باضطهادهم بين حين وآخر... وقدامى مؤرخي الكنيسة أسموا يعقوب بن يوسف وخلفاءه «أساقفة الختان»... لا لأنهم كانوا أنفسهم أيضاً مختونين، كونهم إسرائيليين، بل لأن الكنيسة التي قادوها كانت تعتبر نفسها جماعةً دينيةً إسرائيليةً أصوليةً تعتر بتشدها في اتباع شريعة موسى، وفي جعل الختان ملزماً لجميع الذكور من سائر الأمم الذين يختارون اتباع مذهبهم. ولم يختلف مذهب هؤلاء «النصارى» عن اليهودية إلا قليلاً. وأهم اختلاف هو أن «النصارى» اعترفوا بيسوع الناصري مسيح الوعد، في حين أن اليهود لم يقرؤا بذلك. ولهذا أنكر اليهود على «النصارى» مذهبهم، وصنفوهم على أنهم «مينيم»؛ وهي لفظة عبرية تعني «منشقين» أو «هراطقة». أما بالنسبة إلى شريعة موسى فقد كان تمسك «النصارى» بتفاصيلها، بل على نحو أدق، بحذافيرها، كتمسك أكثر اليهود تشدداً. وهم، على التقائهم كأبناء «كنيسة» - باليونانية Ekklesia، أي «جماعة» لها مذهبها الخاص، استمروا يقيمون عباداتهم في كنيس اليهود حتى نحو ٨٠م، عندما منع اليهود جماعات «المينيم» من استعمال كنيسهم. وعندما أخرج الإمبراطور «هدريان» اليهود من أورشليم عام ١٣٥م، كان النصارى من جملة من أخرج من المدينة، على أساس أنهم ليسوا إلا فرقةً من فرق اليهود.

ومع جلاء «النصارى» عن أورشليم في ذلك العام انتهت سلالة «أساقفة الختان» فيها... ويانقضاء هذا المذهب ازدادت الفرص لانتشار المسيحية بدلاً من أن تتضاءل^(١).

(١) المسيحية في العالم العربي: الحسن بن طلال. المعهد الملكي للدراسات الدينية. مكتبة عمان - عمان. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٢٤).

بولس وإفساد النصرانية:

لقد استحالت النصرانية التي جاء بها عيسى ﷺ من دين توحيدى إلى نصرانية خداج مشوهة، رسم معالمها خصم عنيد للحواريين، كان يضطهد المؤمنين، من عتاة اليهود، اسمه شاول، فما لبث أن ادعى الإيمان بالمسيح، وتغلغل في خاصة أصحابه، وأحدث في دينه ما أفسده، وخرج به عن ملة إبراهيم، الإسلام، إلى أوضاع شركية، ومقولات كفرية، وتحلل من الشريعة، وشق كلمة القوم، وطرح بينهم بذور الشقاق والافتراق، حتى ساد مذهبه وغلب على أتباع المسيح.

لقد كان ذلك الدعيّ هو بولس. جاء في سفر أعمال الرسل: (أما شاول فما زال صدره ينفث تهديداً وتقتيلاً لتلاميذ الرب. فقصد إلى عظيم الكهنة وطلب منه رسائل إلى مجامع دمشق. حتى إذا وجد أناساً على هذه الطريقة رجالاً ونساءً ساقهم موثقين إلى أورشليم. وبينما هو سائر، وقد اقترب من دمشق، إذا نورٌ من السماء قد سطع حوله فسقط إلى الأرض، وسمع صوتاً يقول له: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا رب؟. قال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. ولكن قم فادخل المدينة، فيقال لك ما يجب عليك أن تفعل) ١/٩ - ٦، وتمضي الأسطورة لتصنع منه قديساً ممثلاً من الروح القدس - على حد تعبيرهم -^(١) ويبدى نشاطاً ملحوظاً، وحماساً وقادراً في نشر معتقده بين أبناء الأمم، وتنسب إليه خوارق وتوضيحات، ويطوف مدائن فلسطين من أورشليم إلى قيصرية فطرطوس فأنطاكية فقبرص. ثم يمتد إلى مدن آسيا الصغرى واليونان ومالطة حتى بلغ روما في رحلاتٍ متتابعة، ونشاط دائم فرض له مكانةً ومنزلةً في الجماعة الناشئة.

لقد كان واضحاً منذ البداية أن بولس ينتهج خطأ مخالفاً لخط

(١) العهد الجديد: (٣٩٦ - ٣٩٧).

الحواريين ويتكلم بلغة مشوبة بمعتقدات وأفكار غريبة عن الهدي النبوي للمسيح ﷺ، كما يقر بذلك المعجبون به من نصارى اليوم. يقول جون لوريمر، أستاذ تاريخ الكنيسة بكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة «بروتستانتى»: (يؤخذ من بعض الإشارات أنه كان يمزج في تعاليمه المسيحية بعضاً من الحكمة الوثنية، وربما نوعاً من الغنوسية^(١))، أو بعض الفلسفات اليونانية^(٢).

وسواءً كان «شاول» يهودياً حاقداً تظاهر بالنصرانية ليفسدها، أم كان «بولس» متنصراً متحمساً ذا مواهب شخصية فذة، لم يستطع أن يتخلص من آثار سابقة ولم يفقه دعوة المسيح وغاياتها، أيّاً كان الأمر، فقد أحدث شرخاً عظيماً في مسيرة النصرانية، ونقلها نقلةً واسعة من ديانة توحيدية إصلاحية موجهة إلى بني إسرائيل خاصة، إلى ديانة أمشاج صبت فيها ثقافات شتى، في محاولته الرامية لاستيعاب الأمم الأخرى، عبر صياغات عقدية دخيلة، بلغة تفهمها الأمم الوثنية.

وكان بذكائه وأناته يداري تلاميذ المسيح ﷺ، ويحرص على

(١) الغنوسية Gnosticism والغنوسية أيضاً، أو الغنوسطية، فلسفة صوفية. واسم علم على المذاهب الباطنية. غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل، وبالوجد لا بالاستدلال. فهي المعرفة بالله التي يتناقلها المريدون سرّاً... وتقول بالهين: أحدهما كبير، خير، مفارق لا يدركه العقل، ولا يحيط به العلم... وروح الشر أو إلهه الملقب أركون، ومنه خرج العلم السفلي... ولقد ظهر الغنوص أول ما ظهر في الأديان الفارسية... وعرفت اليهودية الغنوسية، وتجلت فيما عرف عند اليهود باسم «القبالة». وكانت القبالة أكبر غنوص عرفه تاريخ الأديان... والمسيحية كما طرحها بولس الرسول ديناً غنوصياً. واقتصر الغنوص فيها على المسيح وحده. الموسوعة الفلسفية (٢٩٦ - ٢٩٧).

(٢) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر. ترجمة فهيم عزيز. دار الثقافة. القاهرة. طبعة ١٩٨٢م. (٦٥/١).

إظهار المرجعية لكنيسة أورشليم، حيث كبار التلاميذ «الرسل» والشيوخ، لينال الشرعية المطلوبة لمشاريعه الأممية الطموحة، حتى استطاع بقوة بيانه أن ينتزع قراراً من مجمع أورشليم بإعفاء الوثنيين المهتدين من بعض أحكام الشريعة كما تقدم، في حين أنه كان يطوي البساط من تحت النصارى الحقيقيين. وقد بلغ من مداراته لهم أن ختن تلميذه «طيموتاوس» ذا الأب اليوناني والأم اليهودية^(١).

ومع ذلك تحوّل النصارى الخلّص السائرين على درب المسيح أمام التيار البولسي المتنامي إلى مجرد فرقة صغيرة صنفت فيما بعد ضمن الهرطقة، بعد أن وقفت موقفاً حازماً واضحاً من تجاوزات بولس وتلاميذه.

ويتابع أفغراف سميرنوف وصف مآل هذه الفرقة الأم، فيقول: (في بادئ الأمر لم يكن لهذه العقيدة صفة هرطقة، لأن جميع المسيحيين من اليهود الموجودين في فلسطين كانوا يتممون حسب العادة المرعية ناموس موسى ويختتنون. ولكن في بدء العصر الثاني استقل حزب الغيورين على ناموس موسى كهرطقة. وفي الثلاثين سنة من ذاك العصر بعد خراب أورشليم عندما لم يعد من الممكن المحافظة على ناموس موسى بحذافيره، فقسم المسيحيين من اليهود أعرض عن إتمامه بالكلية، وانضم إلى المسيحيين الذين من الوثنيين وألفوا كنيسة في المدينة التي بنيت مكان أورشليم - إيليا كيتولينا - ووافقوا على انتخاب أسقف ليس من ذوي الختان.

أما حزب المسيحيين من اليهود المدافع عن إتمام الناموس الموسوي، فقد انفصل بحزم عن الكنيسة، وألف جمعية منفصلة هرطوقية تماماً. وانشق هذا الحزب إلى قسمين: الغيورون المتعصبون

(١) انظر: أعمال الرسل: (٣/١٦) العهد الجديد: (٤١٨).

للناموس، والمعتدلون^(١). فالقسم الأول معروف باسم: يفيونيين^(٢)، والثاني باسم: ناصريين^(٣). فالناصريون لم يتراجعوا عن جوهر التعليم الكنسي العام، معترفين بيسوع المسيح مسياً^(٤) وإلهاً، وموافقين على ولادته الخارقة الطبيعة، وغير ذلك ولكن مع هذا يعدون من الواجب على المسيحيين من اليهود المحافظة على ناموس موسى، ولم يعطوا للناموس مثل هذه الأهمية لأجل المسيحيين من الوثنيين. ويعترفون بالرسول «بولس» من أجل المسيحيين من الوثنيين. وقد نظرت الكنيسة بتساهل إلى هذا الحزب من المتهودين غير حاسبة إياهم «هراطقة» بالمعنى الخاص. وشيعة الناصريين بقيت موجودة بعدد قليل حتى العصر الرابع.

وعكس ذلك شيعة الأفينيين الذين اتخذوا هذا الاسم من الكلمة العبرانية أفين ومعناه «فقير». هؤلاء أوجبوا إتمام ناموس موسى على جميع المسيحيين، معتبرين لهذا السبب الرسول بولس، الذي ناهض الناموس، مرتدداً عن الإيمان. والديانة اليهودية بموجب مفهومهم، لها

(١) هكذا في الأصل، ومقتضى اللغة: (الغيورين المتعصبين للناموس، والمعتدلين).

(٢) ويقال: الإيونيين. وهو الأشهر في الكتابات الحديثة.

(٣) ناصري: لقب كان يطلق على المسيح نفسه، نسبة إلى الناصرة. وكان يوصف به أتباعه كما في القرآن. ونصارى اليوم يتصلون منه، ويقصرون استعماله على المتهودين منهم. وقد تضمن سفر أعمال الرسل ٥/٢٤ إطلاقه عليهم، حيث وصف بولس أثناء محاكمته لدى الحاكم الروماني فيلكس بأنه (أحد أئمة شيعة النصارى) وعلق المحشي بقوله: (هذه هي المرة الوحيدة التي يسمى فيها المسيحيون «نصارى» على مثال يسوع. العهد الجديد: (٤٤٢).

(٤) (مسياً، أو مשיح (Messiah, Messie) هو المسيح الذي أنبأ العهد القديم بمجيئه لتحرير البشر من عبودية الخطيئة، وإقامة ملكوت الله في الأرض) العهد القديم. مصطلحات لغوية (٢٨).

أهمية عظيمة كالسابق في أمر خلاص البشر حتى بعد مجيء المسيح المخلص. وهكذا صارت الديانة المسيحية محدودة مع أن غاياتها أن تشمل جميع العالم. والأفيونيون لم يعتبروها ديانة جديدة، بل امتداداً للديانة اليهودية ذاتها. ومن هنا كان تعليمهم عن المسيح المخلص هو غير الذي تمسكت وتمسك به الكنيسة المسيحية الحقيقية. لقد اعتبروه «مسياً» لكن ليس الله الفادي، بل نبياً عظيماً فقط يشبه موسى جاء ليكرز بمجىء مملكته التي يمكن أن يدخلها اليهود فقط. وكل مهمته انحصرت حسب مفهومهم بتفسير الناموس وإكماله بإعطاء وصايا جديدة. وقد أنكروا على يسوع المسيح استحقاق الألوهية معتبرين إياه إنساناً عادياً، ابن يوسف ومريم، ونال قوة إلهية واستحقاق مسياً في المعمودية فقط. وعلى هذا لم تكن عند الأفينيين العقيدة المسيحية عن فداء البشرية، بواسطة الرب يسوع المسيح من الخطيئة واللعنة والموت، وموت المسيح المخلص ليس له عندهم أهمية فدائية...^(١).

ويتضح من هذا السياق أن الإفيونيين من جملة النصارى الذين أثنى عليهم القرآن الكريم، في حين ذمَّ غيرهم، وأن عقائدهم كما دُونُها أفغراف سميرنوف، وهو مخالف لهم، هي عين ما يعتقده المسلمون من أمة محمد ﷺ في المسيح، مع التحفظ على نسبة المسيح إلى يوسف النجار، وقد يكون مخالفوهم أرادوا أن يظهروا إلى أي مدى يرفض الأفينيين فكرة تأليه المسيح فألصقوا بهم إنكار الولادة الخارقة من أم بلا أب، وهم من ذلك براء.

لقد كان هؤلاء هم المدافعين عن الدين الصحيح أمام التيار البولسي لتبديل دين المسيح. وقد صمدوا ما شاء الله، ولكن الله غالب على أمره. يقول: جون لوريمر: (لا نعرف من العهد الجديد طول

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية: (٨٥ - ٨٧).

المدة التي استمرت فيها قضية اليهوديين مشتعلة داخل الكنيسة ولكن ما نعرفه هو أن الرسول بولس هو الذي حارب واستطاع أن يعيد التوازن إلى الكنيسة كمؤسسة لا يحتاج من يدخل فيها وينضم إليها سوى الإيمان بالمسيح يسوع. ومما ساعد على أفول هذه الحركة اليهودية أفول نجم الكنيسة في أورشليم، وارتفاع نجم كنائس الأمم، وازديادها في العدد والأهمية والتأثير^(١).

وهكذا طويت صفحة هذه الفئة المؤمنة من أنصار المسيح الذين كانوا على ملة إبراهيم، وساد أنصار بولس. فحين جاء الإسلام كان ثمة بقايا من هؤلاء الموحدين من أهل الكتاب منتشرين في بعض الديارات والصوامع، قد فارقوا المشركين الذين صارت لهم الدولة والغلبة. فما أعظم فرحتهم ببعثة محمد ﷺ، وما أشد بهجتهم بالقرآن، وقد وصف الله ذلك الفرج عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَمِْلَهُمْ يَنْذَرُوكَ ۝٥١﴾ الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا بُنِيَ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا يَبْغِي الْجَنَاحِينَ ۝٥٥﴾ [القصر]، وفي وصف آخر: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَكَعَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ وَمِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٦ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۝٥٧﴾ [المائدة].

الكتب المقدسة عند النصارى:

إذا كانت الجماعة المؤمنة التي حملت دين المسيح بحق قد توارت عن الأنظار، حتى التحق آخرها بدين الإسلام، فما مآل كتابها الذي آتاه الله نبيها، الإنجيل، ﴿هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ

(١) تاريخ الكنيسة (٦٩).

وَهْدَى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾ [المائدة]؟ ذلك أن الأمم تتعرض لأحوال متفاوتة من الظهور والأفول، فإذا كان بين ظهرانيها كتابٌ محفوظٌ تعتصم به، أمكن أن تهتدي به وتعود إلى رشدِها، ويستقيم أمرها. فهل «الإنجيل»، الذي أنزله الله لا يزال موجوداً؟ وهل سلم من التحريف والزيادة والنقصان؟.

إن النصارى اليوم يعترفون بـ«الكتاب المقدس» وهو يضم جزئين:

١ - العهد القديم: وقد سبق التعريف به، ونقده عند الحديث عن اليهودية^(١).

٢ - العهد الجديد: ويتكون من الأناجيل المنسوبة لأربعة من رواة سيرة المسيح ﷺ، وهم: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. تمثل أكثر من ثلث الكتاب. يعقبها سفر «أعمال الرسل» يُظن أن كاتبه «لوقا». ثم أربع عشرة رسالة موجهة إلى أهالي بعض المدن، وبعض الأفراد، وضعها «بولس»، تمثل قرابة ربع الكتاب. ثم مجموعة من الرسائل العامة لبعض قديسيهم؛ واحدة ليعقوب واثنتان لبطرس، وثلاث ليوحنا، وواحدة ليهوذا، وتختتم برؤيا يوحنا. فيكون مجموعها سبعة وعشرين سفرًا.

جاء في تصدير الرهبانية اليسوعية للطبعة الثالثة للعهد الجديد عام ١٩٨٩م ما نصه: (كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحيي الجيل الأول في مرجعين: أولهما العهد القديم، وكان الكتب

(١) ثم جدال قديم بين اليهود، وبين النصارى في تحديد قائمة الأسفار المعتمدة «القانونية» انعقدت لبحثها مجامع مسكونية. ولا يزال الخلاف قائماً بين مختلف الطوائف حول أسفار بعينها. انظر: مدخل إلى العهد القديم. العهد القديم: (٤٧ - ٥٢).

المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب استشهدهم بوحى الله. وأما المرجع الآخر الذي نما نمواً سريعاً فقد أجمعوا على تسميته «الرب»، وكان يطلق هذا الاسم على كل من التعليم الذي ألقاه يسوع... ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة. وأما أقوال الرب، وما كان يبشر به الرسل، فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ مدةً طويلة، ولم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين أهم ما علّمه الرسل، وتولي حفظ ما كتبوه... ويبدو أن المسيحيين، حتى ما يقرب من السنة ١٥٠، تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة. وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسية... ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً، كما يظهر شأن رسائل بولس... ومهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة ١٤٠ أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة...

وكان بعد السنة ١٥٠ بقليل أن مست الحاجة في الكنيسة إلى قاعدة شاملة. فاتجهت الأنظار إلى مجموعة الأناجيل الأربعة، لأنها نالت، حتى ذلك الوقت انتباه الناس، لما تحلّت به من الصفات، ولصحة الشهادة التي تؤيدها «الرب»^(١).

ويتضح مما سبق بعض الحقائق المتصلة بالكتب المقدسة لدى النصارى:

١ - أن المرجع الديني المكتوب، هو «العهد القديم» الذي يجمعهم مع اليهود. وقد تقدم ذكر ما اعتري هذا المرجع من انقطاع

(١) العهد الجديد: (٨ - ٩).

سند وضياح، وإعادة صياغة، وما لحقه من تحريف وزيادات كتبها الأيدي الآثمة ونسبتها إلى الله. فيلزم النصارى ما لزم اليهود.

٢ - أن عيسى ﷺ لم يقم بإملاء نص مكتوب هو «الإنجيل»، بل تم حفظ تعاليمه وأقواله عن طريق الحفظ في الصدور. وظل الأمر على هذه الصفة حتى منتصف القرن الثاني للميلاد، بعد انقراض جيل «الرسل».

٣ - أن رسائل «بولس» هي التي حظيت بالاهتمام والدرس والتداول بين أتباع الكنائس خارج أورشليم، وكانت شهرتها وأثرها تفوق الإنجيل.

٤ - أن مسوغ اختيار الأناجيل الأربعة، من بين سائر الأناجيل هو أنها نالت انتباه الناس وصحة الشهادة التي تؤيدها.

هذه نظرة ضلال النصارى إلى ظروف تكوين «العهد الجديد». وحقيقة الأمر أن الله تعالى علّم عبده ونبيه عيسى الإنجيل كما علمه التوراة: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران]. وهو ﷺ قد بلغ رسالات ربه، وعلم حواريه ما علمه ربه من الإنجيل مميزاً إياه عن سائر مواظمه ووصاياه. وقد وجد بالفعل نسخ متعددة من الأناجيل بعضها منسوب إلى كبار حواريه، كإنجيل بطرس، أو كبار الرسل، كإنجيل برنابا، أو إلى طوائف معينة، كإنجيل الناصريين، وإنجيل الأيوبيين، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل المصريين وغيرها. ولكن أتباع بولس الذي نشأوا المتنصرين من أبناء الأمم، غير اليهود، على رسائل بولس أقصوا ما لا يتفق وتعاليمهم الشريكة، ووصفوا تلك الأناجيل بأنها «منحولة»، واستبقوا ما يوافق أهواءهم، فكانت هذه الأربعة.

يقول أفغراف سميرنوف: (.. في العصر الرابع اعترفت الكنيسة

بهذه الكتب أنها قانونية. وفيما الكنيسة تقبل في قانون الكتب المقدسة الكتب الرسولية، فقد فرزت من عدد الكتب التي ليست رسولية، ورفضت بكل حزم الكتب المزيفة والمدسوسة. مثلاً: «إنجيل اليهود» و«إنجيل المصريين» و«إنجيل نيقوديم» و«إنجيل توما» و«أعمال بولس» و«رؤيا بطرس» وغيرها^(١).

إنه لما يدعو للدهشة والاستغراب أن تُضمّ رسائل بولس الأربع عشرة إلى قانون العهد الجديد، ولم يكن بولس أحد الحواريين الاثني عشر «الرسل»، ولم يلقَ المسيح، وتستبعد كتابات تلاميذ المسيح! سيما وأن رسائل بولس تنحى منحىً مجافياً لتعاليم المسيح وهدية. ويقول: جون لوريمر: (من الأهمية بمكان أن نذكر أن الوثائق الأولى كانت رسائل الرسول بولس. وقد ركزت أساساً على أمور لاهوتية، وتعاليم خاصة بالسلوك الشخصي والأمور الدينية، ولم يكن بها شيء يذكر عن حياة المسيح أو أية اقتباسات من تعليمه أو صلواته أو أمثاله)^(٢).

أما الأناجيل الأربعة المنتخبة وفق شرط الإيمان البولسي فهي عبارة عن قصص تاريخية تروي سيرة النبي يحيى عليه السلام - يوحنا المعمدان عندهم - ثم سيرة عيسى عليه السلام، وما أحاط بحمله وولادته ونشأته من آيات، ثم دعوته وخطبه ومواعظه، وما يصاحب ذلك من آيات أجراها الله على يديه، ثم كيد اليهود له وسعيهم في قتله لدى الحكام الرومان، ثم محاكمته والحكم بصلبه، ودعوى صلبه فعلاً، ودفنه ثلاثة أيام، ثم قيامته من قبره، ومكوته أربعين يوماً، ثم رفعه إلى السماء، ووعد حوارييه بالعودة إلى الأرض ثانية.

إن كنيسة أتباع بولس منذ عام ١٧٠م^(٣) وحتى المنجم الفاتيكانى

(١) تاريخ الكنيسة المسيحية: (٧٧).

(٢) تاريخ الكنيسة: (٨٣).

(٣) يرجع النصارى أن هذا التاريخ هو تاريخ اعتماد الأناجيل الأربعة قانونياً. =

الثاني المنعقد في روما لعموم أساقفة الكاثوليك في الفترة (١٩٦٢ - ١٩٦٥)^(١) وإلى ساعتنا هذه تؤكد بجمود وإصرار على مصداقية هذه الأناجيل الأربعة، وتخلع عليها ألقاب القداسة والثقة، وتدعو إلى التثبيت بها، فقد جاء في وثيقة المجمع «دستور عقائدي» في الفصل الخامس «العهد الجديد» ما نصه: (لا يغرب على أحد أن الأناجيل تفضل حقاً سائر الكتب المقدسة، كانت ما كانت، ولو من العهد الجديد، لأنها شاهد ما بعده شاهد على مخلصنا، لكلمة الله المتجسد: على سيرته وتعاليمه.

لقد اعتبرت الكنيسة في كل مكان وفي كل زمان، أن الأناجيل الأربعة هي من وضع الرسل: إن ما كرر^(٢) به هؤلاء، بأمر من المسيح قد نقلوه فيما بعد، هم أنفسهم أو بعض من أحاط بهم من معاونين، مدونين إياه بوحى من الروح القدس، في أسفار أصبحت سند الإيمان نعني بها الأناجيل الأربعة التي تنوعت شكلاً، على حسب ما وردت على يد متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.

إن الكنيسة المقدسة، أمناً، قد أصرت دوماً وتصر الآن على التأكيد أن الأناجيل المتعارف عليها، هي من الكتب التاريخية، من غير أن يساورها أي شك، وأن هذه الأناجيل قد نقلت بصدق وأمانة، ما قام به يسوع ابن الله من أعمال، وما نشر من تعليم طيلة حياته بين الناس، لا ينوي منها إلا خلاصهم الأبدي، إلى اليوم الذي رفع فيه... إن الرسل بعد أن صعد الرب عنهم نقلوا إلى مستمعيهم كل ما

= انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية (٧٧)، مدخل إلى العهد الجديد (١٠٨)، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم (٧٧ - ٧٨).

(١) سيتم التعريف بهذا المجمع على سبيل التفصيل في الباب الأول.

(٢) كَرَّرَ كرزاً: وعظ ونادى ببشارة الإنجيل. «سريانية». المنجد في اللغة (٦٨٠).

ساقه من أقوال، وكل ما أجراه من أفعال، بعد أن فقهوا كامل معانيها، على ضوء ما جرى له من أحداث مجيدة، وعلى ضوء ما استناروا به من إشراق روح الحق، فكان أن دوّن الكتاب الإلهيون الأناجيل الأربعة مستخدمين أساليب متنوعة: فتارة انتخلوا بعضاً مما وصل إليهم روايةً، أو مما صادف أن انتهى إليهم كتابةً. وطوراً دمجوا أحداثاً وأقوالاً عديدة في خلاصات موجزة، وحيناً شرحوا أموراً مرتبطة بالمسيح على ضوء ما كانت عليه كنائسهم آنذاك. وحيناً اعتمدوا النمط الإرشادي في التبشير برسالة المسيح. لقد حرصوا في كل هذه الأساليب، أن ينقلوا لنا دوماً، عن يسوع، حقائق ثابتة، وخالصة الصدق. لقد سطوروا مؤلفاتهم هذه، فمكنونا من اختبار «قوة» التعليم الذي تسلمناه... سواء اعتمدوا على ذاكرتهم وما سجلوه بأنفسهم، أو ركنوا إلى أقوال أولئك الذين كانوا منذ البدء شهود عيان، وخداماً للكلمة^(١).

إن هذا النص العقدي الذي نقلناه بكامله عن أحدث مجمع من مجامع النصارى ليكشف عن حقائق مهمة، تتعلق بالأناجيل المعتمدة عند النصارى:

١ - أنهم يعترفون أن أيّاً من هذه الأناجيل ليس كلام الله، لا حقيقة ولا مجازاً، وليس من إملاء المسيح ﷺ ابتداءً، بل يسلمون - ولا يستطيعون غير ذلك - بأن تلك الأناجيل عمل بشري من وضع الرسل أو معاونيهم، شأنهم شأن أي مصنف كتاب، فهم مجرد رواة ومؤرخين: نقلوا، ودوّنوا، وانتخلوا، ودمجوا، وشرحوا، وسطوروا، وسجلوا، وركنوا... إلخ من الأفعال البشرية المسندة إلى بشر عاديين.

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني - دساتير - قرارات - بيانات: ترجمة الأب حنا فاخوري - معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت حريصا. المكتبة البولسية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٢م. (١٣٤ - ١٣٦).

وغاية ما يبهرجون به هذه «المذكرات» أن يزعموا أنها تمت بوحي من روح القدس. وتلك دعوى عريضة يلوح بها النصارى كثيراً لتدمير بدعهم وإفكهم. فإذا كان «الروح القدس» ينزل على الحواريين الاثني عشر «الرسل عندهم» - أعمال الرسل ١/٢ - ٤^(١) وعلى قورنيليوس الوثني، قائد المئة، وأهل بيته أثناء عظة بطرس - أعمال الرسل ١٠/٤٤ - ٤٦^(٢) وغير ذلك من مزاعم، فأى مزية لأنبياء الله على سائر البشر؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠، فصلت: ٦].

إن الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام لا يمكن عقلاً أن يكون قصة حياته، وزهابه وإيابه، وقصة صلبه ودفنه - كما يزعمون -، وغاية ما تبلغ أن تكون بمنزلة «السيرة النبوية» أو «السنة النبوية» التي يشترط لقبولها صحة الإسناد، وفق معايير منضبطة. وبناءً عليه فليست هذه الأناجيل هي «الإنجيل» المنزل من عند الله، بل اكتسبت هذا الاسم الشريف ظلماً وافتياتاً على الحقيقة، وعرفاً فاسداً كما قال أ. تريكو A. Tricot في تعليقه على ترجمة للعهد الجديد: (منذ وقت مبكر جداً، منذ بداية القرن الثاني، استقر العرف على استخدام الكلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين، في نحو ١٥٠ سميها أيضاً «مذكرات الرسل (Memoires des Aportes)»^(٣)).

وحقيقة الأمر أن النصرانية البولسية طمست كتاب الله «الإنجيل»، واستعاضت عنه بهذه المرويات التاريخية لسيرة المسيح بعد أن لوئتها بتعاليم بولس الكفرية، وخلعت عليها لقب «الإنجيل». وهكذا يتضح

(١) العهد الجديد: (٣٧٦).

(٢) العهد الجديد: (٤٠٣).

(٣) عن: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٧٧ - ٧٨). ولم يسلم د. موريس بوكاي استناداً على دراسات متخصصين كاثوليك وبروتستانت على وجود تلك الكتب في بداية القرن الثاني، وأقصى تاريخ ممكن هو ١٤٠م.

باعتراف المجمع الفاتيكاني الثاني، أضخم مجمع مسكوني للنصارى منذ وجودهم، فقدان الكنيسة للإنجيل الأصلي الموحى به من الله إلى عيسى ابن مريم، ولو محرّفاً كالتوراة. وتلك قاصمة الظهر.

٢ - أنهم يعترفون أن واضعي هذه الأناجيل ليسوا جميعاً من تلاميذ المسيح. وتلك حقيقة تاريخية لا يملك النصارى إنكارها وتمثل طعناً في ثبوت ما تضمنته من أخبار بسبب انقطاع السند.

فأهم هذه الأناجيل وأولها في الترتيب لدى الكنيسة «إنجيل متى» المنسوب إلى أحد الحواريين. ويدور جدلٌ عميق بين دارسي العهد الجديد حول صحة نسبة الإنجيل إلى متى الحواري. وقد خلص د. موريس بوكاي إلى القول: (لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حوارى المسيح)^(١) كما يدور جدل حول تاريخ تدوينه. وقد خلص الشيخ محمد أبو زهرة^(٢) إلى القول: (والحق أن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده)^(٣)، كما أن مترجمه من العبرانية إلى اليونانية مجهول تماماً.

أما إنجيل مرقس، وهو أقدمها من حيث الظهور التاريخي، وذلك

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٨٣).

(٢) محمد بن أحمد أبو زهرة، من الشخصيات البارزة في العصر الحديث ولد سنة ١٣١٦هـ بمصر، وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية، ثم تدرج حتى أصبح أستاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة، وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، من تصانيفه: «أصول الفقه»، «الوحدة الإسلامية»، «أبو حنيفة»، «مالك»، «الشافعي»، «أحمد». توفي سنة ١٣٩٤هـ.

الأعلام: (٢٥/٦).

(٣) محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي - القاهرة - مصر. الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ. (٤٥).

وانظر: إظهار الحق: (١٥١/١).

بعد منتصف القرن الأول، ربما بين ٦٥ - ٧٠ م^(١)، فليس مؤلفه من الحواريين قطعاً. لكنه تتلمذ لخاله «برنابا»، ورافقه في رحلته مع بولس إلى إنطاكية. وثُمَّ خلاف بين مؤرخي النصرانية حول كاتبه الحقيقي أهو بطرس عن مرقص، أم هو مرقص بتوجيه من بطرس، أم مرقص بغير توجيه من بطرس^(٢). وهذا «الاضطراب» ولا ريب يوهن النسبة. فضلاً عن العيوب المتعلقة بالتحريير والسرد القصصي المضطرب^(٣).

أما إنجيل «لوقا» فقد ظهر بعد مرقص وقبل متى، ولوقا طبيب أنطاكي وليس من الحواريين، ولا من تلاميذ الحواريين، بل هو تلميذ لبولس صحبه في بعض أسفاره.

أما إنجيل «يوحنا» فأخرها ظهوراً، ويختلف عن الثلاثة السابقة اختلافاً بيناً في ترتيبه وأسلوبه، بل ومضامينه العقديّة، حيث إنه الإنجيل الوحيد الذي صرح بألوهية المسيح. والنصارى ينسبونه إلى الحوارى يوحنا بن زبدي الصياد، حبّ المسيح ﷺ - كما تحكي كتبهم -. ولكن هذه النسبة أيضاً محل خلاف. يقول د. موريس بوكاي: (إن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس تحدد أن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحريير قام به يوحنا الحوارى، وإن كان ذلك احتمالاً غير مستبعد برغم كل شيء. ولكن كل شيء يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمي إلى أكثر من كاتب واحد)^(٤) فلا يخلو الأمر من أن يكون قد كتبه «يوحنا» آخر، ويؤيد هذا تأخر ظهوره رغم نسبته إلى أحد الحواريين، أو أن يكون وضع أصله يوحنا الحوارى ثم دس فيه إضافات ليست منه^(٥).

(١) انظر: تاريخ الكنيسة: (٨٣)، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٨٨).

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية: (٤٧)، وإظهار الحق: (١٥٢/١).

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٨٨).

(٤) المرجع السابق: (٩٤).

(٥) انظر: إظهار الحق: (١٥٤/١ - ١٥٧).

وعلى كلا الاحتمالين فالباعث الرئيسي لاعتماده قانونياً، وربما لتأليفه، إدراج عقيدة ألوهية المسيح في الأناجيل، بسبب خلو الثلاثة السابقة منها، إذ كيف يعقل أن تهمل الأناجيل هذه العقيدة البولسية الأساسية؟!.

وبهذا تسقط نسبة الديانة النصرانية إلى سنة عيسى ﷺ الشفهية، كما سقطت نسبتها إلى كتاب الله الإنجيل. وَحَقُّ لَنَا أَنْ نَقُولَ: ﴿أَتَنُوبِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتَكْفِرُ مِنْ عَلَيِّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف]. فلا وحي ولا أثر.

٣ - أنهم يعترفون أن هذه الأناجيل الأربعة متنوعة شكلاً، وأسلوباً، وتتفاوت في طريقة التصنيف وفي النمط الإرشادي... إلخ وهذا كافٍ بالقطع بأنها ليست من عند الله، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء]، فتحقق جواب «لو» دليل على ثبوت شرطه. ومع ذلك يزعم النصارى أنها نقلت كل أقوال المسيح وأفعاله بأمانةٍ وصدق. والدراسات النقدية الجادة والمتجردة من قبل النصارى، أنفسهم أثبتت وجود ثغرات كبيرة، وتناقضات صارخة، تجعل قارئها من النصارى فضلاً عن غيرهم، في حيرةٍ بالغة لا مخرج منها إلا باليقين التام أنها محاولات بشرية تمت في أجواء خصومة وتحزب، حملت محرريها، سواء كانوا من نُسبت إليهم فعلاً أو من نسبوها إلى غيرهم، وهم منها براء، على التحريف.

وبإزاء التوثيق الفاتيكاني المطلق لهذه الأناجيل الأربعة، تقول دراسة متأنية توفّر عليها أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت، كمقدمة للترجمة المسكونية للعهد الجديد، ونشرت عام ١٩٧٢م، أن هذه الأناجيل (تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس، وتصحح الأخطاء، وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم. بهذا الشكل جمع

ودوّن المبشرون، كل بحسب وجهة نظره ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية^(١). ويقول الأب كاينجسر: (لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهي كتابات ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعتهم عن المسيح)^(٢).

وقد أدى هذا التنوع إلى حصول تناقضات كبيرة، في الحدث الواحد مما يقطع بعدم مصداقيتها، وأن النصارى أسسوا بنيانهم على شفا جرفٍ هار. وتفاصيل هذه التناقضات مبسوط في الكتب المتخصصة في مجادلة أهل الكتاب^(٣).

وهكذا حجب النصارى عن نور الحق، وانقطعت صلتهم بمشكاة النبوة المضئية بسبب مكر بولس وأتباعه الذين غيبوا الإنجيل الحق، واستعاضوا عنه برسائل بولس الكفرية.

العقائد النصرانية:

أدخل بولس جملة من العقائد الوثنية المستمدة من عقائد الأمم الكافرة، على النصارى متخذاً من شخص المسيح ﷺ مظهراً لتلك العقائد. كما أنه ما زال يقتل في الذروة والغارب لفصل النصارى عن شريعة موسى ﷺ التي جاء عيسى ﷺ متمماً لها، لا ناقضاً، حتى فسخهم منها.

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٧٩).

(٢) المرجع السابق: (٨٠).

(٣) انظر على سبيل المثال:

- الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم: (٢/٢ - ٣٨).

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لابن تيمية.

- تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب. للميورقي. (٢٠٣ - ٢٢٢).

- إظهار الحق. لرحمت الله الهندي. (١٨٧/١ - ٢٤٦)، (٢/٢٩٩ - ٣٥٢).

- مناظرات الداعية المعاصر أحمد ديدات للنصارى.

- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (٧٧ - ١٣٩).

وقد جُوبه في العقود الأولى التالية لرفع المسيح برفض من الحواريين وكبار التلاميذ بعد أن تكشّف لهم فساد طويته ومذهبه. وقد كان من أوائل الدعاة «الرسل» الذين تبينوا أمره «برنابا»، رغم أنه هو الذي عرّف به أولاً وزكّاه أمام التلاميذ، فقد استصحبه في بعض أسفاره، ثم نشأت بينهما مشادة ومشاجرة شديدة في أنطاكية يصورها سفر أعمال الرسل ١٥/٣٧ - ٤٠^(١) خصومة شخصية حول استصحاب مرقص معهما. ومثل هذا الأمر لا يوجب هذا الافتراق. فلا بد أن برنابا وجد منه ما يستحق النكير الشديد. ولهذا ورد في الكتاب المنسوب إلى برنابا في مقدمته ذكر الذين أضلهم الشيطان بدعوى بنوة المسيح لله، وترك الختان: (الذين ضل في عدادهم أيضاً بولص)^(٢). وفي آخر فصل منه: (وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله. وقد خدع في عدادهم بولص) ٥/٢٢٢^(٣).

وثم إنجيل آخر يسمى الأغنسطي ينسج على نفس المنوال في مقدمته وخاتمته في التنديد ببولس^(٤). كما أن قارئ رسائل بولس يلمس بشكل واضح الروح العدائية التي كان يواجه بها بولس من قبل أتباع المسيح أينما توجه، مما يحمله على النيل منهم، ومحاولة إثبات استقلاله عنهم بكونه تلقى عن المسيح مباشرة - رغم أنه لم يلقه - في الحادثة التي يزعم أنها جرت له على طريق دمشق^(٥).

(١) العهد الجديد: (٤١٨).

(٢) إنجيل برنابا: ترجمة: د. خليل سعادة. تحقيق: سيف الله أحمد فاضل. دار القلم. الكويت. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م). (٣٨). وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً (١٣٢ - ١٣٩).

(٣) إنجيل برنابا: (٢٩٧).

(٤) انظر: مقدمة مترجم «إنجيل برنابا» د. خليل سعادة: (٢٧).

(٥) تقدم ذكرها: (٦٦).

• ففي رسالته إلى أهل غلاطية يصدرها بقوله: (من بولص وهو رسول، لا من قبل الناس ولا بمشيئة إنسان، بل بمشيئة يسوع المسيح والله الآب الذي أقامه بين الأموات، ومن جميع الإخوة الذين معي إلى كنائس غلاطية... عجبت لسرعة ارتدادكم هذا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى بشارة أخرى، وما هي بشارة أخرى، بل هناك قوم يلقون البلبلة بينكم، وبغيتهم أن يبدلوا بشارة المسيح... فأعلمكم أيها الإخوة بأن البشارة التي بشرت بها ليست على سنة البشر، لأنني ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان، بل بوحى من يسوع المسيح) ١/١ - ٢، ٦ - ٧، ١١ - ١٢^(١). فهو هنا يشير إلى نوعين من البشارة موجهتين إلى نصارى ذوي كنائس، ويشير إلى مخالفين له يبلبلون تعاليمه. ويؤكد أنه يتلقى الوحي مباشرة من المسيح، فليس بحاجة إلى مرجعية الحواريين. ويتضح الخلاف الناشب بين الفريقين مع قدر أكبر من تحديد الخصوم حين يقول: (أما الأعيان^(٢)) - ولا يهمني ما كان شأنهم: أن الله لا يحابي أحداً من الناس -... ولكن لما قدم صخر^(٣) إلى أنطاكية قاومته وجهاً لوجه لأنه كان يستحق اللوم... حتى إن برنابا انقاد هو أيضاً إلى ريائهم. فلما رأيت أنهم لا يسرون سيرة قويمه، كما تقضي حقيقة البشارة، قلت لصخر أمام جميع الإخوة: إذا كنت أنت اليهودي تعيش عيشة الوثنيين، لا عيشة اليهود، فكيف تلزم الوثنيين بأن يسروا سيرة اليهود) ٦/٢، ١١، ١٣ - ١٤^(٤) ينكر بذلك على كبير الحواريين «بطرس»، وأحد كبار التلاميذ «برنابا» عدم تبشيرهم

(١) العهد الجديد: (٥٧٢ - ٥٧٣).

(٢) قال المعلق: أي الاثني عشر. العهد الجديد: (٥٧٤) حاشية (٦). يعني الحواريين.

(٣) لقب لكبير الحواريين «بطرس».

(٤) العهد الجديد: (٥٧).

الوثنيين القلف، ونهيههم المؤمنين عن مؤاكلتهم، مع زعمه أن بطرس كان يؤاكلهم.

• ومما يدل على حجم الانقسام الذي أحدثه بين النصارى، ما جاء في رسالته الأولى لأهل قورنثس: (كل واحد منكم يقول: أنا لبولس وأنا لأبلس وأنا لصخر وأنا للمسيح) ١٢/١^(١).

وأخطر العقائد الكفرية التي دسها بولس في الإيمان النصراني ثم صارت مع مرور الزمن أركان العقيدة النصرانية، ما يلي:

أولاً: دعوى الوهية المسيح وربوبيته:

• (في البدء كان الكلمة. والكلمة كانت لدى الله. والكلمة هو الله) إنجيل يوحنا ١/١^(٢).

• (أجابه توما: ربي وإلهي! فقال له يسوع: الآنك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين يؤمنون ولم يروا) إنجيل يوحنا ٢٨/٢٠ - ٢٩^(٣).

• (وهو فوق كل شيء إله مبارك أبد الدهور) رسالة بولس إلى أهل رومة ٥/٩^(٤).

• (ولا يستطيع أحد أن يقول: «يسوع رب» إلا بإلهام من الروح القدس) رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنثس ١٢/٣^(٥).

• (فليعلم يقيناً بيت إسرائيل أجمع، أن يسوع هذا الذي

(١) العهد الجديد: (٥١١)، وانظر: النصرانية تاريخاً وعقيدة.. وكتباً ومذاهب:

د. مصطفى شاهين. دار الاعتصام. القاهرة. طبعة ١٩٩١م. (١٤٨ - ١٥٣).

(٢) العهد الجديد: (٢٨٩).

(٣) العهد الجديد: (٣٥٨).

(٤) العهد الجديد: (٤٨٧).

(٥) العهد الجديد: (٥٢٨).

صليبتموه، قد جعله الله رباً ومسيحاً) أعمال الرسل ٢/٣٦^(١).
 • (فدنوا منه، وأيقظوه، وقالوا له: يا رب نجنا لقد هلكنا)
 إنجيل متى ٨/٢٥^(٢).
 والأناجيل الأربعة تعج بوصف المسيح بـ «الرب» ومناداته بذلك
 بما يشق حصره.

ثانياً: دعوى بنوة المسيح:

• (...). فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان
 بطرس: أنت المسيح ابن الله الحي. فأجابه يسوع: طوبى لك يا
 سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفك لك هذا، بل أبي الذي في
 السماوات) إنجيل متى: ١٥/١٦ - ١٧^(٣).
 • (وإذا صوتٌ من السماوات يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي
 عنه رضيت) إنجيل متى ١٧/٣^(٤).
 • (فقال له عظيم الكهنة: أستحلفك بالله الحي لتقولن لنا، هل
 أنت المسيح ابن الله؟ فقال له يسوع: هو ما تقول) إنجيل متى ٢٦/
 ٦٣ - ٦٤^(٥)، وعند مرقس (أنا هو) ١٤/٦٢^(٦).
 • (لأنهم يصلبون ابن الله ثانية) رسالة بولس إلى العبرانيين ٦/٦^(٧).
 • (فأخذوا يصيحان: وما لنا ولك يا ابن الله) إنجيل متى ٨/٢٩^(٨).

(١) العهد الجديد: (٣٧٩).

(٢) العهد الجديد: (٥٩).

(٣) العهد الجديد: (٨٢ - ٨٣).

(٤) العهد الجديد: (٤٣).

(٥) العهد الجديد: (١١٢).

(٦) العهد الجديد: (١٧٣).

(٧) العهد الجديد: (٧٠٢).

(٨) العهد الجديد: (٥٩).

ثالثاً: مقالة التثليث:

• (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم: الآب والابن والروح القدس) إنجيل متى ٢٨/١٩^(١).

• (ولتكن نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس معكم جميعاً) رسالة بولس إلى أهل كورنثس ١٣/١٣^(٢).

إن هذه العقائد الثلاث: ألوهية المسيح وبنوته لله والثالوث الأقدس، عقائد متلازمة:

(فالمسيحيون يعتبرون أن شخص يسوع البشري هو «ابن» الله الذي يشترك مع الله «الآب» في الألوهية والأزلية. وفي إنجيل يوحنا ١/١ - ١٨ أن يسوع هو كلمة الله الأزلية... التي صارت جسداً - أي كائناً إنسياً - فعاش يسوع إنساناً مملوءاً نعمةً وحقاً، مُظهراً للعالم المجد الذي حل به لكونه «الابن» الوحيد لله «الآب».

وعلى هذا الأساس... فإن المسيحية تعد الله «ثالوثاً أقدساً» غير قابل للتجزئة تتوحد فيه ثلاثة أقانيم إلهية - باليونانية Hypostasis مادة طبيعية، ماهية - وهذه الأقانيم الثلاثة هي «الآب» وهو الله المنزه؛ و«الابن» وهو الله المتمثل بالمسيح؛ والروح القدس وهو «الرب المحيي» الذي يمثل الوساطة الإلهية في الكون، التي تكلمت تاريخياً على ألسنة الأنبياء من بني إسرائيل، والتي تستمر في التبيان عن نفسها من خلال «شركة القديسين»، مشكلة بذلك الرابطة الأبدية بين الإلهي والإنساني على الأرض^(٣).

لعل هذه الصياغة الحديثة للعقائد الثلاث السابقة تحاول جاهدة

(١) العهد الجديد: (١١٩).

(٢) العهد الجديد: (٥٦٤).

(٣) المسيحية في العالم العربي: (١٦).

أن تجلي الغموض الذي يكتنف النصوص النصرانية القديمة حول عقيدة التثليث من جنس قول يوحنا: (في البدء كان الكلمة. والكلمة كان لدى الله. والكلمة هو الله. كان في البدء لدى الله. به كان كل شيء. وبدونه ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس... لم يكن هو النور. بل جاء ليشهد للنور. كان النور الحق الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم، كان في العالم. وبه كان العالم. والعالم لم يعرفه... والكلمة صار بشراً، فسكن بيننا. فرأينا مجده. مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق... إن الله ما رآه أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه) ١/ ١ - ٤، ٨ - ١٠، ١٤، ١٨^(١).

ومن جنس نشيد بولس: (قد أظهر في الجسد. وأعلن باراً في الروح. وتراءى للملائكة. وبُشر به عند الوثنيين. وأومن به في العالم. ورفع في المجد) رسالة بولس الأولى إلى طيموتاوس ١٦/٣^(٢).

إن العقل السليم ليحار أمام هذه الجمل والمقاطع، ويتردد الذهن جيئةً وزهاباً بين مدلولاتها المحتملة، فما يكاد يفهم أن المراد بجملته ما «الله»، حتى يطوّح به النص نحو «الابن»، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن عامة العقلاء.

وحقيقة الأمر - مهما حاول النصارى قديماً وحديثاً أن يتصلوا من هذه الحقيقة الدامغة - أنهم يثبتون ثلاثة آلهة منفصلة، ويخلعون على كل منها خصائص الألوهية والربوبية، ولا تغني عنهم مما حكتهم اللفظية الممتنعة ببداهة العقول، كقولهم: الآب والابن وروح القدس إله واحد. تثليث في وحدة، ووحدة في تثليث.

(١) العهد الجديد: (٢٩٨ - ٢٩١).

(٢) العهد الجديد: (٦٦٣ - ٦٦٤).

فها هو ذا يوحنا يقول في إنجيله: (فكما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم. فكذلك الابن يحيي من يشاء. لأن الآب لا يدين أحداً، بل جعل القضاء كله للابن) ٢١/٥ - ٢٢^(١).

فأين القوم من توحيد الربوبية، بله توحيد الألوهية والعبادة!؟

وقد أكفر الله النصارى بهذه المقالة الفاجرة التي لا تصدر إلا ممن لم يقدر الله حق قدره، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، ثم دحض مقالتهم: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٧٧]، وكرر تكفيرهم، وأقام عليهم الحجة البالغة من قول المسيح نفسه، وحكمه على من وقع منه ذلك، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي مَسْجِداً أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٨].

وأما دعوى البنوة فمهما حاولوا تصويرها تصويراً فلسفياً للنأي بها عن صورة الولادة البشرية، فإن مجرد نسبة الولد لله فرية عظيمة مهولة لا انفكاك لهم عن عارها وشؤمها. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِثْمًا﴾ [٨٨] نَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُ الْأَرْضُ وَفُجِّرُ لَلْجِبَالِ هَذَا ۚ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَلْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۚ﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥]

فلأجل هذه المقالة البائرة قاتلهم الله، ومن قاتله الله قتله: ﴿وَقَالَتِ

أَلَيْهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ الْنَصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
بِأَفْوَهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتَنَّا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ
يُؤْفَكُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة].

وأما أسطورة «التثليث» بقولهم: «إن الله ثالث ثلاثة» فمن أعظم
أسباب شقاء القوم. فهم يعجزون عن تقريرها بعبارة معقولة مقبولة،
ويقرون بذلك^(١)، فيفرون إلى ما ينافي العقل، وبئس المفرد، فإن
النصوص الشرعية الصحيحة قد تأتي بمحارات العقول، ولكنها لا تأتي
بمحالات العقول^(٢). فالعقل يحار ويكل عن إدراك كيفية ما أخبر الله به
عن نفسه، أو أحوال اليوم الآخر، لكنه لا يحكم باستحالة ذلك.
يحكم قطعاً بأن التوحيد ينافي التثليث. قال ابن كثير رحمته الله: بعد ذكر
تفرقهم إلى ملكية ويعقوبية ونسطورية: (وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم
الثلاثة في المسيح، ويختلفون في كيفية ذلك، وفي اللاهوت والناسوت
على زعمهم! هل اتحدا أو ما اتحدا، بل امتزجا، أو حل فيه؟ على
ثلاث مقالات. وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى. ونحن نكفر
الثلاثة)^(٣).

ولما كانت خرافة التثليث من أسفه المقالات، زجرهم الله زجر
السفهاء الذين يلقنون الحق، ولا يُنظر في قولهم لتهافته، فقال تعالى:

(١) نقل الشيخ محمد أبو زهرة رحمته الله عن أحد مصنفهم بعد تقريره عقيدة التثليث
قوله: (قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا. ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر
جلاءً في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات
والأرض) محاضرات في النصرانية: (١٠٣). وسوف يفهمون حقيقة الأمر
جيداً إذا ﴿وَحَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَفَفْنَا
عَنْكَ غَطَاءَهُ فَوَسَّكَ آلِيَمَ حَرِيذٌ﴾ [ق].

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: (٢٩٧/٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم: (٤٧٩/٢).

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَنَاءَ إِنَّ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمَا خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧٦﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء].

وقد أقام الله دليلاً عقلياً، قاطعاً لمقالة مدعي الولد ومشركي الألوهية، فقال: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون].

وفي هذه الأدلة القرآنية كفاية في نقض عقائد النصارى، وأما اللوازم الفاسدة التي تترتب عليها فكثيرة واضحة مبسطة في مظانها^(١).

(١) انظر في الرد على النصارى:

- الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لابن تيمية.
- المختار في الرد على النصارى. للجاحظ.
- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل. للغزالي.
- أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية. للقرافي.
- الرد على النصارى. للجعفري.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. لابن القيم.
- الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرانية. للدمشقي الطيبي.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب. للميورقي.
- إظهار الحق. لرحمت الله الهندي.
- المسيح ﷺ بين الحقائق والأوهام. لمحمد وصفي.
- حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة. لعلي الجوهري.

قال ابن القيم^(١) رحمه الله: (إن هذه الأمة ارتكبت محظورين عظيمين، لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة:

أحدهما: الغلو في المخلوق، حتى جعلوه شريك الخالق، وجزءاً منه، وإلهاً آخر معه، وأنفوا أن يكون عبداً له.

والثاني: تنقُصُ الخالق وسبُّه ورميه بالعظائم... وبالجمله فلا نعلم أمة من الأمم سبت ربها ومعبودها وإلهها بما سبت به هذه الأمة. كما قال عمر: إنهم سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر^(٢) يريد اعتقادهم أن عيسى هو الله مع ما وقع له من حملٍ ووضعٍ ورضاعٍ وسائر صفات البشر ثم ما وقع عليه من إهانةٍ ولطمٍ وبصقٍ وصلبٍ في زعمهم.

= المناظرة الأولى. لعلي الجوهر.

- النصرانية: تاريخاً وعقيدة وكتباً ومذاهب. لمصطفى شاهين.

- حقيقة النصرانية. لهشام أحمد عبد الحي.

- مناظرات الداعية أحمد ديدات.

- مناظرة بين الإسلام والنصرانية. لنخبة من المسلمين والنصارى.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان ينتصر لجل أقواله. وهو الذي هذب كتبه ونشرها، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه وطيف به على جمل مضروباً بالعصا، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، وألف تصانيف كثيرة منها «إعلام الموقعين» و«أحكام أهل الذمة»، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» وغيرها. وكان مولده سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ.

الأعلام (٥٦/٦)، الدرر الكامنة (٤٠٠/٣)، البداية والنهاية (٢٣٤/١٤)، آداب اللغة (٢٤٥/٣)، شذرات الذهب (١٦٨/٦)، التيمورية (٢٥١/٣).

(٢) إغاثة اللهفان: (٣٩٧/٢ - ٣٩٨).

رابعاً: أسطورة الخطيئة والتكفير والخلص بالصلب والفداء:

• (فكما أن الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعاً خطئوا... فإذا كانت جماعة الناس قد ماتت بزلة إنسان واحد، فبالأولى أن تفيض على جماعة الناس نعمة الله والعطاء الممنوح بنعمة إنسان واحد ألا وهو يسوع المسيح) رسالة بولس إلى أهل رومة ٥/١٢، ١٤ - ١٥^(١).

• (مع أننا كنا أمواتاً بزلاتنا، أحياناً مع المسيح «بالنعمة نلتم الخلاص» وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماوات في المسيح يسوع. فقد أراد أن يظهر للأجيال الآتية نعمته الفائقة السعة بلطفه لنا في المسيح يسوع) رسالة بولس إلى أهل أفسس ١/٥ - ٧^(٢).

• (هو وسيط لعهد جديد، بوصية جديدة، حتى إذا مات فداءً للمعاصي المرتكبة في العهد الأول نال المدعوون الميراث الأبدي الموعود. لأنه حيث تكون الوصية فلا بد أن يثبت موت الموصي... إنه لم يظهر إلا مرة واحدة في نهاية العالم ليزيل الخطيئة بذبيحة نفسه... قُرَّب مرة واحدة ليزيل خطايا جماعة الناس. وسيظهر ثانية بمعزل عن الخطيئة للذين ينتظرونه للخلص) رسالة بولس إلى العبرانيين ٩/١٥ - ١٦، ٢٦، ٢٨^(٣).

• (جميع الناس قد خطئوا فحرموا مجد الله، ولكنهم بُرِّروا مجاناً بنعمته، بحكم الفداء الذي تم في المسيح يسوع، ذاك الذي جعله الله كفارة في دمه بالإيمان ليُظهر برّه، بإغضائه عن الخطايا الماضية في

(١) العهد الجديد: (٤٧٨).

(٢) العهد الجديد: (٥٩٢).

(٣) العهد الجديد: (٧٠٨).

حلمه تعالى، ليُظهر برّه في الزمن الحاضر، فيكون هو بارّاً، ويبرر من كان من أهل الإيمان بيسوع) رسالة بولس إلى أهل رومة ٣/٢٣ - ٢٦^(١).

إن هذه العقائد المتلازمة من سريان خطيئة آدم إلى ذريته، وحصول التكفير والخلاص بافتداء المسيح نفسه عن البشرية على خشبة الصليب، منظومة فلسفية وضعها بولس وأقام عليها سوق النصرانية. ومع أن الأناجيل الأربعة تفيض في ذكر حادثة الصلب المزعومة، بما يجعلها من المعلوم عندهم بالضرورة، إلا أنها تعرضها عرضاً مأساوياً محزوناً، وتظهر المسيح ضحية لخيانة يهوذا الاسخريوطي، وليس بطلاً فداًئياً يقوم بمهمة شريفة سامية كما يصور بولس في رسائله^(٢)، ويقررها أتباعه على النحو التالي: (محبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم. لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة. ولكن الله من فرط محبته، وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد. فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم، ليخلص العالم... وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب، ولهذا صُلب. ورضي الله عن صلبه. وهو ابنه، ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره)^(٣).

وكل هذا مما أدخله بولس على دين المسيح، وأفسد به أهل ملته، وابتدعه من عند نفسه. وهو طعن في عدل الله سبحانه وحكمته، فكيف يؤخذ اللاحق بجريرة السابق؟ ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ (٢٧) ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٢٨) ﴿أَلَا نَزِدُ وَزْرَهُ وَنَزِدُ تُقْرَى﴾ (٢٩) ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا

(١) العهد الجديد: (٤٧٢ - ٤٧٣).

(٢) انظر: متى (١١/٢٧ - ٦١)، مرقس (١/١٥ - ٤٧) لوقا (١/٢٣ - ٤٩)، يوحنا (٢٨/١٨ - ٣٧).

(٣) محاضرات في النصرانية: (١٠٧).

سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَ ۞ [النجم].
فكيف إذا كانت خطيئة آدم ﷺ مغفورة، وصاحبها مجتبي مهدي: ﴿ثُمَّ أَجْنَبَتْ رَبُّهُ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه]. وثالثاً: كيف إذا لم يكن عيسى ﷺ قد صلب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ٥٧ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ [النساء] (١).

خامساً: دعوى دينونة المسيح:

• (وإذا جاء ابن الإنسان في مجده، تواكبه جميع الملائكة، يجلس على عرش مجده، وتحشر لديه جميع الأمم، ويفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الخراف عن الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي، فرثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم... ثم يقول للذين عن الشمال: إليكم عني أيها الملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته... فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية) إنجيل متى ٢٥/٣١ - ٣٤، ٤١، ٤٦ (٢).

• (الحقُّ الحقُّ أقول لكم: تأتي ساعة - وقد حضرت الآن - فيها يسمع الأموات ابن الله والذين يسمعونه يحيون. فكما أن الأب له الحياة في ذاته. فكذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته. وأولاه سلطة إجراء القضاء، لأنه ابن الإنسان. لا تعجبوا من هذا فتأتي ساعة فيها يسمعُ صوته جميع الذين في القبور فيخرجون منها أما الذين

(١) وانظر في إبطال عقيدة الصلب والفداء: الجواب الصحيح لمن بدل دين

المسيح: (١٠٨/٢ - ١١٦).

(٢) العهد الجديد: (١٠٧).

عملوا الصالحات فيقومون للحياة. وأما الذين عملوا السيئات فيقومون للقضاء) إنجيل يوحنا ٥/٢٥ - ٢٨^(١).

فهذان النصان الصريحان من الأناجيل، وأمثالهما من رسائل بولس يكشفان عن اعتقاد النصراني: أن الذي سيتولى الفصل بين الخلائق يوم القيامة والجزاء على الأعمال هو المسيح وليس «رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» (٢) «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» (٣) [الفاتحة]. وهذا من شركهم في الربوبية، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ الْقَلَاقِ (٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٧)﴾ [غافر]، ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (٧) ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (٩)﴾ [الانفطار]، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (١٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (١٦)﴾ [الغاشية]، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلِنْ كُنَّا فِي شَكٍّ مِنْ خَرَدَلٍ أَيْنَا بِهَا وَكُنْ فَيُنَازِلُنَا حَسِيبَتٌ (٤٧)﴾ [الأنبياء].

وفي حديث الشفاعة الطويل أن الناس في الموقف يأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ليشفعوا لهم عند ربهم في فصل القضاء فيعتذرون وكل واحد منهم يقول: (نفسي نفسي)^(٢)، حتى تنتهي النبوة إلى محمد ﷺ فينتدب لها، وهذا غاية المجد ذلك اليوم وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء]. وهو الشفاعة لأهل الموقف أن يقضي الله بينهم.

وهذه العقائد النصرانية التي أدخلها بولس، مستمدة في الواقع من

(١) العهد الجديد: (٣٠٢ - ٣٠٣).

(٢) رواه البخاري: (٢٢٦/٥).

النحل الوثنية، كما أخبر سبحانه: ﴿يُكْفَرُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَالَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة]. قال ابن القيم رحمته الله: (ثم أخذ دين المسيح في التبدل والتغير، حتى تناسخ واضمحل. ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء. بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام. وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المعسدة إلى عبادة الصور التي لا أصل لها. ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق. ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل، إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس)^(١).

وقد اعتنى بعض المعاصرين الحاذقين بالتنظير بين العقائد النصرانية والعقائد الوثنية، والمقابلة بينهما بما يكشف كسفاً جلياً عن مضاهاة بولس لقول الذين كفروا من قبل، واستمداده منهم^(٢).

المجامع النصرانية:

ظل الصراع قائماً بين أتباع المسيح وأتباع بولس. وكان الظهور للمؤمنين الموحدين حتى عام ٧٠م حين حصار أورشليم من قبل الرومان، وفتكهم بأهلها من اليهود وحيث إن أتباع المسيح كانوا متمسكين بالناموس الموسوي فقد بدوا في أعين الرومان يهوداً فتعرضوا للاضطهاد والشتات، في حين بدا البولسيون مجافين للمظاهر اليهودية فساعد ذلك في تمكينهم. ومع ذلك فقد احتاج أتباع بولس إلى عدة

(١) إغاثة اللهفان: (٢/٣٨٤).

(٢) انظر كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: لمحمد بن طاهر التنير البيروتي. ت (١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م) تحقيق: د. محمد بن عبد الله الشرقاوي. دار عمران - بيروت، مكتبة الزهراء - القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م). وانظر أيضاً: محاضرات في النصرانية: (٣٣ - ٣٩).

قرون لخلخلة العقائد الصحيحة، وزرع العقائد الوثنية في أجيال النصراني. ونظراً للاضطهاد العام الذي لقيه النصراني في أرجاء الدولة الرومانية وتخفي علمائهم، وصعوبة التواصل بينهم فقد حال ذلك دون كشف الشبهات، ومقاومة العقائد الدخيلة، فضلّوا ضلّالاً بعيداً. ولما اطمأن القوم في مطلع القرن الرابع وتنفسوا الصعداء، وجهروا بما يعتقدون تكشّف الحال عن خلافٍ عريض، وانقسام عميق، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فلا يجمعهم سوى مجرد الاسم وفوجئ الإمبراطور الروماني قسطنطين لما اعتنق النصرانية عام ٣١٢م بهذا التشردم، فأراد أن يجمع كلمتهم في مجمع يضم رؤوسهم، مفتتحاً بذلك سلسلة من المجامع المتعاقبة لتقرير العقيدة النصرانية، وبذلك يخالفها.

مجمع نيقية:

هو أول مجمع مسكوني. وقد دعا إليه الإمبراطور قسطنطين، فانعقد في مدينة نيقية في شهر مايو عام ٣٢٥ وحضره ألفان وثمانمائة وأربعون أسقفًا، لمناقشة عقيدة آريوس، وهو كاهن في كنيسة الإسكندرية، أنكر إنكاراً شديداً أن يكون «ابن الله» مساوٍ لـ«الأب» في الجوهر. (وحظيت هذه العقيدة الأريوسية، وما رافقها من تعاليم بالقبول السهل لدى جماعات مسيحية في أرجاء مختلفة من العالم الروماني، وما يحيط به من مناطق. وأفضى هذا إلى بدعة حظيت بانتشار شعبي واسع، فهددت وحدة الكنيسة كما لم تُهدّد من قبل. وقد جعلت هذه البدعة من «الابن» في الثالوث الأقدس، وكذلك ضمناً من الروح القدس، وسيطين للأب، وكائنين مخلوقين، الأمر الذي حول المسيحية إلى نوع متطور من الإيمان اليهودي، يجعل الأب هو الله الخالق وهو وحده الأبدي. لكن المذهب الأريوسي أقر في الوقت نفسه الماهية الإلهية للابن وللروح القدس في الثالوث، وبذلك خرج

عن مبدأ التوحيد، إذ جاء في الواقع معترفاً بثلاثة آلهة: واحدٌ أولي واثنين ثانويين^(١).

وكان هذا الحشد الكبير من الأساقفة يمثلون طوائف شتى متباينة الأقوال في أصول الإيمان. فأتاح لهم قسطنطين أن يتناظروا ويتجادلوا، وشارك في تلك المناقشات أريوس نفسه، ثم جنح قسطنطين إلى مقالة أتباع بولس القائلين بتأليه المسيح وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا فقط (أي: ١٥,٥٪ من المجتمعين) واستبعد من سواهم، وفوضهم أن يصوغوا قانوناً للإيمان يحمل عليه الكافة ويبدع من لم يقل به، فكان مجمع نيقية الذي تمخض عن (قانون الإيمان النيقاوي) أو ما يسميه النصارى العرب (الأمانة الكبرى)^(٢). ونصها المعدل بعد مجمع القسطنطينية الأول المنعقد عام ٣٨١م ما يلي:

(أنا أو من: (١) بإلهٍ واحدٍ أب قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى ولا يرى. (٢) وِرب واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، قبل كل الدهور، نور من نور، إلهٌ حق من إلهٍ حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، هو الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً. وصلب عنا في عهد بيلاطس البنطي، وتآلم وقبر وقام أيضاً في اليوم الثالث، على ما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الآب. وسيأتي أيضاً بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه نهاية. (٣) وأو من بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب (والابن)^(٣)،

(١) المسيحية في العالم العربي: (٣٩).

(٢) قال ابن كثير **رحمه الله**: (التي هي الخيانة الحقيرة) (٤٨/٢).

(٣) هذه اللفظة (الابن) أدخلت على النص اللاتيني دون اليوناني لاحقاً، وصارت مدعاة للخلاف أيضاً.

المسجود له، والممجد مع الآب والابن، الذي تكلم بالأنبياء. (٤) وأعتقد بكنيسة واحدة رسولية. (٥) وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. (٦) وأنتظر قيامة الموتى. (٧) وحياة الدهر الآتي^(١).

وسواء كان آريوس موحداً حقاً، أو جاء بتوحيد مهجن من توحيد اليهود وتثليث النصارى، فقد انقرض مذهبه تحت حملات الإرهاب البولسي المدعوم بسيف الإمبراطور.

(وقد أمر قسطنطين في الرسالة التي وجهها بعد المجمع إلى جميع الأساقفة والشعوب أن تحرق تآليف آري - أي آريوس - ويهدد بالموت كل من يخفيها)^(٢). فاندثرت مقالة آريوس وسائر المقالات الأخرى التي لا تتوافق مع قانون الإيمان النيقاوي. ولكن ذلك لم يوحد كلمة النصارى، فلم تزل الانشقاقات تعصف بهم حول أتفه خلافٍ لفظي أو سلطة كنسية فيعقدون لذلك المجمع المسكونية الكبرى لفض النزاع، فلا يزيدهم ذلك إلا فرقة^(٣). قال ابن القيم رحمته الله: (وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضلال وتفترق على اللعن. فلا ينفض إلا وهم ما بين لاعن وملعون. - وقال بعد أن ذكر مجامعهم الكبار -: فهذه عشرة مجامع كبار من مجامعهم مشهورة، اشتملت على أكثر من أربعة عشر ألفاً من البطاركة والأساقفة والرهبان، كلهم ما بين لاعن وملعون. فهذه حال المتقدمين مع قرب زمانهم من أيام المسيح، ووجود أخباره فيهم، والدولة دولتهم، والكلمة كلمتهم، وعلمائهم إذ

(١) أخذ نَصُّها من: المسيحية في العالم العربي: (٤٢ - ٤٣).

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية (٢٢٨).

(٣) اكتفينا بذكر مجمع نيقية لأهميته البالغة في رسم عقيدة عامة النصارى. وانظر تفصيل القول فيه وفي بقية المجامع: تاريخ الكنيسة المسيحية. الفصل الثاني (٢٢٠ - ٢٩٦). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: (٣١٨/٣٤٦)، محاضرات في النصرانية: (١٢٠ - ١٤٨).

ذاك أوفر ما كانوا، واهتمامهم بأمر دينهم، واحتفالهم به كما ترى، وهم حيارى تائهون، ضالون مضلون، لا يثبت لهم قدم، ولا يستقر لهم قولٌ في إلههم، بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه، وصرح بالكفر والتبري ممن اتبع سواه. فقد تفرقت بهم في نبيهم وإلههم الأقاويل. وهم كما قال الله سبحانه: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (١) [المائدة].

الشرعة عند النصارى:

جاء عيسى عليه السلام مصداقاً لما بين يديه من التوراة، ومتمماً لشرعة موسى، ومخففاً عن بني إسرائيل بعض ما جُوزوا به - كما تقدم - ولم يأت ناقضاً لشرعة بني إسرائيل التي أودعها الله في التوراة، وحكم بها النبيون الذين أسلموا - وهو أحدهم - للذين هادوا. وقد جاء في إنجيل يوحنا أنه قال: (لا تظنوا أنني جئت لأبطل الشرعة أو الأنبياء: ما جئت لأبطل، بل لأأكمل. الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشرعة حتى يتم كل شيء، أو تزول السماء والأرض. فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا وعلم الناس أن يفعلوا مثله، عُذَّ الصغير في ملكوت السماوات. وأما الذي يعمل بها ويعلمها فذاك يعد كبيراً في ملكوت السماوات) ١٧/٥ - ١٩.

وهكذا كان الحواريون وكبار التلاميذ محافظين على الناموس، ملتزمين بالشرعة الظاهرة التي عليها قومهم بنو إسرائيل، حتى أجلب عليهم بولس في شأن المتنصرين من الوثنيين، وطالب بإعفائهم من الختان وأحكام الشرعة، سوى ذبائح الأصنام، والدم، والميتة،

(١) إغاثة اللفهان في مصايد الشيطان: (٣٨٩/٢، ٣٩٥) وما أصدق قول الله فيهم: ﴿وَيَسِّرْ لَكَ رَبُّكَ خُرُوجَهُمْ وَأَخْرُجْهُمْ إِلَى حَقٍّ وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ١٤].

والزنى. أعمال الرسل ٢٣/١٥ - ٢٩، ولم يزل يهون من شأن الشريعة حتى أبطلها بعقيدة الصلب والفداء؛ ذلك أنه لم يكتف باتخاذ هذه العقيدة تكفيراً وخلاصاً من خطيئة آدم الموروثة - بزعمه -، بل جعل منها بزخرف القول، وتشقيق الكلام، ذريعة للتحلل من أحكام الشريعة التي كانت مضروبة على بني آدم، وسبباً لحلول اللعنة عليهم بزعمه. يقول في رسالته إلى أهل غلاطية: (إن أهل العمل بأحكام الشريعة هم جميعاً في حكم اللعنة. فقد ورد في الكتاب: «ملعون من لا يثابر على العمل بجميع ما كتب في سفر الشريعة»، أما أن الشريعة لا تبرّر أحداً عند الله فذاك أمرٌ واضح، لأن «البار بالإيمان يحيا»، على حين أن الشريعة ليست من الإيمان، بل من عمل بهذه الأحكام يحيا بها. إن المسيح افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنةً لأجلنا، فقد ورد في الكتاب: «ملعونٌ من عُلق على الخشبة» ذلك كيما تصير بركة إبراهيم إلى الوثنيين في المسيح يسوع فننال بالإيمان الروح الموعود به... فقبل أن يأتي الإيمان كنا بحراسة الشريعة مغلقاً علينا من أجل الإيمان المنتظر تَجَلِّيهِ. فصارت الشريعة لنا حارساً يقودنا إلى المسيح لِنُبَرِّرَ بالإيمان، فلما جاء الإيمان لم نبق في حكم الحارس. لأنكم جميعاً من أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع)^(١) (١٠/٣ - ١٤، ٢٣ - ٢٦).

لقد أرسى بولس عقيدة «الإرجاء» لدى النصارى، الذي يجعل الإيمان مجرد المعرفة، وفق الفلسفة التالية: البشر مرتهنون بخطيئة أبيهم آدم. وقد أعطى الله لإبراهيم عهداً بالخلاص لذريته من بني إسرائيل لقاء الالتزام بأحكام الشريعة، فمن خالفها فهو ملعون. وبالتالي فأهل العمل بأحكام الشريعة - فضلاً عن الوثنيين - في حكم اللعنة. والعمل الخلاصي الذي قام به المسيح هو أنه قَبِلَ ميتة الملعون، وصار لعنةً من

(١) العهد الجديد: (٥٧٧ - ٥٧٨).

أجل البشر ليحررهم من لعنة الشريعة الناتجة عن الخطيئة، ودفع حياته ثمناً لهذا الخلاص فصار مجرد الإيمان بيسوع من يهودي أو وثني؛ مختون أو غير مختون هو سبب الخلاص دون العمل بأحكام الشريعة. فالإيمان يفتح قلب الإنسان على الحياة التي في المسيح والشريعة تحبسه في الخطيئة وتتركه في اللعنة. وبذلك يتسع العهد الخلاصي الممنوح لذرية إبراهيم - فرع إسحاق - ليشمل جميع البشر ببركة الإيمان بالمسيح وحسب^(١).

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٧٦) ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٧) وَلِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٨) [الصفات]. هذا هو الأساس النظري لتصلهم من الشريعة. وقد ساعد على ذلك ما وقع عليهم من اليهود من اضطهاد ومضارة، فأرادوا مفاصلتهم والخروج عن شعارهم الظاهر، كيداً وتشفياً. قال ابن القيم رحمه الله: (... أخذ القوم في التغير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهون، ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة. فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح: إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زنية. فقالوا: هو إله تام وهو ابن الله. ورأوا اليهود يختنون فتركوا الختان. ورأوهم يببالغون في الطهارة فتركوها جملة. ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها. ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه، وجعلوه شعار دينهم. ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة، وقالوا: كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج. ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق. ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا ويحللوا ما شاءوا. ورأوهم يحرمون

(١) انظر: الشروحات والتعليقات على النص السابق من رسالة بولس إلى أهل

السبت ويحفظونه، فحرموا هم الأحد، وأحلوا السبت، مع إقرارهم بأن المسيح كان يحرم السبت ويحفظه... فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايده اليهود ومغايظتهم^(١)، فلا عجب إذاً أن كثر أتباعهم من حصب جهنم.

الطقوس البدعية الكهنوتية عند النصارى:

استعاض النصارى من أتباع بولس بالعبادات الشرعية، طقوساً وثنية كهنوتية لم تَرَح رائحة ملة إبراهيم، ولم تخرج من مشكاة النبوة، وهي ما يسمونها «الأسرار الكنسية» ويعرفونها بأنها: (أعمال مقدسة تمنح بواسطتها بصورة غير منظورة نعمة الله التي تعيد وتجدد وتقدس الإنسان الذي يقبلها... مصدر الأسرار إلهي، وأنه يجب أن تتم بطرق معلومة محددة على أيدي أناس مفوضين بذلك)^(٢).

وهذه الأسرار المزعومة سبعة، ثلاثة أصلية، وأربعة ملحقة:

(١) سر المعمودية أو العماد: وهو غمس الجسم «تغطيسه» في الماء، أو غسله أو رشه ثلاث مرات - على خلاف بين مذاهبهم - ثم مسحه بالزيت المقدس «الميرون» باسم الآب والابن والروح القدس، بغرض تطهير طالب الدخول في النصرانية، أو الطفل المولود لأبوين نصرانيين من الخطيئة الأصلية، خطيئة آدم، وغفران جميع الخطايا.

(٢) سر القربان المقدس «العشاء الرباني»: حيث يقوم الكاهن من أسقف أو قسيس بتقديس خبزٍ وخمر ليأكله الجمهور بعد استدعاء الروح القدس، على التقديم، فالخبز يصبح بمثابة جسد المسيح، والخمر دمه، حقيقة! ويسمى أيضاً «سر الشكر» «الأفخارستيا».

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: (٢٦٦).

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية: (٨١ - ٨٢).

(٣) سر السيامة: وهي انتقال سلطة يسوع الروحية التي وهبها - بزعمهم - للرسل من جيل إلى جيل لقيادة الكنيسة عن طريق «وضع الأيدي» على الرؤوس، فحينئذ تسري «الخلافة الرسولية» في الرتب الكنسية الثلاث: الأسقفية، المشيخة أو القسوسية والشَّماسية. وهذا السر هو ما يميز رجال الدين النصارى «الأكليروس» عن العلمانيين، أي المؤمنين العاديين. فهذه الأسرار الثلاثة أصلية قديمة.

(٤) سر الزواج المقدس: بالاقتران الشرعي - في مقابل المدني - بين الزوجين في مراسم كنسية، فيجعلهما هذا السر جسداً واحداً بمباركة الكنيسة.

(٥) سر الإماتة أو الغفران: وهو نيل الغفران والتكفير عن الخطيئة بالاعتراف أمام الكاهن. ويلتحق به سر الصلاة على المحتضر «الطقوس الأخيرة» لتحقيق الغفران أيضاً.

(٦) سر مسحة الميرون: لمنح نعمة مواهب الروح القدس لتثيته في الحياة.

(٧) سر مسحة الزيت: لشفاء المرضى نفسياً وبدنياً^(١).

وهكذا اتخذ النصارى دينهم هزواً ولعباً، وهجروا شريعة الله التي فيها الهدى والنور.

إنجيل برنابا:

وقد جدد الله إقامة الحجة على النصارى في القرون الأخيرة حين اكتشفت نسخة تامة وحيدة من كتاب لأحد كبار تلاميذ المسيح المخلصين، وهو «برنابا»، وذلك في مطلع القرن الثامن عشر، عرفت

(١) انظر تفاصيل هذه الأسرار في تاريخ الكنيسة المسيحية: (١٦١ - ١٦٦)؛ و: المسيحية في العالم العربي: (٤٥ - ٥٠).

باسم «إنجيل برنابا»^(١).

والكاتب لم يزعم أن ما كتبه هو «الإنجيل» المنزل من عند الله، رغم أنه كُتب على طرته: الإنجيل الصحيح لعيسى المسمى المسيح^(٢). وغاية ما ذكر أنه حكى في الفصل الحادي والعشرين بعد المائتين، الفصل قبل الأخير، ما يلي: (والفتت يسوع إلى الذي يكتب وقال: يا برنابا عليك أن تكتب إنجيلي حتماً، وما حدث في شأني مدة وجودي في العالم، واكتب أيضاً ما حل بيهوذا^(٣))، ليزول انخداع المؤمنين ويصدق كل أحد الحق. حينئذٍ أجاب الذي يكتب: إني لفاعلٌ ذلك إن شاء الله يا معلم...^(٤) ١/٢٢١ - ٣.

فالكاتب قد كتب في هذا الكتاب ما حدث بشأن المسيح مدة وجوده في العالم من البشارات به، وولادته الخارقة، وآياته المؤيدة بروح القدس، ودعوته إلى عبادة الله تعالى، والبشارة بنيه محمد ﷺ، وما وقع له من أذى اليهود واضطهادهم وسعيهم في محاكمته وصلبه لدى الحاكم الروماني، ثم رفعه إلى السماء، وضمن ذلك خطبه ومواعظه وأمثاله ووصاياه، التي ربما كان بعضها نصوصاً من الإنجيل الحقيقي، كل ذلك بأسلوبٍ إيماني مشرق، ووضوح تام وحمية صادقة، تُشعر القارئ أن كاتبه يقبس من مشكاة

(١) انظر في قصة العثور عليها: مقدمة المترجم لها الدكتور خليل سعادة في كتاب إنجيل برنابا: (١٧ - ٢٠).

(٢) المرجع السابق: (٣٧).

(٣) يهوذا الإسخریوطي: أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، باع معلمه بثلاثين من الفضة، فصار اسمه عنواناً للخيانة. شنق نفسه يأساً. المنجد في الأعلام (٧٥٢) هكذا عند النصاري، والصحيح أن الله ألقى شبه المسيح عليه، فشه لهم وصلبوه، وأما المسيح عليه السلام فما قتلوه وما صلبوه، بل رفعه الله إليه.

(٤) المرجع السابق: (٢٩٦).

النوبة، ويمتدح من معين التنزيل. حتى إن مترجم هذا الكتاب الدكتور خليل سعادة، رغم كونه نصرانياً مخالفاً لكتابه في المعتقد، أطراه بما يلي: (الحقيقة التي لا مرأى فيها أن كاتب إنجيل برنابا على جانب كبير من الفلسفة، وسمو المدارك، وقوة الحجّة، وشدة العارضة، وجلاء البيان، وإن مباحثه الفلسفية في الجسد والحس والنفس من الوجهة الدينية لمن أسمى ما كتب الباحثون الدينيون في هذا الموضوع)^(١).

وقد أفصح برنابا ﷺ في مفتتح كتابه وختامه بنفرتة مما أحدثه بولس وأشياعه من كفر وضلال، فاستهل بالخطبة التالية: (برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً وعزاءً. أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب^(٢) قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعاليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلحكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله. وعليه فاحذروا كل أحدٍ يشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً. وليكن الله العظيم معكم، وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر. آمين)^(٣) ١ - ١٠ فهذا هو

(١) المرجع السابق. المقدمة: (٢٩). والنصارى يعبرون بـ«الفلسفة» و«المباحث الفلسفية» عن «العقيدة» و«المباحث العقيدة».

(٢) هكذا جاء في النص المترجم. ومعلوم أن هذا اللفظ ليس من «الأسماء الحسنى»، ولعل ترجمته الصحيحة: «القدير» كما سيدل عليه نص لاحق: (٣/٢١٦).

(٣) إنجيل برنابا: (٣٧ - ٣٨).

الباعث على تأليف هذا الكتاب. وفي آخر فصلٍ منه يختتم بما يلي:
(وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم
المختلفة. أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل، كما
هي الحال دائماً. فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن
يسوع مات ولن يقوم. وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام.
وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون أن يسوع هو ابن الله. وقد خدع في
عددهم بولص. أما نحن فلإنما نبشر بما كتبتُ، الذين يخافون الله
ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله. آمين) ١/٢٢٢ - ٦^(١).

لقد روى برنابا مما سمعته أذناه ووعاه قلبه عن المسيح مباشرة ما
يدحض كفريات بولص وأشياعه، وهو ما يشهد له القرآن العظيم الذي
جاء مصداقاً لما بين يديه من الكتاب. فنذكر أهمها، ونستشهد بموضوع
واحد من كتابه لكل مسألة، ونشير إلى مواضع أخرى بأرقامها، طلباً
للاختصار:

*** أولاً: إنكاره ﷺ دعوى ألوهيته، وانزعاجه البالغ من ذلك،**
وأنه عبد الله ورسوله: (لقد ضللتكم ضلالاً عظيماً أيها الإسرائيليون
لأنكم دعوتُموني إلهكم وأنا إنسان... أشهد أمام السماء، وأشهد كل
شيء على الأرض أنني بريء من كل ما قد قلتُم. لأنني إنسان مولود من
امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والنامن وشقاء
البرد والحر كسائر البشر) ١/٩٣ - ٢، ١٠^(٢).

*** ثانياً: إنكاره ﷺ دعوى بنوته: (ليكن ملعوناً كل من يدرج في**
أقوالي أنني ابن الله) ٣٥/٥٣^(٣).

(١) إنجيل برنابا: (٢٩٧).

(٢) إنجيل برنابا: (١٥٤). وانظر أيضاً: (٩/٤٧ - ١١) (٩٩) ١/٥٩ - ٤
(٢٣٦).

(٣) إنجيل برنابا: (١٠٧). وانظر: ٧٠ (١٢٨)، ٥/٢١٢ (٢٨٥).

* ثالثاً: إثباته العهد لإسماعيل ﷺ وأنه الذبيح: (صدقوني لأنني أقول لكم الحق: إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق) ٣١/٤٣^(١).

(فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما وُلد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟) ١٠/٤٤ - ١١^(٢).

* رابعاً: بشارته ببعثة محمد ﷺ وأنه «مسيا» الذي ينتظره بنو إسرائيل: سأله كهنة الهيكل وغيرهم في مناسبات عدة هل أنت مسيا؟ فمن أجوبته: (لست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه: لأنني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا، الذي خلق قبلي، وسيأتي بعدي، وسيأتي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية) ١٤/٤٢ - ١٥^(٣).

(إن اسم مسيا عجيب، لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه... إن اسمه المبارك (محمد) ١٤/٩٧، ١٧^(٤).

* خامساً: تأكيد على العمل بشريعة الأنبياء: (أتظنون أنني جئت لأجل الشريعة والأنبياء؟ الحق أقول لكم، لعمر الله أنني لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها... لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته لا يمكن أن يكون مرضياً لله من يخالف أقل وصاياه) ٢/٣٨ - ٣، ٥^(٥).

(١) إنجيل برنابا: (٩٤).

(٢) إنجيل برنابا: (٩٥).

(٣) إنجيل برنابا: (٩٢). وفي نقل برنابا هاهنا ما يستنكر من الغلو، فلينتبه لذلك.

(٤) إنجيل برنابا: (١٦١ - ١٦٢). وانظر: (١٤/٣٩ - ٢٦) (٨٨، ٣٠/٤١) (٩١) (١٩/٤٤ - ٣١) (٩٦، ٧/٨٢ - ١٩) (١٤٢، ١٤٣، ٩٦) (١٥٩) وغيرها.

كثير.

(٥) إنجيل برنابا: (٨٦).

* سادساً: إثباته الدينونة لله سبحانه وتعالى، والشفاعة العظمى لنبيه محمد ﷺ: تضمنت الفصول: ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦ شرحاً وافياً لأحوال يوم القيامة وأهواله ومحاسبة الله للخلائق، وفيه: (تعالوا للدينونة أيتها الخلائق لأن خالقك يريد أن يدينك) ١٨/٥٤، وشفاعة النبي ﷺ، وفيه: (ويكلم الله رسوله قائلاً: مرحباً بك يا عبدي الأمين، فاطلب ما تريد تتل كل شيء... وبعد أن يتكلم يعطي الله رسوله كتاباً مكتوباً فيه أسماء كل مختاري الله) ١٦/٥٥ - ١٧، ٣٧^(١). حتى لكان القارئ يقرأ حديث الشفاعة.

* سابعاً: إثبات رفع المسيح إلى السماء، ونفي صلبه: (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع... جاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب. فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد) ١/٢١٥ - ٥ - ٦^(٢).

(ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصدع منها يسوع. وكان التلاميذ كلهم نياماً. فأتى الله العجيب بأمرٍ عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبهاً بيسوع) ١/٢١٦ - ٤^(٣).

هكذا روى برنابا مشاهداته الأخيرة بوصفه «شاهد عيان». وتفيض الفصول التالية في وصف ما جرى ليهوذا الخائن من محاكمة وإهانة وصلب بنفس الترتيب الذي ترويه الأناجيل الأربعة منسوبة إلى المسيح. كما يصف برنابا الاضطراب الذي حصل في صفوف أتباعه من جراء

(١) إنجيل برنابا: (١٠٥ - ١١٢).

(٢) إنجيل برنابا: (٢٨٨). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/ ٣٠٢ - ٣٠٤).

(٣) إنجيل برنابا: (٢٨٨).

ذلك، وكيف زاغ بعضهم، وثبت الله الراسخين في الإيمان بسياق يتفق من حيث الجملة مع ما قرر القرآن.

يقول الدكتور خليل سعادة، مترجم كتاب برنابا، في مقدمته: (ولما شاع خبر إنجيل برنابا في فجر القرن الثامن عشر، أحدث دويماً عظيماً في أندية الدين والعلم، ولا سيما إنكلترة، فكثر بشأنه الجدل، واحتدمت بين العلماء مناقشات)^(١).

لقد كان اكتشاف هذا الكتاب وشيوعه بارقة أمل وفرصة نادرة للمراجعة واتباع الهدى، وإثارة على الهوى، سيما والكتاب يفوق ما يسمونها «الأنجيل الأربعة» سمواً في المعاني، وجزالة ووضوحاً في الأسلوب، وتمكناً في العلم بالكتب السابقة، وعلواً في الإسناد، حتى قال مترجمه: (إنك إذا أعملت النظر في هذا الإنجيل وجدت لكتابه إماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد له مثيلاً بين طوائف النصرى إلا في أفراد قليلين من الأخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على الدين كالمفسرين، حتى إنه ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضاً من له إمامٌ بالتوراة يقرب من إمام كاتب إنجيل برنابا)^(٢).

فيا سبحان الله لِمَ لا يكون كاتب إنجيل برنابا هو برنابا نفسه؟ لقد نكس القوم على رؤوسهم، وآثروا رسوم آبائهم، وأصروا على ملة بولس.

وقد تشبث بعضهم بوجود تعليقات باللغة العربية على هوامش المخطوط، فحاولوا نسبة الكتاب إلى مؤلفٍ مسلم مجهول! وما أحسن ما أجاب به الشيخ محمد أبو زهرة رحمته الله: (ومن الغريب أن يُتخذ من

(١) مقدمة مترجم إنجيل برنابا: (٢٠).

(٢) المرجع السابق: (٢٤).

التعليقات العربية دلالة على أصله الإسلامي، ولا يتخذ من صلبه الإيطالي دليلاً على أصله المسيحي^(١).

ومن الثابت لدى مؤرخي النصرانية وجود جملة من الأناجيل والرسائل الرسولية، سوى ما تضمنه قانون العهد الجديد، وأن الكنيسة دأبت على اعتبارها «منحولة» و«مزورة» ومن ذلك «إنجيل برنابا»^(٢). ويذكرون أن البابا «جلاسيوس الأول» أصدر قراراً في أواخر القرن الخامس الميلادي يتضمن قائمة بالكتب المحرمة، المنهي عن مطالعتها، وفي عدادها كتاب اسمه: إنجيل برنابا^(٣). وذلك قبل بعثة النبي محمد ﷺ بأكثر من قرن من الزمان. فكيف يتسنى أن يؤلفه مسلم عربي؟! وأما وجود البشارة في النبي محمد ﷺ باسمه الصريح «محمد» فذاك دليل على صدقه لا على تزويره، لموافقه ما في القرآن: ﴿رَسُولُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وبعد:

فإن اليهود قد رغبوا عن ملة إبراهيم، ورسالة موسى ﷺ، وهجروا التوراة، واتبعوا «عزرا»، وعظموا التلمود.

وإن النصارى قد رغبوا عن ملة إبراهيم ورسالة المسيح ﷺ، وضيعوا الإنجيل، واتبعوا «بولس» واشتغلوا برسائله.

فخرجت هاتان الأمتان عن دين الإسلام الذي ابتعث الله به جميع رسله، إلى معتقدات وأحوال وأوضاع ليست على هدى الله ولا سنن المرسلين، تتراوح بين الغلو والتساهل، والإفراط والتفريط. فحينئذ بعث الله محمداً ﷺ إلى الخلق على فترة من الرسل، وقد مقت أهل

(١) محاضرات في النصرانية: (٦٣).

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة: (١٥١)، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم: (١٠٣).

(٣) مقدمة مترجم إنجيل برنابا: (٢٧).

الأرض: عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا - أو أكثرهم - قبل مبعثه.

والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب إما مبدل، وإما منسوخ، ودين دارس بعضه مجهول، وبعضه متروك. وإما أمي من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنته، وظن أنه ينفعه: من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك، والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علماً وهي جهل، وأعمال يحسبونها صلاحاً وهي فساد. وغاية البارع منهم علماً وعملاً أن يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، وقد اشتبه عليهم حقه بباطله. أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلاً، أو أن يكدر بنظره كدح المتفلسفة، فتدوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق، حتى يصل - إن وصل - بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب، لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي، باطله أضعاف حقه - إن حصل - وأنى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب وتعذر الأدلة عليه والأسباب. فهدى الله ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى، هداية جلّت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمة المؤمنين عموماً، ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم، علماً وعملاً، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى^(١).

وبهذا يعلم أن من يسعى للتقريب بين الإسلام وبين اليهودية والنصرانية يحاول الجمع بين النقيضين، والتوفيق بين المتضادين، وأنه لم يفقه حقيقة الدين الذي بعث الله به المرسلين.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/٦٣ - ٦٤).

المبحث الثالث

حكم الإسلام في «أهل الكتاب»

أرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وحجةً على الناس أجمعين؛ كتابيهم ومشركهم، عربهم وعجمهم، في وقت كانوا أشد ما يكونون حاجة إلى نبي من عند الله يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويذكرهم بأيام الله، ويهديهم إلى صراط مستقيم. ذلك أنهم قد آل أمرهم إلى مأزق لا يمكنهم الانفكاك من قبضته إلا ببينة من ربهم، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة].

فجاء هذا «القرآن» الذي هو كلام الله بياناً شافياً، وحكماً فصلاً، وقضاء عدلاً، فيما كانوا فيه يختلفون، سيما أهل الكتاب الذين اتخذوا دينهم شيعاً، وتفرقت بهم المذاهب والأهواء، ولم يقيموا التوراة والإنجيل. فلذلك خُصُّوا بالذكر في آياته، واستُهدفوا في مقاصده وغاياته. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ لِّرَسُولٍ أَلَدَىٰ هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَهْدَىٰ رَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل] ﴿وَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ اللَّيْلَ نَاقِحِينَ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [النمل] فهو يرفع الخلاف، ويهدي ويرحم، ثم يقضي ويحكم.

وقال تعالى بعد ذكر الكتابين السابقين، التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]. قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في معنى «مهيماً»

عليه: (وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله)^(١).

فمن سبقت له من الله الحسنى، من أهل الكتاب، وقبل البشرى أوتي أجره مرتين ونال الحُسنيين، وصار من جملة المسلمين، كما حكى الله ذلك عن بعضهم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَمَّا هُمْ يَنْذُرُونَ﴾ (٥١) الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَلَئِنْ يَتْلُوكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْيَسَنَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) [القصر]. وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٥) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٥٦) فَأَنْبَهُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٥٧) [المائدة]. فليس عن هؤلاء «السعداء» نتكلم في هذا المبحث، فقد ارتفع عنهم وصف «أهل الكتاب»، وصاروا من «أهل الإسلام». وإنما الكلام على من أصر على دينه، وتشبث برسوم ملته، وأخذته العزة بالإثم، فلم يرفع بالإسلام رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي بعث به نبيه محمداً ﷺ.

وقد حكم الإسلام في أهل الكتاب حكمين:

أحدهما: حكم علمي: في بيان حقيقة ما هم عليه من الاعتقادات والأعمال، وتعيين مُسمَّاهم في باب أسماء الدين والإيمان، وبيان جزائهم في باب وعيد الله.

الثاني: حكم عملي: في وصف معاملتهم، وما يختصون به من أحكام دون سائر الناس.

(١) تفسير القرآن العظيم: (١٢٨/٣).

فالأول: ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان والحال. **والثاني:** أصله ثابت كذلك، لكن قد تتغير بعض أحكامه بتغير الأحوال، وفق ما تقتضيه السياسة الشرعية على نحو ما سنبين لاحقاً - إن شاء الله -.

أولاً: حكم الإسلام في أهل الكتاب من الناحية الاعتقادية:

توافرت نصوص الكتاب والسنة على ذم عامة أهل الكتاب، وحكاية مقالاتهم الفاسدة في مختلف أبواب الإيمان، وأعمالهم البدعية والشركية، وأخلاقهم الذميمة، مما سبق ذكر طرف منه من صميم كتبهم التي يقدسونها، وتاريخهم الذي يسلمون به، في المبحث السابق. ونذكر هاهنا حكم الإسلام الفصل في حقيقة ما عليه أهل الكتاب من عقائد وأعمال حين أدركهم الإسلام، دون الاستطراد في ذكر معائبهم السابقة مع أنبيائهم على سبيل التفصيل مما قصه الله في سورة البقرة والنساء والأعراف وطه وغيرها، عن اليهود، وما قصه في سورة آل عمران والمائدة وغيرهما، عن النصارى.

١ - الحكم بنفي الإيمان عنهم:

* ﴿قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

* ﴿يَتَّبِعُهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

* ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

* ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَا أَخَذْتَهُمْ أُولَئِكَ﴾ [المائدة: ٨١].

* ﴿قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنبِيَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة].

٢ - الحكم بكفرهم:

وردت النصوص بتكفير اليهود والنصارى صريحة واضحة لا تحتمل اللبس والتأويل مقرونة بذكر سبب كفرهم. وقد تنوعت موارد كفرهم، فمن ذلك:

١ - القول بالوهية المسيح:

* ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢].

ب - القول بالتثليث:

* ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ج - القول بالبنوة:

* ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَسَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ آتٍ يُوَفِّكُونَهُ ۖ﴾ [التوبة].

د - الكفر بآيات الله:

* ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١، آل عمران: ١١٢].

* ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ﴾ [آل عمران: ٩٨].

* ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَلَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

هـ - عدم إقامة التوراة والإنجيل:

* ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَزِيدَ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۖ﴾ [المائدة].

و - الكفر برسالة محمد ﷺ:

* ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

ز - كفرهم بإطلاق:

* ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ فَيَشْفَعُهُمْ وَكَفَرِهِمْ يُثَابِتِ اللَّهُ وَقَلِيلُهُمُ الْأَشْيَاءُ بِمَنِّ حَتَّى وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٩٥﴾﴾ وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

* ﴿بَلْ لَعْنَتُهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة].

* ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة].

٣ - الحكم بشركهم وعبادتهم غير الله:

* ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُفَقَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

* ﴿يَتَّخِذِ الْكَتِبَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْمِلْهُمُ إِلَى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء].

* ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِئْتِي إِلَهُي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ

كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٧﴾ [المائدة].

* ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ ﴿١٧٨﴾ [المائدة].

٤ - الحكم بضلالهم:

* ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عَلَيْكُمْ حِجَابًا وَإِن تُدْعُوا إِلَيْهِمْ فَمَا لَتَجْعَلُوهُنَّ أَمْوَالَهُمْ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٧٩﴾ [المائدة] - في النصارى - .

* ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٨٠﴾ [المائدة].

٥ - الحكم بفسقهم:

* ﴿وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٨١﴾ [المائدة].

* ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عَلَيْكُمْ حِجَابًا وَإِن تُدْعُوا إِلَيْهِمْ فَمَا لَتَجْعَلُوهُنَّ أَمْوَالَهُمْ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿١٨٢﴾ [المائدة].

* ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ وَقَدْ نَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُم فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٨٣﴾ [الصف].

* ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَلَا تَحِلُّ عَلَيْهِمُ الْأُمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٨٤﴾ [الحديد].

* ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [المائدة].

* ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾﴾
[الحديد].

٦ - الحكم عليهم باللعن والغضب:

* ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْفَنَارِيزَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة].

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ [البقرة].

* ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة ٦١، ٩٠، آل عمران: ١١٢].

* ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٧﴾﴾
[النساء].

* ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

* ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

* ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤].

* وقال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». متفق عليه^(١).

٧ - الحكم عليهم بالنار والخلود فيها:

* ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُوَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة].

* ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري: (١/١١٠)، صحيح مسلم: (١/٣٧٦).

عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُۥٓ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٦﴾ [البقرة].

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٨٦﴾﴾ [البينة].

* ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي مَسْجِدًا فَأَتُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ فَتَسْفَحْهُمَا وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

* ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا يَقُولُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة].

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسَدُّونَ بِهِ سُبُلَ قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة].

* ﴿لَقَدْ سَخِجَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران].

* ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُصْرَفَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة].

* وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من

هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم^(١).

فهذا حكم الإسلام في أهل الكتاب من الناحية العلمية
الاعتقادية:

فهم في باب أسماء الدين والإيمان: كفارٌ، غير مؤمنين، مشركون، ضالّون، فساق، ضلالاً وفسقاً مخرجين عن حد الإيمان، مغضوبٌ عليهم، ملعونون.

وهم في باب وعيد الله: خالدون مخلدون في النار.

فجملة ما أكفر الله به اليهود والنصارى:

١ - عدم إيمانهم بالله الإيمان الصحيح، بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فقد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، ونسبوا إليه الولد وألوهوا المسيح، وجعلوا الله ثالث ثلاثة، ووصفوه بصفات العيب والنقص ومشابهة المخلوقين.

٢ - أذيتهم لأنبياء الله بالقتل والسبب والتكذيب.

٣ - إنكارهم لنبوّة محمد ﷺ بعد قيام الحجة عليهم.

٤ - كفرهم بآيات الله، بتكذيبها وكتمانها وإخفائها وتحريفها تحريفاً لفظياً ومعنوياً والاختلاف فيها، وعدم إقامتها، والإعراض والتولي عنها.

٥ - كفرهم باليوم الآخر.

(١) صحيح مسلم: (١/١٣٤).

الحكم بنسخ شرائعهم بشريعة الإسلام:

فلما آل حال القوم إلى الكفر بالله وتكذيب رسله وتحريف كتبه، واستزلال الشيطان لهم في عباداتهم إلى الشرك والبدعة، وفي معاملتهم إلى الظلم والعدوان، حتى انطمس انتمائهم إلى ملة إبراهيم، وتحللوا من عرى الدين، نسخ الله شرائعهم بشريعة الإسلام، وأبطل اليهودية والنصرانية، وأثبت الحنيفية المسلمة، فلا يقبل ديناً سوى الإسلام: وأدلة ذلك:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَافُ﴾ [آل عمران: ١٩].

* ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وصدر سورة آل عمران قد نزل في محاجة نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ.

* ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

* ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وذلك بعد ذكر أمره السابق لليهود بالحكم بالتوراة، وأمره للنصارى بالحكم بالإنجيل.

* وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(١).

(١) صحيح مسلم: (١/١٣٤).

* وقال أيضاً: «إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية»^(١).

والى جانب هذا الحكم العقدي الفاصل كشف الله تعالى في كتابه لعباده المؤمنين من صفات السوء، التي طبعوا عليها، وصارت سمة لعامتهم، وما يكفيهم للحذر منهم، وعدم الوقوع فيما وقعوا فيه، وأكثرها في اليهود، ومن ذلك:

١ - الحسد:

* ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران].

٢ - النفاق والخيانة:

* ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَكَّتُونَ لِلْكَذِبِ سَكَّتُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ [المائدة: ٤١].

* ﴿سَكَّتُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ﴾ [المائدة: ٤٢].

* ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران].

* ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح (٢٠٤/١٣، ٢٦٤). ورواه أحمد بلفظ: (إن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية): المسند: (١٣١/٥). وقال محققوه: إسناده حسن. انظر: تكملة تحقيق المسند طبعة مؤسسة قرطبة الجزء الثاني من المجلد الخامس: (٧٢ - ٧٣).

أَتَّخِذُوا نَفْسَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ [البقرة].

٣ - المكر والخديعة:

* ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَأْمُرُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا عَاخِرُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٢، ٧٣].

٤ - المعصية والعدوان وموالاته الكفار:

* ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْآثِمِ وَالْمُذْنِبِ وَأَكْلِهِمْ الشَّحَّةُ﴾ [المائدة: ٦٢].

* ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّيَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦١]،

* ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَقُولُونَ اللَّهُ مَتَّعُنَا وَنَا وَلَا جَمْعَ بَيْنَنَا وَمَن يَكُنْ فَرِيدًا تَذُكَّرْ وَمَن يَكُنْ أَجْرَافًا يَخْرُوجُ مِّنْهَا جَمْعٌ لَّا تَحْصِيهِمُ الْجَنَّةُ إِنَّ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة].

٥ - البخل والشح:

* ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤].

* ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَبِينَا رَبُّهُ لَا يُؤْذِيهِ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

٦ - الجبن:

* ﴿وَإِنْ يَخْتَلَوْا فَلْيَنْقُلْهُمْ إِلَى جَنْبِ أَلَدْبَارِ ثُمَّ لَا يُصْرَفْ﴾ [آل عمران: ١١١].

* ﴿لَا يَنْقُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَدَّعٍ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٦].

[الحشر].

٧ - قسوة القلوب:

* ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

[البقرة: ٧٤].

* ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

* ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴿١٦﴾﴾

[المائدة].

٨ - العداوة والبغضاء:

* ﴿وَالَّذِينَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ﴾ [المائدة: ٦٤] - في

اليهود -.

* ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ﴾ [المائدة: ١٤]

- في النصارى -.

٩ - الذلة والمسكنة:

* ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ [البقرة: ٦١].

* ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تُلْقُوا لَّا يُفْعَلُوا مِن اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ

وَبَاءُ وَيَقْضَى مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

١٠ - السعي في الفساد:

* ﴿كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾

[المائدة: ٦٤].

١١ - نقض العهود:

* ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذْهُ فِرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة].

* ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٥].

* ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنُهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

١٣ - الدعاوى العريضة الكاذبة:

* ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلُوبَهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨]

* ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ثانياً: حكم الإسلام في معاملة أهل الكتاب:

بناءً على الحكم العقدي الواضح في كفر أهل الكتاب وفسقهم وضلالهم ورغبتهم عن ملة إبراهيم، واستنكافهم عن اتباع خاتم المرسلين ﷺ، جاءت أحكام الشريعة الإسلامية بمعاملتهم معاملة تجمع بين التزام الحق ولزوم العدل؛ بين تمييز أهل الإيمان وإظهار شرفهم وعلوهم، لشرف الحق الذي يحملونه، ليظهره الله على الدين كله، وبين منع الظلم والاستطالة بغير حق على من يعيش في كنف المسلمين، ويستظل بولايتهم ملتزماً شرائطهم العادلة المنصفة.

وقد كان يعيش في أطراف الجزيرة العربية، وبعض نواحيها قبائل من أهل الكتاب كنصارى تغلب، ونصارى نجران، ويهود خيبر وفدك بعد إجلاء اليهود من المدينة إبان العهد النبوي، ولما فتح الخلفاء الراشدون الأمصار كان عامة أهل العراق والشام ومصر من أهل الكتاب. فما ضاقت بهم شريعة الله، ولم يحتر المسلمون في معاملتهم، ولم يحتاجوا إلى ما عرف في التاريخ القديم والحديث بعمليات التطهير العرقي والديني. وفي ذات الوقت لم يتخل أهل الإسلام عن خصائص دينهم، أو يتأثروا بجمهورهم الكثيف في بداية حركة الفتح الإسلامي. بل لزموا موازنة دقيقة منصفة عادلة مستمدة من

كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، لَقَّحت عقول المجتهدين من أئمة الفقه وولاة المسلمين، حتى تكون ما عرف به «أحكام أهل الذمة».

ونثبت فيما يلي طائفتين من الأحكام المتعلقة بمعاملة أهل الكتاب:

الطائفة الأولى: في الأحكام المقصودة لحفظ الدين، وتميز المسلمين.

والطائفة الثانية: في الأحكام المقصودة لحفظ الحق وقيام العدل والإحسان.

ثم نتبعه ببيان الفارق الدقيق بين هذين المقصودين، وميزان العدل بين هاتين الكفتين الذي خفي على كثير من الناس فوقع بعضهم في الإفراط وبعضهم في التفريط.

١ - الأحكام المتعلقة بحفظ الدين وتميز المسلمين:

١ - كون الدين كله لله بإسلامهم أو إعطائهم الجزية أو قتالهم:

* ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة].

* ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال].

* ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة].

* عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله.

اغزوا ولا تَغْلُوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا. وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنمة والفىء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...»^(١) الحديث.

* وعند معاذ بن جبل^(٢) رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً أو تبعة، ومن كل أربعين مسنة، ومن كل حالم ديناراً أو عدله مَعَاْفِر^(٣).

وعلى ذلك درج الخلفاء الراشدون أثناء الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام والعراق ومصر. فصار قوادهم يرمون اليهود والاتفاقيات الملزمة لأهل الكتاب الباقيين على دينهم، بدفع الجزية للمسلمين مع إقرارهم على أموالهم وعقارهم ومعابدهم، واعتبارهم «أهل ذمة». قال ابن

(١) رواه مسلم: (١٣٥٧/٣).

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمن، من أعيان الصحابة. شهد بدرًا وما بعدها. وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن. مات بالشام سنة ثمان عشرة. تقريب التهذيب (٢/٢٥٥).

(٣) رواه الترمذي: (١١٥/٣)، والنسائي: (٢٦/٣)، وأبو داود: (٢٣٤/٢) - (٢٣٥) وقال عن المعافر: (ثياب تكون في اليمن). وقال ابن حجر: (وصححه ابن حبان والحاكم) بلوغ المرام من أدلة الأحكام: ابن حجر، أحمد بن علي، العسقلاني. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية. بيروت (٢٧٥).

القيم عليه السلام: (فالجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلاً وصغاراً.. واختلف الناس في تفسير «الصغار» الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية. فقال عكرمة^(١): أن يدفعها وهو قائم، ويكون الآخذ جالساً. وقالت طائفة: أن يأتي بها بنفسه ماشياً لا راكباً، ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويجر إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف، ثم تجريده ويمتهن.

وهذا كله مما لا دليل عليه. ولا هو مقتضى الآية، ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك. والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم بجريان أحكام الملة عليهم، وإعطاء الجزية، فإن التزامهم ذلك هو الصغار^(٢).

هذا هو المقصود الأعظم، والهدف الأساسي من فرض الجزية كما نطقت بذلك النصوص. فهي مظهر جلبي لكون الدين كله لله، واستسلام العباد لأمره، وكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقد تقترن بهذا الهدف مقاصد أخرى من مقتضى عقد الذمة، وهي الحماية والمنعة المكفولة من قبل الدولة الإسلامية لأهل ذمتها، ومن أجل ذلك رد أبو عبيدة^(٣)، عامر بن الجراح رضي الله عنه ما أخذه من

(١) عكرمة: مولى ابن عباس، وثقه جماعة، واعتمده البخاري. أما مسلم فلم يخرج له إلا قليلاً مقروناً بغيره، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. توفي سنة ١٠٥ هـ. ميزان الاعتدال (١٣/٤).

(٢) «أحكام أهل الذمة» ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. تحقيق: د. صبحي الصالح. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الرابعة ١٩٩٤م. (٢٢/١ - ٢٤). (٢٢/١ - ٢٤).

(٣) عامر بن عبد الله بن الجراح، القرشي، الفهري، أبو عبيدة أحد العشرة، أسلم قديماً، وشهد بدرأ. مات شهيداً بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنة. تقريب التهذيب (٣٨٨/١).

الجزية على أهل الشام لما بلغه اجتماع جحافل الروم لحرب المسلمين، فخشي ألا يفي بما وعدهم من الحماية: (فكتب أبو عبيدة إلى كل والٍ ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج)^(١): قال الماوردي^(٢) رحمته الله: (يجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقرؤا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقان: أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمينين، وبالحماية محروسين)^(٣).

ويجنح كثير من الكتاب المسلمين المعاصرين إلى «الاعتذار» عن الإسلام! لفرضه الجزية على أهل الكتاب، بألوان متكلفة من التوجيهات والاستنباطات، وربما صح بعضها تبعاً، لا استقلالاً، في حين يغضون الطرف عن الحكمة الأصيلة في هذا التشريع، وهي إذلال الكفار وإظهار صغارهم^(٤). ولا ريب أن هذا المنحى إنما هو نتيجة للهزيمة

(١) كتاب الخراج: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم. المطبعة السلفية - القاهرة. الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ. (١٥٠).

(٢) الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن، الماوردي. أفضى قضاء عصره. من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة. ثم جعل «أفضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي. توفي في بغداد. من كتبه: أدب الدنيا والدين، والنكت والعيون، والأحكام السلطانية. وغيرها. انظر: الأعلام (٣٢٧/٤).

(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. تخريج وتعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي. دار الكتاب. بيروت. (٢٥٤).

(٤) انظر على سبيل المثال: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د. يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة السادسة (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م). (٣٤ - ٣٦).

النفسية والحضارية التي يعيشها المسلمون في هذا الزمان. ويقابل هذا الانكسار المعاصر تساؤلٌ يَرِدُ في قلوب المسلمين الأولين: هل في إبقاء أهل الكتاب بين ظهرائي المسلمين بالجزية، ما ينافي كون كلمة الله هي العليا، وكون الدين لله؟ ويجيب ابن القيم رحمته الله قائلاً: (ليس في إبقائهم بالجزية ما يناقض هذا المعنى، كما أن إبقاء أهل الكتاب بالجزية بين ظهور المسلمين لا ينافي كون كلمة الله هي العليا، وكون الدين كله لله. فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره، وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم، فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزمهم، وإقامة دينهم كما يحبون، بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة. والله أعلم^(١)).

ويلتحق بهذا الأصل العظيم؛ كون الدين كله لله، وكون كلمة الله هي العليا، خضوع أهل الذمة لأحكام الشرع العام في الدماء والأموال والأعراض، وعدم مضايقة المسلمين بالاستعلان بشعائهم الظاهرة. وما سوى ذلك من الأمور التعبدية والشخصية والاجتماعية فيما بينهم فهم أحرار، إلا أن يحتكموا إلينا.

وقد ألحق ابن القيم رحمته الله ذكر الشروط العمرية وأحكامها وموجباتها وشرحها في آخر كتاب «أحكام أهل الذمة» وأشاد بها، وقوى من شأنها فقال: (وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم، وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها)^(٢). وسياق هذه الشروط يعطي المتفقه حدود المعالم الرئيسية لمعاملة أهل الكتاب، ودينونتهم لحكم الإسلام. وقد رواها

(١) أحكام أهل الذمة: (١/١٨).

(٢) أحكام أهل الذمة: (٢/٦٦٣ - ٦٦٤).

عبد الله ابن الإمام أحمد^(١) بسنده أن أهل الجزيرة كتبوا إلى عبد الرحمن بن غنم^(٢): «إنا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا، على أننا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة، ولا في ما حولها ديراً ولا قلاية^(٣) ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا، ولا ما كان منها في خطط المسلمين، وأن لا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، ولا نكتم غشاً للمسلمين، وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألا نخرج صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين، وألا نخرج باعوثاً - قال: والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر - ولا شعانين^(٤)، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمر، ولا نظهر شركاً، ولا نرغب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً، ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين، وألا نمنع أحداً من أقربائنا أرادوا

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن، ولد سنة ٢١٣هـ، من حفاظ الحديث المتقنين، وهو راوي المسند عن أبيه، وله زوائد المسند، وله أيضاً زوائد الزهد على كتاب الزهد لأبيه وله مسائل عن أبيه. ومن كتبه أيضاً «السنة» توفي سنة ٢٩٠هـ. الأعلام (٤/٦٥)، تهذيب التهذيب (٥/١٤١)، الطبقات لأبي يعلى (١/١٨٠)، التيمورية (٢٣٦٢)، الرسالة المستطرفة (١٦).

(٢) عبد الرحمن بن غنم الأشعري. مختلف في صحبته وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين. مات سنة ثمان وسبعين. تقريب التهذيب (١/٤٩٤).

(٣) القلاية: مسكن الأسقف «يونانية» المنجد في اللغة (٦٥٢).

(٤) الشعانين: عيد الأحد الذي قبيل الفصح «عبرانية» مأخوذ من: «هوشيعه نا» أي خلصنا. المنجد في اللغة (٣٣٦).

الدخول في الإسلام، وأن نلزم زَيْنًا حيث كنا، وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجزم مقادير رؤوسنا، ولا نفرق نواصينا، ونشد الزناير^(١) على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدتهم الطريق، ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس، ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا يشارك أحدٌ منا مسلماً في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام، ونطعمه من أوسط ما نجد. ضمنا لك ذلك على أنفسنا وذرائعنا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا، وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق.

فكتب بذلك عبد الرحمن بن غنم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر: (أن امض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين، اشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم: ألا يشتروا من سبايانا. ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده) فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك، وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط^(٢).

ورغم ما قيل في شأن هذه الشروط من ناحية الثبوت، أو من الناحية الموضوعية فقد ظلت المرجع الأساسي لفقهاء الأمة^(٣).

(١) الزناير: جمع زُنَّار وزُنَّارة: ما يشد على الوسط «يونانية». المنجد في اللغة (٣٠٨).

(٢) عن أحكام أهل الذمة: (٦٥٧/٢ - ٦٦١).

(٣) ذكر ابن حزم هذه الشروط في مراتب الإجماع: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. دار الكتب العلمية. بيروت. (١١٥). ورواها بسنده عن =

يقول الماوردي: (ويشترط عليهم في عقد الجزية شرطان، مستحق ومستحب:

أما المستحق فسته شروط:

أحدها: ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له.

والثاني: ألا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب له ولا ازدراء.

والثالث: ألا يذكروا دين الإسلام بدم له ولا قدح فيه.

والرابع: ألا يصيبوا مسلمة بزنا لا باسم نكاح^(١).

والخامس: ألا يفتنوا مسلماً عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ولا دينه.

والسادس: ألا يعينوا أهل الحرب، ولا يودوا أغنياءهم^(٢).

فهذه الستة حقوق ملتزمة، فتلزمهم بغير شرط، وإنما تشترط إشعاراً لهم وتأكيذاً لغلظ العهد عليهم، ويكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم.

وأما المستحب فسته أشياء:

أحدها: تغيير هياتهم بلبس الغيار، وشد الزنار.

= عبد الرحمن بن غنم، في المحلى: (٣٤٦/٧ - ٣٤٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٢/٩). وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم». وقال بعدها: «رواه حرب بإسناد جيد» ثم قال: (وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم. وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين، وأصحابهم وسائر الأئمة) (٣٢٦/١ - ٣٢٧).

(١) في العبارة خفاء. ولعلها: (ولا باسم نكاح) أو (ولو باسم نكاح).

(٢) في العبارة خفاء. ولعلها: (ولا يؤووا عيونهم)، فقد جاء في ما يلزم الذمي عند أبي يعلى: (ولا يؤوي للمشركين عيناً، أعني جاسوساً). الأحكام السلطانية ١٥٨، فربما جرى تصحيف من النساخ.

والثاني: ألا يعلوا على المسلمين في الأبنية، ويكونوا إن لم ينتصوا مساوين لهم.

والثالث: أن لا يسمعوهم أصوات نواقيسهم، ولا تلاوة كتبهم، ولا قولهم في عزير والمسيح.

والرابع: ألا يجاهروهم بشرب خمرهم، ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم.

والخامس: أن يخفوا دفن موتاهم، ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة.

والسادس: أن يمنعوا من ركوب الخيل عتاقاً وهجاناً، ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير.

وهذه الستة المستحبة لا تلزم بعقد الذمة حتى تشتط فتصير بالشرط ملتزمة، ولا يكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم، لكن يؤاخذون بها إجباراً ويؤدبون عليه زجراً، ولا يؤدبون إن لم يشترط ذلك عليهم^(١).

والناظر في هذه الشروط من خلال الأصول العامة للشريعة، والنصوص الواضحة بإلزام أهل الذمة الذلة والصغار، وأن الإسلام يعلو ولا يعلو عليه يدرك أنها ذات أصل عُمرى راشدى مستضىء بنور الكتاب والسنة. أما ما غص به بعض الكتاب المحدثين واستثقلوه منها، أو اجتهدوا في توجيهها توجيهاً لا يتفق ومقاصد الشرع فإنما جاء نتيجة لضغط الواقع المرير والضعف البالغ الذي منى به المسلمون في هذه الأزمنة، والله المستعان.

(١) الأحكام السلطانية: (٢٥٨ - ٢٦٠)، وانظر أيضاً: الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء: (١٥٨).

٢ - عدم موالاتهم أو انتمانهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ۝﴾ [آل عمران].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ هَآتَنَّمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَنْكُمُ الْآنَابِيلَ مِنَ الْقَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعْلَمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾ إِن تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْفَ تَمُوتُوا وَإِن تَصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا تَشْتَقُوا لَا يَفْرَحُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْعًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝﴾ [آل عمران].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَبَاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمُ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ مُؤْمِنِينَ ۝﴾ [المائدة].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [المائدة].

* ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّهُمْ فِي رُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رِضَىٰ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [المجادلة].

* فنهى المؤمنون عن موالاة الكفار عموماً، وأهل الكتاب خصوصاً، ومعنى الموالاة في اللغة القرب والنصر والحلف. قال الجوهري^(١) في مادة «ولي»: (الولي: القرب والدنو. يقال: تباعد بعد

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، لغوي، من الأئمة، ومن أشهر مؤلفاته:

الصحاح، وله كتاب في العروض، ومقدمة في النحو. مات سنة ٣٩٣هـ. =

ولي.. والولي: ضد العدو. يقال منه: تولاه.. والموالة ضد المعادة والولاية والولاية: النصره. يقال هم علي ولاية: أي مجتمعون في النصره^(١). وقال ابن جرير رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ ءَوْلِيَاءَ مِنْهُمْ ءُولِيَآءُ بَعْضُهُمْ ءَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ اِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ﴾ [المائدة، ٥١]، بعد أن ذكر أقوالاً في سبب نزولها: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريثان)^(٢).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران] (يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم، يقول: من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين، وإنما جعل البطانة مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسرارهِ وما يطويه عن أباَعده، وكثير من أقاربه، محل ما ولي جسده من ثيابه)^(٣)، ثم بين أن المعنيين بذلك هم أهل الكتاب من يهود بني

= الأعلام (١/٣١٣)، معجم الأدباء (٢/٢٦٩)، النجوم الزاهرة (٤/٢٠٧)، لسان الميزان، (١/٤٠٠)، إنباء الرواة (١/١٩٤)، يتيمة الدهر (٤/٢٨٩).

(١) الصحاح: (٦/٢٥٢٨).

(٢) جامع البيان: (٦/٢٧٦).

(٣) جامع البيان: (٤/٦٠).

إسرائيل وليس المنافقين أو المشركين^(١).

وهكذا فهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي شهد عهده فتوح الأمصار وانضواء أهل الكتاب تحت عقد الذمة، فكان شديد الحرص والحيلة على عدم موالاتهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وزجر عماله ونوابه على استعمالهم على مصالح المسلمين الخاصة. ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن أبي حاتم^(٢) بسنده قال: (قيل لعمر بن الخطاب: إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً فلو اتخذته كاتباً. قال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين)^(٣)، وعقب ابن كثير رحمه الله قائلاً: (ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استتالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يغشوها إلى الأعداء من أهل الحرب)^(٤). وقد أفاض ابن القيم رحمه الله في سرد مواقف بعض الخلفاء من أهل الذمة، حين رأوا منهم نفوذاً واستتالةً على المسلمين في دولة بني أمية وبني العباس وانتهاءً بدولة بني أيوب^(٥). ونختار منها قطعةً نسخها رحمه الله من كتاب للخليفة العباسي المتوكل^(٦) إلى عماله،

(١) جامع البيان: (٦٣/٤ - ٦٤).

(٢) عبد الرحمن بن محمد، أبي حاتم، ابن إدريس بن المنذر التيمي الحنظلي، الرازي، أبو محمد ولد سنة ٢٤٠هـ، حافظ للحديث، من كبارهم. له تصانيف منها: الجرح والتعديل، والتفسير، والرد على الجهمية. وغيرها توفي سنة ٣٢٧هـ. الأعلام (٣/٣٢٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (٥٠٠/٢) وصحح المحقق إسناده.

(٤) تفسير القرآن العظيم: (٣٩٨/١).

(٥) انظر: أحكام أهل الذمة: (٢٠٨ - ٢٤٤).

(٦) جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون (الرشيد)، أبو الفضل خليفة عباسي، ولد ببغداد وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة (٢٣٢هـ)، ولما استخلفه كتب إلى أهل بغداد كتاباً بترك الجدل في القرآن، وأن الذمة =

يقول فيه بعد مقدمة زاخرة بالآيات القرآنية في تحريم موالاة أهل الكتاب وائتمانهم: (... وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأي لهم ولا روية يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين، ويسلطونهم على الرعية فيعسفونهم، ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم، والعدوان عليهم، فأعظمَ أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبره، وتبرأ إلى الله منه، وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسبه والنهي عنه، ورأى أن يكتب إلى عماله على الكُور والأمصار، وولاية الثغور والأجناد في ترك استعمالهم للذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم، والإشراك لهم في أماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه، وجعل في المؤمنين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين، وحسن الرعاية لما استرعاهم، والكفاية لما استكفوا، والقيام بما حملوا، ما أغنى عن الاستعانة بالمشركين بالله، المكذبين برسله، الجاحدين لآياته الجاعلين معه إلهاً آخر، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ورجاء أمير المؤمنين بما ألهمه الله من ذلك، وقذف في قلبه، جزيل الثواب، وكريم المآب، والله يعين أمير المؤمنين على نيته في تعزيز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وحزبه، فليعلم هذا من رأي أمير المؤمنين، ولا يستعان بأحد من المشركين، وإنزال أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله تعالى بها. فاقراً كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشعه فيهم، ولا يعلمن أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة في عمل. والسلام^(١).

ثم خلاص ابن القيم رحمته الله إلى القول: (ولما كانت التولية شقيقة الولاية كانت توليتهم نوعاً من توليهم، وقد حكم تعالى بأن من تولاهم

= بريئة ممن يقول بخلقه أو غير خلقه. توفي سنة (٢٤٧هـ). الأعلام (٢/ ١٢٧)، تاريخ بغداد (٧/ ١٦٥)، تاريخ الطبري (١١/ ٢٦ - ٦٢).

(١) أحكام أهل الذمة: (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً، والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً، والولاية صلة، فلا تجامع معاداة الكافر أبداً^(١).

٣ - تحريم محبتهم وموادتهم ومؤاخاتهم:

■ قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المجادلة]، وأي محادّة لله تعالى أعظم من الشرك به ووصفه بالنقائص والعيوب، تعالى عما يقولون علواً عظيماً! وأي محادّة لرسوله ﷺ أعظم من تكذيبه وإنكار نبوته، ورد الحق الذي جاء به!.

■ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر^(٢): (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)^(٣).

والنصوص في هذا المعنى كثيرة. ومن عجب أن تنزلق السنة

(١) أحكام أهل الذمة: (٢٤٢/١).

(٢) أبو ذر: جندب بن جنادة بن سفيان، من بني غفار، من كبار الصحابة، أسلم قديماً قبل الهجرة وله فضائل ومناقب جمة، توفي بالربذة سنة ٣٢هـ.
الأعلام (١٤٠/٢)، طبقات ابن سعد (١٦١/٤)، الإصابة (٦٠/٧)، صفة الصفوة (٢٣٨/١)، حلية الأولياء (١٥٦/١)، الزريعة (٣١٦/١)، الكنى والأسماء (٢٨/١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير: (١٢٥/٣)، والبغوي في شرح السنة: (٣/٤٢٩). وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل) (٣٠٧/٤، ٧٣٥/٢).

بعض رفاق الدين المتعالمين فيطلقون وصف «الأخوة» على أهل الكتاب، فيرفع أحدهم عقيرته في المنتديات العامة، وفوق المنابر العالية قائلاً: إخواننا النصارى!! كيف وقد قال الله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة]، وقال: ﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

٤ - تحريم التشبه بهم:

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١). وهذا التشبه المنهي عنه، المذموم شرعاً، يشمل مماثلة أهل الكتاب ومضاهاتهم، ومجاراتهم في عقائدهم وعباداتهم وسلوكهم وعاداتهم التي يختصون بها، لما يوجب ذلك التشبه - ولو كان ظاهرياً - من الميل الباطني. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (... إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك. وأمور ظاهرة: من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم

(١) رواه أحمد في المسند: (٥٠/١)، وأبو داود (٣١٤/٤)، وجود سننه ابن تيمية، وحسنه ابن حجر. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٤٠/١)، والفتاوى (٣٣١/٢٥) وفتح الباري (٩٨/٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير من حديث البشير النذير: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة الحلبوني. دمشق. برقم (٦٠٢٥).

بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

وقد بعث الله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشريعة والمنهاج الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يبين سبيل المغضوب عليهم، والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة، لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضياً لذلك إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن أسباب الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقيق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين، وأعدائه الخاسرين. وكلما كان القلب أتم حياء وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام - لست أعني مجرد التوسم ظاهراً أو باطناً بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة، كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطناً وظاهراً أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحاً محضاً لو تجرد عن

مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم، كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له^(١).

وقد أسس شيخ الإسلام رحمه الله كتابه العظيم - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - على هذا الأصل الكبير، وساق جملة كبيرة من النصوص الدالة على منع التشبه بالقوم ظاهراً وباطناً.

٤ - الحذر من كتبهم ومروياتهم:

تقدم ذكر الآيات الدالة على تحريفهم للكلم من بعد مواضعه، وكتابهم الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله، محضاً لم يُشَبَّ، قد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا، فكتبوا بأيديهم، قالوا: هو من عند الله، ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم! فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم)^(٢).

* وعن جابر^(٣) بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ فغضب، فقال: (أمتهكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم بشيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: (١/ ٨٠ - ٨٢).

(٢) صحيح البخاري: (٨/ ٢٠٨).

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ له ما يقرب من ١٥٤٠ حديثاً. توفي سنة ٧٨ هـ. الأعلام (٢/ ١٠٤)، الإصابة (١/ ٢١٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١٤٢).

أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني^(١).

* وفي رواية: (فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا)^(٢).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة فسكت. فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير. فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال: أعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسول الله ﷺ، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً. فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده! لو بدا لكم موسى، فاتبعتموه وتركتموني، لضللتكم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني)^(٣).

* وعن أبي نملة الأنصاري^(٤) رضي الله عنه أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، فقال: يا محمد: هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: الله أعلم. قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله. فإن كان حقاً لم

(١) رواه أحمد. المسند: (٣/٣٨٧)، وقد استقصى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني طرقه وشواهده وخلص إلى القول: (هو على أقل تقدير حديث حسن). ووصف في فتوى اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية رقم (١٩٤٠٢) في ١٤١٨/١/٢٥ هـ بالثبوت.

(٢) رواه أحمد. المسند: (٣/٣٣٨).

(٣) رواه الدارمي في المقدمة: (١١٥).

(٤) أبو نملة الأنصاري، صحابي اختلف في اسمه فقيل عمار، وقيل عمر، وقيل عمارة، وهو ابن معاذ بن زرارة من بني ظفر من الأوس شهد أحداً، وقيل شهد بدرأ. انظر: تقريب التهذيب (٢/٤٨٢).

تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم^(١).

فيجب الحذر من كتبهم ومروياتهم وآثارهم، وهي ما أطلق عليه المسلمون «الإسرائيليات»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (هذه الأحاديث الإسرائيلية، تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا، مما يشهد له بالصدق، فذاك

صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته، لما تقدم^(٢)، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لأمر ديني^(٣).

٥ - تحريم بداءتهم بالسلام، وتقديمهم في المرور أو العبور ونحو ذلك:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه^(٤).

* وعن أبي بصرة^(٥) رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (إنا غادون إلى يهود فلا تبدؤوهم بالسلام، فإذا سلموا عليكم: فقولوا: وعليكم)^(٦).

(١) رواه أحمد. المسند: (١٣٦/٤). وأبو داود: (٥٩/٤).

(٢) يعني حديث: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) رواه البخاري: (٤/١٤٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٦٦/١٣ - ٣٦٧).

(٤) صحيح مسلم: (١٧٠٧/٤).

(٥) أبو بصرة، حُمَيْل وقيل جُمَيْل بن بصرة بن وقاص، أبو بصرة الغفاري، صحابي سكن مصر ومات بها. تقريب التهذيب (٢٠٥/١).

(٦) مسند الإمام أحمد (٣٩٨/٦). وقال محققوه: (حسن). انظر: الجزء الثالث من المجلد السادس: (٤٧٥).

قال ابن القيم رحمته الله: (والمقصود أن السلام اسمه ووصفه وفعله، والتلفظ به ذكر له.. فحقيق بتحية هذا شأنها أن تصان عن بذلها لغير أهل الإسلام، وألا يحيى بها أعداء القدوس السلام. ولهذا كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار: «سلام على من اتبع الهدى» ولم يكتب لكافر: «سلام عليكم» أصلاً. فلهذا قال في أهل الكتاب: «لا تبدؤوهم بالسلام»^(١).

(وأما الرُّدُّ عليهم فأمر أن يقتصر به على «عليكم»... هذا كله إذا تحقق أنه قال السَّامَ عليكم، أو شك فيما قال. فلو تحقق السامع أن الذي قال له: «سلام عليكم» لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام؟ أو يقتصر على قوله: «وعليك»؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام. فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَابٍ فَقِوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فندب إلى الفضل وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما^(٢).

٦ - تحريم تهنئتهم بشعائر الكفر وأعيادهم الدينية:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٥٩] ولا ريب أن أعيادهم الدينية حافلة بترداد عبارات الكفر والشرك، فلا يشاركهم فيها، ويقرهم عليها، ويهنتهم بها إلا منافق ما قدر الله حق قدره. قال ابن القيم رحمته الله: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به، فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنتهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك

(١) أحكام أهل الذمة: (١/١٩٧).

(٢) أحكام أهل الذمة: (١/١٩٧ - ١٩٩).

عليك، أو: تهنأ بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة فقد تعرض لمقت الله وسخطه^(١).

٧ - تحريم دخولهم الحرم وإقامتهم بجزيرة العرب:

* قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة] قال الماوردي رحمته الله: (أن ليس لجميع من خالف دين الإسلام من ذمي أو معاهد أن يدخل الحرم، لا مقيماً فيه ولا ماراً به، وهذا مذهب الشافعي^(٢) رحمته الله وأكثر الفقهاء. وجوز أبو حنيفة^(٣) دخولهم إليه إذا لم يستوطنوه^(٤)).

(١) أحكام أهل الذمة: (٢٠٥/١ - ٢٠٦).

(٢) الإمام محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي المطلبي القرشي، أبو عبد الله، ولد سنة ١٥٠هـ وجمع بين الفقه والحديث والتقى والورع، له «الرسالة» و«الأم» وغيرها، توفي سنة ٢٠٤هـ.

الأعلام (٢٦/٦)، تذكرة الحفاظ (٣٢٩/١)، تهذيب التهذيب (٢٥/٩)، الوفيات (٤٤٧/١)، غاية النهاية (٩٥/٢)، تاريخ بغداد (٥٦/٢ - ٧٣).

(٣) النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ٨٠هـ، وتنسب إليه رسالة «الفقه الأكبر»، توفي سنة ١٥٠هـ.

الأعلام (٣٦/٨)، تاريخ بغداد (٣٢٣/١٣)، وفيات الأعيان (١٦٣/٢)، النجوم الزاهرة (١٢/٢)، البداية والنهاية (١٠٧/١٠)، الجواهر المضية (٢٦/١).

(٤) الأحكام السلطانية: (٢٩٠).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود: أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. فقال: ذلك أريد. ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله^(١).

فهذا دليل خاص على منع استيطانهم المدينة. قال الماوردي: (وأجلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل الذمة عن الحجاز، وضرب لمن قدم منهم - تاجراً أو صانعاً - مقام ثلاثة أيام، ويخرجون بعد انقضائها فجري به العمل، واستقر عليه الحكم، فمنع أهل الذمة من استيطان الحجاز، ولا يمكنون من دخوله، ولا يقيم الواحد منهم في موضع منه أكثر من ثلاثة أيام، فإذا انقضت صرف عن موضعه، وجاز أن يقيم في غيره ثلاثة أيام ثم يصرف إلى غيره، فإن أقام بموضع منه أكثر من ثلاثة أيام عُرِّرَ إن لم يكن معذوراً)^(٢).

* وعن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً)^(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: (لا يترك بجزيرة العرب دينان)^(٤).

(١) رواه البخاري: (٧٥/٨)، (٦٥/٤)، (١٥٦/٨)، ومسلم: (١٣٨٧/٣).

(٢) الأحكام السلطانية: (٢٩٢).

(٣) رواه مسلم: (١٣٨٨/٣).

(٤) مسند الإمام أحمد: (٢٧٥/٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣٢٥/٥):

(رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع).

* وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ (أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^(١).

وإنما أمر النبي ﷺ بإخراجهم مع كونه قد عقد معهم صلحاً، فلأنهم لم يفوا بشروطه، فأما أهل نجران فلا سلام بعضهم ثم رده. ولأنه ﷺ صالحهم على ترك الربا فنقضوا عهده. وأما يهود خيبر فلأنه ﷺ جعل عقد الصلح معهم جائزاً من جهته فقال: (نفركم بها على ذلك ما شئنا)^(٢)، وفي لفظ: (نفركم ما أفركم الله)^{(٣)(٤)}.

وهذه النصوص تدل على أهمية بقاء جزيرة العرب معقلاً للإسلام، وحوزةً يفيء إليها أهله، ويأرز إليها الدين، فلا غرو أن تكون بمنأى عن أعدائه لا يهتكون سترها ولا يستبيحون حماها. وسبحان العليم الحكيم.

ب - الأحكام المتعلقة بحفظ الحقوق، وقيام العدل والإحسان:

- عدم الإكراه في الدين:

* قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

* ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جِئِمًا فَانْتَكَبَ تَكْوَرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١) وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥٥﴾ [يونس].

* ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٦) [يوسف].

(١) مسند الإمام أحمد: (١/١٩٥).

(٢) رواه مسلم: (٣/١١٨٨).

(٣) رواه البخاري: (٣/١٧٧).

(٤) انظر: أحكام أهل الذمة: (١٧٥ - ١٩١).

قال ابن كثير في تفسير قوله: لا إكراه في الدين: (أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً^(١)).

وهكذا كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده يكتفون بالعرض والترغيب، ولا يكرهون أحداً على التزام الإسلام، ويكفون لبارئته.

* فعن وسق الرومي قال: (كنت مملوكاً لعمر، فكان يقول لي: أسلم، فإنك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإنه لا ينبغي أن أستعين على أمانتهم من ليس منهم، فأبيت، فقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فلما حضرته الوفاة أعتقني فقال: اذهب حيث شئت^(٢)).

٢ - الإحسان إليهم والعدل في معاملتهم وتحريم ادنيّتهم وحفظ ذمتهم:

* قال تعالى: ﴿لَا يَتَهَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝﴾ [المتحنة].

قال ابن جرير رحمه الله بعد سياق الأقوال في المعنيين بقوله: ﴿لَا يَتَهَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ﴾: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم

(١) تفسير القرآن العظيم: (١/٣١٠).

(٢) أحكام القرآن للجصاص: (٢/٤٤)، وانظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم: (١/٢١١).

وتصلوهم وتقسطوا إليهم، إن الله ﷻ عم بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَبْتَاعُوا فِي آلِ الَّذِينَ وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضاً دون بعض^(١).

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّيِمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

قال ابن جرير رحمه الله: (لا يحملنكم عداوة قومٍ على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم، وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة)^(٢).

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»^(٣).

* وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء - بيت المقدس -:

(هذا ما أعطى عبد الله عمر، أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود)^(٤).

(١) جامع البيان: (٦٦/٢٨).

(٢) جامع البيان: (١٤١/٦).

(٣) رواه البخاري: (٦٥/٤)، (٤٧/٨).

(٤) تاريخ الطبري: (٤٤٩/٢).

* قال موفق الدين بن قدامة^(١) رحمته الله في باب أحكام أهل الذمة: (وعلى الإمام حفظهم والمنع من أذاهم، واستنقاذ من أسر منهم) وشرحها شمس الدين بن قدامة^(٢) رحمته الله بقوله: (تلزمه حمايتهم من المسلمين وأهل الحرب وأهل الذمة، لأنه التزم بالعهد حفظهم، ولهذا قال علي عليه السلام: إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا. وقال عمر رضي الله عنه في وصيته للخليفة بعده: «وأوصيه بأهل ذمة المسلمين خيراً، أن يوفي لهم بعهدهم، ويحاطوا من ورائهم، ويجب فداء أسراهم، سواء كانوا في معونتنا أو لم يكونوا»^(٣).

* وقال ابن حزم^(٤) في مراتب الإجماع: (واتفقوا أن من أسره

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الجماعي المقدسي، ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين. ولد عام (٥٤١هـ) إمام في الفقه عالم بالحديث من تصانيفه: «المغني» و«روضة الناظر» و«الكافي» و«المقنع» وغيرها. مات سنة (٦٢٠هـ). انظر: الأعلام (٤/٦٧)، البداية والنهاية (١٣/٩٩)، شذرات الذهب (٥/٨٨)، ذيل الطبقات (٢/١٣٣).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الجماعي الأصلي، الصالح، الحنبلي، شمس الدين أبو الفرج، ولد سنة (٥٩٧هـ)، فقيه أصولي، محدث خطيب، ولد بسفح قاسيون في دمشق، وتفقه على عمه موفق الدين، وولي القضاء مدة تزيد على اثنتي عشرة سنة على كره منه، ثم عزل نفسه في آخر عمره. وتوفي بدمشق سنة (٦٨٢هـ). من تصانيفه: «شرح المقنع لعمه» و«تسهيل المطلب في تحصيل المذهب».

(٣) المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف: موفق الدين ابن قدامة، وشمس الدين ابن قدامة، وعلاء الدين المرداوي. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. هجر. مصر. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م). (١٠/٤٨٩).

(٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، ولد سنة (٣٨٤هـ)، وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، وكان يقال: «لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان» لسلطة لسانه، توفي سنة (٤٥٦هـ). من تصانيفه «الفصل في=

أهل الحرب من كبار أهل الذمة وصغارهم ونسائهم أن ذمتهم لا تنتقض بذلك ما لم يلحق مختاراً، وأنه إن ظفر المسلمون بالمأسورين المذكورين من أنهم لا يسترقون^(١).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في رسالته إلى سرجوان ملك قبرص:

(.. وقد عرف النصارى كلهم أنني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم غازان^(٢) وقطلو شاه^(٣)، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإننا نفتكهم، ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة، وأطلقنا من النصارى من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء على الله^(٤)).

* وجاء في وصية أبي يوسف^(٥) إلى هارون

= الملل والأهواء والنحل والمحلّى وملخص إبطال القياس وغيرها. الأعلام (٢٥٤/٤)، نفح الطيب (٣٦٤/١)، آداب اللغة (٩٦/٣)، إرشاد الأريب (٨٦/٥ - ٩٧)، لسان الميزان (١٩٨/٤)، اللباب (٢٩٧/١).

(١) مراتب الإجماع: (١٢٣).

(٢) غازان ويقال: «قازان» محمود بن أرغون بن بغا. أحد ملوك التتار. استولى على بلاد الشام واعتنق الإسلام سنة (٦٩٣هـ) وتوفي سنة (٧٠٣هـ). انظر: البداية والنهاية (٣٤٠/١٣، ٦/١٤، ٢٩).

(٣) الأمير سيف الدين قتلوق بك التشنكير الرومي. كان من أكابر الأمراء، وولي الحجوبية في وقت. وهو الذي عمر القناة بالقدس. توفي تسع وعشرين وسبعمئة. انظر: البداية والنهاية (١٤٥/١٤).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (٦١٧/٢٨ - ٦١٨).

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ولد سنة ١١٣هـ، يعد أول من نشر مذهب أبي حنيفة، كان فقيهاً =

الرشيدي^(١) رحمهما الله: (وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيديكم الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتقدم لهم حتى لا يظلموا، ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق وجب عليهم)^(٢).

٣ - حسن جوارهم:

* قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء].

واختار ابن جرير رحمه الله في معنى «الجنب» (الغريب البعيد، مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً)^(٣).

= علامة، ولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيدي، من كتبه «الخراج» و«الآثار» وهو مسند أبي حنيفة و«أدب القاضي» والجوامع وغيرها، توفي سنة ١٨٢هـ.

الأعلام (١٩٣/٨)، مفتاح السعادة (١٠٠/٢ - ١٠٧)، النجوم الزاهرة (٢/ ١٠٧)، البداية والنهاية (١٨٠/١٠)، الجواهر المضية (٢/ ٢٢٠)، تاريخ بغداد (٢٤٢/١٤).

(١) هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣هـ) هارون «الرشيدي» ابن محمد «المهدي» بن المنصور العباسي، أبو جعفر: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم. ولد بالري. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني Irene وافدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار سنوياً. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه. كان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه. فصيحاً، شجاعاً، كريماً، حازماً، متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة. رحمه الله. انظر: الأعلام (٦٢/٨).

(٢) الخراج: (١٣٤ - ١٣٥).

(٣) جامع البيان: (٨٠/٥).

* وعن مجاهد رضي الله عنه أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه)^(١).

٤ - عيادة مريضهم:

* عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعودُه فقعده عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار)^(٢)، وقيده بعض أهل العلم بقصد دعوته إلى الإسلام^(٣). ولعل في مجرد الزيارة والعيادة من تأليف قلبه، وإظهار محاسن الإسلام، ما يستقل بذلك.

٥ - القيام لجنازتهم:

* عن عبد الرحمن بن أبي ليلى^(٤) قال: كان سهل بن حنيف^(٥)، وقيس بن سعد^(٦) قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقال: إن النبي ﷺ

(١) رواه الترمذي: (١٢٤/٨ - ١٢٥). وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) صحيح البخاري: (٩٧/٢).

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة: (٢٠٠/١ - ٢٠٢).

(٤) عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، المدني، ثم الكوفي. ثقة. مات بوقعة الجماجم سنة ست وثمانين. تقريب التهذيب (٤٩٦/١).

(٥) سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري، الأوسي صحابي، من أهل بدر، استخلفه علي على البصرة. ومات في خلافته. تقريب التهذيب (٣٣٦/١).

(٦) قيس بن سعد بن عبادة، الخزرجي، الأنصاري صحابي جليل. مات سنة ستين تقريباً. تقريب التهذيب (١٢٨/٢).

مرت به جنازة فقام، ف قيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفساً؟»^(١).

* وعن جابر رضي الله عنه قال: (قام النبي ﷺ وأصحابه لجنازة يهودي حتى توارت)^(٢). وفي شهود جنازتهم وتعزيتهم تفصيل عند الفقهاء^(٣).

٦ - دخول مساجد المسلمين - سوى المسجد الحرام - للحاجة:

* قال ابن إسحاق^(٤): (وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة. فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير^(٥)، قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: (دعوه). فاستقبلوا المشرق. فصلوا صلاتهم)^(٦).

(١) صحيح البخاري: (٨٧/٢)، صحيح مسلم: (٦٦١/٢).

(٢) صحيح مسلم: (٦٦١/٢).

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة: (٢٠٢/١ - ٢٠٥).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، من أقدم مؤرخي العرب، له «السيرة النبوية» التي هذبها ابن هشام و«كتاب الخلفاء» و«المبدأ» توفي سنة (١٥١هـ). الأعلام (٢٨/٦)، تهذيب التهذيب (٣٨/٩)، إرشاد الأريب (٦/٣٩٩)، وتذكرة الحفاظ (١٦٣/١)، عيون الأثر (١٠/١)، ذيل المذيل (١٠٣).

(٥) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام، روى عن عميه عبد الله وعروة، وعنه ابن إسحاق وابن جريج وغيرهم، ثقة من الطبقة السادسة مات سنة بضعة عشرة مائة، وأخرج له الجماعة. تقريب التهذيب (٩٣/٩)، تقريب التهذيب (٤٧١) رقم (٥٧٨٢).

(٦) نقلاً عن زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت. الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). (٦٢٩/٣)، وانظر: تفسير ابن كثير: (٣٦٨/١ - ٣٧١). وصحاح ابن القيم القصة والصلاة في أحكام أهل الذمة: (١٨٧/١).

قال ابن القيم: (في فقه هذه القصة: ففيها: جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين. وفيها: تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك)^(١).

٧ - الصدقة والوقف على فقرائهم والوصية لهم:

* قال ابن القيم رحمته الله: (لا ريب أن الصدقة جائزة على مساكين أهل الذمة. والوقف صدقة. فها هنا وصفان: وصف يعتبر وهو المسكنة، ووصف ملغى في الصدقة والوقف وهو الكفر، فيجوز الدفع إليهم من الوقف بوصف المسكنة، لا بوصف الكفر)^(٢).

* وروى أبو عبيد القاسم بن سلام رحمته الله بسنده عن سعيد بن المسيب^(٤): (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق صدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجري عليهم)^(٥).

* وروى أبو يوسف بسنده: قال: مر عمر بن الخطاب بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر. فضرب عضده من خلفه

(١) زاد المعاد: (٣/٦٣٨).

(٢) أحكام أهل الذمة: (١/٣٠٠).

(٣) القاسم بن سلام الهروي الأزدي، أبو عبيد، مولده سنة ١٥٧هـ من كبار العلماء بالحديث والفقه، له «الأموال» و«الأمثال» و«غريب الحديث» وغيرها. توفي سنة ٢٢٤هـ. الأعلام (٢/١٧٦)، تذكرة الحفاظ (٢/٥)، تهذيب التهذيب (٧/٣١٥)، وفيات الأعيان (١/٤١٨).

(٤) سعيد بن المسيب بن حزن، أبو محمد، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. ولد سنة ١٣هـ وجمع بين الفقه والحديث والزهد والورع. وكان أحفظ الناس لأقضية عمر حتى سمي راوية عمر، توفي سنة ٩٤هـ. الأعلام (٣/١٠٢)، طبقات ابن سعد (٥/٨٨)، وفيات الأعيان (١/٢٠٦)، صفة الصفوة (٢/٤٤)، حلية الأولياء (٢/١٦١).

(٥) الأموال: (٦٠٥).

وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية، والحاجة، والسن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فوضع له بشيء من المنزل. ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذه عند الهرم. (إنما الصدقات للفقراء والمساكين)، والفقراء هم المسلمون، والمساكين من أهل الكتاب. فوضع عنه الجزية وعن ضربائه^(١).

وقال الإمام البخاري في صحيحه: (باب الوصية بالثلث. وقال الحسن: لا يجوز للذمي وصية إلا الثلث. وقال تعالى: ﴿وَأَن آخُكُمْ يَبْنِيَهُمْ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]^(٢).

٨ - الحقوق المعيشية في السكنى والتنقل والتكسب:

* قال ابن حزم في «مراتب الإجماع»: (واتفقوا أن لأهل الذمة المشي في أرض الإسلام، والدخول حيث أحبوا من البلاد حاشا الحرم بمكة، فإنهم اختلفوا أيدخلونه أم لا. واتفقوا على أن لهم سكنى أي بلد شاءوا من بلاد الإسلام على الشروط التي قدمنا حاشا جزيرة العرب)^(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (اشتري طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعاً من حديد)^(٤).

* وعن عائشة أيضاً قالت: كان على رسول الله ﷺ ثوبان قطريان غليظان فكان إذا قعد فغرق ثقلا عليه، فقدم برز من الشام لفلان

(١) الخراج: (١٣٦).

(٢) صحيح البخاري: (١٨٦/٣ - ١٨٧).

(٣) مراتب الإجماع: (١٢٢).

(٤) صحيح البخاري: (٨/٣).

اليهودي، فقلت: لو بعثت إليه فاشترت منه ثوبين إلى الميسرة، فأرسل إليه، فقال: قد علمت ما يريد. إنما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي. فقال رسول الله ﷺ: كذب. قد علم أنني من أتقاهم الله وأداهم للأمانة^(١).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمرٍ أو زرع)^(٢).

٩ - حل طعامهم ونسائهم:

* قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة].

فأما الطعام المذكور في الآية فالـم يختلف السلف أن المراد بذلك الذبائح^(٣).

وأما المحصنات هنا فالـهن العفاف^(٤) وتفاصيل هذين الحكمين في مظانها في كتب الفقه.

وفي تمييز أهل الكتاب عن سائر أصناف المشركين بهذين الأمرين من البر والإحسان وحسن المعاملة ما لا يخفى، وله آثارٌ حميدة في استمالة قلوبهم، وتقريبهم إلى دين الإسلام.

(١) رواه الترمذي: (٢١٧/٥). وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٢) صحيح البخاري: (٦٩/٣)، صحيح مسلم: (١١٨٦/٣).

(٣) أحكام أهل الذمة: (٢٤٥/١).

(٤) أحكام أهل الذمة: (٤١٩/٢).

١٠ - تشميت عاظمهم:

* عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كانت اليهود تعاظم عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لها: يرحمكم الله فكان يقول: يهديكم الله، ويصلح بالكم^(١).

هذه الموازنة الدقيقة التي جاء بها الإسلام بين النهي عن موالاة الكافرين وموادتهم، والحث على برهم والإحسان إليهم وإيجاب العدل معهم، تشكل على كثير من الناس فيفضي به الأمر إما إلى أعمال الطائفة الأولى من النصوص والغض عن الطائفة المقابلة، فيقع في ظلم أهل الكتاب - سوى الحربيين - والعنف معهم وجفوتهم وأذيتهم، وإما إلى أعمال الطائفة الثانية من النصوص والإغراق في مداينة أهل الكتاب وموادتهم حتى تتعطل دلالة النصوص الأولى، ويختلط عليهم أمر الولاء والبراء، ينقض أوثق عرى الإيمان.

وقد تنبه الفقيه المالكي أبو العباس القرافي^(٢) رحمته الله لهذا الاشتباه الخطير فعقد فصلاً في كتابه القيم «الفروق» نقله بطوله لأهميته وبيانه، فقال: (الفرق التاسع عشر والمائة بين قاعدة بر أهل الذمة، وبين قاعدة التودد لهم).

اعلم أن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ

(١) رواه أبو داود: (٢٩٢/٥)، والترمذي: (١٩٨/١٠ - ١٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) القرافي: (٥٠٠ - ٦٨٤هـ) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي. من علماء المالكية. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول. منها: أنوار البروق في أنواء الفروق، والذخيرة في فقه المالكية، والأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، وغيرها. انظر: الأعلام (٩٥/١).

جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِي وَآيَتَاءَ مَرْضَاتِي يُشْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ [المتحنة] فمنع الموالاة والتودد. وقال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٢﴾ [المتحنة] وقال في حق الفريق الآخر: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٣﴾ [المتحنة] وقال ﷺ: «استوصوا بأهل الذمة خيراً»^(١)، وقال في حديث آخر: «استوصوا بالقبط خيراً»^(٢). فلا بد من الجمع بين هذه النصوص، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان ملبسان فيحتاجان إلى الفرق.

وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا، وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام. وكذلك حكى ابن حزم في مراتب الإجماع له: أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة. وحكى في ذلك إجماع الأمة^(٣). فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صوناً لمقتضاه عن الضياع، إنه لعظيم. وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة تعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر،

(١) لم أجده.

(٢) لم أجده.

(٣) لم أجد هذا النقل في «مراتب الإجماع» ولعل ذلك بسبب اختلاف النسخ.

فمتى أدى إلى هذين، امتنع وصار من قبل ما نهى عنه في الآية وغيرها. ويتضح ذلك بالمثل: فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذٍ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها، هذا كله حرام. وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق، وأخلىنا لهم واسعها ورحبها والسهل منها، وتركنا أنفسنا في خسيها وحزنها وضيقها، كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس، والولد مع الوالد، والحقير مع الشريف، فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر، وتحقير شعائر الله تعالى وشعائر دينه واحتقار أهله. ومن ذلك تمكينهم من الولايات والتصرف في الأمور الموجبة لقهر من هي عليه، أو ظهور العلو وسلطان المطالبة، فذلك كله ممنوع وإن كان في غاية الرفق والأناة أيضاً، لأن الرفق والأناة في هذا الباب نوع من الرئاسة والسيادة وعلو المنزلة في المكارم، فهي درجة رفيعة أوصلناهم إليها، وعظمتناهم بسببها، ورفعنا قدرهم بإيثارها، وذلك كله منهى عنه، وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادماً ولا أجيراً يؤمر عليه وينهى، ولا يكون أحد منهم وكيلاً في المحاكمات على المسلمين عند ولاية الأمور، فإن ذلك أيضاً إثبات لسلطانهم على ذلك المسلم. وأما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنية؛ فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منا بهم، لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمور دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانون على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع

عدوه، فإن ذلك من مكارم الأخلاق. فجميع ما فعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل لا على وجه العزة والجلالة منا^(١)، ولا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا ﷺ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دماننا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لرينا ومالكنا عز وجل. ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالاً لأمر ربنا عز وجل وأمر نبينا ﷺ، لا محبة فيهم، ولا تعظيماً لهم، ولا نظهر آثار تلك الأمور التي نستحضرها في قلوبنا من صفاتهم الذميمة. لأن عقد العهد يمنعنا من ذلك، فنستحضرها حتى يمنعنا من الود الباطن لهم المحرم علينا خاصة^(٢).

هذا هو الفقه بعينه، الذي يجري جميع النصوص مجراها، ولا يضرب بعضها ببعض، أو يُعمل بعضها ويلغي الآخر. إنه فهم دقيق، وتميز واع بين الاعتقاد الباطن وما يستلزمه، والعدل الظاهر وما يقتضيه. فله دره.

ومن المؤسف أن كثيراً من الكتاب المعاصرين يجتزئ ما يعجبه ويوافق هواه من كلام هذا الإمام، ويهمل ذكر باقيه مما لا يتم المعنى إلا به، فيبرز الجمل العظيمة المتضمنة بر أهل الذمة والإحسان إليهم، ويسوقها باسم تسامح الإسلام، ويضرب صفحاً عن عباراته القوية الإيمانية في التبرؤ القلبي من موادتهم وموالاتهم.

وفي هذا عدوان على النصوص، وتجن على هذا الإمام، وغش للأمة حيث حجب عنها كامل الحقيقة، وحرّمها هذا الفرقان المبين، والله المستعان.

(١) هكذا في الأصل. ولعل صوابها: (من هذا القبيل على وجه العزة والجلالة منا، لا على وجه التعظيم....).

(٢) الفروق: القرافي، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي. دار المعرفة. بيروت. (١٤ - ١٦).

المبحث الرابع

«موقف أهل الكتاب من الإسلام»

لقد كان أولى الناس باتباع محمد ﷺ، أهل الكتاب. وذلك لأسباب:

أحدها: أنه البشارة المرتقبة التي زفّها الأنبياء قبله إلى أقوامهم، فتعلقت أفئدتهم بذلك النبي المنتظر، الذي خلعت عليه وعلى أتباعه أجل الأوصاف، وأكرم المعاني، على نحو ما سنذكر بعد قليل.

والثاني: أنه البيئة التي بها افتكاكهم من دوامة الخلاف المرير الذي مزقهم كل ممزق، حتى كفر بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً.

والثالث: أنه فتح لأهل الإيمان على أهل الشرك والأوثان.

ولكن هذا التوقع لم يقع إلا بصورة جزئية فردية، فقد تحددت مواقف أهل الكتاب من يهود ونصارى إبان العهد النبوي، وحين تنزل القرآن، وبدلاً من أن تنضوي زعامتا الديانتين اليهودية والنصرانية، في الديانة الإسلامية التي تمثل الامتداد الطبيعي لملة إبراهيم عليه السلام، ناصبتها العدا، وتفننتا في ردها، ومحاولة وأدها في مهدها، واستئصالها بعد بدوها. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُّورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ [الصف].

أولاً: موقف أهل الكتاب من الإسلام قبل البعثة النبوية:

دل كتاب الله، القرآن العظيم، على أن أهل الكتاب قد بُشروا بنبي عظيم موصوف بصفات شريفة يبعث في آخر الزمان، وقد أمروا باتباعه، كما أفاضت كتبهم الدينية في الحديث عنه.

١ - القرآن الكريم:

* قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف].

* ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ فَنَ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

* ﴿تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا يُسَبِّحُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْنَجٍ أَخْرَجَ مِنْ ثَمَرِهِ فَتَازَرُوا فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح].

* ﴿فَإِنَّمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة].

* روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا

قَالُوا ءَامَنَّا ﴿١﴾ أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان منهم. فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، أي تقرون بأنه نبي، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه. وهو يخبرهم أنه النبي ﷺ الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا، اجحدوه ولا تقروا لهم به^(١).

* ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَى ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة]. قال ابن جرير رحمه الله: (أخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسول الله ﷺ من الله بتصديق ما في أيديهم من التوراة أن محمداً ﷺ نبي الله، نبذ فريق، يعني بذلك أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا مقرين، حسداً منهم له، وبغياً عليه)^(٢).

* ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اِنِّیْ رَسُوْلُ اللَّهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلٍ يَّاتِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

فهذه الآيات القرآنية قاطعة بحصول البشارة بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل وكونه موصوفاً فيهما بأكرم الصفات المقتضية لتعلق أهل هذين الكتابين بالإيمان بنبوته والتشوق لمبعثه، ولما كان عيسى ابن مريم ﷺ أولى الناس به، حيث لم يكن بينهما نبي انتقلت البشارة من الوصف إلى التسمية الصريحة القاطعة لأدنى التباس.

(١) جامع البيان: (١/٣٧٠).

(٢) جامع البيان: (١/٤٤٣).

في كتبهم الدينية:

تضمنت كتب بني إسرائيل عبارات متعددة دالة على مبعث نبي عظيم، مؤيد من عند الله، يخضع الله له الأمم والشعوب، ويظهره على من خالفه، وهذا موافق لما أخبر الله به في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْنَّبِيِّينَ لَمَّا أَسْتَبَقْتُمْ مِنْكُمْ وَأَخَذْتُكُمْ بِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَقُولُوا لَا نَنْعِبُهُمْ وَلَا لَنَا عُتَبَةٌ وَلَا آلٌ لَنَا قُلْنَا إِنَّكُمْ لَتُنْفِكُنَّ بِهِمْ يَوْمَ تُنْفَكُونَ قُلْتُمْ لَا سَعْيَ لَنَا بَلْ أَنْزَلْنَاهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَهُكَ بِالْحَقِّ وَأَوْرَثْنَاكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَهُمْ لَكَ عِتَبَةٌ﴾ [آل عمران].

وقد روى ابن جرير رحمته الله بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (لم يبعث الله عز وجل نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه)^(١). ولكن أهل الكتاب لا يثبتون هذه البشارة في حق نبينا محمد عليه السلام، بل يحملها اليهود على موعود منتظر في آخر الزمان يتبعونه، ويحملها النصارى على المسيح عيسى ابن مريم، ورجعته في آخر الزمان. ولا ريب أن هذه العبارات تعرضت لعوامل التحريف اللفظي والمعنوي من قبل الأحرار والرهبان لصرف نظر أتباعهم عن رسالة نبينا محمد عليه السلام. قال الفخر الرازي^(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْأَبْطَالِ وَكَانُوا الْحَقَّ وَأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]: (اعلم

(١) جامع البيان: (٣/٣٣٢).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي، إمام في الفلسفة وعلم الكلام، ويقال له «ابن خطيب الري» وهو قرشي النسب أصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته. وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ، ومن مؤلفاته: «مفاتيح الغيب» وهو التفسير المشهور و«الوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات» و«معالم أصول الدين» و«المحصول في علم الأصول» وغيرها.

الأعلام (٦/٣١٣)، الوفيات (١/٤٧٤)، مفتاح السعادة (١/٤٤٥)، آداب اللغة (٣/٩٤)، لسان الميزان (٤/٤٢٦).

أن إضلال الغير لا يحصل إلا بطريقتين، وذلك لأن ذلك الغير إن كان قد سمع دلائل الحق فإضلاله لا يمكن إلا بتشويش تلك الدلائل عليه، وإن كان ما سمعها فإضلاله إنما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه، ومنعه من الوصول إليها. فقوله: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْأُتُولِ﴾ إشارة إلى القسم الأول وهو تشويش الدلائل عليه. وقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ إشارة إلى القسم الثاني وهو منعه من الوصول إلى الدلائل^(١).

وسنذكر أدناه نماذج من هذه الجمل المتضمنة البشارة بنبينا محمد ﷺ.

* جاء في سفر التثنية: (فقال لي الرب: ... سأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك. وأجعل كلامي في فمه فيخاطبهم بكل ما أمره به) ١٨/١٧ - ١٨^(٢). وقد بين الشيخ رحمت الله الهندي^(٣) ﷺ دلالة هذا النص على البشارة بنبينا محمد ﷺ من عشرة أوجه^(٤) مدارها على امتناع إرادة يوشع بن نون أو عيسى ابن مريم ﷺ بذلك، وإثبات لفظ «إخوتهم» يستعمل في التوراة في حق بني إسماعيل. وقال البروفسور المهتدي عبد الأحد داود^(٥) ﷺ معلقاً على النص السابق: (فإذا كانت

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازي، محمد بن عمر. دار الفكر. الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. (٥٤/٢).

(٢) العهد القديم: (٢٨٦).

(٣) سيرد التعريف به في آخر الباب الثالث.

(٤) إظهار الحق: (١١٦٦ - ١١٢٨).

(٥) عبد الأحد داود: كان اسمه دافيد بنجامين، كلداني. ولد سنة ١٨٦٧ م في «أرميا» من بلاد فارس. وعمل موظفاً في إرسالية الكنيسة الإنجليكانية إلى النسطريين في بلدته بين عامي ١٨٨٦، ١٨٨٩ م، ثم ابتعث إلى روما لدراسة اللاهوت. ورسم كاهناً عام ١٨٩٥ م. وكان قسيساً لطائفة الروم الكلدانيين. وفي عام ١٩٠٤ م زار إستانبول عائداً من بريطانيا، والتقى بعدد من العلماء المسلمين، فاعتنق الإسلام. انظر: مقدمة كتابه (محمد في الكتاب المقدس)، =

هذه الكلمات لا تنطبق على «محمد» فإنها تبقى غير متحققة ولا نافذة. فالمسيح نفسه لم يدَّع أبداً أنه النبي المشار إليه. حتى إن حواريه كانوا على نفس الرأي، وأنهم يتطلعون إلى دعوة المسيح مرة ثانية لكي تتحقق النبوة، وحتى الآن فإنه من الثابت غير المنقوض بأن «الظهور الأول للمسيح» لم يكن ليدل على ما جاء في الجملة «أقيم لهم نبياً مثلك» وكذلك فإن عودة المسيح مرة ثانية لا تكاد تحمل معنى هذه الكلمات. وأن المسيح كما تؤمن به كنيسة سوف يظهر كقاضٍ، وليس كمقدم للتشريع؛ بينما الموعود هو الذي يجيء حاملاً «الشريعة النارية المشعة بيده اليمنى»^(١).

* جاء في سفر التثنية أيضاً: (أقبل الرب من سيناء. وأشرق لهم من ساعير. وسطع من جبل فاران) ٢/٣٣^(٢).

قال الشيخ رحمت الله الهندي مبيناً هذه الجمل: (فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى ﷺ، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى ﷺ، واستعلانه من جبل فاران إنزاله القرآن؛ لأن فاران جبل من جبال مكة. وفي الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في وصف حال إسماعيل عليه السلام هكذا: «٢٠ - وكان الله معه، ونما وسكن في البرية وصار شاباً يرمي بالسهم، وسكن بركة فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر»^(٣).

= وانظر: «مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية» د. محمد السحيم (٢٣٧ - ٢٦٠).

(١) محمد في الكتاب المقدس: عبد الأحد داود. ترجمة: فهمي شما. مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق. دار الضياء للنشر والتوزيع. عمان. الطبعة الثانية (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

(٢) العهد القديم: (٤١١).

(٣) إظهار الحق: (١٣٥/٤). والمعروف أن إسماعيل عليه السلام تزوج مرتين من قبيلة جرهم، التي جاورت البيت.

* وجاء في سفر التكوين: (وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه. وهاءنذا أباركه وأنيبه وأكثره جداً جداً، وولد اثني عشر رئيساً. وأجعله أمة عظيمة) ١٧/ ٢٠^(١).

وهذا النص يناسب دعاء إبراهيم وإسماعيل ﷺ، في القرآن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة]. ولا ريب أن هذه الدعوة إنما تحققت ببعثة نبينا محمد ﷺ، وأن «الأمة» المسلمة المنشودة إنما هي أمته. أما ذكر الاثني عشر رئيساً فلعله يوافق قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه جابر بن سمرة^(٢) قال: دخلت مع أبي علي النبي ﷺ فسمعتة يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة». قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ. قال: فقلت لأبي: ما قال: قال: «كلهم من قريش»^(٣)، وفي لفظ: (لا يزال الإسلام عزيزاً...) ^(٤)، وفي لفظ: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة. أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)^(٥). وقريش هم صفوة ذرية إسماعيل ﷺ،

(١) العهد القديم: (٩٢).

(٢) جابر بن سمرة بن جُنادة، السوائي، صحابي، ابن صحابي. نزل الكوفة ومات بها سنة سبعين. تقريب التهذيب (١/ ١٢٢).

(٣) رواه مسلم: (٣/ ١٤٥٢).

(٤) رواه مسلم: (٣/ ١٤٥٣).

(٥) رواه مسلم: (٣/ ١٤٥٤) وتنام هؤلاء الخلفاء القرشيين الاثني عشر عمر بن عبد العزيز ﷺ الذي ولي على رأس القرن الأول، خير القرون، قرن رسول الله ﷺ وفيه جرت معظم الفتوح الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ورسول الله ﷺ هو صفوة الصفوة كما في الحديث الذي رواه واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(١). يقول البرفسور المهدي عبد الأحد داود: (فإذا كان «محمد» وكما هو معروف للجميع قد جاء من نسل إسماعيل، وابنه قidar «عدنان»، ثم ظهر بعد ذلك نبياً في قفار فاران، ثم دخل مكة مع عشرة آلاف قديس «مؤمن»، وجاء بالشرعة النارية إلى شعبه، أو ليست هذه النبوة السالفة الذكر هي التي تحققت بالحرف الواحد؟؟)^(٢).

* جاء في إنجيل «يوحنا» ما نصه: (إذا كنتم تحبونني حفظتم وصاياي، وأنا سأسأل الآب فيهب لكم مؤيداً آخر يكون معكم للأبد) ١٤/١٥ - ١٦، ثم قال في فقرة لاحقة من نفس الإصحاح: (ولكن المؤيد الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي، هو يعلمكم جميع الأشياء ويذكركم جميع ما قلته لكم) ١٤/٢٦^(٣). وقد نقل الشيخ رحمت الله الهندي هذا النص عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م في لندن على النحو التالي: (١٥ - إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي (١٦) وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم «فارقليط» آخر ليثبت معكم إلى الأبد (١٧) روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم، وهو ثابت فيكم (٢٦) والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي، وهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما قلته لكم (٣٠) والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا)^(٤).

(١) رواه مسلم: (٤/١٧٨٢).

(٢) محمد في الكتاب المقدس: (٣٢).

(٣) العهد الجديد: (٣٣٧).

(٤) إظهار الحق: (٤/١١٨٥).

هذا النص المنسوب إلى المسيح ﷺ يتفق في مضمونه مع البشارة القرآنية الواردة على لسانه ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وقد كان عيسى ﷺ يتكلم بالعبرانية، فلما كتبت الأنجيل باليونانية عبر عن المَبَشِّر به بلفظ «بيريكليتوس»، فلما عربت الأنجيل كتبها البعض بلفظ «الفارقليط»، وترجمها البعض بمعنى «المعزي». يقول الداعية أحمد ديدات^(١): («أحمد» أو «محمد» المثنى عليه أو الممدوح أو المحمود (The Praised One) هو تقريباً ترجمة للكلمة اليونانية «بيريكليتوس» (Periclytos)؛ في إنجيل يوحنا الموجود حالياً (يوحنا ١٤: ١٦؛ ٢٦: ١٥، ١٦: ٧) تأتي كلمة «كومفرتر» (Comforter) في النسخة الإنجليزية (والتي تترجم في التراجم العربية بـ«المعزي») عوضاً عن الكلمة اليونانية «باراكليتوس» (paracletos) التي تعني «المحامي» أو «المؤيد» أو «الشفيع» (Advocate) «الذي يدعى لمساعدة أو معاونة (إنسان) آخر، الصديق، أو الولي، الودود الحنون».

(١) أحمد ديدات: أحمد حسين ديدات. ولد سنة ١٩١٨م. هندي الأصل، ويعيش في «جنوب أفريقيا». تخرج من كلية «مولاي سلطان التقنية» واجتاز برنامجاً في الرسم الهندسي التقني، وفي رياضيات تشغيل اللاسلكي وصيافته. اشتغل بالدعوة إلى الله منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، وشارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية والإقليمية والدولية. واعتنى بالرد على النصارى خاصة. ومناظرتهم في المحافل العامة، ففتح له في ذلك وأفحم خصومه بسعة اطلاعه على كتبهم الدينية، وبيان تناقضها وتحريفها، وقوة حجته، وطول نفسه، وسجل أكثر من اثنتي عشرة محاضرة ومناظرة تداولها الناس. وقد أنشأ لهذا الغرض معهداً إسلامياً اسمه «السلام»، وألف بضعة كتب عن النصرانية، منها: ماذا يقول الإنجيل عن محمد؟، هل الإنجيل كلمة الله؟، الصلب أو خرافة الصلب. وغيرها. منح براءة جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٦هـ. انظر: التعريف به في النشرة الصادرة عن هيئة الجائزة.

وهذه الترجمة مفضلة عن ترجمتها بـ«المعزي». ويؤكد علماؤنا... أن كلمة «باراكليتوس» (paracletos) تفسير خاص محرف، أو قراءة محرفة لكلمة «بيريكليتوس» (periclytos) ومعناها: المستوجب للحمد. وأنه كان في القول الأصلي لعيسى نبوة خاصة بنينا الكريم «أحمد» بالاسم^(١). وحتى لو قرأناها «باراكليت» (بارقليط أو فارقليط) (paraclete) فإنها تشير إلى النبي الكريم «المبعوث» ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء] وهو ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة]... إنه من الواضح لكل الباحثين عن الحق بإخلاص أن محمداً ﷺ هو «الباراكليت» الموعود (The promised paraclete)، أو المعزي (Comforter) المسمى أيضاً على سبيل التخيير بالمساعد أو المعين (helper) والمحامي والمؤيد والشفيع (Advocate) والناصح الأمين أو المشير (Counsellor)... إلخ المذكور في نبؤات عيسى ﷺ في إنجيل يوحنا^(٢).

* ويزيد الأمر وضوحاً حول شخصية «الفارقليط» أو «المعزي» ومهمته ودوره، ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح ﷺ: (أما الآن فأني ذاهب إلى الذي أرسلني. وما من أحدٍ منكم يسألني: إلى أين تذهب؟ بل ملأ الحزن قلوبكم لأنني قلت لكم هذه الأشياء. غير أنني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أذهب. فإن لم أذهب لا يأتكم المؤيد. أما إذا ذهبت فأرسله إليكم وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والدينونة. أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على البر فلأنني ذاهب إلى الآب فلن تروني، وأما على الدينونة فلأن سيد هذا العالم قد دين. لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكن

(١) انظر: ما كتبه البرفسور عبد الأحد داود حول هذا التحريف في كتابه محمد في الكتاب المفاس: (٢١٩ - ٢٢٩)، وراجع ما تقدم من إثبات البشارة به في إنجيل برنابا في المبحث السابق في التمهيد.

(٢) مفهوم العلاقة بين الله والبشر في الأديان السماوية: (٣٠ - ٣٣).

لا تطبقون الآن حملها، فمتى جاء هو، أي روح الحق، أرشدكم إلى الحق كله، لأنه لن يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث، سيمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم به) ٥/١٦ - ١٤^(١).

وهذه البشارة بـ«المؤيد» أو «المعزي» كما في بعض الترجمات صدرت في الأيام الأخيرة من حياة المسيح ﷺ قبل رفعه كما واضح في إنجيل يوحنا. ولعل فيها بياناً لسبب تلقيب المبشر به بـ«المعزي» أو على الأقل لترجمته بذلك. وهو أن رجاء قدومه وبعثته يزيل الكآبة التي ملأت قلوب الحواريين لفراق المسيح، فيكون في ذلك عزاء لهم. كما أن فيه دلائل قوية متعينة على إرادة النبي ﷺ بهذه البشارة منها:

١ - أنه يقيم الحجة البالغة على العالم.

٢ - أنه يبين مقتضى الإيمان الصحيح بالمسيح ﷺ بين الغالي فيه والجافي عنه؛ بين النصارى الذين رفعوه فوق منزلته وألهوه وادعوا بنوته لله تعالى، واليهود الذين كفروا به وزعموا أنه ابن سفاح وآذوه أشد الإيذاء وهموا بقتله. وأما هو ﷺ فقد مجّده، لأنه يتلقى الوحي من الله الذي أرسل كلاّ منهما ﷺ وأداه كما سمعه. قال تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران)، وقال: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء)، وقال بعد سرد قصة ولادته: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢٥) [مريم].

٣ - أنه يجيء بالحق الكامل، والهداية التامة الشاملة الموحى بها من عند الله تعالى: (فمتى جاء هو أي روح الحق أرشدكم إلى الحق كله، لأنه لن يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث...)، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمقصود من سياق هذه النصوص من التوراة والإنجيل التي بأيدي القوم، بيان موقفهم من الإسلام ونبيه ﷺ قبل البعثة، وأنهم يهوداً ونصارى كانوا يتطلعون إلى بعثته بفارغ الصبر، ويستفتحون بذلك على أعدائهم من الوثنيين، ويرون أنهم أولى الناس به، وأنه وارث دين إبراهيم عليه السلام.

وكانوا قبيل البعثة يخبرون عن نبي أظلمهم زمانه، كما جاء في قصة إسلام سلمان الفارسي^(١) عليه السلام الطويلة في رحلته للبحث عن الحق، وتنقله بين الأساقفة؛ كل واحد يوصي به إذا حضرته الوفاة إلى مثله، فكان آخرهم صاحب عمورية، فقال له سلمان لما حضر: (يا فلان: إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل...) (٢) الحديث.

(١) سلمان الفارسي أبو عبد الله، ويقال له سلمان الخير. أصله من أصبهان، وقيل من رامة هرمز، من أول مشاهدته الخندق، مات سنة (٣٤هـ). تقريب التهذيب (٣١٥/١).

(٢) رواه أحمد بطوله: (٤٤٢/٥ - ٤٤٣). وأصله مجملاً في صحيح البخاري: (٢٧٠/٤) عن سلمان عليه السلام أنه تداوله بضعة عشر سيداً.

ثانياً: موقف أهل الكتاب من الإسلام بعد البعثة النبوية:

لقد كان حرياً بأهل الكتاب أن يقبلوا البشارة، ويؤمنوا جميعاً بالنبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، موصوفاً بالأوصاف المنضبطة، مضروباً له الأمثال المنطبقة، حتى يؤتيهم الله كفلين من رحمته، ويجعل لهم نوراً يمشون به، ويغفر لهم، كما وعدهم. قال ﷺ: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقته، فله أجران...)^(١) الحديث. ولكن مواقفهم تباينت؛ فمن سبقت له من الله الحسنى قبل البشرى وقرّ بها عيناً. ومن حق عليه القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس، لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي بعث به نبيه الخاتم.

ويمكن القول إن موقف زعماء أهل الكتاب تحدد إبان العهد النبوي حيث كان اليهود يقطنون المدينة وما حولها، كما أنه ﷺ قد كاتب ملوك النصارى في مصر والحبشة وبلاد الشام، ووفد عليه نصارى نجران^(٢). ويتلخص في رفض دعوة الإسلام، وتكذيب رسوله، والإصرار على دين الآباء المحرف، حتى مع وهج السيف أو ذل الجزية.

أما الموقف «الشعبي» المتمثل في جمهور أهل الديانتين - سوى الزعماء الدينيين والمدنيين - فقد تفاوت تفاوتاً بيناً. فقد كان النصارى أكثر قبولاً للإسلام ومودة للمؤمنين واتباعاً للحق، بينما كان اليهود - كعادتهم - أغلظ قلوباً وطباعاً، وأشدّ عداوة للذين آمنوا، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ

(١) رواه البخاري (٣٣/١) ومسلم (١٣٤/١ - ١٣٥).

(٢) انظر: الباب الثالث، الفصل الثاني.

ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَنبِئَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ [المائدة].

وتأتي شهادة التاريخ موافقة لما قرره القرآن الكريم حيث شهدت العقود الأولى التالية للفتوحات الإسلامية لبلاد الشام والعراق ومصر انخراط أعداد كبيرة من سكان البلاد الأصليين من النصارى في الدين الجديد، وقد تمت عملية «إسلام» لا «أسلمة»، بشهادة المؤرخين المنصفين من الأعداء قبل الأصدقاء، ودهشتهم في نفس الوقت، وفي الدراسة المتميزة التي أعدها فيليب فارج^(١)، ويوسف كرباج^(٢) بعنوان: «المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي» يطرح الباحثان سؤالاً ملفتاً: (كيف تسنى لحفنة من الفاتحين، الذين يتميز إيمانهم بهذه الدرجة من الحمية، الفوز بولاء جماهير على هذه الدرجة من الضخامة، وعلى هذه الدرجة من البعد؟ كيف أمكن العثور في مصر وفي الهلال الخصيب على نقطة توازن بين الضغوط المتعارضة التي مثلها التوسع الإسلامي، والمقاومة المسيحية)^(٣)؟ ويقدم الباحثان

(١) مدير مركز البحوث والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية (القاهرة)، وباحث في المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية (فرنسا)، مؤلف دراسات ديموغرافية عديدة عن الشرق العربي.

(٢) باحث بالمعهد الوطني للدراسات الديموغرافية (فرنسا)، مؤلف دراسات ديموغرافية عديدة عن المغرب الأقصى. من مقدمة كتابيهما.

(٣) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي: فيليب فارج، =

إجابات متعددة، وتفسيرات متنوعة لهذا التساؤل نختلف معهما في أولويتها وأهميتها لكنهما - وهذا هو المهم - يعترفان (أن الإكراه عليه - أي اعتناق الإسلام - كان غائباً في أغلب الأحيان، وهو لم يحدث في تاريخ الإسلام العربي إلا بصفة استثنائية...

ومن ثم فإن جزءاً من السكان يتبنى الإسلام بسرعة، ويفوز بحكم تحوله إلى اعتناق الإسلام بالمواطنة التامة، وربما دون مكابدة قطيعة حقيقية، لأن الدين الجديد يقدم نفسه بوصفه امتداداً للمسيحية واليهودية^(١).

وأياً كانت الأسباب المفترضة، فإننا نعتقد أن السبب الحقيقي والأساس يرجع إلى أمرين:

أولهما: صحة دين الإسلام ونقائه ووضوحه وشموله، وموافقته للعقل والفطرة وتصديقه لما بين يديه من الكتاب.

ثانيهما: الأوصاف الحميدة التي ذكرها الله في كتابه عن مؤمني النصارى وهي:

١ - العلم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ﴾.

٢ - العبادة: ﴿وَرُحَبَاءًا﴾.

٣ - التواضع: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

٤ - قبول الحق ورقة الطباع: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ

= ويوسف كبراج. ترجمة: بشير السباعي. سينا للنشر بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٤م. (٣٧).

(١) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٣٨). والإسلام يمثل الحلقة الأخيرة من دين الله الحق لا اليهودية ولا النصرانية المحرفتين، بل امتداد لملة إبراهيم الذي ما كان يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً.

أَعْمِنُهُمْ تَقِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾

٥ - العقل والشجاعة: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَقُصُّ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٢﴾.

تلك هي المؤهلات الحقيقية التي تقود صاحبها للإيمان بالله ورسله في كل زمان ومكان، ومن كل جيل وقبيل بصرف النظر عن الانتماءات العرقية والدينية السابقة، لكن المؤثرات التاريخية والاجتماعية وحظوظ النفس وأهواءها، وحب الدنيا والشيطان صوارف عن سبيل الله، وقد تكثرت في قوم وتقل نسيباً عند آخرين.

ومنذ العهد النبوي، إلى يومنا هذا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يصر اليهود على يهوديتهم، والنصارى على نصرانيتهم، ويردون دين الإسلام الذي نسخ الله به جميع الشرائع السابقة، ويزعمون أنهم هم الذين على الحق، المستحقون لدخول الجنة، ومن سواهم كافر محروم منها. وفي بيان هذا الموقف العام المشترك يقول الله تعالى عنهم:

■ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [البقرة].

■ ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١١٥﴾ [البقرة].

■ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَدَّلُوا بَقِيعًا قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٦﴾ [البقرة].

■ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة].

■ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُل بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

■ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

هذا هو الموقف العام، ولكل من الفريقين خصوصية زائدة توضحها نصوص خاصة، ووقائع كاشفة من السيرة النبوية.

١ - موقف اليهود من الإسلام:

١ - الجحود والاستكبار بعد العلم والبيئة:

■ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة].

قال ابن جرير رحمته الله: (كان هؤلاء اليهود الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم من الكتب، التي أنزلها الله قبل الفرقان، كفروا به، يستفتحون بمحمد ﷺ، ومعنى الاستفتاح: الاستنصار، يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه: أي من قبل أن يبعث - ثم روى بسنده عن عمر بن قتادة الأنصاري^(١) عن أشياخ منهم - قالوا: فينا والله وفيهم، يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة... قالوا: كنا قد علوناهم دهرًا في

(١) عمر بن قتادة بن النعمان الطَّفَرِي، الأنصاري، المدني، مقبول. تقريب التهذيب (٦٢/٢).

الجاهلية، ونحن أهل الشرك، وهم أهل الكتاب، فكانوا يقولون: إن نبياً مبعثه الآن قد أظلم زمانه، يقتلكم قتل عادٍ وإرم، فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به..

وروى بسنده عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور^(١) أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ، ونحن أهل شرك، وتخبرونا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [البقرة]^(٢).

■ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ أَلْزَمُوا الْأَكْثَبَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْهُمُ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهِمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٩١﴾ [البقرة]^(٣).

■ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُدُهُمْ إِلَٰنَ بَعْضُهُمْ قَالُوا أَعَدَدْتُهُمْ يَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْيَعَانِيَةَ مِمَّا عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [البقرة]^(٤).

(١) بشر بن البراء بن معرور، رضى الله عنه، هو وأبوه صحابيَان. مات من أكلة خبير، من الشاة المسمومة التي أهدتها اليهودية للنبي ﷺ. انظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٠٩).

(٢) جامع البيان: (١/ ٤١٠ - ٤١١).

(٣) تقدم بيان معناها في أول هذا الفصل.

(٤) تقدم بيان معناها في أول هذا الفصل.

■ عن ابن مسعود^(١) رضي الله عنه قال: (إن الله ابتعث نبيه ﷺ لإدخال رجل الجنة، فدخل الكنيسة، فإذا هو يهودي، وإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة، فلما أتوا على صفة النبي ﷺ أمسكوا، وفي ناحيتها رجل مريض، فقال النبي ﷺ: ما لكم أمسكتُمْ؟ قال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا. ثم جاء المريض يحبو، حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته. فقال: هذه صفتك وصفة أمتك. أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله ثم مات. فقال النبي ﷺ: لُوا أخاكم^(٢).

■ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن بي اليهود»^(٣). وفي رواية عنه: «لو آمن بي عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض»^(٤).

■ وعن أنس بن مالك^(٥) رضي الله عنه، أن عبد الله بن سلام^(٦) بلغه

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين إلى الإسلام المقربين إلى رسول الله ﷺ، وكان خادمه وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله. توفي سنة (٣٢هـ).

الأعلام (١٣٧/٤)، الإصابة (٤٩٥٥)، غاية النهاية (٤٥٨/١)، صفة الصفوة (١٥٤/١)، حلية الأولياء (١٢٤/١).

(٢) رواه أحمد. المسند: (٤١٦/١).

(٣) رواه البخاري: (٢٦٩/٤)، مسلم (٢١٥١/٤).

(٤) رواه أحمد (٣٤٦/٢، ٣٦٢، ٤١٦).

(٥) أنس بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو حمزة، خادم رسول الله ﷺ. أسلم صغيراً، وتوفي سنة ٩٣هـ. الأعلام (٢٤/٢)، صفوة الصفوة (٢٩٨/١).

(٦) عبد الله بن سلام الإسرائيلي، أبو يوسف، حليف بني الخزرج، قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله. مشهور، له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاثون وأربعين. تقريب التهذيب (٤٢٢/١).

مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فذكرهن، وأخبره بخبرهن... فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهِتٌ فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبي ﷺ: رأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج عليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وتقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله^(١).

■ وعن عوف بن مالك^(٢) قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأني محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه، قال: فأسكتوا، ما أجابه منهم أحد. ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد. فقال: أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى آمنتكم أو كذبتكم. ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد. قال فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمون فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من

(١) رواه البخاري: (٢٦٨/٤). وانظر سيرة النبي ﷺ: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء. الرياض. (١٣٨/٢ - ١٣٩).

(٢) عوف بن مالك الأشجعي، أبو حماد، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح، وسكن دمشق ومات سنة ثلاث وسبعين. تقريب التهذيب (٩٠/٢).

أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً. قال رسول الله ﷺ: كذبتهم، لن يقبل قولكم، أما آنفاً فشتون عليه من الخير ما أنيتهم، ولما آمن كذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام. وأنزل الله ﷻ فيه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامُنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١) [الأحقاف].

■ وعن صفية بنت حيي (٢) قالت: (كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل بقاء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغَلَّسَيْنِ، قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كألين، كسلانين، ساقطين، يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت) (٣).

(١) رواه أحمد. المسند (٢٥/٦)، والطبراني في الكبير (٤٦/١٨، ٤٧)، والحاكم في المستدرک (٤١٥/٣ - ٤١٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥/٧ - ١٠٦): رجاله رجال الصحيح.

(٢) صفية بنت حيي بن أخطب، الإسرائيلية، أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر. وماتت سنة ست وثلاثين. وقيل في ولاية معاوية، وهو الصحيح. تقريب التهذيب (٦٠٣/٢).

(٣) سيرة النبي ﷺ (١٤٠/١٠). وانظر: البداية والنهاية (٢١٢/٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلالٍ نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، فقال رسول الله ﷺ: سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام. فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله ﷺ: سلوني عما شئتم، فقالوا: أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهن: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى، وأخبرنا بهذا النبي الأُمي في النوم، ومن وليه من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني، فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، فقال: نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، فقالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: أشهد الله عليكم، وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة، أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة، كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، قال: وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأُمي تنام عيناه، ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد. قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا فعندها نفارقك. لو كان وليك سواء من الملائكة تابعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَتْ

عَدُوًّا لِحَبْرَيْهِ فَإِنَّهُمْ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿البقرة: ٩٧﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] فعندها باءوا بغضب على غضب^(١).

هذه نماذج من مواقف النبي ﷺ مع يهود، استفرغ النبي ﷺ جهده في دعوتهم، وإقامة الحجة عليهم، فلم يكن منهم إلا الإعراض والصدود والجحد والتكذيب، بعد العلم والبينة، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

٢ - الصد عن سبيل الله وإثارة الشبهات:

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء].

وقد روى ابن جرير رحمه الله بسنده أن جماعة من أحبار اليهود قدموا على قريش ف(قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأول، فاسألوهم أدينكم خير، أم دين محمد؟ فسالوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، وممن اتبعه، فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ ثُلَاثًا عَظِيمًا﴾^(٢).

* وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الْبُؤْسُ أَلَّا يَخْلُوا بِأُولَٰئِكَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ وَتَتَلَفَّظُ بِهِمُ الْمُغَوِّينَ لَا يَعْلَمُونَ أَلَيْسَ لِللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِنَّكَ صَرُوفٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة]، روى ابن جرير رحمه الله عن مجاهد، والبراء، وابن عباس أن السفهاء هم اليهود^(٣).

(١) جامع البيان: (٤٣١/١ - ٤٣٢) ورواه أحمد في مسنده (٢٧٣/١، ٢٧٨).

(٢) جامع البيان: (١٣٥/٥).

(٣) جامع البيان: (٢/١ - ٢).

وإنما أرادوا التشكيك والإثارة والطعن في هذا الدين للصد عنه والتنفير منه.

قال ابن كثير رحمه الله: (لما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب، والكفرة من اليهود ارتياب وزيف عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: «ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟» أي قالوا: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا. فأنزل الله جوابهم: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي الحكم والتصرف والأمر كله لله) (١).

* قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران]. قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيهم إياهم الإضلال، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهو لا يشعرون) (٢).

* وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٧] وَلَا تَقُولُوا إِلَّا لِمَنْ تَحِبُّ وَيَنْكَرُ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُعَاجِلْكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران]. قال ابن كثير رحمه الله: (هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم؛ وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهرُوا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا

(١) تفسير القرآن العظيم: (١/١٩٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (١/٣٧٣).

إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين^(١).

٣ - محاولة قتل النبي ﷺ وأذيته:

* نقل الحافظ ابن حجر^(٢) في فتح الباري، وصحح إسناده، ما رواه ابن مردويه^(٣) بسنده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ في قصة إجلاء يهود بني النضير، وفيه: (فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ، أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك، ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك ففعل، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر. فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار، مسلم، تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع، وصباحهم بالكتائب... إلخ ثم قال الحافظ: وكذا أخرجه عبد بن حميد^(٤) في تفسيره عن عبد الرزاق^(٥)، وفي ذلك رد

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٧٣/١)، وانظر الآثار المروية في ذلك في جامع البيان (٣/٣١١ - ٣١٣).

(٢) ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) أحمد بن علي بن محمد الكناني، العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر. من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. أقبل على علم الحديث، ورحل إلى الحجاز واليمن وغيرهما لسماع الشيوخ، حتى أصبح حافظ الإسلام في عصره. ولي قضاء مصر مرات. تصانيفه كثيرة جليلة منها: (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، (لسان الميزان)، (الدرر الكامنة). انظر الأعلام (١/١٧٨).

(٣) ابن مردويه (٣٢٣ - ٤١٠هـ) أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له: ابن مردويه الكبير: حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان. له كتاب «التاريخ» وكتاب في «تفسير القرآن» و«مسند» و«مستخرج» في الحديث. الأعلام (١/٢٦١).

(٤) عبد بن حميد بن نصر، الكسبي، أبو محمد ثقة حافظ، مات سنة مائة وتسع وأربعين. تقريب التهذيب (١/٥٢٩).

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، أبو بكر، من أئمة الحديث وحفاظهم =

على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت: فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق...^(١).

* قال ابن إسحاق: (...) وخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري^(٢)، فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرةً فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى رسول الله ﷺ الخبر فانصرف عنهم...^(٣).

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها، فقيل: ألا نقلتها، قال: لا. فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ^(٤).

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله. حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه. ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟

= الأثبات، ولد سنة ١٢٦هـ، وله «المصنف» و«التفسير» و«الجامع الكبير» وغيرها توفي سنة ٢١١هـ. الأعلام (٣/٣٥٣)، تهذيب التهذيب (٦/٣١٠)، وفيات الأعيان (١/٣٠٣)، ميزان الاعتدال (٢/١٢٦)، الرسالة المستطرفة (٣١).

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري: ابن حجر، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. دار المعرفة - بيروت. الطبعة الثانية. (٧/٢٥٥). وانظر: المصنف لعبد الرزاق (٥/٣٥٩ - ٣٦٠)، وسنن أبي داود (٣/٤٠٤ - ٤٠١).

(٢) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله، أبو أمية الضمري، صحابي مشهور، أول مشاهدته بثر معاوية. مات في خلافة معاوية. تقريب التهذيب (٢/٦٥).

(٣) عن سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢/١٩٢)، وانظر: فتح الباري (٧/٢٥٤).

(٤) صحيح البخاري (٣/١٤١)، صحيح مسلم (٤/١٧١٢).

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال: أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق. قال: فيما ذا؟ قال: في مُشيط ومُشاطة وجُفّ طلعة ذكر^(١). قال: فأين هو؟ قال في بئر ذي أروان. قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لَكأن ماءها نُقاعة الجناء، وَلَكأن نخلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله: أفاخرجته؟ قال: لا، أما أنا، فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً، وأمر بها فدفنت^(٢).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان على رسول الله ﷺ ثوبان قطريّان غليظان، فكان إذا قعد فعرق ثقباً عليه، فقدم برّاً من الشام لفلان اليهودي، فقلت: لو بعثت إليه فاشترت منه ثوبين إلى الميسرة. فأرسل إليه فقال: قد علمت ما يريد، إنما يريد أن يذهب بمالي، أو بدراهمي فقال رسول الله ﷺ: كذب، قد علم أنني من أتقاهم الله، وأداهم للأمانة^(٣).

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله... الحديث»^(٤)، وكان يهودياً شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه^(٥).

(١) المُشط: الآلة التي يسرح بها الشعر، والمشاطة: ما يخرج من الشعر عند التسريح. وجف الطلع: الغشاء الذي يكون عليه.

(٢) صحيح البخاري: (٢٩/٧ - ٣٠).

(٣) رواه الترمذي: (٢١٧/٥). وقال: حديث عائشة حديث حسن غريب صحيح.

(٤) صحيح البخاري: (٢٥/٥).

(٥) انظر: فتح الباري: (٢٥٩/٧).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر يهودي برسول الله ﷺ فقال: السَّامُ عليك. فقال رسول الله ﷺ: وعليك. فقال رسول الله ﷺ: أتدرون ما يقول؟ قال: السَّامُ عليك. قالوا: يا رسول الله، ألا نقتله؟ قال: لا، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم^(١).

* وعن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجلٌ حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمه^(٢).

٤ - موالاة الكافرين والمنافقين، ومعاداة المؤمنين:

* قال تعالى: ﴿كَرِهَ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُوَ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِيقُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة].

* وقال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (شياطينهم من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول)^(٣).

* وجاء في خبر بني النضير، فيما رواه أبو داود وغيره عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ، وفيه: (.. فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لثقاتلن أصحابنا، أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدَم نساءكم شيء - وهي الخلاخيل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أجمعت بنو النضير بالغدر...

(١) صحيح البخاري: (٨/٥١).

(٢) سنن أبي داود: (٤/٥٢٩ - ٥٣٠).

(٣) جامع البيان: (١/١٣٠).

(الحديث^(١)). ونقل الحافظ ابن حجر رحمته الله عن موسى بن عقبة^(٢) رحمته الله في المغازي قال: (كانت النضير قد دسوا إلى قريش، وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ، ودلوهم على العورة^(٣)). فكانت هذه خيانة منهم لعهد رسول الله ﷺ، وسبباً، بالإضافة إلى ما تقدم من محاولة قتلهم إياه، في إجلائهم عن المدينة، وبذلك يكونون هم البادؤون في حرب رسول الله ﷺ ونقض عهده، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: (أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ...).^(٤)

* نقل الحافظ ابن حجر رحمته الله عن موسى بن عقبة رحمته الله في مغازيه قال: (خرج حيي بن أخطب بعد قتل بني النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في غطفان ويحرضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف ثمر خيبر...).^(٥)

فلما تحزب الأحزاب، وحاصروا المدينة نقض بنو قريظة العهد، وانضموا إلى الأحزاب، ولحق المسلمين شدة عظيمة، وجهد وجوع كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَكَلَفَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب]. قال موسى بن عقبة رحمته الله: (وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب

(١) سنن أبي داود (٤٠٥/٣ - ٤٠٦).

(٢) موسى بن عقبة بن أبي عياش، الأسدي، مولى آل الزبير، ثقة فقيه إمام في المغازي. مات سنة مائة وإحدى وأربعين، وقيل بعد ذلك. تقريب التهذيب (٣٨٦/٢).

(٣) فتح الباري: (٢٥٥/٧).

(٤) صحيح البخاري: (٢٢/٥)، صحيح مسلم (١٣٨٧/٣)، سنن أبي داود (٣/٣) (٤٠٧).

(٥) فتح الباري: (٣٠١/٧)، وانظر: سيرة النبي ﷺ (٢٢٩/٣ - ٢٣٠).

أن يأخذ لهم من قریش وغطفان رهائن لثلاثين ألف دينار، إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً. قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرفهم، فنزلهم حيي على ذلك فعند ذلك نقضوا العهد، ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد...^(١).

وستظل هذه العداوة بين المسلمين ويهود إلى قيام الساعة، كما تدل عليه الأحاديث النبوية الصحيحة:

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله^(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»^(٣).

وواقع الحال من تسلط اليهود على أرض فلسطين دليل متجدد على عداوتهم الأزلية للأبدية للمسلمين، وعلم من أعلام النبوة، وبشارات الفرج.

ب - موقف النصارى من الإسلام:

لا يختلف الموقف العام للنصارى من الإسلام عن موقف اليهود. فكلا الطائفتين أصرت على عقائدها السابقة، وردت الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وحافظت على تنظيماتها الدينية، وقياداتها

(١) انظر: البداية والنهاية: (١٠٣/٤)، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢٣٥) - (٢٣٨).

(٢) صحيح البخاري: (٢٣٢/٣).

(٣) صحيح البخاري: (٢٣٢/٣) واللفظ لمسلم (٢٢٣٩/٤).

المرجعية المرسومة قبل مجيء الإسلام. ولا يعهد أن فرقة من فرق النصارى المعروفة - على كثرتها - أعلنت اعتناقها للدين الجديد، وانخلاعها من الأوضاع السابقة. وإنما يتميز النصارى على اليهود على المستوى الفردي، حيث تحفظ وقائع السيرة النبوية مواقف مشرفة صادقة لعدد من الأفراد الذين كانوا على النصرانية، فاعتنقوا الإسلام، أو على الأقل أبدوا مظاهر التبجيل والتعظيم لنبيه ﷺ وتأدبوا معه. ويقع هذا الموقف الفردي المتعاطف من أعلى القيادات السياسية والدينية للنصارى كما يقع من سائر الأفراد. بينما نفتقد هذا الملحظ بالنسبة لليهود، حتى قال ﷺ: «لو آمن بي عشرة من اليهود - وفي رواية من أحبار اليهود - لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض»^(١).

وسنسوق أدناه بعض الشواهد لاستجلاء هذا الموقف، وبيان أوجه الموافقة والمفارقة مع ما سبق.

* إن أول اتصال جرى بين الإسلام والنصارى كان في الساعات الأولى من البعثة^(٢). فقد جاء في قصة بدء الوحي، بعد أن عاد ﷺ من غار حراء - حيث جاءه الملك - إلى زوجه خديجة رضي الله عنها يرجف فؤاده فطمأنته ثم: (انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأاً قد تنصّر في الجاهلية، وكان

(١) متفق عليه. صحيح البخاري (٢٦٩/٤)، صحيح مسلم (١٥١/٤). وقد تقدم.

(٢) يذكر بعض المؤرخين للسيرة النبوية قصة «بحيرا»، ويحاول بعض المفرضين من المستشرقين ومتعصبي النصارى الاحتجاج بها على حصول صلة وتلمذ بين نبي الإسلام ﷺ وراهبان النصارى، وقد درس د. أكرم ضياء العمري هذه الحادثة وتتبع أسانيد الضعيفة ونقدها. انظر: السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري. مكتبة العبيكان. الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. (١/ ١٠٦ - ١١١).

يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم: اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى. يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي^(١).

* وعن أم سلمة^(٢) رضي الله عنها أنها قالت: (لما ضاقت مكة، وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحدٌ عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه» فخرجنا إليه أرسالاً، حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، آمنين على ديننا، ولم نخش فيه ظملاً).

* وفي رواية عنها قالت: (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمناً على ديننا، وعبدنا الله، لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه)^(٣).

(١) صحيح البخاري: (٣/١ - ٤).

(٢) أم سلمة: أم المؤمنين هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية، القرشية المخزومية رضي الله عنها. تزوجها النبي ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة، وكانت من أكمل النساء عقلاً وخلقاً، توفيت بالمدينة سنة ٦٢ هـ.
الأعلام (٩٧/٨)، صفوة الصفوة (٧٠/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (كتاب النساء).

(٣) مسند أحمد (٢٠٢/١ - ٢٠٣)، (٢٩٠/٥)، دلائل النبوة للبيهقي (٣٠٢)، =

* وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قصة الهجرة: (وبعثت قريش عمرو بن العاص^(١)، وعمارة بن الوليد بهدية. فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفرأ من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالوا: في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم. قال جعفر^(٢): أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه. فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ. قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولا، ثم أمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله ﷻ. وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه. قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم. والله لولا ما أنا فيه من الملك لآتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه، وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما...^(٣)).

= دلائل النبوة لأبي نعيم (٢٤٨/١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧/٦):

(رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع).

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية. مات سنة نيف وأربعين. وقيل بعد الخمسين. تقريب التهذيب (٧٢/٢).

(٢) جعفر بن أبي طالب، الهاشمي، ذو الجناحين، الصحابي الجليل، ابن عم رسول الله ﷺ استشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان من الهجرة. تقريب التهذيب (١٣١/١).

(٣) مسند أحمد (٤٦١/١)، والبيهقي في دلائل النبوة ص (٢٩٨). وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن) (٦٩/٣).

* وفي رواية أم سلمة، لما قرأ جعفر على النجاشي صدر سورة ﴿كَهَيِّصَ﴾ قالت: (فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد... ولما أراد عمرو بن العاص أن يكيدهم في اليوم التالي بسؤالهم عن عيسى ابن مريم، فأجابوا الملك بالحق الذي جاء به القرآن - قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. فناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله. اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي. والسيوم: الآمنون. من سبكم غُرم، من سبكم غُرم، من سبكم غُرم. فما أحب أن لي دير ذهب وأني أذيت رجلاً منكم، والدير بلسان الحبشة الجبل...)^(١).

* وفي رواية موسى بن عقبة أنه لما وافقهم على قولهم في عيسى ابن مريم: (فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً...)^(٢).

* وعن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة الهجرة إلى الحبشة قال: (فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه فردنا. قال: نعم. فحملنا وزودنا، ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنه رسول الله، وقل له: يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فتلقاني رسول الله ﷺ واعتنقني، ثم قال:

(١) تقدم تخريجه قريباً. ومعنى «ناخرت» وفي لفظ «تناخرت» أي تكلموا بكلام يشوبه الغضب والنفور. والبطارقة: جمع بطريق وهم رجال الكنيسة.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (١٩/٢ - ٢٠).

ما أدري أنا بفتح خبير أفرح أم بقدم جعفر. ووافق ذلك فتح خبير. ثم جلس، فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا. فقال: نعم، فعل بنا كذا وكذا، وحملنا، وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وقال لي: قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات: اللهم اغفر للنجاشي، فقال المسلمون: آمين. ثم قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ^(١).

* وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أوصحمة)^(٢).

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مآءً فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل، فإن كذبتني فكذبوه. قال: فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد

(١) رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة جعفر بن أبي طالب، وقال في إثرها: حسن غريب نقلاً عن السيرة النبوية لابن كثير (٢/١٥ - ١٧).

(٢) صحيح البخاري: (٤/٢٤٦)، (٢/٨٨).

أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله، لقلت رجل يتأسى بقولٍ قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا. قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليزر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحدٌ سخطاً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم. فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به

دحية^(١) إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل، عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأخرجنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.. وقال في آخره: فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم: هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي. وقال: إني قلت مقاتلي أنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل^(٢)).

* وقد روى الإمام أحمد وغيره ما يدل على تكرار هذا الموقف من هرقل مع قومه في السنة التاسعة للهجرة حين غزا النبي ﷺ غزوة تبوك، لما بلغه أن الروم قد حشدوا للمسلمين، فلم يجد لهم أثراً، ولم يلق حرباً، وبعث كتاباً إلى هرقل: (.. فلما أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم باباً

(١) هو دحية بن خليفة بن فرزة بن فضالة الكلبي، صحابي جليل، مات في خلافة معاوية. تقريب التهذيب (١/٢٣٥).

(٢) صحيح البخاري: (١/٥ - ٧)، صحيح مسلم (٣/١٣٩٣ - ١٣٩٧).

فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال؛ يدعوني إلى أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب، لياخذن ما تحت قدمي، فهلن نتبعه على دينه أو نعطيه ما لنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟! فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم^(١)، ولم يكد، وقال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم...

- ثم ذكر تمام القصة، وبعث هرقل للتنوشي ليتثبت له من ثلاث خصال، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه، والله ممزقه، وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي^(٢) بصحيفة فخرقتها، والله مُخْرِقُهُ ومُخْرَقُ ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً، ما دام في العيش خير^(٣).

* عن حذيفة رضي الله عنه قال: (جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح ولا عقبنا من بعدنا. قال: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، فاستشرف له أصحاب

(١) رفأهم: أي ترفق بهم حتى أسكتهم.

(٢) في صحيح مسلم عن أنس: (وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ) (١٣٩٧/٣).

(٣) مسند أحمد (٤٤١/٣ - ٤٤٢)، (٧٤/٤)، ومدار الرواية على سعيد بن أبي راشد وهو مقبول.

رسول الله ﷺ. فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة^(١).

هكذا روى البخاري قصة وفد نصارى نجران مختصراً، وقد أفاض أهل التواريخ في تفصيل وقائع القصة بما لا يرتقي إلى درجة الصحة، ويطول سرده^(٢)، ونكتفي بقطعة رواها ابن إسحاق صاحب السير، قال:

قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدر عن إلا عن رأي وأمره، واسمه عبد المسيح. والسيد: ثمالهم وصاحب حلهم ومجتمعهم، واسمه، الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني كعب بن وائل أسقفهم، وحبرهم، وإمامهم، وصاحب مدراسهم. وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومؤلوه، وأخدموه، وينوا له الكنائس، ويسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فلما وجَّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً إلى رسول الله ﷺ، وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال له كرز: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست. فقال: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنه النبي الأمي الذي كنا ننتظره. فقال له كرز:

(١) صحيح البخاري: (١٢٠/٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٥٢/٥ - ٥٦) وتفسير ابن كثير (١/٣٦٨ - ٣٧٠)،

زاد المعاد (٣/٦٢٩ - ٦٣٨). فتح الباري (٨/٧٣ - ٧٤).

فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم: شرفونا، ومولونا، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك^(١).

هذه أربعة أمثلة تظهر أربعة مواقف فردية للنصارى، من الإسلام:

- ١ - ورقة بن نوفل: الحبر المؤمن الذي عرف الحق فاتبعه.
- ٢ - والنجاشي: الملك المؤمن، الذي عرف الحق فاتبعه، ولم يعبأ بتهديد بطارقه.
- ٣ - وهرقل: الملك العالم، الذي عرف الحق، لكنه ضمن بملكه، وانخذل أمام قومه.
- ٤ - وأبو حارثة ابن علقمة: أسقف نجران، الذي عرف الحق، لكنه آثر الحياة الدنيا وزينتها.

وخلف هذه الرموز يقف مئات بل ألوف من النصارى يتخذون مواقف مشابهة، لا يتسع ديوان التاريخ لتقييدها جميعاً، لكن المحصلة العامة لحركة التاريخ، تثبت ما أسلفنا من تهيو النصارى لقبول الحق أكثر من اليهود، كما تثبت الشواهد السابقة حرص المؤسسة الكنسية بتنظيماتها المختلفة على التمسك بنصرانيتها حفاظاً على السيادة والقيادة والمصالح الشخصية. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِغَارَةٌ فَخْشَوْهُمْ كَسَادَهَا وَمَسْكُكُمْ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. ويحلوا لبعض الكتاب المحدثين والصحفيين المدهنين، أن يتوددوا إلى النصارى باستدعاء

(١) نقلاً عن زاد المعاد (٣/ ٦٢٩ - ٦٣٠).

الشواهد التاريخية على تعاطف النصارى مع المسلمين، وتمييع قضية العداوة الأزلية بين الفريقين التي نطقت بها نصوص الوحيين، والتليس على الناس بالخلط بين المواقف الفردية لآحاد النصارى الصادقين في طلب الحق، والموقف العدائي الدائم للكنيسة على اختلاف اتجاهاتها، وتعدد فرقها. إن مقتضى الأمانة التاريخية - فضلاً عن الثوابت العقدية - تقضي بإبراز المواقف العدائية العنيفة للنصارى ضد المسلمين منذ العهد النبوي وحتى يومنا هذا، ومحاولة فتنتهم عن دينهم، شواهد ذلك في العهد النبوي:

□ حشدهم مائتي ألف مقاتل من الروم ونصارى العرب في معركة «مؤتة» مقابل ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين^(١).

□ قتلهم فروة بن عمرو الجذامي - عامل الروم على من يليهم من العرب - لما أسلم، وصلبهم إياه^(٢).

□ قتلهم «صفاطر» الأسقف، لما شهد شهادة الحق، وقد كان مقدماً معظماً عند الروم^(٣). بالإضافة إلى ما تقدم سرده من مواقف بطارقة هرقل والنجاشي ونصارى نجران، والله المستعان.

وأما التاريخ الإسلامي فحافلٌ بالعلاقات العدائية الدموية - كما سنلمح إليه في الفصل التالي - بين المسلمين والنصارى. وشواهد العصر الحديث حاضرة ماثلة في مواقع متعددة من العالم كالفلبين، وأندونيسيا، وأرتريا، والبلقان.

يبقى أن نقرر جازمين أن هذه العلاقة العدائية ستظل إلى يوم

(١) انظر: ما أفرد في وصف المعركة مثل: غزوة مؤتة: لمحمد أحمد باشميل.

وغزوة مؤتة لشوقي أبو خليل وغيرهما.

(٢) انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢٦١/٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (٢٦٧/٤).

القيامة عداوةً أبدية، لإخبار الله ورسوله ﷺ بذلك ثم بحكم اختلاف الاعتقاد من جهة، ولما يتميز به هؤلاء النصارى ممثلين بالروم من صفاتٍ وخصائص نوعية، من جهة أخرى، تبقي لهم أسباب القوة المادية، والشوكة الحربية، فلا يزال الناس يجدون منهم بأساً، كما قال ﷺ^(١). وقد روى مسلم^(٢) أن المستورد القرشي^(٣) قال عند عمرو بن العاص رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس) فقال له عمرو: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف. وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك^(٤). وفي لفظ عند مسلم أيضاً: (وأجبر الناس عند مصيبة، وخير الناس لمساكينهم وضعفائهم)^(٥).

وعنه رضي الله عنه قال: بينا أنا عند عمرو بن العاص فقلت له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة) فقال له عمرو: ألم أزجرك عن مثل هذا^(٦).

(١) تقدم في قصة التنوخي (٢٢٩).

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري النيسابوري، ثقة، حافظ، إمام، مصنف، عالم بالفقه، مات سنة إحدى وستين ومائتين. وله سبع وخمسون سنة. تقريب التهذيب (٢/٢٤٥).

(٣) المستورد بن شداد بن عمرو القرشي، الفهري، حجازي، نزل الكوفة، له ولأبيه صحبة. مات سنة خمس وأربعين. تقريب التهذيب (٢/٢٤٢).

(٤) صحيح مسلم: (٤/٢٢٢٢).

(٥) المرجع السابق.

(٦) مسند أحمد (٤/٢٣٠). ولعله زجره عن ذلك حتى لا يفت في أعضاء الناس في قتالهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢١٥): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن وبقيته رجاله رجال الصحيح.

وقد أخبر النبي ﷺ عن الفتن والملاحم التي تكون في آخر الزمان بين أهل الإسلام وعبد الصلبان بما لا يدع مجالاً للشك في أبدية هذه العداوة، وأن ما يجري هذه الأيام منهم من مجاملات ومودات إنما هو قشرة رقيقة ظاهرة تخفي تحتها عداوة متأصلة، وكيداً خفياً، وإحناً وأحقاداً لا يطفئ لهيبها إلا أن نتبع ملتهم - عياداً بالله - ﴿وَلَنْ رَمَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَنْجِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١١٥﴾ [البقرة]، ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ قَوْلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران].

ومن أمثلة هذه الأحاديث الصحيحة:

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق»^(١)، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً. فيفتحون قسطنطينية، فيبنا هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام خرج، فيبنا هم يُعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى

(١) موضعان بالشام قرب حلب.

يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته^(١).

■ وعن يسير بن جابر^(٢) قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجلٌ ليس له هَجِيرٌ^(٣) إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد وكان متكئاً فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا، ونحّاهما نحو الشام فقال: عدوٌ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلتُ: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال رَدَّةً شديدة، فيشترط المسلمون شُرطة^(٤) للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل. فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنّى الشُرطة، ثم يشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنّى الشُرطة، ثم يشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يمساوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنّى الشُرطة. فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدَّبْرَةَ^(٥) عليهم فيقتلون مقتلةً، إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم يُرَ مثلها. حتى إن الطائر ليمر بجناباتهم، فما يخلفهم حتى يخرب ميتاً، فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد. فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراث يُقاسم. فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك؛

(١) رواه مسلم (٢٢٢١/٤) وفي الحديث دلالة على أن الروم سينتزعون القسطنطينية من أيدي المسلمين، ثم يفتحها المسلمون ثانية.

(٢) يسير بن جابر، الكوفي، مختلف في نسبه، قيل: كندي وقيل غير ذلك. وله رؤية. مات سنة خمس وثمانين. تقريب التهذيب (٣٧٤/٢).

(٣) أي شأنه ودأبه ترديد تلك الجملة.

(٤) طائفة من الجيش تتقدم إما للشهادة أو النصر.

(٥) الدَّبْرَةُ: الهزيمة.

فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذرايعهم، فيرفضون^(١) ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ^(٢).

■ وعن ذي مخبر^(٣) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجلٌ من المسلمين، فيدقّه، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة)^(٤) وفي رواية: (وتكون الملاحم، فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف)^(٥).

■ وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فقال: (اعدد ستاً بين يدي الساعة، وذكر السادسة: ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت

(١) يتركون.

(٢) صحيح مسلم: (٤/٢٢٣٤ - ٢٢٢٤).

(٣) ذي مخبر، الحبشي، صحابي، نزل الشام، وهو ابن أخي النجاشي. تقريب التهذيب (٣٩/١).

(٤) رواه أبو داود (٣/٢١٠)، وسنن ابن ماجه: ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة العلمية، بيروت. (٢/١٣٦٩) والحاكم (٤/٤٢١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال في الزوائد: إسناده صحيح وأحمد (٥/٣٧١ - ٣٧٢)، (٥/٤٠٩).

(٥) رواه أحمد (٤/٩١)، والحاكم (٤/٤٢١) وصححه ووافقه الذهبي.

ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً^(١). وفي رواية عنه عند أحمد: (قلت: وما الغاية؟ قال: الراية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً. فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها: دمشق)^(٢).

■ وفي رواية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: (وهذنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، ليجمعون لكم تسعة أشهر، كقدر حمل المرأة، ثم يكونون أولى بالغدر منكم...)^(٣).

■ تلك طبيعة العلاقة مع عباد الصليب في الماضي والحاضر والمستقبل، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة].



(١) رواه البخاري: (٦٨/٤).

(٢) المسند: (٢٥/٦).

(٣) المسند: (١٧٤/٢).

المبحث الخامس

لمحة تاريخية عن العلاقات بين المسلمين وأهل الكتاب

تبين من المبحثين السابقين أن العهد النبوي شهد اكتمال الأحكام العقدية والشرعية الإسلامية تجاه أهل الكتاب، بما لا يدع مجالاً لتحريف أو ابتداع. كما شهد أيضاً تطبيق تلك الأحكام واقعاً مُعاشاً من خلال مساكنة اليهود المسلمين في المدينة، وفرض الجزية على نصارى نجران، وغيرهم. فلا ريب أن ذلك العهد الزاهر لا يمثل مرحلة تاريخية فحسب، بل مرجعية عقدية شرعية لكل المراحل التالية.

كما أن مواقف زعامات أهل الكتاب الدينية والسياسية إبان ذلك العهد رسمت الطريق لخلفهم في الاستنكاف عن قبول الحق، ومعاداة أهله.

ونقصد في هذا المبحث الإمام بمجمل العلاقات التاريخية بين المسلمين بعد العهد النبوي المتميز، وأهل الكتاب، سواء كانوا ذميين أو مستأمنين أو كانوا حربيين، ولا شك أن الإحاطة بتفاصيل ومفردات العلاقات التاريخية بين المسلمين وأهل الكتاب عمل موسوعي ضخم يتطلب توافر عشرات الباحثين عليه، لسعة رقعته الزمانية والمكانية وتنوع مادته. والمقصود هنا وضع خطوط عامة بارزة لتكوين خلفية تاريخية يستصحبها القارئ وهو يذلف إلى دراسة قضية معاصرة، ونازلة جديدة هي «دعوة التقريب بين الأديان».

يمكن أن نقسم تاريخ العلاقات الإسلامية - الكتابية إلى خمس

مراحل متميزة^(١)، آخذين بالاعتبار حين التقسيم العلاقات الإسلامية - النصرانية أساساً، لكونها الجبهة الساخنة، ذات الشوكة والمواجهة، والكر والفر، والمد والجزر، على مدار التاريخ، بينما تختفي اليهودية في معظم فترات التاريخ عن الصدارة بسبب القلة العددية، والشتات القومي لليهود، والذلة والمسكنة التي ضربها الله عليهم دون التقليل من خطرهم وكيدهم الخفي.

المرحلة الأولى: من عام ١١١هـ إلى عام ١١٤هـ:

تضم هذه المرحلة عصر الخلفاء الراشدين وصدر الإسلام، وعلى وجه التحديد من وفاة الرسول ﷺ إلى معركة «بلاط الشهداء»، في زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك^(٢)، حيث بلغت الدولة الإسلامية الفتية أقصى اتساعها في غرب أوربا، وشارفت جيوش عبد الرحمن الغافقي^(٣) ﷺ على اجتياح فرنسا، وتمثل هذه المرحلة «المرحلة

(١) سيكون تاريخ الحافظ ابن كثير ﷺ (البداية والنهاية) مرجعاً أساسياً في هذا العرض التاريخي، لاستيعابه فترة طويلة من تاريخ العلاقات، ولمزاياه الفنية المنهجية، ودفعاً للتوسع والإطالة في مبحث لا يهدف أصلاً الدراسة التاريخية المتخصصة، وإنما النقاط الشواهد التاريخية التي تتأتى من مصدر واحد وثيق كالبدية والنهاية.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ - ١٢٥هـ) من خلفاء الدولة الأموية. بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ. نشط في عهده الجهاد في سبيل الله فقاتل المسلمون الترك، وقتلوا خاقانهم، واستولوا على بلاد ما وراء النهرين، وكثر المال. كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. انظر: الأعلام (٨/٨٦)، البداية والنهاية (٩/٣٥١ - ٣٥٤).

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي: أبو سعيد، أمير الأندلس، من كبار القادة الغزاة الشجعان. أصله من غافق، من قبيلة عك في اليمن. رحل إلى أفريقية ثم إلى الأندلس، وولي قيادة الشاطئ الشرقي، وكثرت جموعه بعد مقتل السمح بن مالك سنة ١٠٢هـ، وولاه هشام بن=

الذهبية» للإسلام مع النصرانية، حيث تم طي بساط النصرانية عن الأقاليم المعمورة؛ في الشام والعراق ومصر والمغرب بل وأسبانيا وجنوب فرنسا، ونشر أعلام الإسلام عبر سلسلة متتابعة من الفتوحات السريعة المذهلة، كان قوادها، ولحمة سداها أصحاب محمد ﷺ وخيار التابعين. فقد استهل الخليفة الراشد الأول: أبو بكر الصديق مدة خلافته القصيرة، ستين وثلاثة أشهر، بإنفاذ جيش أسامة بن زيد^(١) الذي عقد لواءه رسول الله ﷺ قبل وفاته، والسير إلى تخوم البلقاء من الشام وقاتال الروم^(٢)، رغم ارتداد كثير من قبائل العرب عن الإسلام، ولما تم القضاء على المرتدين، شرع الصديق ﷺ في جمع المسلمين لغزو الشام، وتولية الأمراء، وعقد الألوية والرايات، وذلك في أول سنة ثلاثة عشر للهجرة^(٣).

وبعد وفاة الصديق ﷺ في جمادى الآخرة، تولى الخلافة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ فكان كما وصف النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر ﷺ: (أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على

= عبد الملك إمارة الأندلس سنة ١١٢هـ، وهو الذي بنى قنطرة قرطبة المشهورة. واجتاز بالمسلمين جبال البرانس لغزو بلاد الغال «فرنسا» فاستولى على أجزاء منها، ودحر جيوش شارل مارتل، فجمع له جيشاً كبيراً، من الغاليين والجرمانيين، فدارت معركة هائلة في «بواتيه» عرفت باسم بلاط الشهداء، استشهد فيها ﷺ. انظر: الأعلام (٣/٣١٢).

(١) أسامة بن زيد بن حارثة: الأمير، أبو محمد، وأبو زيد. صحابي مشهور. حب رسول الله ﷺ وابن جبه. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام. سكن وادي القرى بعد وفاة النبي ﷺ ثم انتقل إلى الشام في أيام معاوية ﷺ. مات سنة أربع وخمسين من الهجرة، عن خمس وسبعين سنة. انظر: تقريب التهذيب (٥٣/١)، الأعلام (١/٢٩١).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٦/٣٠٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (٧/٢ - ٤).

قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً^(١) أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له. ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً^(٢)، فلم أر عبقرياً^(٣) يفري قريته^(٤) حتى روي الناس، وضربوا بعطن^(٥). ففي زمن خلافته ﷺ استكملت فتوح العراق والشام ومصر عبر سلسلة متلاحقة من المعارك الفاصلة والفتوحات العظام مثل: معركة اليرموك ١٣هـ، فتح دمشق ١٣هـ، وقعة فحل ١٣هـ، معركة القادسية ١٤هـ، فتح حمص الأول، وقنسرين وقيسارية وأجنادين وبيت المقدس وحمص الثانية جميعها في ١٥هـ. ثم فتح المدائن ومعركة جلولاء وفتح تكريت والموصل من أرض العراق في ١٦هـ والجزيرة في ١٧هـ وفي سنة ٢٠هـ كان فتح مصر، والإسكندرية عام ٢٥هـ.

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ جرى فتح أفريقية عام ٢٧هـ، وابتداء فتح الأندلس ٢٧هـ، وفتح قبرص ٢٨هـ ومعركة ذات الصواري البحرية ٣١هـ، وغزوة ملاطية ٣٣هـ. ثم انكفأ المسلمون على أنفسهم بسبب ما جرى من الفتنة، وقتل عثمان ﷺ، فتوقفت الفتوح.

ولما استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ عاود غزو بلاد الروم منذ سنة اثنتين وأربعين للهجرة، وبلغ المسلمون مدينة قسطنطينية

(١) الذنوب: الدلو الكبيرة إذا كان فيها الماء. فتح الباري (٣٢/٧).

(٢) الغرب: الدلو العظيمة.

(٣) المراد به كل شيء بلغ النهاية.

(٤) أي يعمل عمله البالغ. فتح الباري (٣٣/٧).

(٥) صحيح البخاري (١٩٨/٤) والعطن: مناخ الإبل إذا شربت ثم صدرت. فتح الباري (٣٣/٧). وقال ابن حجر: (..) لم يتعرض في ذكر عمر إلى عدد ما نزع من الدلاء، وإنما وصف نزع العظمة إشارة إلى كثرة ما وقع في خلافته من الفتوحات والله أعلم (فتح الباري (٣٢/٧)).

عام ٤٣هـ وعام ٤٩هـ، في غزواتٍ متتابة لبلاد الروم، وفتحت جزيرة «رودس» عام ٥٣هـ، و«كرت» عام ٥٥هـ. وفي عام ٦٢هـ سارت جيوش المسلمين غرباً في الشمال الإفريقي لقتال الروم والبربر، وفي عام ٧٨هـ بلغوا «طنجة» في أقصى المغرب، واكمل فتح المغرب في عام ٩١هـ. وفي عام ٩٢هـ غزا المسلمون بلاد الأندلس وفتحوا أقاليمها في أقل من ثلاث سنين. وفي عام ٩٤ تم فتح «أنطاكية» و«سندرة» من أرض الروم. قال ابن كثير رحمه الله: (وفيها فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك^(١))، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه، حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢).

وقد حاول المسلمون مراراً فتح القسطنطينية، وكان من أواخر هذه المحاولات الجادة في هذه المرحلة تجهيز سليمان بن عبد الملك^(٣) عام ٩٨هـ لأخيه مسلمة بجيش عظيم، ولكن لم يقع ذلك الفتح

(١) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس (٤٨ - ٩٦هـ)، من خلفاء الدولة الأموية. ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، فوجه القواد لفتح البلاد، فامتدت الفتوح في عهده إلى بلاد الهند والتركستان وأطراف الصين شرقاً، وأقاصي المغرب وبلاد الأندلس غرباً. وكان ولوعاً بالبناء والعمران وإصلاح الطرق. وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام، وأجرى الأرزاق على الناس، وجعل لكل أعمى قائداً، ولكل مقعد خادماً، وجعل بيوتاً للفقراء. وأعاد بناء المسجد النبوي، والمسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق، رحمه الله. انظر: الأعلام (١٢١/٨)، البداية والنهاية (١٦١/٩ - ١٦٦).

(٢) البداية والنهاية: (٩٥/٩).

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان (٥٤ - ٩٩هـ) أبو أيوب، الخليفة الأموي، ولد في دمشق، وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ. وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، وجهاز جيشاً كبيراً، وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية. وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك. رحمه الله. الأعلام (١٣٠/٣)، والبداية والنهاية (١٧٧/٩).

المرتقب، ولم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء محكماً، رحب الفناء شاهقاً في السماء^(١).

وفي عهد الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز رحمته الله اخترق المسلمون جبال البرانس الفاصلة بين شبه الجزيرة الإيبيرية (أسبانيا والبرتغال حالياً، الأندلس سابقاً) ودخلوا جنوب فرنسا (بلاد الغال) وفتحوا «سبتمانيا» ومدن حوض نهر «الرون» حتى بلغوا مدينة «سانس» الواقعة على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب باريس. وظلوا يتوسعون في تلك المناطق ويناضون الفرنجة، حتى تصاف جيشان ضخمان وجهاً لوجه في معركة فاصلة من معارك التاريخ، عرفها المسلمون باسم «بلاط الشهداء»، وسماها خصومهم الفرنجة: «تور - بواتيه» وذلك في أواخر شعبان سنة ١١٤هـ أسفرت - بعد ملاحم طاحنة - عن انهزام المسلمين إلى مواقع خلفية في جنوب فرنسا.

لقد كان هذا الحدث التاريخي مؤشراً هاماً في حركة المد الإسلامي يمثل الذروة العليا، والحد الأقصى الذي بلغته حركة الفتوح الإسلامية الظافرة، ومن بعده أخذ المؤشر يتجه ناحية الانحدار، وتلك سنة الله في خلقه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

(١) البداية والنهاية: (١٧٤/٩).

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أبو حفص، الخليفة الصالح والملك العادل، وربما قيل خامس الخلفاء الراشدين، ولي الخلافة من سنة ٩٩هـ حتى وفاته سنة ١٠١هـ، فمدة خلافته ستان ونصف وأخباره في عدله وحسن سياسته شهيرة، وقد ألقت في مناقبه كتب جمة.

الأعلام (٥٠/٥)، فوات الوفيات (١٠٥/٢)، تهذيب التهذيب (٤٧٥/٧)، حلية الأولياء (٢٣٥/٥)، صفوة الصفوة (٦٣/٢)، والنجوم الزاهرة (١/٢٤٦).

يقول «جيبون»: (لو انتصر العرب في تور - بواتيه، لتلي القرآن وفسر في أكسفورد وكمبرج)^(١).

لقد تميزت هذه المرحلة «الذهبية» المدهشة بجملة من الخصائص الفريدة:

أولاً: الدافع العقدي النقي، والحماس الإيماني الجهادي لدى الفاتحين المسلمين الذين خرجوا من بوتقة جزيرتهم العربية الضيقة ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور غير مبالين بقلّة عددهم، وضعف عتادهم، وقوة عدوهم وكثرة جموعه، مستعلين بالإيمان، مستخفيين بالطغيان، موقنين بموعد ربهم الآجل والعاجل، مصدقين ببشارة نبيهم ﷺ، فضربوا أروع الأمثلة في التضحية والبسالة والحرص على الشهادة، والزهادة بما في أيدي الناس في مواقف وملاحم ومقامات مشهورة أذهلت أبناء البلاد المفتوحة، فوطأ الله لهم أكناف الأرض وفتح لهم القلوب قبل الحصون. وتسمو درجة النقاء والطهر والنزاهة في الأفواج الأولى من الفاتحين الذين هم أصحاب محمد ﷺ وكبار التابعين، وفي عصرهم فتحت الأقاليم الكبار، وصارت دار إسلام إلى آخر الزمان، وكلما مضى الدهر قدماً نقص هذا المستوى الرفيع، وشابته الشوائب حتى بلغ الأمر متناه في هذه المرحلة التي تمثل قرناً من الزمان بعد وفاة الرسول ﷺ تقريباً، وعامة أهلها خير القرون.

لقد كان يحدو أولئك الفاتحين في هذه المرحلة حاديان؛ عامٌ وخاص.

فأما العام: فقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

(١) نقلاً عن: بلاط الشهداء: شوقي أبو خليل. دار الفكر. دمشق. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). ل: شوقي أبو خليل (٣٦). وأكسفورد وكمبرج جامعتان عريقتان في إنجلترا.

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْأَكْثَرِ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿[آل عمران: ١١٠].

وأما الخاص: فقوله ﷺ: (لنفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)^(١). ورواه الإمام أحمد من حديث بشر الخثعمي رضي الله عنه، قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك^(٢) فسألني فحدثته فغزا القسطنطينية.

وعن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة، يريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله، يلقي بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب^(٣): إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أي نقيم في أموالنا، ونصلحها وندع الجهاد. قال أبو عمران: فلم يزل

(١) المسند (٣٣٥/٤). وسنده حسن وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢١/٦): رواه أحمد والبخاري والطبراني ورجاله ثقات.

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان (٠٠ - ١٢٠هـ) أمير قائد، من أبطال عصره من بني أمية في دمشق له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان، وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية سنة ٩٦هـ، وولاه أخوه يزيد إمارة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة ١٠٩هـ ومات بالشام. قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته. انظر: الأعلام (٢٢٤/٧)، البداية والنهاية (٣٢٨/٩).

(٣) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب من كبار الصحابة، شهد بدرًا، ونزل النبي ﷺ حين قدم المدينة عليه، مات غازیاً بالروم سنة خمسين وقيل بعدها. تقريب التهذيب (٢١٣/١).

أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية^(١).

ظل المسلمون يعيشون بالصوائف والشواتي في أرض الروم طوال القرن الأول طلباً لهذا الشرف العظيم، فتح القسطنطينية، والفوز بالمنتبة الرفيعة التي وصف بها النبي ﷺ جيش الفاتحين وأميرهم.

وكذلك الحال على الجانب الغربي، فقد كان هذا الهاجس يحدو جيوش المسلمين المجاهدة في الشمال الإفريقي وهم يهمون بفتح الأندلس، قال ابن كثير رحمته الله: (لما افتتحت أفريقية: بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول: إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان، والسلام)^(٢). وكان ذلك في سنة ٢٧هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه.

لقد كان المسلمون يطمحون أن يحيلوا بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط حالياً - إلى بحر الإسلام، وأن يحيطوا بالقسطنطينية من جانبيها الآسيوي والأوربي، وكان موسى بن نصير رضي الله عنه يقول: (لو

(١) سنن أبي داود (٢٧/٣) والترمذي برقم (٢٩٧٦) وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٢) البداية والنهاية (١٥٢/٧). وانظر: الكامل (٤٧/٣) وتاريخ الطبري (٤/٢٥٣).

(٣) موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي، بالولاء (١٩ - ٩٧هـ) أبو عبد الرحمن، فاتح الأندلس، أصله من وادي القرى بالحجاز نشأ في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية. فغزا قبرس، وبنى بها حصوناً، وغزا أفريقية، وولياها، وأقام بالقيروان، ووجه مولاة طارق بن زياد لفتح الأندلس عام ٩٢هـ، ففتحها ثم التحق به في العام التالي، وأكملها معاً فتح الجزيرة حتى جبال البرانس، وكان يطمع باخترق أوروبا ليصل إلى القسطنطينية من الجانب الآخر، ولكن الوليد بن عبد الملك خاف عاقبة الإيغال فأمره بالتوقف =

انقاد الناس لي لقدتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى^(١). وبهذه الروح الوثابة، وهذا التألق الإيماني رسم الفاتحون خريطة العالم من جديد، وأزاحوا النصرانية عن أشرف مقدساتها، وأعلى مراتبها، وأرسوا دعائم الدين الحق، ووطدوا أركانه.

ولعل استعصاء هذه المدينة «القسطنطينية» ومنعتها أمام جيوش المسلمين ومحاولاتهم المتكررة لفتحها، حتى اكتفوا ببناء جامع فيها على رأس القرن الأول، ثم ما تلا ذلك من صد التوسع الإسلامي في فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء الفاصلة عام ١١٤هـ، كان إيذاناً بانتهاء مرحلة متميزة، فريدة، أثمرت ثماراً يانعة باقية في تاريخ بني الإنسان.

ثانياً: الإقبال العظيم على اعتناق الإسلام، والدخول في دين الله من أبناء البلاد المفتوحة رضاً وطواعية. ولقد شهدت العقود الأولى من الفتح الإسلامي انخراطاً في الدين الجديد من معتنقي الأديان الأخرى - خصوصاً النصارى - وتحولاً ملفتاً في المجتمعات المنضوية تحت راية الإسلام دون عنفٍ ولا إكراه في ظاهرة تاريخية لم يسبق لها مثيل، شهد بها الخصوم قبل الأولياء.

يقول برنارد لويس^(٢): (لقد وصل محمد إلى السلطة والحكم أثناء

= والعودة إلى دمشق، فوصلها عام ٩٦هـ في مرض الوليد، ثم حج مع سليمان، وتوفي في وادي القرى. وكان شجاعاً عاقلاً كريماً، لم يهزم له جيش قط ككثرة. انظر: الأعلام (٧/ ٣٣٠).

(١) البداية والنهاية (٩/ ١٧٤).

(٢) برنارد لويس: ولد في لندن عام ١٩١٦م. حصل على اللسانس مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة لندن عام ١٩٣٦م، ودبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس عام ١٩٣٧م، والدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٣٩م. وهو أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى في جامعة «برنستون»، وعضو دائم =

حياته، وقد أسس بنفسه أول دولة إسلامية، وحكمها مع أصحابه، لقد انتهت مهمة الرسالة الروحية لمحمد بوفاته، ولكن رسالته الدينية والسياسية استمرت على يد خلفائه. وتحت حكم الخلفاء، تقدم المسلمون من انتصار إلى انتصار، وبالتالي نشأ خلال قرن واحد كيان شاسع الأصقاع يمتد من حدود الهند والصين إلى جبال البيرينيه وسواحل المحيط الأطلسي، وهو كيان يحكم ملايين الأتباع، وبأعداد هائلة، ممن اعتنقوا الدين الجديد... إن تاريخ الدولة الإسلامية المبكر - الذي يحظى بالقداسة - يشكل جوهر ولب ذاكرة ووعي المسلمين في كل مكان، وهو يحكي قصة الفتوحات السريعة المتواصلة، والتي تساقط أمامها زعماء العقائد الفاسدة التي تضطهد شعوبها.

لقد وصل الإسلام إلى الانتصار النهائي سواء من حيث العقيدة أو السلاح، وأوصل كلمة الله إلى البشرية كلها، وفرض الشريعة الإلهية على العالم كله^(١). (..) وهكذا فعندما وصل المسلمون في العصور الوسطى إلى صقلية وأسبانيا والبرتغال، شاهدنا بعد فترة قصيرة عمليات تحول ودخول جماعات كثيرة من النصارى إلى الدين الجديد^(٢).

إن التفسير الحقيقي لظاهرة الاعتناق الجماعي للإسلام من سكان البلاد المفتوحة؛ كتابيين أو وثنيين، ترجع إلى أمرين أساسيين:

= في معهد الدراسات المتقدمة في برنستون - نيوجرسي - ١٩٧٤م. يشغل العديد من المناصب العلمية، وعضو فخري في عشرات الجمعيات. مؤلفاته تربو على العشرين، وله عشرات الأبحاث المنشورة في التاريخ والفرق. انظر التعريف به في مقدمة كتابه (الإسلام الأصولي). دار الجيل. بيروت. ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(١) الإسلام والغرب: برنارد لويس. دار الرشيد - دمشق - بيروت، مؤسسة الإيمان - بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). (٥).

(٢) الإسلام والغرب (٨).

أولهما: صحة العقيدة الإسلامية ووضوحها ومتانتها، وموافقتها التامة للعقل والفطرة وأصول الشرائع السابقة، وبعدها عن التعقيد والغموض والتكلف والبدعة الذي آلت إليه الأديان المحرفة. فوجد فيها القوم بغيتهم، وسكينة قلوبهم، وحل إشكالاتهم العقدية والتشريعية، على حد قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْآيَةُ﴾ ① رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ③ ﴿[البينة: ١ - ٣].

وثانيهما: الالتزام الشرعي، والتطبيق الدقيق لحملة هذا الدين من الفاتحين المؤمنين الأولين، حتى ضربوا أروع الأمثلة في الصدق والوفاء بالعهود، وحفظ الذمة والعدل والنزاهة، مع صدق الإيمان وقوة الصلة بالله تعالى، والشهادة في سبيله على حد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ④ [الحج].

لقد رأى أبناء البلاد المفتوحة في أصحاب رسول الله ﷺ ملائكة يمشون على الأرض مطمئنين، فبهروا بصدقهم وإخلاصهم وعدلهم وخشيتهم لربهم وزهادتهم في الدنيا، فعلموا أنهم تضلعوا من معين النبوة، وأشرقت قلوبهم بنور الإيمان فاخтарوا الإسلام راغبين منقادين رجاء أن يؤتوا أجورهم مرتين^(١).

(١) يقول الباحثان فيليب فارح، ويوسف كرباج: (إن العراق الذي كان يركز الكتلة الديموغرافية للمنطقة، قد ترك لنا المؤشرات الأكثر ترتيباً، ... ففي الشمال في ظل الخلفاء الأوائل تظل النسطورية حيوية ... وفي الجنوب، في المقابل، يمتد الإسلام بسرعة بالغة، والبرهان على ذلك هو انهيار إيرادات ضريبة الرأس: ففي عهد الخليفة عمر الأول، تصل إلى ما بين ١٠٠ مليون و١٢٠ مليوناً من الدراهم؛ بينما لا يجمع الأمويون منها غير ٤٠ مليوناً من الدراهم في عهد عبد الملك (٦٨٥ - ٧٠٥م). وهذه الأرقام توضح اتساع=

ولا ننفي أن تكون التشريعات الإسلامية في حق أهل الذمة من فرض الجزية وغيرها قد تدفع ببعضهم إلى اعتناق الإسلام، أو على الأقل تحملهم على التفكير بذلك. ولكننا نجزم أن «الجزية» في حد ذاتها، أو مجرد «الغلبة» و«السيطرة السياسية» غير كافية أبداً في التخلي عن المعتقد، بدليل أن هؤلاء القوم قد خضعوا لبعض مخالفاتهم في المعتقد، الذين ساموهم سوء العذاب، ونكلوا بهم، فما زادهم ذلك إلا إصراراً على دينهم. كما أن ذلك الذي يرى مواطنه المسلم يدفع لبيت مال المسلمين زكاة ماله كما يدفع هو الجزية. إضافة إلى ذلك فقد ظل أعداد من هذه الطوائف قروناً متطاولة مصرين على دينهم الأول، يدفعون الجزية. فالباعث الحقيقي والسبب الرئيس في إقبالهم على الإسلام هو ما أشرنا إليه، ولو كره الحاسدون.

وقد نفياً أهل الذمة ظلال العدل الإسلامي الوارفة، وعاشوا آمنين مطمئنين على أرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم، بل ومقدساتهم طوال هذه المرحلة متمتعين بضمانات كفها لهم التشريع الإسلامي ذاته^(١).

فلم يلحظ التاريخ خلال هذه الفترة حوادث شغب أو ثورات أو

= عمليات التحول إلى اعتناق الإسلام: إن ثلثي إجمالي السكان يقران الانتماء إلى الإسلام منذ النصف الأول للقرن. وإذا ما سلمنا بأن العراق (بمفهوم جغرافي واسع) كان يضم نحو عام ٧٠٠ زهاء ٩ ملايين من السكان، فبالإمكان توزيع هؤلاء إلى ٦ ملايين من المسلمين حديثي الاعتناق للإسلام و ٣ ملايين من المسيحيين). المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلام العربي والتركي (٢٤ - ٢٥).

وأما في مصر فيقول الباحثان: (إن أكثر من نصف الأقباط سوف يتحولون إلى اعتناق الإسلام في أقل من أربعين سنة؛ ٢٦٪ بين عامي ٦٤٤، ٦٦١ ثم ٣٣٪ في عهد معاوية وحده بين عامي ٦٦١، ٦٨٠). المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلام العربي والتركي (٣٢).

(١) راجع مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب.

انتفاضات، على ضد ما يجري إثر عمليات الاحتلال من الشعب المغلوب على الجيش المنتصر. بل إن التاريخ يحفظ وقائع يطول سردها تكشف عن الجانب الخلقي في التعامل، والوفاء بالعهود، وحفظ الحقوق، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

ونختار لذلك مثلين: أحدهما في قصة بناء الجامع الأموي في دمشق، الذي كان كنيسة للنصارى، فلما فتح المسلمون دمشق (أخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة «مرُّيْحنا»^(١))، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرقي بالسيف، وأخذت النصارى الأمان من أبي عبيدة، وكان على باب الجابية، الصلح، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقي، فجعله أبو عبيدة مسجداً يصلي فيه المسلمون... وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد... فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم، ويأخذ المسلمون يمنة إلى مسجدهم، ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربوا بناقوسهم، إجلالاً للصحابة، ومهابة وخوفاً... ثم لم يزل الأمر على ما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى من سنة أربع عشرة إلى سنة ست وثمانين في ذي القعدة منها^(٢).

ولما كثر المسلمون، وضاق بهم المسجد، وتأذوا من مجاورة النصارى لرفع أصواتهم بقراءة الأناجيل، فاوضحهم الوليد بن عبد الملك على الخروج وصالحهم وأرضاهم.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هَمَّ أن يرد عليهم ما أخذ منهم الوليد، حتى حقق القضية وخيرهم بين الرد وبين استرجاع كنائس خارج

(١) لعلها نطق عربي لـ «مار يوحنا».

(٢) البداية والنهاية: (٩/ ١٤٤ - ١٤٥).

البلد لم تدخل في الصلح، فاختاروا استبقاء تلك الكنائس، ويطيبوا نفساً للمسلمين بتلك البقعة من الجامع^(١).

إن هذه الحادثة التي دامت فصولها قرابة تسعين سنة، لتدل على مدى التحرج الشرعي الذي يشعر به المسلمون تجاه حقوق أهل الذمة، تديناً لله، وحفظاً لعهد وذمة رسوله ﷺ، لا خوفاً من هؤلاء النصاري ولا طمعاً فيهم، ولا يحفظ تاريخ الغزاة والفتاحين تسامحاً وعدلاً وإنصافاً ووفاء كما حفظ لأهل الإسلام، خصوصاً في هذا القرن الأول.

وأما المثال الثاني فعلى المستوى الفردي، فقد روى أبو بكر الآجري^(٢) في أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بسنده أنه (أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها. فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص، أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين: أسألك كتاب الله وكتابه. قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي - والعباس جالس - فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أقطعنيها يا أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله. فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، فاردد عليه يا عباس ضيعته، فرد عليه^(٣).

(١) انظر: تفاصيل الموضوع في البداية والنهاية (١٤٢/٩ - ١٥٢).

(٢) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري الشافعي، فقيه محدث نسبه إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، ثم انتقل إلى مكة وتوفي فيها، وله من التصانيف: «الشرعية»، و«أخلاق العلماء» و«النصيحة» وغيرها. مات سنة (٣٦٠هـ). انظر: الأعلام (٩٧/٦)، وفيات الأعيان (٤٨٨/١)، صفوة الصفوة (٢٦٥/٢).

(٣) أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وسيرته: الآجري، أبو بكر =

هذه هي الضمانة الوثيقة التي يجد فيها أهل الذمة مأمنهم: «كتاب الله»، حتى ولو كان خصمه ابن خليفة معه سجل من الخليفة. فكتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد. فأين يجد الباحث إنصافاً ونصرة للمظلوم من أبناء الأمم المغلوبة من ظالمه من السادة المتغلين في تاريخ البشرية؟

تلك لمحة مختصرة عن العلاقة التاريخية على الصعيدين الداخلي والخارجي بين المسلمين وأهل الكتاب في هذه المرحلة المتميزة تنبئ عما وراءها من مواقف وأحداث لا يتسع المقام لحصرها.

المرحلة الثانية: من عام ١١٥هـ إلى عام ٤٩٠هـ

تشغل هذه المرحلة حيزاً زمنياً يمتد من منتصف العقد الثاني من القرن الثاني الهجري حيث بلغت الفتوحات الإسلامية أقصى امتداد لها، وأذنت بالانحسار التدريجي البطيء، وينتهي بالإرهاصات السابقة لأولى الحملات الصليبية على بلاد الشام في العقد الأخير من القرن الخامس الهجري، أي ما يقارب أربعمئة سنة تقريباً.

والسمة المميزة لهذه المرحلة من ناحية العلاقات الإسلامية الكتابية على جانبيها الشرقي والغربي، أي في خط المواجهة مع الإمبراطورية البيزنطية شرقاً، والفرنجة غرباً، كونها مرحلة كبر وفرو، ومناوشات متبادلة، وحماية ثغور، وعمليات صلح وتبادل أسرى، دون أن تشهد إضافة أقاليم كبار لدار الإسلام كما كان الحال في المرحلة الأولى. وربما كانت الكفة راجحة للجانب الإسلامي في العقود الأولى من هذه المرحلة، لا سيما في خط التماس مع الإمبراطورية البيزنطية، ثم مالت الكفة لصالح الجانب النصراني في أواخر هذه المرحلة، لا سيما في بلاد الأندلس.

= محمد بن الحسين. تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). (٥٧ - ٨٥).

ويمكن أن نبين هذا الإجمال بشيء من التفصيل الموجز الذي تفرضه طبيعة البحث.

• إثر معركة «بلاط الشهداء» ١١٤هـ = ٧٣٢م زحف النصاري بقيادة «شارل مارتل» تجاه جنوب فرنسا واسترد بعض المدن المفتوحة، وبعد ست وثلاثين سنة من الحروب والمناوشات ودع المسلمون فرنسا بعد إقامة دامت سبعين سنة تقريباً (٧٢٠ - ٧٦٨م)، مخلفين ورائهم جبال البرانس حداً طبيعياً فاصلاً بين مملكة الفرنجة في فرنسا ومملكة المسلمين في الأندلس^(١).

• وفي الجانب الآخر دخلت الدولة الأموية في معمة من الفتن الداخلية، واضطراب الأمور، وفساد أمر الخلافة بعد وفاة هشام بن عبد الملك ﷺ عام ١٢٥. قال ابن كثير: (لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية، وتولى وأدبر الجهاد في سبيل الله)^(٢). وانشغل المسلمون بأنفسهم، وسقطت الخلافة الأموية، وقامت خلافة بني العباس على أشلاء المسلمين ودمائهم عام ١٣٢هـ، وظل أمر الجهاد راكداً مما أغرى الروم بالهجوم على «ملطية» عام ١٣٨هـ، فقابله المسلمون بالتوغل في بلاد الروم عام ١٣٩هـ، ومفاداة الأسرى^(٣)، ثم توقفت الصوائف حتى عام ١٤٦هـ^(٤).

• وحين استتبّت الأمور لبني العباس في عهد المهدي^(٥) (١٥٨-١٦٩هـ)،

(١) تفاصيل ذلك في: نفع الطيب ج(١)، فجر الأندلس، جذوة المقتبس.

(٢) البداية والنهاية: (٣٥٤/٨).

(٣) البداية والنهاية: (٧٣/٩).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المهدي العباسي (١٢٧ - ١٦٩هـ) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله. من خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولي بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ، وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً. =

والرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ)، والمأمون^(١) (١٩٨ - ٢١٨هـ)، والمعتصم^(٢) (٢١٨ - ٢٢٧هـ) - باستثناء فترات طارئة من الفتن الداخلية - نشطت حركة الجهاد نسبياً، وتتابع الغزو وحماية الثغور، وفتح بعض المدن والحصون، وأخذ الجزية من ملوك القسطنطينية أحياناً. ومن أبرز تلك الأحداث: غزو عام ١٥٩هـ، ١٦٢هـ، ١٦٤هـ، وغزو القسطنطينية عام ١٦٥هـ وأخذ الجزية من أهلها في خلافة المهدي^(٣)، ثم فتح «أنقرة» و«مطمورة» عام ١٨١هـ، وإذلال ملك الروم «نقفور» عام (١٨٧ - ١٩٠هـ) في خلافة الرشيد^(٤). وغزو بلاد الروم عام ٢١٥هـ، والرد على هجومهم على «طرسوس» عام ٢١٦هـ، وما تبع ذلك من مناوشات عام

= كان محمود العهد والسيرة، محبباً إلى الرعية، شديداً على المبتدعة والزنادقة. انظر: الأعلام (٢٢١/٦).

(١) عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي، أبو العباس، سابع خلفاء بني العباس، وأحد أعظم الملوك، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين، فعمل على ترجمة كتب الفلسفة والمنطق، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، وحض الناس على قراءتها، وقرب العلماء والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والشعراء وامتنح الناس بالقول بخلق القرآن في آخر حياته، توفي سنة ٢١٨هـ.

الأعلام (١٤٢/٤)، تاريخ بغداد (١٨٣/١٠)، الكامل في التاريخ (١٤٤/٦ - ١٤٨)، تاريخ الطبري (٢٩٣/١٠)، فوات الوفيات (٢٣٩/١).

(٢) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، خليفة من أعظم خلفاء بني العباس، بويح سنة ٢١٨هـ بعد وفاة أخيه المأمون، وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية في خبر مشهور، اتسع ملكه جداً، وقرب إليه الأتراك، وكثروا في جنده فبنى لهم سامرا لما ضاقت بهم بغداد، توفي سنة ٢٢٧هـ. الأعلام (١٢٧/٧)، الكامل (١٤٨/٦ - ١٧٩)، مروج الذهب (٢٦٩/٢ - ٢٧٨).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٠/١٢٩، ١٣٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٦٥).

(٤) انظر: البداية والنهاية: (١٠، ١٧٧، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٣).

٢١٧ - في خلافة «المأمون»^(١)، ثم الرد على هجوم الروم على «ملطية»، وفتح عمورية عام ٢٢٣هـ في خلافة المعتصم^(٢).

وبالجملة فقد كان جانب الدولة الإسلامية مرهوباً في الصدر الأول من خلافة بني العباس.

ولما آل الأمر إلى المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ)، وازداد نفوذ الأمراء الأتراك، ضعف أمر الجهاد، واستطال الروم على المسلمين، بل وقعت سابقة خطيرة، فقد هجمت الفرنجة على مدينة «دمياط» المصرية، وقتلوا وحرقوا وسبوا، ورجعوا في مراكبهم لم يعرض لهم أحد، وذلك عام ٢٣٨هـ^(٣). كما أغار الروم على بلاد الجزيرة عام ٢٤٢هـ^(٤) وقصد ملك الروم بلاد الشام في عام ٢٤٨هـ في خلافة «المنتصر»^(٥) (٢٤٧ - ٢٤٨هـ)^(٦). وهزم المسلمون في «ملطية» عام ٢٤٩هـ في خلافة «المستعين»^(٧) (٢٤٨ - ٢٥٢هـ)^(٨). وكل ذلك لضعف جانب الخلافة،

(١) انظر: البداية والنهاية: (٢٦٩/١٠، ٢٧٠، ٢٧١).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٢٨٥/١٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (٣١٧/١٠).

(٤) انظر: البداية والنهاية: (٣٤٣/١٠).

(٥) المنتصر العباسي (٢٢٣ - ٢٤٨هـ) محمد «المنتصر بالله» بن جعفر «المتوكل على الله» بن المعتصم أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة بعد أن قتل أباه، سنة ٢٤٧هـ. وهو أول من عدا على أبيه من بني العباس. ولم تطل مدته، مدة خلافته ستة أشهر وأيام. قيل مات مسموماً. انظر: الأعلام (٧٠/٦)، البداية والنهاية (٣٩٤/١٠ - ٣٥٤).

(٦) انظر: البداية والنهاية (٣٥٣/١٠).

(٧) المستعين بالله العباسي (٢١٩ - ٢٥٢هـ) أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس. أمير المؤمنين، من خلفاء الدولة العباسية. بويع له بعد وفاة المنتصر سنة ٢٤٨هـ. وجرت في مدته فتن داخلية. انظر: الأعلام (٢٠٤/١)، البداية والنهاية (٢/١١ - ١١).

(٨) انظر: البداية والنهاية: (٣/١١).

وتفويض الأمر إلى أمراء الأجناد الأتراك، واشتغال الخلفاء بالملاهي والقيان والخمور، وعدم النهوض بأعباء الجهاد وحماية الثغور، وقد أدت أحداث عام ٢٤٩هـ في ملطية إلى هياج العامة، وتبني أهل اليسار من البغاددة تمويل المتطوعين للجهاد في الثغور^(١).

واستمر الحال في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أثناء خلافة «المعتمد»^(٢) (٢٥٦ - ٢٧٩هـ) في مناقشات مستمرة، كانت المبادرة غالباً بأيدي الروم، بينما يستमित أهل الثغور من المسلمين في الدفاع، كما جرى في ملطية عام ٢٥٩هـ^(٣)، وصقلية عام ٢٦٦هـ^(٤)، وطرسوس عام ٢٧٠هـ^(٥)، والرقّة عام ٢٨٩هـ^(٦).

• وما أن حل القرن الرابع الهجري حتى كانت دويلات الرافضة تجثم على معظم الأقاليم الإسلامية، وتنتشر الرعب والخراب والكفر والبدعة فيها. فالقرامطة (٢٧٨ - ٤٦٦) في الأحساء والبحرين يقطعون الطريق على الحجيج، ويقتلونهم في المسجد الحرام^(٧)، ويغيرون على البصرة وجنوب العراق، والصليحيون في اليمن (٤٢٩ - ٥٦٩هـ)،

(١) انظر: البداية والنهاية: (٣/١١).

(٢) المعتمد على الله (٢٢٩ - ٢٧٩هـ) أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، أبو العباس، المعتمد على الله. خليفة عباسي. ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ بعد مقتل المهتدي. وطالت أيام ملكه، وكانت مضطربة، بسبب نفوذ الموالي، حتى قام ولي عهده أخوه الموفق بالله طلحة ففضبط الأمور. كان سمحاً جيد الفهم شاعراً. مات ببغداد. انظر: الأعلام (١٠٧/١).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (٣١/١١).

(٤) انظر: البداية والنهاية: (٣٩/١١).

(٥) انظر: البداية والنهاية: (٤٥/١١).

(٦) انظر: البداية والنهاية: (٨٤/١١).

(٧) انظر: البداية والنهاية: (٨١/١١، ١٢٢، ٢٧٢، ١٦٠).

والعبيديون (٢٩٧ - ٥٦٧هـ) في المغرب ومصر، ثم فلسطين والشام، والحمدانيون في الموصل وحلب وأعمالها (٣١٧ - ٣٩٤هـ). وبقيت الخلافة العباسية في العراق رسماً بالياً، والخليفة جسداً ملقى، يسيره الأمراء الأعاجم من البويهيين الرافضة (٣٢٠ - ٤٤٠هـ) أو حريم القصر.

وبالجملة فقد عم الرفض الأرض^(١). فلا غرو أن يشهد القرن الرابع أحداثاً جساماً، وجراً بالغة من أهل الصليب، منتهزين ضعف أهل السنة وغلبة أهل التشيع والرفض.

ومن أبرز أحداث ذلك القرن العصيب:

* هجوم «الدمستق» ملك الروم على «ملطية»، ومطالبته أهل السواحل الإسلامية بالخراج عام ٣١٤هـ^(٢).

* هجومه على «رأس العين» وإعماله القتل والسبي في أهلها عام ٣٣٢هـ^(٣).

* هزيمة الروم لسيف الدولة الحمداني^(٤)، وإيقاعهم بأهل

(١) قال ابن كثير: .. وقد امتلأت البلاد رفضاً، وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين. وكل ملوك البلاد مصرّاً وشاماً وعراقاً وخراسان وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضاً، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب فكثرت السب والتكفير منهم للصحابة. البداية والنهاية: (٢٣٣/١١).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٥٣/١١).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (٢٠٨/١١).

(٤) سيف الدولة الحمداني (٣٠٣ - ٣٥٦هـ) علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن، سيف الدولة، الأمير، يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم، ونجوم الدهر. ولد في «ميفارقين» بديار بكر، ونشأ شجاعاً مهذباً، عالي الهمة، وملك واسطاً وما جاورها. ومال إلى الشام فامتلك دمشق، وعاد إلى حلب فملكها =

طرسوس عام ٣٣٧هـ^(١).

* احتلال الروم «سروج» وقتل أهلها، وإحراق مساجدها عام ٣٤١هـ^(٢).

* دخول الروم «آمد» و«ميفارقين»، وأخذ مدينة «سمساط» عام ٣٤٧هـ^(٣).

* بل دخولهم «حلب» وإعمال السيف في أهلها الذين استبسلوا في الدفاع عنها، وتخريبها، وأخذ الأسارى والسبايا عام ٣٥١هـ^(٤).

* إغارة الروم على «الرها» عام ٣٥٢هـ^(٥)، ومناوشة المسلمين في جزيرتي إقريطش «كرت» عام ٣٥١هـ^(٦)، و«صقلية» عام ٣٥٣هـ^(٧).

* ثم هجومهم على «المصيصة» و«طرسوس» عام ٣٥٤هـ^(٨).

* تحريق «حمص» وسبي أهلها عام ٣٥٨هـ^(٩)، ثم دخول أنطاكية وقتل الشيوخ والعجائز وسبي الأطفال والنساء عام ٣٥٩هـ، ثم «طرابلس».

قال ابن كثير: (ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلداً،

= سنة ٣٣٣هـ، وتوفي فيها، ودفن في ميفارقين. أخباره ووقائع مع الروم كثيرة. انظر: الأعلام (٣٠٣/٤)، البداية والنهاية (٢٦٣/١١).

(١) انظر: البداية والنهاية: (٢٢٠/١١).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٢٢٥/١١).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (٢٣٣/١١).

(٤) انظر: البداية والنهاية: (٢٣٩/١١).

(٥) انظر: البداية والنهاية: (٢٤٣/١١).

(٦) انظر: البداية والنهاية: (٢٣٩/١١).

(٧) انظر: البداية والنهاية: (٢٥٣/١١).

(٨) انظر: البداية والنهاية: (٢٥٥/١١).

(٩) انظر: البداية والنهاية: (٢٦٦/١١).

سوى القرى، وتنصر خلقٌ كثير على أيديهم، فلما لله وإنا إليه راجعون. وجاءوا إلى «حمص» فأحرقوا ونهبوا وسلبوا، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما أراد من البلاد، ويأسر من قدر عليه. وصارت له مهابة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلده ومعه السبي نحو من مائة ألف ما بين صبي وصبية^(١).

كل هذه المآسي والنكسات، وقد طبق الرفض جميع ممالك الإسلام تقريباً، وكان أخطرها استيلاء بني بويه على مقاليد الأمور في دار الخلافة في بغداد عام ٣٣٤هـ.

قال ابن كثير: (وكل هذا في ذمة ملوك الأرض، أهل الرفض الذين قد استحوذوا على البلاد، وأظهروا فيها الفساد. قبهم الله)^(٢). وقال في ترجمة النقفور ملك الأرمن، الملقب بالدمستق، الهالك سنة ٣٥٦هـ ما نصه:

(كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً، وأشدّهم كفرأ، وأقواهم بأساً، وأحدهم شوكة، وأكثرهم قتلاً وفتلاً للمسلمين في زمانه، استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسراً، واستمرت في يده قهراً، وأضيفت إلى مملكة الروم قدراً. وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع منهم، وقهر أهل السنة بينهم، فلهذا أدب عليهم أعداء الإسلام، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد، ونكد العيش، والفرار من بلاد إلى بلاد، فلا يبيتون ليلة إلا

(١) انظر: البداية والنهاية: (٢٦٨/١١).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٢٦٧/١١).

في خوف من قوارع الأعداء، وطوارق الشرور المترادفة، فالله المستعان^(١).

وفي هذا التقرير البليغ من هذا المؤرخ الموسوعي، والعالم الرباني، دروس من دروس الزمان، ودلائل الإيمان، يتعين على أهل الإسلام أن يعوها، ويقدروها حق قدرها، ويعرفوا عدوهم الداخلي والخارجي، فهل من مستعجب؟

لم يكن لملوك الرفض همٌ بإقامة الجهاد، ورد عبّاد الصليب، بل كانت عهودهم عهود شر وفتن، واضطراب وفساد، وإرهاق للمسلمين بالحروب الداخلية.

ثم بدت أعلام السنة تلوح من قبل المشرق بظهور الدولة الغزنوية عام ٣٦٦هـ، وعلو نجم ملكها المظفر فاتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين^(٢) ﷺ، بعد ملك دام ثلاثاً وثلاثين سنة نصر فيه السنة، وقمع البدعة، ونشر الإسلام^(٣).

• ثم جاء من بعده ملوك السلاجقة السنيون عام ٤٢٩هـ، وتم على أيديهم القضاء على بني بويه الذين جثموا على دار الخلافة

(١) انظر: البداية والنهاية: (٢٤٣/١١).

(٢) محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٦١ - ٤٢١هـ) السلطان، يمين الدولة، أبو القاسم، فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور. وكانت عاصمته «غزنة» بين خراسان والهند، وفيها ولادته ووفاته. أرسل إليه القادر بالله العباسي خلعة السلطنة عام ٣٨٩هـ، غزا خراسان وقضى على الدولة السامانية. وصمد لقتال ملك الترك وراء النهر. كان حازماً صائب الرأي، يجالس العلماء وينظرهم، وكان من أعيان الفقهاء، فصيحاً بليغاً. أصيب بمرض مدة سنتين حتى مات ﷺ. انظر: الأعلام (١٧١/٧)، البداية والنهاية (٢٩/١٢ - ٣١).

(٣) انظر: ترجمته في البداية والنهاية: (٢٩/١٢ - ٣١).

العباسية في بغداد أكثر من مائة عام، (٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ). وفي ظل هذه الدولة السنية الفتية انتعش أمر الجهاد فجدد السلاجقة ما اندرس من غزو الروم عام ٤٤٠هـ حتى (لم يبقَ بينهم وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً)^(١).

* ثم في عام ٤٤٦هـ^(٢)، وفي النصف الثاني من القرن الخامس وقعت ثلاثة أحداث كبار في تاريخ العلاقات الإسلامية النصرانية:

أولها: معركة «ملاذ كرت» أو «مانزكرت» عام ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م، بين جحافل الإمبراطورية البيزنطية بقيادة ملك الروم «أرمانوس» والسلاجقة السنيين بقيادة السلطان ألب أرسلان في معركة من معارك التاريخ الفاصلة. كان الظفر فيها حليف المسلمين^(٣).

الثاني: سقوط مدينة «طليطلة» بيد «ألفونسو»، ملك قشتالة النصراني عام ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م بعد حكم دام ٣٧٢ سنة^(٤).

الثالث: استيلاء الفرنج النورمانديين على جزيرة «صقلية» عام ٤٨٤هـ - ١٠٩٠م^(٥).

إن لهذه الأحداث الكبار دلالات كباراً أيضاً:

١ - لقد كانت معركة «ملاذ كرت» إيذاناً بانتهاء الخطر البيزنطي، وفشل محاولات النصارى من قبل المشرق، ومن ثم التفكير الجاد بالبحث عن سبل أخرى.

(ولم تقم للروم مذ ذاك قائمة، وبعدها لم ينفك أباطرة بيزنطة

(١) انظر: البداية والنهاية: (٥٨/١٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٦٥/١٢).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٠١/١٢)، والكامل في التاريخ (٢٢٣/٨).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ (٢٩٨/٨).

(٥) انظر: الكامل في التاريخ (٣٤٥/٨).

يوفدون البعثات إلى الغرب، يروجون الدعوة للحروب المقدسة^(١).

٢ - كان سقوط «طليطلة» - عاصمة القوط قديماً - بيد النصارى إيذاناً بأفول شمس المسلمين في الأندلس. فقد كانت هذه المدينة واسطة عقد المدن الأندلسية، وسرة الجزيرة، وقد عبر بعض الشعراء عن هذا المعنى بقوله:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدوٍ لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفت^(٢)

٣ - كان سقوط جزيرة «صقلية» بأيدي الفرنج إيذاناً بانتهاء سيادة المسلمين البحرية على بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط - بوصفها درة ذلك البحر، وكبرى جزره، والمسيطرة على طرق التجارة والأساطيل فيه، واطمأن النصارى على سلامة عاصمتهم الكبرى «روما» التي هدها الفاتحون المسلمون وحاصروها عام ٢٣١هـ = ٨٥٠م في عهد البابا «سرجيوس الثاني»^(٣).

أما على الصعيد المدني، أي حال أهل الذمة في دار الإسلام، فقد كان من حيث الجملة استمراراً لحالهم في المرحلة الأولى من ناحية الحقوق والواجبات. ومن الطبيعي أن يصاحب ضعف التمسك بالدين، أو تولي المبتدعة والباطنية مقاليد الحكم في بعض الولايات

(١) الحروب الصليبية والمجابهة. شمس الدين الكيلاني. «مجلة الاجتهاد» (ملف العلاقات الإسلامية المسيحية) الأعداد (٢٨ - ٣٢) رئيس التحرير: الفضل شلق، رضوان السيد. دار الاجتهاد - بيروت (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) (٥٣/٢٨).
(٢) عن كتاب الزلافة: شوقي أبو خليل. دار الفكر. دمشق. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). (١٩).
(٣) انظر: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام (١٠١). عن فتح صقلية: شوقي أبو خليل دار الفكر - دمشق. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). (٨٧).

نوع ظلم واعتداء على حقوق أهل الذمة، وربما كان مبعثها أحياناً تصرفات استفزازية تصدر من أهل الذمة تهيج العامة أو بعض المتسلطين فيوقعون بهم. ومع ذلك تظل هذه الحوادث والوقائع محدودة تحفظ ولا يقاس عليها، بل إننا نجد شواهد من التسامح، وإن شئت قل من التساهل والتفريط في إسناد بعض الأمور الهامة لأهل الذمة، وتقريبهم من الخلفاء.

ونقتطف نبذاً من الأمثلة مما جمعه الشيخ محمد عبده^(١) في رده على صاحب مجلة «الجامعة»: (. . ممن اشتهر من الحكماء بالحظوة عند الخلفاء: جيورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور. . وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي تيوفيل بن توما النصراني المنجم، وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان، وله كتب في التاريخ جليلة، ونقل كتاب «أميردس» إلى السريانية بأفصح عبارة. وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطبيب، وجبريل ولده، ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني، ولده الرشيد ترجمة الكتب القديمة، طبية وغيرها، وخدم الرشيد ومَن بعده، إلى المتوكل. . . وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق مولى المأمون، أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة^(٢) وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور، وسابور ابنه، وكانا نصرانيين، وولي سابور بن سهل يمارستان جنديسابور.

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم. . . وفي أيام

(١) تأتي ترجمته والكلام عنه في الباب الأول.

(٢) ليته ما فعل. فإن ترجمة كتب الفلاسفة من اليونان وغيرهم قد فتحت على المسلمين باب علم الكلام المذموم، فانصرف المفتونون به عن الطريقة القرآنية النبوية في تقرير العقائد، وأرادوا الوصول إلى ذلك بالقوانين الأرسطية التي تبليبل العقل وتورث الشك.

المتوكل اشتهر حنين بن إسحاق النصراني العبادي، وهو من أشهر المترجمين لكتب أرسطو^(١) وغيره... وممن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة، والعامّة في زمنه أيام خلافة الرازي^(٢) متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري، كان متفنناً في جميع العلوم العقلية... ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة دولة الإسلام، وهو نصراني، طلبه الخلفاء إلى بغداد لأجل الترجمة، ثم يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي، انتهت إليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته... ومنهم أبو الفرج بن الطيب، فيلسوف عالم^(٣).

ويمكن القول أن هذا اللون من المعاملة والتمكين يمثل أحد طرفي قصد الأمور، فلم يكن المسلمون في القرن الأول يمكنون أهل الذمة من المهام الكبار، أو يتخذونهم بطانة، وإنما ظهر ذلك في هذه المرحلة كما أن الطرف الآخر، بمعنى الإساءة والتجاوز ظهر أيضاً في هذه المرحلة بصفة محدودة، ولأسباب محلية، ومن شواهد ذلك:

(١) أرسطو طاليس بن نيقوماخوس، من أهل أسطوخرا، ويعد من متأخري فلاسفة اليونان، وهو المقدم المشهور والمعلم الأول عندهم، ولد سنة ٣٨٤ ق.م. وسمي المعلم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل، وكان قد تتلمذ على أفلاطون نيفاً وعشرين سنة. وكان أرسطو يلقي دروسه على تلاميذه وهم يمشون فلذا لقب أتباعه بـ «المشائين». الملل والنحل: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة - بيروت. الطبعة (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م). (١١٩/٢).

(٢) الرازي بالله (٢٩٧ - ٣٢٩هـ) محمد ابن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد، أبو العباس، الرازي بالله. ورث عن سلفيه، القاهر والمقتدر، خلافة ضعيفة، فحاول إصلاح الأمر حين ولي سنة ٣٢٢، فعجز. واستقل الولاية بما يلون من الأقاليم، وأكثرهم رافضة. ولم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها. انظر: الأعلام (١٧/٦).

(٣) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (١٦ - ١٩).

□ مشاركة نصارى حمص في التمرد على واليها في عهد المتوكل العباسي عام ٢٤١هـ، فكان من آثار ذلك أن أمر الخليفة (أن يخرج كل نصراني بها، ويهدم كنيسها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع، وأن يضيفها إليه)^(١).

وربما حصل مزيدٌ من التشديد في مسألة تمييز أهل الذمة عن المسلمين فوق ما كان معمولاً به في القرن الأول، ففي سنة ٢٣٥هـ (أمر المتوكل أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائهم، وثيابهم، وأن يتطيلسوا بالمصبوغ بالقلى، وأن يكون على عمائهم رقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم، وأن يلزموا بالزنانير الخاصة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة، وأن لا يركبوا خيلاً، ولتكن ركبهم من خشب، إلى غير ذلك من الأمور المذلة لهم، المهينة لنفوسهم، وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم، وأمر بتخريب كنائسهم المحدثه، وتضييق منازلهم المتسعة، فيؤخذ منها العشر، وأن يعمل مما كان متسعاً من منازلهم مسجد، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق، وإلى كل بلد ورستاق)^(٢).

وأياً كانت طبيعة معاملة أهل الذمة وتفاوتها في المجتمع الإسلامي، نظراً لاختلاف السياسة الشرعية في ظرفٍ معين، فإنها لا تنحدر إلى حد الإكراه في الدين، والتهديد بالقتل كما يقع من النصارى أنفسهم لرعاياهم وأسراهم من المسلمين في تلك العهود.

قال ابن كثير رحمته الله: (.. وقد كانت أم الملك «تدورة» - لعنها الله -

(١) البداية والنهاية: (١٠/٣٢٣).

(٢) البداية والنهاية: (١٠/٣١٣ - ٣١٤).

عرضت النصرانية على من كان في يدها من الأسارى، وكانوا نحواً من عشرين ألفاً، فمن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته، فقتلت اثني عشر ألفاً، وتنصر بعضهم...^(١).

□ وربما تعرض أهل الذمة للمضايقة والأذى بسبب فساد الدولة وانحراف الحاكم، كما جرى أثناء تسلط الحاكم بأمره العبيدي من تخريب كنيسة بيت المقدس، وإباحتها للعامة، وهدم كنائس أخرى في مصر عام ٣٩٨هـ. ثم نودي في النصارى: (من أحب الدخول في دين الإسلام دخل، ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمناً، ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التي زادها الحاكم على العهدة العمرية، من تعليق الصليبان على صدورهم، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرتال، وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرتال. وفي الحمام يكون في عنق الواحد منهم قرية زنة خمسة أرتال، بأجراس، وأن لا يركبوا خيلاً، ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التي هدمها، وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه. وقال: (ننزه مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، ولا يعرف باطنه، قبحه الله)^(٢).

□ وربما وقع شيء من الفتن بين المسلمين وأهل الذمة بسبب استفزاز هؤلاء الأخيرين للمسلمين كما جرى في بغداد سنة ٤٠٣هـ حين (توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى، فخرجت النوائح والصليبان معها جهاراً، فأنكر ذلك بعض الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصراني بدبوس في رأسه فشجه، فثار المسلمون بهم فانهزموا حتى لجأوا إلى كنيسة لهم هناك، فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها، وما

(١) البداية والنهاية: (١٠/٣٢٤).

(٢) البداية والنهاية: (١١/٣٣٩).

قرب منها من دور النصارى، وتتبعوا النصارى في البلد...^(١).

ونخلص إلى القول أن هذه المرحلة لم تشهد عمليات فتح كبرى، على الجانب النصراني على الأقل، أخذاً بالاعتبار بعض الفتوحات الإسلامية في المشرق، بل اتخذ الجهاد صفة حماية الثغور، وأخذ الجزية في بادئ الأمر، ثم جرت عملية انحسار تدريجي بطيء استغرق قروناً، في أطراف الدولة الإسلامية بسبب ضعف الخلافة، وهيمنة الجنس الأعجمي من الأتراك على خلفاء بني العباس، وإنهاك الدولة بالحروب والفتن الداخلية التي أثارها الدول الرافضية في أواخر القرن الثالث، والقرن الرابع.

وأما على الصعيد الداخلي، فرغم حوادث متفرقة تعرض لها أهل الذمة فقد سارت عملية فهم الإسلام واعتناقه من قبل السكان المحليين سيراً حثيثاً^(٢)، بسبب كثرة العلماء والصالحين والوعاظ، وظهور آثار الإسلام الاجتماعية والنفسية على معتقيه.

لقد سلك التاريخ العلمي والدعوي لأهل الإسلام مسلكاً مغايراً للتاريخ السياسي للحكومات الإسلامية المتعاقبة، وافترقا منذ انتهاء المرحلة الأولى بعد القرن الأول تقريباً.

ويتضح هذا الافتراق، بالمقارنة بين هذين التاريخين، وتراجم أعلام كل منهما، حتى كأنهما، لا يشتركان في رقعة مكانية وزمانية واحدة.

(١) البداية والنهاية: (١١/٣٤٨).

(٢) انظر الجداول الإحصائية والرسوم البيانية لنسب السكان من مختلف الطوائف. المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٤٤) - (٤٧).

المرحلة الثالثة من عام (٤٩٠ - ٦٩٠هـ):

تمثل هذه المرحلة فترة الحملات الصليبية المنطلقة من غرب ووسط أوروبا النصرانية إلى بلاد المشرق الإسلامي (سواحل الشام ومصر وآسيا الصغرى) في سبع حملات متعاقبة استغرقت قرابة قرنين من الزمان (٤٩٠ - ٦٩٠هـ). بالإضافة إلى استمرار الزحف النصراني جنوباً على بقية الأندلس المسلمة، وبقية جزر البحر الأبيض المتوسط.

والسمة المميزة لهذه المرحلة هي انتقال المجابهة النصرانية من الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية إلى دول وسط وغرب أوروبا الكاثوليكية بقيادة بابوات روما، وبالتالي انتقال أرض المعركة من الحدود والثغور المتاخمة للإمبراطورية البيزنطية في آسيا الوسطى إلى العمق الإسلامي في السواحل الشامية وبيت المقدس، بسبب عمليات الإنزال البحري التي تقذف بها هذه الحملات، أو الجموع الهوجاء التي تنطلق من الممالك الأوربية لتلتقي عند أسوار القسطنطينية، وتُفوّج من هناك.

ويمكن أن يؤرخ لبدء الحملات الصليبية بالاجتماع الحاشد الذي دعا إليه البابا «أربان الثاني» في مدينة «كليرمون» في جنوب فرنسا، في نوفمبر من عام ١٠٩٦م، وحضره كبار الأساقفة والأمراء والإقطاعيين. وقد ألهم البابا حماس المجتمعين بخطبة بليغة مؤثرة، أثار فيها العصبية الدينية، بل والأطماع الدنيوية، تمحورت حول أربع ركائز:

الأولى: الدعوة إلى حملة مقدسة هدفها فلسطين، استناداً على نصوص من الإنجيل.

الثانية: أنه يدعو إلى هذه الحملة باسم الرب بوصفه نائباً عنه في الأرض.

الثالثة: الحث على نبذ الخلافات بين المؤمنين بالمسيح وتوحيد الجهود.

الرابعة: منح غفران جزئي لكل من يشارك في هذه الحملة، سواء مات في الطريق أو قتل^(١).

واستجاب الحاضرون لنداءات البابا التحريضية، وصاحوا جميعاً في ذلك الحقل الفسيح صيحة مدوية صارت شعاراً في حروبهم المقبلة مع المسلمين قائلين: (الرب يريدنا) أو (تلك إرادة الله). ثم شرع الباب أوربان الثاني يجوب أنحاء فرنسا للدعوة إلى حربه المقدسة. كما برز قادة كنسيون شعبيون من أمثال «بطرس الناسك» هجروا أديرتهم وتفرغوا لتهيج الفلاحين والفقراء لإنقاذ مهد المسيح - بزعمهم -، ودغدغة مشاعرهم بامتلاك الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً^(٢).

وعلى مدى قرنين من الزمان تمخضت أوربا الصليبية عن سبع حملات شهيرة موجهة نحو بلاد المشرق الإسلامي، نوجزها بما يلي:

أولاً: الحملة الصليبية الأولى:

تكونت من خمسة جيوش جرارة، قدمت من فرنسا وألمانيا وإيطاليا والتقت في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية «القسطنطينية» في أواخر عام ١٠٩٦م، ثم عبرت مضيق البسفور متجهة نحو دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فسقطت عاصمتهم «نيقية» عام ١٠٩٧م. وفي الطريق إلى «أنطاكية» جنح قسم من الصليبيين نحو الرها، وكونوا أول إمارة صليبية في قلب العالم الإسلامي. وفي أواخر عام ١٠٩٧م فرض الصليبيون حصاراً على أنطاكية التي صمدت صموداً باهراً أمام الحصار، لولا خيانة بعض الأرمن المستأمنين على أحد أبراجها، فسقطت في منتصف عام ١٠٩٨م - ٤٩١هـ. وقد حاول بعض الأمراء

(١) باختصار من: ماهية الحروب الصليبية. د. قاسم عبده قاسم. (١٠٣ - ١٠٦).

(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية: د. قاسم عبده قاسم. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. طبعة ١٩٩٣م. (١٠٨ - ١١١).

المسلمين إيقاف الزحف الصليبي بعد سقوط أنطاكية ولكنه مُني بالهزيمة، وهكذا تكونت الإمارة الصليبية الثانية عام ١٠٩٩م في أنطاكية. ثم واصل الصليبيون مسيرهم جنوباً فاستولوا على «معرة النعمان». وكان الهدف الأخير، والحلم المنشود لهذه الجموع الهادرة مدينة «القدس» التي كانت حديثة عهد بصراع بين السلاجقة والعبيدين، فاستفاد العبيديون من انشغال السلاجقة بحروبهم مع الصليبيين فاستولوا على القدس عام (٤٩٣هـ = ١٠٩٩م). ولكن متعتهم لم تطل فقد حاصرها الصليبيون على مدى خمسة أسابيع في ذلك العام. قال ابن كثير رحمته الله: (لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج لعنهم الله بيت المقدس، شرفه الله، وكانوا في نحو ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وتبروا ما علوا تتييراً)^(١).

وهكذا تكونت مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٠٠م^(٢).

لقد كانت هذه الأحداث صدمة هائلة لجمهور المسلمين الذين لم يملكو إلا البكاء وإزجاء القصائد العاطفية، فقد كان ضعف التمسك بالدين، وفشوا المعاصي والبدع، يقف خلف التشرذم السياسي والتنافس بين أمراء المدن الكبار: دمشق، وحلب، والموصل، وضعف الخلافة العباسية في بغداد يكبل هذه المشاعر، ويحول دون تحولها لتكوين جبهة موحدة أمام هذا العدو الغاشم، والعنصر الغريب الذي زرع قسراً في الأرض الإسلامية. أما «العبيديون» في مصر فكانوا أبعد ما يكون من تقديم المساعدة لأهل الإسلام في بلاد الشام. بل كانوا يرسلون السفارات إلى ملوك الصليبيين للتفاوض على اقتسام الأرض.

(١) البداية والنهاية: (١٢/١٥٦).

(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية (١٢٠ - ١٣٠).

ومع كون الصليبيين قد وسعوا نفوذهم على السواحل الشامية^(١)، حتى دان لهم شرق البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى جيب «الرها» وريف القدس، إلا إنهم لم يهنأوا بهذا الملك المغتصب، فقد كانوا يتعرضون لبعض الهزائم المنكرة على أيدي المسلمين. فمن ذلك:

* ما ذكره ابن كثير في حوادث سنة أربع وتسعين وأربعمائة: (..) وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل، فالتقى معه ستكين بن أنشمند طايلو، أتاك دمشق الذي يقال له أمين الدولة.. فهزم الإفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى - يعني الثلاثة آلاف - وذلك في ذي القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فملكها وأسر ملكها والله الحمد^(٢).

* وفي حوادث سنة سبع وتسعين وأربعمائة: (..) قصد الفرنج لعنهم الله الشام، فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفاً، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً. وقد أسر في هذه الواقعة «بردويل» صاحب الرها^(٣).

* وفي حوادث سنة سبع وخمسمائة (١١١٣م): (..) كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض «طبرية»، كان فيها ملك دمشق الأتابك «طغتكين» ومعه صاحب سنجار، وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، فهزموا الفرنج هزيمة واضحة، وغنموا منهم أموالاً جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها. والله الحمد والمنة^(٤).

(١) في عام ٤٩٤هـ سقطت قيسارية وسروج وعكا. ٥٠٣هـ طرابلس، ٥٠٤هـ صيدا، ٥٠٥هـ صور.

(٢) البداية والنهاية: (١٥٨/١٢)

(٣) البداية والنهاية: (١٦٣/١٢). و«بردويل» هو: «بلدوين» كونت الرها.

(٤) البداية والنهاية: (١٧٥/١٢ - ١٧٦).

* وفي حوادث سنة ثلاث عشرة وخمسمائة: (.. سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها، وقتلوا من أهلها خلقاً، فسار إليهم صاحب ماردين إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة، والله الحمد. ولم يفلت منهم إلا اليسير، وأسر من مقدميهم نيفاً وتسعين رجلاً، وقتل فيمن قتل «سيرجال» صاحب أنطاكية وحمل رأسه إلى بغداد^(١).

* وفي حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة: (حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرها، فأسر ملكها جوسكين الإفرنجي وجماعة من رؤوس أصحابه، وسجنهم بقلعة خرطبرت)^(٢).

* وفي حوادث سنة عشرين وخمسمائة: (اقتتل طغتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج فقتل منهم خلقاً كثيراً، وغنم منهم أموالاً جزيلة والله الحمد والمنة)^(٣).

* وفي حوادث سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة: (حاصرت الفرنج مدينة «دمشق»، فخرج إليهم أهلها فقاتلوهم قتالاً شديداً... حتى نصرهم الله من عنده، فإن المسلمين هزموهم، وقتلوا منهم عشرة آلاف، ولم يفلت منهم سوى أربعين نفساً، والله الحمد والمنة. وقتل «بوهيموند» الفرنجي صاحب أنطاكية)^(٤).

* وفي حوادث سنة أربع وعشرين وخمسمائة: (.. ملك عماد الدين زنكي^(٥) بلاداً كثيرة من الجزيرة، وهما «كذا» مع الفرنج، وجرت

(١) البداية والنهاية: (١٢/١٨٤).

(٢) البداية والنهاية: (١٢/١٨٨).

(٣) البداية والنهاية: (١٢/١٩٦).

(٤) البداية والنهاية: (١٢/٢٠٠).

(٥) عماد الدين زنكي بن آقسنقر. مؤدب الأميرين ألب أرسلان وفروخ شاه =

معهم حروبٌ طويلة، نصر عليهم في تلك المواقف كلها والله الحمد. وقتل خلقاً من جيش الروم حين قدموا الشام^(١).

* وفي حوادث سنة سبع وعشرين وخمسمائة: (.. اقتتل الفرنج فيما بينهم قتالاً شديداً فمحق الله بسبب ذلك خلقاً كثيراً. وغزاهم فيها عماد الدين زنكي فقتل منهم ألف قتيل، وغنم أموالاً جزيلة، ويقال لها غزوة «أسوار»^(٢).

* وفي حوادث سنة ثمان وعشرين وخمسمائة: (فتح زنكي قلاعاً كثيرة، وقتل خلقاً من الفرنج، وفيها فتح شمس الملوك الشقيف وتبروت، ونهب بلاد الفرنج)^(٣).

* وفي حوادث سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (١١٤٤م): (أخذ عماد الدين زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وسبى نساء كثيرة، وغنم أموالاً جزيلة، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً)^(٤).

يقول الدكتور قاسم عبده قاسم: (كانت تلك هي أول إمارة صليبية تقوم على أرض الشرق العربي الإسلامي، وكان سقوطها صدمة نفسية مؤلمة وعنيفة على الصليبيين، ترددت أصدائها في كل مكان. إذ أن المدينة كانت ترتبط بتراث المسيحية الباكر. كما أن سقوطها بعد

= السلجوقيين. تولى واسط سنة (٥١٦هـ)، وانتزع الرها من أيدي الصليبيين، واغتيل سنة (٥٤١هـ) في حروبه ضد الصليبيين. انظر: البداية والنهاية (١٢/١٩٠، ٢١٩، ٢٢١).

(١) البداية والنهاية: (١٢/٢٠٠).

(٢) البداية والنهاية: (١٢/٢٠٤).

(٣) البداية والنهاية: (١٢/٢١٩).

(٤) البداية والنهاية: (١٢/٢١٩).

أقل من خمسين عاماً من استيلاء بلدوين البويوني عليها كان نذير شؤم بالنسبة للصليبيين^(١).

وهكذا مال ميزان القوى لصالح المسلمين الذين لم يزالوا يعانون من التفكك والفتن الداخلية، وإن كانت بوادر العافية قد بدأت تظهر بعلو نجم آل زنكي في أرض الموصل.

ثانياً: الحملة الصليبية الثانية: (١١٤٥ - ١١٤٩م).

جاءت هذه الحملة رد فعل بطيء لسقوط إمارة الرها، في عهد البابا «إيجينيوس الثالث» (١١٤٥ - ١١٣٥م)، وتكونت من جيوش ألمانيا بقيادة الإمبراطور «كونراد الثالث»، وفرنسا بقيادة ملكها «لويس التاسع». ووصلت إلى المنطقة نهاية عام ١١٤٧م، وقد منيت بالفشل الذريع، وعاد الملكان الصليبيان يجران أذيال الخيبة^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: (حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل، دمشق، وعليها مجير الدين أرتق، وأتابك معين الدين، وهو مدبر المملكة، وذلك يوم السبت سادس ربيع الأول، فخرج إليهم أهلها في مائة ألف وثلاثين ألفاً، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون، واستمر الحرب مدة، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع، واجتمع الناس حوله يدعون الله تعالى، والنساء والأطفال مكشفي الرؤوس يدعون ويتباكون، والرماد مفروش في البلد، فاستغاث أرتق بنور الدين محمود^(٣) صاحب حلب، وبأخيه

(١) ماهية الحروب الصليبية (١٣٨).

(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية (١٣٩ - ١٤٠).

(٣) نور الدين محمود بن زنكي (عماد الدين)، أبو القاسم، الملقب بالملك =

سيف الدين غازي صاحب الموصل، فقصداه سريعاً في نحو من سبعين ألفاً بمن انضاف إليهم من الملوك وغيرهم، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد، فلحقهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً^(١).

وكان من آثار هذه الحملة على الجانب الإسلامي مزيد من التوحد بين الممالك الإسلامية، فقد صارت بلاد الشام جبهة واحدة تحت قيادة نور الدين محمود، في مواجهة الإمارات الصليبية على امتداد الساحل. وبقيت الجبهة الجنوبية، مصر بأيدي العبيديين الذين كانوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة.

وقد تصدى نور الدين محمود زنكي لجهاد الصليبيين، وانتزاع الحصون والبلاد من أيديهم في بلاد الشام في وقائع مظفرة من أشهرها:

* غزوة سنة أربع وأربعين وخمسمائة التي قتل فيها ملك أنطاكية. ثم فتح حصن فاميا قرب حماة^(٢).

* فتح حصن إعزاز سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وأسر جوسلين الإفرنجي وابنه^(٣)، وأخذ كل ما كان تحت يده من البلاد في السنة التي تلتها.

= العادل، ملك الشام والجزيرة ومصر، وهو أحد ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم، كان مداوماً للجهاد يباشر القتال بنفسه، وقارع الصليبيين وهزمهم في مواقع، وكان متواضعاً مهيباً وقوراً مكرماً للعلماء، توفي سنة ٥٦٩هـ. الأعلام (١٧٠/٧)، الروضتين (٢٢٧/١ - ٢٢٩) وما قبلها، الكامل في التاريخ (١٥١/١١)، تاريخ ابن خلدون (٢٥٣/٥)، وفيات الأعيان (٨٧/٢)، مرآة الزمان (٣٠٥/٨).

(١) البداية والنهاية: (٢٢٤/١٢).

(٢) البداية والنهاية: (٢٢٥/١٢ - ٢٢٦).

(٣) البداية والنهاية: (٢٢٨/١٢).

* وقعة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت (وقعة عظيمة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج، فكسرهم وقتل منهم خلقاً والله الحمد)^(١).

* وقعة حارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة، (فكسرهم كسرة فظيعة، وأسر البرنس «بيموند» صاحب أنطاكية، والقومص، صاحب طرابلس، والدوك صاحب الروم، وابن جوسلين، وقتل منهم عشرة آلاف، وقيل عشرين ألفاً)^(٢).

* فتح «بانياس» في سنة تسع وخمسين أيضاً، وقيل ستين^(٣).

* فتح حصن «المنيطرة» في الشام، سنة إحدى وستين وخمسمائة^(٤).

ولكن انتصار الصليبيين في عسقلان، وانتزاعهم إياها من أيدي العبيديين سنة ٥٤٨هـ أثار مخاوف نور الدين محمود من طمعهم في الاستيلاء على مصر، في وقت كانت الدولة العبيدية تلفظ أنفاسها الأخيرة. وحصل ما توقعه نور الدين - فعلاً - فقد (أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية، وساعدهم المصريون، فتصرفوا في بعض البلاد)^(٥) وذلك سنة ثنتين وستين وخمسمائة، فبعث نور الدين أحد أمرائه وهو أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين^(٦) يوسف بن

(١) انظر: البداية والنهاية: (٢٢٩/١٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (٢٤٨/١٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: البداية والنهاية: (٢٥١/١٢).

(٥) انظر: البداية والنهاية: (٢٥٢/١٢)، و(المصريون) يطلق في تلك الحقبة على

ملوك مصر من العبيديين.

(٦) يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، الملقب بالملك الناصر، من أشهر

ملوك الإسلام، له المناقب الجمة، والسيرة العظيمة، فمن مناقبه قضاؤه على

العبيديين بمصر، والإصلاح الداخلي في البلاد حيث جمع بين ملك مصر=

أيوب، فهزما الفرنج وعادا بعد ذلك إلى الشام^(١). ولكن الأمر استفحل في سنة أربع وستين وخمسمائة فقد (.. طغت الفرنج بالديار المصرية... وتحكموا في أموالها ومساكنها، أفواجاً أفواجاً ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها، ويخرجوا منها أهلها من المسلمين، وقد سكنها أكثر شجعانهم، فلما سمع الفرنج بذلك جاءوا إليها من كل فج وناحية، صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة... فعند ذلك أرسل صاحبها «العاضد» يستغيث نور الدين، وبعث إليه بشعور نسائه يقول: أدركني، واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج..)^(٢).

فحينئذ بعث نور الدين - مرة أخرى - أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين فانسحب الصليبيون. وتم فتح مصر في تلك السنة، ولم يلبث أسد الدين أن توفي بعد شهرين، وولي صلاح الدين، وزارة العاضد، وكان نائباً لنور الدين في مصر. وبعد فك الحصار عن «دمياط» سنة خمس وستين^(٣)، اتجه صلاح الدين إلى إصلاح ما أفسده العبيديون الرافضة، ففي سنة ست وستين وخمسمائة: (عزل صلاح الدين قضاة مصر، لأنهم كانوا شيعة، وولى قضاء القضاة بها لصدر

= والشام والجزيرة والموصل. فعمل على جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ومن ثم جابه الصليبيين ونازلهم حتى كانت موقعة «حطين» الشهيرة بقيادته، وكانت وفاته سنة ٥٨٩هـ. وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته منها كتاب «تاريخ الروضتين» لأبي شامة، وغيرها.

الأعلام (٨/٢٢٠)، وفيات الأعيان (٢/٣٧٦)، تاريخ ابن خلدون (٤/٧٩، ٥/٢٥٠ - ٣٣٠)، الكامل في التاريخ (١٢/٣٧)، طبقات السبكي (٤/٣٢٥)، مرآة الزمان (٨/٤٢٥).

(١) انظر: البداية والنهاية: (١٢/٢٥٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٢/٢٥٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٢/٢٦٠).

الدين عبد الملك بن درباس المارداني الشافعي^(١)، فاستتاب في سائر المعاملات قضاة شافعية، وبنى مدرسة للشافعية وأخرى للمالكية.. وعمّر صلاح الدين أسوار البلد، وكذلك أسوار إسكندرية، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً، وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة، وضرب قلعة كانت لهم على أيلة، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم... وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر^(٢).

وفي أول جمعة من سنة سبع وستين وخمسمائة هلك العاضد، آخر ملوك الدولة العبيدية، وأقيمت الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية بعد انقطاع دام أكثر من مائتي سنة (٣٥٩ - ٥٦٧هـ)، واجتثت تلك الشجرة الخبيثة من أرض الإسلام، وعادت مصر إلى حظيرة السنة، وعاصمة الخلافة^(٣). والله الحمد والمنة.

وإنما مُني المسلمون بأوطانهم، وغزاهم عدوهم في عقر دارهم بسبب هؤلاء الباطنية الذين أرادوا إطفاء نور الإيمان، ونشر البدعة والشرك والعصيان، ومكنوا لأعداء المسلمين من الصليبيين والتتار وسائر ملل الكفار، وملكوهم الحصون والشغور، كهؤلاء العبيديين

(١) صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس المارداني: قاضي الديار المصرية، الكردي الشافعي، ولد بأعمال الموصل عام ٥١٦ تقريباً، ورحل في طلب الفقه، وكان مشهوراً بالصلاح والفقه، توفي سنة ٦٠٥هـ، وكان من أبناء التسعين. السير (٤٧٤/٢١)، التكملة لوفيات النقلة (٢/ الترجمة ١٠٦٢)، تاريخ الإسلام ١٨/١/١٩٦ - ١٩٧، العبر (١٣/٥)، البداية والنهاية (١٣/٥٢)، حسن المحاضرة (١/١٩٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية: (١٢/٢٦٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية: (١٢/١٦٤).

الثام، وقد بيّن المؤرخ الفاضل عماد الدين بن كثير هذه اللازمة، فقال: (وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء، وأكثرهم مالاً، وكانوا من أعتى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة. ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا ويروت وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ما وإلى ذلك، إلى بلاد إياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين، وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقاً، وأمماً لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها، وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكن الله سلم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبراهيم أعاد الله ﷻ هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته^(١).

وقد توفي الملك المجاهد نور الدين محمود زنكي ﷺ سنة تسع وستين وخمسمائة بعد حياة حافلة بالجهاد في سبيل الله، وتسلم الراية بعده الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وبعد أربعة عشر عاماً قضاها في لم الشمل وجمع الكلمة، والقضاء على الفتن الداخلية، والإثخان في الصليبيين، وإصلاح أمور الرعية^(٢)، تهيأ في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للملحمة الكبرى مع الفرنج التي كانت مقدمة ضرورية لفتح القدس، فكانت معركة حطين الفاصلة في شهر ربيع

(١) البداية والنهاية: (١٢/٢٦٧).

(٢) انظر: تفاصيل ذلك في البداية والنهاية من (٢٨٥) إلى (٣٢٠) ج (١٢).

الآخر، حشد فيها الجانبان قواتهما، وشهدا ملوكهما، ودارت رحى الحرب يومي الجمعة والسبت لخمس بقين من ربيع الآخر، (ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله ﷻ، فمنحهم الله أكتافهم، فقتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم، سوى قوس طرابلس، فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله^(١).

ثم قتل صلاح الدين ﷻ «أرياط» صاحب الكرك بيده، لكونه تعرض لسب النبي ﷺ.

وفي الخامس عشر من شهر رجب من السنة نفسها ٥٨٣ هـ سارت جحافل المسلمين إلى بيت المقدس ففتحوه يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب، بعد أن بقي بيد عبدة الصليبان اثنتين وتسعين سنة (٤٩٢ - ٥٨٣ هـ)^(٢) (١٠٩٩ - ١١٨٧ م). ثم اتجه صلاح الدين ﷻ لفتح الحصون الممتنعة واستنقاذ مدن الساحل الشمالية، حتى كاد يفتح أنطاكية. والحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٦ هـ = ١١٩٠ م):

كان وقع أنباء انتصارات صلاح الدين مؤلماً في أوروبا، حتى إن البابا أربان الثالث (١١٨٥ - ١١٨٧ م) مات من هول الصدمة حين بلغته الأنباء^(٣). قال ابن الأثير: (ثم إن الرهبان والقسوس، وخلقاً كثيراً من

(١) البداية والنهاية: (١٢/٣٢١).

(٢) انظر: تفاصيل ذلك الفتح العظيم في البداية والنهاية (١٢/٣٢٣ - ٣٢٧).

(٣) انظر: ماهية الحروب الصليبية (١٤٨).

مشهوریہم و فرسانہم لبسوا السواد، و اظہروا الحزن علی خروج البیت المقدس من أيديہم، و أخذہم البطرك الذي كان بالقدس، و دخل بہم بلاد الفرنج، يطوفها بہم جميعاً، و يستنجدون أهلها، و يستجيرون بہم، و يحثونہم علی الأخذ بشار البیت المقدس، و صوروا المسيح ﷺ، و جعلوه مع صورة عربي يضربه، و قد جعلوا الدماء علی صورة المسيح ﷺ، و قالوا لہم: هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين، و قد جرحه و قتلہ، فعظم ذلك علی الفرنج، فحشروا، و حشدوا حتی النساء^(١).

و قد تكونت الحملة الصليبية الثالثة من كبار ملوك أوربا، و هم:

• الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا (١١٥٢ - ١١٩٠م) الذي هلك غرقاً في أحد أنهار آسيا الصغرى، و تمزق جيشه، و ملك إنجلترا، ريتشارد الأول (١١٨٩ - ١١٩٩م)، و ملك فرنسا، فيليب أغسطس (١١٨٠ - ١٢٢٣م).

و قد وصل الفرنسيون عكا في ربيع الأول سنة سبع وثمانين، ثم وافاهم الإنجليز في جمادى الأولى من السنة نفسها، و حاصروها حصاراً شديداً، و استبسل أهلها و حاميتها في الدفاع عنها، و من ورائهم الملك صلاح الدين يمدہم بالمؤن و الأقوات عن طريق البحر، حتی سقطت بأيدي الفرنج في السابع من جمادى الآخرة. و قتل الفرنج ثلاثة آلاف أسير من أهلها صبراً. رحمہم الله

و لم تتمكن هذه الحملة التي علقت علیها الآمال تحقيق أهدافها من استعادة بیت المقدس و مدن الساحل، رغم ما بذلوه من محاولات،

(١) الكامل في التاريخ. ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٧ھ - ١٩٩٧م) (٦٩/١٠).

وتكبدوه من خسائر وهزائم متكررة. وانحصرت مكاسبهم في الاستيلاء على عكا، التي دافع عنها صلاح الدين الأيوبي سبعة وثلاثين شهراً. وحاولوا أخذ عسقلان فصدّهم المسلمون حتى يثسوا وطلبوا الصلح والأمان، وجرت الهدنة بين المسلمين والنصارى في السابع من شعبان من سنة ثمان وثمانين وخمسمائة على وضع الحرب ثلاثين سنة ونصف. وعاد ملوك أوربا يجرون أذيال الخيبة، وعاد صلاح الدين إلى بيت المقدس يصلح شؤونها، ثم إلى دمشق، حيث توفي ﷺ جاهدًا مجاهدًا في السابع والعشرين من شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة^(١).

رابعاً: الحملة الصليبية الرابعة: (٦٠٠هـ - ١٢٠٤م):

كان هدف هذه الحملة «مصر»، وذلك في عهد البابا «إنوسنت الثالث» (١١٩٨ - ١٢١٦م)، ولكن مسار الحملة انحرف عن القاهرة إلى القسطنطينية، تحقيقاً لأحلام بابوية روما القديمة في القضاء على الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية. فدمروا المدينة الحصينة ونهبوها، وقتلوا إخوة الدين، وكفى الله المؤمنين القتال سوى فرق قليلة من هذه الحملة اتحدت مع المستوطنين في بلاد الشام من الصليبيين. قال ابن كثير: (ثم إن الفرنج قصدوا بلاد الشام، وقد تقووا بملكهم القسطنطينية، فنزلوا عكا وأغاروا على كثير من بلاد الإسلام من ناحية الغور وتلك الأراضي فقتلوا وسبوا، فنهض إليهم العادل^(٢)، وكان بدمشق،

(١) انظر: تفاصيل ذلك في البداية والنهاية (١٢/٣٣٤ - ٣٥١).

(٢) الملك العادل (٥٤٠ - ٦١٥ هـ): محمد بن أيوب بن شادي، أبو بكر، سيف الإسلام، الملقب بالملك العادل. أخو السلطان صلاح الدين ونائبه على مصر. من كبار سلاطين الدولة الأيوبية. تنقل بين الولايات، ثم ضمها جميعاً، وقسمها بين أولاده. كان حازماً مجرباً داهية حسن السيرة توفي وهو يجهز العساكر لقتال الإفرنج بالعقين، وقضى على بقايا الإسماعيلية بمصر سنة=

واستدعى الجيوش المصرية والشرقية، ونازلهم بالقرب من عكا، فكان بينهم قتال شديد وحصار عظيم، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة، وأطلق لهم شيئاً من البلاد، فإننا لله وإنا إليه راجعون^(١).

خامساً: الحملة الصليبية الخامسة: (٦١٥ - ٦١٨ هـ) (١٢١٨ - ١٢٢١ م):

استهدفت هذه الحملة مصر، أيضاً، وانطلقت من عكا على الساحل الشامي قوات الصليبيين، ونزلت على «دمياط»، وذلك سنة خمس عشرة وستمائة. وفي تلك الأثناء توفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب، أخو صلاح الدين، فسقطت دمياط وما وراءها، ثم سار الصليبيون متجهين نحو القاهرة، ونازلهم المسلمون في مواقع كثيرة حتى إن الملك الكامل^(٢) (عرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل، ويتركوا «دمياط»، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا. فقدر الله تعالى أنها ضاقت عليهم الأقوات، فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم، فأخذها الأسطول البحري، وأرسلت المياه على أراضي «دمياط» من كل ناحية، فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن، فحينئذ أنابوا إلى المصالحة بلا معاوضة^(٣)). وكان ذلك سنة ثمان عشرة وستمائة. يقول

= ٦٠٤ هـ. قال المقرئ: «ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم»، انظر: الأعلام (٤٧/٦).

(١) البداية والنهاية: (٣٧/١٣).

(٢) الملك الكامل (٥٧٦ - ٦٣٥ هـ): محمد بن محمد العادل ابن أيوب، أبو المعالي، ناصر الدين. من سلاطين الدولة الأيوبية، ولي مصر سنة ٦١٥، ووسع نطاق ملكه، فشمّل الشام والحجاز واليمن والجزيرة. جاهد الصليبيين بدمياط. كان حازماً عفيفاً عن الدماء مهيباً، يباشر أمور الملك بنفسه. توفي بدمشق، ودفن بقلعتها. انظر: الأعلام (٢٨/٧).

(٣) البداية والنهاية: (٩٥/١٣).

د. قاسم عبده قاسم: (كانت الحملة ضد دمياط آخر محاولات البابوية لتوجيه حملة صليبية تحت قيادتها فقط، ولحسابها منفردة)^(١).

سادساً: الحملة الصليبية السادسة: (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م):

قائد هذه الحملة هو الإمبراطور الألماني المحنك فردريك الثاني (١٢١٥ - ١٢٥٠م)، الذي استغل تفرق حكام الدولة الأيوبية، وروح الضعف والمسالمة التي أبداهها الملك الكامل أثناء حصار دمياط، فحقق عن طريق السياسة مكاسب لم تحققها الحملات الصليبية العسكرية الضخمة. فقد قدم فلسطين بستمائة فارس فقط، وأسطول هزيل^(٢)، ومع ذلك رجع وقد تسلم بيت المقدس! ويصف ابن كثير هذه الملابس العجيبة في أحداث سنة ست وعشرين وستمائة فيقول: (استهلت هذه السنة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا أحزاباً وفرقاً، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظم^(٣)، واختلاف من بعده من الملوك. فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده! وتبقى بأيديهم بقية البلاد. فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم أسواره، فعظم ذلك المسلمين جداً، وحصل وهن شديد، وإرجاف عظيم. فإنا لله وإنا إليه راجعون)^(٤).

(١) ماهية الحروب الصليبية: (١٥٨).

(٢) ماهية الحروف الصليبية: (١٦٠).

(٣) الملك المعظم: توران شاه بن أيوب بن شادي، شمس الدولة، فخر الدين، أخو صلاح الدين الأيوبي. تولى اليمن ثم دمشق، ثم انتقل إلى مصر سنة ٥٧١هـ حتى مات فيها سنة ٥٧٦هـ. انظر: الأعلام (٩٠/٢).

(٤) البداية والنهاية: (١٢٤/١٣).

وظل بيت المقدس بيد الصليبيين عشر سنين (٦٢٦، ٦٣٦هـ)، (١٢٢٩ - ١٢٣٩م) تمثل الهدنة السابقة. وما أن انقضت سني الهدنة حتى هجم الصليبيون على جنوب فلسطين فقاتلهم الأيوبيون في غزة سنة ست وثلاثين وستمائة وهزمهم شر هزيمة، ثم استنقذوا بيت المقدس في السنة نفسها والله الحمد. وظلت بأيدي المسلمين حتى استولى عليها الإنجليز، ثم اليهود الصهاينة في العصور الأخيرة^(١).

سابعاً: الحملة الصليبية السابعة: (٦٤٧هـ - ١٢٤٩م):

كانت هذه الحملة موجهة أيضاً إلى مصر، لكن دون المرور بعكا، معقل الصليبيين في السواحل الشامية. بل انطلقت من ميناء مرسيليا الفرنسي بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، ونزل قبالة «دمياط»، وذلك في آخر حياة الملك الصالح^(٢) أيوب. (فهرب من كان فيها من الجند والعامّة، واستحوذ الفرنج على الثغر وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين)^(٣). ثم توفي الملك الصالح في تلك الأثناء واستدعي ابنه الملك المعظم توران شاه. وفي مطلع السنة التالية، سنة ثمان وأربعين وستمائة (في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دميّاط، فقتل منهم ثلاثين ألفاً، وقيل مائة ألف، وغنموا شيئاً كثيراً والله الحمد، ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا.

(١) ماهية الحروب الصليبية: (١٦٢).

(٢) الملك الصالح (٦٠٣ - ٦٤٧هـ): أيوب بن محمد الكامل بن أبي بكر العادل بن أيوب، أبو الفتوح، نجم الدين. من كبار الملوك الأيوبيين بمصر. ولد ونشأ بالقاهرة. وولي بعد خلع أخيه العادل الثاني سنة ٦٣٧هـ. كان شجاعاً مهيباً عفيفاً صموتاً. عمّر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب. أغار الإفرنج في أواخر أيامه على دميّاط سنة ٦٤٧هـ. فتوفي بالسل أثناء جهادهم بالمنصورة. ودفن بالقاهرة. انظر: الأعلام (٣٨/٢).

(٣) البداية والنهاية: (١٣/١٧٧).

وكان فيمن أسر ملك الفرنسيين وأخوه^(١). وقد أفرج عنه فيما بعد لقاء فدية كبيرة والانسحاب عن دمياط. وقد كانت هذه الحملة آخر حملة صليبية على مصر^(٢)، بل كانت آخر حملة صليبية ذات بال على المشرق الإسلامي.

وبعد أن آل الأمر إلى دولة المماليك الفتية التي قضت على الهجوم التتري الكاسح في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، اتجه القائد المظفر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري^(٣) (٦٥٨ - ٦٧٦هـ) إلى تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام بحزم وعزم وصرامة، فتهاوت معاقل النصارى واحدة تلو الأخرى في موسم حصاد رابع: قيسارية وأرسوف (٦٦٣هـ - ١٢٦٨م)، قلعة صفد، معقل الفرسان الداوية (٦٦٤هـ - ١٢٦٦م) يافا، وحصن شقيف أرنون (٦٦٦هـ - ١٢٦٨م).

وفي نفس العام حصل الفتح الكبير لأنطاكية بعد أن ظلت أسيرة بيد الصليبيين أكثر من مائة وخمسين عاماً.

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون^(٤) تابع فتوح سلفه بيبرس،

(١) البداية والنهاية: (١٣/١٧٨).

(٢) ماهية الحروب الصليبية: (١٦٥).

(٣) الظاهر بيبرس (٦٢٥ - ٦٧٦هـ): بيبرس العلائي البندقداري الصالح، ركن الدين، الملك الظاهر. ولد بأرض القبجاق، وأسر فبيع حتى آل إلى الملك الصالح، نجم الدين أيوب فخره ثم أعتقه. صار «أتابك» العساكر المصرية زمن الملك قطز وقاتل معه التتار في «عين جالوت». تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ. وقاتل الصليبيين، وفتح بلاد النوبة. وكان شجاعاً جباراً. توفي في دمشق. انظر: الأعلام (٢/٧٩).

(٤) المنصور قلاوون (٦٢٠ - ٦٨٩هـ): قلاوون الألفي العلائي الصالح، النجمي، أبو المعالي، سيف الدين، السلطان الملك المنصور. أول ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام. قبجاقي الأصل. أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ، خدم الظاهر بيبرس، وابنه العادل ثم خلعه، وتولى =

فقد سقط حصن المرقب سنة ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م، ثم اللاذقية في سنة ٦٨٦هـ - ١٢٨٧م، ثم طرابلس وبيروت وجبله سنة (٦٨٨هـ - ١٢٩١م)، في عهد السلطان الأشرف خليل^(١) ابن السلطان المنصور قلاوون، مؤذناً بنهاية الوجود الصليبي على أرض الإسلام بعد مائتي عام تماماً من حملتهم الأولى^(٢).

لقد مرت بالمسلمين فترة عصبية طوال هذين القرنين (٤٩٠ - ٦٩٠هـ) من جراء هذا الغزو الصليبي، وكانت حرباً عقديّة صرفة في مظاهرها وأعلامها وأهدافها المعلنة^(٣) وخطابها للجمهور. ودافع المسلمون دفاعاً مجيداً عن ديارهم ومقدساتهم، وبذلوا المهج والأرواح والأموال، ولم يدعوا عدوهم يهنأ بعيش، أو يقر له قرار. ولا ريب أن الصليبيين خسروا خسائر فادحة، وباءت محاولاتهم المتكررة بالفشل والخيبة، وتكسر نصالهم على صدور أهل الإسلام المنية، وتعلموا درساً راسخاً من دروس التاريخ. والحقيقة أنه ما كان يمكن أن يكون لهم موطئ قدم، لولا عوامل داخلية مهدت لهم الطريق، أهمها:

= السلطنة. وكانت له حروب مع التتار والنوبة، ظفر فيها وغنم. مات بالقاهرة. انظر: الأعلام (٢٠٣/٥).

(١) الأشرف ابن قلاوون (٦٦٦ - ٦٩٣هـ): خليل بن قلاوون الصالح، الملك الأشرف، صلاح الدين، ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر. ولي بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩، واستفتح الملك بالجهاد، فقصده البلاد الشامية، وقاتل الإفرنج، واسترد منهم عكا وصوراً وصيدا وبيروت وجميع الساحل، وكان شجاعاً مهيباً عالي الهمة جواداً. قتل غيلة بمصر. انظر: الأعلام (٢/٣٢١).

(٢) انظر: ماهية الحروب الصليبية: (١٦٦ - ١٧٠) والبداية والنهاية (١٣/٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٠).

(٣) انظر: في مناقشة دوافع الحملات الصليبية وأهدافها: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية د. عبد الله الربيعي (٢٢ - ٣٨).

أولاً: تسلط دول الرافضة على رقاب المسلمين، وإشاعتهم الكفر والفسوق والعصيان والبدع، وتواطئهم مع أعداء الإسلام، والنشاط الباطني المدمر، الذي اعتمد أسلوب الاغتيالات الانتحارية على أيدي «فداوية» الإسماعيلية الرافضة في هذين القرنين، ومحاولة إجهاض أي بادرة قوة، وزعامة صالحة من ملوك أهل السنة^(١).

ثانياً: التشرذم السياسي، والفتن الداخلية، داخل معسكر أهل السنة، وضعف الخلافة العباسية في معظم الأحوال.

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه رحى حرب صليبية في المشرق الإسلامي، كانت تجري أحداث مشابهة في الساحة الأندلسية. إذ لم تشترك «إسبانيا النصرانية» في الحملات الصليبية المتجهة إلى بيت المقدس لأنها كانت تخوض حرباً صليبية حامية الوطيس في عقر دارها، هدفها طرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية وإعادتها إلى المنظومة الأوربية، والكنيسة الكاثوليكية.

فبعد سقوط «طليطلة» الخطير، مستهل ثمانٍ وسبعين وأربعمئة (٤٧٨هـ - ١٠٨٥م)، لم يوقف تقدم الأسبان الجارف لالتهام دويلات ملوك الطوائف إلا جواز أمير المرابطين، يوسف بن تاشفين^(٢) (٤٦٣ - ٥٠٠هـ).

(١) انظر: شواهد لهذه المحاولات والاغتيالات المتكررة في المواضع التالية من البداية والنهاية (١٥٨/١٢، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٩٨).

(٢) يوسف بن تاشفين (٤١٠ - ٥٠٠هـ): يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، المصالي الصنهاجي للمتوني الحميري، أبو يعقوب أمير المسلمين، وملك المثلثين، سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش. كتب إليه المعتمد بن عباد، صاحب أشبيلية يستنجد على قتال الفرنج، فجاز إلى الأندلس بمجموعة، وكسر النصراني في وقعة الزلاقة الفاصلة سنة ٤٧٩ وبإيعه ملوك الطوائف، وملك الجزيرة كلها وبلاد المغرب. وكان حازماً ضابطاً. انظر: الأعلام (٨/٢٢٢).

إلى البر الأندلسي، والتحام المسلمين والنصارى في سهل «الزلاقة» في معركة فاصلة من معارك التاريخ الكبرى، كان النصر فيها حليف المسلمين، في الثاني عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة (٤٧٩هـ - ١٠٨٦م)^(١). وكان من ثمرات هذه المعركة إلى جانب وقف الزحف النصراني، إنهاء عهد ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس المسلمة تحت راية المرابطين، ثم من بعدهم الموحيدين. وتوج المرابطون انتصاراتهم ضد النصارى بفتح حصن «أقلش» على رأس القرن السادس الهجري سنة خمسمائة وواحد (٥٠١هـ - ١١٠٨م). واستمرت المعارك العنيفة بين المسلمين والنصارى فسقطت «سرقسطة» سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، ثم «قلعة أيوب» بعدها بسنة. وسقطت دولة المرابطين سنة إحدى وأربعين وخمسمائة تحت مطارق الموحيدين في البر المغربي، والنصارى في الأندلس.

وانبعثت روح الجهاد الإسلامي في بلاد المغرب مع دولة «الموحيدين» الفتية، في الوقت الذي انبعث فيه هذه الروح على يد «آل زنكي» ثم «آل أيوب» في بلاد المشرق الإسلامي. فقد قام عبد المؤمن بن علي الموحيدي بشن غارات برية وبحرية على ثغر «المهدية» على الساحل التونسي، واستعادها من الفرنج النورمانديين، حكام صقلية، بعد أن بقيت رهينة بأيديهم اثنتي عشرة سنة. وذلك سنة خمس وخمسين وخمسمائة (٥٥٥هـ - ١١٦٠م).

وجاءت الوفود الأندلسية تستنصر إمام الموحيدين عبد المؤمن بن علي القيسي^(٢) في الدين، فجاز البحر في سنة ست وخمسين

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٣٠٧/٨).

(٢) عبد المؤمن بن علي (٤٨٧ - ٥٥٨هـ): عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، أمير المؤمنين مؤسس دولة الموحيدين في المغرب وإفريقية وتونس. التقى بابن تومرت فتصادقا وانتهى الأمر بأن =

وخمسماية (٥٥٦هـ - ١١٦١م). وضم ممالك الأندلس ومدنها تحت راية الموحدين وأثنى في النصارى. حتى توفي سنة ثمان وخمسين، وقد حشد حملة عسكرية ضخمة كانت مؤهلة للقضاء على ممالك النصارى الخمس شمال الجزيرة. وخلفه في جهاد النصارى ابنه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن^(١)، الذي قضى أربعة عشر عاماً في الفتوح ومناوشة الأعداء حتى قضى نحبه في معركة «شتتين» سنة ثمانين وخمسماية (٥٨٠هـ - ١١٨٤م)^(٢).

وبعد خطاب تحيد واستفزاز بعث به ألفونسو الثامن ملك قشتالة إلى سلطان الموحدين أبي يوسف يعقوب بن يوسف المنصور^(٣)، كتب على ظهره مجيباً: «ارجع إليهم فلنأتينهم بجند لا قبل لهم بها،

= ولي ابن تومرت ملك المغرب الأقصى، ولقب بالمهدي، وجعل لعبد المؤمن قيادة جيوشه، ثم خلفه سنة ٥٢٤هـ، وقاتل المرابطين، فاستأصلهم، ودخل الأندلس واستولى على مدائنها. ودفن إلى جوار ابن تومرت. انظر: الأعلام (١٧٠/٤).

(١) يوسف بن عبد المؤمن (٥٣٣ - ٥٨٠هـ): يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، أبو يعقوب. أمير المؤمنين. ثالث ملوك دولة الموحدين بالمغرب والأندلس. كان حازماً شجاعاً حسن السيرة. له ميل إلى الفلسفة. جاهد الفرنجة، فأصيب في «شتتين» فمات متأثراً بجراحه. انظر: الأعلام (٢٤١/٨).
(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٤٨٠/٩).

(٣) المنصور الموحدي (٥٥٤ - ٥٩٥هـ): يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، أبو يوسف المنصور بفضل الله من ملوك الموحدين في المغرب، وأعظمهم آثاراً. وجه عنايته إلى الإصلاح والفتوح. استرد أربع مدن من الإفرنج بالأندلس، كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل أربعين عاماً. فخافه الفونس، صاحب طليطلة، فطلب منه الصلح خمس سنين، ليجمع لحربه ولكنه كسرهم سنة ٥٩١هـ. كان ديناً، نهى الفقهاء عن الإفتاء إلا بالكتاب والسنة. بنى كثيراً من المساجد والمدارس، والمستشفيات أجرى عليها الأرزاق. انظر: الأعلام (٢٠٣/٨).

ولنخرجهم منها أذلةً وهم صاغرون» الجواب ما ترى، لا ما تسمع، التقى جحفلان عظيمان كأمثال الجبال، حشد فيها كل طرف وسعه، يوم التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة (٥٩١هـ - ١١٩٥م) في معركة فاصلة، عرفت باسم «الأرك» انتصر فيها الموحدون، تذكر بمعركة «الزلاقة» التي انتصر فيها المرابطون قبل أكثر من مائة عام (٤٧٩هـ). وسار الموحدون الظافرون يخترقون الأراضي القشتالية حتى بدت لهم مشارف «طليطلة» معقل النصارى، فحاصروها، ولكنها امتنعت، فأعقب ذلك هدنة. وهكذا أوقفت موقعة الأرك زحف النصارى البطيء عشرين سنة لاحقة.

وابتداً الوهن في جانب الموحدين إثر موقعة «العقاب» التي مُني فيها أبو عبد الله محمد الناصر^(١)، سلطان الموحدين - بهزيمة فادحة وذلك سنة تسع وستمائة (٦٠٩هـ - ١٢١٢م) أعقبها انتكاسات خطيرة في النصف الأول من القرن السابع الهجري. فقد سقطت «ماردة» و«بطليوس» سنة ثمان وعشرين، «وأبده» سنة إحدى وثلاثين، و«قرطبة» سنة ثلاث وثلاثين، ثم «بلنسية» و«شاطبة» و«دانية» سنة ست وثلاثين، ثم «مرسية» سنة إحدى وأربعين، وأخيراً «إشبيلية» سنة ست وأربعين وستمائة.

وهكذا تهاوت حواضر الأندلس الشهيرة، الواحدة تلو الأخرى في ملحمة مأساوية، وبدت الأندلس المسلمة في النصف الثاني من القرن السابع تسير نحو مصيرها المحتوم، وخاتمتها البائسة، لولا نفحة ربانية

(١) محمد الناصر: محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الزناتي، الكومي، الموحدي، الناصر لدين الله. من خلفاء دولة الموحدين في المغرب والأندلس. في أيامه كانت وقعة «العقاب» مع نصارى الأندلس سنة ٦٠٩، كسر فيها الموحدون. عاد بعدها إلى مراكش، وتوفي بها سنة ٦١٠هـ. انظر: الأعلام (١٤٥/٧).

أجراها الله تعالى على أيدي «المرينيين» أنعشت الوجود الإسلامي في جنوب الجزيرة المتمثل في مملكة بني الأحمر في «غرناطة»، الذين لم تقدمهم مصانعتهم للنصارى في تجنب استنزافهم إياهم، واستنقاصهم أراضيهم من أطرافها، فاستنجد بنو الأحمر بإخوة الدين، فهب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني^(١) لنجدتهم، وتمكن من دحر النصارى سنة أربع وسبعين وستمائة (٦٧٤هـ - ١٢٧٥م)، وقتل قائدهم «دونونة» الذي عاث في أرض المسلمين قتلاً ونهباً وفساداً. ثم سار فحاصر «أشبيلية» و«شريط» سنة خمس وسبعين، وتوغل في أراضي النصارى سنة سبع وسبعين. كما قام الأسطول المريني بالانتصار على الأسطول القشتالي في معركة بحرية سنة ثمان وسبعين وستمائة أسفرت عن تحرير «الجزيرة الخضراء» التي أراد النصارى بالاستيلاء عليها قطع الطريق على المدد الآتي من المغرب الإسلامي. واضطر «شانجة» ملك قشتالة إلى طلب الصلح من المسلمين. وهكذا اكتشف النصارى أن من الخير لهم الرضى بوجود إسلامي محدود في جنوب الأندلس، دون المخاطرة بعمل عسكري أحرق يثير حمية المسلمين في العدو المقابلة، فيتعرضون لحملة إسلامية لا يستطيعون التنبؤ بآثارها. وقد أجلت هذه التحسبات والمخاوف دولة بني الأحمر قرنين من الزمان، إلى أن سقطت آخر الحواضر الإسلامية من بلاد الأندلس، مدينة غرناطة في

(١) المنصور المريني (٦٠٧ - ٦٨٥هـ): يعقوب بن عبد الحق المريني الزناتي. أبو يوسف، السلطان المنصور بالله، بربري من أصل عربي. ألت إليه إمارة بني مرين سنة ٦٥٦هـ، قضى على دولة الموحدين سنة ٦٧٤، وصفا له المغرب كله، ثم جاز إلى الأندلس، فآخن في النصارى واسترد منهم ما أخذه من مدائن الأندلس. وكان عهده عامراً بالفتوح والعمران والإصلاح الاجتماعي والإحسان إلى المرضى والعمي والفقراء، وبناء المدارس لطلبة العلم. واستمر غازياً مجاهداً، بانياً مصلحاً إلى أن توفي في الجزيرة الخضراء بالأندلس. انظر: الأعلام ١٩٩/٨.

الثامن من ربيع الأول سنة سبع وتسعين وثمانمائة (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م).
ولله الأمر من قبل ومن بعد^(١).

لقد كانت حرب الاستعادة الإسبانية - Spanish Reconquest - كما يسميها المؤرخون النصارى - حرباً صليبية صرفة، تقف خلفها حركة الإصلاح الكلوني، التي ولدت في «دير كلوني» في مطلع القرن العاشر الميلادي (٩١٠م)، وأشعلت فكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين الغزاة، الذين استولوا على الممالك النصرانية. فقد أكد البابا غريغوري السابع بأن إسبانيا جزء من أرض القديس بطرس، وأن الجزيرة الأيبيرية جزء لا يتجزأ من الجسد المسيحي. كما حرم البابا «باسكال الثاني» (١٠٩٩ - ١١١٨م) وكان راهباً كلونياً على الفرسان الإسبان المشاركة في الحروب الصليبية في الشرق^(٢). وذلك لأولية المشاركة في الحرب الصليبية في الغرب على أرض الأندلس.

أما على الصعيد الداخلي في «دار الإسلام»، فقد بقي أهل الذمة يواصلون عيشهم في أحضان المجتمع الإسلامي وفق القواعد المقررة في الكتاب والسنة والإجماع، والمستقرة منذ القرون الأولى، ولا يعكر هذا الصفو سوى حوادث متفرقة مردها إلى عمليات استفزاز محلية تثور في أوساط العوام، دون أن تتبناها أو حتى تقرها السلطة المركزية^(٣). ولا تكاد تمثل هذه الحوادث نسبة تذكر إذا قورنت بحوادث الشغب التي تجري بين السنة والروافض في بغداد وغيرها، أو حتى حوادث التعصب المذهبي الفقهي بين الجهلة من أتباع المذاهب الفقهية.

(١) انظر: مقالة «حرب الاستعادة الإسبانية: هل هي حرب كلونية مقدسة ضد الإسلام؟» ل: فيسنت كانتارينو. مجلة الاجتهاد (٢٩/٥٩ - ٨١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: على سبيل المثال حادثة لليهود في بغداد. في البداية والنهاية (١٢/٢٩٨).

لقد كان المسلمون خلال هذين القرنين يفرقون بين «أهل الذمة» و«الفرنج» الحريين. بل إن النصارى الشرقيين أنفسهم عانوا الأمرين من هؤلاء الغزاة التابعين للكنيسة الكاثوليكية بوصفهم إياهم هراطقة، عليهم أن يعودوا إلى حمى النصرانية الصحيحة، بالرغم من أن البابا أربان الثاني سوق دعايته للحملات الصليبية بحجة حماية النصارى المضطهدين على أيدي المسلمين بزعمه.

يقول الباحثان فيليب فارغ، ويوسف كبراج: (كان الفرنجة قد جاءوا لتقديم العون إلى المسيحيين الشرقيين. وبدلاً من تحقيق هذا المشروع الأولي، سوف تنتهي حملتهم بتدهور ملحوظ لوضع الجماعة المسيحية الشرقية.

وعندما يبدأ المسلمون في استعادة الأرض المقدسة، فإنهم لن يتهموا الجماعة المسيحية المحلية بالتواطؤ «مع العدو». والواقع أن إعادات الفتح الإسلامي المتعاقبة قد لقيت حيادها، وأحياناً تعاونها. وكان الاحتلال الإفرنجي قد أدخل نوعاً من التواطؤ فيما بين السكان المحليين المنتمين إلى مختلف الملل. ويصل الأمر بالمسيحيين العرب إلى حد اعتبار انتصارات نور الدين في الشمال، وانتصارات صلاح الدين في الجنوب خطوة أولى نحو تحررهم من النير الديني الإفرنجي، بل ويبدو أنهم سوف يذهبون في القدس إلى حد التفاهم مع صلاح الدين بهدف تسهيل الاستيلاء على المدينة. والواقع أن مسيحيي القدس والمدن الساحلية سوف يكون بوسعهم البقاء حيث هم وصون ممتلكاتهم، بشرط دفع ضريبة رأس. هذه الأخيرة تنزلت من جديد من خزانة إلى أخرى، ولكن في اتجاه مضاد: فهي تنتقل الآن من خزينة المملكة اللاتينية إلى خزينة المملكة الإسلامية^(١).

(١) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٨٥).

وبدلاً من أن يتحالف أهل الذمة من النصارى مع إخوة الدين من الفرنجة، نجد وقائع محدودة يتحالف فيها هؤلاء مع المغول الوثنيين ضد المسلمين مما كلفهم بعد ذلك عملية تصفية حساب مريرة يستحقونها.

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ثمان وخمسين وستمائة حين دخول التتار دمشق بقيادة أمير منهم من قبل هولاكو^(١) يقال له: «إبل سيان»: (وكان لعنه الله معظماً لدين النصارى، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم فعظمهم جداً، وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة وصوله بسببه، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو، وأخذوا معهم هدايا وتحفاً، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته^(٢). ودخلوا من باب توما، ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس، وهم ينادون بشعارهم ويقولون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح، ويذمون دين الإسلام وأهله، ومعهم أواني فيها خمر، لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرأً، وقماقم ملآنة خمرأً يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم، ويأمررون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم... فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى، وذم دين الإسلام وأهله، فإنا لله وإنا إليه راجعون^(٣)).

(١) هولاكو (١٢١٧ - ١٢٦٥م): حفيد جنكيزخان المغولي. باطش جبار، أغار على الممالك الإسلامية الشرقية، وأعمل في أهلها السيف، حتى بلغ بغداد فحاصرها سنة (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)، وتواطأ معه ابن العلقمي الرافضي، وزير المستعصم، فدخلها واستباحها، وقتل الخليفة والقضاة والعلماء، ثم احتل الشام، وعاد إلى إيران. انظر: البداية والنهاية (٢٤٨/١٣).

(٢) وهكذا صنع لعنه الله حين دخول بغداد، حيث استباح دماء المسلمين غدرأً، وأمن اليهود والنصارى. انظر: البداية والنهاية (٢٠٢/١٣) واتخذ لنفسه زوجة نصرانية، ويقال إنه اعتنق النصرانية سرأً.

(٣) البداية والنهاية: (٢١٩/١٣).

لم يكن ثم مبررٌ لتلك المظاهرة الغادرة، سيما وأجواء الشام لا تزال معطرة بسيرة صلاح الدين الأيوبي وتسامحه مع خصومه، فلم هذا الحلف المغولي - النصراني الأحمق؟ ولم يمض سوى سبعة أشهر حتى انهزم المغول في عين جالوت، في العشر الأخير من رمضان من تلك السنة هزيمة منكرة، (فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب، فانتهبوا ما فيها، وأحرقوها، وألقوا النار فيما حولها، فاحترقت دور كثيرة إلى النصارى «كذا» ملاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة. وهمت طائفة بنهب اليهود، ف قيل: إنه لم يكن منهم الطفغان كما كان من عبدة الصليبان)^(١).

لم يقيم المسلمون المنتصرون على الفرنج خلال هذين القرنين بعمليات تطهير ديني، وتهجير واسعة النطاق كما فعل الأسبان بالمسلمين، بل غاية ما في الأمر وقوع عمليات تأديب وثأر وانتصار.

ويشاء الله تعالى أن «ينقلب السحر على الساحر» وينعكس الأمر على أولئك النصارى الذين طمعوا في التعاون مع الغزاة الجدد لإطفاء نور الإسلام، فيقع ما لم يكن لهم بحسبان؛ ففي سنة أربع وتسعين وستمائة (مَلَك التتار «قازان» بن أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكيزخان، فأسلم وأظهر الإسلام على يدي الأمير «توزون» ﷺ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة وخرّب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية)^(٢).

وهكذا يعز الله دينه، ويعلي كلمته بأقوام قدموا من أقصى المشرق ليجتثوه من أرضه، ويطمسوا معالمه، فأبى الله إلا أن يتم نوره،

(١) البداية والنهاية: (١٣/٢٢١).

(٢) البداية والنهاية: (١/٣٤٠).

فيخضع أولئك البرابرة الجفأة لقوة الإسلام الذاتية، وتأثيره العجيب بعد أن عجزت السيوف والرماح عن إخضاعهم. ويعرض الله المسلمين عما فقدوه في الحروب الصليبية، وفي الأندلس بأعداد هائلة من المسلمين الجدد الذين أعادوا ترتيب «النسب» السكانية، فتحول «أهل الذمة» إلى أقلية مطلقة^(١).

المرحلة الرابعة: (٦٩٠هـ - ١٢١٣هـ):

لم تكد تطوى صفحة الصليبيين في بلاد الشام، وهم يستقلون مراكبهم هاربين من عكا سنة تسعين وستمائة (٦٩٠هـ - ١٢٩١م)، حتى فتحت صفحة جديدة من صفحات المواجهة الإسلامية النصرانية. لكن ميدان المعركة انتقل هذه المرة إلى الطرف الآخر، وعلى وجه التحديد على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية المتاخمة لممالك السلاجقة المسلمين.

لقد شهد النصف الأخير من القرن السابع الهجري نشأة إمارة صغيرة لقوم من الترك النازحين إلى هضبة الأناضول فراراً من بطش المغول، وأثر مشاركتهم في بعض المعارك المحلية منحهم سلطان «قونية» ثغراً على حدود سلطنته مع الإمبراطورية البيزنطية، انطلق منه هؤلاء المجاهدون يشخنون في الأرض، ويوسعون نفوذهم، حتى تأسست لهم دولة مستقلة على يد أميرهم عثمان بن أرطغرل، صارت فيما بعد أطول دولة في التاريخ عمراً، عرفت باسم الدولة العثمانية^(٢).

(١) انظر: فصل «سبعة قرون من الأسلمة» في: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي التركي (٢٣ - ٣٧).

(٢) انظر في نشأة الدولة العثمانية وتاريخها: الفتوحات الإسلامية: دحلان، أحمد زيني. مطبعة السعادة - مصر. أحمد زيني دحلان. (٨٩/٢ - ٩٠)، صحوة الرجل المريض؛ د. موفق بني المرجة. دار البيارق - بيروت. الطبعة الثامنة =

اتجه آل عثمان إلى قتال الروم، ووطئت أقدامهم أراضي لم يطأها فاتح مسلم من قبل. فقد تمكن السلطان عثمان (٦٩٩ - ٧٢٦هـ) من توسعة الإمارة التي ورثها عن أبيه أرطغرل أكثر من ثلاثة أضعاف ما كانت عليه، وتمكن من النفاذ إلى بحر «مرمرة» سنة سبع وسبعمئة، وفي آخر أيامه تم فتح مدينة بيزنطية عظيمة؛ بروسة. فنقل إليها خليفته وابنه السلطان «أورخان» كرسي مملكته ليكون قريباً من ساحات الفتوحات الجديدة في أوربا الشرقية، فافتتح مدينة «نيقوميديا» و«أزينق» من بلاد اليونان، وفتح مدينة «غليبولي» التي تعد مفتاح «القسطنطينية» سنة ثمان وخمسين وسبعمئة. وفي عهد ابنه السلطان الشهيد «مراد الأول» (٧٦١ - ٧٩٢هـ) تم فتح «أدرنة» في العام التالي لحكمه. ونقل إليها عاصمة مملكته، وأخضع معظم الأراضي البيزنطية بحيث صارت «القسطنطينية» محاصرة تماماً بالأراضي العثمانية، التي بلغت حدود مملكة الصرب وبلغاريا وألبانيا. وقد تحالف ملوك البوسنة وصربيا والمجر ضد العثمانيين - إثر سقوط أدرنة - بمباركة وتأيد من البابا «أربانوس»، وهاجموا المدينة المفتوحة فهزمهم السلطان عندها هزيمة منكرة سنة خمس وستين وسبعمئة (٧٦٥هـ - ١٣٦٣م).

وتواصل الفتوح العثمانية حتى تسقط بلغاريا في أيدي المسلمين، ويأسرون أميرها. وأمام هذا السيل الجارف من الانتصارات يتحالف أمراء أوربا الشرقية ضد السلطان مراد الأول، فتدور معركة حامية الوطيس، من معارك الإسلام الفاصلة سنة اثنتين وتسعين وسبعمئة

= (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، العثمانيون في التاريخ والحضارة: د. محمد حرب. دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م). د. محمد حرب (١٣، ١٥)، تاريخ المشرق العربي. د. عمر بن عبد العزيز عمر (٣٥ - ٣٨)، الشعوب الإسلامية: د. عبد العزيز سليمان نوار. دار النهضة العربية. بيروت. طبعة عام ١٩٧٣م. (٢٣ - ٢١٠).

(٧٩٢هـ - ١٣٨٩م) عرفت باسم «قوصووة» ينتصر فيها العثمانيون، ويؤسر ملك الصرب، ويقتل. ولكن السلطان مراد يقضي نحبه بطعنة غادرة من جندي صربي وهو يتفقد ساحة المعركة. ولكنه خلف أراضِي شاسعة تبلغ خمسة أضعاف ما ورثه عن أبيه أورخان في مدى ثلاثين سنة تقريباً قضاها ^{كذلك} في الفتوح والجهاد.

وفي عهد ابنه السلطان «بايزيد الأول» الملقب بـ «الصاعقة»، استمرت الجيوش العثمانية النظامية المعروفة بـ «الإنكشارية» تنتقص أوربا من أطرافها، بطموحات عالية، وهمة مضاءة، ففتح رومانيا وألبانيا وجزيرة رودس، وحاصر «القسطنطينية» سبعة أشهر كاملة. فقام ملك المجر «سيجسموند» بالاستنجاد بالبابا لتكوين حملة صليبية أوربية حملت شعار: سحق الأتراك أولاً، ثم احتلال «القدس».

وتجمعت جيوش مجرية وألمانية وفرنسية وإنجليزية وإيطالية وإسبانية بلغ تعدادها مائة ألف مقاتل، وعبرت نهر الدانوب لتصطدم بجيوش بايزيد الصاعقة على مقربة من مدينة نيكوبولي «نيقوبوليس»، فتصعق بهزيمة نكراء سنة تسع وتسعين وسبعمائة (٧٩٩هـ - ١٣٩٦م) كانت هزيمة لأوربا كلها، وللنصارى عامة على يد آل عثمان.

لقد كان بايزيد الصاعقة يطمح إلى اجتياح أوربا كلها. وكان الأوربيون يدركون ذلك، فحينئذ يتجدد الحلف النصراني - المغولي الذي سبق أن أبرمه النصارى مع «هولاكو»، لكن في هذا الزمان مع طاغية مغولي آخر هو «تيمورلنك»^(١). ف (في سنة اثنتين وثمانمائة اجتمع

(١) تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥م): ملك المغول، وحفيد جنكيزخان. ولد في كش بالقرب من سمرقند. اعتلى العرش بدهائه وبطشه. فتح خوارزم وكشغر وفارس وسورية ومصر. خرب بغداد سنة ١٣٨٦م، واحتل موسكو، وانتصر على العثمانيين في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢م. انظر: المنجد في الأعلام (٢٠٠).

كثير من ملوك الروم الذين اقتلع ملكهم السلطان يلدرم^(١) بايزيد، وساروا إلى تيمور مستغيثين به، يشكون إليه من السلطان بايزيد، ويرغبونه في المسير إلى الروم، يستنجدون به عليه في رد ممالكهم، فأجاب تيمور سؤالهم، وسار بجيوش كثيرة...^(٢). وكان نهاية هذا السلطان المجاهد أن وقع أسيراً في يد تيمور، وتوفي في عاصمته تبريز.

قام السلطان «محمد الأول» (٨١٦ - ٨٢٤هـ) بلم شعث الدولة بعد تمزيقها، وإخماد الفتن والانشقاقات حتى استقرت الأمور، وخلفه ابنه السلطان «مراد الثاني» (٨٢٤ - ٨٥٥هـ)، وجرت بينه وبين ملوك أوروبا وبابواتها حروبٌ وملاحم عظيمة تراوحت بين نصرٍ وهزيمة، ولكنها أسفرت في نهاية المطاف عن إخضاع الصرب والبوسنة وبلاد المورة، وضرب الجزية على الأقاليم المجاورة.

ولما آل الأمر إلى «محمد الثاني» (٨٥٥ - ٨٨٦هـ) الملقب بالفاتح، استهل ولايته بالتهيؤ لفتح القسطنطينية، فتم ذلك فعلاً سنة سبع وخمسين وثمانمائة (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م). وكان حدثاً هاماً اهتز له العالم الإسلامي فرحاً وسروراً، وهز أوروبا وسائر النصارى في العالم حزناً وثبوراً، وسقطت الدولة البيزنطية العريقة، واعتبر ذلك التاريخ مبدءاً للتاريخ الحديث، لجلالة المناسبة وعميق آثارها. وتحولت مدينة قسطنطين «القسطنطينية» إلى مدينة الإسلام «إسلامبول»، وصارت كنيستها العظمى «أياصوفيا» جامعاً للمسلمين^(٣).

(١) يلدرم تعني «الصاعقة» بالتركية.

(٢) الفتوحات الإسلامية (١٠١/٢).

(٣) انظر: في تفاصيل هذا الفتح العظيم وسيرة محمد الفاتح: محمد الفاتح د. سالم الرشيد، محمد الفاتح: عبد السلام فهمي.

وقد تابع السلطان محمد فتوحاته حتى أخضع بلاد المورة والصرب والبوسنة والأرناؤوط وألبانيا، إلى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة (٨٧١هـ - ١٤٦٧م). ثم ولى وجهه نحو بلاد القرم فأخضعها سنة تسع وسبعين وثمانمائة (٨٧٩هـ - ١٤٧٥م). أما أهم دولتين في أوربا ذلك العهد، وهما جمهوريتا البندقية وجنوة فقد اضطررتا للصالح مع السلطان محمد الفاتح، والتنازل عن كثير من المواقع.

لقد كان النصف الثاني من القرن التاسع الهجري يمثل قمة تألق الدولة العثمانية وقوتها ونفوذها بحيث لا تساميتها دولة من دول العالم آنذاك. وكان فاتح القسطنطينية يطمح إلى فتح «روما»، معقل البابوية، لولا أن عاجله الأجل سنة ست وثمانين وثمانمائة (٨٨٦هـ - ١٤٨١م)، بعد حكم دام أكثر من ثلاثين سنة، أبلاها في الحروب والفتوح وتسطين الأمجاد الخالدة، ^١ رحمة واسعة.

وفي نهاية القرن التاسع سجل التاريخ ثلاثة أحداث كبار:

١ - سنة ست وثمانين وثمانمائة (٨٨٦هـ - ١٤٨١م) وصل الرحالة البرتغالي «فاسكو دي جاما» إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح.

٢ - سنة سبع وتسعين وثمانمائة (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) وصل الرحالة الأسباني كريستوفر كولومبس إلى إحدى جزر الهند الغربية - كما كان يظن - وتم اكتشاف قارة أمريكا.

٣ - في نفس العام كان سقوط «غرناطة» آخر ممالك المسلمين في الأندلس على يد النصارى الأسبان، وجرى طرد المسلمين من أسبانيا إلى الشمال الأفريقي.

لقد كان للحدثين الأولين آثار استراتيجية، واقتصادية بالغة الأثر في تغيير ميزان القوى لصالح الغرب النصراني. كما كان للحدث الثالث أثر نفسي في رد الاعتبار، والثأر الديني لنصارى أوربا لقاء الهزائم

المتكررة التي منوا بها في الجانب الشرقي من قارتهم، لا سيما سقوط القسطنطينية.

وتجددت الأمجاد الإسلامية في عهد أشهر سلاطين «آل عثمان» وهو السلطان «سليمان القانوني» (٩٢٦ - ٩٧٤هـ)، الذي هز أركان أوروبا بفتوحاته العظام، وجهاده الدؤوب في كل صوب، ومن أشهر مآثره:

* فتح «بلغراد» سنة سبع وعشرين وتسعمائة (٩٢٧هـ - ١٥٢١م).

* هزيمة الجيش المجري وحلفائه الألمان والنمساويين في معركة «موكر»، وقتل ملك المجر، القائد الأعلى للقوات النصرانية «لويس الثاني»، سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة (٩٣٢هـ - ١٥٢٦م)، والاستيلاء على العاصمة المجرية «بشت»، التي تعرف الآن باسم «بودابست»، وخضوع مملكة المجر للحماية العثمانية.

* حصار «فيينا» عاصمة النمسا، سنة خمس وثلاثين وتسعمائة (٩٣٥هـ - ١٥٢٩م)، وفرار الأرشيذوق النمساوي «فرديناند» منها، والإغارة على الأراضي الألمانية.

* تجريد حملة عثمانية بقيادة السلطان عرفت باسم الحملة العثمانية على ألمانيا لتأديب أسرة «هابسبرج» العريقة، اخترقت البلقان والمجر والنمسا إلى ألمانيا، فاضطر «فرديناند» ملك النمسا إلى التوقيع على معاهدة صلح مذلة، ودفع جزية سنوية قدرها ثلاثون ألف دوق ذهباً للخزينة العثمانية.

* استعادة مدينة «بودين» المجرية سنة ثمان وأربعين وتسعمائة (٩٤٨هـ - ١٥٤١م) وتحويل أضخم كنائسها إلى جامع للمسلمين، وتعيين ملك للمجر من قبل السلطان.

* القضاء على حملة صليبية بإشراف البابا بول الثالث، ومشاركة

ملكي النمسا والمجر سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (٩٥١هـ - ١٥٤٣م)، وإلزامهما بدفع الجزية. ولما نقض النصارى المعاهدة قام أمراء سليمان القانوني بتأديب النمساويين وإلزامهم بالاعتراف بالحماية العثمانية لمملكة المجر، ودفع الجزية سنة تسع وستين وتسعمائة (٩٧٩هـ - ١٥٦٢م).

كانت هذه الانتصارات المجيدة في ميادين القتال البرية، يقابلها على ثبج البحار انتصارات مماثلة جعلت من البحر الأبيض المتوسط شبه بحيرة عثمانية تروح فيها أساطيلهم وتغدو، كما جحافلهم البرية، فمن أشهر الوقائع البحرية في عهد السلطان سليمان القانوني:

■ فتح جزيرة «رودس» سنة ثمان وعشرين وتسعمائة (٩٢٨هـ - ١٥٢٢م)، وانتزاعها من فرسان القديس يوحنا. وكانت قلعتها أقوى قلعة بحرية في العالم آنذاك. وقد استعصت على الأسطول العثماني سنة خمس وثمانين وثمانمائة زمن السلطان محمد الفاتح.

■ كسر الأسطول الصليبي المتحالف في موقعة «برويزة» سنة خمس وأربعين وتسعمائة (٩٤٥هـ - ١٥٣٨م)، الذي دعا لتكوينه البابا «بول الثالث»، وقاده أشهر القادة البحريين في العالم حينذاك «أندريا دوريا»، وضم ثلاثمائة قطعة بحرية. فهزمهم القائد العثماني «خير الدين بربروس»، الذي لم يكن تحت يده سوى مائة وعشرين قطعة.

■ هزيمة أسطول «شرلكان» ملك الألمان سنة ثمان وأربعين وتسعمائة (٩٤٨هـ - ١٥٤١م)، وصده عن مهاجمة الجزائر.

■ تحرير «طرابلس الغرب» من احتلال فرسان مالطة النصارى، ومحاصرتهم سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩هـ - ١٥٥٢م) على يد قبطان البحر العثماني «طورغود رئيس».

■ كما قامت القوات البحرية العثمانية بأربع حملات بحرية تأديبية

للبرتغاليين المعتدين على مسلمي الهند، بعد اكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، منذ عام أربع وأربعين وتسعمائة (٩٤٤هـ - ١٥٣٨م) إلى أربع وستين وتسعمائة (٩٦٤هـ - ١٥٥٧م).

وتوفي السلطان سليمان القانوني، بعد حكم دام ثمانٍ وأربعين سنة، عام أربع وسبعين وتسعمائة (٩٧٤هـ - ١٥٦٦م). يقول الدكتور محمد حرب: «كان عهد القانوني قمة العهود العثمانية سواءً في الحركة الجهادية، وفي الناحية المعمارية والعلمية والأدبية والعسكرية. كان هذا السلطان يؤثر في السياسة الأوربية تأثيراً عظيماً، وبمعنى أوضح كان هو القوة العظمى دولياً في زمنه. نعمت الدولة الإسلامية العثمانية في عهده بالرخاء والطمأنينة»^(١).

شهد آخر القرن العاشر بعد وفاة سليمان القانوني فتح العثمانيين لجزيرة «قبرص» وانتزاعها من أهل «البندقية» سنة تسع وسبعين وتسعمائة (٩٧٩هـ - ١٥٧١م)، ثم أعقبه اتحاد نصراني مكون من أسبانيا والبندقية والبابوية أخذوا المسلمين على حين غرة وهزموهم في معركة «لينتر البحرية» في نفس السنة.

أما القرن الحادي عشر الهجري فقد كان قرناً جهادياً حافظ العثمانيون فيه بشكل عام على تفوقهم العسكري، وأخضعوا الشعوب الأوربية المتمردة تحت ولايتهم، كما أضافوا عدداً من الفتوحات والانتصارات الهامة، باستثناء فترة اضطراب قصيرة في مستهل ولاية السلطان «محمد الرابع».

ومن أبرز أحداث ذلك القرن على صعيد العلاقات الإسلامية النصرانية:

١ - فتوح في المجر في مطلع القرن، زمن السلطان «محمد

(١) العثمانيون في التاريخ والحضارة (٨٩).

الثالث (١٠٠٣ هـ - ١٠١٢ هـ)، ثم نصر عظيم على التحالف الأوربي في سهل «كرزت» سنة أربع بعد الألف (١٠٠٤ هـ - ١٥٩٦ م).

٢ - تأديب المتمردين من أهل بولونيا وهم من القوزاق، والقضاء على المتحالفين معهم من الروس والفرنسيين والنمساويين سنة ثلاثين بعد الألف (١٠٣٠ هـ - ١٦٢١ م) إثر معارك طاحنة بقيادة السلطان «عثمان» (١٠٢٧ هـ - ١٠٣١ هـ) وفرض عليهم الجزية.

٣ - فتح جزيرة «كريت» وانتزاعها من البنادقة سنة ثمانين بعد الألف (١٠٨٠ هـ - ١٦٦٩ م).

٤ - غزو بولندا سنة ثلاث وثمانين بعد الألف (١٠٨٣ هـ - ١٦٧٢ م).

٥ - حصار مدينة «فيينا» سنة إحدى وتسعين (١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ م)، ثم حصارها مرة ثانية سنة أربع وتسعين (١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م). وتم فك الحصار على أيدي قوات مشتركة من النمسا وألمانيا وبولونيا وسائر الأمم الأوروبية، وأوقعت بالمسلمين خسائر فادحة. ويبدو أن هذه الحادثة رفعت معنويات النصارى المنحطة وأيقظت فيهم روح الأمل في التحرر من الهيمنة العثمانية. ويصف أحمد زيني دحلان^(١) تلك التغييرات بعد حادثة «فيينا» بقوله: (. . . وبعد تلك الوقائع الشديدة، والحروب المهولة، أخذ البابا يحرض أهل أوربا على طرد المسلمين من قرة بلادهم، فاجتمعت العساكر من كل الجهات، وصمموا على

(١) أحمد بن زيني دحلان (١٢٣٢ - ١٣٠٤ هـ) فقيه، مكّي، مؤرخ. ولد بمكة، وتولى فيها الإفتاء والتدريس. وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة، فطبع فيها بعض كتبه. ومات في المدينة، من تصانيفه «الفتوحات الإسلامية». وكان من أعداء دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمته الله وقد شوه سمعتها، وافترى عليها برسالة ظالمة جائزة نشرها بين الحجيج عنوانها: «رسالة في الرد على الوهابية». انظر: الأعلام (١٢٩/١).

إخراج المسلمين من أوروبا. فتكفلت النمسا، وتكفلت مقدونيا ببلاد بولونيا، والبندقية وغيرهم من ساكني شطوط البحر الأبيض في دلمانيا - هكذا - بكثير من البلاد، وزحفوا على بلاد الدولة العثمانية من جميع الأطراف، فكانت عساكر الدولة تحارب الإفرنج من جملة أماكن، والبابا يحرض الإفرنج على التجلد والقتال وأنجدهم بجيوش كثيرة^(١).

وفعلاً، مُني العثمانيون في نهاية القرن الحادي عشر بخسائر فادحة بلغت إلى حد حصار النمساويين لبلغراد. وبعد معارك متعددة في عهد السلطان «مصطفى الثاني» (١١٠٦هـ - ١٦١٥م) تراوحت بين النصر والهزيمة، وقعت معاهدة «كارلونز» سنة عشر ومائة بعد الألف (١١١٠هـ - ١٦٩٩م).

لقد تم في هذه المرحلة نشر الإسلام في مواطن كثيرة من آسيا وأوروبا لم تبلغها دعوة الإسلام من قبل، واعتنقت شعوب وأعراق بأكملها هذا الدين في فترة وجيزة. فقد اعتنق الألبان الإسلام وظلوا يشكلون غالبية سكان ألبانيا رغم عمليات التهجير والاضطهاد النصراني والشيوعي التي تمت فيما بعد. كما دخل «البوغوميليون»^(٢) في دين الإسلام أفواجا في بلاد البوشناق وبلغاريا وغيرهما. كما انتشر الإسلام في رومانيا واليونان وقبرص. وكذلك الحال في الجانب الآسيوي من القرم والشراكسة «الداغستان» وغيرهم، وامتزجت هذه القوميات في هذا الكيان الإسلامي الكبير، وانتقلت أعداد كبيرة من الألبان والأرناؤوط والشركس والقرم إلى المشرق الإسلامي في مصر والشام والعراق لدواع أمنية ووظيفية واقتصادية متنوعة. كما استقر عشرات الآلاف من الأتراك

(١) الفتوحات الإسلامية: (١٩٠/٢ - ١٩١).

(٢) انظر: البوغوميليون والمسيحيون والبوسنة. لطفي المعوش. مجلة الاجتهاد (١٠٧/٢٩ - ١١٦)، وانظر أيضاً: الدعوة إلى الإسلام. السير توماس أرنولد، ومحمد الفاتح د. سالم الرشدي (١٩٨ - ١٩٩).

المسلمين في البلاد المفتوحة شرق أوربا، وشادوا معالم الإسلام التي لا تزال شواهدا باقية حتى يومنا هذا في دول البلقان. وصار المسلمون، رغم كل ما تعرضوا له من صنوف القهر والفتنة - ولا يزالون - جزءاً لا يتجزأ من بنية الشعوب الأوروبية الشرقية. ولولا الوضع القلق والفتن والقلق المتتابة لا اعتنقت تلك الشعوب الإسلام بالكلية.

أما القرن الثاني عشر الهجري فقد كان قرن المجابهة مع الروس الذين نهضت دولتهم على يد قيصرهم «بطرس الأكبر»، الذي اعتدى على الأراضي العثمانية في «أزاق»، فأعلنت إستانبول الحرب على روسيا سنة ثلاث وعشرين بعد المائة والألف (١١٢٣هـ - ١٧١١م)، وانتصرت على القوات الروسية عند نهر «بروث»، حتى حاق الخطر بالقيصر، فلجأت زوجته «كاترينا» إلى إبرام معاهدة «بروث» المذلة لهم. ثم استغلت روسيا انشغال العثمانيين بمحاربة العجم فتحالفت مع النمسا، وأشهرت الحرب ضد العثمانيين لكنهما منيتا بالهزيمة سنة ثمان وأربعين (١١٤٨هـ - ١٧٣٥م).

وهكذا انقضى النصف الأول من القرن الثاني عشر وكفة المسلمين راجحة ضد الروس، بالإضافة إلى استرجاع بلاد المورة من جمهورية البندقية سنة سبع وعشرين (١١٢٧هـ - ١٧١٥م). أما النصف الثاني منه فكانت الكفة تميل فيه لصالح الروس، فقد هُزم العثمانيون في موقعة «شكزم» سنة اثنتين وخمسين (١١٥٢هـ - ١٧١٥م). واتبعتها توقيع معاهدة بين الطرفين في بلغراد، وسرعان ما نقضت «كاترينا الثانية» ملكة روسيا المعاهدة واعتدت على بلاد «القرم». فأعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا سنة اثنتين وثمانين (١١٨٢هـ - ١٧٦٨م). ولكنها هزمت في معركة «جزيرة خيوش» البحرية سنة أربع وثمانين (١١٨٤هـ - ١٧٧٠م)، ثم عقدت معاهدة «كجوق كينارجيه» سنة

١١٨٨هـ، ثم معاهدة القسطنطينية سنة ١١٩٨هـ إثر ضم روسيا بلاد القرم إليها سنة (١١٩٧هـ - ١٧٨٣م). واستمر التفوق الروسي في مطلع القرن الثالث عشر على حساب الممالك العثمانية في صربيا والمجر حتى أبرمت معاهدة «باسي» بتوسط دولة إنجلترا ودولة بروسيا.

لقد شاخ هذا المحارب القديم، وأثخنه الجراحات الداخلية والخارجية، وتكالبت عليه الأعداء ينهشونه من كل جانب، وهو يحاول أن يستمسك ويستقيم، ولكنه يترنح ويهتز أمام أمم فتية ناشطة يؤلف بينها الحقد الصليبي وثورات التاريخ، كما يطعن في خاصرته الباطنيون من أحفاد هولاء و تيمورلنك، مرتدين عباءة التشيع في أجزاء كثيرة من بدنه المترهل. وكانت قاصمة الظهر حقاً لهذا الكيان الإسلامي المتقادم، أن رفض دعوة التوحيد والتجديد التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر على يد الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(١)، والتي كانت مرشحة حقاً لبث روح الصفاء

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، التميمي، النجدي، الإمام المجدد المصلح. ولد سنة ١١١٥هـ في بلدة «العيينة». حفظ القرآن دون العاشرة، وتلمذ في صباه على والده، قاضي العيينة ثم حريملاء. ثم رحل في طلب العلم إلى الحرمين والشام والبصرة. وكان شغوفاً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، عظيم التأثير بمنهجهما السلفي في الاعتقاد والعمل. فعاد إلى نجد يدعو إلى إخلاص التوحيد، ونبذ الشرك، ومحاربة البدع الاعتقادية والعملية، فلقي معارضة وتخديلاً، حتى ناصره أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ وجاهد في سبيل نشر دعوته هو وأبناؤه من بعده، حتى دانت لهم معظم الجزيرة العربية، وبلغوا أطراف الشام والعراق. وعرف أتباعه بأهل التوحيد، ونبزههم خصومهم بالوهابية، إيهاماً بأنهم قد استحدثوا مذهباً جديداً. وسرى هذا المصطلح إلى كتب الغربيين وغيرهم. وكان لدعوته الإصلاحية ﷺ تأثير في نشوء اليقظة الدينية في كثير من مناطق العالم الإسلامي. توفي ﷺ في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ. من آثاره: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وأصول الإيمان. ورسائل متعددة. انظر: =

والنقاء العقدي في جسم الدولة العثمانية، الذي أنهكته الطرق الصوفية البدعية، والمظاهر الشركية، لكن علماء السوء، ويطانة الشر ما زالت تقتل في الذروة والغارب حتى حملت «الباب العالي» على إحصاء أبوابه في وجه دعوة الحق، وتجريد الحملات المتتابعة للقضاء على الدعوة السلفية في نجد والحجاز. ولا عجب أن نرى الاقتران التام بين هذا الموقف العدائي وأقول نجم الدولة العثمانية.

لقد أخطأت الدولة العثمانية حين تعاملت مع دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمته الله كتعاملها مع «إسماعيل الصفوي»^(١) أو «فخر الدين المعني»^(٢) أو غيرهما من أصحاب الضلالات العقدية أو المطامح الدنيوية. كان اللائق بدولة جهادية تقف على ثغور المسلمين أن تعنى بالبناء الداخلي والإصلاح العقدي وتنقية المجتمعات الإسلامية مما شابها من البدعة والشرك والفسوق، وكانت جميع هذه العناصر

= تاريخ ابن غنام، والكتب المؤلفة باسمه للندوي وابن حجر آل أبي طامي وغيرهم. وانظر: الأعلام (٢٥٧/٦).

(١) إسماعيل الصفوي (١٤٨٧ - ١٥٢٤م): ولد في أربيل، وتوفي فيها. مؤسس الدولة الصفوية في إيران. استولى على أذربيجان وفارس. تلقب بالشاه سنة ١٥٠٣م. وسع ممتلكاته إلى هراة شرقاً، وبغداد جنوباً، وفرض سيادته على كربلاء والنجف، ونشر مذهب الرافضة. اصطدم بالعثمانيين، فكسروه في معركة جالدران ١٥١٤م. انظر: المنجد في الأعلام (٤٤).

(٢) فخر الدين المعني (٩٨٠ - ١٠٤٤ = ١٥٧٢ - ١٦٣٥م) فخر الدين (الثاني) ابن قرقماس ابن فخر الدين الأول، من آل معن. من أكبر أمراء هذه الأسرة من دروز الشوف بלבنان. ولي سنة ١٠١١هـ، عظم أمره واستولى على صيدا وصفد وبيروت، وناوأ حكومة الأستانة، فجردت حملة للقضاء عليه، ففر إلى إيطاليا، ثم عفى عنه وأعيد إلى إمارته، ولقب بسلطان البر، فطمع في التوسع مجدداً، فقبض عليه سنة ١٠٤٣هـ، فسجن في الأستانة مدة، ثم عفى عنه السلطان واستبقاه، ثم كثرت الوشايات فيه فقتله وولديه.

والمؤهلات مجتمعة في دعوة التوحيد السلفية مضافاً إليها روح الجهاد، وحب الاستشهاد، ولكن هذا الأمل لم يقع، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وهكذا أطل القرن الثالث عشر الهجري على الساحة الإسلامية وهي تشهد تراجعاً وانحساراً في خطوط المواجهة مع النصارى الأوربيين والروس، الذين أخذوا يخطون خطوات واسعة في ميادين التقدم المادي والصناعي، ويرمقون الممالك الإسلامية التابعة للدولة العثمانية بنظرات طامعة حاقدة.

المرحلة الخامسة: (١٢١٣هـ - ١٣٦٨هـ):

تمثل هذه المرحلة فترة تمتد من قيام الحملة الفرنسية على مصر عام ثلاثة عشر بعد المائتين وألف (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) وتنتهي بالإعلان عن قيام دولة يهود (إسرائيل) فوق أرض فلسطين عام (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م).

والسمة العامة لهذه المرحلة هي التقهقر السياسي والعسكري والعلمي للأمة الإسلامية مقابل النمو الأوربي المطرد في كافة المجالات المادية مما أفضى إلى انهيار الخلافة العثمانية، وطي بساطها من أوربا الشرقية، ثم احتلال البلدان الإسلامية العريقة من قبل الاستعمار الأوربي بشكل لم يسبق له مثيل حتى في الحروب الصليبية.

والمتغير الوحيد في هذه المرحلة عن مرحلة الحروب الصليبية أن الحكومات الأوربية المتأثرة بالثورة الفرنسية (١٧٨٩م) العلمانية باتت أكثر دهاءً، وغزت المجتمعات الإسلامية بأسلحتها المتفوقة، تحت شعارات منمقة لا تحمل الطابع الديني الصليبي، بل تحاول أن تتجنب استفزاز المشاعر الإسلامية، وتتستر تحت لافتات سياسية مثل «الانتداب» و«الوصاية» و«الحماية»... إلخ.

ومن أبرز الحوادث التاريخية التي ترسم معالم هذه المرحلة ما يلي:

١ - الحملة الفرنسية على مصر: بعد عشر سنوات تقريباً من قيام الثورة الفرنسية جرد «نابليون بونابرت»^(١) حملة بحرية للاستيلاء على مصر، أسوة بأسلافه الصليبيين الذين كان آخرهم «لويس التاسع». فرست العبارة الفرنسية أمام شواطئ الإسكندرية في المحرم من سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م). وبث نابليون مرسوماً في المصريين تضمن العبارات الخادعة التالية: (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له، ولا شريك له في ملكه، من طرف فرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية، السر عسكر الكبير أمير الجيوش فرنساوية بونوبارته يُعرّف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد، الصناجق^(٢) الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون في الذل والاحتقار في حق الملة فرنساوية، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة والجراكسة، يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها مثله. فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم. يا أيها المصريون: قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين. وإنني أكثر

(١) نابليون (١٧٦٩ - ١٨٢١م): ولد في أجاكسيو، من عائلة بونابرت. إمبراطور فرنسا (١٨٠٤ - ١٨١٥). اشتهر في حملة على إيطاليا مرتين، قاد حملة على مصر سنة (١٧٩٨ - ١٧٩٩)، وجلب إليها مطبعة من الفاتيكان. تحالفت أوروبا ضده، فهزم في معركة «واترلو» سنة ١٨١٥، فنفي إلى جزيرة سانت هيلانة، حيث توفي. انظر: المنجد في الأعلام (٧٠٣).

(٢) الصناجق: كلمة تركية تعني هنا الحكام على جزء من الولايات العثمانية.

من الممالك أعبد الله سبحانه وتعالى، وأحترم نبيه والقرآن العظيم...
أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجرجية^(١) وأعيان البلد: قولوا
لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم
قد نزلوا في «رومية الكبرى»، وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً
يحث النصارى على محاربة الإسلام. ثم قصدوا جزيرة مالطة، وطردها
منها «الكوالرية» الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة
المسلمين، ومع ذلك، الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا
محبيين مخلصين لحضرة السلطان العثماني، وأعداء أعدائه أدام الله
ملكه...»^(٢).

بهذه المزایدات الرخيصة، والتلون الساخر أراد هذا الداهية أن
يطمأن جموع المسلمين إلى سلامة أهدافه ونبلها، وادعاء الإسلام،
وتعظيم النبي والقرآن والسلطان أمام السذج الجهلة من العامة، وأرباب
الطرق الصوفية وأتباعهم، الذين كانوا جمهور الناس في تلك الحقبة
المنحطة وللأسف، بلغة سوقية منحطة، قصد بها مخاطبة الغوغاء.
وتكشف أحداث هذه الواقعة عن مدى التضعف العقدي والاجتماعي
والنفسي الذي آلت إليه المجتمعات الإسلامية، فضلاً عن الفوضى
السياسية، وانفراط عقد الأمن والتدبير في مواجهة هذا الخطر
الداهم^(٣).

مكث الفرنسيون في مصر حتى جمادى الأولى سنة ست عشرة

(١) الجرجية: مصطلح تركي يعني زعماء العساكر الإنكشارية.

(٢) انظر: النص الكامل في تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار:
الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن. دار الجيل - بيروت. (١٨٢/٢ - ١٨٤).

(٣) انظر في وصف الواقع السياسي والاجتماعي والديني ما كتبه المؤرخ النابه،
والناقد البصير عبد الرحمن الجبرتي في تاريخ عجائب الآثار في التراجم
والأخبار (١٧٩/٢ - ٥٠٠).

ومائتين وألف (١٢١٦هـ - ١٨٠١م)، ولولا وجود منافس آخر في الساحة من طينتهم، وهم الإنكليز، لبقوا أكثر من ذلك. فقد كان الإنكليز يحسدون الفرنسيين على هذه «الغنيمة الباردة» فتظاهروا بمساندة الدولة العثمانية لطرد الفرنسيين، وإزاحتهم عن ميدان الصراع واقتسام الغنائم.

وقد كان لهذه الحملة آثار ثقافية واجتماعية على المجتمع المصري^(١)، كما كشفت عن تواطؤ الأقباط مع أهل ملتهم، وسومهم - لما تمكنوا - المسلمين العذاب^(٢).

٢ - الحملة الإنكليزية على مصر: جرّد الانكليز حملة عسكرية على مصر، في غرة محرم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف (١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م)، فاستولوا على الإسكندرية. ثم تصدى لهم «محمد علي باشا»^(٣) (١١٨٣هـ - ١٢٦٥هـ) فهزمهم، وعقد معهم صلحاً فغادروا البلاد في شهر رجب من تلك السنة^(٤).

٣ - ثورة اليونان: أدى الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية، وهزائمها المتوالية أمام الجيوش الروسية في البلقان إلى طمع اليونانيين

(١) انظر: في المصدر السابق على سبيل المثال (٢/ ٤٣٦ - ٤٣٧، ٤٨٦).

(٢) انظر: في المصدر السابق على سبيل المثال (٢/ ٢٥٠، ٣٤٧، ٤٣٧، ٤٩١).

(٣) محمد علي باشا (١١٨٤ - ١٢٦٥هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٩م): محمد علي بن إبراهيم أغا بن علي، ألباني الأصل مستعرب. ولد في «قولة» التابعة الآن لليونان، واحترف تجارة الدخان، فأثري، ولي مصر سنة ١٢٢٠هـ فقضى على المماليك سنة ١٢٢٦هـ غدرًا. أوعزت إليه الحكومة العثمانية أن يجرّد حملة للقضاء على الدولة السعودية الأولى، وشارك في حرب «المورة»، واستولى على سورية، ثم قاىض الدولة العثمانية على ردها لقاء أن يكون حكم مصر وراثياً في أسرته. أرسل البعثات التعليمية إلى أوروبا، وبنى المدارس والمعامل في مصر. اعتزل الأمور لابنه إبراهيم سنة ١٢٦٤هـ. انظر: الأعلام (٦/ ٢٩٨).

(٤) انظر: تاريخ عجائب الآثار (٣/ ١٧٦ - ٢١٤).

في الاستقلال. فشبت نار الثورة في بلاد المورة سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف (١٢٣٧هـ - ١٨٢٦م)، فعقدت الدول الأوربية الكبرى مؤتمراً في لندن ذلك العام بدعوى الاحتجاج على الممارسات غير الإنسانية لإبراهيم باشا^(١)، ودمروا السفن العثمانية والمصرية، واحتلت فرنسا بلاد المورة سنة أربع وأربعين (١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م). ثم أرغمت روسيا والدول الأوربية العثمانيين على القبول باستقلال اليونان في معاهدة «أدرنة» سنة خمس وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م).

٤ - احتلال فرنسا للجزائر: وذلك سنة ست وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م)، بدعوى أن أهلها كانوا يعتدون على مراكبهم البحرية! وظلت الجزائر رهينة الأسر مدة مائة وخمسة وثلاثين عاماً، حتى انسحابهم منها سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وألف، تحت وطأة الجهاد الإسلامي المستميت (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م).

٥ - احتلال الإنكليز لعدن والسيطرة على مضيق باب المندب: سنة أربع وستين ومائتين وألف (١٢٦٤هـ - ١٨٣٩م). وقد بقيت تحت نير الاحتلال حتى، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

(١) إبراهيم «باشا» بن محمد علي «باشا» (١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ) قائد بعيد المطامح، من ولاية مصر. قدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة ١٢٢٠هـ، فتعلم بها، وأرسله أبوه، أرمينية محمد علي سنة ١٢٣١هـ بحملة إلى الحجاز ونجد، ثم إلى بلاد المورة - اليونان - ١٢٩٣هـ، ثم إلى سورية سنة ١٢٤٧هـ، فانقادت له بلاد الشام. ودخل في معارك طاحنة مع الدولة العثمانية، ظفر في معظمها حتى قارب الأستانة. وفي عهد السلطان عبد المجيد سنة ١٢٥٤هـ اتفق مع الإنجليز على إخراجه من سورية، فعاد إلى مصر سنة ١٢٥٦هـ في مدة ولاية محمد علي الذي تنازل له، وجاء الفرمان من الأستانة بتوليته، ثم مات قبل وفاة محمد علي. انظر: الأعلام (١/٧٠).

٦ - سقوط رومانيا واستقلالها عن الدولة العثمانية: سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م)، بعد حكم دام أكثر من أربعة قرون ونصف.

٧ - حرب القرم: بين الحكومة العثمانية وحلفائها الإنكليز والفرنسيين من جهة، وروسيا من الجهة الأخرى سنة تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٩هـ - ١٨٥٣م) بسبب تحرشات الروس بالعثمانيين وإهانتهم إياهم، واستمرت حتى توقيع معاهدة باريس سنة ثلاث وسبعين (١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م). وقد أنهكت هذه الحرب الدولة العثمانية وفقدت أجزاء من أراضيها، وزادت من نفوذ الإنكليز والفرنسيين في سياسات الحكومة العثمانية تجاه الأقليات النصرانية، وغيرها.

٨ - سقوط الهرسك: سنة ثلاث وتسعين ومائتين (١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م) بمساندة الروس والدول المجاورة في أول ولاية السلطان عبد الحميد الثاني، وقد امتدت الحرب وتقهقر العثمانيون إلى قرب أدرنة. وأعقب ذلك معاهدة تقضي بتملك الروس لتلك البلاد، ويبقى للعثمانيين أدرنة - عاصمتهم القديمة - وما يليها إلى إستانبول مع تحميلهم دفع غرامة الحرب. وتلتها معاهدة برلين ١٨٧٨م التي كانت أشد إذلالاً.

٩ - احتلال الفرنسيين تونس: سنة سبع وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٧هـ - ١٨٨١م) بدعوى تأديب بعض قبائل العرب المعتدين! وظلت تونس بأيديهم ثمان وسبعين سنة حتى نالت استقلالها سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م).

١٠ - احتلال الإنكليز لمصر: سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٨هـ - ١٨٨٢م) للقضاء على ثورة «عرابي باشا»^(١)، والتحكم في

(١) عرابي باشا (١٢٥٧ - ١٣٢٩هـ = ١٨٤١ - ١٩١١م) أحمد عرابي بن محمد =

ولاتها من أحفاد محمد علي باشا ثم احتلال السودان تبعاً لمصر. وقد ظل الإنكليز في مصر حتى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)، وفي السودان إلى ما بعد ذلك بستين.

١١ - انعقاد المؤتمر الصهيوني في مدينة «بال» بسويسرا: سنة ١٨٩٧م الذين ضم زعامات اليهود في العالم لرسم الخطط للسيطرة على العالم، وإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين.

١٢ - سقوط بلغاريا: سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢٨هـ - ١٩٠٨م) بعد حكم دام أكثر من خمسة قرون.

١٣ - قيام ثورة جمعية الاتحاد والترقي العلمانية التركية وخلع السلطان عبد الحميد الثاني^(١): سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف

= عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم. زعيم مصري. ولد في قرية رزنة من قرى الزقازيق بمصر، وجاور في الأزهر ستين، ثم انتظم جندياً في الجيش سنة ١٢٧١هـ، وبلغ رتبة «أميرالاي». تزعم هو وبعض الضباط حركة تتضمن مطالب وطنية أيام الخديوي توفيق فاعتقل ثم أفرج عنه، وجعل وكيلاً لنظارة الجهادية، وأنعم عليه بلقب لواء «باشا». وبعد استيلاء الإنجليز على مصر سنة (١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م)، نفوه إلى جزيرة سيلان سنة ١٣٠٠هـ، فمكث فيها ١٩ عاماً، ثم عاد إلى مصر أيام الخديوي عباس، وتوفي بالقاهرة. انظر: الأعلام (١٦٨/١).

(١) السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ - ١٩١٨م) عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد العثماني، آخر سلاطين آل عثمان الفعليين. ورث مملكة مترامية الأطراف يتربص بها الأعداء من كل جانب. حاول أن يحيي فكرة الجامعة الإسلامية لمواجهة الأطماع الأوروبية المتنامية لتقاسم إرث الرجل المريض كما كانوا يصفون الخلافة العثمانية، ولكنه فشل بسبب مؤامرات جمعية الاتحاد والترقي التي عزلته عن منصبه سنة ١٩٠٩م، ونصبت سلاطين صوريين بعده. وقد شوهت سيرته من قبل الغربيين والنصارى العرب. انظر: مذكرات السلطان عبد الحميد، صحوة الرجل المريض.

(١٣٢٩هـ - ١٩٠٩م) الذي كان آخر خليفة عثماني فعلي، وذلك لوأد فكرة الجامعة الإسلامية التي صار يدعو إليها لمواجهة التسلط الأوربي.

١٤ - سقوط ألبانيا وانتزاعها من الدولة العثمانية: سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٢هـ - ١٩١٢م) بعد حكم إسلامي دام قرابة أربعة قرون ونصف.

١٥ - احتلال فرنسا لمراكش وتقاسمها مع إسبانيا الأراضي المغربية: سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢١هـ - ١٩٠١م)، حتى نالت الاستقلال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م). وبقيت مدينتا «سبتة» و«مليلة» تحت الحكم الأسباني إلى الآن.

١٦ - احتلال إيطاليا ليبيا: سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٤هـ - ١٩١٤م) وظلت أسيرة في أيديهم قرابة نصف قرن حتى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧١هـ - ١٩٥١م).

١٧ - إبرام اتفاقية (سايكس - بيكو): سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٦هـ - ١٩١٦م) بين فرنسا وبريطانيا بشأن اقتسام المنطقة العربية المتبقية من تركة الرجل المريض - أي الدولة العثمانية - وهي العراق وسوريا الكبرى والخليج العربي وفلسطين والأردن، باسم «الحماية» لحكومات مصطنعة، تنشأ بعد مسرحية الثورة العربية الكبرى، التي يعلنها الشريف حسين بن علي^(١) في الحجاز ضد العثمانيين في

(١) الشريف حسين (١٢٧٠ - ١٣٥٠هـ = ١٨٥٤ - ١٩٣١م) الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، من أحفاد أبي نمي ابن بركات، الحسن بن الهاشمي. ولد في الأستانة، وانتقل مع والده إلى مكة، فتعلم فيها، ونبغ في شؤون الإمارة، فطلب عمه عون الرفيق من الحكومة العثمانية إبعاده، فنفي إلى الأستانة عام ١٣٠٩هـ حتى مات عمه فعاد أميراً لمكة سنة ١٣٢٦هـ. وفي عام (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م) أعلن بمساندة من الإنجليز الثورة العربية على =

تلك السنة، وتدعم من قبل طرفي الاتفاقية. وقد كشف البلاشفة بنود هذه الاتفاقية في العام التالي.

١٨ - صدور وعد «بلفور» رئيس وزراء بريطانيا: سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٧هـ - ١٩١٧م) بتعهد من الحكومة البريطانية لليهود بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي فوق أرض فلسطين. وفي نفس العام دخل القائد الإنكليزي «النبّي» مدينة القدس هاتفاً: الآن انتهت الحروب الصليبية، كما دخلوا بغداد، وفي السنة التالية دخل الفرنسيون بيروت.

١٩ - اندلاع الثورات العربية في فلسطين وسوريا ضد الانتداب الأجنبي: سنة أربعين وثلاثمائة وألف (١٣٤٠هـ - ١٩٢٠م) وقمعتها من قبل القوات الغازية المتفوقة عسكرياً، كما في موقعة «ميسلون» قرب دمشق في نفس العام. وتبع الإنجليز لفصائل المجاهدين التابعين لعز الدين القسام^(١) وغيّره في فلسطين. ثم توقيع معاهدات استعمارية مع الحكومات المحلية في كل من سوريا وفلسطين ولبنان والعراق ومصر سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف (١٣٣٦هـ - ١٩٥٦م).

= الأتراك. وحين منع أهل نجد من الحج قصده الملك عبد العزيز بن سعود، وتخلّى عنه الإنجليز، فخرج من جدة إلى العقبة ثم قبرص عام ١٩٢٥م، ثم رجع إلى عمّان، فمات بها، ودفن في القدس. انظر: الأعلام (٢/٢٤٩).

(١) عز الدين القسام (١٣٠٠ - ١٣٥٤هـ): محمد عز الدين بن عبد القادر القسام، مجاهد من أسرة كريمة في جبلة من أعمال اللاذقية. تعلم في الأزهر بمصر، واشتغل في بلده بالتعليم والوعظ إلى أن احتل الفرنسيون ساحل سورية في ختام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، فثار في جماعة من تلاميذه ومريديه، وطارده الفرنسيون. ثم انتقل إلى دمشق، فحيفا في فلسطين، وتولّى فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته، وخاض معارك جهادية ضد الإنجليز لما استفحل خطر اليهود، وظهرت بطولته، حتى قضى مجاهداً. ودفن في قرية «الشيخ» قرب حيفا كفلة. انظر: الأعلام (٦/٢٦٧).

٢٠- إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية: سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف (١٣٤٤هـ - ١٩٢٤م) بعد حكم دام أكثر من ستة قرون، بعد انتخاب مصطفى كمال، أتاتورك^(١)، رئيساً للجمهورية التركية العلمانية الحديثة. وكان لليهود «الدونمة» الدور الأكبر في اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة، ومن خلفهم المؤتمر الصهيوني العالمي، بإثارة الفتن وتشويه صورة السلطان عبد الحميد الثاني، وتأسيس الجمعيات المناوئة في داخل تركيا وخارجها^(٢).

أما وضع «أهل الذمة» فقد تحول إلى مشكلة ضخمة في هذه المرحلة. فقد كان يعيش بين ظهرائي المسلمين في الولايات العثمانية أكثر من عشر طوائف نصرانية أساسية^(٣)، ونصف هذا العدد من اليهود^(٤). وكانت معاملتهم تجري وفق القواعد الشرعية المتبعة من سائر الدول الإسلامية المتعاقبة.

(١) مصطفى كمال (١٨٨١ - ١٩٣٨م): قائد تركي، ولد في سلانيك، ينتمي إلى يهود الدونمة من جهة أمه. شارك في ثورة الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد الثاني، التي دعت إلى إحلال الدستور محل الشريعة الإسلامية، ثم خلعت السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وألغت السلطنة عام ١٩٢٢م، ثم الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، بعد تأسيس الجمهورية التركية، وكان أول رئيس لها عام ١٩٢٣م. قام بمحاولة القضاء على مظاهر الإسلام في تركيا، واستبدل الأبجدية العربية باللاتينية، وعمل على علمنة البلاد وتغريبها. انظر: الرجل الصنم، وصحوة الرجل المريض.

(٢) انظر: في الأحداث المسروقة في الفقرات من ٣ إلى ٢٠. العثمانيون في التاريخ والحضارة (١٠٧ - ١٢٧)، صحوة الرجل المريض (٢٢٨ - ٢٥٨).

(٣) هي: الروم الأرثوذكس، الروم الكاثوليك، السريان الأرثوذكس، النساطرة، الموارنة، الأقباط الأرثوذكس، الأقباط الكاثوليك، الكلدان الكاثوليك، اللاتين الكاثوليك، والبروتستانت.

وانظر في هذا: المسيحية في العالم العربي، للحسن بن طلال، والعرب والنصارى لحسين العودات.

(٤) وهي: الريانيون، السامريون، السبتيون، الدونمة، وشهود يهوه.

ولكن الأطماع الأوربية أرادت أن تتخذ من هذه الطوائف موطئ قدم للنفاذ إلى العمق الإسلامي لدولة الخلافة، وأن تتذرع بالدفاع عن حقوقها كلما أرادت أن تسوغ تدخلاً في الشؤون الداخلية لها.

يرجع أول تنظيم مقنن لشؤون أهل الذمة إلى عهد السلطان «محمد الفاتح» إثر سقوط القسطنطينية (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م)، وهو ما عرف بنظام الملة (الذي قسم «الرعايا» إلى ملل حسب أديانهم، وأعطى لرجال الدين المسيحيين على طوائفهم ما هو موكوً إلى رجال الدين المسلمين على طوائفهم، وخاصة الأمور الدينية والتعليمية والأحوال الشخصية وغيرها. ثم اكتشف أن طقوس العبادة النصراني تختلف من طائفة لأخرى، فزاد عدد الملل حسب الطوائف أيضاً، وليس حسب الأديان فقط)^(١).

وقد تمتعت الطوائف المسيحية واليهودية، منذ سقوط القسطنطينية بالاعتراف بها اعترافاً رسمياً. فقد أقرت السلطنة العثمانية للبطاركة الأرثوذكس والأرمن ولحاخام العاصمة الأعظم بأنهم ليسوا رؤساء طوائفهم الروحية فحسب، بل رؤساؤها السياسيون أيضاً. أما الطوائف الأخرى، كالأقباط في مصر، والموارنة والنساطرة والسريان والأرثوذكس في لبنان وسوريا والعراق فكانت على اتصال أقل بالحكام لإقامتها بعيداً عن العاصمة، ومع ذلك فقد كان بطاركتها ينالون اعتراف السلطان بهم من وقتٍ إلى آخر، وكان السلطان يقوم بتنصيب البطاركة والحاخاميين رسمياً^(٢).

كما يرجع أول تنظيم للامتيازات الأجنبية لدى الدولة العثمانية إلى

(١) العرب النصارى: حسين العودات. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق.

الطبعة الأولى ١٩٩٢م. (١٥٦).

(٢) الفكر العربي في عصر النهضة. ألبرت حوراني (٤٦).

عهد السلطان سليمان القانوني، الذي تربطه علاقة مميزة بفرانسوا الأول ملك فرنسا. فقد وقع مع فرنسا معاهدة سنة (٩٤١هـ - ١٥٣٥م) يمنحها بعض الامتيازات التجارية طالما أن الحاكمين على قيد الحياة. وظل الفرنسيون يجددون تلك المعاهدة حتى أقرت رسمياً سنة (١١٥٣ - ١٧٤٠م). كما منح السلطان سليمان القانوني فرانسوا الأول لقب «حامي الكاثوليكية» في البلاد الإسلامية^(١). كما نصت المعاهدة الموقعة في ١١٥٣هـ - ١٧٤٠م على إعفاء الفرنسيين المقيمين في الدولة العثمانية من الخراج. (وإذا حدث خلاف بين فرنساويين فللسفراء والقناصل أن يفحصوا ويحكموا حسب شرائعهم وعوائدهم بدون أن يمانعهم بذلك أحد)^(٢). وتضمنت المعاهدة نص المرسوم السلطاني التالي: (إن الأمم النصرانية المعاديتنا - كذا -، والمسالمة إمبراطور فرنسا، التي ترغب في زيارة القدس الشريف تقدر على الذهاب والإياب بكل حرية وأمان، وإن وجد فيما بعد السماح للأمم المذكورة بالاتجار في ممالكنا المحروسة، فذهابهم وإيابهم حلتئذ يكون تحت الراية الفرنسية)^(٣). كما عززت المعاهدة الوضعية الخاصة للربان الفرنسيين المقيمين في الأراضي المقدسة^(٤).

ومع الضغوط المتتالية على الحكومة العثمانية الآخذة في الضعف والاضمحلال منحت مثل هذه الامتيازات لبقية الدول الكبرى؛ بريطانية ثم روسيا والنمسا وغيرها، واختصت كل دولة بحماية طائفة معينة؛ ففرنسا حامية الكاثوليك، وروسيا حامية الأرثوذكس، وبريطانيا حامية البروتستانت وهكذا.

(١) انظر: صحوة الرجل المريض، موفق بني المرجة (١٧٦).

(٢) انظر: نص المعاهدة في المصدر السابق (٤٠١ - ٤٠٣) البنود (٢٦، ٣٢، ٣٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وحين استولى إبراهيم باشا على بلاد الشام أثناء الصراع المصري العثماني سنة (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م) سن أنظمة جديدة عرفت بالقانون (البيورلدي) تقضي بإلغاء الضرائب عن جميع الطوائف، ومعاقبة من يطالبهم بأدنى إتاوة مهما كان مسماها. كما سمح للنصارى بترميم معابدهم، وبناء معابد جديدة. وألغى نظام «الغيار» الخاص بملابس أهل الذمة، ومكنهم من لبس ما يشاءون، وركوب الجياد، وولاهم المناصب في المجالس المحلية، بل وجلد من أنكر عليهم هذه المساواة مع المسلمين^(١).

ومجارةً لهذه التنظيمات الجريئة، سارع خصمه السلطان عبد المجيد الأول العثماني إلى إرضاء الأوربيين فأصدر مرسومه الشهير بـ (خط شريف كولخانة) الذي ألغى رسمياً (نظام الملل) العثماني، وذلك سنة (١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م)، فقرر المساواة بين المسلمين وغيرهم، وإلغاء نظام الذمة، ومشاركة غير المسلمين في الخدمة العسكرية على حد سواء مع المسلمين. وتفرع عنه «فرمانات» تنفيذية لضمان الحرية الدينية، وإزالة مظاهر التحقير والصغار، وتخصيص مرتبات مالية للرهبان، وفسح بناء المعابد وغير ذلك^(٢).

وقد استغلت الدول الكبرى امتيازات الحماية استغلالاً بشعاً، طال ضرره تلك الطوائف، وحولها من مللٍ مشمولة برعاية الدولة المسلمة وعهدها وذمتها إلى «أقليات» تعيش وسط أغلبية مسلمة ترى فيها وكرّاً للتآمر وإيواء الأجنبي. بل جعل منها أقليات متنافرة مختلفة الولاءات رغم اتحاد الدين. وكان من آثار ذلك اندلاع الفتن الطائفية في لبنان والشام بين الدروز والموارنة سنة (١٢٥٧هـ - ١٨٤١م) وانتهائه

(١) انظر: العرب النصارى (١٦٨ - ١٧٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٧٠ - ١٧٣)، الشعوب الإسلامية (١٨٤ - ١٨٥).

بتقسيم لبنان إلى قائمقاميتين^(١): درزية ومارونية بعد ذلك بسنة. ثم عودة النزاع الطائفي على أوسع نطاق في بلاد الشام سنة (١٢٧٦هـ - ١٨٧٠م)، كانت بريطانيا تسلح فيه الدروز، وفرنسا تسلح المارونيين. وبلغ عدد الضحايا من الجانبين أكثر من عشرة آلاف قتيل.

ومن صور الاستغلال البشع أن روسيا استغلت الخلاف الواقع بين طائفتي الروم الأرثوذكس، الواقعين تحت حمايتها، واللاتين الكاثوليك في بيت المقدس للتحرش بالدولة العثمانية وإشعال فتيل حرب القرم سنة (١٢٦٩هـ - ١٨٥٣م)^(٢). واستمرت هذه الحرب الفاجرة ثلاث سنين، ثم جلست الأطراف الكبرى المتحاربة على مائدة المفاوضات في باريس سنة (١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م). (واتفق لقبول الدولة العثمانية ضمن المجموعة الأوربية أن تصدر «خطأ» جديداً يضع برنامجاً واضحاً للإصلاح أكثر اتساعاً ودقة من «خط كلخانة» وعلى هذا الأساس صدر الخط الهمايوني (١٨٥٦م)^(٣).

قضى هذا القانون الجديد «الخط الهمايوني» على البقية الباقية من تميز المسلمين، وتميز غيرهم في المجتمع العثماني، ومكن لأهل الذمة أن يصبحوا مواطنين من الدرجة الأولى. ونص على معاقبة كل من يستعمل عبارة مهينة ضد الأقليات، وأطلق لهم الحرية في شغل الوظائف العامة المدنية والعسكرية، وبيع وشراء الأملاك العقارية... إلخ^(٤). كما شهدت هذه المرحلة الخامسة من سلسلة العلاقات الإسلامية النصرانية نشاطاً ملحوظاً في الإرساليات التنصيرية من أوروبا

(١) تعبير سياسي تنظيمي كان سائداً في الولايات التابعة لتركيا العثمانية، (قائم مقام).

(٢) انظر: الفتوحات الإسلامية: (٢/٢٦٩).

(٣) الشعوب الإسلامية: (١٩٣).

(٤) انظر: العرب النصارى: (١٧٣)، الشعوب الإسلامية (١٩٣).

وأمریکا، وافتتاح الجامعات والكليات الدينية والمدنية المختلفة في بلاد المسلمين. وقد تلقفت بالدرجة الأولى أبناء الطوائف النصرانية، وثقفتهم بالعلوم العصرية مما مكنهم لاحقاً من البروز والتصدر في المناصب السياسية والفكرية في بلاد المسلمين بعقول أوربية، وكان لهؤلاء أسوأ الأثر في سلخ المجتمع الإسلامي عن خصوصيته^(١).

هكذا بدا العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر، (التاسع عشر الميلادي إلى منتصف القرن العشرين). بدت صورته كثيبة قاتمة؛ هزائم متلاحقة، فوضى سياسية، جهل وبدع وانحرافات عقدية ومسلكية، تخلف في جميع مناحي الحياة الفكرية والمادية، أزمة ثقة بين شعوبه، وتحالف مع الأعداء أحياناً، في مقابل قفزات سريعة لدى الأمم النصرانية في مجال الإعداد المادي، والقوة الصناعية والعسكرية والاقتصادية، وتنسيق دائب على اقتسام التركة، وإذلال الورثة. أدى هذا وذاك إلى قطع شجرة الخلافة الإسلامية الجامعة، من أصلها بفرع من فروعها، وبأيدي أبنائها، أو هكذا يبدو ظاهراً على الأقل. ثم قسم متاع الأيتام وعيونهم زائغة.

لقد كانت الحركات الإسلامية الجهادية التي ظهرت في أجزاء من العالم الإسلامي إبان فترة الاستعمار الحديث كانتفاضات الطير الذبيح، سرعان ما أخمدت أنفاسه.

جاء النصارى هذه المرة دون صلبان، يتقدمهم المستشرقون وليس القسس، ويفاوضون بقناصلهم ومندوبيهم السامين لا ببطرس الناسك. إنهم هذه المرة لا يهدمون الجوامع - غالباً - ويحولونها إلى كنائس وكاتدرائيات، ولكنهم يظهرون تعظيم الدين والمشايخ، ويدغدغون

(١) انظر في تاريخ وأثر هذه الإرساليات: صحوة الرجل المريض (١٦٥ - ١٧٣)، المسيحية في العالم العربي (١١٧ - ١٢٧)، الإسلام والحضارة الغربية. د. محمد محمد حسين.

مشاعر العامة والدهماء. لقد فقحت أوروبا النصرانية درس الحروب الصليبية، وتحاشت أن تنجب الاستفزازات الدينية أمثال «نور الدين زنكي»، و«صلاح الدين الأيوبي»، و«الظاهر بيبرس البندقداري».

جاء النصارى هذه المرة باسم السياسة لا باسم الدين، فحققوا ما لم يحققه أسلافهم المتعصبون. لقد أوهنوا عرى الدين في المجتمعات الإسلامية، وغزوا الأفكار قبل الديار، وغسلوا الأدمغة، وهزوا الثوابت والعقائد، ونشروا الرذيلة باسم الحرية، ونفخوا في صورة أهل الذمة باسم حماية الأقليات، وأحلوا الفكرة «العلمانية» محل الفكرة الدينية، واستنطقوا بذلك رجالاً من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا.

فيا لها من داهية على المسلمين عظيمة، ونازلة لم يشهد تاريخ الإسلام لها نظيراً. فالرزايا والبلايا التي وقعت في تاريخ هذه الأمة تكون على الأبدان والأموال والبلدان، ولكن هذه الداهية الأخيرة تستأصل العقول والأفكار. وتورث الردة والإلحاد، وقد كان؛ فكم التهمت نار المبادئ الضالة التي ولدت وترعرعت في حضن هؤلاء المستعمرين من أبناء هذه الأمة، وسخرتهم في تدميرها. ولولا أن الله تعالى تكفل بحفظ الذكر، وتجديد الدين، وبقاء الطائفة المنصورة، وإلا لكان الإسلام نسباً منسياً. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف].

وبعد هذه القراءة التاريخية لأبرز الأحداث التي رسمت حدود العلاقات الإسلامية الكتابية في مراحلها المختلفة على مدى أربعة عشر قرناً هجرياً، وفي مدِّ وجزر على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، والدول المطلة عليه، حيث جرت معظم هذه الوقائع، ندرك مقدار الكم الهائل من الصور والذكريات التي تحتجزها كلُّ من الذاكرتين الإسلامية والنصرانية، وتستدعيها كلما تجدد لونٌ من ألوان المجابهة والتّماس.

لقد كانت علاقة ساخنة لا تبرد، هادرة لا تهدأ، متصلة لا

تنقطع، أشبه ما تكون بمعركة حامية الوطيس، لا يكف طرفاها عن الكر والفر، إلا أن يفنى صاحبه، أو يحتويه.

إن الذاكرة النصرانية لا يمكن أن تنسى كيف طوي بساطها، وقلص ظلها عن مقدساتها، ومهد مسيحها، وأرض التوراة والإنجيل، وانتزعت من يدها مواطن أشرف كنائسها في بيت المقدس، والإسكندرية، وأنطاكية، والقسطنطينية، وصارت الأرض التي تدر عسلاً ولبناً دار إسلام، فما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين.

لقد روعت النصرانية حين اخترقت جحافل الإسلام شمال إفريقيا، وعبرت مضيق جبل طارق، واستوعبت شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال)، ثم تسلقت جبال البرانس لتمكث في جنوب فرنسا سبعين سنة.

إن الذاكرة النصرانية لا يمكن أن تنسى كابوس العثمانيين الذين دوّخوا أوربا، وأقضوا مضاجع البابوية عدة قرون، وأخضعوا عواصم البلقان تحت سنايك خيولهم، وهدموا أسوار القسطنطينية، وبلغراد، وبودابست بمدافعهم العملاقة، وحاصروا «فيينا» ثلاث مرات، وطموحهم لا يقف إلا عند روما معقل النصرانية. ولهذا يصبون لعناتهم على الأتراك ليل نهار في أدبياتهم فضلاً عن صلواتهم.

وبالمقابل فإن الذاكرة الإسلامية لا يعزب عنها تلك الفضائع التي أنزلها الصليبيون بوحشية وهمجية في بيت المقدس، وسواحل الشام، على مدى قرنين من الزمان.

ولا ينسى المسلمون حرب الاستعادة الأسبانية التي جازتهم على ما ساقوه إلى الأندلس من علم وحضارة جزاء «سنمار»، وطردتهم شر طردة، ثم أتبعتهما بمأساة «المورييسكيين»^(١) التي تعد من أعظم مآسي التاريخ. وكيف يغيب عن بال المسلمين صور الإذلال والقمع التي أحلها

(١) الاسم الذي كان ينز به النصارى الأسبان بقايا المسلمين في الأندلس ومعناه عندهم: العرب الأصاغر.

الغزاة النصارى بديار الإسلام على يد نابليون في مصر، وفظائع الروس بالعثمانيين في بلاد البلقان والقرم والداغستان وأواسط آسيا. وأخيراً تقاسم الدول الأوروبية لتركيا «الرجل المريض» كما يقسم المتاع، فيمتصون خيراتها، ويذيقون أهلها الذل والهوان.

إنه إرث تاريخي لا يتجاهله إلا مغفل مغرور، بلغت به السذاجة مبلغاً عظيماً، فصار العوبة بيد أعدائه المستبصرين. وهو إرث يتفق اتفاقاً تاماً، جملةً وتفصيلاً مع الثوابت العقدية لدى المسلمين في نظرتهم نحو أهل الكتاب، ومفرداته شواهد واضحة كالشمس في رابعة النهار على تلك الثوابت^(١). قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وبعد:

فأين نحن الآن؟ وما طبيعة المرحلة الراهنة؟ هل هي امتداد للمرحلة الخامسة، أم هي مرحلة جديدة لها خصائصها المميزة؟ لقد ورثت البلدان الإسلامية التابعة للحكومة العثمانية عنها «الخط الهمايوني» بالإضافة إلى جملة القوانين الوضعية التي ابتدأ إصدارها في عهد السلطان «سليم الثالث» عام (١٢٢٢هـ - ١٨٠٦م) على الطريقة الفرنسية، وظلت تتتابع حتى آخر أيام الدولة العثمانية^(٢). ثم جاء الاستعمار الأوربي ليؤكد الفكرة العلمانية وينحّي الفكرة الدينية لتنظيم الحياة والعلاقات، عبر مستشرقيه وتلامذتهم المستغربين وغزوه الفكري.

وحينما حمل الاستعمار عصاه ورحل إلى بلاده، واستقلت الدول الإسلامية، وجدت نفسها في عالم متغير - بعد الحرب العالمية الثانية - عالم يرفع شعارات السلام الدولي، والمواثيق الدولية التي تعلن المساواة بين شعوب العالم في الحقوق والواجبات، وتدعو إلى نبذ

(١) راجع مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب.

(٢) انظر: الشعوب الإسلامية: (١٧٥ - ١٩٥).

التمييز على أساس الدين والعرق واللون، وكوّن لتمثيل هذه المبادئ وتطبيقها منظمة عالمية عرفت باسم «هيئة الأمم المتحدة» تأسست عام ١٩٤٥م، وتفرعت عنها الهيئات والمنظمات واللجان العالمية التي تنتظم العالم بخيط واحد، وفق معايير متساوية - على الأقل من الناحية النظرية^(١) -.

فلا ريب أن الأمة الإسلامية تعيش مرحلة جديدة مستقلة لها خصائصها المميزة، وإن كانت لم تكتمل صورتها بعد، لا تحتاج فيها إلى إنشاء مبادئ فذلك أمرٌ محسوم مقرر منذ ظهور هذا الدين الخاتم، ومبادئه ثابتة لا تقبل النقاش، وإنما تحتاج إلى فقه علمي تؤسس عليه «السياسية الشرعية» التي تلائم وضعها الحالي في حلبة الصراع الدولي، دون المساس بالثوابت العقديّة.

ومن المعالم البارزة التي ترسم خصائص هذه المرحلة الراهنة ما يلي:

* أولاً: نمو فكرة «العالمية» أو «العولمة» GLOBALIZATION، والدعوة إلى إلغاء الفروق العقدية والعرقية والإقليمية بين شعوب العالم، والسعي نحو قيام «الحكومة العالمية». وبذور هذه الفكرة وضعتها الماسونية العالمية، وخلفها تقف المخططات اليهودية^(٢).

* ثانياً: قيام دولة إسرائيل فوق أرض فلسطين المسلمة، بدعم

(١) انظر: في تفاصيل ذلك: أصول القانون الدولي العام د. محمد سامي عبد الحميد.

المنظمات الدولية الحديثة وفكرة الحكومة العالمية. د. محمد حسن الأبياري.

(٢) انظر في الماسونية: الماسونية في العراق. د. محمد بن علي الزغبى، الماسونية ذلك العالم المجهول. صابر طعيمة، الماسونية تحت المجهر: د. إبراهيم فؤاد عباس. دار الرشاد - جدة - السعودية. الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، القوى الخفية لليهودية العالمية. داود عبد الغفور ستقراط.

وتأييد مطلق من القوى النصرانية في العالم، في مسرح الأحداث التي جرت عليها الحروب الصليبية. وفق خلفية توراتية مشتركة بين اليهود والنصارى.

* ثالثاً: تنامي الأصولية الإنجيلية، وتأثيرها الظاهر والخفي في السياسات الدولية^(١).

* رابعاً: تنامي الصهيونية المسيحية في أوروبا وأمريكا ضد الإسلام^(٢).

* خامساً: تنامي الصحوة الإسلامية في أرجاء العالم الإسلامي، والأقليات المسلمة في العالم.

* سادساً: ظهور الدعوة لتقارب الأديان من الجانب النصراني، وتفعيلها بصفة لم يسبق لها مثيل.

وهي معالم تبدو معقدة ومتشابكة ومتعارضة، فمن دعوة إلى الانخراط في الأممية العالمية وشعارات الإنسانية، إلى حركات ظاهرة وخفية تجذر التعصب الديني، إلى دعوات للحوار والتفاهم وفهم الآخر، والالتقاء حول نقاط الاتفاق.

كل ذلك يشعروا أننا أمام وضع جديد، ومرحلة متغيرة عما سبقها في تاريخ العلاقات الإسلامية - الكتابية. وكل معلم من هذه المعالم جدير بالدراسة والفحص والتقويم لكي يتخذ المسلمون الموقف الشرعي والإجرائي المكافئ له.

ومن هذه المعالم الجديدة الطارئة في تاريخ العلاقات الإسلامية الكتابية الدعوة إلى تقارب الأديان، وهو موضوع دراستنا هذه التي نسأل الله تعالى أن تسهم في جلاء الغبش وبيان الحق في هذه النازلة.

(١) انظر: الأصولية الإنجيلية. صالح الهذلول.

(٢) انظر: الصهيونية المسيحية. محمد السماك، النبوة والسياسة. غريس هالسل.

بِسْمِ اللَّهِ

حقيقة التقريب بين الأديان وأصوله وبواعثه

ويتضمن:

- * الفصل الأول: حقيقة التقريب بين الأديان.
- * الفصل الثاني: الأصول التاريخية لدعوة التقريب بين الأديان.
- * الفصل الثالث: حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث.
- * الفصل الرابع: بواعث الدعوة إلى التقريب بين الأديان.

الفصل الأول

حقيقة التقريب بين الأديان

تطلق: «دعوة التقريب بين الأديان» على مجمل المحاولات الفكرية والعملية الساعية لإيجاد لونٍ من ألوان التلاقي والاتصال بين دين الإسلام وغيره من الأديان المحرفة، والملل الوثنية.

ومع أن هذه الدعوة بشقيها الفكري والعملي ذات جذور تاريخية، إلا إنها لم تظهر ظهوراً جلياً، ولم تنتشر انتشاراً عالمياً إلا في العصر الحاضر، وعلى وجه الخصوص في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري حتى أيامنا هذه، النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، حيث اكتسبت معاني جديدة، وأهدافاً متعددة، ووسائل متنوعة لم تكن متاحة من قبل، وصارت - بالفعل - إحدى المعالم المميزة لهذه الحقبة من التاريخ التي تسودها شعارات الإنسانية والمساواة والحرية، دون تمييز مبني على أساس ديني أو عرقي، وإن بالشعارات فقط، وذلك على مدى نصف قرن، منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ م. وأخيراً، وفي أعقاب سقوط الكتلة الشيوعية، وتفكيك الاتحاد السوفيتي، وانحلال حلف وارسو، ولد مصطلح جديد هو: «العولمة» أي توحيد العالم^(١). وذلك ما يعني الماضي حثيثاً في إزالة الفوارق،

(١) يقول سمير أمين: (معنى ذلك: ولادة مفاهيم ومضامين وأفكار وأنساق جديدة على حساب انتهاء وانتفاء ظواهر وحالات ومضامين ومصطلحات ومفاهيم عدة، مثل: (شرق - غرب، شمال - جنوب) (العالم الثالث)، الشيوعية، (البلدان الاشتراكية)، (الحياد الإيجابي)، (عدم الانحياز)، (التأميم)... إلخ، وسيمضي زمن ليس بطويل تعيش فيه مفاهيم القرن العشرين في حالة =

وتميع الحدود، والقضاء على الخصوصيات للمجتمعات المتنوعة دينياً، وثقافياً. وذلك يتطلب المزيد من التقريب بين الأديان في المرحلة المقبلة.

يقول الكاتب الإسلامي الفاضل د. محمد محمد حسين^(١) رحمته الله:
 (العالمية في الاصطلاح الحديث مذهب يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المتباينة. ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية، لإحلال السلام في العالم محل الخلاف)^(٢). وهي بهذا التعريف أوسع مدلولاً، وأشمل أثراً من «تقريب الأديان» أو «وحدة الأديان»، بل تصبح وحدة الأديان إحدى مفردات «العالمية»، ويوضح ذلك قوله: (وللعالمية تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة، من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية. وكلها تحاول أن تصل إلى

= اغتراب حقيقي، أو سيقضى عليها نهائياً، لتصبح تاريخاً أيديولوجياً عفى عليه الزمن. إذ ستنشق مفاهيم ومصطلحات ومضامين جديدة، تتخذ لها صوراً وأشكالاً مختلفة كونها ستعبر عن واقع سياسي أو أيديولوجي مختلف).
 العولمة الجديدة، والمجال الحيوي للشرق الأوسط. مفاهيم عصر قادم. سيار الجميل. مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. بيروت.
 الطبعة الأولى (١٩٩٧م).

(١) محمد محمد حسين (نحو ١٣٣٠هـ - ١٤٠٣هـ) كاتب إسلامي ملتزم، وناقد أدبي، ذو غيرة إيمانية. ولد بسوهاج بصعيد مصر، وولي التدريس بجامعة الإسكندرية، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. تميزت كتاباته بالأصالة والمنهجية، وكشف عوار الدعوات المصرية، من مؤلفاته: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، حصوننا مهددة من داخلها، الثقافة الغربية، أزمة العصر، الروحية الحديثة، وغيرها. انظر: ذيل الأعلام (١٩٩).

(٢) الإسلام والحضارة الغربية (١٧١).

النظام الواحد، الذي يجمع الناس في كل ميدان من هذه الميادين المختلفة على مذهب واحد، أو بعبارة أخرى تحاول أن تكتشف الأصول الإنسانية المشتركة - حسب زعمهم - وراء مظاهر التعدد المتباينة في هذه الأنشطة البشرية لتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين واحد، ويتكلم لغة واحدة، يتذوق الفنون والآداب بذوق واحد مشترك^(١).

والواقع أن دعوة التقريب بين الأديان التي هبت رياحها بقوة من الغرب النصراني، قبل أكثر من ثلاثة عقود، إثر المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م)، لا تحمل مدلولاً اصطلاحياً محدداً، فضلاً أن تكون ذات حقيقة شرعية. فلفظ «التقريب» أو «التقارب» *Rapprochement*، يدل على مسألة نسبية هي «القرب» تتفاوت في حقيقتها وتطبيقاتها لدى مختلف الأطراف، بل وفي نظرة كل طرفٍ على حدة، في فترة زمنية معينة، كما سيتضح لاحقاً، فقد تقتصر على حدٍ أدنى من المجاملات الشكلية، وقد توغل في الاقتراب إلى درجة الاندماج والوحدة وسقوط الفوارق، وبين هذا وذاك مراتب عديدة.

ومن بين أكثر من ثلاثمائة مؤتمر من مؤتمرات التقريب بين الأديان، والعديد من المناسبات والاحتفالات المشتركة، جرت في العصر الحديث، وتم حصرها وتوصيفها في الباب الثاني، بالإضافة إلى الكتابات الصادرة من دعاة التقريب ومنظريه، يمكن أن نميز ثلاثة اتجاهات:

أولاً: التقريب بين الأديان: ويمثل معظم المحاولات العالمية والإقليمية والمحلية لإيجاد تواصل، وبناء علاقات بين مختلف الأديان والملل. ويقوم على الخصائص الفكرية التالية:

(١) المرجع السابق (١٨٠).

١ - اعتقاد «إيمان» الطرف الآخر، وإن لم يبلغ الإيمان التام الذي يعتقده هو.

٢ - نبذ «التلفيقية» أو «التوفيقية» بجمع عناصر من مختلف الأديان أو محاولة حمل بعضها على بعض للوصول إلى وضع موحد.

٣ - الاعتراف بالآخر، واحترام عقائده وشعائره، ورفع الأحكام المسبقة.

أما من الناحية المنهجية، فيعتمد الأساليب التالية:

١ - الدعوة إلى التعرف على الآخر كما يريد أن يُعرف.

٢ - تجنب البحث في المسائل العقيدة الشائكة.

٣ - نسيان الماضي التاريخي، والاعتذار عن أخطائه، ومحاولة التخلص من آثاره.

٤ - إبراز أوجه التشابه والاتفاق، وإقصاء أوجه الاختلاف والافتراق.

٥ - التعاون على تحقيق القيم المشتركة.

٦ - تبادل التهاني والزيارات والمجاملات في المناسبات الدينية المختلفة.

وقد تبلور هذا التوجه في العصر الحديث في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني، وتجاوب معه ذوو الاتجاه العصري من المسلمين وغيرهم. ومن ثم فقد حملت عناوين المؤتمرات المعقودة للتقريب بين الأديان في العقود الأربعة الأخيرة شعارات تعبر عن هذه الطبيعة العلائقية الجديدة، نرتبها حسب كثرة ورودها في مسرد المؤتمرات:

(الحوار = ٣٢ مرة)، (السلام = ١٨ مرة)، (التعايش = ١٦ مرة)،

(التعاون = ١٤ مرة)، (التفاهم = ٧ مرات)، (الانسجام = ٥ مرات)، (التعددية

= ٥ مرات)، (الاشتراك - ومشتقاته = ٤ مرات)، (التسامح = ٣ مرات)،

(الافتتاح)، (التباحث)، (التعارف)، (الصدقة) = مرتين لكلٍ منها.

وهي معانٍ تصب في التيار العام للتقارب بدرجاتٍ متفاوتة، وجميعها تذكر مضافة إلى «الدين» أو «الإيمان»، أو إلى دينين معاً - غالباً: الإسلام والنصرانية - أو إلى ثلاثة: الإسلام، والنصرانية، واليهودية، أو إلى الأديان الخمسة الكبرى - على حد تعبيرهم - مضيفين البوذية والهندوسية.

وهذا المستوى من العلاقة هو السائد في العقود الأخيرة في المؤتمرات والندوات المعنية، وينخرط في فعالياته العديد من المفكرين ورجال الدين من سائر الملل، وبعض المنسويين إلى العلم والدعوة من المسلمين.

ومن شواهد هذا الاتجاه ما جاء في البيان المجمعي: «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية» الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م، وفيه: (والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حق ومقدس. وتولي تقديرها باحترام صادق هذه الطرق المسلوكة في العمل والحياة، وهذه القواعد والتعاليم، التي وإن اختلفت في أمور كثيرة عما تقول به هي وتعلمه، تحمل، غير مرة، قسماً من شعاع الحقيقة الي تنير جميع الناس... ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية)^(١).

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني. دساتير. قرارات. بيانات (٦٢٨ - ٦٢٩)، وسيأتي مزيد تفصيل لموقف الكنيسة الكاثوليكية من دعوة التقريب.

* يقول محمد مهدي شمس الدين^(١) واصفاً مشروعه للحوار الإسلامي المسيحي، بعد أن استبعد جميع أشكال الحوار التاريخية: (يقوم بصورة أساسية على أن يبحث قادة الفكر والروح في كلا الدينين عن المساحات المشتركة بينهما في قضايا الإنسان والمجتمع والحضارة، فإذا اكتشفت هذه المساحات المشتركة، يتوجه الدينان معاً نحو العالم في عملية فتح روحي للحضارة الحديثة، وإنسانها - ثم يجمال «المساحات المشتركة» في ثمان نقاط: - الإيمان بالله، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان ببعثة الأنبياء - إجمالاً - الإيمان بالبعد الروحي للإنسان، الإيمان بحاجة الإنسان للعبادة، الإيمان بكرامة الإنسان، الإيمان بالأخلاق، الإيمان بالأسرة. مع التأكيد البالغ على الابتعاد عن دائرة «حوار اللاهوت وعلم الكلام» أي «الحوار العقدي»^(٢).

* ويقول د. يوسف القرضاوي: (نحن معاً نؤمن بالله، ولو إيماناً إجمالياً، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي، نؤمن بعبادة الله، وبالقيم الأخلاقية، ويثبت هذه القيم، نؤمن بوحدة الإنسانية، وبأن الإنسان مخلوق مكرم، نؤمن.. نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين.

(١) محمد مهدي شمس الدين: ولد في النجف سنة (١٣٥٤هـ = ١٩٣٦م) توفي سنة (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، وتعلم على كبار علماء الشيعة في زمانه مثل: محسن الحكيم، وأبو القاسم الخوئي، شارك في النشاطات السياسية والعلمية والاجتماعية للحركة الشيعية في العراق، هاجر إلى لبنان عام (١٩٦٩م) وانضم إلى موسى الصدر مؤسس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، ثم خلفه في رئاسة المجلس بعد اختفائه عام ١٩٧٨م، أسس العديد من المعاهد الدينية والمؤسسات الاجتماعية للطائفة الشيعية في لبنان. من مؤلفاته: «نظام الحكم والإدارة في الإسلام»، «دراسات في نهج البلاغة»، «ثورة الحسين»، «أنصار الحسين»، «عقائد الشيعة». ويبلغ المطبوع منها أكثر من عشرين مؤلفاً، انظر: الشيخ محمد مهدي شمس الدين بين وهج الإسلام وجليد المذاهب. فرج موسى (٢٩ - ٦٢).

(٢) انظر المرجع السابق (١٨ - ١٩).

فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليها، يمكن أن تُقَرَّب بين المختلفين بعضهم بعضاً. من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب. المهم أيضاً أن يكون عند الآخرين مثل هذه الروح.. فيعاملونا بمثل ما نعاملهم به، ويقتربون منا بقدر ما تقترب منهم^(١).

ولسنا في هذا المقام بصدد مناقشة مفردات هذه المقولات الصادرة عن الإسلاميين حيث أفرد لذلك مبحث مستقل، وإنما لرسم معالم هذا الاتجاه تمييزاً له عن غيره.

ثانياً: وحدة الأديان: وهو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية، وصواب جميع العبادات، وأنها طرق إلى غاية واحدة. وهذا الاتجاه، بطبيعة الحال يستصحب الخصائص الفكرية والمنهجية العامة للاتجاه السابق، ويزيد عليها بالدعوة إلى التخفف من السمات العقدية والتشريعية الخاصة بكل ديانة، بحسبانها ظواهر وتقاليد تاريخية محلية لشعب معين، في حقبة تاريخية معينة، والانصواء تحت مفاهيم عامة، وجمل فضفاضة.

ويمثل هذا الاتجاه في التاريخ زنادقة الصوفية من أرباب وحدة الوجود، كابن عربي الطائفي^(٢) القائل:

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي: حسن علي دبا. دار البشير للثقافة والعلوم. طنطا - مصر. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). (١٦).
(٢) محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر، الحاتمي الطائفي الأندلسي، الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس سنة ٥٦٠هـ. طاف في البلاد الإسلامية واستقر في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨هـ قال عنه الذهبي: «قدوة القائلين بوحدة الوجود». له نحو أربعمئة كتاب ورسالة من أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم. كُفِّرَ بسبب مقالاته وشطحاته كثير من العلماء. انظر: الأعلام (٢٨١/٦). وتنبه النبي للبقاعي، وجزء في عقيدته وحياته للفاسي.

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني^(١)
والفرق الباطنية مثل: إخوان الصفا وخلان الوفا^(٢).

كما يمثله في العصر الحاضر متصوفة العصر السائرون على خطى ابن عربي وأمثاله، حيث يقول أحدهم: (جوهر أديان السماء كلها، وما جاءت به من شرائع إبراهيم وموسى والمسيح ومحمد وبوذا، وغيرهم من الأنبياء والحكماء ما هو إلا نقل الإنسان وتطويره من السيئ إلى الحسن، ثم إلى الأحسن، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الظلم إلى العدالة والتراحم والمحبة)^(٣). أما الاختلاف بين الإسلام وسائر الأديان فـ (مثله مثل الزهور المتنوعة الألوان، التي إذا اجتمعت في باقة متناسقة بهرت العيون، وهزت الشعور)^(٤).
كما نحا هذا المنحى بعض شعراء المهجر من النصارى العرب.

يقول جبران خليل جبران^(٥): (تقول فكرتكم: الموسوية،

(١) ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق (٣٩).

(٢) انظر فصل: (الأصول التاريخية لدعوة التقريب) من هذا الباب (٣٩١).

(٣) الدعوة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق: إعداد: د. محمود حسن الحمصي. دار الرشيد. دمشق - بيروت، مؤسسة الإيمان - بيروت. الطبعة الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩١م). (٢/٧٢٨، ١٠٥٩).

(٤) الدعوة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق. (٢/٦٧١).

(٥) جبران بن خليل بن ميخائيل، الماروني، اللبناني. ولد في قرية «بشري» سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٣م، تعلم في بيروت، ورحل إلى باريس ثم الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٩٥م، وتوفي فيها سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣١م. يعد نابغة الكتاب المعاصرين في المهجر الأمريكي. من آثاره: دمعة وابتسامة، عرائس المروج، الأرواح المتمردة. انظر: الأعلام (٢/١١٠).

البرهمية، البوذية، المسيحية، الإسلام. أما فكرتي فتقول: ليس هناك سوى دين واحد، مجرد، مطلق، تعددت مظاهره، وظل مجرداً مطلقاً، وتشعبت سبله. ولكن مثلما تتفرع الأصابع من الكف الواحد^(١).

وفي هذا السياق التأم عددٌ من عشاق التصوف في مؤتمرات متتابعة في عقدي السبعينيات والثمانينيات، تحت مسميات «الإيمان» و«الروحانيات» ونحوها، كان من أبرزها «فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية GRIC المنطلقة من دير «سينكا» في فرنسا^(٢)، بالإضافة إلى المؤتمرات المنعقدة في تخليد ذكرى بعض «أولياء الصوفية»، و«قديسي النصرانية».

ومن أبرز منظري هذا الاتجاه «وحدة الأديان» في العقود الثلاثة الأخيرة، المفكر الفرنسي «روجيه جارودي»، ولكن من منطلقٍ «إنساني» بالدرجة الأولى، قبل وبعد إعلان إسلامه عام ١٩٨٢م، ثم باستدلالٍ «صوفي» بدرجة ثانية، بعد ذلك. وهو يطرح نوعين من الوحدة:

• أحدهما: وحدة صغرى، وهي «الإبراهيمية»، ويهدف من ورائها إلى توحيد الأديان التي تعلن انتماءها إلى أبي الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام، أي: الإسلام والنصرانية واليهودية، فيقول في الملتقى الإبراهيمي الذي دعا إليه في قرطبة عام ١٩٨٧م: (إن رسالة القرآن عالمية، وتحويل هذه الرسالة إلى التقاليد الخاصة بحقبة من الزمن أو بشعب ما، يعتبر دفاعاً عن فلكلور، وليس عن عقيدة... استرجاع رسالة إبراهيم التي هي موحدّة، وذلك للإجابة والرد على التحديات في عصرنا هذا بعيداً عن تناقضاتنا)^(٣). وقال في كتابه «الإسلام» الصادر عام ١٩٩٦م: (إنهم

(١) قصة الأدب المهجري. محمد خفاجي (١٦٦).

(٢) سيأتي التعريف بها في الفصل الثاني من الباب الثاني (١٢٤٧).

(٣) النص المترجم للمحاضرة لدى الباحث.

كثيرون أولئك الذين يتطلعون في العالم المسيحي، كما في العالم المسلم إلى توحيد قواهم، ليبنوا معاً القرن الحادي والعشرين بوجه إنساني، أي بوجه إلهي، باسم إيمانٍ وحيد، بصورة أساسية عبر تنوع العبادات والطقوس^(١).

• الثاني: وحدة كبرى: تشمل جميع الأديان والملل الوثنية، بل والملحدين! بجامع أن تلکم الوثنيات آثار نبواتٍ سابقة، وأن الملحدين يؤمنون بـ «الإنسان» وأن للحياة «معنى». فيقول: (إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي ﷺ، كانت إقامة ما نسميه اليوم: «وحدة فيدرالية» للطوائف الدينية... أي على الإيمان بمعناه الأرحب والأوسع، وحتى مع الملحدين ممكن أن يكون لديهم إيمان بالإنسان. وبإمكانهم إقامة طائفة دينية بالمعنى الذي قلناه فيما سبق، لتعميق هذه الاحترام الأساسي للإنسان^(٢). ويقول: (إن مهمتنا هي أن نجمع جميع الناس ذوي الإيمان - أياً كان إيمانهم - ضد العالم الحالي، عالم اللامعنى، وأن نخلق نويات لمقاومة اللامعنى، شاجبيين ومقاتلين كل ما هو مناقض لوحدة العالم

(١) الإسلام: روجيه جارودي. ترجمة: وجيه أسعد. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م. (٤٢).

(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م. «مجلة الموقف» شهرية - ثقافية - عربية. تصدر عن: المركز الوطني للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع. لبنان - بيروت. عدد (٧٥) أبريل ١٩٩١م، رمضان ١٤١١هـ، عن كتاب: روجيه جارودي، من الإلحاد إلى الإيمان: لقاءات ومحاضرات. إعداد: رامي كلاًوي. دار قتيبة. بيروت - دمشق. الطبعة الثانية عام (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م). (١٨١ - ١٨٢).

ومعنى (فيدرالية) (Federalism): اتحاد بين وحدات سياسية تتنازل عن سيادتها الفردية لسلطة مركزية، ولكنها تحتفظ بسلطات حكومية محدودة. انظر: المورد (٣٤١).

السمفونية)^(١). ويقول: (وليكن كلُّ منا ما يكون مسلماً أو مسيحياً، فإن ذلك لا يفصله عمن لا يشاركه دينه... وسنلتقي جنباً إلى جنب مع كل أعضاء البشرية التي تحطم قيود الجزئي، قيود الفردية والقومية التي تفت العالم)^(٢). وهذا غيَضٌ من فيض من مقولاته.

• ثالثاً: توحيد الأديان: ويقصد به المحاولات الساعية، قديماً وحديثاً، إلى دمج جملةٍ من الأديان والملل في دينٍ واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الملقق الجديد.

وفرق ما بينه والاتجاه السابق، أن المناداة بـ«وحدة الأديان» تعني تصويب أوضاع قائمة ضمن أطرها الخاصة التي تميزها، بشرط عدم نفي أو استبعاد الآخرين، وربط تلك الوحدات المفردة بإطار عام يسوغ توجهاتها جميعاً. في حين أن «توحيد الأديان» تفعيلٌ يقتضي إنهاء وحل تلك الأوضاع السابقة ونسخها بوضع جديد، وإن كانت عناصره مأخوذة من حطام السابق.

ويميز الباحثون في تاريخ الملل بين لونين من ألوان الدمج والتوحيد؛ فيقول د. محمد هلال: (يطلق باحثو الأديان اسم «الالتقاطية» «الكتزيم» على عملية دمج عناصر مختلفة دون محاولة إيجاد تنسيق منهجي... بينما يسمون عملية الدمج هذه، مع محاولة إيجاد تنسيق منهجي يربط العناصر الملتقطة المختلفة، بالتلفيقية

(١) نحو حرب دينية، جدل العصر: روجيه جارودي. تقديم: ليوناردو بوف. ترجمة: صيَّاح الجهميم. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٦م. (٧٣). وكلمة (سيمفونية) (Symphonic) تعني: متناغم، متآلف الأصوات. انظر: المورد ٩٣٩.

(٢) جولتي وحيداً في القرن (٤٣٧). وقد أفرد لجارودي مبحث مستقل في الباب الثاني (٧٢٧ - ٨١٥).

«السنكرتزم»^(١). وهذا يتضح جلياً في نشأة وتكون الأديان الوثنية الشريكية التي تتلاقح فيما بينها، وتستعير من بعضها بعضاً أسماء المعبودات والطقوس والمعتقدات الدينية^(٢). بل قد دب ذلك إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فجرى في جسم الديانتين إدماج بعض الفلسفات الوثنية والعقائد الشريكية، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿يَكْفُرُوا قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَسَاءَ لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَونَ﴾ [التوبة: ٣٠]^(٣).

ونستطيع أن نميز هذين اللونين في المحاولات الحديثة لتوحيد الأديان:

١ - الالتقاطية: تظهر بشكل جلي بالديانة «المونية» Moonism التي اخترعها في أواخر الخمسينيات الميلادية الكوري الشمالي: «صن مون»، واستمد مكوناتها العقدية من النصرانية أساساً، وخليط عجيب من اليهودية والإسلام والبوذية، بل والنظريات العلمية الحديثة، وادعى النبوة، وسعى بثروته الهائلة إلى توحيد الأديان تحت رسالته، كما جاء في القانون الأساسي للحركة المونية، المنقح عام ١٩٨٤م: (إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إله واحد، بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية و الوطنية والقومية والاجتماعية)^(٤).

ويتبع «مون» قرابة ثلاثة ملايين نسمة في العالم، يعتقدون صحة تعاليمه^(٥).

-
- (١) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام: د. محمد هلال. دار البشير - عمان - الأردن. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م). (٦٨).
 (٢) انظر في كتاب: «الله» لعباس محمود العقاد.
 (٣) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.
 (٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩٢).
 (٥) انظر مبحث «المونية» في الفصل الأول من الباب الثاني.

ومن شواهد الالتقاطية في محاولة توحيد الأديان تاريخياً، البهائية^(١).

٢ - التلفيقية: تأسيساً على أن السمة التي تميز التلفيقية عن الالتقاطية هي وجود تنسيق منهجي يربط العناصر الملتقطة، يمكن أن نحسب محاولات الأب الأسباني إيميليو غاليندو آغيلار ومجموعته التي تطلق على نفسها «كريسلام» «Crislam»، لوناً من ألوان التلفيقية البطيئة، التي تسعى إلى الوصول إلى صيغة عقدية موحدة، تتجاوز حدود «الإبراهيمية» التي جاء بها جارودي وغيره لتشمل سائر الوثنيات، ولكن ليس تحت شعار غير ديني كما صنع جارودي أيضاً باسم «الإنسانية» أو «المعنى»، وإنما النفاذ إلى «البؤر الدينية» لكل دين أو نحلة، التي ستكون واحدة، في حسابان غاليندو، وهي ألوهية المسيح، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً، كما يشير إليه النص التالي: (إن خطورة كل حوار بين الأديان... هو أن لا يتحول إلى حوار ديني داخلي. وعلى الدوام يجري الحوار انطلاقاً من الأديان باعتبارها شيئاً نسبياً. فحوار ديني يرمي أن يكون مناسباً يتخطى الحدود الضيقة للإسلام والمسيحية... ويستلزم هذا بالضرورة أن ينتقل كل دين من مظهره المؤسساتي إلى طابعه السري الأكثر عمقاً، للاتصال بهذا الجذر العالمي، مع هذه البؤرة الديناميكية... إنه بقدر قليل من وضوح الرؤية يمكن أن نفهم أن هذا هو الطريق الوحيد البشري الذي يوجد أمامنا كي نقترّب أكثر فأكثر بمرور الوقت من «المطلق»^(٢). ثم يؤكد لاحقاً: (إن كل حوار ديني لا ينطلق من تجربة الإله، إنما يكون كلمة مشرّكة)^(٣).

(١) انظر الكلام عن البهائية في فصل «الأصول التاريخية لدعوة التقريب».

(٢) من تقدمته لأعمال المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة (العقيدة للأمام) تنظيم كريسلام (١٢ - ١٣).

(٣) العقيدة للأمام (١٧٥).

وفي نهاية المطاف يفصح عن العلاقة المتطابقة بين «تجربة الإله» و«المطلق» فيقول: (إن أولئك الذين دخلوا في تجربة ابن عربي نحو عيسى يعرفون بنور واضح كالنيران، أن المطلق الوحيد هو الرب)^(١).

وهذا الاتجاه يستدعي بوعي وإدراك، خلافاً لسائر الاتجاهات السابقة، المشكلات العقدية الجذرية، ويناقشها، ليقينه التام أنه لا يمكن تخطيها في سعيه نحو توحيد الأديان، ثم يقوم بتنسيقها ضمن منظومته العقدية الخاصة في علاقة الله بالإنسان^(٢).

تلك خطوط عامة للاتجاهات الرامية إلى التقريب بين الأديان، وفي الفصول التالية تفصيل لحقيقة التقريب لدى مختلف الفرقاء، ودرس للمحاولات الفردية والجماعية المبذولة في هذا السبيل.

ولا يعزب عن البال أن هذه المستويات الثلاثة: «التقريب»، و«الوحدة»، و«التوحيد»، لا يفصلها حدود حاسمة في مجال التطبيق العملي الميداني، حيث تتمازج تياراتها، وتصب مفرداتها الفكرية بنسب متفاوتة في مجرى «سبيل المجرمين» الذي يشطح بعيداً عن «سبيل المؤمنين»، ويرغب عن «ملة إبراهيم».

وقد آثرت في عنوان هذا البحث تغليب لفظ «التقريب»، لأنه الأعم من حيث الدلالة، والأقدم من حيث الاستعمال، كما أنه الاتجاه السائد من حيث التطبيق.

(١) من تقدمته لأعمال المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة (من أنا في قولكم أنتم) تنظيم كريسلا (١٣).

(٢) انظر الكلام عن محاولات غاليندو في الفصل الأول من الباب الثاني (٩٣٩).

الحوار بين الأديان:

شاع في العقود الأخيرة استعمال مصطلح «الحوار» DIALOGUE على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، وطال ذلك دعوة التقريب بين الأديان، فطغى هذا التعبير على ما عداه، وصارت تعرف بـ (حوار الأديان) أو (الحوار بين الأديان) Inter Faith أو Interreligious Dialogue، وصار محبذاً لدى المشتغلين في هذا الحقل، مقدماً على غيره من الاصطلاحات، مما يستدعي إلقاء الضوء على دلالاته:

ف «الحوار» من حيث اللغة، مادته «حور» و(الحور: الرجوع عن الشيء إلى شيء... والمُحاور: المجاوبة. والتحاور: التجاوب... والمُحاور: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة)^(١). وعلى هذا جاء استعماله في القرآن، قال الراغب في «مفردات القرآن»: (والمُحاور، والحوار: المراجعة في الكلام. ومنه التحاور. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾)^(٢).

فحقيقته اللغوية مطابقة لحقيقته الاصطلاحية التي تعني التباحث بين طرفين أو أكثر، ومراجعة الكلام بينهم بغرض التوصل إلى اتفاق، وإبداء وجهة نظر. يقول د. عبد العزيز التويجري^(٣): (مفهوم الحوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر، من المفاهيم الجديدة، حديثة العهد بالتداول؛ ولعل مما يدل على جدة هذا المفهوم وحدائته أن

(١) لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم الأنصاري، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي. دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م). (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٢) مفردات القرآن (١٣٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِسَيِّدِهِ وَهُوَ يَحَاوِرُهُ﴾، ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٤، ٣٧].

(٣) المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).

جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت في الخمسين سنة الأخيرة، بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة، تخلو من الإشارة إلى لفظ «الحوار»... فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولي... وعلى هذا الأساس، فإن الحوار مفهوم سياسي إيدلوجي ثقافي حضاري، وليس مفهوماً قانونياً^(١).

ولعل من أسباب شيوع هذا الشعار في دعوة التقريب بين الأديان، كونه لا يفصح - بحد ذاته - عن هدفٍ مبيت، أو يوحى بتوجهٍ معين، يمكن أن يعد ملزماً أو محرّجاً للمنادين به من الطرفين. فالحوار لافتة تخفي وراءها أشكالاً متنوعة من المضامين، ووعاءٌ يمكن أن يحوي مواد متباينة. فقد يكون حواراً يقصد به التقريب وفق الأسس الفكرية والمنهجية التي سبق بيانها، وربما كان غطاءً لوحدة الأديان كما في «الحوار الإبراهيمي»، وقد يتذرّع به دعاة توحيد الأديان للتسلل إلى مقاصدهم الخفية كما تصنع المونية، ومجموعة كريسلام.

وفي نفس الوقت، يستعمل مصطلح الحوار خارج نطاق دعوة التقريب بين الأديان، فيما يعرف بقضايا «التعايش»، وحينئذٍ فالأمر لا يتعلق بالدين من حيث هو دين، عقيدة وشريعة، ولكن بالعلاقة المعيشية البحتة بين معتنقي الأديان. وهو بهذا الاعتبار يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوبٍ أو طوائف، وربما تكون أقلّيات دينية، ويعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجّرين واللاجئين، ونحو ذلك. ومن أمثلة هذا اللون من الحوار: (الحوار العربي الأوربي)، و(حوار الشمال والجنوب).

(١) الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي: د. عبد العزيز بن عثمان التويجري. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م). (٧).

وهذا الحوار بحد ذاته - بصرف النظر عما يصاحبه من تأطيرات قد تلتحق بالأنواع السابقة - تفرضه طبيعة الحياة البشرية، وحاجاتها الفطرية المختلفة، ومن ثم فلا غبار على الدخول في مفاوضات أو مداولات من هذا القبيل، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية لمصلحة الأمة الإسلامية. وقد رافق هذا اللون من حوار التعايش نشأة الأمة الإسلامية منذ عهد النبوة، كما جرى في المعاهدات النبوية مع يهود المدينة وغيرهم، وزخر الفقه الإسلامي المؤسس على الكتاب والسنة بتراث ضخم في مجال العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين.

وعليه فلا بد من التبين والاستفصال لدعوات الحوار المجملة، ومعرفة أهدافها ومادتها قبل الخوض في غمارها، وألا يجبر المسلمون إلى مواقف لم يحسبوا لها حساباً، ولم يرسموا لها خطة. والجانب المقابل يدرك هذا جيداً. يقول الكاتب الروسي المعاصر إليكسي جورافسكي في كتابه: (الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم): (في كتابنا هذا حيث تناقش إشكالية الحوار الإسلامي - المسيحي لا بد قبل كل شيء من تحديد وضبط مفهوم الحوار ذاته. ففي المعنى العريض للكلمة يمكن فهم الحوار الإسلامي المسيحي كتاريخ للعلاقات المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين على مدى أربعة عشر قرناً... ولكن في الوقت الحالي يتشكل مفهوم آخر للحوار - كمحطة تاريخية واعية، كوضع شديد الأهمية والحساسية، يتطلب دراسة مفاهيمية - نظرية متكاملة، ومعالجة مؤسساتية، عملية مثمرة وفاعلة. إن تاريخ الحوار المذكور لا يمتد لأكثر من بضعة عقود من الزمن. وتقويم هذه الظاهرة الجديدة من زاوية واحدة أمرٌ غير ممكن. وبغية تقدير مضمونه الفكري، فإنه لا بد أولاً من تحديد سياسي واجتماعي - ثقافي للبلد أو للإقليم، الذي يجري فيه الحوار. حيث إن الاتجاهات الخاصة بالحوار يمكن أن تكون ذات أهداف متشعبة، ووفق

مستويات مختلفة أيضاً تصعب الإحاطة بكل أطرافها وتفرعاتها وميادينها المعقدة ومتعددة الجوانب، التي تنضوي تحت عنوان «الحوار الإسلامي - المسيحي». ولكن من الضروري في الوقت ذاته إيجاد مرتكزات منهجية سليمة، من شأنها أن تمنحنا زاوية ملائمة، تسمح برؤية الجوانب المتنوعة في وحدة مشكلية واضحة المعالم إلى حد معقول^(١).

ونحن بدورنا إذ نستشرف البحث في موضوع يعد «نازلة» جديدة بالمسلمين - بصورته المعاصرة - ويحتل رقعة جغرافية تسع العالم بأكمله، كما يستشف من مسرد المؤتمرات المعقودة، ومواقعها، ويتناول موضوعات على درجة فائقة من الخطورة والحساسية والآثار المتعدية، لا بد لنا من منهجية صارمة في استقراء معالم هذه الظاهرة المعاصرة ومراميها المعلنة والخفية، وتتبع أصولها التاريخية ومفهومها المعاصر لدى مختلف الفرقاء.



(١) الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم: أليكسي جوارفسكي. ترجمة: د. خلف محمد الجراد. مراجعة: أ.د. محمود حمدي زقزوق، عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت طبعة (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م). (٢١ - ٢٢).

الفصل الثاني

الأصول التاريخية لدعوة التقريب بين الأديان

مرت دعوة التقريب بين الأديان بمراحل متعددة قبل أن تصل إلى الصيغة السائدة النشطة في النصف الثاني من القرن العشرين. ذلك أن المسافة بعيدة جداً بين الرافض المطلق والقبول النسبي، أو النبذ الكلّي والاعتراف الجزئي، وتحتاج إلى سلسلة طويلة من الممهّدات الفكرية لإحداث تغييرات جذرية لدى الملل التي لا تحتكم إلى معايير ثابتة، وعقائد راسخة في مبادئها وتقويمها للآخرين، وهذا ما حدث بالفعل من جانب أهل الكتاب، والنصارى خاصة، ومن بعض الشذاذ المتسبين إلى الإسلام على مدار التاريخ.

وقد بدأت محاولات تقريب الإسلام إلى الملل والأديان الأخرى منذ وقت مبكر، في العهد النبوي المكي، من قبل المشركين كما حكى الله عنهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (١) [القم]، وحين عرضوا على نبينا محمد ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، فأنزل الله آيات حاسمة حازمة تقطع طمع كل طامع مراوغ: ﴿قُلْ بَنَاتِي الْكَافِرُونَ﴾ (٢) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٣) وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٤) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٥) وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٦) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٧) [الكافرون].

(١) روى الطبري، وابن أبي حاتم - رحمهم الله - عن ابن عباس ؓ: أن قریشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطعوا عقبه، فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكُفَّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك، ولنا فيها صلاح. قال: ما هي؟ قالوا تعبد آلهتنا سنة، اللات =

وتكررت المحاولة في العهد النبوي من قبل أهل الكتاب لزعزعة المسلمين عن دينهم وإعادتهم إلى الشرك، أو الدخول في اليهودية أو النصرانية. قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ

والعزى، ونعبد إلهك سنة. قال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي. فجاء =
الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون]، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَائِمَاتٍ أَعْبُدُوا إِلَهًا لَّمَّ تَهْلُوكَ ۝ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَلَكَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ قَبْلِكَ لِيَن أَشْرَكَتَ لِيَجْطَلَ عَمَّا لَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْفَاسِقِينَ ۝ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالشَّجَرَاتُ مُحْطَوَاتٌ بِسَيْفِهِ سُبْحَنَهُ وَقَطَّاعًا عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [الزمر]. جامع البيان (٣٠/٣٣١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقوله في الحديث: «حتى أنظر ما يأتي من ربي» قد يقول هذا من يقصد به دفع الظالمين بالتالي هي أحسن، ليجعل حجته أن الذي أنزل عليه طاعته قد منع من ذلك. فيؤخر الجواب حتى يستأمره. وإن كان هو يعلم أن هذا القول الذي قالوه لا سبيل إليه... فليس في مثل هذا الجواب تردد ولا تجوز منه أن الله يبيح له ذلك) مجموع الفتاوى (١٦/٥٤٤).

وفي رواية الطبري وابن أبي حاتم أبو خلف، عبد الله بن عيسى، قال الحافظ ابن حجر: «ضعيف» التقريب (١/٤٣٩). وقد روى الطبري عن سعيد بن مينا أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا خير مما في يدك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك. فأنزل الله: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون] حتى انقضت السورة. جامع البيان: (٣٠/٣٣١). ونسبها القرطبي إلى ابن عباس (٢٠/٢٢٥)، وانظر: أسباب النزول للواحدي (٥٠٥)، ولباب النقول للسيوطي (٢٣٧) من رواية عبد الرزاق عن وهب قال: قالت كفار قريش للنبي ﷺ: إن سرك أن تتبعنا عاماً، ونرجع إلى دينك عاماً. فأنزل الله: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝﴾ [الكافرون] إلى آخر السورة.

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿١٠٩﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال: ﴿وَقَالُوا كُنُوا تُهْدَىٰ أَوْ نَصْرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥]. ومن ذلك ادعاؤهم الإبراهيمية، ومحاجتهم المسلمين في ذلك، فأدحض الله حجتهم، وأكذبهم بقوله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْمُكَتَبُ لِمَ تَعَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ هَاتَمٌ هَذُلًا حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُعَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾﴾ إِنَّكَ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

فإذا تجاوزنا هذه المرحلة من العهد النبوي الذي تم فيها إرساء قواعد الإيمان وتقرير أحكام أهل الكتاب من الناحيتين العقدية والشرعية، والتحذير التام من الانسياق لإغراءاتهم المختلفة: ﴿وَأَحَذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، نجد أن تاريخ اليهودية والنصرانية والإسلام يضم بعض الشواهد التاريخية المتناثرة، أو بعض الممهّدات الفكرية المتسلسلة لفكرة التقريب.

وهدف هذا الفصل تتبع تلك الشواهد، ورد الفروع الراهنة إلى الأصول الماضية في مسارب الزمن، وثنايا التاريخ.

كما أن التاريخ البشري العام، خارج حدود اليهودية والنصرانية والإسلام، يحتفظ بمحاولات للتقريب بين الأديان، لعل ممن أشهرها محاولة الملك المغولي الإمبراطور أكبر^(١)، في الهند، الذي كان يجمع

(١) الإمبراطور أكبر: (١٥٤٢ - ١٦٠٥م)، سليل تيمورلنك، ابن همايون من زوجته الفارسية حميدة، ثبت إمبراطورية المغل المتداعية حين استلم الحكم ١٥٥٦. يعتبر أعظم الملوك المسلمين، وأباطرة المغل في الهند. ترك=

زعماء الأديان المختلفة من مسلمين ونصارى وهندوس، ويعقد بينهم المناظرات إبان فترة حكمه في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. «وقد شيد لهذا الغرض بناية فخمة في عاصمة مملكته «فاتحبور سيكري»، أطلق عليها اسم «خان العبادات»، وسعى لتحقيق المساواة بين الأديان، فألغى الجزية والامتيازات الأخرى، وحاول تأسيس دين جديد ملفي من سائر الأديان سماه «دين إلهي».

وقد أثار نهمة بالمناظرات التنافس بين أتباع الأديان المختلفة، حتى إن نصارى الهند بعثوا سفارات إلى روما وفرنسا وأسبانيا للاستعانة بهم في مناظرة المسلمين أمام الإمبراطور، فأمدوهم باليسوعيين والفرنسيسكان، طمعاً في تنصير المغول، ولكن المناظرات التي كان يديرها الإمبراطور نفسه أسفرت عن اعتناقه للإسلام، وتسميه بمحمد، وتلقبه بجلال الدين، وتكنيه بأبي الفتح^(١).

ولا بد من تحديد مدلول واضح لما هو «تاريخي» وما هو «معاصر»، وقد اعتمدت عرف المؤرخين باعتبار التاريخ المعاصر هو القرن الراهن، أي المائة سنة الأخيرة^(٢).

= إمبراطورية قوية منظمة، امتدت من كابل غرباً إلى بنغال شرقاً، ومن أسفل الهملايا شمالاً إلى نهر نرمة جنوباً، استعاد من الفرس مستعمرات أجداده في أواسط آسيا. المنجد في الأعلام (٥٨).

(١) انظر: المنجد في اللغة والأعلام: لويس معلوف اليسوعي. دار المشرق. بيروت - لبنان. الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م. (٥٨). ومجلة الأمة عدد ٥٤ عام ١٩٨٥م (٤٣) وانظر صوراً لخان العبادات وجلسات المناظرات في

. Recognize the Spiritual Bonds which Unite Us. p:4,87,88

وانظر تمجيد روجيه جارودي له في الباب الثاني، المحاولات الفردية.

(٢) ليس ثم تقسيم حاسم، متفق عليه، للعصور التاريخية، والتقسيم الغربي التقريبي يدل على ما يلي:

العصور الوسطى التي تلت العصور القديمة: تبتدئ من سقوط الإمبراطورية =

وسوف تتم دراسة الأصول التاريخية من خلال ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: عند اليهود.
- المبحث الثاني: عند النصارى.
- المبحث الثالث: عند المسلمين.

= الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ وتنتهي باكتشاف كولومبوس لأمريكا عام ١٤٩٢م،
وأما عصر النهضة فيطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور
الحديثة (القرون ١٤ - ١٦) ويؤرخ لها بسقوط القسطنطينية (١٤٥٣م). وتمثل
القرون (١٧، ١٨، ١٩) العصر الحديث. انظر: الموسوعة العربية الميسرة:
إشراف: محمد شفيق عطا غريال. دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة
والنشر. الطبعة الأولى عام ١٩٦٥م. (١٢١٦ - ١٢١٧).

المبحث الأول

الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند اليهود

لم يُبدِ اليهود ميلاً إلى التقارب مع الديانات الأخرى، سواء في المجتمعات النصرانية التي سيموا فيها سوء العذاب، أو في المجتمعات الإسلامية التي نعموا فيها بالأمن والاستقرار ورغد العيش، بل وتبوءوا فيها المناصب العليا، فيما عرف في اصطلاح اليهود أنفسهم بـ «العصر الذهبي لليهود»، في أسبانيا المسلمة، «الأندلس»^(١).

ويرجع ذلك إلى عقيدة صارمة راسخة، هي عمدة الديانة اليهودية المتوارثة وهي: «عقيدة شعب الله المختار» الذي حظي بالاصطفاء، وأقيم العهد الرباني معه دون غيره، وما أنشأ ذلك من عقائد تلمودية^(٢) باعثها الحق والتشفي من الأمم الغالبة، بوصفها «أغياراً» أو «جوييم» - أي أممين - لا تستحق مُصافاة اليهود، فضلاً عن مقاربتهم.

لذا عاش اليهود ردىاً من الزمن في عزلة اجتماعية وفكرية وسياسية عن المجتمعات التي يقطنونها كأقليات. وضرب الحاخامات حول أتباع الديانة اليهودية سياجاً من التحذيرات والإرهاب الروحي، وأحياناً البدني لمن تسول له نفسه خرق التعاليم الدينية. ولم يطور اليهود من موقعهم الديني - خلافاً للنصارى - أي مشروع للتقارب مع الآخرين، رغم شدة الضغوط والاضطهاد التي يلقونها غالباً، قال

(١) انظر: التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية، وطأة ثلاث آلاف سنة. إسرائيل شاحك (٩١).

(٢) انظر: حقيقة التقريب عند اليهود في هذا الباب.

تعالى: ﴿صُرِّيتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَنْ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَعْضُ مِنَ اللَّهِ وَصُرِّيتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَنْ يُسُوِّمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٧]، بل وحين واتتهم الفرصة، أسفروا عن خبايا نفوسهم، وصرحوا بأفضلية دينهم على سائر الأديان، كما جرى ذلك حين هجم المغول على الممالك الإسلامية، وقضوا على الخلافة العباسية، وفتكوا بالمسلمين في بغداد سنة ٦٥٦هـ - ١٢٨٥م، في حين أمَّنوا اليهود والنصارى^(١)، وفتح الوزير الرافضي الخبيث، ابن العلقمي^(٢)، والخواجه نصير الدين - بل نصير الشرك - الطوسي^(٣) الباب على مصراعيه للزنادقة والفلاسفة، وبنى لهم «دار الحكمة»^(٤). ففي تلك الأحوال المضطربة التي ينشق فيها بوم الكفر والزندقة، ويغيب فيها سيف السلطان، وكلمة الحق، ألّف اليهودي سعيد بن منصور بن كمونة^(٥) كتابه «تنقيح الأبحاث في البحث

(١) انظر: البداية والنهاية: (٢٠٢/١٣).

(٢) محمد بن أحمد بن علي (٥٩٣ - ٦٥٦هـ) أبو طالب، مؤيد الدين! الأسدي، البغدادي، المعروف بابن العلقمي، وزير المستعصم العباسي، وصاحب الجريمة النكراء في ممالأة هولاكو على غزو بغداد، كان رافضياً، وقد أهين على أيدي التتار بعد دخولهم بغداد، ومات غماً في قلة وذلة، ودفن في مشهد موسى بن جعفر «الكاظمية» ببغداد.

انظر: الأعلام (٣٢١/٥).

(٣) محمد بن محمد بن الحسن (٥٩٧ - ٦٧٢هـ) أبو جعفر، فيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علت منزلته عند هولاكو فكان يطيعه فيما يشير عليه. ابنتي بمرآة قبة ومرصداً عظيماً، وقرر منجمين لرصد الكواكب، وجعل لهم أوقافاً تقوم بمعاشهم، وكان هولاكو يمدّه بالأموال. صنف كتباً عديدة في الفلسفة وعلم الهيئة والرياضيات. وهلك ببغداد. انظر: الأعلام (٣٠/٧).

(٤) المرجع السابق (٢١٥/١٣).

(٥) سعيد بن منصور بن سعد، هبة الله، ابن كمونة: الإسرائيلي، عز الدولة، =

عن الملل الثلاث». (لقد وضع ابن كمونة بحثه في الوقت الذي كان فيه الإسلام - تماماً كالنصرانية واليهودية - ديانة تتقبلها السلطة المغولية - البوذية. هذه المساواة في نظر السلطة بين الأديان الثلاثة هي ما أتاح لابن كمونة القيام بهذه المقارنة التاريخية...

إنه حوار الديانات الثلاث كما كان يقدر لمثل هذا الحوار أن يقوم في بغداد في القرن الثالث عشر^(١).

والحقيقة أنه كان حواراً من طرف واحد، بل إنه يفتقر إلى المساواة خلافاً لما يزعمه الكتاب الغربيون المغرمون بالنقد التاريخي للأديان. وقد أجحف ابن كمونة الإسلام حقه، وطعن في صدق القرآن، مما حمل العامة على محاولة قتله^(٢).

وحين أبدى الربّي إبراهيم بن موسى بن ميمون، الذي ورث عن والده الشهير لقب «رأس الجالوت»، في مصر الأيوبية سنة ١٢٣٧م، نوعاً من الميل والتقارب مع الشريعة الإسلامية، قوبل بمقابلة عنيفة من أبناء الجالية اليهودية، ورمي بالابتداع لأنه دعا إلى (تقليد المحيط المسلم، مثلاً في الصلاة... يقترح إزالة المساند من الكنيس، وتوزيع سجاجيد الصلاة على الأرض، كما هو الحال في المساجد. واقترح أيضاً الركوع كما هو الحال في صلاة المسلمين... ويمتدح

= أديب، منطقي كيميائي فيلسوف اليهود. من أهل بغداد، توفي بالحلة سنة (٦٨٣هـ). من مؤلفاته: «شرح تلويحات السهروردي في الحكمة»، «اللمعة الجوينية»، «شرح الإشارات لابن سينا»، «الحكمة الجديدة في المنطق»، «شرح التلويحات في المنطق والحكمة»، انظر: الأعلام (١٠٢/٣)، كشف الظنون (٩٥، ٤٨٢، ٤٩٥، ٦٨٥)، معجم المؤلفين (٢١٤/٢).

(١) الحقيقة بنت زمانها، مقارنة الأديان عند ابن كمونة. فريدريش نيفونر. مجلة الاجتهاد (١٦٦/٢٨ - ١٦٧).

(٢) المرجع السابق (١٧٢ - ١٧٨).

الصمت المحترم في المساجد الذي كان على نقيض الضوضاء غير المبجلة والصخب الذي تميزت به المعابد اليهودية في ذلك الزمن...^(١).

وقد آل به الأمر أن اشتكاه اليهود إلى الملك العادل، بدعوى أنه (يحاول إرغامهم على تبني بدعة محرمة في دينهم... لذلك أجبر إبراهيم أن يعتذر للحاكم المسلم، وأن يعلن توبته، وأنه لن يسيء استخدام سلطته باعتباره «رأس الجالوت» للطائفة اليهودية، وذلك عن طريق إدخال بدع عليها)^(٢).

إن اليهود، لبوا عث عنصرية بحتة، لم يخضعوا ديانتهم لتجربة التقارب بين الأديان، وحرصوا أشد الحرص على التميز عن الأممين، ولكنهم استعاضوا على تعريض دياناتهم للمساومة بإنشاء الجمعيات الهدامة التي تدعو إلى «العالمية» وتطلق الشعارات الإنسانية الفضفاضة، كالحرية والإخاء والمساواة ليتم تذويب، وصهر جميع الأديان، والثقافات العالمية في صهريجه الضخم، وتبقى «اليهودية» نقية، متماسكة أمام تيار «العالمية»، فيتسنى لها بعد القضاء على الخصوم، تحقيق السيادة على العالم.

الماسونية:

ومن أقدم تلك الجمعيات وأشهرها، وأكثرها نفوذاً: «الماسونية». وهي منظمة سرية يهودية، عالمية، يرجع بعض الكتاب تاريخ إنشائها إلى حقبة بعيدة في التاريخ، ترفع شعارات إنسانية، وتخفي ملامح

(١) الفكر الإسلامي والفكر اليهودي: بعض جوانب التأثير الثقافي المتبادل، هافا لازاروس - يافه. مجلة الاجتهاد (٢٨/٢٠٤ - ٢٠٩).

(٢) المرجع السابق.

يهودية في طقوسها ورموزها واصطلاحاتها، وتهدف في آخر المطاف إلى سيطرة اليهود على العالم^(١).

وليس من هدف البحث الاستطراد في حقيقة هذه الجمعية الغامضة وما أحيطت به من مبالغات وتهويلات - ربما كان وراءها الماسون أنفسهم - بل الذي يعنينا هو موقفها من قضية التقريب بين الأديان، بوصفها جناحاً قوياً من أجنحة اليهودية، في موازاة الصهيونية. فالماسونية لاستغلال غير اليهود في مصالح اليهود، والصهيونية للحفاظ على هوية اليهود خاصة.

يقول رئيس محفل الشرف الأعظم الماسوني، محمد رشاد فياض، في كتابه النور الأعظم: (الميمات الثلاث في الموسوية والمسيحية والمحمدية)^(٢) يجتمعون - هكذا - في ميم واحدة هو ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات. إنها تجمع وتوحد المتفرقات والمتشتات، وإن باءي البوذية والبرهمية يجتمعان في باء البناء، بناء هيكل المجتمع الإنساني الصالح المنزه من العمالة العنصرية والعملاء. إن ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادئ الحرية والمساواة والإخاء، ونحن نزيد عليها المحبة والعدالة

(١) انظر عن الماسونية: السر المصون في شيعة الفريسون، لويس شيخو، أسرار الماسونية: الجنرال رفعت أتلخان، الماسونية: داود سنقرط، بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة وتقديم: د. إحسان حقي. دار النفائس. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، الماسونية: محمود ثابت الشاذلي، الماسونية ذلك العالم المجهول. صابر طعيمة، الماسونية في العراق. د. محمد الزغبى.

(٢) المحمدية: تعبير يراد به المسلمون. وقد نقل الشيخ بكر أبو زيد عن محمد علي مؤلف: الفكر الخوالد قوله: (أما التسمية بمحمدي ومحمدية فلم تكن في يوم من الأيام سائدة ولا مستساغة لدى أتباع هذا الدين، وعقب قائلاً: (إذاً: فالتوقي من هذا الإطلاق مناسب). معجم المناهي اللفظية (٤٩٧).

والعطاء... الماسونية على حقيقتها ليست عمالة لأية ديانة أو عنصرية معينة. إنها عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، وبالمبادئ الإنسانية مزينة. عقيدة الأحرار، هي عقيدة لجميع أبناء البشرية دون تمييز أو تفریق. وإنها لن تمنح الفضل والأولوية لفريق دون فريق^(١).

وهذه عبارات مشبعة بالرموز الباطنية التي تذكر بمقالات البهائية والصوفية من جهة، ومسكونة بروح التهمة من جهة أخرى، لا سيما وهي تصدر عن ماسوني عربي يحاول تحسين وجه الماسونية اليهودية الكالح، وإلا فإن عداء الماسونية للأديان جميعاً أمرٌ لا يخفى قد طفحت به تصريحاتهم، كما جاء في البرتوكول الرابع عشر لحكماء صهيون: (عندما نغزو سادة لن نترك ديناً قائماً غير ديننا القائل بالإله الواحد الذي يرتبط به مصيرنا. لأننا نحن شعب الله المختار، وبنا ارتبط مصير العالم، ولذا يجب أن نقضي على كل الأديان، فإذا نشأ عن ذلك وجود ملحدین عصريين فإنهم سيكونون عناصر انتقالية، وهذا لا يضر مخططنا لأنهم سيكونون مثلاً للأجيال التي ستعتنق تعاليم دين موسى، الذي بفضل قوته وعقلانيته يجب أن ينتهي بنا إلى التسلط على العالم كله)^(٢).



(١) النور الأعظم (١١٢ - ١١٥). عن الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين (١٨١).

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون (٨٦). ترجمة: د. إحسان حقي. وانظر الماسونية تحت المجهر (٥٦ - ٥٧).

المبحث الثاني

الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند النصارى

لقد كان ظهور الإسلام وانتشاره السريع في القرن السابع الميلادي صدمة عنيفة للكنائس النصرانية المختلفة التي تهيمن على شعوب منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط وما جاورها، فقد تهاوت معاقل النصرانية العريقة ومهد المسيح ﷺ وأنبياء بني إسرائيل، أمام الفاتحين الجدد من أصحاب العمائم، رعاء الشاء والإبل، الضاريين في تيه الجزيرة العربية لقرون بعيدة، وفي تيه الشرك والوثنية والتخلف لقرونٍ أبعد. وفي مدّة تقل عن مائة عام تمكن المسلمون من إخضاع جميع السواحل الشرقية والجنوبية والغربية للبحر الأبيض المتوسط وفي مدّة تزيد على المائة قليلاً بلغوا أعماق أوروبا النصرانية في جنوب فرنسا. (وهكذا كان الإسلام يتوسع على نحوٍ مندفع مخلفاً، في الحقيقة، صدماتٍ هائلة تستعصي على التصور)^(١). كما عبر أحد الكتاب الغربيين.

والصدمة الكبرى التي تفوق إخضاع الأرض وضمها لدار الإسلام، كانت تتمثل في خضوع القلوب لدعوة الحق، ودخول الناس في دين الله أفواجاً. كما وعد الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْمَقْدُونِ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩١] ف (في مرحلة لاحقة، ومع الرسوخ السياسي واللاهوتي للدين الإسلامي،

(١) انظر: الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام. دانييل ساهاس. مجلة الاجتهاد (١١١/٢٨).

وتنامي النزعات والاتجاهات الانتقادية للمسيحية، تحولت الكتلة الأساسية لمسيحيي الشرق الأدنى إلى الإسلام^(١)، كما يعترف كاتب آخر.

وربما ظنت الدولة البيزنطية لأول وهلة أنها أمام زوبعة عارضة نشأت بسبب انفجار سكاني، وضيق معيشي حاق بأعراب الجزيرة، سرعان ما تخبو جذوته ويخمد لهيبه، لافتقار القوم لأسس التنظيم والتخطيط الذي يحفظ مكاسبهم.

وربما ظنت الكنيسة الأرثوذكسية، وغيرها من الكنائس المحلية الأخرى أنها أمام هجم رعايا لا يرتقون في تفكيرهم إلى آفاق الثقافة الهلنستية^(٢)، فلا تملك تقاليدهم البدوية الصمود أمام الفلسفة النصرانية العريقة.

ولكن هذه الظنون من المؤسسات الرسمية والكنسية تهاوت، كما تهاوت جحافلهم أمام إيمان الفاتحين المسلمين، ومتانة ووضوح عقائدهم.

ولم تشأ كبرياء الكنيسة النصرانية المصطنعة أن تدعن للحق، كما لم تشأ الإمبراطورية البيزنطية أن تدعن للأمر الواقع، ومن ثم فقد اتسمت العلاقات بين المسلمين والنصارى بالعداء المستمر طوال التاريخ، كما أن العلاقة بين الإسلام والنصرانية المحرفة اتخذت نفس الطابع، ولم يكن هناك مجال لما عُرف أخيراً باسم «التقريب» أو

(١) الإسلام والمسيحية. أليكسي جورافسكي. (١٧٨).

(٢) الهلنستية أو الهيلينية: Hellenism الثقافة الناشئة من امتزاج الفلسفة اليونانية بثقافات حوض البحر المتوسط. وهي الثقافة السائدة إذ ذاك، انظر: الموسوعة الفلسفية: د. عبد المنعم الحفني. دار ابن زيدون - بيروت، مكتبة مدبولي - القاهرة. الطبعة الأولى. (٥٠٢).

«الحوار» من الجانبين، بالصفة التي تمخضت عنها النصرانية في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.

يصف المستشرق الروسي إليكسي جورافسكي هذه العلاقة التاريخية في جانبها السياسي والعقدي بالعبارات التالية: (إن المجابهة العسكرية - السياسية بين هاتين الديانتين - أو قل بين هاتين الحضارتين - منذ بدء ظهورهما المتجاور، ووصولاً إلى القرن العشرين كانت هي الطابع المسيطر على علاقاتهما الأخرى، - بما في ذلك العلاقات الدينية - الأيديولوجية. وبودنا التأكيد في هذا السياق أن ترسيخ الإسلام وتوطيد أركانه العقائدية في سوريا، ومصر وشمال أفريقيا سحبا من المسيحية النصف الغني بثرواته من المجال الجغرافي الحضاري لشاطئ البحر المتوسط.

إن فتح المسلمين إسبانيا وصقلية، والحملات الصليبية إلى فلسطين، واستيلاء الصليبيين على القدس، وثار صلاح الدين الأيوبي وانتصاره عليهم، وطرده العرب - المسلمين من أسبانيا، وسقوط القسطنطينية، وهجوم الأتراك العثمانيين على مناطق البلقان، وتمرد الشعوب الإغريقية والسلافية، كل هذه المصادمات والمجابهات العنيفة ألبست رداء الدين، والحرب من أجل تعزيز راية الإيمان ضد «الكفرة»^(١). ولهذا فإن مقولات مثل: «الحروب المقدسة» أو «الجهاد» ترسخت في وعي ومدارك، وفي لاوعي أتباع الديانتين كأوامر إلهية لا راد لها، بل أصبحت فريضة على المؤمنين من كلتا العقيدتين أن يلتزموا

(١) وهذا هو الواقع ظاهراً وباطناً لدى المسلمين في فتوحاتهم، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالْقَوَائِمِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٣] وغيرهما، أما بواعث النصاري فالرجل أدري بقومه.

بأدائها، والاستشهاد في سبيلها، وصولاً إلى إلغاء الطرف «الكافر»، أو «إخضاعه» وإلزامه بشروط مذلة في كثير من الحالات والمواقف^(١).

أساليب النصارى في مواجهة الإسلام:

لقد احتاجت النصرانية إلى ثلاثة عشر قرناً من الزمان، بدءاً من القرن السابع إلى القرن العشرين حتى تبلغ مرحلة «الحوار». وبين التنافر والتقارب برزت في الفكر النصراني ممارسات متنوعة في مواجهة الإسلام في جانبه العقدي، يمكن تحديدها بما يلي:

أولاً: أسلوب التشويه والتضليل:

وقد ولد هذا الأسلوب في وقت مبكر، لمواجهة موجات الفتح الإسلامي والاعتناق الجماعي لدين الإسلام. ومن أشهر من أرسى قواعده قسيسٌ دمشقي عرف باسم «يوحنا الدمشقي»^(٢) المتوفى سنة ٧٥٠م، وقد عاش هو وأبوه منصور بن سرجون في أكناف أمراء بني أمية. وقد ألف عدة مؤلفات ضمنها القدح في الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه القرآن. فالإسلام عنده ليس دين إبراهيم ﷺ، بل هو مؤذن بالمسيح الدجال. والرسول ﷺ واحد من أتباع بدعة آريوس، لا يعرف من العهدين القديم والجديد إلا ما ضحلت قيمته، والقرآن نتاج لأحلام اليقظة، كما ينتقد إجراءات الزواج والطلاق في الشريعة^(٣).

(١) الإسلام والمسيحية (٣٦ - ٣٧).

(٢) ولد في دمشق عام ٦٧٥ تقريباً. من آباء ومعلمي الكنيسة، ويوصف بـ«القديس». قاوم ما يسميه النصارى بدعة تحطيم الصور «الأيقونات»، وألف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر. انظر: المنجد في الأعلام (٧٥٣).

(٣) انظر مقالة: (الشخصية العربية في الجدل المسيحي مع الإسلام) داينيل ساهاس مجلة الاجتهاد: (١٠٩/٢٨ - ١٣٦).

إن هذا القسيس المضلل، الذي يصفه النصاري بـ «القديس»، يبوء بإثم إشاعة هذه الافتراءات التي صدت كثيراً من النصاري في الشرق والغرب عن الوقوف على حقيقة الإسلام^(١). يقول إليكسي جورافسكي: (إذا كنا نتفق على واقعة أن التصورات الأوربية عن الإسلام تشكلت ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر للميلاد، فإننا يجب أن نشير إلى حقيقة أن هذه التصورات تكونت في كثير من جوانبها وخطوطها الكبرى على خلفية التفسير المسيحي الشرقي للعقيدة الإسلامية. وتعد المؤلفات التي وضعها يوحنا الدمشقي، المتوفى سنة ٧٥٠م من أكبر الدراسات المسيحية الشرقية عن الإسلام.

والواقع أن التصورات المتكونة عن الإسلام كبذعة مسيحية، مرتدة، ومنشقة، وعن محمد كنبي مزيف، انتقلت من مسيحي سوريا إلى البيزنطيين، ومنهم إلى الأوربيين^(٢).

وإذا كان يوحنا الدمشقي، وهو عربي النسب واللسان، يلجأ إلى كتابة مفترياته وتشويهاته المتعمدة عن الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه العزيز، باللغة اليونانية، وهو يعيش بين ظهرائي المسلمين، وفي خدمة البلاط الأموي خشية رد الفعل العلمي والاجتماعي والسلطوي، فللقارئ أن يتخيل ما يمارسه القسس الحاقدون الذين يعيشون خلف الحدود في أرجاء أوروبا البيزنطية، ثم الرومانية، حيث لا يعلمون عن الإسلام وعقيدته وشريعته وتطبيقه سوى ما يتلقفون من إنتاج نظرائهم الذين يتميزون غيظاً وحسداً في المشرق الإسلامي، ثم يضيفون إليه ما تبخله

(١) يقول داينيل ساهاس: (يبدو أن يوحنا الدمشقي هو أول كاتب بيزنطي استخدم هذا التشويه الإتيمولوجي - أي الاشتقاقي - لأغراض الجدل العنيف، وتحفيز الذاكرة) الاجتهاد (١٢٦/٢٨) وذلك حين نبز المسلمين بلقب «السرازين Saracens»، أي الذين أبعدتهم سارة باحتقار.

(٢) الإسلام والمسيحية (٧٠ - ٧٣).

أوهامهم المريضة، وخيالاتهم الفاسدة من أساطير وحكايات مسفة. وهذا ما حدث بالفعل في أوروبا، طوال القرون الوسطى. فقد رُوجت العديد من الخرافات والتهم السخيفة عن الإسلام، وعن شخص نبينا محمد ﷺ نعف عن ذكرها إكراماً له وتوقيراً، مما حدا بباحث غريب معاصر أن ينتقدها بإنصاف قائلاً: (وللحقيقة، يجب القول أن تلك الأساطير المختلفة تمثل سخرية مأساوية، لأن النبي «محمد» الذي حارب أكثر من أي مخلوق آخر عبادة الأوثان، والذي حطم جميع أصنام الكعبة، يتحول في تصور المسيحيين إلى «صنم يؤلهه أتباعه» الذين يطلقون عليهم ازدراء واحتقاراً لقب «عبيد سارة» أو «أبناء الجارية»^(١). وقد ظل هذا الأسلوب هو الأسلوب السائد والأسهل في الأوساط الشعبية للتفسير من الإسلام والصد عن سبيله، حتى اعتنقت أوروبا المذاهب العقلية، وانعتقت من سلطان الكنيسة الكهنوتية، فانحسر نوعاً ما، وإن كنا لا نزال نطلع على خائنة منهم، تحملها وسائل الإعلام المختلفة، تنبئ عن حقدٍ دفين^(٢).

ثانياً: أسلوب المجادلة العقلية وإثارة الشبهات:

ورائد هذا المسلك هو الراهب الفرنسي (بطرس المبجل) - كما يصفه النصاري - عاش في الفترة ١٠٩٤م - ١١٥٦م، وشغل منصب رئيس كهنة دير كلوني، وقد عاصر قيام الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م والثانية ١١٤٥م، وأدرك فشل المسلك العدواني العسكري في تحقيق الأهداف النصرانية. (وقد انطلق من مُسلمة حتمية الصراع ولكن ليس

(١) الإسلام والمسيحية (٧٧)، وانظر أيضاً ما جاء في (٦٧، ٧٤ - ٧٦).

(٢) دأبت وسائل الإعلام الغربي النصراني - ومن خلفها اليهود - على تشويه صورة الإسلام والمسلمين بتصويرهم بصورة الأحق الجاهل المتخلف، وأخيراً الإرهابي، وبث ما يسيء إلى المسلمين ويحتقرهم من الدعايات التجارية التي تسخر بعقائد الإسلام وشرائعه.

بالسيف، وإنما بالكلمة والإقناع والحجة. وفي نظرتهم للمسلمين كهراطقة، واعتقد بطرس المبجل بإمكان إعادتهم إلى فلك الكنيسة، وذلك إذا تمكن اللاهوتيون والمبشرون المسيحيون من أن يظهروا لهم بشكل مقنع، أين تكمن انحرافاتهم وضلالتهم^(١).

ومن المعروف أن دير كلوني الذي ينتمي إليه بطرس المبجل - عندهم - كان له دورٌ بارز في تاريخ النصرانية، فيما عرف بـ «الإصلاح الكلوني» وعلى وجه الخصوص في تأجيج الروح الصليبية في حرب الاستعادة الأسبانية Reconquista، ولكن الفترة التي تولى فيها هذا الراهب رئاسة الدير، كانت أوروبا مشغولة عنه بتمويل الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ضد منطقة شرق المتوسط، مما أدى إلى إعطاء الحروب الأسبانية ضد المسلمين مكانة ثانوية. ولعل هذا ما حدا به إلى سلوك أسلوب المجادلة العقلية.

يقول أستاذ لاهوت الأديان «لودفيغ هاغمان»: (يعتبر رئيس كهنة دير كلوني بطرس المعروف بالمبجل «١٠٩٤ - ١١٥٦» أول من مهد الطريق للمجادلة العقلية مع الإسلام، وقد اكتسب بذلك شهرة عريضة. فأثناء زيارته التفتيشية والرعوية للأديرة الخاضعة لرهبته في أسبانيا عام ١١٤٢، خطرت له فكرة القيام بمجادلة عقلية. فالمعلومات الناقصة وغير الواضحة التي كونها معاصروه لأنفسهم جعلته يصل إلى القناعة بضرورة سد هذا العجز عبر برنامج مُلِح وصفه كما يلي:

١ - ردم حدة العجز الحاصل في المعلومات.

٢ - استنكار العمليات العسكرية.

٣ - إعطاء الأفضلية لتبرير الإيمان والمعتقد المسيحيين.

(١) الإسلام والمسيحية (٨١).

٤ - أخيراً الإقدام على وضع ترجمة لاتينية للقرآن الكريم^(١).

وقد استعان بطرس هذا بجملة من المستعربين في ترجمة بعض الأحاديث النبوية، وكتابة بعض المقالات والمحاورات المزعومة، كما وجه بنفسه خطاباً مفتوحاً إلى (العرب، أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمداً)^(٢).

كما صنف كتاباً أسماه «دحض العقيدة الإسلامية» ضُم لاحقاً إلى ترجمات أتباعه، وعرفت المجموعة باسم «المجموعة الطليطلية» أو «فيلق كلوني» (وهي المجموعة التي صارت بالنسبة للأوربيين المصدر الرئيسي للمعلومات والمعطيات عن الدين الإسلامي على مدى خمسمائة عام تقريباً)^(٣).

وعلى الرغم من أن هذا اللون من المقاربة يراد به النقض والهجوم، إلا إنه يمثل تحولاً في الاتجاه العام لدى نصارى القرون الوسطى من مرحلة المهارات والتلفيقات ونسج الأساطير والخرافات بغرض التنفير، إلى مرحلة متقدمة تعتمد التعرف على الخصم عن كثب، لمجادلته وإثارة الشبهات في وجهه. وقد نسج على منوال بطرس المبجل، فيما بعد، المستشرقون في القرون اللاحقة، كما لاحظ ذلك المستشرق جورافسكي، فقال: (يلاحظ أي باحث موضوعي، أن الأغلبية المطلقة من مستشرقي القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين لم يتخلصوا من المواقف المسبقة الموجهة ضد الإسلام، سواء أكان عداؤها صريحاً مباشراً وعنيفاً، أم كان يتسم بعدم الارتياح تجاه الشعوب الإسلامية)^(٤).

(١) المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي. مجلة الاجتهاد (٢٥/٣٠ - ٢٦).

(٢) انظر: الإسلام والمسيحية (٨٢ - ٨٣).

(٣) الإسلام والمسيحية (٨٤).

(٤) الإسلام والمسيحية (١٠٥).

ثالثاً: أسلوب التبشير «الدعوة إلى التنصر»:

ويمثل هذا الاتجاه الراهب الإيطالي فرنسيس الأسيزي (١١٨٢ - ١٢٢٦م). ويعدّه النصارى من أكبر قديسيهم، وإليه تنسب طائفة الرهبان الفرنسيين. وعمدتهم النص المنسوب إلى المسيح ﷺ: (أذهبوا في العالم أجمع، وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين) (إنجيل مرقس ١٦: ١٥)^(١). وقد قام فرنسيس الأسيزي بنفسه بهذه المهمة، فقد صحب الحملة الصليبية السادسة الموجهة نحو مصر عام ١٢١٩م والتقى الملك الكامل الأيوبي ودعاه إلى النصرانية^(٢).

ومن أشهر الرهبانيات التي انتهجت هذا الأسلوب، وكانت معاصرة من حيث النشأة للفرنسيسكان، طائفة الرهبان الدومينيكان التي أسسها الراهب الإسباني دومنيك (١١٧٠ - ١٢٢١م) وإليها ينسب «توما الإكويني»^(٣) المتوفى سنة ١٢٧٤م، أكبر لاهوتي دومينيكاني.

ويقوم الفرنسيين والدومينيكان بذرع العالم، ويبحث الإرساليات التنصيرية إلى شتى أنحاء المعمورة منذ تأسيسهما في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي حتى يومنا هذا.

ومن الجدير بالذكر أن الدومينيكان قد أسسوا معهداً في القاهرة باسم «معهد الدراسات الدومينيكانية»، انبثقت عنه أولى جمعيات التقارب الديني في البلاد الإسلامية، وهي جمعية «الإخاء الديني» عام

(١) العهد الجديد (١٧٨).

(٢) انظر: الإسلام والمسيحية (٨٧ - ٨٩).

(٣) توما الإكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) ولد في إيطاليا، وعلم في جامعة باريس. معلم الكنيسة وحجتها في اللاهوت والفلسفة المدرسية «سكولاستيك». اطلع على آراء ابن سينا والغزالي وابن رشد عن طريق الترجمات اللاتينية وانتقدها. من مؤلفاته العديدة: الخلاصة اللاهوتية، والخلاصة ضد الأمم. انظر المنجد في الأعلام (١٩٦).

١٩٤١م، كما عقدوا ندوة حوارية حملت اسم الأيام الدومينيكانية^(١).

رابعاً: أسلوب التقارب والحوار:

لعل أقدم تراث نصرائي يشير إلى نزعة التقارب والحوار الديني المفضي إلى تصويب جميع صور العبادات والأديان هو ما جرى به قلم الراهب «رامون لول»^(٢) الذي عاش حقبة الحروب الصليبية في المشرق، والصراع الإسلامي - النصراني في الأندلس. وكانت مدينة «ميورقة» الأندلسية، مسقط رأسه، تضم مسلمين ونصارى ويهود. وقد ألف كتاباً باللغة العربية عنوانه: «الملحد - أو الظريف - والحكماء الثلاثة» (يبين فيه كيف أن «الحكماء الثلاثة»؛ اليهودي والمسيحي والمسلم، أنقذوا «الظريف» «الكافر» من يأسه، إذ حملوا إليه الرسالة نفسها: ليس الإنسان وحيداً. وللعالم معنى)^(٣). ويحكي هذا الراهب، المتأثر بفلسفة ابن عربي - كيف اكتشف هؤلاء الثلاثة وحدة إيمانهم العميقة، وخطيئة انقسامهم.

وقد كان لسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م بأيدي الفاتحين العثمانيين آثاراً بعيدة المدى على جميع المستويات، فقد اهتزت أوروبا من أدناها إلى أقصاها لسقوط مدينة قسطنطين الكبير، وحطم ذلك البقية الباقية من كبرياتها. وكان من آثار ذلك أن (برزت أطروحات ومواقف

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة: د. سعود المولى. دار المنهل اللبناني. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م). (١٤٠). وسيأتي التعريف بالجمعية ومناشطها في الباب الثاني (٩٤٢).

(٢) راهب فرنسيسكاني، ولد في ميورقة عام ١٢٣٢م، زاول التنصير في أفريقيا، وعارض فلسفة ابن رشد. وشجع تعليم اللغات الشرقية. له مؤلفات بالعربية. توفي عام ١٣١٥هـ. انظر: المنجد في الأعلام (٦١٧).

(٣) انظر: الإسلام (١٣٦ - ١٣٨)، الإسلام في الغرب (٢٣٩ - ٢٤٠) لروجيه جارودي.

جديدة كل الجدة في هذا السياق، مثلها نيكولاي كوزاني (١٤٠١ - ١٤٦٤م) ويوحنا سيغوفي، (حوالي ١٤٠٠ - ١٤٥٨م) حيث انطلق الاثنان من رؤية، مؤداها أن الحرب لا تحل الخلاف بين الديانتين. وكلاهما اعتقد أن المحاولات الرامية إلى تحويل المسلمين إلى المسيحية بلا معنى ولا طائل منها، ولم تؤد إلى نتائج إيجابية. ولهذا طالبا بضرورة الكشف عن الفوارق والاختلافات الواقعية، والبحث الجاد عن الأمور المشتركة بينهما. وتماشياً مع هذا المنحى درس نيكولاي كوزاني ويوحنا سيغوفي فكرة وضع أساس راسخ للحوار بين ممثلي هاتين العقيدتين^(١). وقد ألف نيكولاي كوزاني كتابه «سلام الإيمان» في نفس العام الذي سقطت فيه القسطنطينية عام ١٤٥٣م. ثم ألف عام ١٤٦٢م (شرحاً نقدياً للقرآن الكريم «في غريلة القرآن» هادفاً إلى أن يباشر حواراً ينطلق مما هو مشترك بين المسيحيين والمسلمين)^(٢) وكذلك صنع صديقه سيغوفي. وهذه المحاولات في تاريخ دعوة التقريب لدى النصارى دفع إليها هول الصدمة الناتجة عن سقوط القسطنطينية. وقد تلاها سابقة ملفتة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حيث وجه البابا بيوس الثاني ١٤٥٨ - ١٤٦٤م كتاباً إلى السلطان العثماني محمد الفاتح يتضمن بحثاً في مسائل عقدية^(٣)، ودعوة إلى النصرانية، ولكنه كما وصف لودفيغ هاغمان: (تشتم منه رائحة اليأس)^(٤).

وحين ظهرت حركة الإصلاح الديني «البروتستانتية» على يد مارتن لوثر^(٥) (١٤٨٣ - ١٥٤٦م)، بدت وكأنها تتجه نحو الموضوعية في فهم

(١) الإسلام والمسيحية. (٩١).

(٢) الإسلام. روجيه جارودي. (١٣٨ - ١٣٩).

(٣) الإسلام والمسيحية. (٩٢).

(٤) المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي، مجلة الاجتهاد (٢٨/٣٠).

(٥) راهب أوغسطيني. لاهوتي ومفكر وكاتب. بدأ في ألمانيا الإصلاح الديني =

الإسلام، مما أطلق عليه مارتن لوتر «خرافات الأوربيين وجهالاتهم»^(١) حيال الإسلام، ولكنه سرعان ما قلب ظهر المجن، وصب جام غضبه وسبابه المقذع على الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحاصرون فيينا عام ١٥٢٩م^(٢).

و(في عام ١٧٠٥ أصدر هادريان ريلاند «١٦٧٦ - ١٧١٨م» كتابه «الديانة المحمدية» الذي يعتبر أول عرض موضوعي للإسلام من وجهة نظر مسيحية... قامت الكنيسة الكاثوليكية بإلقاء الحرم عليه ومنعه. وفي هذا العصر قدم غولتهولد أفرايم لسنغ (١٧٢٩ - ١٧٨١م) عمله الأدبي «ناتان الحكيم»، الذي وضعه بصيغة رمزية جواباً عن السؤال التالي: أي من الديانات الثلاث، اليهودية، والمسيحية والإسلام تعتبر الدين الحق؟^(٣) ليصل إلى أن كلاً من الديانات الثلاث تعكس وحي الله.

ولكن هذه النبرات التي تحاول أن تتسم بالموضوعية في مطلع القرن الثامن عشر، ظلت خافتة ضعيفة وسط ضجيج التعصب والعماية لأصوات أكثر شهرة وقبولاً من أمثال الكاتب الفرنسي الشهير «فولتير»^(٤)

= «البروتستانتية»، وانفصل عن الكنيسة في شأن الغفرانات، وسلطة البابا، والتبتل، وإكرام القديسين، والمطهر والقداوس. وفي ١٥١٧م نقل التوراة إلى الألمانية، فكانت الترجمة حدثاً دينياً أدبياً، انظر: المنجد في الأعلام (٦١٥).
(١) انظر: المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي. مجلة الاجتهاد (٣٠/٢٩)، والإسلام والمسيحية (٩٧).

(٢) المسيحية والإسلام من التصادم إلى التلاقي. مجلة الاجتهاد (٣٠/٣١).

(٣) فولتير (فرنسوا ماري أراوي) ولد في باريس. مؤلف فرنسي من نوابغ زمانه. أقام في بروسيا وسويسرا. تزعم حركة الفلسفة المادية، وقاوم رجال السلطة الدينية والمدنية، ونقدتهم بقلمه الرشيق اللاذع، كتب في الشعر والتاريخ والمسرح والمراسلة والفلسفة. من مؤلفاته: المحاورات الفلسفية «كنديد»، «زئير»، «محمد»، «شارل ١٢». انظر: المنجد في الأعلام (٥٣٣).

(١٦٩٤ - ١٧٧٨م)، الذي ألف مسرحية بعنوان «التعصب، أو النبي محمد»، ونيز فيها شخص نبينا محمد ﷺ بأبشع الصفات، في عصر يوصف في التاريخ الأوربي بعصر الأنوار. (وبشكل عام يمكن التأكيد، أنه بدءاً من القرن الخامس عشر وإلى نهاية القرن التاسع عشر، نمت المعارف الواقعية عن الإسلام بصورة بطيئة لأقصى الحدود، وضمن وسط محدود جداً من الدوائر العلمية الأوربية)^(١).

ويرى جورافسكي أن (الإرهاصات الأولية، الممهدة فلسفياً ولاهوتياً للحوار الإسلامي - المسيحي، الذي نوقش رسمياً للمرة الأولى في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني) تمت على يد شخصيتين بارزتين:

أحدهما: الفيلسوف الروسي فلاديمير سولوفيفوف «١٨٥٣ - ١٩٠٠»، الذي تدرج في فهمه للإسلام وسر ظهوره التاريخي، وشخصية نبيه محمد ﷺ وكانت ذروة أبحاثه في هذا المضمار في كتابه «محمد: سيرته وتعاليمه الدينية»، الذي ألفه قبل وفاته بأربع سنوات ١٨٩٦م، وفيه يرتقي إلى إثبات نبوة محمد ﷺ حيث يقول: (في مكة ولد هذا الإنسان «النبي محمد»، الذي نفذت من خلاله وعود الرب، التي قطعها حول إسماعيل جد العرب، وجد نبيهم هذا... - ويقول: - لقد كان محمد يملك بالتأكيد عبقرية دينية خاصة... وكل تصرفاته كانت مرهونة - دون شك - بأسانيد دينية واضحة. إن دعوة محمد وأحاديثه عن الله وصفاته وقدراته وعن الوحي الإلهي، وعن الأوامر والنواهي، وعن مصير الأشرار والأخيار، رغم أنها لم تكن كاملة، ولكن هذه المبادئ لم تكن كاذبة مطلقاً)^(٢).

(١) الإسلام والمسيحية (١٠٣).

(٢) عن الإسلام والمسيحية: (١١٦ - ١١٧).

ولا ريب أن هذا الفيلسوف يرصد الإسلام من وجهة نظر النصرانية حين يفتقد في الإسلام بعض عناصر اللاهوت النصراني، فيصفه بعدم الكمال. ودين الإسلام الذي أكمل الله به الدين وأتم به النعمة في غنى عن شهادته وأمثاله، ولكن المقام مقام تبين التدرج التاريخي في مقارنة النصارى لدين الإسلام وفهمه.

ولا ريب أن هذه الكلمات إذا قورنت بقائمة السباب المقذع الذي كان يصدر من كبار مفكري أوروبا ولاهوتيينها خلال القرون الوسطى والحديثة، تبدو تحولاً مهماً وتقدماً في طريق الحقيقة، وإن كان بقي على القوم مراحل. ولأجل هذا الطرح الجريء لفلاديمير سولوفيفوف في نهاية القرن التاسع عشر، عده جورافسكي (أباً مؤسساً لحوار بين الديانات الكتابية - التوحيدية الثلاثة)^(١) على حد تعبيره.

ولعل هذا الفيلسوف اللاهوتي الأرثوذكسي، قد مهد الطريق للشخصية الثانية، الكاثوليكية، التي هيأت للتقارب والحوار في النصف الأول من القرن العشرين وهو: المستشرق الفرنسي: لويس ماسينيون^(٢) ١٨٨٣ - ١٩٦٢م، الذي اشتغل بالدراسات العربية في دمشق والقاهرة، واستهواه التصوف، فكانت أطروحته في الدكتوراه في جامعة السربون بعنوان: (مأساة الحسين بن منصور الحلاج)^(٣)، شهيد الإسلام الزاهد،

(١) الإسلام والمسيحية: (١١١).

(٢) لويس ماسينيون: مستشرق فرنسي، عضو في المجامع العلمية في بلدان عديدة شرقية وغربية، اهتم بنشر مؤلفات الحلاج. ترك آثاراً جمّة في مختلف الشؤون الإسلامية، ولا سيما الصوفية منها. انظر: المنجد في الأعلام (٦٢٨).

(٣) أبو مغيث، فيلسوف من كبار الملحدين، كان يعتقد بالحلول ووحدة الوجود. قبض عليه المقتدر العباسي، وقتل شر قتلة سنة (٣٠٩هـ). له كتب في تقرير كفره وزندقته تربو على الأربعين، اعتنى المستشرقون بسيرته وتعاليمه. انظر: الأعلام (٢/٢٦٠).

وكتب عن ابن سبعين^(١) الصوفي الأندلسي. واتجه إلى فكرة توحيد الديانات الكتابية الثلاث. (وفي رأي الدارسين، فإن مؤلفاته، وإسهاماته العلمية، ومنطلقاته الروحية، ونشاطاته السياسية مهدت الطريق للتحول الكاثوليكي الجذري بشأن الموقف من الإسلام)^(٢).

يقول الأب موريس بورمانس^(٣): (. . . بفعل «مسيحيين نبويين» مثل: ميغيل أسين إي بلاسيوس، ولويس ماسينيون وغيرهما، تجددت نظرة الكنيسة إلى الإسلام، وصارت ترى فيه، علمياً ولاهوتياً، دين توحيد يرتبط بالدعوة الإبراهيمية. . . فكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى إعلان المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٢ - ١٩٦٥م عن علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، الذي أصبح للكاثوليك «شرعة الحوار الإسلامي المسيحي»^(٤).

(١) ابن سبعين (٦١٣ - ٦٦٩هـ) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسى الرقوتي، قطب الدين، أبو محمد، من الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود. من كتبه: الحروف الوضعية في الصور الفلكية، أسرار الحكمة المشرقية، النصيحة. قال ابن دقيق العيد رحمته الله: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته، ولا تعقل مركباته. وقال الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله: «لا نبي بعدي»، ورد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية. الأعلام (٣/ ٢٨٠).

(٢) الإسلام والمسيحية. (١٢٠ - ١٢١).

(٣) ولد في «ليل» - فرنسا - عام ١٩٢٥م. رَسَمَ كاهناً في رهبانية الآباء البيض عام ١٩٤٩م. دكتوراه في الآداب من السربون عام ١٩٧١م، أستاذ اللغة والقانون الإسلامي والروحانية عند المسلمين في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بروما (١٩٦٤ - ١٩٨٤م)، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الكهنوت بروما «أوزيانانا»، مدير المجلة الدولية الإسلامية المسيحية Islamo Christiana، من مؤلفاته: «توجيهات في سبيل الحوار ط ١٩٨١م»، الحوار الإسلامي المسيحي في العشر سنوات الأخيرة ط ١٩٧٨م.

(٤) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: الأب: موريس =

لقد سلك ماسينيون في سبيل التقريب بين الإسلام والنصرانية مسلكين:

أحدهما: مسلك علمي يتجلى بجملة من الآراء والأفكار التي كونها عن الإسلام متأثراً باهتماماته الشخصية بالتصوف، وعلى الخصوص بالحلاج^(١). (إن تصور ماسينيون للدين الإسلامي يستند بالدرجة الأولى، ومن حيث الجوهر إلى النقطتين المركزيتين التاليتين:

١ - انتماء الإسلام للملة الإبراهيمية أو للشجرة الإبراهيمية.

٢ - النهج الذي سلكه الحلاج في تفسيره وممارسته للإشكالية اللاهوتية للإسلام^(٢).

وهذه الثانية تكشف سر حماس ماسينيون للتقارب مع الإسلام. ذلك أن الفرق الهائل بين الإسلام والنصرانية يتركز في مفهوم «التوحيد»، حيث ينعى الإسلام على النصرانية عقيدة الحلول والتجسد في شخص المسيح، ويكفر القائلين بها لمنافاتها للتوحيد الخالص لله رب العالمين. وحيث إن الخلاف في هذه القضية خلاف أساسي مبدئي، فقد وجد ماسينيون في شخصية الحسين بن منصور الحلاج، الصوفي الزنديق، منفذاً يتسلل به إلى المسلمين، بتمجيد زائغ ينتسب إلى الإسلام ويقول بعقيدة الحلول، أي حلول الإله في شخصه، حتى حمله ذلك على أقوال وأفعال كفرية. قال ابن الجوزي^(٣) رحمته الله: (اتفق

= بورمانس. أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين. ترجمة: المطران يوحنا منصور. المكتبة البولسية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٨٦م. (٢٧ - ٢٨).

(١) سيأتي الكلام عنه قريباً.

(٢) الإسلام والمسيحية (١٢٧).

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث. ولد سنة (٥٠٨هـ)، كان كثير التصانيف له نحو ثلاثمائة مصنف، منها: «زاد المسير في علم التفسير»، «المنتظم في تاريخ=

وبالتالي، فقد كان ماسينيون يهدف في دعوته الصريحة إلى التقارب بين الديانتين، ليس إلى الوصول إلى جوامع مشتركة فحسب، بل أساساً إلى استزلال المسلمين إلى القول بعقيدة الحلول وتأنيسها، وتصوير خصومها متزمتين مغلقين ضد «فردٍ متنور» من المسلمين أنفسهم، وليس من خارجهم، وهو الحلّاج، دون أن يمس جوهر النصرانية الشركي القائم على ألوهية المسيح، وبنوته بأدنى تغيير. ويستدل بواقعة الحلّاج الذي أظهر هذه الفكرة واستشهد وصلب في سبيلها بعد مرور ثلاثمائة سنة تقريباً على ظهور الإسلام على أن: (الإسلام مفتوح لفعل الخير، ويحمل في جوهره إمكان - التحول من الداخل)، أو «التجدد والانبعاث الذاتيين». والمفهوم هذا يضعه ماسينيون معارضاً «نقيضاً» لمفهوم «التحول إلى دين آخر» وذلك عبر الأولياء المسلمين الذي يأتي الحلّاج على رأسهم ويشغل مكانة الصدارة بينهم^(١).

وإلى جانب هذه القضية الأساسية التي اتخذها ماسينيون ركيزة أساسية في مشروعه وتفنن في عرضها، يحشد شواهد دينية مشتركة ومواقف تاريخية سلمية لدعم فكرته في التقارب، ويعتقد (أن متابعة بحث تلك المحطات المشتركة - بين الديانتين - من شأنها تهيئة الأرضية الطيبة لحوار لاهوتي مثمر بين المسيحية والإسلام)^(٢).

المسلك الثاني الذي سلكه لويس ماسينيون، وتميز به عن كثير ممن سبقوه أو عاصروه مسلك عملي، لا يكتفي بتحجير الصفحات، وطرح الأفكار من بُعد، بل صاحبه تغلغل في أعماق المجتمع الإسلامي، واهتمام بقضاياها السياسية الساخنة ومناصرتها وتكوين جمعيات الصداقة المختلفة مع المسلمين:

• فقد تعلم اللغات الأساسية التي يتحدث بها المسلمون، وهي

(١) الإسلام والمسيحية. (١٢٥).

(٢) الإسلام والمسيحية. (١٢٧).

العربية والتركية والفارسية، وأتقن العربية حتى صار عضواً في مجعها في دمشق والقاهرة. وحاضر بالعربية.

• توجه للدراسة في الأزهر، وعين أستاذاً في جامعة القاهرة في الفترة ١٩١٢ - ١٩١٣ م.

• صار مديراً لمجلة العالم الإسلامي عام ١٩١٩ م.

• أسس الجمعية الفرنسية الإسلامية عام ١٩٤٧، وجمعية فرنسا - المغرب عام ١٩٥٣ م، وأدان الاستعمار الفرنسي لبلاد المغرب: تونس والجزائر وسجن بسبب ذلك، ووقف مع الفلسطينيين^(١).

هذا من جانب المسلمين، أما نشاطه العملي في سبيل تحقيق فكرته مع أبناء ملته فيتمثل في دعوتهم إلى الاعتراف بـ «المصادقية النسبية» للقرآن، والاعتراف الجزئي «المشروط» بنبوة محمد، وأنه يجب على الكنيسة أن تعترف بالإسلام ومكانته الاعتبارية المستقلة كديانة توحيدية^(٢). (وضمن هذا الفهم تقدم ماسينيون، بمبادرات كثيرة لتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية - الرومانية «الفاتيكان» تجاه الإسلام. ولهذا يرى بعض دارسي مؤلفات ماسينيون والمهتمين بتحليل مواقفه العملية، وأنشطته الاجتماعية والسياسية أن مراسلاته واتصالاته الواسعة مع الهيئات الكاثوليكية العليا، بما في ذلك صداقته الشخصية مع جيوفاني باتيستا مونتيني - الذي أصبح البابا بولس السادس - مهدت التربة - إلى حد معين - للمناقشات التي دارت في المجمع الفاتيكاني الثاني «١٩٦٣ - ١٩٦٥» حول العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية والمسلمين^(٣).

لقد كانت محاولات ماسينيون ذروة المحاولات التاريخية التي تمخضت عنها النصراية طوال ثلاثة عشر قرناً في مقارنة الإسلام.

(١) انظر الأعلام (٢٤٧/٥).

(٢) انظر الإسلام والمسيحية: (١٢٥، ١٢٨).

(٣) الإسلام والمسيحية: (١٢٨).

المبحث الثالث

الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند المسلمين

ثمَّ فارقَ كبير في تناول هذه القضية بالبحث بين المسلمين وغيرهم. ذلك أن بنية الإسلام المتماسكة عقيدة وشريعة، التي تكفل الله بحفظها بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] تحول دون قبول بدعة في الدين، سيما ما يتصل بالأصول الاعتقادية الكبرى؛ من كون دين الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وذلك يقطع طمع كل صاحب هوى وبدعة أن ينسب إلى الإسلام ما ليس منه.

أما النصارى فقد اتخذوا دينهم هزواً ولعباً، وأكثروا التنقل وفق أهوائهم دون ضابط رادع، أو معيار ثابت. فما عقدوا عليه الخناصر، وعضوا عليه بالنواجذ في مجمع، سرعان ما ينقضونه ويتبرءون منه في آخر، وما كان صاحبه ملعوناً محروماً في حقبة من التاريخ، تتغير الأحوال والقيم فيصبح بريئاً مظلوماً. والأمثلة على ذلك كثيرة، فاليهود الذين كانوا ألد أعداء المسيح وأتباعه لقرون متطاولة، أصبحوا في نظر الكنيسة ضحايا الظلم والتعسف، برآء من دم المسيح الذي صلبوه بزعمهم^(١). والعلماء التجريبيون في علوم الطبيعة والفلك وغيرهما الذين خالفوا علم الهيئة الكنسي واستحقوا الحجب والحرق أحياء، باتوا محل

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩ - ٦٣١).

التقدير لإسهاماتهم في حقل المعارف الإنسانية^(١). بل «الماسون»، الذين توالى بابوات روما منذ عام ١٧٣٨م على التّديد بهم وجميعياتهم السّرية، وتحرّيم الانتماء إليها، توقف ذلك عام ١٩٦٥م حين أصدر البابا بولس السادس أمراً بإلغاء تجريم الماسونية^(٢).

أما اليهود فإن سر انكماشهم وانكفائهم على أنفسهم مرده لأسباب عنصرية، وشعور بالكبر والتفوق على سائر البشرية، وليس إلى معيارية دينية يلتزمون بها ويتخرجون من هتكها، فإن القوم أجراً الناس على حدود الله وتعديها بأدنى الحيل.

أما المسلمون المعتصمون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فعندهم من العلم والإيمان ما يعصمهم من اتخاذ دينهم غرضاً للأهواء، ومركباً للمطامع الشخصية أو الجماعية. فلم يقع، ولن يقع - بحفظ الله - في تاريخ السواد الأعظم، أهل السنة والجماعة، أدنى ملابسة تشير إلى مقارنة أهل الكتاب في دينهم ومعتقدهم، والبحث عن صيغة مشتركة، وعقيدة ملفقة يماثلون بها أهل الكتاب. وحاشاهم.

ولكن وقع في غضون التاريخ من بعض المنتسبين إلى الإسلام، الناشئين في أكناف المسلمين، ممن استهوتهم الشياطين، بعض الزنادقة والملحدّين قديماً، والمنهزمين المشبوهين حديثاً، من صار إلى شعبة من هذه الدعوة الخبيثة. ومن ثمّ فالحديث عن الأصول التاريخية عند المسلمين حديث عن شواهد التصقت بجسم الأمة الإسلامية، وليست منها، كما يلتصق الدنس بالبدن. أما الحديث عن ذلك عند الآخرين فحديث عن تحولاتٍ حقيقية، وتغيرات جذرية تجري في صلب عقائدهم، وتنطق بها مجامعهم ومراجعهم المعتمدة. وشتان بين الحالين.

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني (٢٤٦ - ٢٤٩).

(٢) انظر: الماسونية تحت المجهر. د. إبراهيم فؤاد عباس. (٥٨).

ويمكن أن نحدد الأصول التاريخية لظهور دعوة التقريب عند المسلمين بالمحطات التالية:

- غلاة الصوفية من أصحاب وحدة الوجود.
- الفرق الباطنية.
- طلائع العصرانيين.

أولاً: غلاة الصوفية، القائلون بوحدة الوجود:

وهم الذين استزلهم الشيطان فأوحى إليهم أن لا موجود في الكون إلا الله، وأن سائر الأعيان والأشياء والأفعال ما هي إلا مظاهر وجوده، وتجليات أفعاله. ومن ثم فكل ما في الكون هو ذات الحق سبحانه، وكل حركة وسكون، وخير وشر، وطاعة ومعصية، وإيمان وكفر، تنغمر في بحر وحدة الوجود حتى تعود شيئاً واحداً، وتسقط الحواجز والحدود والرسوم بين الذات والغير. وهذا غاية التوحيد عندهم، في عبارات مبهرجة عليها من زخرف القول، وبريق المعنى ما يستهوي كل قلب مفتون^(١).

قال شيخ الإسلام: (وهؤلاء المتفلسفة ومتصوفوهم كابن سبعين وأتباعه، يجوزون أن يكون الرجل يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً يعبد الأوثان. فليس الإسلام عنده واجباً، ولا التهود والتنصر والشرك محرماً، ولكن قد يرجحون شريعة الإسلام على غيرها. وإذا جاء المريد إلى شيخ من شيوخهم، وقال: أريد أن أسلك على يدك. يقول له: على دين المسلمين أو اليهود أو النصارى؟ فإذا قال له المريد: اليهود والنصارى! أما هم كفار؟ يقول: لا، ولكن المسلمون خير منهم. وهذا

(١) انظر ما جمعه محمود عبد الرؤوف القاسم في: «الكشف عن حقيقة الصوفية» (١٠٥ - ٢٦٢).

من جنس جهال التّتر أول ما أسلموا. فإن الإسلام عندهم خير من غيره. وإن كان غيره جائزاً، لا يوالون عليه ويعادون عليه^(١).

وقد أجمع الدارسون على أن من نتائج القول بوحدة الوجود القول بوحدة الأديان.

يقول برهان الدين البقاعي^(٢) رحمته الله: (وعلى هذا الأصل المخبث الخبيث - وهو الاتحاد بين جميع الكائنات، وأنه لا غير، ولا غيرية في شيء من الوجود - فرع صحة كل دين، لأن الفاعل عنده، إنما هو الله^(٣)). وذلك في رده على ابن الفارض^(٤). ويقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل: (آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه،

(١) كتاب الرد على المنطقيين: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. إدارة ترجمان السنة. لاهور - باكستان. الطبعة الرابعة. (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م). (٢٨٢).

(٢) برهان الدين البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، ولد سنة (٨٠٩هـ)، مفسر، محدث، مؤرخ. تتلمذ على أساطين عصره كابن حجر العسقلاني، وابن ناصر الدين. توفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ، وصنف تصانيف عديدة منها: «المناسبات القرآنية» وعنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، و«تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» وغيرها. انظر: الأعلام (٥٦/١).

(٣) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. طبعة (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م) (٢٤٠ - ٢٤١).

(٤) ابن الفارض: عمر بن مرشد، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين، ابن الفارض. ولد سنة ٥٧٦هـ. تصوف حتى صار من كبارهم، ونظم الشعر حتى صار أشعر المتصوفين، في شعره كفر صراح من القول بوحدة الوجود، وقد جمع شعره سبطه علي في ديوان باسمه وشرحه كثيرون، مات سنة (٦٣٢هـ)، كفره نحو أربعين عالماً. انظر: الأعلام (٥٥/٥) وتحذير العباد من أهل العناد للبقاعي.

هذه الأسطورة - أسطورة وحدة الوجود - استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام، وافترته أساطير الخيال، وفارت به الشهوات، أو ما أوحاه الله إلى رسله، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم، بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك، وبأن الإسلام على هداه وقدس، عين الدين المجوسي في ضلاله ورجسه^(١).

بل قد أدرك هذا المعنى كبار المستشرقين من أمثال: ر. ا. نيكلسون^(٢)، حيث يقول: (ومن لوازم مذهبهم في وحدة الوجود أيضاً قولهم بصحة جميع العقائد الدينية أياً كانت)^(٣). وجولدتسيهر^(٤) يؤكد

(١) هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب العلمية - بيروت لبنان. الطبعة الرابعة ١٩٨٤م. (٩٣)، وانظر في هذا المعنى الرسالتين العلميتين: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها على الأمة الإسلامية. إدريس محمود إدريس (٢٧٧)، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة محمد أحمد لوح (٥٦٠)، وابن عربي دراسة وتحليل. سميح عاطف الزين (١٠٠ - ١٠٤)، وأصول التصوف. د. عبد الله حسن زروق (٧٩)، ونظرات في معتقدات ابن عربي. د. كمال محمد عيسى (٥٥).

(٢) ر. ا. نيكلسون: رينولد ألين نيكلسون Reynold Allen Nicholson مستشرق إنجليزي، ولد سنة (١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م). أولع من صباه بالمشرقيات وتعلم في جامعتي أبردين وكمبردج، وتخرج منها سنة ١٨٩٣م وتعلم العربية والفارسية، وتخصص في التصوف الإسلامي، وأصدر: «مختارات من ديواني شمسي تبريزي» و«تذكرة الأولياء» للعطار، وألف في التصوف: «الصوفية في الإسلام» و«دراسات في التصوف الإسلامي» وغيرها. وتوفي سنة (١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م)، انظر: الأعلام (٣/ ٣٩). ومقدمة الصوفية في الإسلام.

(٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه (٨٨).

(٤) إجناس جولدتسيهر Ignas Goldziher، مستشرق مجري يهودي، ولد سنة (١٢٢٦هـ = ١٨٥٠م)، رحل إلى البلاد العربية، وصنف في الإسلام والأدب =

أنه (مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للإسلام، فلغالبيتهم نزعة مشتركة إلى محو الحدود الفاصلة بين العقائد والأديان. وعندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول إليها)^(١).

ونسوق أدناه أمثلة صريحة لهذه الزندقة التي تفوه بها بعض كبار المتصوفة:

• قال ابن عربي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني^(٢)
وقال أيضاً:

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه^(٣)
ويقول معللاً مذهبه الكفري هذا: (فإياك أن تتقيد بعقد
مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر

= العربي باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجم إلى العربية كتابه
«العقيدة والشرعة في الإسلام» وفيه شبهات ومطاعن. وأخرج جزءاً كبيراً من
كتاب «فضائح الباطنية» للغزالي. توفي في بودابست سنة (١٣٤٠هـ =
١٩٢١م). انظر: الأعلام (١/٨٤).

(١) العقيدة والشرعة. (١٧٠).

(٢) ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق «ديوان ابن عربي» د. محمد الشقيري،
عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. الطبعة الأولى
(١٩٩٥م). (٢٤٥).

(٣) فصوص الحكم. لابن عربي (٣٤٥).

على ما هو عليه. فكن في نفسك هيولى^(١) لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد... فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه^(٢).

• ويقول عصره ونظيره في الزندقة ابن الفارض:

تنزهت في آثار صناعي منزهاً
فبي مجلس الأذكار سَمْعُ مطالع
وما عقد الزنار حكماً سوى يدي
وإن نار بالتنزيل محراب مسجد
وأسفار توراة الكليم لقومه
وإن خر للأحجار في البُذ^(٣) عاكف
فقد عبد الدينار معنى منزلة
وما زاغت الأبصار من كل ملّة
وما احتار من للشمس عن غرة صبا
وإن عبد النار المجوس وما انطففت
فما قصدوا غيري وإن كان قصدهم
رأوا ضوء ناري مرة فتوهمو

عن الشرك بالأغيار جمعي وألفتي
ولي حانة الخمار عين طليعة
وإن حل بالإقرار بي فهي حَلَّتْ
فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
يناجي بها الأحبار في كل ليلة
فلا وجه للإنكار بالعصبية
عن العار بالإشراك بالوثنية
وما راغت الأفكار في كل نحلة
وإشراقها من نور إسفار غُرَّتِي
كما جاء في الأخبار في ألف حجة
سواي وإن لم يظهروا عقد نيتي
ه ناراً، فضلوا في الهدى بالأشعة^(٤)

(١) «الهيولى» (لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة. وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين: الجسمية والنوعية). التعريفات: الجرجاني علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثانية (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م). (٣٢١).

(٢) فصوص الحكم. (١٩١).

(٣) البُذ: بيت الأصنام.

(٤) ديوان ابن الفارض د. عبد الخالق محمود. عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ط ١٩٩٥م (٣٠٨ - ٣٠٨).

وقد نقل البقاعي رحمته الله عن بعض شراح هذه الأبيات - ولم يسم - قولهم: (إنه مهد في هذه الأبيات أعذار كل فرقة، وإن كل صاحب ملة ونحلة - وإن بطل سعيه - على نصيب من الهدى. فعباد النار غير مؤاخذين من جميع الوجوه، بل من وجهٍ دون وجه، ولا لوم على أحد، بل لكل واحد وجه، ومحمل خير يحمل عليه، فكلٌ يعمل على شاكلته، وكذا عابد الأصنام، قالوا: لا تنكر عليه، فإن أنكرت لم يكن إنكارك إلا تعصّباً؛ لأنك لا تنكر على المقبل على الدنيا، مع أنه أقوى شركاً من عابد الصنم! وقالوا: كما أن القرآن نور المساجد، فكذلك الإنجيل نور المعابد. وقالوا نحو هذا في التوراة، وفي عابد الشمس: إنه بآثبات عين الألوهية لم يكن ناقصاً، فقام له عذرٌ من وجه من الوجوه. وذلك كاف للكريم)^(١)، ثم عقب قائلاً: (ولا يقول بشيءٍ من هذا مسلم)^(٢).

• وقال عبد الكريم الجيلي^(٣):

(وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ومالي عن حكم الحبيب تنازع
فطوراً تراني في المساجد راکعاً وإنّي طوراً في الكنائس راتع
إذا كنتُ في حكم الشريعة عاصياً فإنّي في علم الحقيقة طائع)^(٤)

• وقال جلال الدين الرومي^(٥): (من قصيدة مترجمة عن الفارسية).

(١) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي. (٢٤٢).

(٢) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي. (٢٤٢).

(٣) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولد سنة (٧٦٧هـ) من كبار المتصوفة، له كتب كثيرة منها: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل»، وأكثرها لا يزال مخطوطاً، توفي سنة (٨٣٢هـ). انظر: الأعلام (٥٠/٤).

(٤) فصوص الحكم (٢١٢).

(٥) جلال الدين الرومي: شاعر صوفي فارسي. ولد سنة (٦٠٤هـ = ١٢٠٧م) =

انظر إلى العمامة أحكمتها فوق رأسي .
 بل انظر إلى زنار زرادشت حول خصري .
 أحمل الزنار وأحمل المخلاة...
 مسلمٌ أنا، ولكنني نصراني وبرهمي وزرادشتي...
 ليس لي سوى معبد واحد، مسجداً كان أو كنيسة أو بيت
 أصنام^(١).

وينقل عنه ر.أ. نيكلسون شعراً:

إن يكن في الدنيا محب - أيها المسلمون - فأنا ذلك المحب .
 إن يكن في الدنيا مؤمنٌ، أو كافر، أو راهب نصراني، فأنا
 هو...

أنا الشنتان وسبعون فرقة ومذهباً في الدنيا، وأقسم بربي أنها
 ليست شيئاً غيري^(٢) ومن هنا استنتج هذا المستشرق أن (هذه المذاهب
 - منطقياً^(٣) - تلغي كل قانون ديني أو أخلاقي. وليس عند خيال العارف
 مثوبات أو عقوبات ربانية، ولا مقاييس للحسن أو القبيح... ومن هنا
 كانت جميع أشكال الأديان متساوية، وليس الإسلام بأفضل من الوثنية.
 وليس شيئاً عقيدة يعتقدها الإنسان، أو شعيرة يؤديها)^(٤).

= في بلخ إيران يلقب بجلبلي أفندي، أسس الطريقة المولوية. ارتحل إلى مكة
 والشام، ثم استقر في قونية وتوفي بها سنة (٦٧٢هـ = ١٢٧٣م). من آثاره:
 «المثنوي» منظومة صوفية شهيرة، و«الروض الكبير» و«الصغير». انظر: المنجد
 في الأعلام (٢١٥) الطبعة السابعة، ومعجم المؤلفين (١٥٣/٣).

- (١) في التصوف الإسلامي وتاريخه، (٩٤).
- (٢) الصوفية في الإسلام: د.ر.أ. نيكلسون. ترجمة وتعليق: نور الدين شريه،
 مكتبة الخانجي. القاهرة - مصر. طبعة (١٣٧١هـ = ١٩٥١م) ص ١٥١.
- (٣) أي كنتيجة منطقية للقول بوحدة الوجود.
- (٤) الصوفية في الإسلام. (٨٥).

ثانياً: الفرق الباطنية:

يطلق هذا الاسم «الباطنية» على جملة من الفرق والحركات والاتجاهات الكفرية، ويجمعها جميعاً مبدأ التحلل من النصوص الشرعية في العقائد والأعمال، بدعوى أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً. وجعلوا التأويل رسالة الأئمة. وراموا بذلك التحلل من نصوص الشرع كلها، وإدخال أديانهم الباطلة على الإسلام باسم الإسلام، وكل يتدين بدينه باسم الإسلام. قال أبو حامد الغزالي^(١) (إن الباطنية إنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة)^(٢).

وقد نشأت معظم هذه الفرق وتفرعت عن شجرة «الرفض» الخبيثة، حيث لا ضابط من نقل صحيح، أو عقل صريح، أو دين رادع. وإنما هي أهواء تتجاري بأصحابها كما يتجاري الكلب بصاحبه. ولكن القوم أدّرعوا بغلالة رقيقة من الإسلام زوراً ونفاقاً ليدفعوا عن أنفسهم غوائل سوء، وإلا فهم كما وصفهم الغزالي، وفضحهم بقوله: (ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض)^(٣).

قال عبد القاهر البغدادي^(٤): (الذي يصح عندي من دين الباطنية

(١) محمد بن محمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، زين الدين، الطوسي، ولد عام (٤٥٠هـ)، كان من كبار الشافعية وعظماء الفلاسفة والصوفية، من مصنّفاته: «إحياء علوم الدين»، «الوجيز»، «الوسيط»، «السيط»، وغيرها. توفي عام (٥٠٥هـ). انظر: الأعلام (٢٢/٧)، وفيات الأعيان (١/٤٦٣)، طبقات الشافعية (٤/١٠١)، شذرات الذهب (٤/١٠)، مفتاح السعادة (٢/١٩١)، آداب اللغة (٣/٩٧).

(٢) فضائح الباطنية (١١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أبو منصور، عالم متفنن من أئمة الأصول، =

أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها، لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع»^(١).

إخوان الصفا:

ومن أقدم مآثوراتهم الخبيثة جملة من الرسائل تبلغ اثنتين وخمسين رسالة، عرفت باسم: «رسائل إخوان الصفا، وخلان الوفا» اعتنى بإخراجها وقدم لها بطرس البستاني^(٢)، وقال في مقدمتها: (تألفت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري^(٣)) «القرن العاشر للميلاد»، وكان موطنها البصرة، ولها فرعٌ في بغداد، ولم يعرف من

= ولد ونشأ في بغداد ورحل إلى خراسان ثم فارقها إلى أسفرائين، من تصانيفه «الفرق بين الفرق» و«أصول الدين» و«الناسخ والمنسوخ» وغيرها. توفي سنة (٤٢٩هـ). انظر: الأعلام (٤٨/٤)، وفيات الأعيان (٢٩٨/١)، طبقات السبكي (٢٣٨/٣)، فوات الوفيات (٢٩٨/١)، مفتاح السعادة (١٨٥/٢).

(١) الفرق بين الفرق: عبد القادر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة. بيروت - لبنان. (٢٩٤).

(٢) بطرس البستاني (١٣١٦ - ١٣٨٩هـ = ١٨٩٨ - ١٩٦٩م): بطرس بن سليمان بن حسن أفرام البستاني. أديب لبناني، حسن الأسلوب من مواليد دير القمر. تعلم المبادئ وأحسن الفرنسية. عمل في الصحافة، وألف كتباً منها: أدباء العرب، معارك العرب، آداب المراسلة. وأشرف على طبع كتب منها: لسان العرب. انظر: الأعلام (٥٩/٢).

(٣) تميز القرن الرابع الهجري باستيلاء الرافضة على معظم الممالك الإسلامية، فقد استولى البويهيون على مقر الخلافة العباسية في العراق، منذ عام ٣٣٤، وتملكوا بلاد فارس وسائر المشرق. وظهر القرامطة قبلهم في الأحساء والبحرين وعمان واليمن وأجزاء من الشام منذ ٢٧٨هـ حتى ٤٦٦هـ، وانطلق العبيديون من المغرب عام ٢٩٦، واحتلوا مصر عام ٣٥٨هـ، ثم بلاد الشام حتى قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٨هـ. وهكذا عم الرفض الأرض في القرن الرابع. وفي ظلهم ترعرعت هذه الجماعات الخبيثة. راجع مبحث نبذة تاريخية في التمهيد.

أشخاصها سوى خمسة يتغشاهم الغموض والشك، ولا يسفر اليقين عن حقيقة أمرهم بما يطمئن إليه الخاطر، وينشرح له الصدر لما كانوا عليه من التستر والاكتنام^(١).

ويتضح بجلاء لقارئ تلك الرسائل أن أولئك «الإخوان» جماعة شيعية سرية منظمة، تعتمد أسلوب الدعوة الفردية، للتغلغل في مختلف طبقات الناس، واقتناص من سبقت لهم من الله السواى. وتنقسم تلك الرسائل إلى أربعة أقسام: رياضية تعليمية، وجسمانية طبيعية، ونفسانية عقلية، وناموسية إلهية. وقد استمدوا معلوماتهم من كلام الفلاسفة، وزوّقوه بالنصوص الشرعية، فأولوها تأويلاً باطنياً، وصاغوا ذلك بأسلوب متأدب متلطف، وصدّروا فصولها بقولهم: (اعلم أيها الأخ البار الرحيم). وقد صرحوا في غير ما موضع:

(أن علومنا مأخوذة من أربعة كتب:

• **أحدها:** الكتب المصنفة على السنة الحكماء والفلاسفة، من الرياضيات والطبيعات.

• **والآخر:** الكتب المنزلة التي جاءت بها الأنبياء، صلوات الله عليهم، مثل التوراة والإنجيل والفرقان، وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة، وما فيها من الأسرار الخفية.

• **والثالث:** الكتب الطبيعية: وهي صور أشكال الموجودات، بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك، وأقسام البروج، وحركات الكواكب، ومقادير أجرامها، وتصاريق الزمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر. كل هذه صور وكنيات دالات على معانٍ لطيفة

(١) مقدمة رسائل إخوان الصفاء (٥/١) وانظر في تحقيق نسبتها كتاب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي. د. محمد أحمد الخطيب (١٦٩ - ١٧٧).

وأسرار دقيقة، يرى الناس ظاهرها، ولا يعرفون معاني بواطنها من لطيف صفة الباري جل ثناؤه.

• والنوع الرابع: الكتب الإلهية التي لا يمسه إلا المطهرون الملائكة، التي هي بأيدي سفرة كرام بررة...^(١).

ولا أظن باطنياً جاء بعدهم، إلا واستقى من هذا المستنقع الآسن، حتى إذا تضلع منه، واستروح زخمه ومنتنه، قاءه دعاوى ومفتريات، وهو قائم على باب من أبواب جهنم من أجابه قذفه فيها، وأورده إياها، وبش الورد المورود.

وقد نقل البستاني عن المستشرق دي بور قوله: (إن آراء إخوان الصفاء ظهرت في جملتها من جديد عند فرق كثيرة في العالم الإسلامي: كالباطنية والإسماعيلية والحشاشين والدروز، وقد أفلحت الحكمة اليونانية في أن تستوطن الشرق، وذلك عن طريق إخوان الصفاء)^(٢).

وقد تبين من سرد مصادرهم الأربعة منزلة الأديان عندهم، وكونها على حد سواء، وأن كتبها المنزلة من توراة وإنجيل وفرقان، وغيرها من صحف الأنبياء - كما زعموا - على درجة واحدة في المرجعية، بالإضافة إلى المصادر الثلاثة الأخرى. ولهذا نجدهم يهونون في مواضع كثيرة من شأن اختلاف الشرائع، ويجوزون الجميع، ويسوغونه بما يفضي إلى القول بوحدة الأديان. فمن ذلك قولهم: (اعلم أن اختلاف الشرائع ليس بضار، إذا كان الدين واحداً، لأن الدين هو طاعة وانقياد للرئيس الأمر فيما يأمر وينهى المرؤوسين بحسب ما يليق

(١) رسائل إخوان الصفاء (٤٢/١٠).

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام (١١٣)، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. عن المرجع السابق (٧/١).

بواحدٍ واحد، وما يرى أنه يصلح له ويصلح فيه، لأن أوامر أصحاب النواميس، ونواهيهم مماثلة لأمر الطبيب الرقيق الشفيق، فيما أمر العليل من الحمية في الصيف من تناول الأشياء الحارة بالطبع، وإجازته شرب المبرّدات في البلدان الحارة، وفيما يرى ويأمر له...

فهذا الوجه أيضاً اختلاف العلماء رحمة، واختلاف أهل الديانات في أمر الدين، وسنن أحكامه، حكمة جليلة لا يعرفها إلا المحققون المستبصرون^(١). فجعلوا اختلاف الأديان كاختلاف المذاهب في الدين الواحد، والكل سائغ صحيح.

بل إن مذهبهم الباطني يتسع لكل شيء، ويقبل كل نحلة وملة، ولا يعادي أحداً. وبهذا يتواصون قائلين: (ينبغي لإخواننا، أيدهم الله تعالى، أن لا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها)^(٢).

ومن ثم تتمحق الأديان كلها، في ساح الباطنية الفساح، فلا يميز دين من دين، ولا دين من ملة، ولا ملة من نحلة، ولا آية محكمة من فلسفة مظلمة. ومن لبان هذه المعاني ارتضع أرباب وحدة الوجود، ودهاقنة الباطنية. فقد حكى بطرس البستاني (أن سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين من عظماء الإسماعيلية ورؤسائها كان يكب على مطالعة رسائل إخوان الصفاء)^(٣).

وقال مصطفى غالب - الكاتب الإسماعيلي المعاصر -: (هذا هو دين الحب الإنساني الذي بشروا به ودعوا إليه. ومن الطبيعي أن يتأثر بأفكارهم هذه عباقرة الفلاسفة من المتصوفين، وعلى رأسهم

(١) رسائل إخوان الصفا. (٩/٤٨٧، ٤٩١).

(٢) رسائل إخوان الصفا. (٧).

محيي الدين بن عربي الذي نادى بدين الحب ووحدة الوجود ووحدة المعبود^(١).

البهائية:

ومن فروع هذه الشجرة الباطنية الخبيثة، فرقة «البهائية»، المنسوبة إلى مؤسسها الميرزا حسين علي المازندراني^(٢)، المتلقب بـ «البهاء» أو «بهاء الله»، الفارسي، المولود سنة ١٢٣٣هـ، الذي ورث دعوة «البابية» إثر إعدام مؤسسها الباب، علي بن محمد الشيرازي^(٣) سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م. وكلا الداعيين أفكاً أثيم، عُتِلَّ زَنيماً، ادعى ما ليس له، وتشبع بما ليس فيه، ولكن البهاء كان أكثر مراوغة وذكاء، واحتماء بأعداء الإسلام، فاستحالت دعوته دعوة عالمية، واسعة الانتشار، وإن

(١) إخوان الصفا. مصطفى غالب (١١٧ - ١١٨) عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (١٨٥).

(٢) البهاء (١٢٣٣ - ١٢٠٩هـ): حسين علي نوري بن عباس بن بزرك، الميرزا، المعروف بالبهاء، أو بهاء الله. رأس «البهائية» ومؤسسها. إيراني مستعرب، أصله من «مازندران». اعتنق دعوة «البابية»، واتهم بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال شاه إيران، فاعتقل ونفي إلى بغداد. دعا إلى بدعته في العراق والآستانة، فنفي إلى أدرنة ثم إلى سجن عكا. ثم أفرج عنه والتف حوله مريدوه، ودفن في حيفا. من آثاره: «الأقدس»، و«الإيقان»، و«الهيكل»، انظر: الأعلام (٢/٢٤٨).

(٣) الباب (١٢٣٥ - ١٢٦٦هـ): علي محمد ابن الميرزا رضي البزاز الشيرازي. مؤسس البابية، التي هي أصل البهائية. إيراني. تقشف في صباه، فكان يمكث في الشمس ساعات عديدة، وأثر ذلك في عقله، ولما بلغ الخامسة والعشرين سنة ١٢٦٠هـ جاهر بعقيدة ظاهرها توحيد الأديان وقوامها تلفيق دين جديد. فادعى أنه «الباب» ثم «المهدي المنتظر» وتبعه خلق كثير. قام عليه علماء الشيعة، فحوكم وسجن، ثم قتل رمياً بالرصاص. له كتاب «البيان» وغيره. انظر: الأعلام (١٧/٥).

كانت قليلة الأتباع^(١). وساعده على ذلك مناداته بالتقارب بين الأديان، والوحد العالمية^(٢)، ونسخ الجهاد، والتنصل من أحكام الإسلام، وموالة اليهود والنصارى، وهي مسوغات كافية لدعمه وتشجيعه وتمكين أتباعه، من قبل الاستعمار الإنجليزي والروسي في ذلك الزمان.

يقول الميرزا حسين المازندراني «البهاء»: (يا علماء الأمم غضوا الأعين عن التجانب، وانظروا إلى التقارب والاتحاد، وتمسكوا بالأسباب التي توجب الراحة والاطمئنان لعموم أهل الإمكان)^(٣).

وهو لا يدعو إلى مجرد إقرار جميع الديانات القائمة، ولكنه يدعو إلى وحدة الأديان بالانسلاخ من الأديان السابقة، واعتناق ديانة ملفقة نحتها عقله المأفون من جميع الأديان، ونسخت ما سبقها. فالبهائية (ليست ديناً جديداً: إنها الديانة المجردة، والتي تقوم على قمة أهرامات الديانات البرستنتية والكاثوليكية والإسلامية واليهودية والبوذية... إلخ التي تتصارع بعضها مع بعض، وهي تحاول أن تجلب الجميع رغم أنوفهم إلى صفوفها، لأنها وحدها فقط الديانة الحقيقية، وكل الديانات الأخرى خاطئة، وغير صحيحة)^(٤). ولهذا يقرر أنه (ليس لأحد أن

-
- (١) انظر في تاريخ هاتين الدعوتين وعقائدهما: حقيقة البابية والبهائية: د. محسن عبد الحميد. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، دمشق - سوريا. الطبعة الثانية (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م)، البهائية: تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، عبد الرحمن الوكيل، البابية: عرض ونقد. إحسان إلهي ظهير، البهائية. السيد محب الدين الخطيب، البهائية والقاديانية: د. أسعد السحمراني.
- (٢) يقول المستشرق جولد تسيهر: (بيننا البابية، في حقيقتها ترمي إلى إصلاح الإسلام، يتقدم بهاء الله بفكرة واسعة النطاق، وهي إيجاد ديانة عالمية يتحقق بواسطتها الإخاء الديني بين الناس كافة) العقيدة والشريعة في الإسلام (٢٧٥).
- (٣) نبذة من تعاليم بهاء الله. (١٢٣). عن حقيقة البابية والبهائية. (٢٠٧ - ٢٠٨).
- (٤) مقالة عن البهائية، للمستشرق الفرنسي دريفوس ص ٨ نقلاً عن البهائية والقاديانية د. أسعد السحمراني. (٨٨).

يتمسك اليوم إلا بما ظهر في هذا الظهور. هذا حكم الله من قبل ومن بعد، وبه زين صحف الأولين^(١).

ومن ثم فقد نادى البهاء (أن يتحد العالم على دين واحد، ويصبح جميع الناس إخواناً، وتتوثق عرى المحبة والاتحاد بينهم، وتزول الاختلافات الدينية)^(٢)، ولكن كيف تزول الاختلافات الدينية، ويتحد العالم على دين واحد؟ يكون ذلك بالدعوة إلى «الديانة العالمية» والتبشير بها، وهي البهائية الملفقة من شظايا الديانات الأخرى. يقول عباس عبد البهاء^(٣) - ابن مؤسس الفرق البهائية: (لقد خطر ببالي أن أطوف البلاد الغربية، وأدعو في المتدييات الكبرى، وفي الكنائس، إلى وحدة العالم الإنساني حسب تعاليم حضرة بهاء الله، وأروج فكرة الصلح العام، وأرفع عقيرتي على قدر استطاعتي وأقول للعالم: الحمد لله لقد طلعت شمس الحقيقة من أفق الشرق^(٤)، وأرسلت أشعتها على جميع العالم، وإن أشعتها هي تعاليم السماء فهي تدعو العالم بأجمعه إلى الاتحاد والسلام العام، وإلى التحري عن الحقيقة، وتأسيس التآلف والمحبة بقوة الدين، وتحكيم العلم والعقل والدين في المعاملات)^(٥).

(١). الأقدس. (١٢). عن البهائية والقاديانية (٨٦).

(٢). بهاء الله والعصر الجديد. ل: أسلمنت ج. أ. (١٢١). عن البهائية والقاديانية (٩١).

(٣). عباس عبد البهاء (١٢٦٠ - ١٣٤٠هـ): عباس عبد البهاء بن حسين علي نوري، الملقب بالبهاء. صحب أباه في نفيه إلى العراق والأستانة وأدرنة وعكا. خلف أباه في قيادة البهائية وتنظيم جماعتها سنة ١٣٠٩هـ. زار أوروبا وأمريكا عامي (١٣٣٠، ١٣٣١هـ)، وعاد إلى فلسطين، فمات بحيفا. وله أتباع في أوروبا وأمريكا وغيرها من دول العالم. من رسائله، مكاتيب عبد البهاء، الخطابات. انظر: الأعلام (٢٦١/٣).

(٤). الحقيقة أنها شمس طلعت بين قرني شيطان من مشرق الفتن.

(٥). من رسالة بعث بها عبد البهاء إلى مدير مجلة المشرق البريطانية عام ١٩١٣. نقلاً عن المصدر السابق (٩٥).

لقد جهر البهاء بما أسره إخوان الصفاء بعد تسعة قرون. وهلك بعد ألف سنة من مهلك سلفه الحلاج سنة ١٣٠٩هـ.

ثالثاً: طلائع العصرانيين:

لعل أول من جهر بالدعوة إلى التقريب بين الأديان من الإسلاميين في العصر الحديث مؤسس المدرسة العصرانية الحديثة، وواضع لبناتها الفكرية الأولى: جمال الدين الأفغاني^(١)، إذ يقول: (.. هكذا نجد الأديان الثلاثة: الموسوية، والعيسوية والمحمدية على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، إذا نقص في الواحدة شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية... لقد لاح لي بارق أمل كبير: أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثل ما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة.

وأخذت أضغ لنظريتي هذه خططاً، وأخط أسطراً، وأحبر رسائل للدعوة، كل ذلك وأنا لم أخالط أهل الأديان كلهم عن قرب وكتب، ولا تعمقت في أسباب اختلاف حتى أهل الدين الواحد، وتفرقهم فرقاً

(١) هو محمد بن صفدر، ولد سنة ١٢٥٤هـ ١٨٣٨م، قيل في أسعد آباد التابعة لولاية كتر من أفغانستان، وقيل في أسد آباد التابعة لهمدان في إيران. كما اختلف في نسبه فقيل إنه شريف ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي عليه السلام، وقيل بل هو فارسي الأصل. وقد طوّف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية وكتب في الصحف، وألف الكتب، ودعا إلى ما أسماه بـ«الجامعة الإسلامية». وشخصيته غامضة مريبة، اتهم بالرفض وبالانخراط في الماسونية. توفي سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م. انظر: الأعلام ١٦٨/٦ - ١٦٩، دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام (٩ - ٥٤). جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب (دار الكتاب العالمي) بيروت - لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م). (١٥ - ٧٤).

وشيعاً وطوائف. ولكن لما علمت أن دون اتحاد أهل الأديان تلك الهوات العميقة، وأولئك «المرازبة»^(١) الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة «حانوت»، وكل طائفة كمنجم من مناجم الذهب والفضة، ورأس مال تلك التجارات ما أحدثوه من الاختلافات الدينية والطائفية والمذهبية... علمت أن أي رجل يجسر على مقاومة التفرقة، ونبذ الاختلاف، وإنارة أفكار الخلق بلزوم الائتلاف، رجوعاً إلى أصول الدين الحق فذلك الرجل هو هو، يكون عندهم قاطع أرزاق المتجرين في الدين، وهو هو في عرفهم الكافر الجاحد المارق المخردق المهرتق، المفرق.. إلخ.. إلخ»^(٢).

• ويتبين من هذا النص ما يلي:

١ - أن «وحدة الأديان» في نظر الأفغاني لا تقتصر على الاتفاق في المبدأ والغاية - مع أن هذا غير مسلم بعد ما طرأ التحريف على اليهودية والنصرانية - ولكنها تعني أيضاً «التلفيقية» بدليل قوله: إذا نقص في الواحدة شيء استكملته الثانية.

٢ - أنه لا يرى «الإسلام» ناسخاً لما قبله من الأديان، ولا «مهيماً» عليها، بل ينظر إلى الأديان الثلاثة على حد سواء.

٣ - وبه يتبين أي لون من الائتلاف كان يدعو إليه، وأي لون من

(١) جمع مرزبان (هو بضم الزاي: أحد مرازبة الفرس. وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك. وهو معرّب) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية. بيروت - لبنان. طبعة (١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م). (٣١٨/٤).

(٢) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، د. محمد عمارة. القاهرة، ٢٩٦٨م. (٢٩٠ - ٢٩٥).

الاختلاف كان ينبذه، فهو يريد بها ديانة فضفاضة ينضوي تحت لوائها كل جاهل زنديق لا يقيم وزناً للحدود والرسوم، بل يردد شعارات عامة لا تلتزم بما جاء به ﷺ من الهدى ودين الحق. وهذا ما يفسر المقاومة العنيفة التي قوبلت بها دعوته من وصفه بالكفر والجحود والمروق... إلخ مما أفصح عنه، وعد ذلك محافظة على الأرزاق والنفوذ من قبل معارضيه المتجرين بالدين بزعمه.

٤ - وأخيراً، فإن هذا الاعتراف الشخصي يدل على قدم الفكرة في ذهنه وعشعتها في خياله في مستقبل عمره، قبل أن يخالط أهل الأديان في الهند وإيران وبريطانيا وفرنسا وروسيا، كما يدل على تخطيط وعمل ودعوة لهذه الفكرة بكتابة الرسائل والتأليف. ثم جاءت سيرته الذاتية شاهداً عملياً على نظريته في توحيد الأديان، فقد كان تلاميذه خليطاً من اليهود والنصارى^(١).

وقد تبعه على هذا المنهج أخص تلاميذه، وأشهرهم نسبةً إليه، وهو الشيخ محمد عبده^(٢)، الذي حدث عن نفسه قائلاً: (في أثناء نفيي

(١) انظر: المصريون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م). (٣٦٨ - ٣٦٩).

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، التركماني، ولد عام ١٢٦٦هـ - ١٨٤٩م في قرية محلة نصر في مصر. تعلم بالجامع الأحمدى بطنطا، ثم بالأزهر، وتصور وتفسر، ولما قدم جمال الدين الأفغاني إلى مصر عام ١٨٧١م اتصل به وافتن به. ناصر الثورة العربية فسجن ثم نفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٢٩هـ - ١٨٨١م. ثم سافر إلى باريس، والتقى بشيخه الأفغاني، وأصدر معاً جريدة «العروة الوثقى» وعاد إلى مصر عام ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م، وعين قاضياً. وتوثقت صلته باللورد كرومر، المندوب السامي لبريطانيا أثناء احتلالها لمصر. ثم ولي منصب المفتي العام للديار المصرية عام (١٣١٧هـ = ١٨٩٩م). وتوفي بالإسكندرية عام (١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م). انظر: الأعلام (٦/ ٢٥٢)، الفكر الإسلامي المعاصر (١٣ - ٥٤)، الإمام محمد عبده. جدلية العقل والنهضة.

في دمشق سنة ١٨٨٣م كان أحد القسس في إنجلترا واسمه «إسحاق تيلور»^(١) يقوم بالدعاية لتوحيد الإسلام والنصرانية، على أساس فكرة التوحيد الموجودة في الإسلام، والموجودة عند الكنيسة الإنجيليكية^(٢). وكان لي صديق فارسيّ «اسمه ميرزا باقر»^(٣)، يعتقد إمكان تحقيق هذه الفكرة. وقد تمكن هذا من إقناعي أنا وآخرين من علماء دمشق بكتابة رسالة إلى تيلور في الموضوع. وما إن وصلت هذه الرسالة إلى القس تيلور حتى فرح بها ونشرها، مستعيناً بها على إثبات صحة دعواه^(٤). ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تابع الإيراني المتذبذب ميرزا باقر مهمته للجمع بين رجالات الدينين الإسلامي والنصراني لتحقيق فكرة التقريب. ويصف محمد رشيد رضا^(٥)، تلميذ محمد عبده، ومؤرخ

(١) نقل محمد رشيد رضا قطعاً من مقالاته في الصحف الإنجليزية في الثناء على الإسلام والدعوة إلى التقارب مع النصرانية. انظر تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (٨٢٢/١ - ٨٢٧).

(٢) التوحيد في الإسلام ليس مجرد «فكرة» بل هو «عقيدة» راسخة، ربانية المصدر، وليست بشرية من نتاج الأفكار كما عبر الكاتب. أما الكنيسة الإنجيليكية فلا تخالف سائر الكنائس بالقول بالتثليث. وحاشا الإسلام أن يكون موافقاً لها في مسألة الألوهية والتوحيد.

(٣) ذكر محمد رشيد رضا أن ميرزا باقر كان إيرانياً قد تنصر، وتسمى بميرزا يوحنا، ونشط في الدعوة للنصرانية. ثم أظهر توبته وعودته إلى الإسلام وشارك في ترجمة بعض المقالات الإنجليزية لجريدة العروة الوثقى، وكان يحتج بالقرآن دون الحديث على أصول الإسلام التي يدعو إليها ويعمل بها، وكان له شذوذ في ذلك غريب.

انظر تاريخ الأستاذ الإمام (٨١٧/١ - ٨١٩).

(٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الرابعة (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م). (٣١٩/٢) (نقلاً عن مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٣٩م ذي الحجة ١٣٥٧ هـ ص ٤٧ - ٣٩٠ - ٣٩٣).

(٥) محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، ولد ونشأ في «القلمون» من أعمال =

سيرته الذاتية - الخطوة التالية بقوله: (عرف ميرزا باقر في لندن وغيرها بعض رجال الإنكليز المستقلي الفكر، المحبين لحرية البحث في الدين. ولما وُجد هو والأستاذ الإمام في بيروت بعد تعطيل العروة الوثقى اجتماعاً فيها بالأستاذ بيرزاده، وعارف أبي تراب، تابع السيد الأفغاني، وبجمال بك نجل رامز بك التركي، قاضي بيروت الشهير.. وألفوا جمعية سياسية دينية سرية موضوعها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، وإزالة الشقاق بين أهلها، والتعاون على إزالة ضغط أوربة عن الشرقيين، ولا سيما المسلمين منهم، وتعريف الأفرنج بحقيقة الإسلام وحقه، من أقرب الطرق، وقد دخل في هذه الجمعية مؤيد الملك أحد وزراء إيران، وحسن خان مستشار السفارة الإيرانية في الأستانة، وبعض الإنكليز واليهود. وكان من أعضائها من رجال الدين في لوندرة القس إسحاق طيلر، بل كان هو داعيتها هنالك، ومن رجال الحكومة «جي، دبليو، لينتر» مفتش المدارس في الهند. وكان الأستاذ الإمام صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها، وميرزا باقر هو الناموس «السكرتير» العام لها»^(١).

كما أشار رشيد رضا إلى موقف محمد عبده من أحد دعاة التقريب النصاري، واسمه «خريستفورس جبارة»، الذي كان ناشطاً

= طرابلس الشام عام ١٢٨٢هـ ١٨٦٥م. هاجر إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، ولازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. وأنشأ مجلة المنار عام ١٨٩٨م. وقد زار عدداً من الأقطار الإسلامية والأوربية، وكتب وألف. وتأثر أخريات عمره بالدعوة السلفية، وطبع في مطابع المنار كثيراً من كتب أئمة السلفية. وتوفي فجأة عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م. انظر: الأعلام (١٢٦/٦)، الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل: سمير أبو حمدان. الشركة العالمية للكتاب. دار الكتاب العالمي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م). (٩ - ٥٥).
(١) تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: محمد رشيد رضا. مطبعة المنار. مصر. الطبعة الأولى (١٣٥٠هـ = ١٩٣١م). (١/٨١٩ - ٨٢٠).

متحمساً لهذه الدعوة في أمريكا، فقال: (ثم جاء إلى مصر وألف فيها كتباً ورسائل كثيرة يوفق فيها بين التوراة والإنجيل والقرآن، فحرمته الكنيسة الأرثوذكسية. وكان قد وصل من رتبها الكهنوتية إلى رتبة «لارشمندرت»، وكذلك قابله المسلمون بالهزم والسخرية، إلا الأستاذ الإمام، وصاحب المنار، فاحتل من الإيذاء ما هو معهود في كل من يدعو الناس إلى خلاف ما هم عليه^(١).

ومن هذه الوقائع والاعترافات الشخصية نستخلص ما يلي:

١ - اقتناع الشيخ «محمد عبده» بفكرة التقريب بين الأديان، وأخذه زمام المبادرة، ونظرائه، بالكتابة إلى القس الإنكليزي إسحاق تيلور، داعية التقريب النصراني، وكان ذلك عام ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م في دمشق.

٢ - الانتقال من طور الفكرة إلى العمل، بعد عودته من باريس، إثر تعطيل جريدة العروة الوثقى عام ١٨٨٥م، فأسس مع موافقيه جمعية التقريب بين الأديان السماوية، في بيروت بصفة سرية، وكان صاحب الرأي الأول فيها.

٣ - ضلوع الرافضة المبكر، بل وقوفهم خلف قيام هذه الجمعية فكرة وعملاً ومشاركة، كما يتضح من جهود الإيراني ميرزا باقر، ومؤيد الملك، وحسن خان، وكلهم إيرانيون.

٤ - استمرار هذه الفكرة لديه بعد عودته إلى مصر عام ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م وتعيينه مفتياً عاماً، كما يتضح من إيوائه لداعية التقريب «خريستفورس جبارة» وحده عليه.

وبهذه المواقف الفكرية والعملية لرائدي المدرسة العصرية، تم

(١) تاريخ الأستاذ الإمام (١/٨٢٧).

إرساء دعامة كبيرة من دعائم الاتجاه العصراني الحديث، وهي الدعوة إلى «وحدة الأديان»، وتمييع الحواجز والحدود بين دين الله الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وهو دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ عقيدة وشرعية، والأديان المحرفة المنسوخة من اليهودية والنصرانية.

وقد تتابع تلاميذ هذه المدرسة على النسج على منوال أشياخهم، وترديد أفكارهم، بل والتوسع والإيغال فيها بما تقشعر منه جلود المؤمنين، ويذكر بمقالات الزنادقة والملحدين.



الفصل الثالث

حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث

جرت الإشارة في الفصل الأول من هذا الباب إلى الاتجاهات العامة لدعوة التقريب بين الأديان. وفي هذا الفصل نحاول الوقوف عن كثب على حقيقة هذه الدعوة لدى مختلف الفرقاء من خلال وثائقهم الرسمية أو كتابات زعاماتهم الدينية في هذه الحقبة من التاريخ المعاصر.

ونظراً لكون الجانب النصراني هو صاحب المبادرة في هذه الدعوة وتفعيلها على اختلاف طوائفه، وهيئاته الرسمية، فسيتم عرض موقفه بشكل أكثر تفصيلاً، ثم نتبعه بالحديث عن اليهود، ثم الإسلاميين العصرانيين: على النحو التالي:

١ - المبحث الأول: حقيقة التقريب بين الأديان عند الكنيسة الكاثوليكية.

٢ - المبحث الثاني: حقيقة التقريب بين الأديان عند مجلس الكنائس العالمي.

٣ - المبحث الثالث: حقيقة التقريب بين الأديان عند النصارى العرب.

٤ - المبحث الرابع: حقيقة التقريب بين الأديان عند اليهود.

٥ - المبحث الخامس: حقيقة التقريب بين الأديان عند الإسلاميين العصرانيين.

المبحث الأول

حقيقة التقريب بين الأديان عند الكنيسة الكاثوليكية

تعني كلمة «كاثوليكية» جامعة. وهو الوصف الذي تضمنه الإيمان النيقاوي الذي أقر في مجمع «نيقية» سنة ٣٢٥م للكنيسة الشرعية، فجاء فيه: (وأعتقد بكنيسة واحدة جامعة رسولية)^(١).

وقد اعتبرت الكنيسة الغربية التي مقرها حاضرة الفاتيكان^(٢) في روما نفسها مستحقة لهذا الوصف دون ما سواها من الكنائس، بدعوى أن مؤسسها هو «بطرس» حواري المسيح ورسوله، بل كبير الحواريين ورئيسهم، والباباوات بعده خلفاؤه^(٣). وكان أخطر وأكبر انقسام جرى في تاريخ الكنيسة هو الانفصال بين روما والقسطنطينية عام ١٠٥٤^(٤)، أفضى إلى تمايز مزمن بين:

(١) راجع التمهيد. (٩٦ - ٩٨).

(٢) الفاتيكان Vatican: مقام البابوات في روما. يتألف من البلاط والمعابد والمتاحف والمكتبة... ودولة الفاتيكان: دولة اعترفت بها إيطاليا في معاهدة «لاتران» ١٩٢٩م. رئيسها «البابا»، مساحتها نحو ٤٤ هكتاراً، عدد سكانها لا يتعدى الألف شخص. تتألف من كنيسة القديس بطرس، والبلاط البابوي وملحقاته، بالإضافة إلى القصور والبنائات الموجودة في العاصمة الإيطالية، و(كاستل غوند ولفو) خارج حدود مدينة الفاتيكان. المنجد في الأعلام (١٥٦)، وانظر على سبيل التوسع كتاب: الفاتيكان عاصمة الكتلثة في العالم. تأليف بول بويار. منشورات عويدات. بيروت.

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية (١٤٦).

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية. (٣٨١ - ٣٩٠).

١ - الكنيسة «الرومانية» «اللاتينية» «الكاثوليكية».

٢ - الكنيسة «البيزنطية» «اليونانية» «الأرثوذكسية».

وقد تبادلنا قرارات الحجب والحرمان عبر القرون، وتحاولان التقارب في النصف الأخير من هذا القرن^(١).

وتعد الكنيسة الكاثوليكية أكبر الكنائس النصرانية أتباعاً، إذ يتجاوز عددهم تسعمائة مليون نسمة موزعين في شتى أنحاء العالم، ويتركزون في دول الغرب القديمة: إيطاليا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وغيرها^(٢)، بالإضافة إلى مستعمرات تلك الدول في أمريكا اللاتينية - الجنوبية - والفلبين.

وتتميز الكنيسة الكاثوليكية بتنظيم هرمي دقيق، يتربع على سدة «البابا» أسقف روما، وخليفة بطرس الرسول - كما يزعمون - ويلقب بـ«الحبر الأعظم». وقد منحته بعض مجامعهم صفة «العصمة»^(٣).

المجمع الفاتيكاني الثاني:

أطلق المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد في مدينة «روما»، في الفترة الممتدة من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٥م، عقال الكنيسة الكاثوليكية في نظرتها وتعاملها مع الآخرين المخالفين، من النصارى أتباع الكنائس

(١) انظر: تاريخ الحركة المسكونية: الأب: روبر كليمان اليسوعي. ترجمة الأب: صبحي حموي اليسوعي. دار المشرق. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩١م. ج(١، ٢).

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، وأهم أحداث الكنيسة الغربية: المطران ميشيل يستيم. الأرشمندريت أغناطيوس ديك. معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت. حريصا. المكتبة البولسية. بيروت - لبنان. الطبعة الثالثة ١٩٩١م. (٣٨٨).

(٣) جرى ذلك في المجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٦٩م.

الأخرى، وغير النصارى من اليهود والمسلمين، بل والوثنيين والعلمانيين.

ولقد كان هذا المجمع حدثاً كبيراً، ومنعطفاً خطيراً، في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، التي آلت إلى حالة من الجمود والشلل في أعقاب الحربين العالميتين، وما أعقبهما من تغيرات كبرى في العالم، وانفتاح بين الشعوب والأفكار والمعتقدات. وكان لا بد لهذه الكنيسة الصارمة أن تنفض عنها غبار القرون الوسطى، ولغتها الإملائية لتتمكن من العيش في هذا الواقع الجديد المنفتح، أو تقبل لنفسها ومؤسساتها ذات التنظيم الهرمي التراتبي الدقيق بالموت البطيء، والانحسار التدريجي أمام الأيديولوجيات التي تنافسها بقوة على الساحة العالمية، وعلى الأخص في عقر دارها «أوروبا الحديثة»، التي اعتنقت الديمقراطية والحرية، وانعتقت من نير الكنيسة وسلطانها الكهنوتي.

لقد وجدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي أمام ثلاثة خيارات فيما يتعلق بصلتها بالعالم:

(١) - موقف «الجيتو»^(١) الهارب إلى عالمه الخاص، والمنكفي على ذاته.

٢ - موقف التحريم، والاقتراب من العالم فقط بهدف إدانته.

٣ - موقف الحوار^(٢). ولا ريب أن المصلحة اقتضت ترجيح الخيار الثالث، حتى مع بعض التنازلات الجوهرية، والتخلي عن بعض التقاليد والأفكار العتيقة، في سبيل مواكبة حركة المجتمع الإنساني التي

(١) الجيتو أو «الغيتو» Ghetto تعني في الأصل حي اليهود، حيث ينعزل اليهود عادة في تجمعات سكنية خاصة، ولا يختلطون بالسكان المجاورين. ثم صار تعبيراً شائعاً في الدلالة على العزلة.

(٢) انظر: الإسلام والمسيحية. إليكسي جورافسكي (١٦٤).

لم تنتظر إذناً من الكنيسة، ولم تعد تخشى حجباً أو حرماناً منها. ومن ثم كانت ولادة المجمع الفاتيكاني الثاني.

وبعد ما يقرب من أربع سنوات من المداولات والمجادلات، بل والنزاعات بين التيار المحافظ والتيار التقدمي، تبنت الكنيسة الخيار التقدمي المنفتح على الآخرين، مما يعد «تطوراً لاهوتياً» في هذا المجمع (الذي أدخل في الكنيسة نهجاً جديداً في التفكير اللاهوتي والعمل الراعوي)^(١). فبعد أن كانت الكنيسة ترى أنها وحدها تمتلك «الحقيقة المطلقة»، وأنه لا سبيل إلى «الخلاص»^(٢) إلا عن طريقها، أبدت قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني مرونةً وتنازلاً عن هذه المعتقدات العتيقة التي كانت الأساس في القرون السابقة لقرارات الحجب والحرمان.

جاء في أول دساتير المجمع (الكنيسة: دستور عقائدي) فقرة ١٦: (. . . بيد أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد الرحمن الرحيم، الذي يدين الناس في اليوم الآخر)^(٣). وهذا النص (يسجل تغييراً جذرياً في موقف الكنيسة

(١) انظر مقدمة: المجمع الفاتيكاني. (٢١) للمطران كيرلس سليم بسترس. وانظر فصل: المجمع الفاتيكاني الثاني ولاهوت التحرر من كتاب: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة (٧٩ - ٩٣). والراعي أو الرعوي أو الرعائي اصطلاح كنسي تنظيمي ف (الراعي . . . كل من ولي أمر قوم كالأسقف والبطريرك وغيرهما . . . والرعية . . . الخاضعون لأوامره. ومنه رعية الأسقف ونحوه) المنجد (٢٦٨).

(٢) الخلاص: مصطلح كنسي عقدي يعني (النجاة . . . يوم الخلاص: الفوز بآخرة صالحة. المخلص: لقب السيد المسيح) المنجد (١٩١). وراجع العقائد النصرانية في التمهيد. (٩٠ - ٩٣).

(٣) المجمع الفاتيكاني الثاني: دساتير، قرارات، بيانات (٥٢).

الكاثوليكية بالنسبة إلى سائر الأديان. وهو تغير لا رجوع ممكن عنه... وهو ملزم بما للمجمع المسكوني من سلطة^(١).

وفي البيان المتعلق بعلاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية: (.. والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حقاً ومقدس، وتولي تقديرها باحترام صادق هذه الطرق المسلوكة في العمل والحياة، وهذه القواعد والتعاليم التي وإن اختلفت في أمور كثيرة عما تقول به وتُعلِّمُه، تحمل غير مرة قبساً من شعاع الحقيقة التي تنير جميع الناس. غير أنها تبشر، ويجب أن تبشر بلا انقطاع بالمسيح الذي هو «الصراط والحقيقة والحياة» (يو ١٤: ٦).

من أجل ذلك تحرض أبنائها على الاعتراف بالقيم الروحية والأدبية والاجتماعية والثقافية التي توجد عند أتباع الديانات الأخرى، والمحافظة عليها وإنمائها، وذلك بطريق الحوار والتعاون معهم، بمقتضى الفطنة والمحبة، مع الشهادة للإيمان والحياة المسيحية).

وبعد هذا الانفتاح العام على الآخرين، والاعتراف بما لديهم من قيم ومثل في سابقة ليس لها نظير في الخطاب الكنسي، يتوجه البيان إلى خصوصية المسلمين بهذه الدعوة فيتابع قائلاً: (وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله، الواحد الحي القيوم، الرحمن، القدير، الذي خلق السماء والأرض، وكلم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله، وإن خفيت مقاصده^(٢)، كما سلم الله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه، وإنهم على كونهم

(١) البيانات الإسلامية المسيحية. جوليت حداد (٢٨).

(٢) يزعم نصارى المجمع الفاتيكاني أن روح المسيح يعمل بطريقة خفية في جميع الأديان والتقاليد الأخرى. وأن ما فيها من حق وصواب فمن أثره الخفي. وسيأتي لذلك مزيد تفصيل.

لا يعترفون بيسوع إلهاً، يكرمونه نبياً، ويكرمون أمه العذراء مريم، مبتهلين إليها أحياناً بإيمان^(١). ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثون أحياء. من أجل هذا يقدرّون الحياة الأدبية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم خصوصاً.

ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم فيما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية).

ثم يتوجه البيان الكنسي إلى اليهود، فيذكر بأواصر الرحم والقربى، والتراث الروحي المشترك بين ورثة العهد القديم وورثة العهد الجديد، ويخلص إلى القول: (وبإزاء هذا الواقع، واقع التراث الروحي العظيم، المشترك بين المسيحيين واليهود، يريد المجمع أن يشجع ويحرض على التعاون والتقدير المتبادل بين الملتين، وذلك خصوصاً بالدراسات الكتابية واللاهوتية، وبطريق الحوار أيضاً).

وفي مسعى مُلَطَّف لتبرئة اليهود من دم المسيح في زعمهم، - خلافاً لما درج عليه النصارى طوال القرون السالفة - يتابع البيان قائلاً: (ولئن يكن ذوو السلطان من اليهود ومشايعهم هم الذين دفعوا على قتل المسيح، فإن ما اقترفته الأيدي إبان آلامه لا يمكن إسناده، في غير تمييز، إلى جميع اليهود الذين عاشوا آن ذاك، ولا إلى اليهود العائشين في عصرنا. من أجل ذلك لا يجوز على كون الكنيسة هي الشعب

(١) هذا من افتراء النصارى على المسلمين. فالمسلمون لا يبتهلون إلا إلى الله وحده، ولا يدعون أحداً سواه قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن].

الجديد لله (١) أن يُشَهَّر باليهود بأنهم منبذون من الله، وأنهم ملعونون، كما لو كان ذلك يستنتج من الكتاب المقدس. فليحرص الجميع إذن، في التعليم المسيحي، وفي الوعظ بكلمة الله، ألا يعلموا شيئاً لا يتوافق مع حقيقة الإنجيل وروح المسيح.

وإلى ذلك فإن الكنيسة التي تستنكر جميع ألوان الاضطهاد لجميع الناس أياً كانوا، ولا قَبِل لها بأن تنسى التراث المشترك بينها وبين اليهود تأسف - لا لبواعث سياسية ألبتة بل بدافع من محبة الإنجيل الدينية - للأحقاد والاضطهادات وجميع مظاهر العداء للسامية التي أَلَمَّت باليهود، أياً كان عهدها، وأياً كان فاعلوها^(١).

وبالنسبة لموقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص يصور الكاتب الروسي أليكسي جورافسكي حجم الثقل قائلاً: (للمرة الأولى منذ أربعة عشر قرناً من وجود المسيحية والإسلام يتحدث مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة إيجابية عن المسلمين، معترفاً بوضعهم الديني المتميز. ولهذا شبّهت المطبوعات الكاثوليكية التغير الحاصل في موقف الكنيسة تجاه الإسلام بـ«الانقلاب الكوبرنيكي»^(٢)). وهو تشبيه غير مبالغ فيه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن رسالة البابا بيوس الثاني عشر Fidei donum الصادرة في أواخر الخمسينيات (١٩٥٧م) رأت في انتشار الإسلام في أفريقيا «خطراً على الكنيسة»، وأن كتاب «تاريخ الإرساليات الكاثوليكية»، المؤلف من أربعة

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩ - ٦٣١).

(٢) نسبة إلى العالم الفلكي البولوني «كوبرنيك Copernic (١٤٧٣ - ١٥٤٣) الذي برهن على دوران الكرة الأرضية على ذاتها وحول الشمس. انظر المنجد في الأعلام (٥٩٦). خلافاً للفكرة السائدة آنذاك من كون الأرض مركز الكون، فأحدث انقلاباً كبيراً في علم الفلك، وهذا وجه التشبيه.

مجلدات، والصادر في المرحلة نفسها، نظر إلى نشاط الإسلام وفعاليته العالمية ككارثة تضاهي خطر الشيوعية^(١).

إن هذه الفقرات من دساتير المجمع الفاتيكاني الثاني وبياناته، لتمثل موقفاً عقدياً جديداً، تبني عليه طريقة عمل جديدة أيضاً. وهي تمثل أساساً متيناً لمشروع الحوار والتقارب بين الكنيسة والأديان الأخرى، وقاعدة انطلاق عريضة استند عليها الناشطون من دعاة التقارب والحوار منذ ذلك الحين. وبتحليل تلك الفقرات نلمس ما يلي:

أولاً: إيجاد المسوغ العقدي لمشروعية الحوار بتوسيع دائرة الخلاص، وإمكان شمولها غير النصارى. وهي خطوة هامة وضرورية بالنسبة للكنيسة حتى تقيم جسور التواصل مع المخالفين الذين كانوا في نظرها سابقاً «كفاراً»، و«محرومين من ملكوت الله». هذا مع عدم التخلي عن البشارة بالمسيح مطلقاً.

ثانياً: الاعتراف بالأصول الإيمانية، العقائد والشرائع الدينية لدى المسلمين، وإن لم يبلغ الأمر الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، لما يستلزم ذلك من لوازم تعني نسخ الديانة النصرانية.

ثالثاً: إبداء الأسف على النزاع التاريخي العدائي مع المسلمين، والاعتذار لليهود مما نالهم من اضطهاد وتشهير.

رابعاً: دعوة المسلمين واليهود إلى التفاهم والتعاون عن طريق الحوار الأخوي.

وبالمقابل، فقد أبدى الكاتب الروسي إلكسي جورافسكي في تحليله العميق لمقررات المجمع الفاتيكاني الثاني تجاه الإسلام جملة

(١) الإسلام والمسيحية. (١٣٧ - ١٣٨).

من التعقبات، إذ يقول: (.. لكن اللباقة القصوى للنص لم تتمكن مع ذلك من إخفاء بعض التناقضات المبدئية، والنقاط الخلافية الجدية بين الديانتين، وعلى الرغم من الحل الإيجابي الذي قدمه المجمع للمشكلة المسيحية القديمة حول موقع المسلمين في عقيدة «الخلاص Salut»، فإنه صرح بتحفظ وأشار من بعيد إلى وضع الإسلام في ما يتعلق بالتقليد التوراتي وبالوحي.. وقد امتنع المجمع عن الإشارة القاطعة والصريحة إلى اتباع المسلمين «ملة إبراهيم»، حيث يشير إلى ارتباط المسلمين بالتقليد الإبراهيمي، ولكن ليس من الناحية التاريخية، وإنما من حيث التبعية الإيمانية لإبراهيم^(١).

وقد سكت المجمع عن مشكلة وثوقية وصحة المكانة النبوية لمحمد، مع أن هذه المسألة جرى التعرض لها أثناء المناقشات والمداولات، حيث اقترح بعض المؤتمرين إدخال تعديل على القسم السادس عشر من مسودة الدستور العقائدي «الكنيسة» يؤكد أن المسلمين (يعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي كلّم الناس بالأنبياء)، إلا أن اللجنة اللاهوتية المختصة ألغت هذه العبارة، نظراً لأنها يمكن أن تؤول

(١) يشير الكاتب إلى قضية مهمة وهي اعتقاد النصارى أن عهد الله لإبراهيم قد تحقق عبر فرع إسحاق في عيسى عليه السلام، ولم يسر في الفرع الإسماعيلي إلى محمد عليه السلام. وكذب النصارى، وصدق الله العظيم إذا قال لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة]. فما أبعد إخوان القردة والخنازير من اليهود، وعباد الصليب والصور من النصارى عن عهد الله، وملة إبراهيم الذي دعا ربه وهو يرفع القواعد من البيت - الكعبة - ومعه ابنه البكر إسماعيل عليه السلام، قائلين: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]. فكانت هذه الأمة وكان هذا الرسول ﷺ.

بشكل مثير للإشكال، كأن يفهم منها أن الله «تكلم عبر محمد» في حين أن التصريح الختامي صاغ هذه العبارة بصورة مقتضبة: «الذي كلم الناس». من الملاحظ، أن كثيراً من النواحي، وخصوصاً تلك التي تتناقض مع طقوس المذهب الكاثوليكي ظلت خارج دراسة المجمع. كما لم تناقش المشكلات المتعلقة مثلاً برأي الإسلام بالقدرة الكلية - المطلقة للإله، وحرية الاختيار الإنساني^(١).

كما لم يتعرض المجمع للمسائل ذات الصلة بمفهوم الأمة والكنيسة، وقضايا الوعي والإيمان، والدنيا والآخرة والعلمانية... إلخ. علماً بأنه بالنسبة للوعي الديني، فإن هذه المسائل تشكل معطيات محددة للغاية، ولا يمكن فصلها عن النواحي الاجتماعية - الثقافية للتعاون والحوار بين هاتين الديانتين^(٢).

ورغم هذه التعقبات المهمة، تبقى قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني معلماً بارزاً في رحلة التقارب بين الأديان.

الكتب والوثائق الكاثوليكية المتعلقة بقضية التقريب بين الأديان:

لتبيين فهم الكنيسة الكاثوليكية لنصوص المجمع، وأسلوب تطبيق مقرراته، نختار بعض الكتابات والوثائق التي تجلي حقيقة التقريب في نظر الكنيسة:

أ - (نحو حوار مع الإسلام):

من أقدم البيانات الكاثوليكية بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، المقالة التي كتبها «لويس جاردت»، ونشرتها أمانة سر شؤون غير النصرى عام ١٩٦٦م بعنوان «نحو حوار مع الإسلام»، واستهلها

(١) دأب النصرى على وصف الإسلام بمذهب «الجبرية»! ربما لاعتقادهم أن العقيدة الأشعرية هي المعتمدة.

(٢) الإسلام والمسيحية: (١٤٥ - ١٥١).

بتوجيه لأبناء ملته قائلاً: (.. إن القيم المسيحية التي تبدو في حياة أولئك الذين يستقر إيمانهم في بواطنهم، لا تستدعي أن يظهروا ذلك الإيمان على صيغة سبَابٍ للقيم الإسلامية، وإنما عليهم أن يجعلوا غايتهم «رصف الحجارة» التي توجد حقاً في الإسلام مثل «الثقة بالله، والصبر على شدة البلاء، والإخلاص والصدق...»، تلك الصفات التي ظهرت في أفضل أشكالها في حياة المسلمين الروحية، على الإنسان أن يتعلم كيف يجد المسرة في الثناء على هذه السمات دون تحفظ»^(١).

وبعد هذه المقدمة، يختار الكاتب «مواضيع محتملة للمبحث» في الحوار الإسلامي المسيحي، هي عبارة عن: (ثلاثة «إرشادات عظيمة» تسيطر ليس فقط على فكر المسلم، ولكن على توجهه الكامل إلى العالم والإنسان والله، والتي تدفعني إلى الاعتقاد أنها مفيدة بشكل خاص من أجل استمرار البحث)^(٢).

وهذه القضايا «الإسلامية» التي يريد الكاتب أن يجعلها مادة للبحث والحوار، يحاول عرضها بطريقة حذرة، ذكية، وبأساليب ملتوية، هي على النحو التالي:

أولاً: (.. القضية الكبرى في الفكر اللاهوتي الإسلامي، مشكلة ازدواجية السببية؛ السببية الإلهية، والسببية الإنسانية، أو مشكلة أفعال الله وأفعال الإنسان، ويتبع ذلك مشكلة حرية الإنسان.

(١) Towards a Dialogue with Islam. Louis Gardet Secretariat pro-non Christianis:

Bulletin, VOL, NO.3 نحو حوار مع الإسلام. لويس جاردت. عن مجموعة

وثائق صادرة عن المؤسسة الإسلامية، ليستر. بعنوان الحوار بين النصارى

والمسلمين ج(٢)، (٢)، (٣).

(٢) المرجع السابق، (٢)، (٣).

إن المشكلة هنا ليست مجابهة بين الفكر المسيحي والفكر الإسلامي، بقدر ما هي «جهد مشترك للتفكير» في قضية «السلوك». ونترك المجال للتقدم الحديث في علوم الإنسان وفي المعرفة نفسها، وقد يجد الفكر الإسلامي نفسه مدعواً إلى التجديد والتقدم، دون إضاعة طبيعته الخاصة^(١).

أليس هذا الكلام ترديداً لما افتراه بعض المستشرقين من اتهام العقيدة الإسلامية بـ«الجبر»، بناءً على جنوح بعض الفرق الإسلامية في مسألة «أفعال العباد»؟ وليس المقصود نقاش هذه القضية طبعاً^(٢)، ولكن التنبيه لطبيعة القضايا المرشحة للحوار، والتي يتعين على الفكر الإسلامي كما يتوقع الكاتب أن يحدث «تجديداً» و«تقدماً» فيها!

ثانياً: مفهوم «الشهادة»: بعد تحليل فلسفي لمدلول الشهادة يصل الكاتب إلى جملٍ واضحةٍ لعلها «بيت القصيد» فيقول: (.. تقوم النصرانية بمواجهة التحولات الظاهرية، والعمق النفسي بقضية الشخص وأساسه الوجودي بالمقابلة مع التصرفات ومواضيعها خارج فكره، وتتركز المشكلة الإسلامية على الشهادة وتهتم بها بشكلٍ ربما كان شديد العنف، ولكنها مشكلة تثير بدورها التساؤل عن الشيء المثبت بكل نتائجه وقيمة الحكم على الوجود والحكم على الحقيقة)^(٣).

لم يشأ الكاتب أن يستدعي بعض المصطلحات الدينية في معنى

(١) المرجع السابق، (٣).

(٢) العقيدة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تثبت للإنسان إرادة واختياراً وفعلاً وقدرة، ولكنها تابعة لإرادة الله وقدرته كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَأْءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير]، وقال ﷺ لأصحابه لما قالوا: أفلا نتكل؟ (لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له) رواه مسلم (٢٠٤٠/٤).

(٣) المرجع السابق، (٤).

الشهادة النصرانية، لأن السياق لا يناسب أن يقول في هذا المقام: «المسيح هو السبيل الأوحى إلى الله، ولا خلاص خارجاً عنه». وتلك هي الشهادة النصرانية في أبسط صورها، ولكنه يلمز الشهادة الإسلامية بكونها تؤدي «بشكل ربما كان شديد العنف» وذلك في إشارة واضحة إلى «الجهاد في سبيل الله» الذي يثمر الشهادة في أعظم صورها، ويسمى من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا «شهيداً» إذا قتل في هذا السبيل.

وبالتالي، فالكاتب يريد أن يخضع قضية «الجهاد» التي تقض مضاجع المستعمرين النصارى لمبضع الجراح لكن من خلال دائرة أوسع، وتحت عنوان آخر هو مفهوم الشهادة، ويبيد تشوفه لحدوث تغيير أو تعديل في الموقف الإسلامي حين يقول: (إنني راغب جداً في أن أعتقد أن هناك مجالات جديدة تظهر أمام الفكر الإسلامي ليستكشفها فيما يتعلق بالشهادة...) (١).

ثالثاً: «القيم الخلقية الإسلامية». يقول الكاتب: (... إن الإسلام في الماضي لم يحم بصياغة لاهوته الخلقى بنفسه، لقد كان يكفي أن يبرز العناصر حيثما تتطلب فرائض الله المتعلقة بمفاهيم القانون الإلهي «التكليف» استجابة أساسية من «المؤمن». ويبدو غريباً أن التقدم الحديث في علوم الإنسان لم يجعل المفكر المسلم يعيد النظر في مشكلة «التكليف» في إطار الأبعاد المتجددة لعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، وبتعبير آخر ضمن أبعاد فلسفية خلقية تأخذ بعين الاعتبار الماديات الأساسية لوضع لاهوت خلقى) (٢).

إن الكاتب يعيد صياغة شبهات المستشرقين والمبشرين بطريقة

(١) المرجع السابق، (٤).

(٢) المرجع السابق، (٤).

«حوارية». فأحد المطاعن التي يدندن حولها المستشرقون والمبشرون أن الإسلام دين تكاليف و«أحكام شرعية»، وأن «الفلاح» في نظر المسلمين إنما يكون بحسب التزام المسلم بهذه الأحكام فعلاً وتركاً، بخلاف النصرانية التي تخلي عهدة أتباعها من جميع الالتزامات والأعمال اكتفاءً بالإيمان القلبي بالمسيح^(١).

والكاتب يحاول أن يقرر أن هذه الجملة من التكاليف الخلقية ليست من أصل الإسلام في صياغتها الحالية، وفي ذلك إشارة إلى ما يزعمه البعض من أن الفقهاء المتأخرين هم الذين قننوا هذه الأعمال وأكسبوها الصفة الشرعية. ولذلك يبدي الكاتب استغراباً حول عدم تأثير التقدم الحديث في علوم الإنسان في إعادة النظر في مشكلة «التكاليف».

وغير خافٍ على كل مسلم أن تدينه الله رب العالمين مبني على أساس متين من العقيدة والشرعة المحفوظة التي لم تنلها أيدي التحريف والتبديل، وأن مجموع تلك العقائد والشعائر (الإيمان والعمل الصالح) هو الموصل إلى «الفلاح» الدنيوي والأخروي بعد رحمة الله تعالى، ولكن القوم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

ثم يتساءل الكاتب أخيراً: (ألا تستطيع هذه الإرشادات الثلاثة المتلاقية في نقطة واحدة أن تحدد مجالاً ما يمكن فيه القيام بحوار خاص مثمر بين الفكر النصراني والإسلامي؟)^(٢).

ومن حقنا نحن أن نتساءل: هل الحوار الذي تسعى إليه الكنيسة الكاثوليكية مع المسلمين يعني إثارة شبهات المستشرقين، وإن بشكلٍ مهذب، ونقل الحوار إلى قضايا تخص أحد الطرفين، ليقوم الطرف الآخر بتقويمها، وتقديم الحلول المناسبة من خلال المنظور الكنسي؟

(١) راجع مبحث الشريعة عند النصارى في التمهيد (٩٨ - ١٠١).

(٢) المرجع السابق، (٥).

لَمْ لم يطرح الكاتب معضلات العقيدة الكاثوليكية وأسرارها السبعة التي تأبأها الفطر والعقول السليمة كما يشهد التاريخ والواقع فهي أولى بالاستجلاء والاستكشاف، كعقيدة التثليث والصلب والفداء والخلاص وعصمة البابا... إلخ^(١)؟

إن هذه المقالة تكشف نوعاً من أنواع الأداء المبكر في أسلوب الحوار النصراني الإسلامي، يستهدف بحث مسائل عقدية، يأخذ الجانب النصراني فيها بزمام المبادرة والتخطيط والتوجيه، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ [الأنفال].

ب - (توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين):

ومن الإصدارات المهمة للكنيسة الكاثوليكية في مجال الكشف عن حقيقة التقريب بين الأديان لديها ما كتبه الأب «موريس بورمانس» بعنوان: «توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين»، وحظي بمراجعة لفيف من كبار الآباء والخبراء في طبعته الثانية عام ١٩٨٠م، وتبنته ونشرته أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين (لتوطئة الحوار وقيام تعاون بين المسيحيين والمسلمين)^(٢) مما يجعله وثيقة رسمية للكنيسة الكاثوليكية، وشرحاً لعبارات ومقاصد المجمع الفاتيكاني الثاني.

والكتاب في أصله موجهٌ إلى النصارى، وبالأخص الكاثوليك منهم. وقد أفصح مؤلفه عن غايته قائلاً: (إن الذين يدينون بالإسلام، والذين يتبعون «يسوع» يتساءلون اليوم عما كان لمسيرتهم معاً على الطريق من الأشكال المتنوعة، طوال أربعة عشر قرناً من التاريخ المضطرب، إن الله يدعوهم اليوم إلى استخلاص العبر من ذلك،

(١) راجع مبحث العقائد النصرانية في التمهيد (٨١ - ٩٥).

(٢) من مقدمة الرئيس المساعد لأمانة السر، جان جادو للكتاب (١٤).

ليعرفوا على وجه أفضل، بلا ريب، أن سبل الحوار قد تصل بهم غداً إلى شهادة أنصع، وتعاون أخلص، في خدمة الله لمصلحة الناس وخير العالم. وهذه الفصول إنما كتبت لتساعد المسيحيين، ولا سيما الكاثوليك على ذلك، فقد دعاهم المجمع الفاتيكاني الثاني إلى العودة لما تقتضيه رسالة الحوار الصحيح، فيكون تقبلاً للآخر، وحديثاً عن الإيمان، ومشاركة في القيم. ولضمان هذه المرامي المجردة للحوار الذي كان قائماً على مر العصور، في الأوضاع التاريخية والحالات الشخصية الأشد تنوعاً، يجد المسيحيون في هذه الصفحات بعض الأفكار السريعة والمقترحات الوجيزة عن الأبعاد المتعددة لحوارهم الحاضر مع المسلمين^(١). ومن ثانياً هذا الخطاب الذي يوجهه الأب مورييس بورمانس إلى مواطنيه، وأبناء ملته نلتقط بعض الجمل الكاشفة لحقيقة الحوار وغايته كما يراها أحد أقطاب المنادين بالحوار والتقارب المنتمين إلى الكنيسة الكاثوليكية:

■ (الحوار في جوهره يهدف إلى تعزيز التعاون بين الجميع، وجعلهم يتعمقون في عقيدتهم وتراثهم الديني، وإلى تنشيط التماسهم لمشئة الله وحدها، ورجوع كل منهم إلى الرب الذي يخاطبه، ويغفر له، ويغير ما فيه إلى الأفضل، فلا يسوغ إذن، على الإطلاق، أن تكون غاية الحوار سعي المحاور إلى اجتذاب الآخر إلى دينه بأي ثمن، أو حمله على الشك في الإيمان الذي يغتذي به، بل على العكس، يعتزم المؤمنون، في «تنافس روحي» وتسابق مقدس، حيث «يستبقون الخيرات» (القرآن ٤٨،٥)^(٢) أن يتعاونوا على «استباق

(١) توجيهات في سبيل الحوار (١٩).

(٢) الآية في سورة المائدة: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨] وهذا الأسلوب في عزو الآيات محاكاة لأهل الكتاب في عزوهم إلى ما يسمونه (الكتاب المقدس) فينبغي الحذر من التشبه بهم.

أنفسهم»، فيصبروا خيراً مما هم عليه، في سياق ما دعاهم الله إليه، ليزدادوا قرباً منه، ويزيدوا من وزن الخير في العالم^(١).

■ وفي تقويمه للعلاقة الإسلامية بأهل الكتاب في العهد النبوي يقول: (إن الإسلام الذي نشأ في شبه جزيرة العرب متصدياً للمشرك المكي، كان في وسعه أصلاً الاعتقاد بأنه النسيب الداني أو القاصي لليهودية القائمة في يثرب «المدينة» وفي غيرها من المدن، أو الجار الذي تربطه أواصر الود والتكامل مع تلك الجماعات في اليمن والحبشة القائلة بالطبيعة الواحدة، أو مع تلك الكنائس النسطورية^(٢) في الإمبراطورية الساسانية، واليعقوبية^(٣) أو الملكية^(٤) في الإمبراطورية

(١) توجيهات في سبيل الحوار (٢٠).

(٢) النسطورية: النساطرة أو الأشوريون طائفة من المسيحيين ينتسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية. قطنوا في كردستان بين الموصل وأرمينية إلى أن تبدد شملهم بعد حرب ١٩١٤م. ازدهرت عندهم الحياة الرهبانية فأوفدوا المبشرين إلى آسيا الشرقية القرن (٦) ونشروا المسيحية في إيران والهند والصين، انضم قسم منهم إلى الكثرة في القرن السادس عشر، وهم الكلدان). انظر: المنجد (٧٠٨).

(٣) اليعقوبية: (السريان: هم اليوم النصارى أبناء اللغة السريانية. انفصلت منهم جماعة عن كنيسة أنطاكية، على أثر المجادلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح. وتلقى مع الكنيسة القبطية في اعتناقها للمونوفيسية، وقولهما معاً بأن للمسيح طبيعة واحدة. وتنظمت في سورية وفي بلاد ما بين النهرين، بفضل يعقوب البرادعي، كنيسة يعرف أبنائها باليعاقبة القرن (٦)، كما تفرعت منهم في القرن (٥) الكنيسة المارونية. وقد تكونت في القرن (٧) كنيسة سريانية كاثوليكية، وفي الهند طائفة لا يستهان بها من السريان هم المالتكاريون، ولها أتباع في العراق أيضاً. وطقوس السريان الكنسية مأخوذة من الطقس الأنطاكي، يستعملون فيها اللغة السريانية). انظر: المنجد في الأعلام (٣٥٤)، الموسوعة العربية الميسرة ١٤١٩هـ.

(٤) الملكانية: (المَلَكِيُّون: هو الاسم الذي أطلقه العرب على مسيحيي سورية=

البيزنطية. ولكن سرعان ما اعتُمد أسلوب التحريم والنبذ، فلم يعد الحوار الإسلامي المسيحي، الذي بدأ مأسوياً عند مباهلة المدينة (٦٣١) (القرآن ٦١،٣)^(١) حين خضع مسيحيو نجران للدولة الإسلامية الفتية، وقبلوا عهد الذمة الذي فرضته، سوى سلسلة من المصادمات السياسية أو الثقافية أو الدينية، أوجدت فيها المماحكات الجدلية، والتحديات الأيديولوجية، جمّاً من الأفكار الخاطئة الناجمة عن إساءة في الفهم أو تسرع في الحكم، وتفاقت الأمور على مر الزمن^(٢).

■ وفي محاولة لتحديد مفهوم «الحوار»: (إن كلمة «الحوار» وإن درجت في الاستعمال أكثر من اللزوم، وصارت عرضة للالتباس، حتى ليؤثر عليها البعض لفظة «المشاركة» أو «التلاقي» يراد بها هنا: التعبير عن نمط من الوجود والعمل يأبى كل اعتزال، ويعني دائماً بالآخر، بل يعتقد أن العلاقة بالآخر هي التي تكوّن الشخصية. فمن الواجب إذن أن يكون الحوار الأمنية العميقة لكل مؤمن جدّي صادق)^(٣).

■ ويحدد الكاتب أربعة استعدادات أساسية في أشخاص المتحاورين، ضرورية في نظره لبلوغ حوار حقيقي، تكشف بدورها عن حقيقة ذلك الحوار وطبيعته:

= الذين خضعوا لقرارات المجمع الخلقيدوني (٤٥١)، وهم في ذلك من جهة الإمبراطور. انضم فرع منهم إلى الكنيسة الكاثوليكية القرن (١٨). والفرع الثاني هم الروم الأرثوذكس لغتهم الطقسية اليونانية والعربية). المنجد في الأعلام (٦٨٤).

(١) يشير إلى الآية (٦١ من السورة الثالثة، سورة آل عمران وهي آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلِيِّ فَقُلْ تَقَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران].

(٢) المرجع السابق، (٢٥ - ٢٦).

(٣) المرجع السابق، (٤٥).

١) - قبول الواحد للآخر: ... يفترض استقبال المسيحيين والمسلمين بعضهم بعضاً قبول بعضهم للبعض الآخر، على ما بينهم من اختلافٍ عظيم، واحترام بعضهم بعضاً في تنوع تراثهم الديني، ومحاولة اكتشاف الآخر في جذّة اللقاء، سعيّاً إلى المزيد من التقدير والحب له. من هنا يجب أن يبدأ كل حوار...

٢ - التفاهم: ... والمطلوب هو التلاقي في سبيل التفاهم، ومعرفة كل واحدٍ للآخر، لا كما هو فقط، بل كما يريد أن يكون أيضاً... ولكن تبادل الإعلام لن يكفي أبداً لبلوغ التفاهم. فعلى المتحاورين كذلك أن يتحرروا مما عندهم من عقد النقص أو التفوق، ويكونوا أكثر تقبلاً لما قد يبيده الآخر من توضيحاتٍ لذاته أو لتراثه الديني، بحيث يصبح كل واحدٍ في النهاية قادراً على أن يضع نفسه في موضع غيره...

٣ - التعايش والمشاركة: على المسيحيين والمسلمين المدعوّين إلى أن يعترف بعضهم ببعض في أصالتهم، ويتبادلوا الشهادة لأمانتهم، أن يتلاءموا بعضهم مع بعض، ويخترعوا مواقف تعزز الوحدة، ويتعاونوا حيثما يشعرون بأنهم ملتزمون القيم نفسها، ولن نلح أبداً بكفاية على ما يتوفر للحوار من إغناء عندما يستطيع الجميع أن يأكلوا معاً، ويتعاضدوا في العمل، ويعانوا متضامنين الآلام نفسها، ويتقاسموا في نفس الأعياد الفرح والبهجة... إن الاعتراف لكل فردٍ وللجماعة التي ينتمي إليها بما يحق لهم من أفضال، وما يختصون به من فضائل يقوي حظ الحوار في بلوغ تكاملٍ أسمى.

٤ - الجرأة والمخاطرة: والحوار، في كل حال، هو دوماً مغامرة لا يعرف فيها المتحاورون إلى أين ينتهون، ويحبسهم أن تقوم بينهم الثقة، وأن يشرعوا في التخاطب والتعايش. ولا بد لذلك من فسحة من

الحرية حتى يجرب كل واحد فيها حظه، مع اجتهاده في مراعاة محاوره وجماعته^(١).

• - ويبرز الكاتب جملة من المحاذير والمحترزات التي تخالف روح الحوار الصادق - في نظره -.

(ليس أسوأ للحوار من السعي الكاذب إلى التكيف، وقوامه عند المسيحي، انتقاص إيمانه حين عرضه بحيث يجعله مقبولاً لدى المسلمين: إن الحوار يفقد كل معناه إذا انتقص الفريق المسيحي إيمانه إلى حد جعله عموميات، وحجب عقائده التي تفترق عما يؤكد القرآن.

وليس المقصود هنا تحولاً بالانتقال من دين إلى آخر، بفعل «مناورات» إيديولوجية أو مداخلات مجتمعية: المؤمنون الحقيقيون كلهم مجمعون على نبذ أشكال الاجتذاب الديني هذه، التي تليق بالإيمان الذي يعيشونه، وبالله الذي يخدمونه...

فلا مجال عندئذٍ لانتصار الواحد على الآخر، أو لاحتفال ضم الواحد إلى الآخر، أو للتباري في المجاملة والملاطفة: إن الحوار هو تساؤل في الإيمان، وتنافس أخوي في العمل «باسم الله»، «فما الحوار إلا صبرٌ طويل... (دعوة) تخلصت من أدران الجدل والدعاية... فتصبح أصلاً تفتحاً على الغير وانتبهاً إليه، تصبح بحثاً متواصلاً عن الحقيقة، وذلك بالتعمق في فهم القيم الدينية والإيمان بها إيماناً راسخاً، حتى تصبح حياة الإنسان شهادة بحثاً...

إلا أن هناك خطراً دقيقاً قد يتهدد حوارهم المشترك، وهو الارتباب، الصحيح أو الباطل، بنوايا المحاور، فتنسب إليه أفكارٌ مبيتة تهدف إلى الاجتذاب الديني.

(١) المرجع السابق، (٤٩ - ٥١).

أو لا يتهم بعضهم الحوار اليوم بأنه أسلوب جديد، بل «مناورة» بارعة، لضم الآخر إلى أيديولوجية من يقوم بالمبادرة، أو إلى إيمانه، فينبغي إذن تكرار القول أن الحوار الصحيح يفترض عند الطرفين العزوف عن السعي إلى حمل الآخر على تغيير دينه، على وجه مصطنع، أو حملة على الشك في معتقده الديني، وسيكون ذلك مسخاً أو خيانة للحوار الحقيقي...»^(١).

ويلح الكاتب في مواضع كثيرة على «الارتقاء» بالحوار إلى مستوى «الحوار الروحي»، بل «الوحدة الروحية» الناتجة من الانفتاح على الآخر، والإعجاب بما لديه:

(إن حوار القيم الحضارية لا يمكن أن يكون فيه الكفاية للمؤمنين الذين يعلمون أن الحوار الأساسي هو الذي يفتحه الله وينميه ويقوده إلى غايته مع كل واحدٍ منهم، في إطار تراثه الديني، وحسبما يراه الله في حرية مقتضياته غير المرتقبة...).

فإذا كان عند المسيحيين والمسلمين كلامٌ كثير يتبادلونه عن القيم التي تهيمن على التزامهم خدمة البشر والمجتمع البشري، فهم يتبينون أيضاً أن بإمكانهم التحالف عن اختباراتهم الدينية بالمعنى الحقيقي، وعن جوابهم الشخصي للتلمسات الإلهية، وعن كنوز القداسة والصلاح التي أنمتها وادخرتها المسيحية والإسلام على مدى التاريخ. إن «الانفتاح في البحث الروحي» يدعو حيثنَّ كل محاور إلى الإعجاب بما يكتشفه عند المؤمنين في الديانات الأخرى...

هذه الدعوة إلى الوحدة الحية في نفوس المتحاورين من المسيحيين والمسلمين، تشبه المساعي المسكونية إلى لَمِّ شمل جميع الذين ينتمون إلى يسوع المسيح رباً أوحد...»^(٢).

(١) المرجع السابق، (٥٧ - ٦٢).

(٢) توجيهات في سبيل الحوار (١٣٧ - ١٣٩).

• ويقترب الكاتب أكثر في تطبيق هذه الوحدة الروحية بأسلوب عملي فيقول:

(والمسيحيون الذين يحضرون صلاة المسلم الأمين، التي يرددها خمس مرات في اليوم يشعرون بالاحترام والإعجاب، وكذلك المسلمون الذين يشهدون أحياناً صلاة الساعات، أو صلاة القداس (الأفخارستيا)^(١) في جماعة مسيحية، يأخذهم العجب، ويحسون بالتعاطف. ومن مصلحة المسيحيين أن يزدادوا معرفة لصيغ الصلاة العديدة عند محاورهم من المسلمين، كما أن هؤلاء يجنون بلا ريب فائدة من إيلائهم الصلوات المسيحية انتباهاً أشد. وعلى حوار المؤمنين إذن أن يسهل هذا التبادل لكنوز الصلاة الروحية التي جمعها هؤلاء وأولئك على مدى التاريخ.

وقد يحدث أن يشعر المسيحيون والمسلمون بالحاجة إلى أن يصلوا معاً، ولكنهم يرون على الفور صعوبة تلبية تلك الحاجة. ويبدو أن على الجميع أن يحترم كل منهم احتراماً كاملاً قوام الصلاة الطقسية والعبادة المفروضة عند الآخر، دون أن يحاولوا أبداً المشاركة فيها مباشرة، على أن يتساهلوا ويقبلوا أن يشهدوها متعاطفين إذا ما دعوا إلى ذلك، أو طلبوا الحضور باسم الإضافة الإبراهيمية... قد يجد الفريقان في أسوة الأولياء والقديسين الجرأة الضرورية لاستنباط صيغ مشتركة جديدة للتسبيح والابتهاال تجمعهما في اختبار للصلاة يتم في حياة كل منهما)^(٢).

• ونختتم هذه النقولات بإمالة اللثام عن موقف الكاتب، وموقف

(١) راجع مبحث الطقوس البدعية الكهنوتية عند النصارى في التمهيد. الأسرار السبعة (١٠١ - ١٠٢).

(٢) المرجع السابق، (١٤٧ - ١٤٩).

الكنيسة الكاثوليكية بالطبع، من الحوار في أخطر القضايا، وهي قضية التوحيد والألوهية، وحقيقة عيسى عليه السلام، فيقرر قائلاً: (ليس من النافع، بل قد يكون من الضار للحوار، إعادة الجدل وتوسيعه كما حصل في أوائل القرون الوسطى. ويبدو أنه من المستحيل التقريب بين المسيحيين والمسلمين في هذا المجال، باعتماد البراهين الفلسفية، أو الاستدلالات اللاهوتية الكلامية)^(١).

ونكتفي بهذا القدر من كتاب «توجيهات في سبيل الحوار» لاستكناه حقيقة دعوة التقريب والحوار كما يراها الجانب النصراني، وهو يخاطب مواطنيه، وتتضح لنا معالم أساسية نستخلصها من العرض السابق:

أولاً: أن تاريخ العلاقات الإسلامية النصرانية خلا من الحوار بصورته الصحيحة، وعلى الأخص ما جرى في العهد النبوي مع نصارى نجران، حيث يصفه المؤلف بأنه «مأسوي» انتهى بالمباهلة والإخضاع، واعتمد أسلوب التحريم والنبد. وما أعقبه بعد ذلك طوال التاريخ كان سلسلة من المصادمات والمماحكات والتحديات.

ومن ثم فالحوار المطلوب وليد هذا العصر الحديث. وأسلوب المناظرة والمجادلة والردود لا يتفق ومشروع الحوار الحقيقي المقترح.

ثانياً: حقيقة الحوار المطلوب انفتاح مطلق على الآخر يأبى كل اعتزال، ويعنى دائماً بالآخر، يتقبله ويحترم تراثه، ويحاول أن يكتشفه ويتعرف عليه، ومن ثمَّ يتعايش معه ويشاركه آلامه وأفراحه، وينطلق معه في حوار مطلق بلا قيد ولا شرط إلى المجهول، (كالمسافرين في الطريق لا يعرفون جيداً إلى أين يقودهم الله، ولكنهم يقرون بأنه يريدهم أن يسيروا معاً)^(٢). تلك حقيقة الحوار وأسلوبه في نظر الكنيسة الكاثوليكية.

(١). توجيهات في سبيل الحوار (١٠٩).

(٢) المرجع السابق، (٦٢).

ثالثاً: هدف الحوار تعزيز التعاون بين الجميع، الموصول إلى التعمق في العقيدة والتراث الديني، الحامل للتغيير إلى الأفضل، ومحاولة الارتقاء نحو الوحدة الروحية، والمشاركة التعبدية، بل واستنباط صيغ مشتركة جديدة للصلاة والتسبيح يمارسها الطرفان معاً.

رابعاً: والحوار الحقيقي، والتقارب الصادق يربأ في نظر المؤلف عن محاولات الاجتذاب الديني والدعوي بجميع أشكاله، بل يعد ذلك خيانة لا تليق بالهدف النبيل الذي يسعى إليه. كما يرفض الحوار الصادق التكيف الكاذب والمجاملة على حساب الضمير والمعتقد، بل يؤكد الكاتب لمواطنيه النصارى أن مجرد التعبير عن إيمانه بعموميات، وحجب معتقده الذي يخالف صريح القرآن إلى الحد الذي يجعله مقبولاً لدى المسلمين انتقاص وسعي كاذب. كما لا بد لطرفي الحوار من السلامة من مشاعر الارتياب تجاه بعضهما بعضاً من تبييت نية مسبقة للضم والتشكيك والاجتذاب.

خامساً: ومع طلاقة الحوار، ورحابة الدعوة إلى الانفتاح، إلا أن للحوار حداً لا يجوز تخطيه، بل ولا الاقتراب منه، ذلك ما يتصل بعقيدة التثليث والتجسد والفداء في شخصية المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، فالحوار هنا ضار بل مستحيل.

إن الحوار الذي يصفه الأب موريس بورمانس، شارحاً بذلك مضامين قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني وأهدافه ليمثل نمطاً غريباً، وبدعة محدثة على منهج الدعوة الإسلامية في ماهيته وفي أسلوبه وفي غاياته.

إن الكاتب يغالي في تعظيم شأن الحوار وتمجيده، حتى يستحيل في حس القارئ إلى هدف بدلاً من كونه وسيلة. لقد عرف المسلمون منذ فجر الدعوة الإسلامية دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، بالحجة والبيان والدليل والبرهان، وتركوا في ذلك تراثاً

ضخماً، ولكن المحاور النصراني يريد أن يبرئ الحوار الصادق من أدنى تهمة بلدعوة والاجتذاب والإقناع، ويرى في ذلك تعكيراً لصفاء الحوار!

كما استقر عند المسلمين بداهة أن أهم القضايا التي يجادلون فيها أهل الكتاب هي قضية التوحيد المطلق لله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ونبذ مظاهر الشرك وعبودية سوى الله تعالى، وعمدتهم في هذا الجدل الشرعي الصحيح قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ولكن دعاة الحوار الحديث يريدون تنحية هذه القضية الأساسية وتحاشيها، لأن الحوار فيها يفسد الحوار، وهكذا يصبح الحوار غاية لا وسيلة. وفضلاً عن ذلك هو غاية غير واضحة يخبط المتحاورون فيه في التيه، بحرية ومغامرة لا يدرون إلى أين ينتهون! وكل ذلك مرفوض عقلاً، فضلاً عن كونه ردةً وزندقةً ديناً وشرعاً. ولا أدل على ذلك من تلك المطالب والمقترحات التي تقدم بها الكاتب للمشاركات الروحية من صلوات وابتهالات، لا يمكن أن يقبل بها مسلم يعي حقيقة دينه. وربما وجدت صدئاً لدى بعض الزنادقة من المنتسبين إلى الإسلام من غلاة الصوفية الذين يسقطون الحدود والرسوم والشعائر، أو الفرق الباطنية الضالة. وهذا يفسر ميل الكاتب^(١) وغيره من الآباء الروحيين للنصارى إلى أقطاب التصوف من القائلين بوحدة الوجود والاتحاد والحلول، وإعجابهم بهم، وتمجيدهم لهم، وذلك لاتفاق المشرب.

(١) انظر في المرجع السابق، (٨٩ - ٩١، ١٠٣، ١٠٥، ١٥٠).

ج - (حوار وبشارة: تاملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل):

وقد أثار هذا التحول التاريخي في موقف الكنيسة الكاثوليكية من الأديان سواء ما يتعلق بالقاعدة النظرية حول توسيع فكرة الخلاص وشمولها من هم خارج الكنيسة، أو ما ترتب على ذلك من الدعوة إلى الحوار والبحث عن القيم المشتركة والتعاون في تنميتها، أثار جدلاً واسعاً في أروقة الكنيسة ذاتها وخارجها، واشتعل فتيل الجدل - بطبيعة الحال - في الملتقيات الأولى للمجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٢م بين الدوائر الكنسية المحافظة في الفاتيكان والآباء التقدميين الراغبين في الانفتاح على عالم جديد منفتح.

وفي دورة المجمع الثانية عام ١٩٦٣م، بعد وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين وتوقيع البابا بولس السادس، بلغ الجدل ذروته في مناقشة أهم دساتير المجمع المتعلق بتحديد هدف الكنيسة ورسالتها وعلاقاتها، ويصور الأب غابي هاشم البولسي هذه الأزمة بقوله: (احتل مشروع «الكنيسة»^(١) مكان الصدارة في هذه الدورة، بل في أبحاث المجمع كله، ولا عجب في ذلك، لأن لهذا الموضوع أهميته الأساسية في حياة الكنيسة، إذ عليه يتم الاعتماد، وإليه يتم الرجوع في بناء الأسس اللاهوتية وانعكاساتها على سائر مضامير الحياة الكنسية، لقد شكل هذا المشروع المنعطف الخطير، وتسبب بأزمة حادة، وضعت مصير الكنيسة وتوجه المجمع على المحك. وسرى الريب في النفوس الضعيفة، فراحت تتساءل: هل تقوى الكنيسة على مواجهة ذاتها والانفتاح على العالم المعاصر، أم تتمسك بأهداب سلطة زمنية، وامتيازات إدارية، فتدير بالتالي ظهرها للفرصة الذهبية، ضاربة عرض

(١) المقصود مشروع صياغة الدستور العقدي الأول للمجمع المسمى «الكنيسة».

الحائط بآمال الكثيرين وتطلعاتهم؟ تلك لعمري أوج الأزمة التي بلغتها المناقشات قبيل التصويت التاريخي الذي جرى في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٦٣م^(١).

وأسفر التصويت عن تفوق النزعة التقدمية، وتمخض المجمع عن تلك الوثيقة التاريخية المسماة «الكنيسة. دستور عقائدي» متضمنة تلك الفقرة المشار إليها آنفاً حول مفهوم الخلاص، والتخلي عن اعتبار الإسلام هرطقة دينية مسيحية، والاعتراف به ديناً رسمياً جديراً بالاحترام^(٢). وجرى جدل مماثل حول البيان المجمعي حول «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»^(٣). ولكن الروح الانفتاحية، والعبارات التصالحية سادت في النهاية.

ولكن هذا الجدل الذي حسم رسمياً بصدر دساتير المجمع وقراراته وبياناته^(٤) لم تنحسم مادته واقعياً في العقول والصدر. فثارت إشكالات متعددة حول بنوده المختلفة. ومن أبرز هذه الإشكالات المتصلة بموضوع بحثنا، معضلة العلاقة بين الحوار والبشارة، ومحاولة التوفيق بينهما. وسنلقي عليها بعض الضوء لكون ذلك يسهم بشكل جيد في كشف المفهوم الكنسي لقضية «الحوار» وأهدافه ومراميها، عند مقابله بالقضية العتيقة الثليدة لدى الكنيسة وهي «البشارة».

(١) من مقدمة: (المجمع الفاتيكاني الثاني) (١٦، ١٧).

(٢) المرجع السابق، (٥٢).

(٣) انظر مقدمة البيان في المرجع السابق، (٦٢٥، ٦٢٩).

(٤) خرجت الكنيسة الكاثوليكية من المجمع بمجموعة من الوثائق التي تتفاوت قيمتها من الناحية الإيمانية، كما تدل على ذلك العناوين الرئيسية الثلاثة: فالدستور غير القرار، وكلاهما غير البيان، ذلك لأن الدستور يحمل سمة الديمومة، فيما القرار له صفة عملية، وأحكام مرتبطة بظروف الزمان والمكان، وأما البيان فإعلان موقف من موضوع ما، وهو رهن بمناسبته التاريخية). من مقدمة كتاب: المجمع الفاتيكاني الثاني: دساتير، قرارات، بيانات (٢٠).

وقد أصدرت أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين عقب الجمعية العمومية التي عقدت سنة ١٩٨٤م وثيقة بعنوان: «موقف الكنيسة من مؤمني سائر الأديان: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار والرسالة» تضمنت ذكر أربعة أشكال من أشكال الحوار هي:

(أ - حوار الحياة: حيث يعمل الناس على أن يعيشوا بروح انفتاح وحسن جوار، مقتسمين أفراحهم وأحزانهم، ومشاكلهم ومشاكلهم الإنسانية.

ب - حوار الأعمال: حيث يتعاون المسيحيون والآخرين في سبيل تنمية كاملة وتحرر للإنسان غير منقوص.

ج - حوار التبادلات اللاهوتية: حيث يعمل أخصائيو على تعميق الفهم للتراث الديني لدى كلٍ منهم، وتقدير القيم الروحية الخاصة بكل منهم تقديراً متبادلاً.

د - حوار الخبرة الدينية: حيث يتقاسم أشخاص متجذرون في تقاليدهم الدينية الخاصة ثرواتهم الروحية، من مثل ما يتعلق بالصلاة والتأمل، وبالإيمان وطرق البحث عن الله والمطلق^(١).

وبعد تحول «الأمانة» إلى «المجمع البابوي للحوار بين الأديان»، قام المجمع بمعالجة أوسع للقضية، وإعداد وثيقة جديدة بعنوان: «حوار وبشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل»، تم إقرارها في الجمعية العمومية للمجلس البابوي من أجل

(١) حوار بشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان، والتبشير بالإنجيل (٣١) وانظر: شرح هذه الأشكال بمزيد من التفصيل عند: مورييس بورمانس في: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٤٦) - (٤٨)، وعادل تيودور خوري في الفاتيكان والحوار الإسلامي المسيحي، مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٤٦ - ٥٠).

الحوار بين الأديان في نيسان - أبريل سنة ١٩٩٠م^(١). وقد اشترك في وضع الوثيقة كل من: رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، ورئيس مجمع تبشير الأمم، ووقَّعها في أيار - مايو سنة ١٩٩١م.

ونظراً لحدائث الوثيقة وأهميتها ورسميتها، فسنعتمدها مرجعاً أصيلاً في استجلاء حقيقة الحوار من وجهة النظر الكاثوليكية بعد خضوعه لمطارق النقد من داخل الكنيسة نفسها.

• في مقدمة الوثيقة تصوير لأبعاد المشكلة: (إن عمل الحوار يبعث في نفوس الكثيرين بعض المسائل. فهناك من يبدو لهم في تفكيرهم الخاطئ، أن الحوار في رسالة الكنيسة الحالية، يجب أن يقوم مقام البشارة. وهناك آخرون يقفون موقفاً معاكساً، ويمتنع عليهم فهم قيمة الحوار بين الأديان. وهناك أخيراً من تولتهم الحيرة فتساءلوا قائلين: لئن بلغ الحوار بين الأديان هذه الدرجة من الأهمية، فهل فقدت الرسالة الإنجيلية دورها المُلح؟ هل أصبح العمل على ضم الناس إلى حظيرة الكنيسة أمراً ثانوياً، أو بالأحرى نافلاً؟ من هنا الحاجة إلى بعض التوجيهات العقائدية والراعوية، ترمي هذه الوثيقة إلى المشاركة فيها، من غير أن تدعي التمكن من الإجابة الشافية عن شتى الأسئلة المعقدة التي يثيرها الموضوع)^(٢).

تحاول الوثيقة أولاً إيجاد قاعدة لتسويق وتبرير عملية الحوار مع غير النصارى بإثبات تضمن عقائدهم وتقاليدهم ما يستحق الاحترام والتقدير أولاً، ثم، وهذا هو الجديد هاهنا، إشعار النصراني أن تلك

(١) انظر مقدمة: حوارٌ وبشارة: تأملاتٌ وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل، المجمع البابوي للحوار بين الأديان. تعريب دائرة الترجمة في المكتبة البولسية. الطبعة الأولى ١٩٩٣م. (٧، ٨).

(٢) حوار وبشارة (٩).

الجوانب المشرقة لدى الآخرين إنما هي أثر للنعمة الحاصلة بيسوع المسيح بطريقة سرية غير مدركة لدى أولئك الأقوام:

• (...) ينتج عن سر الوحدة هذا أن جميع المخلصين والمخلصات يشتركون، وإن بأشكالٍ مختلفة، بسر الخلاص عينه في يسوع المسيح بواسطة روحه. هذا ما يعيه المسيحيون جيداً بفضل إيمانهم فيما يغيب عن وعي الآخرين أن يسوع هو ينبوع خلاصهم. بيد أن سر الخلاص يشملهم بطرقٍ يعرفها الله، بفضل عمل روح المسيح غير المنظور. والواقع أن أعضاء الديانات الأخرى يستجيبون لدعوة الله، وينالون الخلاص بيسوع المسيح، بممارسة صادقة لما هو خير في تقاليدهم الدينية، واتباع توجيهات ضميرهم، حتى وإن لم يقرؤا ويعترفوا به على أنه مخلصهم^(١).

• (...) إننا حين نؤكد أن التقاليد الدينية الأخرى تحتوي على «عناصر نعمة» لا نعني بذلك أن كل ما فيها ثمرة النعمة. فالخطيئة عملت في العالم. والتقاليد الدينية الأخرى، على ما لها من قيمة إيجابية، تعكس أيضاً حدود العقل البشري الذي يميل بعض الأحيان إلى اختيار الشر. وإن نظرة منفتحة وإيجابية على التقاليد الدينية الأخرى، لا تسمح لنا بالتغاضي عن التناقضات التي يمكن أن تكون بينها وبين الوحي المسيحي. وحيث يقتضي الأمر لا بد من الاعتراف بوجود تعارض بين بعض العناصر الأساسية للدين المسيحي، وبعض مظاهر هذه التقاليد^(٢).

وهكذا تجمع الوثيقة أزمة «الخلاص» التي سبق أن أثبتنا المجمع الفاتيكاني لغير النصارى، بيد العقيدة النصرانية، فالآخرون لم يهتدوا

(١) حوار وإشارة (٢٤، ٢٥).

(٢) حوار وإشارة (٢٤، ٢٥).

في نظر الكنيسة إلى طريق الله، وسبيل الخلاص، بصفة مستقلة، وإنما بنوع من التأثير غير المدرك من الروح القدس، أحد أقانيم التثليث النصراني، وبالتالي فكل «عنصر نعمة» موجود في تلك الأديان والتقاليد الأخرى، فمن عمل يسوع. وما سوى ذلك مما لا تقره العقيدة النصرانية فمن أثر الخطيئة، ولا يمكن حينئذ التغاضي عنها.

وبهذا يتضح إن عملية «تأنيس» الحوار للرافضين له من الجانب الكاثوليكي، الذين يعتقدون أنه يعارض مهمة «البشارة»، تنطلق من محاولة نسبة ما لدى غير النصارى من معتقدات وممارسات صائبة، إلى تأثيرهم غير الواعي بعمل الخلاص النصراني، ومن هنا فقط، تستحق الاحترام والتقدير، فلا تعارض إذاً يقع في ضمير النصراني الذي يعتقد أنه يمتلك «الحقيقة المطلقة»، ما دامت عناصر الخير والصواب لدى الآخرين هي من تأثير الأسرار النصرانية، شعر الآخرون أم لم يشعروا. فما أثر استبطان هذه الفكرة على قضية «الحوار»؟ تخلص الوثيقة إلى القول: (ذلك يعني إذن أن المسيحيين، وهم يعتقدون الحوار بروح منفتح مع أتباع التقاليد الدينية الأخرى، يستطيعون أن يحثوهم سلمياً على التفكير في محتوى معتقدتهم، وعلى المسيحيين أنفسهم أن يقبلوا بدورهم أن يكونوا موضع تساؤل، ومع ما لديهم من ملء الوحي الإلهي في يسوع المسيح، قد تكون الطريقة التي يفهمون بها ديانتهم ويعيشونها بحاجة إلى تنقية)^(١).

■ وبهذا الوضوح تفشي الوثيقة هدف الحوار وثمرته، وتوزع المهام على طرفي الحوار كالتالي:

١ - على أصحاب الديانات الأخرى إعادة النظر في مفردات عقائدهم، علّهم أن يكتشفوا أصولها النصرانية التي أثمرت لهم هذه الممارسات والمعتقدات الصائبة.

(١) حوار ويشارة (٢٥، ٢٦).

٢ - على النصارى حثهم على ذلك بطريقة سلمية وهي «الحوار»، لا «المجابهة». وليس عليهم أن يعيدوا النظر في معتقداتهم، لأنها حقٌ مطلقاً. لكن عليهم أن يقبلوا - صابرين محتسبين - أن تكون تلك العقائد موضوع تساؤل من قبل الآخرين فحسب. ثم لا تنسى الوثيقة أن تكافئ المحاورين النصارى باعتبار ممارسة الحوار تتيح لهم «تنقية» تدينهم، و«تجديد» طريقة فهمهم له، وبذلك يلتقي «الحوار» و«البشارة» في هدفٍ مشترك، هو «الخلاص» بالمفهوم الكنسي. تقول الوثيقة: (في هذا الإطار يسهل أكثر فأكثر فهم السبب والمعنى اللذين يجعلان الحوار بين الأديان عنصراً جوهرياً من رسالة الكنيسة التبشيرية، والسبب الأساسي لالتزام الكنيسة بالحوار ليس «أنثروبولوجياً»^(١) فحسب، بل لاهوتي أيضاً. ففي حوار يستمر مدى العصور، وهب الله الخلاص، ولم يبرح يهبه للبشر. والكنيسة وفاءً للمبادرة الإلهية توجب على نفسها إذن أن تدخل في حوار خلاصي مع الجميع)^(٢).

ويشرح القرار المجمعى «إلى الأمم» طبيعة هذا الحوار الخلاصي وحقيقته: (إن تلاميذ المسيح المتحدين بحياتهم وعملهم اتحاداً وثيقاً بالبشر، يتمنون أن يقدموا لهم شهادة المسيح الحق، ويعملون من أجل خلاصهم حتى حيث لا يتمكنون من التبشير تبشيراً كاملاً بالمسيح. «إلى الأمم»^(٣)).

وهكذا يتبين أن الحوار ليس مشروعاً مستقلاً، بل هو مشمول

(١) الأنثروبولوجيا Anthropology: علم الإنسان (علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته) المورد: قاموس إنكليزي - عربي. منير البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت طبعة ١٩٧٦م الطبعة العاشرة. (٥٢).

(٢) حوار وبشارة (٢٩).

(٣) حوار وبشارة (٣٠).

بالمشروع الأساسي العتيد؛ البشارة. وما لا يدرك كله لا يترك جُلّه. ولكن الوثيقة تعرب صراحة عن الأمنية النهائية حين تقول: (نظراً إلى هذا الهدف، أي قيام الجميع بارتداد أعمق إلى الله، يكون للحوار بين الأديان قيمته الخاصة. وفي أثناء هذا الارتداد، «قد يُولد القرار بالتخلي عن موقف روحي أو ديني سابق لاعتناق آخر» «موقف الكنيسة (٣٧)»^(١).

وتمضي الوثيقة قدماً في التأكيد على ضرورة «إعلان بشرى يسوع المسيح»، وأصالة هذه المهمة، ودور الكنيسة، وطرائق إعلان البشرى، والعقبات التي تواجه ذلك^(٢)، حتى إن القارئ ليتساءل في ظل هذه التأكيدات الواضحة لأهمية التبشير المباشر الصريح، لِمَ الحوار إذن، وما الحاجة إليه؟

وتجيب الوثيقة عن هذا التساؤل في نهاية الفصل: (من البديهي إذن أن تكون الكنيسة لأسباب سياسية أو غير سياسية، في أوضاع يستحيل فيها عملياً إعلان البشرى، فتقوم برسالتها التبشيرية ليس فقط بحضورها وشهادتها، بل بنشاطاتها، كالالتزام بالإنماء البشري، وبالحوار نفسه. وأما في الأوضاع التي تتوافر فيها للناس الاستعدادات لسماع رسالة الإنجيل، والإمكانات للاستجابة لها، فينبغي للكنيسة أن تبادر إلى تطلعات هؤلاء الناس وتحقيق آمالهم)^(٣).

إن هذا النص يدل على أن «الحوار» تَقِيّة تتخذ في الظروف غير المناسبة أو بعبارة أخرى: هو «أضعف الإيمان». فحينما يتعذر عملياً إعلان البشرى فلا أقل من طرح الموضوع للحوار، فلن يعدم المحاور

(١) حوار وبشارة (٣٠).

(٢) انظر: حوار وبشارة (٤٣ - ٦٤).

(٣) حوار وبشارة (٦٤).

فائدةً مهما قلّت: (الحوار الحقيقي بين الأديان يفترض من قبل المسيحي الرغبة في حمل الغير على معرفة يسوع ومحبه أكثر فأكثر. وإعلان يسوع المسيح يجب أن يتم بروح الحوار الإنجيلية، ولا شك أن النشاطين يبقيان متميزين. إلا أن التجربة تدل على أن الكنيسة المحلية وحدها، والشخص وحده يستطيعان أن يلتزما بهذا أو ذاك^(١).

العبارات واضحة المدلول جداً على كون الحوار وظيفة وقتية تمليها ظروف محلية يقدرها الفرد أو الكنيسة، وهو على كل حال يهدف إلى حمل الغير على معرفة يسوع ومحبه أكثر فأكثر. لقد سقطت الأقنعة، وظهرت الحقيقة من بين ركام الجمل الغائمة والعبارات المطاطية، والأساليب حمالة الأوجه. ونختم بهذا النداء الذي توجهه الوثيقة للنصارى:

(جميع المسيحيين مدعوون شخصياً ليكونوا شركاء بهاتين الطريقتين لإتمام هذه الرسالة الوحيدة للكنيسة، أي إعلان البشرى والحوار. أما شكل مشاركتهم فيرتبط بالظروف، وبدرجة إعدادهم لها. ولكن عليهم أن يتذكروا بأن الحوار كما قيل في السابق لا يكون كل رسالة الكنيسة، وهو لا يستطيع أن يحل مكان إعلان البشرى إلا أنه يبقى متجهاً نحو إعلانها)^(٢).

إن هذه التحولات، والتقلبات في مناخ الكنيسة الكاثوليكية تجاه قضية الحوار، لتكشف عن صراع مبطن بين أجنحة القوى داخل الكنيسة، والتي تمتد جذورها إلى المداولات الحامية التي دارت في أروقة المجمع الفاتيكاني الثاني أثناء مناقشة مسودات الدساتير والقرارات والبيانات بين أصحاب النزعات المختلفة. بل في الحقيقة

(١) حوار وبشارة (٦٧).

(٢) حوار وبشارة (٧٣).

إلى ما قبل المجمع ذاته فيما يتعلق بالإسلام والقرآن والنبوة، في مجال الدراسات الكاثوليكية المعاصرة (الإسلاميات)؛ إذ يشير إلخسي جورافسكي إلى وجود ثلاثة اتجاهات سابقة للمجمع:

(اتجاه الحد الأعلى: ويعترف أنصاره بصورة أو بأخرى بالطابع الإلهي للقرآن. أما الاتجاه المضاد فيمثل في التيار «المنغلق» أو «المتحفظ» إزاء الإسلام، ويطلق على أتباعه «أصحاب الحد الأدنى»... الذي يرى في الإسلام محاولة فاشلة قام بها حاخام مكّي لتهويد العرب. مستخدماً لهذه الغاية «الأمي» محمد^(١).

تيار الوسط: الموقف الرسمي للكنيسة المعاصرة - موقف الود، والانفتاح، والحوار مع المسلمين. مع أن موقفهم بالنسبة لنبوة محمد ﷺ، والطبيعة الإلهية للقرآن أكثر تحفظاً... وينطلق موقفهم من ضرورة الحوار والتقارب مع الإسلام في الميادين الاجتماعية والسياسية، والثقافية والروحية، مع ابتعادهم عن المنطقة التي لا تمس، أو التي لا تتحمل المناقشة المفصلة لحساسية الأمر، ونعني بها المسائل المتعلقة بالأسس والمبادئ العقائدية الكبرى في كلا الديانتين^(٢).

والحقيقة أن المجمع الفاتيكاني الثاني قد سجل انتصاراً لأنصار التقارب والحوار، لكنه لم يقض على الاتجاهات الأخرى، بل ظلت تصطرع في الخفاء، (ففي مرحلة ما بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، برزت في الكاثوليكية ثلاث نزعات من حيث الموقف تجاه الحوار مع الإسلام:

(١) قد حكى الله هذه المقولة البائرة عن أمثالهم من المنكرين في مكة: ﴿وَلَقَدْ قَمَلُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُوا وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ ثَبُوتٌ ۝﴾ [النحل].

(٢) الإسلام والمسيحية. (١٢٨ - ١٣٠).

■ أنصار النزعة الأساسية «الأكبر عدداً»، يؤسسون موقفهم المؤيد للحوار انطلاقاً من قرارات المجمع، ووثائق الفاتيكان، والرسائل البابوية اللاحقة، منطلقين من الاعتراف بـ«الصلة الروحية» القائمة بين الديانتين، والتي تتجلى أكثر وضوحاً في العقيدة التوحيدية^(١). وهي العقيدة السامية، التي ستؤدي إلى التفاهم المتبادل، والصون والتعزيز المشترك «للعادلة الاجتماعية والسلام»...

■ أما أنصار النزعة الثانية، فإنهم لا يمانعون من حيث المبدأ في إقامة الحوار بين الديانتين، لكنهم يشترطون إقامته ضمن المجال الدنيوي البحت، بحيث ينأى الحوار عن مناقشة الإشكاليات والمسائل الدينية التي تتصل بمفهوم «الأمة» و«الكنيسة العالمية»...

■ بينما تتجلى مواقف أنصار النزعة الثالثة ومنطلقاتهم في رسالة الأسقف اللبناني ب. بسيم^(٢) إلى الكاردينال بينيدولي، الذي ترأس أمانة سر اللجنة الخاصة بشؤون الديانات غير المسيحية، فبعد أن يعمم بعض الآراء السياسية - التشريعية للنظرية الإسلامية، يؤكد ب. بسيم أن الشكل الوحيد المقبول لدى المسلمين فيما يخص النسق الاجتماعي - السياسي هو «الأمة» أي الجماعة الإسلامية الشيوقراطية^(٣)، التي تضع المسلمين الأغلبية في مرتبة «الحامي» و«الراعي» لديانات الأقليات الأخرى، ولهذا فإنه في حدود العالم الإسلامي لا يمكن الحديث عن أي مساواة، بما في ذلك الحقوق المدنية بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وهذا الواقع يحول وحده - حسب رأي ب. بسيم - دون إقامة أي حوار مفيد بين الديانتين^(٤).

(١) أين التوحيد في عقيدة التثليث؟

(٢) بلوس باسيم - أو: بسيم - النائب الرسولي للاتين.

(٣) الشيوقراطية Theocracy: الحكومة الدينية.. دولة خاضعة لحكم رجال الدين. المورد (٩٦٢).

(٤) الإسلام والمسيحية. (١٥١ - ١٥٣).

إن هذه النزعات داخل الكنيسة الكاثوليكية عميقة متجذرة، وتتأثر كل منها قوة وضعفاً بحسب متغيرات شتى، مثل مستوى الاستجابة الإسلامية للحوار، والأحداث العالمية السائدة في العالمين الإسلامي والنصراني، وقبل ذلك وأثناءه وبعده المصلحة العليا للكنيسة ورسالتها التنصيرية.

وحيث إننا لا نترقب مجمعاً مسكونياً وشيكاً ليفصل بين هذه الاتجاهات ويرجح إحدى الكفتين بقانون التصويت المعتمد في تلك المجامع منذ فجر النصرانية، فإننا لا نملك أن نقطع بالرأي السائد المعتمد إلا من خلال زاوية رصد واحدة في نظري، وهي منهجية بابا الفاتيكان الذي يملك سلطات واسعة تصل إلى حد «العصمة» عندهم، ويقوم تبعاً بتوجيه الرسائل لأساقفته في مختلف القضايا في نشاط دائم لا نظير له في تاريخ باباوات روما، وبالتالي فإن موقفه من قضية التقريب يعبر عن الموقف الرسمي الراهن للكنيسة الكاثوليكية. ونحاول في الصفحات التالية استطلاع هذا الموقف.

موقف البابا يوحنا بولس الثاني من التقريب بين الأديان:

يقف على رأس هرم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية منذ عام ١٩٧٨م البابا «يوحنا بولس الثاني»، الذي تميز بنشاطه وحيويته، ورحلاته المتعددة لمختلف أقطار العالم لنشر النصرانية، وتفقد أحوال رعيته الكاثوليكية^(١).

ويعد بابا روما الرئيس الأعلى لنصارى العالم على اختلاف طوائفهم وتعدد انقساماتهم، ولا يداني منصبه هذا أي منصب ديني نصراني في العالم، ويحمل هذا البابا ألقاباً فخمة، تشي بالمكانة

(١) سيأتي مزيد تفصيل لمحاولات البابا يوحنا بولس الثاني العملية للتقريب بين الأديان في فصل: المحاولات الجماعية من الباب الثاني.

الكبرى التي يتبوؤها بين أتباع ملته. مثل: خليفة القديس بطرس، ونائب يسوع المسيح، والحبر الأعظم للكنيسة العالمية، إلى غير ذلك من الألقاب الدالة على مستوى تمثيله الرفيع للنصارى.

وقد دأب البابا يوحنا بولس الثاني على ترديد نصوص المجمع الفاتيكاني الثاني المتعلقة بالمسلمين في كل مناسبة يحصل بها نوع اتصال أو زيارة تتعلق بالمسلمين، والحوار معهم. وقد كان أيام انعقاد المجمع قد تجاوز الأربعين من عمره وكان من الأعضاء المشاركين الأساسيين بدرجة أسقف^(١).

وفي فترة بابويته كثر الحديث عن قضية الحوار، والعلاقة بين الحوار والبشارة، واستضاف «الفاتيكان» العديد من اللقاءات الدينية المنوعة، وشارك في الكثير من مؤتمرات التقارب والحوار، وأصدر الوثائق والإرشادات المتعلقة بقضية الحوار والبشارة، وأكد البابا بنفسه على تبني الحوار مع الأديان عموماً، والإسلام خصوصاً، انطلاقاً من مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني، ولكنه وضع الحوار في إطار المهمة الأساسية للكنيسة، وهي التبشير. فمع عناية البابا بالحوار واستمراره، كقوله في رسالة الفادي: (المؤمنون جميعهم، والجماعات المسيحية كلها، مدعوون إلى ممارسة الحوار... إن الحوار هو الطريق إلى الملكوت)^(٢)، إلا إنه في خطابه الموجه إلى أعضاء الجمعية العمومية للمجلس البابوي للحوار بين الأديان المنعقد عام ١٩٧٨م يجعله قسماً توأماً للتبشير، فيقول: (.. كما أن الحوار بين الأديان هو مادة من مواد رسالة الكنيسة، فإن إعلان عمل الله الخلاصي في سيدنا يسوع

(١) انظر: يوحنا بولس الثاني والإسلام. للدكتورة: زينب عبد العزيز (١٩).

(٢) رسالة الفادي: البابا يوحنا بولس الثاني. اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام.

جل الديب - لبنان. صدرت في روما ١٩٩٠م. (٩٠).

المسيح هو أيضاً مادة أخرى... وإنه من غير الجائز أن يختار الواحد، ويتجاهل الآخر، أو يطرح^(١).

أما الرحم الجامع لهذين التوأمين فيتبين بقوله: (إن الحوار بين الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية. فهو باعتباره طريقة ووسيلة لمعرفة وإغناء متبادلين، لا يتعارض مع الرسالة إلى الأمم. إنه بالعكس، مرتبط بها، بنوع خاص، وهو تعبير عنها... إن الخلاص يأتي من المسيح، وإن الحوار لا يعفي من التبشير بالإنجيل...)

تعتبر الكنيسة أن ليس ثمة من تناقض بين البشارة بالمسيح، والحوار بين الديانات، ولكنها تشعر بضرورة تنسيقهما في إطار رسالتها إلى الأمم^(٢)، ولعل سر احتفاء البابا يوحنا بولس الثاني بالحوار، هو أنه يرى فيه معبراً ثقافياً ينفذ التبشير من خلاله إلى أعماق الحضارات الأخرى، بعد تأنيسه بالحوار، وذلك ما اصطلاح الكنسيون على تسميته بالغرس الثقافي للمسيحية المستنبت في تربة ثقافات أخرى. يقول البابا في الإرشاد الرسولي المعنون بـ «تبليغ التعليم الديني»: (إن رسالة البشارة متضمنة في الثقافة الإنجيلية التي لا يجب أن تنفصل عنها. إنها تنتقل عبر حوار رسولي متضمن بالضرورة في حوار ثقافي بعينه. إن قوة الإنجيل قادرة على التغيير والتجديد، لذلك لا يجب أن يتغير الإنجيل أو يتأثر عند اتصاله بالثقافات، وعندئذ فإن التعليم الديني سيتأصل في مختلف الثقافات، ويضفي كمال المسيح على قيمها الشرعية)^(٣).

(١) عن حوار وبشارة (١٠).

(٢) رسالة الفادي (٨٦ - ٨٧).

(٣) نقلاً عن: تنصير العالم. (مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني): د. زينب عبد العزيز. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة - مصر. الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م). (١٠٧).

وفي هذا القدر تفسير وبيان لطبيعة «الحوار» الذي ينشده راعي الكنيسة الكاثوليكية، إنه الحوار المتدسس الذي لا يعني في الحقيقة معنى التبادل، والاستعداد للتغيير، والتجرد، والمجازفة، من طرفي الحوار كما كانت الكنيسة تدعي ذلك عقب المجمع الفاتيكاني الثاني، ولكنه الحوار الذي يشترط مسبقاً أنه: (لا يجب أن يتغير الإنجيل أو يتأثر عند اتصاله بالثقافات).

إن الحوار في نظر البابا عملية نفسية يخضع لها المحاور الآخر، فيتعرض لحالة اهتزاز قيم، وزلزلة ثوابت تنتج «الارتداد» الذي يوصل في نهاية المطاف إلى اعتناق موقف عقدي جديد. ويصف البابا يوحنا بولس الثاني هذه العملية بقوله: (إن الحوار بالنسبة إلى الكنيسة هو - نوعاً ما - أداة، وعلى الأخص طريقة للقيام بعملها في عالم اليوم... إنارة الكون كله ببشارة الإنجيل، وتوحيد البشر بروح واحد... وفي الواقع إن الكنيسة تستعمل طريقة الحوار لكي تحسن حمل الناس - سواء أكانوا يعرفون أنفسهم أنهم أعضاء الجماعة المسيحية بالعماد والاعتراف بالإيمان، أم هم غرباء عنها - على الارتداد والتوبة، عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديداً عميقاً في ضوء سر الفداء والخلاص...).

إن الحوار الصحيح يرمي إذن، بادئ بدء، إلى تجديد كل الناس بالارتداد الباطني والتوبة مع احترام كل الضمائر^(١). والنص غني عن التعليق.

وإذا تجاوزنا ما بين أقواس التنصيص، والصياغات الرسمية، والجمل ذات الصفة التعميمية الصادرة عن البابا يوحنا بولس الثاني في حاضرة الفاتيكان، وشهدنا مواقف عملية، وتصريحات ميدانية خاض

(١) عن المرجع السابق، (١٠٩).

غمارها في تطوافه في بلاد العالم، تستوقفنا زيارته التاريخية لبلد مسلم بأكمله هو «المغرب»، حيث التقى الشبيبة المغاربة في الملعب الرياضي «الاستاد»، في الدار البيضاء يوم الاثنين ١٩/ أغسطس/ ١٩٨٥م، وخاطب ألوف الشباب المسلم الذين غصت بهم مدرجات الملعب، قائلاً:

(.. أما أنا من جهتي، في الكنيسة الكاثوليكية، فأحمل على عاتقي مهمة خاصة، بصفتي خليفة «بطرس الرسول» الذي اختاره سيدنا يسوع لكي يثبت قلوب إخوته في الإيمان. فبعد الأحبار العظام الذين تعاقبوا على مر التاريخ دون انقطاع، إنني اليوم أسقف مدينة روما، ومثله مدعو ليكون بين إخوانه في العالم شاهداً للعقيدة المسيحية، وضامناً لحرية جميع أبناء الكنيسة...)^(١).

بهذه المقدمة الدعائية يعرف البابا نفسه أمام جموع المسلمين، دون مواربة أو مراعاة لأدبيات الحوار ومجاملاته التي طمست الحقيقة في النداءات الأولى للكنيسة إثر المجمع الفاتيكاني الثاني، وتمخضاته كما في كتابات الأب مورييس بورمانس.

ثم يتوجه البابا بالمطالبة التالية للجموع المحتشدة: (... وعلينا أن نحملنا هذا الخضوع لله، وهذه المحبة للإنسان على احترام حقوق الإنسان، تلك الحقوق التي هي تعبير عن مشيئة الله، والتي هي مقتضى الفطرة البشرية كما خلقها الله، فالاحترام والحوار يتطلبان إذاً المعاملة بالمثل في جميع الميادين، ولا سيما في ميدان الحريات الأساسية، وبالأخص، الحرية الدينية، وهما يعززان السلام والوثام بين الشعوب. ويساعدان على الحل المشترك لمشاكل الرجال والنساء في هذه الأيام، وبالأخص لمشاكل الشبان والشابات...)^(٢)، ماذا يمكن أن تعني

(١) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: (١٨٨).

(٢) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: (١٩١).

المطالبة بالحرية الدينية في بلد جميع أهله من المسلمين، سوى طلب الفسخ بالردة عن دين أهل ذلك البلد، وقبول النشاط التنصيري تحت شعار الحرية والسلام والمحبة والحوار. الحوار الذي يفترض في الطرف المقابل إخضاع كل شيء للنقاش مهما كانت قداسته، على حد تعبير البابا حين ينادي:

(أيها الشبان والشابات، إنني على يقين من كونكم قادرين جميعاً على هذا الحوار. فأنتم لا ترضون أن تتقيدوا بالأحكام المسبقة. إنكم مستعدون لبناء صرح حضارة قوامها المحبة. وبإمكانكم أن تعملوا على هدم الحواجز التي شيدتها كبرياء الناس في بعض الأحيان، وضعفهم وخوفهم في أغلب الأحيان، وإنكم تريدون أن تحبوا الآخرين بصرف النظر عن أية حدود أمة أو عرق أو دين)^(١). ومقابل هذا الخطاب الإملائي الداعي إلى التحرر من الثوابت، وعدم التقيد بالأحكام المسبقة، والدعوة إلى كسر الحواجز، ينبري البابا يوحنا بولس الثاني في ختام كلمته الكنسية في نشر العقيدة النصرانية الكفرية، مستغلاً هذا الاجتماع الحاشد للشبيبة المسلمة في المغرب، لتقرير عقيدة ألوهية المسيح، فيقول: (. ومع ذلك فإن الصراحة تقتضي أيضاً أن نعترف بتبايناتنا، وأن نحترمها. ومن البديهي أن أهم هذه التباينات هي نظرتنا إلى شخص سيدنا يسوع الناصري وعمله. إنكم تعلمون أن سيدنا يسوع في اعتقاد المسيحيين هو الذي يدخلهم في معرفة حميمة للذات الإلهية التي تفوق كل إدراك بشري، وفي نوع من الاتحاد الابنيّ بعطايا الله ومواهبه، ولذلك فهم يشهدون ويقرون أنه هو الرب والمخلص. إنها لتباينات هامة جداً، يمكننا قبولها بتواضع واحترام، وبروح التسامح المتبادل، ففي ذلك سر من الأسرار، أنا على يقين من أن الله سينيرنا بشأن خفاياه يوماً من الأيام)^(٢).

(١) المرجع السابق، (١٩٣ - ١٩٤).

(٢) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٩٦).

ثم ينهي هذا الخطاب التاريخي بدعاء وابتهاال تؤمن عليه الجموع المحتشدة. وهكذا يتحول خطاب الاثنين إلى موعظة الأحد. وينقلب أسلوب الحوار واحترام ما لدى الآخر إلى قداس كنسي.

ولنا أن نتساءل: أهذا هو التطبيق العملي لفلسفة الحوار التي تنادي به الكنيسة الكاثوليكية على يد حبرها الأعظم، خليفة بطرس؟ أين ذهبت تلك الاحترازات المشددة، والشروط المؤكدة في بيانات الكنيسة في الستينيات والسبعينيات برفض جميع صور الاجتذاب في عملية الحوار؟

هل آنتست الكنيسة الكاثوليكية في هذه العقود الأخيرة، ممثلة بحبرها الأعظم، أن قد آن الأوان لزيادة حصة البشارة على حساب حصة الحوار، بعد أن آتى الحوار أكله بكسر الحواجز، وتمييع الحدود لدى الآخرين، فتوصل فقهاء التنصير إلى تغيير نمط الخطاب؟

لقد كانت هذه الزيارة لبلد مسلم عريق، ومخاطبة شبابه الذين يمثلون معظم البنية السكانية فيه، سابقة خطيرة، ظل البابا يوحنا بولس الثاني يتغنى بذكرها، ويلهج بالإشادة بها، فيقول في عام ١٩٩٤م: (إن الرحلة التي قمت بها إلى المغرب... يمكن اعتبارها بالتأكيد حدثاً تاريخياً.

إنها لم تكن ببساطة زيارة ودية، بل كانت بحق ذات طابع رعوي.

لقد كان اللقاء مع الشبيبة في ملعب الدار البيضاء عام ١٩٨٥م، غير قابل للنسيان.

إن انفتاح الشباب لكلمات البابا كان مدهشاً عندما تحدث عن الإيمان بالله الواحد. لقد كان بالتأكيد حدثاً لا سابقة له^(١).

(١) عبور عتبة الرجاء (٩٤) Crossing the threshold of hope.

وتم شاهدٌ عملي صارخ على الأسلوب الذي يتناول به البابا يوحنا بولس الثاني قضية الحوار والعلاقة مع الأديان الأخرى، يتمثل في دعوته إلى الصلاة المشتركة بين أتباع الديانات في بلدة «آسيزي» الإيطالية عام ١٩٨٦م^(١).

وعوضاً من الجلوس على «مائدة مستديرة» كما تقتضي ذلك روح الحوار والتكافؤ لدى المنادين به، فإن (البابا قدم نفسه للعالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً، وأنه حامل رسالة السلام للبشرية جمعاء)^(٢).

لقد ظهر البابا يوحنا بولس الثاني في تلك الخطوة الجريئة بصورة الأب الروحي ليس للكاثوليك، أو حتى النصارى فحسب، بل لجميع أتباع الديانات الأخرى من خلال إدارة ذلك اللقاء، وأسلوب تنظيمه وإخراجه، وضم جميع ممثلي الأديان تحت رداءه البابوي، كما احتواهم بكلماته الفضفاضة التي تجيش بعبارات الإيمان والمحبة والسلام. وأمام مواطنيه، ورجال دينه قدم لهم القاعدة النظرية التي تسوغ مثل هذا العمل المشترك مع أطرافٍ لا تؤمن بالوهمية المسيح، وأسرار العقيدة النصرانية، فقد (شدد البابا يوحنا بولس الثاني في الكلمة التي وجهها إلى الكوريا الرومانية، بعد يوم الصلاة في آسيزي، وكرر التشديد على الحضور الشامل للروح القدس قائلاً: «كل صلاة صحيحة هي من عمل الروح القدس الحاضر سرياً في قلب كل شخص بشري» سواء كان مسيحياً أو غير مسيحي، ثم إنه عاد وتطلع، في هذا الخطاب نفسه، إلى أبعد من الأفراد، وذكر بوضوح أهم العناصر التي تقوم من مجموعها القاعدة اللاهوتية للنظرة الإيجابية التي نقابل بها

(١) سيأتي وصف دقيق لهذه الصلاة المشتركة في الباب الثالث.

(٢) سلسلة تقارير المعلومات، صادر من مركز المعلومات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت برقم ٨٧/١٥ بتاريخ ١٩٨٧/٨/٥ م (١٠٠).

التقاليد الدينية الأخرى، ونمارس معها الحوار بين الأديان^(١).

ونظراً للنجاح الذي حققه البابا في أسيزي عام ١٩٨٦م على طريق الحوار والتفاهم، حسب الرؤية النصرانية، فقد انبرت جمعية كاثوليكية عريقة في التنصير، هي جمعية «سانت إيجيديو»^(٢) للعمل على استمرار هذا المشروع الناجح، وتبني الدعوة لمؤتمرات يحضرها ممثلو الأديان الكبرى سنوياً وتختتم بصلاة جماعية، كتلك التي أمّها البابا في أسيزي عام ١٩٨٦م، وذلك بتوجيه وتأييد منه. فقد (أصر قداسة البابا يوحنا بولس الثاني على ألا تبقى صلاة أسيزي حدثاً منفرداً، وطرح «روح أسيزي»، فشاءت جمعية سانت إيجيديو أن ترحب بها، إذ شجعها عدد كبير من الشخصيات المسيحية والإسلامية، والشخصيات المنتمة إلى أديان أخرى. فنشأت هذه اللقاءات السنوية للصلاة من أجل السلام)^(٣).

وإذا فحصنا أهم الجوامع المشتركة التي يتذرّع المجمع الفاتيكاني الثاني، سابقاً، والبابا يوحنا بولس الثاني، حالياً، لتكون قاعدة للحوار والتقارب بين المسلمين والنصارى، وهي قضية الإيمان بالله، فسنجد اعترافاً صريحاً من البابا بالتباين بين الديانتين في هذا الأصل الأصيل، ليس فقط من جهة عقيدة التثليث، بل حتى بقصر النظر على أقنوم (الأب) الذي يفترض أن يقابل عند المسلمين العقيدة في (الله) سبحانه وتعالى. بل نجد اتهاماً وتنقصاً وطعناً علنياً من داعية الحوار الفاتيكاني في العقيدة الإسلامية.

(١) حوار ويشارة (٢٤).

(٢) انظر التعريف بهذه الجمعية في الباب الثاني (١٠٦٦).

(٣) عن نشرة «لجنة الصداقة الإسلامية المسيحية» الصادرة عن جمعية سانت إيجيديو - روما (٤).

جاء ذلك في ثانيا كتاب صدر عام ١٩٩٤م بعنوان: (عبور عتبة الرجاء: Crossing the Threshold of Hope أو كما يترجمه البعض: (ادخلوا في الرجاء)، طبع منه ملايين النسخ بمختلف اللغات. وفي الفصل المعنون بـ«محمد» حسب الطبعة الإنجليزية، نال البابا يوحنا بولس الثاني من المفهوم القرآني لله سبحانه وتعالى، فقال: (إن كائناً من كان يَخْبُرُ العهد القديم والجديد ثم يقرأ القرآن، سيرى بوضوح العملية التي تم بواسطتها تماماً اختزال الوحي الإلهي. إنه من المستحيل أن لا يلاحظ الابتعاد عما قاله الله عن نفسه، أولاً في العهد القديم من خلال الأنبياء، وانتهاءً في العهد الجديد من خلال ابنه، أما في الإسلام، فكل هذا الشراء الإلهي الخاص، الذي يُكوّن ميراث العهدين القديم والجديد، قد ترك جانباً بصورة حاسمة.

بعض أكثر الأسماء جمالاً في اللغة البشرية أطلقت على إله القرآن.

ولكنه في النهاية إله خارج العالم، إله جلاله فحسب، وليس «عمانويل» أي: إله معنا. الإسلام ليس دين فداء. ليس فيه مجال للصليب والقيامة.

لقد ذكر يسوع. ولكن بصفته نبياً مبشراً بالنبى الخاتم محمد فحسب.

هناك ذكرٌ أيضاً لمريم، والدته العذراء، ولكن مأساة الفداء غائبة بالكلية.

ولهذا السبب فليس علم اللاهوت فقط، بل حتى علم الناسوت الإسلامي بعيد جداً عنه في المسيحية^(١).

(١) عبور عتبة الرجاء (٩٢، ٩٣) Crossing the threshold of hop.

وبصرف النظر عما تضمنه النص من مغالطات واضحة، وافتراءات كاذبة^(١) عن الاعتقاد الإسلامي، في ذات الله وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، فإن مؤدى كلام البابا يوحنا بولس الثاني إثبات إله للعهدين القديم والجديد مغاير تماماً لإله القرآن - على حد تعبيره - . فماذا بقي يا ترى لكي يكون أساساً لحوار مشترك مؤسس على جوامع مشتركة بين ديانتين، لا تتفقان، ولا تكادان تقتربان من بعضهما بعضاً في علم اللاهوت - كما الاصطلاح الكنسي - ولا علم الناسوت؟! لم التحدث بلغتين، والكيل بمكيالين؟ وهل يُظن بقائل هذا الكلام الواعي للفروق الأساسية لمعتقد الديانتين في ذات الله عز وجل، الممتلئ حماسة وتفانياً لنشر معتقده ذاك في أرجاء المسكونة، أن يُخضع هذه القضية للنقاش والحوار الحر النزيه الذي يطالب به الآخريين؟! أم أنها مناورة قد قُرت أحكامها سلفاً من جانبهم، وينتظرون من أتباع التقاليد الدينية الأخرى - كما يعبرون أحياناً - أن يعيدوا النظر في مواقفهم وعقائدهم المسبقة، بتوجيه روحهم القدس المهيمن على المصلين في أسيزي؟!

هذا من حيث حقيقة الحوار والتقارب المزعوم، أما من حيث مضمون الادعاءات الواردة فنقول بإجمال: إن أي تراث مزعوم لا يداني ولا يكاد، ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة من التعريف بالله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، فقد وصف الله تعالى بصفات الكمال والجلال والجمال، ونزهه عن صفات العجز والنقص والعيب بما تحصل به طمأنينة القلوب، وانشراح الصدور، وجلاء الأفهام وقبول العقول، ونقيض هذه المزايا، مجتمع برمته في العقيدة النصرانية المتوتنة، المليئة بالأسرار الغامضة، والتناقضات الفاضحة، وحسبك بهذا الكتاب الذي تضمن النص السابق دليلاً على ما نقول؛

(١) انظر الرد الذي كتبه الدكتورة زينب عبد العزيز بعنوان: (يوحنا بولس الثاني والإسلام).

فقد جاء إجابة على استفسارات مقلقة، وإشكالات مزعجة، جمعها صحفي شهير هو الكاتب: فيتوريو ميسوري من قلب المجتمع الأوروبي العريق في نصرانيته، ومع ذلك ظلت هذه الأسئلة تعيش معه حتى الألف الثالثة من ميلاد المسيح، وستظل، ما داموا في غيهم يعمهون، وما دامت الكنيسة تمارس دور الإضلال والتعمية والصد عن سبيل الله، وإليك أيها القارئ مسرداً ببعض عناوين فصول الكتاب ومقدماتها:

■ هل الله موجود؟ - ألا يزال موجوداً، وما الدليل؟

■ إذا كان الله موجوداً فلماذا يختبئ؟

■ هل عيسى ابن الله حقاً؟

■ ماذا تحصّل من تاريخ الفداء؟ - لماذا هذا الكم من الشرور في

العالم؟

■ لماذا يحتمل «الرب» المعاناة؟ - هل البوذية عوض عن

المسيحية؟

■ هل ستموت المسيحية؟ - هل يمكن للإنسان أن يلعن نفسه إلى

الأبد؟

إلى غير ذلك من الأسئلة الموحشة التي تكشف عن فزع الفطرة الإنسانية من العقائد الدينية «البالية» التي تفرضها الكنيسة على أتباعها، وتدندن بها حول الحلول وألوهية المسيح والفداء، بما لم يغن ولم يسمن من جوع. أما الإسلام دين الفطرة، فأتباعه في راحة تامة من هذه التعقيدات، وقد حسم أمرها بمجرد إدراك حقيقة التوحيد المحض السالم من شوائب الشرك والخرافة، التي يعتبرها البابا ثراء دينياً قد تُرك جانباً في الإسلام.

وحسبنا في هذا المقام أن نميط اللثام عن حقيقة عبارات الاحترام والتقدير، ولغة المجاملات والمراوغات التي يتذرع بها أئمة النصارى

وهم ينادون المسلمين إلى الحوار والتقارب، وما تخفي صدورهم أكبر مما يظهر أحياناً على فلتات ألسنتهم، ولحن قولهم.

ونختم الحديث عن حقيقة الحوار في منظور الكنيسة الكاثوليكية بهذا النص الوارد في وثيقة «حوار وبشارة» الآنف الذكر:

(عندما تقوم الكنيسة برسالتها تتصل بجماعاتٍ من الناس ذوي تقاليد دينية مختلفة جداً. فالبعض منهم يصبحون تلاميذ يسوع المسيح، في كنيسة، إثر اهتداء عميق، ويقرر من إرادتهم الحرة، وآخرين يجتذبهم شخص يسوع ورسالته، ولكنهم لا يدخلون حظيرته لأسباب مختلفة. وآخرون أيضاً يلبثون على غير اكتراث، أو على اكتراث ضئيل ليسوع. ومهما يكن من أمر فرسالة الكنيسة تتوجه إلى جميع البشر، وإنه يمكن أن يكون لها في الحوار، دور نبوي بالنظر إلى الديانات التي ينتمي إليها أولئك البشر. وهي عندما تؤدي الشهادة للقيم الإنجيلية تطرح سؤالاً على هذه الديانات، وهي كذلك بقدر ما تتسم بالحدود البشرية! تصبح هدفاً لأن يثار السؤال عنها بالطريقة نفسها، وبتعزيز هذه القيم إذن وفق ذهنية تقوم على التنافس واحترام سر الله، يلتقي أعضاء الكنيسة، ومؤمنو الأديان الأخرى، كرفاقٍ على الطريق المشترك الذي تدعى إلى سلوكه البشرية بأسرها. وذلك ما أشار إليه يوحنا بولس الثاني في إسيزي في ختام نهار الصلاة والصوم والحج! لأجل السلام عندما قال: (لنر في هذا الأمر استباقاً لما قد يريد الله أن يراه متحققاً في تاريخ الإنسانية: سيراً أخوياً نرافق فيه نحو هدفٍ سامٍ يعده لنا)^(١).

والنص في ضوء ما تقدم غني عن التعليق. ولنا قول الله تعالى:

﴿وَأَن آخُكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنِ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن

كثيراً مِنَ النَّاسِ لَنَسِيقُونَ ﴿٤٨﴾ أَفَحُكْمَ الْجَهَنَّمِ يَتَّبِعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أُولَٰئِكَ بِمَقْصُومٍ
أُولِيَائِهِم مِّمَّا يَتَوَلَّوْنَ فَيُوقِنُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ فَذَرَى
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ ﴿٥١﴾

[المائدة].

خلاصة وتحليل:

إن نظرة شاملة لمسيرة الكنيسة الكاثوليكية خلال العقود الثلاثة
الآخيرة التالية لمقررات المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م)
حول قضية الحوار مع الإسلام تكشف عن ثلاث مراحل متميزة:

١ - المرحلة الأولى: وهي التي أعقبت المجمع الفاتيكاني الثاني،
الذي قدم المسوغ اللاهوتي للحوار، عن طريق توسيع عقيدة الخلاص،
وهجر الدعوى الكنسية القديمة القائلة: «لا خلاص خارج الكنيسة»،
والتخفف من لوازم عبارة إنجيل يوحنا القائلة: «أنا الطريق والحق
والحياة» (١٤/١)^(١).

وتميزت هذه المرحلة التي امتدت حتى نهاية السبعينيات تقريباً
بـ(الرغبة في المعرفة الموضوعية الهادئة، وفي طلب القربى الروحية،
وفي السعي إلى لقاء إنساني عن طريق المشاركة في التربية
والمجتمع)^(٢). بل التوق إلى «الحوار الروحي»، و«الوحدة الروحية»،

(١) العهد الجديد (٣٣٦).

(٢) المسيحية والإسلام. مرايا متقابلة مجموعة من المؤلفين. مركز الدراسات
المسيحية الإسلامية. جامعة البلمند. الطبعة الكاثوليكية. عاريا - لبنان.
الطبعة الأولى ١٩٩٧م. من فصل: «الحوار المسيحي - الإسلامي في الواقع
والرؤية» د. طارق متري. (١٧٢).

والتقاط شواهد التراث الروحي المشتركة بين الديانتين، حتى ولو لم تكن تتمتع بالصفة المرجعية المقبولة لدى الجانب الإسلامي، كلاحتفاء بالتراث الصوفي والفلسفي، لإثبات أواصر القربى والتشابه بين الديانتين.

كما سادت في هذه المرحلة التأكيدات المتتالية على نبذ نوايا الاجتذاب، والتحايل والإيحاء، والتزام النزاهة المطلقة في الحوار.

ومما يمثل هذه المرحلة تمثيلاً صادقاً كتاب: «توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين» للأب مورييس بورمانس، الذي سبق عرض جوانب منه، وطبع طبعة ثانية عام ١٩٨٠م^(١).

ولعل روح الانفتاح والجدة التي كانت سائدة ذلك الوقت، بالإضافة إلى الشعور بالخطر الإلحادي الشيوعي، كانا وراء صياغة أدبيات تلك الفترة، ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية في أي وقت مضى أقرب إلى مدلول «الحوار»، من الناحية اللفظية على الأقل - وأصدق لهجة منها في هذه المرحلة. وقد انتهت بنهاية حياة البابا بولس السادس الذي مهر قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني بختمه، وكان مشعباً بأهدافها، حتى وافاه الأجل في أغسطس ١٩٧٨م. وربما امتد أثرها سنتين إضافيتين، بصفة أقل، حتى وفاة الكاردينال سيرجيو بينيدولي^(٢) رئيس الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين عام ١٩٨٠م، الذي كان على منهج البابا بولس السادس.

(١) مما يصب في هذا الاتجاه أيضاً مقالة بعنوان: (ما هو الاتجاه الديني الذي يجب أن يتبناه المسيحيون) أصدرتها أمانة سر شؤون غير المسيحيين عام ١٩٦٩م ضمن إضمامة من (إرشادات من أجل الحوار بين المسلمين والمسيحيين).

(٢) سيأتي تعريف بالرؤساء الذين تعاقبوا على أمانة السر الفاتيكاني للعلاقات بغير المسيحيين في الباب الثاني.

٢ - المرحلة الثانية: تمثل هذه المرحلة تنامي ردود الفعل المضادة للانفتاح على الديانات والتقاليد الأخرى، واعتبار أسلوب «الحوار» و«التقارب» خيانة لرسالة الكنيسة وتخلياً عن البشارة. هذا من جانب النقد الذاتي داخل الأسرة الكاثوليكية، لكن صاحب ذلك ما يشبه «خيبة الأمل» و«الإحباط» تجاه التجاوب الإسلامي مع دعوة الحوار، فنصارى الحوار فضلاً عن معارضيه، لم يجدوا بغيتهم التي تلبى طموحاتهم في مسلمي الحوار فضلاً عن معارضيه، وهذه المرحلة واكبت السنوات الأولى من سيامة يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان، وتولي رئيس الأساقفة جان جادوت الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين، الذي لم يكن في مستوى سابقه رتبة كهنوتية، ولا حماساً ونشاطاً في العمل، مما فسح المجال لنمو الرأي المضاد، حتى استقالته عام ١٩٨٤م.

ويصف الدكتور طارق متري^(١) هذا الموقف قائلاً: (وعندما أطلقت الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي، وعدد من الكنائس في الغرب خصوصاً، مبادراتها الحوارية تجاه المسلمين، لم تكن مدركة تمام الإدراك عمق التغيير الذي أصاب العقلية والأحاسيس اللاهوتية، ولا واثقة، على نحو كاف، بسرعة التجاوب معها في صفوف المسيحيين، ولم يكن بوسعها، من جهة أخرى أن تستبق كل ما سوف تثيره الحركة التي دفعتها من أفكار تتجاوز النصوص

(١) أستاذ جامعي في لبنان، أرثوذكسي. مسؤول العلاقات مع المسلمين في مجلس الكنائس العالمي «جنيف». له أبحاث وكتابات عديدة في مسائل الحوار الإسلامي النصراني، عضو مؤسس لمجلس كنائس الشرق الأوسط، وفريق العمل العربي في الحوار الإسلامي - النصراني. له مساهمات عدة، في آخرها الإشراف على تحرير كتاب:

Christian Muslim Discussion Religion, Law and Society. انظر مجلة الاجتهاد

العقائدية، أو التوجيهات الرعائية، وسرعان ما وعت أنها، في حقيقة الأمر، اختارت الدخول في ما يشبه المجازفة، وتبين لها أن التجاذب حول مواقفها المعلنة، داخل الجماعة المسيحية واقع لا محال. ولم يقتصر التجاذب هذا على المواقف اللاهوتية الجديدة أو على تسويق الحوار، بل طال أيضاً اختيار مواضيعه، والشركاء فيه، من المسلمين والمسيحيين، بمن فيهم المسيحيون العرب.

لقد واجه الحوار مقاومةً من هنا وتحفظاً من هناك، ولم يكن يسيراً أن يبدل المسيحيون، نظراتهم إلى ذواتهم، وإلى المسلمين، مفلتين من قبضة التاريخ، ولم يكن سهلاً أن يضرب المسلمون صفحاً عن الماضي المثقل بمشاعر الريبة والعداء، وأن يحلوا الثقة محل الشك بنوايا الكنائس حيالهم. ذلك أن علاقات القوى الاقتصادية والسياسية والثقافية على الصعيد العالمي، ورغم التغيير النسبي الذي سبقت الإشارة إليه، ظلت مفتقرة إلى التوازن الذي يسمح للحوار أن يكون منزهاً عن المصالح، ومقدماً ما يخص تثبيت السيطرة الغربية، وإن بأشكال جديدة^(١).

هذا هو المناخ السائد في نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات، فلا عجب حينئذ أن تشغل الكنيسة بحل المعضلة اللاهوتية الناشئة بين أصالة البشارة، وحدثة الحوار. وحيث لا يمكن التنصل من مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني وإعلاناته، فقد اتجهت الكنيسة لفلسفة مفهوم الحوار وفق المعطيات الجديدة. فجاءت وثيقة عام ١٩٨٤م الصادرة عن أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، المعنونة بـ: «موقف الكنيسة من مؤمني سائر الأديان: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار والرسالة» وجرى تطويرها وتنقيحها، حتى أقرها المجلس البابوي للحوار بين

(١) المسيحية والإسلام: مرايا متقابلة (١٧٣ - ١٧٤).

الأديان، وصدرت موقعة من رئيسه، ورئيس مجمع تبشير الأمم عام ١٩٩١م بعنوان: «حوار وإشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل» كما سبق التعريف بها، ممثلة لهم المسيطر على الكنيسة في هذه المرحلة أصدق تمثيل، وحقيقة الحوار في هذه المرحلة الثانية مساعدة الآخرين على اكتشاف التأثير الجزئي للنعمة الحاصلة بتأثير الروح القدس في تقاليدهم الدينية، والسير بهم إلى اكتشاف كامل الحقيقة. وبذلك يصبح مشروع الحوار مشمولاً بمشروع البشارة لاهوتياً وعملياً. كما أن من معالم هذه المرحلة المراوحة النسبية بين الحوار والبشارة حسب الظروف المحلية المحيطة بشخص ما، أو كنيسة ما.

ويلتقي مع هذا التحليل المستشرق الروسي إليكسي جورافسكي حيث يقول: (يمكن القول بعبارة مقتضبة، إن الحوار الذي أريد به أن يكون أسلوباً جديداً للتبشير المسيحي لم يعد كافياً على الإطلاق، حيث إن التحول الحاصل في توجه الكنيسة بالنسبة لموقفها من العالم، أدى بدوره إلى إعادة النظر في ما يخص مفهوم الرسالة المسيحية ومهام التبشير المسيحي في الشرق. ويفضل اللاهوتيون - الكاثوليك المعاصرون استعمال صيغة «الاهتداء إلى المسيح»، بدلاً من الصيغ القديمة «التحول إلى المسيح»، بحيث أن ذلك «التحول» أو «الاهتداء» يجري ليس على حساب القضاء على الديانات الأخرى، وإنما من خلال «نضجها» الطبيعي، فالمبشر المسيحي يتوجب عليه أن يساعد في تسريع ذلك النضج^(١).

لم يعد «الحوار» بصيغته المطروحة في الستينيات يفي بطموحات الكنيسة التنصيرية المتسارعة، بل صار أشبه بمركبة قديمة بطيئة يستعملها

(١) الإسلام والمسيحية. (١٧١).

صاحبها في بعض المناسبات، دون أن يتخلص منها نهائياً، لما استقل مركبة جديدة سريعة.

٣ - المرحلة الثالثة: وهي الفترة الممتدة من أواسط الثمانينيات وحتى وقتنا الراهن. وتتسم باستمرار التأكيد على أهمية الحوار من الناحية الإعلامية والمظهرية، ولكن باعتبار الحوار جسراً لنقل الثقافة الإنجيلية إلى الآخرين، أو ما صار يسمى «بالغرس الثقافي». وهذه المرحلة أعقبت رحلات البابا يوحنا بولس الثاني لأجزاء من العالم الإسلامي، ولقائه بمسلمين في آسيا وأفريقيا وأوروبا على مدى أربع سنوات (١٩٨٠ - ١٩٨٤م). وعاد بلا ريب مقتنعاً بعدم كفاءة أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين التي كان يشغلها إذ ذاك رئيس الأساقفة جان جادوت، في تفعيل الحوار الهادف إلى نشر النصرانية، فكان أن عين الكاردينال الأفريقي الأصل فرانسيس آرينزي في ذلك المنصب ليرضي طموحه، وفق النظرة الجديدة للحوار. ومن الملاحظ في هذه الفترة تكثيف النشاط التنصيري، واستخدام كافة وسائل التقنية الحديثة لتنصير العالم ومن أخطرها مشروع Lumen 2000، أي نور سنة ٢٠٠٠م، وهو القمر الصناعي المخصص لبث برامج التنصير عبر القنوات الفضائية: تقول الدكتورة زينب عبد العزيز: (ولا يتوقف الدور القيادي للبابا عند حد التدخل في الشؤون السياسية، والعمل على السيطرة عليها فحسب، وإنما يتعداه لفرض النمط الحضاري الغربي على العالم ليتواءم مع النظام العالمي الواحد، والدين العالمي الواحد! فذلك هو ما طالب به حينما أعلن ضرورة «تنصير العالم» في نوفمبر ١٩٨٢م من مدينة «شانت يقب» بشمال غرب أسبانيا... تلك المدينة التي كانت آخر ما وصل إليه الفتح الإسلامي، وأول ما سقط في حرب الاسترداد. ويكفي أنها تحمل اسم حامل الراية أثناء الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس.

فبعد أن طالب بتنصير العالم أمام حشد مكونٍ من قرابة مليونين من الأتباع، وأغلبهم من الشباب الذي يحاول استرداده من الضياع، راح يردد ذلك النداء الذي جمع فيه بين الكنيسة وأوروبا والحضارة الأوروبية قائلاً: «يا أوروبا... عودي إلى رشدك، كوني نفسك! استكشفي أصولك! أحيي جذورك! أحيي تلك القيم الأصيلة التي جعلت تاريخك مجيداً، وجعلت وجودك مثمراً على القارات الأخرى»^(١).

هذه المرحلة أخطر مراحل الحوار الذي تمارسه الكنيسة الكاثوليكية، حيث تمطر الآخرين بعبارات ذات مدلولٍ فارغٍ تخدرهم فيها، وتصرف أنظارهم عن الاشتغال بما يهمهم حقاً، في الوقت الذي تستنفد فيه كافة السبل والوسائل للتبشير، والغرس الثقافي طويل الأمد، تحت ستار «الحوار» الطعم.

أما المرحلة القادمة فعلمها عند الله، لكن رؤية المنحنى المنحدر يشي بشيءٍ من معالمها الذي سيسفر عن الوجه الكالح للصليبية الجديدة.



(١) تنصير العالم (٩٤ - ٩٥).

رسائل جامعة ٢٠

مكتبة المسجد النبوي الشريف
رقم الكتاب: ٥٢٦٢٢
تاريخ التسجيل: ١٤٢٢/٩/٢٢ هـ

دَعْوَةٌ

الْيَقْرِيبُ بَيْنَ الْأَجْرَائِمْ

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

دار ابن الجوزي

المجلد الثاني

دار ابن الجوزي

٣/١٨

١٥/٢

المبحث الثاني

حقيقة التقريب بين الأديان عند مجلس الكنائس العالمي

يمثل مجلس الكنائس العالمي الطوائف النصرانية غير الكاثوليكية، ويتمتع بنفوذ واسع يضاهي نفوذ «الفاتيكان»، وتنضوي تحته جميع الكنائس البروتستانتية^(١) والإنجيليكانية^(٢) والأرثوذكسية^(٣)، التي يبلغ عددها ثلاثمائة وست عشرة كنيسة موزعة على أكثر من مائة بلد، ويتبعها قرابة أربعمئة مليون نصراني^(٤).

(١) الكنائس البروتستانتية: (هي الكنائس المسيحية الغربية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية تحت تأثير لوتر وكالفن، انتشرت في ألمانيا والبلدان السكندنافية وإسكتلندة وسويسرة ثم في أميركا الشمالية. وهي متشعبة إلى كنائس يختلف بعضها عن بعض في عقائدها وقوانينها. أهم فروعها: اللوثرية، والكلفينية والإنجيليكانية. وتعرف الفروع الأولى بالكنائس الإنجيلية، وتعتبر هذه الكنائس الكتاب المقدس مصدراً وحيداً للوحي، ولا تعترف بالكهنوت). المنجد في الأعلام (١٢٨).

(٢) مذهب الدولة الرسمي في إنكلترة. أنشأه هنري الثامن الذي كان ملكاً في إنكلترا من (١٥٠٩ - ١٥٧٤م)، وانفصل عن الكنيسة الكاثوليكية سنة (١٥٣٥م)، وقد واصل إدوارد السادس تثبيت أركان هذا المذهب، ثم أتمته إليزابيث الأولى سنة (١٥٦٢م) «المترجم» الإسلام والمسيحية. جورافسكي (٩٩).

(٣) هي الكنائس المسيحية الشرقية البيزنطية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية على أيام ميخائيل كيرولارس، بطريرك القسطنطينية (١٠٥٤م). انتشرت في روسيا، وبلاد البلقان واليونان ومختلف بلدان الشرق الأدنى، حيث تؤلف كنائس مستقلة تحت سلطة بطاركتها. المنجد في الأعلام (٣٢).

(٤) انظر نبذة عن المجلس في: تاريخ الكنيسة الشرقية للمطران ميشيل يستيم، والأرشمندريت أغناطيوس ديك. (٣٩٥ - ٣٩٧). وانظر: الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة لسعود المولى (١٣٠ - ١٣١)، (١٥٥ - ١٦٨).

وقد ولد المجلس نتيجة لتلاقح عدة اتجاهات في الحركة المسكونية العالمية^(١)، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، بغية توحيد العمل التبشيري في البلدان غير النصرانية.

وأهم هذه الاتجاهات:

- ١ - اتجاه الحركة الإرسالية العالمية ومجلس التبشير العالمي.
- ٢ - اتجاه المسيحية العملية لتنظيم الحركة الاجتماعية.
- ٣ - اتجاه وتيار الحوار اللاهوتي لتوحيد الكنيسة «إيمان ودستور».

وبعد فترة حملٍ دامت قرناً كاملاً، تمخضت الحركة المسكونية عن ولادة مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٤٧م. وقد انضمت الكنائس الأرثوذكسية إلى المجلس في مؤتمر «نيودلهي» عام ١٩٦١م. أما الموقف الكاثوليكي للبايوية الرومانية فظل يصصر على أنه ليس هناك سوى كنيسة واحدة، فلا مبرر إذاً لطرح «اتحاد الكنائس»، وأن على المنشقين العودة إلى الكنيسة الأم «حظيرة بطرس». إلا أن البابا يوحنا الثالث والعشرين أرسل وفداً مراقباً إلى مؤتمر نيودلهي^(٢).

ولكن هذا التجمع المتعدد الأطراف والاتجاهات، لا يعتمد البناء

(١) الحركة المسكونية: يقول الأب روبر كليمان اليسوعي:

«كانت لفظة «مسكونة» تدل على الأرض المسكونة، وكانت هذه الأرض مساحة الإمبراطورية اليونانية الرومانية في القرنين الرابع والخامس... أما في الكنيسة فاستعملوا صفة «مسكوني» للدلالة على لقاءات الأساقفة «مجامع» للبحث في المسائل المختصة بالكنيسة كلها، وفي مطلع القرن العشرين استعمل هذا اللفظ لوصف الجهود المبذولة لجمع شمل المسيحيين كلهم في كنيسة واحدة». تاريخ الحركة المسكونية (١/١٧).

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة (١٣٠ - ١٣١). وتاريخ الكنيسة الشرقية (٣٩٥).

التنظيمي الهيكلي الذي تسير عليه الكنيسة الكاثوليكية بدقة وتراتبية وصرامة. بل يكتفي باللقاء حول جوامع مشتركة في العمل التبشيري، وإصدار توصيات ليس لها صفة الإلزام. (فليس مجلس الكنائس سلطة عليا تؤلف بين أعضائها، بل هي حسب تحديده الرسمي: «رابطة أخوية لكنائس تعترف بالرب يسوع إلهاً ومخلصاً وفق ما جاء في الكتب، وتسعى للاستجابة معاً لدعوتها المشتركة لمجد الإله الأوحد، الأب والابن وروح القدس»). هناك قاعدة إيمانية مشتركة هي الحد الأدنى المطلوب من الأعضاء المنتسبين إلى المجلس. وهناك برنامج عمل يتابع مهام الحركات الثلاث التي نشأ عنها^(١).

إن قطب رحي هذا المجلس يدور حول هدفين بارزين: توحيد الكنائس النصرانية، وتعزيز العمل التبشيري في العالم أجمع، وقد فرض هذا الأخير على المجلس ضرورة دراسة العلاقة بالديانات العالمية الحية التي يحتك بأتباعها حيثما حلت إرسالياته في أي مكان في العالم. (ولعل أول محاولة بروتستانتية لفهم الإسلام، ودراسة مسألة العلاقة به قد تمثلت في «البرلمان العالمي للأديان» الذي انعقد في إيفانستون بولاية إيللينوس عام ١٨٩٣م، والذي حضره ألكسندر راسل وب - أول أمريكي مسلم وهو دبلوماسي سابق، حمل اسم «محمد»^(٢)).

أما «الحوار» مع الإسلام فيرجع إلى تاريخ تأسيس المجلس رسمياً عام ١٩٤٧م. وهو ذات التاريخ الذي ظهرت فيه عبارة «الحوار»، وعلى وجه الخصوص الحوار مع الإسلام في المذهب البروتستانتي^(٣).

(١) تاريخ الكنيسة الشرقية (٣٩٦).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة. (١٥٥).

(٣) انظر: تصورات بروتستانتية حول الإسلام. جان باسييه، مجلة الاجتهاد: (٥٩/٣١).

مواقف الجمعيات العمومية لمجلس الكنائس العالمي من قضية التقريب بين الأديان:

وقد واجهت المؤسسات والهيئات البروتستانتية السابقة لتأسيس مجلس الكنائس العالمي، والمكونة له فيما بعد، معضلة موقف النصرانية من الديانات الأخرى وكيفية التعامل مع أتباعها، وحملت بذور الخلاف اللاهوتي العميق إلى ردهات المجلس الجديد. (ونتيجة لهذه المناقشات، شكل مجلس الكنائس مشروعاً دراسياً حمل عنوان «كلمة الله والأديان الحية للبشر» استمر منذ ١٩٥٥م حتى عام ١٩٧١م، حيث عملت المجموعة المكلفة به على إجراء دراسات وتقديم تقارير وأوراق عمل وعقد مؤتمرات استشارية.. ولعل أبرز نتائج هذه المجموعة يتمثل في كتاب «كنيث كراغ»: «نداء المثلثة». وهو دعوة إلى فهم الإسلام كما هو بنظر أهله أو معتنقيه، وإلى إعادة التفكير في الموقف المسيحي التقليدي في هذا المجال»^(١).

وفي يونيو ١٩٦٦م عقد المجلس ندوة في «برمانا» - لبنان - لبحث العلاقة مع الإسلام، أعقبها في مارس من العام الذي يليه دعوة بعض المسلمين إلى جنيف للتمهيد للقاء أشمل تم في «كرتينيه» قرب جنيف في الفترة بين ٢، ٦ مارس ١٩٦٩م جاء في نتائجه ما يلي:

(يرى المشتركون في المؤتمر أن الحوار بين المسيحيين والمسلمين ضروري، وأنه ينبغي التوسع فيه على أصعدة مختلفة. هذه الضرورة تأتي:

- أ - من القرابة الخاصة والتاريخية بين الديانتين.
- ب - من النقد الذاتي الذي تمتاز به الديانتان.
- ج - من الوضع الناجم عن اختلاط السكان...

(١) الحوار الإسلامي - المسيحي ضرورة المفارقة. (١٦١).

د - من الوضع التاريخي الحالي الخاص .

غاية الحوار الأولى هي حمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل وتعزيز التفاهم . فعلاقتهما قد أثقلتها عصور مشحونة بكثير من سوء التفاهم . والغاية الأخرى هي طرح مشترك للأسئلة التي تؤدي إلى التجدد والتعمق الروحي، ويؤدي مثل هذا الحوار إلى تعهد مسؤوليات مشتركة على الصعيد العملي وتحقيقها^(١). وهذا اللقاء هو أول اتصال بين مجلس الكنائس العالمي وممثلين مسلمين يصدر عنه بيان مشترك، ويمثل حدثاً بارزاً في تاريخ العلاقة بين دعاة التقارب من الجانبين، أعقبه العديد من الاتصالات الثنائية، وتعدد الأطراف .

وفي عام ١٩٧١م تم تأسيس الوحدة الفرعية للحوار مع معتنقي المعتقدات الحية والأيدولوجيات Dialogue With people of Living Faiths and Ideologies (DFI).

(وقد قسمت هذه الدائرة مجالات عملها إلى ٣ هي :

- ١ - الهندوسية والبوذية . ٢ - الإسلام والديانات التقليدية!!
- ٣ - اليهودية^(٢) . وأشار الأب الكاثوليكي «موريس بورمانس» إلى أن هذه الوحدة الفرعية (أخذت تمارس نشاطاتها بالتعاون والتنسيق مع أمانة السر الرومانية)^(٣) . لقد كان مجلس الكنائس العالمي مدفوعاً في الستينيات إلى الانفتاح والحوار محاكاةً للخطوة الجريئة التي اتخذتها الكنيسة الكاثوليكية، المنافس التقليدي، في المجمع الفاتيكاني الثاني

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة. نصوص مختارة: جمع: جوليت حداد. إشراف: الأب أوغسطس دوبره لاتور، د. هشام نشابة. جامعة القديس يوسف. بيروت. معهد الدراسات الإسلامية المسيحية. دار المشرق. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٣٦، ٣٧).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة (١٦٢).

(٣) توجهات في سبيل الحوار. (١٦٣).

(١٩٦٢م - ١٩٦٥م). ولكنه انفتاح مشوب بالحدز والترقب، يشير التساؤلات أكثر مما يقرر التوصيات، كما في بيانات لقاء «كارتينيه» عام ١٩٦٩م: (كيف يمكننا تصور التبشير والدعوة، ومحاولة اجتذاب الآخرين؟)

هل بالإمكان القيام بصلاة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين؟^(١).

في اجتماع اللجنة المركزية للمجلس العالمي للكنائس المنعقد في «أديس أبابا» مطلع عام ١٩٧١م، صدرت إرشادات لشرح سياسة الوحدة الفرعية للمجلس حول الحوار مع معتنقي الأديان والمثل «الأيديولوجيات» الحية، تضمنت الفقرات التالية:

(١) - إن المجلس العالمي للكنائس من خلال حياة وواقع كنائسه التأسيسية، ومن خلال النشاطات التي يقوم بها بالنيابة عن هذه الكنائس، يلتزم بعلاقات مزدوجة مع الناس في مختلف الأقطار، والحوار باعتباره نشاطاً إنسانياً تشترك فيه العناصر الروحية والفكرية والواقعية، وهو جزء من هذه العلاقة، وفي الوقت الحاضر هو أمر مستعجل لا محيد عنه، وهو مملوء بالفرص.

إنه أمر لا محيد عنه، لأن النصراني في كل مكان في العالم يعيشون في مجتمعات تشمل أدياناً عديدة. إنه أمر عاجل، لأن الناس جميعاً واقعين تحت ضغوط مشتركة في البحث عن العدالة والسلام والمستقبل المأمول. وهو مملوء بالفرص، لأن النصراني يستطيعون الآن بأساليب حديثة أن يكشفوا عن مظاهر جديدة من العبودية والسيادة للمسيح، وعن مضامين جديدة من واقع الكنيسة في مجال التحرك نحو مجتمع إنساني مشترك.

(١) البيانات المسيحية الإسلامية. (٣٨).

٢ - إن إيماننا بعيسى المسيح الذي أصبح إنساناً من أجل جميع البشر في جميع العصور، يؤيدنا في هذا الحوار. إن التعبير عن هذا الإيمان في حياة وواقع الكنيسة يقودنا إلى تطوير علاقات مع البشر من مختلف الأديان والمثل. إن عيسى المسيح الذي حررنا هو الذي يخرجنا من العزلة إلى الحوار الصادق الذي ندخله مؤمنين بوعد عيسى المسيح. أن روح القدس ستقودنا إلى الحقيقة الكلية^(١). وبعد سرد موجز لبعض لقاءات الحوار بين الكنائس المحلية والإقليمية مع أتباع الديانات والتقاليد الأخرى، بل وبعض اللادينيين كالماركسيين، خلص البيان إلى القول: (إن النصارى في أقطار كثيرة لا يتحدثون عن الحوار فقط، ولكنهم منشغلون به في الوقت الراهن، وعلى مستويات مختلفة، وهم في نقاط كثيرة مضطرون إليه في سياق العلاقات المعيشية مع أهل الأديان والنظريات الأخرى)^(٢).

إن هذا المدخل يشعر أن «الحوار» مع الآخرين بالنسبة لمجلس الكنائس العالمي:

١ - اضطراري: فرضته أحوال العالم الراهنة، واختلاف النصارى بغيرهم.

٢ - مستعجل: فيتحتم الدخول فيه بسبب الضغوط المشتركة التي تواجهها أطراف الحوار.

٣ - وأخيراً: مملوء بالفرص للتعبير عن الإيمان النصراني، بمباركة الروح القدس، أي البشارة.

وواضح من المسوغين الأولين أن مجلس الكنائس العالمي لا

(١) بيان وإرشادات حول سياسة مؤقتة (١٢) عن وثائق صادرة عن المؤسسة الإسلامية. ليستر.

(٢) المرجع السابق، (١٣).

ينظر إلى الحوار إلا من زاوية «فرض الأمر الواقع»، وأنه ليس مطلباً أصلياً. أما المسوغ الثالث فمحل تجربة ونظر. وقد كشف البيان اختلاف التوجهات في مؤتمر «أديس أبابا» حيال قضية الحوار، فقال: (١١) - وقد لمس المجلس العالمي آثاراً صريحة، وأنواعاً كثيرة من الإقناع. لذلك فلا يوجد لديه رأي موحد حول الحوار مع أهل الأديان الأخرى... يجب أن نفهم ممارسة المجلس العالمي للحوار على أنها مغامرة مشتركة للكنائس^(١).

هكذا بدا موقف المجلس العالمي للكنائس في مطلع السبعينيات تجاه قضية الحوار أنه أمر اضطراري مستعجل لا محيد عنه، بل هو مغامرة وبالتالي فهذه الإرشادات «سياسية مؤقتة» كما سماها.

ومرد هذا التردد والحذر إلى إشكالاتٍ حقيقية لدى القوم تلخص في ثلاثة أسئلة:

١ - ما هي المضامين اللاهوتية الأساسية للحوار؟

٢ - ما هي العلاقة بين الحوار والبشارة والشهادة؟

٣ - كيف يُفهم الحوار ويمارس في مجال تأهيل الأشخاص^(٢)؟

وكل سؤالٍ له إجابتان متضادتان لدى القوم. والبيان يقول بكل صراحة: (هناك خلافٌ دقيقٌ بيننا وفي كنائسنا، فيما إذا كان التركيز على الحوار سوف يضعف مضاء هذه المهمة التبشيرية أم أن المجتمع الإنساني، والحديث الذي سيوجده الحوار سوف يجعلانها تتقدم)^(٣).

ولهذا جاءت التوصيات في مؤتمر أديس أبابا منصبّةً على قضيتين:

(١) المرجع السابق، (١٥).

(٢) انظر هذه التساؤلات في المرجع السابق، (١٦).

(٣) المرجع السابق، (١٦).

الأولى: العناية بتأهيل وتدريب وتهيئة (مجموعاتٍ من الناس قادرين على الاشتغال في حوار موثوق مع أصحاب الأديان والنظريات الأخرى في أقطارهم وأقاليمهم الخاصة. أما في الأماكن التي تم فيها هذا فعلاً فيجب إيجاد الأساليب والوسائل لإشراك الكنائس الأخرى في الآراء التي استخلصت)^(١). وما يستلزم ذلك من تغيير في المناهج التعليمية والبحثية، ووكلت المهمة إلى المعهد المسكوني في «بوسي».

الثانية: التركيز في الحوار على قضايا إنسانية عامة، كالعدالة والسلام والتطور.

هكذا ولدت «اللجنة الفرعية للحوار مع معتنقي الأديان والمثل الحية» عام ١٩٧١م مترددة حذرة متحفظة. وفي المؤتمر العام للمجلس العالمي للكنائس المنعقد في «نيروبي» عام ١٩٧٥م، رأى بعض المشاركين (أن الحوار كان خيانةً للرسالة - المسيحية، وباباً مفتوحاً أمام التوليف)^(٢).

وقد حملت هذه التجاذبات لجنة الحوار الفرعية على إجراء استفتاء شامل لمختلف الكنائس المعنية بالحوار تحت عنوان: «استشارة لاهوتية بشأن الحوار ضمن الجماعات الدينية». وقد درست نتائجه في مؤتمر «شيانغ ماي» في «تاييلند» من ١٨ - ٢٧ أبريل ١٩٧٧م^(٣). وتمخض المؤتمر عن تطوير الخطوط المباشرة للحوار، ثم تبناها مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٧٩م^(٤) بعد صدور كتاب ستانلي سامارثا «الدين وسط الأديان. تأملات على الحوار في المجتمع» عام ١٩٧٧م

(١) المرجع السابق، (١٧، ١٨).

(٢) تصورات بروتستانتية حول الإسلام. جان باسيه. مجلة الاجتهاد (٦٠/٣١).

(٣) انظر: توجيهات في سبيل الحوار. موريس بورمانس (١٦٣).

(٤) تصورات بروتستانتية حول الإسلام. مجلة الاجتهاد (٦٠/٣١).

Faith in the Midst of Faiths. Reflections on Dialogue in Community.

. Cf. S. Samartha. Geneve Wcc 1977

(وأصبحت هذه الوثيقة فيما بعد أساساً لعمل قسم الحوار)^(١).

وفي مطلع عام ١٩٧٩م اجتمعت اللجنة العامة لمجلس الكنائس العالمي في «جامايكا»، ونشر المجلس الإرشادات الصادرة عنها، نقتطف منها ما يلي:

■ (.. إن النصارى يؤمنون بالثالوث المقدس؛ الله خالق جميع البشر، المخلص في عيسى المسيح، روح التنزيل والتجديد - الذي به ندعى نصارى - بالنسبة لعلاقتنا الإنسانية مع جيراننا الكثيرين، وتشمل هذه العلاقات هذا الحوار الذي نعبر به عن أعمق معتقداتنا، ونستمع لمعتقدات جيراننا. إن إيماننا النصراني هو الذي يحررنا حتى نفتح على إيمان الآخرين، ونخاطر، ونثق ونكون عرضة للنقد. ففي الحوار يتوازن الاعتقاد والانفتاح.

إن الحوار ليس مجرد نشاط اجتماعات ومؤتمرات في عالم للنصارى فيه جيران كثيرون. إنه أسلوب حياة لإيماننا النصراني مرتبطين ومختلطين بأولئك الجيران الذين نشاركهم في المدن والشعوب والأرض بمجموعها. الحوار أسلوب حياة مرتبطة بالجيران. وهذا لا يحل محل، ولا يحدد واجبنا النصراني في الشهادة، كما أنه يجعل الجميع في حوار مع من يخالطونهم)^(٢).

لقد تضمنت هذه المقدمة التأكيد على قضية الحوار باعتباره

(١) إيمان جاري وإيماني. مقاربات لاهوتية من خلال الحوار بين الأديان. إصدار مجلس الكنائس العالمي. تعريب: طارق متري. (٧ - ٨).

(٢) إرشادات توصي بها الكنائس للدراسة والتطبيق. (٢٦) عن مجموعة وثائق من إصدار المؤسسة الإسلامية. ليستر.

أسلوب حياة، يعبر فيه الفرد عن إيمانه النصراني، ويتلقى النقد من مخالفيه، الذين هم في أحيان كثيرة جيران. وقد شاع التعبير بوصف «الجيرة» في بيانات المجلس فترة الثمانينيات للدلالة على حتمية المواجهة والاحتكاك، وما تتطلبه من انفتاح على «الجيران». ومن ثم فقد انصبّت الإرشادات على الحديث عن مؤهلات الحوار وشروطه، وتفهم الآخرين واحترامهم. وفوق ذلك التركيز على المجالات التعليمية مثل:

أ - برامج التعليم في المدارس والكليات، وأنظمة تعليم الكبار، لزيادة فهم التعاليم الثقافية والدينية والنظرية للإنسانية...

ب - برامج التعليم في الكليات والمعاهد اللاهوتية، لتهيئة كهنة نصارى يملكون التدريب والحساسية الضرورية للحوار بين الأديان.

ج - الاتصالات الإيجابية بالبرامج في أقسام الجامعة والمعاهد الأخرى للتعليم العالي والتي تهتم بالدراسة الأكاديمية للدين.

د - مراجعة المادة المستعملة، والتعليمات العادية، في مناهج التوجيه لجميع المستويات في الكنائس، بما فيها الكليات والمعاهد اللاهوتية، مع ملاحظة إزالة كل ما يشجع التعصب وتبلد الأحاسيس نحو أهل الأديان والمثل الأخرى.

هـ - تطوير مواد مدرسة الكنيسة لأجل دراسة أصحاب الأديان والمثل الأخرى.

و - إعداد المناهج المناسبة للأشخاص الذين يمكن أن يرسلوا للعمل في محيط ثقافات أخرى، أو الذين يمكن أن يسافروا كسائحين في مثل هذا المحيط لترقية مفاهيمهم وأحاسيسهم.

ز - رد فعل مناسب نحو كتب النصوص المدرسية ووسيلة تقديمها، والتي يمكن أن تتحامل على صورة الجيران.

ح - الاستعمال البناء لوسائل الدعاية والمذيع والتلفزيون ... كلما أمكن ذلك من أجل الوصول إلى مستمعين أوسع، في نطاق الجهود لزيادة تفهم أصحاب الأديان والمثل الأخرى^(١).

إن هذه التوصيات والإرشادات لتكشف رجحان كفة المنادين بالحوار، ولكنها في الوقت نفسه تكشف طبيعة ذلك الحوار في جانبه الثقافي، إنه حوار البشارة والاجتذاب والأنجلة المؤسس على خطط مدروسة، وإدراك ووعي بطبيعة الآخر، وتأهيل للأفراد لاحتراف الحوار. إن النقاط السابقة تدور حول أربعة محاور:

أولاً: دراسة الأديان الأخرى دراسة متعمقة تبلغ أعلى التخصصات العلمية تحت ستار «زيادة تفهم أصحاب الأديان والمثل الأخرى».

ثانياً: تدريب وتأهيل فرسان الحوار علمياً وميدانياً، ولو عن طريق السباحة.

ثالثاً: تخفيف الحساسيات السابقة والمتوقعة التي تستعدي الآخرين، وتشير تعصبهم بمراجعة المواد المستعملة في المناهج التعليمية، وإزالة ما لا يناسب الجيران، أو يولد أحاسيس الأتباع.

رابعاً: الاستفادة من جميع الوسائل الدعائية والإعلامية الممكنة للوصول إلى المستمعين.

والحوار لدى مجلس الكنائس العالمي في أواخر السبعينيات يتسع وينفتح إلى أقصى الحدود الشكلية؛ فالغاية تبرر الوسيلة» فلا بأس بالمشاركة في المناسبات الدينية للآخرين! يقول البيان: (لا بد أن يثير الحوار مشكلة المساهمة في الاحتفالات والطقوس والعبادة والتأمل:

تقارب المجتمعات الإنسانية وتعبير عن نفسها وتتجدد في الطقوس

(١) المرجع السابق، (٢٨ - ٢٩).

والعبادة، والحوار يفسح المجال لتقديم الاحترام لشعائر الجيران في المجتمع. وتتوسع الأمور أحياناً، وتقبل دعوات الزيارة كضيوف ومراقبين في الطقوس العائلية والاجتماعية والمواعظ والاحتفالات. وتهيئ هذه المناسبات فرصاً ممتازة لزيادة الفهم المتبادل بين الجيران. ولا بد أن يشير العمل المشترك في مشاريع ونشاطات عامة، أو الزيارات المنزلية في الأعياد في نهاية المطاف القضية الصعبة، والمهمة جداً، وهي المشاركة الكاملة في صلاة أو عبادة أو تأملاتٍ مشتركة. وهذه إحدى مجالات الحوار التي هي أكثر الأمور جدلاً، أو أكثرها حاجةً للاستكشاف الواسع.

وسواء حدث هذا أم لا، فإن المشاركين في الحوار يرغبون أن يواجهوا القضايا الراهنة باهتمام وحساسية بالنسبة للإخلاص المتبادل، وهم يدركون تماماً دلائل ومقاصد ما فُعل وما لم يفعل^(١).

لا شك أن مؤشر مؤتمر نيروبي المنعقد عام ١٩٧٥م، الذي قيل فيه إن الحوار خيانة للرسالة النصرانية، قد قفز إلى الجهة المقابلة في جامايكا عام ١٩٧٩م حين يتبنى الحوار إلى درجة المشاركة في المناسبات الدينية وربما الصلاة أيضاً، واعتبار ذلك (فرصاً ممتازة لزيادة الفهم المتبادل بين الجيران)، وإن شئت فقل لأداء الشهادة النصرانية.

أما مادة «الحوار» كما تبدو لمجلس الكنائس العالمي في نهاية السبعينيات فلا تختلف عن ذي قبل: (يجب متابعة الحوار بالمساهمة في الأعمال العامة في المجتمع: النشاطات العامة، والخبرات هي أكثر الأمور مناسبة للحوار حول قضايا: الإيمان والنظريات والسلوك، ومن خلال البحث عن مجتمع عادل للبشر جميعاً)^(٢).

(١) المرجع السابق، (٣٠ - ٣١).

(٢) المرجع السابق، (٢٩).

وأخيراً يرسم المجلس سياسة واضحة حيال منظمات تقارب الأديان التي تتبنى قضايا معينة، ذات صبغة سياسية أو اجتماعية فيقرر: (هناك الآن منظمات كثيرة تربط بين أديان العالم وتبحث في تمكين هذه الأديان من التعاون لأغراض متنوعة مثل الكفاح من أجل السلام، والعدالة في المجتمع الواحد وبين الأمم. ويحتاج النصارى المشاركون في الحوار أن تكون لديهم قدرة انتقائية للمشاركة في الاجتماعات التي ترتبها مثل هذه المنظمات. يجب أن يكون الممثلون النصارى حريصين على الاعتراف المتبادل والاحترام والإخلاص لكل دين. وأحياناً يكون ضرورياً أن يوضحوا أن مشاركتهم لا تدل بالضرورة على قبول المطالب الضمنية لاجتماع أو منظمة معينة. ويتجنب النصارى بشكل عام أن يتحالفوا ضد أديان أخرى، أو مثل، من حيث كونها أدياناً ومثلاً. إن المجلس العالمي للكنائس يقبل إيفاد ملاحظين استشاريين إلى اجتماعات منتقاة من هذه النوعية، ولكنه في الوقت الحاضر لن يشارك مباشرة بشكل رسمي في التركيب التنظيمي للمنظمات العالمية ذات الأديان المتعددة)^(١).

إنه انفتاح مدروس، يعرف أين يضع خطاه، فلا يجر إلى مواقف لا يَرتضيها، أو يتاجر به فيها، معياره المصلحة، فحيث وجدت المهمة الرسولية فهو ثم، وإذا تعذرت بأي شكلٍ من الأشكال فلا مجال للمجاملة وتضييع الوقت.

هذا وقد صاغ المجلس اعتبارات خاصة باليهود عام ١٩٨٢م باسم:

Ecumenical Considerations On Jewish Christian Dialogue.

اعتبارات مسكونية حول الحوار اليهودي النصراني.

(١) المرجع السابق، (٣١ - ٣٢).

الكتب والبيانات الصادرة عن بعض منسوبي مجلس الكنائس العالمي:

وخارج قباب المؤتمرات، وبعيداً عن نصوص البيانات الرسمية نعرض نماذج مستقلة لطروحات بعض دعاة الحوار والانفتاح من أعضاء المجلس، ونصوصاً مقابلة للرافضين للحوار، لمزيد من استيضاح حقيقة التقريب لدى النصارى غير الكاثوليك.

١ - (إيمان جاري وإيماني):

في عام ١٩٨٤م أوصت اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي بإعداد برنامج دراسي يمتد خمسة أعوام لتحديد معنى الهوية النصرانية في عالم تتعدد فيه الثقافات والأديان والأيدولوجيات، فأصدر قسم الحوار كتيباً عام ١٩٨٦م موجهاً إلى كافة النصارى بعنوان: إيمان جاري وإيماني My Neighbour's Faith and Mine.

Theological Discoveries in Interfaith Dialogue A Study Guide.

مقاربات لاهوتية من خلال الحوار بين الأديان. دليل دراسي.

أفصح عن «هدف الدراسة» وبواعثها قائلاً: (الدراسة جواب على الحاجة لوضع تفكيرنا اللاهوتي في سياق التعددية الدينية المعاصرة، ولكن هذا لا يعني بالطبع الإجابة على كل الأسئلة اللاهوتية المعقدة التي يثيرها الموقف من إيمان الآخرين وشهادتهم. لقد تسببت هذه الأسئلة في خلافات عميقة بين اللاهوتيين المسيحيين، ولم يأت اليوم الذي نصل فيه إلى حلول حاسمة. إن التمييز بين الوحي الطبيعي والوحي الخاص^(١) ليس حلاً نهائياً، والنظريات التي تعتبر بعض التراثات الدينية مجرد استعداد لقبول الإنجيل لا تكفي. لكن البحث

(١) لعلهم يريدون بالوحي الطبيعي ما تستلهمه الأديان والتقاليد - سوى النصرانية - من الفطرة والعقل والتجربة، من تجارب صائبة. بينما «الوحي الخاص» هو ما اختصت به النصرانية من الأناجيل.

المتجدد قد يقودنا إلى اكتشاف - أو إعادة اكتشاف - مؤشرات روحية داخل تراثنا، تقودنا إلى الأمام.

ليست الغاية من هذه الدراسة تقديم معلوماتٍ عن الأديان الأخرى. لكننا ندعو إلى تفهم جيراننا كأهل دينٍ حي، وإلى اعتبار معتقداتهم وممارستهم عنصراً في تفكيرنا اللاهوتي حول العالم والجماعة الإنسانية.

بعبارة أخرى: إن هذه الدراسة نداء إلى المسيحيين كي يكتشفوا معنىً لاهوتياً لإيمان جيرانهم. وهذا أمرٌ لم يفهمه التفكير المسيحي حقاً. ولكن عندما يؤثر دين جيراننا على طريقتنا في ممارسة عقيدتنا ووعيتها، نضطر لمواجهة التحدي والسعي لاكتشاف أبعاد جديدة لإيماننا. ننظر، من خلال ذلك، إلى جيراننا على ضوءٍ جديد، ونتعلم العيش معهم في جماعة متقاربة...

ومهما يكن من أمر، تحاول هذه الدراسة أن تتأمل في أفضل مظاهر سعي الإنسانية الديني. ورغم تحفظاتنا المشروعة حول بعض جوانب الأديان، علينا أن نتعامل مع القيم الإيجابية في حياة المؤمنين وشهادتهم. لذلك ليست الدراسة بحثاً في العقائد الأخرى قدر ما تتناول عقيدتنا نحن. موضوعها الأول: كيفية وعي إيماننا على نحو أفضل فيما نعيش مع أصدقاء وجيران يعتقدون عقيدة أخرى^(١).

وقد تألفت الدراسة المذكورة، إيمان جاري وإيماني، من تسعة فصول، يتكون كل فصل من نصوص دينية لأبرز الديانات والتقاليد الحية، فبالإضافة إلى الإسلام واليهودية ثم البوذية والهندوسية والزرادشتية والكونفوشية وغيرها، يعقب تلك النصوص تعليق يسلط الضوء على المادة المراد إبرازها، ثم جملة من الأسئلة اللاهوتية

(١) إيمان جاري وإيماني. (٨ - ٩).

والتطبيقية التي تصب في هدف الدراسة، كما صدر كل فصل بصورة ضوئية «فوتوغرافية» ملتقطة من الممارسات الدينية والاجتماعية للشعوب غير النصرانية. وتقترح الدراسة تأليف مجموعات صغيرة تقوم بتدارس القضايا المطروحة وتأملها، ثم صياغة النتائج وإرسالها إلى قسم الحوار في المجلس^(١)، الذي وعد أنه (ستنظم في عام ١٩٨٩ حلقة استشارية دولية لدراسة الأجوبة والملاحظات الواردة من مختلف أنحاء العالم على أن ترفع خلاصات هذه الحلقة إلى الكنائس)^(٢).

إن هذه الدراسة المعنونة بـ«إيمان جاري وإيماني»، من خلال عنوانها وأهدافها ومضامينها التساؤلية، بل وطريقة إخراجها الفنية لتكشف عن عمق المعضلة التي يواجهها القوم حين تجبههم العقائد والممارسات الأخرى، وتحرجهم أمام ضمائرهم أو على الأقل تزلزل قناعاتهم الدينية. وفي القصة التالية المنتزعة من ثنايا الكتاب ما يصور عمق هذه المعضلة:

(يروي الكاتب «بوتوك» أن حاخاماً شاباً، كان مسافراً في اليابان، وعند زيارة معبد بوذي رأى مسناً يحمل كتاباً ويصلي، وهو يميل إلى الراء ثم إلى الأمام. سأل الحاخام صديقه: «هل تعتقد أن إلهنا يصغي إليه؟» أجاب: «لا أعرف لم تخطر المشكلة في بالي قط. فإذا كان لا يصغي، لماذا؟ وإذا كان يصغي، لا بد من التساؤل في ما نحن عليه»...

إن سؤال الحاخام عميق من الناحية اللاهوتية. فإذا كان الله لا يصغي، نتساءل بحق «أي إله هو الذي لا يصغي لصلاة إنسان؟» وإذا كان الله يصغي يصح التساؤل عما يميز الجماعة التي ننتمي إليها؟ من

(١) انظر المرجع السابق، (١٠).

(٢) المرجع السابق، (٧).

نحن الذين نعتبر أن لنا امتيازاً في الوصول إلى سمع الله؟^(١).

إن مثل هذه المواقف لتهز الفرد النصراني - وإن كان الكاتب ألصق الحادثة بغير نصراني - وتحمله على التساؤل فيما هو عليه، وفيما عليه الآخرون سيما في هذا الزمان الذي انعتق فيه الأفراد من تسلط الكنسي على العقول، وسادت فيه معاني الحرية واحترام الضمير، فكيف إذا رأى أولئك الأفراد تعبد المسلمين في صلواتهم ودعائهم وخشوعهم وصومهم وحجهم وغير ذلك من مظاهر العبادة النقية الصادقة؟

إن الاختلاط والتعايش يمثل خطورة حقيقية بالنسبة للكنائس على أتباعها، وهماً ضاعطاً يتطلب كشفه تقديم «لاهوت» يستوعب أداء الآخرين، ويختصره ويحتويه، ويظهره ضئيلاً محدوداً بجانب الاعتقاد الكنسي. ومن ثم فإن الأسلوب الأمثل حمل الأتباع على التقدم لاكتشاف «إيمان الجيران» بروح مستعلية مهيمنة، تتواضع (لتأمل في أفضل مظاهر سعي الإنسانية الديني). إن ذلك أجدى، وأقل ضرراً من أسلوب الحجب وتقديم معلومات مغلوطة تستثير في نفوس الأتباع روح البحث الصادق غير الموجه من الخارج. فالتقدم نحو الخصم خير من مدافعتة.

إن الفاحص لعبارات الدراسة ليلمس بوضوح أن المشروع وإن بدا مؤطراً بالموضوعية والانفتاح، فإنه يؤكد بعمق على الانكفاء على الذات، وتوظيف معطيات الآخرين لتعميق الانتماء، تأمل في هذه الجمل الواردة في «هدف الدراسة»:

■ (لكن البحث المتجدد قد يقودنا إلى اكتشاف - أو إعادة اكتشاف - مؤشرات روحية داخل تراثنا تقودنا إلى الأمام...).

■ (لكننا ندعو إلى تفهم جيراننا كأهل دين حي، وإلى اعتبار معتقداتهم وممارساتهم عنصراً في تفكيرنا اللاهوتي حول العالم والجماعة الإنسانية...).

■ (عندما يؤثر دين جيراننا على طريقتنا في ممارسة عقيدتنا ووعيها نضطر لمواجهة التحدي والسعي لاكتشاف أبعاد جديدة لإيماننا...).

■ (ليست الدراسة بحثاً في العقائد الأخرى، قدر ما تتناول عقيدتنا نحن. موضوعها الأول: كيفية وعي إيماننا على نحو أفضل، فيما نعيش مع أصدقاء وجيران يعتقدون عقيدة أخرى).

ولذلك فإن الدراسة استبعدت منذ البداية نظرية (التمييز بين الوحي الطبيعي والوحي الخاص)، ونظرية (اعتبار بعض التراثات الدينية مجرد استعداد لقبول الإنجيل)، ونحوها من النظريات التي تحاول تقديم معنى لاهوتي لممارسات الآخرين، وتنحى الدراسة منحىً جديداً في معالجة التحدي الذي تسبب في إيجاد خلافات عميقة بين اللاهوتيين النصارى باحتواء ما عند الآخرين وإلحاقه بجوانب روحية موجودة أصلاً في اللاهوت النصراني لم يتم اكتشافها، أو يعاد اكتشافها من جديد. ومن ثم لا تمنح الأديان والتقاليد والأيدولوجيات الأخرى صفة القسم، أو الند أو حتى الفرع إذ هي - في جوانبها التي تبدو مشرقة وصائبة - مشمولة باللاهوت النصراني.

تلك خطوة إلى الوراء في الحقيقة مقارنة بمفهوم الخلاص الجديد الذي جاء به المجمع الفاتيكاني الثاني، وتداعياته.

وبالفعل فقد أولى مجلس الكنائس العالمي قضية التعددية الدينية اهتماماً خاصاً. فعقد مؤتمراً في «نيودلهي» عام ١٩٨٧ بعنوان «التعددية الدينية»، ثم في «نيو وندسور» - ميرلاند بأمريكا في العام التالي ١٩٨٨،

بعنوان: «تحدى التعددية». وفي العام الذي يليه ١٩٨٩م أُرْخ المجلس لمبادراته الحوارية مع المسلمين على مدى عشرين عاماً من تأسيس اللجنة الفرعية للحوار بكتاب:

Meeting in Faith: Twenty Years of Christian Muslim Conversations. Geneve. Wcc 1989.

لقاء في الإيمان. عشرون عاماً من الحوار المسيحي الإسلامي.
وفي عام ١٩٩١م أصدر المجلس كتاباً بعنوان:

Ecumenical Considerations on Christian Muslim Relations.

اعتبارات مسكونية حول العلاقات المسيحية الإسلامية.

٢ - (الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى):

كتب القس «ويسلي أرياراجا» دراسة في: «الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى»، تناولت موضوع الحوار وإشكالاته، إجابة لطلب الاتحاد العالمي للطلاب المسيحيين في منطقة البسفيك - الآسيوية (عما يساعد المسيحي العادي في تعاطيه مع جيران له ينتمون إلى أديان أخرى. كيف يمكن مسيحيي اليوم أن يعيشوا إلى جانب البوذيين والمسلمين والهنود وجماعات دينية أخرى، ويشهدوا لهم من خلال موقفهم الحوارية؟ كيف يمكن المسيحي أن يقوم بذلك دون أن يتخلى عن إيمانه، بل دون أن يخفي إيمانه؟ وهل بإمكانه أن يدخل في حوار ويستمر في قناعاته المسيحية)^(١).

وقد قدم للدراسة رويدي وير، وقرظه قائلاً: (إنني لا أعرف بحثاً آخر تناول هذا الموضوع بمثل الوضوح والاختصار والعمق الذي تحلت

(١) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى: القس: ويسلي أرياراجا. تعريب: الخوري بولس الصياح. المكتبة البولسية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (١١).

به دراسة ويسلي أرياراجا^(١). وأشار إلى استفادته من سلسلة دراسات جمعت تقاريرها في كتاب بعنوان: «الكتاب المقدس: سلطته وشرحه في الحركة المسكونية» من إصدار مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٨٠م.

وقد قام الاتحاد العالمي للطلاب المسيحيين في منطقة البسفيك - الآسيوية ومجلس الكنائس العالمي بالتعاون في نشر هذا الكتاب.

ونظراً لهذا الإطراء والاهتمام فإن هذا الكتاب يصلح عينة للتعرف على موقف غير الكاثوليك من قضية الحوار.

لقد أسس الكاتب دراسته للرد على منتقدي الحوار من المنطلق

التالي:

(الكثير من الانتقادات الموجهة إلى الحوار تزعم أنها تركز إلى الكتاب المقدس، هذا ما قاله لي أحد أصدقائي. ففيه أن «يسوع هو الطريق والحق والحياة» ولكي يتابع المسيحي الحوار، عليه أن يتنكر لقول الكتاب المقدس في يسوع وفي السبب الذي من أجله أرسله الآب إلى العالم.

ما مدى صحة هذا القول؟ وهل الكتاب المقدس ينكر على المسيحي إمكانية الحوار مع المؤمنين المنتمين إلى تقاليد دينية أخرى؟ هل فيه تعليم في المسيح ومعنى مجيئه يتنافى ونوايا الحوار الصادق؟^(٢).

ونحن لا نريد أن نمضي مع الكاتب في مجادلاته مع أبناء ملته حول مشروعية «الحوار» إلا بالقدر الذي يكشف عن حقيقته في نظر مؤيديه.

(١) مقدمة الكتاب السابق، (٩).

(٢) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (١٢).

يعمد المؤلف إلى إثبات صحة مبدأ الحوار ومشروعيته، وضرورة الانفتاح على أتباع الديانات الأخرى وقبولهم، من خلال عدة محاور، أهمها:

١ - التقاط الشواهد الحوارية لأنبياء العهد القديم في دعوتهم لأقوامهم، ومقاطع تتحدث عن الشعوب الأخرى «الأمميين»، ومواقف المسيح ﷺ وتلامذته، التبشيرية ذات الطابع الحواري، مع الوثنيين، لإبراز منزلة الحوار في الكتب المقدسة^(١).

٢ - الدعوة إلى تنحية الكلام في امتلاك النصرانية للحقيقة المطلقة دون غيرها، وعدم مجابهة الآخرين بالادعاءات الحصرية. (إن التشبث بالحقيقة الموضوعية المطلقة إنما هو وليد تقليد حضاري وفلسفي لا علاقة له بالكتاب المقدس. لأن ما نجده في الكتاب المقدس ليس محاولات لتقديم حقائق موضوعية، إنما هناك صراع في سبيل الفهم والشهادة والإعلان... إن مثل هذا الفهم للشهادة من خلال الكتاب المقدس «لا سيما لتلك الفقرات التي تبدو وكأنها حصرية، والتي غالباً ما اعتبرت وكأنها حقائق مطلقة، واستعملت كمرتكز لرفض إيمان الآخرين» سوف يحررنا كمؤمنين، فنتمكن من الدخول في حوار مع مؤمنين من أديان أخرى. فالحقيقة عندما تفهم على هذا النحو تصبح قابلة للمشاركة. فلا يشعر المرء آنذاك أن عليه أن يدافع عن شيء ما أو يفرض ذلك على الآخرين أو يقنعهم به. فمن المرجح أن يترك الإنسان المتواضع المنفتح على المشاركة في الجهاد الروحي والشهادة أثراً أعمق في نفوس مؤمني الأديان الأخرى، من ذاك الذي يدعي أنه يملك الحقيقة المطلقة، وأن ليس به حاجة إلى النقاش أو الحوار...

إنه غاية في الأهمية إذ أن يعي المسيحيون طبيعة الإيمان الذي

(١) انظر الفصلين الأول والثاني في المرجع السابق.

من الكتاب المقدس، وطريقة التعبير عنه، فيتعاملوا مع الآخرين مقتنعين بأن لدى الآخرين شهادة يقدمونها. فالادعاءات «الحصرية» التي نشعر وكأنها حقائق مطلقة إنما تقودنا إلى الانعزال. فهي ليست «حجر العثار» إنما هي «حواجز» رفعت في وجه الناس تحول دون تعرفهم إلى المسيح الذي تميزت حياته بالتضحية والعطاء الذاتي.

لا يدعو الكتاب المقدس المسيحيين في الحقيقة إلى إطلاق الادعاءات، إنما إلى الالتزام بالانفتاح على الآخرين. وللآخرين التزاماتهم أيضاً. فالحوار إذاً لقاء بين التزامين. وفي مثل هذا اللقاء يمكن لكل من المحاورين أن يصغي إلى شهادة الآخر ويراهها^(١).

إن هذا النص يكشف لنا بوضوح عن الحوار في نظر المؤلف. إنه وسيلة مؤثرة لتحقيق «الجهاد الروحي» و«الشهادة» النصرانية في نفوس مؤمني الأديان الأخرى. إن الكاتب لا يدعو إلى التنصل من عقيدة امتلاك الحقيقة المطلقة، أو التبرؤ من الادعاءات الحصرية التي دأبت الكنيسة على تلقينها لأتباعها، بل غاية ما في الأمر أنه يدعو إلى ترك المجاهرة بهذه الدعاوى، واستفزاز الآخرين بها، لما يترتب على ذلك من الآثار العكسية، وعلى حد تعبيره: (سيأتي أناسٌ يطلقون ادعاءاتٍ مماثلة تركز إلى أقوال كُتَابٍ يتخذونهم مراجع لهم. فادعاء المرء بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة من شأنه أن يؤول إلى العجرفة والتعصب، ومن ثم إلى الحكم على كل التطلعات الإيمانية للآخرين)^(٢).

إذاً فالنص عبارة عن معالجة نفسية، وتوجيه «رعوي» لأولئك الذين يرون في «الحوار» خيانةً لرسالة المسيح، لكونه، من منطلق

(١) المرجع السابق، (٤٢ - ٤٣).

(٢) المرجع السابق، (٤١).

إخلاصهم لمعتقدهم، يتضمن «حجبا» لبعض حقائق الإيمان. بينما الكاتب يهمس في آذانهم أن: لا داعي لكشف الأوراق دفعةً واحدة، فالتدرج في البشارة، ومراعاة قناعات الآخرين لا بد منه. لا سيما إذا نظرنا إلى الفقرة الثانية هذه في ضوء الفقرة الأولى ومكانة الحوار في الكتب المقدسة.

إن اللاهوت البروتستانتي لم يستطع أن يتقدم خطوة حقيقية في نظرته إلى الآخرين، كتلك التي أعلنها المجمع الفاتيكاني «الكاثوليكي» الثاني بتوسيع مفهوم الخلاص. حتى هذا الكاتب الذي يعد من المتحررين، المنادين بالحوار يتحدث عن قضية «الخلاص» لغير النصارى على استحياء، ومن جانب السلب لا الإيجاب: (فالاعتقاد بأن مؤمني الأديان الأخرى هم خارج عمل الله الخلاصي هو كلام لا يبلغ الناس فقط، بل الله أيضاً. فإله الكتاب المقدس، الإله الذي دعاه المسيح أباً، هو سيد الجميع، وهو في صميمنا، وكل شيء فيه كائن.

ما أريد أن أقول، بعبارة أخرى، هو إن رسالة الكتاب المقدس حوارية في صلبها. ومؤسف أن نبني الكثير من مواقفنا تجاه مؤمني الأديان الأخرى على قراءتنا لفقرات «استثنائية» من الكتاب المقدس، وليس على رسالته الأساسية. نحن في حوار لأن إلهنا هو الإله الذي بشرنا به يسوع المسيح، ولأننا نؤمن بعمق بحب الله الذي يشمل البشرية بأسرها. فالله حريتنا، وهو يهبنا الحرية والانفتاح فنتمكن من لقاء جيراننا أو نحكم عليهم فقط، لأن قبولهم وتفهمهم هما حجر الزاوية في رسالة الإنجيل^(١).

إن الكاتب المتحرر المنفتح لا يجرؤ أن يقول: (بيد أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق... ثم إن الله نفسه

(١) المرجع السابق: (٤٩).

ليس ببعيد عن الذين يتلمسون من خلال الظلال والصور إليها مجهولاً... فهؤلاء يمكنهم أن ينالوا الخلاص الأبدي...^(١) كما قاله أساقفة الكاثوليك، بل يكفي بالنعي على من يعتقدون أن مؤمني الأديان الأخرى خارج عمل الله الخلاصي، بمعنى أنهم يرفضون الإصغاء إليهم والدخول معهم في حوار، حتى مع عدم وجود شرط مسبق أن الخلاص لا يمكن أن يشملهم. فمرة أخرى لا يلحظ الكاتب في قضية «الحوار» سوى الجانب التبشيري، من جهة أن قبول المدعو وتفهمه هما حجر الزاوية في رسالة الإنجيل، وليس من جهة أن الطرف المقابل يمتلك - على الأقل - جزءاً من الحقيقة، أو أن الحوار معه يشري محاوره ويقود إلى مزيد من المعرفة والفهم.

أما العلاقة بين «الحوار» و«البشارة» في نظر القس البروتستانتي فواضحة غير معقدة، ولا تحتاج إلى هندسة فلسفية كتلك التي أجهدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها في تفسيرها، إن الحوار يعني ببساطة إعلان الشهادة للإيمان المسيحي في المحافل العامة، وهو يقول ذلك دون موارد، ويستند إلى وثائق مجلس الكنائس العالمي: (هذا لا يعني أن الحوار نهج جديد للشهادة أو أننا نتخذ من الحوار مجالاً للتحايل على الآخرين. بل هو يعني بكل بساطة أنه يمكن المرء أن يشهد من خلال الحوار، وأنه في الحقيقة كذلك. وقد تحدث مجلس الكنائس العالمي عن هذا الأمر في «توجهات في الحوار» بالعبارات التالية:

«نحن لا نخال أن بين الحوار والشهادة تناقضاً. وما من شك أنه عندما يدخل المسيحي في الحوار وهو ملتزم بيسوع المسيح، غالباً ما يكون الحوار مجالاً لشهادة حقيقية، لذا... يمكننا بكل صدق أن نحسب الحوار كإحدى الوسائل التي من خلالها تتم الشهادة ليسوع

(١) انظر: «المجمع الفاتيكاني الثاني» (٥٢).

المسيح في أيامنا، ويمكننا في الوقت نفسه، وبمقدار الصدق نفسه أن نؤكد لمحاوريينا أننا نأتي إليهم، ليس كمن يحاول بمكر اجتذابهم، إنما كرفقاء في مسيرة واحدة، لتحدث معاً في ما نرى أن الله قد حقق في يسوع المسيح الذي سبقنا، والذي نحاول معاً أن نبحث عنه من خلال الحوار»^(١).

هل يرى القارئ فرقاً بين ما قبل جملة «ويمكننا في الوقت نفسه» وما بعدها؟ إنها الشهادة النصرانية في الحالين.

٣- الدعوة إلى إجراء تطوير لاهوتي «بروتستانتية»: لقد أدرك الكاتب أن آفة الحوار تكمن في صميم المعتقد النصراني نفسه، ولذلك أعلن بجرأة أنه: (... قد حان الوقت لكي تجهد الكنائس في سبيل وضع قاعدة لاهوتية جديدة تنير سبيلها في علاقتها مع مؤمني الأديان الأخرى. ومن شأن تلك القاعدة أن تخول المسيحي أن يلتزم بالمسيح ويبقى في الوقت نفسه مفتحاً على شهادة الآخرين...)»^(٢).

ووضع يده على مكنن الداء، حين قال: (لقد ارتفعت أصوات متعددة منتقدة اللاهوت البروتستانتية في تركيزه على المسيح بشكل يكاد يكون كاملاً. وقد قيل إن هذا التوجه مسؤول أساساً عن عجز البروتستانتية في التعاطي مع التعددية الدينية. لقد جاهر الرسل^(٣) بإيمانهم بأن الله قد أظهر نفسه للعالم بشكل خاص في يسوع المسيح. فتسلم بعض اللاهوتيين هذا الإيمان، واتخذوا لهم من بعض النصوص

(١) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (٧٠ - ٧١).

(٢) المرجع السابق، (٨٣).

(٣) الرسل في الاصطلاح الكنسي هم تلامذة المسيح وحواريوه، الذين بشروا بالنصرانية. والعبارة تنطبق على «بولس» فقط الذي أفسد النصرانية وزعم ألوهية المسيح رغم أنه لم يكن من حواريه، ولا تلاميذه، بل لم يلقه قط. راجع التمهيد.

الكتابية حجةً ليطوروه إلى ادعاء بأن يسوع المسيح هو الوحي الإلهي «الكامل» و«النهائي» و«المطلق» و«الحاسم». وفي مواقف تبشيرية غالباً ما يكون الادعاء بأنه ما من وحي «حقيقي» لله سواه، وإذا ما حصل ذلك، فيكون الوحي جزئياً إلى حد يجعل من يسوع المسيح المصدر الوحيد لمعرفة «حقيقة» الله...

فالعودة إلى لاهوت يتمحور حول الله، يتيح المجال للمسيحيين أن يقفوا إلى جانب مؤمني الأديان الأخرى كأبناء الله الواحد، من دون أن يتنكروا لشهادتهم ليسوع المسيح.

وحدة المفهوم اللاهوتي «المتمحور حول الله» يخولنا احترام إيمان إبراهيم وانصباغ موسى لإرادة الله... علينا أن نقر بأن هذا التوجه لا يشكل ابتعاداً عن الرسالة الأساسية للكتاب المقدس، إنما هو تصويب يسهّل على المسيحي العيش في عالم متعدد الأديان من دون أن يتنكر لدعوته الخاصة، كما يمكنه من إعطاء حياة جيرانه وخبرتهم معنى لاهوتياً^(١).

إن الكاتب هاهنا يحاول أن «يخرج من جلد» اللاهوت البروتستانتي، بل قارب، ولمّا يبلغ، الأساس اللاهوتي الكاثوليكي لتسوية الحوار، ولكن مع الهاجس الذي لا يفارقه؛ تحقيق رسالة الكتاب المقدس، بالاستعانة ببعض «التصويبات» الفنية التي تمكنه من إعطاء حياة الآخرين وخبرتهم معنى لاهوتياً.

٣ - (تحديات العلاقات بين الأديان الكبرى):

ألقى «جورج ليونارد كاري» رئيس أساقفة كانتربري، رئيس الكنيسة الإنجليكانية في بريطانيا، محاضرة بعنوان «تحديات العلاقات بين الأديان الكبرى»^(٢) في جامعة الأزهر عام ١٩٩٥م. ونظراً للمنزلة

(١) المرجع السابق، (٨٤ - ٨٥).

(٢) انظر النص الكامل للمحاضرة في مجلة الاجتهاد ٣٠ (٢٠٥ - ٢١٥).

الكبيرة التي يتبوأها في العالم غير الكاثوليكي، ولحدثة هذه المحاضرة، فإنها تصلح نموذجاً لاستقراء ما آلت إليه النظرة النصرانية، غير الكاثوليكية، تجاه العلاقة بالمسلمين.

نوّه المحاضر بأهمية الدين عموماً، والمسيحية والإسلام خصوصاً بوصفهما (أكبر ديانات العالم، وما زالت كلتاهما محتفظة بكامل عنفوانها)^(١).

وخلص إلى ترديد ما أكده الرائد اللاهوتي الألماني البرفسور هانز كونج عام ١٩٩٤م أنه: (بدون سلام بين الأديان ستكون هناك حرب بين الحضارات. لا سلام بين الأديان بدون حوار بينها، ولا حوار بين الأديان بدون البحث في الأسس)^(٢).

ثم حدد المحاضر أربعة أسس لبناء علاقة جديدة بين الديانتين:

١ - الصداقة لا العداوة: ... الصداقة هي الإطار الذي يحتوي كل الاختلافات في تواصل، والذي يحتضن المعتقدات المخالفة في حب بدون الانزلاق إلى العداوة والبغضاء...

٢ - التفهم لا الجهل: إن جهلنا بعضنا البعض الآخر هو أمر مريع. فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة، وهو ينبع من الخوف وسوء الفهم والتعصب...

سوف يكون بإمكاننا انتزاع التطرف الذي يجنح إلى العنف من جذوره إذا ما وُقرنا عقائد بعضنا البعض، وأدركنا حقيقة أن الإسلام والمسيحية كلاهما باقٍ بقاء قوة الدين على التفرقة بين الخير والشر...

٣ - الانفتاح لا الانغلاق: وإذا كان للحوار أن يستمر من خلال

(١) المرجع السابق، (٢٠٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٠٧).

الصداقة فلا مناص من أن نتناول مسألة الانفتاح التي تطرح نفسها بالحاح. فإذا كنا ننشد السلام والتآلف على ظهر هذا الكوكب المزدحم، فيجب أن تكون روح الصداقة والاحترام متبادلة بيننا وبين هؤلاء الذين يخالفوننا في العقيدة. ولكي ننجح في هذا، فإنه علينا أن نواجه المشكلة الأساسية التي تقف عثرة في طريق هذا الانفتاح.

والواقع أن الإسلام والمسيحية ديانتان لهما رسالة يؤديانها. فكلاهما تطرح فرضيات مطلقة، وكلانا لديه الرغبة القوية في نشر دينه. وهذا جزء لا يتجزأ من دياناتنا وهي حقيقة لا تتطلب الاعتذار عنها أو إنكارها، فقد أمر القرآن الكريم المسلمين بهذا في الآية: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ تماماً كما أمر الكتاب المقدس المسيحيين قائلاً: «اذهبوا إلى جميع الأمم وبشروهم بكلمة الله».

ويطرح التساؤل بين الحين والآخر: «هل يمكن للذين يخلصون الإيمان بقلوبهم، ويؤمنون بأن دينهم هو عقيدة ذات رسالة تدعو للحقيقة والقداسة أن يدخلوا في حوار؟» وأجيب: نعم، من الممكن طالما لدينا الاستعداد لسماع الآخرين، وطالما نحن ملتزمون بالسلام والرغبة في الفهم. وكما يعلم الكثيرون في هذا المقام فإنني متمسك لأقصى الحدود بمعتقداتي كمسيحي، ولكن لا يقلل هذا من استعدادي للسمع والتعلم والتزود، ولكن من الضروري بالنسبة لنا أن ندرك أن الطريقة التي نتعصب بها لها انعكاساتها على عقائد الآخرين. فأبي من دياناتنا لا يأمرنا بنشر دعوتنا عن طريق الكبر والخداع واللامسؤولية. ولكن هل لدى دياناتنا الاستعداد الصادق لتنمية هذا الانفتاح؟ هل نسعى نحو منح عقائد الآخرين نفس الحقوق التي نمنحها لعقيدتنا؟...

٤ - التعاون لا المجابهة: ... نحن لا نستطيع أن نستحمل الانزلاق إلى العداء والمجابهة فنحن في حاجة إلى رسم طرق جديدة للتعاون والسلام المبنيين على الفهم والنوايا الصادقة. فقد ذكرت حتى

الآن الاختلافات بين الأديان. فهذه الاختلافات حقيقة ولا يجب إنكارها كما لا يجب أيضاً أن يفهم منها أنه ليس هناك شيء مشترك بينها. فهناك تفاهم واتفاق أكبر مما نعتقد في بعض الأحيان أو مما تعلمناه...

تفتح هذه الاتفاقات الأخلاقية والدينية الباب واسعاً لمزيد من التقدم بين المسلمين والمسيحيين في محاربة قوى الشر الكبرى التي تهدد العائلة الإنسانية. اسمحوا لي أن أخلص الطرق التي يمكن من خلالها تقوية أواصر التعاون:

١ - التعاون في محاربة الفقر والشفاء الإنساني...

٢ - السلام والتكف بين الشعوب...

٣ - التسامح والتفهم...

لقد تكلمت كداعية مسيحي مخلص تمام الإخلاص لدعوة السيد المسيح، ولكنني تكلمت أيضاً كإنسان تعلم على مدار السنين أن يقدر ويشعر بالإكبار نحو الكثير من معتقدات وتقاليد المجتمعات الدينية المخالفة له في العقيدة... نحن مطالبون بوضع أسس الحوار بين الأديان والعمل المشترك من أجل الأجيال التي لم تولد بعد، لكي تعيش يوماً ما في عالم يسوده السلام...^(١).

إن الطرح الذي تقدم به رئيس الكنيسة الإنجليكانية أمام رئيس جامعة الأزهر، يحمل توجهاً معديلاً للغة الخطاب المطروحة في السبعينيات. إن مشروعه يستبعد أحلام «التقارب الروحي» و«الشهادة المشتركة» وغيرها من الشعارات السائدة في العقود الماضية. إنه ينهج منهجاً «واقعياً» نحو التعايش والسلام والتعاون. ويؤكد على ذات

(١) باختصار من المرجع السابق (٢٠٨ - ٢١٥).

المعاني الأربعة التي كان يُنادى بها سابقاً، ويُحذّر من أضدادها، كما كان يُحذّر منها سابقاً، لكن في هذه المرة، من زاوية الآثار الواقعية، المنافية للتعايش السلمي في كوكبٍ مزدحم، كنبذ العنف والتعصب. وحتى حين يقول: (نعم) للحوار فإن ذلك يأتي في سياق المطالبة بالحريات الدينية. وحين يدعو إلى مشاريع تعاونية مشتركة نجدها مفرغةً من أي مضمونٍ دعوي، مقتصرة على الشعارات الإنسانية المجاملة.

لعل هذا العرض لمقالة أحد أركان النصرانية غير الكاثوليكية يفصح عن القناعة التي توصل إليها مجلس الكنائس العالمي أخيراً، من إخراج الحوار من أطره الدينية إلى «مفاوضات» في أسلوب العيش المشترك، كما يتحاور سائر البشر على قضايا حياتية مشتركة، إذ لا جدوى من الحوار اللاهوتي - حسب تعبيرهم - بين ديانتين كل منهما (تطرح فرضيات مطلقة)، وتمتلكان (الرغبة القوية في نشر دينها).

ولعل هذه القناعة هي التي آلت بمجلس الكنائس العالمي إلى إلغاء اللجنة الخاصة بالحوار مؤخراً، وجعل اللقاء بالمسلمين يندرج في إطار العلاقات الدولية^(١). وهو إصلاح إداري يتناسب مع القناعة المشار إليها.

بقي أن نشير إلى أن هذه المحاضرة المفعمّة بعبارات الصداقة والسلام والتعاون والتفهم والانفتاح، أُلقيت في الوقت الذي كان التعصب الصليبي الحاقّد يحصد أرواح المسلمين العزل في بلاد البوسنة والهرسك، ويدك المآذن والمنازل على رؤوس المصلين والسكان الأبرياء. هذا لون، ولون آخر يتمثل في ضراوة النشاط التنصيري الذي تمارسه الإرساليات النصرانية على اختلاف طوائفها في أوساط المسلمين المشردين، مستغلين ضعفهم وبؤسهم وحاجتهم، «لتمعيدهم»

(١) جان باسيّه: (تصورات بروتستانتية حول الإسلام) مجلة الاجتهاد (٦١/٣١).

باسم الآب والابن والروح القدس. فأين النزاهة والاحترام وحماية الحريات الدينية يا ترى؟

أم أن لغة المحافل والمؤتمرات تختلف عن لغة الميدان والواقع؟
وصدق الله: ﴿يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨)

[التوبة].

تلك لغة دعاة الحوار ومؤيدوه، أما أعداؤه ومعارضوه من القوم، فلا يستهان بهم كثرةً وحجةً ومنطقاً داخل الدوائر الكنسية، مما ينبغي أن يحمل المتهافتين على موائد الحوار من الإسلاميين على التريث، وعدم التوغل في درب يقال لهم فيه بعد حين: ارجعوا أدرأجكم، لا حاجة لنا بكم.

يقول أحد مناوئي الحوار: (ليس بإمكاننا أن نكون مجرد مراقبين للأديان الأخرى. فإنجيل يسوع المسيح يصدر حكماً مسبقاً عليها، إنه يمكننا من الحكم عليها قبل درسها. هؤلاء يعطون للحياة معنى خارج ذاك الذي أعطاه الله في قصة الكتاب المقدس، الذي تتوجت بيسوع المسيح، وينظمون حياتهم بمعزلٍ عن العهد الذي بيسوع المسيح. فبما أن تلك الأديان تفتقر إلى معرفة الله وقدرته، فهي ليست أعجز من أن تقبل بالناس إلى الناس، بل إنها تقودهم بعيداً عنه، وتبقي عليهم محبوسين في غربتهم. فهذا الحكم الصريح والنهائي... لم يأت نتيجة لدراسة تلك الديانات، إنما هو في صلب مضمون الإنجيل نفسه)^(١). لقد اختصر المسافة، وأصل القضية، وأصدر الحكم الصريح والنهائي قائلاً: دعونا من العبث.

ولئن اكتفى هذا بمجرد الإعراض والصد عن الديانات الأخرى

(١) عن: الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى. (٤٦) The Gospel In Dispute

بحجة أن القضية محسومة مسبقاً بالإنجيل، فإن غيره يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول:

(... لقد اقتصر الموقف من الديانات الأخرى على النظر إليها كمجرد كيانات وثنية، غريبة ومنغلقة على عمل الله في التاريخ. إنها مؤسسات مذاهب تناقض المسيحية وليس فيها علامات فداء. الأشخاص فيها فقط مخلصون، أما هي فلا. فالواجب إذاً أن نواجهها بمواقف إنجيلية من شأنها أن تؤول إلى هدمها كلياً. وبينما نحكم الحصار عليها ونذك أسوارها، نحاول أن نخرج من نستطيع ممن هم في داخلها، فننظفهم، ونعمدهم، ونستعملهم كرأس حربة في عملية الحصار هذه)^(١).

بل في أروقة مجلس الكنائس العالمي، نفسه، وأثناء المداولات الداخلية يقول أحد المشاركين: (إن مفهوم «الشهادة المتبادلة» هو من ابتكارات قسم الحوار في مجلس الكنائس العالمي. إنه مفهوم غير كتابي، ولا علاقة له بمفهوم العهد الجديد للشهادة المسيحية)^(٢). وهذه النبرة الإنجيلية الأصولية ترتفع تدريجياً.

خلاصة وتحليل:

لقد لفتت مبادرات مجلس الكنائس العالمي للتقريب بين الأديان الأنظار في أواخر الستينيات، وطوال السبعينيات الميلادية، بتتابعها، وانتشارها في أصقاع متنوعة من قارات العالم القديم. فقد عقد المجلس أكثر من خمسة عشر لقاءً دولياً أو إقليمياً خلال عشر سنوات، موزعة في أوروبا وآسيا وأفريقيا^(٣). ولكن هذا النشاط الدائب لم يكن

(١) المرجع السابق، (٥٠). عن: Sharing Jesus In The Two Thirds World P. 132.

(٢) المرجع السابق، (٥٧).

(٣) سيأتي تفصيل لهذه المبادرات في فصل «المحاولات الجماعية للتقريب بين الأديان» من الباب الثاني.

يخفي وراءه وضوحاً في الرؤية، ومضاءً في العزيمة. بل كان سلسلةً من التجارب المشبعة بروح المغامرة، والرصد لانعكاسات التقارب على الحركة المسكونية.

لقد واجه المجلس بكنائسه البالغة ثلاثمائة وست عشرة كنيسة معضلة العلاقة بين «الحوار» و«البشارة»، وبعبارة أدق: بين «التقارب» و«التنصير»، بصورة أعنف مما واجهته الكنيسة الكاثوليكية. ومرد ذلك إلى أمرين:

١ - أن قوام الحركة البروتستانتية والكنائس المتأثرة بها، هو العمل التبشيري، بشقيه العقدي والاجتماعي، ومن ثمَّ فالحديث عن الحوار، والاقتراب من العقائد الأخرى طعن بأخص خصوصيات الحركة الذي قامت على أساسه، وخيانة لمبادئها. بينما حُلَّت هذه العقدة بالنسبة للكاثوليك بتوسيع قاعدة «الخلاص» وإنَّ بصورة جزئية، وربما مؤقتة.

٢ - أن مجلس الكنائس العالمي لا يتمتع بالمركزية في صنع «القرار»، كما للمجامع الكاثوليكية، فكنائسه المتعددة والمتباينة حرة في اتخاذ ما تراه مناسباً، وليس للمجلس صفة الإلزام. بخلاف الصبغة الكهنوتية لمجامع الأساقفة الكاثوليك، الذي يعتقد الكاثوليك أنفسهم أنها موجهة وملهمة من الروح القدس^(١). ومن ثمَّ فقراراتهم معصومة مقدسة. وبالتالي فالمعارضة داخل الأسرة الكاثوليكية تتعثر بالحرَج الديني من جهة، والخوف من النبذ والفصل من سلك الكهنوت، حيث إن «سر السيامة» أصلاً من اختصاص الأساقفة^(٢). ومن ثمَّ يحتاج الأمر

(١) راجع التمهيد. مبحث «الكتب المقدسة عند النصارى» (٧١ - ٧٧).

(٢) راجع التمهيد. مبحث «الطقوس البدعية الكهنوتية عند النصارى». «الأسرار السبعة» (١٠١ - ١٠٢).

إلى درجة عالية من الذكاء، والحيل اللفظية، للالتفاف على القرارات الجمعية. بينما يتمكن البروتستانت والإنجليكان والكالفينيون من الصدع بأرائهم، مستندين إلى سلطة الكتاب المقدس مباشرة، دون وسائط كهنوتية.

لقد تبلور داخل أروقة مجلس الكنائس العالمي ثلاثة تيارات:

١ - التيار الحصري الضيق: وهو الأكثر قوة وسيطرة. إذ أنه يستند إلى القناعة الثابتة بأن يسوع المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص...

٢ - الاتجاه الاشتمالي الاحتوائي: ... وقد قال أتباع هذا التيار... بتأكيد الوجود والنشاط الخلاصي لله في جميع الأديان. وفي نفس الوقت بالتجلي أو التجسد الكامل والنهائي لله في يسوع المسيح وحده... والمسيحية... فريدة ونهائية، ولكن هذا لا يعني أن أعضاءها وحدهم يستطيعون أو يستحقون الخلاص. إنها الطريق العادية نحو الخلاص، مع وجود طرقٍ «غير عادية» ظاهرة في العالم، وناجمة عن القوة الخلاصية ليسوع المبنوثة في التاريخ البشري.

٣ - تيار التعددية: أتباع هذا التيار لا يرون في المسيحية الطريق الوحيد للخلاص، ولا يعتبرون أنها تشتمل وتحتوي وتكمل بقية الديانات. بل يؤمنون بتعدد طرق الخلاص^(١).

وبين قطبي رحى الحصرية *Exclusivisme*، والاحتوائية *Inclusivisme* تطاحت مختلف التيارات. وطوال نصف قرنٍ منذ تأسيس المجلس عام ١٩٤٧م، حتى الآن لم يصدر عن جمعيته العمومية، أو لجنته المركزية،

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٦٤ - ١٦٧). وانظر: الحوار المسيحي - الإسلامي في الواقع والرؤية. د. طارق متري. في كتاب: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة (١٨٠ - ١٨٢).

أو الوحدة التي أنشأها للحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية، قرار ذو صفة عقدية يؤيد التقارب أو ينفه، وذلك بسبب التجاذبات المختلفة بين أجنحة المجلس ومنظريه. وإنما ظهر تنوع المواقف حيال قضية الحوار، بصرف النظر عن وجود مسوغ عقدي له. ويمكن أن نميز ثلاث مراحل:

١ - المرحلة الأولى: مرحلة الدراسة، وقد ابتدأت في وقت مبكر إثر انعقاد المجلس عام ١٩٥٥م، حيث شكل مشروعاً دراسياً بعنوان: «كلمة الله والأديان الحية للبشر»، استمر حتى مطلع السبعينيات. وكانت حصيلته الدعوة إلى الانفتاح والحوار مع الإسلام، ومجاراة ما كان سائداً في النصف الثاني من الستينيات إثر المجمع الفاتيكاني الثاني. وكانت ذروة هذه المرحلة مؤتمر «كارتيني» عام ١٩٦٩م، الذي رأى ضرورة الحوار لحمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل وتعزيز التفاهم. وفي ذات العام أنشئت وحدة الحوار.

٢ - المرحلة الثانية: مرحلة التجربة العملية: وقد استهلّت بإصدار الإرشادات لشرح سياسة وحدة الحوار مع معتقي الأديان والمثل الحية عام ١٩٧١م وفيها يوصف الحوار بأنه اضطراري ومستعجل ومملو بالفرص، ومع ذلك يعترف المجلس أنه لا يوجد لديه رأي موحد، وأن ممارسة المجلس للحوار مغامرة.

وقد استغرقت هذه المرحلة عقد السبعينيات تقريباً، فقد نشط المجلس في تفعيل قضية الحوار على مستويات عالمية وإقليمية، وطرح موضوعات متنوعة تمس الاعتقاد والعبادة، والدعوة والتبشير، واهتم بتأهيل وتدريب متخصصين في الحوار.

وفي ذات الوقت كان المجلس يقوم بشكل مستمر تجاربه في كل مؤتمر يضم كنائسه المتعددة، في أديس أبابا عام ١٩٧١م، ونيروبي عام ١٩٧٥م، وشيانغ ماي عام ١٩٧٧م.

٣ - المرحلة الثالثة: مرحلة حوار البشارة: تبتدئ هذه المرحلة عام ١٩٧٩م، إثر صدور إرشادات بشأن الحوار في اجتماع اللجنة العامة للمجلس في جامايكا. فقد عُرِفَ الحوار بأنه ليس مجرد نشاط اجتماعات ومؤتمرات بل أسلوب حياة للإيمان النصراني، مرتبط بالجيران، يؤدي فيها المحاور الشهادة، ويتذرع بجميع الوسائل الحديثة للوصول إلى مستمعيه.

ومن ثم فقد انحسر عدد المؤتمرات التي يراها المجلس بين الأديان بصورة ملحوظة إلى حد إلغاء وحدة الحوار، وإدراجها ضمن إطار العلاقات الدولية للمجلس، فقد استفرغ المجلس وسعه، في السعي لاستغلال الحوار - من حيث هو حوار - للتنصير، فلم يأت بطائل يرضي طموحه، فاستبقى الاسم ستاراً لمشاريعه، وفرّغه من المضمون.



المبحث الثالث

حقيقة التقريب بين الأديان عند النصارى العرب

كان بعض الأفراد والقبائل العربية يدين بالنصرانية قبل بعثة النبي ﷺ. ورغم أن معظمهم قد اعتنق الإسلام عبر القرون، إلا أنه قد بقي بقية أصرت على عقائدها السابقة إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى أعراق أخرى «استعربت» إبان الفتح الإسلامي المحمول باللسان العربي، كالقبط، والأنباط، والبربر، والأكراد، وغيرهم فصاروا جزءاً من المجتمع العربي رغم تمسك بعضهم بدياناتهم، واعتبروا «أهل ذمة» على نحو ما أوضحنا في «التمهيد» من الناحيتين الفقهية والتاريخية.

يقول السيد محمود شكري الألوسي^(١) رحمه الله في «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»: (وصنف منهم على دين النصارى، فقد كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاة، وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم. فقد كان العرب يكثرون التردد إلى بلادهم للتجارة. وقد اجتمع على النصرانية في الحيرة قبائل شتى من العرب يقال لهم «العباد» بكسر العين وتخفيف الباء... وكان بنو تغلب أيضاً من نصارى العرب،

(١) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي (١٢٧٣ - ١٣٤٢هـ): مؤرخ عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في رصافة بغداد. وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام، برسائل، فعاداه كثيرون وسعوا به لدى والي بغداد... توفي في بغداد. وله اثنان وخمسون مؤلفاً منها: أخبار بغداد، وتاريخ نجد، وغاية الأمان في الرد على النبهاني. انظر: الأعلام (١٧٢/٧ - ١٧٣).

وكانت لهم شوكة وقوة يد. وقد صالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(١) في أيام خلافته على ألا يغمسوا أحداً من أولادهم في النصرانية... وكان أهل نجران أيضاً من نصارى العرب ^(٢).

وقبل الحديث عن حقيقة التقريب بين الأديان لدى النصارى العرب القاطنين بين ظهرائي المسلمين العرب، نلقي نظرة سريعة على ما آل إليه حالهم في العصر الحديث:

لقد كان «الرابع الأول» من المتغيرات السياسية مطلع القرن العشرين الميلادي، هم النصارى العرب، فقد شهد اضمحلال الدولة العثمانية الممثلة للرابطة الدينية الإسلامية، التي تعتبر اليهود والنصارى المقيمين تحت ولايتها «أهل ذمة»، على ما اعترى هذه القضية من مساومات وتنازلات في العقود الأخيرة من العهد العثماني. كما أن النصراني العربي كان «الريب المدلل» للدول الغربية الكبرى التي تبحث عن موطن قدم في أراضي الإمبراطورية العثمانية الشاسعة، تمهيداً لتقاسمها بعد وفاة الرجل المريض. فحظيت الطوائف النصرانية المختلفة بحماية وعناية الأسياد، الذين قاموا بتعليم أبناء تلك الطوائف العلوم العصرية، وتأهيلهم للأدوار القيادية في المنطقة. وكان لا بد من ملء الفراغ الفكري الذي خلفه سقوط الخلافة العثمانية بفكرة جديدة مناسبة، فلا غرو أن كان رواد فكرة القومية العربية من النصارى العرب.

ولا ريب أن النصارى العرب في القرن العشرين قد تبوءوا منزلة

(١) هكذا في الأصل. ولعل صواب العبارة: (وقد صالحهم...) أو (وقد صالحوا...).

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألوسي. شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجة الأثري. المكتبة الأهلية - مصر. الطبعة الثانية (١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م). (٢/٢٤١ - ٢٤٢).

ونفوذاً لا يتناسب قطعاً مع تمثيلهم السكاني، الذي أخذ في الازدياد بفعل تمكين الاستعمار الغربي لهم في المنطقة.

(...) وتستفيد الديموغرافيا^(١) المسيحية من هذا الوضع الملائم، ويصل ثقلها إلى أوج لم تعرفه قط منذ زمن الحملات الصليبية: ٢٦,٤٪ من سكان الشرق الأدنى «سوريا ولبنان وفلسطين في عام ١٩١٤ و٨,٠٪ في مصر، ولكن مجرد ٢,٢٪ في العراق...»^(٢). كان ذلك في مطلع القرن العشرين حيث نعم النصاري بالمزايا السياسية والاقتصادية والصحية التي قدمها الانتداب الفرنسي والإنجليزي لهم، في مقابل التدهور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والصحي الذي عاناه المسلمون في تلك الحقبة، كما تكشف عنه جداول وفيات الأطفال المقارنة إذ ذاك^(٣).

ولكن السنن الإلهية في الكون سرعان ما تعيد الأمور إلى نصابها، أو قريباً منه، فتتحوّل الجماعات النصرانية و(تهبط نسبتها: ١٠,١٪ في مجمل الشرق الأدنى «لبنان، سوريا، إسرائيل [فلسطين المحتلة]، الأردن» في عام ١٩٩٠، ٥,٨٪ في مصر. ولم يكن ذلك نتيجة لأي عنف بل نتيجة للتفاعل الحر للقوى الديموغرافية)^(٤).

ويصور الأمير الحسن بن طلال في كتابه الصادر عام ١٩٩٥م بعنوان «المسيحية في العالم العربي» وضع المسيحيين في العالم العربي المعاصر بقوله: (لا يزال للمسيحية، بمختلف طوائفها وجود ملحوظ في العالم العربي اليوم، في مصر والعراق، كما في الأردن ولبنان

(١) الديموغرافيا Demography: (الدراسة الإحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج... إلخ) المورد (٢٦٠).

(٢) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٣٦٢).

(٣) انظر: المرجع السابق، الجداول (٥، ٦، ٧، ٨) الملحق بالفصل الثامن.

(٤) المرجع السابق، (٢٦٢).

وسورية، إضافة إلى العرب المسيحيين في فلسطين، وإسرائيل. ولا يوجد مسيحيون محليون في الجزيرة العربية، ولا في البلاد الأفريقية إلى الغرب من مصر، إذ أن جميع المسيحيين في المناطق المذكورة هم من المغتربين العرب أو الأجانب. وتوجد فئة كبيرة من المسيحيين المحليين في السودان، لكنها ليست من أصل عربي، بل إفريقي، وهي محصورة في أغليبتها في الأجزاء الجنوبية من البلاد.

والإحصاءات المتاحة لأعداد المسيحيين في العالم العربي المعاصر تتفاوت بين رقم مبالغ فيه، وعددٍ متحفظٍ إلى حد إطلاق النذير بقرب زوال المسيحية من بين العرب. ولعل الرقم التقديري المعقول لمجموع المسيحيين في البلاد العربية هو عشرة ملايين، يتوزعون على الأقطار المختلفة على النحو الآتي «متبوعاً بالنسبة المئوية التقديرية لمجموع السكان في كل قطرٍ بين قوسين»:

- ١ - في مصر، ستة ملايين (١٢,٥ بالمئة)^(١).
- ٢ - في لبنان، مليونان (٤٠ بالمئة حسب التقدير الرسمي).
- ٣ - في سورية، نصف مليون تقريباً (ربما ستة بالمئة).
- ٤ - في العراق، نصف مليون (حوالي ٣ بالمئة).
- ٥ - في الأردن وبين عرب فلسطين وإسرائيل نصف مليون مقسم بالتساوي تقريباً بين أردنيين وفلسطينيين (٦ بالمئة في كلا الحالين).

هذه الأعداد الضئيلة نسبياً للمسيحيين في العالم العربي المعاصر لا تعادل إطلاقاً الأهمية التي يتميز بها حضورهم الاجتماعي

(١) يلاحظ الفرق الكبير في تقدير نسبة الأقباط مع الإحصاءات التي أوردها فيليب فارغ ويوسف كرجاج لعام ١٩٨٦م حيث بلغ عددهم ٢,٨٢٩,٣٤ أي بنسبة ٥,٨٧٪ من مجموع السكان!

والاقتصادي والثقافي، وحضورهم السياسي في بعض الحالات، في الأقطار التي ينتمون إليها، بل وفي المجتمع العربي قاطبة^(١).

ومع تراجع الفكر القومي العربي، وتنامي الصحوة الإسلامية في الثلث الأخير من القرن العشرين، وتفعيل قضية الحوار الإسلامي النصراني مع العالم الغربي تعود حالة الشعور بالقلق تجاه المستقبل، ومحاولة البحث عن سياق إلى الجماعة النصرانية العربية. لقد كانت «القومية العربية» توفر لهم الإطار المناسب الذي ينضون تحته دون أن يلحقهم تمييز بسبب مخالفتهم دين الأغلبية. ولكن أعلام القومية نكست منذ هزيمة القوميين العرب أمام إسرائيل، هزيمة نكراء عام ١٩٦٧م. وسرى في عروق الأمة روح العودة إلى الإسلام، واستنهاض العقيدة الإسلامية، وتنامت الصحوة الإسلامية في الأوساط الشعبية بشكل أثار مخاوف أعداء الإسلام في الداخل والخارج.

وفي نفس الوقت نشطت حركة التقريب بين الأديان عموماً، وبين دين الإسلام والنصرانية خصوصاً، على المستوى الرسمي والأهلي مع الغرب النصراني.

فما هو موقف النصارى العرب من هذه القضية تحديداً؟

سنحاول تبين ذلك من خلال بعض الكتابات الصادرة عن الزعامات الدينية لطائفتي الأرثوذكس والكاثوليك العرب في بلاد الشام، وطائفة القبط في مصر، ثم نختم ببيان حقيقة التقريب لدى بعض الجدليين من النصارى العرب.



(١) المسيحية في العالم العربي (١٢٩ - ١٣٠).

أولاً: الأرثوذكس العرب:

ويعرفون بـ «الروم الأرثوذكس»، ويبلغ مجموعهم في البلاد العربية مليوني نسمة تقريباً، معظمهم في سورية. وهم ثاني أكبر طائفة نصرانية عربية بعد الأقباط في مصر^(١).

يقول المطران جورج خضر، رئيس أساقفة جبل لبنان للروم الأرثوذكس: (أنا أفهم بسبب من ظلم التاريخ، أن تتجه أنظار المسلمين إلى مسيحيي الغرب إذا أرادوا مخاطبة المسيحية. فعند أهل الغرب القرار السياسي، وعندهم الثروة التي تستثمر ثروات الشعوب المستضعفة. ولكن الحوار لا يكتمل ما لم يجر مع مسيحيي الشرق الذين ذاقوا القهر إلى جانب المسلمين. ويمتاز حوارهم في أنه غير مرتهن للقوة، وفي أنهم ساهموا إسهاماً فريداً كبيراً بنهضة الشعوب العربية منذ القرن الأخير، واعتبروا الإسلام جزءاً من تراثهم القومي، ولم يكتفوا بتذوق حضارته، ولكنهم أحسوا أنهم منها. إن الإنسان إن لم يكن في موقع القوة، قد يكون أكثر صفاءً إن هو حاور. وما من ريب أن المسيحيين العرب يتحسسون الشدائد الواقعة على المسلمين لأنها واقعة على الناس جميعاً. إن انخراط المسيحيين في القضية العربية بالصدق والزخم اللذين عرّفنا، عاد بالخير العميم على المسلمين لكونهم غالبية العرب.

المسيحيون العرب يحسون بتهميش، إذا انحصر الحوار المسيحي - الإسلامي بالتلاقي بين المسلمين وأهل الغرب^(٢).

(١) المسيحية في العالم العربي (١٣٠).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية قراءة في الراهن والمستقبل من كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية. قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل: مجموعة من المفكرين. المشرف على المشروع: سمير سليمان. مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق - بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٤م. (٢١٠ - ٢١١).

إن المطران خضر يعرب هنا عن أسفه وعته أن يولي المحاورون المسلمون وجوههم شطر الغرب النصراني، غير آبهين بمواطنيهم من النصارى العرب، ويرى أن الحوار بهذه الصيغة لا يكتمل. أما المسوغات التي يمتاز بها المحاور النصراني الشرقي (العربي) - من وجهة نظره - فهي كالتالي:

١ - أنه لا يحاور من موقع القوة، أي قوة القرار السياسي الغربي، وبالتالي فالحوار أكثر صفاء لكونه غير مرتهن.

٢ - الاشتراك في الملمات والشدائد التي حاقت بالمنطقة وألمت بمسلميها ونصرانييها.

٣ - الدور المتميز للنصارى العرب في نهضة مواطنيهم المسلمين في هذا القرن.

٤ - اعتبار النصارى العرب الإسلام جزءاً من تراثهم القومي، وتفاعلهم معه.

٥ - وأخيراً تبنيهم القضية العربية - وأحسبه يقصد قضية فلسطين خاصة - بصدق.

وهذه الدعاوى متعقبة بما يلي:

أولاً: أن الطرف النصراني العربي طالما اتخذ من موقعه الضعيف مدعاة لتدخل النصراني الغربي في أرض الإسلام قديماً وحديثاً، وتواطأ مع الأجنبي من أبناء ملته ضد مواطنيه المسلمين، بل وحول الحوار الذي يصفه المطران جورج خضر بالصفاء وعدم الارتهان إلى ورقة ضغط يلوح بها الأجنبي بإيعاز من حليفه الداخلي.

يقول الدكتور طارق متري - وهو أرثوذكسي أيضاً - واصفاً موقف بعض النصارى العرب: (.. يأخذ بعض المسيحيين العرب على الحوار «مثاليته»، وابتعاده المفترض عن قضاياهم الحياتية الحرجة. وقد ذهب

نفر منهم، لبناني خصوصاً، إلى حد الامتنعاض من النظر إلى بلادهم بوصفها مختبراً للعلاقات المسيحية الإسلامية. غير أنهم، فيما ينتقدون الحوار، يعملون على الإفادة منه، وعلى طريقتهم. فيتوسلون الاهتمام المسيحي العالمي بمحاورة المسلمين ليذكروه بواجبه التضامني مع إخوانهم في الدين. وخير مثل نضربه على ذلك، دعوة توجه إلى المسيحيين الغربيين لكي يصروا، لدى المسلمين على مبدأ المعاملة بالمثل حين يتعلق الأمر بأوضاع الأقليات الدينية^(١).

ثانياً: أما دعوى الشراكة في القهر والشدائد الواقعة على الناس جميعاً، فغير مسلمة بإطلاق، لا في تاريخ الحروب الصليبية، ولا الاستعمار الحديث.

ثالثاً: ونختلف مع المطران جورج خضر في مفهوم «النهضة» التي نسبها إلى نصارى العرب في هذا القرن. فلنا نعتقد أن الدور الذي قاموا به كان تغييراً للأمة الإسلامية عن دورها وهويتها ورسالتها التي جاء بها نبيها الكريم ﷺ. وأن القوم كانوا جسراً للغزو الفكري الغربي، وبث الأفكار العلمانية والإلحادية في جميع المرافق التعليمية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا تزال الأمة تتجرع غصّات ذلك الأثر السيء، وتجتر عواقبه الوخيمة.

رابعاً: وكثيراً ما يتملق بعض النصارى العرب، المسلمين باعتبار الإسلام تاريخهم الثقافي وحضارتهم، وإن لم يكونوا مسلمين، وربما أعجبت هذه المقولات بعض المسلمين فرددها واستشهد بها، ولعمر الله إنها تحمل في ثناياها من الطعن والإزراء بدين الإسلام، ما يتضاءل ما يبدو إلى جوارها من ثناء وإطراء ظاهري، إذ ما دام الأمر كذلك فما الصارف لهم عن اعتناق الإسلام وقبوله؟ أم هو لحن قول من جنس

(١) المسيحية والإسلام: مرايا متقابلة (١٧٧).

قول أسلافهم من أهل الكتاب: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧١) [آل عمران].

وخامساً: أي مئة يُدُلُّ بها النصارى العرب بانخراطهم في القضية العربية حتى عادت بالخير العميم على المسلمين، على حد تعبير المطران خضر؟.

أي فتح مبین، أو نصر مؤزر جلبه هؤلاء إلى الأمة الإسلامية، بتصريحات قومية صحفية في بعض المحافل والمنتديات يدلي بها بعضهم، حتى إذا ما ادلهم الخطب، كما في الحرب الأهلية اللبنانية تنكروا للمبادئ، وحالفوا اليهود وأعداء الأمة العربية - كما كانوا يعبرون - وركنوا إلى أبناء ملتهم ضاربين عرض الحائط بالشعارات المصلحية الوقتية. فما الذي جنته شعوب المنطقة الإسلامية بتظاهر هؤلاء بنصرة القضية سوى اختلاط الرايات العمية، في قضية إسلامية صرفة، وعزل الأمة العربية عن عمقها الإسلامي، وتغذية النعرات القومية الإقليمية، وحل الرابطة الإسلامية، ومن ثم عدم توفر أسباب النصر، وتلاحق الهزائم.

تلك مناقشة لدعوى الدور المتميز لنصارى العرب في قضية الحوار الإسلامي النصراني، كما صوّره المطران الأرثوذكسي جورج خضر، فماذا عن الحوار نفسه والعلاقة بين الديانتين كما يراها هو أيضاً؟.

كتب المطران خضر في جريدة النهار البيروتية، يوم الأربعاء ١٢ تموز ١٩٧٢م، بمناسبة انعقاد مؤتمر «برمّانا» للحوار الإسلامي النصراني ما نصه:

(كل حديث عن وحدة الديانتين كما نعرفهما حقاً إنما هو حديث

مجاملة، ولا يقول به رصين. فالله الواحد الذي نعبد نختلف في صفاته اختلافاً بيناً، ولا الإنسان، موصوفاً هنا وهناك واحد. ولا العلاقة بين الله والإنسان واحدة. ولا مفهوم الروحي يجمع. وأهم ما في الأمر أن المسيحية التي يصفها القرآن لا يعرفها المسيحيون على أنها دينهم، وعندهم أن الرسالة الإنجيلية نهائية، وأنها جوهرية قائمة في الكنيسة. فلا الصليب ولا بنوة المسيح لله مقبولة عند المسلم في حال.

ولا ريب أن ما يغري المسيحيين في الإسلام جانبه الروحي، ولا سيما تراث الصوفية، ولكن بعمامة لا تنقاد إليها جمهرة المسلمين، ويأبأها علماؤهم. زد على ذلك كله أن منهج النقد الأدبي والنقد التاريخي الذي يستعمله اللاهوتيون المسيحيون في دراسة الكتاب المقدس، يرفض علماء الإسلام تطبيقه على القرآن^(١).

بهذا الوضوح يدرك المطران جورج خضر، الذي (ولد بطرابلس الشام، وترعرع فيها بين المسلمين، واكتسب من هذه النشأة، ومن دراساته معرفة حميمة بالإسلام والمسلمين)^(٢) يدرك الفرق الجذري بين أصول الديانتين، وأن الحديث عن وحدة الديانتين ضربٌ من المجاملة، ولا يقول به رصين. بل إنه يحرص في كتاباته على إبراز الفروق العقدية بين المسلمين والنصارى، ويتفنن في العرض لكي يمحس بين ما يمكن أن يتناوله الحوار وما لا يقبل الحوار، فيقول:

(.. إن المسيحي يؤمن بأن المسيح في قوله على الصليب: «قد تم» أبان أنه خاتم النبيين جميعاً، من حيث أنه حقق في ذاته، وفي

(١) مواقف أحد. (٧٤). إصدار: دار النهار للنشر.

(٢) جورج خضر والحوار الإسلامي - المسيحي: مقارنة لاهوتية. جورج مسوح.

مجلة الاجتهاد ٣١، ٣٢/٢١٧.

كمال محبته وعود الله كافة، وكشف عمق العلاقة القائمة بين الله والإنسان، فلا مكانة لمستزيد أو تنقيح أو توضيح أو رسالة جديدة. والمسيحي يؤمن أننا مع السيد بتنا في «ملء الزمان» (غلاطية ٤: ٤)، وأنه لا ينتظر إلا حضور المسيح ثانية في اليوم الأخير. وإن امتد بين الحضور الأول في تجسد الكلمة، والحضور الثاني حياة إلهية في الكلية فهي حضرة الباراقليط المعزي «المنبثق من الأب» (يوحنا ١٦: ١٥)، الذي لا يحتمل الإنجيل في ما يصفه به أن يكون بشراً، لكونه روح الله نفسه. فإذا كانت الرسالة الإنجيلية نهائية، كاملة المضمون فلم الحوار؟.

ما لا يمكن المسلم تجاوزه هو أن محمداً خاتمة النبيين. بمعنى أنه صاحب رسالة جديدة، تقيم الإنجيل وتعتبر نفسها مؤيدة له، ولكنها تأتي بأحكام جديدة وتقول: إن «الكل أمة رسول»، تنقح المسيحية القائمة، ولا تنقح الإنجيل الذي أنزل على عيسى، بل تريد المسيحيين أن يعودوا إليه، والقرآن عودة إليه وهو فحواه الحق، ذلك أن عيسى كان مسلماً حنيفاً كما كان إبراهيم، وهو عبد الله ورسوله، ومخلوق كما خلق آدم. وتنكر إلهية عيسى، وتالياً تنكر التجسد كما تنكر الصلب الذي هو محور المسيحية المعروفة، ولعله مضمونها كلها بما كان التعبير عن المحبة الإلهية، وبما آل إليه من قيامة المخلص. «وإن كان المسيح لم يقم، فتبشيرنا باطل، وإيمانكم أيضاً باطل». (١ كورنثوس ١٥: ١٤).

فكيف التوفيق، وكل توفيق يبدو هنا تليقاً. والحوار بادئ ذي بدء، مرفوض بسبب من أصالة المسيحية وأصالة الإسلام؟ فنحن أمام منظومتين، ليست واحدة منهما قابلة للاختراق أو للتكامل. ﴿أَلْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٢٣]. فإذا كانت الرسالة أكملت بآخر التنزيل القرآني يكون هذا مناقضاً

لقول السيد على الجلجلة «قد تم» يوحنا (١٩: ٣٠)^(١).

لقد أفصح المطران خضر عن حقيقة التباين والتقابل بين العقيدة الإسلامية، واللاهوت النصراني المحرف، الذي عليه نصارى اليوم، وكان محققاً في أن أي محاولة للتوفيق لا تعدو أن تكون تلفيقاً. فما هي حقيقة الحوار الذي يدعو إليه المطران بصفته الشخصية، ويحضر مؤتمرات بصفته الكهنوتية؟ إنه يصوغ السؤال ويجيب عليه قائلاً: (غير أن السؤال الذي يفرض نفسه هو كيف يمكن للمؤمن أن يتقبل المسألة في أهم ما عنده في الوجود؟ بعض من جواب عن هذا هو أن ثمة تمييزاً بين ديني من جهة وتاريخي من جهة أخرى. فالتاريخ مليء بالخطايا ومليء بالظلم. وأنا أتباع عن تاريخ ديانتني بقدر ما كان قهاراً. أنا تجاه المسلم في حالة استغفار، لأن المسيحيين هدر دمه واضطهدوه، ويقمعونه هنا وثمة، في احتلال بلاده، وكل احتلال إذلال. وأتمنى إن أنا تواضعت أمامه أن يمتحن هو قلبه ليرى ما إذا فعل مثل هذا. هو يسوق نفسه إلى محاكمة تاريخه)^(٢).

هذا - بحد ذاته - هدف واضح لتسوية الحوار والتقارب رغم الاختلاف التام في الاعتقاد. إنها دعوة إلى مصالحة تاريخية، واعتذاراً عن مظالم الماضي فقط دون المساس بالعقائد الخاصة. وهذا مفهوم، غير أن المطران خضر يتمادى فيخلط بين ما هو «تاريخي» بما هو «ديني»، فيقول: (بعض آخر من الجواب أن ثمة بوناً بين الوحي وتفسيره. فالمفسرون كلهم بشر، وبينهم تباين. واللاهوتيون وعلماء

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة في الراهن والمستقبل. من: العلاقات الإسلامية المسيحية قراءة مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢١٣). والجلجلة: اسم تلة صغيرة قرب أسوار بيت المقدس، جرى عليها الصلب في زعمهم. انظر: العهد الجديد (٣٥٤).

(٢) المرجع السابق، (٢١٢).

الكلام والفقهاء بشر. ما جانب الإلهية في ما أتوا به، وما جانب الناسوتية المعرض للزلل؟^(١).

لقد حام المطران حول الحمى ثم وقع فيه حين قال: (الحوار ليس اختراق الأنظومتين الإسلام والمسيحية، ولكنه اختراق ميراثين تاريخيين بما يتضمنان ما حُسب خلافاً، وما كان بخلاف. فهل صحيح مثلاً أن الإنجيل محرف؟... من هم هؤلاء النصارى الذين يذكرهم القرآن وينسب إليهم ما ينسب من عقائد؟ هل كانوا أسلاف المسيحيين المعروفين اليوم؟... إذا صحت نظريتنا يكون مسيحيو اليوم غير معينين بما يقوله القرآن عن النصارى إلا بما كان مشتركاً بينهما... ليس هذا مفهوم بنوة المسيح لله عند المسيحيين... الثالث الذي يرفضه القرآن هو غير الثالث الذي تقول به الكنيسة، ونرى أنفسنا بالتالي في حربٍ لا مسوغ لها...).

لقد أتيت مستفيضاً على كل ذلك ليس مناظراً للمسلمين، ولكن استدلالاً على أن البحث التفسيري في القرآن ممكن وروده على غير الطرق المألوفة دون تخطئة القرآن. ولعل المسلمين مدعوون للحديث عن المسيحية كما تتحدث هي عن نفسها، وقد أخذت تعي كتبها من منظار نقدي تاريخي منذ ثلاثة قرون، غير خارجة بذات عن تاريخ آبائها الذين قاربوها هم أيضاً من منظار تاريخي فيه الكثير من النقد التاريخي والحضاري. ولعل المسلمين مدعوون أيضاً أن يبحثوا في القرآن من هذا المنظار، بعد أن تعلموا منهج العلوم النقدية وطبقوها على الكتاب المقدس. فإذا ما سوغوا لأنفسهم البحث في العهدين القديم والجديد، كما يبحث في ذلك الألمان ومن اتبعهم من أهل الغرب والشرق فلماذا

(١) المرجع السابق، (٢١٢).

لا يسوغون لأنفسهم استعمال الأسلوب نفسه في الأبحاث القرآنية دون أن ينكروا الوحي القرآني؟^(١).

• وعلى هذه الدعاوى السابقة التعقيبات التالية:

أولاً: لقد وقع المطران خضر في تناقض فاضح. فبينما يقرر مراراً أن (كل حديث عن وحدة الديانتين كما نعرفهما حقاً، إنما هو حديث مجاملة ولا يقول به رصين)^(٢)، ويتساءل بصدق: (كيف التوفيق وكل توفيق يبدو هنا تلفيقاً. والحوار بادئ ذي بدء مرفوض بسبب من أصالة المسيحية وأصالة الإسلام؟ فنحن أمام منظومتين ليست واحدة منهما قابلة للاختراق أو قابلة للتكامل)^(٣). نجد أن المطران الرصين قد شرع في محاولة الاختراق لأمّهات القضايا التي نصبها بنفسه أمثلةً للتقابل والمناعة، وهي إنكار القرآن لعقائد التثليث والبنوة والصلب وختم النبوة بالمسيح.

ثانياً: حاول المطران خضر أن يسليخ المعتقدات الإسلامية الآنفة الذكر من أصولها القرآنية، ويلبسها ثوب التراث التاريخي الذي شكّلهُ في زعمه المفسرون والفقهاء، ببساطة متناهية، وتأويلات متهافة^(٤)، ولكنه لم يلتفت للتراث التاريخي الذي خلفه اللاهوتيون وآباء الكنيسة، ولم يشرع في اختراقه - على الأقل، من باب المعاملة بالمثل - وقصارى الأمر أن اكتفى بالاعتذار عن المظالم التاريخية فقط، وتمنى أن يعامل بالمثل.

ثالثاً: كيف يطالب المطران خضر المسلمين - وحاشاهم - بإخضاع

(١) المرجع السابق، (٢١٢ - ٢١٨).

(٢) مواقف أحد (٧٤). تقدم النص كاملاً (٤٣٤).

(٣) العلاقات الإسلامية المسيحية. (٢١٣) تقدم النص كاملاً (٤٣٦).

(٤) المرجع السابق، (٢١٥).

القرآن الكريم لمعاول النقد التاريخي التي أهوى بها المستشرقون والملحدون والزنادقة على كتاب الله العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت]. بل ويعتبر ذلك من مقتضيات الحوار فيقول في مقالة نشرتها جريدة النهار البيروتية في ١١/١/١٩٩٢م، تحت عنوان «هل من حوار إسلامي مسيحي؟»: (الحوار يقتضي منهجاً أكاديمياً صارماً، ولست أرى أسلوباً له سوى النقد التاريخي الذي يقرأ كل كتاب - بما في ذلك الكتب المقدسة - على الخلفية التي ظهر منها^(١)).

ولئن ارتضى نصارى اليوم، ومنهم أسقف جبل لبنان للروم الأرثوذكس نقد ما يزعمونه كتباً مقدسة إلهية عندهم، لإدراكهم التام أن أيدي العبث والتحريف نالت منها، ولا أدل على ذلك من تباین نسخها وتعددتها بل واضطرابها وتناقضها^(٢)، لئن سوغوا لأنفسهم ذلك فإن المسلمين - بحمد الله - لم ولن تهتز ثقتهم وإيمانهم بسلامة القرآن من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، لما تحقق له من أسباب السلامة والصيانة والحفظ التي يستحيل معها وقوع تغيير أو تحريف تحقيقاً لوعد الله القاطع بحفظ الذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر].

والمطران خضر يدرك هذه الحقيقة جيداً، فقد قطع الله طمع كل مغرضٍ يطمح إلى التشكيك في سلامة النص القرآني. ولكنه يحتال على ذلك بدعوى البحث التفسيري على غير الطرق المألوفة دون تخطئة القرآن، على حد تعبيره، ولا يخفى على مسلم يقرأ القرآن أن المسائل التي ينازع فيها المطران خضر قد وردت في القرآن في عدة مواضع

(١) عن مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٢٢١).

(٢) راجع مبحث الكتب المقدسة عند اليهود (٣٦ - ٤٤)، والكتب المقدسة عند النصاري (٧١ - ٨١).

صريحة واضحة لا تحتاج إلى تفسير مفسر أو تفصيل فقيه. كما أن من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ١ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ٢ ﴿[النجم]. قد أكد ما جاء به القرآن في سنته القولية والعملية^(١).

وحسب المطران خضر وأمثاله من نصارى العرب، المنادين بالحوار أن يكتفوا بالدعوة إلى الاعتذار عن مظالم التاريخ، وأن لا يستزلهم الشيطان - وقد فعل - إلى المساس بالعقيدة الإسلامية المتينة. وخير لهم أن يمعنوا بإخلاص في نقد كتبهم المقدسة علّه يتبين لهم ما داخلها من وثنية الرومان واليونان، ويعودوا إلى التوحيد الحق الخالص الذي كان عليه عيسى عليه السلام، وجاء به عبد الله ورسوله محمد ﷺ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهِيمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

تلك نظرات كبير من أساقفة الأرثوذكس العرب، المطران جورج خضر، في قضية الحوار والتقارب، وهو يتمتع بحضور قوي في المنتديات الدينية والسياسية والثقافية، ويعلن آراءه في الصحف السيارة وغيرها من القنوات الإعلامية، وهو يؤسس مشروعه في التقريب بين النصرانية والإسلام على دعوى التمييز بين ما هو ديني وما هو تاريخي، بحسبان أن الاختلافات العقدية الكبرى بين الإسلام والنصرانية مردها إلى خطأ المفسرين في فهم موجبات تكفير النصارى، وفي تنزيلهم تلك الموجبات على من يسميهم «المسيحيين».

أولاً: التثليث:

يزعم المطران جورج خضر أن التثليث المذموم في القرآن غير التثليث الذي يقول به النصارى!.

فيقول: (الثالوث المنسوب إلى المسيحيين تسوده الآية ١١٦ من

(١) راجع مبحث أهل الكتاب في التمهيد.

المائدة. وهذا ما فهمه تفسير الجلالين بوضوح. فعندما يورد: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١] يوضح أن الثالوث هو الله وعيسى وأمه. ويورد في تفسير سورة المائدة الآية الـ (٧٣): ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ إن الثلاثة هي آلهة أي «أحدها الله، والآخر»^(١) عيسى وأمه، وهم فرقة من النصارى. وزعم الإمام البيضاوي أن النصارى عبدوا عيسى وأمه إلهين يتوصلون بها إلى عبادة الله، ويكون هذا شركاً. ومن الواضح أنه اختلط عليه قضية شفاعة مريم أو توسلها إلى الله، وهذا ليس فيه عبادة أو تأليه. وفسر الإمام الرازي الآية بقوله إن النصارى يقولون إن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم، هو عيسى عليه السلام ومريم، والله تعالى ما خلقهما^(٢)، وبالتالي يكون عيسى وأمه إلهين، ومن الواضح أن هذا ينافي كل ما ورد عند المسيحيين، فالمسيح ما كان ينسب إلى ناسوته قدرة عمل مستقلة عن الله: «أنا لا أستطيع أن أعمل من نفسي شيئاً» يوحنا ٣٠: ٥. ومن الواضح أن الكنيسة لا تنسب إلى مريم، أو أولياء الله قدرة قائمة فيهم. «إلهين من دون الله» تبقى مصطلحاً من الشرك العربي، أطلق على الثالوث المسيحي.

نحن لا نعرف إلا فرقة ذكرها القديس أبيفانيوس القبرصي في القرن الرابع، كانت تقدم قرابين لمريم، ونشتم بكثير من الغموض عند هذه الفرقة تأليها لمريم. ولكن بعد ذلك لم يوثق استمرار هذه الفرقة في الجزيرة. ومهما يكن من أمر، فالكنيسة الرسمية لم تعرف شيئاً من هذا. فيكون إن الثالوث الذي يرفضه القرآن هو غير الثالوث الذي تقول

(١) هكذا. والذي في الجلالين: (والآخران).

(٢) هكذا. والذي في التفسير الكبير: (ماخلقها).

به الكنيسة، ونرى أنفسنا بالتالي في حربٍ لا مسوغ لها^(١).

ويبدو للوهلة الأولى أن الخلاف غير مؤثر على النتيجة، فظاهر السياق يشعر أن المطران خضر ينازع في تعيين أحد أركان الثالوث أهو مريم أم الروح القدس؟ - بصرف النظر عما تضمنه النقل من ملاحظات أخرى - إلا إنا نجده يؤسس دفاعه على فكرة غريبة مفادها أن العرب: (كانوا يؤلهون القمر ويزوجونه الشمس فتنتج الزهرة من هذه المجانسة. إنها العقيدة الوثنية المعروفة بالثالوث الكوكبي. هذا هو الشرك الذي على خلفيته يفهم العرب أن مقولة «ابن الله» مقولة جنسية: ﴿أَلَنْ يَكُونُ لَمْ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]. والشرك في أن العرب القدامى جعلوا لله بنات. النحل (٥٧) والقرآن يرفض هذا النوع من البنية^(٢).

ونجيب قائلين إن القرآن أبطل جميع أنواع الشرك سواء ما كان منها مؤسساً على فكرة جنسية وثنية، أو ما كان سوى ذلك. وهذا إن دل على شيء: فإنما يدل على تأثر النصرانية المحرفة بالوثنية. كما أن هذا التخريج الذي زعمه المطران لا يغير من أصل الحقيقة شيئاً، سواء كان الأقنوم الثالث مريم فتتبادر فكرة الزيجة - تعالى الله عن ذلك - أو كان الروح القدس، فالكل شرك.

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية - قراءة مرجعية في التاريخ الحاضر والمستقبل (٢١٦ - ٢١٧).

وليس أمر اعتبار مريم أحد أركان الثالوث عند النصارى بهذه الدرجة من التجاهل التي يبديها المطران جورج خضر، يقول روجيه جارودي: عندما نُبذت... فكرة أن مريم هي الشخص الثالث في الثالوث لدى المسيحيين، فإن إدانة هذه العبادة «عبادة مريم» كان لها على وجه الدقة تاريخها، كان أوريجين قد هاجم هذه البدعة لدى الكوليريديين، ولدى شعب الأورفيت، الذي كان لا يميز مريم العذراء من روح القدس (الإسلام ١١٢).

(٢) مقالة: «هل من حوار إسلامي مسيحي؟» جريدة النهار ١١/١/١٩٩٢م.

بقي أن نستدرك على المطران خضر ما استدركه على الإمام البيضاوي رحمته حين رماه بالخلط بين قضية طلب الشفاعة من مريم، ودعائها، والتوسط بها إلى الله، وبين العبادة، حيث لا يرى المطران في ذلك عبادةً وتألهاً. لكن المسلمين الموحدين يعتقدون أن الدعاء حق خالص لله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وأن الشفاعة لله جميعاً، كما قال: ﴿قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فالشفاعة تطلب من الله تعالى. وهو سبحانه يهبها من شاء من عباده، فمن صرف الدعاء والشفاعة لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن التوحيد. وبالتالي فاتخاذ النصاري مريم عليها السلام إلهاً، حاصل عملياً وإن لم يعتبروها أقنوماً كما شدد على ذلك المطران خضر، واعتبره قولاً شاذاً لفرقة مندثرة.

ثانياً: بنوة المسيح:

يجهد المطران جورج خضر نفسه - مرة أخرى - في صرف دلالة القرآن عن معتقد نصاري اليوم، وما يتبع ذلك من لوازم التكفير والتضليل. فيقول: (فإذا قرأنا: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم] ومثيلاتها من الآيات، وكان لنا شيء من قراءة التاريخ الكنسي، لا نستطيع أن نرى هذه الآيات طاعنة بالمسيحية كما نعرفها، فهي ترفض هذا الاتخاذ، أي رفع مخلوق إلى مصاف الألوهية. ولكن الاتخاذ كان بدعة معروفة بالتبوية، وقالت بها الغنوصية التي ذهبت إلى أن الله جعل المسيح ابنه عند اصطباغه في نهر الأردن. المسيحيون ليسوا معنيين بهذا التكفير. وإذا قالت سورة الإخلاص عن الله إنه لم يلد ولم يولد، فالمسيحية تقول: إن الله من حيث هو جوهر إلهي لا يتجزأ، ولم يلد ولا يولد من سواه. وإذا أخذنا الولادة أفلا ينفيها القرآن صراحة عن الملائكة، ويكفر القائلين بأنهم بنات الله، ويكون هذا رداً على الجاهلية.

ينزه القرآن الله عن أن يكون له ولد. ذلك لأن هذه المفردة «ولد» ذات معنى حسي ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِبةً﴾ [الأنعام: ١٠١]. ليس هذا مفهوم بنوة المسيح الله عند المسيحيين الذين ينزهون الإله غير الحسي أن يكون ذا صلة بمريم حسية. إنه مفهوم العلاقة الأزلية بين الله والكلمة. قبل اتخاذه صورة بشرية. وهذا في زعمي غير مكفر في القرآن لمجرد غيابه عنه^(١).

غير خافٍ من السياق أن المطران خضر في سبيل رفع وصمة التكفير يحاول التفريق بين مادة «الولادة» ومادة «البنوة»، في حين إن اللغة لا تفرق بينهما. قال الفيروزآبادي^(٢): (الابن: الولد... وألحقوا ابناً الهاء فقالوا: ابنة)^(٣). وجعل الله الأولاد شاملاً للبنين والبنات، فقال: ﴿يُؤْمِنُكَ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلدَّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾ [النساء: ١١]. ها هو ذا المطران خضر في كلامه السابق يثبت نفي القرآن للولادة بنفي مقالة القائلين الملائكة بنات الله. فكذلك نقول نحن فيمن قال عيسى ابن الله. ثم إن القرآن لم يقتصر على النكير على من زعم اتخاذ الله للولد، بل عبر صراحة بلفظ «الابن» الذي يلتزمه سائر النصاري فقال:

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢١٦).

(٢) الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، أبو طاهر، مجد الدين الفيروزآبادي، إمام اللغة والأدب، ولد سنة ٧٢٩هـ، بشيراز، وتنقل في البلدان حتى ذاع صيته، وتوفي في زبيد سنة ٨١٧هـ، أشهر كتبه «القاموس المحيط»، «المفاهيم المطابة في معالم طابة»، وينسب إليه «تنوير المقباس في تفسير ابن عباس»، «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز».

الأعلام (١٤٦/٧)، البدر الطالع (٢/٢٨٠)، الضوء اللامع (١٠/٧٩)، التاج (٤/٦٧)، العقود اللؤلؤية (٢/٢٦٤، ٢٧٨، ٢٩٧)، أزهار الرياض (٣/٣٨).

(٣) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م. (٤/٤٤٢).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤَفِّكُونَ﴾ (٢٥) [التوبة].

وهكذا لا نرى فرقاً بين نصارى الأمس ومسيحيي اليوم - كما يسمون أنفسهم - في هذه القضية أيضاً.

ثالثاً: الوهية المسيح وعقيدة «التجسد»:

يقول المطران جورج خضر: (أليس التجسد شبيهاً بالقرآن، «لوحاً محفوظاً»، كلاماً غير مخلوق، اتخذ شكل كلمات قابلة للإعراب، ومتصلة بتاريخ العرب وحضارتهم، ولها أسباب نزول متعلقة بحياة الرسول، ومنها بعض كلمات أعجمية متصلة بحضارة الفرس. نحن نقول عن المسيح ما يقوله المسلمون عن القرآن، المسيح هو قرآننا... لو اتخذنا بشراً اسمه «عيسى»، وأقمناه في الألوهية لكننا مشركين، ولكننا نتخذ كلمة الله «ولها كان الكلمة» يوحنا: ١٠١، ونقيمه في البشر «والكلمة صار جسداً» يوحنا ١: ١٤. هذا التوضيح ضروري لكي يصحح المسلمون نظرهم إلى الأحداث التاريخية وتسلسلها في ما يخص حياة يسوع المسيح. فالمسلمون يعتقدون، مستنديين في ذلك على الآيتين القرآنتين: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم]، ﴿وَمَا يَلْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم] وغيرهما من الآيات، أن المسيحيين قد رفعوا ولداً إلى مرتبة الألوهية. وهذا خطأ، لأنهم يؤمنون أن كلمة الله الذي هو إله منذ الأزل، قد صار إنساناً في التاريخ، من دون أن يتخلى عن ألوهيته^(١). ويقول أيضاً: (إن القائلين بأن كلام الله غير مخلوق كانوا على حق. السؤال المطروح هو معرفة ما إذا كان عند الله كلام أو كلمة واحدة تنحدر منه الكلمات، كل الكلمات التي

(١) هل من حوار إسلامي مسيحي. جريدة النهار. ١١/١/١٩٩٢م.

كانت قبله أو جاءت بعده؛ وهل هذه الكلمة المعيار الوحيد لحقيقة الكلمات؟ بعد هذا ليس من صعوبة أن يسكن الكلمة جسداً، أن يظهر بشراً، لماذا يعقل أن يلبس الله لباس كلمات في كتاب، ولا يعقل أن يلبس جسداً؟ أليست الألفاظ واللغة والكتب جسداً؟ أن نقول إن كلام الله في هذا الكتاب أو ذاك، غير مخلوق، وأن نقول إن الكلمة الذي حل فينا غير مخلوق، قولان في معقولة واحدة^(١).

إن المطران يستشفع لعقيدة الحلول الوثنية بفهم خاطئ لعقيدة أهل السنة والجماعة في كون القرآن غير مخلوق. لقد توهم أن دلالة هذه الجملة: أن كلام الله الذي هو صفة من صفاته استحال ألفاظاً وألواحاً وكتباً مخلوقة، أو سكن أو تلبس أو تجسد فيها، ليسلم له بالتالي أن تكون كلمة الله حلت جسد المسيح وتلبست به وسكنته فصار إلهاً بالكلمة.

إن المسلمين المتبعين للكتاب والسنة، لا يعتقدون مطلقاً أن صفة من صفات الله حلت في مخلوق كالمداد والأوراق، أو تلبست بالأصوات والأدوات، أو سكنت في الألسن أو الآذان. ولهذا يفرقون بين القراءة والمقروء، والكتابة والمكتوب. فالصوت صوت القارئ والكلام كلام البارئ. والكتابة خط الكاتب، والمكتوب كلام الخالق سبحانه. قال الإمام البخاري رحمته الله: (سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة. قال أبو عبد الله: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم مخلوقة. فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف، المسطور، المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق. قال الله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِي فِي صُورٍ اللَّيْلُ أَوْتُوا إِلَيْهَا﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وقال

(١) الكلمة والجسد. عن مجلة الاجتهاد. العددان (٣١، ٣٢) (٢٢٢).

إسحاق بن إبراهيم: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها؟ قال الله تعالى: ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ۝١ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٢﴾ [الطور]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٣ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٤﴾ [البروج] فذكر أنه يحفظ ويسطر، قال: «وما يسطرون»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بعد ذكر اضطراب الناس في مسألة اللفظ: (.. إذا رجع أحدهم إلى فطرته، وجد الفرق بين أن يشير إلى الكلام المسموع، فيقال: هذا كلام زيد، وبين أن يقول: هذا صوت زيد. ويجد فطرته تصدق بالأول وتكذب بالثاني. قال الله تعالى: ﴿وَلَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال النبي ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»، وكل أحد يعلم بفطرته ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري...)^(٢). ثم ذكر بدعة «اللفظية المثبتة» فقال: (وكذلك أنكر بدعة «اللفظية المثبتة» - الذين يقولون: إن لفظ العباد، أو صوت العباد به غير مخلوق، أو يقولون: إن التلاوة التي هي في فعل العبد وصوته غير مخلوقة - الأئمة الذين بلغتهم هذه البدعة مثل الإمام أحمد بن حنبل، وأبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح - وسرد بعدهما اثنين وعشرين إماماً ثم قال: - ومن شاء الله تعالى من أئمة أهل السنة وأهل الحديث، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم، ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن، أو صوته به، أو غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن غير مخلوقة. ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره)^(٣).

(١) خلق أفعال العباد: البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد السعيد بسيوني. مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة. (٣٤). رقم (٩٧) وقال: إسناده صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٤٠٨ - ٤٠٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/٤٢١ - ٤٢٢).

إن محاولة المطران خضر تأنيس القول بألوهية المسيح، وتجسد الكلمة، للمسلمين بقياس ذلك على كون كلام الله «القرآن» غير مخلوق محاولة فاشلة، وقياس فاسد مرفوض، قد تنبه لمثله الأئمة من قبل فأذكروه. ومن ثم فليس المسلمون بحاجة لأن يصححوا نظرتهم، فما نطق به القرآن قبل أربعة عشر قرناً عن عقائد النصارى، وما يعتقده نصارى اليوم سواء.

ثانياً: الكاثوليك العرب:

في شهر أغسطس من عام ١٩٩١م تأسس «مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك». وهو مكون من الكنائس الشرقية التي اتحدت مع الكنيسة الكاثوليكية، في روما وخضعت لها، مع محافظتها على طقوسها الخاصة. وعرفت باسم الكنائس الكاثوليكية الاتحادية. وأقدمها اتحاداً وتبعية لكرسي روما الكنيسة المارونية في لبنان (ق١٢م)، ثم الكنيسة الآشورية «الكلدانية» (ق١٦م) في العراق، وأخيراً كنائس «الروم الكاثوليك»، و«الأرمن الكاثوليك»، و«السريان الكاثوليك» (ق١٧م) في بلاد الشام، بالإضافة إلى الكنائس اللاتينية التي أنشأها المبشرون الكاثوليك في المنطقة، واجتذبت بعض السكان المحليين^(١).

وقد أصدر المجلس الذي يضم بطاركة هذه الكنائس^(٢) بضع رسائل إلى رعاياهم، ومعظمهم من النصارى العرب، لبيان مواقف كنائسهم الموحدة من الأحداث الراهنة، وتوجيههم. ولا يعزب عن

(١) انظر: الفصل التاسع من: (المسيحية في العالم العربي). (١٠٧ - ١١٥).

(٢) وهم: (بطريرك الإسكندرية للأقباط الكاثوليك. ٢ - بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والإسكندرية وأورشليم للروم الملكيين الكاثوليك. ٣ - بطريرك أنطاكية للسريان الكاثوليك. ٤ - بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للموارنة. ٥ - بطريرك بابل للكلدان. ٦ - البطريرك الأورشليمي للاتين. ٧ - بطريرك الأرمن الكاثوليك.

البال أن إنشاء هذا المجلس جاء في أعقاب الحرب الأهلية اللبنانية ذات الطابع «العقدي» و«الطائفي»، التي استمرت زهاء خمسة عشر عاماً (١٩٧٥ - ١٩٩٠م)، وأثارت المخاوف الكبيرة حول مستقبل النصارى في المشرق العربي^(١). كما أن هاجس «الصحة الإسلامية» المتنامية في المنطقة العربية، والعالم بأسره كان ماثلاً.

جاء في رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك، الأولى، الصادرة عام ١٩٩١م ما نصه: (إن عيشنا المشترك الذي يمتد على قرون طويلة يشكل، بالرغم من كل الصعوبات، الأرضية الصلبة التي نبني عليها عملنا المشترك حاضراً ومستقبلاً، في سبيل مجتمع متساو ومتكافئ لا يشعر فيه أحد، أياً كان، أنه غريب أو منبوذ. إننا ننهل من تراث حضاري واحد نتقاسمه، وقد أسهم كل منا في صياغته انطلاقاً من عبقريته الخاصة. إن قرابتنا الحضارية هي إرثنا التاريخي الذي نصر على المحافظة عليه، وتطويره، وتجديره، وتفعيله كي يكون أساس عيشنا المشترك وتعاوننا الأخوي. إن المسيحيين في الشرق هم جزء لا ينفصل عن الهوية الحضارية للمسلمين، كما أن المسلمين في الشرق هم جزء لا ينفصل عن الهوية الحضارية للمسيحيين. ومن هذا المنطلق فنحن مسؤولون بعضنا عن بعض أمام الله والتاريخ. ولذا يتحتم علينا أن نبحث، بشكل مستمر، عن صيغة، لا للتعايش فحسب، بل للتواصل الخلاق والمثمر الذي يضمن الاستقرار والأمان لكل مؤمن بالله في أوطاننا، بعيداً عن آلية الحقد والتعصب والفئوية ورفض الآخر)^(٢).

وفي السنة التالية ١٩٩٢م أصدر المجلس الرسالة الثانية بعنوان:

-
- (١) انظر على سبيل المثال مقدمة كتاب: (حياة مسيحيي الشرق وموتهم. من البدايات حتى أيامنا) للفرنسي المتعصب: جان - بيار فالونيو.
- (٢) رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك الأولى.

(الحضور المسيحي في الشرق: شهادة ورسالة. رسالة راعوية مشتركة يوجهها بطاركة الشرق الكاثوليك إلى مؤمنهم في شتى أماكن وجودهم). خصص الفصل السادس منها للحديث عن «حضور الحوار» جاء فيه: (. . الحوار موقف روحي قبل كل شيء، يقف فيه المرء أمام ربه محاوراً، فتسمو نفسه، ويظهر قلبه ووجدانه، فينعكس ذلك على حوارهِ مع نفسه وعلى حوارهِ مع الآخرين، أفراداً وجماعات. . .

ويعني الحوار مع الآخر معرفته والتعرف عليه والاعتراف به، معرفته كما يعرف هو نفسه، والتعرف عليه بكامل شخصيته، والاعتراف به كمكمل لنا أكثر منه خصماً أو منافساً أو عدواً. وذلك بعيداً عن الأفكار المسبقة من أي نوع كانت، والمصالح والأنانيات. في مثل هذه الأجواء يتحول الحوار إلى غنى متبادل من غير أن يتنازل أي من الطرفين عن ذاته أو عن تراثه أو عن شخصيته أو عن كيانه. ولا ريب أن التعصب بكافة أشكاله - باسم الله أو الدين أو القومية أو الطائفة أو الأرض أو العرق أو اللغة أو باسم الانتماء الحضاري أو الثقافي أو الاجتماعي - هو عدو الحوار الأول^(١).

ثم يتوجه الحديث إلى الحوار مع المسلمين خاصة، فتقول الرسالة: (إن حوارنا هو حوار مع إخواننا المسلمين قبل كل شيء. إن العيش المشترك بيننا على مدى قرونٍ طويلة، يشكل خبرة أساسية لا عودة فيها، وجزءاً من مشيئة الله علينا وعليهم. وفي الوقت الذي فيه تبحث المسيحية والإسلام معاً في عالمنا عن صيغة للتواصل والحوار والتلاقي، يجدر أن تستجوب خبرة كنائسنا في هذا المضمار، علماً بأن هذه الكنائس تود أن تكون جسراً من الحوار بين الشرق والغرب، بين

(١) الحضور المسيحي في الشرق. شهادة ورسالة: مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك. المطبعة البولسية. الطبعة الثانية ١٩٩٥م. (٤٢، ٤٣).

المسيحية والإسلام، لما لنا من قرابة إيمانية مع الغرب المسيحي، وما لنا من قرابة حضارية مع الشرق المسلم^(١).

ثم تفصح الرسالة عن الهم الدائم لدى نصارى الشرق، فتقول تحت عنوان مسؤولية متبادلة: (في زمن المخاض الحالي الذي يجتاح عالمنا العربي، يبقى أن إحدى المشاكل الكبرى التي يواجهها، هي علاقتها مع مختلف الفئات الوطنية على اختلاف معتقداتها. إن المسيحيين والمسلمين تشاركوا في «العيش والملح» قروناً طويلة. وهذا ما يلقي على الطرفين مسؤولية متبادلة. فالإسلام يتحمل مسؤولية كبرى في هذا المجال، إذ أنه مدعو إلى تطمين المؤمنين المسيحيين الذين يعيشون معه في الوطن الواحد. إن المسلم في الشرق لا يستطيع أن يطور أي مشروع لنظام اجتماعي وسياسي من غير أن يأخذ بالحسبان الجماعة المسيحية بشكل يعطيها الثقة، لأن حقوقها الدينية محفوظة فحسب، بل أيضاً بأنها جزء لا ينفصل عن حياة المجتمع، وكاملة العضوية في الجماعة الوطنية، بما فيها من حقوق وواجبات. والمسيحيون من جانبهم يتحملون مسؤولية مماثلة تدعوهم إلى التخلص من العقد الاجتماعية والنفسية، التي خلفها لهم التاريخ... وحبذا لو تشكلت منابر أو مؤسسات حوارية، فيها نلتقي بشكل دوري كي نبلور ونطور معاً نمط تواصل وتبادل وتعاون يعود بالخير على الجميع)^(٢).

أما مخلفات التاريخ التي تدعو الرسالة إلى التخلص من آثارها الاجتماعية والنفسية فيكشف عنها النص التالي: (إن الظروف التاريخية التي عاشتها المنطقة والمسيحيون في بلادنا، منذ أكثر من قرن من

(١) الحضور المسيحي في الشرق شهادة ورسالة (٤٣).

(٢) المرجع السابق، (٤٥، ٤٦). وقد وجه المجلس رسالة مماثلة إلى اليهود (٤٦، ٤٧).

الزمان^(١)، أعطت الانطباع بأن المسيحيين يتطلعون إلى الغير طالبين منهم ضمان وجودهم وحمايتهم. أضف إلى ذلك الرغبة الأجنبية في الهيمنة على الشرق، مما حمل إلى الظن أن الرهان المسيحي هو الطريق السهل في بعض الأحيان للوصول إلى هذه الغاية. وهذا ما أدى إلى الاعتقاد السائد أن المسيحيين في الشرق فئة غريبة عن المنطقة، مع العلم بما قامت به شخصيات مسيحية، رائدة وفريدة وشجاعة، من نضال في سبيل التحرر القومي، والاستقلال الوطني، والتطور الثقافي. مهما يكن من أمر، فإن كنائسنا ترفض أي تغريب ثقافي أو سياسي، وتؤكد تضامنها واندماجها الملتزم بمجتمعاتها، من منطلق إيمانها وهويتها ودعوتها ورسالتها، في هذا المنعطف الخطير من تاريخ المنطقة^(٢). وفي الوقت نفسه يعلن البطارقة قائلين: (وفي هذه المناسبة نود أن نعلن ما يربط كنائسنا الكاثوليكية في الشرق من شركة الإيمان والمحبة مع كرسي روما)^(٣).

وفي عام ١٩٩٤م أصدر مجلس بطارقة الشرق الكاثوليك رسالته الثالثة المعنونة بالعبارة التالية: (معاً أمام الله. في سبيل الإنسان والمجتمع. العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي)، جاء في مقدمتها: (نود في هذه الرسالة الجديدة أن نخص العلاقة الأخوية والبناءة، التي يجب أن تربط بين المسيحيين والمسلمين؛ بمزيد من التعمق والتفكير، علماً بأن هذه العلاقة كانت موضع مداولات مطولة بيننا في اجتماعات الدورة الثالثة لمجلسنا، التي

(١) المراد بذلك: الاستعمار الأوربي الذي تقاسم ولايات الدولة العثمانية، واتخذ من دعوى حماية الأقليات النصرانية ستاراً له. انظر المرحلة الخامسة في نبذة تاريخية من التمهيد.

(٢) المرجع السابق، (٥١).

(٣) المرجع السابق، (٥٥).

عقدت في عمان في أيار (مايو) سنة ١٩٩٣^(١). وعظم المجتمعون شأن هذه العلاقة فقالوا: (لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن العيش المشترك بين البشر في الألف الثالث من تاريخنا، يقرره التلاقي الإيجابي والبناء بين أبناء الديانات المختلفة على وجه العموم، وبين أبناء الديانتين المسيحية والإسلامية على وجه الخصوص)^(٢).

لقد خصصت هذه الرسالة لقضية «العيش المشترك» تحت غطاء من الشعارات العاطفية من أمثال: «الحوار والتلاقي»، «العيش والملح المشترك»... إلخ.

ولكنها جاءت كعريضة مطالب للطائفة النصرانية، لتحسين وضعها في المجتمعات الإسلامية، يتضح ذلك في الفقرات التالية من الرسالة:

• تحت عنوان: «المشاركة في الحياة العامة»: (. . من حق كل فئة وطنية أن تسهم في بناء المجتمع بجميع مجالات الحياة الوطنية فيه «أجهزة الدولة والمؤسسات العامة والخاصة والوظائف والمصالح الاقتصادية وغيرها»، وهذا يعني ألا يهمل أحد لسبب انتمائه الديني، أو لأي سبب من الأسباب، بل تتاح الفرص لكل مواطن، أياً كان، ومهما كانت عقيدته، لكي يجد موقعه في الحياة بعيداً عن الحدود والحساسيات الطائفية)^(٣).

• وتحت عنوان: «الأسرة»: (والمجال الثاني هو الأسرة وكل ما يتصل بها، ولا سيما الزيجات المختلطة بين المسلمين والمسيحيين والتي قد تحدث المآسي في البيت والمجتمع.. وقد يحصل أحياناً أن

(١) معاً أمام الله. في سبيل الإنسان والمجتمع: مجلس بطارقة الشرق الكاثوليك. نشر الأمانة العامة - بركي - لبنان. طبعة ١٩٩٥م. (٨،٧).

(٢) المرجع السابق، (٩).

(٣) معاً أمام الله. (٢٢).

بعض المسيحيين أنفسهم لافتقارهم إلى العمق الديني، يستغلون حماية القوانين الدينية الإسلامية، ليتهربوا من واجباتهم الزوجية والأسرية. ومهما كانت القوانين الدينية في الإسلام والمسيحية مختلفة، ومهما كان من الصعب التوفيق بينها، فإن هذا لا يعفي المسؤولين وأولي الأمر في كلا الديانتين من تنظيم الأمور، وتلافي ما يعكر صفو المجتمع الواحد. ومن الملاحظ أيضاً أن المتهرين من واجباتهم الزوجية، واللاجئين إلى قوانين الدين الإسلامي^(١)، قد لا يهتمهم غالباً أمر الدين في شيء، وإنما هم فقط مستغلون للدين، وأصحاب أغراض أنانية^(٢).

• وتحت عنوان: «التربية الدينية» تقول الرسالة: (يظل الطالب المسيحي في المدارس الحكومية موضع قلقٍ لنا في بعض البلدان العربية، حيث لا تُوفَّر له، بخلاف زملائه المسلمين، التربية اللازمة في مدرسته الحكومية نفسها. وفي بعض البلدان لا يتاح له ذلك حتى في المدرسة المسيحية الخاصة...)

ويشمل هذا المجال أيضاً الكتب المدرسية التي لا تأخذ بعين الاعتبار الطالب المسيحي وواقع تعدد الأديان والثقافات في وطننا العربي. وهذا ما يسبب لدى الطالب المسيحي اضطراباً في عقيدته، فيصبح في تردد بين العقيدة المسيحية التي يؤمن بها ويتشربها في الأسرة والكنيسة، وبين ما عليه استيعابه منذ نعومة أظفاره في المدرسة من خلال الكتب المقررة^(٣).

(١) في هذا الكلام طعن في الشريعة الإسلامية بأنها ملاذ للمتلاعبين المضيعين للواجبات الزوجية، وكأن البطارقة يتوجعون من ترفع بعض أبناء طوائفهم إلى المحاكم الشرعية في قضايا الطلاق والنفقات والعشرة، حيث لم يجدوا في شرائعهم المحرفة حلاً لمشاكلهم الأسرية.

(٢) المرجع السابق، (٢٢، ٢٣).

(٣) المرجع السابق، (٢٣، ٢٤).

وفي القسم الثاني من الرسالة يتساءل بطاركة الشرق الكاثوليك: «كيف نبني المستقبل؟» وتأتي الإجابات دائرة حول نبذ الطائفية والتعصب الديني، والتحرر من الأفكار المسبقة، وقبول التعددية والتنوع، وتطوير الخطاب الديني بإحلال الاحترام المتبادل محل التشويه والجدل، ونحو ذلك من الشعارات التي لا تخدم في الحقيقة سوى الطرف الأضعف، الذي يعاني من عقدة «الأقلية». وتطالب الرسالة المراجع التربوية ممثلةً بالبيت والمدرسة والجامع والكنيسة والمؤسسات الفكرية والإعلامية، بترسيخ المبادئ السابقة في نفوس الناشئة والناس^(١).

وفي القسم الثالث الذي يحمل عنوان: - (من أجل مجتمع عربي متكافئ) يتحدث البطاركة عن المجتمع والمواطنة والمشاركة المتكافئة في مختلف المناشط، ثم يصلون إلى «بيت القصيدة»، وهي قضية الدين والسياسة، في وقت تتعالى فيه مطالبات المسلمين بالعودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية. فيقولون: (... يعلمنا تاريخ المجتمعات البشرية المختلفة أن خلط الدين والسياسة ما يلبث أن ينتج عنه ضرر عميق على الدين والسياسة معاً. فعندما يتحول الدين إلى أيديولوجية سياسية، فإنه يبتعد عن هدفه الأساسي، ويصبح أداة وصول إلى السلطة، وأحياناً أداة قمع وتسلط. وإذا تحولت السياسة إلى أيديولوجية دينية، فإنها تستغل الدين وتوظفه كوسيلة لتثبيت مصالحها الخاصة. وفي كلتا الحالتين تفسد السياسة، ويشوه المعنى الحقيقي للدين. والتاريخ شاهد على هذا الفساد وهذا التشويه شرقاً وغرباً.

إن ربط الدين بالسياسة يثير الكثير من الأسئلة الملحة: كيف يستطيع الدين أن يؤثر في الحياة العامة تأثيراً حقيقياً، مع الحفاظ على

(١) انظر: «معاً أمام الله» من (٢٧ - ٣٧).

استقلاليتها واستقلاليتها؟ كيف يمكن التمييز بين المؤسسات السياسية والدينية دون الفصل بينهما، فلا يسخر الدين للسياسة، ولا تكون السياسة استغلالاً للدين؟ كيف يمكن أن يظل الدين عامل وحدة وتقريب بين جميع فئات المجتمع من غير تمييز أو تهميش أو استثناء؟ الأسئلة كثيرة والموضوع شديد الحساسية، ويستحق أن يستمر النقاش حوله والحوار بشأنه بين التيارات المختلفة، للوصول إلى صيغة يطمئن إليها الجميع^(١).

وتكرر الرسالة الثالثة ما جاء في سابقتها عن الدور المميز للنصارى العرب كجسر للتواصل بين الإسلام والغرب المسيحي^(٢).

استناداً إلى الرسائل الثلاث التي وجهها بطاركة الشرق الكاثوليك «إلى مؤمنهم في شتى أماكن وجودهم»، نحدد أبعاد قضية «التقريب» و«الحوار» في نظر النصارى الكاثوليك العرب، مع استدعاء بعض الإيضاحات التي لا تقدمها البيانات الرسمية المحترزة، من أحد أساقفتهم المعروفين، وهو المطران كيرلس سليم بسترس، رئيس أساقفة بعلبك للروم الملكيين الكاثوليك.

أولاً: الحوار الذي ينادي به الكاثوليك العرب مع الآخر يعني: معرفته والتعرف عليه والاعتراف به، معرفته كما يعرف هو نفسه، والتعرف عليه بكامل شخصيته والاعتراف به كمكمل لنا أكثر منه خصماً أو منافساً أو عدواً... بعيداً عن الأفكار المسبقة^(٣). هذا هو حدُّ الحوار وتعريفه لديهم، فعلام ينطوي هذا الكلام. يقول المطران كيرلس: (إن العلاقات بين المسيحية والإسلام، لا يمكن أن تبنى اليوم

(١) المرجع السابق، (٤٣ - ٤٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٥٢ - ٥٣).

(٣) تقدم.

وفي المستقبل على أساس ما ورد في القرآن. فالمسيحية اليوم ليست النصرانية التي التقاها القرآن، والمسيحيون اليوم ليسوا «أهل الكتاب» وحسب، كما يرد ذكرهم في مختلف سور القرآن، وتعاليمهم ليست التعاليم التي يكفرها القرآن. هذا ما يجب تأكيده بكل جرأة وصراحة، وذلك ليس من باب المساومة بل من باب الأمانة للحقيقة. فإني أنا اللاهوتي المسيحي عندما أقرأ ما يقوله القرآن عن التثليث، وعن ألوهية السيد المسيح، أخلص إلى أن هذه الأوصاف لا تعبر عن إيماني المسيحي بالتثليث وبألوهية السيد المسيح، وبالتالي فإن تكفيرها لا يطالني. وهذا في رأيي هو الحل الوحيد للخروج من المأزق الذي يقع فيه المسيحيون والمسلمون على السواء.

فالمسيحيون يتساءلون كيف يدخلون في حوار مع مسلمين يعتبرونهم كفرة؟.

والمسلمون يؤمنون من جهة بأن القرآن كلام الله، ويريدون من جهة أخرى الدخول في حوار ديني مع المسيحيين، ولا يعرفون السبيل إلى ذلك. الطريق الوحيد لتخطي هذه المشكلة هو الإقرار بأن ما ورد في القرآن حول إيمان «أهل الكتاب النصارى» لا يعتبر التعبير الصحيح عن الإيمان المسيحي الذي يعتنقه المسيحيون اليوم.

انطلاقاً من هذه المقولة التمهيدية يمكن المسيحية والإسلام الدخول في حوار ديني يبنون عليه علاقاتهم في الحياة والعيش المشترك^(١).

بهذه البساطة المتناهية حسم المطران المشكلة وأخرج الطرفين من

(١) العلاقات المسيحية - الإسلامية تاريخاً وحاضراً ورؤية مستقبلية. من كتاب العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل. (٢٢٥).

المأزق! إنه باختصار يطالب المسلمين برفع الأحكام الربانية، والمعتقدات القرآنية المعلومة بالضرورة من دين الإسلام عن نصارى اليوم، دون أن يتزحزح هو وملته قيد أنملة عن موقفه العقدي، وبذلك يكون الطرفان مهينين للحوار، وتحل المشكلة! وهو يردد في هذا ذات المقولة التي قالها المطران جورج خضر من أن نصارى اليوم ليسوا نصارى الأمس الذين واجههم القرآن، ويزيد عليها تخريجاً متهافتاً لفرية التثليث، فيقول: (وهنا لا بد لنا من التأكيد أن إيماننا هذا بالله الواحد، لا يناقض إيماننا بالتثليث. ذلك أن الآب وكلمته وروحه ليست في اعتقادنا ثلاثة آلهة منفصلة أحدها عن الآخر. بل إله نميز فيه ثلاثة أقانيم، أي صفات ذاتية غير منفصلة أحدها عن الآخر. فكما نميز بين الإنسان وعقله وروحه دون أن نفصل بين هذه الثلاثة، كذلك، وإن ميزنا في الله الواحد بين الله وعقله وكلمته وروحه، إلا أننا لا نفصل بين الثلاثة. لذلك نعلن في صلاتنا إيماننا «بالثالوث الواحد في الجوهر وغير المنفصل».

لذلك نؤكد أن المسيحية ديانة توحيدية، وقولها بالتثليث هو تعمق في سر الله، وتفسير لتجلي الله في عالم البشر. فلا تكتفي بالقول أن الله أرسل إلينا أنبياءه، بل إنه أتى إلينا في شخص كلمته يسوع المسيح، وفي روحه القدس. فكلمة الله وروحه حضرا في ما بيننا. أما التثليث الذي يكفره القرآن فهو عبادة كائنين من دون الله أي لا علاقة لهما بالله. وهذا التثليث نحن منه براء، لأن كلمة الله وروح الله ليسا كائنين من دون الله، إنما هما صفات ذاتية في الله الواحد نفسه^(١).

وقبل أن نحلل ما قاله المطران، نستدعي بداهة العقل والفطرة

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢٣٢).

يرى وما لا يرى» فلم لا تجعلون - طرداً للقاعدة - الخالق، الضابط، من الأقانيم فيكون اعتقادكم بـ «خاموس» لا «ثالث»؟!.

والعجب كيف يزعم المطران المذكور عدم اعتقاد القوم بالهة منفصلة، وهو يؤكد في نفس السياق: (إنه أتى إلينا في شخص كلمته يسوع المسيح، وفي روحه القدوس) إذاً فثم آت هو الله - في زعمهم - وثم شخص يمشي على وجه الأرض وهو يسوع، وثم روح القدس.

وأخيراً فلنا وقفة مع قول المطران: (أما التثليث الذي يكفره القرآن فهو عبادة كائنين «من دون الله» أي لا علاقة لهما بالله، وهذا التثليث نحن منه براء، لأن كلمة الله وروح الله ليسا كائنين من دون الله) فينبغي أن يعلم أن تكفير القرآن لأهل التثليث هو من جهة شركهم في الربوبية، قبل أن يكون شركاً في العبادة. إنكم معشر النصارى لم تحرروا توحيد الربوبية فضلاً عن أن تخلصوا توحيد الألوهية^(١).

بقي أن نجيب على تساؤل المطران كيرلس سليم بسترس: (فالمسيحيون يتساءلون: كيف يدخلون في حوار ديني مع مسلمين يعتبرونهم كفرة؟)^(٢).

والجواب: تماماً كما يدخل النصارى مع مسلمين يعتبرهم النصارى كفرة. إن الكنائس النصرانية لم تزل تصدر قرارات الحرمان والكفران والهرطقة ضد مخالفيها من الكنائس الأخرى والأفراد. فكيف بمن هم خارج دائرتهم أصلاً. وحتى هذا اليوم ورغم بيانات المجاملة من بعض الدوائر الكنسية تجاه المسلمين لم ترتق لغة الخطاب إلى الاعتراف بنبوة نبينا محمد ﷺ، فكيف يطالبون محاورهم من المسلمين

(١) انظر: العقائد النصرانية في التمهيد (٨١ - ٩٥).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية - قراءة مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢٢٥).

بالاعتراف بإيمان النصارى، ورفع صفة الكفر التي حققها القرآن عليهم في مواضع متعددة!.

لقد سبق بيان تهافت هذه الدعوى، وبيان أن لا فرق بين الأولين والآخرين^(١). ولكن رئيس أساقفة بعلبك للروم الملكيين الكاثوليك، يتخطى هذا القدر حين يشارط المسلمين قبل الدخول في حوار أن يرفعوا وصف الكفر والشرك الذي وضعه القرآن على رقاب عباد الصليب، ولا يكلف نفسه أن يفترض سؤالاً مقابلاً يمكن أن يطرحه المسلمون الموافقون على مشروع الحوار: كيف ندخل في حوار ديني مع نصارى ينكرون نبوة محمد ﷺ، وأن القرآن كلام الله، وأن الدين عند الله الإسلام؟ وحسبك من حوار هذه عتبة بابه! فماذا في ثنايا الدار؟.

إن الحقيقة تضيع وسط حشدٍ من العبارات العاطفية السلمية التي يطلقها هؤلاء المماحكون، من جنس قوله: (الهدف من الحوار العقائدي هو إزالة الالتباسات والأفكار الخاطئة لدى كل من الطرفين حول عقائد الطرف الآخر. وذلك بغية التوصل إلى تعايش أخوي واحترام متبادل)^(٢). وقد تبين نوع الالتباسات والأفكار الخاطئة التي يهدف المحاور النصراني إلى إزالتها من جانب واحد.

ثانياً: والحوار لدى الكاثوليك العرب فرصة للتخلص من العقد الاجتماعية والنفسية التي خلفها التاريخ القديم والحديث لهم. فهم يعانون من عقدة الشعور بالذنب والخيانة والتواطؤ مع الغزاة والمستعمرين من أبناء طائفتهم، الصليبيين الغربيين، وهذا يورثهم الشعور بعقدة «النبذ» و«الغربة» و«الأقلية»، في الوسط الذي يعيشون

(١) انظر ما سبق في الرد على المطران جورج خضر.

(٢) المرجع السابق، (٢٢٧).

فيه، وبالتالي يكثر الحديث عن الإرث الحضاري المشترك، ودور نصارى الشرق في بناء الحضارة الإسلامية، رغم اختلاف المعتقد، ورفع العقيرة بالانتماء إلى الوطن إلخ، مع التأكيد المستمر على الارتباط بكرسي روما.

وها هنا ملحظ لافت للانتباه في مجال المقارنة بين الأرثوذكس والكاثوليك في نظرتهم إلى الحملات الصليبية، فالأولون يشجبونها لكونهم كانوا إلى حد ما من ضحاياها، كما يردد ذلك المطران جورج خضر كثيراً، ويعتذرون للمسلمين عما تسبب به أبناء ديانتهم المخالفين لهم في المعتقد. أما الكاثوليك فلا يزدون عما أطره لهم بيان المجمع الفاتيكاني الثاني من الدعوة إلى نسيان الماضي فقط، دون أن يتضمن اعترافاً صريحاً بالمظالم التي أوقعوها بالمسلمين.

والمقصود أن الحوار والتقارب مركب يمتطيه هؤلاء للوصول إلى مصالح خاصة، هم المستفيد الأول والأخير فيه، فيعلنون براءتهم من وصمة الخيانة والتواطؤ مع الأجنبي، والتأكيد على الأصالة والتجذر في المنطقة الإسلامية مهما ضؤل تمثيلهم العددي.

ثالثاً: أن الحوار في نظرهم - كما هو الحال لدى الأرثوذكس العرب - بديل مناسب يملأ الفراغ الذي أحدثه تراجع فكرة القومية العربية، ويعطيهم دوراً مميزاً في المنطقة، بوصفهم «وسطاء» مناسبين للحوار بين الشرق المسلم والغرب النصراني. ويلح هؤلاء على فكرة «خبرة الكنائس الشرقية» ودورها في إقامة الجسور بين الحضارتين الإسلامية والنصرانية.

رابعاً: وأخطر وأهم الأمور في مناداتهم بالحوار والتقارب والتواصل، قضية «العيش المشترك» الذي يحمل بؤس الماضي، ومعاينة الحاضر، وهم المستقبل، في زعمهم.

إن الحوار بالنسبة لنصارى العرب منبرٌ للمطالبة بتحقيق مكاسب جديدة، فضلاً عن المكاسب التي تحققت بانتقالهم من حال «أهل ذمة» إلى «مواطنين» من الدرجة الأولى. فهم يريدون استئصال جميع صور التمييز ورواسبه في العقل المسلم، والكتاب المدرسي، والإنتاج الفكري، والخطاب الإعلامي، بل وحتى الخطاب الديني الذي يشير أو يذكر بالوضعية الخاصة لأهل الكتاب في المجتمع المسلم. وينبغي أن نتذكر أن كل هذه المطالبات لحساب طرفٍ على طرف، دون أن يكسب الطرف الآخر شيئاً، وذلك خلاف العدل والإنصاف، لو كان ذلك الطرف ندأ مساوياً للآخر في مشروع الحوار، والقوم أقلية ضئيلة؟.

والطامة الكبرى لدى هؤلاء النصارى، هي الخوف من «تطوير أي مشروع لنظام اجتماعي وسياسي من غير أن يأخذ بالحسبان الجماعة المسيحية» كما تقدم، والمطالبة بإقصاء الدين عن السياسة، وبعبارة أخرى فالقوم يريدون «علمنة المجتمع الإسلامي». ويشرح المطران كيرلس سليم هذه الجملة بعباراتٍ أصرح وأجراً من الرسائل السابقة فيقول: (إن الكلام على «دولة إسلامية - أو «دولة مسيحية» نعتبره نحن المسيحيين من مخلفات العصور الوسطى...

نسمع اليوم بعض المسلمين يقولون بسذاجة: المسيحية ليس لها نظامٌ سياسي واقتصادي خاص. فالإنجيل يكتفي بمبادئ عامة في الأخلاق والحياة الاجتماعية، ويطلب من المسيحيين الخضوع للسلطات المنصبة. أما الإسلام فله نظام سياسي واقتصادي واجتماعي يشمل جميع مرافق الحياة. فليقبل المسيحيون هذا النظام الإسلامي الذي هو نظام إنساني عام وتحل المشكلة.

نحن المسيحيين نعجب من طرح كهذا، ونرفضه جملةً وتفصيلاً... فكيف يطلب منا بعض المسلمين أن نقبل دولة إسلامية، ونظاماً إسلامياً نعتبرهما من مخلفات العصور الوسطى؟.

إن وجود المسيحيين والمسلمين في دولة واحدة، لا يمكن أن يثبت في سلام إلا إذا كان الجميع متساوين في نقطة الانطلاق. فلا يمكن أن يكون تعايش في دولة واحدة بين مسيحية تحمل في ذاتها إمكانية التطور في الأنظمة السياسية والاقتصادية، وإسلام يحمل في عقيدته نظاماً جامداً يعتبره منزلاً من الله، وفي نيته أن يفرضه على المسيحيين عاجلاً أم آجلاً^(١). الأمر جد واضح. فالحوار الذي يغلفه هؤلاء بأغلفة التفاهم، واكتشاف الآخر، والتعاون... إلخ محسوم النتائج سلفاً، وقضاياه غير قابلة للنقاش أصلاً. إن من يقف على هذا الكلام ولديه أدنى ذرة من إدراك طبيعة الدين الإسلامي ورسالته إلى البشرية، يعلم يقيناً أن القوم يدعون محاورهم المسلمين إلى الانسلاخ من دينهم، ونقلهم إلى الفهم الكنسي الضيق لمهمة الدين في الحياة، التي لا تختلف عن الطقوس الوثنية التي ورثوها عن اليونان والرومان. أما الشرع الإسلامي المطهر فإنه رباني المصدر صالح لكل زمان ومكان وأمة، والفقه الإسلامي - كما يشهد التاريخ والواقع - يتسع لجميع الوقائع والنوازل، ولا يضيق بها ذرعاً كما ضاقت بها الكنيسة في العصور الوسطى التي يدندن المطران حولها. وقد أوجد الفقه الإسلامي مكاناً «لأهل الذمة» يحفظ حقوقهم، ويحميهم، في إطار المجتمع المسلم، لم تصل إليه أي أقلية على مدار التاريخ. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَن أَعْمَكُم بِتَنَّهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَمَّا بَعْضُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ دُذُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة].



(١) المرجع السابق، (٢٤٣ - ٢٤٤).

ثالثاً: القبط:

يمثل الأقباط أكبر طائفة نصرانية في العالم العربي، من الناحية العددية، وتراوح نسبتهم التقديرية إلى مجموع السكان في مصر ما بين ٨٧,٥٪ إلى ضعف هذه النسبة. ويتبعون كنيسة الإسكندرية التي انفصلت عن سائر الكنائس إبان الانشطارات المبكرة في تاريخ الديانة النصرانية، وعلى وجه التحديد إثر مجمع «خلقيدونية» المنعقد سنة ٤٥١م لمناقشة معضلة «طبيعة المسيح» عندهم. وقد كان بطريرك الإسكندرية يتبنى مذهب «الطبيعة الواحدة»، ولكن المجمع المذكور أسفر عن انتصار القائلين بالطبيعتين، وتبع ذلك حوادث شغب واضطهاد أدت إلى انفصال الكنيسة المصرية انفصلاً تاماً عن الكنيسة الغربية^(١). وهناك شبه إجماع بين المؤرخين على أن الأقباط استقبلوا الفتح الإسلامي بالترحاب، وربما بالمساعدة^(٢). ولعل مرد ذلك إلى سوء المعاملة، والاضطهاد الذي كانوا يزرعون تحت وطأته من قبل النصارى الرومان الذين يخالفونهم في المعتقد. كما أن المؤرخين يسجلون ظاهرة تاريخية ملفتة، وهي سرعة انقياد الأقباط للدخول في الإسلام في العقود الأولى من الفتوح الإسلامية. يقول الكاتبان فيليب فارج، ويوسف كرجاج تحت عنوان: الانتشار السريع للإسلام في مصر: (كان مصير مصر فريداً. فهذا البلد الذي تم فتحه بسهولة منذ الساعة الأولى، يبدو أنه كان موعوداً بأسلمة سريعة وتامة. لكن هذا البلد الأقل تمرداً والأقرب، خلافاً للمغرب، سوف يكون مع ذلك البلد الوحيد في أفريقيا الذي لا

(١) انظر: في هذا: تاريخ الكنيسة المسيحية. أفغراف سميرنوف (٢٦٢ - ٢٧٠)، محاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة (١٣٧ - ١٤١) المسيحية في العالم العربي. الحسن بن طلال (٥٧ - ٦٩).

(٢) انظر: الأقباط في مصر في العصر العثماني: د. محمد عفيفي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة - مصر. طبعة ١٩٩٢م. (١٩ - ٢٠).

يفقد أبداً جميع مسيحييه... إن أكثر من نصف الأقباط سوف يتحولون إلى اعتناق الإسلام في أقل من أربعين سنة؛ ٢٦٪ بين عام ٦٤٤، ٦٦١، ثم ٣٣٪ في عهد معاوية وحده بين عام ٦٦١، ٦٨٠^(١). ولم تخل الأمور بطبيعة الحال من استثناءات، فقد وقع العديد من حركات التمرد والانتفاض لأسباب متعددة، ويرى المقرئزي^(٢) ﷺ إن خاتمتها كانت في عهد الخليفة العباسي المأمون سنة ٢١٦هـ. قال: (ومن حينئذ أذل الله القبط في جميع أرض مصر، وخذل شوكتهم، فلم يقدر أحدٌ منهم على الخروج ولا القيام على السلطان، وغلب المسلمون على القرى، فعاد القبط من بعد ذلك إلى كيد الإسلام وأهله بأعمال الحيلة واستعمال المكر، وتمكنوا من النكاية بوضع أيديهم في كتاب الخراج. وكان للمسلمين فيهم وقائع...) ^(٣) وقد تقدم في النبذة التاريخية إلماحات إلى بعض الأحداث التي جرت أثناء الحملات الصليبية، ثم إبان الاستعمار الأوربي الحديث^(٤).

أخذ النفوذ القبطي بالظهور مجدداً منذ عهد «محمد علي وخلفائه»، وألغيت الجزية عنهم عام ١٨٥٥م، ونالوا عدداً من المناصب الإدارية والقضائية، كما امتلكوا مساحات كبيرة من الأطنان الزراعية، وصار عددٌ منهم من كبار الملاك. وفي عهد الاحتلال البريطاني عين

(١) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (٣٢).

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقرئزي، مؤرخ الديار المصرية. ولد ونشأ في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، من تأليفه: كتاب «المواعظ»، «السلوك في معرفة دول الملوك»، «تاريخ الأقباط» وغيرها. وقد زادت مؤلفاته على مائتي مجلد كبار. مات سنة ٨٤٥هـ.

الأعلام (١٧٧/١)، خطط مبارك (٦٩/٩)، آداب اللغة (١٧٥/٣)، البدر الطالع (٧٩/١)، مجلة الكتاب (٨٨٦/١)، المجمع العراقي (٣٠١/١٣).

(٣) الخطط المقرئزية (١٤٣/١).

(٤) انظر: (١٩٨) من التمهيد.

«بطرس غالي باشا»^(١) رئيساً للوزراء عام ١٩٠٨م. وقد قاوم الأقباط الحركة الوطنية ذات الطابع الإسلامي العام الممثلة في «الحزب الوطني» بقيادة مصطفى كامل^(٢)، لتعاطفها مع الخلافة العثمانية ومناوأتها للاستعمار الإنجليزي فأنشأوا «حزب مصر» عام ١٩٠٨م.

وبعد اغتيال بطرس غالي باشا عام ١٩١٠م بلغ الخلاف والتوتر بين المسلمين والأقباط ذروته. وعقد الأقباط مؤتمراً كبيراً في مركز ثقلهم بمدينة أسيوط بصعيد مصر عام ١٩١١م، ضمنوه مطالبهم الاجتماعية والسياسية والدينية. وقد قابلهم المسلمون بعقد مؤتمر إسلامي أسموه «المؤتمر المصري» لمناقشة المسألة القبطية، تمخض عن رفض بعض المطالب القبطية، وأذكى روح الانتماء الإسلامي للمجتمع المصري. ثم ألقى الأقباط بكامل ثقلهم في ثورة عام ١٩١٩م التي تزعمها سعد زغلول^(٣)، ورفعت شعارات وطنية مثل «وحدة الهلال

(١) بطرس «باشا» ابن غالي نيروز (١٢٦٢ - ١٣٢٨هـ) - (١٨٤٦ - ١٩١٠م): وزير مصري من الأقباط الأرثوذكس... ولد بالميمون «من قرى بني سويف»، وتعلم بمصر وأوربا، وحقق بضع لغات. وتقلب في المناصب. وولي نظارة المالية فالخارجية برئاسة مجلس النظار. ونقم عليه الوطنيون المصريون إمضاء اتفاقية السودان، وترؤسه محكمة دنشواي، وإعادته قانون المطبوعات، ومقاومته الجمعية العمومية، ورضاه بمشروع قناة السويس. فأنبرى له «إبراهيم ناصف الورداني» «شاب من أقباط مصر» فقتله وقتل به. الأعلام (٥٩/٢).

(٢) مصطفى كامل (١٢٩١ - ١٣٢٦هـ): مصطفى كامل باشا، ابن علي محمد، أحد مؤسسي الوطنية المصرية. نال شهادة الحقوق من فرنسا. كان فصيحاً، بليغ اللسان. قاوم الاحتلال الإنجليزي بقلمه ولسانه. أنشأ جريدة «اللواء» بالعربية والإنجليزية والفرنسية لنشر دعوته. ودعا إلى إنشاء «الحزب الوطني»، وانتخب رئيساً له مدى الحياة سنة ١٩٠٧م توفي شاباً، فرثاه شعراء مصر وكتابها. من مؤلفاته: المسألة الشرقية، مصر والاحتلال الإنجليزي، دفاع مصري عن بلاده. انظر: الأعلام (٢٣٨/٧).

(٣) سعد زغلول (١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ): سعد باشا بن إبراهيم زغلول. زعيم وطني =

والصليب» و«الدين لله والوطن للجميع». ومع تنامي حركة «الإخوان المسلمون» وانتشار مبادئها الداعية لأسلمة المجتمع المصري تنامي القلق القبطي من المستقبل، ووقفوا منها موقفاً عدائياً. ورغم حل الجماعة رسمياً سنة ١٩٥٤م، فقد ظلت روح العداء الشعبي لدى الفريقين في ازدياد، وأسفرت عن مواجهات دامية، وفتن متلاحقة، وظهور متطرفين من الجانبين، لا سيما في عقدي السبعينيات والثمانينيات الميلادية. ومن الطبيعي في هذه الأحوال المتقلبة أن تظهر معالجات متنوعة لطبيعة العلاقات الإسلامية - النصرانية في المجتمع المصري، تتراوح بين الرفض والتنديد بالآخر، والمجاملة والوفاق الظاهري على الأقل. ونحاول أدناه استطلاع الموقف القبطي من قضية التقريب والحوار من زوايا رصد متنوعة.

١ - الكنيسة القبطية:

ظلت الكنيسة القبطية «كنيسة الإسكندرية» تمارس مهامها الدينية التقليدية بين رعاياها في مصر والسودان والحبشة وغيرها منذ تأسيسها، وتناهى بنفسها وأتباعها عن الدخول في صدامات سياسية أو اجتماعية، أو تحالفات خارجية صريحة مع الغزاة والمستعمرين، محافظة على وضع الأقلية النصرانية في وسط إسلامي عريق وكثيف. وظل هذا التوجه سائداً حتى انقضاء ولاية البابا «كيرلس السادس» بطريرك

= مصري. تعلم في الأزهر أربع سنين. واتصل بجمال الدين الأفغاني، ولازمه. اشترك في الثورة العربية سنة ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م، وقبض عليه وسجن سنة ١٢٩٩هـ بتهمة الاشتراك في جمعية سرية تسعى لقلب نظام الحكم، بضعة أشهر. تزعم حزب الوفد المصري المطالب بالاستقلال، فنفاه الإنجليز إلى مالطة سنة ١٩١٩م، ثم عاد، ثم نفوه إلى جزيرة سيشل سنة ١٩٢٢م، وتولى رئاسة مجلس الوزراء ومجلس النواب. وتوفي بالقاهرة. انظر: الأعلام (٨٣/٣).

الإسكندرية والكرامة المرقسية ١٩٥٩ - ١٩٧١م، ف (قد كانت فترة رئاسته للكنيسة المصرية فترة استقرار حميم للعلاقات بين الدولة والكنيسة)^(١). ورغم توافق الكنيسة مع مواقف الحكومات المتعاقبة على مصر من الأحداث السياسية في المنطقة، وصدور بيانات رسمية مؤيدة من قبل الكنيسة القبطية على الدوام، ورغم المجاملات المتبادلة بين رجال الدين النصارى، ومشيخة الأزهر في المناسبات الدينية للفريقين، إلا إن المتتبع لا يلاحظ تطوير أي مشروع للتقارب والحوار الديني - باعتباره دينياً - على النحو السائد في لبنان والغرب النصراني، الذي شرع في تفعيل قضية «التقريب» في مطالع الستينيات. وقد حضر وفد من الكنيسة القبطية - بصفة مراقب - إلى المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٣م، برئاسة القمص بأخوم عطا الله المحرقى (الأنبا غريغوريوس فيما بعد) وأعلن أن: (نقط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية أعظم من نقط الالتقاء بين اليهودية والمسيحية)^(٢). كما أصدرت الكنيسة القبطية منفردة، و متحدة مع كنيسة أنطاكية وثيقة، بإدانة مشروع تبرئة اليهود والاعتذار إليهم، من قبل المؤتمر الثالث لمجلس الكنائس العالمي المنعقد في نيودلهي عام ١٩٦١م، والمجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٤م^(٣). وكان لها موقف مماثل من دولة إسرائيل والصهيونية العالمية.

ولعل عدم حماس الكنيسة القبطية لقضايا الحوار الإسلامي النصراني في هذه الفترة الهادئة نسبياً راجعٌ إلى أمرين:

(١) الأقباط في وطن متغير: د. غالي شكري. دار الشروق. القاهرة - مصر. طبعة (١٤١١هـ - ١٩٩١م). (٢٠).

(٢) عن: المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية: طارق البشري. دار الشروق - القاهرة. الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م). (٦٩٤).

(٣) انظر: نص الوثيقة «الأقباط في وطن متغير» د. غالي شكري (٦٤ - ٦٦).

أحدهما: الطبيعة الانعزالية التاريخية للكنيسة تجاه الكنائس الأخرى، وعدم تجاوبها مع خطط التطوير والتحديث التي تبنتها الكاثوليكية الرومانية، ومجلس الكنائس العالمي ذو الأغلبية البروتستانتية، مما قد يشكل اختراقاً فكرياً للوضعية العقدية والنمطية التي سارت عليها الكنيسة القبطية طوال القرون السالفة.

الثاني: الإدراك الأفضل لطبيعة الدين الإسلامي بحكم المعاشة التاريخية على أرض واحدة، والاختلاط المستمر الذي أورث الكنيسة القبطية خبرة بأصول الدين الإسلامي، تفتقدها الكنائس الغربية القائمة خارج دار الإسلام، أو حتى بعض الكنائس الشرقية التي يتكتل أبنائها في تجمعات خاصة، ويرتبطون إدارياً بالكنائس الغربية. أما الأقباط فهم منتشرون بين ظهرائي المسلمين في مصر، وليس لهم مناطق خاصة أو ارتباطات خارجية. وبالتالي فليس ثمَّ جديد يسوغ مبادرتهم إلى الحوار الديني بعد هذه العشرة الطويلة سوى التعرض للتهمة.

وقد لا يكون هذان السببان كافيين لتعليل هذه الملاحظة، لكن السبب الذي جاء لاحقاً منذ أن تقلد البابا شنودة^(١) الثالث منصب بابا الاسكندرية عام ١٩٧١م قطع الطريق على جميع الفرص الممكنة لطرح فكرة التقريب. ذلك أن فترة السبعينيات وما تلاها، تميزت بتصعيد قبطي خطير تجاه الطروحات ذات الصبغة الإسلامية، مثل إضافة عبارة «والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي من مصادر التشريع» إلى المادة الثانية من دستور ١٩٧١م «الإسلام دين الدولة»، ثم عدلت عام ١٩٧٩م لتصبح «والشريعة المصدر الرئيسي للتشريع»، ثم شروع لجان من الأزهر

(١) البابا شنودة الثالث: بطريرك الأقباط الأرثوذكس، المائة وسبعة عشر واسمه: نظير جيّد. ولد في مركز (أسيوط) ١٩٢٣م. تخرج من الكلية الأكليريكية عام ١٩٤٩م ثم درس فيها. ترهب في دير السريان عام ١٩٥٤م. أسقف التعليم الكنسي ١٩٥٤م. بطريرك عام ١٩٧١م. انظر: المنجد في الأعلام (٣٩٣).

بإعداد قوانين الحدود، ومنها قانون حد الشرب، وقانون حد الردة، والنص في اعتبار الشهادات على المسلم دون غيره.. وغير ذلك^(١). وقد قابلت الكنيسة القبطية هذه التوجهات بالاعتراض. وعقد المؤتمر القبطي بالإسكندرية في مطلع عام ١٩٧٧م. ومما جاء في مذكرة قدمها «المجمع المقدس» للأقباط إلى مجلس الشعب حول مشروع قانون الردة: (إننا لن نستطيع أن نقبل مشروع هذا القانون، ولن نخضع له إذا نفذ. وبحكم ضمائرنا سنسعى وراء كل مسيحي ترك مسيحيته لكي نرده من جديد، مهما حكمت مواد هذا القانون بالقتل على هذا التحريض، ومستعدون أن ندخل في عصر استشهاد جديد من أجل ديننا والثبات فيه)^(٢). وقد رد الأزهر على المؤتمر القبطي بالدعوة إلى (مؤتمر الهيئات والجماعات الإسلامية) في نفس العام، جاء في توصياته:

* (إن كل تشريع أو حكم مخالف لما جاء به الإسلام باطل. ويجب على المسلمين رده، والأحكام إلى شريعة الله التي لا يتحقق إيمانهم إلا بالاحتكام إليها.

* الأمر بتطبيق الشريعة الإسلامية. فليس لأحد أن يبدي رأياً في وجوب ذلك، ولا تقبل مشورة بالتمهل أو التدرج. وإن التسويف في إقرار القوانين الإسلامية معصية لله ورسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين...)^(٣). وتمادى البابا شنودة في تصلبه، وجعل من الكنيسة القبطية منبراً سياسياً، خلافاً لعادة أسلافه، وصدرت منه (تصريحات وتعليمات لأبناء طائفته تتضمن زيادة نسلهم، انطلاقاً من أن مصر أساساً دولة قبطية استعمرها المسلمون، وناشدهم بالاهتمام بالتبشير

(١) انظر: الأقباط والقومية العربية: أبو سيف يوسف. مركز دراسات الوحدة العربية. (١٧٠ - ١٧٥).

(٢) عن: الأقباط والقومية العربية (١٧٥).

(٣) عن: الأقباط والقومية العربية (١٧٥).

بالدين المسيحي، وتعبئة الرأي العام المسيحي بالخارج ضد السلطات والنظام في مصر للتدخل والضغط على المسؤولين لمنع تطبيق الشريعة الإسلامية... واتخاذ (شنودة) قراراً بإعلان الصوم الانقطاعي تعبيراً عن رفض أبناء الطائفة لمشروع قانون الردة، وتشكيل لجنة للرد على نشاط لجنة المطبوعات الإسلامية، ونقدها لبعض المعتقدات المسيحية، وإيعازه بعقد مؤتمر عام لمناقشة موضوع تعديل المادة الثانية من الدستور للضغط على المسؤولين، وإشعارهم برفض الشعب المسيحي ذلك التعديل معترضاً على تطبيق الشريعة الإسلامية، وتهديده بأنه في حالة عدم موافقة المسؤولين على الضمانات التي طلب إدخالها على تعديل المادة الثانية من الدستور: سيجعلها دماً للركب من الإسكندرية إلى أسوان^(١).

في مثل هذه الأجواء المحمومة، وإفرازاتها الميدانية تتلاشى فكرة الحوار والتقارب المؤطر بشعارات التواصل والتعاون، والقيم المشتركة، والشراكة الإيمانية الإبراهيمية، التي يدندن حولها الآخرون خارج مصر. وفي محاولة للتعرف على الخطاب القبطي حشد د. غالي شكري كماً من الأسئلة المتنوعة، ألقاها على البابا شنودة الثالث في حوار طويل استغرق عدة أيام عام ١٩٨٨م، وضم أجوبته بين دفتي كتاب في قرابة مائتين وخمسين صفحة أسماه: (الأقباط في وطن متغير). ومع ذلك لا يجد القارئ إشارة إلى أدنى توجه لتبني قضية الحوار والتقريب الديني مع المسلمين، كما تطرح في مواقع أخرى من العالم. وفي ثنايا الكتاب يجد الحديث عن الحوار مع المذاهب الأخرى في أخطر القضايا التي تفصل بين الكنيسة القبطية والكنائس الغربية، وهي مسألة

(١) العلاقات الاجتماعية الدينية في المجتمع المصري المعاصر: د. عبد الوهاب إبراهيم. مكتبة نهضة الشرق. جامعة القاهرة - القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٨٧م. (٤١).

«طبيعة المسيح». وهو حوار بدأه البابا شنودة الثالث مع بابا روما حينما زاره عام ١٩٧٣م^(١). ونخلص من هذا العرض إلى أن الكنيسة القبطية لم ترفع شعار التقريب بين الأديان للأسباب الثلاثة الآتية الذكر.

٢ - أقباط المهجر:

إثر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التي قام بها مجموعة أطلقت على نفسها لقب «الضباط الأحرار»، اتجهت الإصلاحات الاقتصادية والزراعية نحو «التأميم» للشركات الكبرى والأراضي الزراعية، وقد تضرر من هذه الإجراءات كبار ملاك الأراضي من الأقباط، فحدث في أواخر الخمسينيات وطوال الستينيات موجات من الهجرة القبطية نحو العالم الغربي؛ أوروبا وأمريكا، وكندا وكذلك إستراليا، واستقرت هناك^(٢). وقد حقق هؤلاء قدراً من النجاح المهني، وأتاحت لهم أجواء الحرية الغربية التعبير عن مكنونات صدورهم، ورصد ما يجري داخل مصر لطائفتهم، وكونوا هيئات سياسية في المهجر لهذا الغرض، لعل أبرزها: «الهيئة القبطية الأمريكية».

يعرفها أبو سيف يوسف بأنها (حركة سياسية انعزالية في صفوف أقباط المهجر... تأسست عام ١٩٧٤م، في نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية، ولها مجلة ناطقة باسمها هي «الأقباط»، وتصدر باللغتين الإنكليزية والعربية. وأهداف الهيئة المعلنة هي: خلق مجتمع دولي قبطي متحد، والمساهمة في دعم كيان الأقباط بمصر، والمطالبة برفع الظلم الواقع عليهم، وإشعار المجتمع الدولي بقوة الفكر القبطي، والتراث المصري، وتأسيس معهد للدراسات القبطية.

(١) الأقباط في وطن متغير (١٨٠).

(٢) انظر: الأقباط والقومية العربية ص ١٥٣ - ١٥٤ ومقالة: الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث. ميلاد حنا. مجلة الاجتهاد ٣٠ - ١٤٢.

وتنطلق كتابات المجلة - وعلى الأخص تلك التي تعبر عن قيادات «الهيئة» من منطلقات رئيسة تُحكّم رؤيتها لمجمل الأوضاع الراهنة لقبط مصر، ولعلاقاتهم بالمسلمين، ولتاريخ مصر تحت الحكم العربي الإسلامي، ومؤدى ما تذهب إليه هو أن هناك مخططاً يستهدف إبادة المسيحيين في مصر. وهذه المؤامرة جزء من مؤامرة أكبر. فالحكومات المتعاقبة الإسلامية في الشرق الأدنى تستهدف تحطيم المسيحيين اجتماعياً وسياسياً وتعليمياً وتحويلهم إلى الإسلام. وتتوسع المجلة دائماً في عرض اعتداءات الجماعات الإسلامية على أرواح القبط وحرق الكنائس، ومحاولة فرض الشريعة على غير المسلمين... .
وعندهم أن العرب لم يقيموا في مصر حضارة، فقد زحفت عليها قبائل من البدو المتخلفين لم يكن لهم هم سوى نهب البلاد. وأنهم قوضوا الحضارة المصرية فضاعت المدنية والمعرفة...^(١) فأمر هذه العينة القبطية من قضايا التقارب والحوار واضح لا يحتاج إلى تعليق.

٣ - الوطنيون الأقباط:

لم تكن الكنيسة القبطية في جميع الأدوار هي الصوت الأعلى لأبناء الطائفة. ولم يكن «البابا» الإسكندراني هو «الرمز» الذي يلتفون حوله عند كل أزمة. بل ربما كان هذا هو الاستثناء، والأصل خلافه. يقول الكاتب القبطي ميلاد حنا^(٢): (طوال تاريخ الأقباط كان التمثيل يتركز في طبقتي الباشوات الإقطاعيين والأفندية، وكان رجال الدين في كنفهم، فكنا نرى العمدة أو الصراف أو الرجل الثري في القرية، ثم القسيس الذي يتبعه ويحصل منه على مرتب وبعض المكاييل من الغلة كل عام)^(٣).

(١) الأقباط والقومية العربية. (١٨٣ - ١٨٤).

(٢) محام وأستاذ مصري... له مقالات في أوضاع الأقباط المصريين في العصر الحديث. مجلة الاجتهاد (٢٩٠/٣٠).

(٣) الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث. ميلاد حنا. مجلة الاجتهاد (١٤٠/٣٠).

هكذا كان الأمر في القرن التاسع عشر وحتى السبعينيات من القرن العشرين. كان ممثلو الأقباط من الوجهاء وأصحاب الأموال، أما رجال الدين (الإكليروس) فكانوا منكفئين على أنفسهم في أديرتهم. وربما نشأ صراع بين «المجلس الملّي» ذي الصبغة الوطنية، و«الإكليروس» الديني المحافظ^(١). فما الذي حدث، وعكس الأمر في الثلث الأخير من هذا القرن الميلادي؟ وما آثاره؟ يجيب عن هذا التساؤل الكاتب القبطي «رفيق حبيب» في كتابه الاحتجاج الديني في مصر قائلاً: (مع وصول البابا شنودة الثالث إلى الكرسي البابوي في عام ١٩٧١م، وصل العديد من الرهبان إلى مناصب الأساقفة، ومعظمهم من جيل البابا شنودة، الأمر الذي أتاح أحد أهم الأهداف التي أرادها هذا الجيل، لجهة إنهاء عصر القيادات التقليدية الكنسية، والاهتمام بالقضايا السياسية التي فتحت باب الصراع السياسي بين الدولة والكنيسة، من خلال الكشف عن مضمون الموقف السياسي للكنيسة. ورغم أن الصراع بينهما لم يكن مقصوداً بحد ذاته، فإن اعتلاء البابا شنودة الثالث الكرسي البابوي، وهو مقتنع بأن هذه المكانة القيادية هي الطريق لتحقيق آمال الطبقة الوسطى، والمطالبة بحقوق الشعب القبطي، جعل النبرة السياسية أعلى من النبرة الاجتماعية، وأصبح الصراع حتمياً. وقد اتخذت قيادات الكنيسة طريقاً خاصاً بها في هذا المجال كان أقرب إلى أساليب الاحتجاج والاعتراض، هذه الأساليب التي كانت ترمي لعدة أهداف:

١ - قيام الكنيسة بدور الممثل للشعب القبطي، بدلاً من الصفوة القبطية.

٢ - فرض سلطة الكنيسة على الصفوة القبطية.

(١) انظر: الأقباط في إطار الجماعة الوطنية.

٣ - تحقيق آمال الطبقة الوسطى القبطية التي تسعى لتحقيق مكانة مقبولة في المجتمع والحياة.

٤ - كسر حالة السلبية التي ميزت الكنيسة والأقباط لفترات طويلة.

ولكن مواقف الكنيسة لم تستطع تحقيق كل هذه الأهداف، وكان الصدام بين الدولة والكنيسة عاملاً مهماً في إحباط هذه الأهداف. هذا الصدام كان نتيجة لاستخدام أساليب الاحتجاج، والتي تمثلت في البيان القبطي لعام ١٩٧٧م، والامتناع عن إقامة شعائر العيد في عام ١٩٨٠م وسواها. والتي كانت سبباً في خلق العديد من المشكلات التي جعلت المجتمع القبطي يعيش في عزلة إعلامية؛ اختيارية أحياناً، وإجبارية أحياناً أخرى، حيث إن الشعب المصري لا يعرف الكثير عن الكنيسة واتجاهها، ولا يستطيع بسهولة معرفة أهدافها، وهذا الأمر يبرز مأزق النجاح عند البابا شنودة وجيله الذين استطاعوا الوصول إلى الكنيسة، لكنهم لم يستطيعوا تحقيق أحلامهم وأهدافهم التي نشدوها^(١).

إن نبرة التملل في صفوف المثقفين من الأقباط آخذة في التصاعد حيال مواقف الكنيسة، أو على التحديد مواقف البابا المجازفة، مما حمل أحدهم، ميلاد حنا، أن يتساءل: (إلى أين تتجه الكنيسة القبطية؟ خصوصاً أن البابا قد تجاوز السبعين، ويشكو بعض المتاعب الصحية)^(٢).

ويتنظم في الاتجاه الوطني عامة المثقفين الأقباط، باعتباره الخيار الأصح للطائفة، كما أنه الأسلوب المتعقل لمواجهة الفتن الطائفية. ويركز هؤلاء على شعارات الوطنية والتآخي بين مكوني المجتمع

(١) عن عرض للكتاب المذكور ل: ياسر زغيب في مجلة الاجتهاد (٣٠/٢٤٨ - ٢٤٩).

(٢) الكنيسة القبطية بين المحافظة والتحديث. مجلة الاجتهاد (٣٠/١٤٧).

المصري؛ المسلمين والأقباط، بل والحديث عن «القومية المصرية» أكثر من «القومية العربية»، ونبذ التعصب من الجانبين، وإبراز الرموز الوطنية. ومن أبرز هؤلاء الكتاب: وليم سليمان قلادة. فقد كتب فصلاً مطولاً في الكتاب الذي أصدره مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بعنوان: «العلاقات الإسلامية - المسيحية في الواقع المصري: المفهوم الأساسي في الماضي والحاضر والمستقبل» من (ص ٢٤٩ إلى ص ٣٦٧) عرض فيه مجمل العلاقات التاريخية والراهنة بلغة تصالحية ودية، استعمل فيه مصطلح «الحوار العلائقي الإسلامي المسيحي»، وقسمه إلى عشرة مراحل، تتراوح بين الجدل إلى اللقاء إلى الردة حسب الرؤية الوطنية البحتة. وفي المرحلة السابعة التي أسماها «الحوار العلائقي» لا يجد الكاتب ما يستشهد به سوى سياق قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني، وجهود مجلس الكنائس العالمي فقط، ولا شيء من الشواهد المحلية، ويكتفي بالتعقيب قائلاً: (هذان الموقعان - نسيان الماضي، والاعتراف بالذنب^(١) لا محل لهما في الحوار الإسلامي المسيحي على الأرض العربية، خصوصاً في «اللقاء» الذي يجري في مصر. فالعدوان على الأرض العربية من مختلف مراحل التاريخ لم يكن على الإسلام والمسلمين وحسب. ثم إن مقاومة هذه الهجمات اشتركت فيها جميع مكونات الجماعة العربية - خصوصاً المصرية. بل إن الخاصية المميزة للقاء هنا، هي الاشتراك في الحركة الوطنية والدستورية في مختلف مراحلها، ثم إن «الماضي» في اللقاء العربي، خصوصاً المصري، معطى يتعين التمسك به وتذكره، لا نسيانه، فمن خلال هذا الماضي قامت العلاقة الحميمة بين المسيحيين والمسلمين المصريين. إنه الركيزة المأمونة التي يجري الاستناد إليها لصياغة مفهوم نظري لهذا

(١) الإشارة إلى ما تضمنه بيان المجمع الفاتيكاني الثاني من الدعوة إلى نسيان الماضي والاعتراف بالمظالم.

«اللقاء»، وممارسته، والتقدم به إلى آفاق أوسع وأكثر فاعلية^(١).

وهكذا لم يجد الكاتب في تتبعه لمراحل العلاقات بين المسلمين والأقباط في المجتمع المصري مادة يساهم بها في قضية «التقارب» و«الحوار» الذي نشط منذ أوائل الستينيات الميلادية، سوى حواشي واستدراكات على متن مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني، تصب في الفكرة الوطنية التي يتبناها الكاتب، مما يدل على خلو الساحة المصرية من أي أثر لمشروع حوار أو تقارب من هذا النمط. وقد ألف الكاتب في صميم الموضوع كتاب (الحوار بين الأديان) عام ١٩٧٦م وضع فيه أربع قواعد للحوار هي:

(القاعدة الأولى: فهم الآخر كما يريد أن يكون مفهوماً: الحوار هو اللقاء مع الآخر الحقيقي الحي وليس مع فكرتي عنه. الحوار هو منهج الحياة في المجتمع التعددي وهو يفترض الخلاف بين أطرافه. وهو لا يهدف إلى أن يحتوي الطرف الآخر وعقيدته.

القاعدة الثانية: عن عقيدة الشخص: الحوار دعوة لأن يزداد الشخص تفهماً لدينه، كي يستطيع عرضه للآخر بأسلوب مقبول ومقنع، فليس الهدف من الحوار الوصول إلى موقف وسط بين العقائد.

القاعدة الثالثة: عن المطلق: إن ارتباط الإنسان بالمطلق في المسيحية والإسلام واليهودية أيضاً يجعله موضوعاً نموذجياً للحوار بين الأديان.

القاعدة الرابعة: عن الممارسة: لأن هدف الدين ليس مجرد المعرفة. ولكن الممارسة والحوار الناجح هو الذي يؤدي إلى اتخاذ

(١) العلاقات الإسلامية - المسيحية في الواقع المصري. من: العلاقات الإسلامية - المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل. (ص ٣٤٥ - ٣٤٦).

الطرفين موقفاً عملياً. لأن الحوار النظري هو وسيلة للهروب وللمهادنة. والحوار عملية متطورة، تراكمية، والتزام الممارسة يؤثر في الطرفين ويقارب في اتجاهاتهما الفكرية^(١). ولكن هذا الكتاب ليس نتاج حوار ديني محلي، بل هو باعتراف مؤلفه: (متابعة للندوات التي عقدت بين المفكرين المنتمين إلى مختلف أديان العالم - ومن بينها ندوات الحوار المسيحي - الإسلامي)^(٢). ولذلك لا يجد القارئ فرقاً بين هذه القواعد وما كتبه موريس بورمانس وغيره من الكتاب الغربيين.

• خلاصة وتحليل: تبين مما سبق أن الأقلية النصرانية في مصر - وعامتها من الطائفة القبطية - لم تتبنَّ قضية التقريب والحوار بالصيغة السائدة عالمياً في النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي. وهي في أحسن الأحوال تلوذ بعباءة الوطنية لإيجاد موقع لها في نسيج المجتمع المصري الحديث. وهي بذلك توافق الأقلية المسيحية في بلاد الشام حين تعبر عن ذلك بمصطلح «العيش المشترك»، وتفارقها من جهة أن نصارى الشام عروبيون، يرفعون شعار القومية العربية بقوة وحماسة، كرمز للرابطة البديلة عن الإسلام. ولكن «العروبة» وصف لا يسوغ أن يلجأ إليه نصارى مصر، حيث أنهم عرقياً سلالة أجنبية تماماً عن العرق العربي.

ومن جهة أخرى يقدم نصارى الشام من أرثوذكس وكاثوليك أنفسهم كوسيط حوار بين الإسلام والغرب النصراني، بينما لا يدعي ذلك أقباط مصر، ولا يُدّلون به، نظراً للشروخ العميقة التي تفصلهم عن النصرانية الرومانية والبروتستانتية، التي تحتاج إلى وقتٍ طويل لترميمها.

(١) الحوار بين الأديان. نقلاً عن مقالة «الحوار المسيحي الإسلامي» لعفيف عثمان. مجلة الاجتهاد عدد (٣١ - ٣٢/١١٨).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية في الواقع المصري. من: العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٣٥٢).

ولا ريب أن للأحداث الطائفية، والتعصب من الجانبين الذي تستفز به طبيعة التغلغل الاجتماعي، والضغط المعيشية، دورٌ كبير في إقصاء فكرة التقريب بالحوار، والاستعاضة عنها بعرائض الشكاوى والمطالبات باسم الوطنية. فهل تفلح الوطنية لتكون عروةً يستمسك بها أقباط مصر في مزدهم المحيط الإسلامي؟ أم تكون قشةً يتعلق بها الغريق ولا تغني عنه شيئاً؟ كالقومية العربية لنصارى الشام، الذين سرعان ما شرعوا في البحث عن بديل مناسب عنها كالحوار والتقريب. يقدم الكاتب محمد عفيفي، المعني بشؤون الأقباط إجابة تقريبية على هذا السؤال فيقول: (. . . جاءت المحاولات في القرن التاسع عشر لتقديم الوطنية كصيغة بديلة للعلاقة بين المسلمين والأقباط، وإنهاء عهد الذمة. ولكن في رأينا - للأسف^(١) لم يرس القرن التاسع عشر ولا القرن العشرين أسساً متينة لمفهوم «المواطنة»، ولم يترجم هذا المفهوم بصورة واقعية ملموسة. وبقي مفهوم الوطنية مفهوماً هلامياً إلى حد كبير، يردده البعض دون محاولة الاقتراب منه ووضعه في صيغة عملية. ولا يأتي كلامنا هذا جزافاً، ولكن نتيجة لمحاولتنا في قراءة التاريخ المصري الحديث. فنحن نزعم أن مفهوم الوطنية مفهوم من مستحدثات القرن التاسع عشر، وهو مفهوم غربي حذت منه إلى حد كبير الرابطة الدينية، والجامعة الإسلامية، ثم بعد ذلك «القومية»، وما زالت مصر تبحث عن الطريق منذ دعوة «مصر للمصريين» في الثورة العربية، وتعريفات لطفي السيد^(٢) للوطنية المصرية في مطلع القرن العشرين،

(١) كان الأجدر بالكاتب المسلم أن يتأسف على انفراط عقد الذمة الذي جاء به الشرع الحنيف، وليس على عدم تحقيق مكاسب للأقلية النصرانية على حساب الأصول العقديّة والتشريعية للمجتمع المسلم، الذي يحفظ حقّ الذميين ويصونهم من العدوان على أنفسهم وأموالهم.

(٢) أحمد لطفي السيد (١٢٨٨ - ١٣٨٢ هـ) (١٨٧٠ - ١٩٦٣ م): رئيس مجمع اللغة =

وتيار الوعي الوطني الذي أحدثته ثورة ١٩١٩م، ودعاوى طه حسين^(١) ولويس عوض^(٢) بإحياء مصر القديمة ذات العلاقات المتوسطة، ودعاوى الفرعونية؛ أو التيار الإسلامي، والجامعة الإسلامية على يد مصطفى كامل، ثم الألفية الإسلامية على يد الإخوان المسلمين في أربعينيات هذا القرن، ثم الجماعات الإسلامية في السبعينيات، أو التيار القومي العربي لا سيما في الحقبة الناصرية. فأين الأقباط من كل ذلك؟^(٣).

= العربية بالقاهرة، ينعت بأستاذ الجيل، عمل في المحاماة وشارك في تأسيس حزب الأمة سنة ١٩٠٨م، وكان من أعضاء الحزب الوطني القدماء، ومن أعضاء حزب الوفد، وتحول إلى حزب الأحرار الدستوريين. عُيِّن مديراً لدار الكتب المصرية، فمديراً للجامعة عدة مرات، فوزيراً للمعارف والداخلية والخارجية. تأثر بالأفغاني، وتأثر به طه حسين. وكان ذو توجه تغريبي في الفكر والاجتماع والسياسة. من آثاره: علم الطبيعة، السياسة، الكون والفساد. انظر: الأعلام (١/٢٠٠).

(١) طه حسين (١٣٠٧ - ١٣٩٣هـ): طه بن حسين بن علي بن سلامة. دكتور في الأدب. أصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. درس في الأزهر، ثم بالجامعة المصرية القديمة. سافر في بعثة إلى باريس، فتخرج بالسوربون، وعاد إلى مصر عام ١٩١٨م، فعين محاضراً في كلية الآداب، ثم عميداً لها، فوزيراً للمعارف. تأثر بالمستشرقين، وضمن كتبه بعض آرائهم الضالة. ترك مؤلفات عديدة، منها: في الشعر الجاهلي، الأيام، قادة الفكر. انظر: الأعلام (٣/٢٣١).

(٢) لويس عوض (١٣٣٣ - ١٤١٠هـ): لويس بن حنا عوض. كاتب مصري. وقف من الحضارة العربية وإسهاماتها موقفاً معادياً، لا يراها شيئاً، وأن دورها قد انتهت. والعرب عنده إما جهلة أو ناقلون. تخرج بجامعة القاهرة عام ١٩٣٧م، وأوفده أساتذته الإنكليز إلى جامعة كمبردج البريطانية فعاد بالمجستير، ثم إلى جامعة برنستون بأمريكا ونال الدكتوراه. وعمل أستاذاً في جامعة القاهرة، وتولى تحرير صحيفة الأدب والفن، ومن دعاة إحلال اللغة العامية محل الفصحى وكسر عمود الشعر. نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٨٨، وقد سامه سوء العذاب شيخ العربية محمود محمد شاكر في كتابه الدامغ: أباطيل وأسمار. انظر: ذيل الأعلام ١٦٠.

(٣) الأقباط بين عهد الدمة والوطنية. محمد عفيفي. مجلة الاجتهاد (٩٨/٣٠).

إنها إجابة مختومة بسؤال يوحى بالإجابة. لقد ضاع الأقباط بين دعاوى القوميين، ولم يفلح الوطنيون في إرساء مبادئهم في الخصم الإسلامي المتجدد.

رابعاً: حقيقة التقريب عند بعض الجدليين من النصارى العرب:

لم يزل السجال العقدي، ومجادلة أهل الكتاب ظاهرة متصلة بين المسلمين الذين أمرهم ربهم بمجادلة مخالفينهم بالتي هي أحسن: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وعدم مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن؛ إلا من ظلم: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(١) [العنكبوت: ٤٦]، وبين خصومهم من اليهود والنصارى الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا﴾ [البقرة: ١٠٩].

كما لم تزل حجة الله بالغة، ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: ١٦]، والقرآن يعلو ولا يعلى عليه، وقد تكفل الله بإظهار دينه، وإعلاء كلمته: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: ٩]. ولم يكن يجرؤ عباد الصليب ممن عاشوا بين ظهرائي المسلمين، وخبروا متانة دينهم، على محاجة أهل الإسلام علناً، طوال القرون الخالية حتى دب إليهم إخوانهم من نصارى الغرب في فترة ضعف وانحلال، وغلبة هوى وجهل، في القرنين الأخيرين من تاريخ الإسلام، فأوحوا إليهم بعض الشبهات ليجادلوا المسلمين. ومن أقدم شبهات المستشرقين، من يهود ونصارى، دعوى أن الإسلام خليطٌ ملفق من الثقافات اليهودية والنصرانية، تمت إعادة كتابتها بلسانٍ عربي، على يد رجلٍ ذكي ألمعي موهوب، وليس

(١) انظر فصل: المنهج الشرعي في دعوة أهل الكتاب، من الباب الثالث.

نبياً يوحى إليه من الله، هو محمد ﷺ، ضمها بين دفتي كتاب، هو «القرآن»^(١).

وقد اقتاتت نفرٌ من النصارى العرب على هذا الفتات، واجتروه برهة من الدهر، حتى ملّهُ عقلاؤهم واستهجنوه. ولسنا بصدد نقض هذه الشبهة البائدة، وإنما نلفت النظر إلى أن بعض هؤلاء النصارى نقلها من ميدان الطعن المجرد، إلى ساحة الحوار الإسلامي النصراني، في محاولة «احتوائية» للإسلام، باسم التقريب بين الأديان.

ولعل أول من سبق إلى هذا الاستدراج المفضوح، الماروني اللبناني الأب «خليل إدّة» بكتابين صدرا عام ١٩٣٩م بعنوان: «المسيحية في الإسلام». فقد أراد أن يتخذ من أوجه التشابه العامة بين الإسلام والنصرانية - في نظره - ذريعة للقول: إن الإسلام مسيحية مقنعة. وهو حين يدعي ذلك، لا يفعله لأغراض جدالية، بل سعياً للتقارب مع المسلمين، عن طريق اكتشاف أرضية مشتركة^(٢).

وقد طُوِّيت فكرة الأب إدة، باعتبارها نوعاً من محاولة الالتقاء

(١) ممن زعم ذلك من المستشرقين اليهود: جايجر، وهوروفيتز، وتري، وكاتشر. ومن النصارى: مير، وزويمر، ورودلف، ولامنس، وأندريه، وستاركي. انظر مقالة: جدال مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية (٣) د. رضوان السيد. وقد حكى الله هذه الفرية عن مشركي العرب، فقال: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا أَتَمَّ اللَّهُ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِشَرِّ النَّاسِ الْيَحْيَىٰ آلَ يَحْيَىٰ لِيَكُونَ لَهُمْ عَرْشٌ مِثْلُ عَرْشِ نُوحٍ﴾ [النحل].

(٢) يقول د. رضوان السيد: (أما المحاولة التي تحولت إلى نهج أفاد منه سائر المجادلين المسيحيين العرب في مواجهتهم للإسلام؛ فهي المغامرة الحياتية للأستاذ يوسف درة الحداد، التي تعتبر من وجهة نظري أهم الجدليات الحديثة ضد الإسلام، بعد كتاب «ميزان الحق» للقس البروتستانتي Pfander. ويرجح أن تكون صدرت مؤلفاته بين عامي (١٩٥٦ - ١٩٧٠م). جدال مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية (٣).

في منتصف الطريق - على الأقل - في ظل مناخ اجتماعي وسياسي معين. تلقّف هذه الفكرة البسيطة الأب الكاثوليكي «يوسف درة الحداد (١٩١٣ - ١٩٧٩م)»، فشرّق بها وغرب، وغاص وحلّق، وجعل منها مشروع العمر، فسوّد آلاف الصفحات في تقريرها، والاستشهاد بما قرب وبعد من الأخبار والأشعار والقصص والأساطير المتصلة بوجود النصارى في بلاد العرب، فنظم سلك هذا المتناثر في عقدٍ خيالي مبهرج. ساعده في ذلك قلم سيال، لا يكل ولا يمل من تكرار الفكرة الواحدة في عشرات المواضيع من الكتاب الواحد. وكأنما يلقّن قارئه كما يلقّن معلم الصبيان. وقد سلّط فكره الضال على أي الكتاب العزيز فصار يهرف بما لا يعرف، ويفسر القرآن بهواه وما يتفق مع أسطوره التاريخية^(١).

فأصدر مجموعةً من الكتب تحت مسمى: «في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي» تضمنت:

١ - مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي.

٢ - القرآن دعوة «نصرانية».

٣ - القرآن والمسيحية.

وقد أتى بالعجب العجائب الذي لا يتفق مع لغة العصر، بل شحنها بمقدمات مرفوضة نصاً وروحاً لدى أدنى مسلم، بل لدى أدنى عاقل منصف، استظهر فيها شبهات المستشرقين البائدة في القرآن ونبي الإسلام ﷺ، وصاغها في نظرية موهلة في الغرابة تبعث على السخرية والاستهجان. ولولا أنه قدم هذه الأفكار بوصفها أساساً للحوار الإسلامي النصراني في نظره، وإلا لما استحققت الإشارة والمناقشة، وكان موضعها الصحيح في حقل التصنيف مع شبهات النصارى والمستشرقين المتهافئة أمام الدين الحق.

(١) المرجع السابق.

ويظهر لي أيضاً أن تلك الأفكار المغربية موجودة لدى المؤلف سلفاً، وليس الباعث لها مشروع حوار طارئ. فقد قرر المؤلف هذه الدعاوى ورددها في مجموعة أخرى من كتبه أسماها «دروس قرآنية»! تضمنت ثلاثة كتب أيضاً، هي:

١ - الإنجيل في القرآن.

٢ - القرآن والكتاب، في جزئين: بيئة القرآن الكتابية وأطوار الدعوة القرآنية.

٣ - نظم القرآن والكتاب، في جزئين: إعجاز القرآن، ومعجزة القرآن.

ثم وجد المؤلف بغيته في قضية «الحوار»، فصنع لها إطاراً ضم تلك الأفكار المسبقة، وسماه «مدخلاً»، وختم بها باعتبارها محور ذلك الحوار. وبين المدخل والخاتمة يجتر الكاتب دعاويه المزيفة التي سود بها مئات الصفحات، وحشد فيها مئات الشبهات التي تحتاج لدحضها وبيان عوارها لمؤلفات موازية في ضخامتها للأصل الفاسد المراد نقضه^(١)، مما يخرج بنا عن خصوصية البحث، ونكتفي بإشارات جامعة للافتراءات التي يدندن حولها المؤلف مقدماً إياها أساساً للحوار الصحيح - في نظره - بين الإسلام والنصرانية.

يؤسس الأب يوسف الحداد مشروعه التقاربي بين الإسلام والنصرانية على دعوى مفادها أن الإسلام ونبه ﷺ وكتابه القرآن ما هو إلا ثمرة جهود طائفة النصارى، وهم الذين آمنوا بالمسيح ﷺ من بني إسرائيل بوصفه بشراً يوحى إليه لا إلهاً، وبقوا مستمسكين بالتوراة والإنجيل معاً، بخلاف أتباع بولس الذين هم عامة النصارى اليوم.

(١) ألف المحامي أحمد عمران عام ١٩٩٥م كتاباً ضخماً بعنوان «القرآن والمسيحية في الميزان»، نقض فيه دعاوى الحداد في كتابه: «القرآن والمسيحية».

ويحلوا للأب الحداد أن يُنظر افتراق القوم على النحو التالي: (هذا السلوك المختلف في الجماعة الواحدة، شق المسيحية منذ تأسيسها إلى سنة وشيعة: سنة المسيحيين الذي يتبعون شرعة الرسل في مجمع أورشليم^(١)؛ وشيعة النصارى اليهود الذين ظلوا يقيمون التوراة والإنجيل معاً بزعامة آل بيت المسيح أسقف أورشليم)^(٢).

وقد احتدم النزاع العقدي بين الفريقين وآل إلى اعتبار «النصارى» مبتدعة وهراطقة ومرتدين. (فالردة «النصرانية» موضوعها: الكفر بالهية المسيح، والكفر بالفداء في صلبه. وينتج عن ذلك الكفر بالتثليث، والكفر بالتجسد. هذه هي عقيدة «النصارى» في المسيح. وسيقومون عليها طوال عهد الفترة ما بين الإنجيل والقرآن)^(٣).

ونصل مع المؤلف إلى مبتغاه من إبراز هذا الانقسام وما تلاه من أحداث تاريخية أدت إلى نمو المسيحيين أتباع بولس وضمور النصارى، فيقول:

(بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة عند الروم، هاجر اليهود إلى دولة الفرس يعتصمون بها، ويعملون لها بين العرب. ووقع النصارى من بني إسرائيل بين نارين، نار بني قومهم اليهود، ونار بني دينهم المسيحيين؛ فلم يبق لهم من ملجأ سوى الحجاز الذي تحميه صحاريه من استعمار الدولتين)^(٤).

وهنا يحلق الأب الحداد في أجواز الخيال، فيضخم دور النصارى، الذي يجمع مؤرخو النصرانية على انقراضهم، فيجعل منهم

(١) راجع التمهيد: المبحث الثاني.

(٢) القرآن دعوة نصرانية: الأب: يوسف درة الحداد. (٥٦).

(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٦٦).

(٤) القرآن دعوة نصرانية. (٢٢٩).

(أساس النهضة الجاهلية في السياسة والتجارة والثقافة والديانة. ومن القرائن القرآنية نرى أن النصارى من بني إسرائيل أطلقوا في مكة والحجاز لنشر دعوتهم ثلاثة حركات:

أولاً: الحركة الحنيفية: ... وربطوها باسم إبراهيم، جد إسرائيل وإسماعيل، وأسموها «ملة إبراهيم»... وزعيمها «ورقة بن نوفل» قس مكة...

ثانياً: الحركة الإسلامية: ثم سمي النصارى من بني إسرائيل دعوتهم «الإسلام» وذلك قبل القرآن... وذلك في محاولة منهم لتعريب «النصرانية» باسم الإسلام، وتأليف العرب إليها بحجة أنها ليست اليهودية ولا المسيحية؛ فلا يتعرضون فيها لغضب الفرس مع اليهود، ولا لغضب الروم مع المسيحيين. فالحنيفية والإسلام صيغتان «لنصرانية».

ثالثاً: الدعوة القرآنية: ... الدعوة القرآنية هي دعوة النصارى من بني إسرائيل، ومن «تنصر» معهم من العرب؛ فهم أولوا ﴿أَلَيْسَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] الذين يشهدون مع الله وملائكته ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٩]. والدعوة القرآنية «تأييد» للطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، على ﴿عَدُوِّكُمْ﴾، الطائفة اليهودية التي كفرت به: ﴿فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ فَاصْبِرُوا لَهَا﴾ [الصف: ١٤]^(١).

وبعد هذا التحليق الشاهق يهبط الكاتب ليرسم التفاصيل، ويضع النقاط على الحروف، فيعقد بحثاً بعنوان: «محمد على درب «النصرانية» من وحي السيرة، يتفنن فيه بكل ما أوتي من حيلة، وسيولة قلم، في جمع متناثر الأخبار، فيلوي أعناقها، ويخطم آناها، ليثبت أن محمداً ﷺ ربيب النصرانية، وابن بجدها - حاشاه - (فيكون جد

محمد، عبد المطلب، أول من «تنصر» من قريش... ويكون محمد قد ولد في بيت «نصراني» في زعامة الدين والدنيا) بل إن كرمه يسع أبوي نبينا محمد ﷺ، وعمه أبا طالب، فيمنحهم صكاً باعتراف النصرانية، (وكان أول عمل للكفيل الكبير، أنه ختن حفيده في اليوم الثامن على عادة النصارى من بني إسرائيل... كان العمل الثاني أنه وجد له حاضنة نصرانية اسمها «بركة الحبشية»... فكان محمد طفلاً في حضانة مسيحية... فجاءت الحاضنة المسيحية بمحمد الصبي إلى ورقة بن نوفل، قس مكة، وهو بمعبده ومنسكه في حراء، فعمده بماء زمزم. وهذا معنى أسطورة «شق الصدر»^(١).

أما قصة (بحيرا) الواهية سنداً ومتناً عند المحققين^(٢)، فليست أسطورة عند الأب الحداد، بل هي (برهان على انتساب أبي طالب ومحمد إلى مذهب بحيرى «النصراني»، واعتماد الإمام الأكبر في «علم النصرانية» الذي ينتهي إليه - كأنه بابا تلك الأيام، في الفاتيكان «على كتاب يتوارثونه كابراً عن كابر»، هو إشارة واضحة إلى «إنجيل النصارى»... فزيارة محمد الفتى له كانت حجاً إلى الإمام الأكبر «للنصرانية»؛ وفي هذه الحجة تقرر مصير محمد، في قول بحيرى عنه: «سيكون نبي هذه الأمة»... وسترى بعد اثنتي عشرة سنة أخرى قس مكة يقول لابنة عمه خديجة التي تستفتيه في زواجها من محمد، أن افعلني لأنه: «سيكون نبي هذه الأمة»، فذهبت كلمة السر في مصير محمد^(٣).

(١) القرآن دعوة نصرانية. (٢٩٨ - ٣٠٢). وحادثة شق الصدر في صحيح مسلم

(١٤٧/١). وليس فيها على تنوع سياقاتها ذكر لورقة بن نوفل.

(٢) انظر: دراسة الدكتور أكرم ضياء العمري للقصة في كتابه: السيرة النبوية

الصحيحة (١٠٦/١ - ١١١).

(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٣٠٤ - ٣٠٦). والكاتب يستقي خيالاته من روايات =

وخديجة عليها السلام، في زعم الكاتب، كانت على النصرانية، وزواجها من محمد صلى الله عليه وسلم كان بمشورة ورقة بن نوفل لاطلاعه على كلمة السر^(١) من مرجعه الأعلى بحيرا. ولهذا (أقام محمد خمسة عشر عاماً في بيت خديجة، يتمتع بالجمال والمال والسيطرة التجارية على قریش والجزيرة، ويتدرب في كنف القس ورقة على الرسالة «النصرانية» بين العرب، ويخضّر ترجمة ورقة لإنجيل النصارى من العبرانية إلى العربية؛ ويتعلم «المثل» القرآني)^(٢) (الأحقاف: ١٠) الذي فيه «علم الكتاب» (الرعد: ٤٥)؛ ويستعد لأن يكون «أول المسلمين» (الأنعام: ١٦٣)، (الزمر: ١٢) متى دقت ساعة الله.

وحبب إليه الخلاء فكان يختلي مع قس مكة شهراً من السنة، شهر رمضان، في الصيام والنسك والتعبد، على طريقة الرهبان، يتأمل

= نصرانية شرقية حكيت حول شخصية الراهب «بحيرا»، طورت، وجمعت في كتاب عرف باسم «سفر بحيرا» (وهو كتاب مسيحي من المحتمل أن يكون قد وضع في صورته الحالية في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر... يتألف من ثلاثة أجزاء... وقد ورد في الجزء الثاني، الذي يكون أسطورة بحيرا المنحولة كيف لقّن سرجيوس محمداً صلى الله عليه وسلم عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن. وذلك بقصد أن يجعل العرب يعترفون بإله واحد، ومن الواضح أن هذا الجزء من الكتاب يراد به إظهار محمد أنه نبي كاذب تلقى وحيه من راهب منشق هرطقي). انظر حاشية مترجم الإسلام والمسيحية. (٧٢). وهكذا انتهت سلسلة الكذب بالآب يوسف الحداد.

(١) لعله يقصد «سر السيامة» - أحد الأسرار السبعة - الذي يزعم النصارى أنه يحصل به انتقال السلطة الروحية من المسيح إلى الرسل الأساقفة. انظر مبحث النصرانية في التمهيد.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَزَيَّنُّ أَنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَمَشَهِدٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ عَلَىٰ يَمِينِهِ فَنَافِلُكُمْ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ والآية تدل على عكس مراده، فالإسرائيلي المؤمن في الآية شاهد على صدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وليس معلماً له.

في الوجود، ويستذكر ما تعلمه من أستاذه القس، وهو مجاور بجواره^(١).

هكذا يعث الأب الحداد بالتاريخ، وينسج خيوط روايته الوهمية، بلا مستند أو إثارة من علم.

وماذا بعد نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ، هل انتهت فترة الحضانة النصرانية للدين الوليد؟ يقول القاصر: (توسم زعماء «النصرانية» بمكة، في ابن قرابتهم محمد بن عبد الله، الكفاءة لخلافة أئمتهم في الدعوة إلى «النصرانية» وفرضها بالدعوة، وبالجهد إذا اقتضى الأمر، على مكة والحجاز والجزيرة، «أمة وسطاً» بين اليهودية والمسيحية، ودولة وسطاً بين الفرس والروم. فكان لهم بعد خمسة عشر عاماً من الاستعداد الديني والنفسي والفكري، في تلك «الليلة المباركة»، «ليلة القدر» من شهر رمضان، بتلك - «الرؤيا الصالحة»^(٢)، الصادقة. وكان الله نفسه من وراء قصدهم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]^(٣).

ولكن إلام يقودنا الأب الحداد في هذه الرحلة المضنية المليئة بالكاذيب والمغالطات، وما علاقة هذا الهراء بقضية «الحوار الإسلامي المسيحي» وكيف كان مدخلاً له؟.

(١) القرآن دعوة نصرانية (٣٤٢).

(٢) يعرض الكاتب بإنكار الوحي، وأن ما حصل للنبي ﷺ في غار حراء كان مجرد رؤيا. ويعمي على القارئ المسلم بالاستشهاد بالآية الدالة على الرسالة، ومن المعلوم أن الرسالة عند النصارى وظيفة كبار الدعاة وليست وصفاً لأنبياء الله، ولهذا يقولون: الرسول بطرس، وبولس... ولا يقولون الرسول عيسى. كما أنهم يثبتون نزول الروح القدس على الرسل، بل وغير الرسل، دون أن يكون ذلك مستلزماً للنبوة. راجع التمهيد. مبحث النصرانية.

(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٣٤٣).

على القارئ أن يحبس أنفاسه، لأن الأب الحداد سيعلن مفاجأة تاريخية في ختام كتابه: (سأفاجئ المسلمين والمسيحيين، في هذا الكتاب، بأنهم إخوة على دين واحد، وهم لا يشعرون، وإن افترقوا إلى سنة وشيعة، ما بين مسيحية وإسلام.

لا أقصد فقط وحدة التوحيد بينهم، وهي على حرف واحد في التوراة والإنجيل والقرآن: «قل هو الله أحد». إنما أقصد الوحدة المصدرية التي تجمع الإسلام والمسيحية في الإيمان بالإنجيل، «فِيهِ هُدًى وَنُورٌ... وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» من العرب [المائدة: ٤٩]؛ وفي الإيمان بالمسيح، «وَكَلَّمْتُهُ أَلْفَنَهَا إِلَى مَرِّمَ وَزُوحَ مَنَّة» [النساء: ١٧١]؛ في جامع واحد مشترك هو «النصرانية» القرآنية.

أبدأ بتبديد وهم شائع، يقع فيه الجميع حتى اليوم، وهو أن النصرانية والمسيحية شيء واحد؛ فهما في الرأي العام الموهوم اسمان لعقيدة واحدة. مع أن الحقيقة والواقع غير ذلك.

وهذا الوهم المتواتر يستند إلى واقع قرآني. فالقرآن لا يذكر اسم «مسيحيين» على الإطلاق، بل يشملهم باسم «نصارى» مما يخلق تعارضاً في تصاريحه، تزيله القرائن...، وتلك الظاهرة القرآنية الكبرى ليست مسألة لغة فحسب، إنما هي مسألة عقيدة. والخلط بين اللغة والعقيدة كانت سبب تواتر الفهم الخاطئ للقرآن والإسلام. وهذا الفهم المشبوه كان سبب سوء التفاهم المتواتر ما بين الإسلام والمسيحية، ومصدر الصراع الأليم الأثيم فيما بينهما عبر التاريخ.

وقد آن لنا أن نعرف الحقيقة القرآنية التي تجمع بين الإسلام والمسيحية في أصل واحد هو «نصرانية» محمد والقرآن، لتقييم المفاهيم، وتحسين الصلات الأخوية لفتح حوار أخوي جديد ما بين الإسلام والمسيحية، طليعة عهد جديد من الإخاء الأصيل، والولاء النبيل، لأمد طويل^(١).

(١) القرآن دعوة نصرانية. (٦٧١ - ٦٧٢).

هكذا أسس الأب الحداد بنيان مشروعه الحواري على شفا جرفين

هاريين:

أحدهما: اعتبار الدين الإسلامي ونبيه وكتابه مرحلة من المراحل التاريخية للنصرانية المنشقة - في نظره - عن المسيحية القويمة. كما انشقت الشيعة عن أهل السنة في الإسلام. وبناءً عليه فحوار الإسلام مع المسيحية - حسب اصطلاحه - هو حوار الفرع مع الأصل. فالإسلام كله نسخة عربية من «النصرانية»، والقرآن «دعوة نصرانية» بحروف عربية تم استنساخها من نصارى مكة، الذين مهدوا لظهور الإسلام، وربوا نبيه وعلموه عقيدتهم. (فهذه «النصرانية» الشيعة، هي التي هاجرت من دولة الروم، لما أعلنت المسيحية فيها دين الدولة، إلى مكة والحجاز. وهذه «النصرانية» هي التي تبناها القرآن باسم الإسلام في دعوته. فكان القرآن دعوة نصرانية. وبما أن الإسلام القرآني هو «النصرانية» عينا، فالإسلام في نسبه الشيعة إلى المسيحية السنة: فهما فرعان لأصل واحد. وهذا ما يجهله أو يتجاهله المسلمون والمسيحيون^(١).

فالمطلوب إذاً أن يرجع الفرع إلى الأصل، وينضوي الإسلام تحت المسيحية ليتحقق الحوار والوئام في نظر الأب الحداد، الذي يُدَّكر أهل ملته قائلاً: (فلا ينس أهل الإنجيل قول السيد المسيح: «ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة؛ فهي أيضاً ينبغي لي أن أجيء بها، وستسمع صوتي، فيكون القطيع واحداً، والراعي واحداً» «يوحنا ١٠: ١٦»). فالمسلمون هم أيضاً مثال المسيحيين، خراف المسيح، لإيمانهم به على هذه الشهادة ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا مَائَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء]^(٢).

(١) القرآن دعوة نصرانية. (٦٧١ - ٦٧٢).

(٢) القرآن دعوة نصرانية (٧٨٣). ونحن نعكس الأمر على الحداد وندعوه وأهل=

الثاني: التفريق بين «النصرانية المذمومة في القرآن» و«المسيحية التي تسمى بها نصارى اليوم». يقول الكاتب:

(.. يجب التمييز بين النصارى من بني إسرائيل، والمسيحيين من الأمميين. ومن الظلم والخيانة للقرآن إطلاق اسم «نصارى» الوارد في القرآن، على المسيحيين المنتشرين في العالم. لم يتعرض القرآن للمسيحية الرسمية على الإطلاق، ولم يتصل النبي العربي إلا بوفد نجران^(١)، وقد وزعوا حوار القرآن معهم على السور المدنية. وإجماع المفسرين أن وفد نجران كان من أهل البدعة اليعقوبية في المسيحية: فمن الظلم والخيانة للقرآن إطلاق أحكام القرآن في بدعة مسيحية، على المسيحية جمعاء. فالقرآن دعوة «نصرانية» في «أمة وسط» بين اليهودية والمسيحية. و«نصرانية» القرآن هي صلة الوصل بين الإسلام والمسيحية، وسبيل الحوار الصحيح بينهما، متى زالت الأوهام وبانت الحقائق في الدعوة القرآنية)^(٢).

= ملته ممن يسميهم مسيحيين وهم في الحقيقة بولسيون، إلى الرجوع إلى نصرانية أتباع المسيح ﷺ وحواريه الذين قالوا: ﴿مَنْ أَفْكَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، ونصرانية من سار على نهجهم من الذين قالوا إنا نصارى وكانوا أقرب الناس مودة للذين آمنوا، فحينئذٍ يحصل الاتحاد بقولهم: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا كُتِبَ عَلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَمَعَى الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة].

(١) يتعمى الكاتب عن كتاب رسول الله ﷺ لهرقل عظيم الروم، سدة الكنيسة النصرانية الرسمية.

(٢) القرآن دعوة نصرانية. (٧١١)، وقد تشبث بهذه الدعوى؛ دعوى أن نصارى اليوم غير معنيين بتكفير القرآن وذمه، دعاة الحوار من نصارى العرب من أمثال جورج خضر، وكيرلس سليم بسترس وأضرابهم. فضلاً عن الجدالين العدوانيين من أمثال الأب الدكتور جوزيف القزي، المتستر بلقب أبي موسى الحريري في كتابه «قس ونبي»، وإلياس المر في كتابه «الإسلام بدعة نصرانية». انظر بحث الدكتور رضوان السيد: جدال مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية.

ويقرر الأب الحداد - بكل جرأة - ضابطاً في فهم القرآن فيقول:

(كل تأييد أو استشهاد بأهل الكتاب أو بني إسرائيل هو للنصارى من بني إسرائيل. وكل تكفير لأهل الكتاب أو لبني إسرائيل هو لليهود. أما المسيحيون فليسوا من بني إسرائيل، وهم أهل «الغلو» في شأن المسيح بلغة القرآن، وإن سماهم أيضاً أهل الكتاب)^(١).

لقد أخرج الكاتب المسيحية التي ينتمي إليها من حلبة الصراع، وبرأها من جميع صور النقد والتخطئة والتكفير التي صرح بها القرآن، ووجه هذه الحملة على «اليهودية» فقط. وفي الحالات التي لا يسعفه المقام بليّ أعناق النصوص بما يتفق ونظرته التي فاجأ بها العالمين، يحمل تلك النصوص على من يسميهم «بعض جهال نصارى الحجاز»، أو بعض البدع المسيحية، الخارجة عن المسيحية الرسمية كالبعاقة والنساطرة^(٢). ثم يختم بحثه بصياغة شهادة جامعة بين أهل الإنجيل وأهل القرآن نصها: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)^(٣).

بعد هذا نتساءل: هل يظن الأب الحداد - في نفسه - أنه يسعى في طريق الحوار فعلاً؟ أم هي محاولة للتغريب بالبسطاء والسذج من المنتسبين إلى الإسلام؟ لا إخال مسلماً لديه أدنى مسكة من دينه يرضى أن يقال له إن دين الإسلام هو النصرانية عينها. وهذا ما أدى بالكاتب تركي علي الربيعو أن يستنتج العكس، وأن المراد إلغاء الحوار، فيقول معلقاً على كتاب «القرآن دعوة نصرانية»: (إن هذا النوع من الخطابات، والمسكون بها جنس الصياغة التبشيرية بدين المسيح كما تعبر عنه

(١) القرآن دعوة نصرانية. (١٠٣).

(٢) انظر: القرآن دعوة نصرانية. (٢٨٥ - ٢٨٨).

(٣) القرآن دعوة نصرانية. (٤٥٧).

الفاظه وتراكيبه، والذي يقوم على احتقار الآخر ورده إلى باب الخراف الضالة، والمسكون بشبح الدراسات الاستشراقية لا يهدف فعلاً إلى إقامة الحوار بل إلى إلغائه. لأن الحوار يحميه الاختلاف، وتعززه الخصوصية، في حين أن الضم بالقسر والإلحاق والتبعية تقوم على إلغائه، وتقود إلى فوضى وعشوائية يزخر بها الكتاب^(١).

ويرى الربيعو أن هذا اللون من الخطاب «المستتر» في الحوار الإسلامي المسيحي يعكس «المأزق البنيوي» للأقلية المسيحية في الأكثرية المسلمة، لكون (الحوار المسيحي - الإسلامي، هو حوار متعدي بمعنى أنه مضمّر بما هو سياسي. فالبعد السياسي في الحوار هو الحاضر/الغائب دائماً، والغائب/الحاضر ابتداءً...

البعد السياسي للحوار المسيحي - الإسلامي يدفع بالمؤرخ أو الفيلسوف أو الهاوي للتاريخ، أو رجل الدين المؤرخ إلى تغليب أحد أبعاد الزمان على الأخرى، إنه البعد المستقبلي. وفي هذه الحالة يندفع إلى الوقوع في الاحتمالية، يبني احتمالاً على احتمال، فينتهي إلى تغليب الظن والوقوع في العشوائية... ليس هذا فحسب، بل إنه سرعان ما ينزلق إلى ساحة الأدلوجة^(٢)، لينتهي إلى تضخيم تاريخ الأقلية على حساب الأكثرية، وإظهارها على أنها المبدأ والمعاد، والفرع الذي يريد أن يكون أصلاً. بهذا تصبح كل قراءة لتاريخ العلاقة الإسلامية المسيحية قفزاً جديداً على التاريخ، وهروباً إلى الأمام، وقفزاً فوق مستوى الحوار، بهدف إلغائه وتأجيله إلى أجل غير مسمى^(٣).

(١) الخطاب المستتر في الحوار المسيحي الإسلامي. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١٣٩).

(٢) الأدلوجة: يعدها بعض الكتاب تعريباً لكلمة «أيدلوجي» Ideology أي فكري.

(٣) الخطاب المستتر في الحوار المسيحي الإسلامي. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١٣٢ - ١٣٣).

وأياً كان هدف الأب الحداد في قرارة نفسه؛ إقامة الحوار أم إلغاؤه، وأياً كانت البواعث وراء هذه الصياغة المُغرِبة، فإن النتيجة النهائية لفكرته أنه لم يأت بجديد في مجال الحوار. ذلك أننا لو سلمنا جدلاً بوجود تطابق كامل بين العقيدة القرآنية، وعقيدة النصاري، شيعة المسيح، حسب اصطلاح المؤلف، الذين انشقوا على المسيحيين، فغاية ما في الأمر أننا أعدنا الأمر جذعاً ونصبنا الخلاف على قواعده الأولى، التي أفرزت قرارات الحجب والحرمان، والوصم بالكفر والبدعة والهرطقة للمخالف. فأي ثمرة يجنيها الأب الحداد «في سبيل الحوار الإسلامي - المسيحي» مؤسسة على نبش أحقاد الماضي، وبعث معضلات عقدية عميقة فشلت الكنائس في تجاوزها طوال القرون.

كما أن فكرة التفريق بين «المسيحية» والانحرافات «النصرانية» المذكورة في القرآن، بهدف تبرئة «المسيحية» من «الكفر» و«الغلو» لم تأت بجديد أيضاً، ولم تحل إشكالاً أصلاً. فالكاتب مع براعته في التلفيق وتحريف الكلم عن مواضعه، حين يصل هذه المباحث يعترف أنه خلافت أكبر فيقول: (إن الخلاف الأكبر، في الحوار بين الإسلام والمسيحية يقوم على صلة التثليث المسيحي بالتوحيد الإسلامي)^(١). ثم يُعمل الحيلة لإثبات أن التثليث الذي يكفره القرآن ليس بالتثليث الذي يؤمن به المسيحيون! في الوقت الذي يردد فيه قانون الإيمان النصراني: (أومن بالله الواحد الأب... والرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد،... وبالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الأب، (بالابن)، الذي هو مع الأب والابن معبود ومحمود...)^(٢).

عجاً لهاتيك العقول المغيَّبة في عماء التعصب والتقليد، كيف تسمي

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي: الأب يوسف درة الحداد. (٢١٧).

(٢) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي. (٣٠٥ - ٣٠٦).

هذا التثليث الشرقي «توحيداً». لقد جمع قانون إيمانهم شركتي الربوبية والألوهية، فكان مشركو الأمم من الوثنيين أحسن حالاً منهم لوقوعهم في شرك الألوهية دون الربوبية.

وتذهب محاولات الأب الحداد سدى وهو يحاول أن «يفلسف» القضية ويجمع النقيضين؛ التوحيد والتثليث، فيقول: (فالتثليث المسيحي هو الله وكلمته وروحه، في وحدة الكيان الإلهي. إنه تثليث في التوحيد الخالص)^(١).

فليقض القارئ عجباً من «وحدة الكيان الإلهي»، والتوحيد الخالص، وهو يقرأ في نص قانون الإيمان النيقاوي الذي يردده النصارى في جميع الأرض: (... وبالب رب الواحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، النور من النور، الإله الحقيقي من الإله الحقيقي، مولود غير مخلوق، في جوهر واحد مع الأب. وهو الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وتأنس وصلب لأجلنا على عهد بنطيوس بيلاطس، وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب. وارتفع إلى السماء وجلس على يمين الأب)^(٢).

إله مولود من إله، نزل، وتجسد، وتأنس، وصلب، وتألم، وقبر، وقام، وارتفع، وجلس على يمين الإله الأول! ومع ذلك فهما إله واحد!!

إن الأب الحداد ينعي على المسلمين جهلهم بهذا التوحيد الخالص، ويدعوهم إلى حوار قاعدته الأساسية (صحة التوحيد الخالص

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي (٣٠٨).

(٢) المرجع السابق، (٣٠٥).

المنزّل ما بين الإنجيل - الذي يعتقده - والقرآن^(١).

هل داعية الحوار المسيحي يتعامل بوجهين، فيقول لمحاوريه من المسلمين ما يوهّم التوحيد، فإذا خلا إلى بني ملته أبحر في التثليث؟.

إننا نجدّه في كتابه الحواريّ يقول متّصلاً من مقالة لـ «اليعقوبية»: (إن مقالة اليعقوبية قد كفرتها المسيحية قبل القرآن والإسلام. والمليار من المسيحيين يكفرونها اليوم. فمن الجهل والظلم المتاجرة بها في الحوار الإسلامي المسيحي)^(٢)، ثم يعلّق في الحاشية مستدرّكاً قائلاً: (نعتذر إلى الإخوان الذين يسميهم التاريخ الإسلامي «يعاقبة». ونحن على يقين بأن خلافهم مع جميع المسيحيين شكلي: إنه خلاف في التعبير، لا في العقيدة والتفكير)^(٣)! مع أن السبب الذي حمل المجمع المسكوني الرابع عام ٤٥١م على تكفير اليعاقبة - وتمثلهم إذ ذاك كنيسة الإسكندرية - هو قولهم أن المسيح إله اتحد فيه اللاهوت والناسوت وصاراً طبيعة واحدة، بينما يقول المجمع المذكور أنه إله بطبيعتين^(٤). أما السبب الذي لأجله كفرهم القرآن فهو القول بالوهية عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة].

وهو قول تشترك فيه سائر طوائف النصارى المعاصرين، مهما تحذّلت في التعبير عنه، على نحو قول الأب الحداد: (فالمسيح في عقيدة المسيحيين إلهٌ من حيث هو «كلمته ألقاها إلى مريم»، وكلمة الله ليس الله على الإطلاق، لأن الله هو الأب والكلمة والروح في وحدة

(١) المرجع السابق، (٢٨٦).

(٢) مدخل إلى الحوار الإسلامي (٢٨٨).

(٣) المرجع السابق، (٢٨٨).

(٤) انظر: محاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة (١٣٧)، المسيحية في العالم

العربي (٥٧ - ٦٩).

الطبيعة الإلهية، فتكفير القرآن لا يطل المسيحية مطلقاً^(١).

ونرى أن لا فرق في الحقيقة بين مقالة اليعقوبية، ومقالة الملكانية «النصرانية الرسمية» من حيث إثبات كل منهما ألوهية المسيح كما في النص أعلاه، وإنما اختلفوا في تفاصيل الباطل^(٢). ولنا في هذا المقام قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝﴾ [آل عمران]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۝﴾ [النساء: ١٧١]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (فإن الشبهة التي عرضت لمن اتخذها إلهاً، شبهة باطلة، فلو كان لها وجه صحيح، لكان آدم أحق منه، فإنه خلق من دون أم ولا أب، ومع ذلك، فاتفق البشر كلهم على أنه عبدٌ من عباد الله. فدعوى إلهية عيسى بكونه خلق من أم بلا أب دعوى من أبطل الدعاوى^(٣)...

وأنه «كلمته ألقاها إلى مريم» أي تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها. وهذا من إضافة التشريف والتكريم. وكذلك قوله: «وروح منه» أي من الأرواح التي خلقها، وكملها بالصفات الفاضلة، والأخلاق الكاملة^(٤).

لقد كانت محاولة الأب يوسف درة الحداد في مجال التقريب بين الإسلام والنصرانية ضرباً من الاحتواء المكشوف الذي تأباه لغة العصر، فضلاً عن الحقائق الثابتة.

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي. (٣٠٢).

(٢) يقول الأب الحداد، نفسه: (كل الفرق المسيحية في مطلع القرن السابع م، كانت مسيحية لا نصرانية، فالملكية، واليعقوبية، والنسطورية كلها تؤمن بإلهية المسيح من حيث هو كلمة الله ألقاها إلى مريم، مهما اختلفت في التفكير والتعبير على صيغة تلك العقيدة) القرآن دعوة نصرانية (١٠٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٣٨٧).

(٤) المرجع السابق: (٢/٢٢٥).

يقول الدكتور رضوان السيد^(١): (أراد الأستاذ الحداد من المسلمين الاقتناع بأنهم نصارى/ مسيحيون في الأصل. وبالتالي فلا حاجة للاستقلالية الدينية، «فالاقتصادية والسياسية». إذ أن هذه الاستقلالية الموهومة بالذات هي علة النزاع بينهم وبين المسيحيين)^(٢).

وتلك صفاقة ما بعدها صفاقة! وهو لا يقتصر على نفث مكنون صدره من الحسد متخفياً خلف صفحات الكتب، غاضاً صوته تحت هدير المطابع، بل يبلغ به النزق أن يرتجل خطاباً في دار «الفتوى اللبنانية» ببيروت، أمام الشيخ حسن خالد^(٣) مفتي الجمهورية، في

(١) د. رضوان السيد: حصل على الدكتوراه في الفلسفة (قسم الإسلاميات) من جامعة توبنغن بألمانيا الغربية عام (١٩٧٧م)، أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية، ومدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية في بيروت منذ ١/١١/١٩٩٤م، درس في جامعات هارفارد وشيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، أستاذ زائر لعددٍ من الجامعات ومراكز البحوث، له حضور قوي في المؤتمرات والندوات الفكرية، يشغل منصب رئيس تحرير مجلة «الاجتهاد» منذ عام ١٩٨٨م. من مؤلفاته: «الأمة والجماعة والسلطة»، «دراسات في الفكر السياسي العربي والإسلامي ١٩٨٤م»، «مفاهيم الجماعات في الإسلام ١٩٨٥م»، «الإسلام المعاصر ١٩٨٧»، وغيرها بالإضافة إلى تحقيق بعض كتب التراث. انظر ملاحق مجلة الاجتهاد (٢٩ - ٣٢)، وكتيب: «حركات الإسلام السياسي والمستقبل» (٣١).

(٢) جدالٌ مسيحي مع الإسلام في الحرب الأهلية اللبنانية (٧).

(٣) حسن خالد (١٣٤٠ - ١٤٠٩هـ): مفتي لبنان. ولد في بيروت وتعلم في مدارس المقاصد الإسلامية بها. ثم انتقل إلى مصر، وتخرج في كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٤٦م. وتقلد مناصب عديدة في القضاء، حتى عُيِّن مفتياً للجمهورية اللبنانية عام ١٩٦٦م. له حضور سياسي وعلمي، كان عضواً في رابطة العالم الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر. توفي إثر انفجار سيارة ملغومة، إبان الحرب الأهلية اللبنانية. من مؤلفاته: آراء ومواقف، الإسلام والتكامل المادي في المجتمع، المسلمون في لبنان والحرب الأهلية. انظر: تنمة الأعلام (١/١٣٠).

أواخر الستينيات الميلادية، حين جاء مرافقاً البطريك مكسيموس حكيم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والإسكندرية وأورشليم للروم الملكيين الكاثوليك - في إطار زيارات المجاملة والتهاني بين الجانبين - ويؤكد فيه على الوحدة الدينية الجذرية، وينادي في محفل الخزي والعار متكلماً بلسان الجميع: (أيها الحفل الكريم، تسمعون لي بهذه الشهادة الجامعة، وهي عنوان إيماننا جميعاً بالسيد المسيح: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فحرف إيماننا جميعاً بالسيد المسيح واحد: إنه لكلمة الله، ولكن قد نختلف في تأويله. ومهما اختلفنا في تأويل هذا الاسم الكريم، فلا يصح أن نفسر «كلمة الله» بمعزلٍ عن «روح منه». إنهما مترادفان يفسر بعضهما بعضاً. فليس «كلمة الله» مجرد كلام الله، أو أمر الله؛ إنما هو «روح منه» تعالى: فهو ذات قائمة «منه» و«فيه» قبل إلقائه إلى مريم. فنحن على وحدة لنا جذرية في إيماننا نفسه بالسيد المسيح. وهذا محور إيماننا، وحوارنا بالحسنى والحكمة، في «أمة واحدة»^(١).

ولم يحفظ أن أحداً في ذلك المقام، في دار الفتوى، موثلاً علماء المسلمين في ذلك البلد، رد عليه كفره وشركه وتحريفه لشهادة المسلمين بإسقاط شهادة أن محمداً رسول الله بل إنه ليفتخر بشهادته هذه قائلاً: (وقد أعلنها على رؤوس الأشهاد، بحضور أئمة رجال الدين، من المسيحيين والمسلمين، في دار الإفتاء ببيروت، وسط عاصفة مدوِّية من التصفيق)^(٢).

ولم تستطع هذه التلفيقات والمداهنات أن تبني وحدةً وطنية،

(١) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي (٤٦٣).

(٢) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي (٤٥٧).

فضلاً عن وحدة دينية كما طرق الحداد، وأطرق له مستمعوه، وتحولت عاصفة التصفيق الفاجر بعد سنّيات معدودة، إلى فرقة قنابل، ودوي انفجارات، وإطلاق مدافع، واستبدلت زيارات التهاني بالمناصب الدينية، إلى اغتياالات أثيمة، كان من بين ضحاياها الشيخ حسن خالد - رحمه الله وعفا عنه - وصدق الله إذ يقول: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُلَاحِظُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [هود].



المبحث الرابع

حقيقة التقريب بين الأديان عند اليهود

إن موقف اليهود من التقارب بين الأديان، بل وبين أهل الأديان، مرتبط ارتباطاً وثيقاً باعتقادهم أنهم شعب الله المختار. إذ يعتقد «اليهود» على اختلاف طوائفهم واتجاهاتهم القديمة والحديثة أنهم عنصر متميز، وشعب مختار يفوق سائر الأعراق والأجناس البشرية. وليس هذا الاعتقاد لوناً من الأدبيات القومية التي تنشؤها الأقليات بغرض تعزيز تماسكها الداخلي، خوفاً من الذوبان في المجتمعات المغايرة، ولكنه عقيدة راسخة تمثل جزءاً من الدين اليهودي. فنصوص التوراة، بل الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ﷺ تتضمن أصول هذا الاعتقاد، مثل:

• ما جاء في سفر التكوين في عهد الله لإبراهيم عليه السلام: (سأجعل عهدي بيني وبينك... فاحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم (١٧/٢، ٩))^(١).

• وما جاء في سفر الخروج: (وأخذكم لي شعباً. وأكون لكم إلهاً (٧/٦))^(٢).

• وفي سفر التثنية: (لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اختار الرب إلهك، لتكون له شعب خاصته من جميع الشعوب التي على وجه الأرض، لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب تعلق الرب

(١) العهد القديم (٩١).

(٢) العهد القديم (١٦١).

بحبكم واختاركم، فأنتم أقل من جميع الشعوب، بل لمحبة الرب لكم ومحافظة على القسم الذي أقسم به لأبائكم^(١) (٦/٧ - ٨).

ولا نبادر بدوافع عاطفية أو عصبية برد هذه الخصيصة لذرية إبراهيم، وأصحاب موسى ﷺ، مجارة للشعارات العالمية السائدة التي تنكر أصل التفضيل والاصطفاء الإلهي، ولكننا نضع هذه المعاني في موضعها الصحيح كما قررها القرآن الكريم بعدل وحكمة:

فالاصطفاء والاختيار حاصل ولا ريب بمشيئة الله وحكمته: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٥٥) [الحج].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٨) [القصص]. وقد نص الله على اصطفاء أشخاص وبيوت كريمة متميزة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ﴾ (٣٣) [آل عمران].

وخلافاً لنص سفر التكوين السابق المتضمن طلاقة العهد لذرية إبراهيم، يثبت القرآن ذلك العهد وبقيده بالقيود الإيمانية، لا الاعتبارات الوراثية العرقية: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤) [البقرة]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (أي لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضربها وحط قدرها لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آله الصبر واليقين. ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة. فأين الظلم وهذا المقام؟

(١) العهد القديم (٣٧٠).

ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها^(١).

وقد أثبت الله في كتابه، وعلى لسان عبده ونبيه موسى ﷺ هذا التفضيل لبني إسرائيل في مواضع متعددة، في سبيل تذكيرهم بنعمه، وإقامة الحجة عليهم، ومطالبتهم بالوفاء بالعهود والمواثيق المفروضة عليهم، فمن ذلك: ﴿يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا يَمَعِيَ الْآلِيَّ أَتَمَنَّتْ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْمَلَكِينَ ۖ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَوَعَدْنَاهُمْ مِّنَ الْغَيْبِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْمَلَكِينَ ۖ﴾ [الجاثية: ١٠]، ﴿قَالَ أَغْدِرْ اللَّهُ أَمْرِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْمَلَكِينَ ۖ﴾ [الأعراف: ١٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْرُكُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْمَلَكِينَ ۖ﴾ [المائدة: ١٠]. فلا ريب إذاً (أنهم - في ذلك الزمان - خيرة الخلق، وأكرمهم على الله)^(٢).

ولكن القوم تنكبوا الطريق، وبدلوا نعمة الله كفرأ، وأحلوا قومهم دار البوار. فبدر منهم الكفر وسوء الأدب مع الله، والتطاول على أنبيائه بالقتل وصنوف الأذى، ونقض العهود والمواثيق، ما أوجب أن يرفع الله به عنهم هذه المزية والفضل، ويبدلهم بها خزي الدنيا وعذاب الآخرة. فصاروا مذمة للخلق يسومونهم سوء العذاب، وغلظت طباعهم، وساءت أخلاقهم، وفرقهم الله في الأرض شذر مذر، ومزقهم شر ممزق^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/١٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/٢٧٣).

(٣) يعرف ذلك في التاريخ اليهودي باسم «الشتات» أو «الدياسبورا». ويرجع ابتداءه إلى سنة ٧٠م حين دمر القائد الروماني «تيتوس» بيت المقدس ففرقوا في أنحاء الأرض. وإثر ثورة فاشلة قام بها اليهود ضد الرومان سنة ١٣٥م أمر الامبراطور الروماني «هديران» بعدم السماح لأي يهودي في الإقامة في =

كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَىهَا بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٣]. ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]. ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَيَأْخُذُ بِفَضْضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٧].

فماذا بقي لشذاذ الآفاق، وقتلة الأنبياء من دعوى الاصطفاء والاختيار، بعد أن أحلَّ الله عليهم غضبه ولعته، وأوقع بهم المثلثات؟

موقف الحركات اليهودية من «الأغيار»:

١ - الحركة الأرثوذكسية (المحافظون):

يصر عامة اليهود على أنهم «شعب الله المختار»، ويحاولون تفسير هذه الدعوى بشتى التفسيرات (ولكن أكثر التفسيرات تواتراً... هو أن الاختيار غير مشروط ولا سبب له، فهو من إرادة الله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، فهو قد اختار الشعب ووعد به بالأرض، وليس لأي إنسان أن يتدخل في هذا.

ويبدو أن الاختيار لا علاقة له بالخير والشر، ولا بالطاعة أو المعصية، فهو لا يَسْقُطُ عن الشعب اليهودي حتى ولو أتى هذا الشعب بالمعصية، إذ أن حب الله للشعب المختار يغلب على عدالته، ولذلك لن يرفض الله شعبه كلية في أي وقتٍ من الأوقات، مهما بلغت شرور هذا الشعب، بل إن أحد المفسرين يدعي أن الله هو الذي اختار «الشعب اليهودي»، فالاختيار ملزَمٌ له وحده^(١) وليس ملزماً للشعب.

= فلسطين. انظر: الشخصية الإسرائيلية: د. حسن ظاظا. دار القلم - دمشق.

الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م). (٦٨ - ٦٩).

(١) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وليس هذا القول البذيء غريباً على أمة=

هذا على عكس المفهوم الإسلامي للاختيار، حيث جعل الاختيار مشروطاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)، كما أنه ليس اختياراً عنصرياً أو عرقياً بل هو اختيار أخلاقي، غير مقصور على أمة بالذات بالمعنى العرقي للكلمة^(٢).

والوجه الآخر للمشكلة يكمن في أن الشعور بالفوقية يستلزم بطبيعة الحال نظرة دونية تجاه «الأغيار»، أي من ليسوا من اليهود. وقد طُفح التراث اليهودي الذي كتبه الحاخامات عبر القرون بأبشع عبارات الحط والترذيل والاحتقار لمن سوى اليهود، وهم «الأغيار»، وتعني (بالعبرية «غويم»، وهي صيغة للكلمة العبرية «جوى» والتي تعني «شعب» أو «قوم». وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية دون سواها... وقد اكتسبت الكلمة فيما بعد إيحاءات بالذم والقبح، وأصبح معناها «الغريب» والأغيار درجات أدناها الأكوام، أو عبدة الأوثان والأصنام، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان^(٣).

على أن نصوص العهد القديم^(٤) لا تسعف اليهود في رسم الصورة المنحطة الوضيعة للأغيار، ولا تمدهم بالأحكام المتعسفة الجائرة في التعامل معهم بالدرجة التي يمنحها لهم «التلمود». فقد لعب «التلمود» دوراً خطيراً طوال القرون في تشكيل العقلية اليهودية في

= قالت: «يد الله مغلولة» وإن الله فقير ونحن أغنياء» وإن الله استراح يوم السبت إلخ.

(١) والإيمان بالله كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٢) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. غازي السعدي (٩٩).

(٣) المرجع السابق، (٣٤).

(٤) راجع مبحث الكتب المقدسة عند اليهود في التمهيد.

نظرتها تجاه ذاتها، وفي نظرتها تجاه الآخرين، ونصوصه تنضح بالكراهة والنبذ للآخرين. وقد قام الدكتور «روهلنج» عضو هيئة التدريس بجامعة «براغ» بتشيكوسلوفاكيا بجمع معتقدات اليهود من التلمود في مؤلف باللغة الفرنسية أسماه «اليهودي حسب التلمود»، نكتطف بعض ما ورد فيه حسب ترجمة الدكتور يوسف نصر الله لكشف خبيثة الضمير اليهودي تجاه الآخرين:

• (الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب «أمي» إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية).

• (إذا ضرب أمي إسرائيلياً فالأمي يستحق الموت... وأنه لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب).

• (النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان).

• (مسموح غش الأمي، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش. لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه).

• (إن الله لا يغفر ذنباً لليهودي يرد للأمي ماله المفقود. وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب).

• (إن لحم الأميين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة. أما اليهود فإنهم تطهروا على طور سيناء. والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي).

• (إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر)^(١).

(١) انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود. (٧٣ - ١١٢)، وانظر: المسيح =

بهذه الروح العدائية الإجرامية ربى أحبار السوء من الحاخامات أتباعهم عبر القرون زاعمين قداسة هذه التعاليم، محرفين للكلم عن مواضعه، ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن جراء هذه التعاليم عاش اليهود في تجمعات خاصة مغلقة، منعزلين عن سائر البشر في جميع مناطق العالم التي تشرذوا فيها. فالتلمود، كما يقول غازي السعدي: (تعبير عن محاولة اليهودية الحاخامية التلمودية للسيطرة على جماهير اليهود وعزلهم عن بقية الشعوب)^(١). ويصف إسرائيل شاحاك^(٢) مبلغ هذه السيطرة على الفرد اليهودي: (. . . العقلية الدينية كانت تحكم تفاصيل السلوك اليهودي اليومي في كل مناحي الحياة، سواء كان ذلك بين اليهود أنفسهم أو في ما يتعلق بعلاقتهم مع غير اليهود. ولذلك كان صحيحاً تماماً، أن

= المنتظر وتعاليم التلمود لمحمد علي البار وانظر على سبيل التفصيل والربط بالواقع التشريعي لدولة إسرائيل حسب تعاليم التلمود الفصل الخامس «القوانين ضد غير اليهود» من كتاب إسرائيل شاحاك (١١٩ - ١٥٠).

(١) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (٤١).

(٢) إسرائيل شاحاك: كاتب يهودي متحرر، ولد في «وارسو» عام ١٩٣٣م، وقضى طفولته في معتقل بيلسين. وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٤٥م، وأمضى صباه في مستوطنة للمتدينين اليهود. وخدم في الجيش، ويتمتع بثقافة موسوعية عميقة بالديانة والتاريخ اليهودي، وقد اطلع على مصادر عبرية محدودة التداول لغير اليهود، رغم أن مهنته «أستاذ كيمياء». ويهاجم شاحاك التقاليد الحاخامية المستمدة من التلمود، وينتقد سياسات إسرائيل العنصرية، مما يجعل كتاباته محل استنكار المؤسسات الدينية والحكومية في إسرائيل.

انظر تقديم «غور فيدال» لكتابه: التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة (٧). مقدمة حسن خضر الذي ترجم الكتاب بعنوان: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود (٨). وانظر أيضاً: تحليل «باروخ كيم لينج» للكتاب في مجلة الدراسات الفلسطينية (٣١/ ١٨٥ - ١٨٨).

اليهودي لا يستطيع أن يشرب حتى كوب ماء في بيت غير يهودي. وقواعد السلوك الأساسية تجاه غير اليهود كانت مطبقة من اليمن حتى نيويورك^(١).

ونتيجة لهذه المعادلة الصعبة. أعني الرفض الداخلي للآخرين في الضمير اليهودي، واضطرارهم للعيش بين ظهرائهم، عانى اليهود الذلة والمسكنة والاضطهاد في المجتمعات الأوروبية والروسية، سيما بعد أن اكتشف الآخرون وعامتهم من النصارى ما تحفل به الكتب الدينية اليهودية من بذاءة تجاه المسيح ﷺ وأتباعه^(٢)، فكانوا لقمة سائغة لأعمال الهياج الشعبي في عموم أوروبا وروسيا القيصرية^(٣). وهكذا بقي اليهود بين شقي رحى طاحنين؛ القبضة الحديدية للحاخامات وقوانينهم الصارمة، والمجتمعات والحكومات المتربصة بهم. وهو جزء من العقوبة الإلهية التي تأذن الله بها لبني إسرائيل.

والآن ونحن في سياق معرفة الموقف اليهودي من «الأمميين» عقيدة وتاريخاً، لنصل من بعده إلى معرفة موقفهم من قضية التقريب بين الأديان المطروحة حالياً، نتساءل عن موقفهم من الديانتين «النصرانية» و«الإسلامية» تحديداً. يلخص إسرائيل شاحاك هذا الموقف بما يلي:

(اليهودية تكن كراهية عميقة للمسيحية مقرونةً بجهلها. وهذا الموقف تعزز بالاضطهاد المسيحي لليهود، ولكنه مستقل عنه إلى حد بعيد. فالحقيقة هي أنه يعود إلى الوقت الذي كانت فيه المسيحية ضعيفة ومضطهدة «من قِبَل اليهود في الأقل»...، وقد شارك فيه اليهود الذين لم يضطهدهم المسيحيون... ويقوم هذا الموقف السلبي المتشدد على عنصريين أساسيين:

(١) التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية. وطاة ثلاثة آلاف سنة. (٢٧).

(٢) انظر المرجع السابق (٢٨ - ٤٠). وانظر ما تقدم في التمهيد.

(٣) انظر الكثر المرصود (١٠٣ - ١٠٧).

الأول: الكراهية والافتراء البشع ضد المسيح... وفق ما ورد في التلمود، فقد أعدم المسيح تنفيذاً لحكم محكمة دينية سليمة، بتهمة الوثنية وتحريض اليهود على عبادة الأوثان^(١)، واحتقار السلطات الحاخامية. وكل المصادر اليهودية الكلاسيكية التي تذكر إعدامه، سعيده تماماً بتحمل مسؤولية ذلك، وفي القصص التلمودية لا يرد ذكر الرومان أبداً^(٢)...

الثاني: ولأسباب لاهوتية تجد جذورها في الجهل، تعتبر المسيحية، في رأي التعليم الديني، ديانة وثنية. وهذا يقوم على أساس التفسير الساذج للعقيدة المسيحية حول الثالث والتجسد^(٣)...

موقف اليهودية تجاه الإسلام، هو على العكس، ألطف نسبياً. ورغم أن النعت التقليدي الذي يطلق على محمد هو «مجنون»، فلم يكن له الوقع السيئ الذي يبدو أنه يوقعه اليوم، وهو في أي حال يشحبه حيال الألقاب الشنيعة التي تطلق على المسيح. وبالمثل، فالقرآن ليس محكوماً بالحرق كالعهد الجديد، ولكنه ليس مكرماً كما تكرم الشريعة الإسلامية المخطوطات المسيحية المقدسة^(٤). بل يعامل

(١) قد أكذبهم الله تعالى بقوله: «وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» [النساء: ١٥٧]. وقوله: «وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْتَهِ إِسْرَءِيلَ أَتَعْبُدُونَ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكٍ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» [المائدة] قاتلهم الله أنى يوفكون.

(٢) يريد الكاتب أن اليهود يتشرفون بمسؤولية قتل المسيح - بزعمهم - منفردين، دون الإشارة إلى «يلاطس» الحاكم الروماني الذي وجه بصلبه بإغراء اليهود.

(٣) الواقع أن عقيدة التثليث والتجسد لون من الشرك والوثنية المنافي للتوحيد الخالص تسربت إلى النصارى من وثنية الإغريق والرومان حين اعتنقوا النصرانية. راجع العقائد النصرانية في التمهيد.

(٤) الإسلام يكرم «الإنجيل» من حيث هو كتاب الله، ويجعل الإيمان به وسائر كتب الله أحد أركان الإيمان الستة. أما الأناجيل المزعومة وأعمال الرسل =

ككتاب عادي. ومعظم المراجع الدينية توافق على أن الإسلام ليس وثنيًا... ولذلك تأمر الهالاخاه^(١) بوجود عدم معاملة المسلمين بطريقة أسوأ من معاملة غير اليهود «العاديين»، ولكن ليس بأفضل منها كذلك^(٢).

تلك وجهة نظر كاتب يهودي، ذي ثقافة موسوعية، لا ينتمي إلى المؤسسة الدينية الحاخامية، بل إنها تناصبه العداء. أما الموقف الحقيقي لليهود من الإسلام فقد سبق بسطه في التمهيد لهذا البحث بما أغنى عن إعادته هنا^(٣).

ولا نتفق مع شاحك في تقديره لموقف اليهودية من الإسلام بأنه «الطف» نسبياً من موقفها من المسيحية، إذ أن مجرد الفارق الكمي في حجم السباب والتهم البذيئة التي تسك المسامع، وتقذي العيون في الكتب اليهودية بين المسيح ومحمد ﷺ، مرده إلى أنها دونت غالباً قبل ظهور الإسلام. كما أن اليهود نعموا بالإقامة المطمئنة بين ظهراي المسلمين في المشرق الإسلامي والأندلس، بوصفهم أهل ذمة، في حين قاسوا الأمرين، وعانوا الاضطهاد في المجتمعات النصرانية في: أوروبا وروسيا، فلا عجب أن تحفل الأدبيات اليهودية بهذا اللون من

= ورسائل بولس وغيره التي يضمها ما يسمونه «العهد الجديد» فقد دخلها التحريف والكفر والشرك، فليست محل تكريم، بل محل ذم.

(١) الهالاخاه «Halakhab» كلمة من أصل آرامي، معناها الحرفي هو «الطريق القويم» ويعرفها المؤلف: (النظام القانوني لليهودية الكلاسيكية، كما مارسه كل اليهود تقريباً منذ القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثامن عشر، وكما يحافظ عليه حتى اليوم بشكل «اليهودية الأرثوذكسية») (١١٩) فهي تشير إلى (الجانب التشريعي لليهودية) المستمد من التلمود. انظر أيضاً الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (٩١).

(٢) التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة. (١٤٨ - ١٥٠).

(٣) راجع مبحث «موقف أهل الكتاب من الإسلام» في التمهيد.

«التنفيس». والحقيقة القرآنية الثابتة أن عاطفة اليهود والنصارى تجاه بعضهم، بعضاً مقدمة عند المشاحة، على عاطفة أي منهم تجاه المسلمين. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَتَوَلَّمُ مِنْكُمُ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

وأكبر شاهد مائل على ذلك في العصر الحديث، قيام دولة إسرائيل بإعداد وإمداد من الأمم النصرانية. ولو كانوا «الطف» - كما زعم شاحك - ما اتخذوهم وغيرهم من أمم الكفر الوثنية أولياء، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة]. ومما يدل على أن موقف اليهودية من الإسلام «أغلظ» من موقفها من المسيحية، أن الاتفاق بين الدينين في أصل الإيمان بالله الواحد - خلافاً لتثليث النصارى -، والاتفاق في كثير من الجوانب التشريعية^(١)، لم يحملهم على قبول الإسلام والفرح به، بل على العكس كما قال الله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

٢ - الحركة اليهودية الإصلاحية:

والسؤال الآن: كيف تحرر اليهود في القرنين الأخيرين (١٩، ٢٠م) من ريقة الانعزال الاجتماعي والثقافي، وانخرطوا في المجتمع العالمي؟ وهل كان ذلك نابعاً عن تغيير عقدي في نظرتهم لأنفسهم وللآخرين؟

(١) تبدي الكاتبة اليهودية هافا لازاروس عجبها من (التشابه المذهل بين هذين الدينين الموحدين، والذين يعبران عن ذاتيهما عن طريق نصوص وشرع مكتوب وقانون شفوي «هالاخا والشرعة») وتسوق أمثلة متعددة لأوجه الشبه في مقالاتها: الفكر الإسلامي والفكر اليهودي. مجلة الاجتهاد (١٧٩/٢٨ - ٢٠٩).

يرى شاحاك أن ذلك تم عبر مسارين متوازيين: أحدهما نشوء فكرة الدولة المدنية الحديثة وظهورها في أوروبا على أنقاض إمبراطوريات العصور الوسطى، والثاني تدمير السلطة القانونية للجاليات اليهودية، التي يمارسها الحاخامات بصرامة على أتباعهم، ثم يتابع قائلاً: (ما أن برزت الدولة الحديثة إلى الوجود، حتى فقدت الجالية اليهودية سلطة معاقبة أو تخويف اليهودي الفرد. وهكذا انهارت روابط مجتمع محكم الانغلاق، أحد أكثر المجتمعات شمولية في التاريخ البشري. فعل التحرير جاء في الغالب من الخارج، ورغم وجود بعض اليهود الذين ساعدوا عليه من الداخل، فقد كانوا في البداية قلائل جداً...

ولكن النتائج الاجتماعية لمسار التحرير هذا تمثلت في أن اليهودي، ولأول مرة منذ حوالي ٢٠٠م، أصبح حراً يفعل ما يشاء ضمن حدود القانون المدني للدولة، من دون أن يتحول إلى ديانة أخرى ثمناً لهذا التحرير. حرية التعليم وقراءة الكتب باللغات الحديثة، وتأليف وقراءة الكتب العبرية غير المجازة من الحاخامات، «وكان هذا شرطاً لأي كتابٍ بالعبرية أو اليديش»، حرية أكل الطعام غير المعد حسب طقوس الشريعة اليهودية «Kosher non»، حرية تجاهل المحرمات السخيفة العديدة المتعلقة بالحياة الجنسية، وحتى حرية التفكير - لأن الأفكار الممنوعة من الآثام الخطيرة - كل ذلك منحت أنظمة الحكم المطلق في أوروبا رغم قساوتها ولاساميتها^(١)، لليهود في أوروبا^(٢).

(١) اللاسامية: ترجمة غير دقيقة للكلمة الأوروبية Antisemitisme التي تعني حرفياً: المذهب المعادي للسامية. أما من حيث المقصود الفعلي منها فهو «معاداة اليهود» أو «نبذ اليهود من المجتمع» أو مناهضة اليهود، لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في أوروبا. انظر: الشخصية الإسرائيلية. د. حسن ظاظا (٧٧ - ٨٣).

(٢) التاريخ اليهودي. الديانة اليهودية. وطأة ثلاثة آلاف سنة. ص ٢٧ - ٣٠.

والقلائل الذين ساعدوا على «التحرر» من داخل الأمة اليهودية هم رواد «الحركة اليهودية الإصلاحية»، الذين تمردوا على «اليهودية الكلاسيكية المحافظة» التي ظلت متحكمة في حياة اليهود حتى القرن التاسع عشر تقريباً. (ويمكن اعتبار مذهب اليهودية الإصلاحية ثمرة مباشرة لحركة الاستنارة اليهودية، ولفكر «مندلسون» على وجه الخصوص. فقد حاول مؤسسو هذا المذهب أن يصلوا إلى صيغة معاصرة لليهودية تلائم العصر، وتتخلص من آثار المطلقات التاريخية التي كانت تدور في فلكها هذه الديانة... وقد جاء في قرارات مؤتمر بتسبرج الإصلاحي ١٨٨٥م: أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله، بل هو وثيقة من صنع الإنسان. أي أنه نتاج وعي الإنسان التاريخي، وليس مطلقاً خالصاً، لا علاقة له بالتاريخ، وينوء الإنسان بحمله... وعلى المستوى الفكري أعاد الإصلاحيون تفسير اليهودية على أساس عقلي، وأعادوا دراسة «العهد القديم» على أسس علمية، ونادوا بأن الدين اليهودي أو العقيدة الموسوية، وهي التسمية الأثيرة لديهم، تستند إلى قيم أخلاقية تشابه قيم الأديان الأخرى، كما ركز الإصلاحيون على الجوهر الأخلاقي للتلمود، مهملين التحريمات المختلفة التي ينص عليها القانون اليهودي، وخاصة القوانين الخاصة بالطعام. وقد عدل الإصلاحيون بعض الأفكار الرئيسية في الديانة اليهودية، فنادى «جايجر» بحذف جميع الإشارات إلى خصوصية «الشعب اليهودي» من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وأدبه. أي أنه طالب بالتخلي عن فكرة الشعب المختار كلية. وقد حاول بعض الإصلاحيين الإبقاء على هذه الفكرة مع إعطائها دلالة أخلاقية عالمية جديدة، فجعلوا الشعب شعباً مختاراً يحمل رسالته الأخلاقية لينشرها في العالم، ويمكن لمن يشاء أن يمتنى بها. كما يؤكد الإصلاحيون أيضاً أن اليهود إنما شردوا ليحققوا رسالتهم بين البشر، وأن النفي هو وسيلة لتقريبهم من الآخرين وليس لعزلهم عنهم.

وأضفى الإصلاحيون على فكرة العودة والمسيح طابعاً إنسانياً. إذ رفض ممثلوهم في «بتسبرج» فكرة العودة الشخصية للمسيح المخلص، وأحلوا محلها فكرة العصر الماسيحياني^(١)، أي عصر يحل فيه السلام والكمال. هذا العصر سيأتي من خلال التقدم العلمي والحضاري، سيؤدي إلى خلاص كل الجنس البشري، وإلى انتشار العمران والإصلاح... ويصل البرنامج الإصلاحي بتقدمه وتاريخيته وإنسانيته الذروة في المبدأ الخامس الذي أعلنه مؤتمر بتسبرج: نحن في العصر الحديث، عصر حضارة العقل والقلب الجامعة، اقتراباً لتحقيق أمل إسرائيل «الماسيحياني» العظيم، لأجل إقامة مملكة الحقيقة والعدالة والسلام بين جميع البشر. نحن لا نعتبر أنفسنا أمة بعد اليوم، بل جماعة دينية، ولذا فنحن لا نتوقع عودة إلى فلسطين، أو عبادة قربانية في ظل أبناء هارون، ولا استرجاعاً لأي من القوانين المتعلقة بالدولة اليهودية^(٢).

واضح أن الاتجاه الإصلاحي التحرري يعني التخلي عن الثوابت العقدية، والسمات التاريخية، للشخصية اليهودية، بدءاً من تحطيم أسطورة «شعب الله المختار» بالمعنى التلمودي، وانتهاءً بتأويل «باطني»

(١) المسيحانية: Messianisme، أصل من أصول العقيدة اليهودية، تقوم على فكرة بعثة مسيح مخلص من اليهود يؤتى الملك والبركة والمعجزات، يكون بمبعثه ارتفاع غضب الرب على اليهود، وتجديد العهد معهم، وسيادتهم على جميع الشعوب، وأن عصره الماسيحياني عصر اضمحلال العداوات والبغضاء بين بني إسرائيل، وبين الذئب والحمل، والنمر والجدي، والإنسان والثعبان... إلخ. انظر: الفكر الديني اليهودي. أطواره ومذاهبه: د. حسن ظاظا. دار القلم - دمشق، دار العلوم والثقافة - بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). (٩٥ - ١٢٨). والمسيح المنتظر وتعاليم اليهود. د. محمد علي البار.

(٢) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود (١١٢ - ١١٦).

لعقيدة المسيح المخلص، التي دأبت مخيلة اليهود طوال قرون الشتات، وما يستتبع ذلك من مشاريع «الدولة اليهودية»، وحلم العودة إلى أرض الميعاد «فلسطين».

٣ - الحركة الصهيونية العنصرية:

وأياً كانت مبررات ظهور هذا الاتجاه، فقد خفت صوته أمام النبرة العالية لحركة قومية دينية عنصرية مضادة، عرفت باسم الحركة الصهيونية، سعت سعياً حثيثاً على المستويين السياسي والشعبي لإنشاء وطن قومي لليهود فوق أرض فلسطين، وعقدت أول مؤتمر لها في «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م. وأمام النجاحات التي حققتها «الحركة الصهيونية» المدعومة من الأصولية اليهودية من جهة، والدول الاستعمارية الغربية من جهة أخرى، قلص ظل اليهودية الإصلاحية بأفكارها الليبرالية^(١) الطارئة على الحس اليهودي، واضطرت إلى إجراء تعديلات توفيقية بين الاتجاهين القومي والإنساني^(٢).

قطفت الحركة الصهيونية الثمرة بإعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م. وكان أول وصف لها، كما تعرف نفسها، أنها «دولة يهودية». يقول شاحاك: (كان مبدأ كون إسرائيل «دولة يهودية» ذا أهمية فائقة لدى السياسيين الإسرائيليين منذ قيام الدولة، وقد غرس في أذهان السكان اليهود بكل الوسائل التي يمكن تصورهما. وعندما ظهرت أوائل الثمانينيات، أقلية يهودية تعارض هذا المفهوم، صدر قانون دستوري «قانون له الأولوية على أحكام القوانين الأخرى، ولا يمكن

(١) الليبرالية: Liberalism و«ليبرالي» Liberal. متحرر من التزام السنن والأشكال التقليدية إلخ. وتستعمل في الفكر والسياسة والاقتصاد والدين النصراني. «ليبرالية بروتستانتية». انظر: المورد (٥٢٥).

(٢) انظر المرجع السابق، (١١٥ - ١١٦).

إلغاؤه إلا وفق أصول خاصة» عام ١٩٨٥م، أقرته أغلبية كبيرة في الكنيست، وبموجب هذا القانون لا يجوز لأي حزب يعارض برنامجه مبدأ «الدولة اليهودية»، أو يعلن عن عزمه على تغيير هذا المبدأ بالوسائل الديمقراطية، أن يشارك في انتخابات الكنيست^(١).

ويمضي الكاتب اليهودي بعرض الممارسات القانونية للدولة اليهودية ضد غير اليهود^(٢)، كقانون «حق المساواة أمام القانون»، وقانون الهجرة ومنح الجنسية... إلخ^(٣).

والأخطر من ذلك ونحن نرصد موقف اليهود من «الأغيار» وبالتالي من قضايا «التقريب» و«الحوار»، هو السماح للحركات الدينية المتطرفة بالنمو والتنفيس عن أحقادها التلمودية في حدود قومية آمنة، بعد أن عانت مرارة «الحرمان» من ممارسة هذه المتعة الخبيثة طوال قرون الشتات.

٤ - الحركة الأصولية الدينية:

ومن أبرز هذه الحركات الأصولية اليهودية حركة: «غوش إيمونيم Gush Emunim»، أي جماعة المؤمنين. فبالرغم من انتشار جماعات

(١) التاريخ اليهودي، والديانة اليهودية، وطأة ثلاثة آلاف سنة (١١).

(٢) (وفق القانون الإسرائيلي، يعتبر الشخص يهودياً إذا كانت أمه يهودية أو جدته لأمه، أو جدة أمه يهودية، أو إذا تحول الشخص إلى اليهودية بأسلوب ترضى عنه السلطات الإسرائيلية، وبشرط أن لا يكون هذا الشخص قد تحول عن اليهودية إلى أية ديانة أخرى... ويعترف التلمود والقانون الديني اللاحق للتلمود بتحول غير اليهودي إلى اليهودية... شريطة أن يتم التحول على يد رجال دين مفوضين بذلك وبأسلوب الصحيح) المرجع السابق، (١٣، ١٤). وانظر أيضاً: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود (١٠١ - ١٠٩).

(٣) انظر المرجع السابق، (١٤ - ١٦)، (١٣٩ - ١٤٨). وانظر أيضاً: أبحاث في الفكر اليهودي: د. حسن ظاظا. دار القلم - دمشق، دارة العلوم والثقافة - بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). (١١٥ - ١١٦).

«الحريديم»^(١) في المجتمع الإسرائيلي وعنايتهم بإقامة الصلوات والطقوس الدينية، وتمسكهم الشديد بتعاليم «الهالاخا»، إلا أنهم لا يمثلون قوة سياسية منظمة ذات أهداف استراتيجية، ولا ينخرطون في العمل السياسي الديمقراطي.

لكن الحركات الدينية الأصولية^(٢) - وعلى رأسها غوش إيمونيم، تفارق سائر المتدينين بتوظيف الجوانب العقدية، التوراتية والتلمودية، لصالح مشروعها السياسي. وفي الدراسة الجادة التي كتبها إيان لوستك^(٣) بعنوان: «الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب»^(٤)، يعتبر الكاتب «غوش إيمونيم» نواة الأصولية اليهودية المنظمة، ويعرفها قائلاً: (. . . إن التعبير الأوضح والأقوى عن الميول الأصولية في المجتمع الإسرائيلي يتركز في «غوش إيمونيم». وهي منظمة تنطوي على خليط من العناصر وتضم ١٠,٠٠٠ - ٢٠,٠٠٠ داعية. أما شعارها فهو: «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بحسب تورا إسرائيل». وتعتبر هذه المنظمة، بلا شك، أنجح حركة غير برلمانية نشأت في إسرائيل منذ تأسيس الدولة سنة ١٩٤٨م. يعزى قدر كبير من نجاحها إلى علاقة التكافل الحيوي التي أقامتها مع «الليكود»، أكبر أحزاب اليمين السياسية في إسرائيل. . . .

(١) الحريديم: هم غلاة اليهود، وهي كلمة عبرية تعني «الأتقياء».

(٢) يعتبر إيان لوستك الأصولية (نمطاً من العمل السياسي يتم بعلاقة وثيقة جداً بين عقائد المراء الأساسية وبين السلوك السياسي المصمم على تحقيق تغير جذري في المجتمع). الأصولية في إسرائيل (١٠).

(٣) باحث أمريكي متخصص بشؤون إسرائيل والشرق الأوسط.

(٤) صدر هذا الكتاب سنة ١٩٨٨م باللغة الإنجليزية بعنوان:

Jewish Fundamentalism in Israel For the Land and the Lord

وترجمه إلى العربية حسني زينة سنة ١٩٩١م عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

ويجب ألا يستهان أيضاً بأهمية التفاني الذي أظهره أعضاء الحركة الأصولية عند تقويم عوامل نجاحها. فرجال غوش إيمونيم ونساؤها قد ألكوا على أنفسهم أن ينفقوا حياتهم من أجل ضمان ضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين إلى دولة إسرائيل بصورة نهائية... وهدفهم العملائي، استعجال الوتيرة التي يتم الشعب اليهودي فيها قدره. وهذا يشتمل، في نظر معظم هؤلاء الدعاة، على بسط السيادة اليهودية على أرض إسرائيل الكاملة، وفق ما جاء وصفها في التوراة، والاستعاضة من أشكال الحكم الليبرالية الديمقراطية الغربية النمط، بأشكال «يهودية أصيلة» وإعادة بناء الهيكل في القدس تنفيذاً للخلاص المسيحاني الذي قضاها الله، وإن جاء هذا التنفيذ بعد تأخير طويل. وهم يشددون على أن العمل السياسي هو الوسيلة لتحقيق التغيير السريع في المجتمع الإسرائيلي بحسب مقتضيات يهودية أصيلة إلهية المنشأ، وغير قابلة للمساومة^(١). ويرجع تأسيس هذه الحركة إلى (مدرسة دينية يترأسها صهيوني متحمس، وهي مدرسة «مركز هراب» في القدس، وهي المدرسة التي تخرج منها زعماء حركة غوش إيمونيم... وكانت المدرسة برئاسة الحاخام «تسفي يهودا كوك» النجل الأواحد للحاخام الرئيسي السابق^(٢)... إن أوائل أصحاب «القبعات الدينية المنسوجة» من خريجي مدارس «بني عكيبا»^(٣) الذين أنهوا خدمتهم العسكرية في

(١) الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الرب والأرض: إيان لوستك. ترجمة: حسني زينة. مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩١م. (١٤ - ١٥).

(٢) إبراهيم يتسحاق كوك - (أول كبير حاخامي فلسطين ١٩٢١ - ١٩٣٥، أول من قدم نظريات الصهيونية الدينية التي تشكل الأساس الأيديولوجي للأصولية اليهودية العصرية) الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٣) بني عكيبا أو عكيبا: حركة شبابية تابعة للحزب الديني القومي، اعتنت ببناء المدارس الدينية.

منتصف سنوات الخمسين، قد بحثوا عن مدرسة دينية ليتمكنوا فيها من مواصلة دراستهم العليا، وكانت مدرسة «مركز هراب» هي المكان الذي يناسب خلفيتهم الثقافية والسياسية... لقد نشأت علاقة عميقة وفريدة من نوعها بين الحاخام تسفي يهودا كوك والشبيبة الدينية الوطنية^(١).

إن هذا الحاخام يعتبر بحق (زعيم دعاة غوش إيمونيم، ومرشدهم الروحي، ذو الجاذبية الشخصية؛ مدير مركز هاراب حتى وفاته في سنة ١٩٨٢)^(٢).

وقد غرس في نفوس أتباعه فكرة التعصب الأعمى لأرض إسرائيل الكاملة.

ومع احتدام الجدل حول مصير الأراضي العربية المحتلة إثر حرب الأيام الستة في حزيران ١٩٦٧ «قطاع غزة، والضفة الغربية وهضبة الجولان»، أطلق الحاخام تسفي يهودا كوك بياناً صدره بالعبارة التالية «لن تقيموا»، جاء فيه: (إن هذه البلاد لنا، ولا توجد هنا أية مناطق عربية وأراضي عربية، بل أراضي إسرائيل تراث الآباء الخالد، وهي في جميع حدودها الواردة في التوراة تابعة للحكم الإسرائيلي)^(٣).

وقد قام الكاتب الأميركي «إيان لوستك»، في دراسته المشار إليها آنفاً، بتحليل «النظرة الأصولية اليهودية إلى العالم» من خلال تأمل أفكار الحاخام تسفي يهودا كوك واثنين من كبار تلامذته في قيادة «غوش

(١) غوش أمونيم: الوجه الحقيقي للصهيونية: تأليف داني روبنشتاين. ترجمة غازي السعدي دار الجليل. ط ١٩٨٣ (١٣).

(٢) الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٣) انظر: «غوش أمونيم، الوجه الحقيقي للصهيونية» (١٨).

إيمونيم» وهما: الحاخام مناحم كاشر^(١)، وهارولد فيش^(٢)، وخلص إلى أن الفكر الأصولي اليهودي يقوم على عقائد سبع أساسية، تدور حول المسائل التالية:

أولاً: خروج الشعب اليهودي عن المألوف: خلافاً للحركة الصهيونية التي رأت أن حل المشكلة اليهودية، يستند إلى القناعة الجريئة بأن العداء لليهود يمكن أن يزال نهائياً إذا ما منح اليهود فرصة لأن يكونوا شعباً سوياً... عبر «فيش» بعبارات فريدة في صراحتها عن قلب غوش إيمونيم هذه المسلمات الصهيونية الأساسية رأساً على عقب. فيقول: إن فكرة (أن الأمة اليهودية أمة سوية، وأنه ينبغي لما يسمى بالمجتمع الدولي أن يعاملها من حيث هي كذلك... هي الوهم الأصلي الذي توهمته الصهيونية العلمانية).

فاليهود ليسوا شعباً سوياً، ولا يمكن أن يكونوا كذلك، بل إنهم في الحقيقة شعبٌ غير سوي بصورة لا رجعة عنها. وإن فريدة اليهود الأبدية، ناتجة عن العهد الذي أقامه الله معهم في جبل سيناء...

فالأصوليون يتبنون فكرة أن اليهود «عم سفولا» شعب مختار، أو شعب عزيز... ويترتب على كونهم مختارين أن المقتضيات المتعالية التي يجب على اليهود الاستجابة لها تلغي القوانين الخلقية التي تقيد سلوك الأمم السوية... يقول شلومو أفينر^(٣): (لقد كنا على خطأ، من

(١) حاخام، عالم في الدين. مؤلف The Great Period «الحقبة العظمى»، معروف في دوائر الأصوليين بتحليله للحقبة المعاصرة، واعتبارها حقبة الخلاص. الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٢) مؤلف، رئيس جامعة بار - إيلان سابقاً - الجامعة الدينية الوحيدة في إسرائيل الأصولية اليهودية (٢٠٥).

(٣) حاخام مستعمرة بيت إيل في جوار رام الله؛ محرر دورية «أنوري كاهانيم» التي تصدرها يشيفا تاج الكهنة في مدينة القدس القديمة. الأصولية اليهودية (٢٠٣).

وجهة نظر الأخلاق الإنسانية، في «انتزاعنا الأرض» من الكنعانيين^(١). إن هناك سراً واحداً فقط. لقد أمرتنا مشيئة الله أن نكون شعب أرض إسرائيل). هكذا، إذا ترفض الأصولية اليهودية نهائياً الصورة التقليدية التي روجتها الصهيونية عن اليهود كشعب سوي يتقيد ويكافأ بحسب القوانين، ومبادئ تقرير المصير القومي عينها المطبقة على الأمم الأخرى.

ثانياً: معنى المقاومة العربية لإسرائيل: إن صورة الفلسطينيين من حيث هم هالكون في مقاومتهم الانتحارية للحكم اليهودي في أرض إسرائيل، تقابل تصنيفاً أعمق جذوراً لهم. فحاحامو غوش إيمونيم ومنظروها ينظرون إلى المواطنين العرب عادة باعتبارهم «كنعانيين» أو «بني إسماعيل»، ويسترجعون الشروط التي عرضها «يشوع بن نون»^(٢) على الكنعانيين قبل غزوه بلادهم، أو الأوضاع التي دعت إبراهيم إلى طرد إسماعيل^(٣)، عندما يفكرون في تقرير السياسة الملائمة للأوضاع الحالية. فمن ذلك أن الحاحام تسفي يهودا استشهد بابن ميمون^(٤) على

(١) يعبر اليهود عن الفلسطينيين بـ«الكنعانيين» أو «أولاد إسماعيل».

(٢) أول أنبياء بني إسرائيل بعد موسى ﷺ. تولى قيادة بني إسرائيل، وحصلت على يديه الفتوحات والملاحم القتالية. ويعرف في المصادر العربية باسم «يوشع»، انظر أخباره في العهد القديم، سفر يشوع (٤١٧ - ٤٦٢).

(٣) يزعم اليهود في العهد القديم أن إبراهيم طرد هاجر وابنها بناءً على رغبة سارة. والنص القرآني يدل على عكس ذلك، وأن إبراهيم ﷺ استجابة لأمر الله أسكن هذا الفرع من ذريته مكة تكريماً له: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

(٤) موسى بن ميمون: القرطبي (٥٢٩ - ٦٠١ هـ - ١١٣٥ - ١٢٠٤ م) طبيب، فيلسوف يهودي رحل إلى مصر إبان حكم الأيوبيين، وكان رئيساً لليهود، وطبيباً لصلاح الدين. ويعد من عظماء علماء اليهود. وله مؤلفات كثيرة في الملة اليهودية. انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٩/٧ - ٣٣٠).

أن الكنعانيين خيروا بين ثلاثة: الفرار، أو القبول بالحكم اليهودي، أو القتال. وهذه هي الخيارات التي يقترح أن يختار منها اليهود في اتخاذ موقفهم من العرب الفلسطينيين. لقد أدى اختيار معظم الكنعانيين القتال طبعاً، إلى القضاء عليهم. والمصير نفسه ينتظر السكان غير اليهود الذين يختارون الوقوف في وجه إقامة السيادة اليهودية على الأرض كلها...

ثالثاً: عزلة إسرائيل الدولية كدليل على اختصاص الشعب اليهودي بكونه مختاراً:

إن الوصف التوراتي لعلاقة الشعب اليهودي بشعوب الأمم، والذي يستشهد أنصار غوش إيمونيم به في معظم الأحيان، هو ذاك الوارد في العهد القديم في سفر العدد «الإصحاح ٢٣: ٩»: «هو ذا شعب يسكن وحده، وبين الشعوب لا يحسب». وهذا يعبر عن اعتقاد راسخ بأن التمييز، الوحيد تقريباً، الذي يستحق الذكر بين الجماعات البشرية هو ذاك القائم بين اليهود والأمم. ولذلك يؤول الأصوليون ما ترمي جماعة أمم الأرض به دولة إسرائيل من ازدراء متهور، بأنه بيّنة إضافية على مصير الشعب اليهودي الإلهي الخاص - وهذه في مذهب فيش «علامة لاهوتية على انتقائه»... إن مفهوم التضاد الجوهرى بين اليهود والأمم يحتل مركز الصدارة في الفكر الأصولي. يقول أفينر: (لقد خبرنا معارضة الغوييم لدولة إسرائيل حتى من قبل قيامها. والعداء الذي تبديه شعوب الأرض للشعب اليهودي لم يزل موجوداً على مدى التاريخ. ومثل هذا العداء لم يبد إزاء أي شعب آخر... وأصل هذا النوع من العداء هو، في التحليل الأخير، أن قيمنا الخلقية تتعارض والأساس الذي تبني شعوب الأرض حيواتها عليه. فنحن في جوهرنا ننفي مُثُلها. ولئن كنا على حق فهذا يعني أن أسس حيواتها قد قوضت. نحن لا نية لنا في إيذائها، إلا أننا ننفي طرائق حيواتها، وهذا ما يحملها على معاداتنا)...

بينما كانت الصهيونية الكلاسيكية ترى أن معاداة السامية ستتلاشى شيئاً فشيئاً مع إنشاء دولة سوية لأمة يهودية سوية، تجد أن الأصولية اليهودية تتوقع أن يستمر اضطهاد اليهود والدولة اليهودية استمراراً لا يقبله العقل، حتى بلوغ عملية الخلاص ذروتها.

رابعاً: استحالة التوصل إلى السلام بالمفاوضات: ... ثمة نوعان من السلام ممكنان في هذا المنظور: الأول: سلامٌ عابر يستند إلى إدراك العرب والعالم قوة إسرائيل. وهذا النوع من السلام لا يستطيع أن يدوم إلى الأبد لأنه لا يعني أن العرب قد تخلوا عن تدمير إسرائيل، إلا أنه يمكن أن يصاب من دون مفاوضات تنطوي على تنازلات إقليمية أو سياسية... أما النوع الثاني من السلام، «السلام الحقيقي»، فهو الذي سيصاحب إتمام إسرائيل وراثتها بالكامل، ويسبق مجيء المسيح ليسود شعب إسرائيل المجتمع شمله. ومن جملة عملية الخلاص هذه أن الأمم كلها «ستعترف، اعترافاً عجائياً بالحقيقة التي تقع على إسرائيل مهمة نشرها في العالم، رسالة العدل والسلام التي يكون الجبل المقدس^(١) رمزها الظاهر» كما يقول فيش...

خامساً: الأهمية الأساسية لأرض إسرائيل: إن شعار غوش إيمونيم شبه الرسمي هو: «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بحسب تورا إسرائيل... فالعهد بين الله واليهود، فيما يرى فيش هو عهد بين أطراف ثلاثة: «والعهد قائم على علاقات ثلاثية: الله والأرض والشعب. فالأرض مقدسة لأن الله اختارها مقاماً له، واختار أن نقيم معه عليها... لذلك يعلق منتقدو غوش إيمونيم من اليهود الأرثوذكس^(٢) غالباً على نزوع الأصوليين إلى «الوثنية» في اعتبارهم

(١) الجبل المقدس أو جبل الهيكل، يريدون به موقع المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.

(٢) اليهودية الأرثوذكسية: (من أهم المذاهب اليهودية في العصر الحديث، وهي =

إرتس إسرائيل «أرض إسرائيل» القيمة الأسمى في الحياة اليهودية.

سادساً: التاريخ الحاضر من حيث هو تحقيق لعملية الخلاص: التاريخ عند الأصوليين اليهود، هو وسيلة اتصال الله بشعبه. والحوادث والاتجاهات السياسية تنطوي على رسائل تمدهم بالتعليمات والتأنيبات والثوابات...

وتتجلى هذه المقاربة العامة للعلاقات التي تربط التاريخ والعمل السياسي بالفهم المتميز المتاح للنخبة الأصولية تجلياً واضحاً في المغازي التي يستبينونها من ثلاثة حوادث أساسية: المجزرة الجماعية، وحرب الأيام الستة، وحرب يوم الغفران.

يصف هارولد فيش المجزرة التي لقي ستة ملايين يهودي فيها حتفهم، على أيدي النظام النازي في ألمانيا، في إبان الحرب العالمية الثانية^(١) بأنها تأديب من الله - «أمر كتب بالدم على تراب أوروبا»، وقد

= تعد رد فعل للتيارات الاستنارية والإصلاحية بين اليهود. وتزعم هذه الحركة الحاخام «سمسون هيرش» الذي انتقد اليهودية الإصلاحية لأنها تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية في مبادئ مستعارة من غير اليهود تطبقها على الإنسان وحرته... وتدافع اليهودية الأرثوذكسية عن كل المقولات اليهودية التقليدية والأساطير القديمة بكل بساطتها ومجافاتها لحقائق التاريخ والواقع...

وتسيطر اليهودية الأرثوذكسية على الحياة الدينية في إسرائيل؛ فهي تسيطر على دار الحاخامية الرئيسية، وعلى وزارة الشؤون الدينية، وأيضاً على الأحزاب الدينية).

نقلاً عن: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (١١١ - ١١٢).

(١) تعرف هذه الحادثة باسم «الهولوكوست» وتعني الإبادة الجماعية أي - حسب قاموس لاروس: «الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها». وقد دأب اليهود على النياح والتباكي على ضحايا هذه الحادثة، واستندار عطف الرأي العام العالمي تجاه اليهود في المحافل الدولية. ويعتبر الكاتب الفرنسي=

علم الله بها شعبه أن التحرر الذي علّق كثيرون من اليهود عليه آمالهم بمستقبل من المساواة في أحضان أوروبا الديمقراطية الليبرالية، لا يمكن أن يتيح لهم مهرباً من أعباء العهد المأخوذ عليهم... ولهذا ينظر إلى المجزرة على أنها طريقة الله لإكراه شعبه المختار على العودة إلى أرض الميعاد...

ويدمج كاشر التفسيرات المتطورة للمصادر التوراتية والتلمودية في التأويلات المفصلة لحروب إسرائيل، سعياً لتحديد المرحلة التي بلغت فيها عملية الخلاص تحديداً دقيقاً. فهو يميز بين المسيح ابن يوسف الذي سوف يستوطن الأرض ويحقق الانتصارات، ثم يخفق في سعيه للخلاص، إذ يهزم بحرب يأجوج ومأجوج، وبين المسيح بن داود الذي سوف يقود من بعده إسرائيل والعالم، وبصورة معجزة، إلى الخلاص الكامل^(١). لذلك كان كاشر، ومثله معظم الأصوليين، ينظرون إلى الحروب العربية - الإسرائيلية جزءاً من فترة المسيح ابن يوسف التي «تتبرق المعجزات فيها ببرق الحوادث الطبيعية» كما يقول كاشر... وقد كان كاشر يأمل بأن تكون خسائر اليهود من الأرواح في حروب

= «روجيه جارودي» هذه الدعوة أسطورة كاذبة أو مبالغاً فيها نسجت خيالات اليهود دون أدلة حقيقية، مما أدى به إلى المثل أمام القضاء الفرنسي بسبب آرائه الجريئة هذه، بتهمة معاداة السامية. انظر كتابه: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية (١٣٩ - ١٥١).

(١) الحقيقة التي دلت عليها الأحاديث النبوية في الفتن والملاحم آخر الزمان أن اليهود يتبعون - المسيح الدجال - الذي يأتي بالخوارق، ويكون هلاكه، على يد المسيح عيسى عليه السلام الذي ينزل في آخر الزمان، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ولا يقبل إلا دين الإسلام. وفي عهده أيضاً يكون هلاك يأجوج ومأجوج. انظر الأحاديث في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة من ٢٢٤٧ إلى ٢٢٦٨. وانظر: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. د. محمد علي البار (١٠٣ - ١٥٢).

١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ كافية من أجل اعتبار حرب يوم الغفران، الحرب الثالثة والأخيرة من حروب ياجوج ومأجوج، وإلا فلإنها ستكون، فيما زعم، أولى الحروب الثلاث، وعليه فقد توقع أن تنشب حروبٌ أشد هولاً قبل ظهور المسيح ابن داود...

وأيّاً تكن دلالة حرب الأيام الستة وحرب الغفران بالنسبة إلى جدول الخلاص، فالمسلمة الغالبة هي أن الحوادث كلها تنم عن إرادة الله، وأن مركز اهتمامه في العالم هو تدبير خلاص إسرائيل أرضاً وشعباً، وتحقيق ذلك الخلاص...

سابعاً: إيمان اليهود وتفانيهم، كعالمين حاسمين: ليس الأصوليون اليهود قديرين^(١)، على الرغم من الدور الغالب الذي يبدو أن الله يقوم به في تشكيل التاريخ البشري، فدعوتهم إلى التعبئة السياسية المتواصلة تستند إلى نظرة تعدّد الشعب اليهودي عوناً لله^(٢) في عملية «تكون عوالم» «إصلاح العالم». وهي عملية ستبلغ ذروتها في الخلاص التام، وإقامة المملكة المسيحانية...

إن من شأن «الصهيونية الأوفى، تلك التي تنطوي على سر القداسة وحلم الخلاص»، أن توفر لليهود إسرائيل ما يحتاجون إليه من قوة للبقاء في وجه عالمٍ معادٍ وغير مخلص. ويستلزم تجديد هذا

(١) قديرين هنا بمعنى جبريين، خلافاً للاستعمال الاصطلاحي الأشهر في إطلاق لفظ «قدرية» على نفاة القدر. على أنه يستعمل بقلّة لدى الإسلاميين في غلاة المثبة «الجبرية» كما استعملها الكاتب هنا، نافياً هذا الوصف عن الأصوليين اليهود.

(٢) يكثر استعمال مثل هذه التعبيرات النابية في حقه سبحانه وتعالى في كتابات اليهود والنصارى. ولا غرابة فإن القوم ما قدروا الله حق قدره. ﴿قُلْ أَدْعُوا إِلَهُي رَبِّي رَبِّ الْوَالِدِينَ﴾ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمَا فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٧٣﴾ [سبا].

الإيمان خروج يهود إسرائيل العلمانيين من «الأزمة الروحية المعقدة» التي ما زالت تلم بهم، وعودتهم إلى فهم لاهوتي ملهم لمهمة الصهيونية، هذا إن لم يعودوا إلى اليهودية الأرثوذكسية. ولا بد من النأي عن الحسابات السياسية ذات العمق التحليلي الزائف، والإقبال على إيمانٍ أنقى وأبسط، بما قُدِّرَ للشعب اليهودي من قَدَرِ السيادة على أرض إسرائيل كلها، والوفاء، عبر ذلك، بشروط عهده مع الله. وهذا يستلزم التخلي عن «التشبه الرخيص بثقافة الغرب»، وتجاهل «الرأي العام العالمي». وما من زعيم أصولي يهودي كان أوضح من الحاخام تسفي يهودا في التشديد على أهمية العمل والإيمان اليهوديين، وعلى ضرورة التصدي لأي نفوذ أو تأثير أجنبي من قبل الأمم في صوغ السياسة القومية اليهودية أو تطبيقها...

وهكذا فإن دعوات الأصوليين اليهود إلى بذل المزيد من الجهود والتضحيات تختتم، في معظمها، بالتذكير بأن تحقيق كلمة الله «أو مقتضيات القدر اليهودي» بنجاح هو «تالوي بَنُو» «متوقف علينا».

إن هذا الربط الوثيق، كما بينا في البداية، بين ما يُعدُّ من المقتضيات المتعالية، وبين ما يدرك على أنه من الواجبات السياسية الشخصية، هو الإمارة المميزة للنظرة السياسية الأصولية^(١).

تلك نتائج دراسة جادة، وليست تغطية صحفية، لباحث أكاديمي أمريكي، وليس لمؤلف عربي مسلم يمكن أن يوصف بالتحامل، استغرقت عدة أعوام، وليست وصفاً مستعجلاً، مبنية على معاينة على أرض الواقع المعاصر، وليست دعاوى يحلو لبعض الناس اعتبارها «تهويلات» خيالية من صنع اليهود، وأخيراً (هذا الكتاب أصلاً دراسة

(١) الأصولية اليهودية في إسرائيل. الفصل الرابع (٨٥ - ١٠٤). باختصار وتصرف يسير.

أعدت، بموجب عقد، لبرنامج دعم البحث الأكاديمي في مجال الدفاع التابع لوزارة الدفاع في الولايات المتحدة^(١) كما جاء في مقدمته، فهو قد كتب لجهة مسؤولة تعتمد الدقة والتحري في رصد الاتجاهات المختلفة.

والذي دعانا لهذا الاستطراد هو الرغبة في استكمال جوانب الموقف الأصولي اليهودي المتنامي في المجتمع الإسرائيلي، وجذوره أو فروعه في بلدان الشتات «الدياسبورا». وهو يمنحنا تصوراً جازماً عن رفض هذا الضرب من اليهود مجرد التفكير في دعوة التقريب بين الأديان، سواء من الإسلام أو من النصرانية. فاليهود يملكون «الحق المطلق»، في نظرهم، والآخرون من الأمميّين لا يملكون حتى الحق النسبي، لأن القضية عند هؤلاء الأصوليين مبنية على الاختيار الإلهي لشعب إسرائيل، موثق بعهد أزلي وأبدي لهذا الشعب الفريد، غير السوي، وخصومه يسيرون نحو الفناء، ولا مجال للمفاوضات السلمية لتحقيق السلام، بل هي ضربٌ من العبث ومصادمة القدر الواعد بمجيء المسيح المخلص ومملكته التي تنشر السلام الحقيقي، حيث تعترف الأمم كلها اعترافاً عجائبيّاً بمكانة إسرائيل. والتاريخ بأكمله ومجرياته المتنوعة والمتضادة، هو ستار لعلاقة إله إسرائيل بشعب إسرائيل. وسائر شعوب الأرض لا تعدوا أن تكون أدوات مجردة، أو هوامش وتعليقات على النص اليهودي التاريخي. وهذه النظرات يجب أن تثمر في ضمير الفرد اليهودي المزيد من الإيمان والتفاني، وعدم الاكتراث بآراء الأغيار ومصالحهم، في سبيل التهيؤ للمخاض المنتظر الذي سيجلب المسيح المخلص.

إن هذا النمط من التفكير الأهوج، ينفي ويستبعد أدنى خاطرة

(١) المرجع السابق، (٢).

للحوار مع المخالف في المسائل العقدية، أو محاولة البحث عن القيم المشتركة كما تصنع النصرانية المعاصرة. بل إن الأمر يتجاوز ذلك عند هؤلاء المتزمتمين إلى إجراءات عملية تمثلت في:

١ - إقامة مستوطنات في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان، دون موافقة السلطات الرسمية. وقد تجاوز عددها حتى مطلع التسعينيات مائة وثلاثين مستعمرة^(١).

٢ - القيام بأعمال إرهابية لترويع السكان المسلمين بهدف تهجيرهم. ففي الفترة من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٨٤ على سبيل المثال (أوردت الصحف الإسرائيلية في تلك الفترة أنباء ٣٨٠ اعتداء على الأفراد قتل فيها ٢٣، وأصيب ١٩١ إصابات بليغة، وخطف ٣٨. وقد شنت مئات الاعتداءات الأخرى على الممتلكات - سيارات ومنازل ومتاجر - كما أحصى واحد وأربعون اعتداء على المؤسسات الإسلامية والمسيحية)^(٢).

هذا فضلاً عن التهديدات العلنية التي يطلقها هؤلاء المتعصبون بطرد العرب واحتقارهم، من جنس: «العربي الجيد هو العربي الميت»، «لا ثقة بالعرب حتى بعد موتهم بمائة عام»، ووصفهم بأنهم كلاب وقتلة ومحتلين... إلخ^(٣).

٣ - المحاولات المتكررة لنسف المسجد الأقصى بالمتفجرات: في: مايو ١٩٨٠، مارس ١٩٨٣، يناير ١٩٨٤. وأخطر هذه المحاولات المؤامرة التي أعدتها جماعة من دعاة غوش إيمونيم بين سنتي ١٩٧٨ - ١٩٨٢م^(٤).

(١) الأصولية اليهودية: (١٥).

(٢) الأصولية اليهودية: (٧٨).

(٣) غوش إيمونيم: الوجه الحقيقي للصهيونية (٤٩ - ٥١).

(٤) انظر تفاصيل ذلك في الأصولية اليهودية (٧٩ - ٨٢).

٥ - الحركة اليهودية التقريبية:

أما على الجانب الآخر، جانب الداعين إلى الحوار والتقارب من اليهود، فلا نكاد نعثر على شيء يذكر، خلافاً للنصارى، سوى كتاب مهم نشره اتحاد الجمعيات اليهودية (UAHC) بنيويورك، في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣ عنوانه:

(شالوم/السلام أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية):

(SHALOM = SALAAM A Resource For Jewish - Muslim Dialogue).

قام على إخراجه كل من: الحاخام جاري م. بریتون - جرانتور، مدير قسم شؤون ما بين الأديان، ومدير مشارك لجنة العمل الاجتماعي لليهودية الإصلاحية باتحاد الجمعيات الأمريكية اليهودية UAHC، والحاخام أندريال. ويس في القسم المذكور. والكتاب يتكون من قسمين:

أحدهما: قاعدة نظرية في قضية الحوار، تضم سبع مقالات، خمسة منها لليهود، والباقيين لمسلم ونصراني.

الثاني: برامج عملية ثمانية مقترحة لتطبيق عملية الحوار، من خلال لقاءات أفراد من الطائفتين.

ففي مقدمة الكتاب تحدد الأهداف، وتشرح طريقة التنفيذ:

أ - الأهداف: يقرب هذا الكتاب العلاقات بين اليهود والمسلمين، من ناحيتين: التربية والمشاركة. والمقالات تمثل تمهيداً للحوار بين اليهود والمسلمين وتوضح جذور العلاقات اليهودية المسلمة... وأما البرامج، فالمقصود منها تحقيق عدة أهداف أساسية، ألا وهي تلقين المشتركين معلومات حول الإسلام وحول الديانة اليهودية، وإقامة علاقات بينهم على المستوى الفردي والجماعي.

ويستهدف شكل مستوى البرنامج إنجاز هذه الأهداف بإتاحة الفرص العديدة للمشاركين كي يتبادلوا معرفة الأعراف الدينية لكل منهم، كي يسهل عليهم أن يشارك بعضهم بعضاً في المصاعب، وفي الأعياد الخاصة بحياتهم الدينية... ويرسي كل برنامج الاحترام والثقة والصداقة، ويحقق فهماً أوسع، وإحساساً أعمق لما ينطوي عليه معنى أن يكون الإنسان أمريكياً مسلماً، أو أمريكياً يهودياً.

ب - الانطلاق: الخطوة الأولى من أجل إقامة الحوار، واضحة كل الوضوح؛ ألا وهي تجميع فريق من المهتمين بالحوار من المسلمين واليهود. بالإضافة إلى الاتصال بالمنظمات الدينية المواتية في منطقتكم...

ولقد حرصنا عند وضع هذا الدليل أن يجري الحوار بأيسر الطرق الممكنة. فلا يتحتم أن يكون اليهودي أو المسلم عالماً من علماء الدين لكي يعمل بالبرامج. ولا أن يكون البحث المطلوب على نطاقٍ يتجاوز الحدود. وإنما يكفي لإنجاز البرامج أن يكون مستوى إعداد المسلم واليهودي معتدلاً.

وعلى المسؤولين قبل الحلقة الأولى أن يحددوا تواريخ اللقاءات، وأن يعدوا عدة جداول توضح تاريخ وموضوع ومكان كل حلقة، «لتوزيعها في أول لقاء»، وإن أمكن أن يكون مكان اللقاءات متبادلاً بين المعبد والمسجد.

وينبغي قبل البرنامج الأول أن يحصل المشاركون على نسخ من هذا الكتاب، وأن يقرأوا المقالات الأربعة^(١) الأولى لكي تساعد في إعداد المشاركين للحوار. (بينما تدخل المقالات الأخرى في البرامج الأخيرة)^(٢) ثم أشار إلى أن البرنامج الثاني يتطلب عرض شريط فيديو

(١) هكذا في الأصل. والصواب: «الأربع».

(٢) مقدمة شالوم/السلام. أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات =

بعنوان «إبراهيم وذريته»، من إنتاج جهة يهودية بنيويورك.

نحن أمام مشروع حوارى يتسم بالفاعلية والبساطة، يخاطب الطبقة المتوسطة من المنتسبين للديانتين، وهي الطبقة الأكثر عدداً، في الولايات المتحدة الأمريكية، فليس حوار النخب المتخصصة، ولا الجهات الدينية ذات الصلة المرجعية. والوصف المشترك بين الجانبين أنهم مواطنون أمريكيون. أما الجهة المشرفة على المشروع فهي يهودية صرفة: (اتحاد الجمعيات الأمريكية اليهودية) UAHC Union Of American Hebrew Congregation.

ويمثل خطة قابلة للتنفيذ في أي موقع، مما يكفل له الانتشار عند توفر المتحمسين للفكرة من الطرفين.

ولما كان هدفه المعلن تقريب العلاقات بين اليهود والمسلمين، في التربية والمشاركة، جاءت برامجه العملية طافحة بصور المجاملات والمشاركات وإبراز أوجه التماثل كما سنعرض لاحقاً. وفي سبيل التعرف على الأهداف الحقيقية غير المعلنة سنقوم بتحليل المقالات اليهودية في هذا الكتاب.

١ - «الحاجة إلى حوار بين المسلمين واليهود»: عنوان مقالة الحاخام جاري م. بریتون - جراناتور، أحد معدي الكتاب، ومدير قسم شؤون ما بين الأديان في اتحاد الجمعيات الأمريكية اليهودية. وقد استهله بالاعتراف بعيش الطائفة اليهودية زمناً طويلاً جداً، ١٣٠٠ عام، في ظل مفاهيم خاطئة، ومعلومات غير صحيحة، عن طائفة المسلمين.

= المتحدة الأمريكية: الحاخام: جاري م. بریتون جراناتور، والحاخام أندريا ل. ويس. ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تعليق: أحمد علي الكردي، تقديم: فتحي محمد حجازي. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع. الاسكندرية - مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٥م. (٤٨ - ٤٩).

بالإضافة إلى نسيان ما بينها من تاريخ مليء بالمشاركة الإيجابية والعميقة^(١).

ومن بين صور الجهل والخطأ، كما مثل الكاتب «أنا نسمع كثيراً عبارة «مسلم» وعبارة «عربي» ونستخدمها بمعنى واحد، إلا إنه من الجدير بالذكر أن العرب لا يمثلون سوى عشرين في المائة من العالم الإسلامي. وبالفعل كم نعرف نحن اليهود عن العالم الإسلامي؟ إننا نسمع كلمات مثل «الجهاد» و«رمضان»، ولكن هل نعرف معناها الحقيقي؟ وإلى أي مدى تقتحم المناورات السياسية الخاصة بالشرق الأوسط علاقات كان في الإمكان أن تتوثق وأن تثمر؟ هذه هي المفاهيم الخاطئة التي ينبغي أن نبدأ اليوم في تبديدها. إن هذا النقص في المعرفة هو الذي يتعين علينا أن نستكمله بالتربية والحوار. هنا، واليوم، يجب إزالة القضايا السياسية التي تقف عقبة في طريق علاقات جديدة مع إخواننا المسلمين والمسلمات. إنه يجب أن نلزم أنفسنا بالمضي معاً في هذا الطريق. ألسنا كلنا ذرية أب واحد لإله واحد؟^(٢). ويعنى الكاتب بإبراز صور التشابه بين الديانتين على أنها لون من التأثير المتبادل، في العقيدة والشريعة، لا على أنها دليل على وحدة المصدر. وبالتالي فالدين المتأخر زمنياً لا بد أن يكون نصيبه من التأثير - لا سيما في الأصول - أعظم من نصيبه في التأثير - وسيكون بطبيعة الحال في الفروع - وهو ما يجنح إليه الحاخام.

والحق الذي لا مرية فيه أن ما يوجد من نقاط تشابه أو تطابق مرده إلى أن القرآن نزل مصداقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَّا أَلْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) انظر شالوم - السلام، (٥٠).

(٢) المرجع السابق، (٥٠، ٥١).

ويختتم مدير قسم شؤون ما بين الأديان في اتحاد الجمعيات اليهودية الأمريكية مقالته بالقول: (إن خطوتنا الأولى من أبسط ما يكون، هي أن نفتح أبوابنا، وأن نمد أيدينا، وأن نستقبل إخوتنا المسلمين والمسلمات بالترحاب. وعندئذ علينا أن نتعلم ما يتعلق بالعالم الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، وأن ندخلها إلى تراثنا الغني. ومعنى هذا أن نتعلم أعيادهم وتقويمهم وتعاليمهم الأولية وآمالهم الدينية، وأن نطلعهم كيف نمارس عقيدتنا وأعيادنا وتقويمنا وتراثنا. وكلما تفحصنا أوجه التشابه، وأدركنا وقدرنا أوجه الخلاف، كلما وجدنا اهتماماتنا المشتركة، وتعرفنا على ما يؤدي به بعضنا البعض. وبعد أن تكون هذه المهام قد وضعنا بكل معناها على الطريق فعندئذ فقط يمكننا أن ندخل المسائل السياسية في الحوار. إذ بدون هذا الشرط الأساسي - ألا وهو الفهم المتبادل لتراث كل منا - فإن المناقشات السياسية قد تنتهي إلى كلامٍ منمقٍ وغوغائية.

يحدونا الأمل أن يؤدي استخدام هذا الكتاب إلى قيام الحوار بين الأمريكان المسلمين والأمريكان اليهود. ونصلي من أجل أن يقرب هذا المشروع بيننا وبين إخوتنا المسلمين والمسلمات، وبالتالي يؤدي إلى إيجاد عالم أكثر سلاماً وانسجاماً، وهو العالم الذي أمرنا الله الواحد بأن نحققه^(١).

ونظراً للصفة الدينية التي يمثلها الحاخام جاري م. بریتون - جرانتور نبادر باستخلاص النتائج التالية التي ربما تكون أساساً لتوجه معين لدى بعض الاتجاهات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية ودول الشتات:

١ - اللغة التي يتحدث بها لغة مسالمة، ذات أبعاد إنسانية تختلف

(١) المرجع السابق، (٥٤).

تماماً عن لغة الأصوليين السياسيين في إسرائيل، والأصوليين الأرثوذكس المتعصبين لتعاليم التلمود. ويمكن تصنيف هذا الطرح ضمن المدرسة اليهودية الإصلاحية ذات الأصول التنويرية، التي سبق الحديث عنها.

٢ - الاستعداد للحوار الديني وفق الأطر التي أرساها النصارى بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، وتحت شعارات اكتشاف الآخر، والتعرف على تراثه، بل ومشاركته فيه، والتخلص من أحقاد الماضي وأخطائه، والسعي نحو السلام... إلخ.

٣ - هيمنة الهاجس السياسي المتعلق بإقامة دولة إسرائيل، على مشروع الحوار، فرغم المحاولات الذكية بالحيدة عنه، والتعبير عنه بـ«القضايا السياسية في الشرق الأوسط»، واعتبارها عقبة في طريق بناء العلاقات مع المسلمين، إلا إنّ الحاخام يعجبه أن يكتشف أن العرب لا يمثلون سوى عشرين في المائة من العالم الإسلامي. ومع أنه في بادئ الأمر يرغب في تنحية هذه العقبة وتجاهلها لكنه بعد أن يتأهل الجانبان بالفهم المتبادل، وبعد أن تكون هذه المهام قد وضعتهما على الطريق - على حد تعبيره - يستدعي المسائل السياسية إلى الحوار حينذاك.

٢ - أما الحاخام أندريا. ل. ويس المشارك في قسم شؤون ما بين الأديان في اتحاد الجمعيات اليهودية الأمريكية، والمشارك في مشروع الكتاب أيضاً، فقد كتب مقالة بعنوان: «من المرض إلى الحوار - مدخل إلى الحوار بين اليهود والمسلمين»، وكان أكثر صراحة وواقعية من سابقه، وركز على خصوصية الوجود الإسلامي واليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومدلولات ذلك الواقعية والمستقبلية. وابتدئ بذكر العقبات فيقول: (إن قائمة العقبات الكامنة قائمة طويلة منها العقبات السياسية والعقائدية والتاريخية، والخوف من غيرها، ومن

غير المعروف منها. وكثير من العقبات يمكن أن يكون مصدر مواجهة ودمار محتملين.

العقبة الأولى: طاعون عالم السياسة. فطبقاً لما يقرره الدكتور عظيم ننجي من جامعة فلوريدا، فإن القضايا المحلية بالشرق الأوسط قد أصبحت عالمية. ونتيجة لذلك، فإن يهود ومسلمي البلاد البعيدة عن الشرق الأوسط يتقابلون «وفوق رؤوسهم سحابة سياسية تهدد بتعتيم كل المظاهر الأخرى للعلاقات». ورغم أن العرب يمثلون فقط عشرين في المائة من الشعوب الإسلامية، فإن هذه السحابة الرمادية المشؤومة تظلم رؤيتنا، وتجعل الكثيرين يعتقدون أن الشرق الأوسط هو كل ما يمكننا أن نتحدث فيه، وأن الحوار بين اليهود والمسلمين، والنزاع العربي الإسرائيلي هما شيء واحد، ونفس الشيء. ولذلك فإن الذين حاولوا بناء الجسور بين المسلمين الأمريكيين، واليهود الأمريكيين كادوا أن يجمعوا على أن الحوار لا يمكن أن يبدأ بالسياسات العالمية. وإذا أردنا لجهودنا أن تكلل بالنجاح فما علينا إلا أن نوجه أنظارنا إلى الغرب لا إلى الشرق الأوسط.

والعقبة التالية: هي عقبة طاعون سوء التفاهم. فالبعض يظن أن المسلمين كلهم إرهابيون أو أصوليون. والبعض الآخر يعتقد أن الإسلام عتيق وغير متغير. ويقولون: «إنهم سوف لا يتكلمون معنا»، «إنهم لا يستطيعون أن يفهمونا»، «إنهم ببساطة لا يهتمون»^(١).

إن الحاخام «ويس» يدرك تماماً عمق المشكلة المترتبة على اقتطاع أرض فلسطين من قبل اليهود، واستيلائهم على المقدسات الإسلامية، وأثر ذلك على مشروع الحوار. ومن ثم فهو يطمح إلى حصر المشكلة بالمسلمين العرب الذين لا يمثلون سوى عشرين في المائة فقط من

(١) المرجع السابق، (٥٦، ٥٧).

المسلمين، لكونهم طرفاً مباشراً في النزاع. ويحاول تجنب بقية المسلمين وتنحيتهم عن القضية باعتبارها نزاعاً عربياً - إسرائيلياً ذي صفة سياسية وحسب. وبالتالي فأمام هؤلاء المسلمين المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من القضايا الأخرى ليتحدثوا فيها مع مواطنيهم اليهود الأمريكيان، بعد أن تنقشع السحابة السياسية عن رؤوسهم. كما يأمل!

والعجب من هؤلاء اليهود الأفاكين كيف يقلبون الحقائق، فالحاخام «ويس» يحكي ظنون بعض بني ملته الذين يتهمون المسلمين بالإرهاب والأصولية والانغلاق واللامبالاة، ويصمون دين الإسلام بالجمود، ويتعاملون عن جرائمهم الإرهابية الفظيعة في حق المسلمين! ألم يحتلوا أرضاً إسلامية ويهجرُوا فريقاً من أهلها، ويقتلون فريقاً؟ ومن بقي من أهلها ساموه سوء العذاب، ألم يستولوا على مقدسات المسلمين، ويحيكوا المؤامرات لنسف المسجد الأقصى بالمتفجرات؟ ألم يصل «أصوليوهم» إلى درجة الاحتراق في الغلو والتعصب وازدراء الآخرين من أبناء الأمم «الجوييم»؟

ولكن هذه الأساليب الملتوية غير مستنكرة على إخوان القردة والخنازير الذين ينقضون عهد الله وميثاقه، ويفترون على الله الكذب، ويقتلون النبيين بغير الحق.

ثم يفصح الحاخام أندريا. ل. ويس عن حقيقة البواعث، أو المخاوف، التي ألجأت أمثاله من اليهود إلى الرضوخ للأمر الواقع وفتح باب الحوار مع المسلمين، فيقول: (يجب أولاً أن نعرف أننا كأمركيين، فإننا نعيش ببعض الأساطير عن أنفسنا. فحتى في عصر تعدد الثقافات، يتحدث المشرعون وزعماء الطوائف عن القيم اليهودية المسيحية التي قادت بلادنا. ويعلن الساسة ورجال الدين أن الولايات المتحدة وطنٌ ثلاثي الأطراف. أي مجتمع يشتمل على البروتستانت

والكاثوليك واليهود. إننا نقسم فطيرة التفاح المنزلية إلى ثلاث قطع متساوية، زاعمين أن الأديان الثلاثة تتمتع كل منها بنفس النفوذ والتمثيل، ومدعين أن تراث عقيدتنا وحده هو الذي صنع الفطيرة. والحقيقة أنه إذا قدرنا عدد البروتستانت بحوالي ثمانين مليوناً، وعدد الكاثوليك الرومان بخمسة وخمسين مليوناً، وعدد اليهود بستة ملايين، فإنه يوجد الآن أربعة ونصف مليون مسلم بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد تضاعف عدد المساجد والمراكز الإسلامية في هذه البلاد أربعة مرات^(١) خلال العشر سنوات الأخيرة. وأنه حتى عام ٢٠١٥ أي بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يقدر الخبراء أن عدد المسلمين سوف يتجاوز عدد اليهود، وسوف يمارس تأثيراً متزايداً على الفكر الأمريكي. إن الإسلام اليوم هو ثاني أكثر الأديان انتشاراً بالولايات المتحدة. إن علم الحساب وحده يلزمنا بأن نعيد تقدير كيفية تقسيم الفطيرة. وتطالبنا الإحصائيات بأن نتساءل كيف ستتغير أولوياتنا وهويتنا في ظل تشكيل العالم الجديد. وما معنى أن لا نعد نرى أنفسنا أقلية منعزلة وموزعة داخل مجتمع مسيحي؟ وبدلاً من ذلك أن نكون جزءاً من أصغر الأجزاء الكثيرة التي تتكون منها الحياة الدينية الأمريكية؟ وهل سيتعرض وضع اليهود السياسي والنفسي للهبوط؟ طالما أن صورة الوطن ذي الهيمنة اليهودية المسيحية سوف تنزوي تدريجياً - أم سوف يزداد اليهود قوة في الشعور الانتمائي، وفي النفوذ؟

إن المسح السكاني، والتنبؤات الديموغرافية تجبرنا على أن نطرح أسئلة صعبة، وأن نواجه الخوف وقابلية الجراح التي تصاحب التغيير في الغالب. إلا أنها أيضاً تذكرنا أننا كأقلية دينية في أمريكا لسنا وحدنا. إنه في عام ١٩٩٣ وليس عام ٢٠١٥ يجب علينا أن نتحرى

(١) هكذا في الأصل، والصواب: أربع مرات.

ماذا يعني لنا نحن اليهود تزايد نمو الإسلام. إنه اليوم وليس بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يجب أن نبدأ رحلة الحوار والالتحام^(١).

ولعل الحاخام ويس شعر أنه كان صريحاً أكثر مما يجب في الكشف عن دوافع الحوار فأراد أن يستدرك، ويبدد ما سبق إلى الأذهان من استنتاجات، فقال: (وعلى أحسن الفروض فإن الحوار بين الأديان هو إثراء للحياة، وهو فرصة للتطور والتسامي الذاتي. ولتحقيق هذه الأهداف فعلى أطراف الحوار أن يتصلوا ببعض، لا بسبب الخوف من الدراسات الديموغرافية، ولكن من أجل أهمية التربية والتفاهم، وفوائد الاتصال والترابط، وما يمكن أن تحققه العلاقات الطيبة من وعود)^(٢) وهو استدراك يزيد التهمة تأكيداً.

٣ - ويقدم جوناثان د. سرنا في مقالته المعنونة بـ«الهوية اليهودية في العالم المتغير للديانة بأمريكا» سبراً تاريخياً مفصلاً لفكرة الوطن ثلاثي الأطراف، أو النموذج البروتستانتي الكاثوليكي اليهودي في النظام الديني بأمريكا. فحتى عام ١٨٨٢ كانت المحكمة العليا تقرر: (إن هذا الوطن وطن نصراني)^(٣). وقد قوبلت هذه المقولة بمعارضة اليهود، وتمكنوا من فرض أنفسهم في المعادلة الدينية، رغم قلة عددهم بالنسبة للمحيط المسيحي الذي يعيشون فيه، واستبدلت الفكرة السابقة بفكرة أن أمريكا وطن يهودي نصراني. يقول جوناثان د. سرنا: (إن الاستخدام المعاصر لهذا اللفظ كان عام ١٩٣٠)^(٤). وبلغ الأمر ذروته في منتصف هذا القرن الميلادي، حتى صار الحديث عن «الميراث اليهودي المسيحي» و«مفهوم اليهودية المسيحية» و«الثالوث العائلي للبروتستانت

(١) شالوم - السلام، (٥٨ - ٥٩).

(٢) المرجع السابق، (٦٠).

(٣) المرجع السابق، (٧٦).

(٤) المرجع السابق، (٧٦).

والكاثوليك واليهود» و«قدرة الانصهار الثلاثية» ونحوها من الشعارات، على ألسنة الساسة والمفكرين والقادة الدينيين^(١).

وقد أدى تأسيس «المؤتمر الوطني لليهود والنصارى (NCCJ)، ومزار كنيسة القساوسة الأربعة»^(٢)، وبرنامج Equal Time الإذاعي، أي الوقت المتساوي لكل طائفة، وتأليف الكتب في هذا الشأن، إلى تعميق فكرة الجماعات الثقافية المتساوية حتى قال أحد الكتاب عام ١٩٥٥: (إذا لم يكن الشخص بروتستانتيّاً أو كاثوليكيّاً أو يهوديّاً، فإنه بطريقة أو بآخرى لا يكون أمريكياً)^(٣).

لقد حقق اليهود هذه المكاسب رغم أن عددهم كان لا يزيد عن خمسة ملايين من بين مجموع الشعب الأمريكي البالغ عدده إذ ذاك مائة وستين مليوناً. ومرد ذلك إلى العمل الدؤوب، والتغلغل المدروس في البنى السياسية والاجتماعية، الذي يتقن اليهود أدائه في كل عصر ومصر بالأساليب الملتوية وشراء الذمم. ولكنهم أمام ضغط الواقع على الأرض، ووهج الحقيقة شعروا بخطر الفضيحة وآثارها المستقبلية، فأعدوا موقفاً جديداً يكافئ المتغيرات الجديدة على أرض الواقع. ويعبر جوناثان د. سرنا عن الشعور بقوله: (.. كان مكنم الخطر الذي أظن أننا بدأنا ندركه، هو أن هناك تفرقة واسعة وحقيقية ومتزايدة بين الأسطورة والحقيقة. فلا التراث اليهودي المسيحي، ولا قدرة الانصهار الثلاثية، قد عبرا على نحو مناسب وصحيح عن المدى الكامل لتعددية الحياة الدينية الأمريكية في كامل مظاهرها المركبة. ولقد عاش الأمريكان زمناً طويلاً في ظل هذه التفرقة، وبرغم هذا التنافر في

(١) انظر المرجع السابق، (٧٦ - ٧٨).

(٢) أنشئ إحياء للذكرى وفاة أربعة قساوسة غرقاً - كاثوليكي ويهودي وبروتستانتيين - عام ١٩٤٣.

(٣) شالوم - السلام، (٧٨).

المعارف وجد اليهود وضعهم المبالغ فيه مناسباً جداً. كما اعتقد عدد ساحق من الأمريكيان أن اليهود يمثل تعدادهم نسبة أكثر بكثير من التعداد الشعبي على غير الحقيقة، وتعاملوا مع اليهود تبعاً لذلك. ولكن هذه الأساطير قد تبددت. ومن الأوفق لنا أن نعرف لماذا تبددت، وما هي متطلبات الهوية اليهودية في السنوات القادمة...

اليوم يواجه الطابع الأمريكي اليهودي المسيحي، والبنية البروتستانتية الكاثوليكية اليهودية مشكلة أشد خطراً، ألا وهي النمو السريع للديانات الأمريكية التي لا تنتمي إلى البروتستانتية أو الكاثوليكية أو اليهودية، وإنما هي خارج نطاق كل من اليهودية والمسيحية تماماً. وأقصد بصفة خاصة الإسلام من بين أسرع الديانات نمواً في الولايات المتحدة...

ومن وجهة نظر اليهود الأمريكيان، يستحق نمو الإسلام في أمريكا عناية خاصة، ولا سيما العداوة التي تكنها الطائفة المسلمة المنظمة تجاه إسرائيل^(١).

ثم يقدم إيجازاً تاريخياً للوجود الإسلامي في أمريكا، ونموه المطرد لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة^(٢). وينقل خلاصة دراسة وضعت لهذا الشأن تقول: (نظراً لارتفاع معدلات المواليد، وتزايد عدد معتنقي الإسلام الجدد، واستمرار تدفق المهاجرين، فإنه من المحتمل أن نتنبأ أنه مع بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، سيكون الإسلام ثاني أكبر الأديان بالولايات المتحدة)^(٣) مما حمل بعض

(١) شالوم - السلام، (٧٩ - ٨١).

(٢) حتى ما يقرب من عام ١٩٦٠ كان عدد المسلمين أكثر قليلاً من ١٠٠ ألف نسمة فقط. (٨٢).

(٣) شالوم - السلام، (٨٣).

المسلمين الأمريكيان على القول: (إننا نود أن يبدأ الشعب فيفكر في أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع يهودي مسيحي مسلم. وقال مسلم آخر للباحثين: إنه يتطلع إلى اليوم حين يقول الجميع: كاثوليك وبروتستانت ويهود ومسلمون. وبينما هذا التغيير لن يلبي القدر الكافي لرغبات هؤلاء المسلمين، الذين هدفهم الأخير هو إيجاد ولاية إسلامية في أمريكا)^(١).

هذه المعطيات التي أيقظت «أجهزة الإنذار المبكر» لدى يهود أمريكا، وحملت بعضهم على التنازل عن كبريائه وغروره، والاضطرار لمحاورة المسلمين، كما عبر جوناثان د. سرنا: (إن الصورة الحالية للديانة الأمريكية سوف يتحتم أن تتغير لكي تنسجم - أكثر مما هي عليه الآن - مع الحقائق الإحصائية. وبناءً عليه يمكن أن يجد اليهود أنفسهم موضوعين على قدم المساواة لا مع البروتستانت والكاثوليك، ولكن بسخرية مع المسلمين)^(٢). ومن ثم جاءت تنبؤاته متشائمة بشأن مستقبل اليهود في أمريكا، ومستقبل الدعم الأمريكي لإسرائيل، بل ومستقبل الحوار بين الأديان، ويقصد الحوار مع المسلمين على وجه الخصوص: (سوف يظل الحوار بين العقائد المختلفة محفوفاً بالصعوبات المتزايدة. وفي الماضي أرسى زعماء اليهود والبروتستانت والكاثوليك بعض قواعد آداب المجتمع، أتاحت لهم العمل المشترك المتبادل... غير أن العقائد التي سبق في الماضي أن استبعدت من التيار الديني السائد لا تؤيد بالضرورة قواعد الآداب هذه، ويمكنها في بعض الحالات أن تهون من شأنها صراحة. والشاهد على ذلك النزعة البلاغية المفرطة لبعض الوعاظ المتزمتين، أو لزعماء السود المسلمين... وما لم يأت،

(١) المرجع السابق، (٨٣).

(٢) المرجع السابق، (٨٤). ونقول لهم: ﴿مُؤْتَاً يَنْصِلُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

أو إلى أن يأتي جيل جديد من الزعماء الدينيين من نطاق عقيدة أكثر رحابة، لهم القدرة على الدخول في دقائق الحوار الديني، فسوف يكون من الصعوبة بمكان إحراز أي تقدم. كما أن المناقشة سوف تثبت ما إذا كانت عاجزة عن أن يكون لها معنى أو هدف، أو أنها سوف تتسم بالقسوة إلى درجة العجز عن تحقيق النفع والمصلحة^(١).

هل يدعي جوناثان د. سرنا أن عقيدة التلمود المحترقة في أتون التعصب والنبذ للأغيار من الأمميين أكثر رحابة من عقيدة الإسلام السمحة التي فيها: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت]. أم أن الرجل عرف أن قومه هم المستثنون في الآية؟

وبعد، فما الذي يريده اليهود من وراء الحوار مع المسلمين؟ ثم لونان من الإجابة على هذا السؤال يبيدها المشاركون في تأليف كتاب شالوم/ السلام؛ أحدهما يتناول أوجه التعاون في الحياة الاجتماعية الأمريكية، والثاني يتسامى في محاولة للوصول إلى تقارب موضوعي في العقائد.

فنظراً لوجود الجانب التشريعي التطبيقي في الديانة اليهودية بشكل مفصل، وربما معقد، يجد اليهود عناء في العيش في الأوساط النصرانية، المتحررة من قديم الدهر من ضوابط الشريعة^(٢)، ويخشون

(١) المرجع السابق، (٨٧).

(٢) كان ذلك بسبب إفساد «بولس» وأشياعه لدين المسيح ﷺ. فالمسيح لم يأت مبطلاً لما تضمنته التوراة من أحكام، بل مصداقاً، ومخففاً. ﴿وَمُعَذِّبًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْبَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجَعَلْتُ بَقَايَةَ مِنَ رَيْبِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران]. راجع: الشريعة عند النصارى، (٩٨).

من الذوبان في مجتمع الأكثرية. ومن ثم يتحسس اليهود أكثر من غيرهم هذه المعاناة التي يجدها المسلمون حين يعيشون أقليات في مجتمعات متحررة من الدين، كما في الولايات المتحدة الأمريكية. ويعتبر دعاة الحوار والتقارب منهم مواجهة هذه المعاناة المشتركة في سبيل الحفاظ على الشخصية الدينية هدفاً جامعاً من أهداف الحوار. يقول الحاخام أندريا ل. ويس: (إننا في ظل رابطة وصحبة مشجعة، نتذكر أنفسنا ونشعر أننا لسنا وحدنا في معركة للمحافظة على هويتنا الدينية والعرقية وسط عالم فيه الغالبية غير المتدينة. إننا نبحث في معامل المعبد أو المسجد، في معسكر الصيف، أو في المركز الطائفي، عن الصيغة السحرية التي تمكننا من المحافظة على التراث الثقافي من تحول القيم والممارسات الدينية، ومن حماية أنفسنا من إغراء التماثل مع المجتمع.

ورغم أننا لا نستطيع أن ننسى أو نتجاهل الفروق التي تفرق بين الأمريكي المسلم والأمريكي اليهودي، فإن المشاركة في المعارف والملاحظات يمكن أن تحقق نتائج طيبة. وطالما أن بعضنا يعلم البعض الآخر ممارستنا واهتماماتنا الدينية، فإن الحوار سوف يؤدي إلى سبل كثيرة لإمكانات إسداء العون والترابط^(١).

ثم ضرب أمثلة للتعاون المشترك في القضايا الغذائية المتعلقة بالامتناع عن لحم الخنزير والزيت الحيوانية المشتقة منه، ويتابع قائلاً: (وفضلاً عن القضايا الغذائية، فإن قوائم المسائل المشتركة، ومجالات إمكانات التعاون، سوف تستمر في الزيادة بنمو العلاقات، من الصلاة في المدارس والعمل، من أجل استعادة الحرية الدينية Religion Freedom Restoration Act، إلى قضايا تتعلق بالأسرة والعدالة

الاجتماعية. وكلما زادت معرفتنا حول بعضنا بعضاً، كان وضعنا أفضل في بناء الجسور والعمل المشترك من أجل الخير للجميع^(١).

هذا لونٌ من التعاون لا غبار عليه - في نظري - ما لم يتعد إلى مجالات واستدراجاتٍ أخرى. فهو بحد ذاته يحقق للمسلمين المقيمين في بلاد الكفار بعض المطالب الشرعية، بضم أصواتهم إلى أصوات اليهود، أو العكس. ولكن الخطورة تكمن في اللون الآخر من الحوار الذي يُزجُّ فيه من لا علم له ولا بصيرة من أبناء الجاليات المسلمة، أو المتمسلمين الذين يمنحون أنفسهم تفويضاً بالحديث عن الإسلام عن جهل وهوى وضعف، وهو ما يتصل بالجوانب العقدية - خصوصاً -:

٤ - كتب «روفن فايرستون» مقالته بعنوان: (إبراهيم: أهو اليهودي الأول أم المسلم الأول؟ نصّ وراثٌ وحقيقة في الحوار والأديان). أراد من خلال عرض الموقفين المتعارضين الوصول إلى أن المناظرة المؤسسة على التراث الديني لكلٍ من الديانتين لا يمكن أن توصل إلى وفاق، بل (إنها لا تشجع على الحوار والتفاهم، وإنما تدعو إلى الجدل والنزاع. وعلى زعماء الدين تجاوزها، وسرعة إثناء أتباعهم وأنفسهم عن الاقتناع بأنهم وحدهم الذين لديهم الحقيقة المطلقة الفريدة، وأن يتحركوا قدماً إلى قضايا أخرى)^(٢).

هذا هو مفتاح الحوار في مجال العقائد كما يراه «فايرستون»؛ التنازل عن فكرة الحقيقة المطلقة في العقيدة الدينية، وتمييع ذلك في خضم دعاوى أخلاقية فضفاضة من جنس ما يعبر به نظراؤه من النصاري: (علينا أن نسلم بأن الدعوة إلى الاقتراب من تراث نظام ديني آخر وادعاءاته، مع توافر الاحترام العميق والانفتاح الرحب هي دعوة

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، (١٠٩).

مثيرة للخوف. إذ أن الشخص إذا كان على استعداد لقبول شرعية ديانة أخرى، ألا يحتمل ذلك أن يضع الأسس الجوهرية في عقيدته موضع الشك آخر الأمر؟ هذا ممكن... غير أن المشكلة تبدو خطيرة تماماً إذا قبل هذا الشخص تعريفاً لحقيقة دينية على أنها مطلقة وثابتة وتنتمي إلى تراث ديني واحد...

وقضية أي من ابني إبراهيم هو الذي يجب أن ننظر إليه على أنه وحده الذي تلقى بركات الله العظمى، هذه القضية لا يمكن أن نجد لها حلاً بمعرفتنا. والسؤال الأكثر فائدة هو: هل يمكننا التسليم بحقيقة أن لدينا ادعاءات وعقائد مختلفة، وأنا ما زلنا نعيش معاً؟ عبارة «الاحترام المتبادل» هي المفتاح في عالم الحوار. وليست عبارة «حق» أو «باطل». ومع أخذ ذلك في اعتبارنا، فإننا جميعاً أبناء إسماعيل وأبناء إسرائيل - كلنا أبناء إبراهيم. فهل في مقدورنا أن نعمل معاً هنا، وفي خارج البلاد على أمل بناء مستقبل أكثر فائدة لنا جميعاً^(١).

إن مثل هذه المقدمات المؤطرة بأطرٍ براقية من عبارات الود والاحترام والانفتاح يمكن أن تؤدي إلى طور من الانسلاخ والشك وهز الثوابت، وقد تؤول إلى «كفر الإعراض» الذي يحمل صاحبه على تجويز الشيء ونقيضه حين لا يعود ذلك الشيء - مهما كان عظيماً وخطيراً - يعنيه ويهمه. وفي الوقت الذي تضعف قناعة المرء بدينه وعقيدته تحت مطارق هذه الشعارات الخادعة، تقوى نظرتة وإعجابه بالطرف المقابل والعياذ بالله. وحين يصاحب ترويج هذه الأفكار برنامج عملي مدروس بعناية، ومخطط له من قبل أصحاب المشروع من اليهود، ويغرق المسلم الغر بأمواج المجاملات والمداهنة وعرض الأفلام اليهودية، والإحالة على مراجع كتبها يهود فقط، كما هو واضح

(١) المرجع السابق، (١١٠، ١١٢).

في آخر الكتاب^(١)، يدرك الناظر المزلق الخطير الذي يجبر إليه المسلمون الطارئون على الحياة الأمريكية، من قبل دهاقنة الدهاء والخديعة والمكر والحيل، أصحاب السبت، إخوان القردة والخنازير.

خلاصة وتحليل:

تبين من خلال ما سبق أن لليهود في العصر الحديث موقفين متضادين من قضية التقريب والحوار بين الأديان:

أحدهما: موقف الرفض، والنبد للآخرين المتمثل في اليهودية الأرثوذكسية بشقيها: التقليدي، كطائفة «الحريديم»، والأصولي السياسي، مثل «غوش إيمونيم»، وحزب كاخ.. وغيرهما ممن يستظهر تعاليم «التلمود» عقدياً، ويفسر الأحداث السياسية المعاصرة وفق «النبوءات» التي تضمنها العهد القديم. وهذا الاتجاه ينشط في دولة إسرائيل محط آماله، وأرض ميعاده الموهوم. وهو آخذ في النمو والانتشار وزيادة النفوذ، كما تشهد بذلك موازين القوى السياسية في إسرائيل، برجحان كفة الأحزاب الدينية المتعصبة التي قادت حزب «الليكود» إلى السلطة في العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي.

ويظهر - والله أعلم - أن هذا الخط العقدي المتعصب سيظل في تنام مستمر حتى يتمحض اليهود ليهوديتهم، والمسلمون لإسلامهم، وتقع الملحمة التي يترنم بها اليهود، والنصارى الإنجيليون^(٢)،

(١) انظر مسرد البرامج العملية، (١٤٥) وما بعدها.

(٢) الإنجيليون النصارى: حركة أصولية تنصيرية، تعتقد بعصمة العهدين القديم والجديد، والإيمان برجعة المسيح. وهي تؤيد وتدعم دولة إسرائيل لكون ظهورها يصدق النبوءات التي تضمنها العهد القديم. انظر: الأصولية الإنجيلية، صالح الهذلول؛ الصهيونية المسيحية، محمد السماك؛ المنظمات الصهيونية المسيحية. أحمد تهامي سلطان.

ويسمونها «هرمجدون»^(١)، ويتطلع لها المسلمون، لبشارة النبي ﷺ بها، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)^(٢).

الثاني: موقف القبول، وربما المبادرة الذي تتبناه اتجاهات ذات أصولٍ مرتبطة بالحركة اليهودية الإصلاحية. وتشط هذه الاتجاهات بين يهود الشتات «الدياسبورا»، بغرض تحقيق بعض المكاسب المحلية، واستغلال الأقليات الأخرى للوصول إلى بعض المطالب الاجتماعية، دون أن تبدي أدنى تنازلٍ عن الأصول العقيدية المتزمته التي تؤمن بها الطائفة. وبواعثها مصلحة صرفة.

والموقف الأول لا يمكن أن يعيش خارج دولة إسرائيل لما يحمله من مبادئ عنصرية يرفضها المجتمع الدولي، ذو الفكر الإنساني الليبرالي. كما أن الموقف الثاني يضعف داخل المجتمع الإسرائيلي المتمحور على رابطة الدين، والذي يعاني العداء من المحيط الإسلامي حوله. وهذا ما يفسر دعوة أصحاب مشروع شالوم/السلام إلى تجنب الحديث عن قضايا الشرق الأوسط، ومحاولتهم التركيز على أن العرب لا يمثلون سوى ٢٠٪ من العالم الإسلامي، وتصوير قضية فلسطين على أنها مشكلة إسرائيلية - عربية، لا يهودية - إسلامية. ومن ثم الالتفاف على الأكثرية المسلمة غير العربية الوافدة للولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من دول العالم.

(١) انظر: العهد القديم. سفر حزقيال ٣٨، (١٨٣٢). في النبوءات القديمة للمعركة، والأصولية الإنجيلية. صالح بن عبد الله الهذلول، (٥٩). في التفسير الحديث لها.

(٢) صحيح مسلم: (٢٢٣٩/٤).

ومع ذلك فإن محاولات إسرائيل لتطبيع العلاقات مع جيرانها لم تقتصر على الجانب السياسي، بل امتدت إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية. ولعل من أبرزها على الصعيد الديني زيارة الحاخام الأكبر لليهود الأشكيناز^(١) «إسرائيل لاو» لشيخ الأزهر في ١٥ ديسمبر ١٩٩٧م، ولم يسفر اللقاء عن بيان مشترك.

كما أوردت هيئة الإذاعة البريطانية - BBC - القسم العربي في نشراتها الإخبارية ليلة الخميس الموافق ١٩٩٨/١١/٢١ الخبر التالي: (قال الحاخام اليهودي مناحيم كرومان أنه حصل على تأشيرة دخول لإيران التي سيزورها الشهر القادم في إطار بعثة لتعزيز التفاهم بين اليهود والمسلمين...).

وأنه يأمل في الاجتماع بقيادة إيران ورجال الدين فيها سعياً إلى تغيير الانطباع الإيراني عن إسرائيل بأنها دولة كافرة).

وفي مطلع عام ١٩٩٨ شارك اليهود في ندوة الحوار بين الأديان المنعقدة في الرباط، يمثلهم الحاخام الأكبر لليهود السفارديم بإسرائيل «إياهو باكشي». وقد أجرت معه جريدة الشرق الأوسط حواراً صحفياً قال فيه رداً على سؤالٍ عن النتائج التي يمكن أن تتحقق من حوار الأديان:

(أولاً: أعتقد أن انعقاد ندوة الرباط التي جمعت ممثلي الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والإسلامية والمسيحية، في بلد إسلامي كالمغرب يعتبر كسباً في حد ذاته.

(١) الأشكيناز هم أساساً يهود شرق أوروبا... وقد اتسعت دلالاته بحيث أصبح يتضمن كل يهود الغرب بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في مقابل «السفارديم» أي اليهود الشرقيين. ويشكل الأشكيناز غالبية يهود العالم حوالي ١٤ مليوناً أي ٨٨,١٪ من يهود العالم. انظر: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود. (٣٢ - ٣٤)، (٥٦ - ٥٧).

وثانياً: استبعاد بعض الأفكار الخاطئة مثل: الصراع بين الأديان. ويتعين تجنب الأديان الصراعات أو النزاعات التي يمكن أن تقع بين الدول لاعتبارات سياسية، لأن الدين هو رمز التفاهم والتوحد، وهو فوق الاختلافات. وفي رأيي فإن أهم رسالة في ندوة حوار الأديان هي الدعوة للصبر والتعايش والسلام، وأن يتمسك السياسيون بمنطق السلام، وأبعد من ذلك فإن السلام ينبغي أن يكون بين الشعوب وليس بين الدول وحسب. ويمكن لرجال الدين أن يلعبوا دوراً أساسياً في إرساء السلام لأن رجال الدين لهم مكانة خاصة لدى شعوبهم^(١).

إن هذا اللون من التصريحات الوقتية، غير مستنكر على الشخصية اليهودية المخادعة المتلونة حسب مقتضيات المصلحة الراهنة على نمط ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]، وأسلوب ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران]، وإلا فإنه غير خافٍ على أحد أن دولة «إسرائيل» إنما ولدت وترعرعت باسم «الدين»، على ما يعتقدونه «أرض الميعاد». وأخبار السوء الذين يتشدقون اليوم بعبارات السلام والتعايش والتفاهم هم الذين غدوا بالأمس، ويغذون اليوم، وسيغذون غداً روح التعصب للشعب المختار، واحتقار الأمميين من غير اليهود، حتى هجروا شعباً مسلماً عن أراضيه، ووضعوا أيديهم القدرة على مقدساته، ويتحينون الفرصة التاريخية المناسبة لنسف المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان. وفي الوقت نفسه يلبسون مسوح الرهبان، ويطلقون مثل هذه التصاريح ذراً للرماد على العيون، للوصول إلى أهدافٍ مصلحة آنية. وقد كشف الحاخام السالف الذكر عن طرفٍ من هذه الأهداف قائلاً: (قمنا منذ مدة، وبطريقة سرية باتصالات مع قضاة، وشخصيات دينية مسلمة

(١) جريدة الشرق الأوسط. عدد (٧٠٢٣) في ١٩/٢/١٩٩٨م.

ومسيحية، وكان ذلك برعاية الحكومة السويدية. وقد بدأت الاتصالات في مستوى أكاديمي، وبدأت تتعمق لتشمل رجال الدين، وتهدف للتقارب بين ممثلي الديانات الثلاث. وشخصياً أسعى للالتقاء قريباً وبصفة مباشرة مع المفتي الأكبر في سورية، كما أسعى من خلال اتصالات مع أوساط دينية إيرانية لترتيب وضعية حاخام أكبر بإيران، لأن الجالية اليهودية هناك ليس لديها حاخام أكبر...^(١).



(١) جريدة الشرق الأوسط. عدد (٧٠٢٣) في ١٩/٢/١٩٩٨م.

المبحث الخامس

حقيقة التقريب بين الأديان عند الإسلاميين العصرانيين

تولى كِبَر الدعوة إلى التقريب بين الأديان في العصر الحديث من جانب المسلمين طائفة من المنسوبين إلى العلم والفكر والدعوة، اصطُح على تسميتهم بالعصريين أو «العصرانيين». ولعل مصدر هذه التسمية راجع إلى التشابه بينهم وبين الحركة العصرية في الديانة المسيحية (Modernism)، وهي:

(حركة دينية كاثوليكية، تطورت في أواخر القرن التاسع عشر... وكانت غايتها تحديث الفكر الديني، والتوفيق بين التراث والآراء العصرية في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع والعلم)^(١). ففي نفس الفترة ظهر في نواح من العالم الإسلامي الذي كان يزرع تحت وطأة الاستعمار الأوروبي دعاة مشبهون، حملوا لواء «التحريف» باسم «التجديد»، ورفعوا مبادئ «التغريب» باسم «الاستنارة»، وخلعوا على أنفسهم لقب «أصحاب الفكر الديني المستنير»^(٢)، وسمى تلاميذهم عصرهم ذاك بـ «عصر النهضة»^(٣)، وطريقتهم بـ «المدرسة الإصلاحية».

وقد استحيا رواد هذه المدرسة رفات الفكر الاعتزالي الذي اندرس أو كاد^(٤)، يضاهئون به الاتجاهات العقلانية المنتصرة في أوروبا

(١) الموسوعة الفلسفية. د. عبد المنعم الحفني (٢٨٢).

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد ومبادئ التغريب. محمد حامد الناصر (١٧٥).

(٣) انظر: سلسلة موسوعة عصر النهضة. سمير أبو حمدان.

(٤) الواقع أن الفكر الاعتزالي اختفى اسمه، وبقي مضمونه لدى بعض الفرق والطوائف كالإمامية والزيدية.

على الكنيسة حينذاك، ويخيل إليهم - على أحسن المحامل - أنهم يجددون أمر الدين، ويصلحون فساد المجتمعات الإسلامية المنحطة في دركات الجهل والهزيمة والتخلف.

ومن أبرز معالم تأثيرهم بالمعتزلة ما يلي:

أ - الغلو في تقديس العقل، وتقديمه على النقل مطلقاً عند التعارض الظاهري^(١). فإن كان المنقول ظني الثبوت عندهم - وهي أحاديث الآحاد - ردوه وأبطلوه. وإن كان قطعي الثبوت - وهو القرآن الكريم والسنة المتواترة - تأولوه بما يوافق معقولهم، ولو بتكلف أو تعسف. فمنهجهم في النظر والاستدلال هو «العقل»، وآلته «المنطق» و«علم الكلام».

ومن فروع هذا الأصل الفاسد:

١ - محاولة تأويل الغيبيات والمعجزات تأويلاً عقلياً حسيّاً، مجازاة للفكر السائد في أوروبا الذي يقوم على الإيمان بالماديات، وإنكار الغيبيات. كتأويل بعضهم للملائكة والجن والطير الأبايل ونحو ذلك.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح. ولكن كثيراً من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول... وكذلك «العقليات الصريحة» إذا كانت مقدماتها وترتيبتها صحيحاً، لم تكن إلا حقاً، لا تناقض شيئاً مما قاله الرسول) مجموع الفتاوى (١٢/٨٠ - ٨١). وقال أيضاً: (إن الرسول لا يجوز عليه أن يخالف شيئاً من الحق، ولا يخبر بما تحيله العقول وتنفيه، لكن يخبر بما تعجز العقول عن معرفته. فيخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول) درء تعارض العقل والنقل (٢٩٧/٥).

٢ - رد النصوص الثابتة التي تخالف في نظرهم معطيات العلم الحديث، كحديث الذباب^(١).

٣ - القول على الله بغير علم في حمل بعض نصوص القرآن على ما استجد من كشوف علمية، أو حتى ما كان في طور النظرية.

ب - النيل من مكانة السنة النبوية إما بإنكار حجيتها، أو بإبطال الاستدلال بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد، والطعن في منهج المحدثين، والتشكيك في سلامة مقاييسهم، ومدوناتهم التي تلقتها الأمة بالقبول، كالصحيحين، والقدح في عدالة بعض الصحابة والرواة الأثبات.

ج - تمجيد أئمة الاعتزال والمبتدعة، بل وبعض الفلاسفة المارقين من الدين، أحياناً، وتصويرهم بصورة المتحررين والشجعان والشهداء، في مقابل الحط من بعض أئمة السنة، ونبزهم باللقاب السوء، كما صنع المعتزلة.

كما استظهر هؤلاء العصرانيون بعض أفكار المستشرقين ودعاة التغريب، وركنوا إليهم، وحجّوا العواصم الأوربية، وأووا إلى كنف المستعمرين، واستظلوا بظلمهم، فأورثهم ذلك رقة في الدين، وجراًة على التلاعب بأحكامه، والخروج على إجماع الأمة، باسم «الاجتهاد» و«التجديد» و«التطوير»، ولكن دونما ضوابط ولا أهلية، وإنما أرادوا تطويع المجتمعات الإسلامية لمقتضيات الحياة الغربية العلمانية.

(١) وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء». أخرجه البخاري: (٣٥٩/٦)، وزاد أبو داود: (وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء) رقم (٢٨٤٤).

ومن مفردات هذه الأفكار والدعوات، في مجال التطبيق والسلوك ما يلي:

- ١ - الدعوة إلى إلغاء الجهاد في سبيل الله.
 - ٢ - مهاجمة «الحكومة الدينية»، والاستعاضة عنها بالحكومة المدنية العلمانية.
 - ٣ - التشكيك في ثبوت بعض الحدود الشرعية كحد الردة، وحد الرجم للزاني المحصن.
 - ٤ - إلغاء أحكام أهل الذمة، واستبدالها بقيم «المواطنة» و«القومية».
 - ٥ - الدعوة لتحرير المرأة على النمط الغربي، والمناداة بإلغاء الطلاق، وتعدد الزوجات، والمساواة في الميراث.
 - ٦ - تأنيس الربا، والتوسع في المعاملات المحرمة.
 - ٧ - مواادة أهل الكتاب، وتوليهم، والدعوة إلى تقارب الأديان.
- وقد حظي هؤلاء بعطف المستعمرين ودعمهم، فمكنوا لهم في الأرض ينشرون فكرهم المنحرف، وفتاويهم الشاذة تحت ستار التجديد والاجتهاد.
- ويعرف الأستاذ يوسف كمال هذا الاتجاه بقوله: (مذهبٌ جديد بدأ في مطلع هذا القرن، قرن الهزيمة والضياع، وهو في جوهره إحياء لآراء الخوارج والمعتزلة. تولى أمره رجالٌ أريد لهم الصدارة في المكان والرواج في الفكر. يندر أن تعرف أحدهم دون أن تحس منه بشعور من يظن أنه مجدد، وأنه لم يسبق إلى فكره»^(١).
- وكل فقرة من مفردات فكر هؤلاء العصرانيين، إن في منهج النظر

(١) العصريون، معتزلة اليوم: يوسف كمال. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع -

المنصورة - مصر. الطبعة الثانية (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). (٧).

والاستدلال، أو في مجال التطبيق والسلوك تحتاج إلى بحث مستقل لا تتسع له صفحات هذا المبحث المتخصص^(١)، وحسبنا أن نعنى بموقفهم من «قضية التقريب بين الأديان»، وإمالة اللثام عن أبعاده العقدية والعملية عندهم.

وبين يدي هذا العرض لمقولات العصرانيين واتجاهاتهم، نلفت الانتباه إلى أن أفراد هذه المدرسة والمتأثرين بها ليسوا على درجة واحدة من الانحراف الفكري، ففهم الفقيه الذي طغت عليه ثقلية المتغيرات الحديثة، وأخذته حمى دفع الشبهات عن الإسلام، ودُفِعَ به أمام أجهزة الإعلام المختلفة فزلت به قدم في قضية أو قضيتين أو أكثر، باسم «مصلحة الدعوة».

وفيهم الصحفي الذي يفتقر إلى العلوم الشرعية، ويقتات على الموائد الفكرية المتاحة، فلا يستنير بنور الله، ولا ينهل من منبع الكتاب والسنة، بل محض الآراء والأذواق، ويتحدث باسم الإسلام، ويُعرف بوصفه «كاتب إسلامي» لدى عامة القراء.

وفيهم العقلاني المغرق في عقلانيته، الذي لا يرى في الكتاب والسنة مرجعية عند الاختلاف، بل يحكم فكره وتصوره اتجاهات المدارس الغربية الحديثة.

(١) انظر في ذلك: الإسلام والحضارة الغربية، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. كلاهما للدكتور محمد محمد حسين، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب. محمد حامد الناصر، العصريون معتزلة اليوم. يوسف كمال، المعتزلة بين القديم والحديث. الفصل الرابع (١٢٩ - ١٣٩). محمد العبد، طارق عبد الحليم، الفكر الإسلامي المعاصر. دراسة وتقويم: غازي التوبة. دار القلم. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٩٧٧م، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث. جمال سلطان، مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين. د. محمود الطحان.

وقد أشار إلى هذا التنوع أحدهم - وصاحب الدار أدري بما فيها - فقال:

(... فريق يفهم «العصرية» على أنها التحاق كامل بالموقف الغربي في مختلف القيم الدينية والاجتماعية السائدة. وفريق ثانٍ يرى فيها تحديثاً للأحكام الفقهية بحيث تصبح أكثر ملائمة لروح العصر، مع التزام بالأصول والكلليات في الرسالة الإلهية. وطرف ثالث يفهمها باعتبارها «تجديداً» في الدين ذاته، يحتمل الانخلاع من الأصول - بعضها أو كلها - ولا يمانع من أن ينتقي من الخطاب الإلهي ما يوافق تصوره للمصلحة، متبيناً بعض النصوص والمواقف، ومعارضاً أو متحفظاً تجاه نصوص ومواقف أخرى»^(١).

وبالتالي فإن هؤلاء العصرانيين يقفون على درجات متفاوتة في سلم الانحراف.

وتفاوتت مقالاتهم ما بين «البدعة» و«الكفر»، بصرف النظر عن قائلها، فذلك لا يعنينا هاهنا، وإنما يعنينا كشف خطر هذه المقالات على عقيدة الأمة.

كما أن قول بعضهم ليس بملزم للآخرين. يقول الأستاذ محمد حامد الناصر في بحثه القيم «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب»: (والحقيقة أن العصرانيين يمثلون تياراً عاماً لم تكتمل ملامحه بعد، ولم تكن اجتهادات رجاله واحدة، وإنما يشتركون في ملامح عامة، وخصائص مشتركة عموماً. والعصرانيون ليسوا سواء في منطلقاتهم وأهدافهم، وقد يلتقي معهم في بعض المسائل من ليس منهم، ولا يوافقهم على كثير من غلوهم وجموحهم)^(٢).

(١) التدين المنقوص. فهمي هويدي. مقالة: «الليبراليون وسلفيون» (٢٥٩).

(٢) مقدمة: العصرانيون بين مزاعم التجديد، وميادين التغريب (٧).

وقد تقدم في مبحث «الأصول التاريخية لدعوة التقريب»، أن أول من نادى بالتقريب بين الأديان في أوساط المسلمين بصورته الأخيرة جمال الدين الأفغاني، ثم تلميذه محمد عبده. ولم يزل دعاة التقريب من العصرانيين يمجّدونهما، ويشيدون بمآثرهما في هذا المضمار، وينسجون على منوالهما.

وسوف نعرض «حقيقة التقريب» عند هؤلاء الإسلاميين العصرانيين من خلال ثلاثة محاور:

الأول: الشبهات العقدية لدعوة التقريب.

الثاني: التطبيقات العملية في معاملة أهل الكتاب.

الثالث: مفهوم التقريب ومنهجيته عندهم.

أولاً: الشبهات العقدية لدعوة التقريب عند الإسلاميين العصرانيين:

كان لا بد لدعاة التقريب بين الأديان، بله التوحيد، من مقدمات عقدية يسوّغون بها مشروعهم البدعي، تماماً كما احتاجت الكنيسة الكاثوليكية في المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) إلى استحداث فكرة تعدد سبل الخلاص لأتباع الديانات الأخرى لتمرير مشروع التقارب، والخروج من أسر الإطلاقية الدينية: «لا خلاص خارج الكنيسة»^(١).

ولكن الأمر يختلف بالنسبة للإسلام، فعقيدته محفوظة مصونة، وحدوده بيّنة واضحة، لا مجال فيها لتلاعب المتلاعبين، وتحريف المحرفين. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، بخلاف دين النصارى الذي اتخذ أهله هزواً ولعباً، منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حتى مجمع الفاتيكاني الثاني المذكور آنفاً. قال شيخ الإسلام ابن

(١) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل.

تيمية عليه السلام: (وكل عاقل يعلم أن النصارى أعظم الملل جهلاً وضلالة، وأبعدهم عن معرفة المعقول والمنقول، وأكثر اشتغالاً بالملاهي، وتعبداً بها)^(١).

ومن ثم صُدم هؤلاء العصرانيون بصراحة النصوص القرآنية، وخطف أبصارهم ضوؤها، فحيل بينهم وبين ما يشتهون، فلجأوا إلى باب التحريف الذي سموه «تأويلاً»، كما فعل أشياعهم من قبل، من المعتزلة وغيرهم، بل قد سلكوا مسلكاً أبشع منهم، وأكثر جرأة وعدواناً على النصوص القرآنية، حيث مالتوا كفره أهل الكتاب على فكرة إخضاع النص القرآني لمعاول النقد التاريخي، واعتضدوا في سبيل بلوغ هذا الهدف الخبيث بالدعوة إلى إحياء عقيدة القول بخلق القرآن عند المعتزلة، لينزعوا عن الكتاب العزيز صفة القداسة والعصمة الإلهية، بوصفه مخلوقاً، ثم يشرعوا بإعمال مباضعهم في تجريح النصوص، وفق أهوائهم. فبنس الهدف، ويئست الوسيلة. يقول أحدهم، طريف الخالدي: (أرى من بين تلك المشكلات التي يجب الخوض فيها من جديد مسألة «خلق القرآن». فالقول بخلق القرآن يعني أن القرآن تاريخي. وهذا أمرٌ هامٌ جداً يتيح لنا أن ننظر من خلاله إلى الإسلام كظاهرة تاريخية، لا كنظام أزلي. كنصٍ ينبغي أن نعيد فهمه باستمرار على ضوء آخر ما استجد من العلوم البشرية، وآخر ما وصلنا إليه من فهم لتاريخ الحضارة الإسلامية)^(٢).

وقبل أن يفیق المؤمن من هول هذه الكلمات الفجة الجريئة، يعاجله الكاتب بالنتائج التي يرجوها من تطبيق هذا المبدأ الخطير،

(١) مجموع الفتاوى (١٨٧/٣٥).

(٢) اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الإسلامي. طريف الخالدي. من: المسيحيون العرب. دراسات ومناقشات: تحرير: إلياس الخوري. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت - لبنان. (١٤٥).

فيقول متابعاً: (وهنا نعود فنلتقي مع اللاهوت المسيحي لنؤكد ونشهد: إذا كان الإسلام بالفعل خاتم الأديان، فهو لا يختتم حقاً إلا بالمسيحية، أي أن كماله مشتق من كمالها، كما تجلى ذلك في تاريخ الحضارة العربية.

وإذا ألقينا نحن المسلمين نظراً على اللاهوت المسيحي لنرى ماذا يفرقنا عن بعضنا البعض، نرى أن التثليث، على عكس ما قد يتصوره البعض، هو أهون العوائق بيننا. أما أصعب العوائق فيما بيننا فهو على عكس ما قد يظنه البعض، مسألة صلب المسيح، فالصليب طريق الخلاص في المسيحية جمعاء، عربية كانت أم غربية. ونفي الصلب واضحٌ وصريحٌ في القرآن، ولكني أرى أن حتى هذا العائق لا يشكل في الواقع عائقاً حقيقياً. فالمسلم أيضاً يحمل معه «صليبه» الذي يؤدي به إلى الخلاص كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْوَةٍ وَنَجَّيْ لَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْوَرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

هذا ما تثمره منهجية «النقد التاريخي» التي يطالب بها هؤلاء المداهنون لأهل الكتاب، فينكرون ختم الرسالات الإلهية بدين الإسلام، فهو كما زعم الكاتب (لا يختتم حقاً إلا بالمسيحية، أي أن كماله مشتق من كمالها). ويخلط التاريخي بالعقدي تمويهاً وتليساً. فأين هو من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؟!

مقاييس النقد عنده توصله إلى أن (التثليث... هو أهون العوائق)!

كبرت كلمةٌ تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. فأين الذي

يستهل مقاله الفاجرة بقوله (نحن المسلمين) من قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَدُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

وحتى ما يراه أصعب العوائق، مسألة صلب المسيح، لا يراه في الواقع عائقاً حقيقياً، ولا يكرهه أن يؤوله تأويلاً باطنياً بأسهل ما يكون.

ألا يكف هؤلاء عن الاستشهاد بآيات الكتاب، ويعلمونها صريحة: أن قرأتهم: عقولهم الفاسدة وآراؤهم الشاذة، إلا فيما وافق أهواءهم.

وما يقوله هذا العصراني المتحرر ببجاجة، يردده بعض أصحاب العمائم السود على استحياء. يقول داعية التقريب الملقب بـ (آية الله) محمد حسين فضل الله^(١): (ويتساءلون^(٢)) - بعد ذلك - هل يمكن أن نطبق النقد التاريخي على القرآن الكريم كما نطبقه على الكتاب المقدس ليكون الحوار حراً في الدائرة العلمية الدقيقة؟.

(١) محمد حسين فضل الله: ولد في النجف سنة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٣م)، ودرس فيها على كبار علماء الشيعة إذ ذاك. هاجر إلى لبنان سنة (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)، أسس في بيروت «المعهد الشرعي الإسلامي»، وهو حوزة شيعية خرجت العديد من علماء الشيعة في لبنان، وقف مع الثورة الإيرانية بقيادة الخميني، وانخرط في دوامة الحرب الأهلية في لبنان، وبعد المرجع الروحي لحزب الله في لبنان. من مؤلفاته: «أسلوب الدعوة في القرآن»، «قضايا على ضوء الإسلام»، «الحوار في القرآن»، «الإسلام ومنطق القوة»، «في خطى كربلاء». انظر كتاب: آية الله السيد محمد حسين فضل الله. داعية حوار... أم ذمية. عماد شمعون (١٥ - ٢٥).

(٢) يريد: علماء النصارى.

نلاحظ في ذلك أن علماء المسلمين دخلوا في مناقشات علمية في مفاهيم القرآن، أكثر حدة وقساوة على الإيمان من المناقشة في الجانب التاريخي فيه. وذلك في المسائل المتعلقة بالإيمان، كالتجسيم والجبر ونحو ذلك، فانطلقوا في خط التأويل للظواهر في المسائل التي تختلف مع العقل القطعي، أو الحجة الفكرية، مما يجعل مناقشة التاريخ القرآني ممكنة في المنهج العقلي الإسلامي، الذي يعتمد إلى التأويل المنسجم مع السياق المجازي للقرآن، على أساس القواعد العربية البلاغية العامة^(١).

فلننظر إذاً إلى أي مدى تمتد إمكانية مناقشة التاريخ القرآني في نظر الكاتب، وإلى أي حد يتسع التأويل المنسجم مع السياق المجازي للقرآن - بزعمه - ليكون الحوار حراً في الدائرة العلمية الدقيقة، وعلى أساس القواعد العربية البلاغية العامة، كما شرط. يقول آية الله! : (إن الحوار لا بد أن يركز على مواجهة العقيدة المعاصرة للإسلام والمسيحية، وباعتبار أن الكثير من مفاهيم العقيدة لكل منهما ربما تجاوزها الواقع الفكري لهذا أو ذاك، مما يجعل الدخول في مناقشتها حركة في الفراغ. كما نلاحظه في بعض الأفكار التي يثيرها القرآن عن التفكير النصراني في عصر النزول، مثل «الإنية المتجسدة» أو «الثليث المادي المتعدد»، أو نحو ذلك مما يقول بعض المسيحيين عنه بأنه لا يمثل العقيدة المعاصرة لهم، بل يمثل لونا من ألوان التفكير البائد لبعض فرقهم التي يرفضون خطها العقيدي، كما يرفضه المسلمون، فلا يجوز لهم أن يلزموه به، كما لو كان يمثل

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي: آية الله السيد محمد حسين فضل الله. دار الملاك - لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) (١٠٩) أو: العلاقات الإسلامية المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٥٠) -

الحقيقة الإيمانية للمسيحية في بعدها الفكري العقيدي^(١).

ونسائل الكاتب أولاً: هل في الإسلام عقيدة معاصرة وعقيدة بائدة تجاوزها الواقع؟ لئن كان ذلك موجوداً في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام التي تعتمد «التقية» والظهور بوجهين مختلفين، فإن ذلك لا وجود له البتة في الإسلام الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الصادقون الطاهرون، رضوان الله عليهم.

ونسائله ثانياً: من قيّد (الإبنية) التي أنكرها القرآن على اليهود والنصارى والمشرّكين بقيد (المتجسدة)؟ ومن قيّد (الثليث) الذي شنع الله به على النصارى بقيد (المادي المتعدد)؟

هلاً أتيتنا بكتابٍ من قبل هذا أو أثارة من علمٍ إن كنت من الصادقين؟

وكيف تساق هذه الشبهات سوقاً بارداً على خبر الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويُعتزى بمراوغات ومغالطات (بعض النصارى) المبهمين، من أمثال الأب يوسف درة الحداد، والمطران جورج خضر، والمطران كيرلس سليم بستر^(٢)، وأمثالهم من بلديّيه، فيروج الكاتب آراءهم ومزاعمهم، ويدع شهادة القرآن والواقع متذرعاً بمنهج التأويل المزعوم، الذي يرفع عن نصارى اليوم القول بالثليث وبنوة المسيح، مع أنهم لم يقولوه، ولكن لتمرير مشروع التقريب، يتمحل لهم الأعذار باسم منهج النقد التاريخي للقرآن.

بقي أن نقول إن المعتزلة رغم قولهم بخلق القرآن، لم يقصدوا بذلك ما قصده هؤلاء العصريون من إنكار عصمته، وإمكانية نقده،

(١) في الآفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة (٣).

(٢) انظر: مناقشة شبهات هؤلاء في مبحث «النصارى العرب» (٤٣١ - ٤٤٨)،

(٤٥٦ - ٤٦٠)، (٤٧٨ - ٤٩٥).

على ما وقعوا فيه من تحريف، بل إنهم يعدونه أعظم الدلائل على صدق نبوة محمد ﷺ لكونه معجزاً للعالمين^(١)، ولم ينحطوا إلى ما انحط إليه هؤلاء مداهنةً وتملقاً لأعداء الله.

هذان المثالان السابقان يكشفان عن منهج القوم تجاه التعامل مع النصوص القرآنية المتعلقة بأهل الكتاب، فإذا ما دلفنا إلى تفاصيل مسعاهم إلى «التقريب» و«التوحيد» بين الأديان، نجده يتجه إلى محاولة إثبات إيمان اليهود والنصارى اليوم، وأنهم ناجون يوم القيامة. وقد سلكوا في سبيل هذه الغاية مسالك شتى يتداخل بعضها مع بعض، نحاول تمييزها فيما يلي:

أولاً: التلبيس بأن أهل الكتاب اليوم مشمولون بـ«الإسلام» بمعناه العام:

مما لا شك فيه أن الإسلام بمعناه العام، يعني الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك. وهو بهذا المعنى دين الله للأولين والآخرين، لا تختلف هذه المعاني في أي رسالة من رسالات الله، بل هي أصلها الذي تدور عليه^(٢). كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا كان رأس الإسلام «شهادة أن لا إله إلا الله»، وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه. وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي

(١) انظر: على سبيل المثال: «المختصر في أصول الدين» للفاضل عبد الجبار المعتزلي من مجموعة رسائل العدل والتوحيد. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة (٢٦٦/١). وانظر: في الرد على محاولات نقد النص القرآني: «هجمة علمانية جديدة ومحكمة النص القرآني» د. كامل سحاف.

(٢) راجع مبحث: «دين الإسلام» في التمهيد.

الْآخِرَةَ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران] (١). ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَالْمَلَكُ وَالْعِزُّ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨٦﴾﴾
[آل عمران]

فهل بقي هذا الوصف مستحقاً لهاتين الطائفتين، أم زال عنهما؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (فابتدعت اليهود والنصارى ما
ابتدعوه مما خرج بهم عن دين الله الذي أمروا به، وهو الإسلام العام.
ولهذا أمرنا أن نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]. وقد
ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوبٌ عليهم والنصارى
ضالون» (٢). وكل من هاتين الأمتين خرجت عن الإسلام وغلب عليها
أحد ضديه، فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقل فيهم الشرك. والنصارى
يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر» (٣).

وعلى هذا فكل ما جاء في القرآن من الثناء على مؤمني الأديان
السابقة، اليهود والنصارى وغيرهم، فإنما يراد به من اتصف بوصف
الإسلام العام، وربما أضيف إلى ذلك وصف الإيمان باليوم الآخر،
ووصف العمل الصالح، ممن لم يدرك رسالة نبينا محمد ﷺ، أو

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٠). قال الطبري رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُعْتَبِرُونَ﴾: (إن الطاعة التي هي الطاعة عنده: الطاعة له،
وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر
ونهى. وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك
غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية) جامع البيان (٣/٢١٢).

(٢) رواه الترمذي (٧٣/١١ - ٧٥)، وأحمد (٣٧٨/٤). وغيرهما. وقال الهيثمي
في مجمع الزوائد: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش.
وهو ثقة) (٣٣٧/٥ - ٣٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٦٢٤/٧).

أدركها وآمن به. وكل ما جاء من الذم والوعيد في شأن اليهود والنصارى، فالمراد به من خالف ذلك وحرّف وابتدع.

وهذا أمرٌ معلومٌ بالضرورة من دين الإسلام، والله الحمد. ولكن دعاء التقريب أرادوا التلبس على العامة، بحمل نصوص الإسلام العام على أهل التثليث والكبر من كفره أهل الكتاب، وإيهام الناس بأنهم مشمولون بذلك الوصف الحميد، الذي رتب عليه الجزاء الأخروي بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وإليك أيها القارئ أمثلة من مغالطات القوم في هذا الباب.

١ - محمود أبو رية:

قال: «إن النجاة من الخوف والفرع، ونيل المثوبة والأجر، أمران منعقدان بأن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر، وأن يأتي من الأعمال ما هو لصالح الدنيا والآخرة. فمن فعل هذا فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليه ولا حزن. لا فرق في ذلك بين من كانوا على ملة إبراهيم، ومن كانوا على دين غيره من الأنبياء كموسى وعيسى، بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشيء من تلك الأديان»^(١).

فهذا الكاتب الذي اشتهر بالتجني على السنة النبوية، وعلى شخص الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه^(٢)، قد تجنى على الكتاب

(١) دين الله واحد: محمود أبو رية. عالم الكتب. (٥٢).

(٢) انظر كتابه: أضواء على السنة المحمدية. وكتابه: شيخ المضيرة أبو هريرة. وقد ألّف في الرد عليه أكثر من خمسة عشر كتاباً، منها: ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة النبوية، للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، وكتاب: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء السنة من الزلل والتضليل والمجازفة. للعلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، وكتاب: السنة ومكانتها من التشريع. للدكتور مصطفى السباعي. وغيرها. ويكفيه رداً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه نفسه، أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللهم حبّب عبيدك هذا وأمه إلى»

العزیز، فی تأویل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة]، فحمله على إيمانٍ مطلق، وعملٍ مطلق، دون مراعاة دين الله وشرعه في زمان معين^(١). وهو لا يكتفي بالخلط والتلبس، وعدم التمييز بين مؤمني أهل الكتاب قبل بعثة النبي ﷺ، ومشركيهم الذين أبوا واستكبروا عن قبول ما جاء به محمد ﷺ، بل يحشد معهم من لم يدن بشيء من الأديان، ويفرق بين ملة إبراهيم ودين موسى وعيسى، وهم جميعاً على ملة إبراهيم، التي وصاهم الله بها جميعاً كما في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ آمِنُوا بِالَّذِينَ وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى].

وقد حكى عنه فهمي هويدي حكاية تكشف عن مقاييسه الطائشة في أحكام الآخرة، من أنه حضر مجلساً لبعض المشايخ، وسألهم عن «أديسون» مخترع المصباح الكهربائي، فأخبروه أنه حيث لم ينطق بالشهادتين فهو من أهل النار، فخاطبهم قائلاً: (إذا كان مثل هذا الرجل العظيم، وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم، لا يمكن - حسب فهمكم - أن يدخلوا الجنة شرعاً، لأنهم لا ينطقون بالشهادتين، أفلا يمكن أن يدخلوها عقلاً بفضل الله ورحمته، ما داموا يؤمنون بخالق السموات والأرض)^(٢).

= عبادك المؤمنين، وحب إليهم المؤمنين». قال: فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني. رواه مسلم (١٩٣٩/٤).

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد لبيان معنى الآية الكريمة.

(٢) مجلة العربي الكويتية عدد (٢٦٧) (٥٠) ربيع الأول ١٤٠١هـ. فبراير (١٩٨١م).

ألم يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝١﴾ [الزحرف] بل وأكثر مما ذكر، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّنِيعِ رَبُّ الْمَكْرِشِ الْعَظِيمِ ۝٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوُكَ ۝٨٧﴾ قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَلَٰهُمْ لَكَذِبُونَ ۝٩٠﴾ [المؤمنون]. وهذه إقرارات لمشركي العرب أعظم مما أثبتته أبو رية مؤهلاً لأديسون وأمثاله لاستحقاق الجنة، ومع ذلك لم ينفعهم - مشركي العرب - إقرارهم بتوحيد الربوبية دون إقرارهم بتوحيد الألوهية وتصديق محمد ﷺ.

أما إن كان يرى استحقاقهم الجنة بما قدموا من أعمال نافعة للبشرية فتلك ظلمات بعضها فوق بعض، فقد قال الله عن المشركين الذي يطعمون الحجيج، ويفكون العاني ونحو ذلك من صور الإحسان: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ۝١٢٣﴾ [الفرقان]. والخلق إما كافر وإما مؤمن: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنًا ۝١﴾ [التغابن: ٢]، فمن لم نعلم اعتناقه لدين الإسلام بعد بعثة محمد ﷺ حكمنا بكفره في الدنيا. والحكم بالنار على كل كافر هو صريح الكتاب والسنة، وأما استحقاق معين للنار فمتوقف على ثبوت شروط، وانتفاء موانع، كقيام الحجة الرسالية، ونحو ذلك.

٢ - محمد سعيد عشاوي:

قال: (المقصود بالآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝١٨٥﴾ [آل عمران]، ومن يبتغ غير دين الإسلام الذي دعا إليه كل الأنبياء والرسل، والذي اعتنقه أتباعه، والقرآن الكريم يفرق بين المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالله ولا بالرسل، ولا يعملون صالحاً، وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

من هؤلاء مَنْ يؤمن بالله ويعمل الصالحات. وهو المقصود بالآية الكريمة التي تبشر بالآخرة خوفهم ولا حزن^(١).

إن هذا السياق المجمل الذي لا يراعي التفريق بين من سبق بعثة النبي محمد ﷺ ومن أدركها من أهل الكتاب، ويجري الحكم فيهم مجرى واحداً، يوقع في اللبس والإيهام، وتصحيح ما عليه عامة اليهود والنصارى اليوم. وحتى مع القول أن الآية السابقة تعني الإسلام بمعناه العام، فهل اليهود والنصارى مؤمنون حقاً بالله، وبرسوله، ويعملون الصالحات؟! هل التثليث وادعاء بنوة المسيح وعزير الله إيمان؟ وهل التفريق بين رسل الله، والكفر برسالة النبي محمد ﷺ إيمان بالرسول؟ وهل ما أحدثه اليهود والنصارى من البدع والشركيات يعد من العمل الصالح؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

٣ - عبد اللطيف غزالي:

قال: (الإسلام الذي لا يقبل غيره الله هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن. وأي امرئ كان هذا حاله، فإنه مسلم سواء كان مؤمناً بمحمد، أو كان من اليهود أو النصارى، أو الصابئين، وإذن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون... والركوع والسجود وما إليهما في الصلاة، وصيام نهار رمضان، وشعائر الحج إلى بيت الله في مكة، ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد بذاتها إسلام)^(٢).

ماذا يصنع هذا القائل بقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»^(٣)، وفي حديث جبريل: «يا

(١) جريدة الأخبار (٩/١٢/١٩٧٩م) عن: العصريون معتزلة اليوم. يوسف كمال (٣٢).

(٢) نظرات في الدين. عبد اللطيف غزالي (١٦).

(٣) رواه البخاري (٨/١)، ومسلم (٤٥/١).

محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت^(١).
وقد سمي الله ﷺ الصلاة بحد ذاتها إيماناً، فقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم.

فإذا كانت أركان الإسلام، ومبانيه العظام، كما عدها وحدها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وصدّقه عليها أفضل الملائكة الكرام ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد الإسلام، فماذا يكون الإسلام إذا؟! لم يبق سوى الزندقة والتأويلات الباطنية التي لا ترى الإيمان بمحمد ﷺ شرطاً في الإيمان، ليسهل تلاقي إخوان الصفا وخلان الوفا من كفرة أهل الكتاب والمتسبين إلى الإسلام.

٤ - محمد عمارة^(٢):

حشا الكاتب كتيبه «الإسلام والوحدة القومية» بهذه الدعاوى الزائفة، ورددها بصورة مملة، نقتطف منها ما يلي: (الفوز بأجر الله

(١) رواه مسلم (١/٣٧).

(٢) محمد عمارة مصطفى عمارة: ولد بريف مصر سنة (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م)، وتعلم في المدارس والمعاهد الأزهرية، تخرج من كلية «دار العلوم» ونال درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإنسانية، اشتغل بدراسة الأعمال الكاملة لعدد من أعلام المعاصرين مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ورفاعة الطهطاوي وغيرهم. حصل على الماجستير سنة ١٩٧٠م بأطروحة عن «المعتزلة مشكلة الحرية الإنسانية»، والدكتوراه سنة ١٩٧٥م عن «الإسلام وفلسفة الحكم». يكتب في العديد من الدوريات الفكرية والمجلات، ويشارك في العديد من المؤتمرات والندوات، وعضوية المؤسسات والمجالس العلمية. مؤلفاته تربو على المائة منها: «معالم المنهج الإسلامي»، «الإسلام والسياسية»، «الإسلام والتعددية». انظر كتيب: التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية (٥٣) سيرة ذاتية.

سبحانه وثوابه، والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآن في وعيده الذي توعد به العصاة، والسعادة الإلهية التي تنفي الحزن... كل ذلك حقٌ وعد به الله سبحانه، لا المسلمين المؤمنين بالشرعة المحمدية فقط، وإنما مطلق المتدينين بالدين الإلهي، الذين جمعوا إلى إيمانهم بالالوهية، الإيمان بالجزاء والحساب، وعملوا لذلك عملاً صالحاً... جميع هؤلاء قد صدق الله لهم الوعد بالنجاة والسعادة والأمن، سواء منهم الذين آمنوا بشرعة محمد أو موسى، أو عيسى، وكذلك الصابئة «ولعلمهم الحنفاء»^(١). ثم يستدل بآيتي البقرة (٦٢)، والمائدة (٦٩) كمن سلف. ثم لا يدعنا الكاتب نحاول حمل كلامه في «المتدينين بالدين الإلهي» على من سبق بعثة نبينا محمد ﷺ بل يتتبع مسارب الأفكار، ووجوه الاحتمالات، فيبادر بنفيها، وتأكيد العكس فيقول: (ولقد يحسب البعض - وتلك قضية هامة - أن هؤلاء المبشرين بالنجاة، من أتباع الشرائع السماوية غير المحمدية، هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية، أما من أدرك هذه البعثة، أو جاء بعدها فلن ينجيه الإيمان بالله والآخره والعمل الصالح، إلا إذا هو آمن بشرعة محمد، عليه الصلاة والسلام، قد يحسب البعض هذا، ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية، لن يحول بين فرقائها الذين توزعتهم، وبين النجاة...)^(٢).

ثم شرع في عرض قطعياته الدالة بزعمه على أن الإصرار على شريعة سوى الإسلام بعد بعثة محمد ﷺ لن يحول بينهم وبين النجاة.

فيستدل أولاً ببناء الله تعالى على طائفة من النصارى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

(١) الإسلام والوحدة القومية: د. محمد عمارة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٩٧٩م. (١٤١).

(٢) المرجع السابق (١٤٢).

أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ ذَلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ
 قِيسِيَّةً وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ
 رَكَعًا أَعْيَنَهُمْ نَقِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا
 رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الْعَصَلِيِّينَ ﴿٨٩﴾ [المائدة].

وَيُعلق قائلًا: (فالحديث عن طائفة نصرانية، ظلوا على
 نصرانيتهم، كانوا، أو كان فيها قسيسون ورهبان، آمنوا بالله وبشريعة
 عيسى التي جاءتهم - ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ - وانطبعت علاقاتهم
 بالمسلمين بطابع المودة والموالة، وكانوا لذلك كله، وفي مقدمته
 تدينهم بشريعة سماوية، من أهل المثوبة بالخلود في الجنات التي تجري
 من تحتها الأنهار)^(١).

لقد وقع الكاتب في سبيل تأييد باطله في تحريف الكلم عن
 مواضعه، والقول على الله بغير علم، حيث زعم أن هؤلاء المؤمنين
 (ظلوا على نصرانيتهم)، وتعامى عن قول الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا
 مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَكَعًا أَعْيَنَهُمْ نَقِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ
 رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة]. فأي عبارة أصرح من هذه
 العبارة على إيمانهم بالرسول ﷺ وما جاء به من عند الله؟! وأي وصف
 أدل من هذا الوصف القولي والفعلي على قبول هذه الطائفة دين
 الإسلام؟! ولكن الهوى يعمي ويصم ويحجب نور الهدى عن صاحبه،
 نعوذ بالله من الخذلان.

وهكذا فهم سلف الأمة هذه الآيات وأمثالها، فقد حكى إمام
 المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله قولين في المراد بهذه الطائفة
 فقال: (قيل إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفر قدموا على

رسول الله ﷺ من نصارى الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا، واتبعوا رسول الله ﷺ وقيل: إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه. ثم ساق الروايات في ذكر من قال ذلك، ثم قال:

وقال آخرون: بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ آمنوا به^(١). وذكر من قال ذلك.

هذه تفاسير السلف المعتبرة، لا تخرج عن إثبات إيمان هؤلاء النصارى برسالة محمد ﷺ والدخول في دين الإسلام، إما حضورياً بالهجرة كما القول الأول، وإما غيابياً كما القول الثاني. أما القول الذي تقوله محمد عمارة فيندرج في التفسير بالرأي والهوى.

والعجب أن يفسر أيضاً قولهم ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ بالإيمان بشريعة عيسى ﷺ، وإن كان الإيمان بها يقتضي الإيمان برسالة محمد ﷺ واتباعه لبشارته به، ولكن المقام والسياق يقتضيان أن «الحق» ما هنا هو «الحق» المذكور آنفاً بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ فلذلك قالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾. قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: (هذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى رسوله محمد ﷺ من كتابه آمنوا به وصدقوا كتاب الله، وقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، يقول: لا نفر بوحدانية الله، ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾. يقول: وما جاءنا من عند الله من كتابه وآي تنزيله^(٢).

وأي مناسبة لحمل «الحق» على شريعة عيسى، والمقام مقام فرح

(١) جامع البيان (١/٧ - ٣).

(٢) جامع البيان (٧/٧).

بما أنزل على محمد؟ وحتى على هذا المحمل البعيد فإن الآية لا تسعف الكاتب على ما أراده من تقرير صحة التدين لله بأي شريعة سابقة، فإن ما جاء به عيسى عليه السلام وغيره من أنبياء الله يقتضي أمرين: وجوب الإيمان بالنبي الخاتم ﷺ، وجوب اتباعه أيضاً. وليس الأول فقط كما يزعم الكاتب وأمثاله، ومع ذلك لم يسلم لهم الأول ولا الثاني من يدهنون من اليهود والنصارى. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]

فإذا كان هذا حال الأنبياء مع نبينا محمد ﷺ، فأتباعهم من باب أولى. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ قَالُوا آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف] وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

ثم كيف يقبل عقل أن يكون قومٌ فيهم العلم «قيسين»، والعبادة «رهباناً»، والتواضع «لا يستكبرون»، ويخشون لسماع الحق ويفرحون به حتى تذرف دموعهم تصديقاً وفرحاً وعرفاناً، وتلهج ألسنتهم بالشهادة بالإيمان، وامتناع رد الحق الذي جاء من عند الله مُتَزَلَّاً على رسول الله، أنهم «ظلوا على نصرانيتهم»!!

تلك ثمار العقلانية الضالة، العصرانية الهوجاء، التي تحطم

العقائد، وتُحرّف الكلم عن مواضعه، في سبيل «الوحدة القومية» و«الإخاء الديني»^(١).

وقد عجم الكاتب أعواد شبهاته فكانت هذه أصلها، وشحذ سلاح رأيه وعقله فكانت أمضاها وأذكاها، فإذا هي كما قيل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

وما استدل به بعد ذلك من الآيات فمن هذا الباب^(٢)، فلا نصرف الجهد بإعادة رده، ونكتفي بقول ابن كثير رحمه الله إثر تفسير الآيات السابقة: (وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران]، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ وَلَئِنْ يُنَالِ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٢﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْبُيُوتَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُمُ اللَّعَنَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَنَّةَ﴾ [القصص].

ويتسع كرم الكاتب لغير أهل الكتاب، فيستضيف «المجوس» في مشروعه الإنساني، فيقول: (...) هذا هو موقف الإسلام كدين: دين الله واحد، وشرائعه متعددة. والنجاة ليست وفقاً على أبناء شريعة واحدة،

(١) يقول محمد عمارة معلقاً على كلمة إمامه جمال الدين الأفغاني: «لقد لاح لي بارق أمل كبير: أن تتحد أهل الأديان الثلاثة... إلخ»: (فإذا عزّت «وحدة» أبناء الأديان المختلفة... فليس بالمستحيل أن يتحقق بينهم الإخاء والوفاق والاتفاق) الإسلام والوحدة القومية (١١).

(٢) انظر: الإسلام والوحدة القومية (١٤٣ - ١٥٠).

وإنما هي جزاء من آمن بالله الواحد، وباليوم الآخر وعمل صالحاً، يستوي في ذلك المسلمون والنصارى والصابئة واليهود... بل والمجوس^(١).

مع أن «المجوس» لم يذكروا موصوفين بالصفات الثلاث التي يكتفي بها الكاتب دون الإيمان برسالة محمد ﷺ، وهي الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات. وإنما ذكروا هم والمشركين مقرونين بباقي الطوائف في مقام آخر. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج].

كيف صاروا مشمولين أيضاً بوصف الإسلام؟! أم هي نفحة عصرانية؟ وهل ننتظر أن تغمر الرحمت العصرانية، والتسامح الديني «الذين أشركوا»؟ أم أن الوقت لا يزال مبكراً على هذه الخطوة؟

٥ - فهمي هويدي:

يسهم في هذا التلبيس، فَتَحَتْ عنوانٍ فَجٍّ: «الله ليس منحازاً لأحد» يقول: (...). ثمة آيات قرآنية أخرى من رب الناس، تطل على كل الناس، من منظور أكثر اتساعاً وشمولاً، وتعطي قيمة العدل عند الله سبحانه، أبعاداً وآفاقاً بغير حدود. والآيات الثلاث هي:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البقرة].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة].

(١) الإسلام والوحدة القومية (١٧٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالصَّرَتِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج].

والآيتان الأوليان تُسويان بين الجميع أمام الله سبحانه، وتشرطان فقط الإيمان بالله والعمل الصالح ليثاب الخيرون عما فعلوا، وليطمئن الجميع إلى عدالة الله «ولموازن القسط» يوم القيامة... وفي الآية الثالثة إضافة للمجوس والمشركين، وتذكير بأن حسابهم على الله يوم القيامة، وليس على أحد من الناس في هذه الدنيا^(١).

ونناقش الكاتب الذي طرح أفكاره في باب «للمناقشة» في مجلة العربي، واكتفى بتوفر هذه الشروط الثلاثة، بل الشرطين؛ الإيمان بالله والعمل الصالح - ولا أدري لِمَ أسقط شرط الإيمان باليوم الآخر - ليصل إلى أن الإيمان بمحمد ﷺ ليس شرطاً للنجاة في الآخرة، فنسأله:

أرايت لو أن شخصاً في الأولين أو الآخرين لم يؤمن برسالة إبراهيم أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام أفلا يكون مؤمناً على شرطك وحدك؟ تماماً كما يكشف «منظورك الأكثر اتساعاً وشمولاً» إمكان ذلك مع كفر اليهود والنصارى بمحمد ﷺ، أم يختلف الحكم حينئذ؟

وهل يكون إيمان بالله تعالى دون إيمان بأنبيائه جميعاً دون تفريق بين أحد منهم؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١٥٩] أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا [١٦٠] وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ جَمِيعًا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [١٦١]﴾ [النساء].

(١) مجلة العربي الكويتية. العدد (٢٥٩) رجب (١٤٠٠هـ). يونيو (١٩٨٠م) (٣٦-٣٧).

ثم ينصب الكاتب خلافاً بين المفسرين في شأن نسخ هذه الآيات بآية: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران] فيقول: (ومن المفسرين من يخالف هذا الرأي، ويرى أن هذه الآية منسوخة بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران] من هؤلاء الطبري وابن كثير وسيد قطب الذي يشير في «الظلال» إلى أن «العبرة بحقيقة العقيدة، لا بعصبية جنس أو قوم، وذلك طبعاً قبل البعثة المحمدية، أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير». غير أن محمد عبده ورشيد رضا والشيخ دراز مثلاً، يرون أن الإسلام المقصود في الآية، والذي لا يقبل الله سبحانه سواه هو «الإيمان بالله، وإسلام القلوب له، والإيمان بالآخرة، والعمل الصالح، مع الإخلاص» بتعبير الإمام محمد عبده^(١).

وعند الرجوع إلى تفاسير الطبري وابن كثير وسيد قطب - رحمهم الله - لا نجد ذكراً للنسخ عند كلامهم على الآية المذكورة^(٢). وذلك لأن القضية من الواضوح بمكان. والأخبار لا يدخلها النسخ أصلاً، فمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً، وقد أتى بمقتضيات الإيمان، ومنها الإيمان بالرسول الذي بعثه الله في ذلك الزمان واتباعه، فهو موعود بالفوز والنجاة. ورسالة محمد ﷺ للناس كافة، فأية آل عمران لا تعارض آيتي البقرة والمائدة، بل تبينهما وحسب. ولكن فهمي هويدي يمنع النسخ لغرض آخر توهمه وأوهمه، وهو شرعية تعدد الأديان وصوابها، واعتبارها طرقاً موصلة إلى الله، ويستشفع لذلك بكل قول مجمل، وزلة عالم أو مبتدع، ويرصف هذه التقولات ليقول هو

(١) المرجع السابق (٣٧).

(٢) انظر: جامع البيان (٣/٣٣٩)، وتفسير القرآن العظيم (٢/٧٠)، وظلال القرآن

بعد ذلك: (وقيمة هذه الإشارات أنها تعكس مدى الحذر الذي ينبغي أن يتحلى به الدعاة، وهم يستخدمون كلمات الشرك والكفر والإيمان. كما أنها تعكس مدى سماحة التصور الإسلامي الحق في التعامل مع الآخرين. وقبل هذا وذلك فإن هذه الإشارة تعبر بوضوح عن مدى رحابة أبواب السماء، واتساعها لكل بادرة خير، وتلمس الأعداء للآخرين، ليس فقط من أصحاب الأديان الأخرى، بل أيضاً من الذين يبقون على شركهم لأن رسالة الإسلام لم تبلغهم على الإطلاق، أو بلغتهم على غير وجهها الصحيح، أو حتى بلغتهم على وجهها الصحيح «ولم يكونوا من أهل النظر»^(١)).

ونحن ندعو الكاتب إلى الحذر من القول على الله بغير علم بهذا اللون من الأسلوب الخطابي العاطفي، وضرورة تحرير المقالات وفق الضوابط الشرعية، فإن الذي أطلق وصف الكفر، وحكم بالخلود بالنار على مشركي أهل الكتاب، منكري نبوة محمد ﷺ نصوص الوحيين، وليس الدعاة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢] وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(٢).

كما أن على الكاتب أن يفرق بين إطلاق الحكم الدنيوي من ألفاظ الدين والإيمان على فئة أو طائفة أو ملة، وبين الحكم على معين بجنة أو نار، وتحرير مسألة «العذر بالجهل» وفق الأدلة والضوابط الشرعية، مما لا يتسع المجال لبسطها^(٣). أما تمييع حدود الدين،

(١) مجلة العربي: العدد (٢٥٩) رجب (١٤٠٠) يونيو (١٩٨٠م) (٣٩).

(٢) - رواه مسلم (١/١٣٤).

(٣) انظر: في هذه المسألة الكتب التالية:

فخلاف العدل الإلهي الذي يدندن حوله الكاتب. قال تعالى: ﴿أَفَتَجْمَلُ
الْمُسْلِمِينَ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ
لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ [القلم].

٦ - محمد الطالبي^(١):

يكشف دعاة التقريب عن سر تلهفهم على إدراج أهل الكتاب
اليوم في قائمة المؤمنين، والحكم لهم بالنجاة في الآخرة، خلافاً
للنصوص المحكمة، والإجماع المستقر المنضبط، من أن المقصود هو
التأهيل والإعداد لمشروع الحوار التقريب كما تقدم في أول هذا
المبحث، فيقول محمد الطالبي: (ولكن موقفاً كهذا^(٢))، لكي يكون مبنياً

- = * ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة. عبد الله بن محمد القرني.
* حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة. إسحاق بن
عبد الرحمن آل الشيخ.
* نواقض الإيمان القولية والعملية. د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف.
* نواقض الإيمان الاعتقادية. د. محمد بن عبد الله الوهيبي.
* منهج ابن تيمية في مسألة التكفير. د. عبد المجيد بن سالم المشبعي.
(١) محمد الطالبي: ولد في تونس عام ١٩٢١م. عمل أستاذ كرسي اللغة العربية
باريس عام ١٩٥٢م، تخصص في الدراسات اللغوية والأدبية، ونال شهادة
الدكتوراه في أطروحته عن الإمارة الأغلبية (١٨٤ - ٢٩٦هـ - ٨٠٠ - ٩٠٩م)
من جامعة السربون عام ١٩٦٨م، شغل منصب عميد كلية الآداب والعلوم
الإنسانية في جامعة تونس (١٩٦٦ - ١٩٧٠م)، عضو مجلس الثقافة العالي في
تونس، ورئيس المجلس (١٩٨٣م - ١٩٩٣م)، وحصل على جائزة الاستحقاق
المدني من أسبانية عام ١٩٦٩م. كتب مؤلفات عديدة ومقالات حول تاريخ
أسبانيا المسلمة والعلوم الإسلامية، وحول الحوار الإسلامي المسيحي عام
١٩٧٣م. انظر: من أنا في قولكم أنتم. المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة.
تنظيم كريسلام (١٠١)، انظر وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين
والمسلمين (٤٣).

(٢) يريد موقف «الحوار» بدلاً من الجدل أو الجهاد.

على أسس متينة، يجعل لازماً علينا أن نقبل شرعية تعدد الطرق المؤدية إلى الخلاص...

إذ كيف يتسنى الحوار في جوٍ من التفتح والثقة المتبادلة، إذا شدّ كل من الطرفين صاحبه مسبقاً ومنذ البداية إلى عمودٍ من أعمدة جهنم، دون أن يسمح له بأمل الخروج منها، وما ذلك إلا لأجل معتقداته الخاصة^(١) ثم ذكر قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني بشأن المسلمين، ودعوتهم إلى الحوار، ونسيان الماضي^(٢).

وصدق الله: ﴿يَبْقَوْنَكُمُ الْفِتْنَةُ وَفِيكُمْ سَنَعُونَ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]^(٣). إن الكاتب مبهورٌ بقرارات المجامع الكنسية، متشربٌ تعبيراتها واصطلاحاتها الخاصة، حتى إنه يستعمل ذات الكلمات، كقوله: تعدد الطرق المؤدية إلى الخلاص Salvation، وهو تعبير كنسي عتيق. ويظن أن العقائد الإيمانية في الإسلام شأنها شأن العقائد النصرانية الخاضعة لقوانين العرض والطلب، واختلاف المكان والزمان، وأهواء القسس والبابوات، وأكثرية الأصوات... إلخ مما صاحب مجامعهم من قديم الزمان. ولهذا يستكثر الكاتب أن يتخذ المرء موقفاً مخالفاً (لأجل معتقداته الخاصة). ألا تستأهل العقيدة ذلك؟!

إن العقيدة الإسلامية ليست من صنع البشر ونتاج أفكارهم، بل هي من لدن حكيم خبير. وليس المسلم هو الذي يزوج بالناس في النار، أو يشدهم إلى أعمدة جهنم، بل الحكم بين العباد خالص حق الله ومقتضى عدله.

(١) الإسلام والحوار: أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. مقالة

ضمن: «وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين» (٥٦).

(٢) انظر: مبحث الكنيسة الكاثوليكية من هذا الفصل.

(٣) قال ابن كثير رحمته الله: (أي مطيعون لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم)،

تفسير القرآن العظيم (٤/١٦٠).

وكيف يتغنى الكاتب بالحوار وجو التفتح، وهو يضع شروطاً مسبقة لها صفة الإلزام؟ وما الذي يمنع عقلاً - فضلاً عن شرعاً - أن يجادل المسلمون أهل الكتاب، وكل من الطرفين يختزن معتقداته الخاصة، كما جادل رسول الله ﷺ نصارى نجران؟

ولكن الكاتب يذلل الصعاب، فبعد أن يستشهد بأقوال أمثاله من دعاة التقريب، يخلص إلى القول: (فليس إذن من المستحيل على الإسلام، ولا على الدين المسيحي، ولا على بقية الأديان الكبيرة الأخرى بلا شك أن تستخلص بالاعتماد على النصوص المقدسة، وحتى بالاعتماد على بعض السنن الدينية القديمة، علم لاهوت يوفر المجال لإمكانية تعدد سبل الخلاص)^(١).

أو بعبارة أخرى: القضية محسوسة، فعلى كل دين أن يبحث له عن صيغة مناسبة بالاعتماد على أي شيء؛ نصوص مقدسة، أو سنن دينية قديمة. بقي أن يقول: حتى بالاعتماد على علم الجيولوجيا والهندسة لشق طرق الخلاص.

ويقدم توجيهاً عجيباً للتخلص من لوازم آية ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران] فيقول:

(إنها تتضح كذلك بالآيات التابعة لها. فالإسلام يصريح في غير لبس بأن سبيله إلى الخلاص هي السبيل التي ينبغي لكل الناس اتباعها. وهو لذلك يدعو إليه كل الناس. فمن آمن إيماناً راسخاً بصحة الرسالة «وابتغى غير الإسلام ديناً» فتقمص الأديان كلها في آن واحد، أو بالتداول وذلك لأسباب مختلفة ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. وكيف يمكن أن لا نكذب صدق إيمانهم إذا ما ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٧ - ٥٨).

الإسلامية، فيلتفع بمرط من الصدق والنزاهة، ويلمز أولئك الذين لا يخلصون لمبادئهم القديمة وكتبهم السابقة! ويربت على أكتاف الذين لم يكتشفوا طريق الإسلام واتبعوا سبلاً أخرى إلى الخلاص - كما يقول - ويشرهم بالجزاء الموعود في آية البقرة.

فكيف يعتنق الناس الإسلام؟ أم أن ذلك لا يعنيه بسبب تعدد طرق «الخلاص»؟!

وهذا معلّم بارز عند دعاة التقريب، وهو الزهد في الدعوة إلى دين الإسلام، في سبيل صنم «الحوار» كما يتضح من المثال التالي:

٧ - سعد غراب^(١):

قال: (ولئن كان كل حوار مخلص ينزع في الأساس إلى إقناع الغير وجلبه إلى الصف، فإن ذلك لا يجب أن يمثل الهدف الأساسي لحوار معاصر. إن هدف الحوار في عصرنا هذا، يجب أن يكون معرفياً صرفاً، يعترف بإمكانية تعدد سبل الخلاص إذا ما توفرت النية الصادقة، والسعي الحقيقي إلى معرفة الخالق). ثم استشهد كأسلافه بآية البقرة.

ونختم هذه الدعاوي المتهاففة بتعدد طرق الخلاص، بهذا الرد المحكم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (وقول القائل: المعبود واحد، وإن كانت الطرق مختلفة، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية أو اليهودية المبدلين المنسوخين موصلة إلى الله، وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله، أو

(١) سعد غراب: ولد في «غمراسان» من أعمال تونس عام ١٩٤٠م. نال إجازة في الأدب من جامعة تونس عام ١٩٦٥م، وأطروحة دولة عام ١٩٨٤م في باريس. عمل عميداً بكلية الآداب في جامعة تونس. عضو ناشط في حقل الأبحاث والحوار الإسلامي المسيحي. انظر: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٥).

التدين بذلك، أو غير ذلك مما هو كفر بالله ورسوله وبالقرآن وبالإسلام، بلا خلاف بين الأمة. وأصل ذلك المشابهة والمشاركة^(١).

ثانياً: التهوين من شأن الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ:

لما تذرع العصرانيون بدعوى الإسلام العام، ليحشدوا تحت شعاره كل مشرك وكافر، كان من لازم ذلك ومقتضاه محاولة التهوين من شأن الإسلام الخاص الذي جاء به محمد ﷺ، وعدم اشتراط الإيمان برسالته لاستحقاق وصف «الإيمان» في الدنيا، و«النجاة» في الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن الإسلام الخاص الذي بعث به محمداً ﷺ، المتضمن لشريعة القرآن: ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ. والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا)^(٢).

وقال: (ومن حين بعث الله محمداً ﷺ، ما يقبل من أحد بلغته الدعوة إلا الدين الذي بعثه به؛ فإن دعوته عامة لجميع الخلائق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: ٢٨]، وقال ﷺ: «لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»^(٣).

وقال: (فكل من لم يعبد الله بعد مبعث محمد ﷺ بما شرعه الله من واجب ومستحب فليس بمسلم)^(٤). وقال أيضاً: (والإيمان بالرسول، هو «الأصل الثاني» من أصلي الإسلام، فمن لم يؤمن بأن محمداً رسول الله إلى جميع العالمين، وأنه يجب على جميع الخلق متابعتة،

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٣/٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٩٤/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٢/١١ - ٥٢٣) والحديث رواه مسلم، تقدم.

(٤) مجموع الفتاوى (١٩٠/١).

وأن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله، فهو كافر: مثل هؤلاء المنافقين ونحوهم ممن يجوز الخروج عن دينه وشرعته وطاعته؛ إما عموماً وإما خصوصاً. ويجوز إعانة الكفار والفجار على إفساد دينه وشرعه^(١).

هذا منطق أهل الإسلام في قديم الدهر وحديثه، عليه ينشأ الصبيان، ويهرم الشيوخ، ولا يخالج مسلماً شك في هذه العقيدة الراسخة. فلنستمع الآن إلى «الحن القول» من دعاة التقريب بين الأديان:

١ - محمد عبده:

قال: (إن الكتابية ليس بينها وبين المؤمن كبير مباينة. فإنها تؤمن بالله وتعبده، وتؤمن بالأنبياء، وبالحياة الأخرى، وما فيها من الجزاء، وتدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر. والفرق الجوهرى العظيم بينهما هو الإيمان بنبوة محمد ﷺ، ومزاياها في التوحيد والتعبد والتهذيب. والذي يؤمن بالنبوة العامة لا يمنعه من الإيمان بنبوة خاتم النبيين إلا الجهل بما جاء به، وكونه قد جاء بمثل ما جاء به النبيون، وزيادة اقتضتها حال الزمان في ترقيه واستعداده، لأكثر مما هو فيه، أو المعاندة والجحود في الظاهر، مع الاعتقاد في الباطن، وهذا قليل، والكثير الأول.

فإذا كان الفرق بيننا وبين أهل الكتاب يشبه الفرق بين الموحدين المخلصين العاملين بالكتاب والسنة، وبين المبتدعة الذين انحرفوا عنهما، فكيف يكون أهل الكتاب كالمشركين في حكمه تعالى؟^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٥٢/١١).

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده. نقلاً عن: الإسلام والوحدة القومية (٦٥).

هكذا يؤول «الفرق الجوهرى العظيم» بين المؤمن الحنيف، والكتابية المثلثة إلى ما يشبه الفرق بين الموحّد المخلص العامل بالكتاب والسنة، والمبتدع الذى تجمعه مع الموحّد دائرة الدين الواحد!! ويقال لمن جحد نبوة محمد ﷺ ما أنت إلا مبتدع معذور بالجهل، أو الجحود الظاهري مع سلامة اعتقادك الباطني، كما يصور «الأستاذ الإمام».

٢ - محمد حسين فضل الله:

قال: (إن كل المفردات المسيحية اليهودية - مع التحفظ في بعض التفاصيل - هي مفردات إسلامية، مع الفارق في مسألة الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ. إذأ في مثل هذه الدوائر ليس هناك مشكلة كبيرة إلا في تفاصيل الإيمان بالله الواحد، ومسألة الرسالة، وهذا أمر قابل للحوار)^(١).

كل هذا وليس ثم مشكلة كبيرة! إذا كان الفارق هو في مسألة الإيمان بالله ونبوة محمد ﷺ فماذا أبقيت؟ وإذا كان هذان الأصلان محلّاً للحوار والتنازلات والمساومات مع أهل التثليث ومنكري النبوة، فما الذى لا يقبل الحوار، ولا يطاله النقاش عندك يا ترى؟ لعلها عقيدة الإمامة، أو الرجعة، أو صاحب السرداب، أو نصوص الرقاع!

٣ - محمد عمارة:

قال: «إذا ما وقف أهل الكتاب، من أتباع شرائع الرسل الذين سبقوا محمداً ﷺ عند التصديق برسالة رسلهم، وأبوا التصديق برسالة محمد ونبوته - مع توحيدهم وعملهم الطاعات - فإن ذلك الوقوف، وهذا التوقف لا يخرجهم من إطار الدين الواحد، ولا حظيرة التدين

(١) في آفاق الحوار الإسلامى المسيحي (٤٤).

بالإسلام فموقفهم هذا هو انحراف. والفرق بين من يؤمن بمحمد، وبكل الرسل، وبين الذين يجحدون نبوة محمد ورسالته - مع توحيدهم وطاعتهم - كمثل الفرق بين إيمان المؤمن الخالي من «البدع» وبين إيمان من تشوب «البدع» إيمانه^(١).

تلك أصداء دعوة محمد عبده، يرددها تلاميذه من بعده في سابقة ليس لها مثل في تاريخ العقيدة الإسلامية. فإنكار الشق الثاني من الشهادتين لا يعدو في نظر الكاتب «انحرافاً بدعياً» يشوب الإيمان الأصيل فقط!

وهل سلم لكفرة أهل الكتاب الشق الأول «شهادة أن لا إله إلا الله» حتى يماكس محمد عمارة في إسقاط الشق الثاني عنهم؟ بل إن شق الشهادة الأول لا يتم ولا يتحقق إلا بشقها الثاني. أين من يقول الأب والابن وروح القدس إله واحد من حقيقة التوحيد؟ وأي طاعات شركية بدعية تصح لهم، حتى يلوح الكاتب بالتوحيد والطاعة كلما رام الغض من «شهادة أن محمداً رسول الله».

ثالثاً: التلاعب بالفاظ الدين والإيمان:

خاض دعاة التقريب من أتباع المدرسة العصرانية في إطلاق أسماء الدين والإيمان بغير نور من الله ولا برهان، وتقحموا في هذه المسالك الوعرة بحسب ما زينته لهم الأهواء، مع خطورة هذه الإطلاقات سلباً وإيجاباً، وإن كانوا ينزعون بطبيعة الحال إلى الإرجاء والتهاون وتمييع الحدود بين الكفر والإيمان وهو أمر لا يقل خطورة عن التكفير، ونزع وصف الإيمان عن مستحقه نسأل الله العصمة، ونعوذ به من الزلل. قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -

(١) الإسلام والوحدة القومية (٦٤).

رحمهما الله :- (. . .) يجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين، وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة والإجماع بأنه مسلم^(١).

وابتدع هؤلاء العصريون أسماء وألقاباً وتقسيمات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قال بها أحد من أهل الإسلام، كما فعل أشياعهم من قبل أهل الاعتزال حين ابتدعوا لقب «المنزلة بين المنزلتين»^(٢) ومن أمثلة ذلك:

١ - محمد عمارة:

قال: «(. . .) من يؤمن، كأتباع محمد، بكل ما نزل الله، قرآناً فما سبقه، وبكل الرسل، منذ بدأت الرسالة فهو «المهتدي». ومن يترك الإيمان بشيء مما سوى التوحيد والطاعة فهو في شقاق. وهو «كافر» أي «جاحد» بهذا الذي لم يؤمن به، ولكنه غير «مشرک» لأنه متدين وموحد، بل ومسلم»^(٣).

(١) الدرر السنية (٢١٧/٨).

(٢) المقصود بها أن صاحب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، بل صار في منزلة بين منزلتين. وأول من أطلقها على مرتكب الكبيرة مؤسس نحلتهم «واصل بن عطاء» حين سأل سائل الحسن البصري عليه السلام عن حال أصحاب الكبائر، فابتدر واصل بن عطاء الجواب وقال: (أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر). الملل والنحل (٤٨/١).

(٣) الإسلام والوحدة القومية (٦٣).

تُرى ما ثمرة هذا التفريق بين «الكافر» و«المشرك» في حكم الله في الدنيا والآخرة؟ وهل الشرك إلا ضربٌ من ضروب الكفر؟

لكن الكاتب، بناءً على أصله الفاسد في عدم اشتراط الإيمان بنبوة محمد ﷺ يجعل كفر اليهود كفراً مقيداً بهذا الذي لم يؤمنوا به على حد تعبيره، ولا يجسر على إطلاق ما أطلقه الله من تكفيرهم مراعاةً للوحدة القومية، ويخلع عليهم جزافاً ثلاثة ألقاب: «متدين» و«موحد» بل و«مسلم». والله تعالى قد كفر النصارى في ثلاثة مواضع صريحة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٢٧]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وهي آخر ما نزل من سور القرآن.

٢ - محمد حسين فضل الله:

قال: (إن كلمة الكفر لا تنطلق من نفي إيمان المسيحيين بالله، لأن القرآن يؤكد هذا الإيمان عندما يتحدث عن «الكلمة السواء»، وعن توحيد الله في مضمون هذه الكلمة، بل تنطلق من الكفر بالرسول محمد، باعتبار أن المسيحيين لا يؤمنون به كرسول من قبل الله. مع ملاحظة أن الكفر بالرسول يجعل الإنسان كافراً من هذه الناحية، لأن الكفر والإيمان عنوانان نسيبان فهناك كفر وإيمان يتنوع حسب تنوع موارد. فقد يكون الإنسان كافراً بالنسبة إلى شيء، ومؤمناً بالنسبة إلى شيء آخر. فنحن نؤمن بالله ونكفر بالطاغوت...

إن القرآن ينفي عنهم الشرك بالصراحة من حيث يثبت لهم الكفر بالرسالة والرسول وذلك هو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة^(١)].

إن مما يلفت الانتباه تطابق رأي الكاتبين في نفي الشرك عن أهل

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (١٠٠ - ١٠١).

الكتاب، والإقرار بإطلاق لفظ «كفر» مقيد أو نسبي عليهم، من جهة إنكارهم نبوة محمد ﷺ رغم اختلاف انتماء الكاتبتين لمدرسة الاعتزال ومدرسة الرفض، وما ذاك إلا أنهما تلميذان نجيبان لسلفيهما مؤسسي جمعية التقريب بين الأديان، محمد عبده، وميرزا باقر. تشابهت قلوبهم.

ويقول أيضاً: (إن القرآن الكريم يؤكد في الكثير من آياته على ضرورة الوقوف مع أهل الكتاب على «الكلمة السواء» وهي كلمة التوحيد، لأنه يعتبرهم «موحدين». كما وأن القرآن الكريم لا يعتبر اليهود، كما لا يعتبر النصارى مشركين؛ بل يعتبر المشركين فريقاً آخر غير أهل الكتاب، وهذا ما عبّر الله ﷻ عنه في سورة البينة عندما قال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ❶ فكلا الفريقين كافرئين، لأن المشرك يكفر بالتوحيد، بينما يكفر أهل الكتاب بالرسالة. فهم لا يكفرون بالله، ولكنهم يكفرون برسالة رسول الله ﷺ. ومع أن إنكار الرسالة كفر، لكن المسألة التي لا بد من استيعابها أن الإسلام لا يعتبر أهل الكتاب مشركين، وإنما يعتبرهم «موحدين» ❶).

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً! فليس في القرآن العظيم كلمة تصف «أهل الكتاب» المنكرين لنبوة محمد ﷺ بالتوحيد والإيمان، فضلاً أن تؤكد، بل القرآن مليء ببيان كفرهم وشركهم بالله العظيم كما تقدم، وكيف يوصف بالتوحيد من فرق بين جملتي شهادة التوحيد اللتين جعلهما ﷻ ركناً واحداً؟ وأما دعوتهم إلى «الكلمة السواء»: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَالُوا إِلَٰكَ كَلِمَةٌ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آدِبًا إِلَىٰ دُونِ

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٥٩ - ٦٠).

اللَّهُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٤٩﴾ [آل عمران] فلأنهم كانوا مفارقين لهذه الخصال الثلاث المذكورة في الآية، لا لاتصافهم بها كما أوهم الكاتب، ولو كان كما زعم، لما احتاج الأمر إلى دعوتهم إلى ما هم عليه ولما ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]. فلا يقوم احتمال التولي مع الموافقة، وإنما مع المخالفة. وهذا أمر بينٌ والله الحمد. وقد دمجهم الله بهذا الكفر والشرك في غير ما موضع كقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة].

ألا تكفي هذه الآية المحكمة لوصف اليهود والنصارى بالكفر والشرك معاً، وتبرئة «التوحيد» و«الإيمان» منهم؟

ثم أي ثمرة يجنيها الكاتب وأمثاله من الرضا بوصف أهل الكتاب بالكفر دون الشرك^(١)، مستدلين في كل مناسبة بصدر سورة البينة؟ هلا

(١) وقد ذكر فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - حفظه الله - في معجم المناهي اللفظية جملة: (المشرك لا تشمل الكتابي) وقال: (هذا غلطٌ قبيح). وقد دعت إليه في عصرنا «منظمة مجمع الأديان السماوية» - رد الله كيدهم عليهم - والأدلة على شركهم وكفرهم، أكثر من أن تُحصَر، منها: (قوله ﷺ: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب... الحديث: دلالة على إطلاق لفظ «المشرك» على أهل الكتاب فإنهم هم المعنيون بهذا الحديث). ثم نقل عن شيخه العلامة المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي فتوى محررة جاء فيها: (ما ذكرتم من أن القرآن فرَّق بين المشركين وبين أهل الكتاب واستشهدتم لذلك بآية المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيَتُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة] فهو كما ذكرتم؛ لأن العطف يقتضي بظاهره الفرق بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد تكرر في القرآن عطف بعضهم على بعض كآية التي تفضلتم =

= بذكرها، وكقوله تعالى: ﴿لَرَبِّكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾ [البينة: ١]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَسْتُمْ مِنْ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، إلى غير ذلك من الآيات. وظاهر العطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين، لأن عطف الشيء على نفسه يحتاج إلى دليل خاص يجب الرجوع إليه، مع بيان المسوغ لذلك كما هو معلوم في محله، وما تفضلتم بذكره من أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أمر بإلحاق أهل الكتاب بالمشركين في عدم دخول المسجد الحرام فمستنده المسوغ له: أن الله جلا وعلا صرح في سورة التوبة أن أهل الكتاب من يهود ونصارى من جملة المشركين، وإذا جاء التصريح في القرآن العظيم بأنهم من المشركين، فدخلهم في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] لا إشكال فيه، وآية التوبة التي بين الله فيها أنهم من جملة المشركين هي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِالْأَيْدِي يُصْهِرُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ إِنَّهُ يُوَفِّكُونَ ﴿٢٥﴾ أَخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَبَّكَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة]. فتأمل قوله تعالى في اليهود والنصارى ﴿سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يظهر لك صدق اسم الشرك عليهم فيتضح إدخالهم في عموم ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾. ووجه الفرق بينهم بعطف بعضهم على بعض: هو أنهم جميعاً مشركون، والمغايرة التي سوغت عطف بعض المشركين على بعض هي اختلافهم في نوع الشرك، فشرك المشركين غير أهل الكتاب كان شركاً في العبادة لأنهم يعبدون الأوثان، وأهل الكتاب لا يعبدون الأوثان، فلا يشركون هذا النوع من الشرك، ولكنهم يشركون شرك ربوبية كما أشار له تعالى بقوله: ﴿أَخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَبَّكَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ومن اتخذ أرباباً من دون الله فهو مشرك به في ربوبيته، وادعاء أن عزيزاً ابن الله والمسيح ابن الله: من الشرك في الربوبية، ولما كان الشرك في الربوبية يستلزم الشرك في العبادة قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة] انتهى. (معجم المناهي اللفظية (٥٠٩ - ٥١١)).

أتم قراءتها ليجد في أثناءها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝﴾ [البينة].

ونجده في موضع آخر لا يكاد يثبت على وصفهم بالكفر، فيقول: (هناك انطباع لدى بعض المسلمين أن النصارى كافرون أو مشركون...) ^(١)، فهل تحولت عقائد القرآن إلى مجرد «انطباعات»؟! ولكن القوم هان عليهم دينهم فهانوا لعدوهم، فطفقوا يعبثون بهذه المعاني الجليلة، ويتلاعبون بها كما يلعب أحدهم بأحجار رقعة الشطرنج. وفي المثال التالي شاهدٌ جلي على هذه الممارسات العبثية في أسماء الدين والإيمان:

٣ - عبد اللطيف غزالي:

قال: (أما اليوم فلم يعد هناك شركٌ ولا وثنية ولقد أصبح الدين لله وحده في وعي الدينين، ولا شك أن إله المسلمين وإله المسيحيين وإله الناس جميعاً هو إله واحد...) .

إن حرية العقيدة السائدة في العالم المتحضر، والتي تنص عليها مواثيق الدول هذه الحرية هي المرادة الآن للتوحيد. أما العداء بين الأديان فهو... الذي يعتبر شركاً. لأن كل فريقٍ من المتعادين يعتقد أنه وحده على الحق، وأن له وحده على الله حق النصر. ومؤدى هذا بالضرورة أن يكون مفهوم كل فريقٍ عن الله مختلفاً مع مفهوم الآخر، أو بعبارة موجزة: أن آلهة عدة يختص كل منهم فريقاً من الناس بعقابه دون الآخر. وهذا هو الشرك الحديث ^(٢). وهذا غشاً لا يستحق التعليق.

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٣٤).

(٢) نظرات في الدين (٣٦) عن العصريون معتزلة اليوم (٣٣).

رابعاً: الاعتذار عن كفر «أهل الكتاب» بالتأويلات الباطلة:

لقد حكم الله سبحانه وتعالى بكفر أهل الكتاب كفراً عقدياً بسبب وقوعهم في شرك الربوبية، وشرك العباداة، من بعد ما جاءهم العلم. ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَلَئِنْ الَّذِينَ أُوْرُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْيُوكَ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ [الشورى].

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ يَنْتَهِ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الباقية]، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُورُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ﴾ [البينة].

فقطع الله معاذيرهم، وأقام عليهم الحجة، وكان من آخر البيّنات التي أظهرها الله لهم بعثة محمد ﷺ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف] وهي أوصاف منطبقة غاية الانطباق على نبينا محمد ﷺ، فمن سبقت له من الله الحسنی آمن به وعزّره ونصره واتبع النور الذي أنزل معه، ومن ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس].

وكان من جملة ما أكفرهم الله به بالإضافة إلى جحودهم وتكذيبهم نبيه الخاتم ﷺ - النصارى خاصة - ثلاث مسائل: ادعاء الوهية المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وقولهم إن الله ثالث ثلاثة، ودعوى بنوة المسيح لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ولم يزل أهل الإسلام يصيِّحون بهم من كل جانب، وفي كل جيل وقبيل،

يسفهون عقولهم، ويفضحون باطلهم بالمناظرات والتأليف، والمجادلة بالتي هي أحسن دون عدوانٍ أو إكراه، حتى هدى الله منهم خلقاً كثيراً. ولم يخامر أهل الإسلام الشك في أن ما أخبر الله به هو عين ما عليه القوم اعتقاداً وعملاً، حتى انبرى في هذه الأزمنة الأخيرة رجال من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ينافحون عنهم، ويعتذرون لهم، ويركبون الصعب والذلول للدفاع عنهم، يلوون أعناق النصوص التي تستهدفهم، ويتكلفون، بل يتعسفون تأويلها تأويلاً مستكراً مذبوماً في سبيل صون ما استباححت النصوص من بيضتهم. وهم في ذلك يرددون كالببغاوات، مقالات نفرٍ من النصارى مردوا على الجدال والمغالطة، وتزويق الكلام دون حيلة عما هم عليه قيد أنملة.

١ - عبد العزيز كامل:

قال: (ونحن في منطقة الشرق الأوسط نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى. وأقولها واضحة: يستوي في هذا الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأفانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختم بالوحد. هذه منطقة توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف. حتى في مصر القديمة مع التعدد الظاهري كان للآلهة كبير هو أوزير)^(١).

سبحان الله! ألم يكن قانون الإيمان النيقاوي هو الإيمان الرسمي السائد لجمهور النصارى وقت تنزل القرآن، ومع ذلك قيلت لهم واضحة: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

(١) الإسلام والعصر (١٩٤). عن: المصريون معتزلة اليوم (٣١).

٢ - د. يوسف الحسن^(١):

قال: (عاش المسلمون والمسيحيون العرب فهماً مشتركاً للمبادئ الإيمانية السماوية، وإسلام النفس لله، فكانوا جميعاً أبناء حضارة واحدة، معتمدين العقل ووحدة العيش، وشراكة المصير، ورابطة الثقافة والفكرة الوطنية سبيلاً للتفاهم والتقارب في شؤون الدين والدنيا على حد سواء)^(٢).

٣ - محمد حسين فضل الله:

ممن تولى كبر الاعتذار لكفرات أهل الكتاب في العصر الحديث داعية التقريب بين الأديان، محمد حسين فضل الله، فنسوق جُملاً من تأويلاته:

(... إن القرآن الكريم قد تحدث عن ربوبية السيد المسيح على أساس نظرية «التجسد» أو «التجلي» أو نحو ذلك، بحيث يختزن الإنسان في وعيه صورة الله في صورة السيد المسيح، واعتبر ذلك كفراً، لأنه يخالف الحقيقة التوحيدية، من وجه المفهوم القرآني الذي ينكر التجسد الإلهي، أو التجلي في بعض خلقه. وبذلك فإن هذه

(١) يوسف الحسن: ماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأميركية في واشنطن، دكتوراه في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة. يعمل في السلك الدبلوماسي في دولة الإمارات العربية المتحدة منذ عام ١٩٧٢م. له مؤلفات منها: البعد الديني في السياسة الأميركية، تجاه الصراع العربي - الصهيوني، دراسات في الإدارة والحكم المحلي. انظر: التعريف به في كتابه (البعد الديني في السياسة الأميركية) إصدار: مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتحديات: د. يوسف الحسن. المجمع الثقافي - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الأولى ١٩٩٧م. (٢٠).

العقيدة تخالف بساطة المفهوم العقيدي للتوحيد، مما يجعله كفرًا فلسفيًا في التفاصيل بلحاظ الصفات. تمامًا كما هو الرأي الكلامي أو الفقهي الذي يرى المجسمة في الدائرة الإسلامية كافرين بالمعنى العميق. وهذا هو ما تحرك فيه الجدل الكلامي بين القائلين بخلق القرآن، والقائلين بقدمه، وأنه غير مخلوق، إذ استند القائلون بالحدوث إلى أن القدم يستلزم تعدد القدماء من خلال طبيعة الاثنينية مما يتنافى مع الحدوث. وفي ضوء ذلك فإن الكفر لا يتصل بالمبدأ. تمامًا كما هي نسبة الصفة للكافرين بالله المنكرين وجوده، ولكنه كفر فلسفي أو نسبي بالمعنى الذي يفقد الإيمان بالمعنى التوحيدي في حقيقته بحسب المفهوم القرآني. وهذا هو ما توحى به كلمة الشرك في ضوء التعددية في تثليث الأقانيم على أساس لوازمها الخفية بالمعنى الفلسفي، لا بالمعنى المباشر في الطبيعة الإيمانية^(١).

(...) نحن نلاحظ مثلاً في الوجدان المسيحي الشعبي، في قضية السيد المسيح أنها تختلف عن الجانب الفلسفي الذي يتحدث عن علاقة الأب بالابن فيما هي المسألة الفكرية التي تجعل الابن سر الكلمة الإلهية تمامًا، كما هو الكلام في صفات الله لدى الذين يقولون بقدم القرآن، من دون أن يكون ذلك أساساً في التعددية التي تنفصل عن الوحدة^(٢).

(...) المسألة التي لا بد من استيعابها: أن الإسلام لا يعتبر أهل الكتاب مشركين، وإنما يعتبرهم موحدين. وإن كانوا يفهمون التوحيد بطريقة أو بأخرى... إذ يوحدون الله، ولكنهم يعتبرون أن عيسى عليه السلام

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، قراءة في الراهن والمستقبل. من العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (١٤٣ - ١٤٤) أو: آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (١٠٠ - ١٠١).

(٢) أحد المرجعين السابقين (٣٥) أو (٩١) حسب الترتيب السابق.

تجسيداً لله. بمعنى أن عيسى ليس شيئاً منفصلاً عن الله، بل الله أراد أن يتجسد في عيسى ليتحمل آلام البشرية^(١).

(... إن الحوار لا بد أن يركز على مواجهة العقيدة المعاصرة للإسلام والمسيحية، وباعتبار أن الكثير من مفاهيم العقيدة لكل منهما ربما تجاوزها الواقع الفكري لهذا أو ذاك، مما يجعل الدخول في مناقشتها حركة في الفراغ. كما نلاحظه في بعض الأفكار التي يثيرها القرآن في عصر النزول في مثل: «الابنية المتجسدة» أو «الثلاث المادي المتعدد» أو نحو ذلك مما يقول بعض المسيحيين عنه أنه لا يمثل العقيدة المعاصرة لهم، بل يمثل لوناً من ألوان التفكير البائد لبعض فرقهم التي يرفضون خطها العقيدي، كما يرفضه المسلمون، فلا يجوز لهم أن يلزموهم به كما لو كان يمثل الحقيقة الإيمانية للمسيحية في بعدها الفكري العقدي)^(٢).

إن الكاتب ينطلق في الاعتذار عن كفر النصارى من منطلقات، يقوم هو بنفيها في مواضع أخرى في تناقض صريح:

أولاً: يصور الكاتب أن الأساس القرآني لتكفير النصارى هو نظرية التجسد أو التجلي الإلهي في شخص المسيح، الذي لا يمثل الحقيقة الإيمانية النصرانية، وبالتالي فلا يجوز إلزامهم بما لا يلتزمونه، بل ويرفضونه.

وفي جملة أخرى يقول: (ولكنهم - أي المسيحيين - يعتبرون أن عيسى تجسيد لله، بمعنى أن عيسى ليس شيئاً منفصلاً عن الله، بل الله أراد أن يتجسد في عيسى لتحمل آلام البشرية). ما الفرق بين ما أثبتته وما نفاه يا ترى؟!

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٦٠).

(٢) في آفاق الحوار الإسلامي - مقدمة. وقد تقدم الاستشهاد بهذا النص في أول هذا المبحث لبيان تطبيق منهج النقد التاريخي الذي يتنادى به دعاة التقريب.

ثانياً: ينادي الكاتب بأن يركز الحوار على مواجهة العقيدة المعاصرة للنصرانية دون ما تجاوزه الواقع الفكري لها، ويمثل لذلك بـ (الأفكار التي يثيرها القرآن عن التفكير النصراني في عصر النزول في مثل: «الابنية المتجسدة» أو «التثليث المادي المتعدد». ثم يعترف في موضع آخر أن الوجدان الشعبي للنصارى في قضية ألوهية المسيح يختلف عن الجانب الفلسفي.

فأيهما يعتمد في المواجهة باعتباره عقيدة معاصرة؛ الوجدان الشعبي أو الفكر الفلسفي؟

ثالثاً: حاول الكاتب تلطيف شرك النصارى القائلين بألوهية المسيح، وأن الله ثالث ثلاثة، بتنظيره بمذهب أهل السنة القائلين بإثبات الصفات، وخصوصاً كون القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن ذلك لا يقتضي التعددية المنافية للتوحيد فيجعل (المسألة الفكرية التي تجعل الابن سر الكلمة الإلهية تماماً كما هو الكلام في صفات الله لدى الذين يقولون بقدم القرآن، ومن دون أن يكون ذلك أساساً في التعددية التي تفصل عن الوحدة) ليعود في موضع آخر متدرعاً بمذهب المعتزلة، نفاة الصفات لتأكيد ما نفاه أو حاول تخفيفه، فيقول: (وهذا هو ما تحرك فيه الجدل الكلامي بين القائلين بخلق القرآن، والقائلين بقدمه، وأنه غير مخلوق، إذ استند القائلون بالحدوث إلى أن القدم يستلزم تعدد القدماء، من خلال طبيعة الاثنينية، مما يتنافى مع الحدوث).

ثم يعتضد برأي مفسر رافضي معتزلي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] فيقول: (وهذا هو ما جاء في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي^(١)،

(١) محمد حسين الطباطبائي الحسني، التبريزي. هاجر إلى النجف، وتوفي في تبريز عام ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م. له: الميزان في تفسير القرآن. انظر: معجم المؤلفين (٢٤٦/٩).

حيث قال في تفسير الآية ما لفظه: «ثالث ثلاثة» أي: أحد الثلاثة: الأب والابن والروح القدس، أي هو ينطبق على كل واحد من الثلاثة وهذا لازم قولهم: إن الأب إله، والابن إله، والروح إله، وهو ثلاثة، وهو واحد، يضاهئون بذلك نظير قولنا: إن زيداً بن عمرو إنسان. وهناك أمرٌ واحدٌ وهو المنعوت بهذه النعوت. وقد غفلوا عن أن هذه الكثرة إن كانت حقيقية غير اعتبارية، أوجبت الكثرة في المنعوت حقيقة، وأن المنعوت إن كان واحداً حقيقة أوجب ذلك أن تكون الكثرة اعتبارية غير حقيقية. فالجمع بين هذه الكثرة العددية والوحدة العددية، في زيد المنعوت بحسب الحقيقة، مما يستكف العقل عن تعقله^(١).

وقد تناقض محمد حسين فضل الله أولاً، وأخطأ ثانياً؛ تناقض حين نفى أن تكون البنوة والتثليث (أساساً في التعددية التي تفصل عن الوحدة)، ثم ينتصر في موضع آخر للقائلين بـ (أن القدم يستلزم تعدد القدماء، من خلال الطبيعة الأثنينية، مما يتنافى مع الحدث)، وأن ذلك (مما يستكف العقل عن تعقله) كما قرر علامته الطباطبائي.

وأخطأ كما أخطأ سلفه المعتزلي في إطلاق القول أن إثبات القدم يستلزم تعدد القدماء. وهذه المقالة أصل من أصول أهل الاعتزال، التي يلبسون بها على الناس. وفيها إجمال يحتاج إلى تفصيل:

■ فإن كان الموصوف بالقدم قائماً بنفسه، مستقلاً بذاته عما أضيف إليه فهذا ممتنع، لأنه ليس ثم متصف بذلك إلا الله ﷻ، لأنه «الأول» الذي ليس قبله شيء.

■ وإن كان الموصوف بالقدم لا يقوم بنفسه، ولا يتصور انفكاكه عن أضيف إليه فهو صفته، والصفة تابعة للموصوف، فليس في إثبات

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة في الراهن والمستقبل. من: العلاقات الإسلامية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٤٣).

قدمها إثباتٌ لقديمٍ آخر كما توهم المعتزلة، بل إثباتٌ قديمٍ وصفته^(١) أو صفاته.

وعليه فالقرآن كلامه ﷻ، وكلامه صفة من صفاته، فلا اثنية هنا، بل صفة قائمة بموصوف. فإذا قيل محمد متكلم، فإن ذلك يتضمن إثبات أمرين: ذات محمد، وكلامه، ولا يقول عاقل أنه دل على إثبات ذاتين منفصلتين. ولكن الأمر يختلف تماماً في دعوى ألوهية المسيح. فالمسيح ﷺ ذات مستقلة، قائم بنفسه، ليس عرضاً ولا صفة، فمهما فلسف القوم ألوهيته فلا مفر لهم من القول بالحلول أو التعدد. وكذلك الحال في عقيدة التثليث، أو ما يسمونه بالأقانيم الثلاثة، لا يمكن تنظيرها بحال على إثبات الصفات الإلهية كالسمع والبصر والعلم وغيرها، فليس ثم إلا التعدد الشركي، الذي أكفرهم الله به، ويحاول هؤلاء العصرانيون تبرئتهم منه.

وبناءً على هذا الأصل الفاسد فقد شهر محمد حسين فضل الله، ومن قبله الطباطبائي، ومن قبله سائر أهل الاعتزال، سيفاً مفلولاً على النصارى لا ينكأ ولا يقتل - فلا نسلم للطباطبائي أن معنى «ثالث ثلاثة» (أي هو ينطبق على كل واحدٍ من الثلاثة) فإن الله تعالى قال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ثَاقِبٌ أَثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] وليس معناه أنه ﷺ ينطبق على

(١) جرى التعبير بلفظ «القديم» و«القدم» تنزلاً مع هؤلاء المتكلمين في اصطلاحاتهم، وإلا فليس «القديم» من أسماء الله الحسنى، ولا القدم من صفاته إذ لا يعطي لفظ «القديم» دلالة اسم الله «الأول» الذي ليس قبله شيء، فكل قديم فله ابتداء. ولكن مقام المناظرة والمجادلة أوسع من مقام التقرير. وربما ورد «القديم» بمعنى الأزلي، كما في حديث دعاء دخول المسجد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم). رواه أبو داود (٣١٨/١)، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير (٢١٧/٤).

كل واحدٍ من الاثنين، بل هو أحدهما. فقول النصارى: «إن الله ثالث ثلاثة» يريدون به الأب، والاثنان الباقيان شريكان له، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ولا نسلم له أن قولهم: (الأب والابن وروح القدس إله واحد) نظير قول القائل (إن زيدا بن عمرو إنسان) لا مبنئ ولا معنى. فالمعني في الجملة الأخيرة بالاسم والبدل والصفة ذات واحدة، عبّر عنها تارة بالاسم العلم، وأخرى بالكنية، وثالثة بالوصف، وكل من هذه الاستعمالات الثلاثة منطبق على ذات زيد.

أما الأقانيم الثلاثة فكل واحدٍ منها ذات مستقلة، بائنة عن الأخرى يوجب اجتماعها كثرة حقيقة تمنع الوحدة. وليت أهل الاعتزال اكتفوا بطريقة القرآن الموافقة للعقل والفطرة، وأراحوا العباد من تكلفهم، فضلاً عن أن يناظروا به الخصوم.

ثانياً: التطبيقات العملية في معاملة أهل الكتاب عند الإسلاميين العصرانيين:

ظهرت الانحرافات العقدية السابقة في مرحلة الانحطاط التي منيت بها الأمة الإسلامية في أواخر القرن الهجري الثالث عشر، وخضوع الممالك الإسلامية المختلفة للغزاة النصارى المصاحب لانفراط عقد الخلافة الإسلامية العثمانية.

فلا عجب أن نجد رواد المدرسة العصرانية في شبه القارة الهندية، والبلاد العربية، ذوي ولاءات صريحة أو مشبوهة مع المستعمر النصراني، يروجون ما يروق له من أفكار، ويحظون من قبله بالدعم والتمكين، كما يتضح ذلك من السيرة الذاتية لكلٍ من السيد أحمد خان^(١)، وجمال الدين

(١) السيد أحمد خان: ولد في دهلي (الهند) أثناء الاستعمار الإنجليزي لشبه القارة الهندية، ودعا مسلميها إلى تعلم العلوم الحديثة باللغة الإنجليزية، وأسس في بلدة «عليكرة» عام ١٨٧٥م نواة جامعة إسلامية تنشر الثقافة الغربية =

الأفغاني، ومحمد عبده^(١).

وقد انعكست آثار هذه الشذوذات العقدية على الواقع الميداني، والتطبيق العملي في معاملة أهل الكتاب للوصول إلى صيغة فكرية واجتماعية مغايرة تماماً لما درج عليه المسلمون منذ عهد النبوة، تتماشى في نظرهم مع متطلبات المرحلة.

والفقه الإسلامي، والسياسة الشرعية يتسعان لمواجهة الأوضاع المختلفة لحال الأمة الإسلامية ضعفاً وقوة، دون المساس بالأصول العقدية، ومحاولة تكييفها أو تحريفها لتسويغ وضع ما، فالعجز مانع من موانع التكليف على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، وعذر شرعي لتخلف القيام ببعض الواجبات والشعائر الظاهرة. وتاريخ الأمة الإسلامية في العهد المكي ثم المدني، وما تلاه من العهود المتقلبة، حافل بألوان الاجتهادات والممارسات العملية التي اقتضتها طبيعة المرحلة. وفرق بين تأجيل واجب معين لحين توفر الأسباب اللازمة له مع اعتقاد وجوبه، وتعطيل ذلك الواجب وهجره بتأويلات باطلة، وتحريف للكلم عن مواضعه. وهذا مكن الخطة في فكر المدرسة العصرية فهي لا تقدم اجتهادات «مرحلية» لمعالجة أزمة طارئة، أو وضع مؤقت مع إحلال الحلال وتحريم الحرام، بل تسعى لاجتثاث بعض الثوابت العقدية والتشريعية المعلومة من الدين بالضرورة وفق

= بين المسلمين. وقد عارض من علماء المسلمين في الهند، ووصمت حركته، بلقب «النيشورية» نسبة إلى كلمة Nature أي الطبيعة، وكان موالياً للإنجليز، وتعرض للاغتيال ولكنه نجا. من مؤلفاته: «تفسير القرآن العظيم»، «عن طريق العلم والعقل وآثار الصناديد»، «في تاريخ دهلي وأسباب سقوط الحكم الإسلامي». انظر: المنجد في الأعلام (٢٥).

(١) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد ومبادئ التغريب (٣٤٣ - ٣٦٥)، والفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم. (٣٣ - ٤٥).

أسس مصلحية عقلانية، وإحلال تصورات وتطبيقات جديدة باسم «الاجتهاد»، و«التنوير»، و«الإصلاح»، و«التجديد»، وما شابه ذلك من اصطلاحات مزوقة. كما سنرى في الصفحات التالية:

أولاً: مادة أهل الكتاب وموالاتهم:

١ - محمد عبده:

تبلغ الجرأة بمحمد عبده في كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» الذي سرد فيه أصول الإسلام - كما يراها - أن يرسم العنوان التالي:

(الأصل السابع للإسلام: مودة المخالفين في العقيدة)^(١) هكذا!

سبحانك هذا بهتان عظيم! كيف وقد قال الله تعالى:

■ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا لَهُمْ بِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

■ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَمَّا مَنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرُ أَوْلِيَاءُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

■ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [المجادلة].

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده. مطبعة المنار. القاهرة -

والآيات والأحاديث الصحيحة في هذا المعنى كثيرة وفيرة^(١). أما هذا الأصل الفاسد الذي أصله محمد عبده، ونسبه إلى الإسلام، والإسلام منه براء، فلم يجد ما يستدل له سوى مسألة «حل نكاح الكتابية». فقد نفخ في صورتها وأطال أذيالها بعبارات عاطفية، وحمل الأمر ما لا يحتمل من جنس قوله: (أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج، وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر؟ وما أجلى ما يظهر ذلك بين الأولاد وأخوانهم، وذوي القربى لوالدتهم، أيغيب عنك ما يستحكم من ربط الإلفة بين المسلم وغير المسلم...)^(٢).

وهو حشو لا يغني من الحق شيئاً. وغاية ما في الأمر من شبهة يتذرع بها، هو ما يحصل بين الزوجين من محبة وانجذاب. والجواب عن ذلك أن تلك المحبة محبة غريزية طبيعية، كمحبة الإنسان للطعام والشراب، وليس الوصف المؤثر فيها هو «المخالفة في العقيدة»، كما صور محمد عبده بقوله: «مودة المخالفين في العقيدة»، فضلاً عن أن توجب تلك المودة الآثار العملية من الموالاة والمناصرة كما زعم. فهو يخلط بين المحبة الطبيعية الجبلية، كمحبة الزوجة والوالد والولد، والمحبة الإيمانية التي هي من أوثق عرى الإيمان، ولا يميز بينهما. ويخلط أيضاً بين العدل والإحسان اللذين هما من صميم الأخلاق

(١) انظر في هذا: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. لشيوخ الإسلام ابن تيمية، ومن الكتب الحديثة: الولاء والبراء في الإسلام لـ محمد سعيد القحطاني.

وانظر: مبحث (حكم بغض الكافرين) من كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه: د. علي بن نفيع العلياني. دار طيبة. الرياض - السعودية. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). (٣٥٠ - ٣٦١).

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والدين (٧٤).

الإسلامية في معاملة البشر، كل البشر - سوى الحربيين - والموالة والمناصرة الخاصتين بالمؤمنين ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧٦﴾ [التوبة] ويجعلهما من باب واحد. ونتيجة لهذا اللبس والتخليط لم تتضح له أي الكتاب، كطريقة أهل البدع الذين يُعملون جزءاً من النصوص، ويهملون جزءاً آخر، ولا يهتدون سبيلاً، ويرون من أعمل ما أهملوه ضالاً منحرفاً. ولهذا يقول محمد عبده معلقاً على آيات الولاء:

(إن بعض الجهلة المتشدقين ربما تعرض لهم الشبهة في فهم هذه الآيات... على أنه لا شبهة فيها لهؤلاء الجهلة تسوغ لهم تفسيق إخوانهم أو تكفيرهم بعد ما جاء في الآية المحكمة من قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَائِلُونَ ٩﴾ [المتحنة]، وبعد ما جاء في القصص الذي قصه الله علينا لتكون لنا فيهم أسوة، إذ قال: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَعَالَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان] وبعد ما أباح الله لنا في آخر ما أنزل على نبيه ﷺ نكاح الكتابيات، ولا يكون نكاح قوم حتى تكون فيهم قرابة المصاهرة، ولا تكون تلك القرابة حتى تكون المودة. وحقيقة ما جاء في الآيات الدالة على النهي عن موالة غير المؤمنين، أو موادة الفاسقين والمحادين لله تعالى أنه نهى عن الموالة في الدين ونصرة غير المؤمن على المؤمن فيما هو من دينه، وإمداد الفاسق بالمعونة على فسقه، وعن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين، يكون من صفتها أن تبذل وسعها في خذلانهم وإيصال الضرر إليهم. أما إذا

أمن الضرر وغلب الظن بالمنفعة، ولم يكن في المودة معونة على تعدي حدود الله ومخالفة شرعه، فلا خطر في الاستعانة بمن لم يكن من المسلمين، أو لم يكن من الموفقين الصالحين ممن يسمونهم: أهل الأهواء، فإن طالب الخير يباح له، بل ينبغي له أن يتوسل إليه بأي وسيلة توصل إليه ما لم يخالطها ضررٌ للدين والدنيا^(١). وقد تقدم من كلام الإمام القرافي المالكي في الجمع بين آيات النهي عن موالاة اليهود والنصارى وآتي المجادلة ما أغنى عن إعادته هنا^(٢).

إن محمد عبده يقصر صور موالاة أهل الكتاب على صورة واحدة، هي نصرة غير المؤمن على المؤمن فيما هو من دينه، ويقيد البطانة المنهي عن اتخاذها من دون المؤمنين فيما كان من شأنها الخذلان وإيصال الضرر، وما لا فلا. وما كان سوى ذلك فهم «إخوان» للمسلمين، لا يجوز تفسيقهم أو تكفيرهم. ومن فعل ذلك فهو من الجهلة المتشدقين!

هذا فهم أصحاب المدرسة الإصلاحية التجديدية، فلننظر في فهم سلف الأمة:

يقول إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧١٤﴾﴾ [آل عمران]، يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم، لا تتخذوا بطانة من دونكم، يقول: لاتتخذوا أولياء وأصدقاء

(١) الأعمال الكاملة (٧٠٨ - ٧١٤) عن: الإسلام والوحدة القومية (١٢٧ - ١٢٩).

(٢) راجع مبحث: «حكم الإسلام في أهل الكتاب» من التمهيد.

لأنفسكم من دونكم، يقول من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين... فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به، أخلاء وأصفياء، ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة، وبغيتهم إياهم الغوائل، فحذرهم بذلك منهم عن مخاللتهم...^(١)، ثم يبين من المراد تحديداً بهؤلاء، فقال: (إن الذين نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لأنفسهم بطانةً دونهم، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به، فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون، ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله ﷺ وأصحابه من أهل الكتاب، لأنهم لو كانوا المنافقين لكان الأمر فيهم على ما قد بينا^(٢)، ولو كان الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب، لم يكن المؤمنون متخذيهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم، وافتراق أمصارهم، ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب، أيام رسول الله ﷺ ممن كان له من رسول الله ﷺ عهد وعقد من يهود بني إسرائيل^(٣)).

هذا فهم السلف وذاك فهم الخلف، وما بين محمد بن جرير الطبري، ومحمد عبده يتضح الفرق بين المنهجين:

(١) جامع البيان (٤/٦٠).

(٢) قال ﷺ قبل ذلك في رد من عنى بهذه الآية أهل النفاق: (وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة لا معنى له... فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته إلا بعد تعريفهم إياهم، إما بأعيانهم وأسمائهم، وإما بصفات قد عرفوهم بها، وإذا كان ذلك كذلك، وكان إبداء المنافقين بالسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم، مع إظهارهم الإيمان بالسنتهم لهم، والتودد إليهم...)، ثم ساق الكلام أعلاه. جامع البيان (٤/٦٣).

(٣) جامع البيان (٤/٦٣ - ٦٤).

■ فهم السلف: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دون أهل دينكم وملتكم، ولا توادوهم.

■ وفهم الخلف: لا تتخذوا من ناصر غير المؤمنين على المؤمنين أولياء. فقط، وما سوى ذلك فإخوانكم لا يجوز تكفيرهم ولا تفسيقهم، بل إن مودتهم من أصول الإسلام.

■ فهم السلف: الأصل في غير المؤمنين أنهم منطوون على الغش والخيانة، وبغي الغوائل للمؤمنين، فلذا حذرهم الله من اتخاذهم بطانة.

■ وفهم الخلف: الأصل سلامتهم من ذلك، وجواز اتخاذهم بطانة، إلا أن يثبت في حقهم بذل الوسع في خذلان المؤمنين، وإيصال الضرر إليهم.

■ فهم السلف: المعنيون بذلك التحذير، والمتصفون بتلك الأوصاف الثابتة هم أهل الكتاب الذين لهم ذمة وعهد، أي يعيشون مع المؤمنين، أما من سواهم من الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب، فلم يكن المؤمنون ليتخذونهم بطانة، بداهة.

■ وفهم الخلف: المعنيون بذلك هم من صدر منهم فعلاً خذلان المؤمنين وإيصال الضرر إليهم، وأما قبل ذلك فأصفياء وأخلاء، لا يتوجه إليهم الحذر والريبة.

هذا منهج القوم من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فالأمر أوسع بكثير، والقدر الذي يسلمون به من دلالة آيات النهي عن الموالاة واتخاذ البطانة يتلاشى ويضمحل. فهذا محمد عبده يركن إلى المستعمر الإنكليزي في مصر، ويعيش في كنف اللورد كرومر^(١)، المندوب

(١) كرومر، أفلين بارينغ، ولد عام ١٨٤١م، لورد إنكليزي، شغل منصب المندوب السامي في مصر من عام ١٨٨٣م إلى ١٩٠٧م، وتوفي عام ١٩١٧م. انظر: المنجد في اللغة والأعلام (٥٨٨).

السامي لبريطانيا في مصر، ويواليه ضد الخديوي عباس الثاني^(١) الذي كان يحاول التحرر من سلطة المحتل. وتبلغ المصافاة بين محمد عبده واللورد كرومر، أن كانت تلتقط له الصور الشمسية مع الليدي كرومر وبعض نساء الإفرنج^(٢)، وحتى يقول اللورد كرومر للخديوي عباس: (إنه ما دام لبريطانية العظمى نفوذ في مصر، فإن الشيخ محمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت)^(٣).

كما قامت السفارة الإنكليزية في الآستانة بحمايته من السلطان أثناء زيارته لها، لما سعى البعض في حبسه وإيذائه، كما صرح رشيد رضا في تاريخ أستاذه^(٤).

ويتساءل الأستاذ غازي التوبة متعجباً من تقديم محمد عبده لائحة إلى اللورد كرومر، فيقول: (كيف يتوجه محمد عبده بهذه اللائحة إلى الثعلب الإنجليزي اللورد كرومر؟! كيف يرجو منه نصرة الدين؟! كيف يأمل منه إصلاح أمر المسلمين؟! كيف يرشده إلى مداخل هذا الشعب؟! كيف يتمنى على المسلمين أن يكونوا آلة صالحة في يده؟! كيف يقترح الثناء على الوضع الحالي، ومقارنته بالوضع الماضي في البرامج الدراسية؟!)

نحن لن نحاسب محمد عبده... بحقيقة عصرنا التي أبانت حقد الإنجليز الصميم على الإسلام، وتخريبهم الدقيق لعقلية المسلمين،

(١) الخديوي عباس حلمي بن توفيق بن إسماعيل، حفيد محمد علي، ولد في القاهرة عام ١٢٩١هـ، وتولى الخديوية عام ١٣٠٩هـ، كان فيه دهاء وذكاء ينقصه الحزم والكتمان. توفي في سويسرا عام ١٣٦٣هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٨٥٨).

(٣) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٥٠١، ٥٦٤).

(٤) انظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٥٩٦، ٨٦٠).

وتمزيقهم الحاد لبلادهم. لن نحاسبه بحقيقة عصرنا التي كشفت خطط الإنجليز البعيدة في إنفاذ السم إلى كل أبعاد المجتمع الإسلامي، وخطواتهم المنظمة التي ساروا عليها لتحقيق هدفهم ذاك. لن نحاسبه بهذه الحقائق، لكننا سنحاسبه بحقيقة الإسلام التي تحذر من الاطمئنان إلى أهل الكتاب، وعدم التسليم لهم بنصوص قاطعة...^(١) ثم ساق آيات النهي عن موالاة اليهود والنصارى.

ونقول للأستاذ غازي التوبة إن تعجب فعجب قول محمد عبده:
(الأصل الثاني للإسلام: تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض)^(٢) فما تراه - رحمك الله - من نصوص قاطعة، يراها العصريون بمنظار العقل والهوى، فلا عجب أن ينتج هذا التأصيل تحريف النصوص إلى الحد الذي يصبح (الأصل السابع للإسلام: مودة المخالفين في العقيدة)^(٣).

وعلى هذا المنوال نسج خريجو هذه المدرسة:

٢ - محمد عمارة:

□ فقد أسس محمد عمارة كتابه «الإسلام والوحدة القومية» على شفا هذا الجرف الهاري، متأثراً بالأحداث الطائفية التي عصفت بمصر في أواخر السبعينيات، فحمل جميع النصوص الواردة في تحريم موالاة اليهود والنصارى على محمل واحد، وهو أن يكونوا أعداء محاربين، ولعمر الله إن العدو المحارب فعلاً، لا يحتاج عاقل أن يقال له: لا تتخذه ولياً.

فيقول عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] المنهي عنه هو نصره الأعداء في حالة

(١) الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم غازي التوبة (٢٦ - ٢٧).

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة (٥٦).

(٣) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة (٧٣).

الحرب. ولا علاقة لهذا المعنى المراد بما قام ويقوم بين أبناء الأمة الواحدة، والقومية الواحدة، من أواصر وروابط، وهم جميع على من عداهم وعاداهم... فتحن إذاً أمام آية كريمة تنهى عن الخيانة الوطنية، والخيانة الوطنية في حالة الحرب... وليس فيها ما يتصل من قريب أو من بعيد، بالدعوة إلى حجب النصرة والموالة عن المخالفين لنا في الشريعة، وخاصة إذا كانوا إخوة لنا في القومية والوطن^(١).

إن هؤلاء يُحِلُّون الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية جهاراً ونهاراً، وينقضون أوثق عرى الإيمان؛ الحب في الله والبغض في الله، والموالة في الله والمعاداة في الله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٥١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَبَاءَ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أُولِيَاءُ ۚ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ مُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [المائدة].

٣ - عبده سلام^(٢):

■ ويقول د. عبده سلام، رئيس جمعية الإخاء الديني^(٣) في القاهرة في محاضرة ألقاها في روما أمام جمع من النصارى عام ١٩٨١م في معرض بيان ما يريده كرجل مسلم من الإخوة المسيحيين -

(١) الإسلام والوحدة القومية (١٣١).

(٢) عبده سلام: ولد في المنصورة عام ١٩١٦م. (مصر). حاز شهادة الدكتوراه في الطب من القاهرة، ثم من ليفربول (إنكلترا)، انتخب نائباً عام ١٩٥٠م، ثم عين وزيراً للصحة (١٩٦٨م - ١٩٧٢م)، أسهم في تأسيس جمعية «الإخاء الديني» التي تضم مسيحيين ومسلمين، مصريين ورأسها عدة سنوات. انظر: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٤٧).

(٣) جماعة الإخاء الديني: حركة حوارية أسسها في القاهرة المستشرق الشهير «لويس ماسينيون» والأب «جورج قنوتي» عام ١٩٤١م، تدعو إلى التقريب بين الأديان. انظر التعريف بها في الباب الثاني.

على حد تعبيره - ومن الآباء المسيحيين ومن الكنيسة: (... أن يتوقفوا عن اعتبار الإسلام والمسلمين قوة مضادة أو منافسة. بل يجب أن ينظروا إلى الإسلام والمسلمين بصفاتهم قوة حليفة تحارب مع المسيحية من أجل الإيمان بالله، وضد نفس الأعداء، أي ضد الإلحاد، وضد المادية، وضد كل «الدينيويات» التي يعبدها الناس في هذه الحياة»^(١).

وتلك رتبة أخط مما طالب بها سلفه. ومن عجيب فقهه واستنباطه قوله معلقاً على حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

(لم يقل لأخيه في الإسلام فقط... ولكن قال لأخيه... أي لأخيه عموماً... أي لأخيه في الإنسانية... أياً كان جنسه أو دينه)^(٢).

٤ - يوسف القرضاوي:

ومما يؤسف له أن ينجر الدكتور يوسف القرضاوي خلف هذه الشعارات، فيقول تحت عنوان: «نصوصٌ فهمت على غير وجهها» بعد أن ساق جملةً من الآيات القرآنية التي تنهى عن موالاة اليهود والنصارى وموادتهم:

(فهم بعض الناس من هذه الآيات وأمثالها أنها تدعو إلى الجفوة والقطيعة والكراهية لغير المسلمين، وإن كانوا من أهل دار الإسلام، والموالين للمسلمين المخلصين لجماعتهم. والحق أن الذي يتأمل الآيات المذكورة تأملاً فاحصاً، ويدرس تواريخ نزولها، وأسبابه، وملايساته، يتبين ما يأتي:

(١) الإسلام دين السلام. من: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٥٩).

(٢) المرجع السابق (١٥٦).

أولاً: أن النبي إنما نهى عن اتخاذ المخالفين أولياء بوصفهم جماعة متميزة بدياناتها وعقائدها وأفكارها وشعائرها، أي بوصفهم يهوداً أو نصارى أو مجوساً، أو نحو ذلك، لا بوصفهم جيراناً أو زملاء أو مواطنين. والمفروض أن يكون ولاء المسلم للأمة المسلمة وحدها. ومن هنا جاء التحذير في عدد من الآيات من اتخاذهم أولياء «من دون المؤمنين»، أي يتودد إليهم ويتقرب على حساب جماعته... ولو كان مسلماً للمسلمين وذمة لهم. إنما هي مادة من آذى المسلمين وحاد الله ورسوله. ومما يدل لذلك:

أ - قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ومحادة الله ورسوله ليس مجرد الكفر بهما، بل محاربتهم دعوتهم، والوقوف في وجهها، وإيذاء أهلها.

ب - قوله تعالى في مستهل سورة الممتحنة: ﴿تَلْقَوْنَ إِنْتِهَامَ بِأَلْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] فالآية تعلق تحريم الموالاة أو الإلقاء بالمودة إلى المشركين بأمرين مجتمعين: كفرهم بالإسلام، وإخراجهم للرسول والمؤمنين من ديارهم بغير حق.

ج - قوله تعالى في نفس السورة: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [١] إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ [٢] [الممتحنة]، فقسم المخالفين إلى فريقين: فريق كان مسلماً للمسلمين لم يقاتلهم في الدين ولم يخرجهم من ديارهم، فهؤلاء لهم حق البر والإقسط إليهم، وفريق اتخذ موقف العداوة والمحادة للمسلمين بالقتال أو الإخراج من الديار أو المظاهرة والمعاونة على ذلك، فهؤلاء يحرم

موالاتهم مثل مشركي مكة الذين ذاق المسلمون على أيديهم الويلات. ومفهوم هذا النص أن الفريق الآخر لا تحرم موالاته^(١).

إن الدكتور يوسف القرضاوي لا يعتبر علة النهي عن مادة أهل الكتاب وتحريم موالاتهم هي الكفر بالله العظيم، وإنما محاربة المسلمين وإيذائهم فقط. فما داموا مسالمين ساكنين فهم أهل للمودة والولاء. وبعبارة أخرى يفرق بين «أهل الذمة» المقيمين في «دار الإسلام»، وسائر أهل الكتاب المحاربين.

ولا ريب أن بينهما فرقاً في المعاملة الظاهرة، فالأولون لهم ذمة المسلمين وعهدهم بحمايتهم، وعدم إكراههم في الدين، وعدم أذيتهم، وحفظهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم ما وفوا للمسلمين، وعليهم الخضوع لإمام المسلمين، وبذل الجزية، وعدم مواطأة أعداء الإسلام عليهم ظاهراً أو باطناً^(٢). وأما الحريون فأمرهم ظاهر.

لكن الأمر الذي نستدركه على الدكتور يوسف القرضاوي، أنه فرق بين الصنفين في مسألة المودة والموالة، فكلاهما كافر بالله تعالى، والكفر يستلزم العداوة والبغضاء كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤]، وقال تعالى في شأن الموالة: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسُكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) [آل عمران: ٦٨]. والدكتور يوسف القرضاوي لا يناع - وحاشاه - في كفر اليهود والنصارى^(٣)، فمن أين جاء بهذا التفريق بين المتماثلين، من كتاب الله

(١) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (٦٥ - ٦٨).

(٢) راجع مبحث «حكم الإسلام في أهل الكتاب» من التمهيد.

(٣) قال د. يوسف القرضاوي في محاضرة بعنوان: «الحوار الإسلامي المسيحي» =

أو سنة رسوله ﷺ في مسألة المودة والموالاتة؟! وهل كون أحدهم أو بعضهم جيراناً أو زملاء أو مواطنين يرفع عنهم وصف «اليهودية» أو «النصرانية»، وهل كونهم (جماعة متميزة بديانته وعقائده وأفكارها وشعائرها) يضيف شيئاً في قضية الكفر يميزهم عن أمثالهم من أهل الذمة؟

وما استدل به القرضاوي من الآيات لا يسعفه فيما ذهب إليه؛

فقوله في آية المجادلة: (ومحاددة الله ورسوله ليس مجرد الكفر بهما، بل محاربه دعوتيهما، والوقوف في وجهها، وإيذاء أهلها). زلة لا تليق به، فأى محادة لله ورسوله أعظم من الكفر بهما؟! حتى أن ابن عمر رضي الله عنهما كان (لا يرى التزويج بالنصرانية، ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول: إن ربها عيسى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١]^(١).

والمقصود أن الكفر بذاته هو موجب نفرة المؤمنين من غير المؤمنين. وهل محاربة الدعوة والوقوف في وجهها وإيذاء أهلها إلا أثر من آثار الكفر؟

ولم يجعل الله ولا رسوله ﷺ الحرب والإيذاء شرطاً في عدم الموالاتة وحصول البغضاء، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وأما قول الدكتور القرضاوي في آية

= في نوفمبر ١٩٩٥م: (ويسأل بعض الناس: هل النصارى كفار؟ وهل اليهود كفار؟ ونحن نقولها صريحة: إنه من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر) مجلة المسلم المعاصر (١٤/٨٦)، ونضيف ما أكفرهم الله به في كتابه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢/٣).

الممتحنة الأولى: (فالأية تعلق تحريم الموالاة أو الإلقاء بالمودة إلى المشركين بأمرين مجتمعين: كفرهم بالإسلام، وإخراجهم للرسول والمؤمنين من ديارهم بغير حق) فهل تَخَلَّف إحدى العلتين موجبٌ لانتفاء الحكم؟ قال أهل الأصول إذا تعددت العلل الشرعية لم يلزم من ضرورة انتفاء البعض انتفاء الحكم، بل عند انتفاء جميعها^(١). أيرى الدكتور القرضاوي أنهم لو كفروا بالإسلام، ولم يخرجوا الرسول ﷺ والمؤمنين من مكة أنه تجوز موادتهم وموالاتهم، لعدم اجتماع العلتين؟! وأين هذه العلة في قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا الْكُفْرَ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ قَوْلَيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَيَشِيرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَحِيمٌ ۝﴾ [التوبة]. ولو كان مجرد الإقامة في دار الإسلام، وموالاة المسلمين، والإخلاص لجماعتهم، من قبل أهل الكتاب كافياً لمبادلتهم الولاء بولاء والمودة بمودة - كما صور الكاتب - لما كان لفرض الجزية عليهم معنى. وقبل أن يصبح أهل الكتاب أهل ذمة قيل في حقهم: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝﴾ [التوبة]. وكلها تعليقات متصلة بقضية العقيدة لا بمحاربة الدعوة وإيذاء أهلها.

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر (لابن قدامة)، من كتاب ابن قدامة وآثاره الأصولية، إعداد د. عبد العزيز السعيد (٢/٣٣٤).

وأما استدلاله بمفهوم المخالفة في آية الممتحنة الأخرى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا عَنْ دِينِكُمْ وَعَلَاهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة]، حيث يقول: (ومفهوم هذا النص أن الفريق الآخر لا تحرم موالاته). فبصرف النظر عن اختلاف الأصوليين في الاحتجاج بمفهوم المخالفة^(١)، فإن هذا المفهوم المتوهم مردود بمنطوق الآية المتعلق بالفريق الآخر، الذي قال الله فيه: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة]، فعين الله سبحانه المأذون فيه لهؤلاء وهو برهم والإقسط إليهم، ولم يقل (أن تولوهم) كما أوهم القرضاوي - عفا الله عنه - ومن أحسن من الله حديثاً. ولا يلزم من البر والإقسط مودة وموالة، فالبر والقسط متعلقان بالأخلاق، والمودة والموالة متعلقان بالاعتقاد.

قال ابن الجوزي رحمته الله في قوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾: (قال المفسرون: وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم، وإن كانت الموالة منقطعة بينهم)^(٢).

ومن المواقف الإيمانية المبكرة التي تجلي هذه المعادلة الدقيقة بين بغض الكفار - ولو كانوا أهل عهد وذمة، ومعاملتهم بالعدل والإنصاف - ما نقل ابن كثير رحمته الله عن الحافظ البيهقي^(٣) في قصة طويلة

(١) انظر: علم أصول الفقه. عبد الوهاب خلاف (١٥٦ - ١٥٧).

(٢) زاد المسير (٢٣٧/٨).

(٣) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي الشافعي. ولد سنة ٣٨٤هـ. من أئمة الحديث قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي فإن له المنة والفضل على الشافعي، لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه، ويسط موجهه، وتأييد آرائه. ا.هـ من مصنفاته: «السنن الكبرى»، «الصغرى»، «الأسماء والصفات»، «دلائل النبوة»، «مناقب الإمام» =

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في فتح خيبر، وفيها: (وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحيي إياه على ألا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض^(١). ونقلها الحافظ الذهبي^(٢) رحمته الله من حديث الزهري^(٣) عن سليمان بن يسار^(٤) أن النبي ﷺ كان يبعث ابن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود. فجمعوا حلياً من نسائهم، فقالوا: هذا لك، وخفف عنا. قال:

= الشافعي، وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: الأعلام (١١٦/١)، شذرات الذهب (٣٠٤/٣)، طبقات الشافعية (٣/٣)، اللباب (١٦٥/١)، دائرة المعارف الإسلامية (٤٢٩/٤)، معجم البلدان (٣٤٦/٢).

(١) البداية والنهاية (١٩٩/٤).

(٢) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، حافظ مؤرخ، علامة محقق، ولد سنة ٦٧٣هـ بدمشق، ورحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها: «تاريخ الإسلام الكبير»، و«سير أعلام النبلاء» و«ميزان الاعتدال» و«تذكرة الحفاظ» واختصر كثيراً من الكتب، توفي سنة ٧٤٨هـ. الأعلام (٣٢٦/٥)، فوات الوفيات (٢/١٨٣)، طبقات السبكي (٥/٢١٦)، الشذرات (٦/١٥٣)، غاية النهاية (٢/٧١)، الدرر الكامنة (٣/٣٣٦).

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر، إمام حافظ حجة ثقة ثبت، ولد سنة ٥٨هـ، وتوفي سنة ١٢٤هـ. الأعلام (٩٧/٧)، تذكرة الحفاظ (١/١٠٢)، وفيات الأعيان (١/٤٥١)، تهذيب التهذيب (٩/٤٤٥)، تاريخ الإسلام (٥/١٣٦).

(٤) سليمان بن يسار: سليمان بن يسار الهلالي، المدني، مولى ميمون، وقيل أم سلمة، ثقة فاضل، أحد الفقهاء السبعة. مات بعد المائة، وقيل قبلها. انظر: تقريب التهذيب (١/٣٣١).

يا معشر يهود، والله إنكم أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي أن أحيف عليكم، والرشوة سحت. فقالوا بهذا قامت السماء والأرض^(١).

ثانياً: التنصل من أحكام أهل الذمة والاعتذار عنها:

فإذا ما انتقلنا إلى الفقه العصري التشريعي في معاملة أهل الكتاب، وعلى وجه الخصوص القاطنين اليوم بين ظهرائي المسلمين، نجد محاولات تحريفية للأصول الشرعية المستقرة طوال القرون، بغرض إلغائها نظرياً - وإن كانت قد ألغيت عملياً منذ عقود بعيدة بسبب الضعف الذي لحق بالمسلمين - وإحلال صيغ مبتدعة محلها. يتضح ذلك عند حديثهم عن الجزية:

١ - محمد حسين فضل الله:

قال: (ربما تحفظ بعض المفسرين في هذه الآية^(٢) على أساس شمولها أهل الكتاب جميعاً. لأن الصفات المذكورة في الآية لا تنطبق عليهم جميعاً، وهي عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله، وعدم التزامهم بالدين الحق. فقد لاحظ البعض أن الكثيرين من أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويحرمون الحرام الوارد في شرائعهم مما جاء تحريمه من الله ورسوله «إذا كان المراد من الرسول رسولهم الذي يلتزمون رسالته، لا النبي محمد ﷺ» فقد يكون المراد بها طائفة معينة منهم، من الذين أتوا الكتاب فانتسبوا إليها اسماً، ولكنهم لم يلتزموا به إيماناً وشرعية ومنهجاً للحياة. وبالتالي فهو لا يشمل من خلال وجهة النظر هذه الذين يلتزمون الإيمان والشرعية

(١) سير أعلام النبلاء (١/٢٣٧).

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَحْتَرِفُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة].

الواردة عليهم. وهكذا يمنح الإسلام المنتسبين لأهل الكتاب هذا الامتياز حتى لو لم يلتزموا به عملياً^(١).

وهكذا يمنح محمد حسين فضل الله كفرة أهل الكتاب عفواً عاماً، ويسقط عنهم الجزية - وإن نظرياً - باعتبارهم كما لاحظ الكثيرون بزعمه، يؤمنون بالله واليوم الآخر، رغم عقيدة التثليث والقول بالوهية المسيح وبنوته، ويحرمون الحرام الوارد في شرائعهم، وليس في شريعة محمد ﷺ، لأن الرسول - كما شبهه ولّبس - ليس جزءاً هو خاتم النبيين محمد ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف]، فلم يبق سوى طائفة مجهولة تنتسب إلى أهل الكتاب اسماً، ولا تلتزم الشروط السابقة المتوافرة في عامة أهل الكتاب فإلى هذه الطائفة الخفية النكرة يتوجه السياق، ومع ذلك، ورغم تفريطهم بمنحهم الكاتب امتيازاً خاصاً - كما أسماه في تفسير «الجزية» قائلاً: (المقصود بها الضريبة التي يؤديونها في مقابل حماية الدولة أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ودينهم، من دون أن يتكلفوا حرباً، أو يدفعوا لها زكاة، الأمر الذي يجعل لهم امتيازاً ضرائبياً، وحقاً خاصاً على بقية المواطنين من المسلمين)^(٢).

وإذا شققنا طريقنا خلال هذه الغابة من المُعَمَّيات والأسماء المبهمة؛ (بعض المفسرين)، (لاحظ البعض)، وتجاوزنا ذلك فإننا نسائل الكاتب:

أليس يعلم، ويعلم الناس، أن الفاتحين المسلمين من الصحابة

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٤٩).

(٢) المرجع السابق (٤٨). قال ابن القيم رحمه الله: (وسر المسألة أن الجزية من باب العقوبات، لا أنها كرامة لأهل الكتاب، فلا يستحقها سواهم) أحكام أهل الذمة (١٧/١).

والتابعين ومن بعدهم، حتى الفتوحات العثمانية في أوروبا، كانوا يعرضون على أهل الكتاب إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو السيف، كما أمر بذلك نبي الإسلام ﷺ؟ وهل يزعم محمد حسين فضل الله أن المسلمين كانوا يميزون بين فريقين من أهل الكتاب، أحدهما مؤمن مصر على يهوديته أو نصرانيتها فيعرضوا عنه، وآخر منتسب بالاسم فقط فيضعوا عليه الجزية؟ أم يزعم أن المسلمين الفاتحين كانوا يجاهدون أهل الكتاب ليلتزموا شرع رسولهم السابق، دون الدخول في الإسلام، وقبول ما جاء به محمد ﷺ؟

٢ - محمد عمارة:

ومرة أخرى نلاحظ اتفاق المشرب بين دعاة التقريب العصرانيين، رغم اختلاف الانتماء الطائفي العام، فنجد محمد عمارة يردد عبارات محمد حسين فضل الله، أو هو العكس، فيقول معلقاً على آية الجزية:

(عندما نتأمل هذه الآية نجد أنها تتحدث عن قوم جمعوا مجموعة من الصفات... فهم لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخير والشر، والحلال والحرام، ولا يتدينون بالدين الحق، أي بدين التوحيد، وفي ذات الوقت هم من «أهل الكتاب». فهم طائفة من أهل الكتاب، وليسوا هم صنف أهل الكتاب وجنسهم. وهم قد اجتمعت فيهم كل هذه الصفات التي عطف بحرف العطف «الواو»، ولا نعتقد أن جنس أهل الكتاب الذين جمعوا إلى التوحيد في الألوهية، الطاعة والإسلام لله، تنطبق عليهم جميع هذه الصفات التي ذكرها القرآن لمن تجب عليهم الجزية^(١) سبحانه الله! تشابهت قلوبهم، وإن كان هذا الأخير أحذق في صنعة التحريف، حيث اشترط اجتماع الأوصاف.

(١) الإسلام والوحدة القومية (١٠٤ - ١٠٥).

هذا لونٌ من التلاعب بالنصوص المحكمة، وثم لونٌ آخر في هذه

القضية:

يقول محمد عمارة: (لم تكن الجزية إذاً ضريبة «دينية»، علة وجوبها هي «المخالفة في الدين»، بل كانت بدلاً من الجندية عندما اقتضت ضرورات الأمن قصر الجندية على المسلمين، فلما زالت هذه الضرورة، وكلما تخلفت سقطت هذه الضريبة، وقامت المساواة الحققة والحقيقية بين المواطنين على اختلاف الشرائع والمذاهب و«الأديان». واليوم... وبعد التطور الذي بلغته الأمة، والذي ساوى بين أبنائها جميعاً في شرف الجندية وتأدية ضريبة الدم، والذود عن الوطن، هل هناك مبررٌ لبقايا فكرٍ أو حديث - مجرد فكر أو حديث - عن هذه الجزية تظل معشعشة في عقول متخلفة، طائفة أو زاعمة أن سقوط هذه الضريبة هو تعطيل لحكم من أحكام الله؟!...

فهي إذاً سياسة وحرب وجندية واقتصاد، وليست ديناً ولا شريعة دينية. فما بال البعض يتوهمونها حكماً إلهياً ثابتاً لا تبديل فيه؟!... وما بال البعض يتعلق بباتها سبيلاً للشقاق الديني وتمزيق وحدة الأمة تحت ستار زائف من الدين؟!^(١).

ونحن بدورنا نتساءل: ما بال بعض العلمانيين يرتدون «عباءة» علماء الأزهر، ويقدمون بصفة «الكاتب الإسلامي»، وهم يفصلون بين السياسة والحرب والجندية والاقتصاد من جهة، والدين والشريعة من جهة أخرى؟ لم لا يُسقطون الأقنعة المصطنعة، ويعلنونها علمانية صريحة، تنحي شعار الدين ورسومه، وتشهر أعلام الوطنية وأصنامها.

ألا يحترم الكاتب عقول قرائه وهو ينفي عن «الجزية» الصفة الدينية، والكل يقرأ قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة]. فمتى تُكتسب الصفة الدينية يا ترى إن لم تكتسب من القرآن؟!

(١) الإسلام والوحدة القومية (٩٥ - ٩٦).

وكيف يلمز الكاتب «الإسلامي» الشريعة الإسلامية الربانية بالظلم، وبعبارة هو «عدم المساواة الحقة والحقيقية» بسبب هذه الجزية؟!

وهلا أتاناً - هو وغيره^(١) ممن يعتذرون للإسلام من وصمة الجزية - بآية محكمة، أو سنة صحيحة، أو قول صاحب، أن الجزية «بدل الجندية»؟

وأيّن هذه الدعوى العريضة من نص الآية وروحها: ﴿حَتَّى يُقْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ١٩].

إن القرآن العظيم أعز وأمنع من أن تناله تحريفات الغالين، وتأويلات الجاهلين، والإسلام أكرم وأجل من أن يعتذر له عن شيء من شرائعه المحكمة إن بحسن نية أو سوء طوية. ومن نماذج ذلك أيضاً:

٣ - سعود المولى^(٢):

قال: (إن ما يسمى أحكام الذمة، والمستأمنين، والمعاهدين، كما وردت في النصوص الفقهية، فهي أحكاماً تدبيرية اقتضاها الواقع التنظيمي الإسلامي والدولي حين كانت الدولة الإسلامية دولة جامعة.

(١) ممن يعلل الجزية بأنها «بدل جندية» د. يوسف القرضاوي، ولم يذكر دليلاً واحداً أو أثراً يؤيد ما ذهب إليه. انظر: غير المسلمين في المجتمع المسلم (٣٢ - ٣٤).

(٢) سعود نعمة المولى: ولد في بيروت سنة ١٩٥٣م، حصل على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع السياسي للبلدان العربية من جامعة السربون - فرنسا - عام ١٩٨٤م، يعمل أستاذاً في معهد العلوم الاجتماعية - الجامعة اللبنانية منذ ١٩٨٦م، رئيس تحرير مجلة الغدير الصادرة عن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، بالإضافة إلى المشاركة في تحرير العديد من المجلات. شارك في العديد من مؤتمرات الحوار الإسلامي - المسيحي محلياً ودولياً. عضو في لجان حوار لبنانية وعربية. انظر ذيل كتابه: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة.

وكان هناك تطابقٌ بين مشروع الدولة وواقع الأمة... ومصطلح «أهل الذمة» أنتجه مناخ فقهي كان سائداً في تلك المرحلة، وهو كان نتيجة لعرفٍ سائدٍ في العالم، فليس في القرآن ولا في السنة مصطلح أهل الذمة، بما هم جماعة سياسية تنظيمية منفصلة عن موجبات الالتزام التنظيمي في المجتمع^(١).

٤ - فهمي هويدي:

قال متحدثاً عن «أهل الذمة» تحت عنوانٍ من عناوينه الفَجَّة: (هم أصحاب حق. ولنا أصحاب فضل!) ما يلي: (كل هذه الآراء، سواء منها ما يتعلق بتصنيف الخلق، أو قسمة الأرض والديار، لا تستند إلى نصوصٍ شرعية من كتابٍ أو سنة، وإنما هي اجتهاداتٌ طرحها الفقهاء والباحثون في ضوء قراءاتهم للواقع الذي عايشوه)^(٢).

هذه مرحلة ما بعد إسقاط الجزية، مرحلة إسقاط جملة أحكام «أهل الذمة»، ونزع الصفة الشرعية الدينية عنها. فقد دأب كثيرٌ من المستشرقين وتلاميذهم على تحميل الفقهاء «وزر» أحكام أهل الذمة باعتبارها نتاج «مناخ فقهي» أو «اجتهادات فقهاء» ونحو ذلك^(٣).

ولفظ «الذمة» ليس موجوداً في القرآن، ولكن أحكام الذمة موجودة قطعاً. وأما السنة، فيقول ابن الأثير^(٤) ﷺ: (قد تكرر في

(١) الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة (١٩٨).

(٢) مجلة العربي الكويتية عدد (١٦٩) جمادي الأولى ١٤٠١هـ أبريل ١٩٨١م (٤١).

(٣) انظر: الجزية والإسلام - دانييل دينيت. ترجمة د. فوزي فهمي جاد الله، أهل الذمة في الإسلام د. أ. س. ترتون. ترجمة د. حسن حبشي، أحوال النصارى في خلافة بني العباس - جان موريس فييه. ترجمة حسني زيني، (انظر: عرضاً له في مجلة الاجتهاد (٢٨/٢١٣ - ٢٣٠) مراجعة: عائدة مازح.

(٤) ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد بن محمد الجزري، أبو السعادات، =

الحديث ذكر «الذمة» و«الدِّمَام» وهما بمعنى العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق. وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم^(١). ومن شواهد ذلك:

■ ما رواه البخاري عن أبي هريرة في قصة اليهودي الذي فضل موسى ﷺ على محمد ﷺ، فلطمه أنصاري فاشتكى إلى رسول الله ﷺ قائلاً: «يا أبا القاسم: إن لي ذمةً وعهداً»^(٢).

■ وما رواه مسلم والترمذي^(٣) وابن ماجه^(٤) وأحمد والدارمي^(٥)

= مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي، ولد سنة ٥٤٤هـ، من كتبه: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، و«جامع الأصول في أحاديث الرسول»، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ، وابن الأثير الكاتب، مات سنة ٦٠٦هـ. الأعلام (٢٧٢/٥)، وفيات الأعيان (٤٤١/١)، الكامل (١١٣/١٢)، إرشاد الأريب (٢٣٨/٦)، طبقات الشافعية (١٥٣/٥)، دار الكتب (١٢٤/١).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٨/٢).

(٢) صحيح البخاري (١٣٣/٤).

(٣) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى، إمام حافظ متقن، ولد سنة ٢٠٩هـ، له «الجامع الكبير» وهو سنن الترمذي و«الشماثل النبوية» و«العلل»، توفي سنة ٢٧٩هـ. انظر: الأعلام (٣٢٢/٦)، تهذيب التهذيب (٣٨٧/٩)، تذكرة الحفاظ (١٨٧/٢)، نكت الهميان (٢٦٤)، ميزان الاعتدال (١١٧/٣)، اللباب (١٧٤/١).

(٤) ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه، حافظ متقن، ولد سنة ٢٠٩هـ، له: «السنن» و«التفسير» و«تاريخ قزوين» توفي سنة ٢٧٣هـ. الأعلام (١٤٤/٧)، وفيات الأعيان (٤٨٤/١)، تهذيب التهذيب (٥٣٠/٩)، تذكرة الحفاظ (١٨٩/٢)، المنتظم (٩٠/٥)، كشف الظنون (٣٠٠).

(٥) الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي، أبو محمد التميمي، الدارمي، الحافظ. صاحب المسند. ولد سنة ١٨١هـ. رحل في طلب العلم إلى مصر والشام والعراق والحرمين. ثقة، فاضل، متقن، مات سنة ٢٥٥هـ. انظر: تقريب التهذيب (٤٢٩/١)، ومقدمة سنن الدارمي.

في وصية رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، وفيه: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله...»^(١).

■ وما رواه البخاري وأحمد من وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد طعنه: «أوصيكم بذمة الله، فإنهم ذمة نبيكم»^(٢).

فأصول أحكام أهل الذمة، وتصنيفهم، ثابتة بالكتاب والسنة، وهدي الخلفاء الراشدين المهديين، لا سيما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي اتسعت في عهده الفتوحات، ولذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاته: «أن من سأل عن مواضع الفبيء، فهو ما حكم فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فرآه المؤمنون عدلاً موافقاً لقول النبي ﷺ، جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه. فرض الأعطية للمسلمين، وعقد لأهل الأديان ذمة بما فرض عليهم من الجزية، لم يضرب فيها بخمس ولا مغنم»^(٣).

وإنما يقع الاجتهاد من الفقهاء والولاة بحسب ما يقتضيه المقام والحال والسياسة الشرعية للدولة الإسلامية، في حدود الأصول الشرعية، لا الأعراف الدولية، كما زعم سعود المولى، ولا طروحات الفقهاء والباحثين، كما زعم فهمي هويدي. وقد يتعذر تطبيق أحكام أهل الذمة - كما في زمننا هذا - لكن هذا لا يعود على أصلها بالإبطال، كما يحاول أهل العصرية.

(١) صحيح مسلم (٣/١٣٧٥ - ١٣٥٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/٦٤).

(٣) سنن أبي داود (٣/٣٦٤ - ٣٦٥).

إن ضغط الواقع المتخلف للمسلمين، وشراسة الحملة ضدهم، لا يسوغان بحال لأي فقيه اليوم أن يقدم تنازلات، لأن الدين لله، والحكم له سبحانه، كما أن هذا الواقع المر لا يجوّز للفقيه أن يتملق الكفار، بدعوى سماحة الإسلام ويسره، كما في النص التالي:

(لم يفرض الإسلام على غير المسلم، مَنْ يعيش في داره، أن يحرم الخنزير الذي يحرمه الإسلام، أو يحرم الخمر الذي يحرمه الإسلام، ما دام دينه يبيح له أن يأكل الخنزير، ويشرب الخمر. قال له: كل الخنزير، واشرب الخمر، وزبِ الخنزير، واعصر الخمر، بشرط ألا تروج ذلك بين المسلمين في مناطقهم الخاصة... إلى هذا الحد احترم الإسلام ثقافات الآخرين، كما احترم دياناتهم وعقائدهم، وترك كنائسهم وعباداتهم، فالإسلام يحترم الثقافات المتعددة)^(١).

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخضوع في القول، والتجاوز في التعبير إلى درجة الإسفاف. ففرق بين أن يقرهم الإسلام على ما يعتقدون حله، وبين أن يقال: إن الإسلام قال له - لغير المسلم - كل الخنزير وربّه، واعصر الخمر واشربه!

وتأمل الشرط والقيد في قوله: (بشرط ألا تروج ذلك بين المسلمين في مناطقهم الخاصة)! فالممنوع إذاً هو «الترويج» الذي يعني التسويق والتداول والنشر، لا مجرد إظهاره. والمحذور أن يقع في مناطق مسلمة خاصة، فللنصارى إذاً في أحيائهم السكنية في بلاد المسلمين فتح البارات والخمارات!

أهذه هي الثقافة التي زعم الكاتب أن الإسلام يحترمها؛ ثقافة الخمر والخنزير؟!

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي. حسن علي دبا (٢٢).

ثالثاً: المناداة بـ«الرابطه الوطنية» و«الحرية الدينية»، وإنكار تمييز المسلمين:

لكن دعاة العصرية، والتقريب، وإزالة الفوارق بين المؤمنين والكافرين، لا يكتفون بهذا الخضوع والتساهل، إنهم يريدونها خليطاً ممتازاً، (بعضهم من بعض) لا (بعضهم أولياء بعض). ولذلك يجاهرون بكل قحة بالمساواة بين المسلم وغير المسلم، وإنكار تمييز المؤمنين وخيريتهم، كما في النقول التالية:

١ - د. عبده سلام:

قال: في مستهل محاضرة له أمام حشد من النصارى في روما: (والمحاضر يعترف بالقرآن والسنة، ويتأثره بقدوة الخلفاء الراشدين، ويأيد هذه المصادر تنادي بالمساواة بين المسلم وغير المسلم)^(١).

٢ - فهمي هويدي:

قال: (ليس صحيحاً أن المسلمين في هذه الدنيا صنفٌ متميز ومتفوق من البشر لمجرد كونهم مسلمين. وليس صحيحاً أن الإسلام يعطي أفضلية للمسلمين، ويخص الآخرين بالدونية. وليس صحيحاً أن ما كتبه أكثر الفقهاء في هذا الصدد هو دينٌ ملزم، وحجج لا ترد، إنما هو اجتهاد يصيب ويخطئ).

إن دعاوى التمييز على الآخرين، وتكريس هذا التمييز من جانب أكثر الفقهاء، إنما تستخدم لغةً ليست مقبولة ديناً، فضلاً عن أنها لغة باتت محل إدانة هذا العصر... إن خصومته مع الآخرين، بسبب من توهم التمييز أو الفوقية، فهو ما لا يمكن فهمه ولا قبوله بأي حالٍ ولا بأي معيار)^(٢).

(١) الإسلام والسلام. من وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٤٧).

(٢) المسلمون والآخرين. أشواك وعقد على الطريق. مجلة العربي عدد (٢٦٧) ربيع الأول ١٤٠١ هـ فبراير ١٩٨١ م (٤٩).

إن الكاتب لا ينعى على بعض المغرورين بالألقاب والأسماء - دون تصديق من عمل - ولو كان كذلك لوافقناه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝﴾ [النساء]. ولكنه ينقض أصلاً عقدياً عاماً في خيرية هذه الأمة، وتميزها على سائر الأمم، بجراءة منقطعة النظر، وقذائف متوالية، تحمل عبارة (ليس صحيحاً)! ونقول لهذا المتجرب: دعك من الفقهاء - رحمهم الله - فقد أوسعهم شتماً وتنقصاً في كثير من كتاباتك، فما تصنع بقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾ [آل عمران]، وقوله ﷺ فيما رواه مسلم: (إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود)^(١).

ألا يكفي «الإيمان» الصحيح، و«العقيدة» النقية معياراً للتمييز!!

ويجب الكاتب بما يكشف عن معيار التميز والتفوق في نظره، ونظر أمثاله، من خلال القصة المتكلفة التالية: «لقد سمعت واحداً من خطباء الجمعة، اعتلى المنبر ليحدثنا في أن المسلمين «خير أمة أخرجت للناس». وذهب به الحماس حداً دفعه إلى أن يسفه غير المسلمين جميعاً، ويتهمهم بمختلف النواقص والمثالب، ثم يدعو الله في الختام - وحوله مئات من المصلين يؤمنون - أن يدك بيوتهم، ويزلزل عروشهم، ويفرق شملهم، ويهلك نسلهم وحرثهم!

كنت جالساً في الصف الأول، في مسجدٍ فرش بسجادٍ مصنوع في ألمانيا الغربية، وترطب حراراته مكيفات أمريكية، وتضيئه لمبات

«تونجسرام» الهنغارية، بينما كلمات الخطيب تجلجل في المكان عبر مكبر للصوت هولندي الصنع. وعندما هبط شيخنا ليؤمننا في الصلاة، تفرست في طلعتة جيداً، لأجد أن عباءته من القماش الإنجليزي، وجلبابه من الحرير الياباني، وساعته «زودياك» السويسرية، وقد وضع إلى جوار المنبر حذاءً إيطالياً لامع السواد^(١).

هذا هو معيار الخيرية والتفاضل بين الأمم عند هؤلاء العصرانيين، المعيار المادي الدنيوي، وليس الإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما أخبر الله تعالى.

وحين ابتعث الله نبيه ﷺ، وأخرج أمته للناس، لم يكونوا هم أرباب الصناعات والاختراعات، بل كانت بأيدي أمم الأعاجم الذين يشدو الكاتب بمآثرهم. وليت الكاتب ترك العلم والرأي والفتيا لأهلها، وتخصص فيما برع فيه من معرفة السلع والبضائع من أول نظرة، وتخلي عن لقب «كاتب إسلامي»، ليصبح «مدير مبيعات»، إذاً لأراح واستراح.

٣ - سعود المولى:

قال: (...). إن «الأغيار» في العقيدة، غير المسلمين، لهم مكانهم الطبيعي، وليس مكانهم المقرون بالمنة... فليس في الاجتماع السياسي الإسلامي مواطنون درجة أولى، ومواطنون درجة ثانية. المواطنون درجة واحدة وانتسابهم إلى الدولة انتساب واحد^(٢).

ونجيب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَفْرَضْتُمْ فِي الَّذِينَ

(١) المسلمون والآخرون. أشواك وعقد على الطريق. مجلة العربي عدد (٢٦٧) (٤٩).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة (٢٠٠).

صحيحاً أو منحولاً^(١)، فحتى لو كان ذلك العهد منحولاً - وهو الراجح نصياً - فالواقع أن هناك تأسيساً نصياً وتاريخياً مبكراً لتمايز المسلمين عن أتباع الديانات الكتابية^(٢).

والواقع أن ما انتهى إليه الكاتب قضية بدهية، حاول الفريق الآخر من أمثال محمد عمارة طمسها، والتشويش عليها. وأما انتفاء المساواة في القيمة الإنسانية فمرده إلى حط غير المسلم نفسه بالكفر بالله، مع أن الأصل فيه البراءة الأصلية، وسلامة الفطرة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾ [التين]، وقال: ﴿وَنَقُصِّ وَرَأَيْنَا سَوْنَهَا ۝ فَالْمَمَّا بُجُرْهَا وَنَقُولَهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝﴾ [الشمس]. وحين يقوم د. رضوان السيد ما يسمى بـ «الحرية الدينية» لا ينزلق إلى المغالاة التي يتملق بها الفريق الآخر من العصرانيين أهل الكتاب، من أن الإسلام كرمهم، ومنحهم امتيازات خاصة، أو قال لهم، اشربوا الخمر، وكلوا الخنزير... إلخ مما تقدم ذكر نماذج منه، بل يكون تقويمه أكثر دقة من حيث الجملة، فيقول: (الآخرون موجودون، ومعترف بهم كمجموعات دينية. لكن المعترف به من الدين هو الجانب الشعائري، وليس العقائدي أو الاجتماعي/ السياسي. ولذا فقد كانت المشكلات تظهر عندما يبدو المسيحي خارج الكنيسة في دواوين الدولة، أو في الشارع، أو في الحياة العامة: فهل القول إن المسيحي مسموح له أن يوجد كمسيحي، بشرط أن لا يلحظ اجتماعياً، أو سياسياً أو رمزياً - هل يعتبر ذلك حرية دينية؟! وبخاصة أنه ملاحق بالوصم بالكفر والشرك، واتباع الآية الممحوة!؟)^(٣).

(١) انظر الكلام على «العهد العمري» في مبحث حكم الإسلام في أهل الكتاب.

(٢) مجلة الاجتهاد (٤٠/٣٠).

(٣) مجلة الاجتهاد (٤٤/٣٠ - ٤٥).

وهي أسئلة ملزمة محرجة للذين يحاولون إمساك العصا من منتصفها. أما بالنسبة للتصور الإسلامي الأصيل للقضية فلا إشكال البتة.

فأهل الذمة في المجتمع الإسلامي ليس لهم حق التحزب السياسي، أو التكتل الاجتماعي، أو التظاهر العقائدي في دار الإسلام. بل هم مشمولون بالمظلة العامة لإمام المسلمين، مكفولون من النواحي الاجتماعية بما يحفظ لهم الخدمات الحيوية كسائر المسلمين، ممكنون من العمل والاتجار والتنقل حيث شاءوا من دار الإسلام - باستثناء مكة ومناطق أخرى مختلف فيها^(١) - محميون من العدوان الداخلي والخارجي بضمانات دينية عليا - ذمة الله وذمة نبيه ﷺ - وليست ضمانات مدنية أو خلقية فحسب. ومع ذلك كله فهم في نظر أهل الإسلام كفار مشركون.

ولا غرابة فهم يعتقدون أن المسلمين كذلك، ولولا ذلك لاتبعوهم، فممّ الجزع؟

إننا ابتداءً لا نسلم بهذا التعبير «الحرية الدينية»، ولا نعهده مصطلحاً شرعياً، بل هو تعبير وافد من بلاد الغرب له مدلولاته ومقتضياته الخاصة. والقاعدة الشرعية المقابلة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ولكن هذا المصطلح العصري «الحرية الدينية» أوهم بعض الناس أن الإسلام يبيح سائر أنواع الممارسات الدينية التي تروق لصاحبها، وحرية التنقل بين الأديان كيفما شاء، ولم يقل بذلك أحدٌ من علماء الإسلام، ومن ثم استشكلوا حد الردة ورأوا فيه مصادمة للحرية الدينية، وحرية الضمير كما يعبرون. يقول د. رضوان السيد منشئاً عن هذا اللبس الحاصل بين دلالة «الحرية الدينية»، ودلالة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: (...). الغريب أنه لا أحد بين الفقهاء القدامى خطر

(١) انظر: مبحث «حكم الإسلام في أهل الكتاب» من التمهيد.

ببإله أن يسأل نفسه عن كيفية التوفيق بين قتل من يدع الإسلام، وقول القرآن الكريم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يقال لمن ترك الإسلام: إما أن تعود إليه أو تقتل: أليس هذا هو الإكراه؟

يجيب الفقهاء المحدثون: بل الإكراه هو أن ترغب إنساناً على الإسلام بداية. أما وقد اعتنق الإسلام باختياره، فإن إغراضه عنه ليس تحدياً لله عز وجل فحسب، بل وللجماعة الاجتماعية/ السياسية التي تلحق بها أضرار فادحة إذا فشا فيها ذلك... لكن أياً كان الأمر، فإن باب الردة في الحقيقة عطل الآية القرآنية التي تصر على مبدأ الاختيار في الإيمان^(١).

واستغراب د. رضوان السيد ليس في مكانه، إذ أنه مؤسسٌ على فهم خاطئ لمعنى الآية، حيث ظن أنها تفيد العموم، وهو ما لم يقل به أحدٌ من العلماء. فقد ذكر القرطبي^(٢) رحمته الله في معناها ستة أقوال لأهل العلم ليس فيها قولٌ بالعموم^(٣). وقال ابن كثير رحمته الله: (وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه الآية محمولة على أهل الكتاب، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية. وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، فإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول

(١) مجلة الاجتهاد (٣٠/٤٧ - ٤٨).

(٢) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة، ورحل إلى المشرق واستقر بمصر وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ، من كتبه: «الجامع لأحكام القرآن»، و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» و«التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» وغيرها. الأعلام (٥/٣٢٢)، نفح الطيب (١/٤٢٨)، الديباج (٣١٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٠ - ٢٨١).

في الدين الحنيف، دين الإسلام، فإن أبى أحد منهم الدخول فيه ولم ينقذ له، وببذل الجزية، قوتل حتى يقتل. وهذا معنى الإكراه. قال تعالى: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ يَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤَيِّدْكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَلَئِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا قَوْلَيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعْزِبْكُمْ عَنْ دَارِكُمْ أَلِيًّا﴾ [الفتح]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا الْعَصِيرُ ۝٩١﴾ [التحریم]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَقُولُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝٩٢﴾ [التوبة]. وفي الصحيح: «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل»^(١) يعني: الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثاق والأغلال والقيود والأكبال، ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم، فيكونون من أهل الجنة»^(٢). وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري: (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس، وقال: عني بقوله تعالى ذكره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أهل الكتابين والمجوس، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق، وأخذ الجزية منه، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخاً... - ثم وجه ترجيحه :-

إن الناسخ غير كائنٍ ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ، فلم يجز اجتماعهما. فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي، وباطنه الخصوص، فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل، وإذا كان ذلك كذلك، وكان غير مستحيل أن يقال: لا إكراه لأحدٍ ممن أخذت منه الجزية في الدين، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً،

(١) صحيح البخاري (٢٠/٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٦٨٣).

فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه، دين الحق إلى الكفر، ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه، وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين، ومن أشبههم، كان بيناً بذلك أن معنى قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية، ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة بالحكم بالإذن بالمحاربة^(١).

فتبين أن معنى الآية لا يتناول المرتد أصلاً، وأن الصورة التي ذكرها د. رضوان السيد غير داخلية في دلالة الآية، فلا حاجة إلى تكلف الإجابة في استثناء المرتد لاعتبارات معينة، مع صواب تلك الاعتبارات من حيث هي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في شأن من ارتد من الناس عند قدوم التتار سنة تسع وتسعين وستمائة إلى حلب: (وهؤلاء أعظم جرماً عند الله، وعند رسوله والمؤمنين من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة. فإن هؤلاء يجب قتلهم حتماً ما لم يرجعوا إلى ما خرجوا عنه، لا يجوز أن يعقد لهم ذمة، ولا هدنة، ولا أمان، ولا يطلق أسيرهم، ولا يفادى بمالٍ ولا رجال، ولا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، ولا يسترقون: مع بقائهم على الردة، بالاتفاق. ويقتل من قاتل منهم، ومن لم يقاتل؛ كالشيخ الهرم، والأعمى، والزمن، باتفاق العلماء. وكذا نساؤهم عن الجمهور).

والكافر الأصلي يجوز أن يعقد له أمانٌ وهدنة، ويجوز المن عليه، والمفاداة به إذا كان أسيراً عند الجمهور. ويجوز إذا كان كتابياً أن يعقد له ذمة، ويؤكل طعامهم وتنكح نساؤهم، ولا تقتل نساؤهم إلا

(١) جامع البيان (١٧/٣).

أن يقاتلن بقولٍ أو عمل، باتفاق العلماء، وكذلك لا يقتل منهم إلا من كان من أهل القتال عند جمهور العلماء، كما دلت عليه السنة.

فالكافر المرتد أسوأ حالاً في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره^(١).

وأياً كان الأمر فإن باب الردة في الحقيقة لم يعطل آية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ خلافاً لما توهمه د. رضوان السيد.

والمقصود أن ما يسمونه بالحرية الدينية مثار قلق أصحاب الاتجاه العصراني على اختلاف طبقاتهم، لأنها تمثل جبهة صدام صريحة بين قواعد الشريعة الثابتة بنصوص الوحيين، ومستلزمات التقارب والاندماج، وإلا بتنا (محل إدانة العصر) كما يعبر فهمي هويدي.

إن دين الله بَيِّن، ودين الله متين لا يسهل اختراقه بالشبهات والإثارات العاطفية، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه. فإن كان كِبُرُ عليكم أيها العصرانيون مقام التذكير بآيات الله، فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، واختاروا إحدى سبيلين لا ثالث لهما: إما دين الله كما يريد الله، أو الهوى، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَفِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصاص].

ثالثاً: مفهوم «التقريب» ومنهجيته عند الإسلاميين العصرانيين:

إن ما مضى من بيان الموقف العقدي للعصرانيين تجاه أهل الكتاب، وما تلاه من بيان الموقف العملي التطبيقي، في حسابهم والمسلمين على حدٍ سواء، واستهجانهم الأحكام الشرعية المتعلقة بأهل الذمة، ينبئ عن تطلعات هؤلاء، وما تستشرفه نفوسهم من وراء قضية التقريب، والحوار بين الأديان.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤١٣ - ٤١٤).

ونلاحظ بادئ ذي بدء، أن القوم يهجرون المصطلح الشرعي للقرآن في شأن دعوة أهل الكتاب، كما ورد في الآية: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النكبت: ٤٦]، ويستعوضون عن لفظ «المجادلة بالتي هي أحسن» بألفاظ واصطلاحات مولدة مثل: «التقريب» و«الحوار».

وكما هجروا المصطلح الشرعي، هجروا المنهج الشرعي الذي سارت عليه الأمة من لدن نبيها ﷺ حين جادل يهود المدينة، ونصارى نجران، وملوك الأرض، القائم على الدعوة الصريحة لتوحيد الله تعالى، والدخول في دينه والبراءة من الشرك، واتخاذ الأرباب من دون الله، كما في الآية العمدية في دعوة أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا تَتَّبِعُوا آلَ اللَّهِ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِمْ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

وسنكشف عن مفهوم التقريب ومنهجيته في نظر هؤلاء العصرانيين من خلال معالجتهم لهذه القضية، فندرك إلى أين تهوي أفئدة القوم، وإن كان بعض من يجري في هذا المضمار، لا يبلغ متناه.

أولاً: الغلو في تمجيد الحوار:

لا يكاد يكتب أحدٌ في قضايا الحوار الإسلامي النصراني، أو الحوار بين الأديان بشكل عام، إلا ويغدق عليه من ألفاظ التمجيد، وبهرج القول، ما يحمل القارئ المنصف على التساؤل: أين الأمة في ماضيها المتطاوّل عن هذه المحمّدة العظيمة التي تقصر دونها سائر الأمجاد والفضائل؟ وثم بعض الشواهد:

١ - د. يوسف الحسن:

قال: في كتابه «الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات»، المطبوع عام ١٩٩٧م: (الحوار هو جوهر حياة البشر،

... وهو أحد مقاصد الشرع الكبرى، والله ﷻ هو أعظم المتحاورين، والديانات السماوية هي التعبير الأكمل عن هذا الحوار...

وكانت رسالة الأديان موجهة للمخلص الجماعي الذي يتم به عمران الدنيا، ونماء ثمراتها بإبداع للعقول، وعمل جادٍ للسواعد، واكتشافٍ للمجهول، عبر مسيرة إنسانية من القيم الحافظة لجوهر الخير، والتعاون في علاقات الناس بالناس، وفي حوار الإنسان مع أخيه الإنسان. وهذا جوهر الهداية التي بعث بها الرسل، ونزلت لإعلانها وتثبيتها الكتب السماوية^(١).

هكذا، وبهذا الزخم الهائل من الألفاظ الفضفاضة ينفخ في صورة الحوار. ويبين الهدف من تأليف الكتاب:

(ولا شك أن من بين غايات هذا الكتاب التأكيد على ضرورة هذا الحوار... وبلورة مفاهيم فكرية وروحية كفيلة بتوسيع دائرة المؤمنين بهذا الحوار، وبدوره المنتظر في تعميم ثقافة القيم العليا، وتصحيح صورة الآخر، والتعاون على البر والتقوى، ومقاومة الفساد والقبح والطغيان والظلم، وإشاعة المودة وروح المسالمة بين المسلمين والمسيحيين، وإثراء ثقافة حوار الكلمة السواء، وإبراز الجوامع المشتركة وقيم الاعتدال، والتعددية، وتعميق المصالح المشتركة بين دائرتي الحضارتين الإسلامية والمسيحية)^(٢).

وهذه لغة تستبعد الدور المتميز للإسلام، وتنفيه، ولا تتصوره إلا شريكاً في مشروع، لا يستقل بنفسه ولا يجزئ بمفرده. ولا ريب أنه خطابٌ دخيل على الحس الإيماني الأصيل، الذي يرى الخير والشر والصلاح والفساد من زاوية رصدٍ واحدة، وهي النظرة الإسلامية فقط.

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (١١، ١٢).

(٢) المرجع السابق (٦).

٢ - محمد الطالببي:

ينعى على الإسلام المعاصر تأخره في اعتناق الحوار، في حين يرمق بإعجاب «النصرانية» على انتهاج هذا السبيل، فيقول: (إن الحوار بالنسبة للإسلام إذن هو مبدئياً ومسبّقاً، اتصال بالعالم من جديد، اتصالٌ ضروري وحيوي. والإسلام في حاجةٍ إليه أكد، والنفع الذي يعود عليه منه أكبر من بقية الديانات الأخرى، كالدين المسيحي مثلاً، الذي لم يقطع قط هذا الاتصال قطعاً حقيقياً، فيكون له بذلك مكانة ممتازة نسبياً)^(١).

وحين يقدم «الحوار» بديلاً عن الدعوة والمجادلة بالتبني هي أحسن، يلتبس الأمر، وتوظف النصوص الشرعية، الواردة في شأن الدعوة والمناظرة وإقامة الحجة لخدمة هدفٍ غير واضح المعالم.

٣ - د. يوسف القرضاوي:

قال: (...) إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه كتاب حوار من الطراز الأول. وقد حاور الأنبياء أقوامهم - وذكر أمثلة - ومن أعجب الحوارات في القرآن الكريم، حوار الله تعالى مع بعض خلقه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وحوار الله تعالى مع أعدى أعدائه، وأبغض خلقه، وهو الشيطان الذي لعنه الله.

لذلك لا عجب في أن نقتدي بالقرآن الكريم، في أن نتحاور مع من خالفنا^(٢).

(١) الإسلام والحوار. أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. من وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين. (٤٤).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي، محاضرة منشورة في مجلة المسلم المعاصر عدد ٨٦. (١٤٤).

ولا شك أنه - كما قيل: (لا مشاحة في الاصطلاح) إلا في الألفاظ الشرعية فإنها ذات دلالات خاصة، وحتى إذا عدل عنها إلى غيرها فيجب أن تكون مقرونة بما يعين المراد، ويقطع اللبس. فلو ساغ لنا أن نعبر بالحوار، فيجب أن نضمنه معنى الدعوة وإقامة الحجة، وقطع الشبهة، وأن لا نطلق أعنة الكلام تجري في مسارح الأفكار المتباينة، والمفاهيم المختلفة.

والنتيجة الحاصلة لهذا اللون من التمجيد لمشروع «الحوار» أن تحول «الحوار» إلى غاية بحد ذاته، وليس وسيلة إلى غاية، كما وصفه د. يوسف الحسن - آنفاً - بأنه (أحد مقاصد الشرع الكبرى).

كما أن هذا المديح المطلق للحوار، من حيث هو حوار، يجعله «طعماً» لاصطياد ذوي النوايا الحسنة، والحماس العاطفي، ويستدرجهم للولوج في هذا الدهليز المضيء أوله، المظلم آخره.

ثانياً: تضخيم أهمية (معرفة الآخر):

هذه خطوة تالية مستفادة من الجانب النصراني، على نحو ما يكتب الأب موريس بورمانس وأمثاله، من أهمية معرفة الآخر، واكتشاف ما لديه من خبرات دينية... إلخ^(١).

والحق: أن معرفة المسلمين بالنصارى واليهود وعقائدهم وتاريخهم أفضل وأدق من معرفة أولئك بالمسلمين^(٢)، ذلك أن القرآن الكريم، والسنة النبوية قد ضما قاعدة عريضة من المعلومات العقدية والتاريخية القطعية، بخلاف أهل الكتاب الذين، حتى عهد قريب، لا

(١) انظر في مبحث الكنيسة الكاثوليكية (٣٥٤ - ٣٦٤).

(٢) يقول: د. رضوان السيد: (والملاحظ أن معرفة الجدليين المسلمين بالمسيحية كانت أفضل بكثير من معرفة جداليي المسيحية بالإسلام. مجلة الاجتهاد ١٢/٢٨). ونضيف: وكذلك معرفة عوام المسلمين بالنصرانية.

يعرفون عن الإسلام ونبيه وكتابه إلا الخرافات والأكاذيب السمجة التي افترتها الكنيسة لتضليل رعيته^(١).

وقد دأب دعاة التقارب من العصرين على الطرق على هذا الوتر. باعتبار أن «المعرفة» قيمة محترمة، ولا يجرؤ أحدٌ على رفضها، فرددوا كلمات دعاة التقارب من النصارى بالتعرف على الآخر كما هو وكما يريد أن يعرف، ومن شواهد ذلك:

١ - د. مصطفى عثمان إسماعيل^(٢):

قال: (إخوة الإيمان... إن هذا اللقاء يسعى لتأسيس حوار حقيقي بين الإسلام والمسيحية، يبدأه الطرفان، وكل منهما مقتنع ومستعد أن يتعلم شيئاً من الآخر، ليس فقط حديث عن التسامح، وتبادل مذهب لوجهات النظر، وهذا بالضرورة يدعو كلاً منا لمعرفة ديانة الآخر)^(٣).

٢ - سعد غراب:

قال: (إن هدف الحوار في عصرنا هذا يجب أن يكون معرفياً صرفاً)^(٤).

(١) انظر: كتاب: «المسيحية والإسلام» للباحث الروسي إليكسي جورافسكي ترجمة د. خلف الجراد، الفصل الأول والثالث والرابع.

(٢) الأمين العام لمجلس الصداقة الشعبية العالمية، ورئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر حوار الأديان، المنعقد في الخرطوم في أكتوبر عام ١٩٩٤م، ووزير الخارجية لاحقاً.

(٣) من كلمة اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار بين الأديان: د. مصطفى عثمان إسماعيل. المنعقد في الخرطوم عام ١٩٩٤م.

(٤) الإسلام والنصرانية من الصدام إلى الحوار من: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٢٥).

٣ - محمد حسين فضل الله:

قال: (علينا الاعتراف بوجود غربة فكرية للمسلمين عن ماهية المسيحية، وغربة فكرية للمسيحيين عن ماهية الإسلام. هناك قضايا عالقة تتصل بطبيعة اللاهوت، لا بد من بحثها في النطاق العلمي الفكري الموضوعي بين علماء الفريقين، لأنها تتصل بنظرة المسلم إلى المسيحي:

هل هو مؤمن؟ ... كافر؟ ... مشرك ... وما إلى ذلك من كلمات ...

ما هي الرابطة بين توحيد المسيحيين في طقوسهم الدينية، والتثليث الذي يضعونه إلى جانب التوحيد ذاته؟ ... إن مثل هذه التساؤلات ربما أوجدت حالة من القلق الفكري النفسي في نظرة المسلمين إلى المسيحيين، أو في نظرة المسيحيين إلى المسألة التوحيدية^(١)، وبالتالي فالكاتب من خلال تعريف المسلمين بالنصرانية يسعى لطمأنتهم وإزالة القلق الفكري النفسي في قلوبهم تجاه النصارى. ولكنه لم يطرح القضايا التي تثير حالة من القلق في نفوس النصارى تجاه المسلمين، ليزيح عنهم كابوس الشبهات التي تحول بينهم وبين اعتناق الإسلام. أم أنه هدفٌ معرفي أحادي الجانب؟ ويقول أيضاً: (وقد يكون من الضروري في هذا الاتجاه، أن ينشأ في الدائرة الثقافية الإسلامية أو المسيحية برنامجٌ علميٌ فكري للدراسات المشتركة التي تمنح كل فريق معرفة أصول فكر الفريق الآخر وفروعه. وذلك من خلال المصادر التي يرتضيها حتى يحتفظ للفكرة بنقاها، وبأصالتها في الجانب الآخر... وباعتبار أن الناس قد يتصورون مفاهيمهم بطريقة مختلفة عن التصور الفكري للمفردات المرتبطة بالمضمون الانتمائي له)^(٢).

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٢٤).

(٢) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءة إسلامية في الراهن والمستقبل. من: العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ الحاضر والمستقبل. (٣٤).

هل المسلمون في شك من معرفة أصول فكر الفريق الآخر وفروعه، بعد أن جلاها القرآن الكريم والسنة الصحيحة؟

وهل من شرط نقاء الفكرة وأصالتها أن يتلقاها المسلمون من المصادر التي يرتضيها النصارى^(١)؟ وهل سيقبل النصارى بالمصادر التي يرتضيها المسلمون لدينهم؟

ويقول أيضاً: (إننا نعتقد أن من الضروري العمل على إدارة الحوار في المسألة اللاهوتية على مستوى دراسة كل المفردات التي يختلف فيها أحدهما عن الآخر، ومحاولة كل منهما التعمق فيما لديهما من المصادر الثقافية الأصيلة، من الكتب المقدسة، والتراث الفكري، للدخول في عملية مقارنة فيما يلتقيان فيه، وحوار فيما يختلفان فيه)^(٢).

إن الحوار بهذا المضمون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس من علوم أهل الإسلام، ولا من مناهجهم في إبلاغ دين الله، بل هو ضرب من الزندقة والتلفيق، وإقرار الكافر على كفره، دون دعوته والإنكار عليه.

٤ - د. يوسف الحسن:

قال: (إن الحوار بين الإسلام والمسيحية هو سعي يتوخى معرفة الآخرين الصادقة، ويتفهم المغايرة الدينية، وما تمثله من قرب أو بعد، ويتفاعل بشكل مباشر أو غير مباشر في مجالات الفكر الإنساني المتنوعة، ويتعاون في سياق العيش المشترك معتمداً العقل سبيلاً للتفاهم والتقارب في شؤون الدين والدنيا على حد سواء).

(١) راجع في مبحث «حكم الإسلام في أهل الكتاب»: (الحذر من كتبهم ومروياتهم).

(٢) من مقدمة كتابه: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. «غير مرقمة بأعداد أو حروف».

إذاً الحوار الذي نعنيه في هذا البحث هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر، بطريقة موضوعية تبين ما قد يكون بينهما من تلاقٍ أو اختلاف، مع احتفاظ كل طرفٍ بمعتقداته، في جوٍّ من الاحترام المتبادل، والمعاملة بالتي هي أحسن...

والحوار لا بد أن ينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الأخرى، وتجنب إصدار أحكام مسبقة عليها، والاتفاق على إعادة صياغة صورة الآخر، في إطار من التفهم والتسامح والرغبة المشتركة في بلورة قيم إنسانية لإحداث التفاعل الحضاري^(١).

إن المتأمل في هذا النص يستخرج من بين عباراته الخطائية الرنانة معاني خطيرة، ويشير أسئلة حادة:

- ١ - ثمَّ معرفة صادقة للآخر النصراني، وأخرى غير صادقة. فأين موقع العقيدة الإسلامية من هذا التصنيف المريب؟!
- ٢ - المغايرة الدينية، قضية مُتفهمة، ماذا يعني هذا التفهم أهو الإقرار أم الإنكار؟
- ٣ - تبادل الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات بين طرفي الحوار، أهو في المجال الديني أم في المجال العقدي؟
- ٤ - احتفاظ كل طرفٍ بمعتقداته، يعني استبعاد قضية الدعوة ابتداءً.
- ٥ - تجنب إصدار أحكام مسبقة، يعني التنصل - والعياذ بالله - من أحكام الله المسبقة في أهل الكتاب.
- ٦ - إعادة صياغة صورة الآخر، تعني أن الصورة المرسومة بنصوص الكتاب والسنة خاطئة - والعياذ بالله - وإلا فَلِمَ تعاد صياغتها؟

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (١٢ - ١٥).

تلك هي مفردات مفهوم الحوار المغلفة بالغلاف المعرفي البراق،
المنطوية على التحلل من العقائد الإيمانية

**ثالثاً: تحريف معنى الدعوة إلى «كلمة سواء» عن مدلولها العقدي
إلى مضامين أخرى:**

إن الأصل في باب مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، هو آية
آل عمران: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا
نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آدِبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران]. قال ابن
جرير رحمته الله في تفسيرها: (قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة
والإنجيل: تعالوا: هلموا إلى كلمة سواء، يعني إلى كلمة عدل بيننا
وبينكم، والكلمة العدل: هي أن نوحده الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل
معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً... ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما
أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه)^(١).

وهو معنى واضح بين بحمد الله، بل هو تفسير القرآن بالقرآن،
حيث فسر الكلمة السواء بما بعدها. ولكن الذين في قلوبهم زيغ
يحرفون الكلم عن مواضعه، ويخرجون النص عن مقاصده، ويزعمون
معاني مدعاة ليست مراد الله في هذه الآية. فقد عطلوا النص أولاً عن
دلالته الصحيحة، وحرفوه ثانياً إلى دلالات مزعومة.

وأولى صور التحريف لمعنى الآية المحكمة: الإيهام أن الكلمة
السواء هي القدر الجامع المشترك، المتحقق وجوده فعلاً، لا أنه يُطلب
الالتقاء عليه، كما هو صريح النداء والدعوة في قوله: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ
الْكَافِرُونَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، فيفسرون «سواء» أي نحن وإياكم
متساوون في هذه القضايا، لا فرق بيننا وبينكم! ومن شواهد ذلك:

(١) جامع البيان (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢).

١ - محمد حسين فضل الله:

قال: (وقد نلاحظ أن هناك أكثر من قضية مشتركة يلتقي فيها المسلمون والمسيحيون في كل الساحات، وهي الكلمة السواء في التوحيد ورفض الشرك، ووحدة الإنسانية، ورفض الاستكبار والاستعباد الإنساني، وهو الذي طرحه القرآن الكريم على أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَقَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]. فيتحرك الجميع لمواجهة المادية الملحدة، والشرك العبادي، والاستكبار العالمي، لينطلق الإيمان بالدين بشكل عام قوياً في ساحة الفكر، ويتحرك المستضعفون في مواقع القوة في مواجهة المستكبرين؛ الأمر الذي قد يتيح للشعوب المستضعفة أن تكتشف في الدين الحركي معنى الحرية والعدالة، فتلتقي بالإيمان به من خلال جهاده السياسي في خط المواجهة للظلم العالمي كله، ليقف المسلم ضد المستكبر حتى لو كان مسلماً، ويقف المسيحي ضده حتى لو كان مسيحياً^(١).

وفي موضع آخر يقول: (... إن القرآن الكريم عندما أطلق الجو الحواري مع أهل الكتاب، تمسك بالكلمة السواء التي تنفتح على خطين لا يتعدان عن حركة الواقع:

الخط الأول: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَقَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤]. أن نوحده الله تعالى، ولا نعبد كل القوى الظالمة والمستكبرة والطاغية، لتكون في موقع الشريك لله تعالى.

الخط الثاني: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة.

فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ [آل عمران] الرفض القاطع لأن يكون الإنسان مستعلياً ومستكبراً على أخيه الإنسان، فيكون في موضع الرب لهذا الإنسان^(١).

إن من يقارن هذا التفسير الحادث لمعنى الكلمة السواء، بالتفسير القرآني الأثري الذي ذكره الطبري، يدرك بعد الشقة، وطول النقلة التي يتجسمها هؤلاء العصرانيون في تعطيل أي الكتاب عما نزلت فيه، وحملها على محامل متعسفة مستكرهة. فإذا بالنداء التوحيدي الصريح الذي يدعو القوم إلى نبذ عقيدة التثليث، ودعوى ربوبية المسيح، واتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، يتحول إلى خطاب ثوري مسكونٍ بشعارات سياسية خاصة، ويُفَرِّغ من محتواه العقدي الأصيل، لِيُضَمِّنَ دعواتٍ إنسانية عامة يتشدد بها كل أحد، ولا يتميز بها أحدٌ عن أحد.

٢ - د. يوسف الحسن:

قال: (وهدف الحوار مع المسيحية هو الوصول إلى «كلمة سواء» لعمل الصالحات والنافعات للبشرية، ولمواجهة الطغيان، وتحقيق معرفة كل طرفٍ بالآخر، وإزالة سوء الفهم، والتعاون على البر والتقوى.

وتنادي الرؤية الإسلامية، بضرورة الجهر بالحق في المسائل التي تهم الناس، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة... وتحرص على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر، والتسليم بمبدأ الاختلاف، ومبدأ حرية الاختيار، «لكم دينكم ولي دين»^(٢).

إن المرء ليعجب أشد العجب من تخوُّص هؤلاء الكتاب في

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٤٦ - ٤٧).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات. (٤٣ - ٤٤).

آيات الله دون رادع من تقوى، أو حياء من الله أو من الناس، أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، بل ما يعلم أذى من له معرفة باللغة أنه خلاف مراد الله. فمضمون الكلمة سواء مضمون عقدي خالص؛ عبادة الله وحده، ونبذ الشرك، وعدم اتخاذ الأرباب من دون الله، ثم يزعم الكاتب أن الرؤية الإسلامية تحرص على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد! ليس هذا فقط، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر والتسليم بمبدأ الاختيار، وكأن ذلك معنى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] أو معنى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

إن في هذا الطرح استهتاراً بعقول القراء، وتغيباً للأمة عن الحقيقة الجلية واستدراجها إلى سبيل غير سبيل المؤمنين.

٣ - د. يوسف القرضاوي:

ومن صور حجب الحقيقة الكاملة في تفسير ﴿كَلِمَةً سََوَّاهٍ﴾ ما فسر به د. يوسف القرضاوي آية آل عمران السابقة بقوله: (لست رباً لي، ولست عبداً لك، كلنا عبيد لرب واحد، وينبغي أن نوحده الله ولا نشرك به، فهذه الجوامع التي يدعو الإسلام إلى أن تكون هي ملاك الحوار، وأساس الحوار بين الأطراف المختلفة)^(١).

ونبادر فنطمئن الكاتب أن النصارى لن يرفضوا هذه الجوامع، بل إنهم يزعمون أنهم أصحاب ديانة توحيدية. والمطلوب أن نواجههم بما واجههم الله به بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١] وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢].

وهل يظن الكاتب أن نصارى نجران الذين نكصوا عن المباهلة،

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي (١٦، ١٧).

ورضخوا للجزية كانوا رافضين للجمل العامة التي فسر بها الكاتب «الكلمة السواء»؟ أم كانوا رافضين لما تستلزمه هذه الآية بداهة من إنكار التثليث، ودعوى ألوهية المسيح، وبنوته، واتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله؟

يجب أن تذكر الحقيقة كاملة صريحة واضحة دون غمغمة أو تلجلج، مقرونة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة. فلا يحل للعلماء ولا للدعاة أن يحجبوا أو يجتزئوا دلالة النصوص لأي اعتبار من الاعتبارات، أو مصلحة مظنونة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ﴾ [آل عمران]. فالحذر الحذر من هذا المزلق، فالدين دين الله، والهدي هدي رسول الله ﷺ.

٤ - محمد عمارة:

ومن صور التحريف الخطيرة لمعنى ﴿كَلِمَةً سَوَاءً﴾ ما انتهى إليه محمد عمارة بعد ركضه المتواصل في مضمار قلب الحقائق، وإنكار المعلوم من الدين بالضرورة، في كتيبه «الإسلام والوحدة القومية» حيث يقدم في صفحاته الأخيرة عرضاً فاجراً أسماه «كلمة سواء» يستجدي به أهل الكتاب، ويسخط به رب الأرباب، ننقله بطوله لخطورته:

(ولقد كان الفكر الشائع لدى مختلف الفرقاء، وهو ما كانوا يحذرونه جميعاً، هو أن المسلمين إذا اعترفوا بنجاة غيرهم، وهم على شرائعهم، فإن ذلك يعني التخلي عن ضرورة الاعتراف بنبوة محمد ورسالته، الأمر الذي يقدر في صدقه وصدق رسالته... وأيضاً فإن اعتراف غير المسلمين بنبوة محمد ورسالته يستوجب ترك الشرائع غير الإسلامية، والدخول في شريعة المسلمين).

وهذا الفكر الشائع هو الذي يقف - إذا نحن تأملنا واقع الاعتقادات الدينية لدى الجميع - خلف إنكار المسلمين النجاة على من لا يؤمن بمحمد، ورفض غيرهم التصديق بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام. لكن... الآن... وبعد هذا العرض الذي قدّمته صفحات هذا الكتاب لقضية «وحدة الدين الإلهي وتعدد شرائعه». هل يستطيع جميع الفرقاء أن يتفقوا على كلمة سواء:

أن يتخذ أبناء كل شريعة شريعتهم طريقاً ونهجاً خاصاً لتدينهم بالعقائد الأصلية للدين الإلهي الواحد، وأن يعترف الجميع بصدق النبوة والرسالة، وألوهية الشريعة كما هي لدى الآخرين، وأن تكون للشرائع المختلفة، ولأنبيائها الاحترام والقدسية اللائقان بتراث الإنسانية، من الفكر الديني ووحى السماء إلى الإنسان؟

فكما أن اعتراف المسلم بشريعة عيسى أو موسى، وبرسالتيهما، لا يلزم منه ترك شريعة محمد، واتخاذ العيسوية أو الموسوية طريقاً للتدين بالدين الإلهي الواحد، فكذلك الحال مع اعتراف المسيحي واليهودي بشريعة محمد ورسالته، لا يستلزم منه أن يدع شريعته ويستبدلها بشريعة الإسلام.

فليحتفظ كل بشريعته... وليعترف الجميع بكل الشرائع وجميع الأنبياء... ولكن التنافس في سلوك كل فريق طريقه ونهجه للاقتراب أكثر فأكثر من الإيمان الحق بالأصول الحقّة للدين الإلهي الواحد. تلك هي القضية التي نطرحها منطلقاً للإخاء الديني الذي يمثل بالنسبة لأمتنا ما هو أكثر من «بندٍ في برنامجٍ مرحلي» أو قضية «تسامح واستنارة فكرية للصفوة»^(١).

بعد اللهاث الطويل في تحريف النصوص والقول على الله بغير

(١) الإسلام والوحدة القومية. (٢١٧ - ٢١٨).

علم، يقدم محمد عمارة العقيدة الإسلامية التي سماها فكراً شائعاً، قرباناً على مذهب الإخاء الديني لصنم الوحدة القومية والوطنية. وصاغ البيان الختامي الذي أعِد من قِبَل طرفٍ واحد، بل فردٍ واحد هو: هو، دون أن يمنحه أحدٌ من أهل الأديان حق التمثيل، وطفق يعبث بعقيدة الأمة ويفاوض عليها، وكأنه يفاوض إحدى دور النشر على صفقة طباعة أحد كتبه، ثم «يرتجل» إعلان فقرات «كلمة سواء»:

• يتخذ أبناء كل شريعة شريعتهم طريقاً، ونهجاً خاصاً، والإسلام ليس ملزماً لليهود والنصارى.

• يعترف الجميع بصدق النبوة والرسالة، وألوهية الشريعة، كما هي لدى الآخرين.

ويحبس الكاتب أنفاسه، فلا يكاد يطلب من اليهود والنصارى الإيمان بالنبي محمد ﷺ طلباً صريحاً جازماً، لقاء ما قدم لهم من تنازلاتٍ ضخمة، بل تأتي عبارة متدسّسة تمشي على استحياء، حتى لا تخدش مشاعر القوم، وتجرح عقيدتهم: «مع اعتراف المسيحي واليهودي بشريعة محمد ورسالته». فلينتظر محمد عمارة أن يتزاحم اليهود والنصارى على بابهِ لتقديم الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، بعد أن مرغ عقيدته في الرغام مداهنةً لهم، وطلباً لرضاهم، ولن يفعلوا. فصار المسكين كالشاة العائرة بين قطيعين.

ومن صور التحريف لمعنى: ﴿كَلِمَةً سََوَّاهُ﴾ تهويناً، واعتبارها «تحصيل حاصل».

٥ - كامل الشريف:

قال: (إن الحوار يقنع باللقاء على الحد الأدنى، بافتراض أن الاتفاق مهما كان صغيراً في البداية إلا أنه يخلق «ديناميكية»^(١) خاصة

(١) ديناميكي Dynamic، وديناميكا Dynamism: القوة الفعالة، المتحركة، النشطة.

ترتاد به آفاقاً جديدة في طريق الوفاق. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَمَآلُواْ ٓإِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(١).

إن الكلمة السواء في نظره «حد أدنى»، و«اتفاق صغير»، ومجرد معبر «ديناميكي» لارتياح آفاق جديدة. ترى أين يريد أن يذهب، سوى مذهب التوحيد والإيمان الخالص ونبذ الشرك؟!!

إن المرء ليأسف أشد الأسف حين يرى هرقل، ونصارى نجران، أعلم بمراد الله من بعض المسلمين. فتعظم الكلمة السواء في نفوس أئمة الكفر، ويستنكفون عن الإذعان لها وقبولها، حتى تحيص بطارقة هرقل وعظماء الروم حيصه حمر الوحش^(٢)، وتبلغ المحاجة من نصارى نجران إلى حد الوصول إلى المباهلة، وبعض المسلمين لا يرفع بها رأساً.

٦ - د. حسن الترابي^(٣):

وفي خطوة متقدمة، يتقدم د. حسن بن عبد الله الترابي بمشروع علمي لم تتفتق عنه أفكار الأولين، مؤسس على تحريف جديد لمعنى «الكلمة السواء» فيقول:

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي. بحث مقدم للندوة العامة للحوار الإسلامي المسيحي. عن مجلة أرض الإسماء عدد ١١٥ رجب ١٤٠٨ آذار (١٩٨٨م) (٣٣).

(٢) صحيح البخاري (٧/١).

(٣) ولد في كسلا شرقي السودان عام ١٩٣٢م. تخرج من كلية الحقوق بجامعة الخرطوم عام ١٩٥٥م، نال شهادة الماجستير في القانون في لندن عام ١٩٥٧م، والدكتوراه من السريون عام ١٩٦٤م. انخرط في العمل السياسي منذ نهاية الستينيات. وشغل منصب النائب العام من (١٩٧٩ - ١٩٨٢م)، ثم عين مستشاراً رئاسياً حتى ١٩٨٥م. ثم سجن في آخر عهد النميري. أسس الجبهة الإسلامية القومية التي حكمت السودان. تولى منصب الأمين العام للمؤتمر الشعبي العربي الإسلامي. من مؤلفاته: «المرأة في الإسلام»، «الصلاة»، «الحركة الإسلامية في السودان ١٩٨٩م». انظر: حوارات في الإسلام الديموقراطية، الدولة، الغرب (١٩) بقلم بشير نافع.

(...) هذه هي دعوتنا اليوم: أن نقيم جبهة «أهل الكتاب». والكتاب عندما يطلق في القرآن يقصد به كل كتاب جاء من عند الله. وميثاق هذه الجبهة: ألا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله^(١). ونفهم من ذلك: ألا نقبل أي فكرٍ وضعي ينقض الهدى الإلهي، وأن لا نقبل الدعوات اللادينية التي ترمي إلى هدم المثل والأخلاق الدينية...

ونحن اليوم مواجهون بتحدي الدفاع عن أصل التدين في الأرض. وهذا التحدي ينبغي أن يدفعنا نحو تجاوز الشكوك والتوجسات، لتتعاون على البر المشترك بين الأديان، ولنبدأ صفحة جديدة من الحوار الذي يحى مثلاً دينياً في كيفية التعامل مع الآخر بالبر والحسنى. فقد ظلت الأمراض ملازمة لحركة المتدينين، تعيهم بالعجز عن الحوار مع الآخر، والعجز عن التعايش مع الآخر^(٢).

• ونعقب على هذا الكلام بما يلي:

١ - لأول مرة في تاريخ المسلمين يُحشر المسلمون مع اليهود والنصارى تحت مسمى أهل الكتاب. وقد علم القاصي والداني، والصغير والكبير، أن مصطلح أهل الكتاب يستعمل في الكتاب والسنة باطراد، ويراد به اليهود والنصارى^(٣)، بل كان ذلك مستقراً حتى عند المشركين كما قال تعالى عنهم: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَنَفِلِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام]، وليس كما أوهم التراخي، أن الكتاب عندما يطلق في القرآن يقصد به كل كتاب جاء من

(١) لا أدري لم أسقط الجملة القرآنية ﴿وَلَا تُشْرِكْ يَوْمَ شَيْئًا﴾ من سياق الآية هل كان ذلك سهواً، أم أنها لا تتفق وميثاق جبهة أهل الكتاب المقترح؟

(٢) الحوار بين الأديان، التحديات والآفاق (٥).

(٣) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.

عند الله، إذ الحديث عن مصطلح «أهل الكتاب» وليس عن كلمة «الكتاب»^(١). وإنما يخاطب الله أتباع نبيه محمد ﷺ بقوله: (يا أيها الذين آمنوا)، ولا يشك أحد أن قوله: (يا أهل الكتاب) لا يتناول المسلمين.

فماذا يريد الترابي بهذه البدعة الجديدة التي خرج بها على الأمة باسم «جبهة أهل الكتاب» التي تضم اليهود والنصارى والمسلمين، وربما غيرهم.

وأي رسول الله ﷺ، وحاشاه، عن تكوين هذه الجبهة؟

لقد كتب إلى هرقل، ملك الروم، وأسقف النصرانية، يقول له: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)^(٢). أليس لك أيها الترابي في رسول الله أسوة حسنة؟!

٢ - حول مفهوم «التدين» الذي يتمسح به الدكتور الترابي، ويراه جامعاً مشتركاً لجبهة أهل الكتاب، هل يعتقد أن أهل الكتاب على دين حق، وأن ما يمارسون من شركيات تدّين الله رب العالمين؟

نعلم أن أهل الكتاب خيرٌ من سائر أصناف الوثنيين، ولكن هذا

(١) على أن كلمة «كتاب» ترد في القرآن باستعمالات شتى مثل: القدر، واللوح المحفوظ، والأجل... إلخ، انظر: مادة (كتاب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٥٩٢ - ٥٩٥).

(٢) صحيح البخاري (٦/١).

لا ينقلهم أيضاً إلى دائرة المؤمنين، ولا يدفعنا - كما قال التراي - :
(نحو تجاوز الشكوك والتوجسات لتعاون على البر المشترك بين
الأديان)، كيف وقد قال الله تعالى:

﴿ مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ
عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ١٥٠ ﴾ [البقرة].

﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُفَّارًا حَسْبًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ١٠٩ ﴾ [البقرة].
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ١١٠ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِلْتَمُهُمْ ١٢٠ ﴾ [البقرة].
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ ١١٠ ﴾ [المائدة].

ألا يوجب ذلك ما هو أعظم من الشك والتوجس؟

٣ - يتطلب الدكتور التراي، ويشخص أمراض المتدينين، فيجد
من بينها العجز عن الحوار مع الآخر والتعايش مع الآخر. وهي
كلمات مجملة تشير التساؤلات، فهل يدخل في هؤلاء «المرضى»
رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وسلف هذه الأمة؟ أم هو عموم أريد به
الخصوص؟ نرجو ذلك.

وماذا يعني «الحوار» و«التعايش» الذي عيب أولئك المتدينون
بالعجز عنه؟

أهو من قبيل: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ١١٠ ﴾ [القلم] وإلغاء الجهاد
لتكون كلمة الله هي العليا. فهنيئاً لهم ما عيوا به.

إن العقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، تملكان من فرص التواصل مع البشرية، وآفاق التعاون ما لا تملكه أيديولوجية أخرى، ولكن وفق معاييرهما لا معايير الآخرين. إن الإسلام انفتاح واتصال وحركة دؤوب، وهو أبعد ما يكون عن الانغلاق والانكفاء والعنصرية. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران]، ولكن لنأت البيوت من أبوابها، ولنفتح القلوب بمفاتيحها.

٧ - سعود المولى:

ويتجاوب مع دعوة الترابي لقيام «جبهة أهل الكتاب» كاتب ذو انتماء طائفي مغاير، بالدعوة إلى قيام «حلف إبراهيمي» جديد، لإحياء ما اندثر من ملة إبراهيم ولكن لمواجهة الفقر والجوع... إلخ، يقول سعود المولى: (في مواجهة النظام العالمي الجديد القائم على القوة المادية المستلطة (كذا) والعمياء، وفي مواجهة الفقر والجوع والتخلف والانهيئات الكبرى، المادية والمعنوية، في الدول والأمم، وفي الشعوب والأجناس والأعراق، لا بد من قيام حلف جديد، كتلة تاريخية صاعدة، جبهة إيمانية مشتركة، تضم المؤمنين، على قواعد وأصول التوحيد الإبراهيمي، وفي سعي مشترك لبناء عالم أفضل تسوده قيم الحق والعدل والكرامة)^(١).

وهذا الحلف المقترح ليس له من المضمون الديني سوى الانتماء الاسمي فقط، ولا يمت لإبراهيم عليه السلام بصلة سوى دعوى جميع الفرقاء أنهم منه، أو أنه منهم، وقد حسم القرآن هذا الخلاف بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

(١) الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة (٤١ - ٤٢).

الْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِثْمِهِمْ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ [آل عمران].

ولكن دعاة التقريب بين الأديان يصرون في مشروعهم البدعي على تنحية أخص أوصاف أطراف الحوار، وهو «الصفة الدينية» فيكاد يعتقد إجماعهم على تنحية «الحوار الديني» وإحلال البدائل المعاشية الدنيوية محله، وتلك - لعمر الله - ليست سبيل المؤمنين. ومن شواهد ذلك:

١ - محمد مهدي شمس الدين:

قال: (إن الحوار تارة يراد منه أن يتناول العقائد، وهذا أمر نراه فاشلاً، يعني لا قيمة له، لأنه نعتقد أن حواراً من هذا القبيل نهايته الفشل... الحقل المنتج والناجع للحوار الإسلامي المسيحي هو حقل المفاهيم الأخرى الحياتية خارج العقائد. الموقف من قضايا الحرية، الموقف من قضايا الاقتصاد الدولي، الموقف من قضايا القمع السياسي، الموقف من الأزمة الأخلاقية للبشر، الموقف من المواد المضرة مثل قضايا المخدرات، الموقف من قضايا البيئة، هذه الأمور التي يمكن أن نجد فيها قواسم مشتركة. أما في المسألة الاعتقادية يوجد قاسم مشترك موجود، وهو الحقائق الكبرى الثلاث للإيمان الإبراهيمي؛ وهي التوحيد، والنبوة العامة، والإيمان باليوم الآخر، وهذه أمور لا تحتاج إلى حوار لأنها متفق عليها)^(١).

لقد اتسع حقل الحوار المنتج الناجع لمناقشة جميع القضايا - لدى دعاة التقريب - وضاق عن العقيدة، فالحوار فيها محكوم عليه بالفشل مسبقاً، أو هو متفقٌ عليه - بزعمه - لا مبرر له. اللهم إنا نبرأ إليك من موافقة كفر أهل الكتاب في قضايا التوحيد والنبوة والمعاد.

(١) مجلة المعارج البيروتية. مقابلة. العددان (٦، ٧) ذو القعدة، وذو الحجة

١٤١١هـ حزيران، تموز ١٩٩١.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ بَيِّنَاتٍ مِنْهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَلَكِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنْ يَشْكُرُوا مِنْكَ مِنْهُ مَرْثٍ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقَمُ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا نَلْبِغُ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الشورى].

٢ - سعود المولى:

وهكذا يتجه تلميذه سعود المولى حين يشرح فكرة مشروع الحلف الإبراهيمي - المذكور آنفاً - ويبين موقع «النظرية الدينية» و«الحوار الديني» في ذلك المشروع قائلاً: (إن الانطلاق من النظرية الدينية، ومن الأصول الكبرى للتوحيد الإبراهيمي لصوغ مشروع حضاري جديد، هو الذي يسمح للحوار أن يكون ولوداً خلاقاً، فيستنطق الخبرات والتجارب، ويضع التفكير الديني في سياق مجتمعي تعددي. ويعيد اكتشاف القيم والمبادئ الروحية والأخلاقية المشتركة، داخل خبرة وتراث الجميع، ومن أجل الجميع...

إن الدين وقيمه ومبادئه يصبح منطلقاً للحوار، لا موضوعاً له^(١).

وفي موضع آخر: (إن المطلوب من الحوار هو توليد قيمة جديدة نابعة من الإيمان الديني الإبراهيمي، واكتشاف المساحات المشتركة التي توحد بين الدينين في قضايا الإنسان والمجتمع. فيكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية المشتركة منطلقاً للحوار، لا موضوعاً له، ويكون الحوار هادفاً لاستنباط صيغ جديدة في الإدارة والتنظيم السياسي والمجتمعي، ووسائل جديدة في الثقافة والاقتصاد والإنتاج، تجعل

(١) الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة (٤٥).

الإنسان يحتفظ برقيه المادي، ويستعيد في الوقت نفسه ذاته وإنسانيته^(١).

إن دور الدين في مشروعهم دورٌ صوري، وهو ليس مادة للحوار ولا موضوعاً له، بل مجرد لافتة فارغة تمارس باسمها المناشط الحياتية المادية في الإدارة والتنظيم والاقتصاد والإنتاج. أما «التفكير الديني» فسيحشر في سياق مجتمعي تعددي.

لِمَ لا يمارس هؤلاء ما تصبو إليه نفوسهم وتطلعاتهم المادية بعيداً عن مظلة التقريب بين الأديان، حيث كل شيء يناقش ويبحث، سوى الدين ذاته؟!

٣ - د. حسن الترابي:

قال: (لا بد من تكثيف الحوار وتأسيس المنابر المشتركة لا لمناقشة القضايا اللاهوتية، ولكن لمناقشة ما يمكن أن نفعله سوياً لإشاعة المثل والقيم الدينية في عالمٍ ينزلق يوماً بعد الآخر في مستنقع الجاهلية الآسن)^(٢).

إن استبعاد الحوار العقدي هاجس حاضر لدى دعاة التقريب، مع أن المسلمين هم أسعد الأطراف بنتائجه، فأى ديانة تستطيع أن تصمد اليوم أمام صلابة وعمق وشمول وتوازن العقيدة الإسلامية، وكل ما سواها فخليطٌ من المتناقضات والخرافات والفلسفات الباهتة. ودعاة التقريب من العصرانيين - أو بعضهم - يدركون هذا، ولكنهم لا يريدون نقل الحوار إلى هذه الأصعدة مدهانة لأهل الكتاب الذين يرونهم يمسكون بزمام الحضارة المادية اليوم.

(١) المرجع السابق (٢١١).

(٢) الحوار بين الأديان: التحديات والآفاق (٦).

فمما يؤسف له أن يصدر هذا الاحتراز، استبعاد الحوار العقدي، من الدوائر الإسلامية، أو التي تدعي تمثيل الإسلام، ولا يصدر مثله أو قريباً منه من الطرف الآخر. إن هذا يحمل في طياته مغمراً لهذا الدين - وحاشاه - الذي يحرص دعاة التقريب من المنتسبين إليه على مواراة هذا الجانب العظيم منه.

٤ - الفصل شلق^(١):

يفسر عدم صلاحية الدين «مادة للحوار» بما يلي:

(تعود جذور هذه المشكلة إلى الطبيعة الإطلاقية لأديان التوحيد، بحيث يفقد أحدها مبرر وجوده إذا تخلى عن رؤيته في فهم الحقيقة والوصول إليها. ففي عالم تحكمه المطلقات لا يمكن التراجع وتستحيل التسوية. . .

إن النتيجة المنطقية لذلك هي أن الدين لا يصلح كي يكون مادة للحوار. رغم ذلك يصر البعض على استخدام مصطلح الحوار بين المسيحية والإسلام. والواقع هو أنه حوارٌ بين مسيحيين ومسلمين حول مواضيع لا تتعلق مباشرة بالحقيقة الدينية الإلهية لدى كلٍ من الدينين، ورجال الدين الذين يشاركون في هذه الحوارات يفعلون ذلك لا بوصفهم رجال دين مهمتهم نشر المعرفة الدينية المتمحورة حول الحقيقة المطلقة للدين، بل بوصفهم أشخاصاً على درجة عالية من المعرفة الدينية. وبالتالي فإنهم يعرفون كيف يبقون الحوار بعيداً عن الأمور الجوهرية التي تمس الحقيقة الدينية التي يعتقدونها.

(١) الفصل شلق: وزير البريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية في لبنان، ورئيس مجلس الإنماء والإعمار سابقاً، رئيس تحرير مشارك لمجلة «الاجتهاد». من مؤلفاته: «الطائفية والحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٧م»، «إشكاليات التوحيد والانقسام. ودراسات في الوعي التاريخي العربي ١٩٨٦م»، «الأمة والدولة: جدليات الجماعة والسلطة في المجال العربي الإسلامي ١٩٩٣م». انظر تعريفاً مقتضباً في مجلة الاجتهاد في ملحق الأعداد (٢٩ - ٣٢).

لكي يكون الحوار جدياً يفترض أن ينحصر الأمر بالشؤون التي تعتبر معرفتها نسبية، وهي مجمل المعرفة البشرية، ما عدا المبني منها على المطلقات الدينية، أي الوحي الإلهي. وهذا لا يعني أن الحوار يبقى معزولاً عن المسائل الدينية جميعها، فهناك كثير من المسائل التي يعالجها الدين، لكن تعتبر مسائل دنيوية يصح فيها تعدد الآراء، وبالتالي يمكن تقديم تنازلات بشأنها^(١).

ومن هذا العرض يتكشف مفهوم الحوار لدى العصرانيين؛ هدفه، ومهمة المتحاورين، ومادة الحوار:

■ فالحوار أولاً ليس وسيلة للدعوة إلى الدين الحق، وكشف الشبهات، وإقامة الحجة؛ لأن الطبيعة الإطلاقية للأديان الثلاثة تحول دون ذلك، في نظر الكاتب.

لكن سؤالاً يفرض نفسه ها هنا: كيف اعتنق فئام من الناس، وشعوبٌ بأكملها دين الإسلام، وقد كانوا يهوداً أو نصارى، كما يشهد التاريخ والواقع؟

إن الطبيعة الإطلاقية للأديان الثلاثة، وربما وجدت في غيرها، لا تمنع قبول الحق والانقياد له. وبالتالي فثم خلل في هدف حوار التقريب ومنهجيته.

■ أما مهمة المتحاورين فليست (نشر المعرفة الدينية المتمحورة حول الحقيقة المطلقة للدين)، بل قد أحضروا لكي (يقون الحوار بعيداً عن الأمور الجوهرية التي تمس الحقيقة الدينية التي يعتقدونها). يا للسخرية! أن تكون مهمة صاحب الاختصاص ليست الإفادة من اختصاصه، بل (الإنذار المبكر) عند الاقتراب من مجال الاختصاص.

(١) الحوار الذي لم يبدأ. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٧ - ٨).

وثُمَّ مهمة أخرى أشد دناءة، وهي القدرة على تقديم تنازلات، بحكم تخصصهم.

■ أما مادة الحوار الجدي فتتخصر بالشؤون التي تعتبر معرفتها نسبية، وهي مجمل المعرفة البشرية، سوى الحقائق الدينية. تُرى لم يُدعى «رجال الدين» - على حد تعبيره - إذاً، والدين كله مستبعد من الحوار؟! إن دعاة التقريب يرون في الحقيقة الدينية الصادقة، المؤسسة على التوحيد الخالص، والاتباع المحض الذي لا تشوبه شائبة البدع، يرون في ذلك «عائقاً» أمام طروحاتهم الليبرالية المتحللة، و«سداً منيعاً» في وجه إذابة التميز الحقيقي للأمة أمام تيارات التغريب والمسخ العلماني. فمن ثم يؤطرون مشاريعهم الاندماجية مع الأعداء الدائمين للأمة الإسلامية بإطار الدين، مدركين بعمق أن الحقيقة الدينية عميقة لا يمكن اجتثاثها، شاهقة لا يمكن القفز من فوقها، صلبة لا يمكن اختراقها.

وهم يعترفون بهذا الحضور الديني، ويصطدمون به، ويضطرون إلى أخذه بعين الاعتبار.

• - كامل الشريف:

قال: (بالرغم من اقتناعنا أن الحوار يجب أن ينأى عن الجدل الديني كلما أمكن ذلك، وأن يكتفي في هذه المرحلة بارتياح حقول التعاون في الأمور العامة التي تؤثر في حياة الأفراد والجماعات... إلا أننا رأينا مع استمرار هذا البحث أن الفكر الديني لم يقف عند الحيز النظري، وإنما فرض نفسه على الواقع السياسي والاجتماعي أيضاً، كما أن من الصعوبة أن نتجاهل الأثر الذي يحدثه هذا الفكر في نظرة كل فريق للآخر^(١)).

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي على ضوء التجارب السابقة. عن مجلة أرض الإسراء عند ١١٥ رجب ١٤٠٨ هـ آذار ١٩٨٨ م.

إن حقائق الفطرة لا يمكن طمسها، ولا تجاوزها بشعارات عاطفية، وحملات إعلامية، وخير للمشتغلين بقضايا التقارب والحوار من الإسلاميين أن يتجهوا بصدق وإخلاص إلى دراسة المنهج الحق القويم، والاسترشاد بنور الله حتى يضعوا خطاهم على الطريق القاصد المستقيم.

ولا يغني عن ذلك أن تكون قضية العقيدة والتوحيد لجنة فرعية، أو دائرة ثقافية محدودة، ملحقة بمشروع الحوار والتقارب، من قبيل «الترضية»، أو مجرد «الترف الذهني»، كما يحاول سعود المولى أن يقنّته على النحو التالي:

(هناك تحفظ إسلامي عن حوار اللاهوت وعلم الكلام. إن هذا الحوار مرغوب ومطلوب، لكن مجاله هو العلماء والمحافل العلمية، وليس الصحف والمجلات والمنتديات العامة. والحاجة ماسة اليوم إلى حوار الحياة، والعيش المشترك، حوار قضايا المجتمع والإنسان لاستنطاق قيم الأديان، واستنباط صيغ مجتمعية، ومواجهة ظروف وتعقيدات عالم اليوم)^(١).

لقد أثبت تاريخ الدعوة الإسلامية أن خطاب العامة والجمهور، أجدى من خطاب النخب من ذوي الرياسات والمقامات الدينية، لحرص الأخيرين على دنياهم ونفوذهم. وليس لدى أهل الإسلام ما يخفونه، أو يستحون من نشره في الصحف والمجلات والمنتديات العامة، إلى جانب المحافل العلمية المتخصصة، وهم أوثق الملل في صدق ما هم عليه، وأنه من عند الله حقاً. وقد كان رسول الله ﷺ يغشى المجالس، ويدخل على اليهود في محل عبادتهم، وفي يوم مدراسهم، وفي بيوتهم، ويجادل النصارى، ويكاتب ملوك الأرض منهم. فمن رغب عن سنته فليس منه.

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٤١).

ويلتحق بهذا الباب أيضاً، قصر الحديث على مواضع الاتفاق في القيم والأخلاق، وإرجاء الحديث عن مسائل الاعتقاد، وهو ملحظ بارز في منهجية دعاة التقريب، يخالف المنهج القرآني المنصوص عليه في آية آل عمران. ومن شواهد ذلك:

١ - د. يوسف القرضاوي:

قال: (نرى القرآن... يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الاختلاف... ولذلك في حوار أهل الكتاب قال: ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَالِقِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُمَا وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَتَحَنَّنْ لِمُؤْمِنِينَ﴾ [المنكوت]. وفي الآية الأخرى: ﴿قُلْ أَتَمَاجُوتُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَتَحَنَّنْ لِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٣٩]. يذكر الأشياء المتفق عليها، وهذا مبدأ مهم جداً: إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه ليكون ذلك سبيلاً إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين. لا نأتي إلى الشيء المختلف فيه، ونقول به، فلا يمكن أن نلتقي... نقول: نبحت ماذا يجمع بيننا؟

نحن معاً نؤمن بالله، ولو إيماناً إجمالياً، نؤمن بالآخرة والجزاء الآخروي، نؤمن بعبادة الله، وبالقيم الأخلاقية، وبثبات هذه القيم، نؤمن بوحدة الإنسانية، وبأن الإنسان مخلوق مكرم، نؤمن... نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين. فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليها، يمكن أن نقرب بين المختلفين بعضهم بعضاً. من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب. والمهم أيضاً أن يكون عند الآخرين مثل هذه الروح... فيعاملوننا بمثل ما نعاملهم به، ويقتربون منا بقدر ما تقترب منهم^(١).

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي (١٥ - ١٧).

• ونسجل على هذا النص الملاحظات التالية:

١ - قوله عن القرآن أنه (يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الاختلاف) غير مُسلم البتة. فكل من يقرأ القرآن، ولو كان عامياً، يدرك بوضوح كثرة الآيات التي تنكر على أهل الكتاب ما وقعوا فيه من انحرافات عقدية وعبادية وخلقية، وهذا من مقاصد القرآن أصلاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ لِّمَنْ يَرِئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [المائدة]، والسور الكريمة: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، ملأى بشواهد ذلك.

أما ما أسماه الدكتور القرضاوي مواضع اتفاق، فالواقع أنه اتفاق من طرف واحد، فالمسلمون يقولون ما أمرهم الله به: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَاٰهُ رَبِّنَا وَلَنُحْمَدَ لَاسْمِ اللَّهِ وَنَعْقُبُ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة]. ونسائل الدكتور القرضاوي الآن: هل جرى اتفاق أم ظلوا في شقاق؟ قال تعالى مبيناً حال بعضنا وحالهم: ﴿هَآأَنَّتُمْ أَؤْلَآءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ إِلَّا نَائِلٌ مِّنَ الْغَيْطِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

فلا يَغُرُّ المسلمون ما يبيده لهم دعاة التقريب من النصارى من البشاشة والترحيب، والتظاهر بالموضوعية، وحب الحوار، في المؤتمرات التي يدعون إليها ويصُدُّون فيها بعض المسلمين، فما هو إلا فخ لاصطيادهم واستنطاقهم واستدراجهم إلى مواقف وتصريحات

يرضونهم بها، ويسخطون بها ربهم، دون أن يقابلوا المسلمين طوال القرون بالإيمان بنبيهم وكتابه، أو الترحيح قيد أنملة عن شركهم وضلالهم. فالحذر الحذر من مكائدهم فقد نبأنا الله من أخبارهم.

٢ - قوله: (إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه، ليكون ذلك سبيلاً إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين. ولا نأتي إلى الشيء المختلف فيه فنقول به، فلا يمكن أن نلتقي... إلخ).

إن هذا الكلام يوحي بأن يقتصر المحاور المسلم على القدر المتفق عليه في البداية، ولا يتعرض للقدر المختلف فيه. ولم يحدد الكاتب مدىً زمنياً لهذه المرحلة. فهل هذا منهج شرعي؟

إن المتأمل في النصوص القرآنية لا يجد أثراً للفصل بين ذكر المتفق عليه والمختلف فيه - إن صح أن يوصف بالمتفق عليه - بل يجد النوعين في سياق واحد، ومقام واحد.

وشاهد ذلك ما استدل به القرضاوي نفسه:

ففي آية العنكبوت، نجد أن الله تعالى أتبعها بخمس آيات بينات في إثبات تنزيل القرآن على عبده ونبيه محمد ﷺ، والإنكار على الجاحدين لذلك، كما أن آية البقرة جاءت وسط حشد من الآيات المتعلقة بالرد على أهل الكتاب. ولم يكن النبي ﷺ يسلك هذا المسلك الذي يقرره الدكتور القرضاوي، ويصفه بأنه «مبدأ مهم جداً»، بل يبادؤهم بالدعوة إلى توحيد الله ونبد الشرك، حتى بلغ الأمر مع وفد نصارى نجران إلى «المباهلة»، ولم يرَ النبي ﷺ ما يراه المتأخرون من تأجيل البحث في مسائل الخلاف. بل الواقع يشهد بكثرة الحديث والتأليف فيما يسمونه بـ «المساحات المشتركة» بين الأديان، وعدم التعرض لمسائل الاعتقاد الكبرى^(١).

(١) انظر: على سبيل المثال إصدارات مركز الأبحاث في الحوار المسيحي=

يقول كامل الشريف: (بالرغم من اقتناعي بوجوب الابتعاد عن الجدل الديني، وخصوصاً في اللقاءات المعلنة في هذه المرحلة، إلا أنني أرى تشجيع حركة الكتابة والتأليف التي تتجه للبحث في القواعد المشتركة للديانتين، أو تعمل على تحقيق الاعتراف المتبادل بينهما، وتبني نشر ما يصدر عنها من إنتاج)^(١).

إن هذا المنهج ليس منهجاً شرعياً، ولا يندرج تحت مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، لأنه لا يستهدف أصلاً دعوتهم إلى الإسلام، بل يستهدف مجرد التقريب، وإقرار الغير على كفره وباطله، وعدم النكير عليه، بل الاعتراف به، وتبني ما يصدر من إنتاجه، فأين هذا من منهج القرآن، وهدي نبي الإسلام ﷺ؟!

بل إن هذا المنهج لا يتفق وفلسفة الحوار التي يتغنون بأنها تقوم على عنصر التنوع والاختلاف، وإلا لما كان للحوار مسوغٌ أصلاً. فتصبح تلك المداومات التي تلهث في إبراز نقاط التشابه، وطمس نقاط الخلاف مجرد صدى، ورجع الصدى فحسب.

يقول د. محمد هلال: (... يغدو من الواضح أن التركيز على إبراز نواحي الالتقاء والتشابه، وإغفال نواحي الاختلاف بين الأديان، أمرٌ مخالفٌ للمقصود من الحوار وهو: فهم المخالف من حيث هو مخالف. كما أن من الغباء محاولة التظاهر بمسح الاختلافات بين نظريات أصبحت معروفة، ولا يمكن بحال طمس معالمها من الفكر

= الإسلامي في حريصا - لبنان، مثل: العدل في المسيحية والإسلام؛ الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام؛ السلام، الإصغاء إلى كلمة الله في المسيحية والإسلام؛ من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون. المكتبة البولسية. جونبة - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي على ضوء التجارب السابقة (٤٠). العدد (١١٥) رجب (١٤٠٨هـ) آذار (١٩٨٨م).

والتاريخ البشري. فالإسلام والمسيحية - كما تُعرض وتُعلَّم اليوم - يختلفان في أساسهما العقيدي، ونظرية كل منهما أصبحت واضحة معروفة. ومحاولة مزجهما، أو الخلط بينهما على هذا المستوى، تعني الخوض في عمل بلا طائل^(١).

وحتى لو قبله المحاور المسلم لمسوغاتٍ مصلحية موهومة، فإن المحاور النصراني يستنكف عن قبوله، ويعدّه ضرباً من خيانة الضمير، وخرقاً لشروط الحوار الجاد.

رابعاً: الدعوة إلى إيقاف الدعوة إلى الله تعالى:

إن من لازم حرف مسار العلاقة بأهل الكتاب عن الجانب العقدي، وإشغالها بأمور جانبية، ومسائل ثانوية، الزهد بأمر الدعوة إلى الله، بل السعي نحو إيقافها وتجميدها، باعتبارها لا تتفق ونزاهة الحوار. وقد صرح بإبطال هذا الأصل العظيم بعض دعاة الحوار والتقريب:

يقول د. يوسف الحسن:

(إن الحوار الذي نفهم ليس دعوة مبطنّة. فمن التزم الحوار وقبله نهجاً، يكف عن الدعوة والتبشير في الوقت الذي فيه يحاور. فالحوار الذي نقصد، له مصالح أخرى مشتركة، لا يدخل التبشير أو الدعوة ضمنها)^(٢).

بمثل هذه الصراحة المخزية ينحط دعاة التقريب المفتونون بالحوار إلى هذه الدركات، ويهدرون مقاصد الشرع، ومنهج الأنبياء في سبيل مصالح موهومة. فما هي تلك المصالح التي تفوق مصلحة

(١) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٧٩ - ٨٠).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (١٢).

تعبيد الناس لرب العالمين، وغاية سعي الأنبياء والعلماء والدعاة والمجاهدين، وسر خيرية هذه الأمة؟ لا شك أنها كسرابٌ بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

٢ - د. حسن إسماعيل عبيد:

قال: (إن الحوار يرفض مبدأ أي توجه إحلالي يسعى إلى نسخ الديانات القائمة، وتمثلها، واستيعابها في دين ما، بحسبان أنه الأقوم أو الأفضل أو الأحسن. إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة باختلاف منطلقاتها العقائدية، ورؤيتها للكون والإنسان وللحياة^(١)).

لقد استزل الشيطان هؤلاء المفتونين بطاغوت الحوار حتى أنكروا ما هو معلومٌ من الدين بالضرورة، وهو نسخ دين الإسلام لجميع الأديان، وأنه الأقوم والأفضل والأحسن، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقال ممتناً على عباده في ختام حياة نبيه ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [آل عمران: ٣]. والكاتب يرفض أي توجه إحلالي، الذي هو حقيقة الدعوة إلى الله، والطامة الكبرى إنكاره أن الإسلام هو الأقوم والأفضل والأحسن، أي من الأديان الأخرى، وتلك لعمر الله قاصمة الظهر، ومن شك في كفر اليهود والنصارى فهو كافر^(٢).

(١) سوسيولوجيا الأديان. بحث مقدم لمؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم عام ١٩٩٤م (١٠).

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٦٨).

٣ - صبحي الصالح^(١):

أعلن في محاضرة بعنوان «المسيحية والإسلام في لبنان أضواء وتأملات» عام ١٩٦٥م، أعلن فيها أمام الملأ من النصارى والمسلمين أن «الإسلام قد أقر مبدأ الحوار مع الأديان منذ زمن بعيد، وما دام قد خص المسيحية والمسيحيين بالمودة والحنان، فلا ريب أننا - باسم هذا الدين - نرحب بكل تقارب إسلامي - مسيحي، ولا سيما إذا أيدته الأوساط الكنسية الرسمية في مجامعها المسكونية»^(٢)، ويقول مطمئناً مستمعيه: «إننا لا نطمح - في الشرق العربي - بزيادة عددية تنشأ عن النشاط في الدعوة إلى اعتناق الإسلام، بل الذي نصبوا إليه في حوارنا ليكون مجدياً مفيداً - أن يحترم بعضنا بعضاً، وأن يفهم أحداً الآخر، وأن يطلع كل منا على تعاليم أخيه، وأن نتناسى مآسي الماضي، وما افتعل فيه من ظروف سيئة لتهوين روابطنا، وأن نبني تعاوننا على أساس كرامة الإنسان بوصفه إنساناً...»^(٣).

(١) صبحي الصالح: (١٣٤٥ - ١٤٠٧هـ/١٩٢٦ - ١٩٨٦م) ولد في طرابلس، وتعلم فيها. حصل على الشهادة العالية (الإجازة) من كلية أصول الدين عام ١٩٤٧م، كما نال الشهادة العالمية عام ١٩٤٩م، ثم شهادة دكتوراه الدولة في الآداب من فرنسا عام ١٩٥٤م. عمل أستاذاً للإسلاميات وفقه اللغة في الجامعة اللبنانية، وتولى عدة مناصب شرعية منها: نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، والأمين العام لرابطة علماء لبنان، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة. أغتيل في السابع من أكتوبر في بيروت. من مؤلفاته: «الإسلام والمجتمع المعاصر»، «النظم الإسلامية»، «علوم الحديث ومصطلحاته». انظر: تنمة الأعلام (١/٢٤١ - ٢٤٢) ذيل الأعلام (١٠٣).

(٢) عهد (الندوة اللبنانية) خمسون سنة من المحاضرة: دار النهار - بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٧م. (٤٩٠).

(٣) المرجع السابق (٤٩٣).

فلا تخطئ العين، ولا يعزب عن البال التلازم الوثيق بين الدعوة إلى التقارب، والزهد في الدعوة إلى الله. وما أبشع ذلك حين يعلن دعاة التقريب تلك الفرية (باسم الإسلام).

٤ - محمد الطالبي:

ويتدسس كاتب رابع، مغرّق في الإعجاب بالنصارى، بكلمات مفضوحة مرتدياً لبوس الرهبان، ليهدم جانب الدين فيقول: (أن لفظة «الجهاد» في مدلولها اللغوي ومضمونها الأساسي لا تفيد الحرب مهما كانت قداسة هذه الحروب... فلا يفيد الجهاد الحرب، وهو إذن غير ذلك. إنه أصلاً وأساساً - مجهود أعظم وأكمل يبذله الإنسان في سبيل الله. ويدقق الحديث النبوي الشريف أن أصفى أنواع الجهاد وأعسر وأخصب، في آن واحد، هو الجهاد الأكبر، الذي يقع داخل ميادين النفس البشرية. وهذا يعني أن أحسن أشكال الدعوة إلى الإيمان هو شهادة نفس فازت في معركة الكمال الأخلاقي. فالدعوة بواسطة مثل هذه الشهادة هي أخصب دعوة، وهي بالإضافة إلى ذلك الدعوة الوحيدة التي تتماشى مع عصرنا، ويمكن لها أن تكون في غنى عن الدعاية الدينية. ألم يذكّر الله رسوله نفسه في القرآن أنه لا يستطيع أن يهدي إلى سبيل الله ما شاء من الناس، وأن الله في نهاية الأمر هو الذي يهدي إلى سبيله من أراد: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٥١] [الفصل].

فواجب الدعوة إذاً يتمثل لدينا في تقديم شهادة، والله أن يدخل في دينه من يشاء.

ونجد في القرآن أيضاً: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. لذلك ليس من المستحيل أن نكون نظرية إسلامية للدعوة تتماشى واحترام الغير احتراماً

كاملاً. ومن البديهي أن يكون ذلك ممكناً بالنسبة للدين المسيحي، وهو دين الشهادة بعذاب الموت. وهو ممكن أيضاً بالنسبة للديانات الأخرى^(١).

هنيئاً للمستشرقين والمنصرين بأمثال هؤلاء «السَّمَاعِين» لهم، المرددين بوعي، أو غير وعي، شبهاتهم، اللاهثين في تنفيذ مخططاتهم، وخدمة مصالحهم.

فالكاتب يؤول فريضة «الجهاد» تأويلاً باطنياً بارداً، بقصرها على الجهاد الصوفي الذي يفصل بين جهاد النفس وجهاد الأعداء. ويتبجح بالجزم بأن لفظة «الجهاد» لا تفيد الحرب مهما كانت قداسة الحرب. فآين قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقوله: ﴿فَإِنَّا تَشَفَّعْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأنفال]، وقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَرَقُوهُ فَشْدُوا الثَّوَاتِقَ فَإِنَّمَا مَتَا بَعْدَ وَلَمَّا مَلَكَ حَقٌّ نَّفَعَ لَمْ تَرَوْهُمُ أَرْزَأَهُمْ﴾ [محمد: ٤]، والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، لم يختلف في دلالة «الجهاد» على القتال وحرب الكفار اثنان من المسلمين، حتى نبغ رباب المستعمرين في البلاد الإسلامية في هذا العقود المتأخرة. وكان ينبغي أن يقول: إن لفظة الجهاد في مدلولها اللغوي أعم من الحرب، فتشمل الجهاد بالنفس والمال والعلم والبيان.

ويلوح الكاتب في تخشع وتنسك، بحديث ضعيف لا تقوم به حجة، رواه الخطيب البغدادي^(٢)، والبيهقي وضعفه عن جابر مرفوعاً:

(١) الإسلام والحوار. أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. عن: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٤).

(٢) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ولد سنة ٣٩٢هـ، وقيل سنة ٣٩١هـ، واشتهر وذاع صيته في حياته، توفي سنة ٤٦٣هـ، من تصانيفه وهي كثيرة =

«قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه»^(١). وهو ضعيف السند، منكر المتن. فلو كان القعود عن الجهاد القتالي، خيراً من النفرة في سبيل الله لاختاره النبي ﷺ لأمة، ولما جشمهم عنت القتال، فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم. والحق أنه لا انفصال بين الجهادين، ولكن البطالين والمخضلين يحلو لهم ترديده، والاستدلال به على تهوين ما عظمه الله ورسوله ﷺ من أمر الجهاد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (أما الحديث الذي يرويه بعضهم، أنه قال في غزوة تبوك «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله. وجهاد الكفار من أعظم الأعمال؛ بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان»^(٢)، ثم ساق النصوص في ذلك.

ولكن الكاتب لا يكتفي بإبطال الجهاد، بل يتجارى به الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه، فيدعو إلى إيقاف الدعوة إلى الإسلام، والاكتفاء بالقعدة الشخصية. فكما حَجَّرَ الجهاد في مجاهدة الهوى، حَجَّرَ الدعوة إلى الله، التي هي عنوان خيرية الأمة، ليحصرها في الالتزام الخلقي الشخصي.

ويخرج الله ما يكتمون، فإذا به يعلل دعواه لوقف الدعوة بما

يلي:

= وغزيرة: «تاريخ بغداد»، و«الكفاية في علم الرواية»، و«تقييد العلم»، و«الفقيه والمتفقه»، وغيرها. الأعلام (١٧٢/١)، معجم الأدباء (٢٤٨/١)، طبقات الشافعية (١٢/٣)، النجوم الزاهرة (٨٧/٥)، وفيات الأعيان (٢٧/١).

(١) انظر: الجامع الصغير (٢١١/٢) رقم (٦١٠٧) ورمز له بالضعف، وضعيف الجامع (١١٨/٤) وانظر: ما كتبه الدكتور محمد أمين المصري رحمته الله في كتابه القيم: المسؤولية (٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩٧/١١).

تعالى، وكبح جماح المتحمسين لنشر الإسلام، مما لا يتماشى وأدبيات الحوار في نظرهم، فيحيلون على نصوص القدر في سبق مشيئة الله، بتنوع البشر إلى أديان وطوائف، ويواجهون بها الدعاة.

وهي حجة المشركين قديماً، كما حكى الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَنْ تَنْبَغُوتَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فَخْرُصُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام]. فلا يجوز إسقاط الواجبات الشرعية بالاحتجاج بالقدر. فالقدر علم الرب سبحانه وكتابه ومشيته وخلقه، والشرع وظيفة العبد، ما دام من أهل التكليف. وإليك أيها القارئ مسرداً بمقولات بعض دعاة التقريب في تقرير هذه الشبهة:

١ - محمد عمارة:

قال: (إن توهم إمكان توحيد أهل الأديان السماوية، أو بالأحرى أهل الشرائع السماوية على شريعة واحدة، وملة واحدة، وتحولهم من أمم مؤمنة ومتعددة، إلى أمة مؤمنة واحدة، إن توهم إمكانية ذلك، ومن ثم السعي إلى تحقيقه، خصوصاً إذا كان هذا السعي بغير المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة، هو معاندة لإرادة الله سبحانه. وسعي ضد سننه التي لا سبيل إلى تبديلها أو تغييرها... فإرادة الله وسنته، مع تعدد الأمم والملل والشرائع، وما نسميه تجاوزاً «الأديان» وليس مع وحدتها وتوحيدها... إنها مع التعدد والاختلاف لا مع الوحدة والاتحاد!...) (١).

لقد اضطرب ميزان الشرع والقدر عند هؤلاء، فصاروا إلى مذهب الجبرية، مع إطراء الكاتب لمذهب المعتزلة، وخدمته تراثهم، وهم على

(١) الإسلام والوحدة القومية. (٧٠).

النقيض في هذا الباب - باب أفعال الله - مع الجبرية. لكن حيث اقتضت مصلحة التقارب مع أهل الكتاب الاحتجاج بالقدر، فالكاتب يسمح لنفسه أن يتخلى عن أصوله الاعتزالية، ويضحي بها لخدمة الهدف الراهن.

ونسأل الكاتب العقلاني: إذا كان السعي لتوحيد أهل الأديان، بل وغير أهل الأديان تحت راية الإسلام معاندة لإرادة الله سبحانه، وسعي ضد سننه التي لا سبيل إلى تبديلها أو تغييرها فليَمِ إذا: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف]، ولم كانت هذه الأمة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢ - جمال البناء:

قال: (قد أصبح الدين من مقومات الشخصية، ومن وراثات الأبناء عن الآباء، وأصبح لكل دين سدة يدافعون عنه ويتشبثون به.. إلخ مما اقتضى وجود عددٍ من الأديان جنباً إلى جنب. وهو وضعٌ أقره الإسلام تماماً، ليس فحسب على أساس الضرورة، ولكن على أساس الأصول والسنة التي وضعها الله للمجتمع الإنساني، فالتعدد والتفاوت... إلخ يثري القضية، ويفيد في إبراز أبعادها، ويكفل لها نوعاً من الفعالية فهو خيرٌ لا شر...).

ومن هنا فإن القرآن يكثر من إبراز هذه القضية، ويحث على تقبلها، ويوضح للرسول في أكثر من مرة أن هذه الظاهرة هي إرادة الله^(١).

لم يكتف الكاتب بتقرير الاختلاف بوصفه قدراً من أقدار الله، لا

(١) الحساسية الدينية: جمال البناء. الزهراء للإعلام العربي. (٦٥، ٦٦).

تنبغي مقاومته، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فطفق يبرز مزايا الاختلاف وفوائده ليصل بعد ذلك إلى أنه خير لا شر. إن الخلاف والاختلاف لا يأتي في القرآن الكريم إلا في مقام الذم والتحذير، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَدَا مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِمَامًا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَلْتَمِثُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام].

٣ - د. يوسف القرضاوي:

قال: (جرت سنة الله أن الناس لا يمكن أن يلتقوا على ثقافة واحدة، لأنهم لا يمكن أن يلتقوا على دين واحد، هذا سنة من سنن الله. وقد ذكر القرآن هذا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس]. فلا يمكن أن يجتمع الناس على دين واحد. إنما اختلاف الناس هذا واقع بمشيئة الله، ومشيتته معبرة عن حكمته... وهذا من أسباب التسامح الذي جاء به الإسلام؛ أنه اعتبر اختلاف الناس ناشئاً عن مشيئة إلهية من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا الاختلاف، الحساب عليه إن كان هدياً أو ضلالة، صواباً أو خطأ، ليس في هذه الدار، إنما في الدار الآخرة. ﴿وَلِنْ جَعَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج]، ﴿وَلِنْ جَعَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج]. وهذا مما يخفف مسألة الاختلاف بين الناس، إن اختلافنا واقع بمشيئة الله^(١).

هذا خلط خطير بين الموقف الشرعي والموقف القدري. إن تسليمنا بهذه السنة الإلهية قدراً لا يسوغ ترك الواجب وفعل المحرم، وليس من ثمرة الإيمان بالقدر حصول «التسامح» كما عبر القرضاوي.

(١) الإسلام والغرب مع د. يوسف القرضاوي (٢٣ - ٢٤).

ألم يقل الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَنَهِدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَرِشَنُ الْمَعِيدِ ۝﴾ [التحریم]، وقال أمراً أولياءه المؤمنين: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝﴾ [التوبة].

وهل يزعم الدكتور القرضاوي - عفا الله عنه - أن من مقتضى كون الحساب على الله تعالى في الدار الآخرة إبطال الأحكام الشرعية في هذه الدار؟! يكرر القرضاوي ذكر آرائه هذه فيقول في ندوة عام ١٩٩٥م: (المبدأ الثاني: أن المسلم ليس مسؤولاً عن معاقبة الكافر على كفره، أو الضال على ضلاله. فعقاب الكافر لا يعود إلى المسلم وإنما هو أمر يتولاه الله - ليس في الدار الدنيا، ولكن في دار الجزاء والحساب؛ لذلك يقول تعالى: ﴿وَلَنْ جَدُولُكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الحج]، ولعل ما يطفئ جذوة الغضب والكراهية بين المختلفين، أن الحساب ليس في هذه الدنيا، وإنما هو في الآخرة، وأن الله هو الذي يحاسب الجميع يوم القيامة^(١).

٤ - سعد غراب:

قال: (الله هو الذي له الحق وحده في نهاية المطاف في الحكم على مخلوقاته، وليس للبشر تعويضه في هذه المهمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝﴾ [القصر]. يجب الاعتراف بأن الكثير من المسائل «الماورائية» لا يمكن للعقل الإنساني أن يبت فيها، ولعل النصوص المقدسة أبقته في شيء من

(١) مجلة المسلم المعاصر. العدد (٨٦) رجب، شعبان - رمضان ١٤١٨هـ.

الغموض عمداً، حتى يسعى الفكر البشري إلى حلها، ولكن ليس من الحتمي أن نصل إلى نفس الحلول، ولعل الله أراد لنا أن نختلف في ذلك إذ قال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة^(١)].

ونطمئن الكاتب أن الله سبحانه لم يبق شيئاً مما يحتاجه عباده غامضاً، بل أوضحه على لسان خاتم رسله غاية البيان. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل].

٥ - د. يوسف الحسن:

قال: (في إطار المنطلق الإسلامي إلى هذا الحوار، نجد من الضروري توضيح مدى ما توفره العقيدة الإسلامية من أساس قوي للحوار مع الأديان، حيث تعتبر «أن الاختلاف بين الناس هو إحدى سنن الله في خلقه، وهو واقع بمشيئته سبحانه»^(٢)).

إن هذه النصوص وأمثالها التي تؤكد على مشيئة الله، وسابق قدره في خلقه، تساق لا في مقام تلمس الحكمة الإلهية من تنوع البشرية، واختلاف مشاربها، واستجلاء آثار معاني أسماء الله وصفاته وأفعاله في خلقه، حين يتأملها المؤمن بعين القدر، ولكنها تأتي في سياق تأنيس الحوار، وتلطيف بشاعة التقريب بين الأديان، ثم تُشهر سيفاً مصلتاً في وجه الدعوة إلى الله تعالى، والسعي لنشر دينه، واستنقاذ الخلق من الظلمات إلى النور، حتى أصبحت هذه النزعة معلماً من معالم الفكر العصراني في قضية التقريب بين الأديان.

(١) الإسلام والنصرانية من الصدام إلى الحوار. من: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٢٥).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٤٢).

خامساً: الدعوة إلى الانخراط في العالم الغربي، والأخذ بثقافته:

هذه نهاية الدهليز المظلم، وربما قصر بعض دعاة التقارب والحوار دونها. ولكن طائفة من المفكرين الليبراليين، درجوا على الافتتان بالحضارة الغربية المعاصرة، ونتاجها الفكري والعلمي يعلنونها صريحة مدوية، أن الحل هناك. فَوَلَّوْا وجوههم شطر مغيب الشمس، ودعوا الأمة إلى اللحاق بهم، والانخلاع من جذورهم، بكل جرأة. فلنستمع إذاً:

١ - الفضل شَلَق:

قال: (لكي يدخل العرب والمسلمون في حوار مع الغرب المسيحي، يتوجب عليهم أن يأخذوا بخيارات ثقافية ومصيرية غير تلك المطروحة راهناً، أو التي طرحوها على أنفسهم خلال العقود الماضية من السنين. إن الخيار الأساسي المطروح الآن على يد حركات الإسلام السياسي المتطرف والمعتدل، وعلى يد التيارات القومية واليسارية قبل ذلك، هو خيار مواجهة الغرب، ورفض ثقافته، وأساليب عمله، وصولاً إلى الانعزال عنه بحجة الحفاظ على الهوية حيناً، أو إحقاق الحق في فلسطين وغيرها، أو لمجرد الرفض لثقافة الغرب وسياسته اللاأخلاقية حيناً آخر.

وقد كانت نتائج هذا الخيار مدمرة بالنسبة لنا. إذ لم يقتصر الأمر على وصولنا إلى حالة من «حوار الطرشان» مع الغرب، بل فشلنا في مواجهة الغرب، وتراكمت هزائمنا، مما أدى إلى أعمال يصفها العالم بالإرهاب؛ وهي في الحقيقة نوع من أنواع تدمير الذات...

نقول مرة أخرى: إن علينا أن نعترف بالأمر الواقع، ونعمل كي نتجاوزه. ولن يكون هذا التجاوز ممكناً دون الأخذ بثقافة الغرب،

والانخراط بالعالم، والعمل في الوقت نفسه لتجاوز هذه الثقافة، ولتجاوز ثقافتنا الموروثة، كي نصل إلى ثقافة جديدة لعالم جديد، يكون الإنسان محوره وهدفه ومبتغاه. وهذا يعني تجديد مشرووعنا التاريخي دون تكراره، ودمج العالم في ذاتنا، مقلعين عن تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب، إلى ذاتٍ وآخر.

إن دمج العالم في ذاتنا، هو الوجه الآخر لانخراطنا في العالم، واندماجنا فيه دون الخوف من ضياع الهوية أو التراث. وعندما يكون مشرووعنا إنتاج عالم جديد، يصبح ممكناً أن نجدد أنفسنا، وأن نجدد المشروع، الأمر الذي لن يتم بالمنهجية الانتقائية أو التليفية. الحوار إذاً شأن ثقافي يجانب المسائل الدينية الصرفة، لأنها تتعلق بفرضيات ومواقف إيمانية، يعتبرها أصحابها مسلماتٍ مطلقة... ومن غير الممكن الدخول في حوار مثمر يصل إلى نتائج إيجابية إلا إذا أبدى كلٌّ من الطرفين المسيحي والإسلامي، الغربي والشرقي، الاستعداد لبعض التنازلات^(١).

وفي موضع آخر يقول: (إن الشرط الأساسي لكل حوار، هو الاستعداد الدائم لدى الأطراف المتحاوره للتنازل عن جزءٍ من مطالب كل منهما، كي تتمكن، في النهاية من الالتقاء حول تسوية من نوع ما. دون ذلك ينقلب الحوار إلى محاولة لاستيعاب الطرف، أو الأطراف الأخرى عن طريق التبشير أو القسر)^(٢).

٢ - د. رضوان السيد:

• ويقول رصيفه في رئاسة تحرير مجلة الاجتهاد البيروتية د.

رضوان السيد:

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١٠ - ١١).

(٢) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٧).

(نواجه نحن المسلمين في فكر فئات من شبابنا وسلوكهم انكماشاً وتوتراً، أطلق عليه الدارسون اسم «الأصولية الإسلامية». وهناك هذا الانكماش في المسيحية العربية الذي يتسم، مثل أصولياتنا، بالخوف على الهوية والعدوانية. وهذا الانكماش المتوتر - الذي يشكل الطرف الإسلامي فيه الجانب الأخطر في المدى البعيد - لا يعالج إلا بالانفتاح المشترك والمتبادل في الداخل، والانفتاح على الخارج العالمي المسيحي والكوني...

ما نحتاج إليه ليس التكنولوجيا وحسب كما يُظن، ذلك أن أصوليينا المسلمين والمسيحيين هم في مقدمة متقنيها ومستخدميها. بل ما نحتاج إليه جميعاً: الانخراط في العالم المعاصر، والتعلم منه في مجالات القيم الإنسانية الرحبة، ونمو الذات في الآخر، والتعرف عليها فيه، ومشاركة العالم في آفاقه تأثراً وتأثيراً^(١).

وفي مقدمة العديدين (٣١، ٣٢)، وتحت عنوان: الحوار الإسلامي المسيحي، والعلاقات الإسلامية المسيحية، بقلم (التحرير) تُقرّر نفس الفكرة: (لا سبيل للخروج من المأزق بالمعنى التاريخي إلا بالانخراط في هذا العالم توصلًا لإزالة انكماشنا الحضاري والثقافي، والمضي في التحول إلى جهات فاعلة في ثقافة العالم ومصائرهم)^(٢).

هذه نهاية المطاف في دعوة التقريب والحوار... تكشف عن تقريب باتجاه واحد. إنه تقريب المسلمين إلى النصارى ليصبحوا ذبلاً لهم، منخرطين في ثقافتهم، مقتنعين أنه لا سبيل للخروج من مأزقهم إلا بتسليم قيادتهم لهم. إننا أمام فكرٍ موحش غريب، فكرٍ لا يرقى إلا

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٣٣).

(٢) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٥).

ولا ذمة، ولا يتورع عن تحطيم الثوابت العقدية والحضارية للأمة الإسلامية، ويزفها أسيرة ذليلة لعلوج الروم.

لقد انطلق الكاتبان من حالة الدمار والضياع التي منيت بها الأمة العربية والإسلامية أمام الغرب المتنامي القوي، فأورثت حالة الهزيمة والإحباط هذه مزيداً من الارتواء في حضن المنتصر، وفراراً إليه. وفات الكاتبين أن التجارب التي خاضتها الأمة، سواءً على يد التيارات القومية واليسارية السائدة في الخمسينيات والستينيات، أو حركات الإسلام السياسي السائدة بعد ذلك، كانت تفتقر إلى النضج والترشيد، وتعتمد في كلا الحالين على الشعارات العاطفية، والبهرجة الإعلامية. دون رصيد حقيقي من البناء الداخلي للأمة. هذا من حيث التشخيص.

أما من حيث العلاج فيبدو مشروع الكاتبين ضرباً في التيه، وقفزاً في العماء، عبر الحواجز التالية:

- ١ - الأخذ بثقافة الغرب، والانخراط في العالم!
- ٢ - تجاوز ثقافة الغرب، وتجاوز ثقافتنا الموروثة!
- ٣ - الوصول إلى ثقافة جديدة لعالم جديد، يكون الإنسان محوره وهدفه ومبتغاه.

إنها مضامين مبهمة، لا تقل خطورة عن النماذج التي انتقدها من قبل. إنها مسخٌ للأمة، وتضييع تام لهويتها وعقيدتها، وإلقاء بها إلى الضياع السرمدي. ويتساءل المرء ما هو موقع الإسلام في مشروع هؤلاء الليبراليين؟ وكيف يخصصون خمسة أعداد من مجلتهم لملف العلاقات الإسلامية النصرانية، والحوار الإسلامي النصراني، والإسلام ذاته خارج مجال رؤيتهم المستقبلية؟!

٣ - محمد أركون^(١):

ونختم بثالثة الأثافي، ليعلم المنخدعون بشعارات الحوار إلى أين يتجه بهم رواد الطريق من أصحاب الفكر العصراني، بهذه المقولة العجيبة للكاتب العقلاني المتحرر «محمد أركون»، تحت عنوان: «مطلبٌ يتقدم به مسلمٌ إلى المسيحيين»:

(يمكن للمسيحيين في مثل هذه الحالة، أن يقطعوا شوطاً في طريق الحوار. بأن يأخذوا على عاتقهم مستقبل الدين الإسلامي، فيخدموه بنفس العزيمة وكامل الالتزام، وقوة الاقتناع التي يخدمون بها الدين المسيحي. وهي أحسن طريقة حسب ما يبدو لنا لإعداد حوار مقبل. إذ من يعمل لتحرير غيره، يحرر بذلك نفسه)^(٢).

وهو كلام يشير الاشتمزاز والغثيان، ولكنها النتيجة الحتمية للركون إلى أعداء الله وموالاتهم، «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يوسف]. إن هذه الفئة العصرانية تمثل خطراً مضاعفاً على المسلمين، لكونها تقدم نفسها للأمة باعتبارها إسلامية التوجه، وأنها تمارس الإصلاح والتجديد من الداخل، في الوقت الذي تنشر أفكار

(١) محمد أركون: ولد في «توريات ميموم» - الجزائر - عام ١٩٢٨م. درس في وهران، وفي باريس، دكتوراه في الآداب، أستاذ ملحق للغة العربية، ورئيس قسم العلوم الإنسانية في جامعات باريس. نشر من بين مؤلفات أخرى: «مقالة حول الفكر الإسلامي»، «الفكر العربي ط ١٩٧٥، ١٩٧٩»، «الإسلام؛ الأمس والغد ط ١٩٨٢»، «الإسلام دين ومجتمع ط ١٩٨٢»، «قراءات القرآن ط ١٩٨٢»، «في سبيل نقد للعقل الإسلامي ط ١٩٨٤»، «الإسلام أخلاقياته وسياساته ط ١٩٨٦»، انظر: «العقيدة للأمام» (٢٩).

(٢) نقلاً عن: الإسلام والحوار. أفكار حول موضوع يشغل بال العصر الحديث. محمد الطالبي. وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٠). وانظر كتاب محمد أركون: العلمنة والدين. (٣٩ - ٤٠) ط دار الساقى.

التغريب، وشبهات المستشرقين، فلا عجب أن صارت محل رضا دعاة التقريب من النصارى وثنائهم، ومحط آمالهم، من بين فئات الأمة المختلفة. ونثبت أدناه وصفاً دقيقاً لهذه الفئة على لسان أحد كبار دعاة التقريب الكاثوليك، وهو الأب الفرنسي «موريس بورمانس»، حين أراد تصنيف المسلمين اليوم من زاوية موقفهم من الحوار الإسلامي النصراني، فقال:

(المسلمون العصريون ذوو الثقافتين: هناك كثير من المسلمين الذين حملتهم أسباب سياسية واقتصادية أو تقنية أن يضيفوا إلى ثقافتهم الوطنية وعلمهم الإسلامي ثقافة أخرى تمكنوا منها «سواءً أكانت أوربية أم أمريكية، شرقية أم غربية»، ورأوا أن بإمكانهم تبني قيمها وأساليبها وتعايرها، دون أن يؤدي ذلك إلى إنكار أصالتهم القومية أو الإسلامية، هؤلاء الآخذون بالعلمنة على غير تعصب، أو المتشددون فيها، أو الماركسيون، العقلانيون أحياناً، أو اللاأدريون، قد يظهرون بمظهر «المتجربين من الإسلام»، على كونهم لا يزالون يبدون «حساً إسلامياً» رهيفاً جداً. إنهم يؤيدون بقوة وجود حرية واسعة في مجال الاجتهاد، ويعززون المفهوم العصري لحقوق الرجل والمرأة، ويحملهم ذلك على تحويل الرسالة القرآنية إلى مبادئ عامة. وليس التراث الإسلامي عندهم بأكثر من عادات ينبغي تجديد تطبيقها، والتعبير عنها، تبعاً للعصور والظروف. وهم سواء أكانوا رجال دولة أم مثقفين أم تقنيين، يرون أنفسهم مرغمين على المزاجية بين القيم الموروثة، والقيم الحديثة، فيختارون هذه أو تلك بحسب خبرتهم الشخصية، والإيديولوجية القومية، وإمكانات شعبهم الحقيقية.

إنهم يعلمون أن لهم ضميراً عليهم مراعاته، ومجتمعاً عليهم تغييره، فيشعرون أكثر من الجميع شعوراً مأساوياً بالتفاوت الثقافي بين التعبير الموروث عن الإيمان وشعائر العبادة، ومتطلبات العالم

الحديث. وهم لا يحجمون عن إجراء بعض الفصل بين ما هو زمني وما هو روحي، ويتجرأون على القيام بإصلاحات كثيرة، حتى في شرع الأسرة، ولو سمحت لهم الظروف لتوجهوا بارتياح شطر التعددية المذهبية، والشخصانية الديمقراطية. وهذا يعني أنهم يفضلون الحكم على الإيمان، بالأعمال، وتقويم الدين بحسب القيم التي يعلمها ويعرضها على المؤمنين من الجماهير الشعبية.

هؤلاء المسلمون «العصريون»، الآخذون بالنهج الإنساني على طريقتهم، مدعوون أكثر من غيرهم إلى ملاقات المسيحيين، وجميع الناس ذوي النية الصادقة على صعيد التزاماتهم الواحدة، حيال المجتمع الدنيوي في ما يتعلق بحقوق الأشخاص، وحرية الفكر والإيمان والتعبير، وتنظيم النسل، ودعم الأسرة، ومحاربة التخلف، والسعي إلى التقدم التقني... إنهم يشهدون على طريقتهم، بأن الإسلام هو أيضاً عمل وعطاء وبذل للذات بلا كلال، كما هو إقامة مدنية أكثر عدالة، وأشد تضامناً^(١).

وقد نقلنا هذا النص بطوله، رغم ما فيه من لمزٍ وتخبيب، لدقة توصيفه منطلقات هؤلاء العصريين، وأساليبهم وطموحاتهم، ولا غرو فهم ربائبهم الذين في حجورهم، ويعرفونهم كما يعرفون أبناءهم. وربما انطبق كلام موريس بورمانس انطباقاً تاماً على طائفة ممن تقدم ذكرهم، وبقيت طوائف أخرى على مراحل متفاوتة من الطريق، ولكن خطرهم - جميعاً - بحسب مواقعهم يكمن في الخلط والتليس الناشئ من دعواهم تجديد الدين.

فإما أن تكون أخي بصدق فأعرف منك غثي من سميني
ولما فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني

(١) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين. (٣٨، ٣٩).

الفصل الرابع

بواعث الدعوة إلى التقريب بين الأديان

تضمن الحديث عن مفهوم التقريب لدى دعائه من سائر الأديان بعض الإشارات إلى الأهداف المعلنة، والبواعث الخفية المتصلة بدعوة التقريب. ذلك أن الوحدة الموضوعية لقضية ما تأبى فصل حقيقة الشيء عن هدفه وباعثه. إلا أننا نسعى في هذا الفصل إلى محاولة تحديد البواعث الحقيقية، والدوافع المحركة المستترة خلف الأهداف المعلنة من قبل أطراف التقارب.

ونظراً لوجود تمايز في تلك البواعث فسنلجأ - أيضاً - إلى تقسيمها إلى عدة مباحث:

- ١ - المبحث الأول: بواعث التقريب لدى النصارى الغربيين.
- ٢ - المبحث الثاني: بواعث التقريب لدى النصارى العرب.
- ٣ - المبحث الثالث: بواعث التقريب لدى اليهود.
- ٤ - المبحث الرابع: بواعث التقريب لدى الإسلاميين المصريين.

المبحث الأول

بواعث التقريب لدى النصارى الغربيين

في مقام الحديث عن البواعث لا تظهر الحاجة إلى التمييز بين الكنيسة الكاثوليكية من جهة، والكنائس البروتستانتية والإنجليكانية، التي تمثل أغلبية مجلس الكنائس العالمي، والقسم النشط في الحركة المسكونية، من جهة أخرى، بخلاف الحال عند الحديث عن المفهوم والأساس اللاهوتي للتقارب والحوار، لاختلاف المنطلقات العقدية بين الجهتين.

والجامع المشترك المميز للكنائس الغربية عن الكنائس الشرقية، والعربية على وجه الخصوص، هو انتماؤها إلى مجتمعات ودول متقدمة ومتفوقة من حيث القوة المادية، والآلة العسكرية، وفن الإدارة والتخطيط، مما يؤثر تأثيراً عميقاً على توجهات الحوار، رغم ما تبذله أساليب الحنكة والدهاء الغربي من ممارسات شكلية في سبيل الظهور بمظهر «المساواة»، و«تكافؤ الفرص» عند صياغة البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب.

ويمكن أن نميز البواعث التالية الكامنة خلف دعوة التقريب في العصر الحديث لدى النصارى الغربيين:

١ - الباعث العالمي:

ونقصد به الوضع العالمي المتغير، الذي اتسم بالانفتاح بين أمم الأرض، واحتكاك الأديان والثقافات المتنوعة، وسيادة الأفكار العلمانية والتحررية العقلانية، التي وضعت الكنائس النصرانية التقليدية في وضع

محرج، غير قادر على مواكبة التطورات الفلسفية والاجتماعية المتسارعة. ويتضح حجم هذا التحدي في انعكاساته على الكنيسة الكاثوليكية بالدرجة الأولى، بوصفها مؤسسة ذات تنظيم هرمي عريق ودقيق، فقد ألجأها هذا الضغط العالمي إلى عقد المجمع الفاتيكاني الثاني.

يقول الأب غابي هاشم البولسي: (لم يعقد المجمع الفاتيكاني الثاني لمعالجة هرطقة أو أمرٍ شديد الخطورة، وهو المجمع الذي واجهت الكنيسة فيه حقيقتها في العمق أكثر من أي مجمع آخر...

شهد العالم في خلال قرنٍ واحد تغييرات عجزت عن تغييرها عشرات القرون السالفة، ولا سيما في مجالي العلم والتقنية. ولم يخف على أحد ما خلفته هذه الثورة العلمية في نفوس الأشخاص على أكثر من صعيد، والتساؤلات التي طرحتها على أكثر من مستوى. فكان لا بد أن تخرج الكنيسة من عزلتها، وتستجيب لانتظار الكثيرين الذين راحوا يتطلعون إليها، علّها تدمهم بالحل الشافي^(١).

لقد كانت الكنيسة تضرب عزلةً على مخالفيها، وتصدر قرارات الحجب والحرمان على مناوئها، وتمد ذراعها الطولى لقمع الملوك والأباطرة الأوروبيين في العصور الميلادية الوسطى، فإذا بها تجد نفسها في النصف الأول من القرن العشرين منكشمة معزولة مهجورة، بفعل الانفجارات الثقافية والاجتماعية التي عصفت بأوروبا، وجعلت الكنيسة وتعاليمها موضع السخرية والتندر.

(... هذا العالم طرح على الكنيسة قبل المجمع مجموعة من الأسئلة، أبت هي الاعتراف بها وإحاطتها بالأهمية، فوجدت نفسها أمام عالمٍ مختلف، وحقيقة جديدة: لقد تطور العالم وفق أنظمة وقوانين

(١) من مقدمة المجمع الفاتيكاني الثاني (٩، ١٠).

تتخطى تخطياً قصياً إمكانات الكنيسة وتتفوق عليها، مما يعني خروجه من فلكها الذي دار فيه أثناء القرون الوسطى، حتى إنه استولى على المؤسسات التي انفردت طويلاً بحيازتها كالمستشفيات، ودور التعليم والتربية، وبيوت العجزة والميتم... .

استقل العالم من الكنيسة في جوٍ من التصادم والنفور، وذلك بتأثير الإلحاد وانعكاساته، فكان لا بد من خلق الحوار بينهما لإزالة التباعد، وإحلال التعاون البناء^(١).

لقد أرادت الكنيسة من خلال المجمع الفاتيكاني الثاني إعادة تأهيل نفسها للحفاظ على موقعها العالمي، ولو على حساب معتقداتها العتيقة البالية، التي كانت تعدّها «وحيّاً» و«نصوصاً مقدسة». بل لقد اضطرت إلى تقديم الاعتذار عن بعض مواقفها التاريخية المشينة، ملصقةً التهمة بتصرفات بعض أعضائها، فقد جاء في الدستور الرابع من دساتير المجمع المعنون بـ «الكنيسة في عالم اليوم» ما نصه: (...) فهي - أي الكنيسة - تعلم كل العلم أن صفوف أعضائها من إكليريكيين وعلمانيين، في سلسلة تاريخها الطويلة لا تخلو من أناسٍ كفروا بروح الله، وفي هذه الأيام أيضاً لا يفوت الكنيسة ما هنالك من بونٍ شاسع بين البشارة التي تحملها والضعف البشري الذي ينتاب من أوكل إليهم هذا الإنجيل. وأياً كان حكم التاريخ على هذه الهفوات فلا بد لنا من التنبه لها، ومن مقاومتها بشدة لئلا تكون عقبةً في طريق انتشار الإنجيل^(٢).

وقد تبدّى رضوخ الكنيسة أمام ضغط المتغيرات العالمية في دستور عقدي أساسي، هو «الكنيسة»، ودستور راعوي، هو «الكنيسة في

(١) المرجع السابق (١٩٧).

(٢) الكنيسة في عالم اليوم. المرجع السابق (٢٤٩).

عالم اليوم»، وبيانين مجمعين، هما: «الحرية الدينية» و«علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»، رفعت فيها الشعارات الإنسانية السائدة في تلك الحقبة، ولا تزال، من المناداة بحقوق الإنسان، والسلام العالمي، والحرية، والتعايش السلمي، والتعاون الدولي. وهي مصطلحات غريبة على القاموس الكنسي التاريخي.

لقد أرادت الكنيسة أن تجد لها موطئ قدم في كل بقعة من بقاع العالم المفتوح، الذي تحول بفعل وسائل الاتصال الآخذة في النمو ذلك الوقت، إلى «قرية كونية». وكان لا بد لتَقَبُّل الكنيسة، وتمكينها، أن تنسلخ من جلد القرون الوسطى، وتلبس حلة براقاة تلائم أصول الضيافة والاستضافة في عالم تسوده شعارات الحرية والعدالة وحقوق الإنسان.

ففي دستور (الكنيسة)، أول وأهم دساتير المجمع الفاتيكاني الثاني: (بيد أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالخالق، وأولهم المسلمون الذين يعلنون أنهم على إيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد، الرحمن الرحيم، الذي يدين الناس في اليوم الآخر)^(١).

وفي ختام دستور «الكنيسة في عالم اليوم» يطلق المجمع هذا النداء:

(... إننا نتوجه بالفكر أيضاً إلى جميع الذين يعرفون الله، ويحافظون في تقاليدهم على عناصر دينية وإنسانية ثمينة، آملين أن يقودنا جميعاً حوار جلبي إلى تقبل صريح لنداءات الروح وإلى تليبيتها في اندفاع)^(٢).

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني (٥٢).

(٢) المرجع السابق (٣١٣).

كما تمخض المجمع عن ولادة متعسرة لمشروع بيان «الحرية الدينية»، إذ (لم يسبق لمجمع مسكوني أن تطرق إلى شأن «الحرية»، أو سعى إلى إرساء الأسس العقدية للحرية الدينية. لكن هذه الوثيقة ارتدت في تاريخ المجمع الفاتيكاني الثاني أهمية بالغة، وأصبحت رمزاً لسبيل الحوار والانفتاح الشامل الذي انتهجه المجمع منذ افتتاحه، وتثبيتاً لدعائمه. فالحرية شرطٌ أساسي لكل حوار متوازن...) ^(١). وقد جاء في البيان:

(أصبح الناس، في عصرنا هذا، يعون أكثر فأكثر ما للشخص البشري من كرامة. وإنه ليزداد عدد الذين يطالبون بأن يتمتع الناس بحرية القرار والمسؤولية، وبأن يتمكنوا من العمل بهما، لا يحركهم عامل الإكراه بل ضمير الواجب...)

يعلن هذا المجمع الفاتيكاني أن الحرية الدينية حق للشخص الإنساني، وهذه الحرية تقوم بأن يكون جميع الناس بمعزلٍ عن الضغط سواء أتى من الأفراد أو من الهيئات الاجتماعية، أو أتى من أي سلطة بشرية، وهكذا ففي أمور الدين، لا يجوز لأحد أن يكره على عمل يخالف ضميره، ولا أن يمنع من العمل في نطاق المعقول وفاقاً لضميره. سواء كان عمله في السر أو العلانية، وسواء كان فردياً أو جماعياً) ^(٢).

إن القوم يلبسون لكل زمانٍ لبوسه لتبقى لهم كراسيهم البابوية، وسلطاتهم الراعوية - كما يعبرون -، وإلا فأين هذا الكلام المنمق من ممارسات محاكم التفتيش الكاثوليكية، وما فعلته بالمسلمين في الأندلس، بل وما يفعلونه حالياً بضحايا الكوارث والحروب والمجاعات

(١) من مقدمة البيان للأب غايي هاشم البولسي. المجمع الفاتيكاني (٦٠٥).

(٢) بيان «الحرية الدينية» من المرجع السابق (٦٠٨).

من أبناء المسلمين وغيرهم من الإكراه المنظم، والإلجاء «المهذب»، على اعتناق النصرانية، لدفع غائلة الفقر والمرض والموت. والمقصود أن لغة الكنيسة - بصرف النظر عن ممارستها - تحولت تحت الضغط العالمي - إلى ما يشبه لغة الإعلان العام لحقوق الإنسان الصادر من هيئة الأمم المتحدة.

وهكذا جاء بيان «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية» (نتيجة حتمية لروح الانفتاح الشامل الذي نادى به المجمع)^(١). وفيه:

(والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حق ومقدس... ومن أجل ذلك تحرض أبناءها على الاعتراف بالقيم الروحية والأدبية والاجتماعية والثقافية التي توجد عند أتباع الديانات الأخرى، والمحافظة عليها وإنمائها، وذلك بطريق الحوار والتعاون معهم...)

وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم، الرحمان القدير، الذي خلق السماء والأرض، وكلم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده، كما سلم الله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه...)

ولئن كان قد وقع في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية)^(٢).

(١) من مقدمة البيان للأب غابي هاشم البولسي. المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٥).

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٨ - ٦٢٩).

وفي مقارنة بين هذا المجمع، والمجمع التريدينيني (١٥٤٥ - ١٥٦٣) والمجمع الفاتيكاني الأول (١٨٦٩ - ١٨٧٠)، في هذه القضية بالذات يسجل المطران كيرلس سليم بسترس في تحليله لقرارات المجمع الفاتيكاني الثاني الملاحظة التالية:

(بالنسبة إلى علاقة الكنيسة بسائر المسيحيين وبالعالم، فقد وقف المجمعان السابقان وقفة حذر من الكنائس المسيحية الأخرى، ومن التيارات اللاهوتية والفكرية والثقافية المعاصرة. تميز موقع المجمع الفاتيكاني الثاني بانفتاح على مختلف الثقافات المعاصرة، وعلى تاريخ البشر بمجمله)^(١).

ولم تكن الكنائس الغربية الأخرى بمعزلٍ عن التأثير العالمي السائد، بل ربما كانت أشد شعوراً بضرورة إيجاد صيغة توفيقية مناسبة، بحكم انخراط الكنائس البروتستانتية والانجليكانية في الحركة المسكونية الناشطة في التنصير في أماكن متعددة في العالم، وبين شعوب ذات ديانات وتقاليد شتى. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يتوافق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مع تأسيس مجلس الكنائس العالمي سنة ١٩٤٨م، حتى قال روبرت نلسون: (يستنتج فوراً قارئ إعلان ٤٨ أنها وثيقة بروتستانتية)^(٢) إشارة إلى وحدة الأفكار والصيغ والتعابير بينهما.

وقد ظهر الأثر الناجم عن الانفتاح العالمي على البيانات المشتركة لمؤتمرات الحوار الإسلامي النصراني التي رعاها مجلس الكنائس العالمي؛ فقد جاء في أول لقاء من نوعه عام ١٩٦٨م، عقد في كرتيبيني قرب جنيف، حيث مقر المجلس، أن من ضرورات الحوار: (الوضع الناجم عن اختلاط السكان، فهو يضطرهم إلى تلاقٍ

(١) من مقدمة «المجمع الفاتيكاني الثاني» (٢٢)

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي: ضرورة المفاخرة (١٥٨ - ١٦٠).

متنام يزيد في مسؤوليات الديانتين لجهة الحياة المشتركة المثمرة^(١).

وفي ندوة «برمانا» في لبنان التي عقدت عام ١٩٧٢م برعاية المجلس جاء في دوافع اللقاء: (يمكن القول إننا اجتمعنا لأن ماضينا التاريخي، وأوضاعنا الحالية أسهما في عقد اللقاء في مناسبات عدة، وبمناطق مختلفة من العالم. إننا نعمل معاً في حقل التنمية على الصعيد الدولي والوطني، ونعيش معاً في التجمعات السكانية ذاتها، وفي العائلات ذاتها. فإن كنا في السابق قد تجابهنا في صراعاتٍ عداوية، ولم نكن أمناء تجاه مبادئنا حول الحرية الدينية، إلا أن شعورنا الحالي بالصلوات المتداخلة في ما بيننا يدفعنا إلى السعي بإلحاح لإيجاد سبل جديدة للحوار)^(٢). وعند الحديث عن الجماعة العالمية يقول البيان: (المسلمون والمسيحيون مدعوون لتكوين نظرة أوسع عن الجماعة على صعيد التلاقي العنصري والثقافي والدولي. وهذا يجب أولاً أن يُجرب وأن يُنفذ على الصعيد المحلي، حيث التعددية الدينية تشكل عالماً مصغراً يجسد التنوع العالمي. وإن جودة الانفتاح والتعاون في مثل هذه الحالات على الصعيد المحلي تشكل مساهمة حيوية لنشر التناغم الروحي والعدالة العالمية)^(٣). ويقول اللاهوتي الألماني هانس كونج: (لن يكون هناك سلامٌ بين الأمم ما لم يكن هناك سلامٌ بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان، ما لم يكن هناك حوار بين الأديان)^(٤).

إن ضغط العالم المعاصر بشقيه، الفكري والاجتماعي، قد حفز الكنائس الغربية، المنتمية إلى دول العالم الأول، المتقدمة مادياً، إلى

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٣٧).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٤٧).

(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٥٠).

(٤) عن مقدمة «الإسلام والمسيحية» (٨).

الأخذ بزمام المبادرة ومبادأة الطرف المقابل، ودعوته للحوار، كما هو الواقع في جميع - أو معظم - اللقاءات المعقودة، فيقوم الطرف النصراني بالتخطيط لها، وتحديد موادها، واختيار المشاركين من الطرف الإسلامي، ثم إدارة الحوار، ورسم برنامج العمل.

إنهم يفعلون ذلك استجابةً لروح العصر وقيمه السائدة، كما عبر عن ذلك الكاتب الروسي المعاصر «أليكسي جورافسكي» في كتابه المهم: «الإسلام والمسيحية» الصادر في ١٩٩٠م، حيث يقول: (إن عولمة الحياة الاجتماعية تدحض في واقع الأمر أي تصورات وهمية حول الثقافة «الخاصة» المضادة «لثقافة الآخرين». ففي عصر تتعاضد فيه أكثر فأكثر التفاعلات الاقتصادية، والاجتماعية، والمعلوماتية بين الشعوب، فإن مسألة وحدة الإنسانية في تلاوينها المختلفة، وأشكالها المتعددة، وبكل خبراتها الثقافية - التاريخية، تتطلب ليس حلولاً نظرية فحسب، بل حلولاً عملية - واقعية أيضاً. والحضارة الكونية «العالمية» الناشئة في عصرنا الحاضر، والتي تتميز خصوصاً بالتعددية العقائدية «دينيًا وسياسيًا وفكريًا وفلسفيًا... إلخ»، تضع الناس أمام حقيقة ساطعة، تتمثل في ضرورة البحث عن مؤسسات وهيئات جديدة، من أجل التقارب والاتفاق والتفاهم المتبادل... فالمجتمع البشري أصبح في هذا العصر «مسكنًا واحدًا»، ولهذا فإن الحوار، كما يعتقد الآن كثير من اللاهوتيين، وممثلي الجماعات الدينية المختلفة، أصبح ضروريًا للغاية، إضافة إلى أنه أكثر ملائمة وتوافقاً مع روح العصر، التي تتسم بالتسامح والتعايش بين الأديان)^(١).

إن الباعث العالمي يحس به الجانب الأقوى - ولو مادياً فقط -

(١) الإسلام والمسيحية. أليكسي جورافسكي. ترجمة د. خلف محمد الجراد (٢٠ - ٢١).

لأنه يملك «خطة»، و«فريق عمل»، وإمكانات ضخمة، لبلوغ أهدافه واهتبال الفرص، بينما الجانب الضعيف غارق في مشاكله العقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتداعياتها المختلفة. ومن ثم يكون دوره في لقاءات الحوار ينحصر في «الحضور»، و«المجاملات»، ثم «التوقيع» على البيانات الختامية، وذلك آخر عهده بالأمر! لأنه لا يملك مشروعاً يفرض عليه إيجاد دراسات متنوعة، ورسم خطط، ومفاوضات متكافئة. أما الجانب القوي فإنه يواصل البحث والتحليل إثر كل لقاء ليرسم «استراتيجية» قادمة على ضوء المعطيات الجديدة. وهذا ما يفسر للمراقب كون المبادرة تأتي غالباً من الطرف النصرائي الذي يعي طبيعة المرحلة، ويحاول كسبها إلى أقصى درجة ممكنة. وهكذا كان الحال حين كان الإسلام في أوج قوته العقدية في عهد النبوة، فقد كان الباعث العالمي الذي يخاطب الناس كافة ماثلاً لا يغيب؛ في دعوة ملوك الأرض، واستقبال وفودهم، وأخذ زمام المبادرة قبل غيره.

٢ - الباعث التنصيري:

لا ريب أن التنصير، أو «البشارة» كما يسمونه يحتل موقعاً مميزاً في الديانة النصرائية، ولطالما رددوا في مواعظهم وتعاليمهم عبارة ينسبونها إلى المسيح ﷺ بعد قيامته من موته إثر صلبه - كما يزعمون -: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس) متى (١٩/٢٨)^(١).

ولقد بذل المنصرون جهوداً مضنية، وطوّفوا الأرض ينشرون دينهم المحرف، وأنفقوا أموالاً طائلة لاجتذاب الناس وتعميدهم باسم الأب والابن والروح القدس. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ

(١) العهد الجديد (١١٩).

سَبِيلَ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُنَّهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِنَّ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْثَرُونَ ﴿١٦٩﴾ [الأنفال].

ويرددون كلمة بولس في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس: (إذا بشرت فليس في ذلك لي مفخرة. لأنها فريضة لا بد لي منها. والويل لي إن لم أبشر)^(١) (١٦/٩)، فيقول البابا يوحنا بولس الثاني: (أشعر بشدة، بواجب تكرار نداء القديس بولس، باسم الكنيسة كلها. منذ بداية حبريتي، اخترت السفر إلى أقاصي الأرض لأظهر هذه الغيرة الرسولية، وبالتحديد بعد احتكاكي المباشر مع الشعوب التي تجهل المسيح، زادت لدي القناعة بالحاجة الماسة إلى النشاط الرسولي)^(٢).

إن مهمة التنصير لم تكن يوماً من الأيام مهمة ثانوية لدى النصارى، فضلاً عن أن تكون محل مساومة في سوق الحوار، أو مقايضة في مقابل الدعوة الإسلامية.

وحين تبنت الكنائس الغربية على تنوعها خيار الحوار والتقارب، قفَّت شعور بعض المتحمسين منهم، واصفين الحوار بأنه خيانة للكنيسة ورسالتها التبشيرية، فطفق دهاتهم يطمنونهم أن الحوار ما هو إلا «شهادة عصرية للمسيح»، تُنتحل تحت ظروفٍ معينة للقيام بواجب البشارة. وهكذا حين وسعت الكنيسة الكاثوليكية، وبعض الاتجاهات البروتستانتية مفهوم الخلاص، أعقبتها بالاحتراز الأكيد أن الخلاص الحقيقي لا يتم إلا بالإيمان بيسوع المخلص، وكان هذا واضحاً منذ البداية.

(١) العهد الجديد (٥٢٣ - ٥٢٤).

(٢) رسالة الفادي يوحنا بولس الثاني (٥)، وجدير بالذكر أن رحلات البابا يوحنا بولس الثاني تجاوزت مائتين وعشر رحلات في الدعوة إلى النصرانية، وتدعيم وجودها في مختلف أقطار العالم.

انظر هذا في مجلة المجلة عدد ٩٤٠ في ١٩٩٨/٢/٢١ م تحت عنوان: «لماذا البابا في كويا، وشيخ الأزهر ليس في الجزائر» لفهمي هويدي.

ففي البيان المجمعى: «الحرية الدينية» ورد ما يلي:

(المجمع المقدس يعلن أولاً أن الله نفسه بيّن للجنس البشري الطريق التي إذا سلكها الناس في خدمته تعالى، يتمكنون من الخلاص والسعادة في المسيح يسوع. ونحن نؤمن أن الديانة الحقيقية الوحيدة قائمة في الكنيسة الكاثوليكية والرسولية التي وكل إليها السيد المسيح أمر نشرها بين جميع الناس، عندما قال للرسل: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (متى ٢٨ : ١٩ - ٢٠). فعلى جميع الناس إذن أن يطلبوا الحقيقة، ولا سيما في ما يتعلق بالله وكنيسته، حتى إذا ما عرفوها اعتنقوها، وكانوا عليها محافظين)^(١).

وفي الدستور الرعوي: «الكنيسة في عالم اليوم»:

(تبدو الكنيسة رمز هذه الأخوة التي تنتج الحوار الصادق وتشجعه، وذلك بفعل رسالتها التي تهدف إلى إنارة المسكونة كلها بنور البشارة الإنجيلية، وجمع جميع البشر في الروح الواحد، إلى أي أمة وعرق أو ثقافة انتموا)^(٢).

وفي البيان المجمعى: «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»:

(والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حقاً ومقدس... غير أنها تبشر، ويجب أن تبشر بلا انقطاع، بالمسيح الذي هو «الصراط والحقيقة والحياة» (يوحنا ١٤ : ٦)، وفيه يجب على الناس أن يجدوا ملء الحياة الدينية، وبه صالح الله مع نفسه جميع الأشياء)^(٣).

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٠٧ - ٦٠٨).

(٢) المرجع السابق (٣١٢).

(٣) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٨).

هذه منزلة التبشير في كل مقام آنس بعض الناس فيه انفتاحاً من الكنيسة، وتغيراً في مواقفها. فالخلاص الممنوح للآخرين بنسبة معينة لا يسقط هذه الفريضة عندهم، والحوار المفتوح مع الجميع لا يعفي منها. بل إن التنصير باعث أصيل من بواث الدعوة إلى التقارب، ونحن لا نفشي بذلك سرّاً، أو نوجه تهمة، ولكنه اعتراف القوم بأنفسهم وفي بياناتهم ووثائقهم المعتمدة، وعلى لسان حبرهم الأعظم، بابا الكنيسة الكاثوليكية كما يتضح ذلك بجلاء من خلال النصوص التالية:

جاء في وثيقة «حوار وبشارة»: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل»، الصادرة عن المجلس البابوي للحوار بين الأديان عام ١٩٩١م ما يلي:

(إن المسيحيين وهم يعتمدون الحوار بروح منفتح مع أتباع التقاليد الدينية الأخرى، يستطيعون أن يحثوهم سلمياً على التفكير في محتوى معتقدتهم)^(١).

(نظراً إلى هذا الهدف، أي قيام الجميع بارتداد أعمق إلى الله يكون للحوار بين الأديان قيمته الخاصة. وفي أثناء هذا الارتداد، قد يولد القرار بالتخلي عن موقف روحي أو ديني سابق لاعتناق آخر» موقف الكنيسة (٣٧)^(٢).

هذان النصان يدلان على أن خطاب المحاور النصرائي مسكون بروح التبشير، وأنه لا ينفك عنه أبداً، وأن الحوار أسلوب محدث من أساليب التبشير، وليس مشروعاً مستقلاً يهدف إلى البحث عن الحقيقة، بل هو مشمول بالمشروع الأساسي والدائم للكنيسة، وهو التنصير. كما

(١) حوار وبشارة (٢٥).

(٢) حوار وبشارة (٣٠).

أنه في ظروف معينة يمثل «أضعف الإيمان» حين لا يتمكن المنصرون من الجهر بالحقيقة كاملة. تقول الوثيقة آنفة الذكر:

(من البديهي إذن أن تكون الكنيسة لأسباب سياسية أو غير سياسية في أوضاع يستحيل فيها عملياً إعلان البشرى، فتقوم برسالتها التبشيرية ليس فقط بحضورها وشهادتها، بل بنشاطاتها، كالاتزام بالإنماء البشري وبالحوار نفسه، وأما في الأوضاع التي تتوافر فيها للناس الاستعدادات لسماع رسالة الإنجيل، والإمكانات للاستجابة لها، فينبغي للكنيسة أن تبادر إلى تطلعات هؤلاء الناس وتحقيق آمالهم)^(١).

(جميع المسيحيين مدعوون شخصياً ليكونوا شركاء بهاتين الطريقتين لإتمام هذه الرسالة الوحيدة للكنيسة، أي إعلان البشرى والحوار. أما شكل مشاركتهم فيرتبط بالظروف، وبدرجة إعدادهم لها. ولكن عليهم أن يتذكروا بأن الحوار كما قيل في السابق لا يكون كل رسالة للكنيسة، وهو لا يستطيع أن يحل مكان إعلان البشرى، إلا أنه يبقى متجهاً نحو إعلانها)^(٢).

وفي «رسالة الفادي» للبابا يوحنا بولس الثاني، الممهورة ببخته في السابع من ديسمبر عام ١٩٩٠م، وتحت عنوان: «الحوار مع الإخوة والأخوات من ديانات أخرى» يقول:

(إن الحوار بين الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية... تريد الكنيسة من خلال الحوار أن تكتشف «بذور الكلمة»، وأشعة الحقيقة التي تنير الناس أجمعين)^(٣).

لقد استفادت الكنيسة من منابر الحوار ومنتدياته في نشر

(١) حوار وبشارة (٦٤).

(٢) حوار وبشارة (٧٣).

(٣) رسالة الفادي (٨٦، ٨٨).

النصرانية، فلا عجب أن يتفاءل البابا في ختام رسالته السابقة قائلاً: (لم تحظ الكنيسة، بمناسبة، كما تحظى به اليوم، لإبلاغ الإنجيل بالشهادة والكلمة إلى البشر كافة، والشعوب قاطبة، وإنني أرى انبلاج فجرٍ لعصر رسالة جديد... وفي عشية الألف الثالث، الكنيسة كلها مدعوة إلى أن تعزز عيشها سر المسيح، بإسهامها بفعل النعمة في عمل الخلاص)^(١).

أما مجلس الكنائس العالمي الذي تأسس أصلاً لتوحيد العمل التنصيري للكنائس غير الكاثوليكية في العالم، فقد حمل بذور الخلاف حول قضية «الحوار» والعلاقة مع الديانات غير المسيحية في بنيته الأساسية. وتقاذفت حركة المد والجزر فكرة الحوار في مؤتمراته المتعاقبة^(٢). وحتى لدى أولئك الأكثر انفتاحاً وحماساً للحوار، أمثال القس ويسلي أريا راجا^(٣)، فإن الحوار إطارٌ جديد للشهادة. وفي كتاب «توجيهات في الحوار» الصادر عن مجلس الكنائس العالمي جاء ما يلي:

(نحن لا نخال أن بين الحوار والشهادة تناقضاً. وما من شك أنه عندما يدخل المسيحي في الحوار، وهو ملتزم بيسوع المسيح، غالباً ما يكون الحوار مجالاً لشهادة حقيقية، لذا... يمكننا بكل صدق أن نحسب الحوار كإحدى الوسائل التي من خلالها تتم الشهادة ليسوع المسيح في أيامنا)^(٤).

(١) رسالة الفادي (١٤٠).

(٢) انظر: مبحث مجلس الكنائس العالمي (٤٦٣).

(٣) انظر عرضاً لكتابه: (الكتاب المقدس، ومؤمنو الأديان الأخرى) في مبحث حقيقة التقريب عند مجلس الكنائس العالمي، في الفصل الثالث من هذا الباب.

(٤) انظر الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (٧٠).

وقد عقد المنصرون البروتستانت في أمريكا الشمالية مؤتمراً عالمياً لتنصير المسلمين في مدينة «جلين آيري» بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م، وُصف بكونه (واحداً من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ. ويرجع السبب في نجاح هذا المؤتمر إلى أن الـ «١٥٠» مُؤتمراً الذين وفدوا من شتى أنحاء المعمورة، والذين يمثلون العديد من الشعوب والتقاليد الكنسية المختلفة، والتجارب الواسعة، قد اجتمعوا على صعيد واحد، يربطهم هدف واحد، وهو البحث عن أنجع السبل لتنصير الـ «٧٢٠» مليون مسلم... فالعالم الإسلامي يمر اليوم بحالة من التمزق الاجتماعي والسياسي، ولذلك يوجد لدى المسلمين استعداد قلبي وعقلي لتقبل رسالة المسيح^(١).

ومن بين أربعين بحثاً قدمت في المؤتمر، كتب دانييل آر بروستر بحثاً بعنوان: (الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير) ناقش فيه الأسلوب الذي استخدمه مجلس الكنائس العالمي في حوار المسلمين، وذكر تحفظاتهم على هذا الأسلوب، وتساؤلاتهم عما (إذا كان الحوار حسب ما استخدمه مجلس الكنائس العالمي قد تغير فعلاً، أو أن نظرتهم للمحاورة «كأسلوب مفيد للتنصير» في مؤتمر نيودلهي^(٢) كانت ببساطة غير ملائمة من البداية)^(٣). وقد كشفت المقالة، وتعقيبات

(١) من تصدير كتاب «الإنجيل والإسلام» The Gospel and Islam المترجم للعربية بعنوان: التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي: ترجمة كتاب: الإنجيل والإسلام. إعداد: دون ماكري. نشر دار مارك MARC الطبعة الأولى ١٩٧٨م. وقد رد الله كيدهم في نحورهم، فبعد هذا المؤتمر الذي علقوا عليه الآمال العريضة، عمت الصحة الإسلامية أرجاء العالم الإسلامي.

(٢) عقد عام ١٩٦١م، واعتبر الحوار وسيلة مفيدة للتنصير.

(٣) المرجع السابق (٧٧٠).

المشاركين في المؤتمر من المنصرين عن انقسام وتردد في جدوى أسلوب الحوار بغرض التنصير، مما حدا بالكاتب إلى تطبيق «مقياس إينكل»^(١) على القضية، وخلص إلى القول: «استناداً إلى المقياس السابق، فسوف يتضح أن الحوار قد يكون مفيداً في جعل الناس يدركون مبادئ الكتاب المقدس الأساسية. وفي جعل الرجال والنساء يفهمون التضمينات الشخصية، وحتى في جعل الناس يدركون الحاجة الشخصية. ولكن بما أن مصطلح حوار يعني الأخذ والعطاء معاً، فهل يمكن أن يتم التحدي الحقيقي للشخص ليقبل المسيح في المحيط الذي نسميه الآن «الحوار»، أو أنه يجب أن يتم في محيط يتبعه؟ هل يمكن أن يكون الحوار بديلاً عن الإعلان والدعوة المباشرة الصريحة، أو أن فائدته مقصورة على فترة «ما قبل التنصير»، أي أنه أداة لتحريك الناس ليكونوا أقرب إلى النقطة التي تكون فيها النصرانية هي الخيار الحقيقي... ومن جانب آخر إذا شعرنا بأن شكلاً ما من أشكال الحوار يمكن أن يكون مفيداً لكسب المسلمين فعندئذ يكون مهماً أن نبدأ الآن في تخطيط كيفية القيام بذلك»^(٢).

هذه خبيثة نفوس النصارى تجاه مؤتمرات التقارب والحوار، أما مواقفهم المعلنة في البيانات الختامية فإنها تندرج في باب المجاملات أو المراوغات للوصول إلى أهداف مبيتة.

وقد حكى الكاتب عن أحد المعقبين على طرحه، قوله: (إن أعضاء مجلس الكنائس العالمي غير ملتزمين بالتقيد بهذه البيانات. وأن الاشتراك في الحوار لا يعني على الإطلاق إيقاف المرامي التنصيرية)^(٣).

(١) هو جملة من الأسئلة المجردة يستخلص من الإجابات عليها اتخاذ قرار ما، بحساب نقاط إيجابية وأخرى سلبية، ثم حساب المحصلة النهائية.

(٢) المرجع السابق (٧٧٥ - ٥٧٧).

(٣) المرجع السابق (٧٨٣).

٣ - باعث الصد عن سبيل الله:

لقد راع الكنائس الغربية في العصر الحديث انفتاح شعوبها على الدين الإسلامي، واعتناق ألوفٍ منهم إياه، حين أتيح لهم بصورة أفضل من ذي قبل سماع كلمة الحق، والانعتاق من التشويه الكنسي لدين الإسلام عبر القرون، عقيدته، ونيبه، وكتابه، وتاريخه.

لقد مارست الكنائس النصرانية تأثيراً كبيراً على رعاياها في صرفهم عن النظر إلى دعوة الحق، واعتمدت أساليب منحطة قائمة على الكذب والتزوير في تنفير الفرد النصراني من لفظة «الإسلام»، و«محمد» ﷺ، ينشأ عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير.

وحين انتعقت أوروبا من نير الكنيسة، وساد الفكر الإنساني، واتصلت الشعوب بعضها ببعض عبر قنوات عدة، تحسّس الناس حجم التضليل والتشويه الذي كان يقع عليهم، فمنهم من تحسنت صورة الإسلام لديه نسبياً، ومنهم من شرح الله صدره للإسلام^(١).

لقد خطف بريق الإسلام أبصار الغربيين الذين اعتمدوا منهج التفكير المنطقي الموضوعي، فلم تعد تسيّرهم التعاليم الكنسية العقيمة، وآلمهم الخواء الروحي، فلم تعد مواعظ الأحد تسد جوعتهم، وتروي ظمأهم، فصوبوا أنظارهم نحو النور الذي يلوح في الأفق الشرقي، وتنقشع أمام سناه سحب ضباب تراكمت عبر القرون. فرأت مراكز القوى النصرانية أن الأسلوب القديم القائم على المجابهة والتشويه الإعلامي، والشحن النفسي، غير مجدٍ في «الصد» في عالم ذابت فيه الحواجز والحدود، وبات كل شيء قابلاً للنقاش. ويصف القس أريا

(١) تراجع في ذلك قصص المهتدين من الأوروبيين وغيرهم. مثل سلسلة رجال ونساء أسلموا. لعرفات كامل العشي. وحوارات مع مسلمين أوروبيين لعبد الله أحمد قادر الأهدل.

راجا هذا الوضع الجديد بقوله: (تواجه الكنيسة اليوم واقعاً يتسم بالجدّة. ففي الماضي كانت العلاقات بالأديان الأخرى تساعد الكنيسة على إغناء ذاتها وتطوير إيمانها^(١)...) .

أما اليوم فقد تبدلت الأوضاع تماماً، ومن المهم أن نشير إلى بعض خصائص هذه الحقبة من تاريخ البشرية:

أولاً: لقد تحررت الأديان الأخرى من وطأة الاستعمار، وهي تطرح نفسها اليوم كبديل عن الإيمان المسيحي له شموليته. ولقد حدث في تلك الأديان ما يشبه النهضة خلال السنوات الأخيرة^(٢)، فظهرت فيه حيوية جديدة، واندفاع رسولي جديد...

ثانياً: لقد توغلت تلك الديانات إلى حد بعيد، حتى في الغرب المسيحي، مما جعل من التعددية الدينية واقعاً في كل المجتمعات تقريباً. فعدد المسلمين في فرنسا يفوق عدد المسيحيين المصلحين، ومسلمو بريطانيا أكثر من «الميتوديين»^(٣) فيها. فالأديان الأخرى لم تعد متواجدة في البلدان البعيدة فقط. والأقليات التي تعيش بين الأديان الأخرى تجد نفسها مرغمة على إعادة النظر في مواقفها من تلك الأديان، وعلاقاتها مع جيرانها...

(١) يريد أن الكنيسة كانت تعتمد على العلاقات العدائية مع الديانات الأخرى في تعزيز موقفها السياسي العقدي والاجتماعي. بينما أفرزت حالة الوفاق الدولي وشيوع الفكر الإنساني التصالحي نضوب هذا المصدر.

(٢) لم تشر الترجمة العربية للكتاب إلى تاريخ تأليفه، ويظهر من خلال التمهيد والمقدمة والإحالة على بعض المراجع المؤرخة إلى أنه ألف في أواسط الثمانينيات ١٩٨٥م تقريباً أما الطبعة العربية الأولى ففي عام ١٩٩٥م.

(٣) الميتوديين أو الميتوديست: فرقة متفرعة عن الكنيسة الإنكليكانية، ظهرت في النصف الأول من القرن الثامن عشر، على يد جون فيسلي ت ١٧٩١م في أكسفورد، بغرض الإصلاح في حياة الكنيسة دون المساس بعقائدها الإيمانية، بإدخال مبادئ تقوية صارمة جداً من التعبد والتكلف في الزهد. وظلت تنتشر في عموم بريطانيا وشمال أمريكا. انظر: تاريخ الكنيسة المسيحية (٦٦٠).

ثالثاً: وربما كان هذا هو الأهم، هنالك وعي متزايد لغنى الأديان الأخرى... كان المسلمون في الماضي يحسبون منافسين، أما اليوم فنشهد اهتماماً متزايداً في مفهوم الإسلام للجماعة وللصلاة... وبعبارة أخرى، فإنه لا العدائية اللاهوتية، ولا اللامبالاة تجاه الأديان الأخرى مسموح بهما بعد اليوم. فالطرق التي انتهجها المسيحيون قديماً في تعاملهم مع الأديان الأخرى لم تعد تكفي^(١).

إنه وصف دقيق، وتحليل بارع للوضع الذي آلت إليه النصرانية في مقابل الإسلام. لقد انتهى عصر الرصاية على العقول، والحجر على التفكير. والنصرانية المهلهلة لا تملك أن تصمد أمام زحف الإسلام الكاسح، وعقيدته المتينة الموافقة للعقل والفطرة. ومن ثم فقد تفتقت عقول القوم عن فكرة التقريب والحوار بين الأديان للظهور أمام مواطنيهم ورعاياهم بمظهر التآلف لا الندية، والوفاق لا المجابهة، والحوار لا القطيعة. وبذلك يطفئون نار التشوق والترقب التي تضطرم في قلوب رعاياهم بحثاً عن الأمل المنشود، والأمن المفقود، حين يرون ما يأملون يعانون ما يألمون، ويسمعون عبارات المداهنة والاعتراف تصدر ممن كانوا يظنونهم رسل هدى، وحملة حقيقة.

وقد عبر الدكتور علي بن نفيح العلياني عن هذا الباعث الخفي بقوله: (الدعوة إلى زمالة الأديان في هذا العصر دعوة خبيثة تظهر أحياناً بهذا الاسم، وأحياناً باسم التقريب بين الأديان، وأحياناً باسم جمعيات الصداقة بين الأديان ونحو هذه المسميات. وجوهرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافاً من المسلمين بصحة دينهم. وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام. وذلك لأن كثيراً من النصارى وبعض اليهود

(١) الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى (٨١ - ٨٢).

متعطشون إلى دين شامل كامل كالإسلام. وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية التي هي من صنع الأحرار والرهبان، وليستا الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام. فإذا سمع هؤلاء تلك الشنشة التي تصدر من أشخاص يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة، المتضمنة لاعترافيهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين، وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود، والبحث عن مزاملته بأي ثمن، ومحاولة تقريبه من الإسلام، خاب ظنهم وقالوا: لماذا ننتقل إلى الإسلام وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسة، بل إن ديننا أفضل منه بدلالة حرص أصحابه على تقريبنا إليهم ليكسبوا بذلك شرفاً وعزاً^(١).

ومن أعظم الصد عن سبيل الله، وأشنع صوره التي تقشعر منها الأبدان، ويفتن بها فئام من الناس عن الإيمان، ما استحدثه دعاة التقريب من عبّاد الصلبان، واستزلوا به بعض المنتسبين إلى الإسلام، من «الصلاة المشتركة» والعياذ بالله، التي دعا إليها البابا يوحنا بولس الثاني في ٢٧/١٠/١٩٨٦م في بلدة أسيزي الإيطالية، وقدم نفسه للعالم بوصفه القائد الروحي للأديان جميعاً، وأنه حامل رسالة السلام للبشر، ولبي الدعوة عددٌ من المسلمين^(٢).

فيا له من موقف خزي وعار، ومسبة وشنار، أن يصطف أهل «لا إله إلا الله» خاضعين ذليلين يؤمهم كبير أهل التلث ويدعو بهم.

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه (٤٤٩).

(٢) انظر سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. رقم (٨٧/١٥) في ٨/٥/١٩٨٧م. وانظر الباب الثاني فصل المحاولات الجماعية «جمعية سانت إيجديو» في بيان اللقاءات المتتابعة لهذه الصلاة المزعومة، وموضوعات تلك الملتقيات.

ويا لها من فتنة عظيمة لكل من حذّثه نفسه باعتناق الإسلام، وهو يرى ممثليه - حسب علمه - ينضوون تحت عباءة البابا، وفي ظل صليبه.

وهذا التأثير السيء في الصد عن سبيل الله، يحصل بمجرد اللقاء ومراسم الاستقبال والوداع، وما يصاحب ذلك من تغطية إعلامية موجهة.

أما ما يحصل من صدٍ عن سبيل الله فيما يعلن في البيانات الختامية، وبحوث المؤتمرات فأعم وأطم.

٤ - الباعث السياسي:

لقد ولدت دعوة التقريب في العصر الحديث، وولدت معها تهمة الباعث السياسي، وذلك حينما دعت جمعية الأصدقاء الأميركيين للشرق الأوسط في بادرة هي الأولى من نوعها، في العصر الحديث، إلى لقاء بين المسلمين والنصارى، فانعقد المؤتمر الإسلامي المسيحي في «بحمدون» في لبنان عام ١٩٥٤م تحت شعار «القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية». وقد كان العالم في تلك الفترة يشهد مدأً شيوعياً، وكانت منطقة الشرق الأوسط العربية الإسلامية ساحة خالية أمام ذلك المد، ساعد ذلك مساندة العالم الغربي الرأسمالي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية، لقيام دولة إسرائيل وحمايتها، من جهة، ومن جهة أخرى غياب الإسلام الصحيح عن الساحة، فسرعان ما صوبت أصابع الاتهام إلى النوايا السياسية المبيتة لتلك الجمعية، وافتضح أمرها، بل كان بعض أقطابها يصرحون بذلك الباعث السياسي، كما قال أحدهم حينذاك: (إن العالم الحر اليوم، أكثر من أي زمنٍ آخر، يحسب الحساب للتطورات العالمية، وازدياد خطر الشيوعية، وإن الولايات المتحدة الأمريكية تنظر بعين القلق إلى

التطورات والأحداث الجارية في الشرق الأوسط، وترى من واجبها أن تقوم بكل ما في وسعها، كقائدة للدول الخارجة عن الستار الحديدي الشيوعي، للقضاء على الشيوعية التي أخذت تتفشى في الشرق الأوسط خصوصاً، بشكل مريع.

وإن أمثال هذا المؤتمر هي من الضرورة بمكان لتوطيد العلاقات بين دول الشرق الأوسط والولايات المتحدة، وللحؤول دون نجاح الحركات الشيوعية في هذه البقعة الحساسة من العالم التي يعتبرها العالم الحر قطعة يجب أنه تظل في جو مليء بالاستقرار^(١).

وقد تناولته مختلف الاتجاهات في المنطقة من قومية، ويسارية، وإسلامية بالنقد والاتهام^(٢). وصار هذا الهاجس مصاحباً لأمثاله من المؤتمرات اللاحقة، حيث تفسر تفسيراً سياسياً بحتاً.

والحق أن «الباعث السياسي» هو أحد البواعث الكامنة خلف عملية التقريب. وتتفاوت حصته قلة وكثرة بحسب الظروف المحلية، والأحداث العالمية المصاحبة أو السابقة لعقد مؤتمر ما. ومقتضى العدل والإنصاف أن نوافق الكاتب الروسي «أليكسي جورافسكي» إذ يقول: (في عدد من المؤلفات في «ميدان علم الأديان» غير المكرسة لإشكالية الحوار الديني، نجد أن هذه المسألة تناقش كظاهرة سياسية وحسب، مثل الدعوة إلى إقامة جبهة المؤمنين في العالم ضد الوثنيين والملاحدة. صحيح أن الدوافع السياسية... الأيديولوجية من المحركات المهمة لهذه الظاهرة، ولكن أن يعزى إليها مضمون الحوار

(١) انظر: هرطقات فريسية... تأليف د. جورج حنا عام ١٩٥٤م، وقد نقل النص السابق عن مقابلة مع مدير الأبحاث والنشر في جمعية الأصدقاء الأمريكيان للشرق الأوسط مع مجلة الإصلاح عدد (٢٤) نيسان ١٩٥٤م.

(٢) المرجع السابق. حيث ساق تصريحات مناهضة للمؤتمر من قبل زعامات دينية واجتماعية.

كله فهذا يظل أمراً غير موضوعي، ولا يكشف الحقائق كاملة^(١).
والكنائس الغربية لا تألو جهداً في استثمار لقاءات التقارب لتحقيق بعض المكاسب السياسية المتعلقة بالأقليات النصرانية في البلاد الإسلامية، وقضايا «الحريات الدينية»، ومفهوم «الدين والدولة» ونحوها. ويراد من ورائها تعزيز النفوذ السياسي والاجتماعي لتلك الأقليات، وتمكينها من بناء المزيد من الكنائس والمؤسسات الخاصة. ومهاجمة «حد الردة»، وحرية تغيير الدين، ومشروع الدولة الإسلامية^(٢).

وفي الوقت نفسه تتم عمليات الإبادة والتطهير العرقي، والتهجير الجماعي، والإلجاء إلى اعتناق النصرانية، في مواقع متعددة من العالم، وتكتفي البيانات بعبارات عامة تعرب عن أسفٍ مطلق لما يجري هنا أو هناك.

(١) الإسلام والمسيحية (١٧).

(٢) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية: جمع جوليت حداد:

حول الحرية الدينية: (١٣/٢)، (١٣/٧)، (١٤)، (١٥/٨)، (١٩)، (٤/٩)،
(١٨)، (١٣)، (١٨)، (٢٥)، (٢٦)، (٢٨)، (١٣/١٨)، (٢٢)، (٢/١٤)، (٥ - ٢/١٤)،
(٨)، (٥/١٥)، (٧)، (١٦/١٨)، (١٩)، (٢٤/٢١)، (٢٦)، (٢٧)، (٨/٢٤)،
(٩/٢٥)، (٨/٢٧)، (٩)، (١١)، (٦/٢٨).

وحول الردة عن الدين: (٥/٥)، (١٣/٧)، (٣٠)، (١٥/٨)، (١٦)، (١٨)،
(٨/١١)، (١٩)، (٢٢)، (٢٧/١٣)، (٦/١٤)، (٥/١٥)، (٢٠)، (٢٤)، (٢/١٦)،
(٨)، (٧/١٨)، (٢/٢١)، (٢١)، (١٣/٢٦)، (٦/٢٨).

حول الأقليات الدينية: (٥/٥)، (١٣/٧)، (١٦)، (٦/٨)، (١٢)، (٢١/١٠)،
(٥/١١)، (٢٦/١٥)، (١/١٢)، (١٨/١٣)، (٢/١٤)، (٤)، (٨/١٥)، (١٠)،
(٢١)، (٢/٢١)، (٧)، (٢٢ - ٢٨)، (٨/٢٤)، (٣/٢٦)، (٣١)، (٩/٢٧).

المبحث الثاني

بواعث التقريب لدى النصارى العرب

لم تبد الكنائس الشرقية على وجه العموم، والعربية منها على وجه الخصوص حماساً أو مبادرة في الدعوة إلى التقريب والحوار مع الإسلام إلا في السنوات الأخيرة التي أعقبت الحرب الأهلية اللبنانية، أي بعد المبادرات الغربية بحوالي أربعين سنة، من مؤتمر «بحمدون» المنعقد عام ١٩٥٤م. كما أنها نأت عن الحوار العقدي، واتجهت نحو حوار التعايش.

والقدر الذي عني بالجوانب العقدية كان مبادرات شخصية شاذة، لا تمثل توجهاً عاماً، كتلك التي صدرت من الأب يوسف درة الحداد، واكتست ثوباً من التزييف والإفك الذي يبعد الآخر ولا يقربه، ولا يهدف فعلاً إلى إقامة الحوار بل إلى إلغائه^(١).

ويتساءل الدكتور محمد الشاهد عن تفسير هذه الظاهرة ويجيب: (لماذا تأتي الدعوة إلى الحوار من جانب الكنائس والمؤسسات الدينية النصرانية التي تعيش في أوروبا، بينما لا نجد حماساً شديداً في الدعوة إلى مثل هذا الحوار من جانب الكنائس الشرقية، التي كان ينتظر أن تكون أكثر اهتماماً بالحوار مع المسلمين الذين يحيطون بهم من كل جانب، ويشكلون الأغلبية الساحقة في المجتمعات التي يعيشون فيها؟ لعل السبب في هذه الظاهرة أن الكنائس الشرقية أعلم من غيرها

(١) انظر: حقيقة التقريب لدى النصارى العرب. مبحث (الجدليين من النصارى العرب).

بأحوال المسلمين، ويتمسكهم بعقيدتهم الإسلامية، وعدم جدوى هذه الوسيلة لتنصيرهم. وإن كان لهذا التفسير ما يبرره، إلا أن هناك تفسيراً آخر لعله أقوى وأقرب إلى الصحة، وهو أن الكنائس التي تعيش بين المسلمين، ويتكلم تابعوها العربية التي هي لغتهم الأم، يقرأون مؤلفات المسلمين، ويعرفون حججهم القوية في الدفاع عن دينهم الإسلامي، الحجج المثبتة لصحة الدين الإسلامي، وكذلك الحجج المثبتة لتحريف الأناجيل التي بني دينهم عليها، هذا من شأنه أن يجعل نتيجة الحوار في غير صالحهم، ولعلها تؤدي إلى عكس ما ينتظرونه. ولعل وجود النصارى في المجتمع الإسلامي، كأقلية ضعيفة الشأن في مقابل أغلبية ساحقة من المسلمين لا يكون مناسباً، أو مساعداً على ظهورهم بمظهر الواصلين من نفسه، ومن قوة حجته، هذا على عكس الكنائس الغربية التي تدعو إلى الحوار على أرضها، حيث تكون الأغلبية الساحقة لأتباعهم، ولا تشكل المجموعة الإسلامية سوى أقلية ضعيفة الشأن. وثمة سبب آخر يمكن أن يكون تفسيراً لعدم حماس الكنائس الشرقية للدعوة إلى الحوار مع المسلمين، وهو تخوفهم من احتمال أن يسبب دفاعهم عن عقيدتهم، وإبداء حججهم، إثارة فتنة طائفية في المجتمع الذي يعيشون فيه، تكون نتيجتها في غير صالحهم، وغير صالح المجتمع ككل. تلك احتمالات واجتهادات لعل فيها أو في بعضها يكمن شيء من الحقيقة^(١) وخلاصتها كما يلي:

- ١ - إدراك الكنائس الشرقية لتمسك المسلمين بعقيدتهم.
- ٢ - إدراكهم واطلاعهم على قوة الحجة الإسلامية، لمعرفتهم باللغة العربية.

(١) التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: د. محمد الشاهد. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). (٦).

٣ - عقدة «الأقلية» المنتجة للشعور بالضعف، وعدم التكافؤ.

٤ - الخوف من عواقب الحوار، كإثارة الطائفية.

ونضيف سبباً خامساً مهماً يفسر تأخر النصارى العرب عن ركب الحوار والتقارب وهو انخراطهم في الاتجاهات القومية والوطنية التي كانت مزدهرة في الفترة الماضية^(١).

١ - الباعث القومي والوطني:

وهو مركب امتطاه النصارى العرب بغرض إقصاء فكرة «الجامعة الإسلامية» و«الحكومة الدينية»، والاستعاضة عنها بـ«الرابطة القومية» أو «الوطنية»، وإقامة «الحكومة المدنية العلمانية»، حيث يتساوى جميع أفراد المجتمع على أساس «القومية» و«الوطنية». فلأجل هذا جرت أقلام كثير من كتابهم وأدبائهم بهذه الدعوات الجاهلية، والتقليل من شأن الفروق الدينية، ولو أدى ذلك إلى التحلل من سمت الأديان، ونقض عرى الإيمان. ومن شواهد ذلك لدى أدبائهم:

* قال الشاعر القروي، رشيد سليم الخوري^(٢)، بمناسبة عيد الفطر:

هبوا لي عيداً يجعل العرب أمةً وسيروا بجثمانى على دين برهم
فقد مزقت هذي المذاهب شملنا وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

(١) انظر: مبحث «النصارى العرب» من هذا البحث (٥٠٠).

(٢) رشيد سليم الخوري (١٣٠٥ - ١٤٠٤هـ): أديب وشاعر مهجري. ولد في قرية البربارة بלבnan، وهاجر إلى البرازيل. لقب بشاعر القومية العربية، كما لقب في البرازيل بشاعر الجبل، ثم اشتهر بلقب الشاعر القروي. من آثاره: ديوان شعر يحمل لقبه، الأعاصير، أدب اللامبالاة: أدب الشماتة والعقوق. انظر: تنمية الأعلام (١/١٧٩).

* وقال إسكندر الخوري^(١):

قبل المسيح وأحمد كنا وما زلنا عرب
كانت وما زالت لنا أوطاننا أمماً وأب
لا دين يجمعنا سوى دين لمجد والنسب
* وقال حليم دموس^(٢):

لك دين وله دين ولي آخر والكل دين محترم
فأحسبوا أدياننا واحدة واجعلوا قبلتكم هذا العلم
* وقال ميشال المغربي^(٣):

صنو المسيحية الإسلام في نظري كلاهما مُوجِدُ الأديان مُوجِدُهُ
فكيف أولَّيه ظهري حين أبصره أخ لي دربه مثلي ومصعده
ماذا يضيرك ما كانت عقيدته ما زال يعبد رياً أنت تعبدُهُ

(١) إسكندر الخوري (١٣٠٧ - ١٣٩٣هـ): إسكندر ابن الخوري جريس يعقوب، البيتجالي، أديب، كاهن أرثوذكسي، فلسطيني من بيت جالا. تتلمذ على الشيخ عبد الله البستاني وشغف بالأدب. من آثاره: «الزفرات»، «دقات قلب»، «مشاهد الحياة». انظر: الأعلام (٣٠٣/١).

(٢) حليم دموس (١٣٠٥ - ١٣٧٧هـ): حليم بن إبراهيم بن جرجس دموس، من طائفة الروم الأرثوذكس، متأدب، له نظم كثير، في بعضه إجابة. ولد ونشأ في «زحلة» بلبنان، وسافر إلى البرازيل وعاد إلى بلده، ثم دمشق، وتوفي في بيروت. له ديوان باسمه و«المثالث والمثاني» و«يقظة الروح». انظر: الأعلام (٢٧٠/٢).

(٣) ميشال المغربي (١٣١٩ - ١٣٩٧هـ) (١٩٠١ - ١٩٧٧م): ولد في الإسكندرية من عائلة سورية، ثم عاد إلى حمص سنة ١٩١١م. هاجر إلى «تشيلي» عام ١٩٢٣م، ثم البرازيل للتجارة فربح وأثري. كان شغوفاً بالأدب والشعر، فنظم قصائده في المهجر. ذو نزعة وطنية. عاد إلى وطنه سوريا عام ١٩٥٦م بعد غيبة ٣٣ سنة. وهو من أواخر شعراء المهجر. له ديوان «أمواج وصخور». انظر: تنمة الأعلام (١٩٥/٢).

وكان ينطق ضاداً أنت تنطقها وما تردد من شعر يردده^(١)

٢ - الباعث الأمني:

يعيش نصارى العرب حالة من الخوف والقلق من المستقبل . ويرى بعضهم أن النصرانية المشرقية في طريقها إلى الاندثار والاضمحلال والذوبان، في خضم البحر المتلاطم من الكثافة السكانية الإسلامية المتنامية . وقد غدّى هذا الشعور في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي وقائع الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥ - ١٩٩٠)، وتداعياتها السياسية والاجتماعية، التي زلزلت عرش الاستقرار والنفوذ النصراني في معقله في لبنان . كما يغذيه أيضاً «نذير الشؤم» الذي تفرعه أجراس الكنائس الغربية، وينعق به متعصبوها . فقد كتب أحد الدبلوماسيين الفرنسيين المتعصبين: جان بيار فالونيه كتاباً في قرابة ألف صفحة تنضح بالحقده على الإسلام والمسلمين، ينعى فيه الوجود النصراني في المشرق، وسماه: «حياة مسيحيي المشرق وموتهم من البدايات حتى أيامنا» باريس ١٩٩٤م .

ولحدائث الكتاب، واحتفاء بعض نصارى العرب به، نقتطع بعض عبارات التآبين التي تلاها الكاتب الفرنسي على «جثمان» النصرانية المشرقية، لما تنشره من هلع وحذر في نفوس النصارى العرب فتزيد حيرتهم في البحث عن مخرج:

(... إن مسيحيي المشرق هم في صدد الاندثار...)

■ هل إن الاستئصال النهائي للمسيحيين سيتخذ شكل مأساة مكتملة؟ كثيرة السوابق الأليمة التي تمنعنا من استبعاد ذلك . بالرغم من هذا، إن ما هو أقرب إلى الاحتمال أنها ستندثر دون ضجيج، بنزيف مستور وقاسٍ...

(١) انظر في هذه الاختيارات: محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة .

سليمان الخراشي (٣٦٠ - ٣٦٢) .

■ إن العودة بالقوة لإسلام متعصب، يعيد إلى الواجهة في المجتمعات الشرق أوسطية معايير التفريق الطائفية، وكل ألوان التمييز التي تتضمنها...

■ عندما تصبح القوى الديموغرافية غير مواتية إلى هذا الحد، بأي شكل يمكن التصدي لفريق الأغلبية المطلقة الذي يود أن تكون هويته هوية البلاد بأجمعها؟ أليس من الفطنة بالأحرى أن يتوقف المسيحي عن التزامه كمسيحي، ويتقيد بالخط العربي الإسلامي المهيمن؟ هكذا عدة آلاف من الأقباط ينتقلون بهدوء كل سنة إلى الإسلام، بينما أكثرية من المسيحيين السوريين أو الفلسطينيين ينادون بإصرار مؤثر بالقومية العربية...

■ إن تدهور المسيحيين الشرقيين يبين عجز المجتمع المسلم في احتواء ما لا يماثله...

■ كيف لا نتساءل عن الأسس الدينية التي حددت، منذ أكثر من ألف سنة، الأنظمة الاجتماعية والسياسية للشرق العربي؟ لهي أنظمة ستكون عما قريب إزاء التطور الجاري في سائر أنحاء العالم، الأكثر تخلفاً، والأكثر جموداً على سطح الكرة الأرضية. لأن آسيا وأمريكا اللاتينية وحتى أفريقيا باشرت تحولاً عميقاً. عما قريب، وحده العالم الإسلامي سيظل مغلقاً أذنيه عن روح العصر، ووحدها الدول العربية وإيران ستبقى المربّع الأخير للدكتاتوريات...

■ إن الجهاد يمارس أيضاً في أرض الإسلام ملحقاً الأذى بالشعوب اللاإسلامية. بعض هذه الشعوب التي لا ترتبط بالتقليد الإبراهيمي، لا تجد بديلاً سوى الارتداد أو الموت. أما الآخرون، المسيحيون، واليهود، فيجدون أنفسهم في منتصف الطريق بين الإيمان والكفر، وعليهم من هذا المنطلق، أن يصابوا بسبب مشاركتهم في الحقيقة، وأن يعاقبوا بسبب مشاركتهم في الضلال. من هنا الجهاد

الداخلي الذي يجب فيه على المسلمين أن يقيموا، وأن يجددوا عند الاقتضاء قانون الخضوع للأقليات غير المسلمة. لقد عرف هذا القانون تحت اسم «الذمة» والكلمتان اللتان تحكمانه هما: الانفصال والإذلال. انفصال، لأنه ينبغي أن يسان المؤمنين من عدوى الضلال. إذلال، لأن الضلال يجب أن يفضح بشكلٍ بارز كي يحث على الارتداد، ويشهد انتصار الحقيقة...^(١).

■ غروب الحضارة العربية الإسلامية سار في خط متواز مع خنق المجتمع المسيحي، عندما رفض العالم الإسلامي إعطاء المسيحيين مكانهم الصحيح، قضى على نفسه بالعقم والذبول...

■ في الحقيقة، إن دستور الدول الذي اقتبس من النماذج السياسية الغربية، حمل إلى المسيحيين قدراً ضئيلاً من المساواة، إذ لم يعد وضع الأفراد والجماعات محدداً رسمياً وفقاً لاعتبارات دينية. بيد أن ما كسبوه كمواطنين، خسروه كأقليات إثنية^(٢) وثقافية...

(١) في قلب العالم الحر خارج مربع الدكتاتوريات، كما يصفه هذا الفرنسي، وفي مدينة «جلين آيري» بولاية كولورادو الأمريكية، وفي عام ١٩٧٨م وليس في العصور الوسطى يشهد شاهد من أهله في مؤتمر «تنصير العالم الإسلامي» فيقول: (بينما يوافق المنصرون على أن التحول لدين آخر لا يجب، ولا يمكن أن يتم بالقوة، فإنهم ما زالوا يشعرون أيضاً بأننا ينبغي أن «نجرهم على الدخول». وسوف يجادل المنصرون بأن العالم الذي نعيش فيه بحر كبير من الإقناع المضاد، وهذا أمر أكثر شرعية وأكبر فائدة للجنس البشري). من بحث «الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير» دانييل آر بروستر. التنصير (٧٧٠).

(٢) الإثنية: جماعة عرقية: إثنوس «الجماعة الإثنية» كما تعرف في العلوم الاجتماعية، هي التي تمتنق ثقافة تقليدية مشتركة، وشعوراً بالذات المستقلة، وتعد جماعة فرعية من المجتمع العام، ويختلف أعضاء الجماعة السلالية «الإثنية» عن باقي أعضاء المجتمع فيما يتعلق ببعض الخواص الثقافية، وقد=

■ لقد أثّرت مبادئ العلمنة على حساب المسيحيين وحدهم. بغية إجبارهم على تفكيك تنظيمهم الجماعي، بينما الإسلام ينجو من العلمنة متذرعاً بتداخله مع الدولة...

■ إن الأصولية الإسلامية... تمثل بالنسبة إلى المسيحيين تهديداً نوعياً. لقد أغفلت كل الاختبارات، وهي تنوي أن تعيد الأقليات الدينية إلى حرفية نظام اللامساواة الذي توجد أسسه في القرآن، لكنه حُدّد في القرون الوسطى كأنه توضيح لعلاقات القوة التي أنشأها الغزو الإسلامي...

■ هل سيحتفظ القرن العشرين أيضاً للمسيحيين بمأساة أكبر؟ في الواقع، لقد جرت هذه المأساة تحت أنظارنا دون أن ندركها على حقيقتها، على مدى ستة عشر عاماً، عرض واقع الحال لائحة طويلة من نكبات لبنان... بالنسبة إلى جميع مسيحيي الشرق، وجود بلد عربي حيث الجميع يتمكنون من أن يسيروا مرفوعي الرؤوس، ويعلنوا هويتهم وانتسابهم، ويعيشوا، دون عراقيل، معطيات العصر، كان يؤلف ضمناً وملاذاً.

أما الآن، وقد تلف النسيج الاجتماعي للبنان المسيحي مع استئصال السكان، ورحيل النخبة، وهبوط المستوى الدراسي، وخسارة مصداقية المؤسسات التمثيلية، وضعف المعنويات عامة، فأى مسيحي يمكنه أن يأمل بمستقبل مضمون في الشرق^(١)...

= يكون لأفراد هذه الجماعة لغتهم الخاصة، وديانتهم، وبعض العادات المميزة، والأهم من ذلك شعورهم بالاختلاف عن محيطهم من ناحية، وبتوحدهم كجماعة تقليدية من ناحية أخرى. «المترجم» الإسلام والمسيحية. (١٩٩).

(١) ترى هل سيسمح هذا الفرنسي المتعصب، المتباكي على حال النصارى في لبنان - ولو نظرياً - أن يستقل المسلمون في فرنسا، الذين يبلغ تعدادهم قرابة =

■ في كل مكان، جو من العدوانية يحيط بالمسيحيين عندما لا يتفجر العنف دون إنذار على إثر حادثٍ تافه. إلى ذلك، إن الطوائف المسيحية مرتهنة منذ الآن لعلمية نزوح متزايد، وأن هروب النخبة من شأنه أن يقلل وضع الباقين دافعاً إياهم إلى الرحيل بدورهم.

هلا سيبقى بعدُ مسيحيون في الشرق في الألف الثالث؟ إذا لم نكن متأكدين من اضمحلالهم التام «البعض ييقون مع ذلك عن اقتناع، بالرغم من تيقنهم من حياة أفضل في الغرب» نعتقد أنهم يقتصرون على مجموعة من أفراد يعيشون مجهولين في المدن غير قادرين على مزاوله الحياة الجماعية التي لا بد منها للمحافظة على هويتهم. نظراً لعددهم الضئيل جداً، المعلوم الأهمية، لن يستطيعوا قط إلا أن يتقربوا وفقاً للقيم المهيمنة، وأن يمتنعوا عن التمرس، بعملهم علانية، كمسيحيين^(١).

إن الغرض من سياق هذه المقتطفات ليس تفنيد مزاعم نصراني حاقّد، بل الكشف عن طبيعة المؤثرات الخارجية، والحملات الاستثنائية التي يصدرها نصارى الغرب لإخوانهم في الشرق، ليجعلوهم في هم دائم، وقلق مستمر، وتطلع إلى نصرة الأجنبي وحمايته، فيتخذوا بذلك موطئ قدم، إذا واثتهم فرصة للانقضاض. وهم بذلك يؤكدون ويعمّقون «الانفصال» و«التفوق» الذي يعيشه نصارى العرب بين

= أربعة ملايين نسمة بمقاطعة خاصة، (يتمكنون من أن يسيروا مرفوعي الرؤوس، ويعلنوا هويتهم وانتسابهم ويعيشوا دون عراقيل...؟) لقد قامت الدنيا ولم تقعد في فرنسا حين أصرت طالبتان مسلمتان على ارتداء غطاء الرأس - وليس الوجه - في إحدى المدارس. فلم الكيل بمكيالين؟

(١) عن: المسيحيون في لبنان والشرق (رؤى مستقبلية): الأباتي: بولس نعمان، د. كمال الصليبي، د. فريد الخازن. دير سيدة النصر. نسيبة - غوسطا - لبنان، طبعة ١٩٩٦م. (٦١ - ٨٥).

المسلمين، ولا يعالجونه، في الوقت الذي يزعمون فيه أنه من آثار تطبيق النظام الإسلامي. لقد خدع الغربيون نصارى الشرق إبان الحروب الصليبية فاستمالوهم إلى جانبهم، فلما تمكنوا أذلّوهم، ولما دالت دولتهم في المشرق فروا وتركوهم يواجهون تهمة الخيانة والتواطؤ مع العدو. وهم بمثل هذه الكتابات يستزلونهم إلى مواقف مشابهة.

إن الخوف من المستقبل الذي تنتجه شحنات التشاؤم هذه، حملت نصارى العرب على التفكير الجاد، بل والشروع عملياً بالدخول في حوار مع المسلمين، بدلاً من القطيعة والركون الكلي إلى النصارى الغربيين، في محاولة لتهدئة المخاوف، وتحقيق المزيد من المكاسب التي تحققت لهم في هذا القرن.

ففي محاضرة للدكتور كمال الصليبي، أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، ورئيس المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمان، ألقاها في دير سيّدة النصر عام ١٩٩٦م في لبنان بعنوان «دعوة المسيحيين في الشرق إلى الانفتاح على الإسلام الحضاري»، يعرب فيها عن مشاعر النصارى العرب، وبواثت تلك المشاعر فيقول:

(المسيحيون في لبنان والبلاد العربية عموماً خائفون - أو على الأقل غير مرتاحين - بالنسبة إلى ما قد يخبئه لهم المستقبل، وذلك أكثر ما يكون للأسباب الآتية:

١ - أعداد المسيحيين في هذه البلاد - مطلقاً ونسبياً - هي في تضاؤل مستمر. وهذا التقلص في الوجود المسيحي في المنطقة مرشح لأن يزداد حجماً وسرعة مع الوقت.

٢ - الدور المسيحي في القرار العربي - سياسياً واقتصادياً وحضارياً وفكرياً - هو أيضاً في تقلص مستمر، ومرشح لمزيد من التضاؤل، مطلقاً ونسبياً. وفي لبنان الذي بقي حتى الأمس القريب آخر

موقع للقرار المسيحي السياسي في العالم العربي، لم يعد المسيحيون قادرون على الاحتفاظ بالدور القيادي الذي كان لهم من قبل، إلى الحد الذي يريدون ويطمثون إليه.

٣ - صوت العصبية والتطرف في الإسلام - وهو الذي يُدويّ حالياً، لسبب ما، على حساب الصوت الخافت للإسلام الحضاري المتعقل - لا يعطي الوجود المسيحي في العالم العربي ما يطمئن إليه هذا الوجود من الاعتبار، بل هو يبدو أحياناً، وكأنه يهدد استمرار هذا الوجود...

٤ - العلاقات والمصالح التي تربط بين العالم العربي والعالم الخارجي، لم تعد محصورة على الوسيط المسيحي المحلي إلى الحد الذي كانت عليه سابقاً.

٥ - اهتمام العالم الخارجي بمصير المسيحية والمسيحيين في الشرق لم يعد ملحوظاً وفعالاً إلى الحد الذي كان عليه في الماضي...

٦ - مراكز القرار المسيحي في العالم تبدو مهمة بمحاورة الإسلام واليهودية لضمان المصلحة المسيحية العامة، تاركة للمسيحيين في الشرق الاهتمام بمصلحتهم الخاصة وحل مشاكلهم مع محيطهم الإسلامي إلى حد كبير بأنفسهم^(١).

ثم يتساءل الدكتور الصليبي عما إذا كان ذلك يعني أن المسيحية في هذه المنطقة في طريقها إلى الزوال، وعن العمل المطلوب، ويستعرض عدداً من الحلول المطروحة ويقوم بتفنيدها، كالهجرة، والانعزال الجغرافي، وغيرها، ويخلص إلى رسم العنوان التالي: (حلّ مستقبل لا بد منه: يبقى حلّ واحد لم يجرب بعد، وهو تغيير الخطاب

(١) المسيحيون في لبنان والشرق. «رؤية مستقبلية» (٣٧ - ٣٨).

المسيحي، والجهة التي يوجه إليها هذا الخطاب تماشياً مع التغيرات التي حصلت وتحصل في المنطقة وفي العالم...

المخرج على هذا الصعيد هو تنمية انتماء اجتماعي بديل للانتماء الديني، يجمع بين الفريقين، ويلغي أو يقلل من التنافر في العصبية بينهما. ومن مصلحة الفريق الأضعف في المعادلة أن يكون هو المبادر في تنمية الانتماء المدني البديل...

لا بأس أن يحاول العرب المسيحيون عموماً، واللبنانيون منهم خصوصاً توجيه خطابهم السياسي والحضاري إلى محيطهم العربي الإسلامي الذي يشتركون معه في المصير. والذي لهم فيه أصدقاء وحلفاء طيبعيون، وأن يحصروا خطابهم على الشأن الديني في علاقاتهم مع العالم المسيحي الخارج. علماً بأن الخطاب السياسي مع العالم الخارجي لم يعد يلقي ما كان يلقاه سابقاً من آذان صاغية. وإن الاستمرار في مثل هذا الخطاب هو في الواقع مضر في مصلحة المسيحيين في الشرق، لأنه يثير شكوك المسلمين - وعن حق - بشأن نواياهم^(١).

إن الكابوس المخيف الذي يجثم على صدور النصارى العرب هو ما يسمونه «الإسلام السياسي»، أو «الحركات الإسلامية الأصولية»، التي تسعى إلى تطوير نظام اجتماعي سياسي مستمد من الكتاب والسنة، يعيد وضعهم في «قالب» أهل الذمة. لذلك يشنون الحملات الضارية ضد هذا اللون من الاتجاهات ويتعاونون مع الإعلام العالمي في تشويه صورته وإبراز أخطائه.

ففي كتاب ألفه وزير لبناني سابق هو الدكتور البير منصور، بعنوان: «قدر المسيحيين العرب وخيارهم»، يعلن صراحة هذا العداء

(١) المسيحيون في لبنان والشرق. رؤية مستقبلية (٣٩ - ٤١).

المستحکم قائلاً: (الإسلام السياسي تحدٍ مشترك يواجه جميع المسيحيين العرب، لأنه يعمل على قيام دولة دينية إسلامية، مصير المسيحي فيها إلى مصير الغربية. من موقع الضيافة، ضيفٌ عزيز في يوم الرخاء، ومتسامح معه في اليوم السوء، ومشبوه مذموم في يوم الشدة. ضيفٌ غريب في بيته ووطنه، لأن الدولة الدينية الإسلامية تصدر الوطن وتلغيه)^(١).

ولذلك يفرق الدكتور كمال الصليبي بين «صوت العصية والتطرف في الإسلام» الصادر من «دعاة العصية والتطرف»، وما يسميه «الإسلام الحضاري المتعقل» الذي ينبغي أن يتوجه إليه خطاب الحوار. فيقول: (المسيحيون في جميع هذه البلاد، من هذه الناحية يواجهون الخطر ذاته الذي يواجهه الإسلام الحضاري المتعقل، الذي هو إسلام الأكثرية... وفي ذلك ما يجعل من العرب المسيحيين الحلفاء الطبيعيين للإسلام الحضاري، في مواجهة قوى التخلف في البلاد العربية)^(٢).

ونحن لا نعلم المدلولات الدقيقة لمصطلح «التعصب والتطرف» من جهة، و«التحضر والتعقل» من جهة أخرى، لدى الكاتب، ولكننا نعلم قطعاً بوجود «إسلام واحد» محفوظ من التغيير والتبديل، هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. فإن كان الدكتور كمال الصليبي يقصد بالتعصب والتطرف قتل الآمنين النصاري القاطنين في بلاد الإسلام، أو العابرين أو المقيمين وفق عهد أو عقد، فنحن نتفق معه على ذلك الوصف، إذ ليس في الإسلام غدرٌ ولا غيلة ولا ظلمٌ ولا عدوان. وإن

(١) قدر المسيحيين العرب وخيارهم (٢٣٦). وانظر: مراجعة تركي علي الربيعو وتحليله العميق للكاتب والكتاب في مجلة الاجتهاد (٢٦٣/٣٠ - ٢٦٧) وما ذكره ألبير منصور من وصف الدم والشبهة في يوم الشدة لأهل ملته لم يقع في التاريخ الإسلامي إلا لوجود براهين وأدلة مادية على حصول تواطؤ وتآمر مع المستعمر والمعتدي. راجع نبذة تاريخية من التمهيد.

(٢) المسيحيون في لبنان والشرق «رؤية مستقبلية» (٤٠).

كان يقصد بذلك استجابة المؤمنين لما يحييهم، من إحياء ما اندرس من معالم الإسلام وشريعته، والعيش وفق تعاليمه السمحة العادلة، ويرى في المناداة بذلك تطرفاً وعصبية فلا، ولا كرامة. ولا يسع أهل الإسلام إقصاء دينهم، وتعطيل شريعتهم، إرضاءً لشزيمة طبع الله على قلوبهم، فأصروا على اتباع الباطل، وبطر الحق. وإننا ندعو أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية أن يراجع التاريخ بصدق وإنصاف، وسوف يجد من شهادات بني دينه ما ينصف المسلمين أو يكاد، من جنس قول المستشرق الإنكليزي أرنولد: ت. ويلسون^(١) (من الحق أن نقول أن غير المسلمين نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد معادلاً لها في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة)^(٢). وقول غوينو: (لا دين يضارع الإسلام في التسامح)^(٣).

٣ - الباعث الاجتماعي:

عاش النصارى طوال القرون الإسلامية المتعاقبة «ذميين» داخل إطار المجتمع المسلم. لهم حقوق، وعليهم واجبات. ولا ريب أن الإسلام؛ عقيدة، وشريعة، وثقافة، وتاريخاً، ينظر إليهم نظرة دونية، ولا يضعهم على قدم المساواة مع سائر المسلمين. ولكنه في الوقت نفسه يحمي أشخاصهم وأعراضهم وأموالهم، ويفسخ لهم مزاوله عباداتهم الخاصة، ولا يكرههم على الدين، كما تقدم^(٤).

(١) سير أرنولد تالبوت ويلسون (١٨٨٤ - ١٩٤٠م) بدأ حياته عسكرياً، والتحق بجيش بريطانيا في الهند. ثم عمل في القسم السياسي. وكان مستشاراً سياسياً في الخليج العربي. انظر: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي. د. مازن المطبقاني (٤٥).

(٢) انظر: تعدد الأديان وأنظمة الحكم. جورج قزم (٢٣٧).

(٣) انظر: تعدد الأديان وأنظمة الحكم. جورج قزم (٢٣٨).

(٤) انظر مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب من التمهيد.

والنصارى العرب يشيرون إلى تلك الحقبة بإشاراتٍ بغیضة، ويعدون الرجوع إليها ضرباً من الإذلال والامتهان، دونه خـرط القتاد، ذلك أنها تميّزهم اجتماعياً بأنماطٍ من المعاملة والسلوك في الملبس والمركب والعمل، (فلا زالت الشروط العمرية تخيف الذميين إلى اليوم)^(١).

لذلك يعمدون في حوارهم مع المسلمين إلى الحديث باستفاضة عن الجانب الاجتماعي وحقوق المواطنة، والمساواة في كل شيء، وهو ما لا نجده بطبيعة الحال في الحوار الإسلامي - النصراني الغربي. إن النصارى العرب الذين وجدوا أنفسهم في عدة حالات ورقة في سوق المقايضات الدولية، يُساوم عليهم من جميع الأطراف، حتى من بني ملتهم، آكوا إلى شبه قناعة بأن الحل الأمثل والأجدي أن يسعوا جاهدين إلى إعادة ترتيب أوضاعهم الداخلية، ومحاورة جيرانهم المسلمين، الذين يعيشون بين ظهرائهم، لضمان ما يروونه حقوقاً لهم، ودفعاً لما قد يتوقعونه غير ملائم لهم مستقبلاً. وهذا ما عبرت عنه رسالة بطاركة الشرق الكاثوليك حين تناولت موضوع الحوار مع المسلمين، وجاء فيها: (في زمن المخاض الحالي الذي يجتاح عالمنا، يبقى أن إحدى المشاكل الكبرى التي يواجهها هي علاقته مع مختلف الفئات الوطنية على اختلاف معتقداتها. إن المسيحيين والمسلمين تشاركوا في «العيش والملح» قروناً طويلة. وهذا ما يلقي على الطرفين مسؤولية متبادلة. فالإسلام يتحمل مسؤولية كبرى في هذا المجال إذ أنه مدعوٌ إلى تطمين المؤمنين المسيحيين الذين يعيشون معه في الوطن الواحد. إن المسلم في الشرق لا يستطيع أن يطور أي مشروع لنظام اجتماعي وسياسي من غير أن يأخذ بالحساب الجماعة المسيحية بشكل

(١) سعاد أبو الروس. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١٢١).

يعطيها الثقة، لا بأن حقوقها الدينية محفوظة فحسب، بل أيضاً بأنها جزء لا ينفصل عن حياة المجتمع، وكامل العضوية في الجماعة الوطنية، بما فيها من حقوق وواجبات. من جانبهم، يتحملون مسؤولية مماثلة تدعوهم إلى التخلص من العقد الاجتماعية والنفسية التي خلفها لهم التاريخ^(١).

وتأسيساً على ذلك، فقد خصصوا رسالتهم التالية: «معاً أمام الله. في سبيل الإنسان، والمجتمع» للحديث عن «العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العالم العربي» جاء فيها: (من حق كل فئة وطنية أن تسهم في بناء المجتمع بجميع مجالات الحياة الوطنية فيه: «أجهزة الدولة والمؤسسات العامة والخاصة والوظائف والمصالح الاقتصادية وغيرها». وهذا يعني ألا يهمل أحد لسبب انتمائه الديني، أو لأي سبب من الأسباب، بل تتاح الفرص لكل مواطن، أياً كان، ومهما كانت عقيدته، لكي يجد موقعه في الحياة العامة بعيداً عن الحدود والحساسيات الطائفية)^(٢).

ثم لم تكتف الرسالة بهذه الخطوط العامة بل شرعت في وضع النقاط على الحروف، وتطبيق القاعدة على المثال، في مجال الأسرة، والتربية الدينية في المدارس الحكومية، وصياغة الكتب المدرسية، والمؤسسات الفكرية والإعلامية، لترسيخ مفاهيم الأمن الاجتماعي لطوائف النصارى العرب، والأهم من ذلك كله التحذير من خلط الدين بالسياسة^(٣).

إن الباعث الاجتماعي للحوار مع المسلمين لدى النصارى العرب

(١) الحضور المسيحي في الشرق. شهادة ورسالة (٤٥).

(٢) معاً أمام الله (٢٢).

(٣) انظر تفصيل ذلك في مبحث النصارى العرب (٥٠٠ - ٥٠٧).

باعثٌ أصيل، وهمّ مائل دائم، وإن كان في الحقيقة يمثل جزءاً من الباعث الأمني الأكبر؛ وهو الخوف من الاضمحلال البطيء.

ولذلك فهو ليس اجتماعياً صرفاً، بل هو اجتماعي مسيس؛ بمعنى أنه لا يكفي بالمطالبة بالعيش المشترك، والمساواة الاجتماعية فقط، بل لا بد من أن تحميه قوانين الأنظمة الديمقراطية للحكم. يقول تركي الربيعو في مراجعته وتحليله لكتاب «قدر المسيحيين العرب وخيارهم» للوزير اللبناني السابق ألبير منصور: (منذ الصفحات الأولى للكتاب، يصر المؤلف على استبعاد مفهوم العيش الاجتماعي المشترك، فهذا جربناه كما يقول المؤلف، والذاكرة والتاريخ يخترنان الكثير من المآسي في هذا المجال... ما يصر عليه الباحث ومنذ البدء والبداية هو التعايش المشترك السياسي، والذي يقوم على قاعدة المساواة التامة والمطلقة: «المساواة المطلقة كينونةً وشرعاً، لا بالأمان ولا بالرحمة ولا بالضيافة ولا بالذمة ولا بالعهد» ص ١١)^(١).

٤ - باعث القيام بدور الوسيط في الحوار الإسلامي النصراني:

وهو دورٌ ما فتى نصارى العرب يلوّحون به، ويتباهون بخصوصيتهم وتميزهم في إدارة دفته - سوى الأقباط لانفصالهم التاريخي والعقدي العميق عن العالم الغربي - فيقول بطاركة الشرق الكاثوليك: (إن المسيحيين في العالم العربي يتطلعون إلى أن يكونوا جسور حوار وتفاهم بين هذين العالمين المتقابلين. فالقراية الحضارية التي تجمعهم، تؤهلهم أحسن تأهيل ليقوموا بهذا الدور الحضاري)^(٢).

بل إن المطران جورج خضر - رئيس أساقفة جبل لبنان للروم الأرثوذكس - يبدي العتب حين يتجاوز الحوار الإسلامي المسيحي

(١) مجلة الاجتهاد (٣٠/٢٦٤).

(٢) معاً أمام الله في سبيل الإنسان والمجتمع (٥٣).

حاجز النصارى العرب أو يقفز عليه فيقول: (الحوار لا يكتمل ما لم يجرّ مع مسيحيي الشرق... المسيحيون العرب يحسون بتهميش إذا انحصر الحوار المسيحي - الإسلامي بالتلاقي بين المسلمين وأهل الغرب)^(١).

وربما كان هذا الدور مطلوباً منهم من قبل المسيحية العالمية، كما أفصح عن ذلك الدكتور كمال الصليبي إذ يقول: (المسيحية العالمية اليوم تجد نفسها مضطرة إلى محاورة الإسلام، لأن الإسلام أصبح له وجود كثيف داخل ديارها، في أوروبا وأمريكا وأستراليا. ونظراً لذلك، فمن الطبيعي أن تشدد المسيحية العالمية على ضرورة قيام حوار مماثل بين المسيحية الشرقية والإسلام. والأجدى بالمسيحية الشرقية أن تكون هي صاحبة الدور الأول في محاورة الإسلام، لكونها هي المسيحية التي رافقت الإسلام تاريخياً، وخبرته عن قرب. ولعل المسيحية العالمية تتوقع من المسيحيين العرب لعب هذا الدور)^(٢).

وسواء كان هذا الدور بإيعاز خارجي، أم بقناعة داخلية، أم بهما معاً، فإن النصارى العرب يجدون في ذلك مهمة مميزة تعوضهم عما فقدوه من جراء تراجع الدعوات القومية والوطنية التي كانوا يأوون إلى كنفها.

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، قراءة في الراهن والمستقبل من: العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٢١٠ - ٢١١)، وانظر: مبحث النصارى العرب: «الأرثوذكس العرب» (٤٣١).

(٢) المسيحيون في لبنان والشرق (٤١).

المبحث الثالث

بواعث التقريب لدى اليهود

سبق الحديث عن مفهوم «التقريب» لدى اليهود بما أغنى عن إعادته هنا. ويمكن أن نميز البواعث التالية في دعوة بعضهم إلى الحوار والتقارب:

١ - الباعث السياسي:

ويتمثل لدى يهود الشتات في تحسّسهم للنمو الإسلامي المطرد في البلدان الغربية، وأثار ذلك المستقبلية على نفوذ الأقليات اليهودية. يقول الحاخام أندريا ل. ويس: (إنه يوجد الآن أربعة مليون ونصف مليون مسلم بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد تضاعف عدد المساجد والمراكز الإسلامية في هذه البلاد أربعة مرات - كذا في الأصل - خلال العشر سنوات الأخيرة. وأنه حتى عام ٢٠١٥م أي بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن يقدر الخبراء أن عدد المسلمين سوف يتجاوز عدد اليهود، وسوف يمارس تأثيراً متزايداً على الفكر الأمريكي. إن الإسلام اليوم هو ثاني أكثر الأديان انتشاراً على مستوى العالم وعن قريب، سيصبح ثاني أكثر الأديان انتشاراً بالولايات المتحدة...

هل سيتعرض وضع اليهود السياسي والنفسي للهبوط؟...

إنه في عام ١٩٩٣م وليس عام ٢٠١٥م يجب علينا أن نتحرى ماذا يعني لنا نحن اليهود تزايد نمو الإسلام. إنه اليوم وليس بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يجب أن نبدأ رحلة الحوار والالتحام^(١).

ويحدد جوناثان د. سرنا الآثار المترتبة على تغير الهوية الدينية الأمريكية من جراء زيادة نسبة المسلمين على حساب اليهود بالنقاط التالية:

- سوف يقل كثيراً عن الآن ما يتمتع به اليهود الأمريكيان من الاعتبار في المنزلة ومن جانب الإعلام...
- وقد يتعرض كذلك النفوذ السياسي لليهود إلى الهبوط في السنوات القادمة...

■ وقد يقع على إسرائيل الجانب الأكبر من المعاناة من جراء هذه التغيرات. إذ أن انحدار منزلة اليهود الأمريكيان، مقترناً بصعود الإسلام بأمريكا، وبنمو الرشد السياسي لطائفة المسلمين الأمريكيان، سوف يجعل من الصعب في الأيام القادمة الظفر بموافقة الكونجرس الأمريكي على منح إسرائيل المساعدات الضخمة. وبالفعل تتبع «لجنة العمل السياسي المسلم» سياسات مؤيدة للفلسطينيين. كما تعلم المسلمون الأمريكيان من كثرة مراقبة كيفية عمل يهود اللوبي السياسي. ولذلك فهم يعتزمون مضاعفة نشاطاتهم السياسية في الانتخابات القادمة، ويأملون في انتخاب عضو مسلم بالكونجرس الأمريكي بقدم عام ١٩٩٢م^(١).

هذه بعض المخاوف التي صار يتوقعها اليهود على مستقبلهم السياسي منذ مطلع التسعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم في إسرائيل، من جراء النمو السكاني المبعثر للمسلمين، في أكبر معاقلهم خارج إسرائيل. ومع يقيننا التام بما نبأنا الله من أخبار يهود وصفاتهم؛ أنهم لن يألوا جهداً في الكيد للإسلام وأهله في كل مكان، كما هو ظاهرٌ جلي في التشويه الإعلامي المركز

ضد الإسلام والمسلمين، إلا أنهم من إفكهم ليقولون: مرحى للحوار والتقارب مع المسلمين، فيخلص جوناثان د. سرنا إلى القول:

(وعلى الجانب المشرق الآخر، فإن بزوغ الإسلام، واتساع الثوابت في نسيج الديانة الأمريكية يمكن على المدى البعيد أن يوثق العلاقات بين المسلمين واليهود... فضلاً عن أن البيئة الأمريكية المحايدة سوف تساعد على إتاحة مستوى من التعامل الديني المشترك بين اليهود والمسلمين قد لا يتصور حدوثه في أي من البلاد العربية أو في إسرائيل)^(١)

هذا نمطٌ من البواعث السياسية تجاه الحوار يحفز يهود الشتات إلى التقارب مع المسلمين. أما في إسرائيل ذاتها حيث يهيمن الفكر الأصولي العنصري فليس ثمَّ مجال لمثل هذه الطروحات، لكن على المستوى الرسمي، وتمشياً مع سياسة التطبيع التي تلف المنطقة، تسعى الدولة العبرية إلى ممارسة نمطٍ من التقارب مع الدول العربية والإسلامية بغية تحقيق أهدافٍ سياسية. فقد زار الحاخام الأكبر لليهود الأشكناز «إسرائيل لاو» شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في مكتبة الأزهر في ديسمبر عام ١٩٩٧م. كما شارك الحاخام الأكبر لليهود السفارديم «إلياهو باكشي» في ندوة للحوار بين الأديان، انعقدت في الرباط في مطلع عام ١٩٩٨م، وتلاها تصريحٌ للحاخام اليهودي مناحيم كرومان في فبراير من نفس العام بحصوله على تأشيرة دخول لإيران لتعزيز التفاهم بين اليهود والمسلمين، وتعيين حاخام أكبر لليهود في إيران.

(١) المرجع السابق (٨٧ - ٨٨).

٢ - الباعث الاجتماعي:

وهو باعث يجده اليهود حيث كانوا أقلية في المجتمعات النصرانية. (وقد لعبت الطائفة اليهودية عبر التاريخ دوراً هاماً جداً كزعيمة وناطقة بلسان الأقليات الدينية بأمريكا)^(١) كما يقول جوناثان د. سرنا.

ونظراً لكون اليهود يعيشون أوضاعاً مشابهةً من بعض الوجوه للمسلمين في الجوانب الاجتماعية المعيشية، من حيث الالتزام بأحكام فقهية في العبادات والطهارات والملبس والمأكل ونحو ذلك، فإنهم يجدون في الاعتضاد بالمسلمين مصلحة لتحقيق بعض مطالبهم. وقد مثل لها الحاخام أندريا ل. ويس بـ:

■ القضايا الغذائية، المطالبة بالصلاة في المدارس والعمل، وقضايا الأسرة والعدالة الاجتماعية^(٢). وذلك أن القوانين المدنية الغربية لا تضع اعتباراً لمثل هذه المطالب، مما يحفز اليهود على التقارب مع المسلمين لنصرة مشروع قانون اجتماعي معين.

٣ - باعث الصد عن سبيل الله:

ولليهود في هذا البال تفنن عجيب، وإفك قديم، يوجب للمؤمن أن يقف منهم موقف الحذر التام، وظن السوء. كيف لا، وهم الذين حكى الله عنهم ما يلي: ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَءَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءِجْرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء].

(١) شالوم - السلام (٨٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (٦٢، ٦٣).

ومن شواهد ذلك في قضية التقارب والحوار بين الأديان أن يتوصلوا إلى تحسين صورتهم، واستدراج المسلمين إلى تعطيل النصوص الواردة في ذمهم - كما صنعوا مع النصارى - ففي حصة التعليم اليهودية التي يعرضها التلفاز الفرنسي صباح كل أحد، تحدث الحاخام «جوزي آيزنبرغ» يوم ٤/٢/١٤٠٥ هـ الموافق ٢٨/١٠/١٩٨٤ م عن الحوار بين اليهودية والإسلام، وكان مما قال وهو يعدد محاسن الحوار: (إن ثمة افتراءات على اليهود في كتب النصارى، وقد ساعد الحوار الطائفتين على التحقق من هذه الافتراءات ورفعها من كتب النصارى... ولعل الحوار مع المسلمين يؤدي إلى حذف الافتراءات المقولة في كتبهم مع اليهود)^(١).

ومن ذلك ما سبق عرضه من مقالة اليهودي «روفن فايرستون»: «إبراهيم أهو اليهودي الأول أم المسلم الأول؟» التي أراد من خلالها هز قناعة المسلمين (بأنهم وحدهم الذين لديهم الحقيقة المطلقة الفريدة)^(٢) كشرط للمضي قدماً في الحوار.

إن اليهود بما أوتوا من خبث ودهاء، وبما يملكون من تأثير إعلامي واسع يمكن أن يستغلوا قضية التقريب بين الأديان والحوار مع المسلمين خاصة استغلالاً بشعاً للوصول إلى بعض مقاصدهم الشريرة في الصد عن سبيل الله، وطمس معالم الحق.

وبالجملة فإن المبادرات والمشاركات اليهودية في برامج الحوار تختلف من حيث المنطلقات - المعلنة على الأقل - عن تلك التي تصدر عن النصارى. فبينما يزف النصارى مشاريعهم التقريبية وسط كوكبة من

(١) من تقرير لمكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس مؤرخ في ١٢/٢/١٤٠٥ هـ.

(٢) شالوم - السلام (١٠٩)، وانظر: مبحث حقيقة التقريب عند اليهود.

شعارات المودة والانسجام، والرغبة في التعرف على الآخر، والتعاون على إرساء القيم الإيمانية والخلقية ونحو ذلك. فإن المعتقدات اليهودية العنصرية تأبى إطلاق هذه الشعارات، ويلمس الباحث بشكل جلي الباعث المصلحي المكشوف. وقد لمس النصارى هذا الباعث في حواراتهم الخاصة مع اليهود، رغم ما يربط الفريقين من خصوصيات وولاءات مشتركة. يقول د. طارق متري - مسؤول العلاقات مع المسلمين في مجلس الكنائس العالمي - (اليهود يطلقون، ويشاركون في حوارات كثيرة. لكن الذي يتابع الحوارات اليهودية مع المسيحيين، يلاحظ أنها:

- يغلب عليها الحساب السياسي.
 - موظفة لخدمة المشروع الصهيوني.
 - ابتزاز للمسيحيين.
 - ليس فيها حوار حقيقي. فاليهود - أنفسهم - الذين يعنون بالحوار مع المسيحيين يقولون: إن الهدف من الحوار مع المسيحيين:
- أولاً: أن يعترف المسيحيون بالجرائم التي ارتكبوها تاريخياً، وإلى حد الآن.
- ثانياً: أن يطهر المسيحيون كتبهم الدينية، ونصوص صلواتهم من كل الإيحاءات المعادية لليهود والسامية.
- ثالثاً: أن يعترف المسيحيون أن بين الشعب اليهودي ودولة إسرائيل علاقة خاصة، أي أن الحوار عندهم، لا علاقة له بما يتحدث فيه المسيحيون والمسلمون عن التعارف والتعاون^(١).

(١) من مقابلة مسجلة صوتياً، أجراها الباحث معه، في بيروت يوم الاثنين ٨/٤/١٤١٨ هـ - ١١/٨/١٩٩٧ م.

المبحث الرابع

بواعث التقريب لدى الإسلاميين العصرانيين

تنوعت بواعث التقريب لدى دعائه من الإسلاميين العصرانيين تبعاً للمتغيرات العالمية، واختلال ميزان القوى في غير صالح المسلمين من جهة، وبسبب الجهل وفقدان التأصيل الشرعي من جهة أخرى. حيث يحكم الهوى والمصلحة الموهومة، ويغلب إعجاب كل ذي رأي برأيه. وهم في كثير من الحالات يجارون الطرف المقابل ويمالئون على غير هدى من الله وبرهان، سيما والدعوة إلى التقريب غريبة المولد والمنشأ والتوجيه، ولم تصدر عن اجتهادات علمية إسلامية موثوقة. ومن هذه البواعث:

١ - الباعث العالمي:

ويتمثل في الدعوة إلى التقارب مع العالم النصراني الغربي - باعتباره الممسك بمقاليد الحضارة المادية المعاصرة - والانخراط فيه، وتحقيق التجانس الذي تفرضه حال العالم اليوم من انفتاح بعضه على بعض. كما يصرح الدكتور رضوان السيد تحت عنوان: «الحوار الإسلامي المسيحي والعلاقات المسيحية» قائلاً: (ما نحتاج إليه جميعاً الانخراط في العالم المعاصر، والتعلم منه في مجالات القيم الإنسانية الرحبة، ونمو الذات في الآخر، والتعرف عليها فيه، ومشاركة العالم في آفاقه تأثراً وتأثيراً)^(١).

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٣٣).

وكما يقول الفضل شلق تحت عنوان: «الحوار الذي لم يبدأ»: (إن علينا أن نعترف بالأمر الواقع، ونعمل كي نتجاوزه. ولن يكون هذا التجاوز ممكناً دون الأخذ بثقافة الغرب والانخراط بالعالم...) (١). ولعل الحوار والتقارب خير وسيلة لنقل القيم والثقافات عن طريق النّخب «المثقفة» لتكوين أرضية مشتركة.

ومن القيم الإنسانية الرحبة في عالم اليوم، كما يراها هؤلاء «القبول بالتعددية». ومن شرطه الدخول في حوار مع الأطراف الأخرى. يقول سعود المولى: (إذا نظرنا إلى المستقبل القريب في عالمنا العربي والإسلامي فإننا نرى أن هذا العالم يسير باتجاه القبول بالتعددية الدينية، وباتجاه البحث عن سبيل حفظ هذا التنوع وحفظ العيش المشترك، وتطوير الصيغة السياسية الملائمة له... إن هذا السير الحتمي باتجاه المستقبل التعددي، والتعايشي، يحتم علينا أن نبدأ منذ الآن في تنكب طريق الحوار، وخوض غماره) (٢).

ومن الشعارات العالمية السائدة إعلامياً، المهتوكة عملياً، الدعوة إلى «السلم العالمي» ونبذ «الحروب». وقد حفلت بعض البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب والحوار بهذه الدعوة (٣). وردد أصداءها بعض الإسلاميين العصريين كباعث من بواث الحوار. يقول د. يوسف الحسن: (لا شك أن السعي نحو السلام بين المسيحية والإسلام هو أحد أصعب المهام التي تواجه الإنسانية. وإنه بدون سلام بين الأديان

(١) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١١).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٨).

(٣) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية: (١٠، ٥/٢)، (١٠، ٤/١)، (٣/٥)، (٦/٥)، (٢٩/٧)، (٤/٩)، (٩/١٠)، (٢١، ١١/٢٠)، (٢٨، ٢٠/١١)، (١٩/١٣)، (١٦/٢)، (٤، ١١، ١٢)، (٢٩/٢١)، (٨/٢٤)، (١/٢٥)، (٢، ٩، ١٣)، (٤/٢٦)، (٩، ١٧، ١٨، ٢٤، ٣١)، (٩، ٢٧)، (٩، ٨/٢٨).

ستكون هناك حروب تملأ الكرة الأرضية وتأكل روح الإنسان. ولا سلام بين الأديان بدون حوار صادق ومخلص. إن هذا الحوار ضروري ونافع وممكن^(١).

ومن استزلال شياطين الجن والإنس لبعض الإسلاميين المعصرين، التنصل من مقتضيات الإيمان؛ من الحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، ومجاراة أهل الكتاب على القول بأن ما وقع في التاريخ من مجابهات مجرد «عداوات»، وليس نابعاً عن عقيدة إيمانية، سواء في حال الجهاد أو الدفاع، والاعتذار عما سلف، وكأنه جريمة أو عدوان، كل ذلك تأثراً بالشعارات العالمية المطروحة للاستهلاك الشعبي. فالدكتور يوسف القرضاوي يعد من أهداف الحوار الديني بين الإسلام والمسيحية: (تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلفتها الحروب الصليبية قديماً، والاستعمارية حديثاً، وإشاعة معاني الإخاء والإنسانية والمرحمة، وفتح صفحة جديدة لعلاقات أنقى وأصفى)^(٢).

وهو كلام يحمل في طياته تخطئة سلف الأمة الذين بذلوا مهجهم في سبيل الدفاع عن دين الله، وعن بلاد المسلمين، كما أنه خيانة لهم أن نَصِمَ جهودهم، بترسيب الروح العدائية، وكأن الحديث عن حرب البسوس. كما يأسف المسلم أن يَنْجَرَّ من ينسب إلى العلم والدعوة إلى استعمال المصطلحات المجملة التي لا تحمل نفحة الإيمان، وشعار الإسلام، بل هي إلى الشعارات الماسونية، أو التعبيرات الصحفية أقرب. ونحو ذلك حين يدافع الدكتور يوسف القرضاوي عن «روحيه

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٣٨).

(٢) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة: د. يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة. القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م). (١٧٦).

جارودي^(١) قائلاً: (إن الرجل ما زال على خطه الأول الذي يعبر عن الإسلام الصحيح، الذي يدين الحضارة الغربية، ويؤيد الشعوب المستضعفة، ويقف في صف الفقراء ضد الطواغيت المستكبرين في الأرض. فالرجل ضد الظلم والطغيان، ومع العدل والإحسان والرحمة، وهي أخلاقيات من جوهر الإسلام الذي هو رسالة أخلاقية بالدرجة الأولى)^(٢).

إن هذه التعبيرات الغريبة على اللغة الشرعية المألوفة مثل: «الشعوب المستضعفة»، و«صف الفقراء ضد الطواغيت المستكبرين»، والتعبيرات القيمة المجردة من مضامينها الإسلامية المميزة، لتكشف عن تأثر الإسلاميين العصريين بالبواثئ العالمية السائدة، وركوبهم عجلتها شعروا بذلك أم لم يشعروا.

وبالجملة فالقوم مسوقون نحو الحوار والتقارب، محكومون بالقانون العالمي السائد، ويرون في الخروج عن قيمه وأدبياته أمراً مستحيلاً، ومصادمة للأمر الواقع. وقد عد الدكتور الترابي من دواعي الحوار ومبرراته أنه (ضرورة عملية يفرضها الواقع العالمي، القائم على الاتصال، والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات والحركات، مما يوجب علينا فهم الآخرين، وتفهم واقعهم، ومعرفة الحقائق للتعامل معها)^(٣).

٢ - الباعث القومي والوطني:

وهو باعث يرمي إلى إحلال «الرابطة القومية» و«الوطنية» محل «الجامعة الإسلامية» و«الرابطة الدينية». وقد ولد في أجواء الفتن الداخلية في حقبة الاستعمار الأوربي النصراني لممالك المسلمين، في

(١) انظر (محاولات روجيه جارودي للتقريب بين الأديان) في الباب الثاني.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٢٣٣) وانظر: مجلة البيان اللندنية، الأعداد (١١٢، ١١٧، ١٢٤).

(٣) شؤون الأوسط. عدد (٣٦) كانون الأول - ديسمبر ١٩٩٤م. (٩١).

مصر والشام، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. فقد تنمرت بعض طوائف النصارى العرب، وطالبت - رغم كونها أقلية - بصلاحيات واسعة، تجعلها على قدم المساواة والندية مع الأكثرية الساحقة من المسلمين، واستغلت في ذلك أسلوباً عنيفاً، محتمية بالاستعمار الأوربي، من أهل ملتها، كما جرى في مصر سنة ١٩١١م بين المسلمين والأقباط، منذراً بعواقب وخيمة.

وفي تلك الأجواء نشأت دعوات تجاوزت الأطر العامة للوحدة الوطنية بين عناصر الأمة، إلى المناداة بوحدة الأديان، مدركة أن الولاء الديني هو سر التميز، وأساس الانتماء، فأرادت أن توهم عراه، وتحل رابطته، في سبيل صنم «الوطنية». وانبرى من الفريقين كتاب، وشعراء، وأدباء، رفعوا لواء «القومية»، و«الوطنية»، وخفضوا شأن الدين والاعتقاد، بدعوى أن لا فرق بينها، وأنها متفقة المبدأ والغاية. ومن شواهد ذلك لدى الإسلاميين العصرانيين:

* قال علي الغاياتي^(١) مخاطباً:

وما أمة القرآن في مصر أمة ترى أمة الإنجيل أبغض جيلا
فلنا وأنتم إخوة في بلادنا أقمنا على دين السلام طويلا^(٢)

* وقال إسماعيل صبري^(٣) مخاطباً القبط، إثر اغتيال زعيمهم بطرس غالي:

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) ديوان «وطنيتي». علي الغاياتي (١١٣).

(٣) إسماعيل صبري (١٢٧٠ - ١٣٤١هـ): إسماعيل صبري باشا، من شعراء الطبقة الأولى في عصره. من شيوخ الإدارة والقضاء في الديار المصرية. تعلم بالقاهرة، ودرس الحقوق بفرنسا. له ديوان بأسمه.

«أحمد» يأمراننا بالإخاء
لعن الله مستبيحي العدا^(١)

دين عيسى فيكم، ودين أخيه
لا يكن بعضنا لبعض عدواً
* وقال أحمد شوقي^(٢):

للأرض واحدة تروم مراما
ويوقرون لأجلنا الإسلاما
لو شاء ربك وَّحد الأقواما^(٣)

أعهدتنا والقبط إلا أمة
نعلي تعاليم المسيح لأجلهم
الدين للديان جل جلاله
* وقال أحمد محرم^(٤):

وكل بني الدنيا إلى آدم انتمى
فما يملك الشرقي أن يتقدما
أرى الغرب لولا الجد والعلم ماسما^(٥)

تفرقنا الأديان والله واحد
وساوس ظل الشرق فيها مصفداً
بني الشرق لا يصرعكم الدين إنني

(١) ديوان إسماعيل صبري (١٨٠).

(٢) أحمد شوقي (١٢٨٥ - ١٣٥١هـ): أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي. أشهر شعراء العصر الأخير. يلقب بأمير الشعراء. أصله كردي، نشأ وأسرته في ظل الخديوي، بعث للدراسة في فرنسا، فدرس الحقوق، واطلع على الأدب الفرنسي. نظم الشعر في معظم أغراضه مديحاً وغزلاً ورناءً ووصفاً، في الشؤون السياسية والاجتماعية والمدرسية، حتى صار على كل لسان، وعاش منعماً ثرياً. من آثاره: «الشوقيات» و«دول العرب» و«مصرع كليوباترة». وفي شعره غلو وكفريات. انظر: الأعلام (١/١٣٦).

(٣) الشوقيات (٣/١٤٤). وهذا ليس بمستغرب عليه، وهو القائل:
وجه الكنانة ليس يغضب ريكـم أن تجعلوه كوجهه معبوداً
ولوا إليه في الدروس وجوهكم وإذا فرغتم واعبدوه هجوداً
الشوقيات (١/١١١).

(٤) أحمد محرم (١٢٩٤ - ١٣٦٤هـ): أحمد محرم بن حسن عبد الله، شاعر مصري، حسن الوصف. تركي الأصل أو شركسي. ولد في شهر محرم فسمي به. عاش يتكسب بالنشر والكتابة. من آثاره: «ديوان محرم»، «ديوان الإسلام». انظر: الأعلام (١/٢٠٢).

(٥) ديوان أحمد محرم (٢/٩٤).

* وقال حافظ إبراهيم^(١):

متى أرى الشرق أدناه وأبعده عن مطمع الغرب فيه غير وستان
لا فرق ما بين بوذي يعيش به ومسلم ويهودي ونصراني
* وقال معروف الرصافي^(٢):

إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة لسان وأوطان وبالله إيمان
فأي اعتقاد مانع من أخوة بها قال إنجيل كما قال قرآن

وظلت هذه النزعات الجاهلية تجوس خلال الديار، تحاول إخفاء الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والتسوية بين توحيد أهل الإيمان، وتثليث عباد الصلبان، حتى صارت بذوراً لدعوة التقريب بين الأديان بصورتها الوافدة من الغرب النصراني في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وصارت هذه «الأدبيات» شواهد يرفع بها دعاة التقريب عقائرهم في كل محفل، ليتوصلوا بها إلى تصحيح ما عليه النصارى، والحكم لهم بالإيمان في الدنيا، والنجاة في الآخرة. فليس كثيراً ولا كبيراً حينئذ أن يحفز صنم القومية والوطنية بعض متألهيه

(١) حافظ إبراهيم (١٢٨٧ - ١٣٥١هـ): محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، شاعر مصر القومي. يلقب بشاعر النيل نشأ يتيماً، اشتغل بالمحاماة، ثم بالعسكرية، فألف مع بعض الضباط المصريين جمعية سرية وطنية، أثناء الحملة على السودان، فأعتقله الإنجليز. فلجأ إلى الشيخ محمد عبده، فأعيد إلى الخدمة. ثم تفرغ للكتابة نظماً وشعراً. له ديوان بأسمه، و«ليالي سطوح»، و«التربية الأولية». وفي شعره إبداع. انظر: الأعلام (٧٦/٦).

(٢) معروف الرصافي (١٢٩٤ - ١٣٦٤هـ): معروف بن عبد الغني الرصافي، البغدادي. شاعر العراق في عصره. ولد ببغداد، وتلمذ لمحمود شكري الألوسي في علوم العربية وغيرها. من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. كان جزل الألفاظ في أكثر شعره وفيه مجون وتحلل. له ديوان مطبوع، وكتب منها: «دفع الهجنة»، و«نفع الطيب في الخطابة والخطيب»، و«الأناشيد المدرسية». انظر: الأعلام (٢٦٨/٧).

للتقارب مع النصارى العرب، وتمييزهم على سائر بني ملتهم، بوصفهم عرباً أو مواطنين، وإشراكهم في مشروع الحوار الإسلامي النصراني، ووحدة الأديان.

وهذا ما يطالب به دعاة التقريب من الإسلاميين المعاصرين، الذين بعثهم باعث الرحم، للتوجه إلى نصارى العرب بالحوار. يقول سعود المولى: (إن المطلوب في هذا السياق بلورة الوعي المسيحي العربي بأنه شريك في الحوار، وليس ملحقاً بالكنائس العالمية، وبأنه شريك في المشروع النهضوي الحضاري، وبأن المسيحية العربية هي إسلامٌ حضاري وتاريخي، وهي ضحية الغرب الاستعماري، كما هي ضحية النظام العالمي وإفرازاته)^(١).

وقد توج هذا التوجه تشكيل «فريق العمل العربي للحوار الإسلامي المسيحي» المكون من أعضاء مسلمين ونصارى من لبنان ومصر. وقد عقد عدة مؤتمرات وندوات منها: «المؤتمر العالمي الإسلامي المسيحي حول القدس» في القاهرة في مايو - أيار ١٩٩٦م ثم مؤتمر «مسلمون ومسيحيون من أجل القدس» في بيروت في يونيو ١٩٩٦م^(٢).

والكاتب ينتقد مخالفه من الإسلاميين، وينفخ في صورة النصرانية العربية ويخلع عليها من الألقاب ما لا تستحق، ويعلق عليها من الآمال في مجال الحوار ما هي أقل وأذل من أن تبلغه: (إن الإسلاميين الحركيين لم يشعروا بخطورة ترسيخ الفرقة بين أهل الأديان. بل انغمسوا في هذا الأمر بحساباتٍ تكتيكية انتهازية ضيقة

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢٢٥).

(٢) انظر في الباب الثاني «المحاولات الجماعية» التعريف بهذا الفريق ومحاولاته.

الأفق... ومن هنا الدور المركزي والكبير للمسيحية العربية، بالمشاركة مع المسلمين في إطلاق هذا الحوار على أسس جديدة، دون المرور عبر الوسيط الغربي^(١).

(إن الأفق المفتوح أمام الحوار الإسلامي المسيحي على المستوى العربي، وهو أفق البحث عن مشروع حضاري عربي إسلامي نهضوي جديد، يطلق الطاقات المجتمعة من عقالها، ويفتح المجال أمام القوى الخلاقة والحية في العالم العربي)^(٢).

٣ - باعث التصدي للإلحاد والانحلال الخلقي والمادية:

يكاد يكون الحديث عن هذا الأمر فقرة دائمة في البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب^(٣)، لكونه قدراً مشتركاً بين الأديان. والمدافعون عن فكرة التقريب والحوار يدفعون بهذا الباعث إلى الواجهة الأمامية لتسويغ شرعية هذه الدعوة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في مستهل تعداده لأهداف الحوار الديني بين الإسلام والنصرانية: (الوقوف في وجه تيار الإلحاد والمادية، الذي يعادي كل الرسالات السماوية، ويسخر من الإيمان بالغيب، ولا يؤمن بالوهمية، ولا نبوة، ولا جزاء، ولا قيم روحية. وكذلك تيار الإباحية والانحلال الخلقي، الذي يكاد يدمر خصائص الإنسانية وفضائلها التي كسبتها من هداية النبوات)^(٤). ويقول أيضاً: (لا مانع في الإسلام من أن يقف أتباع الديانات السماوية الذين يتبعون إبراهيم الخليل عليه السلام في خندق واحد، وقد يختلفون في بعض الأمور،

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٧ - ١٧٩).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢١٠).

(٣) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية جمع جوليت حداد.

(٤) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (١٧٥ - ١٧٦).

لكن بينهم من الأصول المشتركة ما يجمعهم ضد الذين ينادون بوحداية الدولار، ووحدة السوق، ويعتبرون أن لا إله إلا المادة^(١).

إن حفاوة دعاة التقريب والحوار من الإسلاميين العصرانيين به، في مقام الحديث عن مثالب الحضارة المادية الحديثة تقدمه وكأنه البديل الكفو عن الدعوة إلى الله وهداية البشرية، وكأن الإسلام لا يستقل بكبح جماح السعار المادي، والانفراط الخلقي حتى ترفده النصرانية، ويدخل معها في حوار. يقول محمد مهدي شمس الدين: (يمثل هذا الحوار أولوية كبرى عندنا على مستوى العالم الإسلامي كله وعلى مستوى العالم، في مواجهة انحرافات الحضارة المادية التي تهدد إنسانية الإنسان، ويهدد أسلوبها الافتراضي الاستهلاكي كينونة الإنسان على الأرض...)^(٢).

٤ - الباعث الدعوي:

يرى بعض الإسلاميين في «الحوار» وسيلة إلى الدعوة، أو دفع الشبهات عن الإسلام. وبصرف النظر عما إذا تم ذلك فعلاً، وعن أسلوب أداء تلك الدعوة وترتيب أولوياتها، فإننا نثبت أدناه تنظيرهم لهذه القضية باعتبارها أحد بواعث الحوار.

فالدكتور حسن الترابي يضع هذا الباعث في أعلى قائمة دواعي

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد (١٢٣٣). وانظر: مجلة البيان الأعداد: (١١٢)، (١١٧، ١٢٤). ومن الجدير بالذكر أن مصطلحات «وحداية الدولار ووحدة السوق» من إنتاج روجيه جارودي. انظر كتابه: نحو حرب دينية.

كما أن اليهود والنصارى ليسوا أتباعاً لدين سماوي، ولا لإبراهيم الخليل عليه السلام، كما أوهم الدكتور القرضاوي، بل قد رغبوا عن ملة إبراهيم، كما أن إبراهيم عليه السلام ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾.

(٢) تأملات في صيغة الحوار الإسلامي المسيحي. مقدمة كتاب: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢٢).

الحوار ومبرراته قائلاً: «إنه ضرورة شرعية لتبليغ الرسالة، وحمل أمانة الدعوة. فالأصل هو التفاعل التبليغي، وعدم جواز السكون»^(١). وهو في بداية الأمر مقابلة لمحاولات النصارى تبليغ دينهم: «بالطبع بدأت الكنيسة بالفعل السعي لهذا الحوار معنا من حيث تراه هي من تبليغها لرسالة النصرانية إلى المسلمين، ذلك أن مبادرة الفاتيكان بالاعتراف بالإسلام»^(٢)، هي محاولة لخلق قاعدة للحوار يقترب بها من المسلمين. كما أن دعوات مجلس الكنائس العالمي للمسلمين أن يأتوا إلى الحوارات أدت إلى حيرة من جانب المسيحيين، لأن لهم كنيسة منظمة تستطيع إدارة الدعوة، لكن ليس من جهة رسمية تمثل الإسلام حتى يدعوها لبرنامج هم واضعوه. إن ذلك يوجب علينا نحن الإسلاميون المنفعلون - كذا بالأصل - بهذه القضية، سواء كنا حركات أو أفراداً، اتباع إجراءات منظومة تبادر إلى وضع برنامج لهذا الحوار حتى يؤدي ثمرته في تبليغ أمر الدين. وكيفما قام علينا الآخر يريد أن يبلغنا رسالته، بينما نريده أن يسمع لنا، ونبلغه رسالتنا، ينبغي علينا أن نكون من المبادرين، لأننا أصحاب رسالة تجديد النصرانية. وعيسى عليه السلام نفسه كان عليه أن يجدد الدين الموسوي، ويحمي بواطنه بعدما انتهى إلى ظواهره فحسب. وكذلك يقع علينا عبء تجديد المسيحية بالحوار، والرأي، وصياغة المناهج، وتأسيس النظم النموذجية الإسلامية»^(٣).

(١) شؤون الأوسط. عدد (٣٦) كانون الأول/ديسمبر (١٩٩٤م) (٩١).

(٢) الواقع أن الفاتيكان لم يعترف بـ«الإسلام» بوصفه ديانة من عند الله، كما أوهم التراخي أو توهم، بل جرت الإشارة إلى «المسلمين» وتحاشت دساتير المجمع الفاتيكاني الثاني وقراراته وبياناته عن قصد وإرادة مدروسة التعبير بلفظ «الإسلام» احترازاً منهم أن يحمل ذلك صفة الاعتراف. راجع حقيقة التقريب عند الكنيسة الكاثوليكية، المبحث الأول من الفصل الثالث من هذا الباب.

(٣) المرجع السابق (٨١).

ثم يتقدم الباعث الدعوي خطوة جديدة: (نحن مطمئنون الآن إلى أن العالم الغربي يتقدم إلى مرحلة تحيط به فيها الحيرة في حياته. فقد كان بالأمس منشغلاً بقضايا المنهج الاقتصادي، وبالصراع الحربي والعصبي والقومي والطبقي، وبقضايا الصراع العسكري والأيدولوجي، وكيفية تأسيسه للسياسات العالمية، إلا إن ذلك انتهى الآن أو كاد، وبدأ الغرب نفسه مشغولاً بقضايا الحياة الجنسية، والجريمة، ومتاع اللهو المسكر، يحاول أن يضيع نفسه فيها. إن هناك قطاعات كثيرة جداً تعيش الآن ذلك الخواء الذي يجعلها تستشعر حاجة الإنسان إلى الإيمان والمعنى، وإدراك المعنى والغاية للحياة. إذا استشعر الغرب الحيرة في حياته فهو بذلك يكون أكثر استعداداً لأن يتلقى من الآخرين أن يهدوا إليه رسالة جديدة تشعر أهله بمعنى الحياة وغاياتها. لذلك ينبغي أن نخطط لحوار شامل يأخذ به كل مجتمعنا الإسلامي ليخاطب كل طبقات مجتمعاتهم، وبذلك نكون قد تمكنا من المخاطبة والحوار والتفاعل مع المجتمع كافة. ودخلنا عليهم الثغور والمداخل العلمية والثقافية والأمنية والدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والفنية كافة)^(١).

ولعمر الله إنها لمسوغات صحيحة لغاية مشروعة؛ ألا وهي الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ دينه، ولكن: أي إسلام يريد هؤلاء العصرانيون عرضه من خلال مؤتمرات الحوار وندواته؟ أهو الإسلام السلفي النقي القائم على توحيد الله واتباع نبيه ﷺ، الذي لا إسلام بحقٍ سواه؟ أم إسلام مهجن أعيد إنتاجه في معامل التكرير العصرية فجاء خداجاً مشوهاً ملفقاً، لا يرى فيه الغربي إلا تقرباً إلى النصرانية التي ملأها ومجها، ولم تعد تهديه في حيرته؟

ويلتحق بالباعث الدعوي، الرغبة في تحسين صورة الإسلام في

(١) شؤون الأوسط. عدد (٣٦) كانون الأول - ديسمبر ١٩٩٤ (٩٤).

نظر الغربيين. يقول د. يوسف الحسن: (هناك حاجة ماسة لوضع أسس صحيحة من أجل حوار حقيقي. لأن الإسلام في المرحلة الراهنة، هو موضع حملة ضارية في الغرب، دأبت على خلط الأوراق بين الإرهاب من ناحية، والإيمان والدين من ناحية أخرى. وبالتالي فإن الحوار يجب أن يكون متوازياً، بمعنى أن يساهم الغرب نفسه في إعطاء مساحة من المكان والزمان لعرض الوجه الحقيقي للإسلام)^(١).

٥ - باعث الرغبة في الحصول على اعتراف من أهل الكتاب:

ويستند هذا الباعث على فكرة مُسَفَّة يرددها بعض رواد الحوار من العصرانيين، مفادها أن الإسلام بحاجة إلى اعتراف من أهل الكتاب بانتمائه إلى الأصل الإبراهيمي. ومردداً إلى مركب النقص، وفقدان الشعور بالعزة الإيمانية.

• يقول الدكتور رضوان السيد:

■ (فهم الإسلام نفسه من اللحظة الأولى باعتباره دعوة عالمية تشكل استمراراً لليهودية والمسيحية اللتين أراد منهما الاعتراف به، أو أنه أراد مزاملتهما على قدم المساواة في نطاق الميراث الإبراهيمي لدعوة الله، ودين الله)^(٢).

■ (وبدا من ناحية أخرى توق المسلمين الشديد ليعترف بهم المسيحيون ديناً مستقلاً، كما اعترف بهم الإسلام باعتبارهم أهل الكتاب)^(٣).

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٢٣). وسيأتي في الباب

الثالث مناقشة لشبهات دعاة التقريب. انظر تحديداً (١٣٥٣ - ١٣٥٦).

(٢) مجلة الاجتهاد (٥/٢٨).

(٣) مجلة الاجتهاد (١٠/٢٨).

■ (الإسلام كان يواجه تحديات ضخمة في بدايات عهده. وأهم تلك التحديات محاولته وضع نفسه في سياق التقليد الإبراهيمي، وسياق التقليد الكتابي، وحاجته في المسألتين إلى اعتراف من اليهود والمسيحيين)^(١).

■ (عرف الإسلام وعرف المسلمون... كل أنواع المسيحية: السريانية والأرثوذكسية وفرقهما وفروعهما، وعرف أخيراً المسيحيتين المسيطرتين اليوم: الكاثوليكية والبروتستانتية لكن الفرق بين الأوليين والحاضرين بالنسبة إليه، أنه عرف الأوليين وهو في مكانة المسيطر والمتحكم والسَّان والشارع بالمعاني كلها؛ وعرف الحاضرين وهو في أطوار الصراع والاستضعاف. ولكلا الطورين التاريخيين قوانينهما ومقتضياتهما. ففي الطور الأول امتزجت في مواقفه عناصر الدولة والسطوة والثقافة المسيطرة المطمئنة، وفي الطور الثاني تقاطعت في مواقفه عناصر الاكتفاء والتردد والضيق واليأس والغربة. لكن في الطورين كليهما ظل أمرٌ واحد قوي الحضور فيهما: الحاجة إلى الاعتراف؛ طلب ذلك في الطور الأول، واستجداءه في الطور الثاني؛ لكنه ما استغنى عنه في الحاليتين)^(٢).

وهذا كلام يندى له الجبين، ويبعث على الاشمئزاز، ولا يصدر من مسلم فقه دين الله، وامتلاً قلبه بنعمته التي امتن بها على عباده المؤمنين إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فمن يشعر بنقص ما، أو حاجة ما، لأمر يطلبه أو يستجديه، لم يكن مؤمناً بهذه الآية العظيمة، ولا فرحاً بها. وثم فرق بيّن واضح بين أن يطالب الإسلام والمسلمون أهل الكتاب

(١) مجلة الاجتهاد (٤٢/٣٠).

(٢) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١٨).

بالإيمان بدين الحق ورسوله خاتم النبيين، والإقرار بأنه من عند الله فيلزمهم حينئذ اتباعه، والانخلاع مما هم عليه مما يخالف دين الإسلام، وبين أن يُصوّر ذلك الطلب بصورة الحاجة إلى اعتراف، أو محاولة استصدار شهادة تزكية، وحسن سيرة وسلوك. إن الكاتب بهذه الصياغة المتكررة يهين دينه حين يصفه بـ «محاولة وضع نفسه في سياق التقليد الإبراهيمي»، و«حاجته إلى الاعتراف من اليهود والمسيحيين»، و«إرادة مزاملتهم على قدم المساواة في نطاق الميراث الإبراهيمي»، و«توق» و«طلب» و«استجداء» المسلمين ذلك!! وقد أغنى الله عباده المؤمنين عن شهادة المغضوب عليهم والضالين بصدق الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام، وشهد بذلك بنفسه لرسوله والمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآلِ فِي الْإِسْلَامِ لَكُنَّ أَتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [آل عمران]، وذلك بعد أن أكذبهم الله تعالى بانتحال إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿مَا كَانَ إِزْرَاهِمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ خَافِيًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ [آل عمران].

والمقصود أن بعض دعاة الحوار يرى أن في الدخول في الحوار مع أهل الكتاب اعترافاً ضمنياً منهم بانتماء الإسلام إلى سلسلة الديانات الإبراهيمية^(١). وربما طمع في الظفر بفقرة في البيان الختامي تنص صراحة على تصديق نبوة محمد ﷺ، وكلا الأملين خابا، فأهل الكتاب يحاورون الهندوس والبوذيين وسائر الأمم من الوثنيين والملاحدة، فمجرد الاشتراك في الحوار لا يحمل أي دلالة من قبيل ما

(١) وقد صرح الكاتب المذكور بهذا الهدف أثناء زيارتي إياه في مكتبه بمقر مجلة الاجتهاد في بيروت يومي الجمعة والسبت ٢٩، ٣٠/٥/١٤١٧هـ الموافق ١١، ١٢/١٠/١٩٩٦م. وضرب لذلك مثلاً بمن يريد أن يركب سيارة سبقه غيره إلى ركوبها، ويرى أنه يستحق مقعداً فيها، ويحاول إقناع الركاب السابقين بأحقية.

أراد هؤلاء. كما أن أهل الكتاب على مدى العقود الأربعة السابقة التي حاوروا فيها المسلمين لم يتزحزحوا قيد أنملة عن إنكار نبوة محمد ﷺ. فلم الخنوع لهم واللهاث خلفهم من قبل هؤلاء العصرانيين؟ ﴿أَيَبْنُفُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

٦ - باعث التحالف مع النصارى لمجابهة اليهود:

يعلق بعض الإسلاميين آمالاً على الحوار الإسلامي النصراني لتحقيق مكاسب سياسية ضد اليهود بعد أن استولوا على فلسطين، وصاروا على رأس قائمة أعداء الأمة الإسلامية. ويتجلى ذلك في بعض فقرات البيانات الختامية لمؤتمرات التقارب^(١) نختار منها أوضحها، وهو ما جاء في بيان قرطبة الصادر عن المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول في شعبان عام ١٣٩٤هـ الموافق أيلول/سبتمبر عام ١٩٧٤م، ونصه:

(٢٢) - تأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني، مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب. وتأكيد عروبة القدس، ورفض مشروعات التهويد، والتقسيم والتدويل، وإدانة الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الشعوب، والمقدسات الإسلامية والمسيحية، وبخاصة المسجد الأقصى، والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين، لا سيما رجال الدين الإسلامي والمسيحي. وتأييد النضال للشعب الفلسطيني والمطالبة بتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة^(٢).

(١) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية. جمع جوليت حداد، ذات الأرقام: (١/١)

(٢٨/١٨)، (٦،٥)، (١٨/٧)، (٣٢)، (٥/٩)، (٢٢/١٠)، (٣٠/١٣)، (٣١)، (٢٨/١٨)،

(٤/٢١)، (٢٦/٢٦).

(٢) المرجع السابق (٧١).

وقد يصور بعض دعاة التّريب اليهودية خصماً مقابلًا للإسلام والنصرانية، غافلاً عما أثبتته القرآن العظيم من موالاة بين الملتين ضد الإسلام كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَيَنْتَفِئْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

• يقول محمد حسين فضل الله:

(وقد نلاحظ... أن اليهودية في عصرها الجديد، في حركتها الدينية أو السياسية، بدأت تتحرك للتخطيط لإسقاط الدينين معاً، والسيطرة على مواقعهما، وإفراغ مضمونهما من كل معنى حي يتصل بالقضايا الكبرى المفتحة على الله والإنسان والحياة كلها، وللعمل على إثارة المشاكل داخل كل منهما بالوسائل المخبرانية والسياسية والثقافية والاقتصادية، في كل ما يمثل الخطر على مصالحها المستقبلية التي تتحرك من أجل السيطرة على العالم)^(١).

وقد يفرط بعضهم في الأمانى فيتمنى أن يندد النصارى باليهود، أو على الأقل أن يتراجعوا عن بعض ما صدر منهم من بيانات إيجابية في حقهم. يقول صبحي الصالح مخاطباً متديّ يضم بعض المسلمين والنصارى في لبنان: (ألا ليتنا إذا نسعى جميعاً - يداً واحدة - على أن يجرد المجمع المسكوني تصريحاته المتكررة المتعلقة باليهود من كل لفظ أو مدلول يمكن أن يستغله الصهاينة لأغراضهم السياسية)^(٢).

لقد تمنى صبحي الصالح على المجمع المسكوني الفاتيكانى الثاني أن يخلي تصريحاته من أي جملة في صالح اليهود، وكان نداؤه هذا في الثالث من حزيران يونيو من عام ١٩٦٥م، آخر أعوام انعقاد المجمع،

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة.

(٢) عهد الندوة اللبنانية (٤٩٢).

وبعده بأقل من خمسة أشهر كان البابا بولس السادس يمهر بيان «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية»، تليه توقيعات آباء الكنائس في الثامن والعشرين من تشرين الأول أكتوبر من السنة ذاتها، وفيه يشيد البيان باليهود، ويمنحهم الخلاص، ويبرؤهم مما تعاقب النصارى عليه طوال القرون من تحميل اليهود خطيئة صلب المسيح، ويقدم لهم الاعتذار الحار، والاستنكار البالغ عما لحقهم من آلام واضطهاد، ويدعوهم إلى التلاقي على التراث الروحي المشترك بينهما، والتعاون والتقدير والحوار الأخوي^(١).

وبعد ذلك بحوالي ثلاثين عاماً، وعلى مرمى حجر من مقر الندوة اللبنانية التي أطلق فيها الشيخ صبحي الصالح أمانيه، ينسج بطاركة الشرق الكاثوليك - وعامتهم من النصارى العرب - على منوال المجمع الفاتيكاني الثاني، فيصدرون رسالة إلى رعاياهم عام ١٩٩١م تتضمن نداءً إلى اليهود: (نتوجه إليكم أنتم إخواننا اليهود)، ويكررون ذلك في الرسائل التالية^(٢).

ومن حلقات الموالاة بين طائفتي أهل الكتاب، والاعتذار عن الماضي أن الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية اعتذرت لليهود عن سكوتها عما تعرض له اليهود أثناء الحكم النازي لفرنسا، حيث لم يصدر عنها إدانة رسمية. والمعروف أن الكنيسة المذكورة نصحت أتباعها بالتعاون مع الحكومة التي يدعمها الألمان^(٣) وذهبت نداءات دعاة التقريب صيحة في واد، ونفخة في رماد.

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩ - ٦٣١).

(٢) انظر: الحضور المسيحي في الشرق: شهادة ورسالة (٤٦).

(٣) برنامج «عالم بلا حدود» هيئة الإذاعة البريطانية. ليلة الخميس الموافق (١) / ٦ / ١٤١٨ هـ - ١٠ / ٢ / ١٩٩٧ م.



باب الثاني

محاولات التقريب بين الأديان في العصر الحديث ونقدها

ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: المحاولات الفردية ونقدها.

الفصل الثاني: المحاولات الجماعية ونقدها.



الفصل الأول

المحاولات الفردية للتقريب

بين الأديان في العصر الحديث ونقدها

إن دعوة التقريب بين الأديان، التي ظلت فكرة منبوذة في معظم أطوارها التاريخية، لم تكن لتبلغ ما بلغت في العصر الحديث من الظهور والاستعلان إلا بجهودٍ حثيثة، ومساعٍ متواصلة على كافة الأصعدة، النظرية والعملية، حتى استحالَت إلى هدفٍ إنساني، وغاية حميدة، لدى كثيرٍ من الناس. ولم يعد دعائها يستحون من الجهر بها، أو يرفعون عن السعي في سبيلها.

وقد استشرفها في العصر الحديث أفرادٌ من المفكرين والمنظرين، فوسعوا قاعدتها، وفصلوا مجملها، ورسموا لها خططاً، وناقشوا عوائقها، وحاولوا بما أوتوا من قوىٍ علمية وعملية الدفع بها، وإقرارها بين المجتمعات الدينية المختلفة، على اختلاف نسبي بينهم في المقاصد والغايات، فألفوا ونشروا، وحاضروا وناظروا، وارتحلوا وظعنوا، وأسسوا المراكز، وعقدوا المنتديات بمبادرات فردية، وقناعات شخصية، ميزت جهودهم عن سائر الجهود الجماعية التي تبناها جمعيات أو حكومات أو هيئات عامة، يغلب فيها الجانب العملي على التنظير الفكري. ومن بين كثيرٍ من المحاولات الفردية الصادرة في العصر الحديث، بل العقود الأخيرة، تم اختيار بضع محاولات جمع أصحابها بين:

١ - الإنتاج الفكري في تقرير وتسويق الدعوة لتقارب الأديان.

٢ - الجهد العملي في نشر هذه الدعوة. وهي كما يلي:

١ - محاولات المفكر الفرنسي «روجيه جارودي».

٢ - محاولات الأب الأسباني «إيميليو غاليندو».

٣ - محاولات الكوري صن مون.

٤ - محاولات الشيخ أحمد كفتارو.

وتم استبعاد ما اقتصر على أحد الوصفين، دون الآخر، مثل جداليات الأب يوسف درة الحداد، التي أسماها «في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي»^(١)، وما جمع الوصفين لكن غلب عليه التمثيل الرسمي لجهة من الجهات، مثل محاولات البابا يوحنا بولس الثاني^(٢) ضمن محاولات الكنيسة الكاثوليكية.

(١) راجع الباب الأول مبحث حقيقة التقريب لدى الجدليين من النصارى العرب.

(٢) انظر: الفصل الثاني من هذا الباب.

المبحث الأول

محاولات روجيه جارودي للتقريب بين الأديان

تمثل محاولات الفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي Roger Garaudy» واحدة من أخطر المحاولات الفردية في العصر الحديث، وتحديدًا في العقدين الأخيرين، للتقريب بين الأديان. وتكمن خطورتها في كونها تتجاوز المحاولات التقليدية السائدة التي تدعو إلى فهم الآخر، واحترامه، والبحث عن نقاط الاتفاق والقيم المشتركة، إلى محاولة القضاء على مدلول «الإسلام الخاص» الذي جاء به محمد ﷺ، في سبيل بحث فكرة «الإسلام العام» أو «الإبراهيمية» التي تجمع - بزعمه - الإسلام والنصرانية واليهودية، بل ما هو أبعد من ذلك، بالانغمار في بحر الحكمة الذي يشمل الديانات الوثنية الأخرى؛ من هندوسية وبوذية وكونفوشية، وسائر ما أوحى به شياطين الإنس والجن، بدعوى أنها آثار نبوة سالفة، وبقايا وحي قديم، كما سنعرض لاحقاً.

ومما زاد الأمر خطورة أن صاحب هذه المحاولات عمل من خلال الانتماء للإسلام ودعوى اعتناقه، لا من موقع مقابل، يقتضي الحذر الفطري. وكان لما يتمتع به من مكانة عالمية في الفكر والفلسفة، وثقافة موسوعية، وتجارب فكرية مع مختلف الأيديولوجيات، أثرٌ كبير في تسويق آرائه الكفرية، واعتلائه أعلى المنابر الإسلامية، والاحتفاء به في سائر البلدان الإسلامية، بدوافع عاطفية، أو مصلحة فاسدة، افتقرت إلى التروي والأناة، والفحص والتدقيق.

وقد تقدم روجيه جارودي منذ أشيع نبأ إسلامه عام ١٩٨٢م

بمشروع واضح المعالم ضمنه كتاباته الأولى في مجال «الإسلام»، وظل أميناً له لم يحد عنه حتى هذه اللحظة، كما تنطق بذلك أخريات كتبه، من أجل تشكيل «إسلام معاصر» مؤهل للذوبان في بحر الوحدة العالمية التي يبشر بها روجيه جارودي النصراني، الماركسي، الصوفي، الوجودي... إلى ما شاء الباحث من ألقاب يتسع لها فكر هذا الفيلسوف.

وحينما زكمت رائحة زندقته الأنوف، ولم يستطع من كانوا يسترون سواته عن الأمة بأنواع التأويلات والمماحكات اللفظية، طمعاً في مصالح مزعومة موهومة، قيل إنه «ارتد» عن الإسلام! لكن الراسخون في العلم قالوا غير ذلك، وصدقوا، قالوا: (لا يحكم عليه بأنه «مرتد» عن دين الإسلام، كما توهمه بعضهم، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام)^(١).

وسوف نتناول دراسة هذه المحاولة الخطيرة، وصاحبها من خلال:

- ١ - تعريف موجز، وسيرة ذاتية لروجيه جارودي، وأطوار حياته، وما صاحب ذلك من إنتاج فكري وعملي.
- ٢ - دراسة مشروع روجيه جارودي الفكري للتقريب بين الأديان، والحضارات.
- ٣ - محاولات روجيه جارودي العملية للتقريب بين الأديان والحضارات.

(١) من بيان لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله في مجلة الدعوة عدد ١٥٨٣ الخميس ١ ذي الحجة عام ١٤١٦ هـ الموافق ١٨ أبريل عام ١٩٩٦ م (١٤ - ١٥).

أولاً: السيرة الذاتية لروجيه جارودي:

■ ولد روجيه جان شارل جارودي في السابع عشر من شهر يوليو عام ١٩١٣م في مدينة مرسيليا الفرنسية، لأسرة عاملة لا تنتمي إلى دين، ثم اعتنق البروتستانتية وانضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي في سنة واحدة ١٩٣٣م، دون أن يرى في ذلك تناقضاً. يقول واصفاً تلك المرحلة: (... لم أكن في يوم من الأيام ملحداً حتى عندما كنت عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في عام ١٩٣٣م، لقد كنت في الوقت نفسه رئيس الشبان المسيحيين البروتستانت، وانتسبت للحزب الشيوعي كمسيحي، هذا اتفاق مع النظرية التي تقول: إن الشيوعية إنجاز نصراني لمعالجة القضية الاقتصادية، وفي الحقيقة لم أكن مسيحياً بالميلاد، لأن أبواي لم يكونا كذلك، لقد كانا ملحدين، ليس بسبب ارتباطهما بالشيوعية أو أي مذهب آخر، ولكنهما كانا من الأجيال التقليدية...

في عام ١٩٣٣م عانت أوروبا من أزمة كبيرة، استمرت حتى عام ١٩٣٩م، وهي الفترة نفسها التي شهدت صعود هتلر إلى السلطة، وشهدت اختياري الأول - وكنت في هذه المرحلة لا أزال طالباً - ويرجع السبب في اختياري النصرانية إلى رغبتني في أن أعطي لحياتي معنى في وقت كنا نعتقد - لشدة الأزمة - أننا نعيش نهاية العالم.

أما الشيوعية، فقد كانت الاختيار الوحيد الذي يطرح بديلاً للخروج من أزمة الرأسمالية، كما أنه أفضل جبهة تقاوم هتلر والنازية في هذه الفترة^(١).

■ وفي عام ١٩٣٦م حصل على إجازة «الفلسفة» بعد دراسة في

(١) من مقابلة مع مجلة الأمة. العدد ٢٩ جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ، فبراير عام ١٩٨٣م.

كلية الآداب بأكس، ثم ستراسبورغ، فعين مدرساً للفلسفة في مدرسة «البي».

■ وفي عام ١٩٣٧م انتخب عضواً في فيدرالية تارن الشيوعية. وحين عصفت رياح الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، واحتلت ألمانيا الهتلرية فرنسا، وأقامت حكومة موالية لها، كان جارودي جندياً في الجزائر التي كانت مستعمرة فرنسية، فاعتقل بسبب نشاطه الثوري المعادي للهلترية، ونفي إلى معتقل في منطقة «جلفا» في الصحراء الجزائرية، وذلك عام ١٩٤٠م، فكان أول اتصال له بالإسلام. ويصف جارودي حدثاً رسخ في ذاكرته تلك الفترة، وظل يردده في كتبه ومقابلاته، فيقول: (بقيت رهن الاعتقال حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في معسكر بمنطقة جلفا بالصحراء الجزائرية. وهناك وقع حادث عجيب فعلاً، فقد تزعمت تمرداً في معسكر الاعتقال، وأجرى الكوماندور الفرنسي، قائد المعسكر، محاكمة سريعة، وأصدر حكماً بإعدامي رمياً بالرصاص، وأصدر أوامره بتنفيذ ذلك إلى الجنود الجزائريين المسلمين، وكانت المفاجأة عندما رفض هؤلاء تنفيذ إطلاق النار، ولم أفهم السبب لأول وهلة، لأنني لا أعرف اللغة العربية، وبعد ذلك علمت من «مساعد» جزائري بالجيش الفرنسي كان يعمل في المعسكر أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسانٍ أعزل... وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث الهام في حياتي. وقد علمني أكثر من دراسة عشر سنوات في السوربون.

وعندما أطلق سراحني، بقيت في الجزائر مدة عام، وخلالها التقيت برجلٍ عظيم، كان له أكبر الأثر في نفسي، هو الزعيم الإسلامي الشيخ البشير الإبراهيمي^(١) - رئيس رابطة العلماء المسلمين الجزائريين...

(١) البشير الإبراهيمي: ولد عام ١٨٨٩م في قرية «سيدي عبد الله» من نواحي=

وفي مقر الشيخ الإبراهيمي لاحظت صورة كبيرة لرجل مهيب، ولأول مرة أتعرف على صاحبها، عندما شرح لي الشيخ البشير جوانب من حياة الأمير عبد القادر الجزائري^(١) - عدو فرنسا - كبطل محارب، وعابد ناسك، بل واحد من أعظم أبطال القرن التاسع عشر...

ويعتبر هذا الدرس - من الشيخ الإبراهيمي بالنسبة لي - المرة الثانية التي ألتقي فيها بالإسلام^(٢).

وقد اختتم جارودي هذا اللقاء بالإسلام بتأليف كتاب، لعله أقدم

= «سطيف»، التابعة لمدينة قسنطينة في الجزائر. وتلقى تعليمه الأولي على والده وعمه فحفظ القرآن، ودرس بعض متون الفقه واللغة. وتابع تعليمه في المدينة النبوية عام ١٩١١م، وتعرف فيها على الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما زار المدينة عام ١٩١٣م. وارتحل إلى دمشق عام ١٩١٦م للتدريس، وشارك في تأسيس المجمع العلمي، وعاد إلى الجزائر عام ١٩٢٠م، وأسس مع ابن باديس جمعية العلماء عام ١٩٢٤م، وصار نائباً لرئيسها، واشتغل بالدعوة، ونشر العلم الشرعي، ومناظرة البدع، والاستعمار الفرنسي، حتى نفته فرنسا عام ١٩٣٩م إلى بلدة «أفلو» الصحراوية، ولم يفرج عنه إلا عام ١٩٤٣م. وانتخب رئيساً للجمعية بعد وفاة ابن باديس عام ١٩٤٠م وهو في المنفى. وقد اعتقل ثانية عام ١٩٤٥م، وأفرج عنه بعد سنة. أصدر مجلة «البصائر» نقد فيها فرنسا وعملاءها. توفي ﷺ عام ١٩٦٥م انظر: مجلة البيان عدد ١٣ ذي الحجة ١٤٠٨هـ (١٣ - ١٥).

(١) عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسيني الجزائري (١٢٢٢ - ١٣٠٠هـ)، أمير مجاهد من العلماء الشعراء البسلاء. قاتل الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر عام (١٢٤٦هـ - ١٨٤٣م) خمسة عشر عاماً، حتى استسلم سنة (١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م) بعد مهادنة سلطان المغرب إياهم، فنفي إلى طولون، ثم إلى أنبواز في فرنسا، وأطلقه نابليون الثالث على أن لا يعود إلى الجزائر، فاستقر في دمشق، وتوفي فيها، من آثاره: ذكرى العاقل، ديوان شعر، والمواقف في التصوف. انظر: الأعلام (٤/٤٥ - ٤٦).

(٢) المرجع السابق.

كتبه على الإطلاق، عنوانه «الإسهام التاريخي للحضارة العربية الإسلامية»، بعد إطلاق سراحه عام ١٩٤٣م، وأثناء عمله في مدرسة «دولاكروا»، وإدارته لمجلة «الحرية» في الجزائر، وقد طبع لاحقاً عام ١٩٤٦م. ثم طوى ذكر «الإسلام» وعاد إلى موطنه عام ١٩٤٤م.

وهكذا وُضعت بذور الاتجاهات الثلاثة المتغايرة؛ الماركسية، والنصرانية، والإسلام، في عقل هذا المفكر في العقود الثلاثة الأولى من عمره (١٩١٣ - ١٩٤٣م) لتنمو وتظهر في فترات لاحقة، تخلل بعضها «بيات شتوي» ربما كان عفوياً، وربما كان مبيتاً.

■ أما المرحلة التالية، فقد امتدت من عام ١٩٤٤م إلى عام ١٩٧٠م، وهي الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وشهدت سباقاً محموماً بين المعسكرين الشرقي، بقيادة الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية «حلف وارسو»، والمعسكر الغربي، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا «حلف الأطلسي»، أو ما عرف بالحرب الباردة، وعلى الصعيد الفكري: الصراع بين الفكر الشيوعي والرأسمالي، فكان روجيه جارودي من أقطاب الفكر الشيوعي ومنظريه خلال هذه الفترة، فتفرغ لخدمة الحزب الشيوعي الفرنسي بعد عودته من الجزائر، على مستويين:

• فعلى مستوى العمل الحزبي: انتخب نائباً في البرلمان عن منطقة تارن للفترة ١٩٤٥ - ١٩٦٢م، وعضواً في مجلس الشيوخ كممثل لمنطقة السين عام ١٩٥٩م لمدة ثلاثة سنوات.

كما طاف معظم دول أمريكا اللاتينية عام ١٩٤٩م، واتصل بالحركات الثورية هناك، وأمضى عاماً في الاتحاد السوفيتي كمراسل لجريدة «هيومانيتيه» ١٩٥١م. وزار كوبا الشيوعية عام ١٩٥٤م، ثم الولايات المتحدة عام ١٩٥٥م.

كما أسس في مطلع الستينيات «مركز الدراسات والبحوث الماركسية» التابع للحزب الشيوعي الفرنسي وأداره عشر سنين.

• وعلى المستوى الفكري: أعد رسالتي دكتوراه، إحداهما في جامعة السوربون الفرنسية بعنوان «النظرية المادية في المعرفة» عام ١٩٥٣م، والثانية في معهد الفلسفة في أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي بعنوان «الحرية» عام ١٩٥٤م.

كما أصدر أكثر من عشرين كتاباً في الفكر الماركسي، والاشتراكية الفرنسية، على مدى عشرين سنة، ينافح فيها عن الشيوعية ويمجد رموزها. إلا إن بيان الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي الرئيس خروتشوف، في المؤتمر العشرين للحزب عام ١٩٥٦م، سبب له صدمة عنيفة بسبب ما كشف من جرائم ستالين، وممارسات الحزب الوحشية، فاتسمت مؤلفاته الأخيرة بروح النقد والاحتجاج، مثل:

«هل يمكن للمرء أن يكون شيوعياً في يومنا هذا؟» عام ١٩٦٨م، «منعطف الاشتراكية الكبير» عام ١٩٦٩م، فيما عرف بتجديد الفكر الماركسي، مما أدى إلى تفاقم خلافاته مع الحزب الشيوعي الفرنسي، فوضع حداً لذلك بتأليف كتابه «الحقيقة كلها» عام ١٩٧٠م، وتم فصله من الحزب. وقد كان وقع ذلك شديداً عليه إلى الحد الذي جعله يفكر في الانتحار^(١).

أما المرحلة التالية التي أعقبت تحرره من الأسار الحزبي، فكانت بداية مشروعه الوحدوي العالمي لتوحيد الأديان والثقافات والفلسفات المختلفة، الذي نحن بصدد مناقشته، فأكب على دراسة الكتب المقدسة

(١) انظر: روجيه جارودي، والمشكلة الدينية. محسن المليي. تقديم: روجيه جارودي. دار قتيبة. بيروت - دمشق. الطبعة الأولى عام (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م). (٣٢).

لدى مختلف الطوائف، وعمل على إحياء التراث الروحي للثقافات غير الأوربية من كونفوشية وطاوية وهندوسية وبوذية بالإضافة إلى اليهودية والإسلام. وأصدر في تلك الفترة التي شغلت عقد السبعينيات عدة كتب في هذا الاتجاه: «البديل» عام ١٩٧٢م، ويتضمن تحليلاً لدور الدين في التغيير، كما يحتوي بعض إرهابات مشروعه المستقبلي المتمثل في «حوار الحضارات»، و«مشروع الأمل» عام ١٩٧٦م، و«في سبيل حوار بين الحضارات» عام ١٩٧٧م، و«نداء إلى الأحياء» عام ١٩٧٩م. وخلال هذه الفترة أسس روجيه جارودي «المعهد الدولي للحوار بين الحضارات» في جنيف عام ١٩٧٤م، ويصف فكرته قائلاً: (قمت بالتعاون مع مسؤول منظمة اليونسكو بتأسيس «المعهد الدولي لحوار الحضارات» بهدف إبراز دور البلاد غير الغربية، وإسهامها في الثقافة العالمية، حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب، أو «المونولوج» الذي يقوم على وهم عقدة تفوق الإنسان الغربي. وقمت بنشر عدة كتب في هذا المجال تبرهن أن الحضارة الغربية التي تمجد الفردية، وتبتر من الإنسان أبعاده الإنسانية، وتفصله عن السمو الروحي، وتغتال الفكرة الجماعية، وتضع حاجزاً بين العلم والتقنية من ناحية، وبين الحكمة من ناحية أخرى، هذه الحضارة قد استنفدت أغراضها، ولم تعد لها ضرورة^(١)).

وقد ظل جارودي يردد هذه المعاني دون انقطاع، ووجد في الحضارة الإسلامية التي ألقت بين العلم والعقيدة ضالته، فطفق يشيد بها، ودخل من بوابة الأندلس إلى عالم الإسلام الرحيب، معجباً بمآثره الحضارية؛ الثقافية والاجتماعية والمعمارية والروحية، وقدرة هذا الدين على استيعاب الآخرين وإدماجهم في مجتمعه، ورأى - بصورة انتقائية -

(١) من مقابلة مع مجلة الأمة عدد ٢٩ جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ فبراير عام ١٩٨٣م.

في بعض أصوله، وتراث بعض أتباعه والمتسبين إليه، ما يمثل إطاراً للحلم الذي ظل يداعب مخيلته الشمولية في وحدة العالم. وبذلك يكون جارودي قد تهيأ لولوج مرحلة جديدة في نظر الآخرين، وهي المرحلة الإسلامية، وإن كان لا يراها هو بنفس المنظار كما سيتبين.

■ في مطلع الثمانينيات، وبعد اطلاع واسع على التراث الروحي والحضاري لمختلف الأمم والشعوب التي تقطن أركان الأرض، من خلال مشروع «الحوار بين الحضارات» أصدر جارودي كتابين عن «الإسلام»:

أحدهما: «ما يعد به الإسلام» أو «وعود الإسلام» عام ١٩٨١م.

والثاني: «الإسلام دين المستقبل» أو «الإسلام يسكن مستقبلنا» عام ١٩٨٢م، ينتقد فيهما النظرة الغربية الإقصائية والتشويهية للإسلام، ويكشف عن قدرته على حل مشاكل العالم الراهنة، ولكنهما حملاً أيضاً انحرافات فكرية خطيرة ظلت تصاحب جارودي في كتاباته التالية، حتى أيامنا هذه. وإثر صدور هذين الكتابين أعلن نبأ اعتناق روجيه جارودي الإسلام عام (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م). ولكنه دأب على إنكار أن يكون قد وقع له «تحويل» Conversion بالمعنى المعهود، بل يدفع هذه الفكرة في العديد من كتبه ومقابلاته الصحفية، فعلى سبيل المثال: (يقول البعض عني اليوم بأنني اكتشفت الدين مؤخراً. ليس صحيحاً. الدين كان حاضراً في وعيي منذ البداية. الدين كإيمان جوهري، لا كنصوص حرفية وطقوس محددة... لقد لازمني هذا الإيمان في أشد مراحل التزامي بالماركسية)^(١). ويقول: (إن تحولي نحو الإسلام لم يكن محطة في طريق، بل كان الطريق كله)^(٢). وهذا ملحظ ينبغي أن

(١) المرجع السابق (١٢٢).

(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف العربي. ديسمبر عام ١٩٨٧م.

يتفطن له من يذيع البشائر بإسلام جارودي بعبارات لا يرتضيها جارودي نفسه ولا يقرها.

وإثر إعلان نبأ إسلامه قام جارودي ببعض الخطوات «الإسلامية»:

■ تزوج السيدة «سلمى بنت نور الدين التاجي الفاروقي» في نهاية شهر رمضان من العام التالي لإسلامه ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م. وهي فلسطينية مقيمة في جنيف، التقت به في ندوة عامة، وحاورته في كثير من آرائه حول الحضارة الغربية والدين الإسلامي^(١). وكان لها دورٌ في إشهار إسلامه مع الدكتور مدحت شيخ الأرض في المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف. وقد رافقته في العديد من رحلاته إلى البلدان العربية، وقامت بدور المترجم في المؤتمرات والمقابلات واللقاءات التي أجراها. يقول عنها جارودي: (رأيت فيها صورة حية للإسلام وسط محيط أوروبي. صحيح أنني زرت عدة بلاد إسلامية... ولكنني لم أكن أقرب كثيراً من العلاقات الحياتية للإنسان المسلم)^(٢).

■ أدى مناسك العمرة عام ١٩٨٣م برفقة زوجته.

■ زار كلاً من لبنان وسوريا في مارس عام ١٩٨٤م، والتقى الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا، وألقى بعض المحاضرات.

■ شارك في «المؤتمر الأول للمسلمين الأوروبيين» في مدينة «إشبيلية»، في الفترة ١٩ - ٢١ يوليو عام ١٩٨٥م، وأصدر «ميثاق إشبيلية» الذي ضمنه بعض انحرافات الفكرية تجاه الإسلام.

■ زار عدداً من دول الخليج العربي، والمملكة العربية السعودية

حيث حضر:

(١) انظر: روجيه جارودي. من الإلحاد إلى الإيمان. (٣٩ - ٤٠).

(٢) من مقابلة مع مجلة الأمة. عدد (٢٩) جمادى الأولى ١٤٠٣هـ فبراير ١٩٨٣م.

١ - المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي حول «الأقليات المسلمة في العالم»، المنعقد في الرياض في الفترة ١٢ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ - ٢٧ يناير ١٩٨٦م، وشارك فيه بإلقاء محاضرة بعنوان: «دور الاستراتيجية الصهيونية في الصراع العقائدي في الغرب، وكيفية مواجهته»^(١). مساء يوم ١٦/٥/١٤٠٦هـ.

٢ - احتفالات مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمناسبة عشرة أعوام على إنشائها، وتسليمه جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٦هـ، مناصفة مع الشيخ الداعية: «أحمد حسين ديدات» من جنوب أفريقيا. وقد جاء قرار الأمانة العامة للجائزة، مسوغاً منحه إياها بثلاثة أسباب:

أ) - إصداره الكتب التي تبرز صورة أمينة للإسلام. مثل «الإسلام يسكن مستقبلنا» و«وعود الإسلام»...

ب - دفاعه عن فلسطين وأهلها دفاعاً مجيداً في مواقفه المختلفة...

ج - مشاركته في العديد من المؤتمرات العالمية التي يوازن فيها بين الحضارات، وينوه بالمبادئ والأصول الإسلامية، ويؤكد أن التزامها كفيل بالوصول إلى الخلاص من الولايات التي تهدد العالم^(٢).

كما ألقى محاضرة بعنوان «كيف أسلمت» مساء اليوم الأول من رجب عام ١٤٠٦هـ.

■ زار مصر في أغسطس عام ١٩٨٦م، وحاور علماء الأزهر.

■ شارك في الملتقى الإسلامي في الجزائر حول الإسلام والعلوم

(١) انظر نص المحاضرة في المجلد الثالث لأعمال المؤتمر (١٣٧٤ - ١٣٥٩).

(٢) مجلة الفيصل. عدد (١٠٧) (١٤٠ - ١٤١).

الإنسانية، المنعقد في مدينة «سطيف» عام ١٩٨٦م، وطرح بعض أفكاره الشاذة، ونوقش من قبل بعض العلماء المشاركين^(١).

■ أسس مركزاً للدراسات والبحوث الإسلامية، ومتحفاً في القلعة الحرة، الواقعة قريباً من جامع قرطبة، عام ١٩٨٦م.

■ وخلال هذه الفترة ألف عدداً من الكتب التي تحمل فهمه وتصوره عن الإسلام ومستقبله منها: «المسجد مرآة الإسلام» عام ١٩٨٤م، «الإسلام وأزمة الغرب» عام ١٩٨٥م، «من أجل إسلام القرن العشرين» أو «ميثاق إشبيلية» عام ١٩٨٥م، «الأصوليات المعاصرة» عام ١٩٩٠م، «هل نحن بحاجة إلى الله» عام ١٩٩٣م، «الإسلام» عام ١٩٩٦م، «نحو حرب دينية. جدل العصر» عام ١٩٩٦م. وإلى جانب هذه الكتب أصدر في مرحلته «الإسلامية» هذه جملة من الكتب المناهضة للصهيونية ودولة إسرائيل من أهمها:

١ - كتاب «ملف إسرائيل» أو «قضية إسرائيل والصهيونية السياسية» عام ١٩٨٢م. وقد امتنعت كثير من دور النشر الكبرى التي دأبت على التنافس على طبع كتبه، عن نشره. وأتبعه بالتوقيع على بيان مشترك مع

(١) في (الملتقى الإسلامي العشرون) في مدينة سطيف في الجزائر أغسطس عام ١٩٨٦م عرض جارودي أمام علماء المسلمين خمس نقاط خطيرة:

- ١ - تطوير التشريع الإسلامي للائم العصر.
- ٢ - مهاجمة العصر الأموي والعباسي.
- ٣ - الإشادة بـ «سارتر» والفكر الوجودي، والدعوة للأخذ منه في بناء منهج إسلامي للعلوم الإنسانية. وكذلك ماركس وأفكاره.
- ٤ - تحسين التصوف، وتمجيد القائلين بالحلول ووحدانية الوجود.
- ٥ - دعوته إلى الموسيقى.

وقد هزت هذه المحاضرة دوائر الملتقى، وطلب الرد عليه سبعة وثلاثون باحثاً، ونصح بعدم الخوض فيما لا يعرف، وأن يقتصر على فضح الحضارة الغربية، انظر: تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة (١٧٥ - ١٧٦).

الأب ميشال لولون، والقس إيتان ماتيو، نشر في جريدة «اللوموند» الفرنسية الواسعة الانتشار، بعنوان «معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان»، فقامت منظمة صهيونية برفع دعوى ضد موقعي البيان، ومدير الجريدة، بتهمة معاداة السامية، والتحريض على العنصرية. ودامت المحاكمة أشهراً، وحسنت لصالح جارودي ورفاقه بالحكم بأن: (انتقاد الصهيونية شيء لا علاقة له باللاسامية، ولا بمعاداة اليهود، لأن اليهودية دين سماوي، أما الصهيونية فهي حركة سياسية)^(١).

٢ - كتاب: «فلسطين مهد الرسالات السماوية» ١٩٨٦م، وهو يمثل دراسة تاريخية موثقة لفلسطين تبطل المزاعم الصهيونية بـ «الحق التاريخي» لليهود في فلسطين. كما يحمل فكرة «الإبراهيمية» التي ظل يعمل من أجلها.

٣ - كتاب: «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» عام ١٩٩٦م يحتوي على ثلاثة فصول: الأساطير اللاهوتية، أساطير القرن العشرين، الاستخدام السياسي للأسطورة، مع مقدمة وخاتمة. هاجم فيها الأسس الدينية والتاريخية والمعاصرة التي قامت على أساسها دولة إسرائيل، وخرافات الإبادة الجماعية لليهود على يد النازية.

وكان اللوبي اليهودي في فرنسا قد نجح عام ١٩٩٠م في استصدار قانون، عرف بقانون «جيسو فايوش»، يعتبر أن «إعادة النظر في تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية»^(٢). وبالتالي قدم جارودي للقضاء إثر صدور هذا الكتاب، وقضت محكمة الجزاء الفرنسية في باريس يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٩٨م بتغريمه مبلغ ١٢٠ ألف فرنك فرنسي (٣٠ ألف

(١) انظر: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٣٠ - ٣٣ ١٠٥ - ١١٣).

(٢) انظر: مقدمة الطبعة العربية لكتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»

لناشر حمدان جعفر. مدير عام دار الغد العربي (٨).

دولار)، بموجب ذلك القانون^(١).

وبعد، فهذه معالم بارزة في شخصية هذا الفيلسوف المفكر الذي يصدق عليه الوصف «مالي الدنيا وشاغل الناس»^(٢). وقد نيف عمره الآن على الخامسة والثمانين سنة، ولم يزل يثير الجدل والنقاش حول أمهات القضايا بقلم سيال، وفكر وثاب، حتى بلغ ما ألفه من الكتب أكثر من خمسة وخمسين كتاباً، سوى المقالات والمحاضرات. تُرجم بعضها إلى أكثر من اثنتين وعشرين لغة عالمية، وسائرهما إلى ثلاث لغات على الأقل، هذا مع المواقف العملية الملتزمة تجاه ما يعتقد، كما كُتب عنه أكثر من ثلاثين كتاباً^(٣).

فهل أسلم روجيه جارودي حقاً؟ وهل وصل بعد «جولته وحيداً هذا القرن»^(٤) إلى بر الأمان، وذاق حلاوة الإيمان، وبرد اليقين، كما

(١) انظر الصحف الصادرة في ٢٨ فبراير عام ١٩٩٨م، ومجلة «العالم» العدد، الأول صفر ١٤١٩هـ يونيو ١٩٩٨م (٢٤).

(٢) انظر في ترجمته وتحليل أبعاد شخصيته:

* غارودي - سلسلة أعلام الفكر العالمي. تأليف سيرج بيروتينو. ترجمة منى النجار «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» ١٩٨١م.

* روجيه جارودي والمشكلة الدينية. تأليف محسن الميلي. قتيبة - بيروت ١٤١٣هـ. وقد امتدح جارودي نفسه هذه الدراسة، وفضلها على تسع عشرة أطروحة عنه.

* مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية. المبحث العاشر (٣٤٢ - ٣٨٢). تأليف د. محمد بن عبد الله السحيم. دار الفرقان - الرياض ١٤١٧هـ وغيرها.

(٣) انظر مسرداً تفصيلياً بأعمال جارودي والدراسات التي تناولته في ذيل كتابيه الجديدين:

* الإسلام، نحو حرب دينية: جدل العصر. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٩٦م. وكذلك في ذيل كتاب روجيه جارودي والمشكلة الدينية.

(٤) اسم كتاب لجارودي صدر عام ١٩٨٩م.

يعبر بعض الصحفيين المسلمين؟ وهل تخلى روجيه جارودي عن ماركسيته؟ وقبل ذلك هل تخلى عن نصرانيته؟

والجواب عن هذه الأسئلة: ندعه لجارودي نفسه، من خلال تصريحاته، وأجوبته على أسئلة الصحفيين. ومن شواهد ذلك:

■ قال في مقابلة مع جريدة «البعث» السورية في ٢٥/٣/١٩٨٤م:

(إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأنني أتخلى عن مسيحياتي، ولا عن ماركسياتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضاً أو مبتدعاً)^(١).

■ قال في مقابلة مع جريدة تشرين السورية في ٢٥/٣/١٩٨٤م:

(أحب هنا أن أؤكد بأنني لم أدر ظهري للماركسية على الإطلاق، ولم أقل ذلك... إنني أشعر وأنا أعيش تجربتي، ومسيرة حياتي، ورحلتي منذ ١٩٣٣م حتى الآن، بأن إيماني بالإسلام هو إنجاز وليس انشقاقاً، في الوقت الذي لا أنكر فيه المسيح ولا ماركس^(٢)، ولا قضية حياتي المركزية. وأنا سعيد الآن وأنا في السبعين من عمري لأنني بقيت مخلصاً لأفكاري)^(٣).

أما ثناؤه على ماركس والماركسية فلم ينقطع، ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبه الأخيرة ومقابلاته، من جنس قوله: (... ماركس هو أحد كبار مفكري القرن التاسع عشر، وهو رجل عبقرى كان يملك

(١) عن: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٢٠٠).

(٢) ماركس (كارل) (١٨١٧ - ١٨٨٣): ولد في تريف (ألمانيا)، من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية. حرر «البيان الشيوعي» بالتعاون مع «إنغلز»، وأسس «الدولية الأولى». له «رأس المال» وهو عرض لنظريته، أصبح فيما بعد دستور الماركسية والنظام الشيوعي. المنجد في الإعلام (٦٢٦).

(٣) المرجع السابق (١٨٩).

القدرة على التفكير والعمل... الماركسية أساساً هي منهجية الابتكار التاريخي، أي أنه في الوقت نفسه يجتمع العلم والفن لتحليل المتناقضات في مجتمع ما، وفي زمن محدد، وانطلاقاً من تحليل هذه المتناقضات يتم اكتشاف البرنامج والخطة الجديدة بتجاوز هذه المتناقضات، هذه هي روح الماركسية التي تمثل ما قدمه «ماركس» من إنتاج خالد^(١).

وظل جارودي يشيد بأفكار ماركس الاقتصادية، ويلقي باللائمة على الأتباع الذين أخطأوا التطبيق، وخانوا الماركسية، من السوفييات، وفي واحد من أخريات كتبه قبل سنوات^(٢).

لقد ظل جارودي أميناً لعقيدته ذات الوجهين (الماركسي - البروتستانتي) ولم يحد عنها، ففي كتاب من أحدث كتبه، صدر عام ١٩٩٦م يشير جارودي إلى إبرام اتفاقٍ ثنائي بينه وبين أحد كبار لاهوتيّ التحرر^(٣) في أمريكا اللاتينية، فيقول: (إن اللقاء بين «دوم هلدز كامارا» وبينني يؤذن بمرحلة عظيمة من حياتي. ويعود هذا اللقاء بالضبط إلى ٢٩ أيار ١٩٦٧م. كنت حينئذٍ عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان هو رئيساً لأساقفة «ريسيف» في البرازيل. وكنا نشترك في جنيف في إحياء ذكرى الرسالة البابوية «السلام في الأرض». ومنذ هذا اللقاء الأول قامت بيننا وحدة أخوية ولم تزل...).

(١) من مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م. عن روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٧٨ - ١٧٩).

(٢) انظر: كتابه «نحو حرب دينية» (٥٤ - ٧٢).

(٣) «لاهوت التحرر» يطلق هذا المصطلح على الحركة الكنسية التي قام بها أساقفة أمريكا الجنوبية انطلاقاً من البرازيل في مطلع الستينيات حتى اجتاحت القارة كلها. وهي تنادي بتحرير الفقراء والوقوف مع المضطهدين، وانخراط الكنيسة في مجتمعات الفقراء الريفية الكادحة، مع حملة تعليمية ورعاية اجتماعية، كُونت ما عرف بـ «جماعات الكنيسة القاعدية». انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. سعود المولى (٩٤ - ١١٤).

يروى «دوم هلدري» في كتابه «Les Conversions d'un eveque» كيف بدأت علاقاتنا بـ «اتفاق»: روجيه، ليتنا نعقد اتفاقاً؟ أما أنت، فأنا أكلفك شيئين... اعمل بحيث يكف الماركسيون عن الربط بالضرورة بين الدين والاستلاب^(١). هذه هي النقطة الأولى. ومن ناحية أخرى، أظن أن هناك علاقة ضرورية بين الاشتراكية والمادية، أم أن من الممكن، كما أعتقد أنا؛ أن يكون المرء اشتراكياً حقاً دون الانتماء إلى المادية الجدلية؟

أنا أتعهد، من جانبي، أن أبذل وسعي، وبأن أوسط أشخاصاً آخرين أعظم نفوذاً مني، ليحصلوا من الكنيسة على قبول الاشتراكية... لقد قبلت بالفعل، دون تحفظ، مطلبني «دوم هلدري»، وطلبت منه فقط ألا تستأنف عبارة البابا «بي الثاني عشر»: «الشيوعية فاسدة جوهرياً».

إن الرأسمالية بما فيها من مزاحمة الجميع، ضد الجميع، هي الفاسدة جوهرياً. والشيوعية والاشتراكية ليستا فاسدتين، إلا عندما يخونهما أنصارهما ذاتهم.

وهكذا أبرم الاتفاق، وما لبث أن وضع موضع التطبيق: ففي عام ١٩٧٠م، وبعد المؤتمر الأسقفي في «ميدلان» ١٩٦٨م، كتب دوم هلدري كامار أول كتابٍ حاسمٍ «لولب العنف»...

في السنة نفسها التي ظهر فيها «لولب العنف» لدوم هلدري كامارا ١٩٧٠م، أبعدت من الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كنت أحد قادته ومنظريه، لأنني قلت إن الاتحاد السوفيتي ليس بلداً اشتراكياً، كان ذلك

(١) «الاستلاب» بمعنى السلبية. أي كون الدين يثمر «السلبية» على حدة عبارة الشيوعيين «الدين أفيون الشعوب»، ويستعمل هذا المصطلح غالباً في مقابل «التحرر».

منذ أربعة وعشرين عاماً. لقد كنا نفي بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا، رغم العقبات. ولم نزل.

من ناحيتي، أظهرت، أثناء الحوارات المسيحية الماركسية التي كنت المنظم لها منذ ١٩٦٠م^(١)، وفي كل كتبي ومقالاتي حول الماركسية، أن الإلحاد لم يكن مكوناً ضرورياً من مكونات الاشتراكية ولم يقيم ماركس قط بنقدٍ فلسفي للدين، بل قام بنقدٍ سياسي^(٢).

تلك هي اعترافات جارودي إثر إشهار إسلامه بقرابة اثني عشر عاماً، يسوقها دون أن يجد في ذلك تناقضاً مع إسلامه الذي حاكه وفق قناعاته العقلية التي يرتضيها، لا كما أنزل على رسوله محمد ﷺ، ودون أن يرى أنه يفشي بذلك سرّاً، فقد دأب على ترديد عبارات الاستمساك بماضيه طوال الفترة اللاحقة لإسلامه المزعوم، وفي عقر دار المسلمين.

فهل يبقى شك عند مسلم أن الرجل لم ينعقد من ماضيه، ولم يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، بل أسلم وجهه إلى عقله وهو مسيء، فاختر ما راق له من أصول الإسلام العظام، وأعرض عما لا يوافق مشروعه العقلي، تماماً كما صنع المتكلمون والفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام من قبله.

ومما يلفت النظر أن «شهادة إشهار إسلام» جارودي الصادرة عن المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف في ١١/٩/١٤٠٢هـ، الموافق ٢/

(١) لا يغيب عن فطنة القارئ أن هذا التاريخ يسبق تاريخ الاتفاق المشار إليه سابقاً بسبع سنين مما يدل على أن الفكرة كانت معتمدة لديه من قبل، ولا تفتقر إلى إبرام اتفاق.

(٢) نحو حرب دينية. جدل العصر. روجيه جارودي. مقدمة: ليوناردو بوف. ترجمة: صياح الجهيم. دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع (٥١ - ٥٤).

١٩٨٢/٧م، خلت من توقيع صاحب الشأن، وحملت توقيع الشاهدين فقط^(١). وفي ظني أن جارودي لا يستسيغ مثل هذه الإجراءات النمطية الشكلية، وأنه لم ير ذلك النموذج، أو رآه واستنكف أن يوقع عليه، بدليل أن النموذج يشير إلى أن دينه السابق هو «الكاثوليكية» وذلك خطأ واضح، إذ أخبر عن نفسه كما تقدم أنه قد اعتنق «البروتستانتية» عام ١٩٣٣م، بعد أن لم يكن «مسيحياً بالميلاد» كما قال.

وهذه النصوص التي سقناها آنفاً من كلامه عن نفسه كفاحاً، كافية للحكم عليه، أما تفاصيل مشروعه التوحيدي بين الأديان والوثنيات، ومفهومه للإسلام فبابٌ من أبواب الكفر واسع، وهو ما نعرض له الآن.

ثانياً: مشروع روجيه جارودي الفكري للتقريب بين الأديان:

خلافًا لسائر المحاولات السائدة للتقريب بين الأديان التي تجري على حذر، وتتحاشى المساس بالمعتقدات الأساسية لدين ما، أو تكتفي بمعالجة جانبية لموضوع من الموضوعات المشتركة بين ديانتين أو أكثر، تمثل محاولة المفكر الفرنسي روجيه جارودي مشروعاً فكرياً ذا صفة شمولية، واقتحامات جريئة لحدود الأديان، في سبيل تجميع تلك الحدود ضمن أطر قيمية، ومنظومة عالمية وحدوية تستوعب كافة الحضارات والديانات والتقاليد، متخذة من «الإسلام» الذي صاغه جارودي، المعجى الكبير الذي تصب فيه مختلف الروافد، وتمتزج به.

ويتضح ذلك عندما يتحدث جارودي عن بواعث اعتناقه للإسلام، فيقول: (إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية

(١) انظر: صورة من الشهادة في كتاب: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان

في فكر ورأي النبي ﷺ^(١)، كانت إقامة ما نسميه اليوم «وحدة فيدرالية» للطوائف الدينية. لكن حصل أن هذا الأمر لم يتحقق أبداً في التاريخ، لا في المسيحية، ولا في اليهودية أو في الإسلام. لكن أعتقد أن هذه المعادلة قابلة للعيش والاستمرار، أي أن تصل بنا إلى روابط الجماعة، وروابط الأرض، وروابط السوق المشترك، وحتى روابط الماضي والثقافة، وإقامة كل شيء على أساس المستقبل، أي على الإيمان المشترك بمعناه الأرحب والأوسع، وحتى الملحدين ممكن أن يكون لديهم إيماناً بالإنسان. وبإمكانهم إقامة طائفة دينية بالمعنى الذي قلناه فيما سبق لتعميق هذا الاحترام الأساسي للإنسان.

هكذا أعتقد ما هو ممكن. لكنني أعترف أن هذا أحد الأسباب التي جذبتني للإسلام. ذلك أن الإسلام هو أكثر الديانات جمعاً وتوحيداً للناس. وهو بمثابة «عصارة وزبدة الأديان»^(٢).

أما السبب الآخر الذي جذبه للإسلام، فيعبر عنه بقوله:

(إن ما كان يشغلني هو البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، أو الإبداع الفني والشعري بالعمل السياسي العقيدي. وقد مكنتني الإسلام بحمد الله من بلوغ نقطة التوحيد بينهما... ويدعو القرآن الكريم إلى أن نكتشف في كل شيء وفي كل حدث إشارة للخالق ورمزاً لواقع يعلو النظام الفريد الذي يسوس الطبيعة والمجتمع

(١) ما جاء به نبينا محمد ﷺ ليس مجرد «فكر» أو «رأي» كما زعم جارودي، بل هو اتباع الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تأتِهِمْ بآيَةٌ قَالُوا تَوَلَّى كَتَمْتِهَا قُلْ إِنَّمَا أَنبِئُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]. وقال: ﴿قُلْ إِنْ مَلَكَتْ جَنَنَاتٌ أَضِلُّ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ أَهْدَيْتُ فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبا: ٥٠].

(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م. عن روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٨١ - ١٨٢).

الإنساني والنفس البشرية^(١).

لقد وجد جارودي في الإسلام ضالته، في اجتماع عناصر تفرقت في غيره. لقد اضطر قرابة أربعة عقود من عمره إلى الجمع بين النصرانية والماركسية، فيما بدا لغيره تناقضاً صارخاً، لكن في نظره أن أحدهما يمدّه بما لا يمدّه الآخر، مما لا غنى عنه، بينما يفتقر كل منهما على حده إلى ما في الآخر. فظل ممسكاً «بطرفي السلسلة»، على حد تعبيره. (في عام ١٩٣٣م عندما أصبحت في ذات الوقت مسيحياً وعضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي، كان ذلك يعني أنني ألتزم بكوني مسيحياً بالسنة الإبراهيمية العريقة، التي تعطي حياتي معانيها وغاياتها، وألتزم بكوني ماركسياً بالجانب الآخر من المسألة، أي بالمنهج العملي التاريخي، الذي يعطيني وسائل وإمكانات تحقق غاياتي الحياتية. وهذا يبدو لي أساسياً في الماركسية. أما في الإسلام فقد كان النبي في ذات الوقت رجل دولة)^(٢).

لم يجد جارودي في «النصرانية» ما يلبي طموحاته السياسية والاجتماعية، وإن وجد فيها أثارة من روحانية وأخلاق ومعنى، وهو ما لم يجده في الماركسية بتاتاً، وإن رأى فيها أحسن السيء من النظريات السياسية والاجتماعية السائدة في أوروبا؛ من نازية عنصرية، ورأسمالية أنانية جشعة، وقوميات ضيقة. فلفق من هذين الكائنين الخداج «عكازين» يسير بهما في رحلة حياته المضنية، بحثاً عن حلٍ أمثل لأزمة الإنسان المعاصر، ومشكلات الحضارة.

(١) من مقابلة مع مجلة الأمة عدد (٢٩). جمادى الأولى ١٤٠٣هـ فبراير ١٩٨٣م.

(٢) جريدة «البعث» عدد ٢٥/٣/١٩٨٤م. عن: روجيه جارودي، من الإلحاد إلى الإيمان (٢٠٢ - ٢٠٣).

وحين أتيح له الاقتراب من التراث الإسلامي، بعد أن تحطمت آماله المعقودة على الاتحاد السوفيتي، وهوى صنم «ستالين» من مخيلته إثر خطاب خروتشوف الفاضح، وجد في الإسلام وأصوله ونظمه ما يشبع نهمته، ويروي غلته، ويطفئ لوعته، في تحقيق مشروع «مستقبل ذي وجه إنساني»^(١)، ظل يرسم صورته، ويحدد أبعاده، في حقبة السبعينات من خلال «المعهد الدولي لحوار الحضارات»، وأصدر فيه بضعة كتب من مثل: «استعادة الأمل» عام ١٩٧١م، «مشروع الأمل» عام ١٩٧٦م، «نداء إلى الأحياء» عام ١٩٧٩م، «ما يزال في الوقت متسع للعيش» عام ١٩٨٠م وغيرها.

ومن ثم فقد أقبل جارودي على الإسلام الذي وجد فيه العناصر الأساسية لمشروعه الوجودي الإنساني، وقد بيت ما يريد، لم يعتنق الإسلام وهو مستعد للتلقي، فالقبول، فالتنفيذ، كما هو حال من يسلم وجهه لله، خالفاً على عتبة الإسلام كل ما كان من أمر الجاهلية، مطرحاً كل مقدمة، ووسيلة، ونتيجة، تخالف النص الإلهي والتوجيه النبوي. كلا، بل احتكم إلى عقله ورأيه وتجربته المتنوعة، فاعتقد ما يراه صواباً، ثم خاض في عالم الإسلام يصطفي، ويستبعد، ويقدم ويؤخر، ويعظم ويهون، وفق ما يناسب مشروعه في التقريب بين الأديان والثقافات.

وسنحاول في الصفحات التالية استبيان سبيل جارودي في توصيفه للإسلام الحي الذي «يسكن مستقبلنا»، «وما يعد به الإسلام» الذي تخيله، بالإضافة إلى نقده التاريخي لمسيرة الإسلام وأهله، ورؤاه المستقبلية. وذلك من خلال أقدم كتاباته الإسلامية في منتصف

(١) هكذا كان يسمى جملة من أبحاثه في الفترة التي تلت فصله من الحزب الشيوعي.

الثمانينيات، وأحدثها في منتصف التسعينيات ليتضح جلياً ما سبق تقريره من أن جارودي دخل عالم الإسلام بمشروع مبيت واضح المعالم والأبعاد، وظل مقيماً عليه حتى الآن، وأنه لم يطرأ عليه «ردة» بعد إسلام كما ظن بعض الناس، بل لم يصح إسلامه أصلاً، وإنما حجب هذه الحقيقة الواضحة رهج العواطف، وغبار العجلة.

أولاً: إرساء المدلول العام للإسلام، وإقصاء المدلول الخاص:

من المعلوم بداهة أن الإسلام دين الله الذي أوحى به إلى جميع أنبيائه، من حيث أصل الاعتقاد، وهو الاستسلام لله سبحانه بالعبودية المطلقة، والخلوص من الشرك، والانقياد له وحده بالطاعة؛ كما نطق بذلك جميع أنبياء الله ورسله، ودعوا أقوامهم قائلين: ﴿يَقُولُوا أَتَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ كما جاء على لسان نوح وهود وصالح وشعيب، [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، وسائر أنبياء الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء]. هذا مع اختلاف تفاصيل شرائعهم، وخصوص رسالة كل منهم إلى قوم معينين، وعموم رسالة خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ، كما قال: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد»^(١). ومن هنا وصفهم الله بالإسلام في مواضع كثيرة كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]^(٢).

وقد درج علماء الإسلام على تقرير هذا المعنى في مقام بيان أن التوحيد أول دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وفي سياق بيان منزلة نبينا محمد ﷺ العالية، وشرفه وفضله على سائر الأنبياء، بوصفه

(١) رواه مسلم (٤/١٨٣٧). أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى. والمراد أن أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة.

(٢) راجع مبحث: «دين الإسلام» في التمهيد.

خاتمهم وسيدهم، الذي أخذ الله ميثاق الأنبياء قبله على الإيمان به، وتعظيم شأنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران].

ولكن جارودي حين يقرر هذا المعنى ينحى به منحى آخر، قد لا يتفطن له القارئ أول وهلة، وهو التهوين من خصوصية رسالة نبينا محمد ﷺ وفضله على سائر الأنبياء، ومزية دينه على سائر الأديان، بل إنه يشدد على الإسلام بالمعنى العام، ويغفل الإسلام الخاص الذي أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، ولا يشير إلى نسخه لبقية الأديان، ويثبت أن القرآن مصدق للتوراة والإنجيل ولا يقرر أنه مهيمن عليهما، وغاية ما يبلغه أن الجميع على قدم المساواة، وليس لأهل الإسلام «المسلمين» أن يتميزوا عن سواهم بدعوى أن عقيدتهم هي الأفضل. وفوق ذلك يخطط نبينا محمد ﷺ فضله بكلام فيه جفاء، أو مقتضٍ تفضيل عيسى عليه السلام. وإليك البيان:

قال في وثيقة إشبيلية عام ١٩٨٥م:

١ - لا يمكن أن يكون إسلام القرن العشرين إلا الإسلام الأزلي. ذلك لأن الإسلام ليس ديناً ضمن سائر الأديان، ولكنه الدين الأصيل والأول منذ أن نفخ الله في الإنسان من روحه... ذلك هو الإسلام الذي سماه القرآن «سنة الله»... وأول واجب علينا هو أن نعلن عقيدتنا الإسلامية بأن نعيش الإسلام بكلية، دون انحياز إلى عصبية، أو أعراف خاصة.

٢ - لم يزعم محمد ﷺ قط أنه جاء بدين جديد... إننا نضعف عقيدتنا لو زعمنا بأننا أفضل الخلق، لمجرد تجاهلنا جميع من هم سوانا^(١).

(١) من أجل إسلام القرن العشرين «ميثاق إشبيلية» روجيه جارودي. (٦٥). قال =

وقال بعد عشر سنين في كتابه «الإسلام» عام ١٩٩٦م: (ليس الإسلام ديناً جديداً ولد مع نبوة النبي محمد ﷺ، ليس الله إلهاً خاصاً، وقفاً على المسلمين).

«الله» هو الترجمة الحرفية لكلمة تدل على الإله الواحد الأحد. والمسيحي العربي يقول في صلاته وشعائره: الله، ليتضرع إلى ربه. ويعني الإسلام: التوكل الإرادي والحر على الإله الواحد الأحد، وذلك هو القاسم المشترك بين الأديان المتزلة: يهودية ومسيحية وإسلام^(١).

وقال في كتابه: «نحو حرب دينية» عام ١٩٩٦م أيضاً: ... أترك الكلام للقرآن الكريم حيث يجري الكلام عن يسوع أفضل مما هو عن محمد ذاته. أولاً: لأنه يعترف له بالولادة الخارقة للطبيعة... ثمة ألقاب خاصة أطلقت في القرآن الكريم على يسوع المسيح ولم تطلق على غيره، حتى ولا على محمد ﷺ: لقد سُمي: المسيح، وكلمة الله وروح الله^(٢).

إن جارودي يرمي إلى أن لا يتطلع المسلمون إلى قصر مفهوم الإسلام على ما جاءهم به رسول الله ﷺ، بل أن يعدوا أنفسهم شركاء فقط في «الإيمان الإبراهيمي»، سواء بسواء كاليهود والنصارى. ومن ثم فعليهم أن يكفوا عن محاولة طبع العالم بطابعهم التقليدي الخاص، أو ما يسميه أسطورة «الأسلمة».

= الدكتور سعد عبد المقصود في تعقبه لجارودي ووثيقة إشبيلية: (أليس إرجاع الشيء الفاسد إلى صحته، وتطهير الدين من رجس أصحاب الأديان وجلاؤه مما يعتبر جديداً؟ أليست العودة إلى الصحيح، ورد الاعتقاد الفاسد إلى مصدره الأصيل من الصحة جديداً؟) لا لجارودي ووثيقة إشبيلية (٤٥).

(١) الإسلام (١٧).

(٢) نحو حرب دينية (٢٢ - ٢٣). وغير خاف أن الفضل الخاص لا يقضي على الفضل العام، وإلا فإن خلق آدم ﷺ بيدي الله، ونفخه فيه من روحه، أعظم من الولادة الخارقة للطبيعة.

ويُعد اعتقاد المسلمين بأن دينهم الخاتم هو الدين الكامل، والنعمة التامة، والحقيقة المطلقة، «تطرفاً» و«أصولية» فيقول: (التطرف الإسلامي مرض الإسلام، كما أن الأصولية مرض جميع الأديان. الأصولية هي ادعاء الأصولي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة وأنه يمتلك من ثم، لا الحق فحسب، بل والواجب أيضاً في فرض تلك الحقيقة على الجميع ولو بالحديد والنار...

والادعاء الغربي أنه «الثقافة»، وليس ثقافة بين ثقافات أخرى، تعارضه حينئذ أسطورة «الأسلمة» التي تنسى الطابع الشامل للإسلام «التسليم لله»، وتطرح نفسها مالكة دون غيرها للحقيقة المطلقة. وذلك بدلاً من تعميم شامل حقيقي للثقافة التي تحقق وحدة، لا وحدة الهيمنة الاستعمارية الامبراطورية، وإنما الوحدة السمفونية، بإسهام كل ثقافة في الثقافة الشاملة^(١).

إن هذا الأصل الفاسد هو الأساس الذي بنى عليه جارودي مسجد ضراوه، فجاءت فروع ظلمات بعضها فوق بعض، وشبهات بعضها يأخذ برقاب بعض، كما سيأتي.

ثانياً: التفسير التاريخي للإسلام، من منظور التقريب بين الأديان والحضارات:

في هذا السياق، سياق التأكيد على أن الإسلام هو الإسلام الأزلي، وليس الدين الخاتم، وأن محمداً ﷺ لم يأت بدين جديد، وإطلاق القول في ذلك دون تفصيل، في محاولة إقصائية لمدلول الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده، وأنزله على لسان رسوله ﷺ عقيدة وشريعة، فلا يقبل ديناً سواه، في سياق هذه المحاولات يتقدم جارودي بتفسير جديد للتاريخ الإسلامي، لا سيما وهو حديث عهد بالتفسير

(١) نحو حرب دينية (٣٠ - ٣١).

المادي للتاريخ الذي جاءت به الفلسفة الشيوعية. لقد حاول جارودي التقليل من الدور المميز لهذه الأمة، وما خصها الله به من فضائل، وما أكرمها به من كرامات على سائر أمم الأرض، بسبب ما اضطلعت به من مهمة عظيمة في نشر دين الله في الأرض، وهداية الناس، كما خلد الله لها هذه المنقبة بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران]. فاعظم خصائص هذه الأمة، وسر خيريتها، وأثرها في التاريخ الإنساني حملها رسالة الإسلام، خالصة نقية، لتعبيد الناس لرب العالمين علماً وعملاً، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

ولكن جارودي يحاول الغض من هذه الميزة الجليلة، وصرف الأنظار إلى جوانب أخرى ثانوية، حصلت تبعاً وثمرتاً للوظيفة الأساسية، وهي نشر دين الله الحق الذي كانت البشرية بأمرس الحاجة إليه كما قال تعالى: ﴿لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْآيَةُ ۖ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [١] فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ [٢] [البينة: ١ - ٣]. أراد جارودي التقليل من الأهمية التاريخية للإسلام بوصفه ديناً جديداً، جاء بعقيدة صافية نقية كاملة شاملة، تفارق سائر العقائد السائدة في الأرض حينذاك، وتعلو عليها، وشرعية عادلة حكيمة متضمنة لمصالح العباد الدينية والدنيوية، أراد تفرغ حركة الفتح الإسلامي الجهادي من هذا المحتوى، والهدف الأسمى، وتصويره مجرد «يقظة دينية» لمذهب «الأريوسية»^(١)، الذي يصنف كواحد من «الهرطقات» النصرانية المنقرضة، و«ثورة اجتماعية» تعيد تقسم الثروات بين الناس، و«تحولاً ثقافياً» يفسح المجال أمام نمو العلوم والحكم

(١) راجع مبحث النصرانية في التمهيد (١٢٥).

والفلسفات والصناعات وعمارة الأرض، وهو في هذا الأخير، يسلط الأضواء على تراث الفلاسفة والمعتزلة والصوفية والباطنية، ويطمس التاريخ العلمي الحقيقي للأمم، المتمثل في نتاج علماء العقيدة والفقه والحديث.

ومن شواهد هذه «القراءة التاريخية» الجائرة لحركة الفتح الإسلامي، كما يتبجحها جارودي بعنت ومشقة وتنتع مفضوح، نكتطف ما يلي:

إن شعوباً كان الإيمان القديم قد كف عن أن يمنح حياتها ومؤسساتها روحاً - المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية، والمزدكية في الإمبراطورية الفارسية - هي التي استقبلته استقبالاً حماسياً. فالإسلام يَكُون يقظة دينية تمنح روحانية هذه الشعوب حياة جديدة...

كانت الشعوب تحتفي بالمسلمين بوصفهم محررين، ورجال إيمان يحترمون إيمان الآخرين وينعشونه، في ضوء آخر الأنبياء^(١).

فهل يظن جارودي أن أولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ودخلوا في دين الله أفواجاً، قد بقوا - مثله - متمسكين بنصرانيتهم ومزدكيتهم؟ كما صنع هو بتمسكه بنصرانيتها وماركسيته معاً، مع ادعاء الإسلام أيضاً، وأنهم اكتفوا بموعظة دينية أنعشت إيمانهم الفاتر فقط، على أيدي الفاتحين من أصحاب محمد ﷺ، ورضي عنهم؟!.

ثم يقدم مثلاً تاريخياً يكشف عما يعتمل في قلبه من حسدٍ للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وهو تعليل انتشار الإسلام في إسبانيا:

(إن الإسلام طعم الأريوسية من الناحية الدينية، في شبه الجزيرة

الإيبيرية، فكانت أجمل فسيل من فسائله^(١). ويشرح هذا الإجمال بيان كيفية دخول الأريوسية إسبانيا، وتأصلها في الطبقات الشعبية، وما نتج من صراعات بين النيقاويين المثلثين، والأريوسيين الموحدتين، الذين طلبوا دعم المسلمين، ويصف دخول الإسلام الزاهي للأندلس بهذه الصورة الباهتة: (كان شمال مراكش عندئذ مقاطعة من المملكة القوطية... ورسست أفواج من جند البربر، بدعوة من الأريوسيين على الجزيرة بقيادة طارق، حاكم المنطقة من موريثانية الواقعة بموازاة الشاطئ، أو رئيس قبيلة بربرية تخضع لهذا الحاكم، وجرت معركة واحدة في وادي «لكة» قرب قادس، وانضم أسقف أشبيلية، عندما حمي وطيس المعركة إلى البربر، وتصرف التصرف نفسه أسقف طليطلة... وعبرت الجزيرة جيوش طارق بعد هزيمة رودريك، التي سرعان ما عززت اندفاعاتها جيوش موسى بن نصير «سليل كونت قوطي»، حتى البيرينيه دون أن تلاقي مقاومة، في أقل من أربع سنوات. وفتح اليهود الذين اضطهدهم القوطيون زمناً طويلاً، أبواب العديد من المدن)^(٢).

وهكذا يجعل جارودي من قادة الفتح الإسلامي الأبطال عمالاً خاضعين أصلاً لحكم القوط، أو من سلاتهم، وكأنما يقول: «سمننا في دقيقنا» ولا فضل لأحد.

ويبلغ التجاهل والطمس لمضمون الفتح الإسلامي الجهادي ذروته، حين يزعم جارودي، أنه حتى بعد مرور مائة وأربعين سنة من فتح المسلمين للأندلس، لم يكن أياً من اللاهوتيين المسيحيين الناطقين باللاتينية من مدرسة قرطبة يعرفون اسم «محمد ﷺ»، ولا اسم القرآن الكريم!!

(١) الإسلام (٣٢).

(٢) الإسلام (٣٤ - ٣٥).

وهذه الدعوى الساقطة المتهافة التي لا يسلم بها أدنى عاقل، فضلاً عن أن تصدر عن خبير بالحضارات، يعتصر جارودي مادتها بصعوبة بالغة من كتابات بعض الأساقفة الإسبان الموتورين، الذين لم يضمّنوا كتاباتهم ذكراً أو نقداً لدين الفاتحين الجدد، يتجشم جارودي هذه السبل الوعرة ليظهر سؤالاً مصطنعاً: (كيف نشرح هذا الصمت الغريب أمام الإسلام حتى عام ٨٥٠م لدى هؤلاء المدافعين عن الاستقامة المسيحية، الشديدي اليقظة؟)^(١)، وحيث يستبعد الاحتمال الأرجح وهو الخوف والجبن، يصل بعد رحلة مضنية إلى الجواب الذي يريد لتدعيم القاعدة النظرية لمشروعه التقاربي بين الأديان فيقول: (إن الإسلام الذي كان ينتشر على الشاطئ انتشاراً بطيئاً، وبخاصة في «الميرة» حيث الاتصالات مع الشرق أكثر وثاقة، لم يعبر عن نفسه بوصفه تياراً جديداً في الداخل، وفي قرطبة على وجه الخصوص، إلا بدءاً من هذا العصر. وحتى هذا التاريخ كان بوسع الإسلام أن يختلط بالتيارات «الهرطقية» التي كان اللاهوتيون المسيحيون يجادلون ضدها...

وكان ممكناً للإسلام خلال قرن ونصف ألا يكون متميزاً، باستثناء مدن الشاطئ^(٢)، من مختلف نسخ الهرطقة الأريوسية، التي كان المدافعون المسيحيون أنصار عقيدة نيقية يجادلون ضدها.

ونقول باختصار: إن الانتشار السريع للإسلام في إسبانيا لم يكن نصراً حربياً. إنه يمثل للأغلبية الواسعة من هذا الشعب:

١ - يقظة دينية: لم تكن، بالنسبة للجزء الأريوسي من السكان

(١) الإسلام (٣٨).

(٢) علق في الحاشية بقوله: (لأن في مدن الشاطئ يرسو فقهاء آتين من الشرق لا يعتبرون «مسلماً» إلا من كان بعد النبي محمد).

- الأكثر عدداً - متناقضة مع إيمانه، بل ذات استمرارية معه، وكانت قد حررت من الاضطهاد الذي كان ضحيته حتى ذلك الزمن بوصفه هرطقة.

٢ - تطوراً اجتماعياً: كان يقابل المفهوم الروماني للملكية، المعرفة في مدونة جوستينيان بأنها الحق الممنوح للمالك في أن «يستغل ويسرف في استغلاله»، بمبدأ قرآني مفاده أن «الملك لله وحده»، وليس الإنسان سوى وكيل مسؤول عن هذه الملكية التي يمكن أن تصدر منه إن لم يستثمرها لخدمة الله والناس.

٣ - تحولاً ثقافياً: إن روح الانفتاح لدى النبي محمد ﷺ كانت توصي، على عكس الاتسامح لدى المحتلين القوطيين، بالمضي للبحث عن العلم «ولو في الصين»^(١).

ذلك ما يسعى جارودي لإرسائه بشأن التاريخ الإسلامي:

١ - أنه لا يحمل ديناً جديداً مميزاً، بل مجرد يقظة دبت في أمم تختزن أدياناً سابقة، نهبتها من سباتها حركة بطيئة لم تعبر عن نفسها بوصفها تياراً جديداً، إلى الحد الذي يمضي قرن ونصف من الزمان دون أن يكتشف الناس، بل ولا رجال الدين المتخصصين، اسم نبي هذا الدين واسم كتابه!

وليت شعري ألم يكن بناء المساجد، ودوي المآذن في مدائن الأندلس بالشهادتين، ومنها جامع قرطبة الذي يتغنى جارودي بموسيقى حجارتة - كما يعبر^(٢) - كافياً لتقديم هذه المعلومة الأولية لأحاد الناس فضلاً عن الأساقفة الموتورين؟!

(١) الإسلام (٣٨ - ٣٩، ٤٣ - ٤٤).

(٢) انظر: الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر. روجيه جارودي. ترجمة: د. محمد مهدي الصدر. دار الهادي. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م). (٢٢٩ - ٢٣٠).

٢ - إنكار الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله. ذلك أن غاية الجهاد أن يكون الدين لله، بل كله لله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وهذا ما لا يتفق ومشروع جارودي الوحدوي ذي الألف وجه، الذي يتيح لكافة الأديان المحرفة، والوثنيات المنحطة أن تنعم بقلب «الإسلام الأزلي».

يقول جارودي: (المثال النموذجي للإرادة في تخريب الإسلام - وذلك منذ قرون طويلة حتى أيامنا هذه - يكمن في ترجمة كلمة «جهاد» بـ «حرب مقدس»...

ويميز التقليد الإسلامي الأسمى، والأكثر أمانة، «الجهاد الأكبر» أي النضال ضد أنفسنا، ونزعاتنا الأنانية التي تدمر «الأمة»، من «الجهاد» الأصغر، وهو أيضاً «جهاد» وتضحية يتجه شطر الخارج للدفاع عن الإيمان، ومقاومة كل ظلم يمارس على أولئك الذين يريدون أن يعملوا وفق هدى الله، وليس بهدف نشر الإيمان الذي لا يمكنه أن يكون بالقوة^(١).

ومن هنا يلح جارودي على أن الانتشار السريع للإسلام في أسبانيا لم يكن نصراً حروبياً. ويصف أمجاد الفتح الإسلامي الجهادي في الأندلس بـ (خرافة الغزو العربي لأسبانيا)^(٢).

إن مجمل حركة التاريخ الإسلامي باعثها الجهاد في سبيل الله، لنشر دين الله وإعلاء كلمته، لا لإكراه الناس على الدين، وإنما لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. وكذلك فعل رسوله ﷺ لإظهار دين ربه بالحجة والبيان، وبالسيف والسنان، فسيرته

(١) الإسلام (١٠٦ - ١٠٧).

(٢) الإسلام في الغرب (١٧).

حافلة بإنفاذ السرايا والبعوث والغزوات والفتوح. وعلى ذلك سار خلفاؤه وأصحابه رضوان الله عليهم كما وصفهم ربهم: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهم فِي الْإِنْجِيلِ كَزَيْجٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُمْ فَفَازَهُمْ فَأَسْخَفَتْ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِمْ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفتح]، وهي الصورة التي رسمها القرآن لأولياء الله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وهكذا كُتِبَ تاريخ الإسلام، وهكذا قرأه أجيال المسلمين.

أما جارودي فقد قرأه مغمضاً عينيه، متنكراً لأمانة المؤرخ، فسلب الأمة الإسلامية خيريتها، وغمطها حقها، زاعماً أن الإسلام الذي أنتج أعظم حضارة في التاريخ سرى سرياً بطيئاً لا يكاد يتبينه أحد، ولم يحدث تحولاً جذرياً في حياة الناس وعقائدهم، بل نفص الغبار عن إيمانهم الراكد، لا عن طريق الجهاد بل عن طريق الفكر والفلسفة. وهو بذلك يوجه رسالة للأمة الإسلامية التي تحاول أن تنهض من رقبتها قائلاً للمسلمين: كُفُّوا عن الشعور بالعلو والخيرية، فليست وحدكم المسلمين، وإياكم والتفكير بنشر دينكم الخاص، فليس لديكم مستند ديني ولا تاريخي يخولكم القيام بهذه المهمة المزعومة، وهيئوا أنفسكم للانخراط في موكب الوحدة الإنسانية العالمية.

ذلك فحوى معالجته التاريخية للإسلام، أما نص خطابه المستقبلي المؤسس على تلك المعالجة فهو ما يلي: (إن الأمر اليوم بالنسبة إلينا، بعد أن نبين كيف يمكن أن يعيش الإسلام، ويعبد الله في مجتمعاتنا، لا في الانعزال، والحلم بعودة الماضي، بل بالنضال مع كل المؤمنين الذين يعتقدون أن للعالم معنى، وأن العالم واحد... يناضل فيه

المسلمون والمسيحيون والبوذيون، لكي يعطوا كل إنسان مهما يكن لونه، وأصله ودينه، كل الوسائل التي تساعد على تفتيح كل الإمكانيات التي يحملها في داخله^(١).

وقد فاجأ جارودي علماء المسلمين المبتهجين بإسلامه بهذه الأفكار، فحكى الأستاذ أنور الجندي انطباعاته عن اللقاء - أو ربما الصدام - الذي جرى بين جارودي وبعض علماء المسلمين في ملتقى «سطيف» بالجزائر عام ١٩٨٦م قائلاً: (كان أول ما يفاجئ به جارودي سامعيه تلك الحملة الواسعة على تراث الإسلام وتاريخ الإسلام، وانتقاص عصر الأمويين والعباسيين على نحو يكشف عن غاية هي أكبر محاولة تجاوز تاريخ الإسلام وتراثه جميعاً من أجل التطلع إلى آفاقٍ عصرية يراها لا تحتاج أبداً إلى النظر إلى ذلك التراث، أو الاهتمام به، فجاء تناوله هذا يحمل طابع الاستخفاف والتجاهل. ويمكن أن يفهم هذا في ظل ما حاول أن يدعو المسلمين إليه من الانتفاع بميراث ماركس وسارتر^(٢) حين حاول أن يحسنه ويدعو المسلمين إليه كمصدر من مصادر النهضة)^(٣).

ثالثاً: تقويم الحضارة الإسلامية وتراثها، من منظور التقريب بين الأديان والحضارات:

في دراسته وعرضه للتراث العلمي والحضاري للأمم الإسلامية، سلك روجيه جارودي مسلكاً انتقائياً مجحفاً، يعتمد إبراز الاتجاهات المنحرفة، وتمجيد رموزها، والخط من سبيل المؤمنين، أهل السنة

(١) الإسلام (١١ - ١٢).

(٢) سارتر (جان بول)، فيلسوف وكاتب فرنسي، ولد في باريس ١٩٠٥م، من رواد الوجودية المتشائمة. عرض أفكاره في محاولات وقصص ومسرحيات منها «الكائن والعدم»، «طرق الحرية»، «الجدار». المنجد في الأعلام (٣٤٤).

(٣) تاصيل اليقظة وترشيد الصحو (١٧٥).

والجماعة، والسواد الأعظم للأمة الإسلامية عبر القرون. ويتماشى هذا المسلك مع مشروعه التقاربي بين الأديان والحضارات، حيث التقط من مطاوي التاريخ كل زنديق، ومغموط في دينه، ومبتدع ينتسب إلى الإسلام، فحسّن صورته، وعظّم شأنه، وأشاد بأقواله، وقال للمسلمين هنيئاً لكم به. وتطاول على كل إمام ثقة ناصح لله وكتابه ورسوله والمسلمين، بأقذع السباب؛ والنقد الجارح. فأصحابه أصحاب وحدة الوجود والقول بالحلول والاتحاد، من زنادقة الصوفية والباطنية، ومؤلهة العقل، من المعتزلة وأشباههم. وأعداؤه أئمة الحديث والسنة والفقهاء في الدين، من السلف الصالح. وبالتالي فإن الحضارة الإسلامية التي يشيد بها ويتغنى بأمجادها ليست ميراث النبوة الحقيقي والوحي الأمين، وإنما الفلسفة وعلم الكلام وشطحات الصوفية، مما تنزلت به الشياطين على كل أفاك أثيم، ممن لا يرعون للدين حرمة، ولا يعرفون له حدوداً، ويشاققون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

ذلك أن أهل الإسلام الذين حفظوا الوحيين، وضبطوا حدود الدين، يحولون بينه وبين ما يشتهي من «شيوعية» دينية، ووحدة عالمية كفرية. في حين أن أرباب الصوفية يوافقونه في قبول كل صورة من صور الكفر والإلحاد، ويقاربونه في نصرانيته - التي لا يزال مقيماً عليها - في فكرة حلول الإله بالإنسان - كما أنه اعتضد بمنهج المعتزلة العقلاني، وقولهم بخلق القرآن، وأنه ليس كلام الله حقيقة، يمهّدون له الطريق للقول بتاريخية النص القرآني، وقابليته للنقد. أما الباطنية على اختلاف درجاتهم في التأويل الفاسد، فيتيحون له المجال للعبث بأحكام الشريعة، وصرفها عن ظواهرها إلى ما يراه مناسباً لـ «إسلام القرن العشرين».

ومن ثم جاءت كتاباته ومقابلاته طافحةً بدم الفقهاء والمحدثين

وتنقصهم، وتمجيد المتصوفة والمعتزلة وإبرازهم. ويربط جارودي ربطاً تاريخياً «مقلوباً» بين ظهور هؤلاء الزنادقة وامتداد الحضارة الإسلامية ونموها - في زعمه - من جهة، وتسلب الفقهاء وتمكنهم وانحسار الحضارة الإسلامية من جهة أخرى.

على أن «الامتداد» و«الانحسار» عنده ليسا كما يتبادر إلى ذهن كل مؤرخ منصف، من حيث كونهما معياراً لتقدم الفتوح الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجاً، ونشر أعلام السنة، بل لامتداد الفكر الباطني، وانحسار العلم الشرعي. فمن ثم يبتدع تقسيماً تاريخياً للحضارة الإسلامية، فيزعم حصول ثلاثة انحسارات للإسلام:

(الانحسار الأول للإسلام: مناسبة تاريخية ضائعة: مذهب المعتزلة الذي أدانه التعصب من الأشعري^(١) إلى ابن حنبل^(٢): التشويه الأول الذي أصاب الفكر الإسلامي بإدانة المعتزلة... وكان المعتزلة قد

(١) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد بالبصرة عام ٢٦٠هـ. وتلقى مذهب المعتزلة وبرز فيه ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ، ومن مصنفاته «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، «الإبانة عن أصول الديانة»، وغيرها، ولابن عساكر «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري».

الأعلام (٢٦٣/٤)، طبقات الشافعية (٢٤٥/٢)، والمقريري (٣٥٩/٢)، ابن خلكان (٣٢٦/١٣)، البداية والنهاية (١٨٧/١١)، اللباب (٥٢/١).

(٢) إن هذا الابتداء والانتها «من الأشعري إلى ابن حنبل» ليكشف عن القراءة العجول المتسارعة للتاريخ الإسلامي التي تقدم المتأخر، وتؤخر المتقدم. فالإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) كُتِبَ سابقاً للأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤هـ) زمناً ورتبةً وبلاءً حسناً، في نقض أصول المعتزلة وصد بدعتهم، واحتمال محتهم في سبيل حفظ الدين والسنة. ومن شواهد هذا التخط أنه عد الحسن البصري كُتِبَ مؤسساً لمذهب المعتزلة - انظر الإسلام (٦٦) - مع أنهم سموا بذلك لاعتزالهم إياه!

أتاحوا للمسلمين أن يبتكروا تأليفاً أصلياً كان قد وضعهم على رأس الثقافة العالمية. وهذا الفكر، فكر الانفتاح والبحث، لم يتح إزهاراً مذهلاً للعلوم والفنون اللتين لم تجعلا الإسلام موقظ الثقافة في أوروبا، وأفريقية، والشرقين الأدنى والأوسط فحسب، بل جعلتا منه نمطاً من فكر «المعتزلة» النقدي والانفتاحي، الذي شجعه المنصور^(١)، فكر منح أساسه الفلسفي هذا التقدم على مستويات الثقافة جميعها.

الانحسار الثاني للإسلام: بعد النهضة الصفوية في فارس، وحكم أكبر في الهند وإشعاع قرطبة... عندما حاول بعض الخلفاء القليلي الثقة بالقوة والإشعاع الحر للإيمان الإسلامي، أن يجعلوا سلطتهم أكثر مركزية وأكثر استبدادية، وضعوا نهايةً لهذه الحرية المبدعة...

وهذا الانطواء المرعب كان سيضغط على كل التاريخ اللاحق للإسلام، إذ يحكم عليه بسيادة التقليد القديم والانغلاق على الذات. وتسمُّه استجابة «ابن حنبل»، فتمة تضخم في «الحديث» يبدل التقليد الخلاق لـ «سنة الله» - أعني استمرار مساهمات الرسل - وما يميز «الانحطاط الحنبلي» هو التالي:

• الميل إلى تقليص مبادئ الإسلام في تطبيقها الذي مورس في القرون الأولى: تطبيقها في مجتمع ضيق من الشرق الأدنى. فرسالة القرآن كانت كلية، في حين أن هذا التقليد كان قد أصبح ذا خصوصية. كان إنتاج الأحاديث يجري في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام وحمل بالطبع بصمتها التاريخية...

ومع تقطيع أوصال الملكيات المسماة «إسلامية» في الشرق...

(١) هذا أيضاً من شواهد قراءة جارودي السطحية للتاريخ الإسلامي، فالمعروف أن «المأمون» (١٩٨ - ٢١٨هـ) وليس «المنصور» (١٣٦ - ١٥٨هـ) هو الذي مكن المعتزلة واضطهد أهل السنة.

وفي الغرب... أفلت الفكر من الضغوط الخانقة لهذه المركزية السلطوية وعندئذٍ ازدهرت عبقرية الإسلام: من ابن سينا^(١) إلى الرومي في الشرق، ومن أبي القاسم إلى ابن عربي في أسبانيا: ثمة انطلاقة جديدة في البحث العلمي والتقني، وانتشار جديد للثقافة والفنون.

وتنتصر الدوغماتية^(٢) مرة إضافية أخرى. والخوف من الاجتهاد وتواطؤ الأمراء المستبدين مع العلماء الخدم... ومات العلم الإسلامي بسبب هذه الدوغماتية، وهذا الرفض للروح النقدية - روح المعتزلة وإخوان الصفا فيما بعد، وروح كل المحاولات ليقظة الفكر المبدع، فكر الإسلام.

ويتجلى على المستوى الروحي هذا الإذلال للفكر الإسلامي، عندما قاد الجفاف الفقهي، والميل الرئيس إلى النظام، بعد قرنين، ابن تيمية إلى إدانة ابن عربي، أحد التعبيرات الأكثر سمواً لداخلية الإسلام وأبعادها في الحب، وإلى إدانة الشعراء الصوفيين الفارسيين...

ويظل ابن تيمية معاً، على الرغم من جهوده في إضفاء الداخلية على الإيمان، تلميذ ابن حنبل الذي كان، وقد أخرس المعتزلة، النصير الأنشط لـ «إغلاق الاجتهاد» - على عكس ابن تيمية الذي كان يقتصر

(١) الحسين بن عبد الله بن سينا. أبو علي، ولد في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ. اشتغل في الفلسفة والطب والمنطق. كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي. من تصانيفه: الشفاء والإشارات والقانون. توفي سنة ٤٢٨هـ.

انظر: الأعلام (٢/٢٤١)، وفيات الأعيان (١/١٥٢)، لسان الميزان (٢/٢٩١).

(٢) الدوغماتية Dogmatism من Dogma أي عقيدة أو مبدأ، وغالباً ما تستعمل كلمة دوغماتية للدلالة على العقائد القطعية التي تفرض بنوع غطرسة، ومن غير مبررات كافية. انظر: المورد (٢٨٧).

على جعله اختصاص القلة، وأستاذ عبد الوهاب المولود عام ١٦٩١م^(١)، وهو، بوصفه كذلك، معلم المحافظين جميعهم وصنمهم^(٢)...

الانحسار الثالث للإسلام بعد جهد «بناء جديد» للفكر الإسلامي من الأفغاني إلى إقبال: الإسلاموية مرض الإسلام، كما الأصولية مرض الأديان كلها. فالأصولية هي الادعاء بملكية الحقيقة المطلقة، وبالتالي وجوب فرضها على الجميع...

وتعود المنابع العميقة للحركة الحالية إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما ولدت حركة النهضة «النهضة الإسلامية» مع الأفغاني (١٨٣٦ - ١٨٩٧م).

فالأفغاني فتح الدرب لبحث سيستمر خلال قرن، وينتشر على محاورين:

• كل نهضة للإسلام سياسية وروحية معاً، تقتضي قراءة جديدة للقرآن متحررة من التفسيرات الجافة والمجففة، تفسيرات «العلماء» الرسميين.

• مشكل الحداثة، لا ينبغي أن تكون مقاربتة انطلاقاً من

(١) هذا خطأ تاريخي أيضاً، تلقاه روجيه جارودي عن أسلافه من المستشرقين والمنصرين مثل Huges في كتابه Dictionary of Islam (٦٥٩)، وولفرد في Apiligravage to Najd ملحق (١٢٥)، وزويمر في كتابه The Cradlo of Islam Arabic وغيرهم، وقد ذكروا ولادته سنة ١٦٩١م، وهو غلط فاحش. انظر: محمد بن عبد الوهاب. مصلح مظلوم ومفتري عليه. تأليف: الأستاذ: مسعود الندوي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ (٣٠) حاشية (١٦). والصحيح أن ولادة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ كانت سنة ١١١٥هـ - ١٧٠٣م. انظر تاريخ ابن غنام (٥٧/١).

(٢) في المقطع الأخير هذا استدراقات، وجمل اعتراضية مزقت أوصاله، وفرقت معانيه. وجماعه: ويظل ابن تيمية معاً، تلميذ ابن حنبل وأستاذ عبد الوهاب.

أيديولوجية غربية تسمى «حديث»، تستبعد مسألة «الغايات الأخيرة» «غايات الإنسان»، وتحيل العقل إلى بحثٍ عن الوسائل التقنية، ووسائل القوة والثورة، مبدأ استعمارها الحربي والاقتصادي والثقافي. ذلك هو الإلهام الأولي الذي سيعرف، خلال قرن، كثيراً من التغيرات، وضروب التحريف^(١).

ولقد وقع جارودي على أشباهه، وانحاز إلى فئته، وصوّب وخطأ، ووالى وعادى، بناءً على أصله الفاسد في توحيد البشر، بإزالة الحواجز، وتعدي الحدود، باسم الاجتهاد والتحرر والانفتاح التي لا تعرف ضابطاً. لقد انتقى جارودي «مثل السوأ» من كل عصر ومصر، ممن لفظهم تاريخ الإسلام، ونبذتهم الأمة، فخلع عليهم أجل الأوصاف. ونظر شزراً إلى أئمة الهدى، وحفظه الشريعة ممن أفنوا أعمارهم في شد معاهد الدين، وصون بيضة الإسلام، وهم يدعونه إلى الهدى اثنتا، فأبى واستكبر، ونبزههم باللقاب السوء.

وعلى قراءته «المقلوبة» للتاريخ الإسلامي وانحساراته المزعومة، تعقبات:

أولاً: أن «الإنحسارات» الحقيقية والنكبات الكبرى التي منيت بها الأمة الإسلامية طوال تاريخها كانت مقترنة اقتران النتيجة بالمقدمة، والأثر بالمؤثر بظهور هذه الاتجاهات المنحرفة، من فلسفة وتصوف واعتزال وتشيع، كما يشهد بذلك التاريخ. قال ابن القيم رحمه الله: (سلط النصارى على بلاد المغرب لما ظهرت فيها الفلسفة والمنطق، واشتغلوا بها، فاستولت النصارى على أكثر بلادهم، وأصاروهم رعية لهم^(٢)).

(١) الإسلام (٦٣، ٧٢ - ٧٣، ٧٨ - ٨٠).

(٢) يريد بالمغرب بلاد الأندلس، وذلك حين سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م، وما أعقبها من تراجعات وانتكاسات، وهي الحقبة التي شهدت ظهور الفلاسفة المتصوفة الذين يمجدهم جارودي.

وكذلك لما ظهر ببلاد المشرق، سلط الله عليهم عساكر التتار، فأبادوا البلاد الشرقية واستولوا عليها.

وكذلك في أواخر المائة الثالثة وأول الرابعة، لما اشتغل أهل العراق بالفلسفة وعلوم أهل الإلحاد، سلط الله عليهم القرامطة الباطنية فكسروا عسكر الخليفة عدة مرات^(١).

ولعل هذا ما يريد جارودي ويشتبهه، وهو القضاء على السلطة المركزية، والخلافة الإسلامية، التي تعتصم بها الأمة بعد الله ﷻ، فتضيع معالمها وخصائصها. وقد نطق بذلك فيما نقلناه آنفاً حين قال: (ومع تقطيع أوصال الملكيات المسماة «إسلامية» في الشرق... وفي الغرب... أفلت الفكر من الضغوط الخانقة لهذه المركزية السلطوية، وعندئذ ازدهرت عبقرية الإسلام).

ثانياً: من المغالطات الصارخة أن ينبز جارودي علماء السنة بـ «العلماء الخدم»، والمتواطئين مع الأمراء المستبدين، ونحو هذه الألفاظ، ويضرب المثال بالإمامين الجليلين مالك بن أنس^(٢)، وأحمد بن حنبل، ثم بشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهم الله - وقد علم القاصي والداني ما نالهم في ذات الله من أذى حكام زمانهم، من المعتزلة والأشاعرة. ويغض الطرف عن الإرهاب الفكري، والتسلط العنيف، الذي مارسه المعتزلة حين تمكنوا من الوصول إلى بعض الخلفاء العباسيين، وامتحنوا الأمة بالقول بخلق القرآن، بقوانين أشد جوراً وظلماً من قانون «جيسوفايوش» الذي أدان جارودي مؤخراً.

(١) إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان (٣٨٣/٢).

(٢) الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ. كان صلباً في دينه بعيداً عن الملوك، حافظاً ثباتاً ورعاً، توفي سنة ١٧٩هـ. الأعلام (٢٥٧/٥)، الوفيات (٤٣٩/١)، تهذيب التهذيب (١٠/٥)، صفوة الصفوة (٩٩/٢)، اللباب (٨٦/٣)، حلية (٣١٦/٦).

ثالثاً: أن الغاية من هذا التقويم، ونقد الرجال هو سلخ الأمة من دينها الذي جاء به محمد ﷺ، بحسبانه «مواصفات» لفترة تاريخية معينة فقط.

ف «الانحطاط الحنبلي» - على حد تعبيره - يساوي في تعريفه تطبيق الإسلام كما مورس في القرون الأولى. وبعبارة نبوية محكمة: (ما أنا عليه وأصحابي)^(١) فهيناً للحنابلة بهذه المذمة من ناقص.

أما أداة السلخ، فميدية ذات حدين: قراءة جديدة متحررة للقرآن، تؤوله على غير تأويله، ورفض للأحاديث التي جرى إنتاجها - في زعمه الكاذب - خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام، التي هي القرون الفاضلة. فماذا أبقى للإسلام إذاً؟!

والعجب من دَعْيٍ للبحث عن الحقيقة، يستشهد بمخطوط في دير أسباني، أو أنشودة في معبد بوذي، أو هلوسة لصوفي في حال اصطلام وفناء وجذب، ويهزأ بالسنة المطهرة التي حملها من كل خلف عدوله، وأفنوا أعمارهم في ضبطها وتوثيقها وحفظها، فيصب عليهم جام غضبه، ويسلقهم بالسنة حداد.

أما أهل الزندقة والفلسفة ووحدة الأديان، فيسبح بحمدهم ويقدس. ومن نماذج ذلك:

• ابن مسرة القرطبي^(٢):

يقول جارودي عن هذا الزنديق، بعد أن شرح تلقيه الفلسفة عن

(١) رواه الترمذي (١٠٩/١٠ - ١١٠).

(٢) ابن مسرة القرطبي (٢٦٩ - ٣١٩ هـ - ٨٨٣ - ٩٣١ م): محمد بن عبد الله. فيلسوف، صوفي، إسماعيلي. نسبت إليه مقالات كفرية، واتهم بالزندقة، وكان يحرف التأويل في كثير من القرآن، فر إلى المشرق. ورد عليه جماعة من أهل المشرق والمغرب، وحرقت كتبه. انظر: الأعلام للزركلي (٢٢٣/٦).

الرازي (٨٦٤ - ٩٣٢هـ)، والاعتزال في البصرة، ووقوعه تحت تأثير «إخوان الصفا»، ثم التصوف في مصر على يد ذي النون المصري^(١): (لقد حقق ابن مسرة في الغرب - في قرطبة - أول توليفة فلسفية للتقاليد الروحانية الأكثر علواً في آسيا وأفريقيا، وحسب نزعة الإسلام ذاته، في نسبة كل روائع العالم إلى الله. وقراءته الرمزية للقرآن، كقراءة فيلون^(٢) اليهودي - سابقاً - للتوراة، وقراءة بريسيليان للأناجيل، منحت الروح للرسالة)^(٣).

• الإمبراطور المغولي أكبر بن همايون (١٥٤٢ - ١٦٠٥م) أبو الفتح، جلال الدين محمد: يصفه جارودي بأنه: (وجه من أعظم وجوه التاريخ الكلي... يعبر أكبر عن هذا الفكر المنفتح ذي النزعة الكلية: إنه سيسحب من السنة امتيازاتها بوصفها الدين الرسمي، ويستقبل شيعة الفرس على قدم المساواة. وأصدر أمر تسامح لمصلحة دين الهندوس والسيخ الذين كانوا يعتبرون هذا الإمبراطور معلمهم الروحي، ولكنهم

(١) ذو النون المصري: ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو الفياض، أو أبو الفيض. أحد الزهاد العباد المشهورين. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم في مصر في «ترتيب الأحوال، ومقامات أهل الولاية»، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فأستحضره إليه، وسمع كلامه، ثم أطلقه. فعاد إلى مصر، وتوفي بجيزتها. انظر: الأعلام (١٠٢/٢).

(٢) فيلون (٢٠ق.م - ٥٤م) فيلسوف يهودي، ولد في الإسكندرية. حاول أن يشرح الدين بتعابير الفلسفة اليونانية. وأكثر استعمال الطريقة الرمزية. له تأثير على آباء الكنيسة الشرقية، وعلى فلاسفة العرب. انظر: المنجد في الأعلام (٥٣٧).

(٣) الإسلام في الغرب (٦٨). وقد رسم المترجم د. محمد مهدي الصدر اسمه هكذا: (ابن مضارة) في جميع الفصل المتعلق به (٥٥ - ٧١)، لكونه تهجاً من الأصل الفرنسي.

كانوا مضطهدين حتى ذلك الحين، يضطهدهم أباطرة المغول، تلقوا من الامبراطور أكبر معبد «أمريتسار»، الذي ظل حتى أيامنا هذه مركزهم الروحي.

وفي عام ١٥٧٥ بنى ضرباً من «بيت للدين»، يستقبل فيه على الرغم من معارضة الاستقامات الفارسية جميعها، براهماني الهندوس، وبوذيين، وجائنيين، ومزدكيي الهند، ومسيحيين - جزويت برتغاليين على جه العموم - وأطلق المتعصبون من كل فج، ولا سيما العلماء الطائفيون في كابول وأوزبكستان، فتوى الإدانة ضده^(١).

• ابن عربي^(٢) (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ - ١١٦٥ - ١٢٤٠م) محمد بن علي، الحاتمي، الطائي، الشيخ الأكبر لزنادقة الصوفية، وقدوة القائلين بوحدة الوجود، ووحدة الأديان، كما في أبياته الشهيرة التي يتغنى بها كل ملحد، ويطرب لها كل زنديق:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه فالحب ديني وإيماني

فلا عجب أن يهيم جارودي بحبه، ويفنى فيه، ويلهج بذكره في كل كتاب ويطريه، لموافقته إياه في هذا المنحى الخبيث. فمن ذلك قوله: (وذروة أعمال ابن عربي هي حين يؤكد استمرارية الرسالات السماوية في «فصوص الحكم»... وهو في هذا الكتاب حامل الرسالة

(١) الإسلام (٦٠ - ٦١)، وانظر التعريف بأكبر فيما تقدم في الباب الأول، الفصل الثاني.

(٢) تقدم الكلام عنه في الباب الأول (الأصول التاريخية لدعوة التقريب عند المسلمين) من الفصل الثاني.

الأساسية للإسلام: الرسالة الإبراهيمية التي تعتبر أن الديانات اليهودية والمسيحية ليست سوى دين واحد...

ويشير ابن عربي قائلاً: المسيحي هو الذي يؤمن بدين سماوي، ولا يغير دينه إذا اعتنق الإسلام. لقد كان ذلك الازدهار الأخير للإسلام في الغرب، قبل أن يضطر ابن عربي إلى الرحيل إلى دمشق لكي يلتحق بفلاسفة «الإشراق» الفرس، وقبل أن يَشِيَّ به في القاهرة فقيه كان يروم أن يحكم عليه بالموت.

بعد ابن عربي سيُحتضر الإسلام في الغرب...^(١).

هذه ثلاثة أمثلة لأفراد تشابهت قلوبهم وقلب جارودي، رغم اختلاف أعصارهم وأمصارهم. ومن يتناولهم جارودي بالجرح والتعديل وفق معاييرهِ الفاسدة كثير. وليس كل من امتدحه جارودي يكون مبطلاً بكل حال، فربما امتدح بعض أرباب المهن والعلوم المباحة كالخوارزمي^(٢) في الجبر والرياضيات، والحسن بن الهيثم^(٣) في البصريّات، والإدريسي^(٤) في

(١) الإسلام في الغرب (١٦٩، ١٧١ - ١٧٢).

(٢) الخوارزمي (١٠٠٠ - بعد ٢٣٢هـ): محمد بن موسى الخوارزمي، أبو عبد الله، رياضي، فلكي، مؤرخ، من أهل خوارزم ينعت بالأستاذ. أقامه المأمون العباسي قيماً على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية، وترجمتها. وله كتاب «الجبر والمقابلة» ترجم إلى اللاتينية ثم إلى الإنكليزية. عاش إلى ما بعد وفاة الواثق بالله. انظر: الأعلام (١١٦/٧).

(٣) ابن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠هـ): محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو علي، مهندس من أهل البصرة. يلقب بـ«بطليموس الثاني». له تصانيف في الهندسة. اتصل بالحاكم العبيدي، وتوفي بالقاهرة. وكتبه يزيد على السبعين. انظر: الأعلام (٨٣/٦، ٨٤).

(٤) الإدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠هـ): محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي، الحسني، الطالبي، أبو عبد الله، مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية. من أدارسة المغرب الأقصى. ولد في سبتة، ونشأ وتعلم بقرطبة. ورحل رحلة=

الجغرافيا، وابن خلدون^(١) في الاجتماع.

وربما امتدح بعض علماء الإسلام المعبرين، لخصلة راقته له، وموقف منفرد أعجبه، أو فهمه، حسب منظور لا يلتزمه ذلك الفقيه، كما يصنع مع أبي حنيفة رحمه الله حين يمجّد اجتهاداته وآراءه التي عالج بها مشاكل اعترضت مجتمعاً يخالف مجتمع المدينة^(٢)، ويفرع على ذلك فروعاً باطلة لا يقرها أبو حنيفة، وليست من مذهبه، أو يمتدحه لكونه لم يعتمد إلا سبعة عشر حديثاً فقط - في زعمه^(٣) -.

وكما يمتدح «ابن باديس»^(٤) و«الإبراهيمي» لمجابهتهم الاستعمار

= طويلة، انتهى بها إلى صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني... ووضع له كتاباً سماه: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» أكمله سنة ٥٤٨هـ. الأعلام (٢٤/٧).

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، أبو زيد. ولي الدين الإشيلي، الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البهائي، ولد سنة ٧٣٢هـ، أصله من إشبيلية، وولد ونشأ بتونس، ورحل إلى الأندلس وفاس ثم إلى مصر، اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» وأوله «المقدمة» وهي تعد من أصول علم الاجتماع، وله أيضاً «شرح البردة» وغيرها. توفي سنة ٨٠٨هـ. الأعلام (٣٣٠/٣)، الضوء اللامع (١٤٥/٤)، دائرة المعارف الإسلامية (١٥٢/١)، نفح الطيب (٤/٤١٤)، العبر (٣٧٩/٧).

(٢) انظر: وثيقة إشبيلية (١٨)، الإسلام (٧٣)، روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٨٣). مقابلة مع مجلة الموقف عام ١٩٨٤م، (٢١٦) مقابلة مع مجلة المستقبل مايو ١٩٨٥م... وغير ذلك.

(٣) انظر: الإسلام (٦٥).

(٤) ابن باديس: (١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ - ١٨٨٧ - ١٩٤٠م) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١م إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة «الشهاب»، علمية دينية أدبية. صدر منها في حياته نحو =

الغربي لبلادهم^(١). ولكنه يشيد - بشكل خاص - بطلائع العصرانيين لاقتربهم من منهجه في تقارب الأديان مثل «الأفغاني» و«محمد عبده»^(٢).

أما الصوفية - على اختلاف مراتبهم - فعبية نصحه، وأهل ثقته، ومستراح فؤاده^(٣).

رابعاً: الفصل بين الشريعة والتشريع:

تأسيساً على الأصل الفاسد الذي أصله جارودي في الاختصار على «الإسلام العام»، عمد إلى طمس الخصائص المميزة لدين الإسلام، المتمثلة في جوانبه التشريعية الشاملة لجميع مناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها، ومحاولة تزهيد المسلمين بالتراث الفقهي الضخم الذي خلفه الفقهاء عبر القرون، بدعوى «الاجتهاد» و«التجديد» و«نبذ الجمود»، إلى درجة التكر التام للنظام الجزائي؛ من حدود، وعقوبات ثابتة بالآيات المحكمات، والأحاديث الصحاح، وإجماع المسلمين.

= ١٥ مجلداً. وكان شديد الحملات على الاستعمار. وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رئاسة الأمور الدينية فامتنع، واضطهد، وأوذى. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء المسلمين في عهد رياسته كثيراً من المدارس. وتوفي بقسنطينة في حياة والده. له «تفسير القرآن الكريم». انظر: الأعلام (٢٨٩/٣)، وانظر كتاب: عبد الحميد بن باديس. رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة. تأليف د. محمد فتحي عثمان. وانظر مجلة البيان عدد ١٣ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ (٨ - ١٣).

(١) انظر: الإسلام (٦٥).

(٢) انظر: أصول الأصوليات والتعصبات السلفية: روجيه جارودي. مكتبة الشروق. القاهرة. طبعة يناير ١٩٩٦ م (٣١).

(٣) انظر: الإسلام (٧٨ - ٨٠).

لقد كان جارودي يغمغم بهذه المعاني، ويحوم حولها في منتصف الثمانينيات، كما ورد في «وثيقة إشبيلية» عام ١٩٨٥م، حين طرح سؤالاً: (كيف نعمل لإحياء الإسلام؟) وأجاب بجملته المتكررة في كتبه:

(... يجب ألا نقرأ القرآن والسنة بعيون الأموات...)

أما الذين سمعوه وفسروه فهم بشر، رجال ذوو عقيدة وإيمان، وفقهاء ينتمون إلى عصر محدد في التاريخ، وخليق بنا أن ندرس فقهم بما هو أهل له من احترام، دراسة خالصة صادرة من أعماقنا، ممزوجة بما يشغل بالنا من ضرورة حل مشاكلنا كما حلّوا مشاكلهم من قبل، ولا يتأتى ذلك بتكرار ما قرروه من أحكام، ولكنه يتأتى باستلهم الوسائل التي طبقوها حتى يعيشوا إسلامهم في نطاق إمبراطوريتهم العربية الجديدة، وبلطف آخر في ظروفهم التاريخية التي اختلفت من جذورها عن ظروف مجتمع المدينة...

أما الوحي القرآني فإنه يعطينا أمثلة مادية لحلول ساقها في معرض مشكلة تاريخية محددة، ابتداءً من القيم المطلقة، والمبادئ الثابتة الخالدة التي احتوتها الرسالة...

إن كل آية قرآنية نزلت من الملأ الأعلى إلى التاريخ، فلا مجال لتطبيق نصوص آية تطبيقاً حرفياً بمعزل تام عن مضمونها التاريخي التي نزلت فيه، وعن مجمل الوحي الذي يستوعبها...

إن للفظ «الشرعة» الذي استعمله القرآن للدلالة على القانون الإلهي «أي الشريعة»، لمعنى خاصاً، ذلك لأن الشرعة هي الطريق المؤدي إلى المنع...

يمكن أن يعبر عن مشكلة مستقبل المسلمين بتعبير غاية في البساطة والوضوح:

فإما أن نتقهقر، وقد سُمرت عيوننا على الماضي، نستعيد ما كتبه السابقون من تعليقات، وتعليقات على التعليقات، حول المسائل الفقهية التي ثارت في عصور الأمويين والعباسيين، وإما أن يبدي المسلمون مقدرتهم على حل المشاكل المستحدثة حلاً لا يفضي بالعالم إلى الفناء، وبذلك يستأنف الإسلام تقدمه وظفره، كما علا زمن القرن الأول الهجري، حيث أوجد الحلول للمشاكل التي خلفها انحدار الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية^(١).

ثم أفصح عن هذا الإجمال في منتصف التسعينيات، ووضع النقاط على الحروف فقال في كتابه «الإسلام»، الصادر عام ١٩٩٦م، في معرض رده على الإسلاميين المنادين بتطبيق الشريعة الإسلامية: (ما يناسب تسميته «الإسلاموية» هو في أيامنا هذه: مرض الإسلام، لأن هذه الإسلاموية لا تميز «الشريعة» الدرب الأخلاقي الأبدي والكلبي الذي فتحه كل الأنبياء باسم الله، من «التشريع» الذي يمكنها أن تُلهمه في كل عصر لحل مشكلات هذا العصر.

ويكمن هذا المرض، على سبيل المثال، في إرادة مفادها تطبيق القانون الجزائي السائد في القرن السابع، كاليد المقطوعة بسبب السرقة، أو الجلد، وبالسوط، بسبب الزنى.

• ويضيف إليها الفقهاء، ضد القرآن الكريم، وباسم «التقليد» الرجم حتى الموت^(٢)، وفي إرادة مفادها تطبيق القانون المدني

(١) وثيقة إشبيلية (١٧ - ١٩، ٢١ - ٢٢).

(٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال: «إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها، ووعيناها، وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشي إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها، وإن الرجم حق في كتاب الله، على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، =

والأحوال الشخصية، اللذين كانا يتوافقان مع شروط القرن السابع التاريخية، على الزواج والطلاق والمواريث...

والخطأ الأسوأ المميت بالنسبة لمستقبل الإسلام يكمن في الخلط بين القانون الإلهي الأبدي «الشرعة»، وما كان عليه الفقه «التشريع» في القرن السابع...

ويعقد فصلاً في كتابه هذا بعنوان: (كيف يمكن أن يتوطن إسلامٌ في مستقبلنا؟ ماذا يعني تطبيق الشريعة؟) يقول فيه:

(الادعاء بتطبيق حرفي لحكم تشريعي بحجة أنه مكتوب في القرآن الكريم، إنما هو خلطٌ بين القانون الأبدي، قانون الله، «الشرعة» التي هي «ثابت» مطلق، مشترك بين الأديان كلها والحكم كلها - وبين التشريع المخصص للشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي، تشريع كان تطبيقاً تاريخياً، خاصاً بهذه البلدان، وبهذا العصر، للقانون الأبدي...

والقانون الإلهي، الشريعة، يوحد المؤمنين كلهم، في حين أن الزعم بفرض تشريع القرن السابع الميلادي، وللجزيرة العربية، على الناس جميعهم في القرن العشرين، إنما هو عمل يعطي صورة مزيفة رافضة للقرآن الكريم. إنها جريمة ضد الإسلام، وليس لـ «تطبيق الشريعة» الحقيقي أي علاقة بهذه الحرفية الكسول»^(١).

إذاً فقد كان يهدف من وراء دعوته إلى التجديد والاجتهاد ونبذ الجمود والتقليد، إلى سلخ الأمة عن العمل بكتاب ربها، وسنة

= إذا قامت البيئة أو كان الحبل أو الاعتراف، رواه البخاري (٢٦/٧) ومسلم (١٣١٧/٣)، أما جارودي فينكر أيضاً ما يجد في كتاب الله مثل حد السرقة - كما سيأتي -.

(١) الإسلام (٨١، ١٠٤، ١٢٦).

نبيها ﷺ، بحسبان تلك الشرائع «وقتيّة»، وذات مناسبات تاريخية، ليست لها صفة الديمومة، بل ربما سماها «عادات» و«تقاليد» عربية، فنزعتها حتى من أصلها الشرعي، كما قال في مقابلة مع مجلة المستقبل في ٤ مايو عام ١٩٨٥م: (إذا كان الإسلام يريد أن ينتشر ويتوسع، فعليه أن يتماشى مع حضارات الشعوب الأخرى. لكن إذا كنا نريد لانتشاره أن يفرض على كل مؤمن جديد أن يصبح عربياً من القرن التاسع... فهذا يبدو غير معقول... كما أن العرب في تلك الأثناء كانوا عرب القرن التاسع، أي أنهم لم يطلبوا من أحد أن يصبح عربياً، ويتقيد بعادات وتقاليد العرب، لكي يصبح مسلماً. كان يطلب منه فقط أن يؤمن بالعقيدة الإسلامية)^(١).

وما هذه الدعوة إلى نبذ الشريعة، إلا حلقة في سلسلة متلاحقة الحلقات يقول الأستاذ أنور الجندي: (لقد توالى المراحل في التشكيك في الشريعة الإسلامية، وأصالتها وربانيتها، ثم خلقت الإشكالات لضرب الشريعة بالفقه، والفقه بالشريعة، ثم جرى الحديث حول مقولة باطلة هي الأنظمة الوضعية لا تختلف كثيراً. ثم توالى محاولات الخداع والتضليل فيه لإيقاف المد، حتى جاء من يطعن في تاريخ الإسلام، ويحاول أن يدعي أن الشريعة لم تطبق إلا فترة قليلة، ومنهم من أخذ يصور الخلفاء والأمراء المسلمين بصورة الظلم والعسف، ومنهم من حاول أن يراوغ في تفسير الآيات، ويدعي أن لكل عصر ظروفه، حتى جاء الببغاء الزئبقي، فنقل كل ذلك على لسانه، بعد أن أعلن إسلامه ليكون لساناً لهم وزعيماً - يريد جارودي ونقل بعض كلامه ثم قال: - وهو بذلك ينكر خلود الوحي والشرع، وامتداده إلى كل العصور والبيئات، وتلك فكرة ما تزال من رواسب الفكر الغربي الذي ما زال يعيش في أعماقه)^(٢).

(١) عن: رجاء جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٢١٧ - ٢١٨).

(٢) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (١٧٩).

وقد أعوزه هذا السعي لطمس شريعة الإسلام، وهدم مبانيه العظام، إلى كفرٍ أعظم منه، لا يتم له مراده - لا تتم الله له - إلا به، فصار يقول بتبجح وجراً فاجرة بـ «تاريخية القرآن»، ويستهزئ بالسنة المطهرة، بالرد والتكذيب، أو التحريف المتعسف، وسلوك سبيل سلفه من الباطنيين القائلين بـ «رمزية النصوص» ومن شواهد هذا الكفر والضلال ما يلي:

أولاً: دعوى تاريخية القرآن ورمزيته:

في عام ١٩٨٥م قال روجيه جارودي في وثيقة إشبيلية: (علينا أولاً أن نتعلم كيف نقرأ القرآن)^(١). وجاءت الإجابة المفصلة عام ١٩٩٦م في كتابه: «الإسلام» بما يلي: (أولاً: قراءة القرآن في التاريخ)^(٢). واتخذ من قضية النسخ التي هي من خالص حق الرب المشرّع سبحانه، كتغيير القبلة، مدرجاً لمنح هذا الحق لمن هب ودب من الزنادقة أمثاله، كما تذرّع باختفاء بعض المظاهر التي كانت سائدة طوال قرون مضت، وانحسرت في العقود القليلة الأخيرة كالرق، ووجود مواقع جغرافية يختلف فيها حسابان الليل والنهار في معرفة أوقات الصلوات والصيام وغير ذلك، مما تفتن له فقهاء المسلمين، تذرّع بذلك إلى توسيع دائرة «التاريخية»، وأن الأحكام القرآنية مرتبطة بظروف تاريخية معينة، وليست ملزمة ولا دائمة، فيقول:

(وليست هذه «التاريخية» تاريخية القرآن الكريم، أكثر وضوحاً في أي نص منها كما في النصوص الخاصة بالمرأة)^(٣). ثم يشرع في

(١) وثيقة إشبيلية (١٦).

(٢) الإسلام (٩٥) وما بعدها.

(٣) الإسلام (٩٩) وما بعدها.

اجترار شبهات المستشرقين حول «القوامة» و«شهادة المرأة» و«تعدد الزوجات» و«الطلاق» و«التمييز العنصري ضد المرأة» و«ولاية المرأة» و«حجاب المرأة» و«ميراث المرأة»، مخولاً نفسه حق الاعتذار عن الإسلام بأن (كل ذلك مرتبط بشروط تاريخية معينة... وعلى عاتقنا تقع مسؤولية أن نجد الوسائل التاريخية في كل لحظة لتحقيق هذه الغايات المتعالية، كما يضرب لنا القرآن الكريم عليها مثلاً مجتمع المدينة. ويستبعد هذا التمييز القرآني الواضح كل حرفية، ويدعونا للتفكير في الأمثلة، ولا يدعونا لأن نطبق أحكاماً تشريعية تاريخية تطبيقاً أعمى على كل الأزمنة)^(١). ويمضي في ضرب الأمثلة على تاريخية القرآن - كما يزعم -: فيطبق ذلك على أحكام الحدود، كحد السرقة مثلاً، داعياً إلى تعطيل النصوص القرآنية المحكمة الصريحة في ذلك، بحجة تلك «التاريخية»^(٢) التي ابتدأ بها الإجابة على سؤاله «كيف نقرأ القرآن؟». ثم ثنى بـ (ثانياً: قراءة أمثال القرآن ورموزه)^(٣)، وفيها يهيم هذا الفيلسوف في أودية تحريفات المعتزلة، وإشارات الصوفية، وتخيلات الباطنية، زاعماً أن هذا التخبط هو مراد الله - سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون - في ضرب الأمثال في القرآن، وأنه «رمزية» ناجمة عن تعالي الله^(٤)، وبالتالي فـ: (إنه لشرط ضروري للإفلات من انحرافات قراءة حرفية هزلت بفعل دوغماتية قرون عشرة من التفسيرات،

(١) الإسلام (١٠٣).

(٢) المرجع السابق (١٠٨ - ١١١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) من شواهد ذلك قوله: (عندما نقرأ: «يد الله فوق أيديهم» فهل نحفظ في ذاكرتنا أن الله يدين؟ أم أنه غفور رحيم، وأنا نحس به كما نحس بحرارة يد من يحب ويعفو، وكما نحس أيضاً بحزم اليد التي تعيدنا إلى الصراط المستقيم).

انظر: الإسلام (١١٥).

أن تميّز ما هو مثل للدلالة على معنى، مما هو كلام تاريخي بوصفه جواباً مباشراً عن مسألة^(١).

وحيث أفلت جارودي فعلاً من هدي النص القرآني، وجدناه في تهويماته الرمزية يجمع بين الزمخشري^(٢) المعتزلي، ومحمد عبده العصراني، ودانتي في كوميدياه الإلهية^(٣)، وابن عربي في معراجهِ، على وقع ألحان الأناشيد الفيدية^(٤)، في وحدة يهتف لها في مشروعه التقاربي^(٥).

ثانياً: الطعن في السنة المطهرة:

لما كانت السنة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - الأصل الثاني من أصول الاستدلال، لكون صاحبها ﷺ معصوماً بقوله

(١) المرجع السابق (١١٣).

(٢) الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ). محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري. جار الله، أبو القاسم، كان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، وعلى أهل السنة. من مؤلفاته الكثيرة: الكشف، في التفسير، أساس البلاغة. انظر: الأعلام (١٧٨/٧).

(٣) الكوميديا الإلهية La Divina Commedia ملحمة إيطالية، ألفها دانتي الياري (١٣٠٠ - ١٣١٨م)، وضمنها فلسفة العصور الوسيطة وعلومها. يصف فيها الشاعر رحلة وهمية مع عشيقته بياتريس، قام بها في العالم الآخر بقيادة فرجيليوس الشاعر. تتألف من ثلاثة أقسام: الجحيم، الطهر، الفردوس. المنجد في الأعلام (٦٠٠). وقد جعل هذا الأفاك نبينا محمداً ﷺ في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة من طبقات الجحيم. ورغم ذلك يمجّد هذا العمل كثير من الأدباء المسلمين.

(٤) «الفيدا» أو «الويدا» أهم الكتب المقدسة عند الهندوس، (تُرى فيه مدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب، كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود). الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة (٥٣٢).

(٥) المرجع السابق (١١٣ - ١٢٢).

تعالى: ﴿وَمَا يَطِئُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ﴾ [النجم]، والأمة مأمورة باتباعه: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وذلك لأن (السنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدلل عليه، وتعبر عنه)^(١)، عمد روجيه جارودي - كما فعل أشياعه من قبل - إلى محاولة الحط منها، وإقصائها، وزاد عليهم بالجرأة المتناهية والوقحة في رد الأحاديث الصحاح وتكذيبها، وتسفيه أهل الحديث، فيقول:

(لم يظهر في أي مكان من القرآن الكريم تعبير «سنة النبي»^(٢). وهذا الغياب له ما يسوغه تماماً، لأن القرآن الكريم يوضح أن النبي، فيما عدا التنزيل، ليس سوى بشرٍ مثل بقية البشر... أي أنه غير معصوم، ويرتكب أخطاء. ويوصي القرآن إذن المؤمنين بطاعته... وبأن يروا فيه قدوة... وذلك لا ينطوي على الإطلاق أن المسألة مسألة تقليده تقليداً أعمى في كل شيء. فهل يعني أن «الأحاديث» ينبغي أن ترفض جملة؟ كلا. ولكن الواجب يقضي استخدامها بتعقل. فمنها مجرد تكرار للقرآن الكريم. فهي ليست إذاً ذات جدوى. ومنها ما يتناقض مع القرآن الكريم، وينبغي استبعادها. وثمة أحاديث أخرى تنصبّ على أمور تافهة، حتى لدى «علماء الحديث» ذوي الشهرة، مثل البخاري - ثم مثل بأحاديث تتبع الدباء في القصعة، وآداب الانتعال، وتوفير اللحي وحف الشوارب، وتمشيط الشعر وقال - فأى علاقة لذلك بالإيمان والعلم الذي يوحى به؟

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٣٨).

(٢) عجباً لهذه الحرفية المغرقة التي كان ينتقدها في دعوته للرمزية، فكيف والآيات المحكمات ظاهرة الدلالة على المعنى المراد. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

والتحقق من صفة الشهود والنقل «المسمى علم الحديث» في مثل هذه الحالات ممارسة من الأفضل أن يخصص الزمن الذي يستغرقه فيها «علماء الحديث» الرسميون للتفكير في متضمنات القرآن الراهنة لحل المشكلات التي ترهقنا^(١).

ويمتدح «المعتزلة» لزهدهم بالحديث النبوي قائلاً: (ويميز المعتزلة تمييزاً واضحاً كلام الله، الكلام الذي أنزله في «شريعة» القرآن الكريم، من الكلام البشري غير المعصوم... ومن هنا منشأ حذرهم أمام «الأحاديث»، وهي أقوال منسوبة إلى محمد ﷺ تكاثرت بعد موته خلال القرون الثلاثة الأولى^(٢)).

فلا عجب بعد هذا أن يبلغ جارودي في حياض السنة النبوية الشريفة، يصحح ويضعف، ويقبل ويرد، وفق ما يمليه عقله وهواه، دون أدنى تحرج وحياء، ومن أمثلة ذلك قوله: (منذ عهد الأمويين بدأ الاعتداء الأكثر إجرامية ضد الإسلام: الميل إلى أن يصنع منه إيديولوجية تبرير لسلطة الملوك المطلقة، ومدرسة خنوع بالنسبة للشعوب، أي ضرب من لاهوت السيطرة... يُقبل حديث في أوانه ليقول للمسلمين: «عليكم بتأدية الصلاة ولو وراء مرتكب الكبيرة أو معتد»^(٣) في حين أن قيادة الصلاة، وصلاة الجمعة على وجه الخصوص كانت الوظيفة الأولى للخليفة. وسيستقبل الإمام مالك هذا الحديث بوصفه صحيحاً...).

وصيغ حديث هدفه محاربة هذه التمردات، وإلى الأبد، حديث

(١) المرجع السابق (٦٨ - ٦٩).

(٢) المرجع السابق (٦٥).

(٣) لعله رواية بالمعنى للأحاديث الصحيحة الدالة على الصلاة خلف الأئمة أبراراً كانوا أم فجاراً كما هو معتقد أهل السنة والجماعة ومنهجهم. انظر شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٩/٢).

يقدر الحاضر والماضي فزور قول على لسان النبي ﷺ: «أفضل جيل جيلي، ثم الجيل الثاني على الأخص ذلك الذي يأتي بعده، ثم الجيل يخلفه»^(١)...

ويبرهن نص القرآن على بطلان حديث مزعوم، يروي أن النبي ﷺ كان قد لام أحد أنصاره على أنه يقرأ التوراة^(٢). إنه نوع من الحديث المزيف، المتناقض على نحو جذري مع القرآن الكريم، الذي يقود إلى إفقار الإسلام وإشراقته بوصفه تنزيلاً أخيراً، لا يلغي التنزيلين السابقين بل يؤكدهما^(٣).

وقد توهم هذا المتهوك أن كون القرآن العظيم مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، يقتضي صحة ما بأيدي اليهود والنصارى حينذاك، وتعامى عن الآيات الكثيرة الدالة على تحريفهم الكلم عن مواضعه، ومن بعد مواضعه، وكتابتهم الكتاب بأيديهم، ثم قولهم هذا

(١) يريد الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود ؓ - مرفوعاً -: (خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)، وفي رواية عند مسلم عنه أيضاً: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) صحيح مسلم (٤/١٩٦٢ - ١٩٦٥).

(٢) يشير إلى ما رواه الدارمي في مقدمته من حديث جابر، أن عمر بن الخطاب ؓ (أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ، فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله ﷺ، رضيانا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، لو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني) المقدمة (١١٥).

(٣) الإسلام (٦٨ - ٦٩، ٨٧ - ٨٨).

من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. ولهذا لما ذكر الله تعالى التوراة والإنجيل في سورة المائدة، أردف بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أي أميناً عليها وحافظاً ورقياً، يبين صدق أهل الكتاب من كذبهم^(١).

خامساً: مضاهاة النصرانية^(٢):

سعى روجيه جارودي سعيّاً حثيثاً في مشروعه التقريبي بين الأديان إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية بشكل خاص، وذلك بسبب نصرانيته المتجذرة في أعماق نفسه، التي لم ينفك أبداً عن إعلان تمسكه بها في جميع أطوار حياته، ومواقفه الفكرية المتنوعة، ولما يمثله أتباع هاتين الديانتين من ثقل كمّي ونوعي على وجه المعمورة. ومن ثمَّ فإنَّ «إنجازاً» كهذا ظل يداعب مخيلة جارودي وأمثاله، ويصرح بهذا التقارب الخاص في واحدٍ من أواخر كتبه، فيقول: (إنهم كثيرون أولئك الذين يتطلعون في العالم المسيحي، كما في العالم المسلم، إلى توحيد قواهم، لينبؤوا معاً القرن الواحد والعشرين بوجه إنساني أي بوجه إلهي، باسم إيمانٍ وحيد، بصورة أساسية عبر تنوع العبادات والطقوس)^(٣).

وقد لا يجد جارودي صعوبةً في تأطير منظومته التقاربية بإطار «الإسلام الأزلي» للأديان الإبراهيمية، كما لا يجد حرجاً في تسوينغ

(١) انظر جامع البيان «تفسير الطبري» (٦/٢٦٦ - ٢٦٨).

(٢) روى الإمام أحمد رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح بيت المقدس قال لكعب الأحبار: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ. المسند (١/٣٨).

(٣) الإسلام (١٤٢).

تنوع العبادات والطقوس، ولكن ما تراه فاعلاً في التناقضات الأساسية في أصول ذلك الإيمان «الوحيد» الذي ينشده بين الإسلام والنصرانية حول مسائل التوحيد، والتثليث، والعلو، والحلول، ونفي المثل، ودعوى البنوة، وغيرها من القضايا العقدية الماحقة لكل لونٍ من ألوان التقريب والدمج؟!

لقد سلك جارودي لتخطي هذه الحواجز الشاهقة مسلكين:

أحدهما: التهوين من شأنها بحسبانها خلافاً لفظياً حول حقيقة متفق عليها:

١ - التثليث:

انبرى جارودي، وهو الفيلسوف الذي سبر مختلف العقائد والنظريات ونقدها بعمق، للدفاع عن الوثنيات النصرانية المتهافتة، ليرفع عنها تلك الوصمة التي لا يقبلها قلب سليم، ولا عقل صحيح، زاعماً أنها لا تناقض ما جاء به الإسلام، مع نوع من المعاذير الباردة. فيقول: (ليس من الجد في شيء أن يتهم الإيمان المسيحي بالتثليث، بأنه إيمان بثلاثة آلهة، حتى لو كانت الصيغ الهيلينية عن الثالوث في مجمع «نيقية» تفسح المجال بغموضها، لجميع الالتباسات، وقد ولدت أكثر من هرطقة.

يعلن القرآن التوحيد بقوة: «الله أحد... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، ولا تقول المسيحية شيئاً آخر: إن مجمع لاتران ١٢١٥م... يقول بالنص: «إن الحقيقة العليا هي في آنٍ واحد أبٌّ وابنٌ وروحٌ قدس. وهذه الحقيقة لا تلد ولا تولد ولا تنبثق من غير ذاتها». ليس هاهنا إذن تشكيك بالوحدة الإلهية، وإنما هاهنا مجرد تعقيدها الذي لا يمكن أن يترد إلى مفاهيم على الطريقة اليونانية^(١).

(١) نحو حرب دينية. جدل العصر. (٢٣).

والواقع أن كلاً من مجمع لاتران ١٢١٥م، وروجيه جارودي ١٩٩٦م لم يضيفا جديداً، ولم يقولوا شيئاً آخر غير ما قاله مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وهو التثليث الصريح الذي أنكره القرآن بكل الجِد، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

ويشحن جارودي سلاحه العتيق «تاريخية القرآن»، لدفع هذه الوصمة عن أهل ملته، فيقول: (بوسع المرء أن يكثُر الأمثلة على تاريخية القرآن الكريم هذه. فعندما نبذت، على سبيل المثال، فكرة أن مريم هي الشخص الثالث في الثالوث لدى المسيحيين، فإن إدانة هذه العبادة «عبادة مريم» كان لها على وجه الدقة تاريخها: كان «أوريجين»^(١) قد هاجم هذه «البدعة» لدى الكوليريديين... ولدى شعب الأورفيت، الذي كان لا يميز مريم العذراء من روح القدس. فالجدال يقع إذن في فترة محددة من التاريخ، ولن يكون له أي سبب للوجود في أيامنا هذه. إنه جدال ذو علاقة بالمعرفة التي كانت لدى المسلمين في زمن محمد ﷺ معرفتهم المسيحية. والرسالة معبر عنها في لغتهم)^(٢).

وفي هذ الشهادة من جارودي، دليل على أن من قال من المفسرين المسلمين أن النصارى يعدون مريم أحد الثالوث لم يتقول عليهم - كما زعم بعض النصارى العرب، ليتخذ ذلك دليلاً على أن النصارى المكفرين في القرآن غير المعاصرين^(٣) - ولكن كون مريم ابنة عمران ﷺ ليست أحد الأقانيم، في ثالوث المعاصرين - وعموم النيقاويين - لا يعني براءة هؤلاء من التثليث من جهة، إذ هو خلاف في

(١) أوريجين: تقدمت ترجمته (٤٤٢).

(٢) الإسلام (١١٢).

(٣) انظر ما تقدم في فصل «النصارى العرب» في الرد على الأب يوسف درة الحداد والمطران جورج خضر والمطران كيرلس سليم بسترس.

تعيين الألقوم الثالث فقط، كما لا يعني براءتهم من عبادتها التي دل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فتأليها قدر زائد على حسابها أحد الألقاب، وذلك بصرف الدعاء والرجاء والتضرع إليها، مما تطفح به الطقوس الكنسية، والأدب النصراني.

ومن ثم فتعطيل الآية عن دلالتها بدعوى التاريخية دعوى ساقطة، يتعلق بها النصراني الشرقيون والغربيون. فنصارى الأمس هم نصارى اليوم - عقدياً - سواء بسواء.

لقد كان اللائق - على الأقل - بجارودي الذي يدعو إلى الإسلام الأزلي، وإيمان إبراهيم عليه السلام، أن يدعو النصراني إلى إبطال هذه المقالة الكفرية، بدلاً من الاعتذار والمماحكة بالباطل.

ب - ألوهية المسيح وبنوته:

يقول جارودي: (والجدل الخاطئ الآخر يدور حول ألوهية المسيح، وهو ناشئ عن اللاهوتيين، لا عن الإنجيل ولا عن القرآن. يقول القرآن: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» ٣ - ٥٩. يسوع إذن مخلوق الله، مثل آدم.

بولس نفسه يدعو «آدم الجديد»... وهذا النص الذي يعود تاريخه إلى السنة العاشرة للهجرة جزء من الجدل بين محمد ﷺ ونصارى نجران حول ألوهية المسيح الذي كانوا يعدونه «ابن الله»، والقرآن الكريم، كما رأينا لا يقول شيئاً آخر حين يجعل يسوع كلمة الله وروحه. لكن هل تقول الأناجيل شيئاً آخر؟ لا يقول يسوع في أي مكان: أنا الله. إنه الابن الخاضع كل الخضوع لله. والترجمة الممكنة الوحيدة للخاضع لله هي «المسلم» أمره الله، «فإنه قد قال أنا ابن الله» متى (٢٧/٤٣)^(١).

(١) نحو حرب دينية. جلد العصر (٢٣ - ٢٤).

إن جارودي يزعم أنه يحسم الجدل القائم بين المسلمين والنصارى بالقول بأن التعبير القرآني في وصف عيسى عليه السلام بأنه كَلِمَتُهُ ﴿الْقَلَمَآءَ إِلَّا مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] مطابق لوصف النصارى إياه: (ابن الله) وأنهم لم يؤلهوه. وقد غالت من وجوه:

■ أن معنى «كلمته ألقاها إلى مريم» (أي: إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: كن، فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم: أي خلقه بالكلمة. التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عليه السلام، فكان عيسى بإذن الله عليه السلام، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم، والجميع مخلوق لله عليه السلام. ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أرسل بها جبريل^(١).

أن جارودي قرَّ من زاوية من الكفر إلى زاوية أخرى حين حمل دعوى «التأليه» على «البنوة»، فهل خفي عليه إنكار القرآن لهذا التعبير الكفري المقتضي لِلْوَازِمِ الفاسدة، من المماثلة بوجه من الوجوه بين الخالق والمخلوق، والغلو بغير الحق، والإطراء المذموم. وقد عاب الله عليهم هذه المقالة، وعدَّها من مضاهاة مقالات الكفار الوثنيين، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْتَصَدَّى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَسَلِّمُوا لَهُ اللَّهُ أَنَّى يُوَفِّكُونَ أَخْذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرَبُّهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] فتبين كذب ما كتبوه بأيدهم على لسان عيسى عليه السلام «أنا ابن الله» وبرأه الله مما يقولون.

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٧٧ - ٤٧٨).

■ زعم جارودي أن البنوة تعني الخضوع، أو إيهامه بذلك، دعوى لا دليل عليها، ولا تتسع لها لغة، ولا يقول بها عامة النصارى. فإن كان هذا إنكار منه لفرية البنوة فليقلها صريحة، وليدع النصارى إلى التبرؤ من كل لفظ ينافي توحيد الله. وإن كان ذلك لون من التوفيق فهو ما يتعين دفعه وردّه.

ثم إن حيدة جارودي عن تهمة «تأليه المسيح» إلى «دعوى البنوة»، بحسبانه جزءاً من الجدل بين محمد ﷺ ونصارى نجران، هل يعني تنصل النصارى من هذه المقالة البشعة التي أكفرهم الله بها في موضعين في سورة واحدة بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]؟ هذا ما لا يستطيع جارودي إثباته مهما تفنن في تشقيق الكلام، وتأويل اليقينيات.

نعم، صدق جارودي حين قال: (لا يقول يسوع في أي مكان: أنا الله) وحاشاه ﷺ، وإنما قال: ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وإنما تقول ذلك عليه بولس وأتباعه، كما سيتضح من المسلك الثاني الذي سلكه للتقريب على الصعيد العقدي.

المسلك الثاني: التنظير بين عقائد النصارى، ومقالات أهل وحدة الوجود والحلول، المنسويين إلى الإسلام.

نزعة جارودي نحو التصوف، وإعجابه بأربابه من مختلف الديانات نزعة قديمة سابقة لدعوى إسلامه^(١). إلا إنه وجد في غلاة الصوفية المنتسبين إلى الإسلام من أمثال ابن عربي، وجلال الدين الرومي، والحلاج، بغيته للتسلل إلى تقرب الإسلام إلى النصرانية من

(١) انظر: روجيه جارودي والمشكلة الدينية (٢٦٢).

باب التصوف، وعلى وجه الخصوص، مسألة «الحب»، بوصفها العامل المشترك الذي يهيم حوله الصوفية، ويلهج به النصارى، وإن برؤى مختلفة نسبياً.

يقول جارودي: (إن تصور الحب هذا نابغ مما هو الفكرة الرئيسة في الرؤية الإسلامية: التوحيد، وعي الإنسان أنه لم يوجد إلا بأمر الله، ولا يفعل شيئاً إلا بأمره، وذلك يستتبع كما هي الحال في المسيحية، الانسلاخ من «الأنأ الصغيرة»، كي ندع المكان كله فينا لله، للواحد، وللـكل. وذلك هو أساس الوحدة العميقة بين التصوف المسيحي والصوفية الإسلامية، التي ستبلغ أوجها في الأخوة الروحية بين ابن عربي وسان جان دي لا كروا مع فرق ثلاثة قرون)^(١). ويقول: (الأنأ في الإسلام بدت لي متحررة تماماً من البعد الحسابي، إنها الكون، ولقد فتنني كثيراً أولئك المتصوفة الذين أدركوا بعمق يثير الدهشة حقاً تلك المسافة اللاغية، أو لنقل ذلك الحضور الغائب بين الأنأ الإلهية والأنأ البشرية)^(٢).

ويقترّب أكثر من عقيدة الحلول التي يشترك فيها النصارى وغلاة الصوفية حين يقول: (إن عيسى المسيح رمز وحدة الإنسان والله. كاشف الواحد والكل لدى الصوفيين. وكاشف الحب، أي التعبير عن وحدتها. والرسالة الأساسية لعيسى المسيح التي يجعلها الصوفيون رسالتهم، هي بالنسبة لهم الحب في صورته الأسمى: الحب النابع من الله، الحب الذي يرجع إليه، شأنه شأن كل واقع)^(٣).

ومن ثمّ فإن جارودي لا يجد حرجاً - رغم ادعائه الإسلام - أن

(١) نحو حرب دينية. جلد العصر (٢٧).

(٢) من مقابلة مع مجلة الموقف العربي. ديسمبر عام ١٩٨٧م.

(٣) الإسلام (١٩).

يقول في كتاب صدر عام ١٩٩٦م: (مع يسوع صار الإله إنساناً، وصار الإنسان إلهاً في برعمه... ما الذي يمكن أن يخشاه إنسان يعلم بطريق يسوع، أنه مسكون بالله؟)^(١).

فما أسهل تقبل فكرة الحلول الإلهي بالمسيح الجثمانى - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لدى الفكر الصوفي الذي يوسع دائرة الحلول والاتحاد لتشمل جميع الكائنات. وذلك سر القربى والرحم بين جارودي والصوفية، فلا عجب أن يقول: (إن تجريم الصوفية هو جريمة ضد الإسلام... الصوفية هي باطنية الإسلام. فلعل إسلاماً بلا باطنية، إسلاماً مقتصرأ على طقوسه، دون حب الله الذي يعطيها معنى، هو إسلام ميت. وكل إحياء للفكر الديني للإسلام يمر عبر إعادة الاعتبار للتصوف)^(٢).

سادساً: تمجيد ملل الكفر، ودعوة المسلمين إلى الانفتاح عليها والتلاقي معها:

ينعى جارودي على المسلمين انغلاقهم على ذاتهم، وجمودهم على نصوصهم الخاصة - في زعمه - ويدعوهم إلى الانخراط في العالم المعاصر بصفة مشارك يحترم تراث وثقافة الآخرين من سائر أمم الكفر والضلال:

فيقول في وثيقة إشبيلية عام ١٩٨٥م: (هناك مشكلتان داخليتان رئيسيتان تحجبان إشراقة الإسلام اليوم، وهما:

أ - الاستكفاء والجهل بالغير... والإسلام اليوم لن يستطيع أن يستأنف مسيرته إلا إذا وسع كل حكمة، وكل عقيدة، يمكن أن يتضمنها ويضمها إليه.

(١) نحو حرب دينية. جلد العصر (٥٨).

(٢) الإسلام في الغرب (١٦٦).

ب = زهو النصر: وهو الادعاء القاتل بوجود إجابات مستكملة جاهزة صيغت منذ ألف سنة على يد الفقهاء وما خلفوه من تراث...^(١).

وقد تعقبه الدكتور سعد عبد المقصود، بقوله: (واتساع الإسلام لكل حكمة أمر على إطلاقه غير مفهوم. واتساعه لكل عقيدة أمر في غاية الخطر، لأنه يؤدي إلى انهيار قواعد الإسلام من أساسها، وضمها إليه فيه خطر الاتساع في العقيدة، وهما بتفسير بسيط يتمثلان في أن يتقدم الإسلام خطوة ويترك قواعده الصحيحة، وتتقدم الأديان الأخرى خطوة لتلتقي الأديان كلها في منتصف الطريق، وهذا ما يطمع فيه كل أصحاب الأديان والمذاهب الإلحادية، ويرون فيه ضالتهم المنشودة في القضاء على الإسلام وأهله. إذ أن ترك القواعد الصحيحة، والرحضة عنها، وتركها، تؤدي كلها إلى عدم اليقين، وعدم الإيمان بأركان صحيحة، وشيئاً فشيئاً يبعد المسلمون عن مواطن ثباتهم، ويتزحزون عن دينهم، بقدر ما يقربون من مذاهب التصقت ببشرية البشر، أو سيطر عليها الفكر البشري، وهذا ما يوده أهل الديانات الأخرى، كما أشار القرآن: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشُّرِكِينَ أَنَّ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]^(٢).

ثم ينهي الوثيقة بتوجيه هذا النداء العام:

(ندعو الناس كافة، على مختلف نحلهم وعقائدهم، يهوداً، أو

(١) وثيقة إشبيلية (١١ - ١٢).

(٢) لا لجارودي ووثيقة إشبيلية (٥١).

نصارى، هندوكيين، أو إنسانيين، من الذين يعون أن الإنسان لا يستغني بنفسه عما سواه، ندعوهم إلى أن نتعاون جميعاً لإنقاذ العالم من إفلاسه الأخلاقي، ومن الهلاك الذي ينتظره، وذلك أن نعيد للإنسان بعده القدسي. ويجب ألا تغمر الخصوصيات والتقاليد، هذه العالمية الإسلامية ولا رسالته التي تدعو الناس كافة من أهل كل ملّة وحكمة وعقيدة لينقذوا العالم من غوايات تجره إلى الهلاك^(١).

تُرى أي غواية أعظم من الكفر بالله وتكذيب رسوله، يستنجد جارودي باليهود والنصارى والهندوس، والملحدين الإنسانيين أن ينقذوا العالم منها؟ أما كان يتحتم على من زعم الإسلام، وتحدث باسم المسلمين الأوربيين في مؤتمر إشبيلية، أن يوجه الدعوة إلى الناس كافة على مختلف نحلهم وعقائدهم إلى عبادة الله وحده، واتباع رسوله ﷺ، بدلاً من دعوتهم إلى التعاون لإنقاذ العالم مما هم واقعون فيه؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

ويطرح الدكتور سعد عبد المقصود سلسلة من التساؤلات حول دعوة جارودي هذه فيقول: (كيف يجتمع أهل الملل والنحل مع الذين لا يؤمنون بملة ولا نحلة ولا بمذهب؟

وكيف يجمع المسلمون مع اليهود والنصارى؟ والإسلام قد ألغى هذه الديانات ولم يبق لها إلا وجودها التاريخي، إن اجتماع المسلمين باليهود والمسيحيين في مؤتمر ديني باسم الإسلام يعني اعتراف المسلمين باليهودية والمسيحية وهذا باطل.

وكيف يجتمع الهندوكيون، وهم لا يؤمنون بدين سماوي مع المسلمين واليهود والنصارى وهم يؤمنون بدين سماوي؟

ثم كيف يجتمع المؤمنون بدين سماوي مع الإنسانيين الذين

(١) وثيقة إشبيلية (٢٣).

فسرهم رجاء جارودي بأنهم الذين يؤمنون بالإنسان كفكرة مطلقة، ووجوب العمل لخيره...

ثم لم يبين كيف تتفاهم هذه الأمشاج الدينية، وتلك الأخلاط غير المتجانسة؟ وماذا يبحثون؟ وكيف؟ وما منهجهم؟ وما وسيلتهم لبعث ثقافة جديدة لا تفصل بين العلم والحكمة والعقيدة؟ كيف يصلون إلى هذا الغرض وهذه النتيجة؟...

ولا يمكن أن تأتي هذه الدعوة الخبيثة غير المسبوقة، بنتيجة إيجابية لصالح جماعة أو ملة، اللهم إلا إذا كانت يترتب على أساسها تنازل كل أصحاب ملة عن بعض معتقداتها، ليلتقي الجميع على رماد الانحراف. هل يكون القصد تدمير العقيدة الراسخة، التي يدعو إلى الوحدة بينها وبين العلم والحكمة؟

هل يكون قصده نفس فكرة التداني بالقرآن الكريم، والتمسك به والاعتصام بحبله؟

إن اجتماع الطوائف من أصحاب الملل والنحل وأصحاب الديانات الصحيحة وغير الصحيحة في ملتقى أو مركز دائم، أو جامعة، حسب ما رسم الأخ جارودي، يعني القصد المباشر إلى النيل من الإسلام وإرهاقه، تطبيقاً لقاعدة الصحة والسلامة، والوقاية خير من العلاج.

فالمرضى من أصحاب المعتقدات الباطلة، وأصحاب المعتقدات المنحرفة وأصحاب المذاهب البشرية، سوف ينقلون العدوى، وسوف تشيع الأوبئة، حتى لو تحصن الأصحاء، لأن الوباء إن لم يقتل فسوف يحدث أثره دون شك^(١).

(١) لا لجارودي ووثيقة إشييلية (٨٤ - ٨٦).

إن هذا النداء ينم عن حقيقة إسلام هذا الرجل، وهوان الإسلام الحق عليه، والريية التي اكتنفت دعوى إسلامه، وما يرمي من ورائه.

ثالثاً: محاولات روجيه جارودي العملية للتقريب بين الأديان والحضارات:

اتخذ روجيه جارودي جملة من الإجراءات العملية للتعبير عن تطلعاته الفكرية. فبحكم طبيعته «الحركية» لم يكتف بالتأج المكتوب، بل كان له حضورٌ فاعل، وحركة دائبة، وسفر متصل إلى كثير من دول العالم كما تبين في سيرته.

وفي سعيه الحثيث لإرساء مشروعه في توحيد العالم، أو التقريب بين حضاراته المختلفة، تمكن جارودي من تأسيس وإنجاز بعض المشاريع العملية، إثر فك ارتباطاته بالحزب الشيوعي الفرنسي، وهي:

- ١ - المعهد الدولي للحوار بين الحضارات.
- ٢ - الملتقى الإبراهيمي في قرطبة عام ١٩٨٧م.
- ٣ - مؤسسة روجيه جارودي - المركز الثقافي في القلعة الحرة.

١ - المعهد الدولي للحوار بين الحضارات:

انبعث فكرة هذا المعهد لدى جارودي في أواخر الستينيات، ويصف الانبعاث بقوله: (لقد سبق لي، بعد أن كنت طيلة اثنتي عشرة سنة من حياتي، كقائد شيوعي، المحرك في فرنسا، وفي أوروبا، للمحاورات بين المسيحيين والماركسيين، أن عملت في عام ١٩٦٨م على لفت نظر المجمع المسكوني للكنائس، في جنيف، إلى أن هذا الحوار سوف يظل «إقليمياً» لأنه كان لا ينمو إلا بين أعضاء منطقة ثقافية واحدة: منطقة الغرب. وأنه من المهم بعد الآن ألا نجعل من هذه المحاورات سوى إدارة لحوار أعم، هو «الحوار بين الحضارات» حيث يمكن أن يتم إخصاب متبادل في حوار يعرف كل واحد فيه

الانفتاح على حقيقة الآخر، دون أن ينقص فيها حُكْمَها، وكذلك على ثورات آسيا والإسلام وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، على نفس منوال المحاورات في الغرب^(١).

إذاً فقد كانت البداية رغبة في تطوير وتوسيع دائرة الحوار النصراني الماركسي لتشمل بقية الثقافات العالمية.

ثم تمكن جارودي من تنفيذ فكرته، بالتعاون مع منظمة اليونسكو، فأسس «المعهد الدولي للحوار بين الحضارات» عام ١٩٧٤م في جنيف، وعمل مديراً له. ومكنه الدعم القوي للمنظمة، وجهات ودول أخرى، من التجوال في العالم، وإقامة علاقات ثقافية مع أكبر المؤسسات الثقافية العالمية، وجمع مواد توثيقية عن مختلف الحضارات العالمية، ثم الانكباب على دراسة تلك الحضارات وقراءة تراثها بروح شمولية^(٢).

وقد تَوَجَّه هذه الدراسات الميدانية والتراثية بتأليف كتابه الشهير «من أجل حوار بين الحضارات» عام ١٩٧٧م، الذي أحدث ضجة ثقافية في العالم، وحاز مؤلفه على جائزة البحر المتوسط في إيطاليا.

وقد انطلق في مشروعه هذا من تحطيم فكرة «تفوق الغرب» وفردة «الحضارة الغربية» بنقدٍ رصين، وضرورة وضعها في حجمها الطبيعي دون مغالاة، ليتم له بعد ذلك التحرر من أسارها وبهرجها، وإدراجها في مشروعه الكلي للحضارة الإنسانية المستقبلية، أو ما يعبر عنه بـ «ابتكار مستقبل ذي وجه إنساني».

(١) من أجل حوار بين الحضارات: روجيه جارودي. ترجمة: د. ذوقان قرقوط. دار النفائس - بيروت. الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م). (٢٢٥ - ٢٢٦).

(٢) انظر مقدمة «من أجل حوار بين الحضارات» (١١ - ١٧)، ومقابلة في كتاب: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (١٥٧).

يقول في مقدمة كتابه: (الغرب عارض. تلك هي الحقيقة الأولى المسلم بها في كل ارتياد للمستقبل. فإن طريقة الغربيين في النظر للفرد، على أنه المركز والمقياس لكل شيء، في إنقاص واقع الشيء إلى المفهوم، أي رفع العلم والتقنيات إلى قيم مثلى، كوسيلة لمعالجة الأمور والناس، هي استثناء صغير جداً في الملحمة البشرية التي يبلغ مداها ثلاثة ملايين سنة. فهذا الوجه المشؤوم للدور الذي يلعبه الرجل الأبيض في التاريخ هو ما أدعوه بـ «الشر الأبيض»...

على أن خلق مستقبل حقيقي يتطلب بأن تكون قد استردت جميع الأبعاد المتطورة للإنسان في الحضارات والثقافات غير الغربية بـ «حوار الحضارات». هذا فحسب يمكن أن ينشأ مشروع على مستوى الكوكب الأرضي كله، من أجل ابتداع المستقبل، من أجل ابتكار مستقبل الجميع، بمشاركة الجميع، ذلك أن التجارب الحالية لآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية... تتيح لنا أن نضع، منذ اليوم، خطوط هذا المشروع على مستوى الكوكب الأرضي للقرن الواحد والعشرين، مشروع الأمل^(١).

وبعد أن طوّف في حضارات العالم؛ شعرها، ونثرها، معابدها، ومسارحها، عامرها وأطلالها، فلسفاتها، ودياناتها، عقد فصلاً أخيراً بعنوان «الحلف الثالث» أشار فيه إلى ثلاثة أحلاف: (كان الحلف الأول حلف يهوه مع الشعب اليهودي. وبدأ الحلف الثاني عندما أبان يسوع المسيح أنه من أجل السعي إلى الله فلا بد من الإقلاع عن دعوى الانتماء إلى الشعب المختار. ولكن من هنا ولدت كنيسة، ما إن وصلت إلى السلطة... وعلى نحو موارد جرت العودة، حتى مع أفضل النوايا التبشيرية في العالم، إلى الادعاء مرة أخرى بالشعب المختار. وكان الشعب المختار في هذه المرة هو الغرب...

(١) من أجل حوار بين الحضارات (١١ - ١٢).

لقد أزفت ساعة الحلف الثالث، الحلف الذي سيستأنف في مرحلة جديدة يسعى يسوع المسيح، متجاوزاً حدود الـ «شعب المختار»، ليتوجه إلى الجميع لا من أجل هدايتهم إلى معتقد، ولكن من أجل إيقاظهم على حياة أكبر... فالحلف الثالث هو الإيمان الذي يعثر من جديد على جذوره في صميم الشعوب، وهو الشعوب المستمدة من إيمانها القوة والأمل في تغيير العالم والحياة^(١).

وجارودي في مشروعه هذا، كما انطلق من فكرة حوار بين الحضارات المختلفة، تكون النصرانية دوماً أحد طرفي ذلك الحوار. فقد ظلت تصاحبه رؤاها وأهدافها وتجديد يسعى يسوع عبر الحلف الثالث. ولم ينقض اعتناقه للإسلام عروة هذا الحلف، أو يغير وجهة المعهد الدولي لحوار الحضارات، وقد استمر جارودي بعد أن دخل عالم الإسلام يطوف بلاد المسلمين - وإمارات الخليج خاصة - ويبشر بأهدافه ويجمع له المساعدات، مع تطعيم تلك الأهداف بجرعة أكبر من معاداة الصهيونية وإسرائيل^(٢).

وبعد عشر سنوات من صدور كتاب «من أجل حوار بين الحضارات» نظم المعهد الدولي للحوار بين الحضارات مؤتمراً بين المسلمين والنصارى واليهود باسم:

ب - «الملتقى الإبراهيمي»:

وقد عقد في مدينة «قرطبة» في إسبانيا في الفترة: ١٢ - ١٥ جمادى الآخرة عام ١٤٠٧هـ الموافق - أيضاً - ١٢ - ١٥ فبراير عام ١٩٨٧م، وضم خمسين مشاركاً.

(١) المرجع السابق (٢٢٠ - ٢٢١، ٢٢٦).

(٢) انظر مقابلات جارودي - بعد إعلان إسلامه - في جريدة البعث السورية ٢٥/

وقد أفصح جارودي عن طبيعة هذه التسمية التي تطلق لأول مرة في فضاء الحوار بين الأديان، فقال في مقابلة صحفية مع مجلة (Cambio 16) في ٩/٢/١٩٨٧م ص(١٩) - أي قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام -:

(لقد عرفت «الإيمان الإبراهيمي عن طريق كير كجاردي»^(١) Kier kegaard، واليوم أقوم بهذه المبادرة - الحوار الإبراهيمي - بالاشتراك مع أصدقائي اليهود والكاثوليك والبروتستانت، فإني أتابع المسير بقصد تجميع الإيمان الإبراهيمي. وما أجده اليوم في القرآن من أن إبراهيم هو أبو الأنبياء، قد وجدته منذ عشرين عاماً عند كيركجاردي)^(٢).

وقد حرص جارودي على تمثيل جميع الأديان، بل والطوائف الكبرى - وربما غير ذلك - من كل ديانة، في أعمال المؤتمر، كما حرص على استقطاب المشاهير، فجاءت على النحو التالي:

١ - اليهود:

١ - إلمر بيرجر: وهو حاخام يهودي من قدامى الداعين إلى تقارب الأديان، حيث (أنشأ «جماعة أصدقاء الشرق الأوسط». وأعلن أنه يهودي وليس صهيونياً، وأن هذه الدعوة بدأت في نفس الوقت الذي

(١) كيغارد Kier Kegaard (١٨١٣ - ١٨٥٥م): سورين كير كجاردي «كيغارد» فيلسوف دنمركي. عد مراتب الوجود ثلاثاً: جمالية وخلقية ودينية. الجمالية مناطها اللذة، والخلقية مناطها الواجب، لكن الدينية أرفعها، لأن الأنا فيها يختار أن يوجد أمام الله، ويرتبط بالمتعالي. الموسوعة الفلسفية (٣٨٨). وقد تأثر به جارودي تأثراً بالغاً، وحمل عنه فكرة «الإبراهيمية». انظر: فلسطين أرض الرسالات الإلهية: روجيه جارودي. ترجمة وتعليق وتقديم: د. عبد الصبور شاهين. دار التراث. القاهرة. طبعة ١٩٨٦م. (٦٣٠).

(٢) عن سلسلة تقارير المعلومات: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. رقم المسلسل ٨٧/١٤ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢١م (٢).

قام فيه الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م^(١)، ولكنه اعتذر عن الحضور، واكتفى بإرسال دراسة بعنوان «الوعد»^(٢).

٢ - يهودي مناحيم: وهو كاتب وعازف كمان مشهور. وقد اعتذر أيضاً وأرسل معزوفة موسيقية مسجلة، سُمعت في المؤتمر^(٣).

٣ - إميل معاطي: ممثل الجالية في فرنسا، إلا إنه حضر في اليوم الأخير، وأثار ضجة إعلامية بسبب تبنيه الأفكار الصهيونية بما لا يتفق وأفكار جارودي.

وأما الجهات اليهودية المدعوة فبعثت برسائل تأييد للمؤتمر، واعتذار عن الحضور. كما كانت إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي بعثت بعثة إعلامية كاملة لتغطية الملتقى^(٤).

ب - النصارى:

١ - القس الألماني هانس كونج Hans Kung، وهو لاهوتي كاثوليكي مشهور، يعمل مديراً لمعهد أبحاث توحيد الكنائس، وأستاذاً بجامعة توبنجن.

٢ - الكاردينال دوم هيلدر كمارا: من أشهر أساقفة «لاهورت التحرر» البرازيليين الكاثوليك، وحائز على جائزة نوبل للسلام. وهو

٣ - غوستافو غوتيريز: أبّ كاثوليكي، مؤلف كتاب «لاهوت التحرر» عام ١٩٧١م، وهو من البيرو.

وهؤلاء الثلاثة ليسوا على وفاقٍ مع الكنيسة الكاثوليكية في روما.

٤ - الأب ميشيل لولونج: رئيس لجنة العلاقات المسيحية الإسلامية في الكنيسة الفرنسية، وعضوٌ سابق في الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين.

٥ - فرانسيس لامان: محام دولي، والرئيس التنفيذي للجنة «الإسلام والغرب». وقد كان أستاذاً بكلية القانون والشرعية بجامعة الكويت. وهو كاثوليكي أيضاً.

٦ - يورغن مولتمن: بروتستانتي. أستاذ اللاهوت في جامعة «توبنجن» الألمانية.

٧ - ليوبولد سنغور: الرئيس السابق لجمهورية السنغال المسلمة عام ١٩٦٠م.

٨ - جون تايلور: السكرتير العام للمؤتمر العالمي من أجل السلام WCRP.

ج - المسلمون، والمنتسبون إلى الإسلام:

١ - الأستاذ كامل الشريف، رئيس المكتب التنفيذي للمؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس. أردني.

٢ - الدكتور محمد أبو السعود. اقتصادي، صديق خاص لروجه جارودي. مصري.

٣ - شيخ بو عمران، رئيس معهد الفلسفة في جامعة الجزائر، جزائري.

٤ - عبد الهادي بو طالب. المدير العام لمنظمة الإيسيسكو «المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة».

٥ - الدكتور مختار كريم أمبو. المدير العام لمنظمة اليونسكو، ومدير الملتقى.

٦ - أحمد جتتي، شيعي إيراني.

٧ - محمد علي التسخيري، شيعي إيراني.

٨ - الدكتور عبد السلام، قادياني، حائز على جائزة نوبل في الفيزياء.

٩ - صدر الدين أغا خان. إسماعيلي.

١٠ - روجيه جارودي^(١).

لقد اختار جارودي ضيوفه بعناية بما يتفق وأبعاد مشروعه التقاربي.

فاختار من اليهود من يعلن رفض الصهيونية، وينحى نحو التقارب، باستثناء إميل معاطي الذي وصل بطريقة غير مقصودة، وبعد انتهاء أعمال الملتقى.

ومن النصارى من عرف بتحفظه أو معارضته لبعض ممارسات الكنيسة الكاثوليكية ومعتقداتها، كعصمة البابا، والتنظيمات المعقدة للرتب الكنسية وشكليتها، كهانس كونج وأساقفة أمريكا اللاتينية. ومن المسلمين مزيج من المنتسبين إلى السنة المعادين للصهيونية، وشيعة ليبراليين، وقادياني، وإسماعيلي يمثلون الباطنية التي يشيد بها جارودي ويسعى لإبرازها، وتمجيد رموزها. بالإضافة إلى المنظمات الثقافية العالمية.

(١) أخذت الأسماء من تقرير «تساؤل حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية» من سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن مركز المعلومات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت في ١٩٨٧/٣/٥ م. ومقالة الأستاذ كامل الشريف في جريدة الدستور الأردنية (عائد من الندوة الإبراهيمية) عدد الأحد ١٩٨٧/٣/١ م (٥).

وغاب عن المؤتمر الهيئات الإسلامية المشهورة، إما لكونها لم توجه إليها الدعوة أصلاً، وإما لتحفظها وحذرهما من توجهات جارودي الداعية إلى إزالة الفوارق، وتمييع الحدود بين الأديان، سيما وقد شهدت مدينة «قرطبة» ثلاثة لقاءات إسلامية - نصرانية سابقة، كان آخرها قبل أقل من أربعة أشهر من عقد هذا المؤتمر، في أكتوبر عام ١٩٨٦م، وحظي بتمثيل واسع من الجهات والدول الإسلامية، لكونه لا يبلغ في طروحاته المستوى الخطير الذي ينادي به جارودي.

أما أبرز موضوعات الملتقى وبحوثه، فكانت على النحو التالي:

١ - (اللقاء الإبراهيمي) لروجيه جارودي: استهله بعرض القصة التي أوردها الراهب النصراني رامون لول - والذي يعده جارودي رائداً للحوار - في كتابه: (الظريف والحكماء الثلاثة)، حيث يقدم كل من هؤلاء الثلاثة يهودي، ونصراني، ومسلم دينه للملحد «الظريف» الذي اكتشف وحدة المعنى رغم اختلاف الطقوس... ثم انبهروا من نبل صلاته!^(١).

(والآن أصبح الثلاثة يحسون بأنهم متهمون، ولم يتقبلوا معرفة «أي من القوانين الثلاثة يمكن أن يختار»، لأنهم علموا بالوحدة الراسخة لإيمانهم، وكذا بالذنب المقترف في انقسامهم...).

كل واحدٍ منهم يطلب من الآخرين العفو إذا ما قال شيئاً يمس بقانونهم، وكل واحدٍ منهم يسامح ويعفو... ولقد فرح الاثنان بهذا الاقتراح، بل ذهباً أبعد من ذلك حين اقترحا أن يمضيا للإشادة باسم الرب في كل بقاع الدنيا، منذ حين أن يصبحوا موحدين من نفس

(١) نص المحاضرة. وقد دأب جارودي على الاستشهاد بهذه القصة وكتابتها في العديد من كتبه. مثل الإسلام (١٣٦ - ١٣٨).

العقيدة. وكل واحد منهم انزوى في بيته باقياً على عهده، وعلى ما وعد به^(١).

والحكاية لا تحتاج إلى تعليق، إذ هي أوضح من أي تعليق، وثمرتها ما ختم به محاضرتة قائلاً: (هذا يعني بأننا نكافح، كل واحد منا، على جبهة ضد الأصوليين الذين لا تخلو منهم أي مجموعة دينية. وأعني بالأصولية الاتجاه والنزعة في خلط ديننا وعقيدتنا بالشكل الذي أخذته في هاته أو تلك الحقبة من التاريخ.

إن رسالة القرآن عالمية، وتحويل هذه الرسالة إلى التقاليد الخاصة بحقبة من الزمن أو بشعب ما يعتبر دفاعاً عن فلكلور وليس عن عقيدة... استرجاع رسالة إبراهيم التي هي مُوحّدة، وذلك للإجابة والرد على التحديات في عصرنا هذا بعيداً عن تناقضاتنا^(٢).

هذا هو مضمون «الإبراهيمية» لدى جارودي:

■ تخلي كل أهل ديانة عن «شريعتهم» بل و«عقيدتهم» المميزة لهم عن سائر البشر، بحسبانها وقتية لزمن معين، وشعب معين.

■ الوحدة في العالم بما يحمله من تنوع واختلاف وربما تضاد.

فليس مراد جارودي بـ «التوحيد» و«الأديان التوحيدية» توحيد الخالق بالعبادة، الذي جاء به إبراهيم ﷺ ومَن قبله مِن أنبياء الله، ومَن بعده من ذريته، وخيرهم وأبرهم وأفضلهم وأعظمهم توحيداً محمد ﷺ. بل مراده توحيد المحسوس والمعقول. توحيد العلم والحكمة. توحيد البشر رغم اختلاف معتقداتهم، مع اعتقاد الله واحداً.

(١) نص المحاضرة بالأصل الفرنسي، والترجمة العربية لدى الباحث. وقد سبقت الإشارة إليها وإلى مؤلفها في المبحث الثاني من فصل «الأصول التاريخية» من الباب الأول.

(٢) المرجع السابق.

يقول في تعريف التوحيد: (التوحيد، أي الاعتراف لا بوحدانية الله فحسب، بل بوحدانية كل واقع، بما فيه وحدانية الجماعة البشرية الشاملة)^(١)، (تتصف الرؤية الإسلامية أنها موحدة على نحو أساسي. ومثال ذلك أن العالم المحسوس، عالم الطبيعة، غير مفصول أبداً عن المعقول، ولا عن الله: فظواهر الطبيعة هي آيات الحضور الإلهي، لغة يتكلمها الله إلى الإنسان...

والمسألة الرئيسة في الثقافة الإسلامية، في كل مجالات اللاهوت والفلسفة حتى العلوم والفنون، هي فكرة الوحدة. هذه الوحدة الأساسية «توحيد»، لا تقتصر على التأكيد أن الله أحد. وليس «التوحيد» من مجال الوقائع بل من مجال الفعل. إنه لا يشيد فلسفة الوجود كفلسفة الإغريق، ولكنه يشيد فلسفة الفعل)^(٢).

إن امرأاً يُدعى لحضور ملتقى باسم «إبراهيم» ﷺ ليتبادر إلى ذهنه التوحيد الخالص الذي دعا الله إليه عبده وخليفه إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﷻ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﷻ [البقرة]. التوحيد الذي حمله على تحطيم الأصنام وجعلها جذاذاً، وهو بعد فتى، وثبت في سبيله، وهم يضرمون له النار ثم يلقونه فيها، التوحيد الذي من أجله صمّم على ذبح وحيدته، وفلذة كبده إسماعيل، الذي جاءه بعد أن بلغ الكبر، وبلغ الغلام معه السعي حتى ﴿أَسْلَمْنَا وَتَلَّمُ لِلْجَيْنِ﴾ [الصفات: ١٠٣]، التوحيد الذي حمله على التبرؤ من والده، وترك الاستغفار له لما ﴿بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ [التوبة: ١١٤]، لكن جارودي يتناول «التوحيد» على نحو مغاير.

(١) نحو حرب دينية. جدل العصر (٣٣).

(٢) الإسلام (٤٦ - ٤٧).

■ إنه في أحسن الأحوال اعتقاد أن الله واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، وهذا توحيد الربوبية المركوز في الفِطر، الذي أقر به عامة البشر، بما فيهم المشركون. وهو بذلك يوافق المتكلمين الذين يجعلونه الغاية في التوحيد، ويجهدون أنفسهم في إثباته^(١).

وحين يفسر «الإسلام» بالخضوع المطلق لله، فإنه يشير إلى خضوع ذهني لا وجود له في الخارج، ولا يلتزم بشريعة معينة، أو اتباع هدي نبي معين.

■ والتوحيد المهم عند جارودي هو توحيد العالم، أفراده، وأديانه، وثقافته، وفنونه، وسائر مناشطه حول معنى، أيًا كان ذلك المعنى. فليس مراده بتوحيد الفعل، توحيد الله بأفعال عباده التي شرعها لهم أنبياءه، بل ما هو أوسع من ذلك.

يقول معرباً عن هدفه: (إن مهمتنا هي أن نجتمع جميع الناس ذوي الإيمان - أيًا كان إيمانهم - ضد العالم الحالي، عالم اللامعنى، وأن نخلق نَوَياتٍ^(٢) لمقاومة اللامعنى، شاجبين ومقاتلين كل ما هو مناقضٌ لوحدة العالم السمفونية)^(٣).

لقد حمل جارودي إلى عالم الإسلام فكرة مزدوجة، كعمله نقدية على أحد وجهيها صورة «كيركجارد»، الذي استقى منه حتى ارتوى في مستهل شبابه ملحمة الإيمان الإبراهيمي والتضحية، والبحث عن المعنى، فاعتنق النصرانية، وعلى الوجه الآخر صورة كارل ماركس الذي أشعل في قلبه الهم الاجتماعي، والعمل الفاعل لرفض الاستغلال والثورة على الظلم سعياً للكمال الإنساني^(٤).

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٥ - ٤٢).

(٢) نَوَيات: جمع نواة.

(٣) نحو حرب دينية. جدل العصر (٧٣).

(٤) انظر في بيان تأثيره بهاتين الشخصيتين: روجيه جارودي والمشكلة الدينية (٣٩ - ٤١).

فحين أقبل على عالم الإسلام أسقط جِمله السابق عليه، فراق له المتصوفة بسبب نزعتهم إلى «التعالى»، والتحرر من الأشكال والطقوس، وتمازج الأديان عندهم، لكن لم يرق له فيهم عقيدة «العبر»، وتفسيرهم «التوحيد» بوحدة الوجود التي تجعل من كل واقع، محبوباً لله لا ينبغي دفعه وتغييره. كما أعجبه في المعتزلة «قدريتهم»، وتأكيدهم الفعل الإنساني والمسؤولية، وغلوهم في ذلك، بينما يتجاهل تكفيرهم اليهود والنصارى. ولم يتح له أن يتبين منهج أهل السنة والجماعة بصورته الحقيقية، لا المنتحلة، ليرى كيف تجتمع المزايا والحسنات، وتقصى العيوب والسيئات، في نظام بديع متوازن مطرد، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

٢ - (معاني اللقاء حول إبراهيم) للأستاذ كامل الشريف. وقد فهم من هدف الملتقى ما يلي: (إنها محاولة للعودة لأصل الأديان السماوية، والتأمل في مصدرها الأول قبل أن تتشعب إلى الأديان الثلاثة المعروفة... وأن يكون هذا التأمل وسيلة للتعرف على عناصر التشابه، وصور اللقاء، على أمل أن تشكل هذه العناصر قاعدة للتعاون بين المؤمنين الصادقين من أتباع الديانات السماوية، لنصرة الإيمان، ودعم الحق، ورفع المظالم، وإنقاذ الإنسانية من مهاوي الردى)^(١).

وواضح أن هذا المستوى من الطرح، قد تجاوزه جارودي، ويندرج ضمن أدب المجاملات، أو بالأحرى المداهنة في دين الله. فأى «إيمان صادق» يثبت الأستاذ الشريف لليهود والنصارى، وقد أكفرهم الله وذمهم في كتابه، وأي نصرة للإيمان، ودعم للحق يرجوه من قوم قال الله فيهم: ﴿إِنْ تَسْكُنْهُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمْ وَإِنْ تُؤْذِيَهُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا﴾ [آل عمران: ١١٩].

(١) جريدة الدستور الأردنية. الاثنين ١٦/٢/١٩٨٧م (٧).

والأستاذ كامل الشريف بحكم موقعه الرسمي في بلده تلك الفترة، ومنطلقاته الدينية والقومية ضد «دولة إسرائيل»، يهدف بالدرجة الأولى إلى استثمار الملتقى للتنديد بالصهيونية الباغية، وفلسفتها القائمة على فكرة (وعد الله لإبراهيم بجعل نسله من سارة، شعبه المختار، ومنحهم أرض فلسطين) وقد أسرف - عفا الله عنه - في الاستشهاد بنصوص منسوبة إلى التوراة والإنجيل، وأقوال لقديسي النصراني وفلاسفة اليهود، في مقام كان ينبغي - حيث صار إليه - أن يشهد لدين الله الحق.

٣ - (إبراهيم في التصور الإسلامي) للشيخ أحمد جنتي، استهلها بقوله: «تحية لكل الإبراهيميين الحقيقيين»، وضمناها سيرة إبراهيم عليه السلام من خلال القرآن الكريم، واستنتج بعض الدروس والفوائد، ودعا إلى إحياء سنة إبراهيم^(١).

٤ - (سيدنا إبراهيم عليه السلام)، نموذج الإنسان الحضاري الكامل) للشيخ: محمد علي تسخيري. ضمناها خصائص إبراهيم عليه السلام من خلال سياق نصوص القرآن الكريم، وختم محاضراته بالقول: (وبعد كل هذا، ألا يحق لنا أن نعبر عن إبراهيم بأنه النموذج الإنساني الحضاري الكامل. وأنه «الأمة» القائمة لوحدها. وأنه المحور الذي يجب أن تجتمع حوله الأديان جميعاً، وتسير في ظله محققة هدفه، وهدف الأنبياء جميعاً، وهو تعبيد الإنسانية لله، والصراع ضد الطاغوت والاستكبار)^(٢).

(١) نص المحاضرة لدى الباحث. ومما يحمد له أنه صرح دون مواربة، أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وأن أنبياء الله من بعد إبراهيم حجوا بيت الله الحرام.

(٢) نص المحاضرة لدى الباحث.

ليس رسول الله محمد ﷺ، وخاتم النبيين، المبعوث إلى الناس كافة أولى أن يقال عنه هذا الكلام، بدلاً من الانسياق خلف بدعة «الإبراهيمية»، مهما كانت الدوافع الخاصة، سواءً لنصرة القضية الفلسطينية - كما فعل الأستاذ كامل الشريف، أو لترويج شعارات الثورة الإيرانية كما سخرها التسخيري؟!

٥ - (الوعد) للدكتور إلمر بيرجر. وقد بحث بهذه الدراسة التي تثبت زيف التفسير الصهيوني للعهد الإبراهيمي، حسب إفادة الأستاذ كامل الشريف^(١).

٦ - (هل يوجد دين واحدٌ صحيح أم أديان متعددة؟) للدكتور هانس كونج وهي دراسة مطولة في قرابة أربعين صفحة. وخلاصة الإجابة على هذا التساؤل، كما نقل الأستاذ الشريف: (أنه يعتقد - كرجل دينٍ مسيحي - أن المسيحية هي الدين الصحيح. إلا إنه يسلم أنها لا تملك كل الحقيقة، كما يعتقد أن انفتاح الفاتيكان على الأديان الأخرى ليس كافياً، وأن التبشير المسيحي في العالم الثالث ليس أخلاقياً، لأنه يعتمد على القوة، أو استغلال الظروف الاجتماعية. ويرى أن التبشير بالأديان يجب أن يجري في مناخ متحرر من الضغوط، وهي أفكار تشكل في مجموعها خطواتٍ للأمام نحو ما يسميه «إنسانية الأديان»^(٢).

وليت واحداً من المسلمين قال: إن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ هو الدين الصحيح الذي لا يقبل الله ديناً سواه - كما فعل هذا القس - ولكن القوم ما بين باطني، إسماعيلي أو قادياني، أو شيعي، أو سني غلبت عليه المجاملة ومداينة النصارى الذين لا يجاملون في دينهم أحداً، إلى الحد الذي لم يلبوا رغبة ضيوفهم

(١) جريدة الدستور الأردنية. الأحد ١/٣/١٩٨٧م (٥).

(٢) المرجع السابق.

المسلمين في أداء صلاة الجمعة في ركنٍ من جامع قرطبة السليب، كما حكى الأستاذ كامل الشريف نفسه^(١).

أما جارودي، فيكفيه وإن لم يبلغ سائر المتحدثين مبلغه، ويعوا فكرته الموغلة في الزندقة، أن يتحقق هذا المظهر الجمعي للديانات الثلاث في قرطبة.

يقول الأستاذ أنور الجندي عن الإبراهيمية: (هي في أصلها محاولة لخداع المسلمين بما يسمى الرابطة التي تربطهم بالمسيحية واليهودية عن طريق إبراهيم عليه السلام، أبي الأنبياء إسحاق وإسماعيل، دون أن يكشف المخدوعون كيف تغيرت خطة الأديان السابقة للإسلام، وخرجت عن الخط الحقيقي الذي رسم لها... وقد بدا أن الدعوة إلى إحياء الإبراهيمية هي بدل للماسونية، أو هي الماسونية بثوبها الجديد. فهي محاولة اقتحام ترمي إلى الحوار بين الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام... وهكذا يمكن أن تتحقق رغبة الصهيونية العالمية لأول مرة في الجلوس على موائد الحوار مع المسلمين، وخاصة وهي تبدأ من منطلق خطير هو «الإبراهيمية»^(٢)).

• وبعدها بعشرين سنة، يقول جارودي عام ١٩٩٦م في وصف «الإسلام الحي»: (والإسلام الحي، ينبغي له أن يغتنى بالتفكير النقدي في نمو العلوم لدى العظماء الغربيين من كانت^(٣) إلى باشلار^(٤)).

(١) المرجع السابق.

(٢) تأصيل البقطة، وترشيد الصحوة (١٧١، ١٧٢).

(٣) كانت: عمانوئيل Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فيلسوف ألماني. استمر يدرس الفلسفة ٤٢ سنة، وشطر الفلسفة الحديثة شطرين، ما قبل كانت وما بعده. الموسوعة الفلسفية (٣٧٢ - ٣٧٧).

(٤) باشلار: غاستون Bachelard (١٨٨٤ - ١٩٦٤م) فيلسوف فرنسي، له مؤلفات في فلسفة العلوم والتحليل النفسي. المنجد في الأعلام (١١٣).

والإسلام الحي ينبغي له أن يفتني لدى كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلهية من «الأوبانيشاد»^(١) في الهند إلى «طاوية»^(٢) «تشوانغ تسو»^(٣) ومن «كيغارد» إلى «دستويوفسكي»^(٤)...

وستكون النظرية اللاهوتية الإسلامية أغنى بقدر ما تدمج أعمق المسلحات في تفسير الكتابين المنزلين السابقين ولاهوتيتهما...

فكيف يكون بوسع مسلم أن يحرم نفسه من التجربة الروحية الهندية والصينية، ويجهل تعليم أنبياء الشعوب كلها، في حين أن القرآن الكريم يأمره أن يصدقهم...

وإذ أرسل الله أنبياءه إلى الشعوب كلها، كما يقول القرآن الكريم، ليحملوا الرسالة نفسها في لغة كل شعب، ووفق مستواه وفهمه، فثمة بالتأكيد آثار لهذه الرسالة، على سبيل المثال، في النصوص الكبرى المقدسة بالهند في «الفيدا» و«باغافا داجينا»... وأعتقد على سبيل المثال أن تأملاً عميقاً ومخلصاً في «الأرفائيتا» الفيدية، دون أن نحجب الفروق الجذرية، أو نقلل من أهميتها، بين «الأرفائيتا» الهندوسية و«توحيد» المسلمين - والأب بانيكر فعل ذلك على نحو رائع فيما يخص العلاقات بين الأرفائيتا الفيدية والتصور

(١) الأوبانيشاد: أحد كتب الهندوس. (وهي الأسرار والملاحظات النفسية للعرفاء من الصوفية). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٥٣٢).

(٢) الطاوية Taoism: المدرسة الثانية بعد الكونفوشية في الفكر الصيني القديم... والتاو: هو المنهج أو السبيل، ويقصد به السير على منوال الطبيعة وفق قوانينها. الموسوعة الفلسفية (١٣٣).

(٣) تشوانغ تسو Chuang Tzu المولود في نحو ٣٦٨ ق.م، وقال إن التاو هو مبدأ الحياة، وأصل الوجود واللاوجود... الموسوعة الفلسفية (١٣٣).

(٤) دستويوفسكي: تيودور Dostoyevsky (١٨٢١ - ١٨٨١) روائي روسي من أبرز رواد الوجودية. الموسوعة الفلسفية (١٨٠).

المسيحي للإله - سيغني تصوري الوحدة لدى الجانبين، ويكشف عن التشابهات الواقعية، والفروق أيضاً، في عمل هندي حقيقي، ومسلم حقيقي، الناجمة عن التصور الخاص بكل من «الأرفائيتا» و«التوحيد».

إن مسلماً يعرف النصوص المقدسة في الهند والصين، نصوص زرادشت، والتوراة، والتقاليد الروحية الكبيرة في أفريقية، وأمريكا الهنود الحمر في الشمال، يمكنه ألا يفهم على نحو أفضل ماهية كلية التنزيل القرآني فحسب، وهو تنزيل فريد في ذاته - بدلاً من الاعتقاد أنه فريد بمجرد «الغرور» و«الزهو» الساذج، لأننا نجهل أو نحتقر إيمان الآخرين - بل يمكنه أن يباشر مع الناس القادمين من إيمان آخر حواراً سمحاً وجريئاً، حواراً أسراً^(١).

وأحسب أن قصارى ما يبلغه ذلك المسلم المزعوم الذي يحلم به جارودي أن يصل إلى ما وصل إليه مؤسس «المعهد الدولي لحوار الحضارات» من زندقة وإلحاد، تعقد الموازنات الطائشة بين وحي الرحمن الرحيم، وما تنزلت به الشياطين على كل أفاك أثيم، من أئمة الكفر والضلال في الشرق والغرب.

إن جارودي يهدف من خلال النفخ في صورة هذه الوثنيات التافهة، والأديان المحرفة، إلى الحط من عزة المؤمن الشعورية، باستعلاء إيمانه وعقيدته حتى في حال الهزيمة المادية، كما أمر الله عباده المؤمنين إثر هزيمتهم في أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. لأن هذا الانحطاط شرط في مشروعه لصهر الأديان والوثنيات والفلسفات، في بوتقة الأممية العمياء التي ينشدها، ولا يتم له ذلك إلا بتخلي أهل الإيمان الحق عن شعورهم بعزة الإيمان، وكمال الدين، وتمام النعمة. ومن ثم

يحاول أن يستزلهم بالأمانى المعسولة، وزخرف القول، للانخراط في مشروعه الكفري كقوله: (ومستقبل الإسلام في أيامنا هذه منوط بالجهود التي تبذل لتبسط بسطاً جديداً كل أبعاده التي صنعت في أزمنة أخرى عظمت وألقه، أي في بعده ذي النزعة الكلية الذي لا يقتصر على هذا التقليد أو ذاك من تقاليد الشرق الأدنى وماضيه، بل ينفتح على الثقافات كلها، ويجدد التعايش الغني بين الشرق والغرب، بين الأديان المنزلة، المسيحية والإسلام واليهودية، وحكم الفرس والهند والصين في الماضي السحيق)^(١). وهيئات هيهات.

د - مؤسسة روجيه جارودي. المركز الثقافي في القلعة الحرة:

في خطوة عملية كبيرة لإرساء أفكاره التقاربية بين الإسلام والنصرانية واليهودية، أقدم روجيه جارودي في منتصف الثمانينيات على استئجار، ومن ثم استثمار، موقع تاريخي قديم في مدينة «قرطبة»، يعرف باسم «القلعة الحرة»، ويلفظه الأسبان: كَالَاهُورَا CALAHORRA، تحريفاً عن الأصل العربي.

وتقع هذه القلعة على الجانب المقابل لجامع قرطبة الشهير، ويفصلهما نهر قرطبة، المسمى الوادي الكبير، وتربطهما القنطرة التاريخية، قنطرة الوادي، أحد معالم قرطبة^(٢).

وقد بشر جارودي بهذا المشروع الثقافي، وطوّف عدداً من البلدان الإسلامية لجمع المساعدات لتجهيزه. ففي مقابلة له مع مجلة الصياد

(١) الإسلام (١٤٣).

(٢) مما قيل في قرطبة ومعالمها، ذكر د. حسين مؤنس أنه: (أبو محمد بن عطية) انظر مجلة العربي الكويتية عدد ٩٥ (٩١) جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ أكتوبر ١٩٦٦ م.

بأربع فاقَت الأمصارَ قرطبةً منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثها والعلم أعظم شيء وهو رابعها

اللبانية في ٩ مايو عام ١٩٨٦م عرف بالمشروع قائلاً: (إن بلدية قرطبة قد وضعت تحت تصرفنا.. برج قلْهُرَّة الذي يعود إلى أيام الخلفاء المسلمين. وفي نيتنا أن يكون هذا البرج مقراً لمكاتب المركز، كما سنخصص جزءاً منه ليكون متحفاً للفنون والثقافة الإسلامية في الأندلس، وفي أسبانيا عامة. ومن أهدافنا، تعريف الغرب بالإسلام عن طريق الفن، لاعتقادي أن الفن هو أقصر الطرق بين البشر. كما نهدف إلى التعريف بمساهمة المسلمين في حضارة الغرب، منذ أيام ابن مسرة وابن حزم وابن باجه^(١) وابن طفيل^(٢) وابن رشد^(٣) وابن عربي، وإشعاع هذه الثقافة على جميع أنحاء أوروبا. وسيضم المتحف معلومات ونسخاً عن المجالات والاختراعات التي كان المسلمون متفوقين فيها آنذاك، كجراحة العيون، والطب النسائي، والفلك، وسيعمل المركز كذلك على إحياء التأثير الذي أحدثه المفكرون المسلمون في المفكرين الغربيين^(٤).

(١) ابن باجة: محمد بن يحيى بن باجة، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي. فيلسوف ينسب إلى التعطيل والإلحاد. مات في فاس سنة ٥٣٣هـ. تسميه الإفرنج (Avenpace). شرح كثيراً من كتب أرسطو. من آثاره: «رسالة الوداع»، «كتاب النفس»، تعليق على كتاب الفارابي في القياس. انظر: الأعلام (١٣٧/٧).

(٢) ابن الطُّفَيْل (٤٩٤ - ٥٨١هـ): محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل، القيسي، الأندلسي، أبو بكر. فيلسوف، تعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها، ثم أصبح طبيباً للسلطان الموحيدي، أبي يعقوب يوسف، سنة ٥٥٨هـ. من آثاره: «حي بن يقظان»، «رجز في الطب»، و«رسالة في النفس». توفي بمراكش. انظر: الأعلام (٢٤٩/٦).

(٣) ابن رشد - الحفيد - محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد، ولد سنة ٥٢٠هـ، الفيلسوف من أهل قرطبة. عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. وصنف نحو خمسين كتاباً. منها: «التحصيل»، و«الحيوان»، و«منهاج الأدلة». توفي سنة ٥٩٥هـ، انظر: الأعلام (٣١٨/٥)، شذرات الذهب (٣٢٠/٤)، آداب اللغة (١٠٤/٣).

(٤) عن مجموعة مقابلات في كتاب: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان (٢٣١-٢٣٢).

هذا ما تقدم به جارودي من تعريفٍ بمشروعه للمسلمين، وهو على ما فيه يوحي بأنه يهدف إلى تعريف الغرب بالإسلام والحضارة الإسلامية، فلا عجب أن يتمكن جارودي من جمع معظم تكاليف المشروع التي قدرها بسبعمائة ألف دولار من إحدى دول الخليج^(١).

أما الهدف الحقيقي لهذا المشروع «المتحف»، فهو ذات الهدف الذي وقف عليه جارودي حياته بعد هجره الحزب الشيوعي، وهو توحيد الأديان والحكم والحضارات. وقد صرح بذلك في محاضراته أثناء الملتقى الإبراهيمي حيث قال: (إن الهدف الأساسي للقائنا الإبراهيمي، وللمؤسسة التي افتتحناها في برج «كالاهورا» هو: إحياء جديد للنظرة الكاملة للعقل الذي وصل ذروته في الأندلس. إنه العقل الذي لا يفرق أبداً بين العلوم التطبيقية والرياضية، والحكمة التي تفكر في هدف البحث العلمي، وفي الإيمان والعقيدة التي نستخلص منها وعي الحدود، والمتمسكين لهذا العلم ولهذه الحكمة)^(٢).

ولكن زيارةً لمتحف القلعة الحرة تكشف بوضوح هدف المشروع، وتضع النقاط على حروف البيانات المجملة. ونظراً لخطورة هذا المشروع من حيث المحتوى والأهداف، واتساع أثره، حيث يؤم المتحف مائة ألف زائر سنوياً، حسب إفادة بعض المقربين من جارودي، يجدون فيه عرضاً جذاباً باستخدام التقنيات الحديثة، فسوف نصِف ما يلقاه الزائر ويشاهده في القلعة الحرة^(٣):

(١) كما جاء في سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف بالكويت بتاريخ ١٩٨٧/٣/٥ م.

(٢) نص المحاضرة.

(٣) قام الباحث بزيارة القلعة الحرة والوقوف على مقتنياتها، والاستماع للشرح المسجلة في أرجاء القلعة، واقتناء المطبوعات ذات العلاقة، وذلك يوم الجمعة الموافق ١٤١٧/٤/٧ هـ.

حين يدلف الزائر من باب القلعة يجد نفسه في بهوٍ علقت فيه سجادة إيرانية، ووضع في زواياه بعض المشغولات اليدوية القديمة، والصناديق الخشبية المزخرفة. وعليه أن يضع طوق السماعات على أذنيه ليسمع الآتي بإحدى اللغات الثلاث: الإسبانية، الفرنسية، الإنجليزية: (مرحباً بك في برج القلعة الحرة. إنك لست في متحف، وإنما في برج القلعة الحرة الساحر، حيث التقنيات العصرية الحديثة استخدمت لتوصل لك رسالة سرمدية، ذات صلة موضوعية وثيقة، اليوم أكثر من ذي قبل.

العالم ليس بلا وعي. الحياة ذات معنى. إننا نلج داخل حقبة خاصة جداً من تاريخ العالم: من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر في قرطبة، حيث كان يعيش مليون نسمة من الناس في أكبر مدينة أوربية، ومركز الثقافة في ذلك العهد.

هناك تحقق عدم الفصل بين الدراسة العلمية الدقيقة، والحكمة والإيمان. لا شرق منفصل عن غرب، ولا مسلم عن يهودي أو مسيحي.

هنا بدأ عصر النهضة الحقيقية، حيث أزهروا ونما).

وبعد هذه القاعة الأولى «المدخل»، ثم ثمان غرف متخصصة:

القاعة الثانية: وهي أهم ما في القلعة من الناحية الفكرية المتعلقة بمشروع جارودي، حيث اتخذ أربعة تماثيل مجسمة - بحجم الرجل العادي - تمثل:

١ - ابن رشد الفيلسوف (٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م) محمد بن أحمد القرطبي ويسميه الأوروبيون «Averroes».

٢ - الميموني، الفيلسوف اليهودي (٥٢٩ - ٦٠١هـ = ١١٣٥ -

١٢٠٤م) موسى بن ميمون القرطبي. ويسميه الأوروبيون Maimonides.

٣ - ابن عربي الصوفي (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ - ١٢٤١ م) محمد بن علي الطائي.

٤ - ألفونسو العاشر (١٢٥٢ - ١٢٨٤ م) ويلقب بـ «لوساج» أي «العاقل» أو «الحكيم».

وبينما تصطف الشخوص الأربعة المكسوة بملابس ذلك الزمان؛ النصراني واليهودي في هيئة الجالس، وبينهما ابن رشد وابن عربي قائمين!، يتناوب الأربعة في الحديث، والإعراب عن نظرتهم للحياة، كما صاغ ذلك جارودي من مقالاتهم:

• يقول ابن رشد: (إن فلسفتنا سوف لا تقدم شيئاً إذا لم تكن قادرة على الربط بين ثلاثة أشياء، تلك التي حاولت أن أجمع بينها في توفيق بين العلم والدين^(١)).

• العلم، يحصل بالتجربة، والمنطق، لاكتشاف الأسباب.

• الحكمة، التي تعكس الغاية من كل بحث علمي، ولذلك تجهد لكي تجعل حياتنا أكثر جمالاً.

• الإيمان، من قرآننا، كما لو كان فقط من خلال الإيمان بأننا نعلم الغايات النهائية لحياتنا وتاريخنا). ثم يعقبه حوارٌ ومساءلة معه.

• ويقول الميموني: (في كتابي «دليل الحائرين» أعطيت القوانين للقراءة allegorical^(٢) للمخطوطات التي تأخذ التاريخ في حسابها.

إن مصاعبنا يجب أن تحل من منطلق الأصول السرمدية، ليس ثم تناقض بين المطلق والتاريخ. تعليل الإنسان مجرد مشاركة في التعليل الإلهي الذي يتخطانا بلا حدود، ويحقق نفسه فقط في النبوة التوراتية.

(١) المراد كتابه: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) مطبوع.

(٢) لم أعر على ترجمة هذه الكلمة allegorical.

إن دورة جديدة للتاريخ تبدأ، فقط عندما يتوجه نبي كموسى إلى الناس مقترحاً قانوناً جديداً لهم).

ثم تتلوه محاوره وتساؤلات، يجيب عليها الميموني.

• ثم يقول ألفونسو العاشر، ملك ميورقا: (ها هنا كان الأداء الأكثر تألقاً في فترة حكمي: أن نخلق في ميورقا، مع الفيلسوف المسلم محمد الريقوتي، أول مدرسة في العالم يعلم فيها النصراني واليهود والمسلمون معاً).

«يا يسوع/ يامن تقدر أن تُحيي/ المسيحيين واليهود والمسلمين/ طالما إيمانهم/ يوجههم نحو الرب».

في ظل حكمي، شكراً لجهود الرجال الحكماء من الأديان الثلاثة، لقد استطاعت إسبانيا القرن الثالث عشر أن توظف في جميع أوروبا نهضة صحيحة، تجري ليس ضد الرب، ولكن مع الرب). ثم تعقيب كسابقيه.

• ويختتم ابن عربي بالقول: (الرب وحدة. وحدة الحب والمحبة والمحبوب. كل محبة فهي رغبة بالاتحاد. كل محبة فهي بوعي أو غير وعي محبة للرب).

تحمل الشهادة لحضور الرب في داخلك، لخلق الله الذي ينقطع. الفعل هو المظهر الخارجي للإيمان. الإسلام يعرف جميع الأنبياء كرسول لذات الإله.

تعلم أن تكتشف في كل إنسان بذرة الرغبة إلى الله، حتى عندما يكون إيمانه لا يزال باهتاً، وأحياناً وثنيّاً. أعز في هدايته باتجاه النور (التام).

وتعقبه أسئلة «المريدين»، وإجابات الشيخ بما فيها أبياته في وحدة الأديان والأوثان.

القاعة الثالثة: وتتضمن صوراً ومجسمات وأدوات وآلات وخرائط تبين مساهمة علماء الأندلس في العلوم والتقنية، في مجال الطب والصيدلة والجغرافيا والري.

وتحتل هذه القاعات الثلاث مسطح الدور الأرضي للقلعة الحرة. وفي الدور الثاني:

القاعة الرابعة: وقد علق فيها صورة كبيرة لمجلس الخليفة عبد الرحمن الثالث الأموي في مدينة الزهراء، الذي تولى الخلافة عام ٣٠٠هـ ٩١٢م، وهو يستقبل وفداً من نصارى المشرق في سفارة من الإمبراطور البيزنطي، يحملون هدية، مصنف في علم النبات للإغريق. ثم يجيء التعليق قائلاً: (رمز اللقاء بين الشرق المسيحي والغرب المسلم).

وتم صورة لمحراب جامع قرطبة، يغرق التعليق في تدبر زخرفته. **القاعة الخامسة:** تحتوي مجسماً لقصر الحمراء في غرناطة، يصاحبه حديث مستفيض عن معمارها وفنونها، وما نسج حولها من أحلام الحب والغرام.

القاعة السادسة: خصصت للآلات الموسيقية الأندلسية. أما التعليق فيقول:

(في هذه الغرفة تستطيع أن تسمع الموسيقى العربية الأندلسية تحت قبة محراب الجامع. التسبيح النهائي لله في روعته).

القاعة السابعة: وتضم مجسماً «أنموذجاً» لجامع قرطبة الشهير، الذي حول إلى كاتدرائية. ويركز التعليق على موقف ألفونسو العاشر الحكيم الذي قال: (لا شيء في المسجد يزال أو يحطم) بعد سقوط قرطبة في أيدي النصارى.

القاعة الثامنة: أظرت بأعمدة وأقواس على نمط جامع قرطبة،

وصفت تحتها تشكيلات صغيرة متنوعة تمثل صورة الحياة الاجتماعية والتجارية في بيوتات وأسواق ومساجد ومعابد وكنائس ومرافئ ومنتزهات الأندلس، تحت عنوان رحلة إلى الورداء.

القاعة التاسعة: قاعة عرض سينمائي لفيلم يعالج ذات القضية، ويتضمن التعليق الختامي التالي: (إن أول نهضة أوربية لم تبدأ في إيطاليا في القرن السادس عشر، بل في القرن الثالث عشر في إسبانيا.

منذ آلاف السنين كان جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، الأندلس، محل لقاء لمختلف ثقافات وروحانيات الشرق، وحوض البحر المتوسط. الشرق، أرض الرسالات الإلهية، جلب تقاليد أنبيائه من إبراهيم إلى موسى، من عيسى إلى محمد.

انتشر الإسلام بسلاسة عبر هذه الأرض، لأنها تحوي جميع تلك التمثيلات، وأيضاً لأنها كانت مفتوحة لكل أحد، لكونها تعترف بجميع الإيمانيات السابقة. لقد أغنت مرحلة انتقالية جديدة في حياة جنسنا البشري، هذه الفكرة المكتملة للعقل، التي لا تفصل العلم عن الحكمة أو الإيمان، كما ازدهرت في قرطبة.

لتفكير في الغايات والإيمان، يستجوب المشكلة ذات البعد الأخلاقي للطاقة النووية، وتسليح الفضاء، والعبث الجيني في علم الأحياء، كما التنمية الاقتصادية، يتحتم علينا أن ننسق قوانا الجديدة لغايات، تكون إنسانية، وبعبارة أخرى إلهية.

لنعيد تقديم هذين البُعدين في عالمنا اليوم، دون التخلي عن التصميم الحتمي لكل مجتمع:

- **التعالِي:** وبعبارة أخرى تثبيت القيم المطلقة والكلية فوق وخلف اهتمامات الأفراد والمجموعات والقوميات.
- **الجماعية:** وبعبارة أخرى الدينونة داخل كل كائن إنساني أنه

مسؤولٌ عن مستقبل جميع الآخرين. بذلك فقط سنكون قادرين لبلوغ هدفٍ يكون مشتركاً للإنسانية المناضلة. لمنح كل الرجال والنساء والأطفال، وكل تقنية، واقتصاد، وسياسة، وثقافة، وسائل للتطور للمدى الكامل للكفاءات الإنسانية الموجودة فيهم.

لذا، لعل قرطبة تنجز رسالتها ذات الألف عام بين الشرق والغرب، لتُروى كنهرٍ كبير جميع قوى الحياة على شاطئيه^(١).

إن هذا ما يريد جارودي، وليس بالبساطة والسذاجة التي تصورها بعض الناس المغرر بهم؛ أنه يريد تصحيح صورة الإسلام في أذهان الغربيين، ونشر مآثر الحضارة الإسلامية الحقبة. لقد تجاهل جارودي جهود علماء المسلمين في نشر التوحيد والعقيدة الصحيحة، ودحض الشرك بأنواعه، وإبطال دين اليهود والنصارى، وحفظ السنة النبوية، وإثراء الفقه وأصوله، من قبل جهازة الأئمة والحفاظ والزهاد والعباد الذي فاضت بذكرهم العطر كتب التراجم والسير. وطفق يبحث عن كل زنديق ونحوه، يؤلف منهم عصاة سوء، ورهط ضلالة، من يهودٍ ونصارى وفلاسفة وباطنية وصوفية، ويقول للناس: هذا هو الإسلام، وتلك نهضة الأندلس.

ويتعمى عن الحقائق الظاهرة، فيزعم أن الإسلام لم يدخل الأندلس باسم الجهاد، ولم يحقق نصراً حريماً مؤزراً، بل كان تجاوب السكان الأصليين ممن يعتنقون الأريوسية الموحدة مع القادمين الجدد الذين لم يقصدوا - في زعمه - أن ييسروا بدينٍ جديد.

(١) تمت ترجمة جميع المقاطع السابقة من كتاب:

CORDOBA-CALAHORRA. bridge From East to West

قرطبة. القلعة الحرة. جسر من الشرق إلى الغرب 3, 6, 7, 12, 14, 16, 18, 24 p.

وانظر أيضاً: The Meaning of life in Andalusia

إنه حين يتحدث عن «الإسلام»، ويقول عنه قولاً حسناً يطرب له أصحاب العواطف والنوايا الساذجة، فإنما يضمّر في نفسه الإسلام الذي اصطنعه، ورسم صورته، وحدد أركانه، ليس إسلام محمد بن عبد الله ﷺ، عقيدة وشريعة، بل ولا إيمان إبراهيم عليه السلام عقيدة دون شريعة، ولكنه إسلامه الخاص الذي بناه على ركنين:

أحدهما: ركن (التعالّي) الذي يعني وجود قيم مطلقة، أياً كانت تلك القيم، المهم أن يكون للحياة معنى. ونبه في ذلك كير كجارد.

الثاني: ركن (الجماعية) الذي يعني شيوعية الثقافة والاجتماع والاقتصاد للإنسانية المناضلة، ونبه في ذلك كارل ماركس.

فلا مكان «لشريعة مهيمنة»، بحسبانها تقاليد وفلكلور لشعب معين في تاريخ معين. ولا إقرار بأمة متميزة تكون «خير أمة أخرجت للناس»، فجميع الطرق تؤدي إلى الله - في زعمه - ما دامت الأفعال كلها محبة، وكل محبة فهي بوعي أو بغير وعي محبة للرب، كما قال سلفه ابن عربي.

كل هذا الكفر شيد بأموال المسلمين وتبرعاتهم، والأنكى من ذلك أن يُحمى بأقلام كتابهم، ومن ينسب إلى العلم منهم، ببواعث عاطفية عمياء، كالوقوف معه باسم الإسلام في صراعه مع الصهيونية. فحين حوكم في فرنسا مؤخراً، أقيم له مهرجان مناصرة في الدوحة (واستقبل استقبال الفاتحين، ولقي ترحيباً رسمياً وشعبياً منقطع النظير، بدأ منذ وصوله إلى مطار الدوحة، ثم أقيمت للضيف مهرجانات عدة، كان أنجحها مهرجان مركز شباب الدوحة، الذي احتشد فيه عدد من السفراء، والرسميين، ورجال الفكر والسياسة، كما كان الشيخ يوسف القرضاوي، على رأس الخطباء، حيث قال مرحباً بالضيف:

إننا في هذه الليلة نعيش وقتاً اعتبره من الأوقات المباركة النافعة

الإيجابية في زمن التجبر الإسرائيلي، والتفرد الأمريكي، والعجز العربي، والغياب الآسيوي. نرى هذه البادرة بصيصاً من النور، لتبين أن للحق أنصاراً يخرجون من حيث لا يحتسب الناس...

لقد قال هذا المفكر كلمة الحق، ولم يبال بعد ذلك.. أراد بعض الناس أن يجردوه من دينه، ومن عواطف المسلمين معه... لو لم يكن مسلماً لوقفنا معه أيضاً، لأننا مع الحق فكيف به وقد أضيفت إليه أخوة الإسلام؟! وقد قلت له في رمضان: نحن معك في قطر والخليج وبلاد الإسلام، ومعك أكثر من مليار مسلم...

سر في طريقك، واثبت على موقفك، وثق أن الله هو ناصرك، وأن الله هو الحق المبين^(١).

يا أسفى على يوسف!

إذا كان بعض علماء المسلمين في هذا الزمان لا يحتكمون إلى نصوص الكتاب والسنة، ولا يزنون الأقوال والأفعال بميزان الشريعة، فما بالك بالصحفيين، وأنصاف المثقفين، بله عامة الناس؟! فكيف إذا كان الأمر لم يبلغ درجة الاشتباه الذي يحتاج إلى تحرير الفقهاء، واجتهاد المجتهدين؟ إذا كان صاحب الشأن نفسه - أعني روجيه جارودي - يقول بملء فيه، ويسطر ذلك بأنامله، لا يخاف لومة لائم: (دخلت الإسلام، وبإحدى يدي الإنجيل، وباليدي الأخرى كتاب «رأس المال» لماركس، ولست مستعداً للتخلي عن أي منهما)^(٢) وذلك بعد إعلان إسلامه المزعوم بسبع سنين.

ويقول أيضاً: (إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأنني أتخلى عن مسيحييتي ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا

(١) مجلة العالم. العدد الأول. صفر ١٤١٦هـ يونيو ١٩٩٨م.

(٢) جولتي في القرن وحيداً (٣٣٧). طبع عام ١٩٨٩م.

متناقضاً أو مبتدعاً^(١) بعد إسلامه بسنتين. ويقول: (أحب أن أؤكد بأنني لم أدر ظهري للماركسية على الإطلاق)^(٢).

فهل يبقى بعد هذا معنى لقول القرضاوي: (أراد بعض الناس أن يجردوه من دينه)، فهل جرده أحد أم أنه لم يلبسه أصلاً؟^(٣).

في حُمياً العواطف المشبوبة، والنظرة القصيرة، يغفل الدكتور يوسف القرضاوي عن سبب عداء جارودي للصهيونية ودولة إسرائيل المؤسسة على أسطورة «شعب الله المختار»، إن السبب باختصار أن هذه النظرة القومية لا تتفق ومشروع جارودي وأمله في إنسانية موحدة، لا على دين الله، ولكن على معنى من المعاني، أيًا كان ذلك المعنى، دون أن يدعي أحد أنه يمتلك «الحقيقة المطلقة»، ويشعر بالعلو والفوقية على بقية الناس.

إن السبب ذاته سوف يحمل جارودي على الانقضااض على المسلمين أنفسهم حين يعتقدون ما قال الله في كتابه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران] سواء بسواء.

وهل يظن القرضاوي - عفا الله عنه - أن جارودي يرى فرقاً بين ادعاء اليهود أن فلسطين، أرض الميعاد، وهبة الله لبني إسرائيل، ودعوى المسلمين الصادقة ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

(١) جريدة «البعث السورية» عدد ٢٥/٣/١٩٨٤م.

(٢) جريدة «تشرين» السورية عدد ٢٥/٣/١٩٨٤م.

(٣) لقد خبر الدكتور يوسف القرضاوي جارودي وشطحاته في مؤتمر سطيف المعقود في الجزائر عام ١٩٨٦م، وناقشه في أفكاره. كما أفاد الأستاذ أنور الجندي في تأصيل البقطة وترشيده الصحوة (١٧٥ - ١٧٨).

إن ميزان جارودي في الباطل مطرد، وميزان هؤلاء في الحق مضطرب.

ونختم بهذين النصين الصارخين لجارودي.

(وليكن كلُّ منا ما يكون، مسلماً أو مسيحياً، فإن ذلك لا يفصله
عمن لا يشاركه دينه.. وسنلتقي جنباً إلى جنب مع كل أعضاء البشرية
التي تحطم قيود الجزئي، وقيود الفردية والقومية التي تفتت العالم)^(١).

(هذا النضال، هو نضال كل أصحاب العقيدة، أو المؤمنين
بعقيدة، مهما يكن نوع إيمانهم، ولا يهمني ما يقوله الإنسان عن
عقيدته؛ أنا مسلم، أو أنا مسيحي، أو أنا يهودي، أو أنا هندوسي)^(٢).
ولنا قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي
الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝١٨﴾ [ص]، وقوله تعالى: ﴿أَفَجَعَلَ الْمُتَّيِّبِينَ
كَالْمُجْرِمِينَ ۝٢٥﴾ [القلم: ٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلَّيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ۝٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۝٥٦﴾ [المائدة].



(١) جولتي وحيداً في القرن (٤٣٧). عن روجيه جارودي والمشكلة الدينية
(٢٥٩).

(٢) الإسلام (١٢).

رسائل جامعية ٢٠

مكتبة المسجد النبوي الشريف
رقم الكتاب: ٥٢٦٢٢
تاريخ تسجيل: ٩/٩/١٤٢٧ هـ

دَعْوَةٌ

التَّحْقِيقُ فِي بَيِّنَاتِ الْأَكْبَارِ

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

دار ابن الجوزي

المجلد الثالث

دار ابن الجوزي

المبحث الثاني

محاولات الأب: «إيميليو غاليندو أغيلار» للتقريب بين الأديان

تمثل محاولات الأب الإسباني «إيميليو غاليندو أغيلار» Emilio Galindo Aguilar للتقريب بين الأديان عموماً، والإسلام والنصرانية خصوصاً، لوناً مميزاً من المحاولات المبذولة في هذا السبيل، إذ تقوم على السعي لتجميع المفكرين المتحررين «المارقين» من كلا الديانتين في جبهة واحدة، ونشر أفكارهم وتعزيزها ضمن خطة يرسمها مسبقاً، ووفق أهداف ومنهجية يرتئونها، ويستكتب لها من يصطفيه من المفكرين من الجانبين. ثم يخرجها بصورة كتب متلاحقة عادةً كل كتاب «مؤمراً إسلامياً مسيحياً بالمراسلة عن بُعد».

ورغم أن هذه المحاولات تبدو إنتاجاً جماعياً يشترك فيه عدة كُتّاب، إلا إن الطابع الشخصي، والجهد الفردي الموجه لهذه المحاولات، والعمل المؤسسي الذي ينتظمها تحت هيمنة وإدارة الأب «غاليندو»، حدثت بالباحث إلى أن يدرج هذه المحاولة المميزة ضمن المحاولات الفردية.

وتبرز أهمية هذه المحاولة في الجوانب التالية:

أولاً: أنها أول مبادرة نصرانية جادة للحوار العقدي، وبحث النقاط الشائكة التي تتجنبها مؤتمرات الحوار الإسلامي - النصراني عادةً، أو تمسها مساً رقيقاً.

ثانياً: انعقادها من الأطر الرسمية للدول والمؤسسات الدينية التي تبني مؤتمرات الحوار غالباً، وتحكمها أعراف تاريخية ومحلية معينة.

ثالثاً: حشد عدد من الكتاب والمفكرين المعنيين بشأن الحوار، وعامتهم من رجال الدين النصارى المتمرسين بالتنصير والحوار، وندرة من الزائغين المنسوبين إلى الإسلام. وقد جرى إثبات تراجعهم في الحواشي بنوع من الاستفاضة - نسبياً - لإيقاف القارئ على طبيعة الجهود المبذولة علمياً وعملياً في سجلهم الديني^(١).

رابعاً: أن هذه الأفكار المطروحة جاءت بعد أكثر من عقدين من الزمان من إطلاق المجمع الفاتيكاني الثاني دعوته التاريخية للحوار ١٩٦٢ - ١٩٦٥م، حيث ابتدأ المؤتمر الأول لهذه المحاولات عام ١٩٨٨ والثاني ١٩٩٤م، والثالث ١٩٩٧م، متضمنة الرؤية النصرانية الحديثة للحوار.

خامساً: الأسلوب السهل في عقد هذه المؤتمرات؛ وذلك عن طريق المراسلة مما يشرع الطريق - ربما - لمحاولات مماثلة، تنتظم أعداداً أكبر من هؤلاء المارقين.

أولاً: سيرة ذاتية، وتعريف موجز:

• ولد إيميليو أغيلار بغرناطة «إسبانيا» في ١٧ أغسطس عام ١٩٢٧م، وتدرّج في السلك الكنسي الكاثوليكي حتى رُسم كاهناً بجماعة الآباء البيض التي تزاوّل نشاطها التنصيري في أفريقيا، عام ١٩٥٣م. ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة من روما عام ١٩٥٦م، وفي الدراسات العربية الإسلامية من تونس عام ١٩٥٨م، حيث كان متعاوناً مع معهد الآداب العربية (IBLA) الكاثوليكي الفرنسي، لبضع سنوات. وفي مطلع السبعينيات أسس في «مدريد» مؤسسة فكرية تحت اسم «دارك. نيومبا» DAREK.NUMBA. وقد ساهم مساهمة فعالة في

(١) تم اعتماد تراجعهم كما وردت في كتب غاليندو الثلاثة، مع اختصار يسير.

التحضير لمؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في قرطبة منذ عام ١٩٧٤م، وشغل منصب «الأمين العام» لها، وحيث لم ترضِ طموحه وتطلعاته الفكرية البعيدة فقد أسس جماعة «كريسلام» الآتي ذكرها، لتعبر عن آرائه وآراء أمثاله من المتحررين من القيود الرسمية.

وقد ألف «غاليندو» بضعة كتب كلها تتعلق بالإسلام الذي يمثل هاجساً دائماً بالنسبة له، منها: «الإسلام: أمس واليوم وغداً» مدريد ١٩٦٠م، «خلق أندلس جديدة» ١٩٨٢م، «الصوفيون: أولئك الرجال المقلقون للإسلام» مدريد ١٩٨٣م، «تجربة الإله في الإسلام» مدريد ١٩٨٥م.

كما يدير نشرة دورية تصدرها مؤسسته، عنوانها: «لقاء إسلامي مسيحي»^(١)، كما أنه بصدد إصدار كتاب آخر عن «الصوفية»، لاعتقاده أنها الطريق إلى «توحيد الأديان»^(٢).

ثانياً: محاولات غاليندو العملية للتقريب بين الأديان:

ترجع محاولات غاليندو للتقريب بين الإسلام والنصرانية إلى حقبة السبعينيات، حين انعقد أول لقاء إسلامي - نصراني في عاصمة الخلافة الأموية، قرطبة، سبتمبر عام ١٩٧٤م، وما تلاه من مؤتمرات^(٣)، كان يقوم فيها بدور الأمين العام. ويشير إلى تلك البدايات بعبارات فخمة: (بضع مئات من المسلمين ومن المسيحيين قد تنكبوا الطريق بأمل

(١) انظر ترجمته لنفسه في كتاب: «العقيدة للأمام» بالإسبانية FE ADELANTE (١٧٥). ويتضمن أعمال المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بالمراسلة عن بُعد.

(٢) كما أخبرني بذلك شخصياً أثناء زيارتي لمؤسسته، دارك - نيومبا في مدريد يوم الأربعاء ١٤١٩/٤/٥هـ.

(٣) انظر محاولات التقريب في إسبانيا في الفصل الثاني من هذا الباب.

عريض نحو مدينة الخلافة. جميعنا كان يريد نسيان الماضي، وبفضل الأجواء الجديدة للمجمع الفاتيكاني الثاني، التقينا مرة أخرى بعد عدة قرون من الانفصال الأحق وغير المفيد... كانت له أصدااء عالمية، نظراً لما كانت تمثله قرطبة ولا تزال عند المسلمين والمسيحيين. إن تلك الصلاة التاريخية في تلك الجمعة، الموافقة ١٣ سبتمبر ١٩٧٤م، كانت بمثابة انفصام جديد لحجاب التاريخ، وصارت بمثابة معلم لبداية كيفية جديدة لرؤية بعضنا بعضاً، ولإقامة علاقات بيننا، نحن المسلمين والمسيحيين، وليس علينا سوى أن نذكر أنه منذ ١٢٣٦م لم تقم صلاة شعائرية إسلامية في الكنيسة - المسجد - الكاتدرائية^(١).

وقد أسس في مدريد مكتباً لمزاولة أنشطته المختلفة، وسماه دارك - نيومبا عام ١٩٧٠م^(٢). وأراد بذلك الكلمة العربية «دارك» أي بيتك، وكذلك تعني كلمة نيومبا في بعض اللغات الإفريقية، وذلك لاجتذاب المهاجرين من أفريقيا، كما أفادني بذلك بعض من عملوا معه، ويقدم لهؤلاء الوافدين دروساً في اللغة الأسبانية، لا سيما وأنه يتحدث العربية بدرجة متوسطة.

أما الخطوة العملية الهامة التي أبرزت مشروعه للتقريب بين الإسلام والنصرانية، فكانت تأسيس مجموعة «كريسلام» عام ١٩٨٤م. وهو مصطلح نحتة غاليندو من اسمي الديانتين: كريستيانيتي Christianity أي «النصرانية» والإسلام، وركبه تركيباً مزجياً، ليحمل الدلالة على ما تمثله هذه المجموعة. وقد صدر بيان بلغات متعددة، منها العربية عام ١٩٨٤م، يعرف بهذه المجموعة، نسوقه بتمامه:

(١) من مقدمته لكتاب «العقيدة إلى الأمام» (٧). وفي جملته الأخيرة يوهم غاليندو أن جامع قرطبة كان كنيسة قبل أن يكون مسجداً ثم آل إلى ما كان عليه.

(٢) يفيد «إهداء» في كتاب «إلى الجذر» الصادر عام ١٩٩٤م، موجه إلى دارك - نيومبا في عيدها الخامس والعشرين.

كريسلام

مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية

نحن جماعة نواتها المركزية محدودة العدد بدوافع الفاعلية. متوازنة من حيث عدد أعضائها من المسلمين والمسيحيين، ولا بنية لها سوى تلك القائمة على نشاطها المنبثق عن حياة الجماعة نفسها. وهي ليست مغلقة ولا تستثني أحداً من ميادين نشاطها.

تألف من مسلمين ومسيحيين مشبعين بالأصول الدينية التي ننتمي إليها، تجتمع لإعادة قراءة تعاليمنا الدينية قراءة مشتركة تستهدف إبراز تطلعاتها الإنسانية، قراءةً ينبغي أن تقوم على التجربة الشخصية الحية والواعية، وعلى المعرفة العلمية لكل من الدينين والثقافتين.

جماعة من المثقفين ليس لهم من غرض سوى تطبيق المنهج العلمي في عملهم: «موضوعية ترفض الأحكام المسبقة، وانفتاح لاستيعاب وجهات النظر الجديدة، وتحليل ناقد تجاه الاستنتاجات التي يتم التوصل إليها» مستبعدة في لقائهم هذا أي موقفٍ تقريضي، أو جدلي، أو تبعي، أو قائم على مجرد استظهار المقولات الدينية المعهودة التي تقف حائلاً دون اللقاء الأصيل.

جماعة من الأحرار المستقلين المنضمين إليها بصفتنا الشخصية المجردة، سواء في نواتها المركزية، أم في الأطر المساعدة. فنحن لا نمثل أي جهة، ونمارس حريتنا أيضاً تجاه الجماعة نفسها، وتجاه المواضيع التي نطرحها للبحث، يستلهم المسلمون منا، مبدأ الاجتهاد المعترف به لكل مسلم تجتمع شروطه، ويستلهم المسيحيون منا نص وروح المجمع الفاتيكاني الثاني.

جماعة ملتزمة بقضية الإنسان، بالفعل أكثر من القول، التزاماً إنسانياً، منطلقه المشاكل الملموسة لإنسان اليوم، مقدمةً لعلاجها القيم

الإنسانية التي تدعو إليها الديانتان، آخذة بعين الاعتبار النظريات المعاصرة في الدفاع عن الإنسان، وباذلة جهودها في تعرية النظم التي تستلب المرء إنسانيته، لا سيما إذا وجدت هذه النظم اللانسانية ضمن مجتمع الديانتين^(١).

تلك هي الوثيقة الأولى التأسيسية لـ «كريسلام»، وهي غير مذيّلة بأي توقيعات، في جميع النسخ الصادرة باللغات الأخرى. وتكتفي الوثيقة بالإشارة إلى أن الجمعية محدودة العدد في نواتها المركزية، مؤلفة من مسلمين ومسيحيين فقط، ثم تُطلب في النواحي الموضوعية. ولا يكاد يعثر الباحث في نتاج هذه الجمعية على اسم ذي صلة مباشرة بالنواة المركزية سوى اسم غاليندو، نفسه. كما لا يلمس الزائر لمقر «دارك - نيومبا» التي تصدر أعمال «كريسلام» وجود أي أعضاء في المكتب المتواضع سوى شخص غاليندو، وشخص أو شخصين يقومان بأعمال السكرتارية والخدمات. ومن بين عشرات المقالات التي تضمنتها إصدارات «كريسلام» الثلاثة - حتى الآن - لعشرات من المسلمين والنصارى الذين يتفقون مع أهداف «كريسلام»، لم تجر الإشارة إلى نوع ارتباط عملي بالجمعية أو بمؤسسة «دارك نيومبا» إلا في التعريف بالكاتبة: «سيفريد فون ثيميل» بوصفها: عضوة بمركز الأبحاث الإسباني العربي والإسلامي المسيحي - دارك - نيومبا^(٢)، وذلك ما يؤكد ما سلف من بروز الجانب الفردي لإيميليو غاليندو في هذا المشروع، وإن كان يحرص في كتاباته على صبغها بصبغة «الجماعية» و«الدولية».

(١) PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO - CHRISTIAN. P. 19

«بالإسبانية» نشرة لقاء إسلامي مسيحي. عدد (٥) Crislam, nuevo estilo
كريسلام. أسلوب جديد.

(٢) انظر: العقيدة إلى الأمام (١٣٩).

وقد أظهرت الوثيقة التأسيسية السالفة تعريفاً مقتضباً لجماعة «كريسلام» تشعر بأنهم جماعة متحررون من الأحكام المسبقة والمقولات الدينية المعهودة، وأنهم يعيدون قراءة التراث الديني بروح إنسانية معاصرة، بذريعة «الاجتهاد» من طرف المسلمين، ونص وروح المجمع الفاتيكاني الثاني^(١) من طرف النصارى، مع التأكيد على الصفة الشخصية للأفراد، والاستقلال التام عن أي مؤسسة قائمة، بل والسعي لتعرية تلك المؤسسات والنظم - الدينية خاصة - التي تستلب الصفة الإنسانية، وتحول دون تلاقي الديانتين، وذلك في إشارة واضحة إلى التمرد على الهيئات الدينية التقليدية، التي يعلم غاليندو ورفاقه مسبقاً أنها ستعدهم مارقين.

وقد أتبعت الوثيقة السالفة، ببيان إلحاقى يعيد التعريف بالجماعة، ويلقي الضوء على منهجها في العمل وموقفها من المؤسسات الدينية، ننقله بتمامه أيضاً:

كريسلام

مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية

كريسلام هي جماعة من المثقفين المسلمين والمسيحيين، أحرار، ومستقلون، ملتزمون عقائدياً مع قضية الإنسان، إسهاماً في حل المشاكل الحية الراهنة المنبثقة عن الرسالتين الدينتين، وتعزية للبُنَيَات التي تحرم الإنسان من إنسانيته، ولا سيما إذا كانت قائمة في المجتمع الديني نفسه. وهي تعلن:

١ - أنها تستقي وعيها من الدينين معاً، وتعيد النظر في أنظمتها المذهبية، لصياغتها بشكل يعين على النمو الروحي لكل الناس نمواً أفضل.

(١) راجع التعريف به في الباب الأول مبحث (حقيقة التقريب لدى الكنيسة الكاثوليكية).

لذا تعلن اعتقادها بأن المؤسسات الدينية وأساليبها وسلطاتها ينبغي ألا ترغم الفرد وتضطهده، لأن هذا يعد خطأ أخلاقياً، وعدواناً على حريته، كأحد حقوقه الأساسية وخاصة إن كان باسم الله أو الدين.

وهي تصرح بموقفها النقدي إزاء التفسيرات الشبه دينية، والشبه إنسانية، التي تتظاهر بالدفاع عن الإنسان، بينما في الواقع تخدم مصالح خاصة سياسية أو اقتصادية.

٢ - على المؤسسات الدينية أن تجعل من مبدأ مساواة جميع الناس في حقوقهم الأصلية عنصراً من عناصر سلوكها.

لذا تعلن الجماعة اعتقادها بأن كل ما يخرق هذا المبدأ، سواء في المحيط المذهبي الشخصي، أو بالنسبة للديانات الأخرى، يتناقض مع الرسالة الدينية الحقيقية التي تكرم الإنسان كعضو في الأسرة البشرية الكبرى، بصرف النظر عن مميزاته الفردية. وتعلن موقفها النقدي بإزاء أية عنصرية تمارس ضد الأقليات الدينية أو الجنسية أو العرقية أو الثقافية، كمحاولة لرفض سماتها وخصوصيتها.

٣ - على المؤسسات الدينية أن تستهدف الدفاع عن حريات الإنسان كإحدى غاياتها الرئيسية؛ لذا تعلن الجماعة مساعدتها لكل عمل يرمي إلى تحقيق حرية الضمير، والتدين، وإعلان العقيدة، واختيار شريك الحياة في الزواج، وتربية الأبناء، والتعبير الأيديولوجي، وإبداء الرأي في الدين.

وإذاً، تعلن الجماعة موقفها النقدي تجاه المحاولات التي يمكن أن تمارس لأسباب عقيدية على الأشخاص، سراً أو علانية، فردياً أو جماعياً. ويجب أن يكون الإقناع هو روح المؤسسات الدينية، بدون ضغط مباشر أو غير مباشر. والواقع أن هذا هو عملها النبيل ومنهجيتها

الوحيدة المشروعة، فالسبل القسرية تولد التعصب والتطاحن والعقد النفسية المختلفة. كما أنها في النهاية تحط من قيمة الإنسان وتحرمه من الأخوة الحقيقية مع جميع البشر. وبالتالي، وبهدف جعل هذا البيان حيويًا، بل باعثًا على إرادة جديدة، والتزام تضامني، ينشئ «كريسلام» هيئة دائمة ذات غايتين:

■ تربية تسعى لخلق عقلية جديدة، وإيجاد التفاهم والمصالحة والتعاون والأخوة بين كل الناس. ويتحقق هذا من خلال دراساتٍ جدية يقوم بها متخصصون ينتمون إلى الدينين معاً، الإسلامي والمسيحي، مستعينين بذوي النيات الحسنة، المستعدين لتقديم التعاون في مجال ما أسميناه «ميادين الأنشطة» في وثيقتنا الأولى التأسيسية. وستكون هذه الدراسات أيضاً مادة لازمة، ووسيلة لتحقيق عملنا الثاني:

■ تعرية كل الأعمال المذهبية والقانونية والاجتماعية والبنوية التي تمارس أو تعلن أو تشجع لأسباب دينية، والتي تحرم الإنسان من إنسانيته في عالمنا الإسلامي والمسيحي (الفسيح)^(١).

وهذا البيان يكشف عن الموقف «المستوفز» لجماعة «كريسلام» تجاه المؤسسات الدينية، إسلامية ونصرانية، التي تتوقع إدانتها لما ستقدم به من أفكار ناسفةٍ للثوابت العقدية لدى الجانبين، ومن ثم تعيد ضخ مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باتجاه المؤسسات الدينية في خطوة وقائية. وتشفعه ببيان منهجها في تحقيق أهدافها تربوياً - أي فكرياً هنا - وعملياً.

ويدرك «غاليندو» أن مشروعه للحوار الإسلامي المسيحي المتحرر

(١) PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO - CHRISTIAN. P. 17. 18

«بالإسبانية» نشرة لقاء إسلامي مسيحي. عدد (٥) Crislam, nuevo estilo
كريسلام. أسلوب جديد.

من المرجعيات الدينية، المحتكم لغايات الانفتاح وتوحيد الأديان والتقاليد والثقافات، سوف يكون مرفوضاً من جميع الأطراف المؤسسية، ويعبر عن هذا الإدراك في مواضع عديدة من تقدماته لنصوص مؤتمرات الحوار عن بعد - بالمراسلة - نقطف منها:

(.. هذا شيء في يومنا هذا، لا تقبله بطبيعة الحال، أي من المؤسساتيتين الدينتين لأن ذلك يتطلب بالتبعية، عدم المناداة بداءة الأمر بثقافة أو بدين معين..)

ولن يحدث وقوع الأديان بسبب ذلك في النسبية المتشكك فيها، كما يفسرها ويخشأها كل حراس الأرثوذكسيات^(١).

(.. إن المذاهب والمؤسسات بسبب طبيعتها الداخلية المنحازة، لا تستثني غيرها، لكونها في رأيها المالكة للحقيقة المطلقة، فضلاً عن الخوف الرهيب من المنافسة)^(٢).

ينبغي التخلص من وصاية المؤسسات الدينية، التي أثبتت أنها بدلاً من أن تكون بمثابة مساعدة، فهي عقبة إضافية^(٣).

وقد أفصح «غاليندو» في مواضع عدة عما يعني بالمؤسسات الدينية التي تمثل عقبة كأداء في طريق مشروعه التقريبي بين الإسلام والنصرانية، إذ يقول: (هناك قطاعان ممن دعوناهم، كانا عسيرين بصفة خاصة؛ فمن ناحية أولئك المثقفون المسلمون - وهم قليلون في يومنا هذا - أولئك الذين يراهنون على التشكك، والتقدم بأسئلة، ومن يفعل ذلك فهم منشغلون، ونطلب منهم عن طريق الدعوات الكثيرة أن يتقدموا بأسئلتهم، وتشككاتهم، ربما أيضاً لأن أمامهم، ما زال هناك طريق

(١) (العقيدة للأمام) (١٢ - ١٣) - من مقدمة المؤتمر الأول بالمراسلة عن بعد.

(٢) (من تقولون أني هو) (١٣) - من مقدمة المؤتمر الثالث بالمراسلة عن بعد.

(٣) العقيدة للأمام (٨).

ينبغي أن يقطعه، وهم يتعرضون لأخطار أكبر لعبور هذا الطريق، رغم تجربة أساتذة الشك.

ومن ناحية أخرى، السلطات الكاثوليكية، ونقصد بهم رجال المؤسسة الدينية الكاثوليكية الذين ينبغي عليهم أن يهتموا، ويلتفتوا أكثر وأكثر، بما هو مستقر عندهم، أكثر من البحث عن شيء جديد^(١).

ولم يكشف «غاليندو» وجه العسر من جانب السلطات الكاثوليكية! لقد استدرك عليهم - فقط - عدم اهتمامهم أكثر وأكثر بما هو مستقر عندهم، من البحث عن شيء جديد. فهل يعني بالاستقرار هنا «بلوغ الحقيقة» وفق العقيدة النصرانية لدى الكاثوليك - وهو أحدهم - فعلام يبحثوا عن شيء جديد؟ أم يعني بالاستقرار «كثرة الأتباع» فلا داعي لإضافة أتباع جدد، بل ينبغي الاهتمام بما لديهم؟ والأمر غامض مريب على كلا التقديرين، في حين أن نقده المرير واضح جداً بالنسبة للطرف الإسلامي، الذي لا يجد منه التجاوب الذي يريد من إعلان الشك والرفض والتمرد، ويحاول أن يفسره تارة بالانشغال، وأخرى بالخطر المضاعف. ويزيد النقد وضوحاً حين يقول: (... الحقيقة جعلتنا منذ بداية الأمر ندفع الثمن: دعوة عدد متماثل من الشخصيات المسيحية والإسلامية، وكانت هذه الأخيرة أقل تجاوباً بكثير.

وثمة معلومة أخرى أكثر إيضاحاً لهذه المشكلات ذات العمق تمنع إجراء حوار حقيقي إسلامي - مسيحي: إن الحوار مع المسلمين لا طائل من ورائه؛ ومن بين عقبات أخرى يمكن أن نذكر المتحدثين المسلمين أنفسهم، فليست لديهم رغبة في الحوار، كما أنهم غير مؤهلين للدخول في حوار حقيقي. لذا فمن النادر ما يأخذون المبادرة

(١) إلى الجذر (١٠ - ١١) من مقدمة المؤتمر الثاني بالمراسلة عن بعد.

بأنفسهم بدعوة المسيحيين، باستثناء لقاءات تونس المشرقة^(١). وعلى سبيل العموم يقتصر الأمر بالنسبة لهم على المجاملة رداً لدعوة الجانب المسيحي... فالمسلمون ليس فحسب تنقصهم المبادرة في مثل هذه الحوارات، بل إنهم يسبحون ضد التيار. وليست تنقصهم التعليقات لتبرير هذا، فخروجهم منذ وقتٍ قليل من ربة الاستعمار الاستيطاني الذي أخضعهم له الغرب المسيحي، وعدم ثقتهم إزاء احتمال عملية تبشيرية، وعقدتهم بأنهم آخر دين، والدين النهائي، ونقص تطبيق العقل الناقد لمصادر الرسالة. وفي حوارنا الإسلامي المسيحي دائماً ينقصنا محاورٌ قدير على مستوى رفيع كنظيره. أما القلة الذين هم هكذا فيوصمون بأنهم متغريون، وخارجون عن الفكر الإسلامي الحقيقي^(٢).

إنَّ الرجل يتحسر بمرارة أن لا يجد من الجانب الإسلامي من يجاريه في مروقه وزندقته، فاللاهثون خلف سراب «الحوار الإسلامي - المسيحي» من المسلمين في هذه الأزمان لا يبلغون شرطه المتناهي في التحرر والانفلات، ولا يطفثون غلته في التحوُّص في دين المسلمين، وهو يبحث عن «محاور قدير على مستوى رفيع كنظيره» يريد نفسه ورفاقه، وهو ما لَن يجده إلا في سراديب إخوان الصفا، وفتوحات ابن عربي الباطنية. ولكنه يعزي نفسه بمقولة مارقة تفوّه بها بعض المنتسبين للإسلام، فيتابع قائلاً: (لذلك، هنا، والآن، ينبغي لنا أن نتابع رجاء الدكتور أركون^(٣)، الموجّه إلى المسيحيين «كي لا يفقدوا الأمل أمام التكتلات التي تسد الطرق، وأمام الرفض وعدم التفهم، ونقص استعداد المسلمين»^(٤)،

(١) يقصد المؤتمرات التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية. انظر الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) العقيدة إلى الأمام (١١).

(٣) محمد أركون: تقدمت ترجمته (٧٦٤). انظر مبحث: الإسلاميون العصريون.

(٤) العقيدة إلى الأمام (١١).

وسوف يبدي المبحث التالي سر عدم التجاوب من جانب المسلمين وطبيعة المطالب الحوارية التي يروج لها غاليندو من خلال كريسلام.

• من خلف مكتبه في غرفة صغيرة في شُقة بأحد شوارع مدريد، عقد إيميليو غاليندو ثلاثة مؤتمرات دولية! وذلك بالمراسلة - عن بعد - كما يسميها، إذ يطرح في كل مرة جملة من التساؤلات والتشككات على من ينتقيهم من الجانبين الإسلامي والنصراني، بالمراسلة البريدية، ثم يضم ما تلقاه من إجابات بين دفتي كتاب، بعد أن يضع له مقدمة، ويسهم بدوره في الإجابة على ما طلب بنفسه، ويؤطره بعنوان ذي دلالة رمزية، ويسميه «مؤتمراً»، رغم أنه لم يجر لقاء أو نقاش بين المؤتمرين، ولم يظلمهم سقف واحد. (كريسلام أرادت فقط أن تحتضن وأن توسع مدى تفكيرهم، ومدى صيحاتهم في هذا العالم)^(١).

وقد عدّد غاليندو الأسباب التي دعت به إلى انتهاج هذا الأسلوب المميز في الحوار بالمراسلة، بأربع نقاط، نوجزها كما يلي:

١ - حينما يتفكر المرء في خلوته ووحده، يصير الأمر أمامه أسهل، للهروب من الرقابة الذاتية النفسية، ومن الضغوطات الخارجية، فمهما كانت الأفكار واضحة أمام الشخص، أثبتت لنا التجارب، أنه حينما يختلط الصدق مع الهرطقة، يجنح الإنسان للظهور أمام جمهور الحوار بمظهر الاستقامة الدينية، والسير على الخط الموروث حتى لا تنزع عنه صفة التمسك بالدين.. ويعرف الجميع أن الاستقامة الدينية، والتشبث بالحذافير قد جرجرتنا إلى رفض التشكك.

٢ - لما كان هذا المؤتمر بغير تنظيم من أية هيئة أو مؤسسة دينية، ولا سياسية، فإمكانات استقلالته باتت أكبر، فالمشاركون فيه كانوا يعلمون ما سيفعلونه بصفتهم الشخصية، منفصلين بأنفسهم عن

(١) من مقدمة «غاليندو» لأعمال المؤتمر الثاني بالمراسلة (١١).

بعض الوظائف الهامة التي كان من المحتمل أن يتبوؤها حتى في مؤسسة من المؤسسات، حينما لا يتحدثون كناطقين باسمها...

٣ - ... العنصر الاقتصادي. ونحن - بفضل الله - فقراء. وإنجاز مؤتمر هو أمرٌ مكلف. وكل من قام بترتيب مؤتمر دولي يعلم ميزانيته الباهظة: الرحلات والفنادق والقاعات والترجمة الفورية، والإداريون الخ، وليس هناك من يعطي شيئاً بدون مقابل...

٤ - خطرٌ آخر مؤكد في المؤتمرات، خاصة حينما يتعلق الأمر بالموضوعات الدينية، وذاك هو: الفرق في اعتبارات نظرية وعلمية متفادياً الموضوعات الحقيقية والمحددة، والتي مع كونها حاضرة في نفس الجميع، فإنها تطرح جانباً، فيستغرق الإنسان في مناقشاتٍ طويلة، لا تفتح باباً، وتؤدي في نهاية المطاف إلى الانغلاق بصورة أكبر^(١).

إن الباعث الحقيقي وراء هذه الأسباب - بما فيها الاقتصادي - هو رغبة غاليندو الجارفة للغوص في الجوانب العقيدة الحاسمة التي تفصل بين المسلمين والنصارى، وتململه من الأداء الشكلي لمؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي التي تشتغل بالقشور، ولا تنفذ إلى اللب تحاشياً للخلاف الأكيد. وقد قوِّم المؤتمرات الرسمية وشبه الرسمية للحوار بقوله: (إن الشيء الوحيد الذي تم بوضوح في تاريخ الحوار الإسلامي المسيحي، كان الخبرة الواقعية في المداراة)^(٢). أما القضايا الأساسية العميقة ف (لم يكن من أحدٍ يستطيع أو يجرؤ على أن يتطرق إليها بعمق أو أن ينكرها، خشية أن يقطع هذا الخيط الرقيق أو الرهيف في علاقاتنا، وبذلك فإننا نطفئ الومضة الضعيفة الواهنة للحوار)^(٣).

(١) العقيدة للأمام (٩ - ١٠).

(٢) العقيدة للأمام (٨).

(٣) إلى الجذر (٧).

وقد صدق «غاليندو» في هذا، وأن تجارب الحوار الإسلامي المسيحي تتحاشى التطرق لأصول الاعتقاد خشية الافتراق، ولا نختلف وإياه، بل نحن - المسلمين - أشد حرصاً على الوضوح والعمق والقصد إلى أصول الخلاف بدلاً من الاشتغال بالمجاملات الباردة، وهواية جمع أوجه التشابه، ولكن إلى ماذا يرمي «غاليندو» من دعوته للحوار الحقيقي العميق؟ هذا ما سيكشفه المبحث التالي إن شاء الله.

ثالثاً: محاولات «غاليندو» الفكرية للتقريب بين الأديان:

على مدى عشر سنوات - تقريباً - أنجز الأب غاليندو ثلاثة مؤتمرات بالمراسلة، كان فيها «العقل المدبر» في التخطيط والتنفيذ، وجمع مادتها في ثلاثة كتب، ويبدو أنها لن تكون الأخيرة، ذلك أن هذه المؤتمرات سلسلة مترابطة يحاول «غاليندو» أن يصل في نهاية المطاف إلى نظرية متماسكة في مشروعه التوحيدي بين الأديان.

وسوف نسير مع هذه المحاولات الثلاث لتبين معالم فكر غاليندو ورفاقه.

أ - المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة. تنظيم كريسلام: العقيدة للامام.

المشكلات الجوهرية أمام الحوار الإسلامي المسيحي عام ١٩٨٨م. في مقدمته لأعمال هذا المؤتمر، الأول، أشار غاليندو بعبارة مشرقة إلى مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في قرطبة، وكان آخرها الذي زامن عقد هذا المؤتمر، الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على تأسيس جامع قرطبة. وَعَدَّ غاليندو أعضاء «كريسلام» أفضل وريثة على ما اصطلاح على تسميته «روح قرطبة» في المؤتمر الأول الذي عقد في عام ١٩٧٤م، ثم يقول: (جاء المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بالمراسلة، لا لتكرار ما تم حينذاك، بل لنطرح على أنفسنا بصدق وموضوعية وشجاعة، الموقف الحالي للحوار الإسلامي

المسيحي، وبعد تشخيص ذلك الموقف، نفتح سبلاً للمستقبل^(١).

وتشخيصه للحوار أنه «يمر بأزمة عميقة»، وأنه كَوْن «خبرة واقعية في المداراة»، وأن المتحاورين يلتقون «مقلدين النعامة» التي تدس رأسها هرباً من مواجهة الحقيقة.

وبعد حملة قوية في الدعوة للتشكك استعان فيها بمقولات لبعض أئمة المعتزلة والمتكلمين، طرح ثلاثة أسئلة، قد وجهت للمساهمين في هذا المؤتمر:

(١) - في رأيك: ما هي الموضوعات ذات العمق التي لا نتطرق إليها بتمعن، والتي ينبغي أن لا تصير بعد ذلك أمراً «لامساس به» حتى يتطور الحوار بيننا بصدق؟

٢ - ما هي، في رأيك، الأسباب المحددة التي تدفعك إلى الاعتقاد بأن تناول هذه أو تلك من الموضوعات أمراً أساسياً من أجل حوار حقيقي؟

٣ - اقترح بإيجاز منهجية لتناول وتطوير هذه الموضوعات من أجل أن تكون مساعينا مثمرة فعلاً^(٢).

وقد نشر غاليندو في كتاب «العقيدة للأمام» خمسة عشر مقالة، سوى ما كتبه هو، ثلاثة منها فقط لكتاب يحملون أسماء إسلامية، والباقيون نصارى، وصدر كل مقالة بنصوص مختارة أراد إبرازها، لكونها تتفق مع أفكاره الخاصة. ونعرض أدناه مقتطفات من تلك النصوص:

(١) العقيدة للأمام (٧، ٩).

(٢) المرجع السابق (٩).

١ - المونسنيور: هنري تيسير^(١) «Monsenor Henri Teissier» :

- (في الحقب القادمة ستكون العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واحدة من المكونات الرئيسية للسلام في العالم.
- الحوار الإسلامي المسيحي يركز من الجانب المسيحي على نصف قرن من الإعداد. ومن جانب المسلمين، فهم الآن يسبحون ضد التيار.
- المتحاورون المسيحيون والمسلمون لا تساندهم مجتمعاتهم بصورة متساوية.
- المسلمون الذين يبذلون جهودهم لحمل مجتمعاتهم للحوار مع الآخرين لا يتبعهم رجال الدين. وليس بإمكانهم إلزام جماعاتهم بتغييرات عقلية لها وزن.
- إن نقد مصادر التقليد الإسلامي - بالمعنى الحديث للكلمة^(٢) - هو أمرٌ غير مقبول حتى الآن في المجتمعات الإسلامية.

(١) ولد في مدينة ليون «فرنسا» عام ١٩٢٩م. درس بفرنسا والمغرب والقاهرة والجزائر. حصل على الإجازة في اللاهوت، وعلى دبلوم في اللغات السامية من المعهد الكاثوليكي في باريس. حصل على الجنسية الجزائرية عام ١٩٦٩م، وشغل المناصب التالية:

مدير مركز اللغات والكهنوت في الجزائر من عام ١٩٦٧م - ١٩٧٢م.
أسقف وهران. عام ١٩٧٢م، كبير الأساقفة في الجزائر عام ١٩٨١م.
عضو الأمانة الفاتيكانية لغير المسيحيين منذ عام ١٩٧٣م، وعضو المجمع الكنسي منذ عام ١٩٨٣م.

من مؤلفاته: الكنيسة في الإسلام، تأملات حول الوجود المسيحي في الجزائر.
(٢) إن مصطلح «تقليد» - «Tradition» الذي يعبر به النصارى عن مجموعة النظم والآداب والأعراف الدينية لدى المجتمعات غير النصرانية، مرفوض من وجهة النظر الإسلامية. ذلك أن العبادات، أو نظم الحياة المختلفة في الإسلام ليست تقليداً ذا مصدر بشري، بل هي مقتضى الرسالة الإلهية، والوحي الذي نزل على محمد ﷺ.

• إن التصريحات الرامية للمصالحة الصادرة عن اللقاءات الرسمية، لا تتطابق مع أي تغير حقيقي في السياسات الدينية، وبصفة خاصة مع الأقليات^(١).

إن هذه التقارير من محاور نصراني ضليع، ذي منصب كنسي رفيع - أسقف الجزائر - لتكشف عن روح الإحباط، والتملل، واستبطاء النتائج والثمار المرجوة من الحوار، والشعور المؤلم بأن محاورهم من المسلمين لا يمثلون وزناً في مجتمعاتهم الإسلامية، ولا تأثيراً على القيادات الدينية.

٢ - محمد أركون^(٢):

• (لا يزال هناك مجال للتقدم برجاءٍ للمسيحيين حتى لا يياسوا أمام الانغلاقات والرفض، وعدم التفهم، ونقص الاستعداد، والتأهيل عند المسلمين).

• كذلك كي يأخذ المسيحيون أكثر على محمل الجد ضرورة إحداث ثورة اجتماعية، كشرطٍ مسبق لأي حوار إسلامي مسيحي يهودي، وهو حوار في نهاية المطاف سيعاش ويمارس على أساس أنه غزو لفكر ديني جديد.

• إنه في داخل منظور دلالي، مُختَلّ، مُعَمَّم، وغير منضبط، ينبغي التفكير حوله، ليس الآن حول الحوار الإسلامي المسيحي، وهو إطار ضيق إلى حد كبير، وتعبير تخطيناه، بل حول رجل الدين الذي نتخيله.

• قبل الجلوس للتناقش حول عقائد الأديان، المنمطة والمفروضة من لدن لاهوتيين محدودين بثقافة زمانهم، من الضروري التعجيل

(١) العقيدة للأمام (١٥).

(٢) سبقت ترجمته (٧٦٤).

بالعمل حول كيفية عمل مجتمعاتنا ونظمنا السياسية وثقافتنا^(١).
هذا اللون من الكتاب المتهالكين على الغرب النصراني هم بغية
غاليندو، وعزاؤه، كي يكون طليعة للتبشير بالفكر الديني الجديد،
وإعادة توصيف رجل الدين المطلوب للمرحلة.

٣ - رايمنودو بانينكار «Raimundo Panikar»^(٢):

• (إن القضية التي تطرحها آسيا وأفريقيا أو أمريكا هي إيضاح:
إن كانت المسيحية تريد أن تظل ديانة توحيدية ذات صبغة إبراهيمية، أم
أنها مستعدة للانفتاح على مِلِّل واستعداد لا ريب فيه، بدون أي ثقة
أخرى، سوى الإيمان بالمسيح، وبدون أي ضمانات أخرى، سوى وعد
الروح.

• إن المحجر البشري للأسرة الدينية - الثقافية - الإبراهيمية التي
تندرج فيها المسيحية والإسلام، ليست هي العرق ولا الثقافة الوحيدة،
ولا أيضاً الطبقة الدينية الوحيدة في محجر الإنسانية.

• جميع الكتابات المقدسة، والصياغات جميعها يمكن أن يفهم
من زاوية خاصة، فليس هنالك ولا يمكن أنه يوجد رؤية وحيدة إنسانية
عالمية.

• يستلزم عقد لقاء ديني حقيقي، قبولاً حقيقياً، من الجانبين، بأن
كتبهم الدينية وكذلك مفاهيمهم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية، إنما
هي صحيحة ومفهومة في سياق معين.

(١) العقيدة للأمم (٢٩).

(٢) ولد في برشلونه عام ١٩١٨م لأب هندي وأم كاثوليكية. دكتور في الكيمياء
والفلسفة واللاهوت رسم كاهناً عام ١٩٤٦م، أستاذ بعدد من الجامعات
الأوروبية والأمريكية والهندية. من مؤلفاته: الهند: أهلها وثقافتها
ط ١٩٦٥م. الآلهة والرب. ط ١٩٦٧م، السر والتنزيل ط ١٩٧٠م الحوار
بين الأديان. ط ١٩٨٥م. كتب حوالي ثلاثين كتاباً، وقرابة ألف مقالة.
العقيدة للأمم (٣٧).

• إن الإيمان الحي يتخطى حدود كل إيمان أرثوذكسي^(١)،
 فيهرب من عبء التاريخ ومن ذكرياته الثقافية المكتوبة^(٢).
 ولعل هذا الكاتب من أقرب هؤلاء لفكر غاليندو، في دعوته
 للانفتاح العالمي الذي يخلص «النصرانية» نفسها من الصبغة الإبراهيمية،
 وإشادته بالنسبية والتعددية، وهي المعاني التي يدندن حولها غاليندو،
 ومن ثم يكثر الاستشهاد بأقواله.

٤ - رفائيل إيسْتَبَان بيراستيغي^(٣) : Rafael Esteban Verastegui

• (لقد تطورت لغة التعبير الديني عندنا، عبر العصور، ليس في
 مناخ لقاءٍ سلميّ وبُناء مع المؤمنين من ديانات أخرى، ولكن بعكس
 ذلك في مناخٍ يسوده التريب والتعارض والخوف، ورغبة في غزو
 الآخر).

• نحن بحاجة إلى لغة تواصلية مع أشخاصٍ من دياناتٍ
 ومعتقداتٍ أخرى...

• الحوار لا يمكن أن يقوم به رجال اللاهوت، بل من قبل
 أشخاصٍ عبر أزمات جذرية وصلوا إلى ما وراء اللاهوت..

(١) مراده بـ «الأرثوذكسية» هنا العقيدة الرسمية المعترف بها لدى كل دين، وهي
 تعني من حيث الوضع اللغوي «الاستقامة العقيدة». انظر: المورد (٦٣٩).
 (٢) العقيدة للأمام (٣٧).

(٣) ولد في بيتوريا - إسبانيا - عام ١٩٣٩م، رَسَم كاهناً عام ١٩٦٤م، حصل على
 الدكتوراه في اللاهوت من روما عام ١٩٦٨. عين أستاذاً لللاهوت في غانا
 على مدى ست سنين ١٩٨٠ - ١٩٨٦م. كان مديراً لمركز المعلومات والتوثيق
 الإفريقي «CIDAF» سِداد، التابع للآباء البيض ومقره مدريد. حالياً هو
 أستاذ في الديانات الإفريقية والإسلام والتنمية الاقتصادية لبلدان العالم الثالث
 في معهد البعثات التبشيرية بلندن. من مؤلفاته: الديانات غير المسيحية على
 مدار التاريخ، «الخلاص» عام ١٩٦٩م، المغامرة المسيحية الرامية إلى التقاء
 الأديان ط عام ١٩٧٨م. العقيدة للأمام (٤٧).

• التاريخ جعلنا جميعاً أصوليين، فقد ألفنا استخدام قناعاتنا أو «حقائقنا» كسلاحٍ قاذفٍ يمكن لنا به أن نهزم العدو.

• لا يمكن إقامة لقاءٍ بين الأديان، لأجل الله... اللقاء لا يمكن أن يتم إلا عند الاحتياج لله، إلى العطش إليه^(١)، ويلتقي مع غاليندو في فكرة اللغة الدينية الجديدة لتحقيق التواصل بين الأديان.

٥ - مونسينور: بيير كلافري^(٢) Monsenor Piere Claverie :

• (الحوار ليس أمراً ثابتاً جامداً، بحيث يظل كل جانب متخندق في مواقفه، أو محاولاً جذب الآخر نحوه، بل إنه موجودٌ بداخل البحث عن الحقيقة الإلهية، التي لم يمتلكها أحدٌ بكاملها.

• من جانب المسلمين، فمن النادر أن تجد متحدثاً يكون من الناحية الفكرية والثقافية معاصراً لأقرانه المسيحيين. والعلوم الإسلامية مهما كان تطورها في إطار منطقيتها وعقلانياتها لم تخضع حتى الآن لتجربة «أساتذة التشكك» التي اعتورت الفكر الغربي.

• إن غياب الروح الناقدة شبه الكامل، وكذلك نقص التساؤلات يمنع التقدم في الفهم، ويقصر الحوار على التأكيدات القاطعة، والتي طبقاً لها فإن كل قضية تطرح تكون غير مقبولة، ويمكن أن تكون حتى تجديفية.

• أعتقد ضرورة العودة إلى الحاجة، وأيضاً التعجل في عقد

(١) العقيدة للأمم (٤٧).

(٢) ولد في الجزائر عام ١٩٣٨م. التحق برهبانية القديس دومينغو، حصل على الإجازة في اللغة العربية، نشر ترجمة لمصنف ابن رشد «تهافت التهافت». كان مديراً لمعهد الدراسات الأبرشية في الجزائر. وفي عام ١٩٨١م عين أسقفاً لطهران. من مؤلفاته: «حول تحول شخصٍ لدينٍ آخر». العقيدة للأمم (٥٧).

حوار في «الحقيقة». وهذا يترتب عليه أن نحترم بعضنا بعضاً بدرجة كافية تتيح لكل منا أن يجد نفسه بحرية كاملة^(١).

إن هذا اللمز والطعن الذي ينبز به هؤلاء النصارى الضالون، المسلمين وعلومهم، في محاولة لاستدراجهم وإغرائهم بولوج غياهب الظلمات التي تخبط بها أسلافهم من أهل الشك والضلال ليذكرنا بموعظة الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]:

٦ - عبد الرحمن شريف شيرغي^(٢):

• (الحوار بين الأديان يصبغ الدين بصبغة لاهوتية، في حين أن الدين ينبغي أن يصطبغ بصبغة «إنسانية». وهو ينطلق من فرض نفسه، بينما الدين هو الحرية. ولدي انطباع بأنه لن يكون هنالك حوار ما، إن انطلقنا من فرضيات لاهوتية مسبقة. على النقيض من ذلك فالله يوحد بيننا، واللاهوت يفرقنا. فبدلاً من اللاهوت، فليكن عندنا الناسوت، فعلياً أن نعيد للإنسان وضعيته من الله وإليه، كمصدر للمحبة والأخوة والتحرر)^(٣).

لو لم يصدر هذا النص بالاسم الإسلامي «عبد الرحمن»، لم يخامر القارئ شك بأن كاتبه نصراني متحرر، لم يشم رائحة الإسلام! والعبرة بالمعاني لا الأسماء.

(١) العقيدة للأمام (٥٧).

(٢) ولد في الناظور - المغرب - عام ١٩٣٩م. بعد إتمام دراسته الثانوية في المغرب شرع في دراسته العليا في مدريد، فحصل على الإجازة الجامعية في الفلسفة والآداب، قسم علوم التربية بجامعة مدريد المركزية. وحصل على العالمية في علم النفس من جامعة مدريد المستقلة، وعمل بها أستاذاً بقسم اللغة العربية. من مؤلفاته: الجانب الإنساني والجانب الإلهي في الشريعة الإسلامية، المفهوم الذاتي عند ابن عربي. العقيدة للأمام (٦٧).

(٣) العقيدة للأمام (٦٧).

٧ - أنطونيو كاسترو ثافر^(١) : Antonio Castro Zafra

• (إن الموضوع الأساسي الذي يسد سبل أي مشروع للحوار بين الأديان هو أن كل واحدة من المجتمعات الدينية تجعل الحقيقة هي حقيقتها وحدها، والحقيقة الكاملة لها وحدها.

• إن مشكلة سلطة رجال الدين تبدو إن لم تكن أولى المشكلات، فإنها بالفعل إحدى القضايا الرئيسية أمام أي دين، أمام أي حوار مفيد بين الأديان.

• إن مجتمعاً دينياً بدون سلطة، أو بالأحرى وأكثر دقة، إن مجموعة من المجتمعات الدينية المتحاورة تنسلخ من السلطة، يمكن أن تحدث هزة عنيفة في مواقف كل مجتمع.

• حينما يكون أحد المجتمعات الدينية قد تنازل رسمياً، وبصراحة، عن العزلة الناجمة عن استثناء الآخرين، وعن القدح في الآخرين، أي في السلطة، فالخطوة التالية ينبغي أن تكون صيغ هذا المجتمع بالتسامح...^(٢).

هذا هو شرط الحوار كما يراه دهاقنة «كريسلام»: الانخلاع من الجذور، والحيدة عن الثوابت، وهز ثقة الأمة بعقيدتها، فيذروها كالمعلقة.

(١) ولد في «مالقة»، إسبانيا - عام ١٩٢٨م، وحصل على الإجازة في التاريخ الكنسي من جامعة غريغوريو في روما. حصل على الإجازة في القانون المدني من جامعة مدريد المركزية. صحفي. من مؤلفاته: روما والقسطنطينية، المجمع الفاتيكاني الثاني، سيرة يوحنا الثالث والعشرين، بيو الثاني عشر: هكذا صرت بابا. العقيدة للأمام (٧٩).

(٢) العقيدة للأمام (٧٩).

٨ - جورج قنواطي^(١):

- (مما لا غنى عنه، ضرورة انتقاء من نتحدث إليهم. لقد أثبتت التجربة أن التوجه إلى من يمثلون الإسلام رسمياً، «الأزهر وغيره من الهيئات الإسلامية»، هو بمثابة التعرض لحوار الصُّم. فهؤلاء الأشخاص يتمون إلى قرون أخرى. والحوار معهم حوار عقيم وخطِر.
- إن مفهوماً دينياً تقوم عليه الدولة يكون بالضرورة حكماً شمولياً، فهو يستحيل سياسياً واجتماعياً إلى حكم قهري^(٢).
- إن هذه الكلمات نفثات مصدور، أبلى شُباهه في ترسيخ جمعية «الإخاء الديني»، و«الأيام الدومينيكانية» في «القاهرة»، منذ عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م، وحز في نفسه عدم مسارعة أهل الإسلام إلى فكرته، وإنكار علمائهم لها.

٩ - فيديريكو بيروني^(٣) Federiceo Peirone :

- (لدي انطباع من جانب ومن آخر، أنه تسود حالة خوف من

(١) جورج بن شحاتة قنواطي: مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينكان الكاثوليك في العباسية بالقاهرة. ولد سنة (١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) في الإسكندرية، من أصل سوري، وتخرج مهندساً كيمائياً في جامعة ليون - وانضم إلى الرهبانية الدومينكانية عام (١٩٣٤م) وتخصص في الفلسفة واللاهوت، واشتغل بأعمال ابن سينا، وابن رشد. وكلف من قبل جامعة الدول العربية بالبحث عن مخطوطات ابن سينا في مكتبات العالم، ونشر نتائج بحثه عام (١٩٥٠م) في كتابه: «مؤلفات ابن سينا». توفي سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

انظر: تنمة الأعلام. محمد خير رمضان يوسف (١/١١٨)، ذيل الأعلام. أحمد العلاونة (٦٠):

(٢) العقيدة للإمام (٨٩).

(٣) ولد في «تورين» - إيطاليا - دكتوراه من جامعة لشبونة عنوانها: «المسيح عيسى في القرآن» دبلوم في اللغة العربية من تونس. أستاذ لمادة «نظرية الإسلام» بكلية «ميلات»، وأستاذ مساعد للغة العربية وآدابها في جامعتي =

التطرق بعمق للموضوعات التي تفرق بيننا، خوف أنه يوجه أحدنا إهانة للآخر. لذا ينبغي علينا أن نتقبل بهدوء الانتقادات والملاحظات من جانب المسلمين. أقول: بهدوء. ولكن أيضاً نريد المقابل لذلك: أن يقبل الجانب الإسلامي وجهة نظرنا بهدوء.

• حتى الآن، فإن اللقاءات الإسلامية المسيحية للحوار، قد اقتصرت على عروضٍ تتسم بالنفاق بصورة أو بأخرى، «أو على الأقل متذبذبة»، حول ما يوحد بيننا في مجال «الأنثروبولوجيا» أو الحياة المنصرمة.

• إن التأكيد الذي يقول، إنه في نهاية المطاف، يوجد إله واحد، متساو بالنسبة للجميع، ومن ثمّ فالمسلمون والمسيحيون هم في مكانهم الصحيح، إنما هو تأكيد لا يتجاوب والحقيقة. إن هذا مكانٌ مشاع وسطحي.

• حينما نتكلم مع مسلمين من غير المثقفين نأخذ انطباعاً بأن حواراتهم إنما تدور دائماً حول الفكرة الثابتة، والتي مؤداها: نفى ألوهية عيسى^(١).

وتلك نصوصٌ صريحة وخطيرة في تقويم تجربة الحوار الإسلامي - المسيحي المنصرمة، وطبيعة الحوار والمتحاورين، صادرة عن عضوٍ في اللجنة الدائمة للحوار في الفاتيكان، وإن بصفته الشخصية، كما أكد غاليندو.

= تورين، وبافيا. عضو ومستشار باللجنة الدائمة للحوار الإسلامي المسيحي. أهم أعماله ترجمة معاني القرآن بتعليق وملاحظات باللغة الإيطالية عام ١٩٧٩م، طبعت أكثر من خمس طبعات، «الحركة الإسلامية في ميلان» ط ١٩٨٣م، الروحانية الإسلامية. ط ١٩٨٣م، ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (٩٧). (١) العقيدة للأمام (٩٧).

١٠ - عبد الوهاب بوحدية^(١):

- (إن الجهل المتبادل لكل طرفٍ نحو الآخر، يبدو في رأيي هو أكبر عائق أمام الحوار. وعلى أساسه فإن كثيراً من المسلمين لا يشعرون على الإطلاق بأي نوع من الاهتمام بممارسة ذلك.
- هناك مشكلة ضخمة تُسمّم حوارنا: موقفنا تجاه اليهودية، ينقصنا أن نجابه ذلك وجهاً لوجه وبشجاعة.

- وحقيقة الأمر، فالذي يحدث هو كما لو كان الحوار الإسلامي - الإسلامي يُعدُّ شيئاً أصعب، وبالتالي أكثر أهمية من الحوار الإسلامي - المسيحي. ولما كان ينقص المسلمين مؤسسة توحيدية وتنسيقية على شاكلة «الكنيسة» أو «مجمع الأساقفة» فإن المسلمين يتفرقون^(٢).

١١ - موريس بورمانس Maurice Bormans:

- (إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين، دائماً، منذ نشأة الإسلام الأولى كان أمراً صعباً.
- أو من الممكن أن نُخضع، على قدم المساواة، النصوص المقدسة، «الكتاب المقدس والقرآن» لنفس متطلبات النقد التاريخي.

(١) ولد في القيروان - تونس - عام ١٩٣٢م. حصل على دكتوراه الدولة من باريس عام ١٩٧٢م. عمل أستاذاً لعلم الاجتماع الإسلامي في جامعات تونس وكيبك ومنتريال وليج ولوفانيا وأبيجان. خبير دائم بهيئة اليونسكو في الفترة ١٩٦٧ - ١٩٧٢م. خبير بهيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان منذ عام ١٩٧١م. مدير مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية بجامعة تونس منذ عام ١٩٧٢م. عضو مؤسس ونائب رئيس الرابطة التونسية لحقوق الإنسان منذ ١٩٧٨م. رئيس اللجنة العربية الدائمة لحقوق الإنسان منذ عام ١٩٨٣م، من مؤلفاته: الجنس في الإسلام. ط ١٩٧٥م، الحوار والسياسة ط ١٩٧٩، سبب الوجود ط ١٩٨٠م. العقيدة للأمام (١٠٧).

(٢) العقيدة للأمام (١٠٧).

• يوجد خطر قصر الحوار على الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، متناسين البحث عن الله في العالم المعاصر.

• إن الرجال القائمين على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين فعليهم التزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر بحقه في القيام بمهمته الرسولية، بل وأيضاً واجب القيام بعمل تبشيري.

• قد يكون من قبيل اللعب على المكشوف قبول حرية أن يغير المرء دينه، حينما يكون ذلك بمحض الإرادة، بقرار نضج بعد وقتٍ طويل ولأسبابٍ جادة. المسيحيون تنازلوا عن تطبيق أي عقوبة في حالة الرد.

• توجد عقبة يبدو من الصعوبة بمكان إمكان تخطيها، تتعلق برسالتين عالميتين تتجابهان، وتتنافسان، وتتجاهل كل منهما الأخرى. وهناك صعوبة أخيرة يصعب إلى حدٍ كبير إعطاء تفسير مشترك لها، وتلك هي المتعلقة بحقوق الإنسان في يومنا هذا^(١).

١٢ - سيغريد فون ثيميل^(٢) Sigride Von Thimmel :

• (إن ديانيتين توحيديتين تتصارعان بسبب مفهومهما عن الإله إنما يبرهnan على أنهما ديانتان شركيتان.

• إن كان الإسلام هو ما يطرحه كتعريفٍ له ممثلوه الرسميون، فليس يستأهل أن نشغل أنفسنا به. فمن يهمله في عصرنا هذا، دين

(١) العقيدة للأمم (١١٧).

(٢) ولدت في برشلونة - إسبانيا - وحصلت على الإجازة الجامعية في تاريخ العصور الوسطى. عضوة بمركز الأبحاث الإسباني العربي والإسلامي المسيحي «دارك - نيومبا». من مؤلفاتها: غاية نحو المشرق، والخروج من ناحية الغرب. ط ١٩٧٧م، كتب المرحلة الثانوية والإسلام، مقالة في العدد ٦ من نشرة لقاء إسلامي مسيحي ط ١٩٨٣م، مزامير صوفية ١٩٨٦م. العقيدة للأمم (١٣٩).

وكيفية حياة شديدة القسر والقهر^(١) كذلك متعصبة، متحيزة؟

• فقط بسبب العقلية السائدة في الكتاب المقدس، يصبح من الممكن أن نفسر لماذا تنزعج الكنيسة المؤسساتية على الدوام، بمجرد أن ينبري أحدٌ للحديث عن إله يحب بالتساوي جميع البشر، ويحترم بالتساوي حرية كل فرد^(٢).

وصاحبة هذه الأفكار الجريئة الفجة، عضوٌ في «دارك - نيومبا» التي يديرها غاليندو.

١٣ - جوسيت جيان غوينول^(٣) Jeusset Jean Gwenole :

• (إن النقاط التي أشعر أنها تحاصر اللقاء بين جماعتينا، يمكن أن أوجزها في خمس: صعوبة قبول التعددية الدينية، الاتفاق المؤلم حول معنى الكلمات، الاعتراف عسير المنال بالآخر، مشكلة التحول لدين آخر، وعدم وجود مقابلة بالمثل للنقد الذاتي.

• في يومنا هذا فإن النقد الذاتي غير معترف به حتى الآن في الإسلام، كحاجة.

• يجد المسلمون أمراً عادياً تماماً أن يعترف المسيحيون لأخوتهم بحق الانتقال للإسلام، وأقران المسلمين الذي قد يرغبون في التحول للمسيحية، أليس بإمكانهم الحصول على نفس الحرية؟

(١) انظر في بيان هذا المفهوم النصراني الباطل للإسلام: توجهيات في سبيل الحوار. لموريس بورمانس (٩٩ - ١٠٠)، (١٠٣ - ١٠٤).

(٢) العقيدة للأمام (١٣٩).

(٣) ولد عام ١٩٣٥م في فرنسا. التحق بالآباء الفرنسيسكان عام ١٩٥٤م، ورسم كاهناً. رحل عام ١٩٦٨م إلى ساحل العاج، وتولى شؤون العلاقة بالمسلمين عام ١٩٦٩م. وفي نفس العام عين عضواً باللجنة الأسقفية للعلاقات مع المسلمين غرب أفريقيا، ثم رئيساً للجنة الدولية للفرنسيسكان للعلاقات مع المسلمين. من مؤلفاته: صديق الإله وصديقنا: الحاج أبو بكر ساخو. ط ١٩٨٦م. العقيدة للأمام (١٤٩).

• في هذه الحياة نحن نعيش معاً متساوين. أهذا يكون أمراً متمشياً مع الإيمان الإسلامي؟ هذا السؤال الذي يفرضه المستقبل، والذي لا نفتأ نشير إليه^(١).

والجواب على هذه التساؤلات النابعة من روح الحسد والرغبة في استئزال المسلمين نحو الكفر قوله تعالى: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْكُفْرَيْنَ كَالْإِيمَانِ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، وقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

١٤ - غبريال عبود أوزون^(٢):

• (على أساس من الثالوث: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمة، يرتكز هذا الاستئثار بين عناصر لها - حسب قولها - نفس إليه واحد.

• إن «نرجسية»^(٣) الأديان تحمي وتنمي الطفولية الأبدية لتابعيها، وتعوق الوصول لسن البلوغ في العقيدة.

• نحن جدُّ أطفال، فنضع ونفرض على الله الكلمة الأخيرة، وحدوداً ضيقة لمحبه للبشر، وتنزيل تاريخي واحد وأوحد.

• نحن ننسى، بسبب نقص النقد الذاتي، أنه بسبب أن الأمر يتعلق بحدث تاريخي، أنه ما من تنزيل مكتوب يمكنه أن يحتوي، ويحدد كلمة الله^(٤).

(١) العقيدة للأمام (١٤٩).

(٢) ولد في حلب - سوريا - عام ١٩٤٥م - حصل على الجنسية الإسبانية. ودرس الطب في بلنسية وغرناطة. تخصص في علم النفس بالمستشفى الإكلينيكي بمدريد.

(٣) النرجسية: حالة الشخص المستغرق في حب ذاته والإعجاب بها. نسبة إلى زهرة النرجس، كما في أسطورة يونانية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٨٢٩).

(٤) العقيدة للأمام (١٦١).

١٥ - بول خوري^(١):

• (إن التساؤل حول الدين، وأساسه هو الوسيلة الوحيدة لفك جمود الحوار بين الأديان، وإعطائه مضموناً.

• المسلمات العقدية ينبغي أن يحل مكانها موقف ناقد. ينبغي جعل الأشياء المطلقة أموراً نسبية.

• التسامح يفترض وجود علاقة تفوق وتَدَنِّي؛ الحوار يفترض المساواة بين الأشخاص والجماعات.

• فقط نحتاج لشيءٍ ضروري: أن نعيش الإيمان: بمعنى أن يترك الإنسان نفسه يعمل حسب المعنى الذي يسكن بداخله. وفقط الإيمان هو الذي يقود إلى الله^(٢).

وبتحليل النصوص التي أبرزها «غاليندو» من إجابات المشاركين في مؤتمره الدولي بالمراسلة عن بعد، لمعالجة «المشكلات الجوهرية أمام الحوار الإسلامي المسيحي»، والإجابة على أسئلته الثلاثة حول الموضوعات العميقة التي يتحاشاها الحوار، وأسباب أهميتها ومنهجية تناولها، نجد أولاً إجماعاً على نقد مسيرة الحوار، وعدم نهوضه بالتطلعات التي يرجوها المشاركون على اختلاف انتماءاتهم الدينية والطائفية. فالحوار بين المسيحيين والمسلمين، دائماً، منذ نشأة الإسلام الأولى كان أمراً صعباً (بورمانس)، والآن، فإن اللقاءات قد اقتصرت على عروضٍ تتسم بالنفاق بصورة أو بأخرى، أو على الأقل متذبذبة

(١) ولد في لبنان عام ١٩٢٢م. كاهن يوناني ملكاني، دكتوراه في الآداب من جامعة ليدن بهولندا. أستاذ الفلسفة بجامعة الكسليك من مؤلفاته: الإسلام والمسيحية، حوار ديني وتحديات معاصرة. ط ١٩٧٣م، قراءة في الفكر العربي ط ١٩٨١م. العقيدة للأمام (١٩٣).

(٢) العقيدة للأمام (١٩٣).

(بيروني)، والتصريحات الرامية للمصالحة الصادرة عن اللقاءات الرسمية لا تتطابق مع أي تغير حقيقي في السياسات الدينية (تيسير).

ومن ثم فسنقوم بتلخيص أبرز العوائق التي تعترض «الحوار الحقيقي» في نظر الدائرين في فلك «كريسلام»، ثم نتبعها بالحلول والاقتراحات التي يستشرفونها للمستقبل.

أولاً: العوائق:

١ - المسلمون أنفسهم: لأنهم الآن يسبحون ضد التيار، ويرفضون نقد مصادرهم (تيسير)، (غوينول)، ويعانون من الانغلاقات والرفض، وعدم التفهم، ونقص الاستعداد، والتأهيل، (أركون). ومن النادر أن تجد من جانب المسلمين متحدثاً يكون من الناحية الفكرية والثقافية معاصراً لأقرانه المسيحيين (كلافري). فلقد أثبتت التجربة أن التوجه إلى من يمثلون الإسلام رسمياً «الأزهر وغيره من المؤسسات الإسلامية» هو بمثابة التعرض لحوار الضم، فهؤلاء الأشخاص ينتمون إلى قرون أخرى (قناتي)، وهم يدورون في حواراتهم دائماً حول فكرة ثابتة مؤداها نفي ألوهية عيسى (بيروني). ويجدون من العادي تماماً أن يعترف المسيحيون لإخوانهم بحق الانتقال إلى الإسلام دون أن يقابلوا ذلك بالمثل بمنح الحرية لمن قد يرغب من المسلمين في التحول للمسيحية (غوينول). ولا يتنازلون عن تطبيق عقوبة الردة كما فعل المسيحيون (بورمانس). لأن التساوي بين أتباع الديانات لا يتمشى مع الإيمان الإسلامي (غوينول).

والمثقفون منهم لا تساندتهم مجتمعاتهم، ولا يتبعهم رجال الدين، ولا يملكون حمل جماعاتهم على تغييرات فكرية ذات وزن (تيسير)، فضلاً عن ندرتهم أصلاً (كلافري).

وأخيراً، فالمسلمون تنقصهم مؤسسة توحيدية وتنسيقية كالكنيسة

ومجمع الأساقفة، فمن ثم يتفرون (بوحديية)، ولهذا يعد الحوار الإسلامي - الإسلامي، أصعب من الحوار الإسلامي المسيحي (بوحديية).

٢ - ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة: هو الموضوع الأساسي الذي يسد سبل أي مشروع للحوار بين المجتمعات الدينية (كاسترو).

٣ - غياب الروح الناقدة شبه الكامل (كلافري)، حيث تسود حالة من الخوف من التطرق بعمق للموضوعات التي تفرق بيننا، خوف أن يوجه أحدنا إهانةً للآخر (بيروني). وفي يومنا هذا فإن النقد الذاتي غير معترف به حتى الآن في الإسلام كمحاجة (غوينول).

٤ - سلطة رجال الدين: إن لم تكن أولى المشكلات، فإنها بالفعل إحدى القضايا الرئيسية أمام أي حوار مفيد بين الأديان (كاسترو)، فالحوار لا يمكن أن يقوم به رجال اللاهوت (بيراستيغي)، فقبل الجلوس للتناقش حول عقائد الأديان المنمطة والمفروضة من لدن لاهوتيين محدودين بثقافة زمانهم، ينبغي التفكير حول رجل الدين الذي نتخيله (أركون). فإذا كان الإسلام هو ما يطرحه ممثلوه الرسميون فليس يستأهل أن نشغل أنفسنا به، كما أن الكنيسة المؤسساتية تنزعج على الدوام بمجرد الحديث عن إله يحب ويحترم حرية البشر (ثيميل).

٥ - لغة التعبير الديني: التي تطورت في مناخ يسوده التريب والتعارض والخوف والرغبة في غزو الآخر، حتى جعلنا التاريخ جميعاً أصوليين (بيراستيغي)، فلن يكون هنالك حوار ما إن انطلقنا من فرضيات لاهوتية مسبقة (شيرغي) تؤدي إلى عدم اتفاق حول معاني الكلمات (غوينول).

٦ - الجهل المتبادل من كل طرف نحو الآخر هو أكبر عائق أمام الحوار (بوحديية) بين رسالتين عالميتين تتجابهان، وتتنافسان، وتجاهل كل منهما الأخرى (بورمانس).

٧ - الانغلاق على نمط إيماني معين، كالمحجر البشري للأسرة

الدينية - الثقافية الإبراهيمية التي تندرج فيها المسيحية والإسلام (بانيكغار)، حيث نضع ونفرض على الله الكلمة الأخيرة، وحدوداً ضيقة لمحبهته للبشر، وتنزيل تاريخي واحد أوحد (عبود)، مما يؤدي إلى صعوبة قبول التعددية الدينية (غوينول).

٨ - عدم وجود تفسير مشترك لحقوق الإنسان، والحريات الدينية، في تغيير المرء دينه والقيام بالعمل التبشيري (بورمانس)، (غوينول).

٩ - ثالثاً الاستئثار: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، كنتم خير أمة. (عبود).

١٠ - الموقف من اليهودية مشكلة تسمم الحوار. (بوحديّة).

ثانياً: الحلول:

١ - إحداث فكر ديني جديد: عن طريق ثورة اجتماعية، كشرط مسبق لأي حوار ديني (أركون).

٢ - إيجاد لغة تواصلية مع أشخاص من ديانات ومعتقدات أخرى (بيراستيني).

٣ - إخضاع الكتب المقدسة، الكتاب المقدس والقرآن لمتطلبات النقد التاريخي (بورمانس). فنقص التساؤلات يمنع التقدم في الفهم (كلافري)، والمسلمات العقدية ينبغي أن يحل محلها موقف ناقد (خوري)، مع الاحترام المتبادل (كلافري)، وتقبل الانتقادات بهدوء (بيروني).

٤ - جعل الأشياء المطلقة نسبية (خوري). فجميع الكتابات المقدسة والصياغات اللاهوتية جميعها يمكن أن يفهم من زاوية خاصة، فليس هنالك ولا يمكن أن يوجد رؤية وحيدة إنسانية عالمية، ويستلزم لعقد لقاء ديني حقيقي القبول بأن الكتب الدينية والمفاهيم اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية إنما هي صحيحة ومفهومة في سياق معين (بانيكغار). فما من تنزيل مكتوب يمكنه أن يحتوي كلمة الله (عبود). والحقيقة الإلهية لم يمتلكها أحدٌ بكاملها. (كلافري).

٥ - قبول التعددية الدينية (غوينول)، فالإبراهيمية ليست هي العرق، ولا الثقافة الوحيدة، ولا أيضاً الطبقة الدينية الوحيدة في محجر الإنسانية، فلا بد من إيضاح إن كانت المسيحية - مثلاً - تريد أن تظل ديانة توحيدية ذات صبغة إبراهيمية، أم أنها مستعدة للانفتاح بدون أي ثقة أخرى سوى الإيمان بالمسيح (بانيكّار)، والرجال القائمون على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين فعليهم الالتزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر بحقه في القيام برسالته الرسولية، بل وأيضاً القيام بعمل تبشيري. (بورمانس). وقبول كل طرف بحرية تغيير الدين (غوينول) دونما عقوبة للردة (بورمانس).

٦ - التخلي عن السلطة، والمساواة والتسامح: فحينما تتنازل إحدى المجتمعات الدينية رسمياً وبصراحة عن استثناء الآخرين وقدحهم، وتنسلك من السلطة تحدث هزة اجتماعية في مواقف كل مجتمع، وينصبغ بالتسامح (كاسترو). وليس المراد التسامح الذي يفترض علاقة تفوق وتدني، بل حوار مساواة (خوري)، يقضي على ثالث الاستثناء، ونرجسية الأديان (عبود)، ومن ثم استبعاد أي مفهوم ديني تقوم عليه الدولة، لثلا يستحيل سياسياً واجتماعياً إلى حكم قهري. (قناتوي).

٧ - البحث عن «الحقيقة الإلهية» والتعجل في عقد حوار في «الحقيقة» (كلافري)، أو «السّر» (خوري)، إذ يوجد خطر قصر الحوار على الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، متناسين البحث عن الله في العالم المعاصر (بورمانس). فالتأكيد الذي يقول إنه في نهاية المطاف يوجد إله واحد متساو بالنسبة للجميع، ومن ثمّ فالمسلمون والمسيحيون هم في مكانهم الصحيح إنما هو تأكيد لا يتجاوب والحقيقة. إن هذا مكان مشاع وسطحي (بيروني). وثالث الاستثناء: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمة، يرتكز بين عناصر لها - حسب زعمها - نفس إله واحد. (عبود).

فلا بد من التساؤل حول الدين وأساسه، إذ هو الوسيلة لفك جمود الحوار بين الأديان، وإعطائه مضموناً (خوري). والإيمان الحي يتخطى حدود كل إيمانٍ أرثوذكسي، فيهرب من عبء التاريخ، ومن ذكرياته التاريخية المكتوبة (بانيكار). فقط نحتاج لشيءٍ ضروري أن نعيش الإيمان، بمعنى أن يترك الإنسان نفسه يعمل حسب المعنى الذي يسكن بداخله، وفقط الإيمان هو الذي يقود إلى الله. (خوري).

وقد جمع «غاليندو» هذه المعاني الرامية إلى الخروج بصيغة عالمية لتوحيد الأديان، عن طرق إزالة الحدود، وطمس الخصوصيات، والبحث عن «الحقيقة الإلهية» فيما وراء لغة العقائد «اللاهوت» المعهودة، للوصول إلى «السر» أو «الجذر» كما يسميه، فيقول في مقدمته لأعمال هذا المؤتمر الأول:

(يتعلق الأمر بمطلب ثلاثي، ولا يمكن الاستعاضة عنه:

الانفتاح على ما هو عالمي،

الانطلاق من «النواة» الدينية والتركيز عليها.

الاعتراف بالتعددية.

وضرورة وجود فكرٍ ديني مصحوب بإعداد عتادٍ لغوي جديد، يجعلنا قادرين على إجراء حوار بدون حرمان ولا استثناءات. إن خطورة كل حوار بين الأديان - مثلما حدث مع الحوار الإسلامي المسيحي، هو أن لا يتحول إلى حوار ديني داخلي. وعلى الدوام يجري الحوار انطلاقاً من الأديان باعتبارها شيئاً مطلقاً، وليس انطلاقاً من البؤرة الدينية الأولى، التي تجعل الديانات شيئاً نسبياً. فحوار ديني يرمي أن يكون مناسباً يتخطى الحدود الضيقة للإسلام والمسيحية... وهذا شيء، في يومنا هذا لا تقبله بطبيعة الحال أي من المؤسسات الدينييتين، لأن ذلك يتطلب بالتبعية عدم المناداة بداءة الأمر بثقافةٍ أو بدين معين... وهذا يستلزم فحسب تعددية ثقافية ولاهوتية.. ويستلزم

هذا بالضرورة أن ينتقل كل دين من مظهره المؤسساتي إلى طابعه السري الأكثر عمقاً، للاتصال بهذا الجذر العالمي، مع هذه البؤرة الديناميكية... إنه بقدر قليل من وضوح الرؤية يمكن أن نفهم أن هذا هو الطريق الوحيد البشري الذي يوجد أمامنا كي نتقرب أكثر فأكثر بمرور الوقت من «المطلق»، وهذا هو أصل وسبب أي حوار حقيقي، وبدون هذا الطرح العالمي والجذري... فإن المشكلات ذات العمق التي يشار إليها هنا سوف تظل عقبات لا يمكن تخطيها، وستحبط أي محاولة للحوار.

وليس ما نقدمه شيئاً بالسهل التحقيق، ببساطة، لأن بالنسبة للأديان ورجالها يصعب عليهم التحوار حقيقةً، ويصدق، وبدون نوايا خلفية. إن التحوار بصدق هو أن نجعل المطلقات الزائفة ذات طابع نسبي، وأن نكسر الأصنام الضخمة العقائدية والمذهبية، وأن نجعل من أنفسنا فقراء مجردين من كل احتكارات لـ «حقيقة الله». أن نظل ليلاً ونهاراً بأسماعتنا وقلوبنا متبهرجين للكلمة التي لا يتوقف الله عن نطقها في كل لحظة، في كل طريقٍ يمشي فيه الإنسان، أن يكون لنا روحٌ طالب، كي يعلمنا الروح الذي يتكلم حيثما شاء وأينما أراد، ويألف طريقة، أن نسير في الحياة أحراراً من الأديان، وأسرى لله، بدون كساءٍ ولا ضماناتٍ بشرية في عراء «السّر»... والأمر يتعلق بكليته، وحسب بهذا الأمر: الذهاب صوب السّر وأن ننخلق فيه، وأن نرى أنفسنا فيه وأن نستحيل فيه...»^(١).

وقد ذيل هذه المقدمة بالتوقيع التالي:

كريسلام

الأب إيميليو غاليندو أغيلار

قرطبة، ٢ فبراير ١٩٨٨م، من محراب المسجد - الكاتدرائية

(١) العقيدة للأمام (١٢، ١٣، ١٤).

وفي مداخلته ضمن بحوث المؤتمر أبرز النقاط التالية:

■ (الأديان ليست سوى طرق عن طريقها فتح «السر» طريقه في ضمير البشرية.

■ وسوسة الأديان، ورجالها الأكثر دهاءً هي أن تجعل الله غير متناسق.

■ التناسق فقط هو الشيء الذي يتيح لنا أن نكتشف عبادة الأصنام التي تغزونا دون أن ندرك ذلك، وأن نقضي على أصنامنا بواسطة جعل كثير من الأشياء المطلقة، العقدية والقانونية والمؤسسية أمراً نسبياً، وهذا حقيقة الأمر، يمثل المشكلات الجذرية التي تعوق حواراً حقيقياً بين الأديان.

■ إن كل حوار ديني لا ينطلق من تجربة الإله، إنما يكون كلمة مشركة، أقوالاً في أقوال دبلوماسية، مخططات، استعراض ديني ذو مغزى مزدوج، ولكن ليس هذا بالحوار بين المؤمنين.

■ إن معيار الحقيقة الإلهية لدين ما، يكمن في الاحترام المقدس عنده لحرية الأشخاص^(١).

إننا أمام محاولة باطنية ترسل خيوطها العنكبوتية في أرجاء متفرقة من فضاء العالمين الإسلامي والنصراني، ويقع في كل ركنٍ من أركانها زنديقٌ من زنادقة «كريسلام» ينسج خيوطه الخاصة، ثم تجتمع تلك الخيوط في «البؤرة» حيث العنكبوت الأكبر «غاليندو»، الذي اجتمع فيه ما تفرق في غيره.

قد لا يكون بعض من ساهم في مؤتمره هذا، وعامتهم من دولٍ كاثوليكية عريقة، إيطاليا، وإسبانيا وفرنسا، وممن أفنوا أعمارهم في

(١) العقيدة للأمام (١٧٥).

العمل التنصيري مع الآباء البيض في أفريقيا، وممن يتبوأون مناصب كنسية رفيعة، يسلمون بجميع أفكار «غاليندو»، ولكنهم يلتقون معه قطعاً فيما يتصل بالإسلام، سيما وكثيرٌ منهم من أرباب الحوار - الإسلامي النصراني، ورواده الأوائل، وممن خبروا المسلمين عن كذب في بلدانهم، وعرفوا عمق انتمايهم لدينهم، وشعورهم بالعلو والفوقية العقدية، رغم التخلف المادي الذي يحق بمجتمعاتهم في هذه الحقبة من التاريخ.

إن «غاليندو» يحاول شيئاً ولكنه في الخطوة الأولى يسعى إلى إقرار بعض النظرات العامة في تقويم تجربة الحوار الإسلامي - النصراني، وهي نظرات على خطورتها؛ كالنسبية العقدية، والاعتراف بالتعددية، وتحطيم المؤسسات الدينية والقائمين عليها، والدعوة إلى فكرٍ ديني جديد تحمله لغةٌ جديدة غير مثقلة بدلالات الماضي والعهد الذهني... الخ إنما تمهد الطريق لفكرة مبيتة يتدسس غاليندو عبر خيوطه وشبكته العنكبوتية للإيقاع بفرائسه وامتصاص دمايهم. وهو في هذه الإرهاصات يومض بإشاراتٍ وتعبيرات مريبة كما يفعل إخوان الصفا، وزنادقة الصوفية الباطنية، ومن الجدير بالذكر أنه يعمد إلى إبراز بعض الكلمات بالخط الأسود العريض، كلما تكرر ذكرها مثل: (السّر)، (البؤرة)، (الجزر)، (النواة) (الكلمة)، (الروح).

وسنحاول إمطة اللثام عن مقاصده، قبل أن «ينخنق» غاليندو في مضيه صوب السّر.

ب - المؤتمر الدولي الثاني بالمراسلة - تنظيم كريسلاام: إلى الجذر

«البحث عن لغةٍ مشتركة من أجل حوارٍ مشترك بين الأديان» عام ١٩٩٤م.

بعد الجولة الأولى بست سنين (١٩٨٨ - ١٩٩٤م)، جاء هذا المؤتمر الثاني ليحقق نقلةً جديدة، كما يقول غاليندو: (أن نترك القشرة، قشرة الكلمات والخطب، لندخل في اللب، ونذهب إلى

الجذر... وكان ذلك بالتحديد هو المهمة التي فرضها هذا المؤتمر الثاني، وكل منا سيحاول أن يرد على السؤال التالي: ما هو الأصل العميق، «الجذر» الضارب في الأرض الذي يمسك ويغذي ويفسر ويستلزم القضايا العميقة التي أشير إليها في المؤتمر الأول؟^(١).

وبعد توطئة مسهبة حول عالمية الديانات ولغاتها، ونسبية حقائقها، واضطرارها إلى قبول التعددية الثقافية في عالمنا المعاصر، طرح غاليندو سيلاً من التساؤلات في سبيل (إيجاد بعض الخطوط ولغة مشتركة تتيح لنا حواراً حقيقياً بين الأديان..

أولاً: هل يمكن للمرء أن يكون مسيحياً دون أن يكون من الناحية الدينية من أصل سامي، ولا من الناحية الثقافية إغريقياً؟ وهل يمكن أن يكون المرء مسلماً دون أن يكون من الناحية الروحية سامياً الأصل، أو من الناحية الثقافية عربياً أو إغريقياً^(٢)؟

ثانياً: إن لم يكن من الممكن... فإنه تنطرح أمامنا هذه الأسئلة التالية التي لا مفر منها:

١ - هل يمكن لهاتين الديانتين ذواتي التطلعات العالمية أن تتنازلا عن هذه الصفة، وهذه الرغبة في العالمية، بحيث تنحصرا في أن تكونا ديانتين ذاتي طابع غربي بملامح شرقية...؟

٢ - إن لم تتنازلا... فكيف يمكن أن تبررا أو تعبيرا عن نفسيهما أمام الثقافات وصور الفكر الأخرى؟ أو يكون ذلك عن طريق المثاقفة، أو تثقيف الطرف الآخر وصبغه بالصبغة الثقافية الذاتية، أو يكون ذلك عن طريق الاستعمار الثقافي الاستيطاني، أو يكون ذلك عن طريق تدمير

(١) إلى الجذر (٧).

(٢) يبدو أن غاليندو ينظر إلى الحضارة الإسلامية من خلال فكر المعتزلة والمتكلمين المتأثرين بالفلسفة والمنطق.

الثقافات الأخرى؟ وإن لم نشأ أن ندمر الثقافات الأخرى، فما هي البؤرة الدينية الإسلامية أو المسيحية التي يمكن نقلها واستيعابها من جانب أتباع الثقافات الأخرى، مع المحافظة في الوقت ذاته على هوية تلك الثقافات الأخرى، وعلى هوية الرسالة التي نقلها إليهم؟

ثالثاً: إن كان بعكس ذلك... تنطرح أمامنا أسئلة أخرى لا مفر منها:

١ - ماذا سيحدث مع العهد القديم أو الكتاب المقدس، ومع القرآن، وهما من الناحية الروحية من أصل ساميّ، وهما من الناحية الثقافية من أصلٍ إغريقي؟ أو سيبقيان، أو سيصيران إلى أن يكونا مجرد لغات تنزيل؟ أو كيف يمكن أن يُعتبراً أساساً كتنازل؟

٢ - ومن جديد، ما هو بؤرة ما هو إسلامي وما هو مسيحي، التي تكون قادرة على أن يكون لها هوية خاصة مستقلة بها بالاستغناء عن الناحية الروحية ذات الأصل الساميّ، والناحية الثقافية الإغريقية والعربية؟ وما هو وكيف سيكون فحوى ما أعطي لنا حقيقة، وما هو الشيء المبني فيما بعد على ما أعطي لنا في الإسلام وفي المسيحية؟ على أساس أن نفهم من كلمة ما أعطي لنا ما هو أصلي، وما هو لا غنى عنه، وما هو صالح بصفة دائمة، وعلى أن نفهم من كلمة ما هو مبني، بقية الأشياء.

رابعاً: في إطار إجاباتكم، ما هو معنى ومغزى وفائدة هذه المشكلة وحلها لحوار حقيقي بين الأديان بصفة العموم، وبين الإسلام والمسيحية على وجه الخصوص؟^(١).

إن غاليندو يحاول من خلال أسئلته غير العفوية أن يستنطق كُتّابه الذين يختارهم بعناية ليفصحوا عما يريد قوله هو، ويظهر الجواب كما

(١) إلى الجذر (٧ - ٩).

لو كان إرادة تعتمل في صدور الكثيرين من أبناء الديانتين. فجلّي من مسرد هذه تساؤلات المتلاحقة أن غاليندو يسعى إلى سلخ الديانتين من ملّة إبراهيم، وإن كانت النصرانية لم يبق لها من الانتساب إلى إبراهيم سوى مجرد الدعوى^(١)، تمهيداً «لتدويلهما» بإسقاط لغة التنزيل الخاصة، والاقتصار على «البؤرة الدينية» المعطاة، عريّة عن كل ما بني عليها بعد ذلك، بزعمه. ولكنه لم يفصح بعد عن تلك «البؤرة» التي يمكن نقلها واستيعابها عالمياً، بحيث تكون بديلاً عن التطلعات العالمية الخاصة لديانة معينة، وذلك ما نحاول تبينه ها هنا، فقد عرض في كتابه المتضمن لأعمال هذا المؤتمر الثاني بالمراسلة، ثنتي عشرة مقالة لتسعة من النصاري - اثنان مشتركان في مقالة واحدة، والبقية لبعض المنتسبين أو المنسويين إلى الإسلام. وسوف نعرض أبرز أفكار تلك المقالات، مع التعليق على ما تدعو إليه الحاجة.

١ - أ. تورنس كويلو^(٢) A. Tornos Cubillo

- (تقول لي خبرتي وتجربتي: إنه بالفعل يمكن أن يكون المرء مسيحياً، ومسيحياً جيداً جداً، دون أن يكون من الناحية الروحية من أصل سامي، ومن الناحية الثقافية من أصل إغريقي).
- إن كسر طوق اللغات انفتاح على مجالات أخرى لم يكن يشار إليها البتة.

(١) راجع «النصرانية» في مبحث أهل الكتاب من التمهيد.

(٢) ولد في مدريد عام ١٩٢٧م. حصل على الدكتوراه في اللاهوت من النمسا عام ١٩٥٩م، دكتوراه في الفلسفة من «ميونيخ» عام ١٩٦٠م، دبلوم في علم النفس السريري «الإكلينيكي» في مدريد عام ١٩٦٤م. ومنذ عام ١٩٧٣م يدرس اللاهوت بجامعة كوميسي. عضو بمعهد الإيمان ورجال الدين غير المرسمين. كان أستاذاً زائراً في الأرجنتين وبيرو وتشيلي وزائير. من مؤلفاته: المجتمع واللاهوت. ط عام ١٩٧١م، وقت البحث. ط عام ١٩٧٧م، خدمة الإيمان في ثقافة اليوم ط عام ١٩٨٨م، موقف المتدينين والتبشير بالثقافة ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٣).

• طبقاً لما يقوله أحد رجال الدين الكاثوليك الصينيين: سيأتي اليوم الذي تكون فيه كتابات «كونفوشيوس»... معترفاً بها مثل «العهد القديم».

• علينا أن نأخذ مأخذ الجد الفكرة القائلة بأن الديانات يمكن أن تتغير. فالمسيحية على سبيل المثال ينبغي أن تتغير. وقد تغيرت حينما انصبغت بالصبغة الرومانية «وليس فقط بالصبغة الهلينية، أي الإغريقية»، وحينما انضمت إليها الشعوب الجرمانية، وحينما أيضاً حاولت وسعت إلى استيعاب عصر التنوير والأفكار المثالية والاشتراكية^(١).

ومما جاء في مقالته المعنونة بـ «الدخول في الحدود» ما يلي:

(لماذا نحن المسيحيين - بصفتنا الشعب المختار - لا نتعلم الكنيسة من الشعوب الأخرى، والثقافات الأخرى؟ الآن فقط الآن وصلنا إلى أن نفهم أنه كان ينبغي علينا أن نذهب إلى شعوبٍ أخرى، ونسألها: ماذا كان قد قال الله لكم في القدم، وماذا تستشفون من وراء ذلك؟ وماذا تعرفون عن الإله وعن الحياة؟ كان هذا ما ينبغي علينا أن نفعله بدلاً من هدم المعابد، وحرق الكتب، كتب الوثنيين في روما وفي قرطاج، في أثينا وفي الإسكندرية، وحيثما كان...)

إن عملية التبشير بالمسيحية، ودخول هذه الأقوام في الدين المسيحي، لم يكن بصورة حقيقية على أساس ديني حقيقي.. كانت مزيفة، ويشوبها كثير من الممارسات والعقائد التي هي عبارة عن شعوذة. وبالتالي يمكن القول إنهم صاروا مسيحيين، ولكن ليسوا حقيقيين.

أعتقد أنه بالنسبة للمسيحيين، أن ما أعطي أساساً هو عيسى، الإنجيل الحي، والذي تشير إليه بصورة تقريبية، وليس بصورة كاملة،

كل الأقاصيص والحكايات الأساسية الموجودة في الكتابات المقدسة^(١). الكاتب حين يعترف بأخطاء الماضي في أسلوب التنصير، يريد أن يعيد النصارى الكثرة بانفتاح أكثر، دون التفريط بعقيدتهم في المسيح، واعتمادها أساساً للحوار.

٢ - أنسلمو تيتيان سانون^(٢) A.T. Sanon :

• (إن كنا نريد القرن القادم قرناً إنسانياً، بمعنى: قرناً تسوده الإنسانية والتعددية في آنٍ واحد، قرناً جديراً بالإنسان وتطلعاته، فسيكون قرن اللقاء الثقافي والديني).

• لا يمكن لأحد أن ينسب لنفسه شخص المسيح. ورسالته وتقليده الروحي قد انتقل عبر كثير من الكيفيات والوسائط الثقافية والروحية^(٣).

٣ - روجيه جارودي Roger Garaudy :

سبق عرض مشروعه الفكري والعملي للتقريب بين الأديان^(٤)، ونظراً لأهمية النصوص الواردة في مقالته نثبتها هنا :

(١) إلى الجذر (١٥ - ٢٥)

(٢) ولد عام ١٩٣٧م في مدينة «سيا» - بوركينا فاسو -، وعُمد كاثوليكياً عام ١٩٤٨م، ورسم كاهناً عام ١٩٦٢م، ودرس المرحلة الجامعية في روما من ١٩٦٣م حتى ١٩٦٧م، ودرس اللاهوت، وفي باريس أكمل دراسته العليا فحصل على الدكتوراه من المعهد الكاثوليكي في باريس عام ١٩٧٠م. أستاذ للاهوت ورئيس قسم الدراسات في مدينة «كومي». عُين أسقفاً في بلدة «بويديولاسو» عام ١٩٧٥م. رئيس المؤتمر الأسقفي في بوركينا والنيجر من عام ١٩٨٢م - حتى عام ١٩٨٦م. عضو في المجلس البابوي للحوار بين الأديان عام ١٩٣٣م. من مؤلفاته: الكنيسة أمي. التحول من جماعة الفيني إلى المسيح ط عام ١٩٧٧م، جذور الإنجيل والتقليد الإفريقي، والتربية العقدية ط عام ١٩٨٢م. إلى الجذر (٣١).

(٣) إلى الجذر (٣١).

(٤) انظر المبحث الأول من هذا الفصل.

• (تعبير «تطبيق الشريعة»، وعملية «التبشير بالإنجيل» الجديدة والتلقين المسيحي كما في المفهوم الفاتيكانى، التي صدرت عام ١٩٩٢م... هما حالياً أكبر عقبتين أمام الحوار.

• لا ينبغي أن نطلب من مسيحي أن يكون بوذياً، ولا من مسلم أن يعود إلى المسيحية. بل بالأحرى أن نساعد البوذي بأن يكون بوذياً بصورة أفضل، وأن يكون هناك مسيحي بصورة أفضل، وأن يكون هناك مسلم بصورة أفضل.

• ينبغي أن ننشر الإنجيل بين بعضنا بعضاً، ونصبغ أنفسنا بالصبغة الإنجيلية، لأن الأمر لا يتعلق بتصديق من طرف واحد، لعقيدة معينة، بل للقاء مع الشيء الإلهي الذي هو أثرى وأغنى، لأننا نشترك فيه، وتقع فيه عملية التخصيب المتبادلة للثقافات من جميع القارات، وتجارب الجميع في العصر الإلهي^(١). وهذا الكلام الأخير يفسر ماذا يريد جارودي بأن يكون البوذي أو النصراني أو المسلم باقٍ على دينه ولكن بصورة أفضل.

٤ - ميغيل كروث إيرناندث^(٢) : M. Gruz Hernandez

• (كل الأديان ولدت داخل حدود معينة؛ جغرافية وتاريخية

(١) إلى الجذر (٤٣).

(٢) ولد في «ملقا» - جنوب إسبانيا - عام ١٩٢٠م، حصل على الدكتوراه في الفلسفة والآداب عام ١٩٤١م. أستاذ في جامعة غرناطة، وأستاذ كرسي في جامعتي سلمنكا، وملزير المستقلة من مؤلفاته العديدة: «المتافيزيقية» «ما وراء الطبيعة» عند ابن سينا ط عام ١٩٤٩م، الفلسفة الإسبانية الإسلامية ط عام ١٩٥٧م، فكر رامون لول ط عام ١٩٧٧م، تاريخ الفكر في العالم الإسلامي ط عام ١٩٨١م، ابن رشد: حياته وأعماله ومؤلفاته وتأثيراته ط عام ١٩٨٦م، الإسلام في الأندلس: تاريخه وبنيته وحقيقته الاجتماعية ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (٦١).

واجتماعية، «ثقافية وعرقية ولغوية». وبالنسبة للمتدين هذه البيئة ليست نتيجة أو ثمرة ثقافية، بل إنها طريقٌ للمنشأ الإلهي، بواسطتها يمكن أن نحقق الاتحاد في الإله.

• فيما يعتقد المسلمون بأن هناك تناغماً تاماً، وملائمة تامة حتى في التعبير اللغوي بين القرآن والكلمة الإلهية^(١)، فنحن المسيحيين نعتبر أن هذه الملائمة تقتصر على الأجزاء الرئيسية، وأن التعبير اللغوي هو شيءٌ عرضي، ويرجع إلى الظروف التاريخية والثقافية، وإلى شخصية محرري وجامعي الكتابات المقدسة، والعرف الثقافي.

• ينبغي أن يتوفر جو من الحرية الكاملة كي يفهم بعضنا بعضاً، وفي عملية استخدام اللغات الملائمة، ومن أجل المساواة بين المشاركين من العلماء... فلا يمكن أن يكون هناك لقاء يكون فيه على سبيل المثال من جانب المسلمين علماء وفقهاء فقط، من مراكز محددة معينة، ومن جانب المسيحيين قساوسة ومرسمون ومعيّنون، فقط.

• إذا كان الرب سيستغني عما يفصل بيننا حينما يوحد بيننا في الحياة الأبدية^(٢)، إذاً أفلا يمكن لنا أن نتنازل شيئاً فشيئاً عن بعض الاختلافات غير الجوهرية التي تفصلنا؟^(٣).

(١) بل إن القرآن هو كلام الله حقيقة، وليس تعبيراً عن الكلمة الإلهية كما وصف إيرناندث. فقد تكلم الله به ابتداءً، ونزل به الروح الأمين «جبريل عليه السلام» على قلب محمد ﷺ بلسانٍ عربي مبين. أما الأناجيل التي بأيدي النصارى منذ قرون فهي روايات لسيرة المسيح ﷺ وأقواله، اعترافها التحريف والتناقض، وتعددت نسخها، وهي تعبير بشري كما قال إيرناندث يخضع لشخصية محرريها. راجع النصرانية في التمهيد.

(٢) قال تعالى: ﴿أَتَجْمَلُ السَّيِّئِينَ كَالَّذِينَ هُمْ يُجَمِّلُونَ﴾ [القلم]. وقال: ﴿أَمْ تَجْمَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْمَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص].

(٣) إلى الجذر (٦١).

ويعترف هذا الكاتب المشتغل بالدراسات الإسلامية - كما يتضح من ترجمته - بأن: (النص القرآني هو الأكثر أمناً وضماناً... من بين الكتب الثلاثة المقدسة)^(١)، وأن القرآن تنزيل إلهي، كما التوراة والإنجيل^(٢)، ولكنه يرى أن تلك النصوص المقدسة بصفتها تلك: (مناسبة للحظة اجتماعية محددة، لكن المضمون الأساسي على الرغم من اختلاف وسائل النقل، صالح لكل مؤمن في يومنا هذا، مثلما حدث بالأمس، ومثلما سيحدث إلى الأبد... ومهما يكن من أمر فإن المؤمنين المستترين، والجماعات المؤمنة يتعين عليها أن تشرح للجميع كل العناصر التي لا يمكن فهمها مباشرة من وجهة نظر الصيغ الاجتماعية والثقافية الحالية)^(٣). وهو يعترف أن (المبادئ الجوهرية للدين المسيحي قد تمت هيكلتها ووضع بنيتها في العالم الإغريقي. وفكرها اللاهوتي، حتى بالنسبة لموضوع أسس العقيدة التي صيغت صياغة لاهوتية «نيقية، القسطنطينية»، فإنها تبعت الأصول والخطوط العريضة القادمة من الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، وفيما يتعلق بالديانة الإسلامية فإن فكرها اللاهوتي المتكون، أيضاً، التزم بتلك الخطوط العريضة للفلسفة الأفلاطونية الجديدة)^(٤). وكسائر الغربيين فإنه يعتقد بدهاء أن ثم عوامل أخرى صاغت العقيدة والشرعة الإسلامية تارة باسم السنة النبوية، وتارة من مصادر ثقافية خارجية، وذلك لمواكبة التوسعات السريعة في حركة الفتح الإسلامي)^(٥).

ويختم مقالته بالدعوة إلى: (أن نقرب من بعضنا بعضاً، وأن

(١) المرجع السابق (٦٥).

(٢) المرجع السابق (٧٨).

(٣) المرجع السابق (٧٩).

(٤) المرجع السابق (٧٤).

(٥) المرجع السابق (٧٣).

نقترب بصورة أحسن من الإله حتى نخدمه ونحبه بصورة أفضل، وأن يعرف بعضنا بعضاً بصورة أحسن، وأن نكسر جميع القوالب والأشياء المعهودة، وأن نغفل، ولا نذكر التقاليد والعرف غير الجوهرية والأساسية، وأن نتلاقى في مبدأ حول العقيدة المشتركة التي هي الإله الواحد^(١).

٥ - رايغونديو بانيكار^(٢) Raimundo Panikkar :

• (لا شعوب أفريقيا، ولا حتى - بصفة خاصة - الشعوب الآسيوية تتحدث أي تفهم وتتأثر، وتعبّر عن نفسها بلغة مسيحية، بل تعيش في عوالم أخرى. إن قضيتنا تتمثل في أن نسأل: إن كان العرق الإبراهيمي يقدم اللغة الوحيدة الممكنة للمسيحية كما يحدث حتى الآن.

• لا يمكن في عالم اليوم، أن يكون هناك لاهوت مسيحي مقنع. وبالمثل لا يمكن أن يوجد أي تفكير فلسفي بشأن أي دين من الأديان، إن لم يأخذ في الحسبان التعدد الواسع لمختلف التقاليد الدينية التي توجد عند البشر.

• إن المعضلة ينبغي أن نجابهها بكل حدتها ومقاطعها: فإما أن يحدث عملية ختان للعقل وفق تصنيفات الكتاب المقدس، أو أن نطلق الحدث اليسوعي على شكل صورة عقلية، وبالتالي لصيغة مذهبية محددة^(٣).

إن هذا الكاتب المولود لأب هندي وأم كاثوليكية، يعيش عقدة «الإبراهيمية» التي تدعيها الكاثوليكية، بلغتها اللاهوتية، وترفضها الشعوب الأخرى في الهند وغيرها لكونها غير مقنعة. ومن ثم ينادي

(١) المرجع السابق (٨٠).

(٢) سبقت ترجمته في المؤتمر الأول رقم (٣).

(٣) إلى الجذر (٨١).

دوماً - كما مر في أعمال المؤتمر الأول - بالانفلات من المحجر الإبراهيمي، وإبقاء الإيمان بالمسيح فقط، وبوعد الروح فقط^(١)، وإطلاق الحدث اليسوعي، وإلا حدث «ختان للعقل» على حد تعبيره الذي أراد أن يلمز بها السنة الإبراهيمية الفطرية «الختان». وغاب عن هذا الكاتب أن «ملة إبراهيم» على حقيقتها، لما حملتها رسالة محمد ﷺ قبلتها شعوب أفريقيا، والشعوب الآسيوية بصفة خاصة، حيث مركز ثقل العالم الإسلامي من حيث التعداد، وتحدثت بها وفهمتها وتأثرت بها وعبرت عن نفسها بلغة إسلامية مقنعة دونما أي عائق. أما اللاهوت النصراني فهو إغريقي ليس من ملة إبراهيم في شيء.

وغاليندو يتجاوب مع أفكار هذا الكاتب الذي يتحدث من موقع نصراني، ويحاول أن يعمم فكرته على جميع الأديان - والإسلام خاصة - للتحلل من ملة إبراهيم للاندماج بمختلف تقاليده الوثنية. «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكُمِّنَ الْفَضْلَيْنِ ﴿١٢٥﴾» [البقرة].

٦ - شريف عبد الرحمن جاه^(٢):

• (كي يكون المرء مسيحياً أو مسلماً ليس من الضروري أن يكون من الناحية الروحية سامياً، ولا من الناحية الثقافية إغريقياً أو عربياً.

(١) انظر مقالته السابقة (٨٣٢).

(٢) ولد في الجديدة - المغرب - عام ١٩٣٤م، وحصل على الدكتوراه في القانون، وتخصص في العلوم الإسلامية والإنسانيات. رئيس مؤسسة الثقافة الإسلامية والمعهد الغربي للثقافة الإسلامية. وهو مدير مجموعة العمل والبحث المتعلقة بتأثير الثقافة الإسلامية في الثقافة الأوروبية، الذي وافقت عليه الجمعية البرلمانية للمجلس الأوروبي عام ١٩٩١م. كتب العديد من المنشورات حول الفكر وموضوعات تتعلق بالأندلس، وألقى العديد من المحاضرات في المؤتمرات والجامعات الأوروبية والعربية. إلى الجذر (١٠٥).

• الرسالة لا يمكن أن تقتصر على النطاق الضيق لثقافة واحدة، سواء كانت تلك إغريقية أو عربية أو فارسية، فإنها في هذه الحالة تفقد طابعها العالمي والإلهي، وتنحصر في تيار فلسفي محض، وتكون فكراً أو أيديولوجية من بين أيديولوجيات أخرى.

• الإسلام لديه رسالة عالمية تذهب إلى ما وراء الصفات والمميزات الثقافية. إن معنى أن يكون شيء عالمياً هو أنه لا يمكن أن يخضع لنماذج ضيقة لثقافات ومميزات شرقية أو غربية.

• لا نحتاج إلى عملية ثقافة، أن يتقف كلاً منا الآخر، ويعلمه، ولا أن نستعمر ونستوطن أراضٍ الغير، ولا أن ندمر ثقافته، لأن كل واحدة من هذه الثقافات همزة وصل في صفة العالمية التي يشتمل عليها الإسلام.

• إن اللاهوتيين ورجال الدين، قبل أي بشر آخر، هم الذين عليهم تقع مسؤولية نقل التوازن الذي يوجد في كلمة الإله...

• إن محاولة تطبيق المضمون الرسمي بصورة مماثلة في يومنا هذا، كما طبق في قرون خلت، إنما هو تفسير غير ملائم، ويمكن أن يفسح المجال لمواقف متشددة، غير مرنة ويمكن أن تكون بعيدة عن الرسالة القرآنية الحقيقية^(١).

لقد غالى شريف جاه في إظهار الموافقة لـ «غاليندو» إلى حدٍ بدت فيه مقالته مجرد إجابات سطحية ومباشرة بنعم أو لا، تبعاً لما يرضي السائل، أو كما قيل: «كان يُلقَّن فيتلقن». حتى بلغ به التدني إلى نزع خصائص الإسلام العقدي والثقافية والتشريعية والاجتماعية لإبقاء وصف «العالمية» التي يهيم بها غاليندو ورفاقه، ويردد في بلاهة

(١) إلى الجذر (١٠٥).

ما يطربهم حين يقول: (ويقدر ما يكون (ما أعطي)^(١) هو متشابه بين الديانتين كليهما، المسيحية والإسلام، وإن تعمقتا في جذورهما يكون الحوار فيما بينهما ممكناً. لأنه سيكون حواراً أخوياً، ومن أجل التقارب، إن فهمنا بكلمة «حوار أنها تبادل الكلمة بين كائنين.. فإنه في حقيقة الأمر لا يكون هناك حوار، بل إنه يستحيل إلى كلام من طرف واحد إلى شخصين)^(٢).

٧ - خيسوس آبلينو دي لا بيندا^(٣) J.A. De La Pienda :

• (إن التوحيد الذي يستثني أي شيء غيره، والذي يسيطر على التقليد الإبراهيمي بحذافيره شيء لا يقوم بذاته، ولا يمكن أن يستمر من وجهة النظر التحليلية. وهذا التوحيد الذي يستثني كل ما سواه هو جوهر «عقدة التفوق» التي تجرّجها أديان هذا التقليد. فينبغي على كل هذه الديانات الإبراهيمية أن تمتحن نفسها، وتمحص نفسها بنفسها ذاتياً من هذه الرذيلة التي ترتكبها ضد ديانات أخرى، وأن تتنازل عن احتكارها الذي تزعمه.

• إن البعثات التبشيرية قد قامت على أساس من عقيدة تفوق الثقافة والدين التي تنتمي إليه على الثقافات والديانات الأخرى. فكنا

(١) يشير إلى ما تقدم في أسئلة غاليندو: ثالثاً: ٢. (٦٢).

(٢) إلى الجذر (١٠٨ - ١٠٩).

(٣) ولد في «اشتورياس» - شمال غرب إسبانيا - عام ١٩٣٩م. حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة مدريد المركزية، وحصل على الإجازة في اللاهوت من الجامعة الغريغورية في روما. وهو حالياً أستاذ كرسي الفلسفة في جامعة «أفييدوا»، ومدير مجلة «ماخيسير». من مؤلفاته: «الأنثروبولوجيا اللاهوتية عند K.Rahner عام ١٩٨٢م»، «الشيء الخارق للعادة عند المسيحيين عام ١٩٨٥م»، «دين واحد، وديانات كثيرة عام ١٩٩١م». إلى الجذر (١١١).

نقول: الله الحقيقي، الدين الحقيقي، ونقول: الشعب المختار... الخ وهذه العقائد لا تزال قائمة مستمرة في الديانتين المسيحية والإسلامية الأرثوذكسيتين، أي الملتزمة بالنص والتقليد. وينبغي علينا بصفة عاجلة أن نراجعها بعمق على ضوء التعددية الثقافية والدينية^(١).

إن هذا الكاتب الناقم على «التوحيد الإبراهيمي»، الذي ورثه بحق المسلمون، ويدعيه اليهود والنصارى، ورغبت عنه الوثنيات الأخرى التي ينافح عنها هذا الكاتب، يعد استبعادها وإدانتها رذيلة تجرجرها الأديان المنتسبة إلى إبراهيم. ومن ثم فقد تجاوز مرحلة التقارب الإسلامي - النصراني إلى مرحلة التقارب العالمي بمختلف صوره وأشكاله، إذ يقول: (إن المسلمين والمسيحيين لديهم تقليد فلسفي ولاهوتي ديني مشترك في غاية الأهمية، يحمل معه في طياته بُنىَ مشتركة من الفكر الجوهري... وعلى مستوى التقليد الصوفي يمكن أن يكون هناك لقاء يشع بضوئه وعنوانه على الآخرين).

ولكن، وبالتحديد، في هذا التقليد المشترك توجد هناك عقبات كبيرة أمام الحوار، بينهما وبين الأديان الأخرى، فينبغي علينا إذاً أن نتفحص بصورة مشتركة هذه العقائد الكبرى التي توحد والتي تفصل بين الديانتين، وأن نفكر دائماً في دياناتٍ ثالثة... إن أسس الحوار ينبغي أن تخدم كل الديانات... وعلينا أن نرى أيضاً إن كانت تلك الأمور التي توحد بيننا لا تعوق الحوار مع ديانات أخرى... وبهذه الكيفية يمكننا أن نذهب شيئاً فشيئاً في تحديد البؤرة^(٢).

وهذا ما ينشده «غاليندو»، ومن ورائه «كريسلام».

(١) إلى الجذر (١١١).

(٢) إلى الجذر (١١٣).

٨ - ماريّا تسكانو^(١) وخورمان أنكوتشيا^(٢) : M. Toscano & G. Ancochea

• (الأديان ليست إلا صوراً تعبر عن الكيفية التي تلقاها البشر عن الله، وعن صورته التي كونها البشر عنه في مختلف الثقافات.

• إن التجربة الصحيحة التي اكتسبناها بشأن «السر» تصلح لكل البشر. فإن كل تجربة حقيقية للسر هي في آنٍ واحد عالمية وجزئية أيضاً.

• إن التحول من دين إلى دين، إذا فهمناه كتحول القلب إلى الله الحي، يكون ممكناً في كل دين، وبالتالي فإننا نؤكد أن المؤمن لا يحتاج أن يخرج من دينه، ولا من ثقافته كي يلج هذه التجربة.

• الحوار يمكن أن يحدث فقط بين طرفين متساويين. إن الحوار بين الأديان سيكون حقيقياً فحسب على أساس من التجربة، بحيث، وبدون أن نتنازل عن تجربتنا الشخصية الخاصة، يمكننا أن نعترف بتجربة الآخر، كصاحب تجربة صحيحة بالمثل، كتجربتنا. وكلما كانت التجربة أعمق، فإن الحوار أيضاً سيكون أكثر صمتاً، حتى يتحول إلى تأملٍ مشترك. الكل مع الواحد^(٣).

لقد بلغ هذان الزوجان مرتبة «ابن عربي» الذي صار قلبه قابلاً كل صورة. فلذا يريان الأديان جميعاً تجارب صحيحة، عالمية وجزئية في آنٍ واحد، ومن ثم فالتنقل دخولاً وخروجاً بينها إنما هو جولة في دينٍ

(١) ولدت في مدريد عام ١٩٤٧م، حصلت على الإجازة في الفلسفة. أستاذ كرسي في الدراسات الثائوية، وأستاذة ملحقة في جامعة كوميسي - أهلية كنسية - بكلية اللاهوت في مدريد. إلى الجذر (١٣١).

(٢) ولد في مدريد عام ١٩٤٤م. حصل على الإجازة في العلوم الاقتصادية. وألف عدة كتب في التحليل الاقتصادي. وهما زوجان. وقد اشتركا في تأليف كتاب بعنوان: «رمزية العدد» ط عام ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٣١).

(٣) إلى الجذر (١٣١).

واحد، والحوار هو تأمل الكل مع الواحد. وهكذا تتداخل عقيدة وحدة الوجود مع عقيدة وحدة الأديان.

٩ - سميح محمود دغيم^(١):

• (إن التنزيل في حد ذاته عمل إبداعِي إلهي، كان هدفه المحدد هم الأنبياء.

• الهدف الرئيسي من التنزيل الإسلامي، وهو القرآن، والتنزيل المسيحي، وهو ألوهية عيسى، ينبع من التقارب بين هذين الكيانين؛ أي القرآن وألوهية عيسى، وبين أصحاب محمد وتلاميذ عيسى.

• إن المشكلة الرئيسية ليست في النصوص الإسلامية والمسيحية المنزلة، بل في قراءة وتفسير تلك النصوص وغيرها من النصوص الدينية. وفي يومنا هذا لا توجد منهجية لقراءة النصوص القرآنية.

• إن العودة نحو الجذور، وعدم التأثر بالروح هو شيء على ما يبدو لا يشغل بال الإنسان العقلاني اليوم^(٢).

لقد عالج هذا الكاتب موضوع المؤتمر معالجة خطيرة أكثر مما تشي به هذه النصوص التي اختارها «غاليندو» بين يدي مقالته المعنونة بـ «مشكلة تكمن في قراءة النصوص المنزلة». فبعد مقدمة مسهبة عن نشأة الإسلام وحضارته وفتوحاته ضمنها ما دأب المستشرقون على

(١) ولد في «الرهام» - لبنان - عام ١٩٤٨م. حصل على الإجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية عام ١٩٧٢م، والدكتوراه في الفلسفة من جامعة القديس يوسف عام ١٩٨٦م. أستاذ اللاهوت والتصوف الإسلامي في الجامعة اللبنانية من عام ١٩٨٢م حتى عام ١٩٨٦م. ومن ذلك العام وهو أستاذ في الجامعة نفسها للأفكار السياسية والاجتماعية وفلسفة العلوم. ومن مؤلفاته: موجز لأفكار الأقدمين، والمحدثين. ط عام ١٩٩٢م، تحقيق لكتاب الغزالي: المنقذ من الضلال. ط ١٩٩٢م، فلسفة القدر. إلى الجذر (١٣٩).

(٢) إلى الجذر (١٣٩).

ترداده من استمداد الإسلام من اليهودية والنصرانية وما سواهما، وشدد على أن التنزيل القرآني ينبغي أن يفهم في سياق الظروف التاريخية المصاحبة، وبالتالي فالموقف من أهل الكتاب ومن الجهاد المقدس أملت ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية معينة، لا ثوابت عقدية، ومن ثم فلا علاقة لذلك الفتح بتقبل الشعوب للإسلام وانتشاره، وكذلك الحال مع النصرانية، خلص إلى نتيجة مفادها:

(إن فرض الإسلام والمسيحية في العالم، وقبولها من جانب الشعوب التي كانت لا تعرفهما، يحملنا على البحث عن محور قد مكنتهما من التعبير عن نفسيهما كرسالتين دينيتين أمام مجتمعات بشرية كانت لديها طبائعها الخاصة بها من الناحية الروحية والثقافية.

هذا المحور يمكننا أن نجده في «العلي القدير» الذي كشف عن نفسه أمام محمد بواسطة الكلمة. إن هذا «العلي القدير» قد استحال فيما بعد إلى ما يعرف بالنص القرآني، وهذا العلي الذي تجسد في المسيح، كلمة الله كما يؤكد المسلمون، وابن الله كما يقول المسيحيون. وعلينا أن نترك جانباً من هذا الجدل والنقاش، وعلينا أن نعترف أن الإيمان بالله العلي إنما يشمل كل البشر الذين يكتسبون معنى حينما يرتبطون بفكرة الخلق. إن هذا الشيء ذاتي موجود في كل دين منزل. فكرة كانت موجودة بين الشعوب التي كانت لا تعرف وجود الأديان المتزلة)^(١).

إن «دغيماً» يحاول أن يدغم الحقائق، ويخلط الأوراق حين يصور العقيدة الإسلامية، «القرآن كلام الله»، ببساطتها ووضوحها تصويراً فلسفياً على غرار كفر النصاري بالقول بالحلول الإلهي في جسد المسيح. إن أياً من المسلمين لا يخطر بباله أن الله العلي القدير

- سبحانه وتعالى عما يقول الضالون - قد استحال نصاً قرآنياً كما لا يخطر بباله أن كون عيسى بن مريم ﷺ كلمة الله، أن الله العلي القدير حلّ فيه، بل هو مخلوق بكلمته «كن» فكان، كما آدم ﷺ، فحسب.

ولكن دغيماً يحاول جر العقائد الإسلامية الصافية الواضحة إلى ظلمات الضلالات النصرانية لتحقيق «التقريب» المنشود، أي تقريب الإسلام إلى النصرانية المحرّفة. فقد شرع في سرد العقائد النصرانية البائدة المتضمنة صلب المسيح لأجل الفداء، وتأليه دون أدنى نقد أو تمحيص، ليصل إلى «الجوهر» أو «البؤرة الدينية» التي يبحث عنها «غاليندو» ويسعى إلى اعتمادها أساساً لوحدة الأديان. فيقول دغيم: (عن طريق التعميد)^(١)... الإنسان يشارك في الحياة الإلهية، لأنه بدوره يشارك في بشرية المسيح عيسى الذي بعث بعد موته، وإن روح القدس الذي ينقل إليهم هذه الهمم من جانب الإله، وينقل إليهم بنوته الإلهية هي الجوهر الذي منه تنطلق وصوبه ينبغي أن توجه علاقتها مع الآخرين - ثم يتساءل - ماذا يعني كل هذا؟.

إن القرآن هذا هو الكلمة المنزلة، والتي تُميز بها محمد... وبالنسبة للمسيحيين فإن الكلمة المنزلة هي تجسده في عيسى ابن الله. إن التنزيل بمعنى أن جوهر الإله كان مخفياً في الطبيعة البشرية لعيسى. وهذه أكدت استمرارية الجانب الإلهي عند البشر «الكلمة المنزلة» لأنه عبر التعميد، فإن هذا يجعلهم يشاركون في الحياة الإلهية، بفضل الطبيعة البشرية لعيسى المسيح...

مما لا شك فيه أن النبي ليس لديه طبيعة مختلفة عن بقية البشر، لكن الله ميّزه بكيفية الاتصال به، بينما المسيح يتميز لأنه عاش فيه الروح القدس^(٢)...

(١) راجع مبحث «النصرانية» في التمهيد.

(٢) يريد الكاتب أن يبين مزية عيسى ﷺ - في زعمه - على نبينا محمد ﷺ =

إن فكرة الإله الأعلى تمثل الجوهر، وإن كانت تختلف في كيفية الإفصاح عنها الكتب المقدسة؛ القرآن والأنجيل... إن جعل التنزيل الإسلامي القرآن، والمسيحي: ألوهية عيسى، إنما ينشآن في القرب الذي كان لصحابة النبي وتلاميذ عيسى من هذين الجانبين... من الضروري بمكان أن نتفاهم فيما بيننا بصورة متبادلة فيما يتعلق بالصياغة، صياغة ما عند كل واحد منا، وأن نعرف في الوقت نفسه أن هذه الصياغة، وهذا التقنين النمطي المستمر، يمكن أن يقربنا من الحقيقة الأصلية. بمعنى أن المفاهيم الأصلية حول التنزيل ليست منفصلة تمام الانفصال عن تطورها التاريخي... ولكن من أجل حوار إسلامي مسيحي فمن الضروري، ولا غنى عنه، أن نخلع ونفكك هذه الآليات التي صاغت هذه التقنيات بوعي خاص وعميق للظروف التاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي جعلت منها شيئاً ممكناً^(١).

إننا نتفق مع سميح محمود دغيم على ضرورة إخضاع الصياغات والتقنيات النصرانية التالفة، مثل الصلب والفداء والتثليث والبنوة والتأليه والتعميد... الخ لمطارق النقد التاريخي والعقلي وتفكيكها، والرجوع إلى دعوة المسيح عيسى ابن مريم ﷺ: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقبل بشارته: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، والاغترباط بالقرآن العظيم كلام الله، الذي جاء لينتشلهم من جدلهم وضلالهم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَى بَيِّنٍ لِمَنْ رَزَقَهُ أَلْزَمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٦١]، بدلاً من محاولة جر المسلمين لمعمعة ضلالهم حول «الكلمة» بدعوى تقارب الأديان، وهم

= فمحمّد ﷺ بشر أوحى إليه - وهذا حق - وعيسى حل فيه عنصر إلهي، تعالى الله عما يقولون.

(١) إلى الجذر (١٥٨ - ١٦٣).

إنما ضلوا فيها وتفرقوا بسببها على مدار القرون الخالية. فأني لغاليندو ودغيم وأمثالهما من الكريستاميين أن يوحدوا البشر على أساسها المهترى؟

١٠ - أندروس توريس كروجا^(١) A. Torres Oueiruga :

• (من الممكن أن الإله الذي يظهر في الكتاب المقدس يكشف عن نفسه في كتبٍ أخرى وديانات أخرى، وحين نستغرب هذا، فإن هذا يكون بمثابة ثورة حقيقية، وحتى الآن فلسنا قادرين ولا واعين بها.

• لذلك فإن جميع الديانات تعتبر نفسها ديانات ذات كتاب منزل، وهي حقيقة كذلك. ولأجل ذلك فإنها جميعاً تكون ديانات حقيقية، ولكن ليس كامل ما يوجد فيها ويقال ويعتقد يكون دائماً شيئاً صواباً، أو أنه لا توجد فيها تحويرات وتبديلات، بل وأيضاً أمور شاذة غير لائقة في لحظة من لحظات تاريخها، وإنما فيما يتعلق بما تتألف منه من الحقيقة الأساسية... وهي أن العنصر الديني أمرٌ جوهري يتعلق بالخواص...

وهذه الحقيقة جزئية وجانبية في كل دين، ويمكن أن نفهم بذلك صورة الإثراء المتبادل، والمساعدة والتصحيح^(٢).

يبقى بعد ذلك سؤال: من الذي يتولى التقاط الحقائق الأساسية وتحديدها من كل دين، ثم نظمها في عقد جديد، واستبعاد الشاذ غير اللائق؟ وما هو المعيار الذي سيحكم إليه ذلك الملتقط؟ أهو الإسلام

(١) ولد في لكورنيا - شمال إسبانيا - عام ١٩٤٠م. دكتوراه في اللاهوت من روما سنة ١٩٧٣م، وفي الفلسفة من سَنِّيَاقِب - إسبانيا - عام ١٩٨٨م. أستاذ فلسفة الدين في جامعة «سَنِّيَاقِب» من مؤلفاته: استعادة الخلاص ط ١٩٨٥م، الحوار بين الأديان ط ١٩٩٢م. إلى الجذر (١٦٧).

(٢) إلى الجذر (١٦٧).

أم النصرانية أم الهوى؟ كما قال تعالى حاكياً عن أسلافهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١].

١١ - عبد الرحمن شريف شيرغي^(١):

• (إن أكبر خطر في الحوار الإسلامي المسيحي، أن نحاول الحوار من وجهة تاريخية فقط. وعلى هذا الأساس فإن هذا الحوار باديء ذي بدء سيكون حربياً. إن الرذيلة التاريخية الثقافية لديها نتيجة نفسية مباشرة: الولع بإقناع الآخر بحججنا وتعليلاتنا.

• إن الحوار بين الأديان ينبغي أن ينتقل عبر هذا المنخل؛ رحلة صوب أحشاء الإنسان، كي نخمد جذوة الشيطان، شيطان المركزية و«الأنا»، وتهدئة هذه «الأنا» القوية السلمية الموجودة في داخل كل منا، بطريقة سرية غير معروفة. هذه «الأنا» التي نتخذها دائماً حارساً ومدافعاً عن أنفسنا ضد الآخرين، وضد أنفسنا أيضاً.

• إنني أحلم، وهذا من أحلامي الحميمة، أن يأتي يوم نتقارب فيه بعضنا من بعض، ونقدم لأنفسنا، ونبحث معاً، ونزرع معاً المحبة، وليس الكراهية، وأن نحمل في أكفنا حماسة السلام، ولا نحمل خنجراً نخفيه بين ثنايا ملابسنا^(٢).

إن أحلام شيرغي لن تتحقق إلا بالتنصل من التاريخ، والتنصل من الذات والضمير الديني، ليبقى بعد ذلك مجتثاً من أصوله ما له من قرار. إن المحبة والسلام من مقاصد الإسلام الاجتماعية والدولية، ولكن لا باعتبارهما معنيين مجردين، بل ضمن العقيدة والشريعة التي جاءت من عند الله.

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (٦) (٩٦٠).

(٢) إلى الجذر (١٨٣).

١٢ - خيسوس رامون إتشفاري^(١) Jesus Ramon Echeverria :

• (أعتقد أن الرياح التي تشجع نفس هذا العالم الذي نحن فيه ستجعل أنغام الديانات الهندية والمكسيكية... وليس فقط السامية والأوروبية والعربية، تصدح موسيقاها، وسوف تستمر في صبحها، حتى بعد زمننا هذا، لكل الإنسانية التي عانت من التسوس والتشقق.

وهذه الديانات إن صمتت واختفت واندمجت في غيرها من جديد في هذا العالم الذي ظهرت فيه، فهي لم تمت. فإن الأنغام السامية والأزتكية^(٢) والأوربية والفتوية والهندوكية والعربية ستكون أجمل من أي وقت مضى.

• إن الرمز أكثر من كونه يلتقط الحقيقة ويحبسها، فإنه يكشف مغزاها، ويجعلنا نحن أيضاً نخرط فيه إن استطاع أن يحركنا ويثير فينا الشفقة، تماماً كما تفعل الحقيقة الرمزية نفسها. وهذا ما ينبغي أن يحدث لأنه بصورة أو بأخرى يشترك في حقيقة ما يمثله.

■ إن كان المصريون والسود والنساء في عالمنا هذا اليوم قادرين على أن يشعروا أنهم جزء متكامل مع التقليد والعرف اليهودي والمسيحي الممتد لآلاف السنين، والذي اعتورته تغييرات جد جذرية، وقعت أو ينبغي أن تقع، إذاً فلا شيء هناك يمكن أن يعوق في بداية الأمر، أن يكون أناس غير ساميين وغير أوربيين، أن يشعروا، وبكل

(١) ولد عام ١٩٤٥م ودرس في إيطاليا وبريطانيا وفرنسا. كاهن من رهبانية الآباء البيض منذ عام ١٩٦٥م. اشتغل خمس عشرة سنة في إفريقيا الغربية. مدير مركز الإعلام والتوثيق الإفريقي «سيداف» في مدريد، لمدة ست سنوات، ويعمل في تونس. وله اهتمام بتفسير وشرح تقليد وتاريخ الكتاب المقدس. إلى الجذر (١٩٧).

(٢) نسبة إلى شعب الأزتيك، الذي سكن المكسيك منذ القرن الثامن الميلادي، وسناد حتى قضى عليه الإسبان. المنجد في الأعلام (٣٨).

سرور وفرح بمثل هذا التقليد والعرف. وبطبيعة الحال في شكلهم الجديد؛ غير السامي، وغير الأوربي^(١).

إن الكاتب يتفق مع الداعين إلى كسر القوالب ذات الصبغة الإبراهيمية، ويدعو إلى تمثل بقية الوثنيات التي تعج بها أرجاء الأرض لتكوين مزيج من دين، أو تدين جديد، يرقص على أنغامه كل «مجنون» استهوته الشياطين، ويهيم في رموزه كل باطني زنديق لا يعرف حداً ولا رسماً. وهذا ما يريده «غاليندو» في هذه الجولة الثانية من مؤتمراته بالمراسلة «البحث عن لغة مشتركة من أجل حوار بين الأديان»، لغة تنفك من إसार الإرث الإبراهيمي، ذي الأصل التوحيدي، وتنطلق متمردة لتستوعب ملل الكفر والوثنية تقريباً لصنم التقريب الديني.

المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة - تنظيم كريسلا:

«من أنا في قولكم أنتم؟» إنجيل متى (١٦، ١٦) عام ١٩٩٧م

وردت هذه الجملة الاستفهامية التي وسم بها غاليندو مؤتمره الثالث بالمراسلة في إنجيل متى، منسوبةً إلى عيسى عليه السلام، ضمن القصة التالية: (ولما وصل يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه: من ابن الإنسان في قول الناس؟ فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان، وبعضهم الآخر يقول: هو إيليا، وغيرهم يقول: هو إرميا أو أحد الأنبياء. فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله الحي. فأجابه يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا. فليس اللحم والدم كشفًا لك هذا، بل أبي الذي في السموات) متى (١٦/١٣ - ١٨)^(٢)، قال غاليندو:

(١) إلى الجنر (١٩٧).

(٢) العهد الجديد (٨٢ - ٨٣).

(الموضوع الذي اخترناه لهذا المؤتمر... هو شخصية (عيسى الناصري). هذه الشخصية التي تفصل بيننا، وفي الوقت ذاته هي شخصية متعارف عليها، ومشاركة بيننا نحن المسلمين والمسيحيين... هناك أمرٌ لا يختلف عليه اثنان، وهو أنه منذ قرون يوجد موضوعٌ معلق بين المسلمين والمسيحيين: إنه «عيسى ابن الله». وهو الأمر الذي يعقد باعتبار كيفية طرحه حتى الآن، العلاقات الطيبة الإسلامية والمسيحية. وهو من ناحية ثانية يطرح علينا سؤالاً لا يمكن التغاضي عنه، وينبغي علينا أن نجيب عليه: «من أنا في قولكم أنتم؟»... وهذا السؤال محور هذا المؤتمر الدولي الثالث: ماذا تريدون أن تقولوا حينما تقولون إن عيسى هو ابن الله، أو ليس هو ابن الله؟^(١).

هذا بيت القصيد. وهذا ما أمضى غاليندو فيه قرابة عشر سنين يُمهّد له، ويخطط لبلوغه، من خلال أعمال المؤتمرين السابقين الهادفين لإرساء أسس متحررة للحوار، واصطناع لغة له، وقد حان الوقت للانتقال من التجهيزات الفنية إلى المضامين الموضوعية. والكاهن الأسباني الكاثوليكي، المنتمي إلى الجماعة التنصيرية الشهيرة «الآباء البيض»، إيميليو غاليندو آغيلار، لم يخامره شك، رغم دعوته الملحة للتشكك، في نصرانيته، وضرورة صيرورة الناس إليها، فها هو يقول مستبقاً أعمال المؤتمر، وبعد طرح سؤاله السابق، وقبل سماع إجابة المشاركين: (وهكذا فإن ما كان ينبغي أن يكون بالنسبة لنا جميعاً الطريق والحقيقة والحياة، صار آية يناهضها الناس، وعلماً تتضارب أقوالهم حوله). يريد بذلك المسيح ﷺ.

وجرياً على عادته في توجيه أسئلة محددة للمشاركين في مؤتمراته «الموجّهة»، فقد فصل السؤال السابق في ثلاثة أسئلة:

(١) من أنا في قولكم أنتم (٧، ٨).

١ - ماذا نقصد نحن معشر المسيحيين حينما نقول: إن عيسى هو ابن الله؟

وماذا نقصد نحن معشر المسلمين حينما نقول: إن عيسى ليس هو ابن الله؟

٢ - هل تلمح بصيصاً أو بداية إجابة، مع الوفاء للمعتقدات الموروثة، لا تجعلك تقع في تناقض تام بين الديانتين؟

٣ - ما النتائج التي تستخلصها من ردك على السؤالين السابقين لإثراء الحوار الإسلامي المسيحي إثراء متعمقاً بصفة الخصوص، وللحوار بين الأديان بصفة العموم^(١).

وقد استكتب في جولته الثالثة هذه ثلاثة عشر كاتباً عامتهم من أتباع ملته الكاثوليك، وما غير: ما بين صوفي محترق، ومدع للإسلام، ومستغرب يحمل اسماً إسلامياً.

وسنعرض لبعض المقتطفات التي أبرزها غاليندو من مقالاتهم، ثم نعود لما كتبه هو في مقدمة الكتاب لاستخلاص النتائج.

١ - خيسوس سالس مارتينيث^(٢) Jesus Salas Martinez :

• (نريد أن نشير إلى أن مجموع ما قيل لنا يستشف منه أنه في

(١) انظر: المرجع السابق (١٢).

(٢) ولد في «سوفلي» المريّة - إسبانيا - عام ١٩٣٥م. قام بدراسة الفلسفة اللاهوتية في بلجيكا، وفي مدينة «قرطاجنة» «تونس». وهو قسيس من الآباء البيض منذ عام ١٩٦٠م. حصل على الدكتوراه في اللاهوت عام ١٩٦٣م، وعمل أستاذاً للاهوت في بلجيكا عام ١٩٦٤م. ذهب في بعثة تنصيرية إلى زائير سنة ١٩٦٨م. كان المسؤول عن الآباء البيض في إسبانيا عام ١٩٧٠م، وكان المساعد العام للآباء البيض في روما سنة ١٩٧٤م. وعاد إلى زائير عام ١٩٧٦م حيث كان المسؤول عن تكوين المعلمين الدينيين، والذين كان قد أعد لهم سلسلة من المنشورات باللغة السواحلية. من أنا في قولكم أنتم (١٠٥).

عيسى ومن أجله قد قام تلاميذه بتجربة بأقصى حدودها، وبصورة فريدة بالاقتراب من «السر» الذي لا غبار عليه لحياة الإله الذي ظهر أمامهم في صورة الطيبة والترحيب والعفو والتحرير والأمن والبساطة والكمال. وهذا بالنسبة لي هو مغزى ومضمون تعبير أن «عيسى ابن الله».

• هذه التجربة ذات الحد الأقصى التي قاموا بها في عيسى هي التي حملتهم بصورة لا مناص منها أن يقولوا شيئاً بخصوص عيسى نفسه. وبسبب ذلك استخدموا الرتب والتعبيرات التي كانت في حوزتهم، والتي كانت موجودة أساساً في الثقافة والتاريخ اليهوديين، والتي أضافوا إليها غيرها من أصل إغريقي روماني. ومن تلك التعريفات الكثيرة كان يوجد تعبير «ابن الله». وفي بداية الأمر ربما يكونون قد استخدموا هذا التعبير كغيره، حيث رأوا أنها تعبيرات قادرة على التعريف بشيء يريدون أن يعبروا عنه.

• إذاً، يقع في خطأ عميق بالتالي، من يريد أن يستخدم هذه الصياغات أو التعبيرات المتنوعة التي يستخدمها أولئك الكتاب، كما لو كانت التعبيرات الوحيدة الممكنة، أو كما لو كانت تشتمل على تعبير محدد ليس بمتغير، وصالح على الإطلاق طبقاً لما يعنيه حرفياً^(١).

إننا نبرء حواربي المسيح ﷺ، ورضي عنهم من مقالة الكفر الفاجرة التي ابتدعها من بعدهم من الخلوف، حتى أن العبارة المنسوبة إلى بطرس: «أنت المسيح ابن الله الحي» متى (١٦/١٧)، لم ترد إلا في إنجيل متى فقط، دون سائر الأناجيل^(٢)، مما يكشف عن درجة الدس والعبث في أخطر مسائل الاعتقاد.

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٥٠).

(٢) انظر طبعة الرهبانية اليسوعية لـ «الكتاب المقدس. العهد الجديد» (٨٢) حاشية

والكاتب يحاول تبسيط القضية بتصويرها صياغةً لفظية أملتها الثقافة المحيطة. والأمر ليس مجرد تجوُّز في الألفاظ فإن النصارى - بما فيهم الكاتب - يخلعون على المسيح عيسى ابن مريم صفات الله وأفعاله - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً عظيماً - ويزعمون أن الله ظهر أمامهم في صورة المسيح.

فما الجديد الذي جاء به هؤلاء النصارى الجدد في غمرة نقدهم للتأثير الإغريقي على النصرانية؟

٢ - سيريل سليم بطرس^(١) Cyrille Salim Bustras :

• (إن المجادلات بين المسيحيين والمسلمين على مدى قرون خلت لم تكن قائمةً على أساس من النصوص الإنجيلية، بل بالأحرى على مسمياتٍ لاهوتية منقولة حرفياً عن الفلسفة الإغريقية، واعتمدتها المجامع المسكونية ضد المارقين الذين كانوا يستخدمون المفاهيم الفلسفية الإغريقية.

• إن إنسان اليوم، كما كان اليهود زمن الكنيسة الوليدة يتساءل: ما معنى أن عيسى ابن الله؟ وتكمن الإجابة في شخص عيسى نفسه: الرب ظهر بشخصه وكماله في عيسى، في كلماته وأعماله وموته وبعثه.

(١) ولد في بعلبك - لبنان - عام ١٩٣٩م. درس الإنسانيات والفلسفة المدرسية في «حريصا» ببلبنان (١٩٤٧ - ١٩٥٧م). بدأ مسيرته اللاهوتية في صفوف المبشرين التابعين لجماعة القديس بولس مع الآباء البيض بمدينة «كاب» بفرنسا (١٩٥٧ - ١٩٥٨م). ودرس اللاهوت في دورة القديسة أنا بالقدس (١٩٥٨ - ١٩٦٢م). رسم كاهناً عام ١٩٦٢م. دكتوراه في اللاهوت من الجامعة الكاثوليكية ببلجيكا (١٩٧٤ - ١٩٧٦م). أستاذ اللاهوت في «حريصا». إسقف إغريقي كاثوليكي في بعلبك ١٩٨٨م. مقرر لجنة سنودس الأساقفة في لبنان عام ١٩٩٥م. من منشوراته: الاشتراكية، المسيحية، وتحرير الإنسان في فكر روجيه جارودي ط عام ١٩٨١م، اللاهوت المسيحي ورجل هذا العصر. من أنا في قولكم أنتم (٣٥).

• إن المصطلحات اللاهوتية تعبير بشري عن الحقيقة الإلهية التي كُشف عنها في تاريخ الفداء. ولما كان الأمر هكذا فالتعبير لا يمكن أن يكون تعبيراً لا حركة فيه. فالعرف والتقليد الذي ورثته الكنيسة هو شيء حي يحتاج إلى صياغة بشكل مستمر حتى يكون مفهوماً مع انصرام القرون.

• إن الحوار الإسلامي المسيحي لا يسعى إلى القضاء على الخلافات في العقيدة، ولا على فروقات التعبير بين دين وآخر، بل إن ما يسعى إليه هو قسح الأخطاء، مع التركيز على ما يوحد بين الأديان بخصوص العقائد فيما يتعلق بشخص عيسى، بالنظر إلى تدخل الإله في تاريخ البشر^(١).

وهذا مثل آخر لكاثوليكي عربي يُحيل على الوساطة الثقافية الإغريقية في التسبب في وقوع الجدل الإسلامي النصراني عبر القرون، ويرى النصوص الإنجيلية من تبعة تلك التعبيرات التي أنشأتها حاجة ذلك الزمان وثقافته، ثم لا نجد أثراً لهذا التفسير، بل نجد مزيداً من التأكيد على المضامين الكفرية لتلك الصياغات اللغوية حين يقول بصراحة: الرب ظهر بشخصه وكماله في عيسى. فماذا ينتظر إذاً من دعوته إلى صياغة مستمرة لموروث الكنيسة يكون مفهوماً للبشر؟!^(٢).

إن العقيدة الحققة لا بد أن تكون واضحة حاسمة في ألفاظها ومعانيها، بل لا بد أن تكون الألفاظ والتعبيرات التي يوصف بها الحق سبحانه «توقيفية»، لا يتدخل البشر في صياغتها، ثم ترميمها، أو إعادة تشكيلها، كلما جرت الرياح بما لا تشتهي السفن.

(١) من أنا في قولم أنتم (٣٥).

(٢) انظر ما يعده كيرلس «سيريل» سليم بطرس أخطاء يسعى إلى قسحها، عند الحديث عنه في مبحث «النصارى العرب» من الباب الأول.

٣ - روجيه جارودي^(١):

سبق عرض مشروعه الفكري والعملي للتقريب بين الأديان، ونظراً لأهمية النصوص الواردة في مقالته في المؤتمر نشبتها هنا:

• (البعض كان يعتمد على قراءة حرفية بحذافيرها، بدون نقد ولا مفهوم تاريخي للقرآن، فصارت كل كلمة فيه متحجرة بفعل العرف والتقليد، لا مساس به. والآخرين يكررون بالمثل عقائد لا مساس بها بلغة لم يكونوا يعرفونها «الإغريقية، غير القادرة على ترجمة تجربة عيسى التي لا سابق لها».

• المسلمون أعطوا للمسيحيين مفهوماً للثالوث، لم يكن هؤلاء يعتقدونه أبداً من قبل. لأننا قرأنا القرآن بصورة حرفية، بدون أن نأخذ في الحسبان على الإطلاق، السياق التاريخي. كانوا يكررون صيغة مؤداها أن العذراء مريم هي الأقنوم الثالث في الثالوث: «اتخذوني وأمي إلهين من دون الله».

• حقيقي أيضاً أن الصياغات الإغريقية لمفهوم اللاهوت بمجمع نيقية (٣٢٥م) كانت غير قادرة على تفسير وترجمة تجربة عيسى المستحدثة، والتي كانت غريبة تماماً على الثقافة واللغة الإغريقيتين. فعلى سبيل المثال: حين نقول إن عيسى من نفس مادة الإله فهذا ليس له معنى إلا عند الإغريق الذين لا تعني كلمة «مادة» بالنسبة لهم سوى الشيء الذي يكون خلف المظهر. وذلك لا يعبر بحالٍ من الأحوال عن الحقيقة الحية لعيسى.

• الحقيقة العلمية بالنسبة للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين هي أنه لا يمكن أن يكون هناك حواراً حقيقياً بين مذهبين، ولا تقارب

(١) انظر: ترجمته، ودراسة محاولته للتقريب بين الأديان في المبحث الأول من هذا الفصل.

لاهوتي، إن كان كل طرفٍ يحمل في داخل دينه الحوار العقدي، ويضعه نصب عينيه^(١).

يزعم هذا الدّعي للإسلام، أن المسلمين هم الذين ألصقوا مفهوم الثالث بالنصارى! إن الذي وصمهم بذلك رب العالمين، عالم السر والجهر، الذي لا يظلم مثقال ذرة، في كتابه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت] ﴿يَلِسَانٍ عَرَفٍ مُّشِينٍ﴾ [الشعراء] لم تتقاذفه اللغات والعُجَمَات والترجمات المختلفة التي يعلن جارودي ها هنا تأثيرها العميق على المجامع المسكونية النصرانية التي صاغت عقيدة التثليث، وغيرها من العقائد الوثنية. ومن ثم يدرك جارودي استحالة التقارب بينها وبين التوحيد الخالص الذي جاء به محمد ﷺ.

٤ - خوسيه إغناثيو غونثاليث فاوس^(٢) Jose Ignacio Gonzalez Faus :

• (إن الهوية المسيحية لا تتألف فقط من القول أو التصريح بأن

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (٣٥) واستدلال جارودي بآية: «اتخذوني وأمي إلهين من دون الله» مغالطة، حيث حذف صدرها: «أأنت قلت للناس»، وفسر «من دون الله» بـ مع الله ليتحصل له ثلاثة. ولم يفرق بين اتخاذ النصارى لهما إلهين وزعم مريم أقنوماً. ومع ذلك فقد اعترف بنفسه أن بعض النصارى كان يعد «مريم» أحد الثالث.

(٢) ولد في بلنسية - إسبانيا - عام ١٩٣٩م. نُصّب في جمعية يسوع عام ١٩٦٣م. أستاذ اللاهوت النظامي بكلية اللاهوت ببرشلونة. دورات دراسية متفرقة في المكسيك والسلفادور ونيكارغوا وبورتوريكو... الخ من (١٩٦٩ - ١٩٧٧م) مدير «مختارات اللاهوت»، مسؤول الدراسات اللاهوتية بمركز الدراسات اللاهوتية والعدالة. من مؤلفاته: البشرية الجديدة. مقالات حول الظاهرة اليسوعية ط ٧. عام ١٩٨٧م، المدخل إلى عيسى ط ٦. عام ١٩٨٧، اختيارات تفسيرية لألوهية عيسى - مع آخرين - ط عام ١٩٨٣م. من أنا في قولكم أنتم (٦٧).

عيسى هو ابن الله، بل يتعلق الأمر بالعيش فيه. ومن المحتمل أن لا يكون عيسى نفسه قد أعلن أبداً أنه إله، بل إنه قد عاش هذا الإلهية بصورة وجد الناس فيها حياته بشكل أقل دينية من كلماته. ويقول إنجيل يوحنا إنه ذات مرة كانوا يريدون القبض عليه ليس لأنه كان يقول أنه ابن الله، بل لأنه كان يفعل كالإله.

• حينما نشرح ديننا نحن المسيحيين الغربيين فسيكون علينا أن نوضح أيضاً أننا أبناء إرث تاريخي محدد يفعل فعله فينا بصورة سلبية ضدنا. وأشير بذلك إلى دخول المسيحية، وعدم مصادقتها للعالم وللثقافة الإغريقية مصادقة مقنعة تمام الإقناع. لأن العقل الإنساني يمكن أن يصل حتى العقل النهائي للأشياء.

• إن ألوهية عيسى ليست إلا، ولا شيء آخر، الأساس الحاسم لأخوة البشر. فبين جميع الناس تجربنا ألوهية عيسى نحن المسيحيين على الأخوة، معطين أنفسنا أساساً جوهرياً مطلقاً لها^(١).

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].
لقد تجاوز هذا الكاتب قضية المؤتمر «هل عيسى ابن الله» إلى تقرير عقيدة أن عيسى هو الله. وصدق الله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وفوق ذلك يريد هؤلاء الكريستاميون أن يتخذوا من ألوهية عيسى المزعومة أساساً حاسماً وحيداً لأخوة البشر. إن مبلغ تحرر هؤلاء من إرثهم الكنسي المثقل بغموض الفلسفة الإغريقية، وتعقيدات المجامع المسكونية أن يتحسروا لا على تسلي الشوك والوثنية إلى عقائدهم، بل على عدم قدرة الثقافة واللغة الإغريقيتين على توضيح ألوهية المسيح وبنوته، اللتين ليستا محللاً للنقاش، وإنما النقاش في كيفية «تسويقهما» بلغة جديدة، واعتمادهما أساساً لوحدة الأديان.

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (٦٧).

٥ - خيسوس آبلينو دلابيندا^(١) Jesus Avelino de la Pienda :

• (أن يقول المرء: إن عيسى هو ابن الله، لا يمثل مشكلات كبرى للوهلة الأولى. كذلك نقول: «نحن جميعاً أبناء الله». وفي كثير من الأديان الأخرى، يكون للآلهة أبناء. فمفهوم البنوة له معانٍ مختلفة. وأهمية هذا المفهوم أو ذاك تتوقف على المحيط الثقافي.

• إن البنوة الإلهية لعيسى تتعقد حينما يتعلق الأمر بشرح لماذا هي وحيدة نوعها. وهنا إنما يكون الجهاز المفهومي للرؤية الإغريقية للعالم يدخل بأكمله ليقرر رأيه في القضية...

• هذه التأملات لا تبحث عن أن يتنازل المسيحي عن كيفية تصويره وشرحه «سرّ عيسى»، بل إنها تحاول المساعدة في تكوين وعي بالأصل الثقافي لهذه التصورات، ولقصورها بالتالي. وهي ترمي إلى تفادي أن يقتصر سرّ عيسى على مثل هذه التصورات، فإن قصرناها على مفهوم عيسى في الثقافة الإغريقية، فمن الصعوبة بمكان أن نجعله مفهوماً عند أعراف دينية أخرى.

• إن كنا واعين للنسبية الثقافية لهذا الحدث، فسوف نكون أقل تشدداً حينما يستلزم الحوار بين الأديان منا مرونة، وسوف نكون أكثر تسامحاً مع صور أخرى لفهم وتفسير السرّ اليسوعي، وسنكون أكثر احتراماً للأنبياء الآخرين، ومع أبناء آخرين للإله مع تجسّداتٍ أخرى للكلمة الإلهية^(٢).

لقد حاول الكاتب التقليل من بشاعة إطلاق القول بأن عيسى ابن الله بتنظيره باستعمالات أخرى - تفتقر بدورها إلى الصحة - كمقالة اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا لِلَّهِ وَأَحِبُّوْهُ﴾ [المائدة: ١٨]، ولكنه ينحى منحى

(١) تقدمت ترجمته في المؤتمر الثاني رقم (٧).

(٢) من أنا في قولكم أنتم؟ (٩١).

المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) الذي وسَّع مفهوم الخلاص لغير شعب الكنيسة، انطلاقاً من مسوغات مدارها على أن «سر الروح القدس» يعمل بصورة خفية في تلك الديانات والتقاليد يثمر ما هو خير وصواب في أديانهم، ولكنه لا يكتمل إلا بالتوجه الكامل نحو الإيمان بالمسيح^(١). فهذا ما يبرر المرونة والتسامح اللذين يستلزمهما الحوار بين الأديان للمساعدة في بلوغ الرشد المطلوب في زعمهم.

٦ - محمد طالبي^(٢):

• (بالنسبة للإسلام، عيسى ليس هو المسيح الذي وصل للمسيحيين، والذي ينتظره اليهود، إنما عيسى ببساطة هو الممسوح، الذي تلقى مسحة مقدسة خاصة بالأنبياء، وأيضاً بقساوسة إسرائيل، دون إشارة ما إلى الملكوت، ولا إلى العصور المسيحية.

• القرآن يتحدث عنه بما يلي: «إن عيسى هو كلمةٌ تخرج، تنبعث من الإله (٤٥/٣) «كلمته وجهها إلى مريم وروح ينبعث منه» (٤/١٧١)، «جزء من الروح بشه في مريم» (٦٦/١٢)، «يؤيده روح القدس» (٨٧/٢، ٢٥٣، ١١٠/٥) وقد بشر به يوحنا المعمدان على أساس كونه «كلمة تنبعث من الإله، وهو سيد وحضور ونبي من الصالحين» (٣٩/٣).

• ومن هذه النصوص لا يستشف المسلمون، ولا يستخلصون نتيجة مؤداها أن عيسى يصير من طبيعة خاصة، لأن من المستحيل أن يتخيل المرء هذا الشيء في السياق القرآني، فعيسى يظل بالتمام وحسب، إنساناً.

(١) انظر موقف الكنيسة الكاثوليكية في الباب الأول.

(٢) تقدمت ترجمته في الباب الأول (٦٥٧).

• أن لا يعترف المسيحيون - أو أنهم صاروا لا يعترفون - بالعقائد التي يدينها القرآن، لا تنتج سوى إسعاد المسلمين، وتقدم إمكانات أكبر لتقارب متبادل. لكن هذا سيكون بمثابة التعرض لإحباطات مريرة حين نفكر في أن سر الثالث مهما كانت رقة اللغة المستخدمة ورهافتها في التعبير، والتقدم المحرز في صياغة ذلك عقلياً، يمكن أن لا يتصالح مع التوحيد كما يؤمن به المسلمون^(١).

في أحسن المحامل لهذا الكاتب الذي يتحدث باسم الإسلام، يمكن القول أنه أساء التعبير؛ إذ كان ينبغي أن يقول إن صفات الألوهية التي يطري بها النصارى المسيح ﷺ لا تنطبق على عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم الذي أرسله إلى بني إسرائيل. كما أنه أساء في ترجمة معاني الآيات القرآنية في شأن عيسى ﷺ بما يوقع في النفس معنى الحلول والتجسد الذي يقول به النصارى، كترجمته لقوله تعالى: ﴿مِنْ رُّوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢] بـ «جزء من الروح»، وقوله: «تنبعث من الإله»، دون أن يبين بجلاء أن «من» ليست التبعيضية، وأن «الروح» التي خلق منها عيسى هي روح مخلوقة، وأن إضافة «الكلمة» إلى الله إضافة تشريف وتكريم، أي كلمة تكلم الله بها، فكان بها عيسى، ولم يكن هو تلك الكلمة.

وكل هذا لا يسلم به النصارى اليوم، ولم يتراجعوا عن العقائد التي يدينها القرآن فما مصدر سعادة الكاتب إذا؟^(٢).

٧ - أنطونيو بينيرو ساينث^(٣) Antonio Pinero Saenz

(١) من أنا في قولكم أنتم؟ (١٠١).

(٢) انظر عرض بعض آرائه في فصل: الإسلاميون العصرانيون.

(٣) أستاذ كرسي فقه لغات العهد الجديد المعاصرة بجامعة مدريد المركزية. حصل على الإجازة في الفلسفة المحضة، وفي فقه اللغات الكلاسيكية، وفي فقه لغات العهد القديم الثلاثة. دكتوراه في فقه اللغات الكلاسيكية عن=

• (هل يمكن لأحد أن يؤكد أن عيسى التاريخي يمكن أن يكون الابن الإلهي، من نفس الذات، كما تعلمه الآن العقيدة؟ هذا السؤال، رغم ذلك، مع كل ما يحتويه من خطورة وأهمية، لا يجد أدنى إجابة واضحة..

• هناك من يتحدث بألف مواربة ومواربة وظرف حول ظاهرة اليسوعية المضمرة، وعن نوع ما من ضمير تقاربي بين عيسى والأب، وعن علاقة ديناميكية، وعن استنضاح تام لكل ما هو ألوهي الخ...، لكنهم لا يجيبون بوضوح، وجلاء مطلقيين على القضية. سبعة هي فحسب نصوص العهد الجديد التي تؤكد بوضوح وربما بشكل محتمل جداً إلى أن عيسى هو الله... ولكن لا يوجد من بينها نصٌ يتكلم فيها عيسى بنفسه عن نفسه ولا عن طبيعته، بل آخرون هم الذين يعطون تأكيدات حول هاتين النقطتين.

• طبقاً للانتقادات الموجودة، بما في ذلك الكاثوليكية، لا يوجد في أي من نصوص الأناجيل الثلاثة الأولى تأكيد مباشر وغير مباشر أن عيسى هو الله، لكن هذا إنما ينجم بكل تأكيد عن شخصية عيسى التاريخية.

• وكنتيجة ختامية: فمن ألف وثلثمائة وخمسة عشرة مرة ترد فيها كلمة Dios أي الإله، في العهد الجديد، لا يوجد موضع واحد يقول: «إن عيسى هو الله»؛ وليس يوجد بالمثل أي عبارة يتفق حولها الناقدون تكون قد نَمَت عن شفتي عيسى التاريخي^(١).

= أطروحة بعنوان: المسيحية خلال القرنين الأولين، حصل بها على جائزة لويس بيبس، التي يمنحها المجلس الأعلى للبحوث العلمية في أسبانيا عام ١٩٧٦م، ألف ما يزيد عن ثلاثين مقالاً علمياً، ونشر سلسلة، الأناجيل الزائفة للعهد القديم، ٥ أجزاء. ويقوم حالياً بإعداد عمل بعنوان: الأعمال المنسوبة زيفاً للقديسين. من أنا في قولكم أنتم (١٢١).

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٢١).

الحق أن هذه الاعترافات الخطيرة من كاتب يتبوأ منزلة عالية في فقه اللغات الدينية، والدراسات النصرانية تنسف أصول اللاهوت النصراني، وتبدو - ها هنا - نشازاً بين جملة النقولات السابقة واللاحقة التي انتخبها غاليندو. والعنصر الوحيد الذي يتماشى مع ما ينادي به غاليندو هو عنصر التشكيك وحسب، وليت تشككهم يجري في هذا المضمار، علة أن يقودهم إلى الهدى.

٨ - سمير خوري^(١):

• (الكلمات حتى وإن صارت متطابقة صوتياً واشتقاقياً، إلا إن معناها مع ذلك، مختلف في القرآن وفي الكتاب المقدس... فلا عيسى المذكور في الأناجيل هو عيسى القرآن، ولا المسيحيين هم النصاري. وتحديد هذه المعاني هو أمر سابق لأي حوار.

• وبسبب كينونته وكلمته وعمله، فعيسى هو الكاشف عن الأب، وعن تعبيره الكامل.. لقد أخبر البشر بمعرفة حياة الإله الداخلية.

• إن إله عيسى هو الأب، إنه ليس الآن ذلك الكائن الرهيب، المشرّع، القاضي، رئيس الجيوش، الأكبر، السلطان المطلق، السر الرهيب... إنه المحبة، والحنان، والوجد، والترحيب، والهبة والعفو، السر الفاتن.

(١) ولد في جبيل «بيبلوس» - لبنان - عام ١٩٤٢م. ماروني لبناني. حصل على الإجازة في الفلسفة من جامعة الروح القدس «الكسليك» في جونبة، وإجازة في اللاهوت من جامعة القديس يوسف التابعة لليسوعيين ببيروت. حصل على الدكتوراه من جامعة السربون بباريس. عمل أستاذاً في U.S.E.K.، ومنذ عام ١٩٧٧م يعمل كأستاذ كرسي بالجامعة اللبنانية. من مؤلفاته: تعاسة شعب. ط ١٩٧٩م، المتدينون في لبنان: شخصيتهم ومهمتهم ط ١٩٩٥م. الموقف اليسوعي عند شعوب المشرق ط ١٩٨٣م، من هم أولئك الموحدون الذين يتحدث عنهم القرآن؟ ط ١٩٨٧م. شارك في العديد من المؤتمرات الوطنية والعالمية. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٣٧).

• بالنسبة للإسلام، الله هو كيان إلهي، لكنه ليس شخصاً أو أقتنوماً إلهياً. فهو ليس إذاً علاقة بالنسبة لشخص آخر يكون مساوياً له بالتطابق، ولا يخلق على شاكلته، فطبقاً لهذه التوحيدية، فالله لديه وظيفة هي الخلق، تقود إلى تبعية مطلقة له. لكن ليس لديه علاقات بالأشخاص، ولا عواطف، الله ليس له تاريخ. أتباعه موحدون^(١).

إن هذا الكاتب النصراني يحاول ستر سواة المعتقد النصراني، بالوهية المسيح وبنوته، أمام نصاعة التوحيد الإسلامي، بعقد مقارنات جائرة، يفرق فيها بين عيسى القرآن وعيسى الإنجيل، والنصارى والمسيحيين، وإله المسلمين وإله عيسى، بعبارات تفتقر إلى التهذيب وتعظيم جنب الله. فهو يصف إله عيسى - الذي يتجسد في عيسى في نفس الوقت وفق معتقد النصارى الفاسد - بمعانٍ محبة، في مقابل صفات القوة والسلطان وما يقتضي الخوف والرهبنة فقط، ومن ثم فاه بنفي العواطف عن الله، يريد نفي المحبة والرحمة والعفو ونحوها، موهماً أن ذلك هو اعتقاد المسلمين في ربهم سبحانه وتعالى! وكذب هذا الخوري، فالله سبحانه وتعالى موصوف في القرآن والسنة بصفات الكمال والجمال، كما هو موصوف بصفات العظمة والجلال، وعلاقته بأوليائه المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. فله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا يقاس بخلقه، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً. وقد سبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب فقال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات].

٩ - سميح محمود دغيم^(١):

• (إن المجهود المبذول في إخضاع النص القرآني لمتطلبات ومعايير منهجية حديثة، يصطدم مع التبجيل الذي يعطى للقرآن وللغة. ويحدث الشيء عينه في المسيحية، وإن كانت هذه تظهر بصورة أكثر مرونة، نظراً لأن إخضاع الأناجيل للدراسة لا يعني بالنسبة للمسيحيين إخضاعاً للتنزيل، حيث إن هذا الوحي المذكور آنفاً، أمرٌ متواصل عبر الروح القدس. لذا فإن الحوار يصبح غير متوازن، لأن المسيحيين، بهذا الاعتبار، ليسوا أهل كتاب.

• في لغة الإيمان، أليس من قبيل الحكمة الإلهية أن يتكلم الله من جديد للبشر بخطاب مناسب لكل حقبة؟ ولكن هذا لا يعني أن الله يمكن أن يتحدث لنا الآن أيضاً، بل يعني أن لنا الحق في أن نفهم ما يعرض علينا بصورة ملائمة لظروف عصرنا.

• ونحن في خواتيم القرن العشرين، من الملائم للجميع أن نتطرق ونواجه موضوع الدين من وجهات نظرٍ أخرى^(٢).

إن الفارق بين القرآن العظيم، والأناجيل التي بأيدي النصارى، ليست فقط لكون النصارى لا يعدون نقدها إخضاعاً للتنزيل، وإنما لأن القرآن باقٍ على أصله الرباني، كلام الله الذي تكفل بحفظه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت].

وها هي ذي الأناجيل التي أخضعت لمتطلبات ومعايير المنهجية الحديثة، قد تكشف عن تناقضات ومعارضات للعقل والفترة، تؤكد امتداد أيدي العبث والتحريف إليها، ومع ذلك لا يزال النصارى على معتقداتهم الشركية العتيقة. ولو كان هؤلاء المتطاولون يجدون منفذاً

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الثاني رقم (٩) (٩٩١).

(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٥٥).

صالحاً للطعن في القرآن العظيم، لما انتظروا أن يؤذن لهم، ولكنَّ سهامهم تتكسر أمام منعة القرآن وعزته، وصلاحيته لكل زمان ومكان وأمة.

وأخيراً فما حاجة هؤلاء إلى الإلحاح على المطالبة بالنقد، وهم يمنحون أنفسهم الحق في فهم ما يشتهون بصورة ملائمة لظروف العصر كما يزعمون؟

١٠ - خابيير بيكازا إبروندو^(١) Javier Pikaza Ibarrondo :

• (بالنسبة لمحمد، فإن عيسى هو الإنسان الذي وصل إلى الغاية ونهاية الشيء. الإنسان الذي فيه يجري التعبير عن كلمة الله وروحه، لكن في حياته، فإن من يتكلم هو الإله الذي يحقق المعجزات. فعيسى إذاً ليس إلا إنساناً لا غير.

• بالتأكيد، فإن عيسى بالنسبة لمحمد يمثل حدثاً غير عادي، لحظة جوهرية لتواجد الإله في العالم، على نحوٍ يمكن لنا معه أن نأخذه على محمل وجود بشري للروح الإلهية..

• هنالك فقط حيث رسالة العدالة النبوية لمحمد، مع ظهور جماعة من المؤمنين «الخاضعين أو المسلمين لله»، تأتي موازية لخطبة الجبل التي ألقاها عيسى، بحيث يُخصَّب كلاهما الآخر في احترام أكيد. وهنا يمكن أن يوجد بهذا المعنى حوار ديني توحيدي... واليوم يمكن أن يحدث الشيء نفسه: هنالك فقط حيث نجد المشروع اليسوعي

(١) ولد في أورويسكو من بلاد الباسك - إسبانيا - عام ١٩٤١م، ودرس اللاهوت في مقاطعة سلمنقة، والفلسفة والكتابات المقدسة في روما. وعلى مدى اثني عشر عاماً درس في جامعة اللاهوت في سلمنقة، كأستاذ كرسي لتاريخ الأديان ونظرية العدالة الإلهية. ويتولى حالياً تكوين الطلاب التابعين لجمعية الرحمة في سلمنقة. ومن مؤلفاته: التجربة الدينية المسيحية ط ١٩٨١م، كلمة المحبة ط ١٩٨٢م، سر الإله ط ١٩٩٠م. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٦٩).

غير العنيف «المحبة المجانية المُحوّلة» لعيسى ، يعود ليحتل مكانه في مركز الحوار. وبذلك يمكن أن يكون هناك لقاءً أو افتراق بين المسيحيين والمسلمين.

• بالنسبة لمحمد، فإن عيسى قبل أي شيء هو «عبد الله»... ومن المؤكد أنه نبي ورسول الله... بل وأكثر من ذلك، فاستناداً على عناصر من العُرف المسيحي، قدّم محمدٌ عيسى على أساس أنه «كلمة» و«روح»، تأتيان من جانب الله...^(١).

إن مكنم الخطر في هذا الضرب من النصارى الذين يُبدون التعاطف والموضوعية مع المسلمين، هو تسريب عقائدهم في خضم صياغتهم لمفهوم العقيدة الإسلامية، ضمن المشروع اليسوعي غير العنيف، فقد تقول هذا الكاتب على نبينا ﷺ ما لم يقله، بل ما جاء بنفيه ومنعه، من دعوى ألوهية المسيح، كما في الفقرة الثانية.

١١ - جواد نوربخش^(٢):

• (في رأينا، «ابن الله» تعني أن عيسى هو الابن الروحي للإله، على النحو نفسه الذي يكون كل «المحبين» لله هم أبناءه الروحيون.

• في رأينا، قد يكون من الأفضل أن تترك الديانات المختلفة الشعوذات جانباً، وبعد أن تحطم أصنامها المعبودة، تقبل أن الإله هو «الوجود المطلق»، وأنه لا يوجد كائن ما سواه.

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٦٩).

(٢) ولد في كرمان - إيران - طبيب نفساني. أستاذ ومدير قسم علم النفس بجامعة طهران حالياً. هو قطب للجماعة الصوفية «نعمة الله» منذ عام ١٩٥٣م. وقد تأسست هذه الجمعية في إيران في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي على يد الشاة نعمة الله والي، ومن معلمي الصوفية. من مؤلفاته: في فردوس المتصوفين؛ في الحانة، سبع مقالات حول الصوفية، عيسى في نظر المتصوفة، منتخبات من نصوص صوفية حول عيسى، علم النفس الصوفي. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٩١).

• للأسف، الناس عابدو أصنام، والموجهون الدينيون يستخدمون عبادة الأصنام هذه عند الناس بغية بلوغ طموحاتهم، ورغباتهم، ومناصب، وتحسين ظروف معاشهم.

لذا فإنه في الصوفية، كلما كان الإنسان متواضعاً، وبدون أل «أنا»، زادت صوفيته. لذا فإن معلمي الصوفية كانوا يشيرون إلى أنفسهم بـ «النكرة، ابن النكرة».

• ينبغي أن تتركز كل محاولة للزعماء الدينيين على التربية، وترسيخ قوة المحبة والشفقة عند مريديهم^(١).

لم تزل الصوفية محضناً لوحدة الأديان، يجد دعايتها فيها ملجئاً ومغاراتٍ ومدخلاً لكفرياتهم منذ قديم الزمان. وها هو هذا الصوفي الوجودي المحترق، يجاهر بمذهب أهل الاتحاد والفلاسفة الدهرية، أتباع أرسطو والفارابي^(٢) وابن سينا، من فلاسفة الإغريق والعجم، القائلين إن الله (هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق)^(٣) وزنادقة الصوفية من أهل وحدة الوجود الذين لا يشبتون وجوداً سواه^(٤). ولهم في المسيح ﷺ غلو وإطراء يضاهنون به قول النصارى. بل كفرهم أعظم من كفر النصارى. لأن النصارى قالوا بالحلول الخاص وهؤلاء عموا به جميع المخلوقات.

(١) من أنا في قولكم أنتم (١٩١).

(٢) محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر، الفارابي. ولد في «فاراب» سنة ٢٦٠هـ. وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، ورحل إلى الشام ومصر. واشتهر بالفلسفة حتى سمي: «المعلم الثاني». من كتبه: الفصوص، وإحصاء العلوم، وغيرها. توفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ. انظر: الأعلام (٢٠/٧)، وفيات الأعيان (٧٦/٢)، البداية والنهاية (٢٢٤/١١).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (٢٧٣/٢).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٥١٦/٣ - ٥٤٦).

١٢ - نور الدين ريسوني^(١):

• (إن الفقرات القرآنية التي تتحدث عن عيسى، أو التي تشير إليه، ليست نافية بل هي مؤكدة. فالرفض يتطلب نفي حقيقة ما. والقرآن لا يرفض أي حقيقة. بل على العكس فإنه يعرض صفات هذه الحقيقة المتعلقة بعيسى. فالقرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله، بل يعلن ويشهد أن عيسى إنسان، وابن امرأة، ونبي، ورسول من الله.

• نعتقد أنه حتى اللحظة الحالية، أننا لم نصل ولا حتى إلى البدء في حوار إسلامي مسيحي حقيقي وصادق. ذلك لأن جميع النقاط المطروحة للتناقش تدور حول أمور تقلق المسيحيين بل بالأحرى، المسيحيين المعتقددين في الثالوث وحسب. على أن هذا لا يمنع التعاون في مشروعات محددة ومعينة، من أجل رفع مكانة الإنسان بين المسلمين والمسيحيين. وهذه مهمة تبدو لا غنى عنها، بل وإلزامية وعاجلة^(٢).

إن مسلماً يعي إسلامه لا يمكن أن تصدر عنه هذه الجملة: «القرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله»، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهو القائل سبحانه: ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿وَلَمْ يَخْذْ وَلَداً﴾ [الفرقان: ٢]. وأكفر اليهود والنصارى بدعوى البتة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤَفَّكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. فإذا كان الحوار الإسلامي المسيحي الحقيقي والصادق، كما ينشد الكاتب،

(١) ولد في تطوان - المغرب - عام ١٩٣٦م. حصل على الإجازة في العلوم الاقتصادية، مشارك في مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي. من أنا في قولكم أنتم؟ (١٩٧)

(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٩٧).

يستلزم عدم إقلاق النصارى، بل إرضاءهم، بأن القرآن لا ينفي أن يكون عيسى ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فليبحث له عن اسم آخر، لا يكون الإسلام طرفاً فيه.

١٣ - مونسينور بيبير كلافري^(١):

أشار غاليندو إلى أن أسقف وهران - الجزائر، المذكور، كان قد وافق على المشاركة في أعمال هذا المؤتمر، قائلاً: (ببالغ السرور أقبل المشاركة في هذا المؤتمر الثالث بالمراسلة. سأحاول أن آخذ على عاتقي هذا التحدي الذي تضعونه أمامي، من أجل صالحنا، وكذلك من أجل تفهم أفضل متبادل: . ويتابع غاليندو: (لكن ليس الجميع في الجزائر يعمل من أجل هذا التفهم الأفضل. ففي الأول من أغسطس ١٩٩٦م حصد اغتيال أقيم حياته. لقد قرروا بصورة وحشية إسكات صوته. لكن رسالته من أجل الحب حتى آخر رمق في سبيل شعبه، رسالته من أجل احترام الاختلافات والتضحية، كي يتعارف البشر كإخوة، فوق كل السياسات والثقافات والأديان، لا تزال حية)^(٢).

وقد استعاض غاليندو عن ذلك، بناءً على مشورة المونسينور هنري تيسير، كبير أساقفة الجزائر^(٣)، ببيان حرره كلافري وسائر أساقفة المغرب - شمال إفريقيا -.

خلاصة وتحليل:

لقد كانت الجولة الأولى من محاولات، أو بالأحرى، مناورات، غاليندو تهدف إلى نقد تجربة الحوار الإسلامي النصراني، بصفتها السائدة حتى نهاية الثمانينيات الميلادية، لإغراقها في الشكليات

(١) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (٥) (٩٥٩).

(٢) من أنا في قولكم أنتم (٢٠٩).

(٣) تقدمت ترجمته في أعمال المؤتمر الأول رقم (١) (٩٥٥).

والمجاملات التي لم تثمر سوى خبرةً في المداراة، وتحاشت الموضوعات الأساسية والعميقة التي تفصل بين الراغبين في التقارب خشية أن ينقطع الخيط الرقيق الممدود بين الجانبين، ومن ثم انصبت أعمال المؤتمر الأول على ذكر العقبات الحقيقية، وتوصيف الشروط الضرورية من الناحية الفنية فحسب، لإجراء حوار حقيقي. ودعا غاليندو إلى مطلبه الثلاثي: الانفتاح على ما هو عالمي، والانطلاق من النواة، والاعتراف بالتعددية. وكان من لوازم ذلك مواجهة المؤسسات الدينية التقليدية التي تحاول قمع التحرر، والتخلص من المطلقات، وإعطائها صفة نسبية.

وجاء المؤتمر الثاني تحت ستار البحث عن لغةٍ مشتركة، كخطوة أولى لترك القشرة، والدخول إلى اللب، أو الذهاب إلى الجذر. وكان هدفه الانعتاق من الإرث الإبراهيمي الذي تنتسب إليه الأديان الثلاثة، عن طريق الإجابة بالإيجاب أنه يمكن للمرء أن يكون مسلماً أو نصرانياً دون أن يكون من الناحية الدينية من أصل ساميٍّ، أي على ملة إبراهيم، ويمكن أن يكون كذلك أيضاً دون أن يكون من الناحية الثقافية عربياً أو أغريقياً، أي يعبر عن إيمانه بلغة تينك الثقافتين. وثمرة هذا الإنجاز أن تتسع دائرة الدين لتشمل سائر الوثنيات الآسيوية والأفريقية. فبالخلاص من «الإبراهيمية»، يتم التحرر من أسار «التوحيد»، وبالإستغناء عن الثقافة بالإغريقية والعربية، يتم التحلل من مدلولات الألفاظ والاصطلاحات العقدية التوفيقية المقننة، واستبدالها بعتادٍ لغوي جديد، يصبح لغةً عالمية تستوعب مختلف المقاصد.

وإلى هذا الحد يقف كثيرٌ من دعاة وحدة الأديان من أمثال جارودي. فقصارى ما يتمنون تصويب جميع الأوضاع الدينية والتقاليد والحكم - كما يسمونها - شريطة ألا تتضمن دعاوى الفوقية، ونزعة بسط السيطرة، والتشبث بأوضاع تاريخية وفقهية خاصة. ولكن غاليندو يذهب إلى أبعد من ذلك. فأين يريد؟!

إنه يسعى إلى وحدة دينية، على أساس ألوهية المسيح، وبنوته لله تعالى، لكن بصياغة جديدة، وطرح جديد! وهذه مقتطفات من سعيه:

(نعتقد أن جانباً كبيراً من المشكلة إنما ينشأ من ظاهرة محددة، وهي الانتقال بصورة لا يمكن تجنبها تاريخياً، بالتعبير المسيحي لمفهوم العقيدة، انطلاقاً من عقلية وثقافة ساميتين إلى عقلية وثقافة إغريقية لاتينية، وهي في نفس الوقت بعيدة كل البعد عن الفكر الإسلامي. وهو الأمر الذي اعتدنا تسميته: «ثمن الوساطة الثقافية»... واليوم، كالأمس علينا أن ندفع ثمن الوساطة الثقافية للحضارة التقنية، ذات الأبعاد العالمية، التي تدعونا نحن وهم لاخترام التعددية في الآراء تجاه شخصية عيسى الناصري... إن ضرورة تنفيذ هذه الوساطة الثقافية في عالمنا المعاصر بالنظر لعيسى الناصري، ابن الله، هو ما تريد كريسلام أن تشير في هذا المؤتمر الثالث... كان بداخل هؤلاء المفكرين والمؤمنين رغبة سرية، وغير مفصح عنها لإجراء طرح جديد لعيسى ابن الإله. ويقول ذلك بكل دقة وإصابة غوثاليث فاوس: «... إن صيغ العقيدة بشأن ظاهرة يسوع قد جرى التعبير عنها بأمور صارت صلاحيتها في عالم اليوم أمراً مشكوكاً فيه)... نلمس رغبة عميقة في إطلاق النفس والتحرر، ليس من الأرثوذكسية الضرورية، بل من عبادة صنم الأرثوذكسية التي تلهب ظهورنا، عن طريق دراسة جادة ومتجددة تجعلنا نربط بين سر عيسى، ودرجات العقل التي تسود ثقافتنا المعاصرة، نظراً لأن التوازن الثقافي والروحي لظاهرة اليسوعية الناجمة عن القوالب الإغريقية، وعن الثقافة الغربية العتيقة، قد انفصمت عراها بفضل الحضارة التقنية المنتشرة في جميع أنحاء العالم... يقول فرايخور: «كل حقبة تحتاج بصورة ملحة أن تقول لنفسها من هو عيسى بالنسبة إليها. فليس يكفي أن نكرر الصياغات العقيدية التي اعتدناها في قرون خلت»... وهذا ما يفعله المسيحيون، فإنهم لا يرفضون ماضي

المجامع المسكونية واللاهوتية، بل إنهم يحاولون صياغة هذه العقيدة نفسها داخل تفهماتنا وثقافتنا المعاصرة^(١).

وصدق من سماهم «ضالين» فبينما يقول المرء قد رَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ [الأنبياء]، إذا بهم قد نكسوا على رؤوسهم، وعادوا لما نهوا عنه! لقد نزل غاليندو بثقله في مؤتمره الثالث، الذي جعل محوره ماهية عيسى ﷺ ليغوص بحثاً عن «السر»، وتلفه دوامة «البؤرة» ليقع فيها، وَيَعْصُ بِأَصْلِ «الجذر»، وينخني فيه، على حد تعبيراته الباطنية.

(هذه الصفحات ليست سوى أن تكون عملية تقريبية للتعريف بالوهية عيسى. وينبض تحت كثير من هذه السطور الصدى الحقيقي لما أقر به ابن عربي، المعلم العالمي المولود بمرسية، والذي يوجز لنا أفضل إيجاز الهدف من وراء هذا المؤتمر: «من يقع مريضاً في عيسى لا يبرأ أبداً» الهدف، وكذلك المنهجية: فبدلاً من طريق العقيدة والمذهب، هناك طريق التجربة، وما تستلزمه الحياة... إن أولئك الذين دخلوا في تجربة ابن عربي نحو عيسى، يعرفون بنور واضح كالنيران أن المطلق الوحيد هو الرب. وفي ظله الأموي - نسبة للأُم - الذي نشعر به، ونقبله، كما نتعلم نحن البشر كيف نتفهم بعضنا بعضاً. إن الشيء الأمثل الذي يمكن لنا أن نفعله نحن معشر الباحثين عن الرب، لن يكون عن طريق التناقش فيما بيننا حول نظريات متحجرة وعقائدية، ولا عن طريق مقابلة عقائد هي جد فقيرة، وتكاد أن تكون خاوية حين يتعلق الأمر بالسر، بل أن نضع جنباً إلى جنب خبراتنا بالإله. وربما بعد ذلك لا يصير للكلمات معنى، وتنغرس فينا بعمق هذه الصرخة الحارقة لتجربتنا، كعلامة انتماثنا لنفس إله واحد^(٢).

(١) من أنا في قولكم أنتم (٨ - ١٢).

(٢) من أنا في قولكم أنتم (١٣).

هذه نهاية المطاف مع غاليندو نحو الجذر. إنه اعتقاد ألوهية المسيح وأنه ابن الله، والعيش في ذلك عن طريق التجربة، التي يسميها أولياؤه من أهل وحدة الوجود الذوق. فلا عجب أن تهوي قلوب بعضهم إلى بعض، فإن ما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف. وجدير بالذكر أن غاليندو أثبت آيات ابن عربي المشهورة في وحدة الأديان^(١) باللغة العربية على الغلاف الخلفي لكل واحد من كتبه الثلاثة في الحوار الإسلامي - النصراني. وحين سأله عن سر ذلك قال:

(إنني أعتقد أن هذا النص هو أفتح وأوسع نص في الإسلام يتقبل الآخرين. فقلت له: ماذا عن التقاليد الأخرى كالهندوسية والبوذية، وغيرهما. فأجاب: (على مقتضى الفهم الصوفي، الأمر يتسع للجميع. ونحن في كريسلام لم نرفض أحداً، ولكن الجهود القائمة حالياً بين المسلمين والمسيحيين.

قلت: وماذا عن اليهود؟ لم يرد لهم ذكراً!

فأجاب: لقد أجلنا الحديث مع اليهود حتى يتبين موقفهم من القضية الفلسطينية^(٢).

قلت: لكن هذا خلط بين السياسي والفكري!

فأجاب: نحن لم نرفضهم، وهم لم يأتوا إلينا.

قلت: هل تقصدون الوصول إلى نوع من الدين الموحد من الإسلام والنصرانية؟

(١) التي مطلعها: لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي... الخ وقد تقدم ذكرها.
(٢) ترى أي موقف ينتظره غاليندو لليهود من القضية الفلسطينية بعد نصف قرن من الاحتلال والإذلال والتشريد وتدنيس المقدسات... الخ؟ أم هو الصلح المزعوم الذي احتضنته بلاده في ذكرى سقوط غرناطة؟

فأجاب: علينا أن نمضي في طرح الآراء والفهم المتبادل، ثم نصل إلى ما يقودنا إليه البحث^(١).

والحق الذي لا مرية فيه، أن غاليندو قد حزم أمره، وبيّت النية، بعد أن وقع مريضاً في عيسى، وراح يستدرج أهل الإسلام إلى بيئته الموبوءة، ومؤتمراته المأفونة، وقد نهى ﷺ أن يُورَد المُمْرِض على المُصِحِّ^(٢).

وصدق الله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].



(١) جرت هذه المحادثة في مكتبه في (أدارك - نيومبا) بمدريد يوم الأربعاء ٤/٥/١٤١٩هـ.

(٢) صحيح البخاري (٣١/٧)، صحيح مسلم (١٧٤٣/٤، ١٧٤٤).

المبحث الثالث

محاولات «صن مون» لتوحيد الأديان

تعصف بالعالم النصراني منذ بضعة عقود ظاهرة «المذاهب الدينية الجديدة»، خصوصاً في أمريكا وأوروبا، في دلالة واضحة على حالة القلق والملل والفاقة التي تجثم على الضمير الإنساني من جراء الطغيان المادي، والفكر الإلحادي، الذي ساد في هذه الفترة، وعجز المؤسسات النصرانية الطبيعي عن سد تلك الفاقة، وإطفاء العطش الفطري نحو الإيمان الصحيح الذي تستريح إليه النفوس، وتطمئن به القلوب.

فمن ثم نشأت مذاهب شتى بعضها من داخل الفكر الديني النصراني، وبعضها وافدٌ مع «الطيور المهاجرة» من الشرق الوثني، حيث باضت وفرّخت وبنّت أعشاشها في ذلك الخواء الروحي المتهيء لتلقف ما هبَّ ودبَّ من الأفكار التافهة، والعقائد المنحطة بغية العثور على غذاء الروح.

ويصف د. محمد هلال هذه الظاهرة وتوجهاتها العامة بقوله:

(تنتشر المذاهب الدينية الجديدة في أوروبا وأمريكا بشكل ملفتٍ للنظر، وهناك منها ما يناسب كل الأذواق والميول. وعلى سبيل المثال سيجد الشباب الحائر المتلهف للمطلق، مذاهب مثل: «أبناء الله»، أو «الثورة للمسيح». أما المتعطشون للخوارق فستغريهم المذاهب الشفائية مثل «القلوب الثلاثة المقدسة». ومريدو الإخفائية سيتوجهون نحو الروحانية والتنجيم والسحر. أما العقلانيون فستقنعهم المذاهب العلمية مثل «العلم المسيحي»، و«علم العلوم». والمغرمون بالشرق ستجذبهم

المذاهب الباطنية مثل «التأمل المتسامي»، و«يقظة كرشنا»، و«الجورو مهراجي»، و«السوكاجاكي»، و«البوذية التأملية». بينما يتجه القلقون إلى المذاهب الألفية المبشرة بقرب عودة المسيح، مثل «المورمون»^(١) و«الإدفتست»^(٢) و«شهود يهوه»^{(٣)(٤)}.

ومن بين هذا الركام من العقائد والنحل، وجدت «المونية» Moonism التي تنسب إلى مؤسسها الملياردير «صن مون»، لتلبي نزعة تراود الكثير من أدعياء التدين، نحو توحيد الأديان.

إننا أمام محاولة متطرفة تسعى لا إلى تقارب الأديان، ولا إلى تعايش الأديان، بل نحو دمج الأديان وتوحيدها ضمن إطار فكري ساقط متهافت، توحى به شياطين الإنس والجن، وتسندة بلايين الدولارات.

(١) المورمون Mormons أو: كنيسة المسيح لليوم الأخير: فرقة دينية أسسها ١٨٣٠ جوزف سميث في نيويورك، بروتستانتية، ومركزها الرئيسي مدينة «سولت ليك». تركز معتقداتهم على الكتاب المقدس، وكتاب المورمون، ورؤى سميث، كما وردت في كتابي «العقائد والمواعيد» و«الدرة الثمينة». وتشكل الكنيسة من اثني عشر رسولاً. وتتميز بأهمية الكشف، والتشديد على فصل الحياة الروحية عن الزمنية. وقد أباحت الطائفة في طور من أطوارها تعدد الزوجات. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٤٩١).

(٢) جماعة تضم طوائف دينية متقاربة. تركز عقيدتهم المميّزة على الاعتقاد بمجيء المسيح الثاني. ويعتمد الإدفتست على تعاليم وليم ميلر (١٧٨٢ - ١٨٤٩م)، الذي كان قد تنبأ بأن نهاية العالم ستكون في ١٨٤٣، ثم غير رأيه إلى ١٨٤٤م، ثم قرر أتباعه أن زمن رجوع المسيح غير محدد، عندما تحصل قيامة الأموات ويبدأ العصر الألفي! وهم يقدسون يوم السبت، ولهم نشاط تنصيري واسع النطاق. وقد انقسموا إلى عدة جماعات. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١٠٠).

(٣) شهود يهوه: فرقة أسسها في الولايات المتحدة تشارلس روسل عام ١٨٧٤م. لا يؤمنون بالثالوث، ولا بالمسيح إلهاً، بل شاهداً أسمى ليهوه.

(٤) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٥٣ - ٥٤).

أولاً: السيرة الذاتية لـ «صن مون»:

■ ولد في كوريا الشمالية عام ١٩٢٠م لعائلة تنتمي إلى «المذهب الكالفني»^(١) البروتستانتي. وكان اسمه حينذاك «يونغ ميونغ مون»، ثم تغير لاحقاً إلى: «صن ميونغ مون» وهو الذي اشتهر به. ثم سبق به «ريفيراند» أخيراً.

■ درس «الهندسة الكهربائية» في اليابان، ورجع إلى بلاده عام ١٩٤٥م.

■ التحق عام ١٩٤٦م بمجموعة دينية في العاصمة «سيئول»، وأمضى معها ستة أشهر في «دير إسرائيل». كوّن فيها أفكاره الأساسية.

■ اعتقله الشيوعيون في كوريا الشمالية بسبب الإخلال بالنظام العام، والقيام بممارسات جنسية إباحية، وأطلقت سراحه قوات الأمم المتحدة عام ١٩٥٠م، واعتقل ثانية في كوريا الجنوبية بسبب «الزنا»، ثم اعتقل ثالثة عام ١٩٥٥م، بسبب ممارسة طقوس جنسية، وكان قد طلق زوجاته الأربع.

■ أسس في مطلع الخمسينيات «كنيسة توحيد النصرانية العالمية» في كوريا، ونشر كتابه «المبادئ الإلهية» عام ١٩٥٧م، ونال اعتراف السلطات الكورية الجنوبية بكنيسته عام ١٩٦٣م.

■ شرع منذ عام ١٩٦٥م في نشر دعوته عالمياً عن طريق المحاضرات، ولاقى نجاحاً في الولايات المتحدة الأمريكية، مع تنامي ثروته المالية الهائلة، ثم انتقل فعلياً إليها عام ١٩٧٣م، وعرف بموقفه

(١) نسبة إلى كالفن (يوحنا) Calvin (١٥٠٩ - ١٥٦٤م). «إصلاح فرنسي». نشر في فرنسا وسويسرا مذهباً حمل اسمه. أنشأ في جنيف حكومة ثيوقراطية. له كتاب: «الأسس المسيحية». جعل منه أكبر لاهوتي عرفه «الإصلاح». المنجد في الأعلام (٥٩٢).

المؤيد للرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» في فضيحة «ووترجيت» الشهيرة، ثم بدعم البرنامج السياسي للرئيس رونالد ريغان في أمريكا الوسطى.

■ في عام ١٩٧٥م تقدم بطلب انضمام كنيسته لمجلس كنائس مدينة نيويورك الذي يضم ١٧٠٠ كنيسة بروتستانتية وأرثوذكسية، فقبل طلبه بالرفض.

وتعد المرة الأولى التي يرفض فيها المجلس طلب انضمام منذ تأسيسه قبل ثلاث وثلاثين سنة.

■ سجن لمدة سنة ونصف في السجن الفدرالي في كنتيكت Connecticut عام ١٩٨٢م، حين قامت الهيئة الفدرالية لضريبة الدخل في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار الحركة المونية شركة تجارية، وليست منظمة دينية، بحيث ألغت حق الإعفاء من الضريبة الخاص بالحركة الدينية، وأدين «مون» بتهمة التهرب من دفع الضرائب البالغة ١٦٢ ألف دولار، للفترة من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٨٥م. ولكن مون وأتباعه استغلوا هذا الحدث بوصفه «اضطهاداً دينياً» يستدرون به عطف رجال الدين والمجتمع، فتظاهر ١٧٠٠ من المعجبين به فيهم اثنا عشر قسيساً أمريكياً، للمطالبة بالإفراج عنه، فخفف الحكم بذريعة حسن السيرة والسلوك.

■ قام عام ١٩٨٣م بجولة أوربية لنشر دعوته، ولكنه لم يقابل بترحاب، ورفضت سلطات بون - ألمانيا الغربية - استقباله، بوصفه «شخص غير مرغوب فيه».

■ رفضت حكومة كوريا الجنوبية إقامة كنيسة لأتباع مون قرب البرلمان في سيئول، ووافقت على إقامتها على بعد ثلاثين ميلاً خارج العاصمة.

■ يملك مون ثروة هائلة من العقارات والشركات والمؤسسات في شتى أنحاء العالم منها: فندق New Yorker في «مانهاتن»، وشركة للنشر تسمى Paragon House، بالإضافة إلى أراضي ذات قيمة عالية في كوريا الجنوبية، وأمريكا الجنوبية، ومئات المطاعم ومحلات بيع المجوهرات، كما أسس جريدة «الواشنطن تايمز» التي يقرؤها خمسة وسبعون ألف قارئ. ويعيش مون حياة بذخ وثراء، رغم أنه يشيع عكس ذلك.

■ يقدر أتباع مون بحوالي مليونين إلى ثلاثة ملايين شخص، منتشرين في مائة وعشرين دولة؛ معظمهم في كوريا، واليابان، والولايات المتحدة، بينما لا يزيد عددهم في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا على ألف شخص.

ويقوم أتباعه بالعمل مجاناً، وبدون تأمين اجتماعي في مؤسساته الصناعية والتجارية^(١).

ثانياً: مزاعم «صن مون» في سبيل «توحيد الأديان»:

لا يمكن أن نطلق على ما ادعاه «صن مون» من مزاعم «فكراً» يستحق المناقشة. فهو لا يعدو أن يكون دجلاً وزوراً من جنس ما يتقوله الأفاكون، والسحرة والمنجمون، والمتنبئون الكذابين، من دعاوى عريضة، ومخاريق مضحكة.

وسنقتصر فقط على ما له صلة بقضية «وحدة الأديان»، التي اتخذها «مون» عمدة لحركته ودعوته. فقد جاء في نص البيان الذي ألقاه مساعده، وأكبر معاونيه شانج هوان كواك، أمام ثلة من العلماء

(١) انظر: مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦٠ - ٦٧)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩١ - ٤٩٦)، جريدة المسلمون. الأعداد (٣٥ - ٣٨).

والمفكرين المسلمين في إسطنبول عام ١٩٨٥م ما يلي: (تلقى مون الوحي من المسيح سنة ١٩٣٦م، عندما كان في السادسة عشرة من عمره. وفي السنوات التالية تتبع التعاليم الروحانية المشتركة بين مؤسسي الأديان، ودرس عن الأنبياء والقادة الدينيين، أمثال: بوذا وموسى ومحمد وآخرين. ومن خلال هذه الخبرات التي اكتسبها تحقق من أن إرادة الله، والقيم الأساسية، هي التي تجمع بين الأديان والأمم، وتجعلها تعيش في سلام. إن البشرية قد خلقها إله واحد، عانى كثيراً حتى يوحد بجهوده بين الناس. وبطبيعة الحال لم يكن هذا التوحيد لا لون له. أنشأ الله الديانات عن طريق القادة الدينيين «القساوسة» و«الأنبياء»، هؤلاء من اختارهم وأمدهم بالحقيقة والحب. وتطورت الديانات في العالم، ومن خلال الرسل نشر الله أبناءه في كل مكان ليعكسوا بالطرق المختلفة، وبالكنايات، مثالياته الأساسية، ومصادر وأغراض الحياة البشرية، والاتجاهات التي توجه النفس البشرية)^(١).

■ وفي كتابه «المبادئ الإلهية» الذي نشره عام ١٩٥٧م، يقدم روايته الخاصة لـ «بدء الخلق»، ليرز دوره المميز في المسيرة الإنسانية، فيقول: (إن الملاك «لوسيفر»^(٢) تحول إلى الشيطان بسبب حسده لآدم، وأغرى حواء حتى جامعته ثم أفسدت آدم. ومنذ ذلك الحين فإن الشيطان يقاوم محاولات الله لإعادة الإنسانية إلى وضعها الأول، أي ما قبل الخطيئة، وعليه يكون التاريخ الإنساني هو تاريخ إخفاقات الله التي سببها الشيطان بخداعه للإنسان. ولكن هذه الحالة من الأمور سوف

(١) عن جريدة المسلمون. عدد (٣٥) السبت ٢١ محرم عام ١٤٠٦هـ ١١ أكتوبر عام ١٩٨٥م (٩).

(٢) لوسيفر Lucifer في عرف النصارى رئيس الشياطين، الملاك الساقط. انظر: المنجد في الأعلام (٦١٦).

تنتهي في زمننا هذا «الأزمان الأخيرة»، وسوف تقوم مملكة الله من جديد قريباً.

وكان الله بجعل الشعب اليهودي كشعب مختار، قد قام بمحاولة لإعادة الإنسانية إلى وضعها الأول، ولكن اليهود خانوا العهد. ومع ذلك فقد نقلوا وعد الله والأمل في الخلاص، ولكنهم لم يعترفوا برسالة عيسى المسيحانية. من ناحية أخرى، فإن عيسى اكتفى بالدعوة إلى الخلاص الروحي، وحيث إنه لم يتزوج، فإنه لم يستطع تأسيس «شعب مختار» جديد، وهو الذي كان سيسمح بالوجود المتصل لله في التاريخ الإنساني.

وهكذا تعتبر مهمة عيسى قد فشلت بصلبه. وعليه فإن الخالق قد قام بعملية إحياء جديدة للإنسانية، حيث في نهاية الزمن أرسل رسوله ليحل المسائل الأساسية للحياة والكون، واسم هذا الرسول «صن ميونغ مون»^(١).

■ وكسائر الدجالين والمشعوذين يقحم أموره الشخصية في منظومته الدينية، فيجعل من زواجه بزوجه الخامسة «هن هاك جا» عام ١٩٦٠م تأويلاً لعرس الحَمَل^(٢). ويلقب زوجته بـ «أم الكون» أو «الأم الحقيقية»، ونفسه بـ «أب الإنسانية الجديدة»، وأطفالهما بـ «الأطفال بلا دَنَس»، وعائلتهما النواة الأولى أو الخلية الأساسية للعائلة الموحدة^(٣).

(١) عن مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦١ - ٦٢).

(٢) جاء في سفر رؤيا يوحنا من العهد الجديد: (النفرح ونبتيج ولنمجد الله، فقد حان عرس الحَمَل. وعروسه قد تزينت، وخُولت أن تلبس كتاناً براقاً خالصاً. فإن الكتان الناعم هو أعمال البر التي يقوم بها القديسون. وقال لي الملاك: اكتب: طوبى للمدعوين إلى وليمة عرس الحَمَل). رؤيا يوحنا (١٩/٧ - ٩).

(٣) انظر مفاهيم معاصرة (٦١، ٦٢، ٦٣).

■ جاء في القانون الأساسي لحركة «مون» المنقح سنة ١٩٨٤م ما نصه: (إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إله واحد، بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية والوطنية والقومية والاجتماعية)^(١).

■ ومن مخاريق «مون» زعمه أن الله قد اصطفى شعباً مختاراً جديداً هو الشعب الكوري، وأرض ميعادٍ جديدة هي كوريا. (ولذلك جاءت حملة مون ضد الشيوعية، ويهدف التوحيد النهائي للكونيتين. وجاء تقدير «مون» لدور الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة العالمية)^(٢).

■ اعتمد «صن مون» في تفعيل حركته على عنصري السياسة والاقتصاد. فأقام علاقاتٍ واسعة مع العناصر المؤثرة في المجالات السياسية والعسكرية في بعض دول آسيا وأمريكا الجنوبية، كما أسس مشاريع استثمارية عملاقة من التبرعات التي يبذلها مؤيدوه بسخاء، سيما حين كان يرفع شعار محاربة الشيوعية. وقال: (علينا أن نحضن الوسط الديني بذرّاع، والوسط السياسي بالذراع الأخرى)^(٣).

■ يركز على أوساط الأكاديميين، ورجال الإعلام، ويستحوذ على الشباب بأساليب شبيهة بأساليب الباطنية^(٤).

ثالثاً: المحاولات العملية لـ «صن مون» لتوحيد الأديان:

سلك مون أسلوب العمل المؤسسي المنظم لنشر دعوته. فأسس في وقتٍ مبكر في مطلع الخمسينيات «الكنيسة الموحدة العالمية» أو «الكنيسة التوحيدية». وقد تفرع عنها بعد انتقاله للولايات المتحدة:

(١) عن: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٤٩٢).

(٢) مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام (٦٢).

(٣) المرجع السابق (٦٦).

(٤) انظر: جريدة المسلمون. عدد (٣٨) السبت ٢٢ صفر عام ١٤٠٦ هـ (٢).

«المؤسسة العالمية المتحدة للأديان» «IRF»، والتي تشرف بدورها على «المجلس العالمي للأديان» الذي نيظ به عقد المؤتمرات العالمية لتوحيد الأديان.

المجلس العالمي للأديان: Council For The World's Religions :

ويرأسه «صن مون»، ويشغل منصب مساعد رئيس المجلس شانج هوان كواك. ومن أبرز أعضائه: اليهودي فرانك كوفمان، والقس الكاثوليكي يوسف كلارك.

وقد جاء في مذكرة المجلس أن أهدافه تتلخص في:

- (المناداة بوحدة الإنسانية.
- منح الاحترام الواجب للتراث الإنساني المختلف.
- دعوة الناس من كل الأديان إلى نوع من الوحدة الروحانية، واحترام خصوصيات كل دين.
- تشجيع الفهم المتبادل، والتعاون بين ومع المعتقدات الدينية في العالم.
- معاونة هؤلاء المتطلعين إلى إيجاد تناسق وانسجام بين الأديان، والمساعدة في التعاون بين المنظمات الدينية.
- توسيع استخدام وجهات النظر الدينية في حل المشاكل الإنسانية العامة.
- الدفاع عن حقوق الإنسان، بما في ذلك حق حرية الاعتقاد الديني وممارسته.

- التأييد العلمي للطموحات الفردية الخاصة بالمعتقدات الدينية، عن طريق وضع برامج من شأنها تخفيف المعاناة، وتحسين حال البشرية^(١).

(١) انظر: جريدة المسلمون. عد (٣٥). السبت ٢١ محرم عام ١٤٠٦ هـ ١١ أكتوبر عام ١٩٨٥ م.

وهذه الأهداف الثمانية لا تحمل النص على نبوة «مون»، ورسالته المزعومة في توحيد الأديان، ولكنها تمهد الطريق للقيام بأنشطة متنوعة، ضمن أطر مقبولة عالمياً، ومن خلالها يتم تمرير دعوته والوصول إلى مواقع يتعذر بلوغها بالصفة الصريحة المنبوذة.

وقد منحت المؤسسة العالمية المتحدة للأديان IRF المجلس العالمي للأديان إمكانات مالية واسعة، وتعيين ممثلين من مختلف أديان العالم.

وقد عقد المجلس عدة مؤتمرات عالمية في أنحاء متفرقة من العالم بهدف توحيد الديانات في ذاتها، تمهيداً لتوحيدها جميعاً تحت راية المونية. فمن ذلك:

- ١ - مؤتمر توحيد اليهود. في سويسرا.
- ٢ - مؤتمر اتحاد العالم المسيحي. في إيطاليا.
- ٣ - مؤتمر البوذيين. في اليابان.
- ٤ - مؤتمر الهندوكية. في سيريلانكا.
- ٥ - مؤتمر: «اتحاد العالم الإسلامي»: وقد عقد في إستانبول - تركيا - في الفترة: ١٩ - ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٥م، بالتعاون مع كلية «الإلهيات» بجامعة مرمره، تحت شعار: (نحو فهم ووحدة العالم الإسلامي). وقد ضم هذا المؤتمر ثلاثة وعشرين مشاركاً؛ ستة عشر مسلماً، وخمسة مستشرقين، وممثلين عن المجلس، هما:
- ١ - القس الكاثوليكي يوسف كلارك. ٢ - المسؤول المالي والإداري للمؤتمر: اليهودي فرانك كوفمان. ومن المستشرقين البروفسور: بارنت بيرس، أستاذ ورئيس قسم الإعلام بجامعة ماساتشوست، والدكتور: جون إسبوزيتو، الأستاذ بقسم الدراسات الدينية بكلية الصليب المقدس بجامعة وورستر بالولايات المتحدة،

ومدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي التابع لجامعة جورج تاون.
ومن أبرز من استدرج لهذه «المصيصة» من العلماء والمفكرين
المسلمين - وللأسف :-

١ - الدكتور صلاح الدين المنجد. عضو المجمع العلمي في
بغداد والهند، والأستاذ بعدة جامعات عربية وأجنبية.
٢ - الدكتور كمال الهلباوي. الخبير في مجلس التعليم العربي
لدول الخليج.

٣ - الدكتور عبد الله جوب. مفتي البنجول في جامبيا.

٤ - الدكتور رفعت يوسالتين مفتي جمهورية قبرص وآخرون.

وقد أقيم المؤتمر في فندق طرابيا، أفخم فنادق البسفور، على
مقربة من القسطنطينية القديمة عاصمة الخلافة العثمانية. وكانت المفاجأة
المؤلمة أن ألقى شانج هوان كواك مساعد رئيس المجلس العالمي
للأديان، صن مون، وأكبر معاونيه بياناً مطولاً في اليوم السابق لإعلان
البيان الختامي، أعلن فيه على رؤوس الملاء أن صن مون يتلقى الوحي
من المسيح، وأنه أصبح نبياً. ثم دُعي الحاضرون إلى مأدبة فاخرة على
شرف كواك، ولم يمتنع عن الحضور سوى عالم مسلم واحد^(١).

وبعد:

فهذه محاولة «فردية» من محاولات توحيد الأديان انتدب لها أفاك
أثيم، نشأ في أحضان النصرانية البروتستانتية، واصطبغ بأحلامها
المسيحانية، وراح يداعب مشاعر التائهين الضالين من بني آدم، يعدهم
ويمنيهم، فتبعه الملايين، رغم تفاهة دعوته ودجلها البين، حتى إن
القارئ يظن نفسه أمام أسطورة تاريخية لماني، أو مزدك، أو طرقي

محترق في العصور المظلمة، وليس أمام حدث في النصف الأخير من القرن العشرين، يستعمل أحدث وسائل التقنية والإدارة لتنفيذ مخططاته الشيطانية.

ومما يزيد الأمر سوءاً، أن نجد بعض المنسوبين إلى العلم والفكر من المسلمين يسارعون في مثل هذه المحاولات المشبوهة، بل المكشوفة المفضوحة، دون روية، أو رادع من عقل، أو وازع من دين، حتى يُعلن بين ظهرانيهم دعوى نبوة كاذبة، في موقف خزي ومذلة، وقد علم كل مسلم أن محمداً ﷺ ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٩٣].



المبحث الرابع

محاولات الشيخ أحمد كفتارو للتقريب بين الأديان

لا يكاد الباحث - والله الحمد والمنة - يجد من علماء المسلمين الذين تبوأوا المناصب الدينية الشرعية الكبرى، كالإفتاء والمشيخة ورئاسة دور العلم العريقة، من اشتهر بالدعوة إلى تقارب الأديان، والسعي في سبيلها، اللهم إلا أن تكون هنات افتقرت إلى أناة، أو موقف ضعيف ومجاملة أملاه وضع رسمي، أو تأويل غير سائغ، أو رقة في الدين، والله على كل شيء وكيل.

وما ذاك إلا لأن العلم بـ ﴿إِنَّ الْذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَسَلُمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وأن محمداً ﷺ ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤]، من المعلوم من الدين بالضرورة. وأن ليس ثم في مجادلة أهل الكتاب بالتي أحسن، التي أرشد الله إليها بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] إلا ما دل عليه قوله: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ قَالُوا إِلَٰهَ كَلِمَةٍ سَوَّلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وما دل عليه هدي النبي ﷺ مع يهود المدينة، ونصارى نجران، ومكاتبة ملوك الأرض ودعوتهم إلى الإسلام. ثم ما سار عليه أصحابه وخلفاؤه، وأئمة المسلمين. وما سوى ذلك وسواس الشياطين، وسبيل الزنادقة الملحدين كإخوان الصفا، وأهل وحدة الوجود.

فكل ناشئ في الإسلام يعلم ذلك يقيناً، فكيف بمن آتاهم الله

الكتاب، وأخذ عليهم الميثاق ﴿لَتُبَيِّنُنَا لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وكيف بمن ولي للمسلمين ولاية شرعية عامة «كمفتي الديار» ونحوها، ممن يصدر عنه العامة، ويرجع إليه الكافة، من حملة العلم الشرعي، الموسومين بزي الصالحين، المرسومين بالألقاب الدينية؟! ولولا أن الشيخ أحمد كفتارو يجهر بالدعوة إلى هذا الأمر صراحةً، ويعدده محمداً تحتذى، ويعلن أنه يسعى جاهداً في هذا السبيل منذ أكثر من خمسين سنة ويجوب أقطار العالم النصراني داعياً إلى التقارب^(١)، لما أفردناه بالذكر والبحث، ولضربنا عن ذكره صفحاً، كآخرين ما بلغوا مبلغه.

أولاً: تعريف موجز، وسيرة ذاتية:

هو الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد أمين ابن الشيخ موسى الشهير بـ «كفتارو». ولد سنة (١٣٣٠هـ = ١٩١٢م)، وتلقى العلوم الشرعية، وعلوم الآلة على كبار علماء دمشق في زمانه. وسلك الطريقة «النقشبندية» الصوفية، فكان مريداً لشيخه ووالده، الذي أجازته بالوعظ والإرشاد العام، وما أجازته به شيوخه، زاعماً أن رسول الله ﷺ أمره أمراً صريحاً بذلك في رمضان عام ١٣٥٠هـ^(٢)!

وقد زاول التدريس والوعظ في مسجد أسلافه «جامع أبي النور»، معتمداً التربية الصوفية، مع قدر من الانفتاح الاجتماعي، والنزعة الإصلاحية. فكان أن أُلِّف جماعة باسم «جماعة الأنصار»، منذ عام ١٩٥١م ذات مقاصد اجتماعية وثقافية.

(١) وإنصافاً للشيخ سوف نعتمد على ما كتبه تلميذه د. محمد حسن الحمصي في عرض مواقفه ونقل كلامه.

(٢) زعم أحد مريديه (أنه وصل إلى حالٍ من السمو الروحي، كان يرى فيها النبي المصطفى ﷺ يقظة في كل وقت يتجه فيه بقوة روحه إلى روحانية النبي ﷺ).
الدعاة والدعوة الإسلامية المنطلقة من مساجد دمشق (٢٠٦/١).

ويتمتع الشيخ بقدرة خطابية، وأسلوب عاطفي مؤثر، وحركة دائبة. وقد أتاح له منصبه «مفتي سوريا» أن يطوف عشرات البلدان الإسلامية وغير الإسلامية^(١).

ثانياً: محاولاته العلمية والعملية للتقريب بين الأديان:

١ - محاولاته على الصعيد المحلي:

بدأ الشيخ أحمد كفتارو رحلة «التقارب الديني»، وعلى وجه الخصوص التقريب بين الإسلام والنصرانية، في مستهل شبابه، وفي فترة مبكرة من تاريخ سوريا الحديث، إثر استقلالها عن الانتداب الفرنسي عام ١٩٤٥م، بدوافع وطنية، وبهدف توحيد صفوف الأمة. وذلك عن طريق المحاضرات العامة، والأحاديث الإذاعية والمتلفزة - لاحقاً - وتحرير المقالات في الصحف. ولعله أول من أحدث في الإسلام عبارة: «إخواننا المسيحيين»^(٢)، مما أثار عليه سخط العامة والخاصة في تلك الفترة.

■ يقول تلميذه ومريده د. محمد حسن الحمصي: (اعتاد سماحته أن يلقي العديد من المحاضرات العامة - منذ أوائل عهد الاستقلال - ويطرح فيها مواضيع^(٣) تعمل على التقريب بين أبناء الديانتين الإسلامية والمسيحية. من ذلك المحاضرات التي ألقاها في تلك الفترة في مسجد «يلبغا»... تحت عنوان: «التعاون الإسلامي المسيحي، وهل يمكن أن

(١) انظر ترجمته فيما كتبه تلميذه د. محمد حسن الحمصي، وغلا فيه، في كتاب: (الدعاة والدعوة المنطلقة من مساجد دمشق) (١/٢٢٣ - ٢٤٥)، (٢/٩٠٧ - ٩١٧). ومعظم مادة هذين المجلدين تدور حوله.

(٢) انظر: مقالة (النصارى ليسوا إخواننا كما يقول بعضهم) للشيخ د. صالح الفوزان. مجلة الدعوة السعودية. عدد ١٦٩٣. عدد صفر ١٤٢٠هـ.

(٣) هكذا، والصواب «موضوعات».

يتغلب على الإلحاد»، وأخرى تحت عنوان «وحدة الأديان، والتآخي بين المسيحية والإسلام»، وغير ذلك من المواضيع التي تعمل على توحيد صفوف الأمة بمختلف طوائفها..

■ ونقل عن «مكتب الدراسات العربية السورية» في مطبوعاته لسنة ١٩٥١م، أن المذكور: «أخذ على عاتقه مهمة التفاهم مع الإخوان المسيحيين، والتوفيق بينهم وبين المسلمين»، وأنه ألقى - في هذا الصدد - محاضرات قيمة، أسماها «مصافحة المسيحية والإسلام في ظلال القرآن»... ومن هذا المنطلق المتعاون البناء، راح.. يعلن - خلال حديثه الإذاعي الديني - على رؤوس الأشهاد تهانيه للعالم المسيحي، في ذكرى ميلاد سيدنا عيسى^(١) ذاكراً نبذةً من تعاليمه...

وعندما استعمل... - خلال أحاديثه التلفزيونية التي اجتذبت الجميع - عبارة فيها من التهذيب اللفظي ما يزيل الجفوة بين المسلم والمسيحي، فكان يقول عند الحديث عنهم: «إخواننا المسيحيين» ثارت ثائرة أولئك، وشنوا عليه هجوماً عنيفاً^(٢). ومن نماذج دعوته للتقريب

(١) قال ابن القيم رحمته الله: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به، فحرامٌ بالاتفاق. مثل أن يهنتهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهناً بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنته بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل. فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة فقد تعرض لمقت الله وسخطه). أحكام أهل الذمة (١/٢٠٥ - ٢٠٦).

ومعلوم أن «عيد الميلاد» عند النصارى يجري فيه من إعلان الكفر العظيم من الثلاث، وتآليه عيسى، والقول ببنته، ما الله به عليم.

(٢) الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مسجد دمشق. (٢٣٧) حاشية (٤، ٥١٨، ٥٢٦). وعذر التلميذ أقبح من فعل الشيخ. فإن وصف الإخوة، =

بين الإسلام والنصرانية في محاضراته وأحاديثه ما يلي:

■ قال في محاضرة إذاعية أقيمت بتاريخ ١٦/٣/١٣٨٠هـ الموافق ٧/٩/١٩٦٠م بمناسبة «المولد النبوي»: (... أجد تقارباً، بل اتحاداً ووحدة تتمثل بين أبناء سيدنا عيسى، وأبناء سيدنا محمد.. أجد تجاوباً وتعاوناً صادقاً يتحقق بين أبناء الإنجيل وأبناء القرآن... فقرأ عينا - يا ربيعنا الأول - بما ترى وتشهد من مناظر المحبة والائتلاف، ودفن الضغائن والاختلاف... لقد صار - يا ربيع - ميلاد الرسولين الكريمين عيداً مقدساً عند المسلمين والمسيحيين^(١).

فهل وجد كفتارو أحداً من النصارى يقدس بدعته؟

■ وكتب في جريدة «الأيام» بتاريخ ١٥/٤/١٩٥٦م:

(الأديان كلها من مصدر واحد، وليتحاب أهل الأديان السماوية، ويناصر بعضهم بعضاً)^(٢).

= وصف شرعي، جعله الله رابطة إيمانية بين المسلمين كما قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿فَلْيَخَوَّضْكُمْ فِي الَّذِينَ وَوَلَّيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوا وَقَاتَلُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلْيَخَوَّضْكُمْ فِي الَّذِينَ وَتَفَضَّلْ الْأَيْدِي لِقَوْمٍ يَسْلُمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم... الحديث) متفق عليه. إلى غير ذلك من النصوص الصحيحة الصريحة. واعتذار الحمصي بأن هذا التجوز - أو كما يسميه التهذيب اللفظي - مما يزيل الجفوة، ينم عن جهل بأصول الإسلام. فإن المسلم لا يحل له أن يواد من حاد الله ورسوله، ولا يقع ذلك من مؤمن كما قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنَّا وَوَدَّعَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ مِمَّا يَشَاءُونَ وَاللَّهُ غَرِيبٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وأي محادة أعظم من ادعاء الولد لله، والإشراك في ربوبيته وألوهيته؟

(١) المرجع السابق (١/٥٢٧).

(٢) المرجع السابق (١/٥٢٩).

إن وحدة مصدر الأديان تقتضي أن يقبل أتباعها برسالة النبي الخاتم، ويصدقوها ويعملوا بشريعتها، كما أخذ الله بذلك الميثاق على أنبيائهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران] لا أن يستنكفوا عن اعتناق الإسلام ويستكبروا، فلا محبة إذاً ولا ولاية، وهذا من بدهيات الإسلام كما قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال في الولاية والمناصرة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وبالمقابل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال]. ونهى الله المؤمنين عن موالة الكافرين في غير ما موضع: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ نَفْسُكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة]. فهل خفيت هذه النصوص على المفتي العام؟

هذه نماذج من أقواله، وهو بين ظهرائي المسلمين، في أرض الشام المباركة، أما الأفعال، فضيغت على إباله^(١)، فلقاءات المجاملة والتهاني، والزيارات الودية المتبادلة مع بطارقة النصارى الشرقيين لا تنقطع، وعبارات الادهان، وتحريف الكلم عن مواضعه، تطغى على

(١) قال الميداني: (الإباله: الحزمة من الحطب. والضيغت قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس، ويرى: إباله. وبعضهم يقوله إباله مخففاً. وأنشد: لي كل يوم من ذؤالة ضيغت يزيد على إباله ومعنى المثل: بلية على أخرى). مجمع الأمثال. (١/٤٣٢).

تلك المناسبات. ومن أمثلة ذلك قوله مخاطباً البطريرك «تيودوريوس» أثناء حفل إفطار في رمضان، على مائدة رئيس الجمهورية الأسبق شكري القوتلي^(١) (١٩٥٥ - ١٩٥٨م): (متى نرى الوقت الذي يتم فيه التلاقي والتعاون؟؟ أما أن الوقت لكي ننبد الخصام؟؟ أما أن الوقت لتتلاقى على كلمة سواء!؟

وما كان من البطريرك الذي سمع هذه الدعوة المخلصة إلا أن هب من مقعده يصيح، نعم لقد آن الأوان.. آن الأوان. ومد يده لتلاقي يد فضيلة الشيخ، ويتصافحا عن بعد، وتهز اليد اليد، وسط تصفيق الجميع، وإعجاب الجميع^(٢).

نعم لقد آن الأوان للالتقاء على كلمة سواء بين المفتي والبطريرك، ولكنها ليست ﴿أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وإضافة إلى ذلك فقد تحول «جامع أبي النور» في دمشق إلى «مزار» يؤمه دعاة التقريب بين الأديان، وغير الأديان، من النصارى والبوذيين وأمثالهم. وإن كان الوضع السياسي للمنطقة لم يسمح بعد بوفود اليهود. وفي هذه الملتقيات التي تعقد في جامع أبي النور - ذي

(١) شكري القوتلي: (١٣٠٨ - ١٣٨٧هـ). شكري محمود عبد الغني القوتلي، أول زعيم وطني تولى رئاسة الجمهورية السورية. دمشقي المولد والأسرة. اشترك في جمعية «العربية الفتاة» السرية، لمقاومة جمعية «تركيا الفتاة»، واعتقل. وحكم عليه الفرنسيون إبان احتلالهم سوريا بالإعدام غيابياً. انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٤٣م. وفي عهده كان جلاء الفرنسيين عام ١٩٤٦م. دخل ببلاده في وحدة مع مصر عام ١٩٥٨م باسم «الجمهورية العربية المتحدة» متنازلاً باختياره عن الرئاسة. توفي في بيروت، ودفن في دمشق. له مجموعة خطب ومذكرات. انظر: الأعلام (١٧٣/٣).

(٢) المسجد المتحج. د. محمد حسن الحصري (٧٩).

الطوابق الثلاثة - ومرافقه، يزجي الشيخ بضاعته ويدعو بملء فيه إلى تقارب الأديان. وممن شد الرحل إلى مسجد أبي النور من أعيان غير المسلمين:

- الكاردينال فرنسيس كوينج، رئيس أساقفة النمسا. مطلع عام ١٩٧٨م.
- الكاردينال فرانسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان، عدة مرات.
- الأب الأمريكي، الكاتب.. «بيكر» مؤسس منظمة «الجماعة الكنسية المسيحية» عام ١٩٨٧م.
- وفد اتحاد الكنائس العالمي، الذي ضم ممثلين للكنائس الروسية والألمانية والبريطانية عام ١٩٨٨م.
- البروفسور اللاهوتي في جامعة هومبولت بألمانيا الديمقراطية كارل هايتس بيرنهارد. رئيس مؤتمر السلام المسيحي عام ١٩٨٦م.
- المستشرق الياباني «تيرو مينوزا» الأستاذ في جامعة طوكيو.
- المفكر الفرنسي «روجيه جارودي» عام ١٩٨٤م.
- الأسقف جورج كاري، رئيس أساقفة كنيسة كانتربري الإنكليكانية. عام ١٩٩٩م.

ب - محاولاته على الصعيد العالمي:

لعل أول «مشهد» يشهده الشيخ أحمد كفتارو على صعيد التقارب الإسلامي - النصراني العالمي، كان مؤتمر «القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية» المنعقد في ضاحية «بحمدون» في لبنان في شعبان ١٣٧٣هـ، الموافق إبريل ١٩٥٤م، وعاد علماء دمشق مثل الدكتور مصطفى السباعي، والشيخ محمد أمين الحسيني، مفتي فلسطين، بقاعة

تامة بعدم جدوى مثل هذه الملتقيات، وتبينوا الأغراض المبيتة من ورائها، وعاد الشيخ كفتارو بقناعة تامة في المضي في هذا السبيل، رغم الفشل الذريع الذي مُني به المؤتمر وملحقاته^(١).

■ وفي عام ١٩٥٩م زار عدداً من بلدان أوروبا الغربية وهي: سويسرا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا. (والتقى هناك بالعديد من المستشرقين والمهتمين بالدراسات الإسلامية، ورجال الدين المسيحي، وتبادل معهم وجهات النظر عن الإسلام)^(٢).

وكانت هذه الجولة المبكرة، قبل أن ترتفع نبرة التقارب التي أعقبت المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م)، وبعده لبي الشيخ النداء، فتالت سلسلة من رحلات التقارب إلى:

١ - الولايات المتحدة الأمريكية:

زار الولايات المتحدة الأمريكية بناءً على دعوة من رابطة جامعة البحيرات الكبرى، حيث ألقى فيها ما يزيد على أربع وأربعين محاضرة. كان من بينها: (تلاقي الأديان السماوية نحو هدفٍ واحد هو إيجاد الإنسان الفاضل السعيد)، (التعاون الإسلامي المسيحي)، (نداء النبي محمد للإخوان المسيحيين). كان «ضيف الشرف» في حفلة الاستقبال التي أقامتها تكريماً له، منظمة أصدقاء الشرق الأوسط^(٣). وفي «النادي الدولي»، بواشنطن، نادى النصارى قائلاً: (أيها الإخوة: هلا ترون أن حماية العالم والحضارة الإنسانية - في هذه الظروف المنذرة بالأخطار - تقضي علينا بأن ندرس تلاقي وتعاون الإسلام والمسيحية، وتآخي أبنائهما)^(٤).

(١) انظر: التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٠٨١).

(٢) الدعاة والدعوة (١/٥٤٦).

(٣) انظر: التعريف بها في الفصل الثاني من هذا الباب (١٠٧٩).

(٤) انظر: الدعوة والدعاة (١/٥٤٦، ٢/٦٤٩ - ٦٦٤).

وقد كان للشيخ عودة إلى أمريكا عام ١٩٩٠م للمشاركة في مؤتمر «مجمع الأديان العالمي» بمحاضرة بعنوان: (الإسلام والقرآن يمد يده لكل أبناء البشرية، وخصوصاً أهل الكتاب المقدس)، وأخرى بعنوان (الروحانية في القرن الواحد والعشرين) سوف نعرض لمضمونهما لاحقاً.

٢ - الاتحاد السوفيتي:

إثر زيارة رسمية قام بها الشيخ على رأس وفدٍ من علماء دمشق إلى الاتحاد السوفيتي، شملت بعض الجمهوريات الإسلامية الخاضعة للحكم الشيوعي إذ ذاك، والتقوا مع كبار المسؤولين السوفييت، جرى الاتفاق والتمهيد لعقد مؤتمر دولي ديني يراعى الشيوعيون. فكان مؤتمر «زاغورسك»^(١) قرب موسكو.

■ كما أقام علاقة متينة مع البطريرك الأرثوذكسي لموسكو، وعموم روسيا «بيمن». وعاد إلى موسكو عام ١٩٨١م، بدعوة من «معهد الاستشراق» لإلقاء محاضرة.

■ وفي العام التالي ١٩٨٢م، كان الشيخ كفتارو نائب رئيس «المؤتمر العالمي لرجال الأديان لتجنيب البشرية ويلات الحرب النووية»^(٢)، وألقى محاضرة بعنوان: (المبادئ الدينية والروحية السلمية للأديان العالمية، وواجبات علماء ورجال الأديان في سبيل منع الكارثة النووية). ثم كان عضواً بارزاً في لجنة دائمة تمخضت عن هذا المؤتمر المسيّس.

■ وفي أبريل عام ١٩٨٤م، شارك في مؤتمر «المائدة المستديرة من أجل السلام» المنعقد في موسكو، وألقى كلمة عن: «دور الأديان السماوية في تدعيم قضية السلام العالمي».

(١) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٣٠١).

(٢) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٣٠٢).

■ وفي يونيو من عام ١٩٨٦م، شارك في الاحتفال بمرور ألف سنة على وجود وإنشاء الكنيسة في روسيا!

■ وعلى مائدة الشيعي - غروميكو - رئيس مجلس الدولة في الكرملين، في تلك المناسبة، قال كفتارو بمحضر من جميع الوفود المشاركة: (منذ أربعين سنة وأنا أعمل على تلاقي الدينين الإسلامي والمسيحي، وإقامة جسور التعاون والتآخي بينهما.. وقد استطعت بجهدِي الشخصي أن أقرب بين هذين الدينين، في مؤتمرات عالمية عقدت لهذا الغرض... لقد استطعت خلال أربعين سنة - بالمحاضرات والمؤتمرات - أن أبني جسوراً للتعاون والتآخي بين أبناء الديانتين لم تكن موجودة من قبل. وما أنذا أ طرح عليكم السؤال، حول إمكانية إنشاء حوار آخر، بين العلم والعقل وبين الإيمان، بين العلم والدين، لعلنا بذلك نستطيع أن نقيم بينهما حلفاً، ليقفا معاً في خندق واحد، يقف أمام دعاة الحروب والاستعمار، لا ليتحقق السلام العالمي فقط، بل لتحقيق الأخوة العالمية)^(١).

أي شيء يخيل للشيخ كفتارو، ومريدوه، أنه يحققه للإسلام والمسلمين، وهو يطوف حول نصرانية محرفة، وشيوعية تُحتضر، ويسعى بين الكنيسة والكرملين؟!

وماذا حمل للبشرية الضالة، الشاردة عن عبادة ربها، من دعوة الإسلام سوى حجة الحضور الإسلامي، التي يستطيل النصاري والشيعيون برسمها على مسلمي الجمهوريات الإسلامية المقهورين؟! وهل تغيرت مقاصد الإسلام، وحكمة الخلق من ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات] إلى مجرد إقامة حلفٍ مع الشيوعيين لتحقيق الأخوة العالمية؟!

■ ولكنها ظلمات بعضها فوق بعض، ففي مؤتمر: (المنبر العالمي حول: البيئة والتطور من أجل البقاء الإنساني) المنعقد في موسكو عام ١٩٩٠م برعاية الأمم المتحدة، اختير الشيخ أحمد كفتارو رئيساً مشاركاً عن الروحانيين، ممثلاً لجميع الأديان، ليقول بملأ فيه: (جوهر أديان السماء كلها، وما جاءت به من شرائع إبراهيم وموسى والمسيح ومحمد وبوذا وغيرهم من الأنبياء والحكماء، ما هو إلا نقل الإنسان وتطويره من السيئ إلى الحسن، ثم إلى الأحسن، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الظلم إلى العدالة والتراحم والمحبة)^(١).

٣ - أوربا:

بعد عشرين سنة من جولته الأولى في عددٍ من البلدان الأوروبية عام ١٩٥٩م، عاود الشيخ أحمد كفتارو، بعد أن صار مفتياً عاماً لسوريا، زيارة بعض الدول الأوروبية حاملاً دعوة التقريب بين الإسلام والنصرانية، مبشراً بها في كل منتدى يحضره مع رجال الدين النصراني، وساسة البلدان المزورة.

■ وكانت أول محطة له «النمسا» في مايو عام ١٩٧٩م، استجابة لدعوة من رئيس أساقفة النمسا، الكاردينال فرانسيس كوينج، المعروف بحماسة للتقريب بين الإسلام والنصرانية أيضاً، كما التقى بالقادة السياسيين، (وأكد في أحاديثه الصحفية على «الرغبة في التفاهم الديني، واللقاءات الأخوية بين المسلمين والمسيحيين»... كما بين «أن الوقت قد حان لتلاقي الإسلام والمسيحية»)^(٢).

وقد ألقى محاضرة في جامعة فيينا بعنوان: «وحدة الأديان السماوية، واللقاء بين الإسلام والمسيحية»، ضمنها معالم دعوته

(١) المرجع السابق (٢/٧٢٨، ١٠٥٩).

(٢) الدعاة والدعوة (٢/٦٦٦ - ٦٦٧).

للتقريب بين الإسلام والنصرانية، فقال: (هذه فكرة وعقيدة، أعمل لها منذ خمس وثلاثين سنة، ولا أزال، وأوصي وأبشر بها كل مؤمن مخلص. لقد دفعني إلى هذه الدعوة - فضلاً عن أنها سبيل سعادة الناس، وجعلهم يعيشون في صفاء، لا حقد بينهم ولا بغضاء - دفعني إليها آيات من القرآن والإنجيل الكريمين، تثبت كلها وحدة الأديان السماوية في أصولها العقائدية، وأهدافها الإنسانية)^(١).

ثم راح الشيخ ينتزع من القرآن كل آية دلت على الثناء على صالحى النصرارى ومؤمنيه، وتكريم عيسى عليه السلام وأمه، وتعداد أوجه التشابه بين الديانتين في القيم والأخلاق بل وحتى في التوحيد، حيث خلص إلى القول: (هذا، بالإضافة إلى الكثير من الآيات القرآنية والإنجيلية المتلاقية والمتفقة حول هذا الموضوع، وغيره من الأصول، والتي تجعل الديانتين تتفقان في عبادة الإله الواحد الخالق العظيم)^(٢).

ولما كان الخلاف أمراً واقعاً، وحقيقة لا تطمسها العبارات الخطابية العاطفية، فالإسلام هو الإسلام، والنصرانية هي النصرانية، بسط الشيخ أمره، وهون من شأنه، قائلاً: (وأما ما قد يبدو من وجود خلاف في بعض التفسير والتأويل، فإن اختلاف الرأي والفكر موجود بين أبناء كل دين، ومع ذلك فهذا التباين لا يحول دون اتحاد القلوب، وصفاء النفوس، والتعاون لمصلحة السلام، والإيمان، والإنسان. ويكون مثله مثل الزهور المتنوعة الألوان، التي إذا اجتمعت في باقة متناسقة بهرت العيون، وهزت الشعور)^(٣).

ونقول: إن كان التباين في أمر الاعتقاد بالله ووحدانيته في ربوبيته

(١) المرجع السابق (٢/٦٧٠).

(٢) المرجع السابق (٢/٦٧٠).

(٣) المرجع السابق (٢/٦٧١).

والوحيته وأسمائه وصفاته، لا يحول دون اتحاد القلوب، وصفاء النفوس، فأمر يحول دون ذلك، تتحقق به ولاية الله ورسوله والمؤمنين، وعداوة أعداء الله ورسوله والمؤمنين؟!

وماذا يُعْمَلُ الشيخ من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِئِينَ ٥١﴾ [المائدة] وأمثالها من الآيات. وهل المسألة مجرد اختلاف رأي وفكر بين أبناء كل دين، على حد تعبيره، وقد أعظم القرآن على هؤلاء النصارى النكير وذمهم، وسفههم، وكفرهم في غير ما آية، ودعاهم إلى أن ينتهوا عما يقولون من التثليث والغلو، فكيف يخاطبهم «المفتي» بهذه اللغة الخاضعة؟!

الم يكن له في رسول الله أسوة حسنة، حين جمع بين أدب الخطاب، وصراحة الدعوة إلى الحق، والبداءة بأهم المطالب، مستجيباً لأمر ربه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ تَكَلَّوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ١٣٠﴾ [آل عمران].

ولكن الشيخ يخاطب القوم، كما لو كان يخاطب «الحواريين»، ويخطب ودَّهم كما لو كانوا مؤمني سورة المائدة الذين وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِبَابِيَّ وَرُءُوسَنَا وَنَحْمُ لَا يُسْكِرُونَ ٨٢﴾ وإذا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِيدِينَ ٨٣﴾ [المائدة]، فتراه يستعطفهم ويتملقهم في ختام محاضراته قائلاً: (لقد عرفناكم من خلال قرآننا، وأوامر نبينا، فاعرفونا.. وصافحناكم بأمر من نبينا وقرآننا، فصافحونا.. وعانقناكم فعانقونا.. ودرسناكم دراسة أخوة وحب، من خلال ديننا وفقهنا فادرسونا.. وقدسنا المسيح وإنجيله السماوي وأمه

العدراء، فردوا التحية بأحسن منها أو بمثلها^(١). وإن مثل ابتعاد بعضنا عن بعض، كمثّل أخوين ضاع أحدهما عن الآخر سنواتٍ عدة؛ وفي يومٍ من الأيام، وبينما كان أحد الأخوين يمشي في فلاة من الأرض، شهد عن بعد جسماً يتحرك ظنه وحشاً، فهياً سلاحه لقتله، ولما اقترب أكثر، وصار على مقربة أمتار منه، إذا به وجهاً لوجه مع أخيه الذي ضاع عنه لسنوات، فتعانقا، وانهمرت دموع الفرح والسعادة بلفائهما بعد غيبة طويلة.

ولا ينقصنا إلا أن نقرب ونقترب، وعندها لا بد أن نرى أنفسنا إخوة متعانقين متفاهمين. هذا اللقاء سيكون قريباً بإذن الله، وبجهد المؤمنين والمخلصين من أبناء كل دين سماوي^(٢).

ترى أين رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون، وسلف هذه الأمة المهديون، عن تلك المعرفة، والمصافحة، والمعانقة، والدرس، والتقديس؟! وكيف طالت بهم الغيبة، والضياح حتى تم اللقاء والعناق المصحوب بدموع الفرح والسعادة في نوبة الشيخ كفتارو؟!

ما أغنى الإسلام والمسلمين عن هذا الكلام، وما أحوج النصارى أن يسمعوا غيره.

وقد زار الشيخ فيينا مرة أخرى، مشاركاً في المؤتمر الإسلامي المسيحي^(٣) الذي نظمه معهد لاهوت الأديان بكلية القديس جبرائيل عام ١٩٩٣م، وخاطب أعضاء المؤتمر في حفل الافتتاح قائلاً: (إنني أشكر الله الذي أتاح لنا فرصة هذا اللقاء مع إخوة لنا في الإيمان

(١) مقتضى السياق أن يقول: «فأمنوا برسولنا وقرآننا»، ولكن الشيخ لم يقوَ على ذلك، لئلا يخدش مشاعرهم.

(٢) المرجع السابق (٦٧١/٢).

(٣) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٢٧٢).

أحببناهم منذ قرونٍ عديدة). ثم يكتشف القارئ القاعدة المشتركة التي سوَّغَ الشيخ لنفسه أن يخاطب النصارى المؤلهين للمسيح بوصف الأخوة الإيمانية، فيقول مبيناً وجه الربط بين العقيدة الإسلامية في كون عيسى ﷺ كلمة الله ألقاها إلى مريم، وفرية النصارى في تأليه المسيح: (حكمة الله وكلماته حسب الإسلام، هي علوم الله التي تجلى بها على عباده المؤمنين فنطقوا بها، وتصرفوا بأمره، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٨]، وما عيسى ﷺ إلا كلمة الله، أي أنه رجل ينطق بعلم الله وقدرته.

ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرأة الصافية نور الشمس. قال الشاعر العربي:

إذا سكن الغدير على صفاء وجنب أن يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم^(١)
وهكذا بالحوار الجميل نصل إلى نقاط كثيرة للالتقاء، فينتفي الجهل والبعد والجفوة، ويحل محلها المودة والمحبة والتعاون والسلام^(٢).

أين الآيات البينات في سورة آل عمران والنساء والمائدة، في محاجة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتالي هي أحسن، عن حوار الشيخ الجميل، المستمد من آيات أرباب التجلي؟!

(١) سلام للبشر (٥٧ - ٥٨).

(٢) من محاضراته في حفل الافتتاح تحت عنوان: (إخوة تحت راية الإيمان، راية محمد والمسيح) (٥٧ - ٥٨).

وكيف تطيب نفس مسلم أن يسوِّغ لأهل الكفر كفرهم الذي أكفرهم الله به بنص كتابه، لا بحكم مجتهد أو فقيه، ويخرجه عن صورته الحقيقية البشعة إلى صورة كاذبة خاطئة مبهرجة، تملقاً لهم وادّهاناً؟!

ولكنها القاعدة المشتركة، والدرب الخفي الذي يجمع النصارى بالصوفية.

■ وفي عام ١٩٨٠م، زار الشيخ أحمد كفتارو «ألمانيا الديمقراطية»، ألمانيا الشرقية، قبل الوحدة، وكانت تابعة للمعسكر الشيوعي حينذاك، بدعوة من نائب رئيس الدولة، والتقى بالشخصيات السياسية والدينية، وألقى عدة محاضرات في كنائس برلين، بالإضافة إلى المقابلات الإذاعية والتلفزيونية، دعا فيها إلى التقارب بين الديانتين^(١) واستشهد بيتين من الشعر:

لعمرك ما الأديان إلا نوافذ ترى الله منها مقلة المتعبد
فألمس في القرآن عيسى بن مريم وألمح في الإنجيل روح محمد^(٢)
كما عقد الوفدان السوري برئاسة كفتارو، والألماني برئاسة الأسقف «البريشت شونهير» رئيس اتحاد الكنائس البروتستانتية في ألمانيا حواراً عقدياً، صدر عنه بيان مشترك بتاريخ ٢٦ أبريل عام ١٩٨٠م، الموافق ١١ جمادى الثانية عام ١٤٠٠هـ، موقع من الشيخ كفتارو، ورئيس مؤتمر السلام المسيحي البروفسور كارل هاينتز بيرنهارد، وليس من الأسقف شونهير! تضمن وصف النبي ﷺ بالنبوة، والاعتراف المتبادل، جاء فيه: (إن اللقاء تم بروح من الاحترام والاعتراف

(١) الدعاة والدعوة المنطلقة من مساجد دمشق (٢/٧٣٣).

(٢) انظر: ملحق رقم (٢٦) من المرجع السابق (٢/١٠١٩ - ١٠٢١) نص المحاضرة. والبيتان للشاعر اللبناني حليم دموس «نصراني».

بالرسالتين السماويتين اللتين نزلتا على عيسى رسول الله، ومحمد نبي الله، واللّتين تهدفان إلى سعادة الإنسان وسلامته. لقد خدم هذا اللقاء التعارف المتبادل للمؤمنين من الدينين، كما ساعد على إزالة سوء التفاهم، وحقق إمكان تعاون مستقبلي مشترك. إن ما تم إبرازه على وجه الخصوص في هذه المباحثات هو إجماع الديانتين الإسلامية والمسيحية على الإيمان بالله الخالق الواحد الأحد، الذي أرسل عيسى ومحمداً رحمة للناس، وعملاً على إسعادهم^(١).

والإنصاف يقتضي الاعتراف بأن هذا البيان المشترك يمثل تقدماً نسبياً من جانب نصراني، تجاوباً مع دعوة الشيخ كفتارو للتقارب، ولكننا نسجل ملاحظتين:

الأولى: أن البيان لم تتبناه جهة كنسية، بل مؤتمر السلام المسيحي، ولم يوقعه مرجع كنسي، كما كان مفترضاً أن يوقعه الأسقف ألبريشت شونهير، رئيس اتحاد الكنائس البروتستانتية، وإنما وقعه البروفسور: كارل هاينتز بيرنهارد. رئيس المؤتمر المذكور. وهذه قضية لا تغيب عن فطنة النصارى ودهائهم، وبالتالي يفقد الاعتراف أهميته، سيما وقد صدر في دولة محسوبة على الكتلة الشيوعية.

الثانية: وهي الأهم، أنه اعتراف قاصر لا تترتب عليه مقتضياته من القبول بكل ما جاء به محمد ﷺ واتباعه، والانخلاع عن كل ما خالف الحق الذي جاء به. وغاية ما فيه أنه اعتراف لفظي بوصف «النبوة» أو «الرسالة» على نحو مطلق، كما يعترف النصارى برسالة موسى أو إبراهيم على أحسن تقدير.

ولهذا لم يكن لهذا البيان تأثير في الأوساط النصرانية في أوروبا والعالم، بل ولا في ألمانيا نفسها، وإنما صفق له أتباع الشيخ أحمد

(١) انظر نص البيان. الملحق رقم (٣٢) من المرجع السابق. (١٠٤٤/٢).

كفتارو ومريدوه، وعدوه فتحاً مبيناً، ونصراً عزيزاً. والواقع أن ما تنازل عنه الشيخ أضعاف ما ناله بحساب الربح والخسارة، فكيف إذا كان ليس مخولاً، ولا غيره، بالتنازل عن شيء من عقائد الإسلام؟!

وقد توثقت أواصر الصداقة بين رجال الدين الألمان والشيخ، فوجه له وزير الأديان الألماني «كلاس كيزي» دعوة عام ١٩٨٥م، فلّبأها وألقى محاضرات في نفس الاتجاه في الجامعات والكنائس.

■ في عام ١٩٨٦م قام الشيخ أحمد كفتارو بزيارة إلى إيطاليا والفاتيكان على رأس وفد من علماء سوريين، استجابة لدعوة من نائب رئيس الحزب المسيحي الديمقراطي، والكاردينال فرانسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان، اللذين زارا الشيخ في دمشق. وقد حاضر الشيخ في عددٍ من الكنائس والجامعات والمعاهد والجمعيات، في كلٍ من روما وفلورنسا وميلانو، وأطلق العديد من التصريحات الصحفية التي تحمل فكرته في التقارب الديني، وختم زيارته بقاءً مطول مع البابا يوحنا بولس الثاني. ونقتطف من مقولاته في تلك الرحلة ما يلي:

■ (نحن المسلمين، عندما آمنّا بالمسيح وإنجيله، من خلال عقيدتنا، لم يؤثر ذلك علينا، وبقينا مسلمين، وأنتم - كمسيحيين - إذا عرفتم ما هو الإسلام، فستبقى لكم مسيحيتكم).

■ (لا بد من الإسراع بالتعاون والتنسيق، والتقارب واللقاء بيننا. ليبق كل واحد منا على دينه، مسلماً أو مسيحياً.. لكن ليتعرف كل منا على ما عند أخيه، من خبرة وتجربة، نتعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما يُختلف فيه من فروع. وفي هذا ما فيه من خير يعود على الجميع).

■ إن العلاج، هو في الدعوة الصادقة إلى تلاقي الديانتين

السماويتين الكبيرتين في العالم، الإسلام والمسيحية، وإلى وضع الإخاء والحب في ظل إيمانٍ عقلاني، يتعاون فيه الجميع بصدقٍ وإخلاصٍ، مع إبعاد كل ما هو دخيل على الدين، لا يرضى به العقل، ولا الفكر الإنساني اليوم).

وقد دأب الشيخ في جميع محاضراته أمام النصارى أن يبين منزلة المسيح وأمه في القرآن، ويطلب في ذلك، وهذا أمرٌ حسن، ولكن دون أن يتطرق إلى المساس بعقائد النصارى الشركية الوثنية، أو يجبههم صراحة بالدعوة إلى الإيمان برسول الله محمد ﷺ إيمان تصديق واتباع، وقصارى ما قاله في إيطاليا:

(إزاء هذا الموقف الإسلامي - والذي هو عقيدة المسلمين - فهل للمسيحيين أن يقابلوا هذا التقدير بتقديرٍ مثله، وهذا الاعتراف باعترافٍ مثله؟!)(١).

ورغم طمأنته إياهم - كما سبق - أنه لا يدعوهم إلى ترك نصرانيتهم، بل يأمرهم بالبقاء عليها، ورغم عبارات الود والولاء والملاطفة، ورغم ساعةٍ كاملة أمضاها الشيخ مع البابا في ختام زيارته، فلم يقابل النصارى تقديره بتقديرٍ مثله، ولا اعترافه باعترافٍ مثله.

■ وفي عام ١٩٨٦م ترأس الشيخ أحمد كفتارو مؤتمر السلام العالمي، بمشاركة صديقه البرفسور كارل هاينتز بيرنهارد، رئيس مؤتمر السلام المسيحي، في العاصمة التشيكية «براغ»، وصدر عن المؤتمر بيان مشترك تضمن الإشارة إلى قضية التوحيد، وإلى نبوة محمد ﷺ بعبارات حمّالة أوجه، مثل: (نحن المشتركين في هذا اللقاء المنتمين إلى دينين سماويين نتفق في الإيمان بالله الواحد الأحد، خالق الأرض والسموات، كما نتفق بأنه لا إله إلا هو، ونشهد، كأناست تابعين للسيد

(١) النقول السابقة: انظر الدعاة والدعوة (٦٧٨/٢ - ٧٠٠).

المسيح رسول الله، وللنبي محمد رسول الله بإيماننا بالله، وبالرسائل المرسلة من قبل الله...^(١)، (جميع المشاركين في المناقشات أكدوا في كلماتهم على النقاط المحددة في المحاضرتين، بأن الإيمان بالله وبرسالي عيسى ومحمد السماويتين من جهة، والعمل الشامل من أجل السلام، شيان متلازمان)^(٢).

فمن جهة التوحيد فإن وصف الله - سبحانه وتعالى - بالتثليث لا يعارض التوحيد بزعمهم، كما في نص الإيمان النيقاوي: ((١) أو من بآله واحد قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى ولا يرى (٢) ويرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب... (٣) وأو من بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن، المسجود له والممجّد مع الآب والابن...)^(٣). ولكن المستغفلين من المريدين يحسبون أن الشيخ أفلح في إقناع النصاري بالتوحيد، ونبوة محمد ﷺ، فيقول الحمصي: (هل هناك... من نتيجة أعظم من أن يتوصل المتحاورون المسلمون والمسيحيون، في «براغ» إلى الإقرار بالله الواحد الأحد، خالق السموات والأرض، والإيمان بالرسالات المرسلة من عند الله، بعد الإشارة إلى أن النبي محمداً رسول الله، وأن عيسى رسول الله؟! لقد كان هذا الأمر الخطير من ثمار الحوار الإسلامي المسيحي)^(٤).

فإن كان الحمصي يريد «توحيد الربوبية» فليعلم أن المشركين عبدة الأوثان قد أقروا به، وهؤلاء النصاري يشركون في الربوبية. وإن كان

(١) انظر نص البيان المشترك في الملحق رقم (٣٣) من المرجع السابق (٢/ ١٠٤٥ - ١٠٥١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) راجع العقائد النصرانية في التمهيد.

(٤) الدعاة والدعوة (١/ ٥٦٤).

يتوهم أنهم أقروا بـ «توحيد الألوهية» فقد أبعد النجعة، فلا يزال النصراني يتخذون عيسى وأمه إلهين من دون الله، ويعبدون الروح القدس وله يسجدون.

وأما الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ فلا يتخرج إلا على «التفسير الإشاري الصوفي» الذي لحظه الأستاذ الحمصي، هداه الله.

■ وفي عام ١٩٨٦م شارك في «مؤتمر الحوار الدولي الإسلامي المسيحي» المنعقد في العاصمة البولونية «وارسو»، وألقى محاضرة عن (الإسلام، ودوره القديم في الاعتراف بالمسيح وأمه). وكانت الكلمة الوحيدة - من بين كلمات المشاركين - التي أذاعها التلفزيون البولوني^(١)، وشارك في صياغة مقررات المؤتمر. ووصف تلميذه الحمصي دوره في المؤتمر بقوله: (جاهد فيه جهاد الأبطال، حتى توصل المؤتمر من رجال الكنيسة إلى الاتفاق على وحدانية الله، وعلى أن محمداً رسول الله)، (تلك العملية التي أخذت منه جهوداً أكبر مما بذله في أي مؤتمر آخر، وذلك بسبب تعصب رجالات إحدى الكنائس المشاركة، حتى إن المؤتمر كاد - نتيجة لذلك - أن ينفرط عقده عدة مرات، ولكن الله سلّم، وخرج المجتمعون ببيان، مشترك، يقرر فيه الجميع - مسلمين ومسيحيين^(٢) - بأنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله^(٣)).

ونقول: قاتل الله الهوى، كم يُعمي ويُضِم، ويقلب الحق، ويضل الخلق! إن امرأاً يقرأ هذا الكلام يخيل إليه أن أوربا أسلمت. وها نحن بعد ما يقرب من خمسة عشر عاماً من المؤتمر المذكور، لا نرى إلا مزيداً من الكفر والصد عن دين الله.

(١) الدعاة والدعوة (١/٥٥٢)، (٢/٧٤٠ - ٧٤٦).

(٢) كذا في الأصل. والصواب مسلمون ومسيحيون.

(٣) المرجع السابق.

■ كما كان للشيخ أحمد كفتارو زيارات لبلاغيا الخاضعة للحكم الشيوعي، التي يتعرض المسلمون فيها لاضطهاد مستمر، وانتهاك لحقوقهم الدينية والمدنية. ومنها زيارته لها في أغسطس عام ١٩٨٦م. وقد ألقى في أكاديمية العلوم البلغارية محاضرة مرتجلة بعنوان: «الإسلام والسلام العالمي» ختمها بالقول:

(...). إنني لمفعم بالأمل والثقة بأن هذه الفكرة ستتحقق، وأعتقد أنها ستشرق من العالم الاشتراكي متعاوناً مع العالم الإسلامي. وقد أجرينا حواراً في الشهر الثاني من هذه السنة في براغ، حواراً إسلامياً - مسيحياً، وخرجنا متفقين، وقدمنا أطيب النتائج وأحسنها. وقد حدث هذا لأول مرة في تاريخ الدينين العالميين. وأرجو أن تتاح الفرصة لحوار إيماني - اشتراكي، لأن الإمبريالية تتهم الاشتراكية بالكفر. وأنا من وجهة نظري - أعتقد أنه لا يوجد كافرٌ واحد على وجه الأرض، لكن من يسمى كافراً هو من عُرض عليه الإيمان بشكل مشوه^(١).

إن هذه مقالة كفرية، وتكذيب للنصوص القرآنية، وما هو معلوم من الدين بالضرورة! فكيف يتجرأ على القول والاعتقاد أنه لا يوجد كافر واحد على وجه الأرض؟ والله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّرَكُمْ كَافِرٌ وَنُكِّرُكُمْ مِّنْهُ﴾ [التغابن: ٢] وقال: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

فهل يرى كفتارو أن نذارة النبي ﷺ لهؤلاء المشركين عرضت بشكل مشوه؟

وهكذا يُجر الإسلام على الصعب والوعر؛ فحيثما تسود

(١) نص المحاضرة في الملحق رقم (٣٤) من المرجع السابق (١٥٢/٢ - ١٥٧).

الديموقراطية فالتقارب إسلامي - نصراني، وحيثما تهيمن الشيوعية والاشتراكية فالحوار إسلامي - اشتراكي، أو إيماني - عقلائي، والأمر في ذلك واسع جداً ما دام الشيخ يعتقد أنه لا يوجد كافرٌ على وجه الأرض!! ومن ثم يتسع لهم عذره فيقول: (نجد بعض المسلمين وبعض المسيحيين وبعض اليهود، ابتعدوا عن الدين ولم يقبلوه، وأنا من جهتي أعذرهم كل العذر)^(١). ومدلول هذا الكلام التسويغ الضمني لليهودية والنصرانية، وحسبانهما دينين صحيحين، ويصبح المرء مؤمناً بقبوله أياً منها، ولكنه لا يكون «كافراً» بابتعاده عن أي منها أيضاً. وليس للإسلام خصوصية ولا مزية. ومثل هذا الكلام لا يتخرج إلا على أصول أهل وحدة الوجود من غلاة الصوفية، حيث اليهود والنصارى، بل والشيوعيون ليسوا كفاراً كما قال كبيرهم الذي علمهم الإلحاد، ابن عربي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي	إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه فالحب ديني وإيماني

ومن ورد ماء صدر عنه.

٤ - اليابان وكوريا:

امتدت دعوة التقارب لدى الشيخ أحمد كفتارو لتشمل الأمم الوثنية، إذ أنه يدرج اسم «بوذا» - كما تقدم النقل عنه - مع أنبياء الله من أولي العزم من الرسل.

• ففي نوفمبر عام ١٩٩٠م شارك في مؤتمر المنبر العالمي من أجل البقاء الإنساني، المنعقد في طوكيو ممثلاً للروحانيين في العالم.

وهو تعبير ينم عن سائر الأديان والوثنيات المقابلة للمادية المعاصرة.

• ثم انتدبه «المنبر العالمي» لتمثيله في المؤتمر العام الذي عقده رجال الدين في اليابان، «الشتو»^(١) عام ١٩٩٠م، فشارك فيه، وحاور طائفة ال «أوموتو» المنبثقة عن ديانة «الشتو».

• رشح ليكون رئيساً لمؤتمر عالمي يعقد في مدينة «كيوتو» اليابانية عام ١٩٩٣م، يضم ممثلين عن الروحانيين والبرلمانيين في العالم.

• وكانت ثالثة الأثافي التقاؤه بـ «مون» مؤسس الكنيسة التوحيدية الكورية، إجابة لدعوة من «رابطة رجال الدين الكورية» في سيؤل^(٢).

ثالثاً: المعالم الفكرية والمنهجية لمحاولاته للتقريب بين الأديان:

إن دعوة التقريب بين الأديان، بالنسبة للشيخ أحمد كفتارو «مشروع عُمر»، و«هدف حياة». ولم يزل يلهج بهذا الأمر، ويفتخر به في المقابلات الخاصة، والمنتديات العامة، فيقول للكاتب الأمريكي الأب بيكر: إنه بدأ هذا العمل منذ أربعين عاماً، في مقابلة أجراها معه بتاريخ ١٩٨٧/٥/٣١م^(٣). وكذلك على مائدة رئيس مجلس الدولة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٦م، بمسمع من الوفود العالمية يقول: (منذ أربعين سنة وأنا أعمل على تلاقي الدينين: الإسلامي والمسيحي)^(٤).

(١) الشنتوية أو الشنتية Shintoisme: مذهب ديني بدائي. ينتشر في اليابان، ويعتمد على عبادة الطبيعة المتمثلة بمختلف المظاهر، وعلى عبادة الإمبراطور «ابن الشمس» والأجداد. المنجد في الأعلام (٣٩٢).

(٢) انظر: الدعاة والدعوة (١/٥٥٣، ٢/٦٩٨ - ٦٩٩).

(٣) الدعاة والدعوة (١/٥٤٥). حاشية رقم (١).

(٤) الدعاة والدعوة (٢/٧٢٦).

وقبل ذلك في جامعة فينا عام ١٩٧٩م، يقول: (هذه فكرة وعقيدة أعمل لها منذ خمس وثلاثين سنة)^(١).

فمنذ أكثر من خمسين سنة والشيخ يدعو إلى التقارب بل والاتحاد، ولم يثنه عن ذلك انتقادات أهل الإسلام في الداخل، ولا مراوغة أعداء الإسلام في الخارج.

فما هي البواعث التي حملت الشيخ كفتارو على تجشم الصعاب، ومخالفة ما هو معلوم من الدين بالضرورة؟ وما هي الأسس التي بنى عليها أركان دعوته؟

وفهم البواعث ضروري لإدراك معالم دعوته.

أما البواعث، فيعرب عنها قائلاً:

(يدفعني إلى ذلك شيان: أولهما: عقيدتي الإسلامية. لأن كل من يقرأ القرآن يجد فيه خلاصة عن كل ما أتى به السيد المسيح، وعن كل ما أتى به نبي الله موسى. فنحن - كمسيحيين^(٢) - نعتقد بأن القرآن ثلاثة أقسام: قسم لأنبياء التوراة، وقسم لحياة سيدنا المسيح، وقسم أتى متمماً لما جاء به أنبياء الكتاب المقدس المنزل من عند الله. لذلك فإنني أجد أن من عقيدتي الإسلامية، ومن واجبي الديني أن أعمل على التقاء العالمين الإسلامي والمسيحي؛ لأننا دينياً ملتقون.

وثاني ذينك الأمرين، هو مصلحة السلام العالمي.. إذ أن الإنسان أصبح الآن على شفا جرفٍ من الانهيار)^(٣).

وفعلاً، فإن المتتبع لأحاديث الشيخ ومحاضراته في المحافل

(١) الدعاة والدعوة (٢/ ٦٧٠).

(٢) كذا في الدعاة والدعوة، ولا شك أنها هفوة قلم، أو خطأ مطبعي والمراد - كمسلمين -.

(٣) الدعاة والدعوة (١/ ٥٤٥) حاشية.

العالمية يلحظ بشكل متكرر أنه يدندن حول هذين المعنيين، ويبدى فيهما ويعيد.

وأما منهجه وتصوره لتحقيق تقارب الأديان، فيلخصه في ثلاث نقاط، حيث يقول في ورقة عمل قدمها إلى مؤتمر منبر الأديان العالمي المنعقد في سان فرانسيسكو في أغسطس عام ١٩٩٠م تحت عنوان: (الإسلام والقرآن يمد يده لكل أبناء البشرية، وخصوصاً أهل الكتاب المقدس):

(بين أيدينا اليوم أكثر من طريق للقاء الأديان. منها:

١ - أن نرجع إلى كتبها الأصلية الأولى، فنجمع منها ما اتفقت عليه الأديان، من وحدانية الله العظيم، خالق كل شيء على أبدع نظام، وأن الإنسان أخو الإنسان.

٢ - أن ننظر إلى الوصايا الأخلاقية، التي تجعل العالم سعيداً موحداً إذا عمل بها، بعد اتفاق رجال الأديان عليها، ثم تعميم التعليم والإعلام بها بمختلف الوسائل الحديثة، الأمر الذي لا يوصل العالم إلى السلام فحسب، بل يجعل من العالم كله أسرة واحدة متآخية متحابّة، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

٣ - أن ننظر - وبكل شجاعة وصدق وإخلاص - إلى أن مرور الزمن، وكثرة الترجمات، ووجود أصحاب المطاعم والأهواء، قد أثر على بعض أصول الدين الداعية إلى المحبة والتعان، وفسح المجال لبذور التعصب والحقد بين عباد الرب الواحد.. الأمر الذي يجب مراقبته وتصحيحه.. وإعادة النظر في التأويلات المعاكسة للقاء الأديان، مستعينين بالعقول النيرة، والأبحاث العلمية الصحيحة.. ولا بد لهذه الوسائل وما يشبهها، من مؤتمرات حوار حر، يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة، واللقاء الحقيقي بين الأديان السماوية)^(١).

من خلال ما سبق تتبين معالم محاولات الشيخ أحمد كفتارو للتقريب بين الأديان؛ من حيث الأساس، والهدف، والمنهج، والثمرة:

أولاً: أن الأساس الذي بنى عليه دعوته هو اعتقاد إيمان أهل الكتاب، وأن الإسلام بصورته التي جاء بها محمد ﷺ غير ملزم لجميع الناس، بل يسع اليهود والنصارى أن يبقوا على دينهم.

فالشيخ يصدر دعواه بوحدة الأديان بذكر الآيات والأحاديث الدالة على أن رسالة الأنبياء واحدة، وأنهم كما جاء في الحديث الصحيح: «إخوة من علات»، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد^(١). وهذا حق لا مرية فيه، ولكنه يقطع الحديث عن بيان نسخ شريعة محمد ﷺ للأديان السابقة، وضرورة الإيمان به واتباعه، وكفر من لم يحقق ذلك، وأنه من أهل النار، كما جاء في الحديث الصحيح: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)^(٢)، وهذا أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، إذ هو شق الشهادة الثاني، الذي لا يتحقق شقها الأول إلا به. هذا لو سلمنا أن نصارى اليوم على دين الحواريين، فكيف وقد أكفرهم الله بتأليه عيسى، وادعاء بُنوته، وقولهم ثالث ثلاثة؟

ولكن الشيخ يخاطبهم بوصف الإيمان، والأخوة الإيمانية، قبل أكثر من نصف قرن، ويقصد إنجيلهم، الذي أخبرنا ربنا أنهم حرّفوه عن مواضعه، ويهون من شأن الخلاف العقدي معهم، عاداً إياه نوعاً من اختلاف الرأي والفكر في مسائل فرعية، كما يختلف أصحاب الدين الواحد في الفروع الفقهية، بسبب خلاف في التفسير والتأويل - على

(١) رواه مسلم (٤/١٨٣٧).

(٢) رواه مسلم (١/١٣٤).

حد تعبيره - وأن هذا التنوع العقدي، مثله مثل الزهور المتنوعة الألوان، إذا جمعت في باقة متناسقة بهرت العيون، وهزت الشعور^(١).

فلما كان الأمر كذلك في نظر الشيخ، لم يعد مستغرباً أن يسعى لجمع أفواف الزهور في باقة وحدة الإيمان.

ولكن مفهوم الإيمان يتسع أكثر فأكثر لدى سماحته، فيستعيض عنه بمصطلح «الروحانيات»، ليجد الوثنيون من عبدة بوذا والأبقار والطواطم مكاناً تحت عبارته الفضفاضة، في مقابل «الماديات» الكافرة، ويتسنى للشيخ منصب ممثل الروحانيين في المؤتمرات العالمية، ويضم «بوذا» إلى قائمة أنبياء الله الكرام لاتفاقهم في جوهر الدين، ويستشهد بأحواله بعد استشهاده بمواقف أنبياء الله، إبراهيم، ويوسف، وموسى، وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم، فيقول: (ووجد بوذا السعادة في رفض المادة بالالتجاء إلى الروح)^(٢)، ثم يتبعه بذكر نبينا محمد ﷺ شرفه الله وكرمه، وإخوانه، عن مقارنة الكافرين.

وتتسع الدائرة لتحيط بالشيوعيين الملحدين، فيعرض على أندريه غروميكو حلفاً مشتركاً ضد دعاة الحرب والاستعمار، لتحقيق الأخوة العالمية^(٣)!!

من بقي يا ترى لم تشمله سماحته؟

بقي، قطعاً للربية، ودفعاً للشك، أن يعلن في «بلغاريا» وغيرها اعتقاده الصميم: (أنه لا يوجد كافرٌ واحد على وجه الأرض)^(٤).

(١) الدعاة والدعوة (٢/٦٧١).

(٢) من محاضراته: (الروحانية في القرن العشرين) ملحق رقم (٣٧) من المرجع السابق (١٠٨١).

(٣) انظر: الدعاة والدعوة (٢/٧٢٦).

(٤) من محاضراته في أكاديمية العلوم البلغارية. الدعاة والدعوة (٢/١٠٥٧).

إن هذا لهو حجر الأساس في مشروع الشيخ أحمد كفتارو للتقريب بين الأديان، وغيره من دعاة التقارب، ولو كانوا يميزون بين حزب الله وحزب الشيطان، وأولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما سلكوا هذا المسلك، بل لسان حالهم كما قال أولهم: لقد صار قلبي قابلاً كل صورة.

وقد ذم ربنا عز وجل بني إسرائيل على موالاة أعدائه فقال: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْتَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَلِيدُونَ﴾ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ [المائدة].

ثانياً: هدف التقارب الذي يسعى إليه الشيخ ليس اجتذاب أهل الكتاب إلى الإسلام، فليس ذلك مطلباً في حد ذاته، بل يدعوهم إلى البقاء على نصرانيتهم، مستشهداً لذلك بمقالة ينسبها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام تارة، وإلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه تارة أخرى: (لا ننهاك عن النصرانية ولكن نأمرك بها)^(١)، فيقول في إيطاليا: (إذا عرفتم ما هو الإسلام فستبقى لكم مسيحيتكم)، (ليبق كل واحد منا على دينه مسلماً أو مسيحياً، لكن ليتعرف كل منا على ما عند أخيه)^(٢).

وغاية ما تصبوا إليه مساعي الشيخ الدؤوب هو طلب الاعتراف بالإسلام، والإقرار بأن نبينا محمداً ﷺ نبي بإطلاق! لا الإقرار بأنه مرسل إلى الناس كافة، وأنه خاتم النبيين، وشريعته ناسخة للشرائع السابقة.

فهل مجرد المعرفة هو مقصود الشيخ؟ إن من يعتقد أن الإيمان

(١) انظر: الدعاة والدعوة (١/٥٢٦، ٢/٦٨٢).

(٢) الدعاة والدعوة (٢/٦٨١ - ٦٨٢).

هو مجرد المعرفة دون تصديق القلب، أو قول اللسان، أو عمل الجوارح، هم غلاة المرجئة من الجهمية. أما القرآن فيقول غير ذلك: ﴿قُلْ يَكَايُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

فهل علم الشيخ أن أصدقاءه في برلين وبراغ، كالبرفسور اللاهوتي كارل هاينتز بيرنهارد، أو ممثلي «اتحاد الكنائس العالمي» الذين خطبوا المسلمين في جامع أبي النور^(١) قد أتوا بمقتضى الآية السابقة؟ أم أن هذا لون وذاك لون آخر؟

إن الشيخ يهدف إلى «التقارب» من حيث هو «تقارب» بصرف النظر عن الأصول العقدية والضوابط الشرعية، فالمهم عنده أن تقترب، لا كيف تقترب، فمن ثم وسعت دعوته الاشتراكيين والشيوعيين والبوديين وأتباع مون.

وما هو ذا يستجدي النصارى في «المؤتمر المسيحي الإسلامي الدولي»^(٢) المنعقد في كلية القديس جبرائيل، معهد لاهوت الأديان، في النمسا - فيينا - عام ١٩٩٣م، بعبارات استخذاء مذلة فيقول: (ولعل سائلاً يسأل ما هو المطلوب من المسيحيين اليوم تجاه الإسلام والمسلمين؟ وفي الجواب أقول: كانت المسيحية طوائف ومذاهب شتى، فتنادت في النصف الثاني من هذا القرن إلى جمع الكلمة، والاتفاق فيما بينها، رغم خلافاتها العقائدية الكبيرة. فلم لا تضم الإسلام إليها في حركتها التوفيقية، وتعتبره طرفاً جديداً جديراً أن تمد

(١) انظر ما رافق تلك الزيارة من بهرج العمل، وزخرف القول في: «الدعاة والدعوة» (٢/ ٧٥٤ - ٧٥٥).

(٢) انظر التعريف بهذا المؤتمر في الفصل الثاني من هذا الباب (١٢٧٢).

يدها إليه، طالما أنه يؤمن بالمسيح وأمه ويقدسها ويحترم تعاليم المسيح... ولقد اتخذ الفاتيكان قبل فترة خطوة جبارة في هذا الصدد، قدره وشكره عليها كل العالم الإسلامي، ألا وهو اعترافه بأن الإسلام دين سماوي. وحَبِّذا لو تبعها خطوات أخرى تمتن أواصر الإيمان^(١).

إن دين الله عزيز، ولا يغض منه أن يتخذ بعض المنتسبين إليه سلعةً أو سَلَمًا، إلى هذا الحد المسيف الذي يحاول الشيخ كفتارو إلصاقه بطوائف النصرانية الضالة، ولو بوصفه هرطقة من الهرطقات كما زعم بعض النصارى. ونستعير في هذا المقام بيتين للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني^(٢) ﷺ في عزة نفس العالم بالعلم، فكيف بأصل الدين:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهانَ ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

ثالثاً: منهجية التقارب عند الشيخ تقوم على:

- ١ - استخلاص المتفق عليه بين الأديان حول ربوبية الله.
- ٢ - استخلاص المتفق عليه بين الأديان حول الوصايا الأخلاقية.
- ٣ - إعادة النظر في التأويلات المعاكسة للقاء الأديان.

(١) من كلمته في افتتاح المؤتمر المذكور تحت عنوان: (إخوة تحت راية الإيمان. راية محمد والمسيح في كتاب: سلامٌ للبشر، من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم (٣). أندراوس بشته، وعادل تيودور خوري، وآخرون. مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي. المكتبة البولسية. جونية - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م. (ص ٥٧ - ٥٨).

(٢) علي بن عبد العزيز الجرجاني: (٠٠٠ - ٣٩٢هـ) أبو الحسن، قاض من العلماء بالأدب. كثير الرحلات. له شعر حسن. ولد بجرجان وولي قضاءها. من آثاره: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تفسير القرآن، تهذيب التاريخ. انظر: الأعلام (٤/٣٠٠).

٤ - العمل ضمن قاعدة: (نتعاون على ما نشترك فيه، ونتسامح فيما يختلف فيه من فروع)^(١).

أما الوسائل والأدوات لتحقيق هذه المقاصد، فيقترح:

- ١ - (هيئة أمم عالمية روحية، متعاونة، ترعاها السماء)^(٢)!
- ٢ - (تعميم التعليم والإعلام بها بمختلف الوسائل الحديثة)^(٣).
- ٣ - المصافحة والمعانقة والتآخي والمحبة وتبادل التهاني في الأعياد، وتبادل المزايدات الكلامية من جنس روايته التالية: (قال لي قداسة البابا «يوحنا بولس الثاني» في أحد لقاءاتي الحوارية معه: إنني أقرأ القرآن كل يوم، فكان جوابي له: وأنا أحفظ الإنجيل)^(٤). وغير خاف أن هذا المنهج ووسائله ليس من دين الله في شيء، ولا من سبيل المؤمنين.

رابعاً: ثمرة التقارب الذي ينشده الشيخ أحمد كفتارو هو تحقيق السلام العالمي، فيقول: (وأما ثمرها فهو تحقيق الأسرة العالمية، وأخوة الإنسان للإنسان، حتى نعيش على فردوسنا الأرضي، فنحوله من جحيم القنابل التي تتهدد البشرية، إلى فردوس الحب الإيماني)^(٥).

إن شعارات «السلام» و«العالمية» و«الأخوة الإنسانية» المجردة وما شابهها، ليست إلا مبادئ الماسونية، والاتجاهات الأرضية غير الدينية، وليست سوى جُملاً عامة لم تأتِ بها الشريعة، ولا هي بحد ذاتها من مقاصد الإسلام.

(١) الدعاة والدعوة (١/٥٦٠).

(٢) الدعاة والدعوة (١/٥٦٠). ولاحظ التعبير الكنسي بـ «السماء» عوضاً عن «الله».

(٣) الدعاة والدعوة (٢/١٠٧٢).

(٤) الدعاة والدعوة (٢/١٠٧٥).

(٥) الدعاة والدعوة (١/٥٧٣).

فالمقصود الأعظم لكل مؤمن وداعية يسير في ركب الأنبياء تحقيق عبودية الله، لا العالمية، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات]، والدخول في السلم، لا مطلق السلام: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، والجهد في سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، لا السعي وراء سراب السلام العالمي الذي يتظاهر به الفتانون: ﴿وَقَالُوا هُمْ حَقٌّ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وطلب الفردوس الآخروي، لا الفردوس الأرضي على أنقاض الدين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة].

وأخيراً، تحقيق «الحب الإيماني» الموصوف أهله بقوله تعالى: ﴿مَسْوَءٌ بِأَيِّ اللَّهِ يَقْوَمُ مُجِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، [المائدة]، وليس «الحب المطلق» بلا خطام ولا زمام الذي يدين به شيخهم الأكبر «ابن عربي» حين يعلن:

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني وبذلك تتبين الأسس التي تجمع دعاة التقريب بين الأديان في القديم والحديث، فلا عجب إذاً أن يطري روجيه جارودي الشيخ أحمد كفتارو بقوله: (عرف العالم الوجه الحقيقي للإسلام بوجه سماحة المفتي)^(١).

(١) من كلمته في جامع أبي النور في ٢٣/٣/١٩٨٤م. انظر: روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان.

الفصل الثاني

المحاولات الجماعية للتقريب بين الأديان ونقدها

يجد الباحث نفسه أمام حشد هائل من المحاولات الرامية إلى التقريب بين الأديان في العصر الحديث. فثم عشرات المؤسسات الدينية والشعبية في العالم تعنى بهذه القضية وتتفرغ لها. وثم مئات المؤتمرات المعقودة في هذا الصدد جرت في أركان الأرض الأربعة، حتى أصبحت هذه الظاهرة سمة بارزة من سمات عصرنا في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري حتى وقتنا هذا، النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، فتتابعت هذه المحاولات كعقدٍ انفرط نظامه.

وقد كانت الدعوة، مجرد فكرة يتمتم بها الزنادقة على وجل في مطاوي التاريخ، أو تتبناها جمعيات سرية في دهاليز مظلمة، أو ينبري لها أفراداً انسلخوا من معتقداتهم، ونبذتهم مجتمعاتهم، تنتهي بانتهائهم^(١).

ولكن الأمور في هذا العصر انقلبت، فصار المنكر معروفاً، والبعيد قريباً، فحظيت هذه الدعوة بانتشار واسع، وقبولٍ عريض، وتأييدٍ دولي. فأخلت لها القاعات، وسلطت عليها الأضواء، وبشرت بها وسائل الإعلام. ونهدف في هذا الفصل إلى الوقوف على حجم هذه الظاهرة العالمية الخطيرة، وإيجاد ثبوت تاريخي يستوعب مختلف المحاولات الجماعية المبذولة للتقريب بين الأديان في العصر الحديث. وتشمل هذه الدراسة مدىً زمنياً يمتد لأكثر من ستين سنة (١٩٣٥ - ١٩٩٩م)، ورقعة جغرافية تمثل معظم المعمورة.

(١) راجع فصل: الأصول التاريخية. الباب الأول..

وقد تم حصر أكثر من ثلاثمائة مؤتمر من مؤتمرات التقارب، رعتها أكثر من مائة هيئة دينية أو مدنية، أو مركز متخصص أنشئ لهذا الغرض، تمت الإشارة إليها والتعريف بها في هذا الفصل.

وتتنوع هذه المؤتمرات تنوعاً شديداً يصعب معه تصنيفها، فبعضها ثنائي الأطراف (مسلمون، نصارى)، وبعضها ثلاثي (مسلمون، نصارى، يهود)، وبعضها متعدد يشمل العقائد الوثنية المحضة (بوذيين، وهندوس)، بالإضافة إلى الثلاثة السابقة. ومن تلك المؤتمرات ما هو عالمي، ومنها ما هو إقليمي، أو محلي.

وعامتها لا ترعاها الحكومات والدول، وقليل منها حكومي. أما موضوعاتها فأشد تنوعاً، فبعضها ينزع نحو العموميات، وبعضها يعالج مسائل خاصة.

وفي سبيل عرض هذا الركام عرضاً واضحاً، يبدو أن مراعاة الترتيب الزمني لتاريخ انعقادها يؤثر سلباً على الجانب الموضوعي، حيث لا رابط بين فقرات التسلسل الزمني لهذه المؤتمرات التي تنبع من جهات متعددة، وفي مواقع مختلفة من العالم، ولغايات شتى. ويمكن تدارك الفائدة التي يمنحها الترتيب الزمني بالنظر إلى الجداول المثبتة في قسم الملاحق في آخر البحث، حيث تم سرد هذه المؤتمرات حسب وقوعها الزمني^(١).

وبعد الفحص والتأمل لمجمل هذه المحاولات - باستثناء المحاولات المبكرة - بدا أن من الأوفق تصنيفها بناءً على اعتبارين: أحدهما: الجهة المنظمة المعروفة بأخذ زمام المبادرة في هذه المحاولات. الثاني: الموقع الجغرافي الذي تجمعه خصائص مشتركة.

فتمخض ذلك عن التقسيمات التالية:

(١) انظر: جدول رقم (١) في ذيل الرسالة.

- ١ - المحاولات المبكرة، قبل المجمع الفاتيكاني الثاني.
- ٢ - محاولات الكنيسة الكاثوليكية.
- ٣ - محاولات مجلس الكنائس العالمي.
- ٤ - محاولات التقريب في أوروبا الغربية.
- ٥ - محاولات التقريب في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي - سابقاً..
- ٦ - محاولات التقريب في الولايات المتحدة الأميركية.
- ٧ - محاولات التقريب في قارة آسيا.
- ٨ - محاولات التقريب في العالم العربي.
- ٩ - محاولات عالمية متفرقة.

وتفاوتت هذه المؤتمرات أيضاً من حيث أهميتها، ومن حيث توفر المعلومات عنها لدى الباحث، لا سيما وأن عامتها تمت في أماكن بعيدة ولغات شتى، ومن ثم نقتصر في بعضها على عرض وصفي للمعلومات الأولية المتضمنة:

اسم المؤتمر، مكان انعقاده، وتاريخ انعقاده، والجهة المنظمة، وعدد ونوعية المشاركين فيه. أما حين توفر معلومات عن الموضوعات التي جرى بحثها، والمحاضرات التي جرى إلقاؤها، وما صدر عنها من بيانات ختامية مشتركة وتوصيات، وهو ما يحصل غالباً في المؤتمرات المهمة، فإننا نتناوله بالنقد والتحليل والتعليق^(١).

ولا يعزب عن البال أن مداولات هذه المؤتمرات وبياناتها وتوصياتها كتبت - بطبيعة الحال - بأقلام اليهود والنصارى، وبعض المتحررين من الإسلاميين، فلا عجب أن تتضمن تعبيرات كفرية،

(١) بعض هذه المؤتمرات تجمع أعماله بين دفتي كتاب حافل، وبعضها يتم التقاط مادته من إشارات عابرة في الصحف والمجلات والكتب.

وصياغاتٍ يأبأها الدين الإسلامي^(١)، وإنما ترد بين أقواس التنصيص، لكن المقام اقتضى نقلها لبيان الحال، ثم كشف ما تضمنته من باطل ونقده.



(١) مثل حكاية عقائد النصارى، من القول ببنوة المسيح ونحوها. ومما يكثر في هذه المؤتمرات وصف «النصارى» بالمسيحيين، وأن أديان أهل الكتاب «سماوية»، ونحو ذلك مما سبق بيانه في التمهيد. ولكن الأمانة العلمية تقتضي النقل دون تصرف. وقد حكى الله تعالى في كتابه مقالات اليهود والنصارى والمشركين لقصد إبطالها.

المبحث الأول

المحاولات المبكرة للتقريب

بين الأديان قبل المجمع الفاتيكاني الثاني

ظهرت إثر الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م)، والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) محاولات للتواصل الديني بين معتنقي الديانات المختلفة، كرد فعل للتغيرات الكبرى التي اجتاحت العالم من الناحية الفكرية العقدية، المتمثلة بالنظريات الإلحادية التي اكتسحت العالم الغربي، كالشيوعية، ومن الناحية الإنسانية التي منيت بالدمار الشامل، والهلاك المروع لملايين البشر، فغدا السلام حُلماً ينشده الجميع، ويتذرعون إليه بشتى الوسائل، ومن ذلك الدعوة إلى تقارب الأديان. وساعد على ذلك انفتاح شعوب العالم بعضها على بعض، طوعاً وكرهاً، بالتجارة والهجرة، وبالاستعمار والتهجير.

وبعض تلك المحاولات المبكرة كان ذا صبغة علمية بحثية، وبعضها ذا دوافع سياسية، وبعضها ذا غايات تنصيرية، إلا أنها كانت جميعاً إرهاباً لما تمخض عنه المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) من إطلاق العنان للمحاولات الواسعة المكثفة للتقريب بين الأديان.

ومن هذه المحاولات المبكرة ما يلي:

مؤتمر: «تاريخ الأديان الدولي - عام ١٩٣٥م»

عقد هذا المؤتمر في مدينة «بروكسل» عاصمة بلجيكا في الفترة

١٦ - ٢٠ سبتمبر عام ١٩٣٥، الموافق ١٣٥٤هـ. وقد وجهت الدعوة

إلى الأزهر لحضوره، فأوفد شيخ الأزهر إذ ذاك محمد مصطفى المراغي^(١) كلاً من الأستاذين مصطفى عبد الرازق، وأمين الخولي، وقد قدم هذا الأخير بحثاً إلى المؤتمر بعنوان:

«صلة الإسلام بإصلاح المسيحية»، تناول فيه:

١ - الاتصال المادي بين الإسلام والمسيحية في أوروبا، أي تاريخ المواجهة الحربية.

٢ - الاتصال المعنوي بين الإسلام والمسيحية في أوروبا، من حيث اللغة والفلسفة.

٣ - آثار ذلك الاتصال في نشأة أفكار الإصلاح المسيحي «البروتستانتية»، وآراء دعائه، في العلاقة مع الكنيسة الكاثوليكية، بوصفه أحد عناصر التأثير^(٢).

المؤتمر: «العالمي للأديان - عام ١٩٣٦م»:

عقد هذا المؤتمر في «لندن» في الفترة (٣ - ١٨ يوليو عام ١٩٣٦م)، أي بعد تسعة أشهر من مؤتمر بروكسل، بمبادرة من المجلس العالمي للأديان. وقد وجهت الدعوة لشيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، فاعتذر عن الحضور، ووجه كلمة إلى المؤتمر ألقاها نيابة عنه أخوه عبد العزيز. ومما جاء فيها: (إن أهل الأديان يحشدون جنودهم،

(١) محمد بن مصطفى بن محمد المراغي. ولد سنة (١٢٩٨هـ - ١٨٨١م)، باحث مصري من دعاة التجديد. ولد بالمراغة، وتعلم بالقاهرة، وتتلذذ لمحمد عبده. عين قاضي قضاة السودان (١٩٠٨ - ١٩١٩م)، وعين شيخاً للأزهر سنة (١٩٢٨م) فمكث عاماً، وأعيد سنة (١٩٣٥م) فاستمر إلى أن توفي في الإسكندرية سنة (١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م). له رسائل في التفسير. انظر: الأعلام (١٠٣/٧).

(٢) انظر: «صلة الإسلام بإصلاح المسيحية» أمين الخولي. من سلسلة الأعمال الكاملة رقم (٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م. (٩).

ويعدون لمقاتلة بعضهم بعضاً، مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك، وسلكوا طرقاً في التناحر مخالفة لأوضح قواعد المنطق. فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم إلى القوة المادية للدول، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جادٌ في إنزالهم من مكانهم اللائق بهم، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية، وتطفئ على ما بقي في النفوس من هبة واحترام النظم الإلهية.

وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة، وهذه الإباحية التي يئن منها العقلاء، وهذه المادية المستحكمة التي تجر الولايات على الآمنين، بين حين وآخر، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية. ولكن ما الذي ينتظر غير هذا، وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان، كما تعمل في غيرهم، وتغريهم الحياة الدنيا كما تغري غيرهم، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم، ويفتري بعضهم على بعض في الدين كما يفتري غيرهم^(١).

إن هذا النص يمثل موقفاً رسمياً مبكراً، يحمل في ثناياه البذور الأولى للموقف المعاصر من التقارب بحوافزه ومثبطاته، التي ظل المحاورون المسلمون يرددونها في المؤتمرات اللاحقة.

فشيخ الأزهر يرجو من تقارب الأديان أن يؤدي إلى تكوين جبهة

(١) عن «الحوار الإسلامي المسيحي» تأليف بسام داود عجك (٢٤٠). وقد نشرت الكلمة في مجلة الأزهر ج ٥، مج ٧، جمادى الأولى عام (١٣٥٥هـ) (٣٠١).

موحدة ضد أعداء الأديان من الملحدين والإباحيين والماديين، ويأسف لعوامل التفريق فيهم. وكأن الأصل فيهم أن يكونوا يداً واحدة، يجمعهم إيمان واحد، يتعاونون على درء الخطر عنه!!

ومن جانب آخر ينعى على أهل الأديان استعمال الإكراه، والإغراء بالمال وغيره، والركون إلى القوة المادية للدول، في إشارة واضحة إلى التنصير المدعوم من الاستعمار الأوروبي في تلك الحقبة.

ونحن بعد أكثر من ستين عاماً من كلمة شيخ الأزهر التي تجاذبها الألم والأمل، والخوف والرجاء، نلمس بشكل جلي إمعان أوروبا النصرانية في الإباحية والمادية واللا دينية، وازدياد النشاط التنصيري خارج أوروبا، وفي أواسط المسلمين خاصة.

فأي خير كان يرتجى، وأي شر كان يتقوى؟!

المؤتمر: «العالمي للأديان - عام ١٩٣٧م»:

عقد هذا المؤتمر بمبادرة من المجلس العالمي للأديان أيضاً، في جامعة السربون في باريس عام ١٩٣٧م، وانتدب شيخ الأزهر نيابة عنه الشيخ عبد الله دراز^(١).

(جمعية الإخاء الديني):

وهي من أقدم جمعيات التقارب بين الأديان، إذ يرجع تأسيسها إلى عام (١٣٦٠هـ - ١٩٤١م). وقد أنشأها في القاهرة المستشرق الفرنسي المشهور «لويس ماسينيون»^(٢)، والأب الكاثوليكي المصري «جورج قنوتي»^(٣)، وتضم في عضويتها بعض علماء الأزهر وبعض آباء الكنيسة، وشخصيات اجتماعية من المسلمين والنصارى. وقد اتخذت

(١) المرجع السابق (٢٤١).

(٢) تقدمت ترجمته (٣٧٥).

(٣) انظر ترجمته (٩٦٢).

من المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة مركزاً لممارسة نشاطاتها الحوارية^(١).

وقد تفرع عن الجمعية ندوات حوارية عرفت باسم «دار السلام» عام ١٩٤٤ وما بعده، انعقدت بصورة دورية منتظمة في القاهرة، في حقة الخمسينيات بتوجيه من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية «الفاتيكان»^(٢).

كما تمكن الأب جورج قنواي من نقل فكرة «الأيام الرومانية J R»^(٣) المنفذة في الفاتيكان إلى القاهرة، فأسس عن طريق دير الآباء الدومينكان في العباسية بالقاهرة، ومعهد الدراسات الشرقية الدومينكاني «IDEO» ما عرف باسم «الأيام الدومينكانية»^(٤).

وكانت هذه الأيام الدومينكانية تنعقد كل أربع سنوات، ولم تكن تعنى بالقضايا الإقليمية، بقدر ما كانت تسعى لاكتشاف الطرق التي يتمكن بها النصارى الذين يتبعون القديس دومينيك من تأسيس حوار وتعاون مع المسلمين^(٥).

كانت جمعية الإخاء الديني محاولة مبكرة للتقريب بين الإسلام والنصرانية قُبِضَ لها كاثوليكي جلد معمر، فظلت باقية إلى أيامنا هذه في قلب العالم الإسلامي.

(١) انظر: الإخاء الديني، ومجمع الأديان وموقف الإسلام. د. محمد البهى (٥)، ٢١، ٢٢.

(٢) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims 1/15.

(٣) انظر تعريفاً بهذا اللون من النشاط الكنسي الكاثوليكي في مبحث «محاولات الكنيسة الكاثوليكية» من هذا الباب..

(٤) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة. (١٤٠).

(٥) انظر: Recognize the Spritual Bonds Which Unite Us.... p. (83).

(جمعية الأصدقاء الأميركيين للشرق الأوسط):

هي جمعية ذات دوافع سياسية، أسسها يهودي أمريكي يدعى «المير برجر» في حدود سنة ١٩٤٨م، وهي سنة إعلان قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين. وقد (نشأت واتخذت مقراً لها في الولايات المتحدة الأميركية. وترأس هذه الجمعية السيدة طومسون الأميركية، ونائب رئيسها غارلند إيفانز هوبكنز الأمريكي أيضاً، وأعضاؤها نفرٌ من أبناء الولايات المتحدة...

كان بعض المتحمسين لها من العرب يقولون... إن هذه الجمعية أخذت على عاتقها تغيير اتجاه السياسة الأميركية، وإفهام الساسة الأميركيين حقيقة الوضع في العالم العربي، لكي يقلعوا عن سياسة الكيد للعرب، ومظاهرة إسرائيل عليهم.

كانت رئيسة هذه الجمعية كلما قدمت إلى ديارنا، تقام لها الحفلات، ويغدق عليها المديح والإطراء أطناناً فوق أطنان. كانت بعض الصحف العربية تصورها بطلة الدفاع عن العرب وقضاياهم، وتسميها سفيرة العرب في الولايات المتحدة^(١).

ويبدو أن هذه السمعة الإعلامية كانت طُعماً لاصطياد هؤلاء المعجبين بما يخدم الأهداف الصهيونية والغربية في المنطقة العربية التي كانت تشهد في تلك الحقبة هجمة إحدادية مدفوعة من المعسكر الشيوعي الشرقي، واغتصاباً سافراً من اليهود لأرض فلسطين، مدعوماً من المعسكر الرأسمالي الغربي^(٢).

(١) هرطقات... فريسية... د. جورج حنا. دار العلم للملايين. بيروت - لبنان. طبعة ١٩٥٤م..

(٢) وقد كشف الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، رحمته، أن نائب رئيس الجمعية غارلند إيفانز هوبكنز (قسيس بروتستانتي، معاد للإسلام، وكان من جملة الوفد المشارك في محادثات جنيف عام ١٩٤٩م، المتعلقة بقضية =

ومن ثم فقد تبنت هذه الجمعية المشبوهة عقد أول مؤتمر تقارب إسلامي مسيحي في المنطقة في بحمدون عام ١٩٥٤م، تمخض عن تكوين لجنة دائمة للتعاون، عقدت لقاءين اثنين فقط؛ أحدهما في الإسكندرية عام ١٩٥٥م، والثاني في بحمدون عام ١٩٥٦م.

كما أوفدت اللجنة بعض أعضائها في أغسطس ١٩٥٤م إلى الولايات المتحدة الأمريكية لحضور الجمعية العمومية لمجلس الكنائس العالمي، المنعقد في إيفانستون من أجل (التعبير عن اقتناعهم بضرورة التعاون بين المسلمين والمسيحيين، إذ يؤمنون جميعهم بإله واحد، ومن أجل الدفاع عن العالم ضد التيارات الهدامة، تيارات المادية والإلحاد)^(١).

ولعل القائمين على الجمعية شعروا بالحاجة إلى تدعيم موقفهم ببعض القيادات والزعامات العلمية، فاستدجروا الشيخ محمد بهجة البيطار^(٢)، وسوَّغوا له المشاركة، حتى قبل بمنصب نائب رئيس

= فلسطين ليحث العرب على الاعتراف بما يسمى دولة إسرائيل، وقضية التقسيم آنذاك). مجلة لواء الإسلام عدد ١٢ عام ١٩٥٥م، عن الحوار الإسلامي المسيحي. بسام داود عجك (٢٤٤).

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٨).

(٢) محمد بهجة بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني البيطار، ولد في دمشق عام (١٣١١هـ - ١٨٩٤م)، وتعلم على جمال الدين القاسمي، وبدر الدين الحسني. وخطب وأمّ ودرس في جامع القاعة وغيره. استبقاه الملك عبد العزيز آل سعود إثر مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي عام ١٣٥٤هـ المعقود في مكة المكرمة ليشرّف على المعهد العلمي السعودي، ثم دار التوحيد بالطائف، ثم عاد إلى دمشق ليدرس في جامعها، وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بدمشق. وكان سلفي المعتقد ألف: «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»، و«السنة والشيعة»، و«الكوثري وتعليقاته» وغيرها. توفي عام (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ﷺ. انظر: ذيل الأعلام (١٦٧ - ١٦٨).

الجمعية، وسافر إلى الولايات المتحدة الأميركية، بهذه الصفة، بدعوة من الجمعية، واشترط لذلك أن يصطحب ترجماناً من بلاد الشام يثق بأمانته، وأن يعقد له في كل ولاية يزورها لقاء مع رجال الدين النصارى. فألقى العديد من المحاضرات، وأجرى بعض المناظرات، ولكنه اكتشف أن منصبه ذاك ليس ذا معنى، ولم يحقق فيه شيئاً للإسلام كما كان يؤمل. وقال لاحقاً: (كنت أدعو إلى هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين، وكذا في اجتماعنا في لبنان من قبل، وفي الإسكندرية من بعد)^(١).

مؤتمر: «القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية» بحدود ١٩٥٤م
 عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في بلدة «بحدون» في لبنان في الفترة: (١٩ - ٢٦ شعبان عام ١٣٧٣هـ، الموافق ٢٢ - ٢٩ إبريل عام ١٩٥٤م) بمبادرة من جمعية الأصدقاء الأميركيين للشرق الأوسط، وشارك فيه أربعة وسبعون مسلماً ونصرانياً من أقطار شتى. وقد حددت الجمعية المذكورة الهدف المعلن من عقد المؤتمر في نص دعوتها التي وجهتها إلى المدعوين للمشاركة. وهو: (بحث النواحي الروحية، والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدين، مبينة عقم الفلسفة المادية الفانية.. إظهار وتحقيق أهداف الديانتين الواحدة، ومقاومة الشيوعية، ومكافحة مغريات الدنيوية وأغراضها المادية)^(٢)، كما صرح مدير الأبحاث والنشر بالجمعية «إريك ولدمار»: (إن غاية المؤتمر واضحة جلية، وهي محاربة الإلحاد، والعمل على التقارب بين المسيحيين والمسلمين، وتوحيد القوى ضد التيارات التي تحاول النيل من عقائد هاتين الديانتين)^(٣). وقال أحد أعضاء المؤتمر من الأميركيين: (إن

(١) انظر في هذا: الدعاة والدعوة المنطلقة من مساجد دمشق. د. محمد حسن الحمصي (١/٥٤٥ - ٥٤٦، ٢/٦٤٩).

(٢) هرطقات فريسية (٨).

(٣) المرجع السابق (٨).

الولايات المتحدة الأميركية تنظر بعين القلق إلى التطورات والأحداث الجارية في الشرق الأوسط، وترى من واجبها أن تقوم بكل ما في وسعها كقائدة للدول الخارجة عن الستار الحديدي الشيوعي، للقضاء على الشيوعية التي أخذت تتفشى في الشرق الأوسط خصوصاً، بشكل مريع^(١).

وبالمقابل فحين سُئل مدير الأبحاث والنشر في جمعية أصدقاء الشرق الأوسط عن مشكلة الشرق الأوسط المتمثلة في قيام دولة إسرائيل، وتشريد الفلسطينيين قال: (إننا هنا نبحث أموراً علمية، ولن نتدخل في الأمور السياسية)^(٢).

ومن ثم فقد قوبل المؤتمر برفض واسع النطاق من قبل قيادات إسلامية شرعية، واجتماعية، وصحفية، في العالم العربي^(٣)، وصمت من قبل النصارى المحليين.

وقد تناولت بحوث المؤتمر الحديث عن القيم الروحية الاجتماعية والعائلية، والعمل الاجتماعي في الإسلام والمسيحية، وجواب الإسلام والمسيحية على الشيوعية، ثم كيفية نقل الإسلام والمسيحية تعاليمهما الروحية للأجيال الصاعدة، بل وكيفية تعاون الديانتين لنقل هذه القيم. وصدر عن المؤتمر بيان مشترك تضمن خلاصات هذه البحوث، ومنها:

(...) في هذه المناسبة نعتقد نحن المؤمنين بالله تعالى وبوصاياه أنه أصبح لزاماً علينا مجابهة تيارات الإلحاد والمادية التي تتسرب إلى الجماعات والأمم...

(١) المرجع السابق (٩).

(٢) المرجع السابق (٨).

(٣) انظر بعض الردود في هرطقات فريسية (١٠ - ١٨) والملاحظ أنه رفض مبني على موقف سياسي، لا على أساس عقدي موضوعي.

على الذين يؤمنون به أن يعيشوا إخواناً، وأن يعملوا معاً للوصول إلى أهداف الإنسانية التي أبرزها لنا سبحانه وتعالى، وأهمها احترام الإنسان حقوق أخيه التي لا يمكن تغييرها، والابتعاد عن استغلاله وانتهاك حرمة...

نحن المؤتمرين... جعلنا من أنفسنا لجنة دائمة للتعاون الإسلامي المسيحي، ونعلن برعاية الله، أننا سنعمل بلا هوادة في جو من الثقة والاحترام المتبادلين لحقوق الآخرين على تدعيم التفاهم والأخوة بين المؤمنين بالديانتين الإسلامية والمسيحية^(١).

ومن عجب أن الفتنة الطائفية اندلعت في لبنان بعد هذا المؤتمر بأربع سنوات تقريباً، عام ١٩٥٨م، ثم خبا أوارها بضع سنين، وفي خلل الرماد وميض نار اضطربت كأشد ما تكون عام ١٩٧٥م، ودامت خمس عشرة سنة تقريباً.

ودفعاً للتهمة الموجهة نحو المؤتمر والجهة التي خلفه، من حيث تجاهل قضية فلسطين، ألحق المؤتمر بيانه الختامي بما أسماه «وصية»، تعاطف فيها مع اللاجئين العرب المطرودين من بيوتهم، المحرومين من ميراث آبائهم وأجدادهم. وتحاشى بشكل سافر تسمية من طردهم وحرّمهم، واكتفى باستنكار العدوان والاضطراب اللذين يمزقان الأرض المقدسة. ثم قال: (... بعد كل هذه السنين العديدة، لا يزالون يؤمنون بأن بعض العدل والمنطق سيتحققان عن طريق الأمم المتحدة. وإننا ندرك الأسباب التي جعلت بعضهم ينادون بالابتعاد عن الله، وكيف يشعر بعضهم أن إخوانهم بالإيمان قد خذلوه، والبعض الآخر قد أصبح يستهزئ بعدالة الدول الكبرى، والأمم المتحدة نفسها.. ونحن الذين شاهدنا نكبتهم نعاهدهم أننا لن ننساهم، وأننا عند رجوعنا

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٥).

إلى أوطاننا سنرفع أصواتنا منتصرين لهم، وسنحث حكوماتنا على اتخاذ إجراءات سريعة لعودتهم إلى وطنهم، وتعويض الذين لم يعودوا^(١). ونحن بدورنا بعد كل هذه السنين العديدة، ندرك خطة الاستدراج، التي كان ينتهجها اليهود والنصارى لتضليل ذلك الجيل عن أسباب النصر والخذلان الحقيقية.

مؤتمر لجنة العمل للتعاون الإسلامي (المسيحي):

عقدت اللجنة الدائمة المنبثقة عن مؤتمر بحمدون مؤتمراً في الإسكندرية في الفترة (١٦ - ٢١ جمادى الثانية عام ١٣٧٤هـ، الموافق ٩ - ١٤ فبراير عام ١٩٥٥م) شارك فيه ثمانية وعشرون مندوباً، وأصدروا بياناً مطولاً ردوا في ثناياه ما جاء في بيان بحمدون، وأضافوا بعض المعاني الجديدة، نقطف منه ما يلي:

(لما كانت الاختلافات بيننا معروفة لدى الجميع، فليس ثمة من داع للتوسع في شرحها هنا^(٢). وإننا لنأمل من اليوم فصاعداً محاولة إيجاد جو تسوده روح التفاهم الديني، والتسامح وحسن السيرة والتأزر...

إننا متحدون في الاعتقاد الثابت بالله الخالق الحافظ لهذه الدنيا، وبأن وجود الإنسان على هذه الأرض لم يكن مصادفة، بل هو مخلوق بإرادة الله لغرض معلوم... وكؤمنين بإله واحد، يجب علينا أن نسعى لربط العالم برباط الأخوة لاستئصال أسباب الحقد وسوء التفاهم، والتقريب بين أهل الأرض في سلام وحرية...

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٦).

(٢) ظلت المؤتمرات اللاحقة على كافة الأصعدة ترجىء البحث في مسائل الاختلاف الكبرى بين الإسلام والنصرانية التي هي أساس دعوة القرآن لمحاورة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، حتى يومنا هذا كما سيتضح من عرض مقررات المؤتمرات اللاحقة في العقود الأربعة التالية.

وقد ظهر من خطب الخطباء في هذا الاجتماع أن بين الفريقين أوجه اتفاق عديدة. وجلي أنه لا يكفي في يومنا هذا أن نبني اتحادنا على مبادئ أساسية كبيرة فحسب، بل يجب علينا أن نعمل أيضاً على دعمها، والدفاع عنها، وإزالة العقبات في سبيل تحقيقها. وإننا لنعاهد أنفسنا بذل أقصى جهدنا لإنماء روح الصداقة بين أبناء ديانتنا، واستئصال التعصب وسوء الفهم، وخلق جو الأخوة وحسن التفاهم بينهما، بكل الوسائل الممكنة^(١).

هذا بالإضافة على التأكيد على قضايا حقوق الإنسان، وحماية الحريات، ودعم نظام الأسرة والزواج، والعدالة الاجتماعية، والسلام، والقيم الخلقية والروحية وهي معانٍ ظلت المؤتمرات اللاحقة تدور في فلكها، وتكررها دون أن تخرج إلى آفاق حوار حقيقي ينشد الحقيقة ويزيل أسباب القطيعة الثابتة، بل تتحاشى الاقتراب منها.

مؤتمر: «الجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي» بجمدون ١٩٥٦م:

كانت الأجواء المشحونة بالتوتر بين المسلمين والنصارى في العالم العربي والإسلامي قد ألفت بظلالها، وأثارت الريبة والحذر تجاه هذه المبادرة الغربية التي تدعو للمحبة والسلام، في حين يمارس الغربيون صنوف الاضطهاد للمسلمين في الجزائر التي كانت ترزح تحت الاستعمار الفرنسي، وفي قبرص التي يهيمن نصاراها على مسلميها، ويسلبونهم حقوقهم، فضلاً عن مساندة الدول الغربية لإسرائيل. ومن أجل ذلك لم تتمكن اللجنة المتولدة عن جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأميركيين من الحصول على ترخيص من الأردن بعقد اجتماعها هذا في القدس. فانعقد مرة أخرى في بجمدون في الفترة (٦ - ٩ ذي القعدة عام ١٣٧٥هـ، الموافق ١٥ - ١٨ يونيو ١٩٥٦م). وصدر عن المؤتمر

(١) المرجع السابق (١٨ - ٢٢).

بيانٌ مقتضب يندد بشكل عام، دون تسمية، بالظلم والعدوان، وسفك الدماء، واغتصاب الأوطان، وكبت الحريات، والتمييز الجنسي والعنصري والديني، وبراءة الديانتين من ذلك. ويُعث بنسخ منه إلى البابا، ورئيس كنيسة فرنسا، ورئيس أساقفة كانتربري الإنجليكانية.

هذا وقد كان من المفترض أن يعرض على المؤتمر الأخير هذا، الدستور المقترح الذي أعدته لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي في مؤتمر الإسكندرية السابق، للحصول على الموافقة النهائية. وذلك الدستور الذي لم يرَ النور يمثل ذروة سلم التقارب الإسلامي المسيحي في تلك الحقبة السابقة لانعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، نختار من بنوده المادتين الأوليين:

(المادة الأولى: - الاسم: الفقرة الأولى - تسمى هذه المنظمة «الرابطة العالمية للمسلمين والمسيحيين» ويطلق عليها فيما يلي «الرابطة».

المادة الثانية: - الأهداف: إن أهداف الرابطة هي:

فقرة (١) - الإفصاح بطريقة علنية بأن الإسلام والمسيحية يشتركان في كثير من المعتقدات والأهداف.

فقرة (٢) - تهيئة وتشجيع السبل التي تعمل على اطراد حسن التفاهم، والتعاون التام بين المسلمين والمسيحيين.

فقرة (٣) - التعاون على العمل لصالح العقيدتين.

فقرة (٤) - تشجيع دراسة القرآن والإنجيل، وعرض النتائج والتفسيرات بطريقة عادلة خالية من التحيز.

فقرة (٥) - تشجيع الأخوة والنصائح المتبادلة في كل ما يتعلق بالحياة الروحية.

فقرة (٦) - تكوين علاقات استشارية مع الهيئات الإسلامية والمسيحية المختلفة.

فقرة (٧) - إيجاد الأخوة والتعاون مع الجماعات الأخرى التي يهتمها التعاون المسيحي الإسلامي^(١).

لقد كانت أهداف هذه الرابطة خطيرة، ومراميها بعيدة، تجلت فيها فكرة التقريب بين الأديان كأوضح ما تكون، حيث يجري إبراز جوانب الاتفاق العامة، وتنحية وإغفال جوانب الافتراق الهامة، وإلغاء حدود الولاء والبراء، وطمس الحمية الدينية بدعوى التفاهم والتعاون، وذلك فَنَحْ كان يستدرج له أهل الإسلام، ولكن الله سَلَّمَ، فأجهض المشروع واللجنة والجمعية، وكفى الله المؤمنين القتال.

مؤتمر: «الإسلام والحضارة الغربية - عام ١٩٥٥م»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة البندقية «فينيسيا» في إيطاليا، في الفترة (١ - ٦ صفر عام ١٣٧٥هـ، الموافق ١٩ - ٢٤ سبتمبر عام ١٩٥٥م) بمبادرة من مؤسسة «جوفيانى ستي»، وشارك فيه خمسة عشر مسلماً ونصرانياً من ستة بلدان، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٢). إلا إن عنوانه يكشف عن الشعور المبكر لدى الدوائر النصرانية عما يحمله الإسلام من تأثير مستقبلي على الحضارة الغربية إثر حقبة الاستعمار الأوروبي لبلاد المسلمين والمواجهة المباشرة بين حضارتين؛ إحداهما مادية تفتقر إلى الأساس الديني الصحيح، والأخرى دينية تفتقر إلى أسباب القوة المادية، وتتخبط في ظلمات الجهل والفقر والمرض والتشرد، ولكنها تؤوي إلى دين صحيح، وتنسب إلى حضارة تاريخية راقية.

لقد كان هذا المؤتمر وأمثاله يعكس ما كان يعتمل في صدور النصارى في تلك الفترة السابقة لانعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، من الحاجة إلى بلورة موقف جديد لمواجهة الإسلام.

(١) الحوار الإسلامي المسيحي (٤٧٨).

(٢) انظر اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية - الإسلامية. تسلسل رقم (٥).

المبحث الثاني

محاولات الكنيسة الكاثوليكية

يعد المجمع الفاتيكاني الثاني لأساقفة الكنيسة الكاثوليكية (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) منعطفاً هاماً في تاريخ العلاقة بين الأديان، ومعلماً بارزاً في محاولات التقريب بينها. ولم يقف الأمر بمجرد إصدار الدساتير والقرارات والبيانات المجمعية، بل تبعته محاولات عملية لجعل مضامينها موضع التنفيذ، واتخذت الكنيسة الكاثوليكية خطوات عملية، ومبادرات متنوعة الأساليب، لتحقيق التقارب الديني.

ورغم أن الكنيسة الكاثوليكية قد سُبقت من قبل جهات كنسية وسياسية في إجراء بعض المحاولات، إلا إن الثقل الديني والتاريخي الذي تتمتع به الكنيسة في العالم النصراني، إضافة إلى التجديد اللاهوتي لمفهوم الخلاص الذي جاء به المجمع المشار إليه، يجعلها في المرتبة الأولى في سياق المحاولات المبذولة.

وتم عامل ثالث مهم يتعلق باستمرارية وتفعيل تلك المحاولات، وهو أن الكنيسة مؤسسة إدارية ذات هياكل وفروع تنظيمية راسخة الجذور، بخلاف الجهات الأخرى التي تفتقر إلى المرجعية الثابتة، وتبدو محاولاتها طارئة متفرقة، لا ينتظمها تصور مستقر، وهدف واضح.

وقد تنوعت وسائل التقريب وأدواته في الكنيسة الكاثوليكية. وسوف نحاول التعرف على الجهود المبذولة للتقريب بين الأديان لديها من خلال الحديث عن الجوانب التالية:

أولاً: أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، «المجمع البابوي للحوار بين الأديان - لاحقاً».

ثانياً: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية.

ثالثاً: الرحلات البابوية.

رابعاً: المؤتمرات والندوات.

أولاً: أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين:

Secretariat For none Christians

أنشأ البابا بولس السادس هذه الأمانة «السكرتارية» في الفترة الواقعة بين الدورتين الثانية والثالثة من دورات المجمع الفاتيكاني الثاني، في الرابع عشر من شهر مايو من عام ١٩٦٤م، بعد أربعة أشهر من الزيارة التي قام بها في مطلع ذلك العام إلى فلسطين والأردن ولبنان.

مهام أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين:

(كانت المهمة المعطاة لأمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين من قبل البابا ثلاثية:

أولاً: أن تشجع وتنقل صوت الدراسات الجادة الموضوعية والعلمية للأديان الأخرى، حتى يمكن للمسيحيين أن يتوصلوا إلى فهم أوضح لمضامين وممارسات المعتقدات الأخرى.

ثانياً: أن تحث المجتمعات المسيحية حول العالم لرؤية أهمية الحوار، وفهم واجب الإيمان المسيحي، وتنشيطه، على الرغم من العقبات، والتحفظات المسبقة لإرساء علاقات جيدة وودية مع مؤمني الأديان الأخرى.

وأخيراً، في أحوالٍ معينة، أن تشارك مباشرة في حوار مع أتباع الأديان الأخرى^(١).

رؤساء الأمانة:

تعاقب على أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين عددٌ من كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية، معظمهم برتبة «كاردينال»، وهم على التوالي:

• الكاردينال: باولو ماريللا : Cardinal: Paolo Marella

وهو أول رئيس للأمانة، وقد شغلها لفترة طويلة تمتد من عام ١٩٦٤م حتى عام ١٩٧٣م. وخلال فترة رئاسته تحققت المهمة الأولى الملقة على عاتق الأمانة فتم إعداد ونشر دراسات عن الأديان الأخرى^(٢).

• الكاردينال: سيرجيو بينيدولي : Cardinal: Sergio Pignedoli

وقد شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٧٣م حتى وفاته عام ١٩٨٠م. وتميزت فترة رئاسته بحركة دائبة، ونشاط ظاهر من الاتصالات والزيارات والاستضافات، مع المسلمين والبوذيين والهندوس، حتى وُصف عمل الأمانة في عهده بأنه (جهد لإيجاد جوٍ من التفهم و - إن أمكن - الصداقة، واهتمام خاص بُدِلَ للشبيبة)^(٣).

(وقد زار الرئيس والأمين المونسينور - الذي صار أسقفًا فيما بعد - بيترو روسانو عدداً من البلدان، والتقى قادة المسلمين في أفغانستان، والجزائر، وأستراليا، وبنغلاديش، والكمرون، ومصر، والهند، وأندونيسيا، وإيران والعراق، وساحل العاج، وليبيا، وماليزيا، ومالي،

(١) Recognize The Spiritual Bonds Which Unite Us. P. 48-49.

(٢) انظر المرجع السابق (٤٩).

(٣) Twenty-Five Years Of Dialogue. Michael Fitzgerald. P.2.

وموزمبيق، والنيجر، واليمن الشمالي، والباكستان، والعربية السعودية، والسنگال، وسنغافورة، وأسبانيا، وسيرلانكا، وتونس، وتركيا، ويوغندا، وفولتا العليا.

وبدورهم، زار الفاتيكان وفود رسمية من قادة المسلمين وعلمائهم، من مصر، وإيران، وإندونيسيا، وليبيا، والعربية السعودية، والسنگال، واليمن^(١).

وقد ترأس المكتب الخاص بالحوار مع المسلمين في أمانة السر الأب السوري «فرانسوا أبو مخ»، وشارك الرئيس والأمين في العديد من رحلاتهما.

وعلى الصعيد الداخلي دأبت أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين من خلال لجنتها المختصة بالحوار مع المسلمين تقويم مسيرتها، وتفحص نتائج مناشطها. ففي لقائها المنعقد عام ١٩٧٥م قررت ضرورة مراجعة «توجيهات في سبيل الحوار مع المسلمين»، الذي طبع لأول مرة عام ١٩٦٩م، واقترحت القيام بدراسة عن الوضع اللاهوتي للإسلام.

كما قامت الأمانة بالاتصال بنظيرتها في مجلس الكنائس العالمي، وإشراك بعض الشخصيات البروتستانتية والأرثوذكسية من المتخصصين والخبراء في شؤون الحوار مع المسلمين في اجتماعها الهام المنعقد عام ١٩٧٩م، لتبادل الخبرات ورسم الخطط المستقبلية. وقد نص المونسنيور روسانو في تقريره الافتتاحي على أن (الحوار مع المسلمين سيكون بالتأكيد واحداً من المهام الأساسية للكنيسة في المستقبل)^(٢).

Recognize The Spritual Bonds. P.49-50. (١)

Twenty-Five Years Of Dialogue. P. 4. (٢)

• رئيس الأساقفة جان جادوت Archbishop: Jean Jadot :

وقد شغل المنصب منذ وفاة سلفه عام ١٩٨٠م، حتى استقالته عام ١٩٨٤م. وقد نحا بأمانة السر منحىً سلبياً، حيث رأى أن الحوار الحيوي هو الذي يتم بين المسيحيين في الكنائس المحلية، والمسلمين في ذات البلد، وتكون وظيفة الأمانة مساعدة تلك الكنائس المحلية، على بناء حوار إسلامي مسيحي على المستوى القومي، والقيام بدور الظهير في المشاركة والمعلومات^(١).

وقد أدى هذا النهج إلى انحسار مبادرات الأمانة، والاكتفاء بالمشاركة في مؤتمرات الحوار التي تنظمها جهات أخرى. وفي المقابل تشجيع اللقاءات الأسقفية المحلية في آسيا وأفريقيا وأوربا، التي تعنى بالعلاقة مع المسلمين مثل: مؤتمر أساقفة شمال أفريقيا، والمداولة حول الوجود المسيحي بين المسلمين في آسيا، المنظم من قبل اتحاد أساقفة آسيا، ومؤتمر الكنائس الأوربية ونحوها^(٢).

• الكاردينال: فرانسيس آرينزي Cardinal Francis Arinze

كان يشغل رئيس أساقفة نيجيريا، وكان حديث العهد بعضوية أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، حين عينه البابا يوحنا بولس الثاني في منصب الرئيس عام ١٩٨٤م خلفاً للمونسنيور جادوت، الذي لم يرض طموح البابا على ما يبدو. وقد أبدى الكاردينال الأفريقي نشاطاً منقطع النظير في إقامة العلاقات مع المسلمين وغيرهم، وإبراز الاتفاقيات مع المؤسسات الدينية والعلمية العريقة في العالم الإسلامي، عبر سلسلة من الرحلات والاستضافات المتتابة، مع تفعيل الكنائس المحلية في البلدان الإسلامية أيضاً في قضية الحوار. كما كان له

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P. 50.

(٢) انظر : Twenty-Five Years Of Dialogue. P.7.

حضور قوي في محافل الحوار الدولية، الثنائية والمتعددة، فضلاً عن الكنيسة. كما يتضح من مسرد المؤتمرات المعقودة في الثمانينيات^(١).

ومن المعالم البارزة في عهده، طرح إشكالية «الحوار والبشارة»، داخل البيت النصراني، وتبلور الهدف التنصيري من وراء ستار الحوار^(٢).

وقد أدت هذه الحركة النشطة في أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين إلى حمل الإدارة البابوية في الأول من مارس عام ١٩٨٩م على اعتماد تغيير اسم الأمانة إلى «المجمع البابوي للحوار بين الأديان» The Pontifical Council For Inter-Religious Dialogue PCID، مما يشعر بالأهمية المتزايدة لهذا المرفق الفاتيكاني، والدور الذي يقوم به، وعلى حد تعبير الكاردينال أرينزي نفسه أنه: (جاء ليبقي، ولا ينبغي أن يعد مكتباً تجريبياً مؤقتاً)^(٣).

هذا وينشر المجمع البابوي، أمانة السر سابقاً، نشرة فصلية بعنوان «Bulletin» أي النشرة أو البلاغ، باللغتين الإنجليزية والفرنسية. (تنشر دراسات لاهوتية في الحوار الديني بكل جوانبه، وتعكس أخبار اللقاءات، وتُصدي للكتب والمجلات التي تعالج موضوع الحوار)^(٤). بالإضافة إلى بعض الدراسات في مجال الحوار مثل: توجيهات في سبيل الحوار ١٩٦٩، ١٩٨٠ و: حوار وبشارة ١٩٩١م.

وقد دأب المجمع البابوي للحوار بين الأديان، ومن قبله أمانة

(١) انظر: Twenty-Five Years Of Dialogue. P. 8-12.

(٢) انظر موقف الكنيسة الكاثوليكية من دعوة التقريب، في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٣) Bulletin. 69 (1988) p. 185.

(٤) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٦٢ - ١٦٣).

السر، منذ حوالي ثلاثين عاماً على توجيه رسائل تهنئة مفتوحة للمسلمين بمناسبة عيد الفطر المبارك، تنشر بلغات متعددة، على أنها لا تقتصر على عبارات التهنئة العادية، بل تتضمن حديثاً عن موضوع معين. ومن هذه الموضوعات المدرجة في تلك الرسائل:

- (تزامن عيد الميلاد، وعيد الفطر: تقارب روحي) عام ١٩٦٧م.
 - (المسؤولية المشتركة تجاه السلام والتنمية الاقتصادية) عام ١٩٦٩م.
 - (الصداقة بين النصارى والمسلمين) عام ١٩٧٢م.
 - (الرجال والنساء خلفاء الله في الأرض) عام ١٩٧٧م.
 - (صيانة الأبعاد الروحية للحياة الإنسانية) عام ١٩٨٤م.
 - (التقرب إلى الله معاً في روح الصلاة) عام ١٩٨٧م.
 - (مريم أم المسيح) عام ١٩٨٨م.
 - (التضامن مع جميع من يعانون) عام ١٩٩٠م.
 - (تقليل التوتر في المجتمعات التعددية) عام ١٩٩٣م.
 - (التعاون المسيحي الإسلامي لتعزيز نمط الأسرة) عام ١٩٩٤م.
- وجميع هذه التهاني موقعة من قبل رئيس الأمانة، أو المجمع، سوى تهنئة عام ١٩٩١م، فقد وجهها البابا يوحنا بولس الثاني إلى المسلمين، بسبب أحداث حرب الخليج^(١).

بقي أن نشير إلى حقيقة غريبة؛ وهي أن الحوار مع اليهود لا يندرج في اختصاصات أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، حتى بعد تحولها إلى المجمع البابوي للحوار بين الأديان! ولكن العلاقة بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود تتبع مفوضية خاصة تحمل اسم: المجمع البابوي لتشجيع الوحدة المسيحية.

ثانياً: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية P.I.S.A.I:

Pontifical Institute For Arabic and Islamic Studies

يعد هذا المعهد من أبرز المؤسسات الكاثوليكية، العلمية، المعنية بالحوار مع المسلمين، إن لم يكن أبرزها فعلاً^(١). ويهدف هذا المعهد إلى إعداد النصارى وتأهيلهم للحوار مع المسلمين كما ينص عليه نظامه الأساسي، كما أنه من جهة أخرى ملتقى للنصارى والمسلمين.

ويرجع تاريخ هذا المعهد إلى فترة مبكرة في هذا القرن. ففي عام ١٩٢٦م عمدت الإرساليات الكاثوليكية التنصيرية في أفريقيا، المعروفة باسم «الآباء البيض»^(٢) إلى تأسيس مركز في تونس للنصارى الذين يعيشون أو يعملون في أوساط مسلمة، بغية الحفاظ على هويتهم وانتمائهم. وفي عام ١٩٣١م حمل المركز الاسم الفرنسي (IBIA) Institut des Belles Arabes كمركز ثقافي، لا يزال موجوداً في تونس. ثم جرى فصل الجانب التعليمي عن المركز الثقافي، إثر الحرب العالمية الثانية، وسمي المعهد البابوي عام ١٩٦٠م، ثم نقل من تونس إلى روما عام ١٩٦٤م، وسمي باسمه الراهن: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية، المعروف اختصاراً (P.I.S.A.I)^(٣).

ومن أبرز مناشطه العلمية إصدار نشرة شهرية منذ عام ١٩٧٤م، اسمها «Encounter» أي «اللقاء». كما يصدر المعهد مجلة عريقة منذ عام ١٩٦١م اسمها «دراسات عربية»، ومجلة سنوية شهيرة منذ عام ١٩٧٥م اسمها: «Islamochristiana» أي: دراسات إسلامية مسيحية.

ويمنح المعهد درجتي الليسانس والدكتوراه في الحقول العربية

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي، ضرورة المغامرة (١٥٣).

(٢) نسبة إلى الجلايب البيض التي تميزوا بارتدائها.

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P. 49-50.

والإسلامية والبابوية، ويضم طلاباً من مختلف الطوائف النصرانية، بل والمسلمين. ويشارك في التدريس فيه أيضاً أساتذة مسلمون، ويضم واحدة من أكبر المكتبات المتخصصة في الثقافة الإسلامية في روما.

والى جانب النشاط العلمي العادي لتأهيل النصارى للحوار مع المسلمين، يشرف المعهد على نمط عجيب من الدورات المكثفة، والحلقات الدراسية التي تعرف باسم: «الأيام الرومانية» «Journées Romaines» أو (JR) اختصاراً. وهي سلسلة من الأيام الدراسية التي تنتظم في الأصل عشرات النصارى الملتزمين الذين يعيشون بين المسلمين، بغرض تعميق فهمهم ووعيهم النصراني تجاه ما يمكن توقعه في علاقاتهم بالمسلمين. وكان المشاركون في بادئ الأمر، جميعهم ممن يعيشون أو يعملون في البلاد العربية، ثم اتسع المجال، واتخذ طابعاً شمولياً. وقد عقد أول لقاء في روما عام ١٩٥٦م. ومنذ عام ١٩٨١م صار يدعى أحد المسلمين كمتحدث رئيسي ثم يمضي بقية اليوم مع المشاركين للمناقشة.

ويتخلل برنامج الأيام الرومانية زيارة للبابا، والمواقع النصرانية المختلفة من كنائس وآثار. وقد نسجت بعض الكنائس الكاثوليكية على منوالها في مناطق أخرى من العالم فوجدت: الأيام الآسيوية، الأيام المشرقية، الأيام الدومينكانية، ...

• ومن الموضوعات التي تم بحثها في هذه المناسبات:

■ (نحو خطة عامة للمجتمع) عام ١٩٨٩م.

■ (من هو عيسى بالنسبة للمسيحيين الذين يعيشون بين المسلمين)

عام ١٩٩١م.

■ (الأسرة المتغيرة، والحوار المسيحي الإسلامي) عام ١٩٩٣م.

• وقد استضاف المعهد عدداً من مؤتمرات الحوار منها:

■ مؤتمر: «القداسة في الإسلام والمسيحية - عام ١٩٨٥م»^(١).

ثالثاً: الرحلات البابوية:

منذ انعقاد الدورة الأولى للمجمع الفاتيكاني الثاني في ديسمبر عام ١٩٦٢م حتى أيامنا هذه، تعاقب على كرسي البابوية الرومانية أربعة بابوات:

الأول: البابا يوحنا الثالث والعشرون، الذي أعلن عن انعقاد المجمع عام ١٩٥٩م، واتخذ التدابير الإجرائية لأعماله، ثم توفي بعد الدورة الأولى عام ١٩٦٣م، دون أن يتضح له موقف معين من قضية التقريب بين الأديان.

الثاني: البابا بولس السادس، الذي وقّع سائر دساتير المجمع وقراراته وبياناته المتضمنة للفقرات الجديدة والجريئة بشأن العلاقة مع الأديان الأخرى، وخاصة الإسلام، ثم أتبع ذلك بإنشاء أمانة السر الفاتيكاني للعلاقات بغير المسيحيين.

الثالث: البابا يوحنا بولس الأول، خلف سلفه الذي توفي في أغسطس ١٩٧٨، ولم تدم فترة بابويته سوى ثلاثة وثلاثين يوماً فقط، بسبب موته المفاجيء.

الرابع: البابا يوحنا بولس الثاني، الذي رُسم في منصبه في أكتوبر عام ١٩٧٨م. ولا يزال على قيد الحياة، وشهد عهده نشاطاً مكثفاً على كافة المستويات.

وسوف نسلط الضوء على المبادرات التي قام بها الثاني والرابع من هؤلاء، في مجال الدعوة إلى التقريب بين الأديان، وعلى الخصوص بين النصرانية والإسلام.

(١) سيأتي التعريف به (١١٢٩).

أولاً: البابا بولس السادس:

■ في ديسمبر عام ١٩٦٣م أعرب رسالته الإذاعية بمناسبة عيد ميلاد المسيح عن مشاعر الاحترام والمحبة تجاه المسلمين واليهود، وتمنى لهم السعادة والسلام.

■ في يناير عام ١٩٦٤م، قام بزيارة هي الأولى من نوعها يقوم بها بابا الكنيسة الكاثوليكية طوال التاريخ، إلى القدس، واجتمع بمفتي القدس، كما زار الأردن ولبنان. وفي رسالته الموجهة إلى العالم من بيت لحم في ٦/١/١٩٦٤م خص بالتحية والتقدير: (. . أولئك الذي يعلنون التوحيد، ويتوجهون. . معنا - بعبادتهم الدينية إلى الإله الواحد الحق، الأعلى الحي، إله إبراهيم)^(١).

■ في يوليو عام ١٩٦٧م قام بزيارة إلى تركيا، والتقى مفتي إستانبول، وممثلي المسلمين، وخاطبهم قائلاً: (نود أن نبدي تقديرنا السامي للمسلمين، الذين يعبدون الله الواحد الحي الباقي الرحمان الرحيم، خالق السماء والأرض، الذي كلم الناس، كما أوضح تماماً في المجمع الأخير الذي حثنا على أن نعزز معاً، على طول الخط، العدالة الاجتماعية، والقيم الخلقية، والسلام والحرية. كل أولئك الذين يعبدون الإله الواحد الفرد، مدعوون لتأسيس منهج للعدالة والسلام على الأرض)^(٢).

■ في أغسطس عام ١٩٦٩م زار يوغندا، والتقى لأول مرة جماهير من المسلمين في كمبالا، وخاطبهم معرباً عن تقديره واحترامه لهم وأمله (أن يتوحد المسيحيون والمسلمون دوماً، باقتراب أكثر في التآخي الحقيقي)^(٣).

(١) Inter-religious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963-1995) p. 119.

(٢) المرجع السابق (١٤٩ - ١٥٠).

(٣) المرجع السابق (١٦٤).

■ في سبتمبر عام ١٩٦٩م وجه رسالة إلى المؤتمر الإسلامي لزعماء الدول الإسلامية المنعقد في المغرب «الرباط»، دعا فيها إلى نبذ العنف، وإحلال السلام في أرض فلسطين، وأعرب عن اعتقاده أن تمثيل الأديان التوحيدية الثلاث في الأراضي المقدسة، وخصوصاً القدس، يمكن أن يكون بداية التوحيد والانسجام والسلام. وأبدى أسفه لمحاولة إحراق المسجد الأقصى، وأهمية الحفاظ على خصائص المدينة المقدسة^(١).

■ في نوفمبر عام ١٩٧٠م التقى في مانيللا في الفلبين بأتباع الأديان المختلفة، وكذلك فعل في ديسمبر من العام نفسه في سيدني في أستراليا، وخاطب الجميع معلناً عن رغبة الكنيسة الكاثوليكية في الانفتاح والاتصال بجميع الناس، والدخول معهم في حوار ودي، على أساس من الحد الأدنى من المبادئ المشتركة^(٢).

وكرر نفس المعاني في الشهر ذاته في جاكرتا، في أندونيسيا، ذات الأغلبية المسلمة، مع استدعاء فقرات من بيانات المجمع الفاتيكاني الثاني المتعلقة بالمسلمين. كما نوه بالبوذية والهندوسية والكونفوشسية، ودفع التهمة الموجهة إلى الكنيسة الكاثوليكية بأنها تنظم أوربي متشدد، مؤكداً عالميتها^(٣).

هذا على صعيد الرحلات والزيارات، أما الاستضافات، فقد شهد الفاتيكان استقبال البابا بولس السادس لعددٍ من الوفود الإسلامية من أبرزها:

■ في شوال عام ١٣٨٥هـ، فبراير عام ١٩٦٦ استقبل الدكتور

(١) انظر: المرجع السابق (١٦٩).

(٢) انظر نص الخطابين في المرجع الوثائقي السابق (١٧٢، ١٧٥).

(٣) انظر المرجع السابق (١٧٦).

مهدي الروحاني، ممثل الطائفة الشيعية في أوروبا، وبحث معه أبعاد التصريح الفاتيكاني.

■ في شوال ١٣٩٠هـ، ديسمبر عام ١٩٧٠م زار حاضرة الفاتيكان وفدٌ من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة.

■ في شوال عام ١٣٩٤هـ، أكتوبر ١٩٧٤م التقى البابا بولس السادس وفدًا من علماء المملكة العربية السعودية المشاركين في ندوة حول «حقوق الإنسان في الإسلام والمسيحية» في روما.

■ في ذي الحجة ١٣٩٧هـ نوفمبر ١٩٧٧م، زار شيخ الطائفة الشيعية، الخالصي^(١)، البابا بولس السادس.

وعلى الصعيد الدبلوماسي جرى خلال عشر سنواتٍ فقط في عهده إقامة علاقات دبلوماسية بين دولة الفاتيكان وسبعة عشر دولة إسلامية، أو ذات كثافة إسلامية، هي على حسب ترتيب إقامة علاقاتها الزمني كما يلي:

■ العراق «أغسطس ١٩٦٦م»، الكمرون «أغسطس ١٩٦٦»،
يوغندا «سبتمبر ١٩٦٦م»، جمهورية أفريقيا الوسطى «أكتوبر ١٩٦٧م»،
الكويت «أكتوبر ١٩٦٨م»، يوغسلافيا «أكتوبر ١٩٧٠م»، ساحل العاج
«أكتوبر ١٩٧٠م»، بنين «يناير ١٩٧١م»، النيجر «يوليو ١٩٧١»، الجزائر
«مارس ١٩٧٢»، تونس «مارس ١٩٧٢»، بنجلاديش «سبتمبر ١٩٧٢»،
قبرص «يناير ١٩٧٣»، بوركينافاسو «يناير ١٩٧٣»، غانا «نوفمبر
١٩٧٥م»، نيجيريا «نوفمبر ١٩٧٥»، المغرب «يناير ١٩٧٦م»^(٢).

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P. 49-50.

(٢) الخالصي (١٣٠٧ - ١٣٨٣هـ) محمد بن محمد مهدي الخالصي. من كبار فقهاء الإمامية وباحثيهم. من أهل الكاظمية. طبع له في حياته نحو سبعين كتاباً. منها: إحياء الشريعة في مذهب الشيعة. انظر: الأعلام (٨٦/٧).

علماً أنه قد جرى في وقت مبكر إقامة علاقات دبلوماسية مع لبنان «مارس ١٩٤٧م»، ومصر «مايو ١٩٤٧م». وقد قام البابا بولس السادس بإيفاد بعض كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية إلى بعض زعماء العالم الإسلامي، ومن أبرز تلك الوفادات:

- زيارة الكاردينال دي فرستنبرغ لشيخ الأزهر في القاهرة، في محرم ١٣٨٨هـ أبريل ١٩٦٨م.
- زيارة النائب البابوي جون روب، لشيخ الطائفة الشيعية في الكاظمية بالعراق، في جمادى الأولى عام ١٣٩٢هـ يوليو ١٩٧٢م.
- زيارة رئيس الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين الكاردينال بينيدولي للملك فيصل بن عبد العزيز، في جدة في ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ، أبريل ١٩٧٤م.
- زيارة الكاردينال روسانو، أمين سر الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين لشيخ الأزهر، في جمادى الثانية ١٣٩٨هـ - أبريل ١٩٧٨م في القاهرة، قبل موت البابا بولس السادس بأربعة أشهر تقريباً.

ثانياً: البابا يوحنا بولس الثاني:

اتضح موقف البابا يوحنا بولس الثاني من قضية الحوار بين الأديان بصفة رسمية، من خلال الخطاب الذي وجهه إلى أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين بعد ستة أشهر فقط من تنصيبه، وذلك في اجتماعها المنعقد بجميع أعضائه، بالإضافة إلى خبراء ومتخصصين في شؤون الحوار من كنائس أخرى، في أبريل عام ١٩٧٩م. ومما جاء في خطابه: (إن العالم غير المسيحي، في الحقيقة، أمام عيني الكنيسة والبابا دوماً.. إن أمانة السر هي الرمز والتعبير للكنائس التي ترغب في الدخول في اتصال مع كل شخص، وعلى وجه الخصوص مع الجماهير من التقاليد الدينية غير المسيحية، التي تبحث

عن معنى وهداية في حياتها.. إن أملتي ورغبتني أن يتعزز الالتزام بحوار الخلاص من خلال الكنيسة^(١).

وفي اجتماع الأمانة المنعقد في مارس ١٩٨٤م، أكد مجدداً ضرورة الحوار وطرائقه ودواعيه وأشكاله، وأنه جزء من رسالة الكنيسة، حيث كان محور ذلك الاجتماع بحث العلاقة بين الحوار والبشارة^(٢).

وفي اجتماع الأمانة المنعقد في أبريل عام ١٩٨٧م، وصف البابا يوحنا بولس الثاني أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين بأنها إحدى الثمار الثابتة والمتماسكة للمجمع. وأن الحوار مع الآخرين فريضة على المسيحيين، وأنه لا تعارض بين الإعلان المسيحي والحوار، بل الحوار مشمول بالبشارة، واستشهد بحواراته الشخصية مع الآخرين^(٣).

وبعد أن تحولت الأمانة إلى المجمع البابوي للحوار بين الأديان، خاطب البابا المجمع في دورته المنعقدة في إبريل عام ١٩٩٠، زاعماً أن الروح القدس يقود الكنيسة في الحوار. ثم أوضح العوامل التي تشجع الحوار، والعلاقة بين الحوار والأوساط الجماهيرية، لكي يصل ذراع الكنيسة إلى جميع المؤمنين^(٤).

وفي دورة المجمع المنعقدة في نوفمبر عام ١٩٩٢م، كرر القول بأن الحوار حوار خلاص، وبالتالي فلا تعارض بين الحوار والإعلان «البشارة»، وذكر فوائد الحوار، ودعا إلى إعداد قادة للحوار وتأهيلهم عن طريق جامعات الكنيسة وكلياتها^(٥).

(١) Inter-religious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963-1995)

p. 216, 217.

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٦٨ - ٢٧١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٧٣ - ٣٧٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (٤٢٩ - ٤٣٢).

(٥) انظر: المرجع السابق (٤٩٨ - ٥٠١).

وفي نوفمبر عام ١٩٩٥م، على رأس ثلاثين سنة تقريباً من انتهاء أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني، انعقد المجمع البابوي للحوار بين الأديان في دورته المكتملة الأعضاء تحت عنوان: «حوار الروح، وروح الحوار» وخاطبهم البابا بعبارات التحية والتقدير مردداً نفس المضامين السابقة، لافتاً النظر إلى أنه في الوقت الذي تسعى فيه جميع الكنائس للإعداد ليوبيل عام ٢٠٠٠م، فإن الأديان الأخرى تبدي مزيداً من الاهتمام بقضية الحوار، معتبراً ذلك علامة من علامات الرجاء في نهاية هذا القرن^(١).

لقد كانت المتابعة الشخصية، والاهتمام الخاص الذي يبديه البابا يوحنا بولس الثاني بأمانة السر، المجمع البابوي لاحقاً، للحوار بين الأديان، معلماً بارزاً في سياسته البابوية لتحقيق رسالة الكنيسة وأهدافها^(٢).

أما رحلات البابا يوحنا بولس الثاني فلم يشهد التاريخ البابوي لها مثيلاً كثرة وتخطيطاً وتنوع مقاصد. فقد طوّف الدنيا، وتجاوز عدد رحلاته مائتين وعشر رحلات. ومع أن غالبها يستهدف حضور اجتماع لأساقفة بلد معين، أو جملة بلدان إلا إنه يصاحب ذلك لقاءات متعددة مع أتباع الأديان الأخرى، بهدف التقريب وتعزيز حوار الخلاص - كما يسميه - وحماية مصالح الجماعة النصرانية.

وفيما يلي مسرد بلقاءات البابا يوحنا بولس الثاني بممثلي المسلمين في مناطق متعددة من العالم، حتى عام ١٩٩٥م:

■ في ٧/٥/١٩٨٠م التقى قادة المسلمين في كينيا - في نيروبي.

(١) انظر المرجع السابق (٥٥٨ - ٥٦٠).

(٢) راجع موقف البابا يوحنا بولس الثاني من دعوة التقريب في الفصل الثالث من الباب الأول.

- في ٨/٥/١٩٨٠م التقى قادة المسلمين الغانيين في أكرا - غانا ..
- في ٣١/٥/١٩٨٠م التقى ممثلي الجالية الإسلامية في فرنسا، في باريس.
- في ١٧/١١/١٩٨٠م التقى العمال المسلمين في ألمانيا، في ماينز.
- في ١٦/٢/١٩٨١م خاطب الجمهور الباكستاني في كراتشي.
- في ٢٠/٢/١٩٨١م التقى ممثلي المسلمين الفلسطينيين في دافاو.
- في ١٤/٢/١٩٨٢م خاطب السكان المسلمين في ولاية كادونا في نيجيريا.
- في ١٧/٢/١٩٨٢م خاطب جمهور دولة بنين في كوتونو.
- في ١١/٥/١٩٨٤م خاطب شعب تايلند في بانكوك.
- في ١٩/٥/١٩٨٥م التقى ممثلي المسلمين في بلجيكا، في بروكسل.
- في ٩/٨/١٩٨٥م التقى أتباع مختلف الديانات في توجو، في توجوفيل.
- في ١٢/٨/١٩٨٥م التقى ممثلي المسلمين في الكمرون، في يواندي.
- في ١٨/٨/١٩٨٥م التقى ممثلي المسلمين والهندوس في كينيا، في نيروبي.
- في ١٩/٨/١٩٨٥م التقى الشبيبة المسلمة المغاربة في كازابلانكا «الدار البيضاء».
- في ١/٢/١٩٨٦م خاطب الشعب الهندي، في نيودلهي.
- في ٢/٢/١٩٨٦م خاطب أتباع الديانات المختلفة في الهند، في نيودلهي.

- في ٢٥/٢/١٩٨٦م التقى ممثلي الديانات المختلفة في الهند، في مدراس.
- في ٢٧/١٠/١٩٨٦م التقى ممثلي مختلف الديانات بمناسبة اليوم العالمي للصلاة من أجل السلام في أسيزي «إيطاليا».
- في ١٩/١١/١٩٨٦م خاطب شعب بنجلاديش، في دكا.
- في ١١/٤/١٩٨٧م التقى ممثلي المسلمين في الأرجنتين، في بوينس آيرس.
- في ١٦/٩/١٩٨٧م خاطب أتباع الأديان المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية، في لوس أنجلوس.
- في ٥/٥/١٩٨٩م التقى ممثلي الديانات المختلفة في ملاوي، في بلانتييري.
- في ١٠/١٠/١٩٨٩م التقى ممثلي الديانات المختلفة في أندونيسيا، في جاكرتا.
- في ٢٨/١/١٩٩٠م خاطب «المؤمنين» في مالي، في باماكو.
- في ٢٧/٥/١٩٩٠م التقى ممثلي المالطين المسلمين، في مدينا.
- في ٢/٩/١٩٩٠م التقى ممثلي الديانات المختلفة في تنزانيا، في دار السلام.
- في ٦/٩/١٩٩٠م التقى ممثلي الديانات المختلفة في بوروندي، في بجنبورا.
- في ٩/٩/١٩٩٠م التقى ممثلي الديانات المختلفة في رواندا، في كيغالي.
- في ٢٠/٢/١٩٩٢م التقى ممثلي المسلمين والديانات الأخرى في السنغال، وخاطب القادة المسلمين في داكار في ٢٢/٢/١٩٩٢م.

- في ٢٣/٢/١٩٩٢م خاطب شعب جامبيا، في بنجول.
 - في ٢٥/٢/١٩٩٢م التقى مسلمي غينيا، في كوناكري.
 - في ٩/١/١٩٩٣م التقى ممثلي مختلف الديانات بمناسبة الصلاة من أجل السلام في أوروبا، في أسيزي «إيطاليا»، ثم خص الجاليات المسلمة في أوروبا بلقاء مستقل في اليوم التالي.
 - في ٤/٢/١٩٩٣م التقى ممثلي مسلمي بنين في باراكوا.
 - في ١٠/٢/١٩٩٣م التقى قادة مختلف الديانات في السودان، في الخرطوم.
 - في ٢٥/٤/١٩٩٣م وجه رسالة في تيرانا إلى الأمة الألبانية.
 - في أغسطس ١٩٩٣م التقى أتباع الأديان المختلفة في دنفر - كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية.
 - في ٢٠/١/١٩٩٥م خاطب شعب سيرلانكا، في كولومبو، وفي اليوم التالي التقى قادة الأديان فيها.
 - في ١٦/٩/١٩٩٥م وجه خطاباً إلى «مؤمني» جنوب أفريقيا، في جوهانسبرج.
- تلك فقط الرحلات البابوية التي تضمنت نوع اتصالٍ بالمسلمين، وأما سائر رحلاته فأضعاف ذلك. وفي خطابهات لممثلي المسلمين أو جماهيرهم في البلدان المزورة، يزجي عبارات التقارب والسلام والتعاون والتعايش، ويدعو إلى الحوار، في الوقت الذي يمارس مهمة «الشهادة» و«البشارة» الكنسية دون موارد.

وفي حديثه المستفيض لأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين في دورة مجلسها المنعقد في إبريل عام ١٩٨٧م، أوضح

البابا يوحنا بولس الثاني عن هدفه المزدوج الذي يستصعبه في رحلاته العالمية فقال:

(خلال مدة حبريتي، ظل حرصي الدائم أن أحقق المهمة الحوارية والراعية للحوار والإعلان معاً. في زيارتي الأخيرة لأفريقيا، التقيت قادة التقاليد الدينية الأفريقية، وشهدت وعيهم لقرب الإله، وتقديرهم للقيم الخلقية للشخص الرباني. في المغرب استقبلت بحرارة من المسلمين، وحدثتهم عن متطلبات قيادة حياة الإيمان اليوم. في الهند، رأيت دليل التقاليد الروحية القديمة لذلك البلد الذي ظل قوة للنور، والحكمة، والقوة، وسط مشاكل الحياة العصرية. أكتوبر الماضي دعوت ممثلي جميع أديان العالم إلى أسيزي، موطن القديس فرانسيس، ذلك الرجل المقدس ذي الحوار العميق، والإعلان الذي لا يكل، ليأتوا جميعاً للصلاة من أجل السلام في العالم. كما أنني أكدت كذلك في مناسبات أخرى أهمية إعلان البشارة، والتنصر، وأقامت الكنائس المحلية، ومراسم التعميد الإيمانية المناسبة)^(١).

أما لقاءات البابا للمسلمين في حاضرة الفاتيكان فلا يتسع لها حصر، فقد التقى وفوداً متعددة من مختلف القارات، ووجه رسائل إذاعية وشخصية لعموم المسلمين، وقادتهم.

رابعاً: المؤتمرات والندوات:

نقتصر في هذا الموضع على عرض المؤتمرات والندوات التي أخذت فيها الكنيسة الكاثوليكية بزمam المبادرة والدعوة إلى انعقادها، أو كانت شريكاً أساسياً في ذلك. أما المشاركات العامة في مؤتمرات التقارب بين الأديان، فلا يكاد يخلو منها مقعد للفاتيكان، وسيتم التعريف بها عند ذكر مناشط أصحاب تلك المبادرات.

الفاتيكان ومصر «الأزهر».. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية:

١ - لقاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة بأمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين:

جرى هذا اللقاء في الفاتيكان في الفترة من ١٧ إلى ٢١ شوال عام ١٣٩٠هـ، الموافق ١٦ إلى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٧٠م. وقد ترأس الوفد المصري السيد محمد توفيق عويضة، الأمين العام للمجلس، وترأس الجانب الفاتيكاني الكاردينال بول مريلا، رئيس أمانة السر. وقد صدر عن اللقاء بيان مشترك من الطرفين، جاء فيه:

(.. أن يبذلا كل الجهود لتعزيز العلاقات الجيدة بين المسيحيين والمسلمين، فتقوى هذه الأخوة القائمة بين مؤمنين يشتركون في احترام كل القيم الدينية والإيمان بالله. أن يقوما بعمل دؤوب في سبيل العدالة والسلام في العالم. وبهذا الصدد فإنهما يشجبان باسم الإيمان الخاص بكل منهما جميع أنواع التفرقة، ويتمنيان بحارة لأن تتضافر كل الجهود لإعادة السلام في الشرق الأدنى، على أساس العدالة والكرامة)^(١).

وحيث تعهد الطرفان بالاتصال المستمر والتشاور بصورة منتظمة، ووجهت الدعوة لرئيس أمانة السر الفاتيكاني لزيارة القاهرة، فقد كان اللقاء التالي:

٢ - لقاء أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة.

جرى هذا اللقاء في القاهرة في الفترة من ٢٢ - ٢٩ شعبان عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٩ - ١٦ سبتمبر ١٩٧٤م، وقد قاد الوفد الفاتيكاني الكاردينال بنييدولي، رئيس الأمانة، وصدر عن اللقاء بيان مشترك جاء فيه:

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (٤٣).

١) - يجب بذل جهود جدية في حقول الأسرة والمدرسة والجامعة، والشؤون الاجتماعية، من أجل مجابهة الأخطار التي تهدم القيم الدينية كالشك والتمرد والارتياحية.

٢ - يجب تكثيف الاهتمام إلى أقصى حدٍ بالشبيبة، عماد المستقبل، وذلك بالتعبير عن الإيمان بطريقة تتوافق ومتطلبات العقلية العصرية.

٣ - يجب السهر على تغذية الفرد والأسرة والمجتمع بالقيم الدينية، لكي تتأصل فيهم فتصونهم، من أن يصبحوا ضحايا النظريات المادية في الحياة اليومية.

٤ - يجب توعية الجميع حول المصلحة الكبرى لدى الديانتين، الإسلامية والمسيحية في توطيد السلام، ضمن عالم أنهكته الحروب، وجرحته العدائية، كما يجب إبراز الدعوة التي لا تنفك الديانتان تطلقهما من أجل المحبة والتسامح والغيرية «هكذا»، والخير والحق، والعدالة، ولا سيما تجاه الفقراء والمحرومين.

٥ - إن الأمانة العامة الفاتيكانية للعلاقة مع غير المسيحيين، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، كان في رأس اهتمامها عند صياغة هذا البيان، السلام المنشود لمدينة القدس المحبوبة، وهما يأملان أن هذا السلام سيتحقق في أقرب وقت^(١).

٣ - مؤتمر: «اتحاد المؤمنين لمجابهة الإلحاد»:

عقد هذا المؤتمر في باريس في شهر ربيع الثاني عام ١٣٩٢هـ، الموافق يونيو ١٩٧٢م، بمشاركة الأزهر والفاتيكان وجامع باريس.

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (٦٥).

٤ - مؤتمر: «من أجل تفاهم أعمق»:

عقد هذا المؤتمر في القاهرة في الفترة من ٣ إلى ٦ جمادى الأولى عام ١٣٩٨هـ، الموافق ١١ إلى ١٤ أبريل عام ١٩٧٨م بين وفد كبير (٢٣ عضواً) من أمانة السر الفاتيكانية للعلاقة بغير المسيحيين بقيادة الكاردينال روسانو، وإدارة جامعة الأزهر. وهي المرة الأولى التي يقع فيها اتصال بين الكنيسة الكاثوليكية والأزهر يتمخص عن بيان مشترك، جاء في مقرراته:

- الإيمان بجميع أنبياء الله^(١) والتيقن من أن الله اختارهم من أجل توجيه الناس وتطوير الإنسانية.
- السلام في الإسلام: خلق الله الناس لكي يتعارفوا ويتعاونوا في الخير والعدل، للتوصل إلى السلام. قضية السلام هاجس في المسيحية: وبهذه الروحية ساند قداسة البابا مبادرة الرئيس السادات لإحلال السلام في الشرق الأوسط.
- التعاون والتساعد، وخلق الإسلام من التعصب: إن الأخطار التي يتعرض لها الإسلام والمسيحية تتمثل في التيارات المادية التي تنكر وجود الخالق، والبعث يوم الدين.
- يتلخص الجو اللاهوتي في الكنيسة الكاثوليكية تجاه الإسلام بالنقاط الثلاث التالية:

- يرغب العالم المسيحي في أن تتحسن معرفته بالإسلام، وأن تتحسن معرفة المسلمين بالمسيحية.
- يرغب المسيحيون في أن يعملوا مع إخوانهم في البشرية جمعاء، من أجل العدل وسعادة الجميع.

(١) لا يخفى أن هذه الجملة لا تمثل اعترافاً بنبوة نبينا محمد ﷺ من الجانب النصراني، وغاية ما فيها بالنسبة لهم الإيمان بنبوة من ثبتت نبوته عندهم فقط، فهي تحصيل حاصل.

• ثمة قيم مشتركة بين المسيحيين والمسلمين قادرة أن تحمي المجتمع من الانحراف والإلحاد.

■ كما أجمع رأيهم على ضرورة تحرير الإنسان من كل عبودية، عدا عبوديته تجاه الله، وعلى ضرورة قيام الرؤساء الدينيين بجميع الجهود من أجل تحرير المجتمع من مختلف أشكال الصراعات والتباينات التي تهدر طاقاته، وتمنعه من بلوغ أهدافه.

■ واعتبر المشتركون أن لقاء البشر على طريق الطاعة لله وحده، وهو عامل يساهم في حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

■ واعتبر المشتركون على صعيد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، أن تعلقهم المخلص بقيمهم الدينية الصحيحة يقرب تلقائياً بينهم، على طرق المحبة والتعاون...^(١).

يبدو أن ثَمَّ عوامل عدة أثرت على مسيرة الحوار النصراني - الإسلامي مع مصر. فقد تأخر بدء الاتصالات بين الفاتيكان والمؤسسات الدينية في مصر إلى حقبة السبعينيات لأسباب سياسية وفكرية. فقد كانت معظم البلاد العربية في الستينيات، وخاصة مصر، غارقة في بحر الأفكار الشيوعية الإلحادية، وما تفرع عنها من توجهات تقصي النزعات الدينية بشكل عام وتجافيها، كما أن الموقف السياسي الظاهري في الفترة الناصرية، عهد الرئيس جمال عبد الناصر (١٩٥٤ - ١٩٧٠م) كان مفعماً بروح العداء للغرب، المساند لدولة إسرائيل في الصراع العربي الإسرائيلي، والكنيسة تمثل بلا ريب، أساساً عميق الجذور في الثقافة الغربية. وكانت روح التهمة تجاه محاولات التقارب الديني سائدة في المنطقة العربية والإسلامية، كما حدث في مؤتمر بحمدون عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية المشتركة (١٢١ - ١٢٣).

وحين ولت مصر وجهها شطر الغرب في مطلع السبعينيات، ظهرت بواكير الاتصال بين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وليس الأزهر - وأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين عامي (٣٩٠هـ، ١٣٩٤هـ)، (١٩٧٠م، ١٩٧٤م) ولم يصدر عن اللقائين سوى بيانات مقتضبة تركز على محاربة الإلحاد، وتعميق القيم الدينية، والدعوة إلى السلام، مع مس رقيق لبعض القضايا السياسية في المنطقة. جاء ذلك في وقت كانت مصر تطوي فيه بساط الأفكار اليسارية الملحدة، وتضيق الخناق على فلول الشيوعيين.

كما أن شيوخ الأزهر لم يبدوا ارتياحاً للمساعي المبذولة للحوار الإسلامي المسيحي، سيما الشيخ عبد الحليم محمود^(١) الذي شغل مشيخة الأزهر في أواسط السبعينيات (١٩٧٣م - ١٩٧٤م)، وأبدى تحفظات عدة تجاه المشاركة في مؤتمرات التقريب بين الإسلام والمسيحية، كما في خطابه الجوابي الموجه للدكتور ميغيل إيبالشا، سكرتير عام جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا^(٢)، عام ١٩٧٨م.

(١) عبد الحليم محمود (١٣٢٨ - ١٣٩٨هـ) شيخ الأزهر، وأحد علماء مصر المكثرين من التصنيف، ذو نزعة صوفية، ولد في محافظة الشرقية، وحفظ القرآن صغيراً، وتخرج في الأزهر، ثم سافر إلى فرنسا سنة ١٩٣٢م للدراسة الدكتوراه فنالها سنة ١٩٤٠م، في التصوف. ودرس في جامعة السربون علم النفس والاجتماع والأديان. وعين مدرساً بالأزهر، ثم عميداً لكلية أصول الدين، فأميناً لمجمع البحوث الإسلامية، فوكيلاً للأزهر عام ١٩٦٨م، فوزيراً للأوقاف عام ١٩٧١م. وانتهى به المطاف شيخاً للأزهر عام ١٩٧٣م. حتى وفاته. من مؤلفاته: القرآن والنبي، الإسلام والعقل، التفكير الفلسفي في الإسلام، وغيرها بالإضافة إلى تحقیقات لثراث الصوفية، وتراجم لأعلامهم. انظر: ذیل الأعلام (١١٥)، وتمتة الأعلام (٢٧٠/١).

(٢) انظر: نص الرسالة في ملحق رقم (٤).

وفي آخر عهد الشيخ عبد الحليم محمود طلب الفاتيكان إجراء حوار مباشر مع الأزهر، (وكره الشيخ عبد الحليم محمود، عليه رحمة الله، هذا اللقاء، وتردد كثيراً في الأمر، وأخذت الاتصالات بالأزهر تترى من جهات عديدة، واضطر الشيخ عبد الحليم أن يستقبل مونسنيور جادو والوفد المرافق له، وأن يعقد الأزهر مع هذا الوفد حواراً في يومين، على أربع جلسات^(١)).

والمتأمل في مقررات لقاء الأزهر بالفاتيكان عام (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) يلمس فيه - خلافاً لسابقه - أثر محاولات إسلامية لتحقيق مكاسب عقدية، تقترب من النداء القرآني الصريح في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِتْلًا ۖ قُلْ يَتَّخِذُ الْكَاذِبُونَ عِتْلًا ۚ﴾ (١٦٤)، فقد وردت الجمل التالية في البيان المشترك: (ضرورة تحرير الإنسان من كل عبودية، عدا عبوديته تجاه الله)، (الإيمان بجميع أنبياء الله)، ولكنها لم ترتق إلى المستوى المطلوب صراحةً ووضوحاً.

وقد توفي الشيخ عبد الحليم محمود في نفس العام، (وحين توفي تحدثت عنه بعض الصحف الأوروبية، وعدته متعصباً ضد المسيحية، لأنه أبى أن يشترك في ندوات تدعوا إلى تعاون المسيحية والإسلام)^(٢).

يقول فهمي هويدي في تحليله لموقف علماء الأزهر من الحوار الإسلامي النصراني: (ومن الوقائع اللافتة للنظر في هذه النقطة، أن أول دعوة للحوار الإسلامي المسيحي لم توجه إلى الأزهر، وإنما أرسلت من الفاتيكان إلى الرئيس السادات، الذي كان حريصاً بدوره

(١) رسالة إلى البابا والفاتيكان ذي الألف وجه: د. عبد الودود شلبي. المختار الإسلامي. القاهرة. (١٥).

(٢) تنمية الأعلام للزركلي. محمد خير رمضان يوسف (١/٢٧١).

على توسيع نطاق «الانفتاح» على الغرب. فكان هو الذي ضغط على الأزهر كي يدخل في حوار مع الفاتيكان. وأدت هذه الضغوط إلى عقد اجتماع في عام ١٩٧٧م بين الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر آنذاك، والكاردينال بينيدولي المسؤول عن أمانة سر شؤون غير المسيحيين في الفاتيكان. وهو أول اجتماع يعقد بين الجانبين لبحث موضوع الحوار...

بعدما بدا للفاتيكان أن الأزهر متحفظ في فتح الحوار، فإنه لم يكرر محاولة الاتصال المباشر. لكن عواصم أوروبية وآسيوية عدة، نشطت في الاتجاه عينه بصورة ملحوظة، وأصبحت القاهرة تتلقى دعواتٍ باسم الحوار الإسلامي - المسيحي موجهة من لندن ومدريد وفيينا وباريس وأثينا وطوكيو. ولم يقطع الأزهر تلك الدعوات، ولكنه كان يوفد بعض أساتذة جامعته للمشاركة فيها ومتابعة أعمالها^(١).

ندوة: «حقوق الإنسان في الإسلام والمسيحية»

عقدت هذه الندوة التاريخية في حاضرة الفاتيكان في التاسع من شهر شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافق الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٤م، أثناء الزيارة التي قام بها تسعة من علماء المملكة العربية السعودية، على رأسهم وزير العدل حينذاك الشيخ محمد الحركان^(٢)، استجابة لدعوة من الفاتيكان لعقد هذه الندوة فيه.

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية. قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل (٨٢ - ٨٣).

(٢) محمد بن علي الحركان (١٣٣٣ - ١٤٠٣هـ) أمين عام رابطة العالم الإسلامي. ولد في المدينة النبوية. حفظ القرآن الكريم وعمره سبع سنوات بمدرسة العلوم الشرعية، ودرس العلوم الشرعية في المسجد النبوي على أيدي كبار العلماء، ثم درّس فيه. وتقلب في مناصب قضائية حتى صار وزيراً للعدل عام ١٣٩٠هـ حتى عام ١٣٩٦هـ، حيث انتخب أميناً عاماً للرابطة. من =

والواقع أن هذه الندوة حلقة من سلسلة ندوات تمت بين فريق من علماء المملكة، وآخرين من كبار رجال الفكر والقانون الأوروبيين، بمبادرة ومسعى من جمعية الصداقة الفرنسية السعودية، في باريس، بغية تعميق مفاهيمهم فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام، والوقوف على النظام القضائي الإسلامي المعمول به في المملكة العربية السعودية، في الشؤون المدنية والجزائية والأحوال الشخصية، المبنية على القرآن الكريم، وكيفية ملائمتها للعصر الحديث^(١).

وقد عقدت الندوة الأولى في «الرياض» في السابع من شهر صفر عام ١٣٩٢هـ، الموافق الثاني والعشرين من مارس عام ١٩٧٢م. وقد أعرب الوفد الحقوقي الأوروبي، عن إعجابه ودهشته لما سمع من حقائق عن الشريعة الإسلامية، وللأجوبة الصريحة التي أجاب بها العلماء عن بعض الشبهات التي أبداها الوفد بغرض الاستيضاح، حتى طالب رئيس الوفد الأوروبي سين ماك برايد^(٢) (العلماء المسلمين أن يعلنوا هذه الحقائق المجهولة عند الرأي العام العالمي، والتي كان الجهل بها سبباً لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين والحكم الإسلامي)^(٣).

وبناءً على هذا الاقتراح، وجهت الدعوة للوفد السعودي لإقامة أمثاله في عددٍ من البلدان الأوروبية كانت على التوالي:

= مؤلفاته: أحكام الجنائز في الإسلام، تعليم الصلاة (للبنين)، (للبنات)، انظر: تنمة الأعلام (١٢/٢).

(١) انظر: ندوات علمية «حقوق الإنسان في الإسلام» في التعريف بهذه الندوات والمشاركين فيها من الجانبين (٥ - ٩).

(٢) شغل المذكور مناصب هامة منها: وزير خارجية إيرلندا، ورئيس اتحاد المجلس الأوروبي، وسكرتير اللجنة التشريعية الدولية، بالإضافة إلى كونه أستاذاً في جامعة دبلن.

(٣) ندوات علمية (٢٦).

- ١ - ندوة باريس في ٧ شوال ١٣٩٤هـ - ٢٣ أكتوبر ١٩٧٤م.
- ٢ - ندوة الفاتيكان في ٩ شوال ١٣٩٤هـ - ٢٥ أكتوبر ١٩٧٤م.
- ٣ - ندوة جنيف ١٤ شوال عام ١٣٩٤هـ - ٣٠ أكتوبر عام ١٩٧٤م.
- ٤ - ندوة باريس الثانية في ١٧ شوال عام ١٣٩٤هـ - ٢ نوفمبر عام ١٩٧٤م.
- ٥ - ندوة ستراسبورغ في ١٩ شوال عام ١٣٩٤هـ - ٤ نوفمبر عام ١٩٧٤م.

ففي هذا السياق جاءت ندوة الفاتيكان، وقد تحدث العلماء عن «حقوق الإنسان الثقافية في الإسلام»، وقدم الجانب الفاتيكاني ثلاثة موضوعات^(١)، ولم يصدر عن أي من هذه الندوات قرارات أو توصيات، إذ كانت أقرب إلى الطرح العلمي منها إلى الحوار الإسلامي النصراني، على النحو المتبع في مؤتمرات التقارب. ومع ذلك فقد كان لندوة الفاتيكان - خاصة - أصداء واسعة النطاق، واحتفاء بالغ من الجانب النصراني، فقد التقى البابا بولس السادس وفد العلماء في مقابلة مميزة، ورحب بهم وشكرهم على زيارتهم وقال لهم: (إن الزيارة تظهر في الحقيقة أن المسلمين والمسيحيين مقبلون على معرفة أفضل لبعضهم بعضاً، ومحبة متبادلة أكثر. يمكننا فقط أن نبتهج لذلك. إن هذا إلى حد كبير ثمرة للمجمع الفاتيكاني الثاني، الذي نحن سعداء من تمكنا من قطعها، والتمتع بها.

إننا نفكر أيضاً في اللقاءات الإسلامية المسيحية في السنوات الراهنة، بينما نتحاشى دوماً التليفيق المرفوض بين العقائد، فإن هذه الزيارات والندوات شيئاً فشيئاً، تجعل قوانا الروحية تتلاقى^(٢).

(١) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/26).

(٢) Recognize The Spiritual Bonds. P.11

وقد رد رئيس وفد العلماء بالتنويه بتتويج ضيافة البابا للوفد بهذا اللقاء المميز، ثم أردف قائلاً: (كما أكد قداستكم على تشجيع التطور المنجز في العلاقات بين العالمين المسيحي والإسلامي، تبعاً للمجمع الفاتيكاني الثاني، فإنه على حدٍ سواء، محل اتفاق بالنسبة لنا أن نحيل بدورنا على الوقائع التاريخية التي سنتكلم عنها في حديثنا اليوم. إنه بهذه الوقائع شرع الإسلام بفاعلية ينشئ علاقاتٍ على أساس من الأفكار النبيلة من الاحترام للمسيحية والمسيحيين.

إنه ذات الرباط الذي قادنا للعمل سوياً بنشاط لصيانة تلك القيم، وعلى الخصوص القيم التي تتعلق برفعة الإنسان. إن الإسلام، بالطبع، يعتبر أن تلك القيم تكون جزءاً متمماً لعقيدته، لإيمانه، لمبادئه الإنسانية. إننا نمتلك الإدانة الراسخة من أن جميع المخاطر التي تهدد حقوق وكرامة الإنسان تأتي من نقص الإيمان بالله. هذا النقص الناتج من اللامبالاة تجاه وصف التعاليم المقدسة التي تؤكد أن جميع البشرية تكون عائلة واحدة، حيث الإله يحكم، والإنسان هو الأكرم عند الله الواحد، الذي جعل نفسه الأعظم براً بهذه العائلة^(١).

ولا تزال المطبوعات الفاتيكانية تشيد بذلك اللقاء المثير، وتشير إلى إدراك الصحافة في أوروبا والعالم العربي وأمريكا الشمالية أهمية ذلك الحدث الرمزي للقاء البابا بالعلماء السعوديين في العلاقات بين المجتمعين^(٢).

مؤتمر: «زامبوا نغا ستي» «Zamboanga City»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة زامبوا نغا في الفلبين، في شعبان عام ١٣٩٤هـ، سبتمبر عام ١٩٧٤م بمبادرة من أمانة السر الفاتيكانية

(١) المرجع السابق (١٢).

(٢) المرجع السابق (١٢).

للعلاقات بغير المسيحيين، بغرض التمهيد لمؤتمر دولي يعقد في العام التالي:

وقد شارك في هذا المؤتمر التحضيرى ستة مسلمين، وسبعة نصارى. وهو مؤتمر ذو طابع إقليمي، معنيّ بالعلاقات الإسلامية النصرانية في جنوب شرقي آسيا.

ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة الكاثوليكية قد أنشأت في السنوات التالية للمجمع الفاتيكاني الثاني بعض التنظيمات المبكرة لتعزيز الحوار في آسيا. وقد تم تنسيق هذه التنظيمات وبلورتها عام ١٩٧٢م في منطمتين:

إحدهما: مؤتمر اتحاد أساقفة آسيا (FABC)

والثانية: مكتب القضايا المسكونية بين الأديان (OEIA)

وقد أسسا معاً معاهد الأساقفة لقضايا ما بين الأديان (BIRAs) بغرض تأهيل الأساقفة الكاثوليك في المنطقة للحوار من الناحيتين العلمية والتطبيقية^(١).

الفاتيكان وليبيا «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية»:

١ - ندوة الحوار الإسلامي المسيحي - طرابلس.

تعد هذه الندوة التاريخية من كبريات الندوات المعقودة في مجال الحوار الإسلامي النصراني، من حيث عدد المشاركين، ونوعيتهم، وحجم البيان الختامي، وتعدد جوانبه، ثم الآثار الفكرية والإعلامية التي احتفت بها وتلتها.

وقد انعقدت فعاليات هذه الندوة في طرابلس الليبية، في الفترة الممتدة من ثاني صفر حتى السادس منه لعام ١٣٩٦هـ، الموافق أول

فبراير حتى الخامس منه لعام ١٩٧٦م، وذلك بمبادرة مشتركة من دولتين:

١ - الجمهورية العربية الليبية (الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي) برئاسة الدكتور: محمد أحمد الشريف، وزير التربية والتعليم.

٢ - دولة الفاتيكان (الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين) برئاسة الكاردينال سيرجيو بينيدولي، رئيس الأمانة الفاتيكانية.

وقد حضر الندوة أربعمائة وخمسة وثمانون مشاركاً من اثنتين وسبعين دولة^(١) من علماء الدين الإسلامي، ورجال الدين النصراني؛ من الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس، ومن رجال الفكر والسياسة والصحافة والإعلام. وتضمنت الندوة في أيامها الخمسة أربعة بحوث، هي:

١ - هل يمكن للدين أن يكون أيديولوجية للحياة؟

٢ - العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.

٣ - الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات، ومواطن اللقاء في ميادين الحياة.

٤ - كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة، وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا؟

وكل موضوع من هذه الموضوعات يتناوله باحثان؛ أحدهما مسلم والآخر نصراني، ويعرضه من وجهة نظره الدينية. ثم تعقبه مداخلات المشاركين وتعليقاتهم.

(١) انظر مسرداً بأسماء المشاركين وبلدانهم في الكتاب الوثائقي الصادر عن المكتب الشعبي للاتصال الخارجي في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية بعنوان: «بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي» (٢١ - ٤٨).

وقد صدر عن الندوة بيان مشترك مطول، نقطف من بنوده الفقرات التالية:

١ - يؤكد الجانبان إيمانهما بالله الواحد الأحد، ويوصيان بالعمل الدائب صفاً واحداً، وجبهة واحدة، من أجل تعميق القيم الدينية والأخلاقية في النفوس.

٢ - يكرم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها، ويستنكران التعرض بالمساءة لهم، والتجروء على مقامهم، لأن في ذلك اعتراضاً على إرادة الله الذي أرسلهم...

٨ - يؤكد الجانبان وجوب حرية الاعتقاد الديني، وإقامة الشعائر الدينية، وحق الأسرة في تنشئة أبنائها تنشئة دينية...

١٢ - إن كلا الجانبين يشجع على ترجمة الكتب السماوية إلى جميع اللغات، ويدين كل محاولة ترمي إلى مصادرة تلك الكتب، أو منع تناولها في أي جزء من أجزاء العالم.

١٣ - يتمنى الجانب المسيحي على الجانب الإسلامي أن يواصل الأبحاث التاريخية والتفسيرية الرصينة المتعلقة «بتقييم» الكتاب المقدس «تقيماً» علمياً صحيحاً.

١٤ - يرغب الجانب الإسلامي إلى الجانب المسيحي أن يبذل كل المساعي والجهود المؤدية إلى فصل الكنيسة عن مسجد قرطبة، والعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة ممكنة.

١٥ - يوصي الطرفان بضرورة العمل المشترك لتتبع ما ورد من أغلاط ومفتريات في المناهج والكتب الدراسية، وفي كتب بعض المستشرقين والعلماء حول معتقدات كل طرف، وذلك بغية تصحيحها وفق معتقدات أصحابها. وقد تقبل الجانب الإسلامي بالتقدير مبادرة الجانب المسيحي بالوعد باستشارة العلماء المسلمين في كل ما يكتب عن الإسلام في المدارس التابعة له....

١٧ - وفي سبيل التعاون الحقيقي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، يوصي الفريقان بالكف عن المحاولات الرامية إلى صرف المسلمين عن معتقداتهم من قبل المسيحيين أو صرف المسيحيين عن معتقداتهم من قبل المسلمين^(١).

تلك أبرز التوصيات المتعلقة بالجانب العقدي، من الناحيتين النظرية والعملية. وعند الفحص والتأمل نستنتج ما يلي:

أولاً: اتسمت صياغة البندين الأول والثاني بالعموم، ونأت عن المساس بجوانب الاختلاف العقدي الرئيسية. فالإيمان بالله الواحد الأحد لا يتعارض في المفهوم النصراني مع عقيدة التثليث: «الأب والابن وروح القدس إله واحد»! وليست بصراحة كلمة التوحيد الإسلامية: «لا إله إلا الله»، المتضمنة إثبات الألوهية لله ونفي الشريك عنه. ومن ثمّ فالجملة المقرّرة في البيان يفسرها كل طرف حسب معتقده الخاص، كما أن الجملة المتعلقة بالأنبياء في البند الثاني: (يكرم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها) لا ترتقي إلى درجة الاعتراف الصريح بنبوّة محمد ﷺ من قبل الجانب النصراني، وإن كان بعض النصارى يعتبره (مرحلة متقدمة ومدهشة في العلاقات الإسلامية - المسيحية)^(٢). وغاية ما فيها تكريم كل جانب لمن يعتقده الجانب الآخر نبياً أو رسولاً فحسب، وهو أمر مفروغ منه بالنسبة للمسلمين، إذ يكرمون جميع أنبياء الله ورسله بوصفهم أنبياء ورسول في اعتقادهم الخاص، بل هو ركن من أركان إيمانهم، بينما يظهر الجانب

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي - طرابلس: إعداد ونشر: المكتب الشعبي للاتصال الخارجي في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. تنفيذ: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع. طرابلس - ليبيا. (١٤٦ - ١٤٨).

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (٩٤).

النصراني إكرامهم، دون النص على نبينا محمد ﷺ، مع أنه محل الخلاف الوحيد في هذه المسألة، بوصفه نبياً في اعتقاد الجانب الإسلامي فقط. وأي إكرام يا ترى يتصور صدوره ممن كذب نبوته، واتهمه ضمناً بالتقول على رب العالمين.

وقد تعرض الوفد النصراني لضغوط عدة من قبل المسلمين لحمله على الاعتراف الصريح بنبوة نبينا محمد ﷺ، سيما في كلمة رئيس الجمهورية، ومداخلته في النقاش يوم ٣ صفر، ٢ فبراير من أيام الندوة، حيث حمل عليهم حملة صريحة لعدم اعترافهم بنبوة محمد ﷺ، مع وجود البشارة به في كتبهم، وأن الأناجيل حُرقت، وشُطبت - على حد تعبيره - الآيات الدالة على اسمه ونبوته وأنه خاتم النبيين، وخلص إلى القول: (نقول لأهل الكتاب: هل يستمر نكران نبوة محمد، وطبعاً هذا خطأ في حق الله سبحانه وتعالى، وجهل كبير من قبل الناكرين لنبوة محمد)^(١).

ورغم أنه تملقهم ببعض التنازلات العقدية الخطيرة، كادعاء أن القرآن لا يعد اليهود والنصارى كفاراً، وأن القرآن لا يقر جهاد أهل الكتاب، إلا إن القوم لم يقبلوا الرشوة، ولم يحدوا عن معتقدهم قيد أنملة، ولم يستجيبوا أيضاً لدعوة رئيس الوفد الإسلامي في جلسة الافتتاح إلى (تعرّف المسيحيين على حقيقة نبوة محمد ﷺ)، الذي بشر المسيح برسالته، ضماناً فعالاً لانطلاق حقيقي في التعاون الإسلامي المسيحي^(٢)، في الوقت الذي سطر الجانب النصراني في مقررات الندوة أمنيته على الجانب الإسلامي بمواصلة الأبحاث التاريخية والتفسيرية «الرصينة»، وتقويم الأناجيل تقويماً «علمياً» و«صحيحاً»، كما في البند رقم (١٣)، في لمزٍ لدعاوى المسلمين تحريف الأناجيل.

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (٧٤).

(٢) المرجع السابق (٥٤).

وفي مجال الحريات الدينية في الاعتقاد وممارسة الشعائر، كما في البندين ٨ و١٢، سرعان ما يقطف النصارى ثمرة هذا البيان المشترك، ففي ديسمبر من العام التالي ١٩٧٧م افتتح المونسنيور روسانو والأب أبو مخ كنيسة كاثوليكية في مدينة بنغازي الليبية، بينما ذهبت أمانى الجانب الإسلامي على الجانب النصراني في فصل الكنيسة الكاثوليكية عن مسجد قرطبة، أدراج الرياح، على الرغم من أن الكنيسة قد أقيمت داخل مبنى المسجد المغتصب^(١).

وفي حين تطالب الجهات الكنسية البلاد الإسلامية بفسح كتب التنصير وتداولها تحت ستار الحرية الدينية، في حين يقع على الأقليات الإسلامية ضيم أو اضطهاد أو عدم تمكين من إقامة العبادات الإسلامية في بلاد الغرب، تتعلل الكنيسة بأنها ليست سلطة زمنية. وأن ذلك من اختصاص الحكومات العلمانية. وأما وعد النصارى باستشارة العلماء المسلمين في ما يكتب عن الإسلام في المدارس التابعة له، فوعد مطلق لم يقيد ببرنامج زمني، ولم يحدد من هم العلماء المستشارون، ولا جهتهم.

وقد تضمن البيان الختامي بندين تحفظ عليهما الوفد النصراني، رغم تلاوة البيان النهائي، وانتهاء الجلسة الختامية. ثم صدر بيان مشترك أعلن في روما وطرابلس يوم ٨ صفر ١٣٩٦هـ، ٧ فبراير ١٩٧٦م - أي بعد انتهاء الندوة بيومين - هذا نصه: (يؤكد الجانبان اغتباطهما بالطابع الإيجابي لنتائج هذا الحوار التاريخي المعبر عنهما في البيان

(١) رأى كاتب هذه السطور بنفسه كيف امتدت يد العدوان والتعصب إلى جامع قرطبة العريق فحولته إلى كاتدرائية، وشوّمت جدرانه بالصلبان والتماثيل، وأقامت فيه الشعائر النصرانية. وتقوم السلطات المهيمنة على الجامع بمنع أي مسلم تحدثه نفسه بصلاة ركعتين فيه، كما وقفت على ذلك في زيارتي إياه يوم الجمعة الموافق ١٤١٩/٤/٧هـ.

النهائي المشترك. أما في ما يتعلق بالبندين: (٢٠، ٢١) من البيان المشترك، فإن البعثة المسيحية ستنتقل مضمونها إلى سلطات الكرسي الرسولي المؤهلة وحدها في بت مسائل من هذا النوع^(١). والبندان المشار إليهما هما:

٢٠ - إن الجانبين ينظران إلى الأديان السماوية نظرة احترام. وعلى هذا فإنهما يفرقان بين اليهودية والصهيونية، باعتبار الصهيونية حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين، وعن كل منطقة الشرق.

٢١ - إن التزام الحق والعدل، والحرص على السلام، والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها، يحمل كلا الجانبين على تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وحقه في العودة إلى دياره، وعلى تأكيد عروبة مدينة القدس، ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل، واستنكار كل مساس بحرمة الأماكن المقدسة. ويطالب الجانبان بإطلاق سراح جميع المعتقلين في فلسطين المحتلة، وفي طليعتهم علماء المسلمين، ورجال الدين المسيحي، كما يطالبان بتحرير جميع الأراضي المحتلة، ويدعوان إلى تشكيل لجنة دائمة للتحقيق في محاولات تغيير معالم الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وكشف ذلك أمام الرأي العام العالمي^(٢).

ورغم أن المطالب المذكورة في البندين مطالب عادلة، بل أقل من مقتضى العدل، ورغم أن قرارات الأمم المتحدة تنص عليها، وتحظى بتأييد عالمي في تلك الحقبة، إلا إن (سلطات الكرسي الرسولي امتنعت عن التصديق على هذين البندين)^(٣)! لتضمنها إشارات

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (١٥١) «الحاشية».

(٢) المرجع السابق (١٤٩ - ١٥٠).

(٣) المرجع السابق (١٥١) «حاشية».

سلبية إلى الصهيونية، ومن ثم فلم يعتبر الفاتيكان اللقاء ناجحاً تماماً^(١).

واستناداً إلى البند (٢٣) من توصيات البيان المشترك القاضي بتشكيل لجنة متابعة دائمة مشتركة تكون مهمتها تنفيذ المقررات والتوصيات، صدر «بروتوكول روما» في ١٨ مارس ١٩٧٦ م. كما تم عقد ست ندوات للتعريف والتذكير بندوة طرابلس في مواقع متعددة كانت على النحو التالي:

- ندوة مالطا الأولى عام ١٩٧٦ م.
- ندوة كاتانيا في صقلية نوفمبر ١٩٧٦ م.
- ندوة بالرمو في صقلية نوفمبر ١٩٧٦ م.
- ندوة معهد الدراسات السياسية في باريس.
- ندوة اليونسكو في باريس مارس ١٩٧٩ م.
- ندوة مالطا الثانية يناير ١٩٨٠ م.

وبعد هذه الجولة، انقطعت العلاقات بين الجانبين لمدة عشر سنوات تقريباً. ويبدو أن هذه الندوة الحافلة وضعت الكنيسة الكاثوليكية في تجربة حقيقية صعبة، تجاوزت حدود المجاملات، ودخلت - دون تقدير دقيق - في مواجهة صريحة مع تراث ديني متين متماسك، يختلف عن ذاك الذي تفعله مع البوذيين والهندوس وغيرهم، فعكفت تدرس التجربة. يقول ميشيل فيتز جيرالد، أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان في دراسته المعنونة بـ (خمسة وعشرون سنة من الحوار) معلقاً على ندوة طرابلس: (لعل من المثير أن نلاحظ الاستنتاج الذي خرجت به أمانة السر من هذا اللقاء، في تقرير أنشطتها السنوي:

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p.10.

الضرورة الملحة للحوار لتقدير الإصغاء والقبول المتبادل، في سبيل إزالة العداء والأحكام المسبقة. صعوبة الحوار مع المسلمين مردها إلى الاختلافات الثقافية، والفجوة التاريخية، والانطباع المكوّن لشيء من الأهمية لدى الوفد الكاثوليكي، رغم الحادثة الأخيرة، إدراك أن المبادلات بين الأفراد أعظم ثمرة^(١).

ولم تعد المياه إلى مجاريها بين الجانبين إلا في شعبان ١٤٠٩هـ، مارس ١٩٨٩م، حين قام الكاردينال آرينزي بزيارة مختصرة لليبيا، ومقابلة الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وأعضائها. وقد أثمرت تلك الزيارة استئناف العلاقة بسلسلة من اللقاءات، كانت على التوالي:

٢ - مؤتمر: «الرسالة والدعوة» Mission and Da'wah :

عقد هذا المؤتمر في روما في الفترة: ١٨ - ١٩ رجب عام ١٤١٠هـ، الموافق ١٤ - ١٥ فبراير عام ١٩٩٠م. وقد أفصح كل جانب عن فهمه لمداول العنوان؛ كيف يفهم النصارى البشارة برسالة الكنيسة، وكيف يفهم المسلمون معنى الدعوة. ثم ناقش الجانبان أساليب الدعاية لدينهما بحيث لا يتقص أحدهما الآخر. أما الموضوع الأخير فقد ركز على الحالة الواقعية التي يتم الإعلان بها فعلاً من جانب كل فئة والصعوبات التي تواجهها. وقد التقى المشاركون في المؤتمر بالبابا يوحنا بولس الثاني^(٢).

٣ - مؤتمر «التعايش بين الأديان: الواقع والآفاق»:

عقد هذا المؤتمر في الفترة من ٤ - ٥ جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ٢٢ - ٢٣ نوفمبر ١٩٩٠م في المركز الثقافي الإسلامي في مدينة

(١) Twenty-Five Years of Dialogue p.3.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p.76، ومجلة «العروة الوثقى» الصادرة في جنيف. العدد الأول من السنة العاشرة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

«لافلتا» بجزيرة مالطة. وقد استهل الاجتماع بفحص الفهم المتبادل بين الديانتين الإسلامية والنصرانية. وعلى هذا الأساس بحث المشاركون في كيفية تصور الفريقين لمفهوم التسامح، وأخيراً بحثا الكيفية الفعلية لتطبيق روح التسامح في علاقاتهما المتبادلة^(١).

٤ - مؤتمر: «وسائل الإعلام وعرض الدين»:

عقد هذا المؤتمر في طرابلس «ليبيا» في شهر أكتوبر عام ١٩٩٣م، حيث التقى أساتذة مسلمون ونصارى من بلدان متعددة، وبحثوا الدور الإيجابي الذي يمكن أن يؤديه الإعلام في تشكيل الكائن الإنساني، وأيضاً الطرق التي يمكن أن تستخدم الإعلام كذلك في تشويه وتحقير معتقدات الآخرين. وأخيراً بحثوا دور المؤسسات الدينية في تشجيع الاستعمال الإيجابي لوسائل الإعلام، وتفادي سلبياتها.

وقد اقترح الجانبان تكوين لجنة ارتباط إسلامية نصرانية تتوفر على مراقبة الإعلام، سواء بلفت الانتباه أو بتشجيع الجهود لإيجاد احترام فيما بين الأديان عبر استخدام الإعلام، وفي نفس الوقت تلاحظ التشهير والهجوم على المعتقدات الدينية في الإعلام. وكخطوة أولى في تكوين تلك اللجنة دعي صحافيون مسلمون ونصارى للمشاركة بملاحظاتهم واقتراحاتهم في مداولة غير رسمية تجري في فيينا لاحقاً في عام ١٩٩٤م^(٢).

٥ - مؤتمر: «الدعوة الإسلامية، والرسالة المسيحية في القرن القادم»:

وهذا المؤتمر من أحدث المؤتمرات بين الجانبين، فقد انعقد في عام ١٩٩٧م في روما، وأصدر المجمع البابوي للحوار بين الأديان البيان التالي:

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P. 76

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 76.

(استمراراً للتعاون القائم بينهما، نظمت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية «طرابلس، ليبيا»، والمجلس البابوي للحوار بين الأديان «الفايتيكان»، ندوة حول «الدعوة الإسلامية والرسالة المسيحية في القرن القادم». عقد اللقاء في روما من ٢٧ - ٣٠ نيسان أبريل ١٩٩٧م. حضر اللقاء عشرة ممثلين عن كل جانب. نظمت جلسة مفتوحة في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية يوم الثلاثاء ٢٩ نيسان لتتاح لحضور أوسع فرصة الإصغاء إلى إيجاز عن النقاش الذي دار، والمشاركة في الحوار.

الموضوعات التي عرضها أخصائيون مسلمون ومسيحيون وناقشها المشاركون كانت هي «مفهوم الدعوة والرسالة»، «ممارسة الدعوة والرسالة في القرن المنصرم»، «آفاق الدعوة والرسالة في القرن القادم».

أبرز عرض الموضوعات والنقاش اللاحق مرة أخرى نقاط التلاقي والاختلاف حول موضوع رئيسي في كلتا الديانتين. فالرسالة بحسب التعريف المسيحي هي نشاط الكنيسة لتأدية الشهادة أمام جميع الشعوب بالخلاص الذي أجراه الله على يد ابنه يسوع المسيح، وإعلان هذه البشرى. والدعوة في المفهوم الإسلامي هي دعوة البشر إلى سبيل الله الواحد، القادر على كل شيء، خالق الكون، كما وعظ بها كل الأنبياء، وكما أوحيت إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

وكان اللقاء فرصة للتقييم والنقد الذاتي حول الطريقة التي قام بها المسيحيون والمسلمون بممارسة الرسالة والدعوة. وبالنظر إلى المستقبل، فقد شدد المشاركون على ضرورة احترام كرامة الإنسان لدى عيشهم إيمانهم والشهادة له ونشره. ويتطلب هذا احترام ديانة الآخر لدى الكلام عنها أو الكتابة عنها؛ ويقتضي هذا الحرية الدينية التي تتضمن حرية الضمير.

تنفق المسيحية والإسلام على أن لا يمارس أي ضغط على

الأشخاص والمجتمعات باسم الدين. كما يجب أن لا تستغل ظروف الضيق الاقتصادي لممارسة تأثير غير مشروع. وعلى العكس من ذلك يقع على عاتق المسلمين والمسيحيين معاً، وعلى ذوي الإرادة الحسنة، واجب محاربة الظلم والاستغلال. وبدل أن يقوموا بالدعوة والرسالة في القرن القادم بروح التنافس - كما حدث أحياناً في الماضي - عليهم أن يمارسوها بروح من التعاون، وكخدمة للبشرية.

واتفق المجلس البابوي للحوار بين الأديان، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، على ممارسة التعاون بينهما، وعلى حث آخرين على الانضمام إليهما لدعم تفاهم أفضل بين المسيحيين والمسلمين من أجل خير الجميع. روما. ٣ نيسان/ أبريل ١٩٩٧م^(١).

هذا وقد أعلن قبل المؤتمر بشهر، عن إقامة علاقات دبلوماسية بين الفاتيكان والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، وذلك في ١٠ مارس ١٩٩٧م، لتكون بذلك الدولة المئة والخامسة والستين التي تقيم علاقة دبلوماسية مع الفاتيكان. رغم أنه لا يوجد نصارى ليبون، وإنما يوجد قرابة عشرة آلاف كاثوليكي من العاملين الأجانب، معظمهم فليبيينيون، وقلة من البولنديين والكوريين والهنود والباكستانيين والمالطيين والإيطاليين والأفارقة والنصارى العرب. كما لا يوجد سوى كنيسة واحدة^(٢).

مؤتمر: «القداسة في الإسلام والمسيحية»:

عقد هذا المؤتمر في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية، في روما، في الفترة: ١٥ - ١٦ شعبان ١٤٠٥هـ، الموافق

(١) نقلاً عن مجلة (٣٠ يوماً) التي تصدر في روما، عدد ٣ - ١٩٩٧م (١٥).

(٢) المرجع السابق، مقابلة مع النائب الرسولي في بنغازي المطران سيلفستر كارمل ماغرو. (٢٢ - ٢٣).

٦ - ٧ مايو ١٩٨٥م، بمشاركة أساتذة من الهند وباكستان وبنغلاديش ولبنان، أمضوا عشرة أيام في مجتمعات الرهبان والمتدينين، أو مع عائلات، وتجولوا برفقة نصارى ملتزمين في بعض المواقع التاريخية الدينية. وكانت محاور هذا المؤتمر كالتالي:

- ١ - فكرة القداسة في الإسلام والمسيحية.
 - ٢ - نماذج للقدسين النصارى والمسلمين.
 - ٣ - نقد كل من المسلمين والنصارى لفكرة الآخر عن القداسة.
- وفي نهاية أعمال المؤتمر التقى المشاركون بالبابا يوحنا بولس الثاني^(١).

الفاتيكان وتركيا «جامعة أنقرة»

بعد اثنتي عشرة سنة من زيارة البابا بولس السادس لتركيا «يوليو ١٩٦٧م»، قام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة مماثلة بعد أكثر من سنة من سياحته بابا للكنيسة الكاثوليكية، وذلك في نوفمبر ١٩٧٩م. وهي أول بلد إسلامي يزوره البابا الحالي، إلا أنها لم تكن زيارة مشجعة في الواقع (حين أحاط الرأي العام بانفصال كلي إقامته، وحين كان بإمكان متطرف أن يوصل إلى الصحف رسالة مفتوحة عنيفة ضد «قائد الصليبيين» الآتي من الفاتيكان^(٢)).

وظلت العلاقات فاترة، حتى قام الكاردينال فرانسيس آرينزي بزيارة لتركيا في مايو ١٩٨٧م، والتقى ببعض الزعامات الإسلامية، وألقى محاضرة في جامعة أنقرة. وقد أدى ذلك إلى توقيع اتفاقية «أكاديمية» بين جامعة أنقرة، والجامعة الجريجورية الفاتيكانية عام ١٩٨٨م، يتم بموجبها تبادل الأساتذة والطلاب، وتنظيم ملتقيات علمية بين الجانبين، كان من أبرزها:

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 71-72.

(٢) مجلة (٣٠ يوماً) عدد ٢ - ١٩٧٧م للكاتب: ماركو بوليتي (١٤).

١ - مؤتمر: «إيصال القيم الدينية إلى شباب اليوم»:

انعقدت هذه الحلقة الدراسية في روما عام ١٩٨٩م، بمشاركة اثني عشر أستاذاً «بروفسور» تركياً، من ثماني كليات «لاهوتية» في تركيا، بحثوا مع نظرائهم من الكليات والمعاهد اللاهوتية الكاثوليكية في روما هذا الموضوع. ثم التقوا بالبابا^(١).

٢ - مؤتمر: «الأديان، والثقافات، والتسامح»:

انعقدت هذه الحلقة الدراسية في جامعة أنقرة عام ١٩٩٠م، وتضمنت العناصر التالية: فكرة التسامح في الإسلام والنصرانية، العلاقة بين الدين والثقافة، دور التربية في تكوين قيم التسامح والقبول، الطريقة التي تم بها بناء التسامح تاريخياً في كلا الديانتين، وضرورة التسامح داخل متغيرات المجتمعات العصرية^(٢).

٣ - مؤتمر: «يونس إمره: تجربة روحية وثقافية»:

بناءً على الاتفاقية الأكاديمية بين جامعة أنقرة والجامعة الجريجورية عقدت هذه الحلقة في بلدان متعددة، منها روما، في الجامعة الجريجورية البابوية عام ١٩٩١م، إحياءً للذكرى السنوية لميلاد الشاعر الصوفي التركي: يونس إمره^(٣)، ولفت الانتباه لمكانة دور التجربة الصوفية في التقاليد الإسلامية والنصرانية^(٤). فضلاً عن ذلك

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 118.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 118.

(٣) يونس إمره: هو أحد شعراء الطريقة «البكتاشية»، فرقة صوفية، باطنية، اثني عشرية. ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي في تركيا.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة. مادة «الأدب التركي» (٧٦-٧٧). ط١ عام ١٩٦٥.

(٤) لا يخفى أن «التصوف» بدعة محدثة تبلغ في بعض درجاتها الكفر الصراح. وليس في الإسلام «تقاليد صوفية» وإنما هو السنة والاتباع لما جاء به محمد ﷺ.

قامت فرقة موسيقية تركية كبيرة بتقديم موشحاتها أمام البابا يوحنا بولس الثاني، منشدة أشعار يونس إمره الصوفية، في القصر البابوي^(١).

٤ - مؤتمر: «العدالة الاجتماعية»:

وهو عبارة عن حلق دراسية عقدت في أنقرة وإستانبول لوفد فاتيكانى برئاسة الكاردينال «اتشيغاري»، رئيس المجلس البابوي للعدالة والسلام، ومشاركة أساتذة الجامعات التركية، عام ١٩٩١م. سبروا تطور التعاليم الاجتماعية في القرن المنصرم، وذلك إحياءً للذكرى المثوية لمبادرة البابا ليو الثالث عشر في هذا المجال^(٢).

وبالإضافة إلى هذه المؤتمرات جرى تبادل أساتذة جامعيين بين الجانبين^(٣).

الفاتيكان والأردن «مؤسسة آل البيت»:

تأخرت الاتصالات الثنائية بين الفاتيكان والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن «مؤسسة آل البيت»^(٤) إلى أواخر الثمانينيات. ولكنها بدأت بداية نشطة بسلسلة متتابعة من اللقاءات ذات الموضوعات المتخصصة، تعقد بالتناوب بين روما وعمّان، وهي:

١ - مؤتمر: «التربية الدينية في المجتمع المعاصر»:

انعقد هذا المؤتمر في روما في الفترة: ٧ - ٩ جمادى الأولى عام ١٤١٠هـ، الموافق ٦ - ٨ ديسمبر عام ١٩٨٩م، بحضور ثلاثة وثلاثين أستاذاً من ثمانية عشر بلداً إسلامياً ونصرانياً - بالتساوي - وكانت محاور البحث كالتالي:

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 121 - 122.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 120-121.

(٣) انظر: Twenty - Five Years of Dialogue p. 10.

(٤) يأتي التعريف بالمجمع في موضعه من هذا الباب.

- ١ - التربية الدينية في عالم تعددي.
- ٢ - العلم والإيمان والاهتمام بالشريعة.
- ٣ - التربية الدينية في الكليات والجامعات. واختتم المؤتمر بقاء خاص مع البابا^(١).

٢ - مؤتمر: «حقوق الطفل وتربيته في الإسلام والمسيحية»:
انعقد هذا المؤتمر في عمان في الفترة ٢٦ - ٢٨ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ، الموافق ١٣ - ١٥ ديسمبر عام ١٩٩٠م، وافتتحه الأمير الحسن بن طلال، والكاردينال فرانسيس آرينزي، وكانت محاور البحث كالتالي:

- ١ - حقوق الطفل الجنين.
- ٢ - طفل ما قبل المدرسة: حقوق، وتربية.
- ٣ - حقوق وتربية أطفال المدارس^(٢).
- ٣ - مؤتمر: «دور المرأة في المجتمع حسب الإسلام والمسيحية»:
انعقدت هذه الجولة الثالثة في روما في الفترة: ٢٤ - ٢٦ ذي الحجة عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٤ - ٢٦ يونيو عام ١٩٩٢م. وقد ناقش المشاركون الذين يمثلون سبعة عشر شعباً هذه القضية من وجهتي النظر الإسلامية والنصرانية، على ثلاث مراحل:
- ١ - مكانة المرأة بحسب الإسلام والنصرانية.
- ٢ - المشاكل والتحديات المعاصرة.
- ٣ - الفرص المستقبلية والمتوقعة بالنسبة للمرأة^(٣).

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 73.

(٢) انظر: المرجع السابق (٧٣ - ٧٤).

(٣) المرجع السابق (٧٤).

وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي تضمن تأكيد الجانبين على مساواة الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية، وأهمية الأسرة واستقرارها، ودور المرأة الأساسي في رعاية الأسرة وحققها في العمل بما تسمح به إمكانياتها، في نطاق القواعد الدينية المرعية. وانتقد البيان الممارسات الخاطئة الموروثة من العادات والتقاليد التي تحط من قدر المرأة، وبالمقابل ما أفرزته الحضارة المادية من استغلال للمرأة في ميادين الترفيه والإعلان. كما انتقد البيان التشريعات السائدة التي تهضم حق المرأة العاملة في شروط العمل والأجور والتدريب، ومراعاة واجبات الأمومة. وختم البيان بالتأكيد على أهمية دور الدين في صياغة النفس الإنسانية، وتحقيق كرامتها^(١).

وقد التقى المشاركون في ختام مؤتمرهم البابا يوحنا بولس الثاني.

٤ - مؤتمر: «القومية اليوم: مشاكل وتحديات»:

عقد هذا المؤتمر في عمان في مطلع عام ١٩٩٤م، ونوقشت فيه الموضوعات التالية:

- ١ - وجهة نظر تاريخية في القومية.
- ٢ - مشاكل مطروحة من القوميات اليوم.
- ٣ - دور المؤمنين في التعامل مع تساؤلات القومية^(٢).

مؤتمرات إقليمية:

عمد المجمع البابوي للحوار بين الأديان إلى تنظيم لقاءات إقليمية للحوار بين المسلمين والنصارى في مناطق معينة من العالم تجمعها خصائص مشتركة، وحتى يصبح المشاركون نواة فرقة لتفعيل الحوار في بلدانهم فمن ذلك:

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٨٥ - ١٨٦).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 74-75.

مؤتمر: «مؤمنون يسكرون ويعملون معاً» لمنطقة شمال إفريقيا: عقد هذا المؤتمر في بلدة أسيزي الإيطالية في أكتوبر عام ١٩٨٨م، وضم وفوداً من ست دولٍ من شمال أفريقيا، كلها عربية، وهي: موريتانيا، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر. ثم التقوا البابا يوحنا بولس الثاني، الذي دعاهم إلى إشاعة السلام والتعاون بين المسلمين والنصارى في بلدانهم^(١).

مؤتمر: «التعاون في التنمية الإنسانية» لمنطقة غرب إفريقيا: عقد هذا المؤتمر في مدينة «إبادان» النيجيرية في الفترة من ٢٤ - ٢٨ محرم ١٤١٢هـ، الموافق ٤ - ٨ إبريل ١٩٩١م بمبادرة من المجمع البابوي للحوار بين الأديان، وشارك فيها أربعة وعشرون إفريقياً من المسلمين والنصارى قدموا من بعض دول غرب إفريقيا، هي: نيجيريا، وغانا، وغامبيا، وسيراليون.

وقد تضمن البيان الختامي توصية بـ (توعية المسيحيين والمسلمين كي لا يعتبروا مؤمني الديانة الأخرى كأنهم كفار، بل يعاملونهم بكل احترام)^(٢).

أما التوصيات الخاصة فنقتطف منها ما يلي:

- (حقول التعاون، وهي: التربية والصحة والعمل الاجتماعي. ويجب أيضاً أن يوجّه المسيحيون والمسلمون بخاصة نحو مجابهة مشاكل معينة كمكافحة المخدرات، والدفاع عن القيم العائلية، والتوعية من أجل الحد من النفقات الباهظة والناقلة...

- عندما تنشأ خلافات بين المسلمين والمسيحيين يجب أن يتم تحليلها بكل دقة، لكي يجري تجنبها في المستقبل، ويلفت النظر خاصة إلى الحقول التالية:

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 51.

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٧٧).

■ أجور الموظفين وترقيتهم.

■ تخصيص أراضي لتأمين العبادة.

■ التمكن من استخدام وسائل الإعلام.

• نظراً إلى أن الزوجات المختلطة تعاني من صعوبة إضافية في تحقيق الانسجام بين الزوجين، يوصي بتوعية كل شاب وشابة في كلا الجماعتين على هذا الأمر...

• يشجع المسيحيون والمسلمون على أن يستعملوا وسائل الإعلام لتنمية التفاهم والانسجام، ويؤمل منهم ألا يفعلوا هذا من خلال وسائلهم الخاصة فحسب، بل من خلال وسائل الإعلام العادية التي تبلغ إلى جمهور أوسع^(١).

ويلاحظ المتأمل في هذه التوصيات النزعة الواقعية التي تسعى نحو تهدئة التوترات في مناطق يتصارع عليها المسلمون والنصارى. وينشأ عن هذا الصراع والتنافس حاجة لتحقيق «التعايش» و«الانسجام»، وتقل التوصيات المثالية التي تتخذ عادة في أجواء بعيدة عن المواجهة الحتمية بين الأديان.

مؤتمر: «الانسجام بين المؤمنين من مختلف العقائد» لمنطقة جنوب شرقي آسيا:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «باتايا» في تايلند، في أغسطس عام ١٩٩٤م شارك فيه وفود من: إندونيسيا، والفلبين، وبروني، وماليزيا، وسنغفوره، وتايلند^(٢).

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٧٧ - ١٧٨).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds which unite us. p. 52-117.

نقد وتحليل:

لقد مرت محاولات الكنيسة للتقريب بين الأديان بمراحل موازية لتلك المراحل التي اعترت نظرتها إلى فلسفة التقريب وحقيقته، التي سبق الكشف عنها في الباب الأول، فكانت المحاولات العملية انعكاساً صادقاً للأسس النظرية:

١ - المرحلة الأولى: التي امتدت من نهاية أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥م، حتى وفاة البابا بولس السادس عام ١٩٧٨م، وإلى حد ما، حتى وفاة شريكه في فكره ومنهجه، الكاردينال سيرجيو بينيدولي عام ١٩٨٠م. وقد اتسمت محاولات هذه المرحلة بالانفتاح الواسع على العالم الإسلامي وقياداته السياسية والدينية، وتبادل الزيارات بين الفاتيكان، وبعض حواضر العالم الإسلامي، وإقامة علاقات دبلوماسية مع قرابة عشرين دولة في فترة لا تتعدى عشر سنوات كما تقدم.

ومن الناحية الموضوعية، كانت الشعارات المعلنة في تلك الحقبة: الدعوة إلى تعاون العالمين الإسلامي والنصراني على محاربة الإلحاد «الشيوعية الغازية»، والتحلل الخلقي، بالإضافة إلى المناداة بالتعرف على الآخر، ونبذ الأحكام المسبقة، والتخلص من عبء التاريخ، والمصالحة، ونحو هذه المعاني التي تمخض عنها المجمع الفاتيكاني الثاني.

ولم تشهد هذه المرحلة عقد مؤتمرات كثيرة - مقارنة بمحاولات مجلس الكنائس العالمي في تلك المرحلة - بل اقتصرت المحاولات الكاثوليكية على الاتصال بالجهات الرسمية الحكومية، والهيئات الدينية شبه الرسمية، كالأزهر، وشيخ الكاظمية، دون الأفراد من العلماء والمفكرين. وأبرز مؤتمر جرى في تلك الفترة مؤتمر طرابلس عام ١٩٧٦م، الذي تعلمت منه الكنيسة الكاثوليكية درساً مهماً، وعته في

جميع المحاولات والمشاركات اللاحقة: تجنب البحث في المسائل العقدية والسياسية.

٢ - المرحلة الثانية: المواكبة لرئاسة رئيس الأساقفة جان جادوت أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين في الفترة (١٩٨٠ - ١٩٨٤م). وقد اتسمت بتراجع المحاولات والمبادرات الفاتيكانية تجاه عملية التقريب، مكتفيةً حسب رأي جادوت بتعزيز المحاولات المحلية والإقليمية، دون أن يظهر الفاتيكان طرفاً في الحوار.

والواقع أن هذا الفتور يخفي ما كان يعمل في تلك الفترة من صراع وخلاف بين أجنحة الكنيسة تجاه قضية التقارب والحوار، وتنامي الاتجاه المضاد إثر وفاة البابا بولس السادس.

٣ - المرحلة الثالثة: وتقرن بتنصيب البابا يوحنا بولس الثاني كاردينالاً من أصل أفريقي - نيجيري - هو الكاردينال فرانسيس آرينزي عام ١٩٨٤م، إثر جولته في بلدان إسلامية في أفريقيا (كينيا، غانا عام ١٩٨٠م)، ولقائه بالجالية الإسلامية المتنامية في أوروبا (فرنسا، ألمانيا عام ١٩٨٠م)، ثم بمسلمي آسيا (الباكستان، الفلبين ١٩٨١م)، ثم في جولته الثانية في أفريقيا (نيجيريا، بنين ١٩٨٢م). فلمس البابا بنفسه بؤادر الصحوة الإسلامية التي ظهرت في مطلع الثمانينيات الميلادية، رأس القرن الهجري، وتوجس أن تتيح نصوص المجمع الفاتيكاني الثاني دعماً لانتشار الصحوة الإسلامية في أوساط نصرانية، على حساب التنصير.

وقد اتسمت محاولات الكنيسة من الناحية العملية في هذه المرحلة بما يلي:

١ - الرحلات البابوية المتتابة إلى مختلف مناطق العالم، والتقاء أتباع الديانات المختلفة - وخاصة المسلمين - في تجمعات جماهيرية

حاشدة، والحديث إليهم عن العقيدة النصرانية التي يمثلها البابا، تحت ستار الحوار، وتآخي الأديان.

٢ - دعوة القيادات الدينية في العالم إلى إيطاليا، باسم الصلاة من أجل السلام، التي انطلقت عام ١٩٨٦م من أسيزي، فتظهر الكنيسة الكاثوليكية بصورة الديانة الأم، ويظهر البابا في محافلها «واسطة العقد»، ويقوم بمراسم الدعاء، وطقوس الصلاة المبتدعة، التي تنضوي تحتها جميع الأديان والملل.

٣ - الحضور الفاعل في الأحداث الدولية ذات الصلة، من خلال جمعيات وسيطة «جمعية سانت إيجيديو» بما يرفع الحرج عن الكنيسة، ويبقي لها دوراً مؤثراً في مناطق التوتر، بما يحقق لها مكاسب تنصيرية، أو يحمي مواقع سابقة.

٤ - عقد مؤتمرات حوار ثنائية مع مؤسسات في العالم العربي، وإقامة مؤتمرات إقليمية في كل من أفريقيا وآسيا.

أما من الناحية الموضوعية، فبالإضافة إلى الجمل الثابتة التي دأبت الكنيسة على تردادها، برزت اهتمامات أخرى مثل:

- التأكيد على الحريات الدينية، والعدالة الاجتماعية.
- قضية «الرسالة التبشيرية» و«الدعوة الإسلامية».
- التعايش بين الأديان، ونشر روح التسامح والسلام.
- العناية بالمسائل الاجتماعية كالمرأة، والطفل، والنزعة القومية.
- إبراز الجوانب الصوفية لدى الجانبين، من خلال الأولياء والقديسين.

كما شهدت حقبة التسعينيات تقارباً مع «إسرائيل»، واعترافاً بها، وحديثاً عن «القدس» بصورة أكثر وضوحاً من ذي قبل، حول أحقية الجميع بها، خلافاً لما سبق في السبعينيات حين كان يكتفى بتمني حلول السلام على المدينة المقدسة.

المبحث الثالث

محاولات مجلس الكنائس العالمي

تكاد تنحصر محاولات مجلس الكنائس العالمي للتقريب بين الأديان بعقد المؤتمرات المتتابعة في مناطق عدة من العالم. وقد أنشأ المجلس لهذا الغرض وحدة فرعية تحمل اسم: «لجنة الحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية» عام ١٩٦٩م، وترتبط ببرنامج الوحدة الأولى في المجلس المعروفة باسم: «الإيمان والشهادة».

وسوف نسوق فيما يلي مسرداً بالمؤتمرات التي تبني المجلس الدعوة إليها، أو كان شريكاً أساسياً في ذلك، مع التعريف بكل مؤتمر، والتقاط بعض الفقرات الهامة الواردة في البيانات الختامية لتلك المؤتمرات.

مؤتمر: «نداء للتعاون الإسلامي - المسيحي»:

عقد هذا المؤتمر المبكر في مدينة «إيفانستون» بولاية «إيلينوي» بالولايات المتحدة الأمريكية، في شهر ذي الحجة عام ١٣٧٣هـ، الموافق أغسطس عام ١٩٥٤م. أي قبل انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني للكاثوليك بثمان سنوات. وقد حضره مندوبان من اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي - المسيحي المنبثقة عن مؤتمر «بحمدون» المنعقد في شعبان - أبريل من نفس العام^(١).

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية - الإسلامية. رقم تسلسل (٣).

«لقاء تحضيري»:

عقد هذا اللقاء التحضيري في «جنيف - سويسرا»، مقر مجلس الكنائس العالمي في الفترة من ٤ إلى ٧ مارس عام ١٩٦٨م بمشاركة ثلاثة من المسلمين من مصر ولبنان والباكستان، بغرض الإعداد لمؤتمرات قادمة. وقد قدم فيه ثلاث أوراق تتعلق بموضوع الحوار الإسلامي - المسيحي^(١).

المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الاستشاري»:

عقد هذا المؤتمر في كارتييني «جنيف - سويسرا» في الفترة من ١٢ إلى ١٦ ذي الحجة ١٣٨٨هـ، الموافق ٢ - ٦ مارس عام ١٩٦٩م. شارك فيه اثنان وعشرون شخصاً من الجانبين، قدمت فيه ثلاثة بحوث:

١ - كلمة الله والكتب المقدسة .

٢ - الدين في العالم التقني.

٣ - وجهات النظر حول الحوار المسيحي الإسلامي، وتحديد الحاجة إلى الحوار ومهامه^(٢).

وقد صدر عن اللقاء بيان مشترك، برّر ضرورة الحوار والتوسع فيه، وهدفه، ومهامه. ومما جاء فيه ما يلي:

■ (غاية الحوار الأولى هي حمل الديانتين على تأمين الاحترام المتبادل، وتعزيز التفاهم... والغاية الأخرى هي طرح مشترك للأسئلة التي تؤدي إلى التجدد والتعمق الروحي... هدف الحوار ليس التوصل إلى اتفاق مصطنع، بل يجب أن لا ينحرف نحو التوفيقية والنسبية. على الحوار أن يتيح للديانتين أن تلتقيا لا في ما يقرب بينهما وحسب، بل

(١) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/21).

(٢) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/21).

أيضاً فيما يميزهما، فيحثهما على طرح الأسئلة الصحيحة^(١).

ولتحقيق الغاية الأولى يقرر البيان الواجبات التالية:

أ - أن يسعى كل جانب ليفهم الآخر كما يفهم ذاته.

ب - أن تؤدي الشهادة للحقيقة في جو احترام الآخر وحرية.

ج - أن يتجنب الحوار كل تشويه لديانة الآخر، ويحاربه.

د - أن يتم النقاش بطريقة يساهم فيها كل جانب بالتعلم من الآخر، على الصعيدين الفكري والروحي^(٢).

ولتحقيق الغاية الثانية يضرب البيان أمثلة لأسئلة التجدد، والتعمق

الروحي:

أ - كيف تعرّف اليوم الكتب المدرسية والنصوص الدينية الإسلام والمسيحية؟ وكيف تنظم الدروس اللاهوتية؟

ب - ما المشاكل الناتجة عن تمازج الجماعات المتزايد، وما هي الحلول؟

ج - كيف يمكننا تصور التبشير والدعوة ومحاولة اجتذاب الآخرين؟

د - هل بالإمكان القيام بصلاة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين؟

هـ - ما هي مسؤولية الإسلام والمسيحية تجاه مشاكل عصرنا الإنسانية والاجتماعية، لا سيما مفهوم الدولة ودورها، تحرر المرأة، العلاقات بين البلدان الغنية والفقيرة^(٣).

وبعد إطلاق هذه التساؤلات العريّة عن الإجابة أشار البيان إلى إمكان بحث هذه الموضوعات في مؤتمرات عالمية لاحقة.

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (٣٧).

(٢) المرجع السابق (٣٨).

(٣) المرجع السابق (٣٨).

إن هذين المؤتمرين التحضيريين اللذين يشترك فيهما مسلمون، إضافة إلى المؤتمرات الخاصة بالمجلس دون إشراك مسلمين، لينمّان عن الحذر البالغ، والتحري الدقيق الذي هيمن على المبادرات الأولية للتقارب مع الأديان من قبل الحركة المسكونية. فخلافاً لأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسلمين، نجد الوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية (تحاول أن تشرك المسلمين في مرحلة التخطيط للوقائع المستقبلية. وفي حالات كهذه يكون قد وضع قرارات حول طبيعة الحوار، في سبيل ضمان كون الاهتمام الإسلامي مسموعاً منذ البداية المبكرة)^(١).

لقد تلاقى هذا المؤتمر مع التوجه السائد لدى الكنيسة الكاثوليكية في مفهوم الحوار وأهدافه في تلك الحقبة، أنه لا يرمي إلى «التوفيقية» بل يشدد على التغير، ويدعو إلى الفهم المتبادل والاحترام المتبادل. ونتيجة للحذر، بل والتحرج من خيانة رسالة الكنيسة التي تمثل عمدة الحركة، يكتفي البيان بإطلاق أسئلة كبرى، وتعليقها دون إجابة، ليتسنى وقت كافٍ لاختمار الإجابة من جميع الأطراف، دون أن يبت بها اجتماع استشاري كهذا.

مؤتمر: «حوار بين متبعي الديانات الحية»:

عقد هذا المؤتمر المتعدد الأديان في ضاحية «عجلتون» قرب بيروت «لبنان»، في الفترة: ٤ - ٧ محرم عام ١٣٩٠هـ، الموافق ١٢ - ١٥ مارس عام ١٩٧٠م. وقد ضم ثمانية وثلاثين مشاركاً من أربعة أديان، ثمانية وعشرين نصرانياً، وثلاثة مسلمين، وأربعة بوذيين، وثلاثة هندوس، قدموا من خمسة عشر بلداً. وقد عرض في المؤتمر موضوع عن تجربة الحوار الإسلامي المسيحي في أندونيسيا ومشاكله^(٢). ولم يصدر بياناً مشتركاً.

(١) Dialogue Between christians and Muslims (1/14)

(٢) Dialogue Between christians and Muslims (1/22)

مؤتمر: «تحقيق التفاهم والتعاون الإنساني»:

انعقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في «برُمانا» قرب بيروت «لبنان»، في الفترة: ٣٠ جمادى الأولى - ٦ جمادى الثانية عام ١٣٩٢هـ، الموافق: ١٢ - ١٨ يوليو عام ١٩٧٢م. وقد بلغ عدد المشاركين ثمانية وأربعين؛ خمسة وعشرين نصرانياً، وثلاثة وعشرين مسلماً. وقد قُدم من الجانبين أوراق تتعلق بالموضوعات التالية:

- الأمم ذات الأديان، والبحث عن مجتمع عالمي.
- الحقيقة والوحي والطاعة.
- العلاقات الاجتماعية بين النصارى والمسلمين.
- الصلاة والعبادة^(١)

وقد صدر عن المؤتمر بيان مشترك مطول، في ثلاثة وثلاثين بنداً، تناولت جوانب متعددة في العلاقة بين الديانتين، ومفهوم الحوار ومبادئه، وبعض التعريفات والاقتراحات العملية، نكتطف منه ما يلي:

- (لقد التقينا باسمنا الشخصي من دون أي صفة تمثيلية... هذه المذكرة ليست بياناً رسمياً يلزم جميع المشتركين، فقد نوقشت خلال الاجتماعات ولكنها لم تطرح على التصويت...)
- بعضنا يرغب أيضاً في وجود بنية لاهوتية، وإن أمكن إطار حميم لأجل الاعتراف المتبادل...

● لقد قبلنا ألا يسعى حوارنا إلى إلغاء اختلافاتنا، بل بالأحرى يحصّيها في جو من المصارحة والنقد، وأن نقارنها بما يأتينا من الديانة الأخرى. فبدلاً من أن نكتفي بجوامع مشترك صغير، واجهنا مشادات موجهة أحياناً. إلا أننا لا نجرؤ أن نأمل بالتوصل إلى بعض التلاقي،

لا في توافقية مشوهة وعجولة، بل في انفتاح على الله الذي يقودنا إلى الأمام...

• أمِلنا بإمكانية التوصل إلى التخلّص من كل تشويه متبادل بشأن مواقف اجتماعية ولاهوتية...

• يجب علينا أن نحافظ بكل حرصٍ على الحرية الدينية، وهذا لا يتضمن احترام حقوق كل أقلية دينية وحسب، بل احترام كل فرد. ومع إقرارنا بأن للديانتين دعوة رسولية، علينا أن نتجنب كل جذب واقتناص، أكان ذلك بضغط من الأكثرية على الأقلية، أم من قبل الأقلية بواسطة الامتيازات الاقتصادية والثقافية التي تُرفع إلى مستوى أعلى. والأسوأ في هذا المجال هو استغلال ضعف الأُميين والمرضى والشبيبة...

• في تحاورنا بكل صراحة واحترام متبادل، وبسبب رغبتنا في تأمين كل الشروط لقيام حرية دينية كاملة، واحترام الضمائر، تطرقنا إلى عدة موضوعات هامة في اللاهوت...

وإننا نرجى هذه النقاط إلى دروسٍ لاحقة. والأفضل هو أن نتعهد القيام بها معاً في إطار مسيحي، وفريقٍ مسلم، أو على الصعيد الفردي. ونعتقد أن التجديدين اللاهوتي والروحي يمكنهما أن يهيئا لتجديد اجتماعي...

• من خلال تفكيرنا ومباحثاتنا الدينية نستطيع أن نجد تأويلاتٍ للوحي، بعضها متشابه والآخر متمايز. القرآن عند المسلم هو كلمة الله، وعند المسيحي الكتب المقدسة هي شهادة على تجلّي يسوع المسيح. وحوارنا حول هذه المسائل يمكنه أن يساعدنا لتكون أمناء تجاه تراثنا الخاص، وبالوقت ذاته أن نقدر الآخرين فيزداد انسجامنا معهم..

• لا يتم الحوار خارجاً عن إطار سياسي، واجتماعي - اقتصادي

معين. لقد تجنبنا عن قصد أن نشدد على مشروع دولة علمانية أو دولة دينية، كشرط ملائم للنمو نحو الجماعة العالمية، والطاعة تجاه الوحي الإلهي...

• حيث يلتقي مسلمون ومسيحيون لا يحدث فقط إصغاء متبادل، بل يتم الإصغاء لله. لهذا وفي بعض الأحيان، يتمكن المسلمون والمسيحيون، فردياً أو جماعياً من التعبير عن تفاهمهم وثقتهم المتبادلة، وذلك بكشفهم بعضهم للآخر، عن لغة صلاتهم الخاصة، لا سيما من خلال الدعاء والابتهاال والتأمل. مع وعينا للاختلافات الحقيقية أو المتوهمة في ترافقنا الروحي هذا، أكان مباشرة أو من خلال بديل، ومع حرصنا على تجنب كل غش، شعر بعضنا أن من الممكن محاولة مثل هذا التداخل للقبول المتبادل والتلبية لله...

• يمكن للمسيحيين والمسلمين أن يتعاونوا، وهم يتعاونون فعلاً، مع سائر مواطنيهم، على صعيد العمل والصلاة، في بناء الوطن، وتطوير الحقوق الإنسانية والدينية، وفي معركة العدالة والسلام. يستطيعون أن يعملوا كزملاء في فرق ملتزمة الإلتواء الرفي، أو حملات مكافحة الأمية، أو العيادات الصحية، يمكنهم معاً التصدي لمشاكل الشبيبة الضائعة..

• العمل على إزالة أحكامنا المسبقة، وعلى إشاعة تقدير متبادل أكثر عمقاً. نؤكد ثانية وبإلحاح ضرورة تجنب كل جدل... وقد أسفنا للتنافس في بناء أمكنة العبادة..^(١)

ومن قراءة النصوص السابقة تبرز الاستنتاجات التالية:

١ - التأكيد على الصفة الشخصية للمشاركين في اللقاء، والتنصل من الصفة التمثيلية والرسمية، وعدم التزام جميع المشاركين بمضامين

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (٤٧ - ٥٣).

البيان. وهذا الاتجاه يعبر بوضوح عن روح الحذر والتردد الذي يساور محاولات مجلس الكنائس العالمي تجاه الحوار والتقارب، وذلك لتأمين خطة الرجعة. كما يظهر القلق في صياغة البيان بتكرار بعض الكلمات والجمل الفضفاضة مثل: (بعضنا يرغب)، (شعر بعضنا)، (لا نجرؤ أن نأمل)... ونحوها كثير في النص الكامل للبيان.

وحفاظاً على هذا الاتجاه فضلت الوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية الحوار مع الأفراد المسلمين، وغيرهم، بصفتهم الشخصية، ونأت عن محاورة الجهات الدينية الرسمية ذات الصفة المرجعية حتى لا تجد نفسها مسوقة لتوقيع اتفاقية ثابتة، أو إعلان يتضمن التزاماً أدبياً، قد لا يقع موقع القبول من فسيفساء الكنائس المكونة للمجلس العالمي في جنيف، خلافاً لأسلوب أمانة السر الفاتيكانية التي تتعامل غالباً مع الهيئات الدينية، وتبرم الاتفاقيات والبيانات بثقة.

٢ - ينبىء البيان عن وقوع حوار ساخن وصريح في المسائل العقدية العميقة، في سبيل السعي لإيجاد (بنية لاهوتية، وإن أمكن إطار حميم لأجل الاعتراف المتبادل) وعدم الاكتفاء (بجامع مشترك صغير). ولكن ذلك اصطدم دون ريب باختلافات العقيدة العميقة وأدى إلى (مشادات موجعة أحياناً).

وسر ذلك - في نظري - أن الحركة المسكونية أصدق لهجة، وأقل مجاملة من الكنيسة الكاثوليكية، وتحاول أن تقفز بسرعة فوق جدران الحوار للوصول إلى البشارة والشهادة النصرانية. ولكنها اكتشفت الصعوبات الحقيقية فلجأت إلى إرجاء (هذه النقاط إلى دروس لاحقة)، ووصفت أسلوب الأداء: (في إطار مسيحي، وفريق مسلم، أو على الصعيد الفردي)!

وقبل الوصول إلى تلك الغاية، ردد البيان ما كان سائداً عند

الحديث عن العقيدة أو اللاهوت، مثل: (ألا يسعى حوارنا إلى إلغاء اختلافاتنا)، ونبذ (التوافقية المشوهة والعجولة)، وعلى الأقل: (التخلص من كل تشويه متبادل).

٣ - أجاب بيان «برمانا» عن تساؤلات مؤتمر «كارتيني» التشاوري الخمسة^(١).

أ - فدعا إلى (إزالة أحكامنا المسبقة... وضرورة توفير كتب، وتدريب معلمين ووضع برامج لندوات، يجب استخلاصها بواسطة تشاور بعضنا مع الآخر)^(٢).

ب - وأكد وشدد على «الحرية الدينية» للأقليات والأفراد، والسعي نحو جماعة عالمية دون الحديث عن مشروع دولة علمانية أو دينية، وألح على ضرورة تجنب الجدل، وأسف للتنافس في بناء أمكنة العبادة.

ج - أقر البيان بالصفة «الرسولية» للديانتين، لكنه ندد بمحاولات الجذب والاقتناص بأسلوب الضغط أو استغلال الضعف.

د - سوَّغ البيان بحذر بالغ، واحترازات متكررة، إمكانية القيام بصلاة مشتركة.

هـ - شرع البيان بعض سبل القيام بالمسؤولية تجاه مشاكل العصر الإنسانية والاجتماعية، مثل: (تطوير الحقوق الإنسانية والدينية، وفي معركة العدالة والسلام... الإنماء الريفي، أو حملات مكافحة الأمية، أو العيادات الصحية... مشاكل الشيبية الضائعة).

إن هذا المؤتمر محطة مهمة في فهم موقف مجلس الكنائس العالمي من قضية التقريب^(٣).

(١) تقدم الكلام على هذا المؤتمر (١١٤١).

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (٥٦ - ٥٧).

(٣) انظر حقيقة التقريب عند مجلس الكنائس العالمي في الفصل الثالث من الباب الأول.

مؤتمر: «نحو جماعة عالمية: الوسائل والمسؤوليات للعيش معاً»: انعقد هذا اللقاء متعدد الأطراف في مدينة «كولومبو» عاصمة سيريلانكا، في الفترة من ٢٤ ربيع الأول إلى ٣ ربيع الثاني عام ١٣٩٣هـ، الموافق ١٧ - ٢٦ أبريل عام ١٩٧٤م، بمشاركة عشرة مسلمين وأربعة وعشرين نصرانياً، وثمانية هندوس، ومثلهم بوذيين، وأربعة يهود، قدموا من عشرين بلداً.

وقد قدمت بحوث تتعلق بالإسلام والمجتمع العالمي، والتعاون وتحريك الموارد^(١).

مؤتمر: «وحدانية الله، والجماعة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين الأفارقة على صعيد العمل والشهادة»: انعقد هذا اللقاء الإسلامي النصراني في مدينة «لاغون» في غانا، في الفترة من ٢٦ جمادى الثانية إلى ١ رجب عام ١٣٩٤هـ، الموافق ١٧ - ٢١ يوليو ١٩٧٤م، بمشاركة قسم الأبحاث الدينية في جامعة غانا، و«المشروع الإسلامي في أفريقيا» التابع لكنائس أفريقيا الإنجيلية. وتكون المؤتمر من تسعة مسلمين، وأحد عشر نصرانياً، قدموا من ثمانية بلدان أفريقية، بالإضافة إلى حضور من بلدان أفريقية وغير أفريقية^(٢).

وقد وصف البيان المشترك هذا اللقاء بأنه (الأول من نوعه. إذ تم على مستوى منطقة أفريقيا العام)^(٣). كما رافقه بعض الممارسات الغربية التي تعد سابقة في تاريخ العلاقة بين أتباع الديانتين منها:

■ مشاركة النصارى المسلمين في صلاة الجمعة!

■ حضور المسلمين صلاة الأحد مع النصارى!

(١) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims. p. (1/23)

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (٥٦ - ٥٧).

(٣) المرجع السابق (٥٧).

كما حدد البيان الأسس المشتركة بين الديانتين، المسوغة للتلاقي والتعاون بقوله: (... كلا المجموعتين، من خلال اعتقادهما ببلد واحد، وعبادتهما له تشاركان في «التقليد التوحيدي». وهما تعترفان بعدة نقاط متلاقية في اللاهوت والروحانية، بما فيها احترام يسوع «عيسى». ولذلك فالمتنمون إلى الديانتين لديهم أسباب وأسس للاعتراف والاحترام المتبادل والتعاون. وهم متحدون في تقديرهم للقيم الدينية والأخلاقية...»^(١).

وقد ركز البيان على معالجة الأوضاع الواقعية، وتقديم الاقتراحات العلمية لمواجهة وقائع راهنة، لا افتراضية، وهو نفس الملحظ الذي لمسنه عند تحليل توصيات مؤتمر «التعاون في التنمية الإنسانية» في «إبادان» «نيجيريا»، الذي نظمته الكنيسة الكاثوليكية في نفس المنطقة «غرب أفريقيا»^(٢). ويتضح هذا الملحظ بالشواهد التالية من البيان الختامي:

• (على المسيحيين أن يتقاسموا مع جيرانهم المسلمين الإمكانات والتسهيلات التي يستطيعون الاضطلاع بها في حقول التربية والاجتماع والتنمية الاقتصادية، والمفترض^(٣) أن يبادلهم المسلمون المبادرة ذاتها. هذه الإمكانات يجب ألا تعتبر كسلطة، يحاول أحد الجانبين أن يستغلها ليفرض تسلطه بواسطتها على الجانب الآخر..

• علينا أن ننمي روح الضيافة، فانطلاقاً من البعد الشامل لدى الديانتين، عليهما أن يظهرأ انتباهاً خاصاً تجاه «الغرباء».

(١) المرجع السابق (٥٧ - ٥٨).

(٢) تقدم (١١٣٥).

(٣) وجه الافتراض هنا مرده إلى عدم وجود الإمكانات والتسهيلات لدى المسلمين في أفريقيا فعلاً.

هذا التصرف يمكن اعتباره تعاوناً عملياً، ولا سيما في ما يخص الشبيبة، مثلاً في نيماتا Nima - أكرا - حيث هناك فريق من الطلاب «الغانيين» المسيحيين بالتعاون مع طلاب مسلمين، يعملون مع السكان المسيحيين، وعدد أكبر من المسلمين من أجل تحسين أوضاع المعيشة لدى أبناء الشعب. فالمسلمون في هذه الحالة هم المستضيئون. في حين أنه في مكان آخر حيث للكنيسة وجود أفعال، اتفق المسيحيون مع المسلمين على المطالبة بالمساواة في الوضع القانوني والمعيشي. وفي مكان ثالث ثمة مدرسة ثانوية تابعة للمسلمين، وذات تمويل مؤمن، وفُرت للطلاب والأساتذة المسيحيين التسهيلات الدينية. وهناك أمكنة أخرى حيث الأغلبية مسلمة، تعهدت المدارس المسيحية، بالرغم من رفض طلابها المسلمين أن يمارسوا إيمانهم...

■ كل هذا يجعل المسلمين والمسيحيين يتخطون الانطواء على جماعتهم ومصلحتهم، لينتقوا بروحية المشاركة والتعاون. وانطلاقاً من ذلك يمكن أن يخطوا معاً خطوات عملية متعددة:

الخطوة الأولى: يمكن إقامة صلوات مشتركة من أجل تطور المجتمع ككل.

الخطوة الثانية: يمكن تبادل التهاني لمناسبة الأعياد الدينية كرمضان، وعيدي الفطر والأضحى، وأعياد الميلاد والفصح والعنصرة، يعبر فيها عن معاني هذه الأعياد.

الخطوة الثالثة: يمكن تبادل الأخبار المهمة كي تُنمى الثقة والصداقة المتبادلة. كما يمكن إنشاء مؤسسات أبحاث حول إمكانات التعاون، ومراكز للحوار، وتبادل المعلومات، والقيام بأعمال مشتركة في خدمة المجتمع. وأخيراً، تنشيط الوسائل التي تكثف الحوار وتعممه على عامة الشعب، لئلا يأتي محصوراً في فئة خاصة.

■ إن التعليم الديني في المدارس يجب ألا يقتصر على ديانة واحدة، بل أن يشمل الديانتين...

■ حتى إذا كانت المدرسة لا تضم إلا تلاميذ من ديانة واحدة، يجب أن يتقف هؤلاء التلاميذ حول الديانة الأخرى...

■ الزواج المختلط يعاني من ضغط العائلة الكبرى في اختيار ديانة دون الأخرى. فالمطلوب هو احترام متبادل عميق كي يتبين كل واحد المعتقد الذي يمليه عليه ضميره...

■ المريض الذي يحتاج إلى عناية خاصة، كثيراً ما يعتبر سائحة لكسبه على الصعيد الديني. وقد يضطر المريض إلى الخضوع لممارسات دينية غريبة عن معتقده الشخصي، وذلك كضمن للعلاج الطبي. مثل هذا الاستغلال لضعف الآخرين يناقض روح الخدمة المجانية التي يقتضيها منا إيماننا^(١).

إن الجانب الاجتماعي يطغى على توصيات البيان، حيث تمليه المواجهات اليومية، والتنافس بين الدعوة والتنصير. وكأن هاجس المحاور المسلم في هذا المؤتمر إدانة عمليات التنصير التي كانت تجري على قدم وساق في تلك الحقبة، مستغلةً التخلف الاجتماعي في المجالات التربوية التعليمية والصحية والسياسية لدى المسلمين. وكأن هاجس المحاور النصراني محاولة إزالة الشعور بالنبد والغربة، والسعي لتحقيق الندية في مجتمعات غالبية سكانها من المسلمين، ليتمكن من تنفيذ برامجه المختلفة، وتأسيس وجوده، إلى درجة المطالبة بتدريس دياناته في المدارس التي لا تضم سوى تلاميذ مسلمين كما هو الغالب، والعكس نادر.

وحيث الميزان العددي ليس في صالح مساعي الكنيسة، يحاول

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (٥٨ - ٦١).

البيان التمييز بين الحوار والاجتذاب، فيقرر: (الحوار.. يختلف عن محاولة هداية الآخرين، ويقف موقف النقد منها، إذا ما اعتبرت عملية لكسب عدد أكبر في عضوية كل ديانة. هذه الممارسة التي تعتبر هداية الآخرين عملية حسابية وانتصاراً، هي مثل سيارة للاستعراض الافتخاري، وهي مناقضة لروح الحوار)^(١). ترى هل يعتمد مجلس الكنائس العالمي في إرسالياته هذه الروح؟

ندوة: «نظرة الأديان السماوية إلى الإنسان وإلى تطلعه نحو السلام»:
انعقدت هذه الندوة في جنيف «سويسرا» في الفترة ١٣ - ١٤ شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٣٠ - ٣١ أكتوبر ١٩٧٤م. وهي حلقة من سلسلة الندوات التي أقامها وفد من علماء المملكة العربية السعودية في عدد من المدن الأوروبية^(٢). وكانت هذه الجولة مع فريق من مجلس الكنائس العالمي. وقد تضمنت كلمة العلماء المباحث التالية:

- نظرة الإسلام الكلية حول: الله والكون والإنسان.
 - نظرة الإسلام في استخلاف الله للإنسان على الأرض.
 - خصائص خلافة الإنسان في الأرض في شريعة الإسلام.
 - مبدأ السلام في الإسلام في العقيدة، في الحياة الخاصة، في الصلات بين الناس، في النظام العام، في الحكم.
- مؤتمر: «الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو»:

انعقد هذا المؤتمر في قرطاج والحمامات والقيروان في تونس، في الفترة: ٢٥ شوال - ٢ ذي القعدة عام ١٣٩٤هـ، الموافق ١١ - ١٧

(١) المرجع السابق (٦١).

(٢) انظر أصل هذه الندوات ودوايعها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

نوفمبر ١٩٧٤م، برعاية مجلس الكنائس العالمي، ومركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية، وشارك في المؤتمر ثمانية وعشرون مسلماً، وأحد عشر نصرانياً. وقد غلب على لقاءات المؤتمر وبحوثه الطابع العلمي «الأكاديمي». ومن البحوث المقدمة:

رسالة الأديان في العصر الحديث، المشكل الديموغرافي والتطور الاقتصادي، مواقف القرآن بين المذاهب الاقتصادية المعاصرة، الإسلام والعنف، النتائج والتوقعات في دراسة الكتاب المقدس، النتائج والتوقعات في الدراسات القرآنية.

ولم يصدر عن المؤتمر بيان أو توصيات. وقد قام مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بطباعة محاضرات الملتقى باللغتين العربية والفرنسية^(١).

مؤتمر «المسلمون والمسيحيون في المجتمع: لأجل الإرادة الحسنة، والتشاور والعمل معاً في جنوب شرق آسيا»:

انعقد هذا المؤتمر الثنائي في «هونغ كونغ»، في الفترة: ٢٠ - ٢٦ ذي الحجة ١٣٩٤هـ، الموافق ٤ - ١٠، يناير ١٩٧٥م، برعاية مجلس الكنائس العالمي، ولجنة الحوار الإسلامي المسيحي لجنوب شرق آسيا، والمؤتمر المسيحي في آسيا. وقد ضم اللقاء ثلاثة عشر مسلماً، وثلاثة وعشرين نصرانياً، وفدوا من دول جنوب شرق آسيا: أندونيسيا، وماليزيا، وسنغفورة، والفلبين^(٢).

(١) انظر: الملتقى الإسلامي المسيحي (الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو): الجامعة التونسية. مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية. سلسلة الدراسات الإسلامية ٥ (١٩٧٦م). المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

وانظر: Dialogue Between Christians and Muslims (1/26).

(٢) Dialogue Between christians and Muslims (1/27).

وهذا اللقاء الإقليمي لمنطقة جنوب شرق آسيا، جاء بعد قرابة خمسة أشهر من اللقاء الإقليمي لمنطقة غرب أفريقيا المعقود في غانا^(١)، كما أنه يعكس ذات الاهتمامات والمشاكل في منطقة آسيوية يحتدم فيها الصراع والتنافس بين أتباع الديانتين، كما في غرب أفريقيا.

ومرة أخرى يصدر البيان المشترك بالتأكيد على أنه لا (يتكلم باسم أي منظمة أو جماعة دينية). وهو ملحظ يتكرر في المناشط التي يريها مجلس الكنائس العالمي.

وربما كان هذا البيان أطول بيان مشترك صدر عن مؤتمرات التقارب، فقد تجاوز عشر صفحات، وتطرق لجوانب متعددة في العلاقة بين الديانتين وأتباعهما من النواحي العقدية والتاريخية والاجتماعية، وقدم بعض الاقتراحات العملية.

فبحثاً عن أسس عقدية مشتركة يقول البيان:

(الأساس الدافع لعلاقة المحبة هذه يتجذر في الإله الواحد الأحد ذاته، الذي خلق جميع الكائنات البشرية أخوة وأخوات. فالمسلمون يشددون على أن الله الرحمن الودود يأمر المؤمنين به أن يكونوا رحماء، رؤوفين، محبين، في تعاملهم مع جميع الناس^(٢). ولذلك فهم قادرون على أن يكونوا على هذه الصفات. والقرآن يعبر عن هذا الأمر، ويفصل الطرق التي تجعل المؤمنين يمارسونه في مختلف ظروف الحياة. والمسيحيون من جهتهم يشددون على أن محبة الله، التي

(١) تقدم قريباً (١١٤٩).

(٢) بل قد قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[الفتح: ٢٩].

وقال: ﴿مَسَّ يَأْتِي اللَّهُ يَتَوَلَّى الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُخَوِّضُهُمْ فِي الْغُلُوبِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

[المائدة: ٥٤].

ظهرت في عطاء ذاته من خلال شخص يسوع المسيح توجه المؤمنين به، وتوهمهم أن يكونوا علاقة محبة مع كل البشرية. هكذا ومع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف المفاهيم، فإن كلا الديانتين الإسلامية والمسيحية تجدان رسالتهما نابعة من الله الرحيم الذي يُحِبُّ وَيُحَبُّ...

المسيحية والإسلام، وكذلك اليهودية، هم في علاقة خاصة. إننا ننتمي جميعنا إلى أسرة إبراهيم الروحية «النبي إبراهيم»، ونحاول أن نكون أمناء ومطيعين لوصايا الله، بالتجاوب مع نعمته وفضله. لدينا على الصعيد اللاهوتي والأخلاقي عدة نقاط تقارب وشبه^(١).

لقد انتقى البيان من أوجه التقارب والشبه العقدي والخلقي، ما يناسب هدف اللقاء الذي (لا يعتبر الصراع وحده مأساة، بل التعايش السلمي ذاته عنصراً غير ملائم للحاجات الملحة... لا الصراع ومجرد التعايش فحسب، بل الإرادة الحسنة، والاستعداد للتداول معاً، والحماسة للتعاون في كل اتجاه ممكن)^(٢).

ومن ثم يندد البيان في مواضع متعددة بسوء استعمال القدرة أو السلطة من أجل اجتذاب الناس من معتقدٍ إلى آخر، ويدعو إلى التوافق السياسي، وإعادة النظر في القيم، لاستيعاب التغيرات الواسعة في مجتمعات سريعة النمو، وإبراز قيم معينة مثل: كرامة البشرية، وحقوق الأفراد الأساسية، والعدالة الاجتماعية، والحرية الدينية... الخ.

وينتقد البيان بعض صور المنافسات والامتيازات الخاصة، كما يشيد ببعض التجارب التعاونية، في أندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة، التي تمارس النفع العام، والخدمات الاجتماعية، دون تمييز على أساس ديني أو عرقي أو لغوي.

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (٧٦، ٧٧).

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (٧٥، ٧٦).

ويقف عند «التربية الدينية» للناشئة والشبيبة الذين ينتمون إلى مدارس يقوم عليها مخالفون في الدين، اتخذوا منها وسيلة لنشر إيمانهم، ليقرر أن عليها توفير معلمين من نفس الديانة، وإلا كان ذلك نوعاً من «الإكراه في الدين».

وتضمن البيان المستفيض توصيات متعددة منها:

المحافظة على سلطة القانون، المدافعة عن الصحافة الحرة والمسؤولة، المشاركة العادلة، والتمثيل الجيد في القيادة، التشارك في مواجهة الأخطار الأيديولوجية، تحقيق السلام في الوحدة الوطنية، التعاون معاً لإحياء القيم الدينية والخلقية، التعاون في برامج الإنماء والمحافظة على البيئة^(١).

إنها صورة مكررة - رغم اختلاف المواقع وتباعدها - مع قرارات مؤتمر غانا، فاتفاق المعطيات يسلم إلى اتفاق النتائج. فالموقعان تقطنه أغلبية مسلمة متخلفة في الجوانب المدنية، وأقلية نصرانية متنفذة تتمتع بالإمكانات والتسهيلات التي تردها من الغرب النصراني. الأولى تحاول صد الفتنة عن الدين بالإكراه المغري، والثانية تبحث عن الأمن المستقبلي الذي يمكنها من متابعة رسالتها التنصيرية، والبيان يعكس تطلعات الفريقين.

وقد أعقب مؤتمر هونغ كونغ هذا، مؤتمران تعزيزيان هما:

مؤتمر: «أصداء لقاء هونغ كونغ»:

عقد هذا المؤتمر في «مانيلا» عاصمة الفلبين، في الرابع من صفر عام ١٣٩٥هـ، الموافق السادس عشر من فبراير عام ١٩٧٥م، وحضره ستون مشاركاً^(٢).

(١) انظر نص البيان كاملاً في البيانات المسيحية - الإسلامية (٧٥ - ٨٥).

(٢) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية - الإسلامية تسلسل (٦٤).

مؤتمر: «الحوار الإسلامي - المسيحي»:

عقد في مدينة «مراوي» الفلبينية، في الفترة: ١٣ - ١٧ محرم عام ١٣٩٦هـ، الموافق ١٥ - ١٩ يناير ١٩٧٦م، وحضره عشرون مشاركاً^(١).

ولم يصدر عن المؤتمرين تصريح أو بيان مشترك.

مؤتمر: «التبشير، والدعوة الإسلامية»:

عقد هذا المؤتمر في «شامبيزي» في سويسرا، بمشاركة ثلاث جهات:

١ - مجلس الكنائس العالمي «لجنة الرسالة والبشارة».

٢ - المؤسسة الإسلامية في «ليستر» بريطانيا.

٣ - مركز الدراسات الإسلامية، والعلاقات الإسلامية المسيحية في جامعة سلي أوك - برمنجهام - في الفترة من ٢٨ جمادى الثانية إلى ٤ رجب عام ١٣٩٦هـ، الموافق ٢٦ يونيو إلى ١ يوليو عام ١٩٧٦م^(٢). وقد شارك في هذا المؤتمر أربعة من المسلمين المقيمين في بلاد الغرب، وتسعة نصارى. وقدمت بحوث في المواضيع التالية:

■ مفهوم ممارسة التبشير النصراني.

■ طبيعة الدعوة الإسلامية.

■ التجربة المسيحية عن الدعوة الإسلامية.

■ التبشير المسيحي في العالم الإسلامي، في إندونيسيا وشرق أفريقيا^(٣).

وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي جاء فيه:

(١) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية - الإسلامية تسلسل (٧٢).

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٠٤ - ١٠٥).

(٣) Dialogue Between christians and Muslims (1/29)

(استناداً إلى واقع أن الرسالة والدعوة من الواجبات الدينية الأساسية في المسيحية والإسلام، جرى لقاءً حول «الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية»... وبعد تدارس مفهومي «الرسالة» و«الدعوة»، والتوقف على اختبار كل جماعة دينية نشاط الجماعة الأخرى على صعيد الرسالة والدعوة، وضع المشتركون في اللقاء كهدفٍ لهم تطوير التفاهم المتبادل بين المسلمين والمسيحيين، والبحث عن شروط التعايش التي تضمن خير الجميع الروحي)^(١).

وكانت قضية «الحريات الدينية» محور الاتفاق بين الطرفين. ونتيجة لذلك قدم كل طرف «اعترافاً وأسفاً» للطرف الآخر؛ فمن الجانب الإسلامي:

(عبر المشتركون في اللقاء عن الأسف، عند اطلاعهم على حالة المسيحيين في بعض البلدان الإسلامية، حيث ثمة حدود لحريتهم الدينية، إذ منعوا من حق تشييد أمكنة عبادتهم: فالمسلمون المشاركون في اللقاء يعتبرون أن ذلك مناقض للشرعية الإسلامية، ولمبدأ الحرية الدينية)^(٢).

بهذه السهولة استلّ النصارى هذا الحكم الجائر الجريء من محاورهم المسلمين، الذين يجهلون أو يتجاهلون أحكام معاملة أهل الكتاب في الشريعة الإسلامية، التي تمنع إحداث كنائس لهم، وخصوصية بعض البقاع الإسلامية، كجزيرة العرب عموماً، والحرمين خصوصاً، كما هو مبين في كتب الفقه والأحكام السلطانية^(٣)، ودون أن يكشفوا مثل هذه المحظورات وأشد منها في بعض بلاد النصارى.

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٠٥).

(٢) المرجع السابق (١٠٥ - ١٠٦).

(٣) انظر مبحث (حكم الإسلام في أهل الكتاب) في التمهيد.

وبالمقابل سجل النصارى في هذا المؤتمر اعترافاً تاريخياً هذا

نصه:

عبر المشتركون المسيحيون تجاه إخوانهم المسلمين عن عاطفتهم وأسفهم لجميع المساوىء التي عانها العالم الإسلامي من قبل المستعمرين القدامى والجدد والمتواطئين معهم^(١)، ثم طفق البيان يعدد أسباب تردد المسلمين في تطوير العلاقات مع النصارى وريبتهم في نواياهم، فمنها:

■ خدمة الإرساليات النصرانية مصالح الاستعمار في القرن المنصرم.

■ استغلال النصارى للخدمات المقدمة في حقول التربية والصحة والثقافة والشؤون الاجتماعية، والأزمات السياسية، والتبعية الاقتصادية لدى المسلمين، لأغراض التنصير.

وقد أعلن النصارى شجبهم، وتبرؤهم من «الدياكونيا» أي الاستغلال الخدمي لأغراض أخرى، فجاء في البيان:

(والمشتركون المسيحيون، باسم المسيحية، يتبرؤون من كل خدمة تشوهت في استهدافها غاية غير المحبة «محبة الله والقريب»، ويعلنون أن كل «دياكونيا» لها دوافع أخرى هي أداة دعاية لا تعبير عن المحبة. وهم مستعدون أن يمارسوا كل إمكانيات التأثير التي يملكونها من أجل تكثيف الوعي لهذا الواقع لدى الكنائس والتنظيمات المسيحية.

• انطلاقاً من الوعي المؤلم لدى المشتركين في اللقاء لما آلت إليه مواقف المسلمين تجاه الرسالة المسيحية، بسبب سوء استعمال «الدياكونيا» فإنهم يدعون بكل قوتهم الكنائس والتنظيمات المسيحية لكي

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٠٦).

تضع حداً للنشاطات «الدياكونية» المنحرفة في العالم الإسلامي. وإن إجراء جذرياً كهذا لضروري من أجل تصحيح جو العلاقات الإسلامية المسيحية، وتوجيهها نحو الاعتراف المتبادل، التعاون اللائق بين الديانتين الكبيرتين^(١).

وقد يبدو هذا الاعتراف، وذلك الأسف، والشجب، والتنديد، والتعهد من الجانب النصراني، نصراً مؤزراً، وفتحاً مبيناً، تم على أيدي المحاورين المسلمين، إلا إنه في الحقيقة اعتراف ضمني بشرعية التنصير، وحصر للخطأ والانحراف في صورة فرعية، وهي استغلال الخدمات لغرض التنصير. أما التنصير نفسه أو ما يسميه البيان «الرسالة المسيحية» فلا غبار عليها، وتستحق نظرة جديدة.

وتتضح خطورة هذا «الكمين» وفداحة الثمن بالتوصية التالية:

(يوصي المشتركون في اللقاء بعد تطبيق الإجراءات المذكورة... بأن يدعى المسيحيون والمسلمون للاشتراك في «جمعية تمثيلية» للديانتين، من أجل تدارس الطرق المعتمدة في الرسالة والدعوة، والأنظمة المتبعة في كل ديانة، والتباحث في الأساليب التي تسمح لكل ديانة أن تمارس الرسالة أو الدعوة وفقاً لإيمانها الخاص بها.

ويعترف المشتركون في اللقاء بأن الرسالة والدعوة هما من الواجبات الدينية الأساسية في المسيحية والإسلام^(٢). فهل ظن أولئك النفر من المسلمين الفكريين^(٣) أنهم إذا سوغوا للنصارى دعوة التثليث، وتأليه المسيح، أنهم سيهجرون «الدياكونيا»؟ لقد أثبتت السنوات اللاحقة بطلان أمانهم.

(١) المرجع السابق (١٠٦ - ١٠٧).

(٢) المرجع السابق (١٠٧).

(٣) منهم: إسماعيل الفاروقي، وخورشيد أحمد.

مؤتمر: «التخطيط للحوار الإسلامي المسيحي: الأشكال الراهنة والمستقبلية»:

عقد هذا اللقاء التخطيطي في «كارتيني» في سويسرا، في الفترة: ٢٥ - ٢٨ شوال عام ١٣٩٦هـ، الموافق ١٩ - ٢٢ أكتوبر عام ١٩٧٦م. وقد شارك فيه بصفة مراقب اثنا عشر مسلماً، واثنا عشر نصرانياً، مع الفريق الإداري لمجلس الكنائس العالمي (من أجل وضع مخطط مشترك للخطوات القادمة في الحوار المسيحي - الإسلامي)^(١).

وقد سجل المشاركون في مستهل البيان الختامي الملاحظة التالية: (.. بالرغم من تزايد المبادرات من قبل الجانبين الإسلامي والمسيحي على الصعيد العالمي والإقليمي والمحلي، لا تزال المشكلة قائمة عند الكثيرين من المسلمين والمسيحيين الذين يتخوفون من فكرة الحوار..)

يستطيع بيان الأهداف هذا أن يبدد التخوفات والشعور بالغبن والحرمان، وأن يقدم أمثلة عن مختلف الاختبارات والتطلعات لدى الرفاق في الحوار الإسلامي - المسيحي^(٢).

ومن ثم فقد جاء هذا المؤتمر في مذكرته الختامية تلخيصاً لمقررات مؤتمرات حوار سبقت، وتخطيطاً مشتركاً - بقصد رفع الريبة ودفع التهمة - لمرحلة تتبعه.

فكر القول بالاحترام المتبادل، ورفض التوفيقية والاجتذاب، وترجمة هذه المبادئ إلى ممارسات عملية في حقل التربية والتعليم، والحياة العائلية، ثم في العبادات والصلاة، مع التنويه، لأول مرة، بالتمييز بين «الصلاة» و«الدعاء» عند المسلمين، ورغم ذلك دعا البيان المشترك قائلاً:

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١١١).

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (١١١).

(إننا نشجع المشاركة المناسبة في الاحتفالات الدينية، بعضنا لدى البعض الآخر. ورغب بعضنا في أن يُسمح له بالوجود الصامت في أوقات عبادة الجانب الآخر. كما أن بعضنا شارك في الصلوات والأدعية والتأملات، وصلى على نية بعضنا الآخر، ما دمنا نصلي للإله الواحد الأحد، ونؤمن أنه موجود داخل حوارنا. بالرغم من التردد والصعوبات، يجب أن نكون منفتحين لتتعلم، بعضنا من بعضنا الآخر، كيف نضع إيماننا تحت هداية الله)^(١).

كل ما سبق يندرج تحت بندي: «التهيئة للحوار» و«العيش في حوار» مما سبق تناوله في مؤتمرات سابقة. ويبدو أن الحرب الأهلية اللبنانية التي اضطرت نازحها بين المسلمين والنصارى قبل عام تقريباً من عقد هذا المؤتمر، قد لفحت وجوه المؤتمرين، فجاء البند الثالث موجهاً للحوار في الموضوعات الاجتماعية السياسية على صيغة تساؤلات حول تنظيم المجتمع، والحقوق المتساوية، وتكافؤ الفرص. بل يأتي السؤال هكذا: (عندما يعيش مسيحيون ضمن أكثرية إسلامية، يجب أن يتساءلوا كيف يرون دورهم كمواطنين؟) دون أن يعكس السؤال بالنسبة للأقليات المسلمة المضطهدة، وربما الأكثريات، في مناطق متعددة من العالم.

ثم ينص البيان على قضية «الإيمان والسياسة» في لبنان، ودور النصارى العرب، ويقترح تنظيم مؤتمر مصالحة وسلام، وتنظيم وفود مشتركة لزيارة بقية مناطق التوتر بين المسلمين والنصارى في العالم، بعد إشارة إلى وضع المسلمين في أوروبا.

أما البند الرابع فقد عني بموضوع «اللاهوت والحوار». وهو جانب لم تزل المؤتمرات التي يراها مجلس الكنائس العالمي - خلافاً

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١١٣).

للفاتيكان - تتطرق إليها. وقد عالج المؤتمر أربع مسائل: الوحي، المواقف الدينية المتبادلة، الإيمان والعلم والتكنولوجيا، والرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية. ولكنه لا يضيف جديداً، بل يشير تساؤلات، ويقترح عناوين أبحاث مستقبلية، ومؤتمرات لفقرات معينة، فقط.

وبالفعل فقد تمخض عن مقترحات كارتيني عقد مؤتمرين هما:

مؤتمر: «في سبيل المصالحة والسلام والعدالة في لبنان»:

وقد انعقد بالتعاون بين مجلس الكنائس العالمي و«سودباكس» SODEPAX، في جنيف - سويسرا، في جمادى الثانية عام ١٣٩٧هـ، الموافق يونيو ١٩٧٧م، ضم اثني عشر مسلماً، واثني عشر نصرانياً، وبعض الدروز^(١).

مؤتمر: «الإيمان، والعلم، والتقنية، ومستقبل الإنسانية»:

وقد انعقد هذا المؤتمر في بيروت، والحرب الأهلية على أشدها، في الفترة ٢ - ٦ ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ، الموافق ١٤ - ١٨ نوفمبر عام ١٩٧٧م، تحت رعاية المجلس فقط، وشارك فيه ستة مسلمون، وأحد عشر نصرانياً. وطرحت فيه موضوعات حول الإيمان والعلم والمستقبل، والمفاهيم البيئية والاجتماعية والسياسية^(٢).

ويعد هذا اللقاء تحضيراً لملتقى عالمي كان يزعم عقده في يوليو عام ١٩٧٩م يحمل نفس العنوان.

مؤتمر: «التعايش الإسلامي - المسيحي»:

عقد هذا اللقاء التخطيطي بين الجانبين في «شامبيزي» - سويسرا، في الفترة: ١٣ - ١٥ ربيع الثاني عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٢ - ١٤ مارس

(١) انظر: البيانات المسيحية - الإسلامية (١١٥) «حاشية».

(٢) Dialogue Between christians and Muslims (1/32).

عام ١٩٧٩م، وشارك فيه خمسة من المسلمين، وعشرة من النصارى، وكانت أجواء العلاقات الإسلامية النصرانية لا تزال مشحونة بالتوتر والمصادمات في مواقع كثيرة من العالم كلبنان والفلبين وإرتريا وغيرها، مما دعا المؤتمرين إلى التنويه بذلك في مستهل بيانهم الختامي، وتأثيره السليبي على الحوار: (علينا أن ننتبه إلى الاختلاف في الأوضاع التي يعيشها المسلمون والمسيحيون. فليس هناك نموذج واحد للعلاقات بين المسيحيين والمسلمين في مختلف أنحاء العالم. فننتظر منهم في كل موضع، أن يتفوقوا على الخطوات، ويختاروا النهج في التزامهم المشترك على صعيد الحوار أو العمل. لكننا ندرك مدى المشاركة في التاريخ الماضي، ونعي إمكانية نموها في المستقبل المشترك...

علينا أن نعي مواقف الريبة، التي لا تزال تحيط بالحوار عند بعض المسيحيين والمسلمين...^(١).

وقد أضاف هذا المؤتمر ثلاثة أمور جديدة مقارنة بالمؤتمرات السابقة:

١ - الدعوة إلى التقليل من النشاط الدعوي والتنصيري.

(إن نشاطات الرسالة المنظمة تحدث علاقات توتر بين المسيحيين والمسلمين، وتخلق اهتماماً متزايداً. ففي سبيل تعزيز الثقة والأمل، ومن أجل إنشاء علاقات أفضل في المستقبل، يجب تخفيف مثل هذه النشاطات. على كل، يجب توفير التعليم والمواقف الإيجابية، ليتعرف بعضنا إلى إيمان بعضنا الآخر)^(٢).

٢ - الاستدراك والتوضيح على ما سبقت الدعوة إليه في كارتيني ١٩٧٦م، ولاغون ١٩٧٤م، وبرمانا ١٩٧٢م، من «الصلاة المشتركة»:

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٣١).

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٣٢).

(نرغب في أن نتجنب الوقوع في أي التباس أو خلط عقائدي قد ينتج من محاولات الصلاة المشتركة. يمكننا ولا شك أن نطلب بركة الله على كل ما نقوم به معاً. وأن يصغي كل جانب منا إلى تعاليم كتبه المقدسة)^(١).

٣ - اقتراح برامج عملية على مدى سنتين أو ثلاث، تحت مسمى «التعايش المسيحي - الإسلامي»، تتضمن مكاتبات وتقارير وزيارات ولقاءات، للتهيئة داخل الجماعة كمرحلة أولى عام ١٩٧٩م، يعقبها مرحلة ثانية (١٩٧٩م - ١٩٨١م) تتضمن برامج ومشاريع مشتركة، في مؤتمرات ثنائية، تشرف على كل مؤتمر منظمة إسلامية أو نصرانية، وقد سمي البيان المشترك جملةً من الموضوعات المقترحة، وبعض الجهات المرشحة لعقدتها وتنظيمها مثل:

- الدولة الإسلامية والأخوة البشرية. إشراف: منظمة إسلامية.
- المسلمون والمسيحيون العرب العاشون معاً. إشراف: مجلس كنائس الشرق الأوسط.
- هاجس التربية الدينية. إشراف: هيئات إسلامية ومسيحية.
- قيم الحياة العائلية في توجه ثقافي. إشراف: منظمة المؤتمر الإسلامي.
- القدس وتطلعات المسيحيين والمسلمين. إشراف: منظمة المؤتمر الإسلامي.
- لقاءات تعليمية عن الإسلام والمسيحية. إشراف: مركز الدراسات الإسلامية والعلاقات المسيحية الإسلامية في جامعة «سلي أوك» برمنجهام.

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٣٢).

■ اهتمامات مشتركة حول حقوق الإنسان. إشراف: «برنامج الإسلام والغرب».

■ الإيمان والروحيات في العالم المعاصر. مؤتمر موجه للشبيبة بإشراف مشترك.

■ الأخلاقيات وممارسات برامج المساعدة الاقتصادية والإسعاف الإنساني. إشراف: منظمة علمانية تنموية.

■ تشارك في خبرات وتطلعات أخلاقية بهدف تجديد الأساليب المصرفية.

■ متابعة مؤتمر: «الإيمان والعلم والمستقبل» العالمي الذي سيعقد في عام ١٩٧٩م. بإشراف مشترك.

أما المرحلة الثالثة من هذه الخطة (١٩٨٠م - ١٩٨١م) فتتوج بعقد مؤتمر عالمي حول التعايش الإسلامي - المسيحي، بإشراف منظمات مشتركة، قد يكون جزءاً من احتفالات بدء القرن الخامس عشر الهجري - على حد تعبير البيان^(١) -.

ورغم الحماس المنظم الذي رافق أعمال المؤتمر بغية تفعيل التقارب والتعايش بين الجانبين، وشموله مرافق شتى، ومحاولة زرع الثقة، إلا إن المفاجأة للمتتبع مناشط مجلس الكنائس العالمي يلحظ فترة خمود وتوقف، أعقبت طفرة المؤتمرات التي تتابعت في السبعينيات، واستمرت الفترة مدة سبع سنوات، لم يتخللها سوى مؤتمر واحد عقد في كولومبو عام ١٩٨٢م. ولعل جهود المجلس انصبت على الانهماك في العمل الاجتماعي، بعد أن اختمرت فكرة الحوار، وعلاقته بالبشارة لدى قادة الحركة المسكونية، كما تعبر عنه بدقة

(١) انظر: البيانات المسيحية - الإسلامية (١٣٣ - ١٣٤).

توصيات اللجنة العامة للمجلس، المنعقدة في «جامايكا» مطلع عام ١٩٧٩م. وفيها: (إن الحوار ليس مجرد نشاط اجتماعات ومؤتمرات في عالم للنصارى فيه جيران كثيرون. إنه أسلوب حياة لإيماننا النصراني، مرتبطين ومختلطين بأولئك الجيران الذين نشاركهم في المدن والشعوب والأرض بمجموعها. الحوار أسلوب حياة مرتبطة بالجيران. وهذا لا يحل محل، ولا يحدد، واجبنا في الشهادة..

يجب متابعة الحوار بالمساهمة في الأعمال العامة في المجتمع: النشاطات العامة، والخبرات هي أكثر الأمور مناسبة للحوار حول قضايا: الإيمان والنظريات والسلوك، ومن خلال البحث عن مجتمع عادل للبشر جميعاً^(١)

مؤتمر: «المسيحيون والمسلمون العائشون العاملون معاً: المبادئ الأخلاقية والممارسات في حقل البرامج الإنسانية والتنمية»:

انعقد هذا المؤتمر الثاني في كولومبو - سيرلانكا - في الفترة ٣ - ٥ جمادى الثانية عام ١٤٠٢هـ، الموافق: ٣٠ مارس - ١ أبريل عام ١٩٨٢م، وشارك فيه ثلاثة وثلاثون مسلماً، وثلاثون نصرانياً. وخلافاً للمحاولات السابقة لمجلس الكنائس العالمي في محاورة أفراد مسلمين ليس لهم صفة رسمية تمثيلية، جاء هذا المؤتمر منظماً مع: «المؤتمر الإسلامي العالمي» في كراتشي. كما أرسل إلى المؤتمر مراقبون وبرقيات من: «الأمانة العامة للعلاقات مع غير المسيحيين - الفاتيكان» و«منظمة المؤتمر الإسلامي» - جدة - واليونسكو - باريس^(٢).

(١) إرشادات توصي بها الكنائس للدراسة والتطبيق (٢٦، ٢٩).

وانظر: فصل حقيقة التقريب عند مجلس الكنائس العالمي في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٤٤).

وقد استهل البيان الختامي بفقرات تشي بفشل المحاولات السابقة لتحقيق التقارب، وتحدث بصراحة عن الدوافع العميقة التي تحرك الجانبين لطلب الحوار: (اعترف الجميع أن عوائق كثيرة لا تزال تعترض الطريق من دون تعاونٍ أدنى بين المسلمين والمسيحيين، وجرت مناقشات صريحة حول مواقف الحذر والريبة التي تحدثها معاكسات الحقوق الثقافية والدينية، أكان ذلك ضمن الأكرثيات أو الأقليات. كما تحدث الجانبان عن هاجس سوء استعمال بعض الخدمات الإنسانية، إذ يحاول مقدموها بالإقناع الغاصب أو الخاطيء أن يغيروا ديانة الآخرين...

ويشعر المسيحيون في بعض الأمكنة أنهم غير مقبولين، كمواطنين كاملي الحقوق، من قبل المسلمين، في حين اعترف المسيحيون في أمكنة أخرى أنهم مسؤولون عن إثارة الشعور ذاته لدى المسلمين. أما الهاجس الأكبر الذي أبداه المسيحيون فكان إرادتهم أن لا تؤثر المخاوف والتشويشات الماضية في الحاضر والمستقبل لذلك كان عليهم أن يبذلوا جهوداً ملحوظة من أجل تفاهم أوثق وتعاون أكثر فاعلية مع المسلمين^(١).

وهكذا بعد قرابة عشرين عاماً من المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م)، وقرابة ثلاثين عاماً من أول نداء أطلقه مجلس الكنائس العالمي للتعاون الإسلامي المسيحي في «إيفانستون» عام ١٩٥٤م، تظل مشاعر الريبة والحذر والتهمة تساور الطرفين - باعترافهما الرسمي في البيانات المتعاقبة - ويلتقيان ليندد أحدهما بالتنصير المعتمد على الإغراءات، ويشكو الآخر من النبذ ووصمة العار التاريخية.

وقد دعا البيان الختامي إلى: (ضرورة تحقيق ما يلي:

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٤٥ - ١٤٦).

إصدار إدانة صريحة للاعتداء على الشعب الفلسطيني الذي هجر من أرضه، وعانى الظلم والاضطهاد، وإدانة أخرى لاجتياح أفغانستان، ولاضطهاد المسلمين في مختلف أنحاء العالم، لا سيما في جنوبي الفلبين^(١).

ورغم أن البيان تحاشى ذكر الجهات المعتدية إلا أنه يعد موقفاً متقدماً إذا ما قورن بموقف الفاتيكان من مقررات مؤتمر طرابلس عام ١٩٧٦م^(٢).

ثم اتخذ البيان المشترك توصيات على ثلاثة أصعدة:

أولاً: حول التعاون المسيحي - الإسلامي، وتعزيز الحوار، وأن يطلب من ممثلي الجانبين: «المؤتمر الإسلامي العالمي»، و«مجلس الكنائس العالمي» تأليف لجنة مشتركة مهمتها توضيح الأهداف والطرق والوسائل، واكتشاف العوائق والصعوبات في الحوار.

ثانياً: مشكلة المهجرين الذين يمثل المسلمون ثلاثة أرباعهم.

ثالثاً: مشكلة الأقليات، وتأمين الحرية الدينية لكل أقلية^(٣).

مؤتمر: «الدين والمسؤولية»:

عقد هذا المؤتمر بمبادرة من مجلس الكنائس العالمي بعد سبع سنوات عجاف، في «بورتو نوفو» عاصمة دولة «بنين» في الغرب الإفريقي، في الفترة: ٢٠ - ٢٤ جمادى الثانية عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٣ - ٧ مارس عام ١٩٨٦م. وهو مؤتمر إقليمي خاص بالدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية. وقد شارك فيه سبعة وثلاثون أفريقياً؛ ستة عشر

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٤٥ - ١٤٦).

(٢) راجع محاولات الكنيسة الكاثوليكية، المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٤٦ - ١٤٩).

مسلماً، وواحد وعشرون نصرانياً، وصدر عنه بيان غامضٌ مقتضب جداً يحمل نزعة إقليمية^(١).

مؤتمر: «الدين والدولة، الدين والتربية»:

عقد هذا المؤتمر الثنائي في «ذيانابورا» في جزيرة «بالي» بأندونيسيا، بمبادرة مشتركة من مجلس الكنائس العالمي، ومنظمة «إيمان وشعوب حية»، وحضره أربعون مشاركاً^(٢)، في الفترة: ٤ - ٩ ربيع الآخر عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٦ - ١١ ديسمبر عام ١٩٨٦م.

مؤتمر: «الدين والمجتمع»:

عقد هذا المؤتمر في «كلمباري» في جزيرة «كريت»، في الفترة: ٣ - ٧ صفر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٧ سبتمبر - ١ أكتوبر عام ١٩٨٧م، بمشاركة اثنين وثلاثين مسلماً ونصرانياً بالتساوي^(٣).

مؤتمر: «التعددية الدينية»:

عقد في نيودلهي في الهند، في الفترة: ٣٠ ربيع الأول - ٦ ربيع الآخر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٢ - ٢٨ نوفمبر عام ١٩٨٧م. وقد حضره ممثلون لأديان عدة^(٤).

مؤتمر: «الدين والشريعة والمجتمع»:

عقد هذا المؤتمر الثنائي في جنيف - سويسرا، في الفترة ١٤ - ١٨ جمادى الثانية عام ١٤١٣هـ، الموافق ٩ - ١٣ ديسمبر عام

(١) انظر: البيانات المسيحية - الإسلامية (١٥٧).

(٢) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية - الإسلامية. رقم التسلسل (١٨١)، (١٩٤) على التوالي.

(٣) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب البيانات المسيحية - الإسلامية. رقم التسلسل (١٨١)، (١٩٤) على التوالي.

(٤) اللوحة السابقة، تسلسل: (١٩٨)، (٢٥١) على التوالي.

١٩٩٢م، وحضره ثمانية عشر مشاركاً من الجانبين^(١).

نقد وتحليل:

كانت محاولات مجلس الكنائس العالمي للتقريب بين الأديان صدىً لما يتردد في ردهاته من منازعاتٍ حول مشروعية التقارب وجدواه. فقد واكبت هذه المحاولات المراحل التي سبقت الإشارة إليها في الباب الأول.

١ - ففي مرحلة الدراسة: تم استطلاع موقف بعض النصارى من خلال ثلاثة ملتقيات: جنيف ١٩٦٨م، كارتييني ١٩٦٩م، عجلتون ١٩٧٠م، وأطلقت فيها عدة تساؤلات دون إجابة.

٢ - وفي مرحلة التجربة، جرب المجلس من خلال مؤتمراته المتتابعة كل شيء:

■ الحوار في مسائل الاعتقاد.

■ المشاركة في حضور الصلوات لدى الطرف الآخر.

■ المشاركة في الأنشطة الاجتماعية.

■ النقاش في الممارسات التنصيرية.

لقد أدرك المجلس أنه أمام دين لا يمكن اختراقه أو احتواؤه. فمن ثم أقلع عن المضي في الحديث عن الحوار الذي طبع معظم لقاءات السبعينيات.

ومن الناحية الموضوعية تردد في البيانات المشتركة لمؤتمرات هذه الحقبة: التحذير من التليفية، وذكر العقائد المميزة لكل جانب، إدانة استغلال الخدمات الإنسانية لأغراض الاجتذاب الديني، الحرية الدينية،

(١) اللوحة السابقة، تسلسل: (١٩٨)، (٢٥١) على التوالي.

التعاون في مجالات التنمية والخدمة الاجتماعية، والاعتراف المستمر بوجود رواسب الريبة والحذر لدى الجانبين.

ويلاحظ على محاولات المجلس في هذه المرحلة من الناحية التنظيمية أنه ينأى عن الجهات الحكومية، والهيئات الرسمية، ويختار محاوريه من الجانب الإسلامي بصفته الشخصية، ويشركهم أحياناً في التخطيط.

٣ - أما المرحلة الثالثة: فقد كف المجلس عن عقد المؤتمرات العلائقية، واتجه نحو موضوعاتٍ محددة خلال الثمانينيات والتسعينيات من جنس: الدين والمجتمع والتعددية، الدين والدولة، الدين والتربية، التعايش.



المبحث الرابع

محاولات التقريب بين الأديان في أوروبا الغربية

إلى جانب المحاولات العالمية للتقريب بين الأديان الصادرة من الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي، وكلاهما أوروبي المنشأ، ثم محاولات أوروبية متعددة بعضها ذات صفة عالمية أيضاً، وكثير منها ذات صفة إقليمية، برزت في العقود التالية لانعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي فتح الطريق أمامها للحوار مع غير النصارى. ولكن السبب الرئيسي وراء هذه الظاهرة، هو حركة الهجرة الواسعة التي اجتاحت أوروبا الغربية، سيما دول الشمال، من قبل العمالة الوافدة، وكثيرٌ منهم من أبناء البلدان الإسلامية.

وقد تمت الموجة الأولى في الهجرات في الفترة من ١٩٦٢م، حتى ١٩٧٤م، ثم فترات بسبب بعض الركود الاقتصادي بضع سنوات، وعادت إلى الظهور والنمو، حتى بلغت ذروتها في أواخر السبعينيات، وزادت أعداد المسلمين بسبب انضمام أسرهم إليهم، وباتوا يشكلون تجمعات ملفتة في عددٍ من الدول الأوروبية. هذا فضلاً عن المهاجرين القدامى من شبه القارة الهندية في المملكة المتحدة، أو المسلمين الأوروبيين من سكان أوروبا الشرقية، أو القلة الذين اعتنقوا الإسلام من الأوروبيين الغربيين لاتصالهم بالمسلمين إبان الاستعمار الأوروبي.

هذا الواقع الاجتماعي الجديد حمل مؤسسات دينية وأهلية وحكومية، في أوروبا، على الاهتمام بالقادمين الجدد الذين يحملون معهم خصائص عقدية وثقافية واجتماعية مغايرة للوسط المحيط، فضلاً

عن أنهم، رغم اضطرارهم ولجوءهم إلى الهجرة والعمل، وأحياناً في أعمال دينية، يحملون معهم شعوراً بالتفوق الروحي، والانتماء الديني، الذي حملهم على محاولة تكييف أوضاعهم الاجتماعية لإقامة شعائر دينهم، وإنشاء المساجد، والمدارس الخاصة، خشية الذوبان في المجتمع الجديد.

كما أن «الجيل الثاني» من أبناء المهاجرين، الذين ولدوا وتعلموا في المدارس الأوروبية باتوا يشكلون معضلةً اجتماعية، للازدواجية التي يعانونها من جراء التجاذبات بين أخلاق أسرهم وبيوتهم المحافظة، وثقافة وممارسات المجتمع الأوروبي المتحرر.

وأخيراً فإن حركة الإسلام العالمية، والأحداث السياسية الكبرى في العالم، وتصرفات بعض المسلمين الصائبة أو الخاطئة، تلقي بظلالها على الوجود الإسلامي في أوروبا، وتبعث المزيد من الاهتمام بالإسلام، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي، في الأوساط الدينية والعلمانية الأوروبية.

وبالنسبة للكنائس الأوروبية المحلية، كانت أعداد المهاجرين المتزايدة تجلب معها عدداً من الإشكالات حول كيفية التعامل مع القادمين الجدد من النواحي الاجتماعية، والروابط، والأخلاق، كالانتماء، واللباس، وأماكن العبادة، والزواج، والتغيب عن العمل في الأعياد، ومواجهة الأفكار المسبقة، والاستغلال، والتمييز العنصري... الخ^(١).

ومن جانب آخر وهو الأهم، بل هو الباعث الحقيقي على اهتمام الكنائس بأمر الإسلام في أوروبا، التأثير المعاكس، أي تأثير الأوروبيين أنفسهم بالإسلام واعتناقهم إياه من جراء مخالطة المسلمين، والوقوف

عن كُتب على حياتهم الإيمانية والاجتماعية والخلقية المتميزة، مما أثار فزعاً حقيقياً لدى مختلف الطوائف النصرانية في أوروبا، من الإقبال على اعتناق الإسلام بشكل مطرد، من الأوروبيين الأصليين أنفسهم، في الوقت الذي لا تستطيع فيه النصرانية مواجهة الإسلام من الناحية العقدية، ولا الناحية القانونية، حيث تسود أوروبا بصفة عامة مبادئ الحرية والديموقراطية وتكافؤ الفرص.

وكان أول لقاء نصراني لتدارس وضع المسلمين في أوروبا قد انعقد بمبادرة من الفاتيكان، الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين، في «اللوكسمبورغ»، في مارس عام ١٩٧٤م. ثم تبعه لقاء في «مودلنغ» في النمسا، في نوفمبر عام ١٩٧٦م. وقد دعي إليه المسلم النمساوي - من أصل بوسني - الدكتور إسماعيل باليك، ليجيب في محاضراته عن السؤال التالي: (ماذا يتوقع المسلمون في أوروبا من الكنيسة؟).

وفي فبراير عام ١٩٨٧م، خصص مجلس الكنائس الأوروبي (C.E.C)^(١) أولى مشاوراته في مدينة «سالزبورغ» للحديث عن: «الكنيسة والمسلمون في أوروبا». وفي السنة التالية، في الاجتماع المعقود في «كريت» عام ١٩٧٩م أنشأ مجلس الكنائس الأوروبي لجنة استشارية للإسلام في أوروبا (C.C.I.E)^(٢). ونظراً لكون الكنيسة الكاثوليكية غير ممثلة في مجلس الكنائس الأوروبي، فقد برزت الحاجة إلى تكوين لجنة أوسع تمثيلاً، فكانت:

(١) هو تنظيم كنسي مسكوني، يضم مائة وعشرين كنيسة في عضويته، أما الكنائس الكاثوليكية فرغم أنها ليست عضواً فيه، إلا إنها لعبت دوراً كبيراً في جميع مناشطه.

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 39.

لجنة «الإسلام في أوروبا» (Islam in Europe Committee)

تألفت هذه اللجنة الأوروبية الموحدة عام ١٩٨٦م من مجلس المؤتمرات الأسقفية الأوروبية (C.C.E.E)، والفيدرالية الأوروبية لمؤتمرات رؤساء الأساقفة الكاثوليك، ومجلس الكنائس الأوروبي، تحت مسمى «لجنة الإسلام في أوروبا»، بواقع عشرة أعضاء من الفيدرالية، وأربعة عشر عضواً من مجلس الكنائس الأوروبي. كما منح كلاً من الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، والوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب المثل والعقائد الحية التابعة لمجلس الكنائس العالمي، صفة مراقب، وبذلك مثلت جميع الكنائس الأوروبية الشرقية، والغربية في مجلس واحد، بما يتزامن والاتجاه السائر إثر أحداث أوروبا الشرقية وتفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩م، نحو «أوروبا الموحدة».

اقتصرت اللجنة على مهمة أساسية، وهي إدخال الدراسات الإسلامية، والعلاقات الإسلامية المسيحية، بصورة أكثر فاعلية في برامج الدراسات للكلديات اللاهوتية، ومراكز التدريب، والحلق الدراسية النصرانية. وعقدت في هذا الصدد أربعة مؤتمرات استشارية عالمية في كل من هولندا وإيطاليا وروسيا وبريطانيا، ثم جمعت حصيلة هذه اللقاءات عام ١٩٩١م، وقدمت في تقرير إلى الكنائس في أوروبا، ترجم إلى ست لغات، بعنوان: «وجود المسلمين في أوروبا، والتوجه اللاهوتي للعاملين الراعويين» جاء فيه:

(إنهم - أي المسلمين في أوروبا - منظمون جيداً في جميع البلدان الأوروبية، لديهم مساجد، وقاعات صلاة، ومدارس خاصة، مراكز للدراسات القرآنية، جرائد ونشرات ومعلومات، وأئمتهم ومفكروهم. كل هذا يسمح لهم، بالرغم من حياتهم الأقلية، أن يسيروا الحياة براحة، بتقاليدهم، كما يحملوا الشهادة لمعتقداتهم الدينية.

هذا التطور أيضاً له نتائج على المجتمع العلماني. إن جميع الدول الأوروبية قد بنيت على تقاليد متأثرة بقوة بالمسيحية، ومنذ الثورة الفرنسية بالقوانين التي تكفل تساوي جميع الأفراد، وبالنظام الديمقراطي. وبهذا الاعتبار كونت الدول الأوروبية تكاملاً دينياً وسياسياً حضارياً...

إن الأفكار والواقع لـ: «الأمة»، «الدولة»، «الدين» عريقة جداً في أوروبا، بينما المهاجرون المسلمون يقدمون من مناطق تميزت بفكرة مغايرة للدولة والمجتمع، ودون ممارسة لذات التطور الثقافي «مثلاً، التنوير» الذي عرفه المجتمع في البلدان المضيفة»^(١).

وهذا النص من التقرير يلمح إلى حجم الإشكالات المستقبلية التي تتوقعها الكنائس الأوروبية من جراء تنامي الوجود الإسلامي في أوروبا، ولذا فقد وجهت الفيدرالية الأسقفية الكاثوليكية (C.C.E.E)، ومجلس الكنائس الأوروبي (C.E.C) في لقائهما المنعقد في مايو ١٩٩٣م اللجنة لتوسيع جهودها لتشمل:

- ١ - كيف الزيجات بين المسيحيين والمسلمين.
 - ٢ - العلاقة بين الدين والسياسة.
 - ٣ - توجيهات للحوار المسيحي الإسلامي في كل بلد.
 - ٤ - تصنيف شبكة عمل أوروبية للمسيحيين المهتمين بالحوار مع المسلمين^(٢).
- وهي مباحث تكشف مدى الاهتمام الأوروبي الكنسي بالإسلام في أوروبا.

إن «لجنة الإسلام في أوروبا» تمثل تنظيمًا رسميًا لموقف النصارى من القضية، وبإزاء هذا التنظيم تنظيم غير رسمي مؤلف من بعض الأفراد والدارسين ينسج على منوال ما سبق التعريف به في محاولات الكنيسة الكاثوليكية، «الأيام الرومانية»^(١). فقد ظهرت محاولة كبيرة عرفت باسم:

Journées d'Arras (الأيام الآراسية)

نسبة إلى منطقة الآراس الواقعة شمال فرنسا. فقد دعا رئيس أساقفتها المونسنيور «جيرارد هيوغ» عام ١٩٨٠م مجموعة صغيرة من المهتمين إلى الالتقاء في أسقفيته للتباحث في العلاقات الإسلامية المسيحية في أوروبا، وظلت تنعقد بصفة سنوية على مدى خمس سنوات. وإثر تقاعده تنقل مكان اللقاء في مواقع مختلفة في أوروبا الغربية: ١٩٨٦م بلجيكا «تورينا»، ١٩٨٨ - ١٩٩٠م فرنسا «مرسيليا»، ١٩٩١م ألمانيا «تراير»، ١٩٩٢م بلجيكا «ركسنسارت»، ١٩٩٤م النمسا «أنسبورك»، مع احتفاظها باسمها الأصلي.

وقد اتسمت مناشط «الأيام الآراسية» بمشاركة جميع الكنائس، وعقد حلقات وندوات دراسية، في مسائل العلاقات الإسلامية في أوروبا، كان أبرزها في السنوات الأخيرة ما يلي:

- عام ١٩٨٧م: توجيه العاملين الراعويين، باعتبار الإسلام.
- عام ١٩٨٨م: المرأة المسلمة المولودة والمتزوجة في أوروبا.
- عام ١٩٨٩م: التنظيمات الإسلامية في أوروبا.
- عام ١٩٩٠م: المشاركون في الحوار الإسلامي، بالنسبة للمسيحيين في أوروبا.

(١) انظر محاولات الكنيسة الكاثوليكية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

■ عام ١٩٩٣م: الزواج بين المسلمين والمسيحيين.

■ عام ١٩٩٤م: المسيحيون والمسلمون يواجهون حقوق الإنسان^(١).

هذان أبرز تنظيمين نصرانيين أوروبيين توفرا على رصد أوضاع المسلمين، وحركة الإسلام في أوروبا. وسنتناول فيما يلي تفصيلاً للمحاولات الجارية للتقريب بين الأديان في عددٍ من بلدان أوروبا الغربية:

١ - إسبانيا والبرتغال:

تمثل دولتا إسبانيا والبرتغال الحيز الجغرافي لشبه الجزيرة الأيبيرية، التي كانت منذ القرن الهجري الأول (٩٢هـ)، السابع الميلادي، مسرحاً للفتوحات الإسلامية المظفرة، حتى تم إخضاع جميع أقاليمها في غضون ثلاث سنوات. ولم يكن الوجود الإسلامي عابراً في الأندلس بل دام ثمانية قرون، وتجزر في المنطقة، وخلف آثاراً شاهدة على ما كان للمسلمين من حضارة ومآثر، ولم تستطع حرب الاستعادة الإسبانية^(٢) الصليبية اجتثاث الوجود الإسلامي السياسي إلا بعد أكثر من سبعة قرون من المناوشات حتى تسليم غرناطة عام ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م، وظل الوجود الفعلي لبقايا المسلمين الملقين بـ «الموريسكيين» حتى آخر عمليات التهجير والنفي عام ١٠٢٣هـ - ١٦١٤م.

ورغم أن الإسلام محي تماماً من إسبانيا، إلا أن آثارهم وتاريخهم ظل رمزاً باقياً، ومعلماً لافتاً، يجتذب دعاة التقريب بين الأديان، وعلى الخصوص بين الإسلام والنصرانية، لتكون تلك الأرض

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 81 - 83.

(٢) هكذا تعرف في التاريخ الأوروبي (Reconquista). والواقع أنها حرب ردة ونكسة على إسبانيا وأوروبا.

منطلقاً يزخر بالمعاني، ويخزن الذكريات التي تستدعي مشاعر التقريب والتواصل، حيث جرى على ثراها في ظل الدول الإسلامية المتعاقبة تعايش مدني آمن، وذمة مصونة، وتنسّم اليهود والنصارى فيها عبق الحرية، وشاركوا في الحياة العامة دون إكراء في الدين.

ومن المحاولات للتقريب بين المسلمين والنصارى على المستوى العالمي التي اتخذت من إسبانيا مقراً لها:

«جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا»

أنشئت هذه الجمعية سنة ١٩٦٦م، في مدريد، من قبل خمسة عشر من المثقفين المهتمين بالقضايا العربية والإسلامية، من أبرزهم الدكتور: سلفادور نوجالس، رئيس الجمعية، والدكتور ميخائيل إيبالسا، الأستاذ بكلية اللاهوت والفلسفة بجامعة مدريد^(١). وقد عقدت الجمعية بالتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية، وبلدية قرطبة ثلاثة مؤتمرات كبرى، في مدينة قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس. ثم انحلت الجمعية بموت مؤسسها الدكتور نوجالس في مطلع الثمانينيات. أما المؤتمرات فكانت على النحو التالي:

«المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الدولي الأول»:

عقد هذا المؤتمر في الفترة: ٢٣ - ٢٨ شعبان عام ١٣٩٤هـ، الموافق ١٠ - ١٥ سبتمبر عام ١٩٧٤م، وشارك فيه وفودٌ رسمية، وشخصيات عربية وإسلامية ونصرانية، قدموا من ثلاثة وعشرين بلداً. وقد تخلل المؤتمر (حفل رمزي، ألا وهو إعادة فتح الجامع - الكاتدرائية في قرطبة، حيث أقيمت صلاة الجمعة، وفي اليوم التالي القداس الإلهي)^(٢).

(١) انظر: مجلة «العربي» العدد (٢٢٣). يونيو ١٩٧٧م.

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية (٦٨). والواقع أن السلطات الإسبانية لم تعد افتتاح الجامع للمسلمين، بل قصارى الأمر أن سمحت بإقامة صلاة الجمعة =

وكان موضوع المؤتمر الرئيسي: «الضمير الإسلامي والمسيحي أمام مشاكل التطور». كما قدمت فيه بحوث تناولت الموضوعات التالية:

- ١ - عرض إسلامي للمسيحية بأسلوب يعترف به المسيحي.
- ٢ - عرض مسيحي للإسلام بأسلوب يعترف به المسلم.
- ٣ - المعاني المتبادلة للتوسع السياسي في الإسلام والمسيحية.
- ٤ - أزمة الإيمان الديني، وتجارب التربية الدينية في الإسلام والمسيحية.
- ٥ - المساحات المشتركة التي يمكن أن يتعاون فيها المسلمون والمسيحيون^(١).

ثم صدر عن المؤتمر بيان مشترك، جاء في توصياته:

- (إقامة تعاون إسلامي مسيحي، لتأكيد الإيمان بالله، وتعميق القيم الدينية، والإنسانية، وقصر دراسة الخلافات العقائدية على مجالات المتخصصين، مع الاحترام المتبادل بين الجانبين.
- الدعوة إلى تأليف في حقل العقيدة، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان...
- تنقية المناهج والكتب الدراسية في العالمين المسيحي والإسلامي، من الأخطاء التي تسيء إلى أي من الدينين...

= للمشاركين المسلمين أثناء انعقاد المؤتمر ثم أغلقته. وهذه هي المرة الثانية التي تقام فيه الصلاة بعد سقوط قرطبة بأيدي النصارى عام ٦٣٣هـ - ١٢٣٦م، وأما الأولى فحدثت أثناء زيارة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ﷺ لأسبانيا عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م. وأما الطقوس الكهنوتية النصرانية فإنها لم تنقطع منذ اغتصابهم الجامع العريق حتى يومنا هذا.

(١) انظر: Dialogue Between christians and Muslims (1/21).

■ مناقشة المسلمين والمسيحيين بأن يعنى كل منهم بنشر عقائده بين أتباعه، والإهابة بالهيئات الدينية الإسلامية والمسيحية، أن ترعى الوسائل الإعلامية والتعليمية الثقافية الفنية، حتى لا يتسرب منها إلى المجموعتين ما يفسد خططها وأهدافها، من تعميق الروح الديني وتمكينه.

■ التعاون بين المسلمين والمسيحيين على منع ما تلاقيه الأقليات الدينية في أي جزء من العالم من اعتداء واضطهاد، والعمل على وضع حد حاسم لذلك، إقراراً للعدل والسلام.

■ تأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني، مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب. وتأكيد عروبة القدس، ورفض مشروعات التهويد، والتقسيم، والتدويل، وإدانة الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الشعوب والمقدسات الإسلامية والمسيحية، وبخاصة المسجد الأقصى، والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين، لا سيما رجال الدين الإسلامي والمسيحي. وتأييد النضال العادل للشعب الفلسطيني، والمطالبة بتحرير الأراضي العربية المحتلة^(١).

هذا بالإضافة إلى توصيات تتعلق بتبادل المخطوطات والوثائق، والحفاظ على الآثار، ودعم التواصل بين الجانبين، وتأليف لجنة مشتركة دائمة لمتابعة تنفيذ توصيات المؤتمر.

ويتضح من بيان قرطبة أن المشاركين أحوالوا البحث في المسائل العقدية الكبرى المأمور بها في مجادلة أهل الكتاب إلى متخصصين، دون تسمية لجنة معينة، ودون أن يظهر لهذه التوصية أثر في الأعوام التالية. واكتفوا بالدعوة إلى مفهوم عائم للإيمان والتأليف فيه، ولعله الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وحسب.

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية المشتركة (٧٠ - ٧١).

كما يؤخذ على الجانب الإسلامي إقراره لتوصيتين مخالفتين
للشريعة الإسلامية:

إحدهما: ما عبر عنه بتنقية المناهج والكتب الدراسية مما يسيء
إلى الجانب الآخر. ومعلوم قطعاً بالضرورة من دين الإسلام ذم القائلين
بالتثليث، وألوهية المسيح، وبنوته، وتكفير من يزعم ذلك في صريح
القرآن وصحيح السنة، كما تقدم في التمهيد^(١).

الثانية: التسليم بالتوصية الداعية إلى قصر الدعوة، ونشر العقيدة
بين الأتباع فقط. ومن المعلوم أيضاً بالضرورة من دين الإسلام أن
رسالة محمد ﷺ للناس كافة، وأولاهم بالدعوة أهل الكتاب الذين
يتسبون إلى أنبياء الله وكتبه السابقة.

ومع ذلك فإن النصارى ما فتئوا يدعون إلى دينهم، ويسعون لنشر
عقائدهم، وينفقون الأموال الطائلة في سبيل ذلك، دون أن تشنيهم
توصيات مؤتمر هنا أو هناك.

■ كما يلاحظ نجاح الجانب الإسلامي في المؤتمر من إقرار
التوصية المتعلقة بالفلسطينيين والقدس وغيرها، مما كان سائداً في تلك
الحقبة من المطالب العربية. وهي ذات المطالب التي رفض الفاتيكان
التصديق عليها في مؤتمر طرابلس المنعقد بعد مؤتمر قرطبة بستين. كما
أن رئيس الأمانة العامة للعلاقات بغير المسيحيين، الكاردينال بينودولي
لم يحضر هذا المؤتمر، واكتفى بإرسال برقية.

مؤتمر: «الصدقة الإسلامي المسيحي الثاني»:

انعقد هذا المؤتمر في قرطبة أيضاً بدعوة من جمعية الصدقة
الإسلامية المسيحية في إسبانيا، في الفترة ٣٠ ربيع الأول - ٦ ربيع
الثاني عام ١٣٩٧هـ، الموافق ٢١ - ٢٧ مارس عام ١٩٧٧م. وقد

(١) انظر مبحث: حكم الإسلام في أهل الكتاب، من الناحية الاعترافية.

حضره قرابة مائتي شخص، قدموا من عشرين بلداً. وكان الموضوع الرئيسي للملتقى بعنوان: «التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى في المسيحية والإسلام»، وقدم فيه ستة عشر بحثاً.

وبين الدكتور ميخائيل إيبالسا، الأمين العام للجمعية صلة هذا المؤتمر بسابقه فيقول: (بعد النجاح الذي حققناه، قررنا أن نخطو خطوة أخرى، وأن نقرب من نقطة اللبس الحقيقية عند العالم المسيحي وهي: شخصية النبي محمد. ولكي تكتمل الصورة في الأذهان، فتحنا الباب أيضاً لتقييم شخصية المسيح، لأن هناك لبساً من نوع آخر يحيط بهذه الشخصية عند جماهير المسلمين)^(١).

فلننظر كيف عالج المؤتمر اللبس المزعوم في شخصيتي النبيين الكريمين.

أولاً: نبينا محمد ﷺ:

■ قال الدكتور إيبالسا: (إن شخصية النبي محمد مقدمة إلى العالم المسيحي بصورة مشوهة إلى حد كبير، حولها نسجت العديد من الافتراءات والأكاذيب والخرافات، التي نشأت كلها من الفكر المتعصب الذي ساد الغرب منذ بدأ الإسلام يدخل أوروبا. وكانت مثل هذه الافتراءات إحدى وسائل تعبئة الجماهير ضد المد الإسلامي.

كان لا بد أن نزيح هذا الركام، إذا أردنا أن نفتح الطريق لتعاون إسلامي مسيحي).

■ قال الدكتور ميخائيل «ميجيل» كروت إيرناندث، أحد كبار اللاهوتيين الأسبان، في بحثه المعنون: «الجدور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي محمد»: (ربما لا يوجد

(١) مجلة العربي. عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م. تحرير: فهمي هويدي (٤٢).

صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلماً على مدى التاريخ مثل محمد. كذلك لا نجد اتهاماً أساسه السياسة - لا الدين - مثل تلك الاتهامات التي وجهت للإسلام.

إن المسار الطبيعي لانتشار الإسلام من الجزيرة العربية كان يمر قسراً عبر أئمن الأماكن المسيحية، وهي الأرض التي ولد وعاش ومات فيها عيسى الناصري، الذي هو بالنسبة للمسيحيين ابن الإله الحي. ذلك أن الإسلام انتشر أولاً في آسيا الصغرى، وشمال أفريقيا، وقد كانت مهد الكنائس الأولية والكبرى للمسيحية مثل القدس، والإسكندرية.

لهذا السبب سرعان ما ألصقت اتهامات بغير حصر بالنبي محمد، تشهر به وتطعن في نبوته، حتى وصف عند المسيحيين بأنه «أمير الظلام»، خاصة بعد ما كاد الإسلام يقضي على المسيحية في إسبانيا، بعد ما فتح كل الجزيرة الإيبيرية...

وقد استمرت الخرافات وحملات التجريح تحيط بالإسلام والمسلمين ونبههم، حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي. وفي مطلع القرن الثالث عشر بدأت تقلص الخرافات، دون أن تتغير صورة النبي محمد في أذهان المسيحيين، الذي ظل يوصف بأنه مزيف وكاذب. وفي القرن التاسع عشر اختفت تماماً صورة الكاذب عن محمد، عندما درست شخصيته دراسة علمية. ولكن صورته «نبياً مزيفاً» ما تزال سائدة حتى أيامنا هذه^(١).

ويكاد يجمع المتحدثون النصارى على هذه القضية الواضحة، قضية التشويه التاريخي الأثم لصورة الإسلام ونبيه ﷺ. ولكن هل بلغ الأمر إلى حد الإقرار بنبوته ﷺ؟ لقد تفاوتت عبارات القوم، وهم يتكلمون بصفاتهم الشخصية، لا الكَنَسية الرسمية طبعاً:

(١) المرجع السابق (٤٦ - ٤٧).

■ فقال الدكتور سلفادور نوجالس، رئيس الجمعية: (من وجهة النظر الكنسية ليست هناك عقبات كبيرة في وصف محمد بالنبوة. ولا بد من اعترافنا بأنه إلى جانب معطيات النبوة التي توفرت له، فهناك أيضاً الكمال الشخصي، والقدرة الفائقة على التبشير بالرسالة)^(١).

■ وقال الدكتور إيرناندث، إثر بحثه التاريخي عن الصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عنه ﷺ: (إن نصوص التوراة والأنجيل لا تشير إلى أن طريق النبوة قد أغلق بنبوة يعقوب ولا بنبوة عيسى. إن بعض العبرانيين كان يرفضون عملياً مجيء أنبياء جدد بعد يعقوب، وليذكر الجميع أن عيسى الناصري اتهم وحوكم باعتبار أنه كافر، وليس باعتباره نبياً... إن كل الدلائل التاريخية والاجتماعية، بل وحتى من وجهة النظر الدينية المسيحية، فإن محمداً يعد نبياً حقيقياً)^(٢)، ثم شرع في تعداد بعض فضائله ﷺ.

هذا الموقف لبعض اللاهوتيين النصارى يعد، كما وصفه الأمين العام للجمعية ومقرر المؤتمر الدكتور إيبالسا: (نقطة تحول كبيرة في الفكر المسيحي، والنظرة المسيحية إلى النبي محمد، يكفي أن يقف رجال اللاهوت بكل ما يمثلونه من وزن ديني وفكري ليعترفوا بنبوة محمد، وبدوره الهائل في تاريخ الإنسان)^(٣).

ومع ذلك فإننا لا نرى أن هذا الاعتراف الصريح بنبوته ﷺ يتجاوز المستوى النظري، إلى ما يقتضيه من التصديق والطاعة والانقياد التام، حيث لم يعلم أن أحداً من هؤلاء أشهر إسلامه. ودون هذا الموقف مواقف أخرى:

(١) المرجع السابق (٤٩).

(٢) المرجع السابق (٤٧).

(٣) المرجع السابق (٤٢).

• فقد خُلف الدكتور جريجور رويث، الأستاذ بجامعة كومباس «مدريد»، في بحثه إلى: (إنه طبقاً لمقاييس التوراة، وأنبياء العهد القديم، فإن محمداً يعتبر نبياً من وجهة النظر المسيحية)^(١) ويلاحظ أنه لا يعده كذلك طبقاً لمقاييس الإنجيل.

• أما الأب جيوليو باسيتي ساني فقد قرر في بحثه المعنون: «محمد نبياً»: (إنني أرى التاريخ الإنساني برمته، وبصفة خاصة تاريخ الإنسانية الديني، قد اتخذ من المسيح محوراً - ثم استعرض الأدلة التي تؤكد صدق نبوة محمد ﷺ في التوراة وفي التاريخ، وانتهى إلى أنه يُعد: نبياً حقيقياً في إطار تاريخ السلام، الذي يتخذ من يسوع المسيح محوراً)^(٢).

• أما الموقف الحقيقي الرسمي لعامة النصارى فقد نقله الأب جي هارتيه، في بحثه المعنون: «مواقف معاصرة من نبوة محمد» عن الأب جاك جوينيه، حيث يقول بصراحة وإدراك تام لمقتضيات الاعتراف بنبوته ﷺ: (إنه لا يمكن اعتبار محمد نبياً، لأن ذلك يعني بالنسبة للمسيحيين الاعتراف بإنجيل جديد يحل محل إنجيل المسيح. وإن الاعتراف بمحمد نبياً يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن، وبالتالي بأن محمداً خاتم المرسلين، وخاتم الأديان. وهذا لا يعتبر سوى إلغاء لإنجيل المسيح)^(٣). والحق أنه إلغاء للتحريف الذي أدخل على الإنجيل الذي جاء نبينا محمد ﷺ مصداقاً له، ومهيماً عليه.

وهذا النص الأخير يفسر بجلاء سر امتناع الفاتيكان عن المشاركة

(١) المرجع السابق (٤٨). وقد أشار المحرر أن هذا البحث أثار ضجة شديدة في جلسة المؤتمر، لاعتراض بعض المسلمين على ما ورد فيه.

(٢) المرجع السابق (٤٨).

(٣) المرجع السابق (٤٤).

في هذا المؤتمر، مما حمل رئيس الجمعية الدكتور سلفادور نوجالس على توجيه خطاب احتجاج إلى أمانة الفاتيكان، قال فيه إن موقفهم من المؤتمر يتعارض مع قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني الذي يدعو إلى احترام عقيدة المسلمين، الأمر الذي لا يمكن أن ينفصل بأي حال عن احترام نبي المسلمين^(١).

لقد تفاوتت عبارات الجانب النصراني حول قضية الإيمان بنبوة محمد ﷺ ما بين اعتباره نبياً بالمعنى النظري المجرد، كاعترافهم بنبوة أنبياء بني إسرائيل السابقين، حيث لا يترتب على تلك المعرفة أثر عملي، وهذه أحسن الأحوال، وحسبانه نبي سلام يدور في فلك يسوع، محور التاريخ الإنساني والديني، أو إنكار نبوته بالكلية فراراً من التبعات واللوازم المترتبة على ذلك.

ولم يصف هؤلاء شيئاً صحيحاً وحقاً، سوى ما تجلّى للقاصي والداني من بطلان وزيف الخرافات والأساطير التي نسجتها عناكب القرون الوسطى.

ثانياً: عيسى ابن مريم ﷺ:

ليس لدى المسلمين - بحمد الله - لبسٌ حول شخصية عيسى ﷺ كما زعم الدكتور ميخائيل إيبالسا. فقد أوضح القرآن العظيم قصة مولده، وطبيعته البشرية، ونبوته، أيما إيضاح في سورة مريم وغيرها، ثم عقب على ذلك بقوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَعَلُوا أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ

(١) المرجع السابق (٤٣). كما يلاحظ أن هذا المؤتمر جاء بعد عام واحد من مؤتمر طرابلس الذي واجه فيه الفاتيكان ضغطاً قوياً من الجانب الإسلامي بغية انتزاع اعتراف بنبوة محمد ﷺ فاستوعبوا الدرس جيداً، وقاطعوا مؤتمر قرطبة.

كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٥﴾ وَلَئِنْ أَلَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٦﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾^(١) [مريم]، فأنى لهؤلاء الضالين المختلفين أن يزيلوا لبساً مزعوماً عند المسلمين، وهم أنفسهم يتخبطون في شخص المسيح ﷺ وطبيعته طوال القرون السالفة، ويلعن بعضهم بعضاً. ولعلمهم أرادوا في هذا المؤتمر الذي أسموه «التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى» عليهما الصلاة والسلام، وهم يعلمون قطعاً تقدير المسلمين وإيمانهم بكلا النبيين، لعلمهم أرادوا استزلال المسلمين إلى مقالتهم الفاسدة في المسيح عيسى ابن مريم، عبد الله ورسوله.

ويتضح هذا الهدف بطروحات ذوي الصفة الكنسية الرسمية المشاركين في المؤتمر. فقد قال الكاردينال الكاثوليكي أنريكي ترانكون، رئيس أساقفة إسبانيا في كلمته في المؤتمر، ما نصه: (يجب أن نعترف بأن العقيدة المسيحية ترى في المسيح أكثر مما يراه المسلمون. وإننا على أي حال نحسه بطريقة مختلفة. ذلك ما نريد أن نبديه لكم، دون أن نشير من جديد جدلاً لاهوتياً تقليدياً بيننا. والحق أنه من الصعب عرض العقيدة المسيحية التي تنسج لغتها داخل الجماعة المؤمنة، كي تفهم هذه العقيدة أمة غير مسيحية. إن ذلك يستلزم عملياً تغيير اللغة، ويستلزم على الخصوص الثقة في أن ينير الله القلوب لمعرفة الحق).

إن شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الإيمان بوحدة الله «آمنا بالله وحده»، هذا ما نعلنه بكل قوة مع إخواننا المسلمين. وكأتباع المسيح نؤمن بالله الأحد، المنزه خالق السماء والأرض، المشيب الغفار، الرحيم، الخ. وفي استطاعتنا أن نتبنى كل أسماء الله الحسنى التي

(١) انظر المبحث الثاني من التمهيد: أهل الكتاب - النصرانية.

يطلقها المسلمون على الله الواحد، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين. إن عقيدتنا في التثليث لا تنقض شيئاً من ذلك التأكيد القاطع المطلق من ذلك الإيمان الذي ينبغي لإخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به. فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم، ولا نرضى أن نتهم بأننا نشرك مع الله آلهة أخرى...

بجانب ذلك نؤمن بأن لعيسى صبغة إلهية. وهذا سر مسيحي عميق جداً، يشغل بحق بال المسلمين. لكن يجب أن نعترف لإخواننا المسلمين بأن صبغة المسيح الإلهية، تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الإنسان، هي بالنسبة لنا أيضاً سر لا يدرك، واستناداً إلى نصوصنا وتقليدنا العقيدي، نعبر عن الوحدة الإلهية بالتثليث، غير أننا لا نستطيع إدراكه. وكذلك تظل غامضة في نصوص القرآن الكريم تلك الصلة بين الله وروحه القدس الذي أوحى به إلى مريم، وعيسى كلمة الله التي ولدت منها. فالعلاقة بين الله وروحه وكلمته تطرح لكم مشكلات أيضاً، إذ يقول القرآن نفسه: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٥) (١) [الإسراء].

وبصرف النظر عما يحمله هذا الكلام من تناقض وغموض وتهافت، ظلت تردده الكنيسة منذ قرون، فإن الملفت للنظر جراءة كاردينال الكنيسة الإسبانية الكاثوليكية المتعصبة على الصدع به فوق رؤوس شركاء الحوار المسلمين، الذين أمرهم الله تعالى أن يقولوا بكل صراحة وجراءة ووضوح: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٠) [آل عمران]، لقد فاه الكاردينال بشركه وكفره وطعنه في القرآن، مع اعترافه بالغموض والعجز عن البيان، والإحالة على عالم الأسرار التي تجمع المتناقضات.

(١) المرجع السابق (٤٦).

فهل تصدى له مؤمنٌ مخلص موحد، مستنير بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، فكشف زيف تثليثه، وبشاعة تأليهه لعبد الله ورسوله عيسى ابن مريم، ممثلاً أمر الله، غير عابىء بلوم اللائمين، ومداهنة المداهنين؟

تالله إنه لموقف خزي في الدنيا، وحسرة في الآخرة، أن يعلو صوت الشرك والوثنية، وفي الساحة مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، فلا يمنعه من رد الباطل، ونصرة الحق، إلا خشية التشويش، وخدش مشاعر القوم، الذين اعتدوا على مقام الألوهية، وجنوا على عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه.

وقد أنطقه الله تعالى بالاعتراف المخزي بالعجز عن تعقل سر الوحدة في التثليث، التي يعدونها أعظم أصولهم العقدية في قانون الإيمان النيقاوي، مع أن باب العقائد يشترط فيه الجزم والقطع والعلم الضروري. وقد حاول الكاردينال الكاثوليكي بمرأى ومسمع من مشاهديه ومستمعيه المسلمين تنظير هذه الخرافة بالعقيدة القرآنية في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، والمغالطة بإشكالية العلاقة بين الله وروحه وكلمته، زاعماً أنها غامضة حتى عند المسلمين. ولكن هيهات هيهات، وقد عافانا الله مما ابتلاهم به، فقال جل من قائل: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٧١] أي: غاية المسيح عليه السلام ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال، أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة، التي هي أعلى الدرجات، وأجل المكرمات. وأنه كَلِمَتُهُ ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: كلمة تكلم بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم. وكذلك قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: من الأرواح التي خلقها، وكملها بالصفات الفاضلة، والأخلاق الكاملة.

أرسل الله روحه، جبريل عليه السلام، فنفخ في فرج مريم عليها السلام فحملت بإذن الله بعيسى عليه السلام. فلما بين حقيقة عيسى عليه السلام أمر أهل الكتاب بالإيمان به، وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة^(١)... ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهٗ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وأما السؤال عن «الروح» في الآية التي لَوَّح بها الكاردينال ظاناً أنها تدل على مراده، فهو سؤال عن حقيقة الروح وكيفيةها، وذلك من جملة الأمور الغيبية التي هي محارات العقول، لا محالات العقول. أما الوحدة في التثليث فإنها من محالات العقول أصلاً.

فهل يا ترى تلا أحد من المسلمين آية النساء، أو آية آل عمران في وجه الكاردينال الزاعم أنه لا يريد أن يشير جدلاً لاهوتياً تقليدياً، ثم يعلن الكفر الصراح، الذي لا تبرؤ ذمة من سمعه إلا برده وإنكاره ومجادلته بالتي هي أحسن، فإن لم يستجب صاح قائلًا: «اشهدوا بأنا مسلمون».

والمثال الثاني للموقف الكنسي الرسمي، جون تايلور، ممثل مجلس الكنائس العالمي، الذي قال في المؤتمر: (إنني ألح على ضرورة الدراسة التاريخية من الجانبين، المسيحيون الذين ينبغي أن يعترفوا بنفوس تائبة بما ارتكب في حق النبي محمد من أخطاءٍ لوُثت التاريخ الروحي والثقافي المسيحي. والمسلمون الذين قليلون منهم فقط درسوا بروح متفتحة تاريخ ورمزية الكتابات المسيحية، وعقائد وتراث الكنيسة)^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢ - ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٢) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٨).

ونحن - المسلمين - نقبل إقرار القوم على أنفسهم، وندعوهم إلى التوبة والندم والإقلاع عما ارتكبهه ليس في حق نبينا محمد ﷺ وحسب، بل وفي حق الله تعالى من دعوى التثليث، وإثبات الولد، وفي حق عيسى عليه السلام من الغلو فيه وتأليه.

وأما الدراسة التاريخية من جانب المسلمين لعقائد النصارى وتراث الكنيسة، فقد زخرت به كتب العقيدة الإسلامية، بروح متفتحة تنطلق من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفَعُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل].

لقد كان النصارى في مؤتمر قرطبة يختارون ألفاظهم بعناية، ويتحاشون في غمرة البهرج الإعلامي، وأجواء المجاملات الحميمة أن يفرض منهم - سيما ذوي الصفة الدينية - كلمة تحمل الاعتراف الصريح بنبوة محمد ﷺ في الوقت الذي يزجون فيه عبارات التبرئة التاريخية، التي تجاوزها الزمن، عما ألصق ظلماً وبغياً وحسداً بشخص نبينا الكريم ﷺ، فيطير بها الصحفيون المسلمون، واصفين تصريحات هؤلاء النصارى، ومؤتمراتهم بعبارات فضفاضة، موهمة، مضللة - وإن بغير قصد - للجمهور المسلم من جنس قولهم:

□ (علماء اللاهوت يدافعون عن محمد، ويعترفون بنبوته)^(١).

□ (ما حدث في قرطبة كان بمثابة إعلان لفض الاشتباك بين المسيحية والإسلام، وتوقيع لاهوتي بالأحرف الأولى على نبوة محمد، يحدث لأول مرة منذ قرون)^(٢).

□ (إن العالم المسيحي، والفكر المسيحي، يبدو من خلال هذا

(١) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧ (٤٠) فهمي هويدي.

(٢) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧ م (٤٠) فهمي هويدي.

الحوار وكأنه يقدم اعتذاراً إلى العالم الإسلامي عن سوء الفهم الذي ظل يحمله له عدة قرون^(١).

وإلى جانب التوصيات الواردة في البيان الختامي، وعلى السنة المتحدثين من الجانبين بالدعوة إلى التقارب والاحترام بين الديانتين، (وتجسيدا لهذا الاحترام المتبادل، الذي كانت صورته الواقعية - خارج قاعات المؤتمر - تتمثل في إقامة المسلمين لشعائر صلاة الجمعة داخل مسجد قرطبة التاريخي الشهير، ثم في إقامة المسيحيين لقداس الأحد في الكاتدرائية التي تشغل جزءاً من ساحة هذا المسجد الكبير، وحرص المسلمون والمسيحيون على أن يشاركوا في الموقفين معاً، تأكيداً لروح قرطبة وتجسيدا لها)^(٢).

ندوة: «تعريف الإسلام بطريقة أفضل في كتب التعليم الديني»:

عقدت هذه الندوة الفكرية في مدريد يوم ١٤ رجب عام ١٣٩٨هـ، الموافق ٢٠ يونيو عام ١٩٧٨م، بمشاركة من جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا، ومكتب الإعلام التابع لجامعة الدول العربية، وحضور أربعين شخصاً من الجانبين^(٣)، (لمناقشة المشكلات المتعلقة بصياغة المعلومات الخاصة بتاريخ الإسلام، والثقافة العربية - الإسلامية في المناهج والكتب المدرسية الأوروبية، للحلقة المتوسطة «الإعدادية»)^(٤). وكان الدكتور ميخائيل إيبالسا، أمين عام جمعية الصداقة قد صرح أثناء انعقاد مؤتمر قرطبة الثاني عام

(١) مجلة الفيصل عدد (٥) ذو القعدة ١٣٩٧ هـ أكتوبر ١٩٧٧م (٣١) فاروق شوشة.

(٢) مجلة الفيصل عدد (٥) ذو القعدة ١٣٩٧ هـ أكتوبر ١٩٧٧م.

(٣) انظر: البيانات المسيحية - الإسلامية، اللوحة الملحقة بالكتاب. تسلسل رقم (٩٠).

(٤) الإسلام والمسيحية (١٥٧).

١٩٧٧م قائلاً: (...) كلفنا فريقاً من الباحثين بدراسة ٢٥٠ كتاباً يتداوله التلاميذ في مختلف مراحل التعليم بإسبانيا، وطلبنا منهم حصر العبارات والوقائع التي تقدم الإسلام ونبه بصورة مشوهة إلى التلميذ، تمهيداً لتصحيح تلك الوقائع، واستبعاد كل ما هو مختلق ومكذوب منها^(١).

وبعد الندوة بشهر، في ٢٠ يوليو، اجتمع عددٌ من الخبراء الإسبان والعرب في مقر المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، لإعادة النظر في ما تم تحقيقه لجهة تحسين عرض الإسلام في الكتب الثانوية في إسبانيا^(٢).

مؤتمر: «الصدقة الإسلامية المسيحية الثالث»:

انعقد هذا المؤتمر في قرطبة في عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٩٧٩م وقد كان موضوع المؤتمر الرئيسي: «محمد وعيسى ملهمان للقيم الاجتماعية المعاصرة». وقصد بها على وجه الخصوص: الحرية، والعدالة والمساواة. وبالإضافة إلى إشراف جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا ورعايتها للمؤتمر، فقد أسند تنظيمه وإعداده إلى كلية اللاهوت بمدريد، والجامعة البابوية في روما من الجانب النصراني، وجامعات ومؤسسات وشخصيات مستقلة داخل إسبانيا وخارجها من الجانب الإسلامي، كما جاء في رسالة أمين عام الجمعية الدكتور ميخائيل إيبالسا الموجهة إلى شيخ الأزهر إذ ذاك عبد الحليم محمود^(٣).

(١) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٣).

(٢) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية (٦٨). حاشية (١).

(٣) انظر: نص الرسالة في كتاب (أوربا والإسلام) لعبد الحليم محمود (١٨٢).

المؤتمر: «الإسلامي المسيحي بمناسبة الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على تأسيس جامع قرطبة»:

انعقد هذا المؤتمر في إطار الاحتفالات التذكارية بالمائة الثانية عشرة لتأسيس جامع قرطبة الشهير، وذلك في الفترة من ٦ - ٩ صفر عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١١ - ١٤ أكتوبر عام ١٩٨٦م. وذلك بدعوة من «اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى، والمركز الإسلامي في أسبانيا التابع لرابطة العالم الإسلامي». وأقيمت فيه عشر محاضرات على مدى أربعة أيام تناولت الموضوعات التالية:

- أهمية الصلاة في حياة المؤمنين الروحية ضمن الديانتين.
- تطور علاقات المنتمين إلى الديانتين في السنوات العشرين المنصرمة.

□ إمكانية التعاون بين الإسلام والمسيحية، وما يمكنهما أن يقدماه للثقافة، ولتقدم البشرية.

□ ظاهرة الإلحاد الحالية، باعتبارها تحدٍ لكلا الديانتين.

وقد صدر عن الملتقى بيان ختامي يؤكد أهمية الحوار والتواصل بين المسلمين والكاثوليك، والتعارف الأفضل، والتعاون المشترك لتحقيق المقاصد الإنسانية^(١). ولم يأت بجديد يذكر.

مؤتمر: «الحوار بين الأديان والسلام في الشرق الأوسط»:

هو أول مؤتمر من نوعه يضم مسلمين ونصارى ويهود يعقد في أسبانيا. وقد دعت إليه منظمة تطلق على نفسها اسم: (مجمع أديان المسكونة)، وعقدته في مدينة طليطلة «توليدا» في الفترة: ٢٦ - ٢٨ رجب ١٤٠٨هـ، الموافق ١٥ - ١٧ مارس عام ١٩٨٨م^(٢).

(١) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية (١٦٠ - ١٦٢).

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية، تسلسل رقم (٢٠١).

وجلي الآن أنه كان إرهاباً لمؤتمر مدريد التاريخي، الذي عقد عام ١٩٩٢م، لتحقيق تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي على أرض فلسطين الإسلامية. ففي نفس العام ١٩٨٨م اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل في الوجود.

مؤتمر: «المسلمون والمسيحيون أمام مشاكل العالم الحالية»:

انعقد هذا الملتقى في مقر المركز الثقافي الإسلامي في مدريد، في الفترة: ٤ - ٦ شوال عام ١٤١٣هـ، الموافق ٢٦ - ٢٨ مارس ١٩٩٣م، بمبادرة من المركز الثقافي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، واللجنة الكنسية للعلاقات بين الأديان المنبثقة عن المجلس الأسقفي الأسباني، حيث مثل كل جانب خمسة من المتحدثين، وحضره جمع كبير من المسلمين والنصارى، من داخل أسبانيا وخارجها.

وقد أقيمت فيه عشر محاضرات، تبعتها مناقشات مكثفة، تناولت الموضوعات التالية:

□ المسلمون والمسيحيون أمام ظاهرة عدم التدين في الوقت الراهن.

□ دور الأقليات الدينية في الحوار الإسلامي المسيحي.

□ المسلمون والكاثوليك أمام مسألة حقوق الإنسان.

□ الحرية الدينية ومعالجتها.

□ التعاون المشترك لدعم السلام، ودور الدين في النظام العالمي.

وقد اتسم البيان المشترك بالعموميات، والتأكيد على قضايا سابقة لا تكاد تخلو منها مقررات مؤتمرات الحوار الإسلامي النصراني؛ من إعلان الإيمان بالله بصفات الربوبية، ومواجهة الإلحاد، والدعوة إلى

تعارف ديني أفضل، وثقة متبادلة، وحوار مستمر، والمناداة بالسلام العالمي، وحرية الأديان، وإدانة واستنكار انتهاكات حقوق الإنسان، وخص البيان (الممارسات القمعية، والتصفيات العرقية والدينية في كل مكان، وبخاصة في البوسنة والهرسك، التي تشكل وصمة عار في جبين الحضارة العالمية)^(١).

وقد اتفق الطرفان على تشكيل أمانة عامة دائمة ومشتركة، للتنسيق والمتابعة، وعقد لقاءات دورية بين رابطة العالم الإسلامي، والفاتيكان، ومجلس كنائس إسبانيا، مرة كل سنتين^(٢).

٢ - المملكة المتحدة «بريطانيا»:

أدت الحقبة الاستعمارية لبريطانيا العظمى، التي كانت لا تغيب عن ممالكها الشمس، إلى هجرة أعداد كبيرة من أبناء تلك المستعمرات إلى المقاطعات المكونة للمملكة المتحدة (إنجلترا، ويلز، سكوتلندا، شمال إيرلندا). وكان معظمهم من شعوب شبه القارة الهندية الذين يعتنقون الإسلام، أو الهندوسية، أو السيخية، أو البوذية. وقد أدى هذا التنوع إلى أن تتجه مسيرة الحوار نحو التعددية، ولا تقتصر على الحوار الإسلامي النصراني، وحتى على المستوى النصراني نفسه، فإن بريطانيا تضم خليطاً من الكنائس النصرانية المتباينة، وتختص بوجود الكنيسة الإنجليكانية، التي تمثل الكنيسة الرسمية للبلاد، منذ أن أسسها الملك الإنجليزي هنري الثامن (١٥٠٩ - ١٥٤٧م) إثر خصومته الشخصية مع البابا كليمنت السابع، وانفصاله عن الكنيسة الكاثوليكية، مع عدائه أيضاً للحركة البروتستانتية^(٣). ومع ذلك فقد ظلت هذه الطوائف النصرانية

(١) البيان المشترك - النسخة العربية.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي - المسيحي: ضرورة المغامرة (١٤٣).

(٣) انظر في هذا: تاريخ الكنيسة المسيحية. أفغراف سميرونوف. (٦٣٣ - ٦٣٦).

بالإضافة إلى كنائس أخرى صغيرة تتنافس في اجتذاب الأتباع. وقد أدت هذه الفسيفساء الدينية إلى تكوين شبكة حوار ديني Inter Faith Network، تهدف إلى تنظيم وتشجيع ودعم الاتصال والحوار بين مختلف المجتمعات الدينية في بريطانيا، وقد بلغ عدد أعضاء هذه الشبكة من المجموعات الدينية المحلية، ومراكز الدراسات، والتنظيمات المختلفة للحوار فيما بين الأديان، أكثر من ستين جهة.

ومن أبرز هذه الجهات المعنية بقضية التقارب في المملكة المتحدة:

«مجلس الكنائس البريطاني» (British Council of Churches (BCC)

أنشأ هذا المجلس الذي يضم الكنائس البريطانية المختلفة، سوى الكاثوليكية، لجنة للعلاقات مع أتباع المعتقدات الأخرى عام ١٩٧٧م، جاعلاً مهمتها المعلنة: مساعدة المسيحيين، طوائف وجماعات، للتعلم من ذوي المعتقدات الأخرى، وتحمل الشهادة لاعتقادهم الخاص^(١).

وفي عام ١٩٨١م أصدرت اللجنة إرشادات للحوار في بريطانيا، ظلت تراجع وتعاد طباعتها بصفة مستمرة.

وبدورها قامت الكنيسة الكاثوليكية في بريطانيا عام ١٩٨٤م بتكوين لجنتها الخاصة لذوي المعتقدات الأخرى بغرض: مساعدة الكاثوليك في تعميق إيمانهم الخاص، عن طريق حفز إدراك وفهم أكبر للمعتقدات الأخرى، من خلال الحوار والصلاة والممارسات التي تتم في ضوء تعاليم الكنيسة^(٢).

وجلياً أن اهتمام هذه المؤسسات الدينية العتيقة بموضوع الحوار نابع عن خوف على الأتباع، الذين ما عاد يكفي لتحصينهم من

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 38.

(٢) المرجع السابق (٣٨).

«العدوى» بالأفكار «الشريرة» تحريم قراءة كتب الآخرين، وسماع آرائهم، كما هو منطق الكنيسة في القرون الوسطى. بل الأمثل بدلاً من التواري عن الخصم القوي الحجة، التقدم إليه، والتعريف به لدى الأتباع في ضوء تعاليم الكنيسة، تمهيداً لاستيعابه وتخفيف الصدمة به، وإطفاء بريق النديّة الذي يجتذب الباحثين عن إيمان صحيح.

«برنامج وستمنستر للتلاقي الديني»:

منظمة حوارية منبثقة عن أسقفية وستمنستر الكاثوليكية في لندن، حيث يقطن أكثر من مليون نسمة من اليهود والمسلمين والبهاثيين والهندوس والبوذيين والسيخ والزرادشتيين والجينيين وأتباع التقاليد الأفريقية، والحركات الدينية الحديثة إلى جوار النصارى التابعين للعديد من الكنائس.

وترمي مناشط البرنامج المتنوعة إلى هدفين معلنين:

أحدهما: جمع القادة الدينيين، والأتباع العاديين من مختلف المجموعات الدينية.

الثاني: تثقيف النصارى بشكل أفضل بطبيعة ومطالب المجتمعات متعددة الأعراق والأديان.

ومن أبرز تلك المناشط التي يقوم بها برنامج وستمنستر ما يلي:

١ - تنظيم فصول دراسية صيفية، قاعدتها الإدارية مكونة من ممثلين من مختلف المجتمعات، وموادها تدرس من قبل أساتذة يعلنون عقائدهم.

٢ - تنظيم زيارات متحضرة لبيوت العبادة لتشجيع الفهم من خلال التجربة.

٣ - إنتاج منشورات من مختلف الأنواع تشمل مواد تعليمية، ومساعدة للصلاة الدينية المشتركة والعبادة.

٤ - تنظيم ملاجىء، خلق دراسية، محاضرات، لقاءات غير رسمية في أوقات التوتر بين المجتمعات، وإعداد خدمات الصلوات.
 ٥ - التعاون مع منظمات الحوار بين الأديان خارج بريطانيا، لتكوين شبكة عالمية للحوار بين الأديان^(١).
 وتم مؤتمرات عالميان متعدد الأديان عقدهما برنامج وستمنستر للتلاقي الديني هما:

مؤتمر: «الإيمان في سبيل السلام وإنماء الإنسان»:
 عقد في مدينة «سوتهول» في عام ١٤٠٦هـ، أكتوبر ١٩٨٥م وحضره ثلاثون مشاركاً^(٢).
 (مؤتمر التلاقي)

عقد في مدينة «نونسلو» في إنكلترا في ١٢ ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٤ نوفمبر عام ١٩٨٥م، وحضره مائتا مشاركاً^(٣).

(كنيسة «وندسور» الإنجليكانية)

تكتسب هذه الكنيسة أهميتها لكونها كنيسة مدينة «وندسور» التي تنتمي إليها العائلة المالكة في بريطانيا، وتقيم في قلعتها التاريخية منذ عام ١٩١٧م، وقبل ذلك كانت مقراً لهنري الثامن مؤسس الكنيسة الإنجليكانية^(٤).

وقد اقتصرَت محاولات كنيسة وندسور في مجال التقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية على مشاركة مؤسسة آل البيت الأردنية في عقد بضع مؤتمرات ذات موضوعات محددة، كانت على التوالي:

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 91 - 92.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٥٦، ١٦٠).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: المنجد في الأعلام (٧٤٤)، والموسوعة العربية الميسرة (١٩٦٨).

مؤتمر: «الحوار»:

عقد هذا المؤتمر بمبادرة من الأمير حسن بن طلال، ولي عهد الأردن - سابقاً - والمطران ميخائيل مان، رئيس كنيسة وندسور في الفترة ٢٠ - ٢٣ ربيع الأول عام ١٤٠٥هـ، الموافق ١٥ - ١٨ نوفمبر عام ١٩٨٤م في مدينة وندسور في إنكلترا، وحضره خمسة وثلاثون مشاركاً من المسلمين والنصارى واليهود^(١)، فيهم الكاردينال آرينزي، وحاخامات من بريطانيا.

مؤتمر: «قيم الحياة العائلية في المجتمع الحالي»:

وقد انعقد هذا المؤتمر الثنائي، الإسلامي النصراني في عمان بالأردن في الفترة: ١٣ - ١٥ محرم ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٨ - ٣٠ سبتمبر عام ١٩٨٥م، بمبادرة من الشخصيتين السابقتين، وحضور ثلاثة وعشرين مسلماً، وثمانية عشر نصرانياً، منهم الكاردينال آرينزي، بغرض دراسة المشكلات المشتركة التي تواجهها العائلات المسلمة والنصرانية في المجتمعات المعاصرة. وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي لم يقتصر على إعلان القيم العائلية المشتركة بين الديانتين، بل حاول أن يؤسسها على عقائد مشتركة لخصها بما يلي:

١ - نحن نعيش في كونٍ يسوده الله.

٢ - هذا الإله واحدٌ أحد، شامل الوجود، كلي الحكمة والقدرة، وهو الخالق الرحيم لنا جميعاً.

٣ - لقد أوحى هذا الإله للبشرية بشرائعه الأساسية التي تصلح لتوجيه سلوك الفرد، وقيادة المجتمع.

٤ - جميعنا مدعوون لنسلم ذواتنا لمشيئة الله.

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل (١٤٦).

٥ - جميعنا مسؤولون تجاه الله، وخاضعون لحكمه الإلهي.

٦ - جميعنا متساوون لدى الله. إذ هو إله العدالة.

٧ - جميعنا نعم برحمة الله، الرحمن الرحيم^(١).

وبصرف النظر عن الصياغة النصرانية التي تغطي غالباً على البيانات المشتركة، ويأبأها التعبير الإسلامي العام، فضلاً عن الجمل الشرعية المأثورة التي يعتمد عليها أهل السنة، فقد نص المؤتمر المقرون بهذه العقائد المشتركة على القول إنه: (يمكننا أن نعبر عنها بطرق مختلفة، وأن نفسرها أيضاً تفاسير متنوعة)^(٢)، وهذا ما يفسر صدور دعوى التوحيد الواردة في فقرة (٢) من أهل التثليث، ولكنه لا يفسر التسليم بالمساواة الواردة في فقرة (٦) بين المسلمين والنصارى. وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ [القلم]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٧١) [الباقية]، وأي جريمة وأي سيئة أعظم من الشرك بالله العظيم، ونسبة الولد له سبحانه؟!.

أما ما يتصل بموضوع المؤتمر نفسه، فقد حدد البيان الآفات المشتركة التي تعصف بالمجتمعات، مثل: تفشي الجريمة، وانحراف الشباب، والفقر، والمجاعة، والطلاق، وتفكك العائلات، والإباحية الجنسية، وتعاطي المخدرات، وإساءة معاملة النساء والأولاد. وهي آفات تنخر بالمجتمعات النصرانية المعاصرة بصورة مضاعفة، مقارنة بالمجتمعات الإسلامية، سوى الفقر والمجاعة.

ودعا البيان إلى ضرورة مراعاة الإنجازات المادية في مجالات

(١) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٥٣ - ١٥٤).

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (١٥٣ - ١٥٤).

الهندسة المعمارية وتنظيم المدن، والخدمات الصحية والاجتماعية والاقتصادية، للعقائد الأساسية حول الإنسان والأخلاق. وأكد على «الزواج الإلهي»^(١) - هكذا - في إشارة إلى نبذ ما يسمى بـ «بالزواج المدني»، والعشرة المحرمة، وأهمية العائلة لتنشئة الأطفال وتربيتهم، وحث الشبيبة على بناء عالم أكثر عدالة وانسجاماً^(٢).

مؤتمر: «الأخلاقيات وإدارة الأعمال»:

انعقد هذا المؤتمر الثلاثي في «وندسور» في الفترة: ٢٩ رمضان - ٢ شوال عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٢٩ - ٣١ مايو ١٩٨٧م، برعاية الجهتين السابقتين، وحضور ثلاثة عشر مسلماً، ومثلهم من النصارى، وثلاثة يهود بريطانيين^(٣).

مؤتمر: «ممارسة البنوك وفقاً للإسلام والمسيحية»:

انعقد هذا المؤتمر الثنائي في بلدة «ماعين» الأردنية، في الفترة: ٥ - ٦ صفر عام ١٤٠٩هـ، الموافق ١٧ - ١٨ سبتمبر عام ١٩٨٨، برعاية كنيسة وندسور الإنجليكانية، ومنتدى الفكر العربي، الذي يرأسه الأمير حسن بن طلال أيضاً^(٤).

مؤتمر: «الأخلاقيات وإدارة الأعمال الثاني»:

انعقد هذا المؤتمر في «وندسور»، في الفترة: ٩ - ١١ جمادى الثانية عام ١٤١٠هـ، الموافق ٨ - ١٠ ديسمبر ١٩٨٩م، برعاية كنيسة وندسور، ومنتدى الفكر العربي^(٥).

(١) الزواج الإلهي: أحد الأسرار الكنسية السبعة المزعومة. راجع التمهيد - النصرانية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: اللوحة التابعة بكتاب البيانات الإسلامية المسيحية الإسلامية تسلسل: (١٨٩، ٢٠٥، ٢١٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

ويلاحظ في هذه الجولات الإنجليكانية - الأردنية الخمس، أنها تنزع إلى مناقشة موضوع محدد من جوانب الحوار، بل إلى موضوعات ذات طرافة وجدة، كأعمال البنوك، وأخلاقيات العمل، مما لم تسبق إليه.

كما تلاحظ ثلاثية الأطراف المشاركة في النوبة الإنجليكانية، وثنائيتها في النوبة الأردنية، وعدم دعوة اليهود، مراعاة للظروف الإقليمية السائدة في المنطقة.

وإلى جانب هذه المؤتمرات يقوم كبير أساقفة كانتبري، رئيس الكنيسة الإنجليكانية، جورج ليونارد كاري، بزيارات لمناطق من العالم الإسلامي كان من أبرزها:

١ - زيارته لمصر: في أكتوبر عام ١٩٩٥م، حيث ألقى محاضرة في جامعة الأزهر بعنوان: «تحديات العلاقات بين الديانات الكبرى»^(١).

٢ - زيارته لسوريا في ١١ شوال عام ١٤١٩هـ، الموافق ٢٨ يناير عام ١٩٩٩م لمدة أربعة أيام، والتقى رئيس الجمهورية ورجال دين مسلمين ونصارى، وزار بعض المواقع الأثرية^(٢).

وقال إنه يريد أن يقف على تجربة التعايش الإسلامي المسيحي في هذا البلد، الذي دامت أكثر من ألف سنة^(٣).

(١) سبق عرض هذه المحاضرة في المبحث الثاني من الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) جريدة الحياة. العدد (١٣١١١). الجمعة ٢٩ يناير، ١٢ شوال عام ١٤١٩هـ.

(٣) هيئة الإدارة البريطانية BBC - الجمعة ٢٩ يناير ١٩٩٩م، ١٢ شوال ١٤١٩هـ.

«كليات سَلِّي أوك في برمنجهام»:

هي اتحاد بين كليات مستقلة في برمنجهام بإنكلترا، أقدمها كلية «وود بروك». ورغم أنها لا تنتمي إلى تنظيم كنسي معين، إلا إنها تعد من مراكز التنصير^(١) التي تُعنى بـ (التربية وعمل الجماعات والدراسات الدينية والتدريب على العمل الاجتماعي. وأحد اهتماماتها المشتركة هو تهيئة رجال ونساء للخدمة في جميع أنحاء العالم)^(٢).

ويرجع اهتمام هذه الكليات بالدراسات الإسلامية، والعلاقات الإسلامية النصرانية إلى أكثر من نصف قرن، حين آوت عائلة «كاد بيري» الثرية راهباً يحمل معه مخطوطات عربية وسريانية، فمُولت إنشاء مركز لدراسة الوثائق والمخطوطات العربية والسريانية^(٣). وقد (أخذ متخصصون بالمحاضرات في العلوم الإسلامية على عاتقهم مساعدة المسيحيين في تعميق فهمهم للإسلام، بتحليل الإيمان والممارسة الإسلامية تحليلاً يجمع بين التعاطف والنقد^(٤). وفي السنين الأخيرة تمت متابعة المحاضرات، وتعددت بمساهمة بعض المسلمين، كطلاب أو ضيوف محاضرين، أو مشاركين في لقاءات. وقد تنظمت في إطار كليات «سَلِّي أوك» عدة لقاءات استشارية بين مسلمين ومسيحيين في موضوعات تهم الجانبين)^(٥).

المؤتمر: «الاستشاري لإنشاء «مركز دراسات مسيحية - إسلامية»:

دعت كليات سَلِّي أوك لعقد هذا اللقاء (استناداً إلى «خبرتها» في حقل العلاقات الإسلامية المسيحية، وللحاجة التي تتزايد إلحاحاً إلى

(١) انظر: Dialogue Between christians and Muslims (1/16).

(٢) من مقدمة وثيقة اللقاء التشاوري لإنشاء مركز للدراسات الإسلامية المسيحية في سَلِّي أوك. عن: البيانات المسيحية الإسلامية (٨٩).

(٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).

(٤) غير خاف أن أولئك المتخصصين هم من المستشرقين والمنصرين.

(٥) البيانات المسيحية - الإسلامية (٨٩).

معرفة أعمق من المسيحيين للإسلام، ومن المسلمين للمسيحية... بسبب الحالة التي طرأت في السنين الأخيرة، من جراء ازدياد عدد الجماعات الإسلامية في أوروبا الغربية^(١). فالتقى في برمنجهام مائة وعشرون مسلماً ونصرانياً ينتمون إلى ثمانية عشر بلداً في أوروبا وآسيا وأفريقيا، في ربيع الثاني عام ١٣٩٥هـ، الموافق مايو عام ١٩٧٥م لمناقشة مشروع إنشاء مركز في أوروبا الغربية للدراسات الإسلامية. وصدرت وثيقة مشتركة عن المؤتمرين جاء فيها: (إن استقلالية كليات سَلِّي أوك تتيح إمكانية تطوير التسهيلات الموجودة فيها على صعيد الدراسات الإسلامية للتجاوب مع هذه الحاجة: إنشاء مركز لدراسة الإسلام والمسيحية، في إطار العلاقات الإسلامية المسيحية. ويهدف المركز أن يكون مكاناً للبحث والتعليم والإعلام، من أجل استكشاف تقاليد الإيمانيين في أوروبا وأي منطقة أخرى من العالم...

إننا نعلق أهمية كبيرة على دور المركز كمكان للأبحاث على أعلى مستوياتها، أبحاث تتناول مختلف العلوم الإسلامية، ومختلف مناطق العالم الإسلامي، مع تركيز خاص على الجماعات الإسلامية في أوروبا، وعلى اللاهوت المسيحي في المحيط الإسلامي، وعلى العلاقات التاريخية والمعاصرة بين المسيحية والإسلام...

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف ندعو المسلمين بالتحاح إلى أن يأخذوا مكانهم بالقرب من المسيحيين على جميع الأصعدة التخطيطية والتنفيذية في المركز، أكان في صفوف الطلاب أو الموظفين أو المستشارين... ومن أجل تغطية مصاريف الضيوف المداومين، ومساعدة أمانة السر، فالمسلمون كالمسيحيين يجب أن يكونوا ممثلين بالتكافؤ في «ملاك» المركز...^(٢).

(١) المرجع السابق.

(٢) البيانات المسيحية - الإسلامية (٩٠ - ٩١).

إن هذا المشروع المتلبس بالصفة العلمية البحثية ليكشف بوضوح عن القلق النصراني المتنامي من جراء الوجود الإسلامي في قلب أوروبا، وما يمثله من تحديات عقدية واجتماعية في العمق النصراني. وإن الدعوة لـ «معرفة أعمق»، و«فهم أفضل»، و«استكشاف تقاليد الإيمانين»، ونحو هذه الجمل البريئة، لم تستطع أن تخفي الهاجس الخفي لهذه المراكز التنصيرية التي يزعجها أمر الجماعات الإسلامية في أوروبا، وتحمل همّ اللاهوت النصراني في المحيط الإسلامي، فتعمد إلى الالتفاف على المسلمين باسم الحوار والدراسات والعلاقات الإسلامية النصرانية، بل وتدعوهم بالرحاب إلى الإنفاق على هذه المراكز، وتقديم الخبرات والمخطوطات والاستشارات. وقد أثمر هذا المؤتمر التشاوري إنشاء:

«مركز دراسة الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية - C.S.I.C»:

تأسس هذا المركز بعد عام من المؤتمر التشاوري السابق، أي في عام ١٩٧٦م. ويعد حالياً أهم مراكز الحوار الإسلامي النصراني في المملكة المتحدة^(١). وصار ينظم الملتقيات بالتعاون مع المعاهد الإسلامية، والمجمع البابوي للحوار بين الأديان وغيره. ومن ذلك: المشاركة مع مجلس الكنائس العالمي، ومركز الدراسات الإسلامية، «المؤسسة الإسلامية» في ليستر «بريطانيا»، في مؤتمر: «الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية» المنعقد في شامبزي في سويسرا عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م^(٢).

مؤتمر: «الدين والمواطنة في أوروبا والعالم الغربي»:

وقد عقد في آيانابا في جزيرة قبرص، بمشاركة كنائس الشرق

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 38.

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي المبحث الأول من هذا الباب.

الأوسط، في الفترة ٧ - ١٣ شوال عام ١٤١١هـ، الموافق ٢١ - ٢٧ أبريل عام ١٩٩١م^(١).

مؤتمر: «الحقل المسيحي الإسلامي من آسيا الوسطى إلى أوروبا»: بعد هذا المؤتمر نقلة واسعة في نشاط المركز، فقد عقده في ولاية تتارستان الإسلامية المنضوية في جمهورية روسيا الاتحادية، بالتعاون مع «جامعة قازان» عام ١٩٩٣م^(٢).

٣ - إيطاليا:

لئن كان «الفاتيكان» دولة مستقلة عن الجمهورية الإيطالية، يتمتع بحكم ذاتي فوق مساحة محدودة (٤٤ هكتار) من العاصمة الإيطالية روما، إلا إن تأثيره الديني بطبيعة الحال يتجاوز محيطه الضيق إلى عموم الأراضي الإيطالية التي يدين معظم سكانها للكنيسة الكاثوليكية، ولو بصورة اسمية.

وفضلاً عن المبادرات والمحاولات الكاثوليكية للتقارب مع الإسلام التي سبق تفصيلها على المستوى العالمي، فإن إيطاليا واجهت في العقود الثلاثة الأخيرة موجة من الهجرات العمالية المسلمة نحو أراضيها، كما هو الحال في سائر دول أوروبا الغربية^(٣). وقد ساعدت الأنظمة العلمانية المدنية هؤلاء المهاجرين على إقامة مساجدهم ومراكزهم الثقافية، وكان لذلك أثرٌ على المجتمع الإيطالي نفسه.

تقول مجلة «٣٠ يوماً» ذات الصبغة السياسية التنصيرية

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم (٢٣٤)

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p. 79.

(٣) ومع ذلك فإن نسبة الهجرة إلى إيطاليا تعد من أضعف النسب في البلدان الأوروبية إذ تبلغ ١,٦٪ من مجموع السكان. جريدة الحياة السبت ١٨ نوفمبر ١٩٩٥م.

الكاثوليكية: (أصبح واقعاً في إيطاليا أن عدد المتممين للديانة الإسلامية من المواطنين الإيطاليين تجاوز ٤٠,٠٠٠ وحدة. وهذه الظاهرة نسبياً متواضعة إذا ما قورنت بالديانة الكاثوليكية، ولكنها تفوق الديانة اليهودية التي لها جذور عميقة تاريخياً. وهذا ما يجعل الاعتقاد بأن الإسلام سيوسع قاعدته في المستقبل، وليس فقط بسبب الزيادة التي لا مفر منها للهجرة من الجنوب إلى الشمال)^(١).

ولا يملك أحد الكرادلة الكاثوليك إخفاء هذه المخاوف المستقبلية من المد الإسلامي في إيطاليا فيطلق تصريحات انفعالية أثناء الاحتفالات بالألفية الثالثة لميلاد المسيح، تنبئ عن هواجس الكنيسة، فيقول الكاردينال بيبي أسقف مدينة بولونيا: (ليست إيطاليا بلاداً مهجورة بلا تاريخ، ومن غير تقاليد عريقة. ثمة أضداد تتنافر ويستحيل الجمع بينها. إما أن تثبت أوروبا هويتها المسيحية، وإما إنها سائرة إلى الارتواء في حضن الإسلام... أنا لم أنزعج قط من فكرة الحروب الصليبية. أعرف أن كلامي سيساء فهمه، لكن من واجبي أن أفصح عن شواغلي)^(٢).

إن هذا القلق المتنامي من حركة الإسلام العالمية، وقبوله في أوساط ذات تقاليد عريقة معادية له باعتناق أفراد منهم الدين الوافد، حمل كثيراً من الجهات الدينية وغير الدينية على مد الجسور نحو الإسلام ومحاورته في إيطاليا إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية.

ويقدر الدكتور حسن جوليو سورافيا، أحد السابقين إلى الإسلام من الإيطاليين، عدد المسلمين في إيطاليا بمليون نسمة، ٩٠٪ منهم من المهاجرين المغاربة والأفارقة والمصريين وغيرها من البلاد العربية

(١) مجلة ٣٠ يوماً. عدد ٢ عام ١٩٩٦ م (٣٠) بقلم إيمويغولي.

(٢) جريدة الحياة عدد (١٣٧١٧).

والإسلامية، ويمثل مسلمو إيطاليا ١٠٪ فقط من مجموع المسلمين هناك^(١).

• ومن أبرز الجمعيات المعنية بالحوار والتقارب مع المسلمين محلياً وعالمياً:

«جمعية سانت إيجيديو - «St. Egidio» :

تعد هذه الجمعية الإيطالية المنشأ، الكاثوليكية التوجه، من أشهر وأنشط مؤسسات الحوار بين الأديان على المستوى العالمي في السنوات الأخيرة. ورغم التأكيدات المتوالية من قبل الجمعية، والفاتيكان أيضاً، على استقلالية أعمالها عن توجيهات الفاتيكان، فإنه يُعتقد أنه يتخذ من الجمعية أداة مرنة فعالة لتناول كثير من القضايا التي يتحاشى الظهور فيها لاعتبارات شتى. ونظراً لهذا الارتباط، وللحضور القوي، والمبادرات المتتابة لجمعية سانت إيجيديو على المستوى الدولي في مسائل التقارب بين الأديان، فسنلقي مزيداً من الضوء عليها، وتعريفها كما تعرف نفسها^(٢).

(هي مجموعة جمعيات مسيحية نشأت داخل الكنيسة الكاثوليكية، إثر المجمع الفاتيكاني الثاني. ولذا فإن سانت إيجيديو لا يمكن أن تعرف بالمعنى الضيق كجمعية تطوعية، بالرغم من قوة التشابه مع بعضهما بعضاً، أو هيئة غير حكومية، أو جمعية خيرية، من النوع الأنجلوسكسوني «جمعية لا تسعى لتحقيق الربح»... إن جمعية سانت إيجيديو رابطة كنسية، تُعرف قانونياً بأنها رابطة عالمية شعبية علمانية^(٣)، معترف بها لدى الكرسي الرسولي.

(١) جريدة «العالم الإسلامي» الاثنين ٧ - ١٣ جمادى الأولى ١٤١٨ هـ - (٦).

(٢) قام الباحث بزيارة مقر الجمعية في العاصمة الإيطالية، والتقى بأحد كبار مسؤوليها وهو البروفسور يناري وبعض معاونيه، والحوار معهم حول جمعيتهم وأهدافها ومناشطها. وقدموا لي ملفاً تعريفياً، ومطبوعات تتعلق بالجمعية، وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/٣/١٤١٩ هـ.

(٣) الصفة «العلمانية» في العرف الغربي في مقابل «الكهنوتية» فكل من ليس من =

تطورت جمعية سانت إيجيديو من رابطة تكونت عام ١٩٦٨م في مدرسة ثانوية في روما، كانت محاولة من فرقة من الطلاب للعيش في رابطة أخوية تختار العيش باتصال مباشر مع أفراد المجتمع الأشد فقراً، اعتماداً على واجبات الحياة التي تعكس إيماناً الرسالة الإنجيلية. واليوم تضم سانت إيجيديو عدة مئات من الجمعيات من أحجام متفاوتة، وأعضاء من مختلف الأعمار، من جميع طبقات الحياة، بما في ذلك جمعيات خارج إيطاليا. والمؤسس الذي كان حينذاك طالب مدرسة ثانوية، أندريا ريكاردي، هو اليوم أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة روما الثالثة... إن الخصائص التعريفية للجمعية (كما وردت في نظامها الأساسي الذي وافق عليه الكرسي الرسولي) هي:

□ أولوية الكرازة^(١) بالإنجيل، وخاصة في أوساط الناس الأكثر بعداً عن التجربة والممارسة الدينية.

□ أولوية خدمة الجمعية في أوساط الفقراء بروح المجمع، روح «كنيسة كل الناس لا سيما الفقراء».

□ أولوية الحوار المسكوني بين الأديان، المدعوم من خلال ضيافة كنيسة روما، وصدقة ومساندة المسيحيين في الشرق. «الذين تجاه القدس»، والصدقة والتعاون مع جميع المؤمنين من الأديان والمذاهب الأخرى، من أجل السلام والتعايش في مختلف بقاع العالم^(٢).

تلك هي جمعية سانت إيجيديو من حيث المنشأ والأهداف

= طبقة رجال الدين «الأكليروس» بمراتبهم المختلفة، يعد علمانياً، بناءً على النظرة الكنسية التي تفصل الدين عن الدنيا.

(١) الكرازة: الوعظ بالحقائق المسيحية. «سريانية». المنجد في اللغة (٦٨٠).

(٢) من نشرة تعريفية صادرة عن الجمعية باللغة الإنجليزية (١).

والوضعية القانونية. وبه يتبين كما يجهر بذلك القائمون عليها أنها هيئة كنسية تسعى لتحقيق الرسالة الإنجيلية عن طريق الخدمات الاجتماعية والحوار، لتحقيق الكرازة بالإنجيل.

أما من الناحية العملية، فمنذ عام ١٩٧٣م، اتخذت الجمعية من دير عتيق في أحد أحياء روما القديمة، يحمل اسم قديسة كاثوليكية «إيجيديو» مقراً وعنواناً لها، تمارس فيه كل مساء تجربة «الصلاة الكبرى»^(١)، وتربط ربطاً وثيقاً بين هذه الطقوس الكهنوتية، والمناشط الاجتماعية والسياسية التي تتبناها.

جاء في النشرة التعريفية الصادرة عن الجمعية (لقد ظلت جمعية سانت إيجيديو، بوصفها هيئة كنسية، حريصة على التمييز بين التزاماتها الخاصة في الحقلين الاجتماعي والمدني، وبين أي وضع سياسي طارئ. هذا الالتزام القوي في الحقل المدني يتجذر في الممارسة اليومية للصلاة الفردية والجماعية التي تمثل الطريقة المتناسكة للحفاظ على وحدة أولوية الكرازة بالإنجيل، ومساعدة الفقراء)^(٢).

وتنتشر فروع هذه الجمعية في زهاء عشرين بلداً في أوروبا الغربية والشرقية وأفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى واللاتينية، وتقوم بالخدمات الاجتماعية التالية ضمن رسالتها التنصيرية:

□ رعاية الأطفال وتعليمهم.

□ الاهتمام بالمرضى والمسنين وإيوائهم وعلاجهم.

□ الوقوف إلى جانب المهاجرين، من جنوب العالم وشرقه، إلى

أوروبا وتقديم وجبات الطعام، والمساعدات القانونية، وإيجاد فرص عمل لهم.

(١) انظر: مجلة ٣٠ يوماً. (جمعية من أجل السلام) ميكيلي برانكاليه (٣٠).

ونشرة: «لجنة الصداقة الإسلامية المسيحية» لجمعية سانت إيجيديو (١٢ - ١٣).

(٢) النشرة التعريفية (٢).

ومنذ مطلع التسعينيات لمع نجم جمعية سانت إيجيديو في مبادرات السلام بين الفرقاء السياسيين في مناطق مختلفة من العالم، فمن ذلك:

■ رعاية مفاوضات السلام لوقف الحرب الأهلية في موزامبيق، عام ١٩٩٠م - ١٩٩٢م (وضمن علاقة التضامن والمساعدة هذه سعت جمعية سانت إيجيديو أولاً إلى إعادة فتح قنوات الاتصال والحوار بين الحكومة الماركسية - اللينينة المتشددة آنذاك، وكنيسة الموزامبيق بهدف إتاحة مزيد من الحرية الدينية في البلاد)^(١).

■ إقامة ملتقين عن الجزائر عقدا في روما في مقر الجمعية وضما ممثلي جميع الأحزاب السياسية والمعارضة، أحدهما في نوفمبر ١٩٩٤م، والآخر في يناير ١٩٩٥م.

■ عقد لقاءات فلسطينية إسرائيلية في أسيزي عام ١٩٩٤م، والقدس عام ١٩٩٥م.

■ اجتماع بين أطراف النزاع في غواتيمالا في مقر الجمعية، في فبراير عام ١٩٩٦م.

■ السعي لدى حكومة يوغسلافيا أثناء حربها مع حلف شمال الأطلسي، بسبب ممارستها البشعة للتطهير العرقي في إقليم كوسوفا المسلم عام ١٩٩٩م حتى تمكنت من إطلاق زعيم الألبان في الإقليم، إبراهيم روقوفا، يوم الأربعاء ١٩/١/١٤٢٠هـ، الموافق ٥/٥/١٩٩٩م^(٢)، بدعم من الفاتيكان وإحضاره إلى روما، للسعي إلى تسوية معينة.

(١) النشرة السابقة.

(٢) وكالات الأنباء. وقد أذاعت هيئة الإذاعة البريطانية BBC الخبر في نفس اليوم.

والجمعية لا تخفي مقاصدها الدينية النصرانية الكامنة خلف مبادراتها في السلام والإنماء. تقول الجمعية في نشرتها التعريفية: (على طرقات الصداقة والحوار عملت جمعية سانت إيجيديو محاولة تشجيع تفاهم أكبر. وبهذا السياق تأتي العلاقات والأعمال في بلدان أفريقيا، والشرق الأقصى، وأمريكا الوسطى، حيث توجد الأقلية التمثيلية للنصارى الشرقيين.

وفي الصورة الكلية لهذه المبادرات السلمية، يبقى أن تضاف المبادرة الأخيرة لجمعية سانت إيجيديو، أي عملها في ألبانيا. بدأ البرنامج منذ عامين تقريباً بشحن مواد غذائية، ودوائية أساسية للبلاد جنباً إلى جنب مع تنمية العلاقات الوثيقة مع الكنيسة...^(١).

هذا هو الوجه التنصيري السافر لجمعية سانت إيجيديو في مجال الخدمات الاجتماعية، والمبادرات السياسية باسم السلام والإنماء، فما بالك بالمحاولات النشطة للتقريب بين الأديان، والحوار بين أتباعها، الذي ينص عليه النظام الأساسي للجمعية؟

(رابطة: البشر والأديان People and Religions)

لقد كان الحدث المفاجيء الذي دعا إليه البابا يوحنا بولس الثاني في سابقة لا نظير لها في تاريخ العلاقات بين الأديان، وهو الصلاة المشتركة من أجل السلام، الذي ضم عدداً من القادة الرسميين للأديان في بلدة أسيزي الإيطالية في أكتوبر عام ١٩٨٦م، لقد كان ذلك الحدث بداية انطلاق واسعة لجمعية سانت إيجيديو لتحقيق أهدافها في مجال الحوار بين الأديان.

(إن أولوية الحوار المسكوني والحوار بين الأديان قد قاد جمعية سانت إيجيديو إلى تلقي حدس أسيزي: أن يجمع المؤمنون معاً، مع

(١) النشرة التعريفية (٧).

التأكيد على ضرورة الصلاة من أجل السلام^(١). ومن ثم أنشأت الجمعية رابطة دولية باسم «البشر والأديان». ومنذ ذلك الحين تبنت الجمعية الدعوة لإقامة الصلاة المشتركة بين الأديان، على غرار يوم الصلاة في أسيزي. فنظمت الملتقيات التالية:

- (١) ملتقى: «الصلاة كمصدر للسلام» - في روما عام ١٩٨٧م.
 - (٢) ملتقى: «المصلون في بحث عن السلام» في روما عام ١٩٨٨م.
 - (٣) ملتقى: «الحرب بلا عودة» في وارسو - بيركناو «بولندا» عام ١٩٨٩م بمناسبة الذكرى الخمسين لاندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م.
 - (٤) ملتقى: «من الشرق إلى الغرب بحر من السلام» في باري عام ١٩٩٠م.
 - (٥) ملتقى: «الأديان في سبيل بحر من السلام» في مالطا عام ١٩٩٠م.
 - (٦) ملتقى: «أوروبا والأديان والسلام» في بروكسيل - لوفانو - عام ١٩٩٢م.
 - (٧) ملتقى: «أرض البشر، ابتهاجات إلى الله» في ميلانو - إيطاليا عام ١٩٩٣م.
- وقد تميز هذا الملتقى بتنظيم دقيق، وحضور مميز لقادة عالميين دينيين وسياسيين من مختلف الأديان، وربما كان لوقوعه إثر معاهدة الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني دوراً في ذلك. فقد ألقى محاضرة الافتتاح الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل جورباتشوف، بحضور رؤساء جمهوريتي إيطاليا وألبانيا.

(١) النشرة التعريفية بالجمعية (٤).

وقد وجهت الدعوة لمفتي تونس، وبطريك الأرثوذكس، وبطريك الكاثوليك في سوريا، وبطريك اللاتين في القدس، والفاتيكان، وكبير حاخامات إسرائيل، والأمير حسن بن طلال ولي عهد الأردن، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ومفتي اليمن، ورئيس مجلس العلماء في أندونيسيا، ومفتي البوسنة، فضلاً عن نحو مائة من المؤسسات الدينية المختلفة في العالم. وقد تضمن الملتقى عدة ندوات تناولت:

■ دور الأديان في التقريب بين الشعوب، وفي تحقيق السلام والتعاون الدوليين، وفي إشاعة الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان. كما تنظم ندوة خاصة عن دور الإعلام الحديث في مساندة الأديان ورسالتها^(١).

(٨) ملتقى: «الأصدقاء في الله، شهادة السلام» في أسيزي عام ١٩٩٤م.

(٩) ملتقى: «الماوى والسعادة في السلام» في فلورنسا، إيطاليا عام ١٩٩٥م.

(١٠) ملتقى: «السلام اسم الرب» في روما عام ١٩٩٦م. وكان أيضاً من الملتقيات، المميّزة التي حضرها أكثر من أربعمئة ممثل لمختلف الأديان والتقاليد، خلال الفترة ٧ - ١٠ أكتوبر، تحلقوا حول ثمانية وعشرين طاولة حوار مستديرة، وأقيمت سبعين صلاة في الكنائس الرومانية. وكان من بين الحضور أربعة عشر كاردينالاً، وقادة مسلمون، فيهم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وأشهر خبير معاصر بالتلمود، واثنان عشر ربّاناً من ذوي النفوذ، وأساقفة وكهنة من الكنيسة الإنجليكانية، والكنائس البروتستانتية الأخرى، وبطاركة الأرثوذكس، من اليونان، والصرب، والرومانيين، والسريان، والكلدان، والقبط،

(١) انظر: جريدة «الأهرام الدولي» عدد ١٨ سبتمبر عام ١٩٩٣م.

والدروز، والقسس المارونيين، وحركات الفقراء والمعاقين العالمية، ورئيس جمهورية إيطاليا، ورئيس وزرائه، والمدير العام لمنظمة الأمم المتحدة، ومنظمة العفو الدولية، ورئيس الصليب الأحمر الدولي، ومنظمة الاتحاد الأوروبي.^(١) كما حضر أيضاً الرئيس البرتغالي السابق ماريو سواريس، وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي، ورئيس جمعية العلماء في المغرب^(٢).

إن هذا الحضور المميز والمتنوع ليكشف حجم الدور الذي تؤديه جمعية سانت إيجيديو، وضخامة الدعم الذي تلقاه، فبالرغم من أن هذه الملتقيات المتتابة تعقد باسم الصلاة من أجل السلام، بروح أسيزي، كما يعبر القائمون عليها، إلا إن البرنامج الحافل من الندوات، والموضوعات المطروحة للنقاش، تكشف أبعاداً أخرى لنشاط هذه الجمعية. ويصف أحد المراسلين طبيعة هذا الملتقى قائلاً: (ليس مؤتمراً بالمعنى التقليدي، وليس له جدول أعمال يناقشه الحاضرون، ويخرجون منه بقرارات، بل هو عبارة عن محاور للنقاش، وفضاءات للتعبير تعقد بشكل متواز. فهناك ست أو سبع ندوات تعقد في وقت واحد، فيختار المشاركون الندوة التي يريدونها. وهي ندوات مفتوحة للجمهور الذي يستطيع أن يناقش بكامل الحرية، في حدود الوقت المتوفر)^(٣).

ومن أبرز عناوين تلك الندوات:

- الانتقال السلمي أو غير العنيف نحو السلام والديموقراطية.
- أية إنسانية وأي عمل إنساني في العام ٢٠٠٠.
- المسيحية والإسلام وجهاً لوجه.

(١) مجلة: داخل الفاتيكان Inside The Vatican. عدد نوفمبر ١٩٩٦م (٨١، ١٩، ٢١).

(٢) جريدة الشرق الأوسط عدد الاثنين ١٤ أكتوبر ١٩٩٦م الصفحة الأولى.

(٣) المرجع السابق. قصي صالح الدرويش.

- هل يوجد مكان للإعلام الديني في الألفية القادمة؟
- المرأة في الأديان، الصلاة في الأديان، الأديان والأصولية، القومية والدين، الأديان والبيئة.
- حصيلة الحوار بين الأديان.
- الأزمات والمصادر الروحية في أميركا، وجهاً لوجه حول الإيمان.
- الإسلام والعالم المعاصر.
- التقاليد الدينية في اليابان.
- ندوة البحر الأبيض المتوسط.

وكان يتخلل هذه الندوات جدل حاد، وصدامات حول نقاط حساسة بين مختلف الأطراف^(١). وتلاحظ الهيمنة النصرانية على أعمال الملتقى في تكرار الحديث عن الألفية الثالثة. وهي مناسبة تخص النصراني وحدهم، كما يلاحظ تبجيل البابا يوحنا بولس الثاني، وتقديمه بصورة الأب الروحي لجميع الأديان والطوائف، من مراسم الافتتاح إلى ديباجة البيان الختامي، وانتهاءً بالصلاة الجماعية في ختام أعمال المؤتمر. وقد وقع المشاركون على بيان ختامي هذا نصه:

(عشر سنوات مضت منذ حدث يوم أسيزي في أكتوبر ١٩٨٦م، عندما دعا البابا يوحنا بولس الثاني قادة الكنائس المسيحية، والأديان العالمية الكبرى، للصلاة من أجل السلام في الأرض. إننا نشكر الله على التقدم الذي تحقق خلال هذه السنوات، كل واحد فينا قرب وليس ضد الآخر. في مواجهة الحروب التي أحياناً تقلق العالم نضع ثقتنا الأولى في الصلاة. الرب يسمع الابتهالات، يلين قلوب الرجال

(١) المرجع السابق.

العنيفة، يمنح الحكمة والعدالة، ويطمئن أولئك الذين يسعون نحو السلام.

إننا نحیی ذكری ضحايا الصراع والجراحات التي لا تزال مفتوحة. وباحتفال نردد نداء السلام. الأديان لا تبعث الضغينة والحرب، إنها لا تسوغ إراقة الدماء البریئة. الأديان لا تريد الحرب، وإنما السلام. لا محل للقداسة في الحرب، فقط السلام هو المقدس. في السنوات القليلة الأخيرة، استناداً إلى النداء الموجه من البابا یوحنا بولس الثاني في أسيزي، والذي نتشارك فيه بسعة، نمت طاقات جديدة للسلام، ومشاعر جديدة من عدم التفاهم بين المؤمنين أشبه بتيار متزايد. إننا نأمل أن يغسل هذا التيار من السلام أراضي الحرب، ويطفئ الضغينة، ويغذي الآمال لعالم بلا صراع. لقد نذرنا أنفسنا أن نمي محبة السلام بين ظهرائي أتباعنا المؤمنين.

وكما أننا مقتنعون أن الأديان تملك مسؤولية كبيرة في الوعظ بالصفح، فإننا نخاطب جميع أولئك الذين يقتلون، أو يثيرون الحرب باسم الله. إننا نذكرهم أن السلام اسم الله. الحديث عن حروب دينية مجرد هراء. لا الضغينة ولا الصراع يمكن أن تعتمد على الدين.

إننا نخاطب أولئك الذين يستعملون السلام لإقامة مصالحهم، إننا ندعوهم أن يبصروا في مسؤولياتهم، إن الحرب دوماً رحلة بلا عودة، تخلف وراءها مجازر حمقاء.

إننا لا نملك أي قوة خارج القوة الضعيفة للإيمان. وباسمها ندعو كل أحد أن يتخلى عن مشاعر العنف. التواضع، والتفاهم، والحوار، طرائق لمعالجة الصراعات، البحث عن العدالة، وفوق كل ذلك، الحب يمكن أن يجنبنا تهديد الحرب.

هذه ابتهالاتنا، ونحن نعتقد أنها أيضاً لملايين المؤمنين من الرجال والنساء في جميع العالم^(١).

إن هذا النص الكامل للبيان النهائي لملتقى جمعية سانت إيجيديو العاشر ليكشف عن المهمة المزدوجة التي تمارسها الجمعية؛ ففي الوقت الذي تعزز فيه مكانة الكنيسة النصرانية، والأقلية النصرانية حيثما وجدت على وجه الأرض، وتتذرع بالمعونات الإنسانية، ومشاريع الوساطات السياسية لبلوغ أهدافها، تغض الطرف عما يقع للآخرين، والمسلمين خاصة، من مذابح واضطهاد، بل وتنتظر حتى يفرغ الجزار من سلخ ذبيحته، لتلبس مسوح الرهبان، وتربّت على أكتاف ذوي الضحية موصية إياهم بالصبر والسلوان!

إن هذا البيان الذي يقطر رقة ورأفة، يصاغ بهذا الأسلوب المتنسك إثر فراغ النصراني، بقسميهم الكاثوليك والأرثوذكس من الصرب والكروات، من ذبح مئات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك، ونهش لحومهم، واقتطاع أراضيتهم، وهتك أعراضهم، وهدم مساجدهم باسم الدين والصليب، ثم إلزامهم بالتوقيع صاغرين على معاهدة دايتون المذلة، التي تذيب شخصيتهم وانتماءهم الإسلامي العريق، في بحر أوروبا النصرانية الموحدة، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها، أو أريد لها ذلك، وتمكن الجريح من الأنين عام ١٩٩٦م، تنادى الرهبان والقسوس للصلاة من أجل السلام، وجاءت وجوه خاشعة عاملة ناصبة تذكر قادة الأديان بضرورة الموعظة بالصفح والغفران، وإطفاء الضغينة، وتقول بملء أفواهها: إن الحديث عن حروب دينية مجرد هراء!!

(١) ترجمة البيان الختامي Final Appeal لأعمال الملتقى، حصلت عليه باللغة الإنجليزية من الجمعية نفسها.

إن بياناً كهذا لا يعين الجاني ويندد به على الأقل، ولا المجني عليه ويشهد له، لهو بيان فارغ لا قيمة له، إذ لا يُحق حقاً ولا يُبطل باطلاً، إلى الحد الذي يوقع على مضمونه ممثلو الصرب أنفسهم، ممن حضروا الملتقى. وأخطر ما فيه أنه أقرّ ما أفنى المستشرقون والمنصرون فيه أعمارهم، ومن بعدهم صنائعهم في بلاد المسلمين، من الدعوة إلى إلغاء الجهاد ونسخه. وهو ما يظهر جلياً في البيان حين يعد الحروب الدينية مجرد هراء، ومنزوعة القداسة بإطلاق، ويتقبله المسلمون وكأنه قضية مسلمة، والله المستعان على ما يصفون.

(١١) ملتقى: الصراع أو اللقاء: الأديان والثقافات على مفترق طرق.

عقد في بادوا قرب فينيسيا «البندقية» في إيطاليا، عام ١٩٩٧م وتناول الحديث عن العلاقات المتوسطة - نسبة إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط - خصوصاً، والعلاقة بين الإسلام والغرب عموماً^(١). وصدر عن الملتقى بيان ختامي ذو صياغة كنسية عن السلام والمحبة ونبذ العنف والحروب، يتسم بالتعميم، ولا يتناول قضايا خاصة^(٢).

وإلى جانب هذه الملتقيات التي تضم المسلمين وأهل الكتاب والوثنيين على تنوع طرائقهم، خصت جمعية سانت إيجيديو اليهود والنصارى والمسلمين بملتقيات مرادفة، كان من أهمها:

مؤتمر: «السلام بين الأديان، والسلام بين المجتمعات»:

عقد هذا المؤتمر يومي ٢٩ - ٣٠ أبريل سنة ١٩٩١م في روما، إثر حرب الخليج الثانية. وقد حضره شخصيات رسمية بارزة من

(١) جريدة هيرالد تريبيون العالمية عدد ١٠ أكتوبر ١٩٩٧م International Herald Tribune.

(٢) انظر: نص البيان الختامي في مجلة (تقرير أورشلين) عدد ٣٠ أكتوبر ١٩٩٧م

المسلمين والنصارى واليهود، وعقدت جلساته في مبنى بلدية روما، وافتتحه رئيس وزراء إيطاليا إذ ذاك، جوليو أندريوتي، وعمدة روما. وتضمن المؤتمر بحث القضايا التالية:

- ١ - (السلام بين الدين والمجتمع) تحدث فيه كل من: الكاردينال روجر أتشيجاري، رئيس مجلس العدالة والسلام في الفاتيكان، والشيخ محمد المختار السلامي، مفتي تونس، والحاخام شالومي جورين، الحاخام الأكبر لإسرائيل.
- ٢ - (الكتاب والسلام الاجتماعي. التوراة. العهد الجديد. القرآن) تحدث فيه أسقف السريان الأرثوذكس في حلب، وممثل رابطة العالم الإسلامي، وريثاني^(١) روما.

وقد نظمت الجمعية للمشاركين ثلاث زيارات: للبابا يوحنا بولس الثاني، وللسنيور كوسيجا، رئيس جمهورية إيطاليا، وللكاردينال فرنسيس آرنتزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان.

وقد صاغ الكاردينال أشيلي سلفستريني، سكرتير «مجلس الشؤون العامة في الفاتيكان» نتائج المؤتمر بإحدى عشرة فقرة، نختار منها:

- (١) - أن هداية «إبراهيم»، ونور ما جاء به، يحقق الطريق الآمن للأديان الثلاثة، التي لا شك أن لديها مواقف صعبة تواجه نشاطها وحياتها وسلوك أبنائها.
- ٢ - أن الحكيم هو من يستطيع استنباط أحكام وآراء جديدة من كتابه...
- ١٠ - تتنادى الأديان اليوم إلى حركة تجديد، بأن يكون الكتاب «كتاب أي عقيدة» حكماً، فليطبق كل منا كتابه حتى يكون هو المنهج والطريق لمجتمعاتنا إلى السلام، وليرتفع دعاؤنا بأننا نبني للسلام، ولكل البشرية «البحر الأبيض المتوسط، الشرق الأوسط، العالم

(١) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ﴾ [آل عمران: ٧٩] ما نصه: (وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يرب الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها، ويقوم بها) جامع البيان ٣/٣٢٧.

كله»^(١). وقد خلا المؤتمر من بحث القضايا العقدية الأساسية، ولاحظ بعض ممثلي المسلمين إكثار المتحدثين من اليهود والنصارى ذكر عبارة «الله الواحد الأحد»، وكأنهم يقصدون أن المسلمين ليسوا وحدهم الموحدين^(٢).

مؤتمر: «الأديان الثلاثة من أجل السلام لأورشليم»:

انعقد هذا المؤتمر في مدينة القدس ذاتها، في أغسطس عام ١٩٩٥م، بحضور ممثلين من المسلمين والنصارى واليهود، تجمعهم رغبة مشتركة لتحقيق السلام في المدينة المقدسة^(٣).

«لجنة الصداقة الإسلامية - المسيحية»:

نشأت لجنة الصداقة الإسلامية - المسيحية في روما عام ١٩٨٥م، بمبادرة من جمعية سانت إيجيديو، وهي ترمي إلى تعزيز المعرفة المتبادلة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي. وبغية تحقيق هذا الهدف، تشجع لجنة الصداقة الإسلامية - المسيحية فرص التفكير واللقاءات لمرحلة جديدة في العلاقات بين الديانتين.

نشأت اللجنة من عمل مكثف، وزيارات وتبادلات ثقافية، كانت جمعية سانت إيجيديو قد بدأته منذ سنواتٍ عديدة مع البلدان التي غالبية سكانها مسلمون^(٤).

هكذا تعرّف هذه اللجنة الفرعية نفسها، وهي إلى جانب حضورها

(١) من تقرير للدكتور عبد الله بن عبد الشكور كامل. مدير المركز الإسلامي في فيينا، وممثل رابطة العالم الإسلامي في المؤتمر، مؤرخ في ١٠/٢٦/١٤١١هـ ١١/٥/١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق (٩).

(٣) النشرة التعريفية بجمعية سانت إيجيديو (٤).

(٤) لجنة الصداقة الإسلامية - المسيحية كتيب تعريف (٤).

الدائم في مناشط الجمعية الأم، بل في بعض مناشط الفاتيكان الحوارية، تختص بمحاولات مستقلة للتقريب بين الإسلام والنصرانية، في إطار الهدف المعلن العام للتقارب بين جميع الأديان الذي ترفع لواءه الجمعية.

(لقد أقامت اللجنة من خلال شبكة جمعيات سانت إيجيديو، سلسلة علاقات مع المراكز الإسلامية الموجودة في القارة الأوروبية. فقد اتخذت سلسلة مبادرات حوار متنوعة، انطلاقاً من روما ومدريد ولندن، ومروراً بالنمسا وبلجيكا وألمانيا... كانت إحدى المبادرات العامة للجنة سلسلة محاضرات عن الحوار والتعايش بين الإسلام والمسيحية، أقيمت في روما في شتاء ١٩٨٥م - ١٩٨٦م. وهدفت إلى إعطاء الجمهور الإيطالي فرصة للمقارنة والمعرفة بشأن الإسلام والكنيسة التي تعيش في دار الإسلام^(١). ومن اللقاءات الإسلامية النصرانية التي رعتها الجمعية:

«اللقاء الثنائي مع وفد رابطة العالم الإسلامي»:

تم هذا اللقاء في مطلع عام ١٩٩٣م في روما، بدعوة من الجمعية لوفد من الرابطة برئاسة أمينها العام إذ ذاك د. عبد الله بن عمر نصيف. وأجرى الوفد سلسلة لقاءات مكثفة مع الجمعية والحكومة الإيطالية، وألقى الدكتور نصيف محاضرة في الكامبيدوليو^(٢) عن: «الإسلام وتحديات العالم المعاصر».

وصدر تصريح مشترك عن الطرفين، أكد فيه على التزامهما في التعاون من أجل أن تكون القيم الدينية أساساً للنظام العالمي الجديد^(٣).

(١) المرجع السابق (٧).

(٢) مبنى البلدية: وهو من المعالم الشهيرة في روما.

(٣) لجنة الصداقة الإسلامية - المسيحية (٨ - ٩).

مؤتمر: السبيل إلى حياة إسلامية في مجتمع غير مسلم (المعاملات):
عقد هذا المؤتمر في روما عام ١٩٩٧م، وقد دعى إليه محاضرون من مصر والمغرب والجزائر، ولم يحظ بتأييد وحضور من الجالية المسلمة في إيطاليا بسبب عدم إشراكهم في التخطيط لهذا الملتقى.

مؤتمر: «المحافظة على الهوية الإسلامية في مجتمع غير مسلم»:
دعت جمعية سانت إيجيديو إلى هذا المؤتمر في العام التالي ١٩٩٨م، وجاء في نص إعلانها: (... تقترح الجمعية إقامة يوم دراسي ثالث يكون مناسبة طيبة لاجتماع خاص مقصور على الفعاليات المسؤولة عن مختلف الجمعيات والمراكز الإسلامية بإيطاليا... نأمل أن يحقق هذا اليوم لأصدقائنا المسلمين بإيطاليا مزيداً من الوعي والتعاون والسلام). وكان التجاوب معه أكبر من سابقه بسبب إدراك الجمعية ضرورة التنسيق مع المسلمين في إيطاليا^(١).

إن جمعية سانت إيجيديو قد لفتت أنظار العالم منذ منتصف الثمانينيات بمبادراتها المتنوعة، على جميع الأصعدة الدينية والاجتماعية والسياسية، وأثارت تساؤلات كثيرة حول مصادر دعمها وتمويلها، ومن ثم أهدافها وغاياتها. وقد بات جلياً أنها تلقى دعماً من الحكومة الإيطالية، إلى حد أن العديد من المطلعين يعتبرونها إحدى أذرع الخارجية الإيطالية، وربما وزارات أخرى^(٢).

والأهم من ذلك، علاقتها الوثيقة بالفاتيكان. وقد وصف بعض الصحفيين الغربيين هذه العلاقة بقوله: (إن جمعية سانت إيجيديو ليست

(١) كما أفاد بذلك الدكتور: نور الدين دشان، أحد أبرز رؤساء الهيئات والجاليات الإسلامية في إيطاليا أثناء زيارتي له يوم الأحد ١٤١٩/٤/٢ هـ في أنكونا.

(٢) انظر: جريدة الأهرام الدولي. حوار الأديان وصدام الحضارات. صلاح الدين حافظ عدد ٢٩ سبتمبر ١٩٩٣م.

هي الفاتيكان. إنها جماعة كاثوليكية ملتزمة، وهذا يعني أن مبادراتها تخصها. لكن بات واضحاً بازدياد أن الفاتيكان في الجزء الأخير من القرن العشرين، يستخدم جمعية سانت إيجيديو كنوع من «الباب الخلفي»، قناة للمضي قدماً بجدول أعماله الدبلوماسية...

إن ثمَّ مخاوف لدى بعض الكاثوليك التقليديين أن تنتهي مبادرات جمعية سانت إيجيديو إلى «التوفيقية»، بتبسيط وتجهيل الاختلافات بين مختلف الأديان. ولكن الفاتيكان ظل يدعم جهود الجمعية، وغداً مسروراً من رؤيتها تجني ثمرة مميزة، خصوصاً في جلب السلام في أنجولا، وتمنى أن تحقق مشاريع الجمعية دوراً إنجيلياً وسلمياً حقيقياً يندفع قدماً^(١).

إن هذا الدعم الفاتيكاني، يفسر الانتشار الواسع لجمعية ناشئة في العديد من مواقع التوتر في العالم مثل: إثيوبيا، وإرتيريا، رومانيا، وألبانيا، السلفادور، وفيتنام، أرمينيا، ولبنان، والموزامبيق، والأكراد في إيران، والجزائر، وغواتيمالا، وتركيا، والبوسنة... الخ.

كما تولي الجمعية اهتماماً خاصاً بالأقليات النصرانية في العالم الإسلامي، إذ تقول في أحد تقاريرها: (إن المسيحية في العالم العربي والإسلامي تمثل شيئاً نفيساً، ليس بسبب كون الجذور التاريخية للكنيسة كانت هناك، ولكن أيضاً للوضع المميز لغير المسلمين الموجودين في دار الإسلام. وفي هذا المجال فإن الاهتمام باللاجئين «تمتلك جمعية سانت إيجيديو خطة لإعادة توطين المسيحيين في البلاد العربية» يمتزج بالعلاقات بجمعيات كاثوليكية وغير كاثوليكية... وفقاً لسانت إيجيديو فإن قواعد التعددية العرقية، ضرورة للتحديث بلغة: السلام، العنف،

(١) مجلة Inside The Vatican ل: أنتونيو كاسباري، وجوينهلجر عدد نوفمبر ١٩٩٦م

التعددية للتعرف على أعراف الآخرين. وفي هذا الصدد فإن جمعية سانت إيجيديو تهتم بمراكز التعددية العرقية، مع عناية خاصة بالأقليات الدينية، حيث تتولى غالباً خصائص الأقلية العرقية إذا لم يكونوا مستعدين لذلك. ولهذا تملك جمعية سانت إيجيديو روابط وثيقة في لبنان ذي العقائد الكثيرة، وفي العالم العربي الإسلامي على العموم مع الأقليات المسيحية «من الملكانيين السوريين واللبنانيين، إلى القبط المصريين، ومن الكلدان في الهلال الخصيب، إلى مسيحيي الجزائر». ولكن أيضاً في ألبانيا ذي الجماعات الدينية، الأربع.. فإن ممثلي سانت إيجيديو يتبوؤون موقعاً غير رسمي، كمستشارين للحكومة في القضايا الدينية منذ نهاية الحكم الشيوعي في ١٩٩٠م. أما أرتيريا فإن هذا البلد الذي يعرف بالتوازن بين المسلمين والمسيحيين فيه، قد طلبت حكومته من سانت إيجيديو أن تبعث مراقبين للانتخابات الجارية^(١).

كما تقوم الجمعية بتمهيد الطريق للفاثيكان في القضايا الشائكة، فحين تغيب الصرب عن الصلاة من أجل السلام في البوسنة، التي دعا إليها البابا يوحنا بولس الثاني في أسيزي، قامت الجمعية بتصفية الأجواء مع الكنيسة الصربية الأرثوذكسية، وتم عقد لقاء في روما بين بابا الكاثوليك، والبطريرك الصربي. كما قامت الجمعية بدور خاص في العلاقة بين الفاثيكان والاتحاد السوفيتي سابقاً^(٢).

كل هذه الأنشطة تلقي بظلالها على مبادرات جمعية سانت إيجيديو في مجال الحوار بين الأديان، وأهدافها. وقد وجه البابا يوحنا بولس الثاني خطاباً للجمعية في أكتوبر عام ١٩٩٣م جاء فيه: (لا تزال المحبة تحيي الحوار الذي تجريه جمعيتكم مع الأديان الكبرى غير

(١) من تقرير حصل عليه الباحث من الجمعية ذاتها.

(٢) المرجع السابق.

المسيحية، خصوصاً مع اليهودية والعالم الإسلامي. استمروا في هذا الطريق. بفضل قوة الاحترام والصداقة سوف يتمكنون من المساهمة في تخطي المصاعب الموروثة، وهدم جدران عدم التفاهم والبرودة المتبادلة. أليست هذه روح المصالحة والسلام التي تحاولون نشرها خلال الملتقيات الدولية التي تنظمون؟ لقد كتبت إليكم منذ أسابيع قليلة بمناسبة الملتقى الدولي في ميلانو، إنني مسرور أن أرى كيف استمرت المسيرة التي بدأت في أسيزي، واجتذبت بازدياد رجالاً ونساءً من مختلف الأديان والثقافات، توحدهم رغبة واحدة في منحة السلام الكبرى^(١).

(نادي بالرمو الثقافي المتوسطي):

نشط هذا المركز الواقع في عاصمة جزيرة صقلية «بالرمو» بإيطاليا في حقبة الثمانينيات فقط، فعقدت مؤتمرات ثنائية، إسلامية نصرانية، كانت على النحو التالي:

• مؤتمر: «في سبيل مخرج من أزمت عصرنا»:

عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

• مؤتمر: «التصوف الإسلامي والتصوف المسيحي»:

يومي ١٤، ١٥ محرم عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٢١ - ٢٢ أكتوبر عام ١٩٨٣م. وحضره مائتا مشارك.

• مؤتمر: «الله والإنسان والطبيعة»:

في الفترة: ٢٨ ربيع الأول - ١ ربيع الآخر عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٢٣ - ٢٥ نوفمبر عام ١٩٨٤م.

• مؤتمر: «الإنسان ومصيره»:

في الفترة: ١٠ - ١٢ صفر عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٥ - ٢٧ أكتوبر عام ١٩٨٥م.

• مؤتمر: «العلم والتقدم والدين»:

في الفترة: ١٨ - ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٢١ - ٢٣ نوفمبر عام ١٩٨٦م.

• مؤتمر: «العمل والتأمل في النظرة المسيحية والإسلامية»:

في الفترة: ٢٨ - ٣٠ ربيع الأول عام ١٤٠٨هـ الموافق ٢٠ - ٢٢ نوفمبر عام ١٩٨٧م.

ولم يصدر عن أي من هذه الملتقيات بيان مشترك^(١). ويظهر أنها متدييات فكرية، ذات نزعة صوفية كما يستشف من بعض عناوينها.

الجمعية الدينية الدولية ومقرها روما. وقد عقدت مؤتمراً دولياً ضخماً في الفترة: ٧ - ١٠ ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٣ - ٦ سبتمبر عام ١٩٨٤م تحت عنوان:

«حرية الدين أو العقيدة أساس السلام» حضره ثلاثمائة مشارك من اثنين وأربعين بلداً، يمثلون مختلف الطوائف والأديان^(٢).

المنظمة الدولية للتقدم وقد عقدت مؤتمراً إسلامياً نصرانياً في روما في الفترة: ١٥ - ١٧ محرم عام ١٤٠٢هـ، الموافق ١٧ - ١٩ نوفمبر عام ١٩٨١م بعنوان:

«مفهوم التوحيد»: حضره خمسة وعشرون مشاركاً. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

• مؤسسة جوفيانبي أنيلي:

ومقرها في مدينة تورينو عقدت مؤتمراً بعنوان:

(١) انظر اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. أرقام التسلسل: ١٢٣، ١٣٢، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٩، ١٩٦.

(٢) المرجع السابق (٤٤).

(٣) المرجع السابق. تسلسل رقم (١١٣).

«المسلمون الأوروبيون»: في مايو عام ١٩٨٩م^(١).

(الحركة الإيطالية «شركة وتحرير» (Comunione e Liberazione)

عقدت مؤتمراً ثلاثياً بين المسلمين والنصارى واليهود، في أثينا في اليونان، بعنوان: «التقاليد الدينية والعصر الحالي»: في الفترة: ١ - ٣ صفر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٥ - ٢٧ سبتمبر عام ١٩٨٧م^(٢).

(معهد تورنتو للعلوم الدينية) مقره مدينة تورنتو جنوب إيطاليا، وقد عقد مؤتمراً إسلامياً نصرانياً في الفترة ٢٠ - ٢٢ جمادى الثانية عام ١٤٠٩هـ، الموافق ٢٦ - ٢٨ يناير عام ١٩٨٩م بعنوان:

«قيم الإسلام الروحية»: ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

المحاولات المحلية في إيطاليا للتقارب بين الأديان:

إضافة إلى الدور العالمي الذي تقوم به المؤسسات الدينية في إيطاليا في الدعوة إلى الحوار والتقارب بين مختلف الأديان، نظراً للخصوصية الدينية لهذا البلد، باحتوائه معقل النصرانية الكاثوليكية في العالم «الفاتيكان»، وما يرتبط به من مؤسسات، وللموقع الجغرافي الذي تحتله إيطاليا بين دول حوض البحر المتوسط، وكأنها العذوة الدنيا لبلوغ العذوة القصوى لكلا الحضارتين الواقعتين على ضفافه، إضافة لتلك المحاولات العالمية، نمت محاولات محلية للتقارب، أنشأتها حركة الهجرة من الجنوب الإسلامي إلى الشمال النصراني، وفرضت نفسها على جميع الأطراف.

وسوف نعرض فيما يلي لثلاثة نماذج محلية في إيطاليا لتأثير دعوة التقريب والحوار على المسلمين والنصارى واليهود وهي:

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥١).

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم: ١٩٣.

(٣) المرجع السابق (٢٠٩).

١ - لجنة ترايفينتا للحوار المسكوني بين الأديان.

٢ - اتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا.

٣ - جمعية «قرش» الإسلامية.

(لجنة «ترايفينتا» للحوار المسكوني بين الأديان)

هي مؤسسة تنصيرية مقرها مدينة بولونيا، إحدى أكبر مدن وسط إيطاليا. وقد نشرت مذكرة في بعض صفحات بعنوان: «مسيحيون ومسلمون في حوار» كشفت في مطلعها عن دوافعها للحوار قائلة:

(تعاني الكنائس من المشاكل الاجتماعية والدينية الناتجة عن الهجرة الضخمة لبعض الشعوب من بلادهم إلى شمال شرق إيطاليا بحثاً عن العمل. وأساقفة «ترايفينتا» حساسون لعواقب هذه الظاهرة، ويدعون في رسالتهم، الصليب إكويليا، إلى العمل على جعل هذا التركيب أداة حث لإيجاد نضوج إنساني مسيحي، بدل جعله سبباً لتخفيف تافه للعادات أو للأديان أو الدفع إلى عوامل إلحادية. لهذا الغرض تعرض لجنة «ترايفينتا» للعمل المسكوني والحوار، للمجتمعات المسيحية تعليمات وإرشادات واقعية لفهم صحيح لهذه الظاهرة، حتى تشجع الحوار بين الأديان، غير ناسية لواجباتها في الدعوة للتنصير، والإحسان، والواجبات لضيفة المهاجرين...).

ثم شرعت المذكرة في التعريف بدين الإسلام عقيدةً وشرعيةً، معتمدةً على ما جاء في قرارات المجمع الفاتيكاني، والتوجيهات في سبيل الحوار التي أصدرتها أمانة السر الفاتيكاني، ثم عدت نقاط ومواضع الخلاف العقديّة المعروفة. وحين بلغت قضية العلاقة بين الدولة والدين في الإسلام، قالت: (والقضية التي هي تحت المناقشة الجدية، بحيث يسمح بالتعدد الديني، أمر يؤدي إلى الانفجار كلما أخذ النقاش الشكل الأصولي عند كل دعوة في سبيل تطبيق الشريعة

الإسلامية، وجعلها فوق قوانين الدولة في الأوضاع الغربية، لا بد من مساعدة المسلمين في فهم الفرق بين الدولة والدين، بين الإيمان والحضارة. تجربة المعاشة بين متدينين، وعلمانيين في وضع يحترم التعدد الديني، ومن هنا تكون الحاجة إلى الحوار والترحيب).

إن أساقفة لجنة «ترايفيتا» المتحسين لمعانة الكنائس الإيطالية من ظاهرة الهجرة الإسلامية إلى بلادهم، يتطوعون في مساعدة المسلمين لاعتناق النظرة الكنسية التي تفصل بين الدين والدنيا، والإيمان والحضارة، ويسعون لترويضهم على تقبل فكرة العيش في مجتمع يضم متدينين (١) وعلمانيين، وهذا منيع الحاجة إلى الحوار.

وتحدد المذكرة واجب الكنائس الغربية تجاه العلاقة مع المسلمين الوافدين بقولها: (واجب الكنائس هو أن يهيئوا ويدعموا الحوار بين الأديان، عبر معرفة عميقة لكل من الدينين: المسيحية والإسلام: لا بد من الإصغاء من جهة المسيحيين لكي يفهموا الإسلام والمسلمين، ولا بد من الصبر في أثناء الحوار حتى تكون النتيجة تفاهم وتعاون، حتى تسود في الأرض إرادة الله. وهكذا نود أن نتعامل مع المهاجرين المسلمين اليوم وغداً).

ثم تختتم المذكرة بتقديم جملة من التوجيهات من مجمع كنائس ترايفيتا:

أ - مبادرات مشتركة في الصلاة، مع مراعاة ألا يكون هناك اختلاط في الصلاة، بين الأديان. ولا بد من التقدير والاحترام والابتعاد عن التدخل في شؤون الآخرين.

ب - محل العبادة: يقع على عاتق السلطات المدنية توفير محل للعبادة وفقاً لحرية الأديان، وحتى لا يكون المجال متاحاً للكنائس فقط.

ج - الدعوة إلى النصرانية: لا بد من الحذر من تنصير الكبار، ويتم ذلك حسب قوانين الكنيسة.

د - الزواج المختلط بين المسلمين والمسيحيين: الأشخاص الذين يرغبون الزواج المختلط يجب عليهم أن يدركوا حقيقة ما يواجهون من صعوبات دينية وثقافية وقانونية، وتحت رعاية وإشراف الكنيسة.

لجنة ترايفيتا لتوحيد المسيحية، وترقية الحوار^(١).

إن أمثال هذه الجمعيات الكنسية التي تتحسس التأثير الإسلامي على أوروبا النصرانية كثير، ولا تكاد تخلو منها مقاطعة إيطالية، وهي تعتمد أسلوب الانفتاح والحوار والمجاملة مع المسلمين لأهداف مصلحية بلا ريب، إذ هي في الأصل مؤسسات دينية تنصيرية. وقد وجدت أن أسلوب المصانعة والمجاملة والضيافة أجدى من أسلوب المواجهة الذي ينصب الطرفين وجهاً لوجه، أمام الرأي العام المستقل، ومن ثم فالظهور بمظهر الوفاق يجلب المنافع، ويدرك المفسد. ومن أمثلة ذلك توجيه التهاني في المناسبات الدينية الإسلامية، ففي شهر رمضان عام ١٤١٢هـ، الموافق شهر مارس ١٩٩٢م وجهت الجمعية المسيحية في ترينتينو للتنصير وحوار الأديان، تهنئة للمسلمين في الصحف جاء فيها: (في تاريخ ٤ مارس ١٩٩٢م في هذا العام اجتمع الصيام الإسلامي والمسيحي. وهذا الأمر يشير إلى أهمية الحوار بين الجماعتين، وفي هذه الفترة التي تتصف بالعبادة من صيام وصلاة واستغفار، فإن الجالية المسيحية بإخلاص تكون قريبة من أختها الإسلامية. ندعو الله أن يوفقنا في هذه الفترة المباركة أن يجعل كلاً من الطرفين منفتحين تجاه بعضها بعضاً، ممارسين أعمالاً خيرية وتعاونية مشتركة. بهذا الأسلوب يمكننا أن نكون مجتمعاً حقيقياً مبنياً على التقدير والتفاهم.

(١) المذكرة باللغة الإيطالية محفوظة لدى الباحث.

في هذا الوقت بعون مريم العذراء، التي يكرمها المسلمون والمسيحيون، كمثال للمؤمنين. إن أية جالية مدعوة أن تعتبر من حقها حمل هذه الرسالة بالسلم والبهجة، وتدعو الجمعية المسيحية للتبشير، أي مجتمع ديني إلى تولي هذه المسؤولية بالدعوة إلى الحوار بصدق وتواضع^(١).

وهكذا تمزج التهنة بمزاج الشرك والتنصير، وتسكب في كأس المجاملة وروح الضيافة، ليحتسيها المسلم المهاجر إلى أرض النصارى بحثاً عن عمل.

اتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا:

تعد الجالية اليهودية في روما من أقدم الجاليات في العالم، إذ يرجع تاريخ وجودها هناك إلى ما قبل ميلاد المسيح ﷺ بمائة وخمسين عاماً. وينتظم الجاليات اليهودية في إيطاليا اتحاد واحد، ويرجعون إلى حاخام روما الأكبر^(٢).

وقد أصدر المؤتمر الثالث لاتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا المنعقد في الفترة ٢١ - ٢٣ يونيو ١٩٩٨م، الموافق ٢٧ - ٢٩ سيفان ٥٧٥٨ - حسب التقويم العبري - بياناً باسم مجلس السياسة العامة للاتحاد حول العلاقة بالمسلمين في إيطاليا، وهذا نصه:

(المؤتمر الثالث لاتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا، واضعاً في الاعتبار:

□ أهمية تسهيل اندماج المهاجرين المسلمين في إيطاليا، وإبعاد أي شكل من أشكال عدم التسامح العنصري، ومرض معاداة الأجانب.

(١) المجلة الإيطالية: Vifa Trentina 15.30 1992.

(٢) مجلة ٣٠ يوماً عدد ١ عام ١٩٩٦م (١٢ - ١٣).

□ الحاجة لضمان الحرية الدينية للمسلمين المقيمين في إيطاليا، أسوة بالآخرين.

□ أهمية الحوار بين المسلمين واليهود في حوض البحر الأبيض المتوسط، كأداة للتفاهم والسلام يدعو المجلس الجديد إلى:

- تشجيع الحوار مع ممثلي الجالية الإسلامية في إيطاليا.
- تشجيع أنشطة ثقافية مترابطة مبنية على قالب سلمي واندماجي مشترك، مع احترام اختلاف الآخرين^(١).

وهذا التعاطف المظهري من قبل اليهود تجاه المهاجرين المسلمين مبعثه أمران:

أحدهما: ترسيخ مبدأ حفظ حقوق الأقليات، مما يعزز وضع الأقلية اليهودية في الوسط النصراني.

الثاني: محاولة التوصل إلى مكاسب قانونية واجتماعية للطائفة اليهودية، في بعض الجوانب التي تتشابه فيها الأحكام الفقهية في الديانتين، فتعتضد بمطالبة المسلمين.

وقد علقت «توليا تزييفي»، رئيسة اتحاد الجاليات اليهودية على هذا البيان بالقول: (... إنه من النادر أن تطالب أقلية كانت مضطهدة بالأمس، وتسعى إلى تحقيق حقوق أقلية أخرى، تنمو وتتضاعف بقوة، لكن فرض عليها عقوبة اجتماعية وثقافية نتيجة لعدم الاهتمام بها، وتشير إلى أولوية إيجاد قانون أساسي يكون مشتركاً بشأن الجنسية في الأراضي الإيطالية، بغض النظر عما ينتج من آفات في النزاع بين العرب واليهود في الشرق الأوسط، بل ولا بد من الحوار بين الأقليتين في إيطاليا، لكي تتم المساهمة والتفاهم في الشرق الأوسط. إن الأمر

(١) البيان باللغة الإيطالية محفوظ لدى الباحث.

يتجاوز مجرد طيبة نفس، ولكن يقترح قواعد تعم الجميع حتى يتسنى تعايش سلمي تحت سماء واحدة، تفادياً لاستعلاء أقلية على أقلية أخرى. وفي حال استعداد الإسلام للمقاربة مع الآخرين، فإنه يكون بإمكاننا أن نقول: إننا أمام حدثٍ جديد وعظيم الشأن، تجعل من إيطاليا مهد الحوار والتفاهم.

هناك بالفعل نقاط مشتركة بين عالمي الإسلام واليهودية له وزن عظيم. وقد حدث بالأمس أن اقتحمت الشرطة الإيطالية في ميلانو المركز الإسلامي هناك لإغلاق معملٍ للختان. إذاً فإن تنظيم ممارسة الختان سواء من الناحية الدينية والصحية داخل الهيكل الصحي الحكومي، يمثل هدفاً مشتركاً بين المسلمين واليهود^(١). وإذا عرف السبب بطل العجب.

(جمعية «قريش»):

«قريش» CO.RE.IS هي الكلمة الناتجة من الحروف الإيطالية الأولى لـ «الجماعة الدينية الإسلامية» في إيطاليا. وهي جماعة محدودة العدد، تتخذ من مدينة «ميلانو» عاصمة الشمال الإيطالي، مقراً لها. وجميع أفرادها ممن يحملون الجنسية الإيطالية أصولاً أو تجنساً. وتحاول أن تقدم نفسها ممثلاً رسمياً للمسلمين الإيطاليين لدى الحكومة الإيطالية، رغم أنها لا تضم في عضويتها سوى عددٍ قليل منهم. وثمّ ملحظان أساسيان على منهج هذه الجمعية^(٢):

أحدهما: النزعة الصوفية الغالبة في برامجها، وعلاقات أفرادها بمؤسسها، بما يطابق علاقة «المريدين» بـ «الشيخ» في الطرق الصوفية التقليدية.

(١) عن الجريدة الإيطالية Mercoledì 24 Giugno 1998.

(٢) قام الباحث بزيارة مقر الجمعية في ميلانو يوم السبت ١٤١٩/٤/١هـ والالتقاء=

الثاني: العنصرية الأوروبية، والتجافي عن سائر المسلمين المهاجرين الذين يمثلون السواد الأعظم (٩٠٪ من المسلمين الإيطاليين)، والرغبة في خصوصية تميزهم عنهم.

وهذان الملحطان شائعان لدى بعض المسلمين من أصل أوروبي، حتى نشأ ما سُمي بـ «الإسلام الأوروبي». وجمعية «قريش» تعبير عن شخصية مؤسسها، وهو السيد عبد الواحد بلافتشيني «Pallavicini»، وهو مسلم إيطالي اعتنق الإسلام قبل أكثر من أربعين سنة^(١)، ونشط على الساحة المحلية والإسلامية كممثل للمسلمين الإيطاليين، وعضو في تنظيمات متعددة. والذي يعيننا هنا موقفه من قضية التقريب بين الأديان كنموذج للمسلم الغربي الذي يعيش في وسط نصراني كثيف، تشده إليه أواصر الرحم والقربى، والدين السابق.

□ ظلَّ عبد الواحد بلافتشيني (يمثل المركز الإسلامي الثقافي في إيطاليا، ويتفويض ذلك المركز، احتل لعدة سنوات منصب سفير في الفاتيكان لدى المجلس البابوي للحوار بين الأديان)^(٢).

□ شرع من خلال جمعيته في عقد مؤتمرات في الحوار الإسلامي المسيحي، كان منها:

مؤتمر: «المطالبة بحقوق المسلمين في إيطاليا»: وقد عقده في عام ١٩٩٦م، في كازينو سان ريمو الشهير بالقمار والفساد، بحضور رسمي لبعض سفراء المسلمين.

مؤتمر: «إيطاليا والإسلام»: وقد عقده في مدينة «باليرمو» عاصمة جزيرة صقلية يومي: ٦، ٧ يونيو عام ١٩٩٧م.

= بمؤسس الجمعية ومعظم مسؤوليها، والحوار معهم وقتاً طويلاً: والوقوف على نمط التعامل الذي يجري بينهم، والحصول على بعض مطبوعاتهم.

(١) كما ذكر لي شخصياً في زيارتي إياه بمقر جمعيته.

(٢) IN Dialogo Can L'Islam. Unita IX dossier p. 196 «بالإيطالية».

مؤتمر: «الإسلام في الغرب» وهو من أحدث المؤتمرات، فقد عقده في مدينة «بيروجيا» يوم السابع من شهر يونيو عام ١٩٩٨م. ومعظم المتحدثين في هذه الملتقيات من مسؤولي جمعية قريش مثل:

□ ابنه، يحيى عبد الواحد، مدير عام الجمعية.

□ أحمد عبد الولي، المسؤول القانوني.

ويطرح عبد الواحد بلافتشيني ومريدوه فكرة «الإبراهيمية»، كرابط بين الأديان، واعتماد «الإسلام»، بمفهومه العام، دون اشتراط «الإسلام» الخاص الذي جاء به محمد ﷺ^(١).

وقد كتب الدكتور: حسن جوليو سورافيا، أستاذ الفلسفة في إحدى الجامعات الإيطالية، وهو من السابقين إلى الإسلام من

(١) قلت لعبد الواحد بلافتشيني: البعض يدعو إلى «الإبراهيمية» ما معنى ذلك؟ فقال: نحن لا ندعو إلى «الإبراهيمية» ولا «المحمدية» نحن ندعو إلى الإسلام. كل من اتبع رسولاً من رسل الله فهو مسلم. قلت: هذا صحيح متفق عليه قبل بعثة نبينا محمد ﷺ، أما بعد ذلك فلا دين صحيح سوى الإسلام. فإذا زعم اليهود والنصارى اليوم أنهم أتباع لموسى وعيسى ﷺ، وقد خالفوا ما جاء به فلا يمكن أن نسميهم «مسلمين». قال: وكذلك المسلمين إذا خالفوا ما جاء به محمد. قلت: القول بالوهية المسيح وبنوته والتثليث ليست كـبعض المخالفات الفرعية التي تصدر من مسلمين في دائرة التوحيد. فسكت. وتدخل أحمد عبد الولي قائلاً: لا يمكن أن ندعو النصارى إلى الإسلام ونحن نقول لهم أنتم كفار. يجب أن نتقرب إليهم، ونعقد العلاقة معهم بالرفق والمحبة. قلت له: يمكن أن يتم بيان الحق واضحاً جلياً بأدب ورفق، كما أرشد الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَمَآكُلُواْ ٱلْءَٰمَ ٱلَّتِى كُنتُمْ مَّوَدِّعِينَ﴾. ثم كيف نسمي من أنكر رسالة نبينا محمد ﷺ مسلماً؟! بادر بالرد قائلاً لهذا كان مسيحياً أو يهودياً. فادركت أن القوم يرون أن أهل الكتاب مؤمنين، يسعهم ما هم فيه.

الإيطاليين، رسالة وجهها إلى الجمعيات والجاليات الإسلامية والسفارات والهيئات الرسمية للحد من تعديات السيد بلافتشيني على الإسلام والمسلمين، نكتطف ما ورد فيها من نقولات عنه:

■ يقول في كتابه «الإسلام الباطني»: (عندما نتعرض لأمثلة من البوذية أو الإسلام، بالتأكيد ليس لأننا نعتقد أن هذه الديانات بالأصل أفضل من المسيحية أو من الديانات القديمة الغربية في حوض البحر المتوسط).

■ (إذا كان من الضروري لنا بحثاً عن الحقيقة الروحية، الانتساب إلى منظمة باطنية تابعة لدين سماوي ما، فإن هذا الانتساب يتعدى كونه شكلاً خاصاً لهذه الديانة، ليصبح انتقالاً حقيقياً نحو مركزنا الداخلي الباطن).

إن هذه النزعة الباطنية هي التي تلغي الحدود والفواصل، فلا يبقى فرقاً بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان في ضمير من تسكنه، ولا يحصل اغتباطٌ بدين الإسلام الذي اصطفاه الله لعباده المؤمنين، ولا يقع همٌّ في قلب من عشعشت فيه تلك النزعة لدعوة الناس إلى الإسلام، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، باعتبار أن «جميع الطرق موصلة إلى روما»!

ولهذا كان من آثارها التخذيل عن اعتناق الإسلام من قبل الأوروبيين:

■ (يجب أن نشير إلى أولئك الذين قد خاب أملهم من الحضارة الغربية، والخارجين من تجارب قاسية متطرفة؛ يمينية أو يسارية، هؤلاء الذين أصبح عندهم «موضة» اتخاذ الإسلام ديناً كعقيدة جديدة للتغلب على مشاكل العالم الحديث، وكمثل طريق ثالث، أو خيار ثالث مضاد للكتلتين القويتين، والمقصود منه أنه ضد المسيحية، إن لم نقل إنه ضد الديانات جميعاً).

إذا فعلى هؤلاء الثائنين إلى رشدهم، المستجيبين لنداء الفطرة في دين الإسلام أن لا يركبوا «الموضة»، وأن يعودوا إلى قواعدهم النصرانية الأولى، كما يفهم من قوله:

■ (بالنسبة للاختيار المزعوم من قبل البعض، لصالح طقوس غير تلك الأصلية التي يكون عليها أحدنا، فإنه إذا أعطينا شكلاً دينياً معيناً، فلأنه بالضبط ذلك هو الشكل الذي نحن بحاجة إليه!) وبعبارة أشد وضوحاً:

■ (يجب أن لا نفكر أنه من الضروري لذلك أتباع رسالات لاحقة لديننا الأصلي. لأن كل الطقوس - أي الأديان - تصبح سارية المفعول، من الأساس وحتى آخر الزمان).

ثم ينتظم المسلمين مع اليهود والنصارى في منظومة «الإبراهيمية»، بعبارات مستخذية متدلية لإخوان القردة والخنازير، وعباد الصلبان:

■ (إن كنا لا نحلم أن نكون معتبرين «إخوة محظوظين»، باعتبارنا لسنا من ذلك النسل الذي ولد منه المسيح... ولكننا نرغب في أن نكون إخوة حقيقيين، لأننا فروعٌ وراثية من نفس البطريك، إبراهيم^(١)، ووارثين لنفس الطقوس الروحية التي لا تختلف إلا من الناحية التاريخية. ولذلك، وإن لم نكن إخوة كباراً لليهود فنحن إخوة صغار، لكن دائماً إخوة!)

أما لماذا ينزعج من تزايد الإقبال على الإسلام من قبل الأوروبيين، مع أن الإسلام في أقل الأحوال - وفق نظريته - أحد الأديان سارية المفعول، وهو بذاته ينتسب إلى دين الإسلام، ويؤدي

(١) حاشا خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام عن ألقاب الكهنوت النصراني، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧﴾ [آل عمران].

الصلاة؟ إن سر هذا الانزعاج يكشف عنه النص التالي: (هذه هي إذاً المحاولة لبناء جاليات إسلامية منبوذة من بقية الأمة المحيطة بها، كمحاولة لأساس إصلاحية غير واقعي، وكلعبة سياسية كنا شهداء عليها في أوروبا وغيرها. جاليات خاضعة ربما عن غير قصد لأهداف القوى العظمى، أو قوى أخرى على حد سواء. كل ذلك بناءً على الرغبة لغرض عودة إلى الإسلام الشكلي فقط، ولتبعها فرضية خلخلة النظم الحالية، واستبدالها بنظم دينية شكلاً فقط، ليس فقط في البلاد الإسلامية، بل في العالم كله، تقليداً للحملات التنصيرية الكاثوليكية التي كانت تغطي التوسع الاستعماري الأوروبي، وهكذا يراد القيام بحرب صليبية غير معقولة. لكن بالمقلوب، أي من الشرق إلى الغرب)^(١).

فما دلالة هذا الكلام الخطير، وما هي بواعثه؟

أما دلالاته فواضحة؛ فإن القائل يرفض نمو جاليات إسلامية في أوروبا النصرانية، تتسم بالحركة والتأثير والانتشار بدعوى أنها:

١ - محاولة إصلاحية غير واقعية! فماذا عسى أن تصنع تلك الجاليات القليلة في وسط البحر الخضم من النصارى.

٢ - لعبة سياسية لقوى عظمى، أو غير عظمى لم يسمها، تستغلها لتحقيق أهدافها.

٣ - عودة لإسلام شكلي.

٤ - تؤدي إلى خلخلة النظم الحالية، واستبدالها بنظم دينية شكلية أيضاً.

(١) النصوص السابقة منقولة عن رسالة للدكتور حسن جوليو مطلعها: (أخي المسلم هل تعلم من هو بالافيتشيني عبد الواحد) باللغة الإيطالية، ومترجمة إلى العربية في ثلاث صفحات.

٥ - محاكاة للحملات التنصيرية المصاحبة للاستعمار الأوروبي، وبالتالي فهي حرب صليبية بالاتجاه المعاكس.

إن أدنى من لديه حس إسلامي، يدرك تهافت هذه الدعاوى التي يراد بها إجهاض الدعوة إلى الله تعالى، ونشر دينه بين عباده، ووقف المد الإسلامي في أوروبا المحجوبة بحجب النصرانية المحرفة لقرون طويلة، كل ذلك لأسباب بعضها مزعوم موهوم، وبعضها حق يلتزم به أهل الإسلام ويعلنونه على الملأ.

فماذا يضير بلافثيني من محاولات إصلاحية تبلغ ما شاء الله أن تبلغ في إصلاح القارة الأوروبية أو بعضها، أو أقل القليل؟ أليس هذا هو الموقف الشرعي الذي لا يسع المسلم سواه. ﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

وهل يجوز أن توقف الدعوة بدعوى أنها ورقة سياسية لقوى معينة، تستخدمها لأغراض خاصة؟ وهل هذا إلا عين كلام أعداء الإسلام من العلمانيين في بلاد المسلمين؟ ولماذا يتباكى «المسلم الإيطالي» على تداخل النظم الحالية العلمانية؟

ولم يحذر من عودة الإسلام، ويقطع سلفاً بأنه شكلي، وأن النظم البديلة للوضع القائم ستكون شكلية أيضاً؟ ﴿أَطْلَعَ الْقَيْبَ أَمْ أَتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨].

ثم ألا يستحي من ينتسب إلى الإسلام، ويدعي تمثيل المسلمين في بلده من تشبيه الدعوة الإسلامية بالحملات التنصيرية، المحمولة على متن الفياقق الاستعمارية؟

وكيف استقام له أن يشبه بضعة آلاف من العمال المسلمين المهاجرين بحثاً عن لقمة العيش، وتحصيل الكفاف، مع سلب حقوقهم وانتهاك كرامتهم - نسبياً - بالجيوش الصليبية الاستعمارية التي تعيث في الأرض فساداً، وتهلك الحرث والنسل؟

والخلاصة أنه خائفٌ من اكتساح الإسلام لأوروبا، بدرجة مبالغ فيها، تلحقه بما اصطلح على تسميته في بعض الدوائر الغربية «Islamophobia» أو «رهاب الإسلام».

تلك هي دلالة كلامه، أما باعته وتفسيره - في نظر بعض الدعاة هناك - فأمران أحلاهما مُرٌّ:

أحدهما: اعتناقه «الإسلام الصوفي»، لا الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، إسلام أصحاب القول بالحلول ووحدانية الوجود، الذين يضاهئون قول النصارى في المسيح عليه السلام. فهو يمقت إسلام الدعوة والعلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستريح إلى همهمات المجذوبين، وطققات السباحات، وحضرات الصوفية^(١).

الثاني: أنه دسيسة من قبل الفاتيكان في جسم المسلمين لإفساد أمرهم، ودعم محاولات الفاتيكان وتوجيهاته في التقريب بين الأديان، وتحقيق الاحترام المتبادل. والله أعلم.

٤ - فرنسا:

يعيش في فرنسا قرابة أربعة ملايين مسلم، معظمهم من أبناء المغرب العربي، يضمهم في فرنسا أكثر من تسعمائة وخمسين مسجداً، حسب إحصائية رسمية في عام ١٩٩٢م^(٢)، ولم يزل هذا العدد يتنامى^(٣).

(١) حدثني مرافق لي في هذه الزيارة يتقن الإيطالية، أنه أثناء جلوسي مع بلافتشيني، دعاه ابنه يحيى إلى المشاركة في حلقة لأعضاء الجمعية، ودار فيها كلام صوفي موحش من كلام أهل وحدة الوجود، حتى قال يحيى بن عبد الواحد بلافتشيني وهو يتحدث عن «الإنسان الكامل»: (إن ذلك الإنسان يظل يسمو حتى يصل إلى درجة يصبح خطابه لله تعالى كخطاب إله لآله)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) مجلة ٣٠ يوماً. عدد ٢ عام ١٩٩٦م. «المسلمون في القارة القديمة» (٣٠، ٣١).

(٣) تعد فرنسا أعلى البلدان الأوربية في نسبة الهجرة، إذ تبلغ ٨٪ من مجموع السكان، انظر جريدة الحياة السبت ١٨ نوفمبر عام ١٩٩٥م.

(ويوجد في فرنسا أكثر من مائة مجموعة مسيحية إسلامية محلية، باعثها شؤون مدنية، وأحداث عالمية، وموضوعات عقدية وروحية، تعمل بصورة مستقلة، وتقرر أسلوبها الخاص، وأهدافها، وبرامج عملها، دون أن يضمها اتحاد قومي... وباتت زيارة أماكن العبادة بين الجانبين حدث يومي، فيمكن للنصراني أن يدخل المسجد بسهولة، كما أنه ليس مستغرباً أن يوجد المسلمون في الكنائس، خصوصاً في مناسبات التعميد، والزواج، والمآتم، والحفلات الأخرى لأصدقائهم وجيرانهم النصاري. ويحدث غالباً أن يتصل المسلمون بالأبرشيات للسعي في المساعدة في توفير مكان ملائم للصلاة، خلال شهر رمضان، لطلب توقيع لدعم الجمعيات الإسلامية، ولمواجهة توترات الحوار، ولإظهار التكافل مع طالبي اللجوء في كوارث الانفجار)^(١).

١ - (دير سيننكا):

نشأ في هذا الدير محاولات للتقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية، من خلال لقاءات دينية صوفية^(٢)، في منتصف السبعينيات الميلادية كان أهمها:

مؤتمر: «صوفيو الصحراء»:

عقد في «سيننكا» في الفترة: ٥ - ١٢ رجب عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٢٥ يوليو - ٣ أغسطس عام ١٩٧٤م^(٣).

مؤتمر: «تطور التفكير الديني في الأديان الموحدة الثلاثة»:

عقد في سيننكا في الفترة: ١٦ - ٢٣ رجب ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٥ يوليو إلى ١٠ أغسطس عام ١٩٧٥م^(٤).

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P/36-37.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٤٤).

(٣) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل (٤٧).

(٤) المرجع السابق: تسلسل (٦٩).

مؤتمر: «أسماء الله للإنسان المعاصر»:

عقد في «سيننكا» في الفترة: ١٩ - ٢٢ ذي القعدة عام ١٣٩٦هـ، الموافق ١١ - ١٤ نوفمبر عام ١٩٧٦م^(١).

مؤتمر: «كلمة الله»:

عقد في «سيننكا» في الفترة: ٢٩ ذي القعدة - ١ ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ، الموافق ١١ - ١٣ نوفمبر عام ١٩٧٧م. وحضره خمسة وثلاثون مشاركاً^(٢).

ب - (فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية):

GRIC (le groupe de recherches islamo - chretiens)

تعد هذه المجموعة الدراسية من أنشط مجموعات الحوار الإسلامي النصراني في العالم من الناحية البحثية، وقد ولدت في المؤتمر الأخير لدير سيننكا عام ١٩٧٧م، وتألفت من تنسيق جهود (فرقة أبحاث إسلامية مسيحية) في فرنسا، ونظيرتها في شمال أفريقيا، وتضم ثمانين مثقفاً من الجانبين، يعالجون مسائل عقدية تجمع وتفرق أتباع الديانتين^(٣).

وهذه الجمعية وسابقتها تمثلان نمطاً نادراً من محاولات التقريب بين الأديان بطرحهما الاختلافات العقدية على مائدة البحث، مما تحاشاه كثير من المحاولات الأخرى، إما خشية الخصومة والتفرق، أو خشية الوقوع في التللفية. وربما وجدنا في متاهة التصوف المتشعبة من الأديان مجالاً للوصول إلى صيغ مشتركة في بعض المسائل العقدية.

وقد صدر عن مجموعة «GRIC» ميثاق مشترك يكشف عن طبيعة توجهها وأهدافها، نقطف منه ما يلي:

(١) المرجع السابق. تسلسل (٨٠).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (٨٦).

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P. 37-69.

١ - إننا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، نعتقد أن الرب قد استعلن بالكلمة. المسلمون يُعرفون هذا الاستعلان بالقرآن، النصراني يروونه في عيسى المسيح نفسه، وكلمة الله صنعت الإنسان، كلاً من جماعتينا تعتقد أن إيمانها عطية من الله تقبلها النوع البشري، وأن هذا يعين لها طريقة خاصة جداً للاتصال بالله. إنه لهذا السبب نحن نكون نصارى أو مسلمون، ولسنا أتباعاً لدين آخر أو ملاحدة...

٤ - إننا لا نحاول التوفيق فيما لا يمكن توفيقه، إننا لا نسعى لكتمان أو تقليل اختلافاتنا الأساسية، أو لنجد بعض قاسم مشترك عام يجمع المتناقضات فقط على حساب الحقيقة. هدفنا أن نعرف بالضبط أين تقع الاختلافات الأساسية فعلاً، وليس أن يظن أين تقع، حين تصور من وجهة نظر لأوضاع ثابتة^(١).

ولا يخفى ما في هذه الصياغة من تعبيرات ومضامين كنسية مجافية للإسلام، بتنظير عقيدة الحلول النصرانية بعقيدة «القرآن كلام الله غير مخلوق»، لتسويغ كفرهم بالله العظيم.

لقد نشطت هذه الفرقة GRIC في مجال الحوار الإسلامي النصراني، وتفرعت عن دير سيننكا، ذي الاهتمام بالحوار بين المسلمين والنصارى واليهود، واتخذت من باريس مقراً لها، في حين تعقد مؤتمراتها المتتابعة في دول شمال أفريقيا المسلمة وأوروبا. ومنها:

مؤتمر: «الأسفار المقدسة»:

عقد في سيننكا في الفترة: ٢٦ - ٢٨ شعبان ١٣٩٨هـ، الموافق

١ - ٣ يوليو عام ١٩٧٨م، وحضره خمسة مشاركين^(٢).

(١) عن Recognize The Spiritual Bonds. P.70

(٢) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية، تسلسل رقم: ٩٣، ١٠٢.

مؤتمر: «قراءة الأسفار المقدسة»:

عقد في مدينة تونس في الفترة: ١٨ - ٢١ شوال عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٠ - ١٣ سبتمبر عام ١٩٧٩م، وحضره واحد وعشرون مشاركاً، وهو امتداد للمؤتمر السابق^(١).

مؤتمر: «كلمة الله والكتب المقدسة»:

عقد في الرباط - المغرب - في الفترة: ٩ - ١٢ ذي القعدة عام ١٤٠١هـ، الموافق ٨ - ١١ سبتمبر عام ١٩٨١م، وحضره عشرون مشاركاً، وهو امتداد لسابقه^(٢).

مؤتمر: «كلمة الله»:

عقد في تونس في الفترة: ١٣ - ١٩ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٢ - ٨ سبتمبر عام ١٩٨٢م، وحضره سبعة عشر مشاركاً، وهو امتداد كذلك للمؤتمرات الثلاثة السابقة^(٣).

مؤتمر: «العلمنة»:

عقد في سيننكا في الفترة: ٢٩ ذي القعدة ٣ ذي الحجة عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٧ - ١١ سبتمبر عام ١٩٨٣م^(٤).

مؤتمر: «العلمنة»:

عقد في الرباط - المغرب - في الفترة ٢٩ ذي القعدة - ٥ ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٢٦ أغسطس - ١ سبتمبر عام ١٩٨٤م وحضره ثلاثة وعشرون مشاركاً من ستة بلدان^(٥).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١١٢).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٢٤).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٣٠).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٤١).

مؤتمر: «العلاقة بين الروحانيات والزمنيات»:

عقد هذا المؤتمر في الفاتيكان - في الفترة: ٢١ - ٢٦ ذي الحجة عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٧ - ١٢ سبتمبر عام ١٩٨٥م، وحضره ثمانية عشر مشاركاً^(١).

مؤتمر: «الدين والدولة»:

عقد في مدينة «الحمامات» في تونس في الفترة: ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٦هـ - ١ محرم ١٤٠٧هـ، الموافق ٢ - ٦ سبتمبر عام ١٩٨٦م، بحضور ستة عشر مشاركاً، وهو امتداد لسابقه^(٢).

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في بروكسل - بلجيكا - في الفترة ٢٩ ذي الحجة عام ١٤٠٧هـ ٤ محرم عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٥ - ٢٩ أغسطس عام ١٩٨٧م، بحضور عشرين مشاركاً^(٣).

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في الرباط - المغرب - في الفترة: ١٧ - ٢١ محرم عام ١٤٠٩هـ الموافق ٣٠ أغسطس - ٣ سبتمبر عام ١٩٨٨م، بحضور خمسة وعشرين مشاركاً، وهو امتداد لسابقه^(٤).

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في مدينة «غروثا فراثا» - إيطاليا - في الفترة: ٢٣ - ٢٩ محرم عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٥ - ٣١ أغسطس عام ١٩٨٩م بحضور تسعة عشر مشاركاً^(٥).

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٥٤).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٧٢).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٩٢).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢٠٤).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (٢١٥).

مؤتمر: «الإيمان والعدالة»:

عقد في الحمامات في تونس في الفترة: ٥ - ١٠ صفر عام ١٤١١هـ، الموافق ٢٦ - ٣١ أغسطس عام ١٩٩٠م بحضور سبعة عشر مشاركاً^(١).

مؤتمر: «الإيمان والعدالة: مستقبل الجماعة»:

عقد في الرباط - المغرب في الفترة: ١٤ - ٢٠ صفر عام ١٤١٢هـ الموافق ٢٤ - ٣٠ أغسطس ١٩٩١م، بحضور خمسة عشر مشاركاً، وهو الحلقة الأخيرة من مؤتمرات الإيمان والعدالة^(٢).

مؤتمر: «الخطيئة والمسؤولية الخلقية»:

عقد في بروكسل - بلجيكا - في الفترة: ٢٧ صفر - ٢ ربيع الأول عام ١٤١٣هـ، الموافق ٢٦ - ٣١ أغسطس عام ١٩٩٢م، بحضور سبعة عشر مشاركاً^(٣).

ويلاحظ في هذه المؤتمرات الصيفية المتتالية، النزوع إلى الأسلوب البحثي الذي لا يكثر بتكثير الحضور، بل يقتصر على النخب المثقفة، ويتناول موضوعات معينة يتناولها بالبحث والحوار على مدى سنوات متتالية لحين الوصول إلى صيغة معينة، ثم يقوم بنشر أبحاثه في كتب، وليس في بيانات مشتركة وقد صدر منها فعلاً:

□ تلك الكتب التي تسائلنا: الإنجيل والقرآن. «عنوان الطبعة الفرنسية» أو: تحدي الكتب المقدسة: الإنجيل والقرآن. «عنوان الطبعة الإنجليزية».

□ الإيمان والعدالة:

(١) المرجع السابق. تسلسل (٢٢٧).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (٢٣٦).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٤٨).

كما يلاحظ تدرج الفرق من بحث مسائل عقدية تتصل بالكتب المقدسة وكلمة الله، إلى بحث مسائل تطبيقية في العلمنة والعلاقة بين الروحانيات والزمنيات، ثم مسائل خلقية اجتماعية حول الإيمان والعدالة، والخطيئة.

ج - (أمانة السر للعلاقات مع الإسلام)

: SRI (Secrariat Pour Les Relations avec L'Islam)

نشطت هذه الجمعية على المستوى المحلي في فرنسا منذ أواسط السبعينيات وحتى أواسط الثمانينيات، في عقد بعض المؤتمرات الحاشدة، إما بصفة منفردة أو بالتعاون مع جمعيات محلية مماثلة. وقد أسسها مؤتمر أساقفة فرنسا الكاثوليك عام ١٩٧٣م، لتكون وسيلة لتشجيع وتنسيق اللقاءات المسيحية الإسلامية في فرنسا^(١). ولا تزال تمارس مناشطها المحلية حتى الآن في معظم المدن الفرنسية الكبرى^(٢) ومن أشهر مؤتمراتها:

مؤتمر: الصلاة:

انعقد هذا المؤتمر في «توشغراي» - فرنسا - في الفترة: ١٣ - ٢٠ شعبان عام ١٣٩٦هـ، الموافق ٩ - ١٦ أغسطس عام ١٩٧٦م. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

مؤتمر: «الإيمان والثقافة في الإسلام والمسيحية الأمس واليوم»:

انعقد في «شانتيلي» - فرنسا - في الفترة ١٣ - ١٦ شعبان عام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩ - ٢٢ يوليو عام ١٩٧٨م بالاشتراك مع «مركز

(١) . Recognize The Spiritual Bonds. P.36

(٢) كما يتضح ذلك من نشرتها الدورية التي تحمل اسمها. انظر مثلاً عدد يناير عام ١٩٩٧م.

(٣) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (٧٨).

الينابيع الثقافي» وحضره مائة شخص، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(١).

مؤتمر: «الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر»:

عقد هذا المؤتمر الحافل في «شانتيلي» - فرنسا - في الفترة: ١٧ - ٢٠ شعبان عام ١٣٩٩هـ، الموافق ١٢ - ١٥ يوليو عام ١٩٧٩م، بالاشتراك مع «مركز الينابيع الثقافي» في شانتيلي، وحضره مائة وخمسون مشاركاً، وأصدروا منه نداءً إلى السلطات الفرنسية لتحسين وضع المسلمين في فرنسا، نظراً لكون الإسلام قد بات الديانة الثانية في البلاد، من حيث عدد معتنقيه، جاء في مطالبه:

١ - إقامة عددٍ أكبر من أمكنة العبادة والصلاة، حيث يسكن المسلمون، تفترض حداً أدنى من التفهم والدعم.

٢ - بث برامج إسلامية في الإذاعة والتلفزيون، وارْدٌ في دفتر شروط القناة الأول في التلفزيون والراديو الفرنسيين، ولكن لم يتحقق بعد عملياً.

٣ - إمكانية الممارسة الدينية لدى العمال والموظفين «أي الصلوات، والأعياد الدينية، والصوم، والمأكولات الشرعية، والحج» تتعلق بتفهم أصحاب الأعمال. من الضروري أن يتنبه الذين لديهم مسلمون إلى الوعود التي كانوا قد قطعوها.

٤ - إن تعليم الأولاد الديانة الإسلامية يواجه نقصاً كبيراً في الكتب وباقي الوسائل التربوية، كما يتعلق بتعلم اللغة العربية، وبالمكانة التي يجب أن تحتلها هذه اللغة في المؤسسات التربوية^(٢).

وهذا النداء يشي من جهة بالوضع الصعب الذي يعانيه المسلمون

(١) المرجع السابق. تسلسل رقم: (٩١).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية. (١٣٦ - ١٣٧).

في فرنسا، ومن جهة أخرى يشير إلى تنامي الوجود الإسلامي وتأثيره، إلى درجة استشارة الرأي العام الفرنسي، والمؤسسات الدينية لتأييد مطالبه. ولا ريب أن النصارى في فرنسا وسائر أوربا والعالم كانوا يتحسسون من الخطر الإلحادي في حقبة السبعينيات، وتفشييه في مجتمعاتهم، مما يرشح دعم المؤسسات الدينية بعامة، كما يتضح من عنوان هذا المؤتمر والذي قبله.

مؤتمر: «المسيحيون والمسلمون إزاء المرض والألم والموت»:

عقد في باريس في يوم ١٩ ربيع الآخر عام ١٤٠٢هـ، الموافق ١٤ فبراير عام ١٩٨٢م، وحضره مائة شخص، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(١).

مؤتمر: «كيف نؤمن نحن المسيحيين والمسلمين في عالم تعددي ومتعلمين؟»:

عقد في ليون - فرنسا - في الفترة: ١٥ - ١٩ شوال عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٦ - ٣٠ يوليو عام ١٩٨٣م، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٢).

د - (مركز الجبل العالي) (Haut mont):

شرع هذا المركز في تفعيل الحوار الإسلامي النصراني داخل فرنسا منذ مطلع الثمانينيات، وينزع في طروحاته نحو التقريب في الجوانب الروحية والخلقية والاجتماعية مثل:

مؤتمر: «المؤمنون إزاء حقوق الإنسان»:

عقد في مدينة «موفو» - فرنسا - في الفترة: ١١ - ١٢ ربيع الآخر

(١) اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (١١٦).

(٢) اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (١٢٩).

عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٦ - ٧ فبراير عام ١٩٨٢م، وحضره مائة مشارك من الجانبين^(١).

مؤتمر: «إسلامي مسيحي»:

عقد في موفو يومي ٢٠ - ٢١ جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٥ - ٦ مارس عام ١٩٨٣م^(٢).

مؤتمر: «كيف نعيش نحن المسلمين والمسيحيين، ونشهد لإيماننا

في عالم تغرب عن الله؟»:

عقد في موفو يومي ١٤ - ١٥ جمادى الثانية عام ١٤٠٤هـ، الموافق ١٧ - ١٨ مارس عام ١٩٨٤م^(٣).

مؤتمر: «العيد»:

عقد في موفو يوم ٢٧ جمادى الثانية عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٩ مارس عام ١٩٨٦م وحضره مائة وخمسون شخصاً^(٤).

مؤتمر: «الضيافة»:

عقد في موفو يومي ١٣ - ١٤ رجب عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٤ - ١٥ مارس عام ١٩٨٧م، بحضور مائة وعشرين شخصاً^(٥).

مؤتمر: «استيقاظ الإيمان في الشبيبة»:

عقد في موفو يومي ٢٣ - ٢٤ رجب عام ١٤٠٨هـ، الموافق ١٢ - ١٣ مارس عام ١٩٨٨م، بحضور مائة وخمسين شخصاً^(٦).

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (١١٥).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٢٦).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٣٧).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٦٤).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٨٤).

(٦) المرجع السابق. تسلسل (٢٠٠).

مؤتمر: «لننش فوارقنا معاً»:

عقد في موفو يومي ٢٢ - ٢٣ جمادى الثانية عام ١٤٠٩هـ،
الموافقين ٢٨ - ٢٩ يناير عام ١٩٨٩، بحضور مائة وخمسين شخصاً^(١).

مؤتمر: «السعي معاً للعدالة والسلام»:

عقد في موفو يومي ٢٧ - ٢٨ شعبان عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٤ - ٢٥ مارس عام ١٩٩٠م^(٢).

مؤتمر: «لنصبح كائنات حرة في نظر الله»:

عقد في موفو يومي ١٨ - ١٩ رمضان عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٢ - ٢٣ مارس ١٩٩٢م، بحضور قدره مائتا شخص^(٣).

هـ - (مركز الينابيع الثقافية) (Les Fontaines):

ومقره مدينة «شانتيلي». وقد اشترك مع أمانة السر للعلاقات مع الإسلام SRI في مؤتمرات: «الإيمان والثقافة في الإسلام والمسيحية، الأمس واليوم» عام ١٩٧٨م، و«الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر» عام ١٩٧٩م - كما تقدم - ومن مناشطه:

مؤتمر: «يقظة الإسلام السياسية»:

عقد في شانتيلي يومي ١٦ - ١٧ جمادى الأولى عام ١٤٠٢هـ، الموافق ١٣ - ١٤ مارس عام ١٩٨٢م، بحضور مائة شخص.

مؤتمر: «حقوق الإنسان والأديان»:

عقد في شانتيلي يومي ٧ - ٨ جمادى الثانية ١٤٠٤هـ، الموافق ١٠ - ١١ مارس عام ١٩٨٤م بالاشتراك مع معهد روبرت شومان

(١) المرجع السابق. تسلسل (٢١٠).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (٢٢٣).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٢٤). ولم يصدر عن أي من المؤتمرات التسعة السابقة بيانات مشتركة.

لأوروبا «IRSG»^(١)، المنسوب إلى السياسي الفرنسي، عضو الجبهة الشعبية الجمهورية للحركة الكاثوليكية، ورئيس وزراء فرنسا ١٩٤٧ - ١٩٤٨م^(٢).

و - (جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية):

هي جمعية ذات نزعة صوفية: تسعى إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية واليهودية نشطت خلال الثمانينيات في عقد مؤتمرات ثلاثية الأطراف، أهمها:

مؤتمر: «التربية الدينية»:

عقد في شانتيلي يومي: ١٣ - ١٥ شعبان عام ١٤٠١هـ، الموافق ٢٥ - ٢٧ يونيو عام ١٩٨١م، وحضره ثمانون شخصاً^(٣).

مؤتمر: «الإيمان عند إبراهيم»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ٦ - ٨ رجب عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٣٠ أبريل - ٢ مايو عام ١٩٨٢م، وحضره مائة وخمسون شخصاً^(٤).

مؤتمر: «التوراة والإنجيل والقرآن»:

عقد في تولوز يومي ١٧ - ١٨ ربيع الآخر عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٢١ - ٢٢ يناير عام ١٩٨٤م، بالاشتراك مع معهد تولوز الكاثوليكي^(٥).

(١) ويترجم أحياناً بمركز العيون، نظراً لأن الكلمة الفرنسية Fontaine تعني: «نبع» أو «عين» فيظنهما بعض من كتب في الموضوع مركزين مختلفين. أما النبع بمعنى المصدر فيقابل الكلمة الفرنسية La Source.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: ١١٨، ١٣٦.

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل: (١١١).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٢٠).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٣٣).

مؤتمر: «الصلاة عند اليهودية والمسيحية والإسلام»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ١٨ - ٢٠ رجب عام ١٤٠٤هـ،
الموافق ٢٨ - ٣٠ أبريل عام ١٩٨٤م^(١).

مؤتمر: «الإيمان والإصغاء إلى الآخر»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ٨ - ١٠ شعبان عام ١٤٠٦هـ،
الموافق ١٨ - ٢٠ أبريل عام ١٩٨٦م^(٢).

مؤتمر: «الرجاء انتظار خلاق»:

عقد في شانتيلي يومي ٧ - ٨ شوال عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٥ - ٦ يونيو عام ١٩٨٧م^(٣).

مؤتمر: «اليهودية والمسيحية والإسلام أمام روحانيات الشرق الأقصى»:

عقد في شانتيلي في الفترة: ٢٧ - ٢٨ رمضان ١٤٠٨هـ، الموافق
١٤ - ١٥ مايو عام ١٩٨٨م^(٤).

ز - (معهد تولوز الكاثوليكي):

كانت باكورة نشاطه في حقل الحوار الثلاثي بين الأديان، اشتراكه
مع جمعية الكتبة الناطقين بالفرنسية في مؤتمر: «التوراة والإنجيل
والقرآن» عام ١٩٨٤م، ثم استقل بعقد مؤتمرات في مقره في مدينة
تولوز الفرنسية كان أهمها:

مؤتمر: «البحث عن الله»:

عقد هذا المؤتمر الحاشد يومي ١٤ - ١٥ جمادى الأولى عام

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٣٩).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٦٥).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٩٠).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢٠٢). ولم يصدر عن المؤتمرات السبعة السابقة
بيانات مشتركة.

١٤٠٦هـ، الموافق ٢٥ - ٢٦ يناير عام ١٩٨٦م، حضره مائتان وخمسون مشاركاً من المسلمين والنصارى واليهود^(١).

مؤتمر: «الغفران»:

عقد يومي ١٠ - ١١ جمادى الثانية عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٣٠ - ٣١ يناير عام ١٩٨٨م^(٢).

مؤتمر: «الكتابة المقدسة والكتابة الدنيوية»:

عقد يومي ٣٠ جمادى الثانية - ١ رجب عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٧ - ٢٨ يناير عام ١٩٩٠م^(٣).

مؤتمر: «من هو قريبك؟»:

عقد يومي ٢ - ٣ رجب عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٥ - ٢٦ يناير عام ١٩٩٢م^(٤).

ح - (جمعية الحوار الإسلامي المسيحي):

(Association For Muslim - Dialogue) A.D.I.C

تأسست هذه الجمعية بمبادرات عربية وفرنسية، إسلامية ونصرانية، في نهاية عام ١٩٨٧م، توجت بعقد أول اجتماع تأسيسي في ١٢/١٠/١٩٨٩م، شارك فيه ثمانون شخصية من فرنسا والمغرب العربي والشرق الأوسط وغرب أفريقيا.

ومن أبرز الشخصيات المؤسسة من الجانب النصراني: ميشال لولون، مستشار الفاتيكان السابق لشؤون الإسلام، والأمين العام للجمعية. ومن الجانب الإسلامي الدكتور التيجاني هدام، وزير الأوقاف

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٦٢).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٩٩).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٢١).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢٤١).

السابق في الجزائر، وعميد المعهد الإسلامي لمسجد باريس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فرنسا، ورئيس الجمعية، مقاسمةً مع السياسي الفرنسي فرناند رويون، سفير فرنسا الأسبق في دمشق وأنقرة^(١).

كما رأس الجمعية أيضاً الدبلوماسي المصري عادل عامر، والدكتور علي السمان^(٢) وأبرز أعمال الجمعية على الإطلاق.

المؤتمر: «العالمي للحوار الإسلامي - المسيحي»:

عقد هذا المؤتمر بمقر المجلس الأوروبي بمدينة «ستراسبورغ» الفرنسية، يومي ٣، ٤ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ، الموافق ٢٠، ٢١ ديسمبر عام ١٩٩٠م. ويمكن تحديد بواعث الدعوة للمؤتمر، كما تراها إدارة الجمعية بما يلي:

١ - ازدياد حدة المشاعر العنصرية لدى الفرنسيين، وقلق المسلمين في فرنسا من العداء المعلن من أحزاب اليمين الفرنسي المتطرف ضد العرب والمسلمين.

٢ - الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب، من جراء الحملات الإعلامية ضد الإسلام خصوصاً، بعد تفاعلات قضية الكاتب البريطاني، ذي الأصل الهندي سلمان رشدي^(٣).

٣ - أحداث لبنان التي صورت للرأي العام الفرنسي بأنها اضطهاد

(١) انظر: مجلة الموقف. عدد ٧٥. أبريل ١٩٩١م - رمضان ١٤١١هـ (٤٢).

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).

(٣) وذلك بسبب إصداره كتاب «آيات شيطانية»، الذي تعرض فيه للإساءة إلى زوجات رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهن وبرأهن، وكفريات أخرى. وقد أصدر الزعيم الرافضي «آية الله خميني» فتوى بإهدار دمه، وكان لتلك الفتوى أسوأ الأثر في لفت الأنظار إلى كتابه وترويجه، والنيل من الإسلام وشرعته.

لنصارى في المشرق، مما أدى إلى ظهور كتابات فرنسية متعصبة^(١)، ككتاب جان - بيار فالونيه: «حياة مسيحي الشرق وموتهم»، الذي سبق التعريف به في الباب الأول.

وقد حظي المؤتمر بحضور مميز وكثيف، فقد شارك فيه ثمانون مسلماً، وثمانون نصرانياً، فيهم شخصيات دينية وسياسية بارزة مثل: □ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي. د. عبد الله عمر نصيف.

□ مدير عام الأونسكو. فيديريكو مايور.

□ رئيسي وزراء في حكومات فرنسية سابقة هما: جاك شابان دلماس، وكلود شيسون.

□ وزير الثقافة الفرنسي جاك لانغ، ووزير الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية، رولان دوما.

□ الأمين العام للمجلس الأوربي، كاترين لالومير... وآخرون.

وتليت فيه رسائل من الرئيس المصري حسني مبارك، ورئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، الكاردينال فرنسيس آرينزي، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، حامد الغابد.

وشارك في المؤتمر وفود من مصر والسعودية وفلسطين والجزائر ولبنان والإمارات العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وجمعيات إسلامية أوروبية، وجمعيات فرنسية مماثلة، كما مثلت فيه مختلف الكنائس النصرانية الكبرى.

وكانت المحاور الرئيسية لبحوث وكلمات المؤتمر حول ثلاثة موضوعات رئيسية: الأديان والسلام، الدين والمجتمع والثقافة، مسؤولية المؤمنين اليوم.

(١) انظر: مجلة «الموقف» عدد ٧٥. أبريل عام ١٩٩١م - رمضان ١٤١١هـ (٤٢).

وتفرع عنها عناوين فرعية هي:

□ أسس الحوار للعيش المشترك الإسلامي - المسيحي.

□ طبيعة العلاقات بين الشمال والجنوب.

□ شهادات لبنانية، وأخرى فلسطينية عن التعايش.

ونقتطف بعض الجمل التي وردت على السنة بعض المتحدثين:

• السفير أحمد وسيدو، ممثل أمين منظمة المؤتمر الإسلامي حامد الغابد: (الحوار بين الأديان، يجب أن يكون من خلال التعاون في القضايا المشتركة التي يسببها الشقاء والتخلف والبؤس والمرض في العالم).

• الأب رفيق خوري، ممثل بطريرك القدس لطائفة اللاتين، الكاردينال ميشال صباح، عدّ الحوار الإسلامي - المسيحي أحد أربع ظواهر تاريخية حددت بشكلٍ إيجابي علاقات مسيحيي الشرق الأوسط مع مواطنيهم المسلمين، وأنه الفقه المسيحي الوحيد، الذي تم التفكير به وكتابته بتأثير وفعل دين آخر.

• الأب ميشال سوران، سكرتير الفاتيكان السابق للعلاقة مع الإسلام: (إن المواقف التي اتخذتها الكنيسة الكاثوليكية خلال العقود الأخيرة - حول الحوار - قد تم اتخاذها بانسجام تام مع إيمانها وعقيدتها، وهذه المواقف لم تشكل بالنسبة لها تخلياً عن هويتها، وإنما شكلت أكثر من عودة مطلوبة إلى هذه الهوية).

• عبد الحق إسماعيل غيدر دوني^(١)، ممثل جمعية المسلمين الإيطاليين: (إن الحوار بين الأديان يمكن أن يصبح دليلاً ومرشداً

(١) وهو نائب رئيس جمعية «قرش» عبد الواحد بلافتشيني، الذي سبق التعريف به وجمعيته في محاولات التقريب في إيطاليا.

لتحولنا الداخلي، ويجب علينا أن ندرك أن الإيمان بالله الواحد المتعال، والذي هو أيضاً إله الرحمة، الرحمن. ويجب علينا أن نحرص على أن لا يسبق ويتقدم الإيمان بالطائفة، على الإيمان بالله^(١).

ويظهر الفرق جلياً بين النصين الأخيرين؛ نصراني ينفي بشكل قاطع أن يكون الحوار تخلياً عن الهوية العقدية، ومسلم يرى الحوار دليلاً على تحول داخلي يقدم الإيمان بالله بصورته المبهمة المجملة على إيمان الطائفة الخاص!!

وقد صدر في نهاية أعمال المؤتمر بيان ختامي، جاء في توصياته:

■ (آن الأوان لكي نعمق بكل استقامة وجدية المعرفة المتبادلة، التي كثيراً ما تكون ناقصة أو خاطئة عند المسلمين والمسيحيين في ما يخص ديانة الآخرين، لا سيما في الأمور التالية: الاختبار الروحي، وتاريخ جماعاتهم وما أبدعته على صعيد الفن والحضارة والمبادئ الأخلاقية. المطلوب منها إيصالها إلى الأسر والشعوب والعالم بأسره.

■ ولهذه الغاية يوصي المشاركون في لقاء ستراسبورغ جماعاتهم القيام بنشاطات تثقيفية متفق عليها ومستمرة، وذلك لتعليم الأولاد البالغين من خلال الكتب، وسائر وسائل الإعلام...

■ إن المعرفة لا تكفي، فبعد أن تتزود الجماعات المسلمة والمسيحية بغنى القيم الروحية والأخلاقية المشتركة بينها، والنابعة من الإنجيل والقرآن، عليها أن تعمل مع سائر الجماعات الدينية: من جهة، لتحديد أطر الاتفاق الممكن بين مواقفها تجاه المشاكل الحالية

(١) انظر: هذه النصوص في ملف المؤتمر، مجلة الموقف. عدد ٧٥ أبريل

والمستقبلية، لا سيما في سبيل السلام والعدالة الاجتماعية والحرية الدينية. ومن جهة أخرى، للعمل معاً للتأثير في السلطات الحكومية والرأي العام بما يخص تلك الحقوق وتلك الاتجاهات^(١).
كما تضمن البيان تعهد A.D.I.C بالقيام بدور المنسق والوسيط لتحقيق تلك الأهداف.

مؤتمر: «أهمية الحوار الإسلامي المسيحي في تعليم وحماية الشباب»:
عقد هذا المؤتمر في مدينة «روان» - فرنسا - يومي ٥، ٦ رجب عام ١٤١٢هـ، الموافق ١٠ - ١١ يناير عام ١٩٩٢م، بتنظيم من جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C، وحضره أكثر من مائتي شخصية من الجانبين، من أوروبا وأفريقيا وجزر المحيط الهادي.
وقد وزعت الجمعية وثيقة تتضمن الأفكار التي طرحت في مؤتمر ستراسبورغ.

ثم صدر بيان ختامي عن المؤتمر تضمن:

١ - أهمية أن يتعرف الشباب على أسس وتعاليم القيم الروحية الدينية.

٢ - أن يتعرف شباب كل دين على ما تحتويه الأديان الأخرى من قيم ومعانٍ، حتى نتفادى خطر الانغلاق على الذات، وحتى يتدعم الحوار بين الأديان.

٣ - أن يتنبه الآباء والمعلمون إلى ضرورة حماية الشباب من التأثيرات السلبية التي تعوق النمو الصحي لشخصيتهم، ودعوة أجهزة الإعلام أن تقوم بدورها في هذا السبيل، لتقدم صورة صحيحة وعادلة وموضوعية عن الإسلام لدى المسيحيين، وعن المسيحية لدى المسلمين.

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٦٥ - ١٦٦). ومجلة الموقف (٥٧/٥٤ - ٥٥).

٤ - تدعيم لقاء المعلمين والمربين المسلمين والمسيحيين، للتشاور، وتبادل الأفكار حول سبل غرس مبادئ التسامح والتعاطف بين الأديان لدى الشباب، بالتعاون مع الحكومات المعنية^(١).

مؤتمر: «التعايش»:

عقد في مدينة «مرسيليا» - فرنسا - يوم ٢٧ شعبان ١٤١٢هـ، الموافق مطلع مارس عام ١٩٩٢م. وقد حضره مائة وثلاثون شخصاً من المسلمين والنصارى واليهود^(٢).

ط - (بلدية مونيليه):

عقدت بلدية مونيليه الفرنسية مؤتمراً في مقرها يومي ١٥ - ١٦ شعبان عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٦ - ٧ مايو عام ١٩٨٥م بعنوان: «الإله الواحد والإنسان المعاصر»: حضره خمسمائة شخص من المسلمين والنصارى واليهود، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

ي - (مركز خدمة العلاقات الإسلامية المسيحية) SRCM:

ومقره مدينة ستراسبورغ. وقد نظم مؤتمراً بعنوان:

«المسيحيون والمسلمون في المجتمع الفرنسي في سبيل الحوار الديني»: عقد يومي ٣٠ جمادى الثانية - ١ رجب عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٧ - ٢٨ يناير عام ١٩٩٠م^(٤).

(١) جريدة الأهرام. يوم ١٥/٧/١٤١٢هـ.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (٣٤٣).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٥٠).

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم: (٢٢٠).

ويوجد في فرنسا هيئات أخرى معنية بقضية التقريب بين الأديان
مثل:

ك - مجموعات الصداقة الإسلامية المسيحية، مثل GAIC و AMIC.

ل - الأخوية الإبراهيمية Fraternite d'Abraham.

م - وكالة الكنيسة والإسلام، وهي مؤسسة تابعة للاتحاد
البروتستانتي الفرنسي.

ن - المجموعة الدراسية للأبحاث الإسلامية في ستراسبورغ:

٥ - النمسا:

يرجع تاريخ الحوار بين المسلمين ونصارى النمسا إلى وقتٍ
مبكر، حين زار الكاردينال فرنسيسكوس كوينج، رئيس أساقفة النمسا،
جامعة الأزهر، وألقى محاضرة في قاعة الشيخ محمد عبده في ٢٧ ذي
القعدة عام ١٣٨٤هـ، الموافق ٣١ مارس عام ١٩٦٥م، بعنوان: «عقيدة
التوحيد في العالم المعاصر»، ضمن أعمال الموسم الثقافي لجامعة
الأزهر، وقد استبق الكاردينال انتهاء المجمع الفاتيكاني الثاني في
ديسمبر من نفس العام ليجهز بالقول: (...). إننا نؤمن أن هداية الله قد
تأتى للمؤمنين بغير المسيحية من أديان، ولو أننا لا نستطيع نحن أن
نعتنق هذه الأديان، ولهذا فإن القول بأن «هداية الله لا تأتي خارج
الكنيسة» قول مردود^(١).

(١) عقيدة التوحيد في العالم المعاصر: الكاردينال: فرنسيسكوس كوينج - وقد
كان للكاردينال كوينج دور بارز في صياغة البيان المجمعى «العلاقة مع غير
المسيحيين» الداعي إلى الحوار - ترجمة: د. محمد محمود غالي. مراجعة:
محمد علوي عبد الهادي، جامعة الأزهر. الموسم الثقافي لعام (١٣٨٤هـ -
١٣٨٥هـ). مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٦م.

ويتخذ من نزعة كل من الإسلام والنصرانية نحو الدعوة المعلنة مبرراً للحوار، ويضع له قاعدة مشتركة، وشروطاً في أربع نقاط:

١ - الأساس المشترك للتوحيد.

٢ - الرابطة المشتركة التي تربط بين الدينين، لأن كلا منهما «دين كتاب».

٣ - احترام أتباع كل دين للدين الآخر، باعتباره سبيلاً يسرها الله للإنسان ليبلغ بها غايتها، وليس في هذا الاحترام ما يتطلب تخلي صاحب الدين عن دينه، أو ما ينقص إيمانه بأن دينه هو وحده الحق المطلق.

٤ - المبدأ الذي يؤمن به المسيحيون والمسلمون على السواء، وتنادي به الآية الكريمة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولا يجرح هذا المبدأ ما شجر بينهم من خلافات في عصور التاريخ^(١).

كما يجعل الكاردينال كوينج من المصير المشترك الذي يواجه أديان التوحيد - على حد تعبيره - والمتمثل في الإلحاد المتفشي في تلك الفترة، سبباً ملحاً للالتقاء، لكنه يشدد على عدم الانزلاق إلى فكرة توحيد الأديان قائلًا: (وينبغي علينا جميعاً، إلى جانب ذلك كله، أن نكون على حذر من كل هذه الجهود السائدة في عالم اليوم داعية إلى الوحدة، حتى لا يغرب بنا إلى رقعة في العقيدة، لا نكثرث معها إلى أي دينٍ نتسب، وحتى لا نسهم في ترويج قضية الإلحاد، لأن الإلحاد المتحرر ينادي بأن الأديان كلها متشابهة، وهو يعني بذلك أن الأديان كلها باطلة)^(٢) ولا نعلم أن أحداً من الأزهر أو جامعته تعقب

(١) المرجع السابق. (١٤، ١٥)، وانظر في بيان خروج النصرانية عن ملة إبراهيم المبحث الثاني من التمهيد.

(٢) المرجع السابق. (٢٠).

الكاردينال في دعوى التوحيد، أو دعاه إلى الكلمة السواء، بل قد طبعت جامعة الأزهر المحاضرة بكاملها.

وقد أثبت الكاردينال كوينج تعليقاً عن دائرة المعارف الفلسفية ٣/ ٤٩٢ في حاشية ص(١٥)، عن قضية التوحيد ننقله لأهميته: (لقد أخذت المسيحية عقيدة الإله العظيم، ولكنها أضافت إلى ذلك عقيدة الإله الابن، الذي تجسد في المسيح، الإله الإنسان، كما أضافت المسيحية كذلك عقيدة الأفلاطونية الحديثة من الإيمان بروح العالم «روح القدس»، ولهذا لا تعتبر إن أردنا الدقة دين توحيد)^(١).

وقد قيل: «من فمك أدينك». فالحمد لله الذي أنطق كل شيء.

مؤتمر: «الكنيسة والمسلمون في أوروبا»:

انعقد هذا المؤتمر النصراني في مدينة فيينا بضاحية «مودلنغ» - فيينا - في الفترة: ١٩ - ٢١ نوفمبر عام ١٩٧٦م، بإشراف الأمانة الفاتيكانية للعلاقة بغير المسيحيين، وشارك فيه تسعة عشر نصرانياً لبحث وضع المسلمين في أوروبا، ثم دعي في اليوم الأخير ستة من المسلمين بصفة مرجعية^(٢). وطلب من الدكتور إسماعيل بالك، المسلم النمساوي، من أصل بوسني، أن يحضر ورقة حول السؤال: «ماذا يتوقع المسلمون في أوروبا من الكنيسة؟»^(٣).

(معهد القديس جبريل اللاهوتي):

هو معهد تنصيري تأسس في القرن التاسع عشر، وتخصص في أعمال التنصير في أقاصي آسيا، مثل الصين واليابان، واتجه منذ منتصف السبعينيات الميلادية إلى تنظيم مؤتمرات حوارية مع المسلمين، والبوذيين، والهندوس.

(١) انظر: حاشية رقم (٢٩) (١٥) من المرجع السابق.

(٢) انظر: Dialogue Between Christians and Muslims P.30-31.

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. p.39.

ومن أبرز أعماله في هذا المضمار:

(مؤتمر إله المسيحية والإسلام):

انعقد هذا المؤتمر في مدينة فيينا - عاصمة النمسا - في ضاحية مودلنغ، في الفترة: ١٢ - ١٦ جمادى الثانية عام ١٣٩٧هـ، الموافق ٣١ مايو - ٤ يونيو عام ١٩٧٧م. وقد شارك في أعماله اثنان من المسلمين، وخمسة من النصارى، بحضور جمع غفير يبلغ مائة وثمانين شخصاً. وقد طرحت الموضوعات التالية:

□ تاريخ المواجهة بين النصرانية والإسلام.

□ الإله في العهد القديم.

□ الإله كما ظهر بواسطة عيسى. (تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً).

□ «الإله» في الإسلام.

□ «الإله» كواحد، و«الإله» كثالوث. «تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً».

□ الإسلام بوصفه دين خضوع لإرادة الله.

□ تكوين الإنسان مهيناً لصلة حميمة بالإله^(١).

مؤتمر: «الإنسان كمصغ إلى كلام الله، في نظر المسيحية والإسلام»:

انعقد هذا المؤتمر في مودلنغ قرب فيينا، في معهد القديس جبريل اللاهوتي، في الفترة: ١٧ - ٢٠ أبريل عام ١٩٩٠م. ويعد هذا المؤتمر، السادس في سلسلة المؤتمرات اللاهوتية، التي يعقدها المعهد مع أطراف عدة، كما أنه الثاني في سلسلة اللقاءات الإسلامية النصرانية.

أما مدلول هذا العنوان فيشرحه مدير المعهد والمؤتمر د. أندرياس بشته، وعميد كلية اللاهوت الكاثوليكي بجامعة مونستر «ألمانيا»، البرفسور: عادل تيودور خوري، في مقدمتهما لكتاب «الإصغاء إلى كلام الله»، يقولهما: (هو موضوع من شأنه على ما يبدو، إن أحسنا فهمه، أن يكشف الاتفاق العميق بين المسيحية والإسلام، وفي الوقت نفسه الفرق بين التراثين الدينيين، فإن الإصغاء المؤمن إلى حقيقة يفهمها ويكرمها المسيحيون والمسلمون، ولو بنوع مختلف، ككلمة يوجهها الله إليهم، يركز عليه الكيان المسيحي والمسلم على حد سواء، وبه يصبح المسلم مسلماً، والمسيحي مسيحياً)^(١).

وقد افتتح المؤتمر وزير العلوم والأبحاث في الحكومة النمساوية الدكتور: إرهارد بوزك، وأشار إلى أنه (يعيش في النمسا عدة عشرات آلاف من المسلمين الذين لا تنهياً لهم إلا نادراً فرصة التعبير عن حياتهم الدينية، بصلواتهم وأعيادهم الدينية وممارساتهم الدينية... إني أعتقد أنه من المهم في حوار الأديان إثبات الأمور الأولية المتفق عليها، دون أن نعتبرها واقعاً بديهيّاً، بل هدية النعمة، وكما أنه ليس من المجدي في الحوار مع اليهود أن نستهل الحديث بطرح السؤال عن مجيء المسيح، كذلك ليس من المجدي أن نبحث بادئ الأمر مع المسلمين في قضية الثلاث الأقدس. من المؤسف أننا على علم بمواضع الاختلاف في ما بيننا أكثر من علمنا بمواطن الاتفاق... فهلمّ بنا إذاً يهوداً ومسلمين ومسيحيين نثبت ونعي وعياً عميقاً، أن هذه الأديان العالمية الثلاثة الكبيرة تنتمي إلى أب مشترك، إلى إبراهيم، أبي الإيمان)^(٢).

(١) «الإصغاء إلى كلام الله» (٥). من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم (٥).

(٢) المرجع السابق: (١٥ : ١٦).

وقد أُلقيت في المؤتمر المحاضرات التالية:

□ المسيحيون والمسلمون ماثلون معاً أمام كلام الله. لعادل تيودور خوري.

□ الإنسان في القرآن الكريم بوصفه مستمعاً إلى كلام الله. لمحمود حمدي زقزوق.

□ الإصغاء إلى كلمته. الكلمة القرية كقدرة منشئة للحياة بحسب العهد الجديد. ليورغن رولوف.

□ الكلمة الإلهية والمؤلهة. لجسبرت غرسهاك.

□ الإصغاء إلى كلمة الله. القرآن الكريم في تاريخ التقليد الإسلامي. لمحمد طالبي.

□ الكلمة والطريق. بحث الإنسان عن الله في التصوف الإسلامي. لمحمود أيوب.

□ التبادل الصوفي. التبادل العجيب بين الإنسان والله في الكلمة الإلهية. ليوسف سودبراك.

ويتضح من هذه المحاضرات النزعة الفلسفية والصوفية، وانسياق المتحدثين المسلمين خلف النسق اللاهوتي النصراني، في تناول مسائل الاعتقاد^(١).

وإلى جانب هذه المحاضرات جرت «ساعة صلاة»! مشتركة - حسب تعبيرهم - قدم لها أندرياس بشته مدير المعهد، والمؤتمر، بقوله: (إن وقوفنا معاً أمام الله، هو في الأعماق، موهبة منحت لكل واحد منا في شخصيته الفريدة وكرامة حياته. ولذلك هو يحدونا أن نقيم هذه

(١) انظر: النصوص الكاملة للمحاضرات مترجمة إلى العربية في «الإصغاء إلى كلمة الله».

المشاركة الروحية في اختلاف مذاهبنا، ونعبر عنها بواسطة الصلاة... .
فسنستمع في الجزء الأول من ساعة الصلاة المسيحية الإسلامية هذه إلى
تلاوة تفسير من القرآن والكتاب المقدس، ثم نوجه كل منا بلغة إيمانه
الخاصة، وقلبه المؤمن، كمسلمين ومسيحيين، نوجه صلاتنا إلى الله^(١).

مؤتمر: «سلام للبشر: المؤتمر الدولي الأول المسيحي الإسلامي»:
عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني الدولي في «فيينا»، في
الفترة: ٣٠ مارس - ٢ أبريل عام ١٩٩٣م، بمبادرة وسعي من وزير
الخارجية النمساوي، د. ألويس موك، وتنظيم وتنفيذ من معهد القديس
جبريل للاهوت الأديان، الذي ترأس مديره د. أندرياس بشته المؤتمر،
مما أضفى طبيعة دينية - سياسية على أعماله وأهدافه.

وقد شارك فيه ستة وأربعون مشاركاً من الجانبين، من شخصيات
دينية وسياسية وعلمية، حاول منظمو المؤتمر أن يمثلوا من خلالهم
مختلف التوجهات والطوائف في الإسلام والنصرانية. ومن أبرزهم:

■ الدكتور: عصمت عبد المجيد. الأمين العام لجامعة الدول
العربية.

■ الدكتور: السيد محمد خاتمي، مستشار الرئيس الإيراني - ذلك
الوقت.

■ السيد: منور سجدزلي، وزير أندونيسيا السابق للشؤون الدينية.

■ الشيخ: أحمد كفتارو، مفتي سوريا.

■ الكاردينال: فرانسيس كوينج رئيس أساقفة النمسا - سابقاً -.

■ المطران: هنري تيسيه، رئيس أساقفة الجزائر.

■ المطران: جورج خضر، مطران جبل لبنان للروم الأرثوذكس.

(١) المرجع السابق. (١٨٥ - ١٨٦).

كما تلقت رسائل من بعض الشخصيات من الجانبين وهم:

١ - الأمير الحسن بن طلال، ولي عهد الأردن - سابقاً - .

٢ - الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر.

٣ - الكاردينال: فرنسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان.

مما يكشف عن حجم المؤتمر على الصعيدين الديني والسياسي .
وقد قدمت فيه ستة بحوث على مدى ثلاثة أيام، تعقبها مناقشات عامة. وهي:

□ السلام في التصور الإسلامي. مفهوم السلام في العالم وضرورته. د. محمود زقزوق.

□ جذور السلام في الكتاب المقدس والتقليد المسيحي. غوتفريد فانوني.

□ السلام وحقوق الإنسان في منظار الكنائس. غيرهارد لوف.

□ أسس الحرية اللاهوتية والفقهية، استقلال الإنسان وسيادته في نظر الإسلام، كقاعدة للسلام العالمي المرغوب فيه جدياً، محمد مجتهد شِستري.

□ التعددية الدينية والاجتماعية السياسية، نظرة إسلامية في إطار التجربة الأندونيسية، نور كلش مجيد.

□ التعددية الاجتماعية السياسية، والتضامن العالمي من منظور التحرر. ك.س. إبراهيم. وقد صدر عن المؤتمر - بعد مداوولات وتعديلات - بيان ختامي عرف بـ«تصريح فيينا»، تضمن نداءات دينية للمسلمين والنصارى هي:

(١) - إنا نهيب بجميع المسيحيين والمسلمين، بصدد تركيز السلام

وتوطيده أن يتغلبوا أخيراً على تاريخ علاقاتهم المرهق، وأن يجدوا سبيلاً إلى تفاهم متبادل أفضل، وإلى تنحية الأحكام المسبقة، وإلى النظر إلى معتقدات الآخرين الدينية بعين الاحترام والتقدير^(١).

٢ - إنا نهيب بجميع المسيحيين والمسلمين أن يجهدوا بعضهم مع بعض، ومع جميع الناس، في إقامة عالم إنساني، عالم يستطيع فيه جميع الناس، أن يحيوا بعضهم مع بعض بالكرامة والعدل والتسامح المتبادل والسلام، وتوزع فيه خيرات أرضنا توزيعاً عادلاً، وتُحل فيه التوترات والخلافات بروح الحوار، وبالرسائل التي يملئها الاستعداد والعزم على إحلال السلام.

٣ - إنا نهيب بجميع المسيحيين والمسلمين في العالم كله أن ينبذوا الحرب وأن يعطوا هم أنفسهم مثلاً للسلام.

٤ - إنا نهيب بجميع المسلمين والمسيحيين أن يجابهوا كل محاولة ترمي إلى استخدام الدين لتبرير مقاصد سياسية).

كما تضمن تصريح فيينا نداءاتٍ إلى السياسيين في العالم تطالبهم بما يلي:

(١) - أن يحترموا ويحموا كرامة الإنسان التي لا يمكن التخلي عنها.

٢ - أن يعترفوا بالحقوق الأساسية الخاصة بكل إنسان ويضمنوها بقوة القانون.

٣ - إن التحامل على الأقليات، واضطهاد الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، وتذليل المحتاجين، التي تحدث في كثير من

(١) إن هذه النداءات تعني تنحية أحكام الكتاب والسنة في شأن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين واحترام وتقدير العقائد الشريكة من التثليث والتجسد والبنوة، وسائر العقائد الوثنية.

الأماكن، تشكل شكوى صارخة ضدنا. فنحن نطالب المسؤولين السياسيين بأن ينحوا هذا الظلم، ويقيموا العدل على الصعيد الوطني، وفي العلاقات الدولية.

٤ - في النزاعات الحربية الحاضرة تتجلى عدم قدرة الهيئات السياسية على تأمين السلام بنوع فعال. فنحن نناشد المسؤولين السياسيين أن يخلقوا أو يدعموا مرافق دولية قادرة على وضع حد للعدوان وعلى تأمين السلام.

٥ - أن يوجهوا نشاطهم إلى إنشاء التضامن العالمي وتوطيده، وإلى حماية البيئة الحياتية المشتركة بين جميع البشر^(١).

لقد أطلقت هذه النداءات عام ١٩٩٣م باسم «سلام للبشر»! وعلى بُعد بضع مئات الكيلومترات جنوب قاعة المؤتمر تجري مذابح مروعة لمسلمي البوسنة والهرسك، في قلب أوروبا التي يتشدد ساستها، ويهمهم كرادلتها بعبارات السلام وحقوق الإنسان. لا، بل إن أحد المشاركين في المؤتمر من المسلمين الأوروبيين، وهو البرفسور عبد الجواد فلاتوري - مسلم ألماني - امتنع عن التصويت على البيان لرفض رئيس المؤتمر توجيه نداء للإعلاميين بالكف عن تشويه الإسلام في وسائل الإعلام الغربية.

مؤتمر: «عالم واحد للجميع». أسس التعددية الاجتماعية والسياسية والثقافية في نظر المسيحية والإسلام. المؤتمر الدولي الثاني المسيحي الإسلامي:

عقد هذا المؤتمر في العاصمة النمساوية «فيينا»، في ضاحية «مودلنغ»، في الفترة: ٧ - ١٠ محرم عام ١٤١٨هـ، الموافق ١٣ - ١٦

(١) انظر: النص الكامل للبيان، والمحاضرات والمناقشات مجموعة في كتاب: سلام للبشر: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون. رقم (٣). أندرياس بشته، عادل تيودور خوري. وآخرون. مركز الأبحاث في الحوار الإسلامي، المكتبة البولسية، جونية - لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

مايو عام ١٩٩٧م، بمبادرة من وزارة الخارجية الاتحادية النمساوية، وتنظيم وإشراف من معهد القديس جبريل اللاهوتي. وجرت مراسم الافتتاح وسط حشد من المدعوين بلغ ثلاثمائة شخصية من رجالات الثقافة، وسفراء الدول الإسلامية والأوربية، بالإضافة إلى:

■ وزير خارجية النمسا، نائب المستشار، د. فولفجانج شيل.

■ رئيس الجمهورية الأسبق، كورت فالدهايم.

■ وزيرة خارجية السويد، لينا هيلام والين.

■ وزير الأوقاف المصري، د. محمود زقزوق.

■ أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان، مايكل فيتزجيرالد.

■ رئيس أساقفة النمسا سابقاً، الكاردينال كوينج.

كما تلقت فيه رسائل وجهت إلى المؤتمر من العاهل المغربي، الملك الحسن الثاني، وسيد محمد خامنئي شقيق المرشد الإيراني، الذي كان مقرراً حضوره^(١).

أما المشاركون في أعمال المؤتمر ف(قد لوحظ أن الحضور من الجانب الإسلامي اقتصر على عددٍ من المفكرين المعروفين بأفكارهم الليبرالية، في حين ضم الجانب المسيحي رجال دين ناشطين في مجال التبشير والتنصير)^(٢). ومن هؤلاء ممن سبق عرض بعض أفكارهم:

□ د. محمد الطالبي، الأستاذ في كلية العلوم الإنسانية بتونس.

□ د. رضوان السيد، الأستاذ بالجامعة اللبنانية، ورئيس تحرير

مشارك في مجلة الاجتهاد.

□ د. علي مراد، من جامعة السربون في باريس.

(١) عن تقرير من المركز الإسلامي في فيينا التابع لرابطة العالم الإسلامي.

(٢) عن تقرير من وزارة التعليم العالي - المملكة العربية السعودية.

□ المطران جورج خضر، رئيس أساقفة الروم الأرثوذكس لجبل لبنان.

□ د. عادل تيودور خوري، الأستاذ بجامعة مونيستير بألمانيا. وآخرون...

وحضرت المؤتمر من إسرائيل د. كلاودي جيفري، مديرة المدرسة المسيحية الفرنسية في القدس. وبالجمله فقد كان المؤتمر حدثاً بارزاً من حيث نوعية المشاركين ودرجة الاهتمام. وقد صدر عن المعهد «وثيقة إعدادية» بأربع لغات، منها العربية، تضمنت تلخيصاً لبواعث عقد المؤتمر، وجدول أعماله على مدى ثلاثة أيام، وغايته. نقتطف منها الفقرات التالية:

(١) - في موجة الشمولية المجتاحة التي تزداد اندفاعاً، يواجه عالماً تعددية اجتماعية وثقافية تشكل على الصعيد الوطني والدولي بنوع متزايد، إحدى كبريات التحديات السياسية^(١).

٢ - إن التوترات الاجتماعية والسياسية التي تنجم عن ذلك في الدول المفردة، وعلى الصعيد الدولي، كونت أحد المواضيع المركزية التي دار البحث حولها في المؤتمر الدولي المسيحي الإسلامي «سلام للبشرية»، الذي عقد في فيينا سنة ١٩٩٣م، وسوف تشكل الآن الموضوع الأساسي لهذا المؤتمر اللاحق.

٣ - إن هناك اختلافات كثيرة بين المواقف الخاصة في الحقل الديني والثقافي والاجتماعي، وفي الحقل الاقتصادي والتقني والسياسي. ولكن هل تقود هذه الاحتمالات حتماً عاجلاً أم آجلاً إلى الخصومة والنزاع؟ أم تكمن في الخلافات قوة خلاقة بوسعها أن تحول

(١) هكذا في النص العربي للوثيقة الصادرة عن المعهد، وفي العبارة خفاء، وبالمقارنة بالنص الإنجليزي فالمقصود أن موجة الشمولية «العولمة» تهدد التعددية الاجتماعية الثقافية.

ميل المواقف المختلفة إلى التحدي والكفاح، إلى نوع جديد من استباق الخيرات «راجع قرآن ٥»، قوة تستطيع أن تضرب السيوف سككاً، والأسنة مناجل «راجع أشعيا ٢»^(١)؟

٤ - إن الأمة الإسلامية والجماعة المسيحية تعيان وعياً يزدادا وضوحاً مسؤوليتها الدينية، وواجبهما في القيام بجهد مشترك، وفي العمل معاً في جميع ميادين المجتمع البشري، وهما تريدان في إطار المؤتمر الحواري في فيينا، وعلى أساس قواهما المتشعبة في العالم الاشتراك في البحث عن طرق جديدة تمكن العالم في تيار توثق وحدته من أن يتجنب خطر الانقلاب إلى ميدان نزاع على الصعيد الإقليمي أو الشامل، ومن أن يضحى بالعكس، وطناً للجميع...

٨ - إن غاية المؤتمر الحواري هذا، هي تجميع عناصر جديدة تبدو في نظر المسلمين والمسيحيين ضرورة لبناء نظام سياسي جديد، من شأنه أن يكفي البشرية حاجاتها في طريقها نحو المستقبل، وذلك لكي يصير عالم الغد عالماً للجميع^(٢).

لقد توالى دعوات المتحدثين في المؤتمر لمشروع «العالم الواحد» في حفل الافتتاح:

• وزير خارجية النمسا د. فولفجانج شيل: (إن هذا المؤتمر سيؤدي بما يقوم به إلى تحقيق عالم واحد). وضرب المثل بصلاح الدين الأيوبي للمخلق الطيب والتصرف الحكيم.

(١) يريد البيان بقوله: راجع قرآن ٥: ما ورد في السورة الخامسة حسب ترتيب المصحف، سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿فَأَسْلِفْنَا الْوَعْدَ﴾ آية (٤٨). ويقول راجع أشعيا ٢ ما جاء في سفر أشعيا من العهد القديم: (ويقضي للشعوب الكثرة. فيضربون سيوفهم سككاً، ورماحهم مناجل. فلا ترفع أمة على أمة سيفاً) (٤/٢) (١٥٣٢).

(٢) الوثيقة الإعدادية لمؤتمر: عالم واحد للجميع.

• رئيس المؤتمر، ورئيس معهد القديس جبريل القس: د. أندرياس بشته: (... سنسهم في بناء عالم موحد، ونوجد وننمي روح التسامح). ودعا في كلمته، في ختام أعمال المؤتمر إلى (الوصول إلى إنسان عالمي) على حد تعبيره.

وقد ناقش المؤتمر في يومهم الأول موضوع: (الحقيقة الدينية المطلقة، والتعددية الدينية)، وفي اليوم الثاني موضوع: (النظم القانونية المتوجبة، ووسائل فرض احترامها لتحقيق نظام اجتماعي متعدد)، وفي اليوم الثالث موضوع (الثقافة العالمية الواحدة) أو ما اصطلح على تسميته «العولمة الثقافية». وفي كل يوم يتقاسم الحديث متحدثان من الجانب الإسلامي والنصراني.

لقد كان الجانب النصراني في كلماته في المؤتمر يركز الحديث على قضية احترام «التعددية» بصورها المختلفة، وضمان الحريات، إلى درجة الكلام باسم الإسلام نفسه، كما في الكلمة التي ألقاها مايكل فيتزجيرالد، أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان، نيابة عن رئيسه، الكاردينال آرينزي حيث قال: (إن الإسلام يقبل بالتعددية، كما أنه لا يجبر اليهود والمسيحيين على أن يدينوا بالإسلام. وأكد أن التعددية اليوم فرصة لنظام جديد متسع. إن الإسلام لا يؤيد الثقافة الواحدة، ويؤيد الحوار المثمر بين الديانات والثقافات... إنني أستطيع أن أقتبس الكثير من القرآن، وأن أقول إنه يحتوي على أساسيات التعددية الاجتماعية والدينية... كما أن التعددية الدينية تؤكد المساواة بين البشرية)^(١).

وغير خافٍ ما في هذا الكلام من مغالطة. فمصطلح «التعددية» بمفهومه الذي يدعو إليه المؤتمر ليس بمعنى إقرار الإسلام لأهل

(١) من تقرير المركز الإسلامي في فيينا التابع لرابطة العالم الإسلامي. (١٠).

الكتاب على دينهم، إذ الإقرار لا يعني القبول، فضلاً عن الزعم الكاذب بأن الإسلام لا يؤيد الثقافة الواحدة، أو إطلاق القول بالمساواة بين البشرية.

ثم أردف فيتزجيرالد قائلاً: (لقد حدثت حروبٌ في أفريقيا وغيرها، وكانت هناك ضغوط قوية، فدعونا نقول إنه يمكن عمل الكثير، والذي يتمثل في التعددية والاعتراف بها، وحقوق الإنسان والمعاملة العادلة حتى نعد ونهيئ طريقاً للسلام، إن الأساس بين المسلمين والمسيحيين هو الإيمان بالله، وكرامة الإنسان. ونحن ننتسب جميعاً إلى الله، وفقاً لضمائرنا كأفراد وجماعات، لنحترم حق الحرية الدينية، لنتمكن من التعاون).

لقد مثل أمين المجمع البابوي للحوار بين الأديان بالحروب الطويلة في أفريقيا، في إشارة إلى مشكلة النصارى في جنوب السودان، وتناسى الجريمة البشعة، والمجزرة الرهيبة التي ارتكبتها النصارى على مرمى حجرٍ منه في حق الأكثرية - لا الأقلية - المسلمة في البوسنة والهرسك، الذين لم تجف دماؤهم بعد، ولم تضمّد جراحاتهم، في قلب أوروبا المتمدنة، وليس في أدغال أفريقيا المتخلفة! فضلاً عن مآسي المسلمين في الفلبين وأرتريا ولبنان وغيرها.

كيف يسوغ لهؤلاء الحديث عن التعددية الاجتماعية، والحرية الدينية، وحقوق الأقليات، وقد سيق مسلمو البلقان قرابين على مذبح التعصب النصراني المقيت؟

إن الهدف من ذلك هو المقايضة، بتحسين أوضاع النصارى، ومنحهم مزيداً من الحريات في البلاد الإسلامية، كما أفصححت عن ذلك وزيرة خارجية السويد، في كلمتها في حفل الافتتاح، حيث قالت: (إننا حين نرحب بالمسلمين في أوروبا، فإننا نريد أن نؤكد على الحاجة

لحماية وحقوق الأقليات، مسيحيين أو سواهم، لتكون موضع احترام في البلدان الإسلامية، نفس المبادئ التي تنطبق على الأقليات الإسلامية في أوروبا، تكون للأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية^(١).

وثم جانب آخر، ظل يطرق عليه الجانب النصراني، وهو علاقة الدين بالسياسة، حيث تتباين الرؤية بين المفهوم الكنسي الذي يزعم أنه لا يتدخل في شؤون السياسة، والمفهوم الإسلامي الذي يرى الدنيا بكافة مجالاتها ظرفاً للدين، وتعبداً لله رب العالمين.

● فقد عرّض الكاردينال كوينج، رئيس أساقفة النمسا السابق بهذه القضية في أكثر من موضع في كلمته حيث قال: (إننا في أوروبا نفهم أن أي استخدام للدين فيما فيه إكراه للغير، سيثير الفتنة في عالم أصبح كالقرية الواحدة... إن سوء استعمال الدين من أجل السياسة سوف يؤدي إلى مناقشة سلبية، بل إلى المنازعات الحربية)^(٢) كما لوحث بذلك وزيرة خارجية السويد حين قالت: (إن الدين يمكن أن يساء استخدامه، فيصبح قوة شديدة الضرر في السياسات وفي إشعال الصراعات)^(٣).

والناظر في مناطق التوتر العالمية بين المسلمين والنصارى يجد بشكل واضح أن الدعم والتأييد القادم من الغرب النصراني للفتات النصرانية ضد المسلمين يناقض هذا الكلام الذي يرددونه في المحافل الرسمية، ويدعون المسلمين إليه.

وقبل أن نخلف معهد القديس جبريل للاهوت الأديان وراءنا

(١) عن النص الإنجليزي للكلمة. (٣).

(٢) عن تقرير المركز الإسلامي في فيينا. (١٢).

(٣) عن النص الإنجليزي للكلمة. (٢).

ظهيراً، نسجل هذه الملاحظة البارزة التي ظهرت في مبادراته الأخيرة في عقد التسعينيات، وهي اقتران الخطاب السياسي بالديني، والحضور الحكومي الرسمي في محافل ذات صفة دينية، حضوراً واعياً مشاركاً، لا مجرد تشريفات، مما يعكس تنامي الشعور الأوربي بالإسلام على كافة الأصعدة.

٦ - ألمانيا:

يقطن ألمانيا جالية إسلامية كبيرة تبلغ أربعة ملايين مسلم، معظمها من الأتراك، وحسب إحصائية رسمية في عام ١٩٩٢م، فإن عدد المساجد في ألمانيا بلغ ستمائة مسجد^(١)، ولا شك أن العدد قد ازداد خلال السنوات اللاحقة. ويوجد في ألمانيا، شرقيها، وغربيها، مؤسسات معنية بالتقريب بين الأديان على المستويين المحلي والعالمي. ومن أبرزها:

(مؤسسة أديناور^(٢)): Konrad Adenauer Foundation :

وقد عقدت المؤسسة بضعة لقاءات ثنائية؛ إسلامية - نصرانية، يهودية - نصرانية، وأخرى ثلاثية الأطراف: إسلامية - يهودية - نصرانية في عدة مواقع في العالم منذ مطلع الثمانينيات الميلادية أهمها:

(١) انظر: مجلة ٣٠ يوماً. عدد ٢ لعام ١٩٩٦م (٣١)، وتبلغ الآن أكثر من ألف مسجد ومصلًى، كما في كتاب: المسلمون في ألمانيا أصولاً وهجرات: مصطفى دسوقي كسبه. مجمع البحوث الإسلامية - مجلة الأزهر. طبعة جمادى الآخرة عام (١٤١٨هـ) القاهرة. (٤١).

(٢) (نسبة إلى السياسي الألماني «كونراد أديناور» ١٨٧٦ - ١٩٦٧م) الذي نهض ببلاده من سقطتها إثر الحربين العالميتين، وأسس الحزب الديمقراطي المسيحي، ورأس حكومة ألمانيا الاتحادية «ألمانيا الغربية» للفترة (١٩٤٩ - ١٩٦٣م) انظر: المنجد في الأعلام. (٣٠).

مؤتمر: «دور الإيمان في الثقافة والحقوق السياسية»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «بون» في الفترة: ١٧ - ٢٠ جمادى الأولى عام ١٤٠١هـ، الموافق ٢٣ - ٢٦ مارس عام ١٩٨١م، بمشاركة ثلاثين مسلماً ونصرانياً. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(١).

مؤتمر: «الإنماء والتعاون بين الشعوب»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في مدينة «ياوندي» عاصمة الكمرون، في الفترة ٨ - ١١ ربيع الآخر عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٢١ - ٢٤ فبراير عام ١٩٨٣م. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٢).

مؤتمر: «التربية والقيم»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في مدينة «المحمدية» في المغرب، في الفترة: ١٧ - ٢١ شعبان ١٤٠٥هـ، الموافق ٨ - ١٢ مايو عام ١٩٨٥م، وشارك فيه وفودٌ من خمسة وأربعين بلداً، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

مؤتمر: «الروحانية من متطلبات عصرنا»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة تونس في الجمهورية التونسية، في الفترة: ١١ - ١٦ شعبان عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢١ - ٢٦ أبريل عام ١٩٨٦م، بمبادرة مشتركة من مؤسسة أديناور، والمركز التونسي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية «CERES»، وشارك فيه عددٌ يتراوح ما بين الأربعين والثمانين من المسلمين والنصارى. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٤).

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٠٩).

(٢) انظر: المصدر السابق. تسلسل (١٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق. تسلسل (١٥١).

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٦٦).

وقد بحث المشاركون في اكتشاف الالتزامات المبطنة في الأسس والتطبيقات الدينية، للتكيف مع متطلبات وحاجات الحياة العصرية^(١).

مؤتمر: «سَلَمَنكا Salamanca للحوار الثلاثي»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «سلمنقة» الواقعة غرب أسبانيا، عام ١٩٨٦م وهو أول حوار تعقده المؤسسة بين المسلمين والنصارى واليهود^(٢).

مؤتمر: «فهم الآخر»:

عقد هذا المؤتمر الثلاثي أيضاً في سان أوغسطين قرب «بون» - ألمانيا - وجمع مسلمين ونصارى مقدسيين من فلسطين، مع يهود إسرائيليين في جو ودي، خلال الفترة: ١٢ - ١٦ شوال عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٩ مايو - ٢ يونيو عام ١٩٨٨م، برعاية مشتركة من المجلس المسيحي اليهودي العالمي، ومؤسسة أديناور، وحضره ثلاثة وأربعون مشاركاً؛ أربعة عشر مسلماً، وتسعة عشر نصرانياً، وعشرة يهود^(٣)، وقد أمضي الوقت في فحص الآراء المسبقة لدى الأطراف الثلاثة، وتوضيح نصوص الكتب المقدسة لديهم^(٤).

مؤتمر: «نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً، والاستماع من بعضهم بعضاً»:

انعقد هذا المؤتمر المحلي الكبير في مدينة «فيتان - آنابا/رور» في ألمانيا الاتحادية «الغربية» - حينذاك - في الفترة: ١٠ - ١٣ مايو عام ١٩٨٤م، ضمن فعاليات «أسبوع النصارى والمسلمين»، برعاية رئيس

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.78

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.104

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (٢٠٣).

(٤) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.104

حكومة ولاية رينانيا الشمالية وستفاليا، يوهانس راو، المتضمن إلى جانب المؤتمر معرضاً للفن الإسلامي.

وقد حضره جمع غفير من الألمان والمسلمين المقيمين هناك، ومعظمهم من الأتراك.

نظم المؤتمر إلى جانب السلطات الألمانية المحلية، مؤتمر العالم الإسلامي - كراتشي، القسم الألماني في المؤتمر، وتضمنت محاضراته الموضوعات التالية:

■ تاريخ الإسلام في ألمانيا، حتى ١٩٣٤م.

■ محمد هو نبيّ، العقيدة الإسلامية بيننا.

■ نوح وقوس قزح.

■ ندوة: العيش مع بعضنا - السماع من بعضنا. تضمنت الحديث عن الاندماج في المجتمع الألماني، والاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي من قبل الحكومة الألمانية، بالتعاون مع الكنيسة، وإيجاد الإخاء والوثام، والتقيّد بالنظام.

وقد تضمن المؤتمر زيارة الكنيسة والمسجد في مدينة فيتان في مسيرة كبيرة يقودها بعض القسس والأئمة المحليين^(١).

مؤتمر: «الإرساليات المسيحية لدى المسلمين»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «برلين» في الفترة: ٨ - ١١ ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢١ - ٢٣ نوفمبر عام ١٩٨٥م، بمبادرة

(١) انظر: صرخة حق من ألمانيا: سامي عادل طبارة أوسنابروك - ألمانيا D4500 Osnabruck جمهورية ألمانيا الاتحادية. من محفوظات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية رقم (٢١٠٢٢).

مشتركة من مؤتمر العالم الإسلامي - كراتشي - وجمعية أصدقاء الإسلام في برلين. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(١).

وترتبط «جمعية أصدقاء الإسلام» بالجمعية النصرانية الإسلامية، وتصدر نشرة بعنوان «الله أكبر» كل شهرين، يتم طبعها بالمطبعة الكاثوليكية ببلدة زوست^(٢).

مؤتمر: «مسلمون ومسيحيون معاً في العمل وفي الفراغ وفي الاستراحة»: عقد هذا المؤتمر في مدينة «مارل» في ألمانيا الاتحادية «الغربية» حينذاك، في الفترة: ١٠ - ١٤ صفر عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٥ - ١٩ أكتوبر عام ١٩٨٦م. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

مؤتمر: «تحديات الحوار»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «بندرف» في الفترة: ٦ - ١٣ شعبان ١٤٠٩هـ، الموافق: ١٣ - ٢٠ مارس عام ١٩٨٩م، وضم ممثلين عن المسلمين والنصارى واليهود^(٤).

مؤتمر: «المسيحيون والمسلمون مسؤوليتهم تجاه العالم»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «فرانكفورت»، في الفترة: ٢٥ - ٢٦ رجب عام ١٤١٢هـ، الموافق ٣٠ - ٣١ يناير عام ١٩٩٢م، وحضره ثمانون مشاركاً من الجانبين ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٥).

(١) اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٥٩).

(٢) انظر: صرخة حي من ألمانيا، سامي طيارة.

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٧٥).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (٢١٢).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (٢٤٢).

مؤتمر: «الأديان تدعو إلى أوروبا بلا عنصرية»:

هو شعار الملتقى الثامن لمؤتمر «عبر الثقافات»، المنعقد في مدينة فرانكفورت في الفترة ١٨ - ٢٠ أغسطس عام ١٩٩٧م، بحضور ممثلين عن المسلمين، والنصارى بشقيهما الكاثوليكي والبروتستانتي، واليهود. وانصب الحديث على خطر تصاعد النزعة العنصرية، والتطرف الديني في أوروبا، حيث يجري في ألمانيا سلسلة جرائم ضد المهاجرين المسلمين من قبل «النازيين الجدد»، وأحياناً إحراق كنائس ومنازل ومساجد.

ومما قيل في المؤتمر المذكور:

■ (قال يورجن ميكش، ممثل الكنيسة البروتستانتية: (إن على الأديان أن تقف موحدة في مواجهة العنصرية، وأن لا ترتكب ذات الخطأ الذي ارتكبه السياسة في موقفها المشتت... إن على المعمورة المسيحية أن تتسع وتتحول إلى معمورة عبر الأديان... إن البعض صار يعيث بالقناعات الدينية كي يبرر حروبه ضد الآخرين، وإن هذه الحقيقة القديمة ما زالت تنطبق على واقع اليوم وعلى حروب القرن العشرين أكثر من أي وقت مضى... إن الامتناع عن الحوار بين الثقافات، والجهل بالأديان، يعزز أجواء عدم الثقة بين الديانات المختلفة، ويغذي التعصب الديني.

■ ندّد نديم إلياس، رئيس المجلس الإسلامي المركزي في ألمانيا، بالممارسات العنصرية التي يقع المسلمون ضحية لها في أوروبا. وقال: إن السلطات في مختلف الدول الأوروبية عجزت حتى الآن عن توفير الحماية الكافية للجالية المسلمة، وطالب هذه السلطات باتخاذ إجراءات سليمة لحماية الحقوق الثقافية والدينية للمسلمين، كما طالب إلياس بتقبل «الوسط الإسلامي المعتدل» كطرفٍ حوارٍ كفؤ مع الأديان الأخرى. واعتبر ذلك خطوة مهمة تقطع الطريق على «تحول الشباب

إلى مواقف متطرفة». ودعا إلياس ممثلي الأديان والطوائف إلى زيارة المساجد الإسلامية يومي الثالث والرابع من أكتوبر المقبل، في إطار فعالية تشمل كافة ألمانيا، يقودها المجلس الإسلامي المركزي، تحت شعار «أيام المساجد المفتوحة»...

■ ودعت رئيسة اتحاد الكنائس الألمانية بيربل فارتنبيرج بوتر، الأديان إلى تقوية إيمانها بعملها المشترك، والابتعاد عن دعاوى انفرادها بامتلاك الحقيقة، كمثل يدفع العنصريين أيضاً للانفراد بها، وتحويلها إلى مدخل لهجماتهم^(١).

وقد اتفق المؤتمر على تأسيس رابطة معادية للعنصرية لمواجهة «حملة العداء للأجانب في ألمانيا».

هذا ويلمس الباحث اهتماماً ملحوظاً بالإسلام والحوار مع المسلمين في الأوساط الرسمية والعلمية في ألمانيا في الآونة الأخيرة، سوى مؤتمرات التقارب المشار إليها آنفاً، ومن صور ذلك:

١ - منح اتحاد الناشرين الألمان «جائزة السلام» لعام ١٩٩٥م لعميدة المستشرقين الألمان الأستاذة: أنا ماري شيمل، المعروفة بدفاعها عن الإسلام، ودحضها الشبهات التي أطلقها الأوروبيون النصارى، من مستشرقين ومنصرين على الإسلام^(٢). وقد قلدها الوسام رئيس الجمهورية الألمانية الاتحادية د. رومان هيرتزوغ.

٢ - شكل مستشرقون ألمان حلقة عمل تحت اسم «الحدثة

(١) جريدة الشرق الأوسط. عدد (٦٨٤٠) في ٢٠/٨/١٩٩٧م. ماجد الخطيب. كولون. ألمانيا.

(٢) انظر: حواراً معها في جريدة الحياة. عددي (١٢١٢٩)، (١٢١٣٠) يومي السبت والأحد ٢٣، ٢٤ ذي الحجة عام ١٤١٦هـ الموافق ٢٣، ٢٤ مايو عام ١٩٩٦م. صفحة «تراث» ٢١، ٢٢. حوار: ثابت عيد.

والإسلام»، الهدف منها حسب قول الدكتور فولف ليغنس، عميد كلية العلوم في برلين، إزالة المواقف المسبقة بين الغرب والإسلام، عن طريق ندوات في القطاع التعليمي العالي في برلين، وتقديم منح دكتوراه للراغبين في دراسة الإسلام، وتنظيم أكاديمية صيفية، وقد تأسست هذه الحلقة في يونيو عام ١٩٩٦م، وحظيت بدعم سخي من وزارة البحوث الاتحادية، وولاية برلين، ومؤسسة كورير^(١).

٣ - استقبل رئيس الدولة الألمانية الاتحادية رومان هيرتزوغ، في قصر الرئاسة ببرلين شيخ الأزهر، محمد سيد طنطاوي يوم الاثنين الأول من ذي القعدة عام ١٤١٧هـ، الموافق ١٠ مارس عام ١٩٩٧، كما استقبله وزير الخارجية، كلاوس كينكل يوم الأربعاء بمقر وزارته، وبحثا معه سبل تقوية العلاقات النصرانية الإسلامية، وصدر بيان عن وزارة الخارجية إثر الزيارة، أشارت فيه إلى أن كينكل والشيخ الطنطاوي اعتبرا أن الزيارة بمثابة «إشارة مهمة للمسيحيين والمسلمين في أوروبا الذين عليهم أن ينظروا إلى بعضهم البعض من دون مواقف مسبقة، وأن يمارسوا حواراً مفتوحاً على مختلف الحضارات». وذكر البيان أن أوروبا والعالم الإسلامي يملكان تاريخاً مشتركاً عمره مئات السنين، ومع ذلك فإن الطرفين يعرفان القليل عن بعضهما البعض، ودعا إلى النظر في الإسلام «بشكل متميز، وعدم السماح بتشويهه بسبب أعمال المتطرفين فيه».

وقد دعت الجمعية الألمانية - العربية، ومؤسسة كونراد أديناور في بون إلى حضور حديث للشيخ الطنطاوي ظهر يوم الثلاثاء في قاعة المركز العلمي الكبيرة^(٢).

(١) انظر: جريدة الحياة، عدد (١٢١٦٨)، الأربعاء ٣ صفر عام ١٤١٧هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٩٦م. بون إسكندر الديك.

(٢) انظر: جريدة الحياة، عددي (١٢٤٣٠، ١٢٤٣٢) يومي الثلاثاء والخميس ٢، ٤ ذي القعدة عام ١٤١٧هـ الموافق ١١، ١٣ مارس عام ١٩٩٧م. «شؤون عربية».

وكان وزير الخارجية الألماني، كلاوس كينكل، قد دعا عام ١٩٩٥م إلى عقد مؤتمر حوار حضاري يضم ممثلين دينيين وسياسيين لإنعاش الحوار الإسلامي - النصراني، وأدلى بتصريحات يندد فيها بتشويه الإسلام، ودعا إلى عدم الربط بين الإرهاب والإسلام، وشدد على دور تركيا بوصفها جسر التواصل بين الشرق والغرب. إلا أن البرلمان الألماني لم يجز عقد المؤتمر بسبب المشكلة التي نشأت إذ ذاك بين إيران وألمانيا، والخلاف حول دعوة إيران للمشاركة، فألغى^(١).

٤ - منحت مؤسسة «كارل كوبيل» للطفولة والأسرة في ألمانيا جائزتها السنوية، البالغة مائة ألف مارك ألماني «٥٥٨٠٠٠» دولار، لمسجد «مانهايم» الواقع في الوسط الغربي من ألمانيا، وعلى وجه الخصوص للمعهد الألماني التركي لأبحاث الاندماج التابع للمسجد، لمبادراته في إطار الحوار بين الأديان، من خلال برنامج «المسجد المفتوح»، حيث زاره نحو مائة ألف شخص، بينهم أربعين ألف تلميذ خلال عامين^(٢). (ويتم التلاقي من خلال نقل المعرفة في إطار ندوات ومحاضرات تشرف عليها لجان مشتركة بين المسلمين، وغير المسلمين، فضلاً عن الرحلات والأعياد والدورات التأهيلية المشتركة)^(٣).

٥ - صدر عن دار النشر الألمانية «تاشن بوخ» عام ١٩٩٨م في مدينة فرانكفورت، كتاب بعنوان «الإسلام والغرب. دعوة إلى الحوار»

(١) جريدة عكاظ. عدد (١١٢٣٠). الجمعة ١٠ محرم ١٤١٨هـ ١٦ مايو ١٩٩٧ (٧). عهود مكرم - بون.

(٢) جريدة الشرق الأوسط. الأربعاء ١٩/٣/١٤١٨هـ الموافق ٢٣/٧/١٩٩٧م.

(٣) المسلمون في ألمانيا أصولاً وهجرات: مصطفى دسوقي كسبه. مجمع البحوث الإسلامية - مجلة الأزهر. طبعة جمادى الآخرة عام (١٤١٨هـ) القاهرة (٤٢).

للكاتب الألماني المسلم: كاي حافظ، الخبير في شؤون الإسلام والاستشراق في معهد الشرق الألماني في هامبورج، تضمن التأكيد على الروابط بين الشرق والغرب، ورد نظرية صراع الحضارات، والدفاع عن الإسلام والحركات الإسلامية^(١).

٦ - دعت مجموعة «سيبيدور» في فرانكفورت إلى لقاء مفتوح مع المسلمين في ألمانيا، وتكثيف الحوار معهم بوصفهم ثالث أكبر طائفة دينية بعد البروتستانت والكاثوليك. وفي ذلك اللقاء الذي أجرته «سيبيدور»، دائرة الوثائق المسيحية الإسلامية، في مايو عام ١٩٩٨م طرح الحضور موضوعات غير لاهوتية كمادة للحوار تتعلق بالجوانب الاجتماعية والتعليمية. مثل: المسلمون في المستشفيات، السجون الألمانية، الأطفال المسلمون في المدارس الألمانية، دفن الموتى المسلمين، تعليم الدين الإسلامي في المدارس باللغة الألمانية، كما طبق في ولاية «هيسن» الألمانية لأول مرة، كإرادة سياسية^(٢).

٧ - أعلن رئيس ألمانيا الاتحادية، رومان هيرتزوغ يوم الجمعة الموافق ١٤١٩/٦/٢٦هـ - ١٩٩٨/١٠/١٦م عن تأسيس معهد دولي للحوار الإسلامي النصراني، بمشاركة ثمان دولٍ أوروبية وإسلامية (النرويج، وفنلندا، وأسبانيا، وإيطاليا وماليزيا ومصر والأردن والمغرب)، بهدف إدارة الحوار الإسلامي الأوربي بشكل فعال^(٣).

إن هذا الاهتمام الحكومي والمؤسسي - العلمي والاجتماعي - بقضية التقارب مع المسلمين، والحوار معهم محلياً وعالمياً يندرج في

(١) جريدة الشرق الأوسط عدد (٦٩٩٥) في ٢٤ رمضان عام ١٤١٨هـ الموافق ٢٢ يناير عام ١٩٩٨م.

(٢) انظر: جريدة عكاظ الخميس ١٤١٩/٢/٣ الموافق ١٩٩٨/٥/٢٨م.

(٣) جريدة المسلمون، العدد الأخير (٧١٥) السبت ١٤١٩/٦/٢٧هـ = ١٠/١٧/١٩٩٨م.

عموم القلق الأوروبي العام من الصحة الإسلامية، وتزايد الإقبال على الإسلام من مواطنيها، ورغبة المهاجرين المسلمين، في تحسين أوضاعهم، ونيل حقوقهم الاجتماعية والسياسية التي تكفلها الدساتير الغربية من حيث المبدأ، وأيضاً خوف تلك الحكومات من تصاعد وتيرة التعصب الديني النصراني ضد الأجانب أولاً، ثم - ربما - ضد بعض طوائف النصارى من قبل بعض آخر.

وألمانيا على وجه الخصوص تحتفظ بعلاقات تاريخية مع تركيا العثمانية، وأحلاف عسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى، ويقيم على أراضيها أكثر من مليوني تركي، وقريباً من هذا العدد من جنسيات إسلامية متنوعة، كما ترتفع بينهم نسبة المواليد. وتشير بعض الإحصاءات أن نسبة الطلاب المسلمين في المدارس بلغت عام ١٩٩٨م ٢٥٪ من مجموع الطلاب^(١). ومن هنا تسعى الحكومات الألمانية والمؤسسات العلمية والاجتماعية سعيًا حثيثاً إلى دمج هذه الشريحة المتميزة في المجتمع الألماني، وتفادي شعورها بالعزلة والضميم، الأمر الذي قد يحملها إلى الالتفات إلى الجذور الأصلية.

وقد كشف الدكتور صلاح الدين الجعفرأوي، رئيس المجلس الإسلامي في ألمانيا عن هذه المخاوف فقال: (في لقاءات عديدة مع مسؤولين رسميين أوروبيين أكدوا لي أنهم يتخوفون من دور الدول الإسلامية على الساحة الأوروبية، ويرغبون في قطع خيوط الاتصال بين الأقليات المسلمة في أوروبا وبين الدول العربية والإسلامية)^(٢).

(١) من مقابلة مع د. صلاح الجعفرأوي رئيس المجلس الإسلامي الألماني مع جريدة الشرق الأوسط عدد ٧٣٢٢ في ١٤١٩/٨/٢٦ هـ - ١٤١٩/١٢/١٥ م.

(٢) المرجع السابق.

٧ - الدنمرك:

يعيش في جزر الدنمرك شمال أوروبا جالية إسلامية من المغاربة والفلسطينيين وغيرهم. ومن أشهر الجهات المعنية بشأن الحوار هناك:

١ - (مركز الحوار في أوغوس):

وهو مؤسسة تنصيرية تعنى بالدفاع عن العقائد النصرانية عن طريق الحوار المفتوح. وقد وجد في الأصل نتيجة لنمو ما يسمى بحركات الأديان الجديدة في الدنمرك، ويهدف إلى شرح الإيمان النصراني لذوي المعتقدات الأخرى، وإدانة المخالفين عن طريق المواجهة في الحوار. ويرفض المركز فكرة دمج الأديان، ويقوم بالإجابة على تساؤلات الأفراد معتقداً أن الإيمان النصراني يملك الإجابات الصحيحة.

ويرتبط بالمركز على المستوى العالمي فروع في بومباي، ودلهي، وبانكوك، حيث الهدف الرئيسي للمركز في الحوار مع البوذيين والهندوس. وعلى المستوى الأوربي يعقد المركز عدة ملتقيات في دول البلطيق وروسيا، كما يعقد حلقة دراسية عالمية سنوية في الدنمرك حول حركات الأديان الجديدة، ويشارك في تنظيمات أخرى في حلقات متشابهة في أوروبا. وقد نشأ عن عمل المركز عدة مشاريع، مثل: الحوار البوذي المسيحي «ABCD» في الدنمرك وخارجها^(١). أما الحوار مع الإسلام فقد افتتح المركز مؤخراً فرع «الدين الإسلامي»، ويقوم عليه نائب مدير المركز، «مورتن موبيرغ»، المتخصص في الشؤون الإسلامية.

(١) عن نشرة تعريفية صادرة عن المركز باللغة الإنجليزية لدى الباحث بعنوان The

٢ - (معهد الأديان بجامعة كوبنهاجن):

٣ - (لجنة السلام العالمي في سبورغ):

ولم تتوفر معلومات عن مناشط هاتين الجهتين.

٨ - هولندا:

تضم هذه الدولة الأوروبية جالية إسلامية كبيرة من المغاربة والأتراك، وأخيراً الصوماليين، وتحفظ بعلاقات تاريخية مع دول جنوب شرق آسيا الإسلامية في حقبة الاستعمار، وتنشط فيها الدراسات الاستشراقية.

ويرجع اللقاء الإسلامي النصراني إلى مطالع السبعينيات، بمبادرة من الكنائس المحلية المختلفة التي أصدرت نشرة مسيحية إسلامية عام ١٩٧٤م، ثم توج التنسيق بتأسيس لجنة استشارية رسمية تضم أحد عشر ممثلاً مسلماً من تنظيمات المساجد، ومثلهم من الكنائس النصرانية، في مايو عام ١٩٨٦م.

وفي عام ١٩٨٢م أصدر مجلس الكنائس في الأراضي المنخفضة «الاسم الذي يطلق على هولندا» توجيهات للمسيحيين بشأن اللقاء بالمسلمين^(١).

كما يقوم «معهد دراسة الأديان» بجامعة أمستردام الحرة بإصدار نشرة بيبليوغرافية توثيقية عن حوار الأديان وقضاياها، منذ عام ١٩٨٦م^(٢).



(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.37-38.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المفاخرة (١٥٣).

٩ - السويد:

يقيم في هذه الدولة الإسكندنافية الواقعة في شمال أوروبا قرابة ثلاثمائة ألف مسلم، أي ما يمثل نسبة ٤٪ من مجموع السكان. وتبدي السويد اهتماماً بالوجود الإسلامي في أوروبا، فقد احتضنت استوكهولم مؤتمراً للإسلام الأوروبي «Euro - Islam» كما يسمونه، ضم حوالي مائة من المثقفين والأكاديميين، في يناير عام ١٩٩٥م، ثم أعقبه مؤتمر مماثل في مدينة «المفرق» في «الأردن» في العام التالي، بدعم سويدي^(١).

ونشرت صحيفة «سفنسكا داجبلاد» تحقيقاً موسعاً عن إنشاء: مؤسسة إسكندنافية للحوار الديني الثلاثي): مقرها مدينة جوتنبرغ بغرب السويد أسسها:

١ - مسلم سوري يدعى: الشيخ محمد يعقوبي، قدم السويد عام ١٩٩١م، ويعمل باحثاً في جامعة جوتنبرغ، ويحاضر في وزارة الخارجية السويدية، ومن المتحمسين لإيجاد هوية إسلامية أوروبية.

٢ - الراباي روني كاهانا، زعيم الجمعية اليهودية في جوتنبرغ.

٣ - القس سغفريد، قسيس بجمعية المبشرين المسيحيين، والأمين لمجلس المبشرين السويدي.

وتقوم المؤسسة بتنظيم المحاضرات عن التعاون والحوار بين المسلمين والنصارى واليهود، وتزور المدارس والمؤسسات السويدية لنشر أفكارها، كما تقوم برحلاتٍ لمناطق النزاع في العالم، وقد زار ممثلوها البوسنة، وصلوا في مساجدها، وكنائسها، ومعابد اليهود بها^(٢).

(١) من كلمة وزيرة الخارجية السويدية لينا هيلام والين في مؤتمر «عالم واحد للجميع».

(٢) عن ترجمة لما نشر في الصحيفة المذكورة.

وقد كشف الحاخام الأكبر لليهود السفارديم في إسرائيل، «إلباهو باكشي» عن جهود سويدية رسمية للتقريب بين الأديان، فقال في إجابة عن سؤال صحفي عن نيته في توسيع الحوار مع شخصيات دينية بالعالم العربي والإسلامي:

(قمنا منذ مدة، وبطريقة سرية باتصالات مع قضاة وشخصيات دينية مسلمة ومسيحية، وكان ذلك برعاية الحكومة السويدية، وقد بدأت تلك الاتصالات في مستوى أكاديمي وبدأت تتعمق لتشمل رجال الدين وتهدف للتقارب بين ممثلي الديانات الثلاث)^(١).

نقد وتحليل:

لقد ضاهت المحاولات الناشئة للتقريب بين الأديان في أوروبا الغربية، من حيث العدد والفاعلية، مثيلاتها الصادرة عن الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي. ولكنها تنوعت تنوعاً كبيراً في بواعثها، وموضوعاتها، وأسلوب أدائها، لتنوع وتعدد الجهات التي تبتتها من حكومية أو أهلية. ويمكن أن نميز الاتجاهات التالية:

١ - اتجاه المجمع الفاتيكاني الثاني: الذي يهدف إلى تحقيق التعارف، والتواصل العام، وتبادل المجاملات، وطرح موضوعات معينة من جنس مقاومة الإلحاد، وتعزيز قيم الإيمان والأخلاق، بالإضافة إلى مناقشة بعض الجوانب العقيدية التي تحجم عنها المراجع الدينية الرسمية. وقد ساد هذا الاتجاه في حقبة السبعينيات الميلادية كما في مؤتمرات: قرطبة، مودلينج. كما نشط التقارب على أسس صوفية في فرنسا وإيطاليا

٢ - الاتجاه الاجتماعي: الذي فرضته حركة الهجرة العمالية

(١) جريدة الشرق الأوسط عدد (٧٠٢٣) في ١٩/٢/١٩٩٨م.

الواسعة إلى أوروبا في حقبة الثمانينيات وأواخر السبعينيات، مما حمل جهات كنسية وأهلية وحكومية على عقد عشرات المؤتمرات المحلية والإقليمية لمعالجة وضع الجاليات الإسلامية في أوروبا، والتركيز على سبل إدماجهم في المجتمع الأوروبي، كما في المؤتمرات المعقودة في فرنسا وبريطانيا وألمانيا.

٣ - الاتجاه السياسي: الذي تبنته بعض الحكومات الأوروبية في أواخر الثمانينيات وخلال التسعينيات، واتسم بالصفة الدولية ومناقشة قضايا الإرهاب والأصولية والسلام العالمي، كما في المؤتمرات التي عقدت في النمسا وفرنسا والسويد.

وبالجملة، فلا تزال قضية الوجود الإسلامي في أوروبا مصدر قلق لجهات كنسية وحكومية وأهلية، سواء بالنسبة للمهاجرين أو للأهليين من المسلمين، لا سيما وأعداد المسلمين آخذة بالازدياد، وهذا يؤثر على طموحات دول الاتحاد الأوروبي في (أوروبا موحدة)، التي أهم ركائزها (وحدة الدين).

وقد أثبتت أحداث العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي في البلقان (البوسنة، والهرسك، وكوسوفا) عمق الافتراق بسبب الاعتقاد، وأن جذوة التعصب الصليبي لم تطفئها رياح المبادئ العلمانية والليبرالية والإنسانية، بل اتقد أوارها، وزاد ضرامها كأعنف ما تكون، عند أدنى شعور بوجود متميز للمسلمين في أوروبا.



المبحث الخامس

محاولات التقريب بين الأديان

في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي (سابقاً)

١ - بولندا:

تمثل بولندا أو بولونيا إحدى أكبر دول أوروبا الشرقية. وقد عقد (اللقاء التحضيري للمؤتمر المسيحي الإسلامي) في مدينة ساليزي جورن قرب العاصمة «وارسو»، في ١٥ - ١٨ شوال عام ١٤٠٦ هـ ٢٣ - ٢٦ يونيو عام ١٩٨٦م، بمبادرة من الجمعية المسيحية الاجتماعية «chss» بغرض الإعداد لمؤتمر إسلامي - نصراني عالمي.

وشارك فيه ممثل اتحاد المسلمين الديني في بولندا، ومفتي سوريا الشيخ أحمد كفتارو، وممثلي بعض السفارات الإسلامية في وارسو، بالإضافة إلى ممثلي كنيسة الأرثوذكس الروس، والاتحاد المسيحي الديمقراطي في ألمانيا الاتحادية حينذاك.

وقد اتفق المتناقشون على إدراج قضايا البحث التالية في المؤتمر القادم:

١ - ما يوحد النصرانية والإسلام كديانتين ونظامين أخلاق.

٢ - الاحتياجات وإمكانات التعاون والتقارب في مجال الأخلاق والحياة الاجتماعية.

أما العناوين المقترحة للمعلومات والبيانات المشتركة فهي:

١ - الإسلام ونبه محمد ﷺ.

- ٢ - النصرانية وموقفها من الإسلام.
- ٣ - موقف الإسلام من النصرانية على أساس القرآن.
- ٤ - صورة الإسلام في العالم النصراني.
- ٥ - الإسلام في بولندا.
- ٦ - العدالة الاجتماعية في الإسلام والنصرانية.
- ٧ - السلام باعتباره مبدأ وواجباً دينياً عند النصارى والمسلمين.
- ٨ - التسامح والتعصب في الإسلام والنصرانية.
- ٩ - مشكلة إساءة استخدام الدين لأغراض سياسية.
- ١٠ - المهمة المشتركة للنصارى والمسلمين في عالم مهدد بالخطر^(١).

المؤتمر: «الدولي للحوار الإسلامي المسيحي»:

انعقد هذا المؤتمر في وارسو، في الفترة: ١٧ - ١٨ أكتوبر عام ١٩٨٦م، وضم عدداً كبيراً من الوفود من مختلف القارات. وقد صدر عن المؤتمر بيان مشترك، بعد نزاعات حول صياغة مقرراته، بسبب تعصب ممثلي إحدى الكنائس المشاركة، تضمن الإقرار بوحدانية الله، وأن محمداً رسول الله^(٢)، وتوصيات تتعلق بالأمكان المقدسة لدى المسلمين والنصارى في القدس الشريف، مناوئة للصهيونية^(٣).

(١) من محضر اجتماع اللقاء التحضيري الذي وزعته سفارات بولندا على الدول الإسلامية للدعوة للمؤتمر القادم. (صورة باللغتين العربية والإنجليزية لدى الباحث).

(٢) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق (٢/ ٧٤٦). وانظر الكلام على بيانه المشترك في محاولات الشيخ أحمد كفتارو من هذه الرسالة.

(٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي بسام كجك (٢٨٠ - ٢٨١).

٢ - تشيكوسلوفاكيا (سابقاً):

مؤتمر: «الحوار الإسلامي المسيحي حول الدين والسلام في الشرق الأوسط»:

انعقد هذا المؤتمر في مدينة «براغ» عاصمة تشيكوسلوفاكيا - قبل انقسامها - في الفترة ١ - ٣ فبراير عام ١٩٨٦ م. وشارك فيه عشرون من المسلمين والنصارى. وقد رأس الجانب الإسلامي مفتي سورية، الشيخ أحمد كفتارو، ورأس الجانب النصراني، د. كارل هاينتس بيرنهارت، الأستاذ بكرسي العهد القديم في قسم اللاهوت في جامعة «هومبولت» في برلين من ألمانيا الديمقراطية حينذاك، بدعوة من مؤتمر السلام المسيحي.

وقد صدر عن المؤتمر بيان مشترك تضمن الإقرار الصريح بنبوة محمد ﷺ جاء في مطلعها: (نحن المشتركين في هذا اللقاء المتممين إلى دينين سماويين نتفق في الإيمان بالله الواحد الأحد، خالق الأرض والسموات، كما نتفق بأنه لا إله إلا هو، ونشهد كأناس تابعين للسيد المسيح رسول الله، وللنبي محمد رسول الله بإيماننا بالله، وبالرسائل المرسله من قبل الله التي تحمل الحكمة والحب والإخاء)، وجاء في أثنائه: (جميع المشاركين في المناقشات أكدوا في كلماتهم على النقاط المحددة في المحاضرتين بأن الإيمان بالله، وبرسالي عيسى ومحمد السماويتين من جهة، والعمل الشامل من أجل السلام شيان متلازمان)^(١).

وقد اكتسب البيان صبغة البيانات السياسية، فأشاد على لسان

(١) انظر: نص البيان باللغتين العربية والتشيكية في الملحق رقم (٣٣) من كتاب: «الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق» (٢/ ١٠٤٥).

رئيس الوفد المسيحي بالأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي، ميخائيل جورباتشوف، واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، إذ ذاك، على البدء من جانبها وقف الاختبارات النووية، وفي البيان نفسه دعا الدكتور بيرنهارت إلى (كشف الحجب المستترة بالدين للخلافات السياسية). وحول مشكلة الشرق الأوسط دعا البيان إلى: (تأمين حق الشعب الفلسطيني في دولة خاصة به). وأكد المفتي العام لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، طلعت تاج دينوف على (ضرورة دحر جميع المحاولات لاتخاذ الدين مبرراً للسياسة الصهيونية التوسعية وغير المشروعة).

٣ - الاتحاد السوفييتي (سابقاً):

إنه لمن دواعي العجب أن تحتضن أكبر دولة شيوعية ملحدة، مؤتمرات دينية إذ أنها قامت أصلاً على إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى، وتكذيب أنبيائه ورسله، ومحاربة أوليائه، ونشر الكفر والإلحاد والفساد بجميع صوره.

ويزول العجب حين يقف المرء على الدوافع التي من أجلها يُحشد «رجال دين» من شتى الأقطار، للتوقيع على بيان مُسيّس يخدم أهداف تلك الدولة. وقبل أن يتفكك اتحاد الجمهوريات السوفيتية عام ١٩٨٩م، جرى فوق أراضيها الشاسعة عقد بضعة مؤتمرات أهمها:

المؤتمر: «الدولي للأديان»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «زاغورسك» بالقرب من موسكو، في مطلع شهر يوليو عام ١٩٦٩م، وحضره مفتي سوريا، الشيخ أحمد كفتارو، واتسمت قراراته بالسمة السياسية حول الوضع في الشرق الأوسط، والدعوة إلى النضال في سبيل السلم^(١).

(١) انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (٧١٤/٢ - ٧١٦).

مؤتمر: «التعاون الديني من أجل السلام ونزع السلاح»:

عقد هذا المؤتمر في موسكو، في الفترة: ١٨ - ٢٢ جمادى الثانية ١٣٩٧هـ، الموافق ٦ - ١٠ يونيو عام ١٩٧٧م، بدعوة من بطريك موسكو وسائر روسيا الأرثوذكسي، «بيمن». وحضره وفود متعددة الأديان والمذاهب^(١).

المؤتمر: «العالمي لرجال الأديان في سبيل إنقاذ الحياة البشرية من الكارثة النووية»:

عقد هذا المؤتمر في موسكو، في الفترة: ١٦ - ٢٠ رجب عام ١٤٠٢هـ، الموافق ١٠ - ١٤ مايو عام ١٩٨٢م، بدعوة من بطريك موسكو وسائر روسيا «بيمن» الأرثوذكسي، وحضره وفود من جميع الأديان. وألقى مفتي سورية، الشيخ أحمد كفتارو محاضرة بعنوان: «المبادئ الدينية والروحية السلمية للأديان العالمية» اقترح في ختامها: (علينا أن نلحق أتباعنا من خلال كتب ونشرات نبين فيها تلاقي أديان السماء، وما اتفقت عليه من مثل عليا، ومبادئ سامية، من أجل أخوة إنسانية عالمية، وتعاون على نشر المحبة بين الجميع)^(٢).

مؤتمر: «من أجل السلام والتآخي بين الشعوب»:

عقد هذا المؤتمر الثاني - إسلامي - نصراني - في مدينة تشيكت في الاتحاد السوفياتي، في شعبان عام ١٤٠٣هـ، الموافق مايو عام ١٩٨٣م^(٣).

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٨٣).

(٢) انظر: نص المحاضرة في الملحق رقم (٢٧) من كتاب: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة (٢/ ١٠٢٢ - ١٠٢٤).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٢٨).

مؤتمر: «من أجل كونٍ تَحَرَّر من جميع الأسلحة النووية في سبيل حياة البشر»:

عقد هذا المؤتمر الضخم متعدد الأطراف في موسكو، في الفترة: ١٤ - ١٦ جمادى الثانية عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٤ - ١٦ فبراير عام ١٩٨٧م، وقد حضره حوالي ألف مشارك من ثمانين بلداً^(١).

ويظهر من شعارات هذه المؤتمرات أنها موجهة لخدمة أغراض سياسية معينة حول قضايا سباق التسلح والحرب الباردة التي كان المعسكر الشيوعي أحد قطبيها. ولم تكن معينة بمناقشة قضايا دينية عقدية أو اجتماعية أو دعوية، كما هو الشأن مع كنائس أوروبا الغربية، المستقلة عن تأثير حكوماتها نسبياً.



(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٨٣).

المبحث السادس

محاولات التقريب في الولايات المتحدة الأمريكية

يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية عددٌ كبير من المسلمين، هاجروا من شتى بقاع العالم واستوطنوا تلك البلاد ذات التنوع العرقي والديني والثقافي، وفي دراسة إحصائية متميزة بعنوان: «تقدير أعداد المسلمين المقيمين في أمريكا» لـ كارول ل. ستون، جاء فيها: (انطلاقاً من تقديرات المسلمين في أمريكا عام ١٩٨٠، وتصاعد الهجرات الإسلامية والمواليد من عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٨٦، فقد قدر عدد المسلمين في عام ١٩٨٦، بأربعة ملايين نسمة.. وهو ما يمثل زيادة قدرها ٢١٪ على فترة السنوات الست من ١٩٨١ إلى ١٩٨٦. وبفرض أن معدل الزيادة سيظل ثابتاً طوال الأربعة عشرة القادمة، فإن عدد المسلمين في الولايات المتحدة بحلول ٢٠٠٠ سيكون قد تضاعف تقريباً بالمقارنة بتقديرات عام ١٩٨٠)^(١).

إن وجود قرابة سبعة ملايين نسمة في الولايات المتحدة من المسلمين على مشارف القرن الحادي والعشرين قد نبّه أطرافاً عديدة في الساحة الأمريكية إلى ضرورة الحوار معهم. وقد أشرنا إلى لونٍ من التقارب اليهودي الإسلامي في الباب الأول، ونذكر هاهنا بعض

(١) عن كتاب: المسلمون في أمريكا: إيفون يزيك حداد. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م). طبعت لأول مرة بالإنجليزية بمطابع أكسفورد عام ١٩٩١م. (٤٥). وانظر ما تقدم في الفصل الثالث من الباب الأول في حقيقة التقريب عند اليهود.

المحاولات التي تمت على الصعيد الإسلامي النصراني، أو المحاولات التي انتظمتها جميعاً، نظم بعضها مركز «كيندي» في واشنطن.

مؤتمر: «الحوار الثلاثي بين الأديان الإبراهيمية»:

عقد في نيويورك، في شهر نوفمبر عام ١٩٧٩م، وحضره الكاردينال «بينيدولي» رئيس الأمانة الفاتيكانية للعلاقات مع غير المسيحيين^(١).

مؤتمر: «في سبيل الحوار»:

عقد في مدينة «ملووكي» بولاية وسكونسن بين مسلمين ونصارى، في الفترة: ١٦ - ١٧ رجب عام ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٩ - ٣٠ أبريل عام ١٩٨٣، بمبادرة من جمعية «العمل من أجل العلاقات المسيحية الإسلامية». ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٢).

مؤتمر: «الفاتيكان والإسلام والشرق الأوسط»:

عقد هذا المؤتمر الكبير في جامعة فيلانوف الكاثوليكية - فيلادلفيا، عام ١٩٨٥م^(٣). برئاسة الكاردينال فرنسيس آرينزي.

كما تكون في عقد السبعينيات والثمانينيات بعض اللجان والجمعيات المحلية المعنية بقضية الحوار، مثل:

* (الحوار بين مطرانية «أبرشية» لوس أنجلوس): والمركز الإسلامي هناك، الذي ابتداءً عام ١٩٧٧م، بغرض تعميق التفاهم، وتقديم خدمات مجتمعية أفضل.

* (اتحاد تحسين العلاقات الإسلامية المسيحية): الذي اتخذ من شيكاغو مقراً له عام ١٩٨٦م، وأعلن أهدافه المتمثلة بالتوصل إلى فهم

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.103.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٢٧).

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.79.

متبادل، وبث تيار من المعلومات والبيانات المشتركة، وتكوين قيادة جمعية موحدة.

* (المائدة المستديرة بين المسلمين والنصارى واليهود في ديترويت): بدأت منذ عام ١٩٨٦م في استضافة منتديات سنوية حول الاحترام، والمصالحة، والحرية الدينية، والالتزام نحو السلام.

* (الحملة الخاصة Task Force للمجمع الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة NCCC): التي عقدت ثلاثة ملتقيات سنوية، ونشرت رسائل إخبارية وكتيبات وشجعت بعض المؤتمرات للحوار وتفهم الإسلام والتفاعل مع المسلمين^(١).

مؤتمر: «مفهوم الوحي ومضموناته»:

عقد هذا المؤتمر الثلاثي في مدينة «ستون مونتين» في ولاية جورجيا، في الفترة ٧ - ١٠ جمادى الثانية عام ١٤١٠هـ، الموافق ٤ - ٧ يناير عام ١٩٩٠م^(٢).

مؤتمر: «مسلمون ومسيحيون موضوعات مشتركة وهويات متميزة»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «كولومبس» بولاية أوهايو، يوم ٢٨ شعبان عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٥ مارس عام ١٩٩٠م، بمبادرة من المؤسسة الإسلامية في أوهايو، وأبرشية كولومبس الكاثوليكية، ومكتب المتروبوليت. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.108.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢١٩).

(٣) وعلى المستوى الثلاثي صدر عن المؤسسة الإسلامية، والأبرشية الكاثوليكية، وطائفة «تيفرات إسرائيل» اليهودية كتيب مشترك بعنوان: المسلمون والمسيحيون، والمسلمون واليهود، ماضي مشترك، ومستقبل مرجو، انظر:

. Recognize The Spiritual Bonds. P.103

مؤتمر: «معهد هارتفورد (مركز دانكن بلاك ماكحولاند لدراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية)»:

عقد عام ١٩٩٠م، وضم مائتي أستاذ، وثلاثين متحدثاً لتقويم العلاقات الإسلامية المسيحية^(١).

مؤتمر: «مسيحيون ومسلمون على عتبة القرن الحادي والعشرين»:
عقد هذا المؤتمر الثاني في مدينة «هوستون» بولاية تكساس في الفترة: ١٦ - ١٨ شوال عام ١٤١٠هـ، الموافق ١١ - ١٣ مايو عام ١٩٩٠م. ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٢).

مؤتمر: «إسلامي مسيحي»:
عقد في مدينة «أكسفورد» بولاية أوهايو، بمبادرة من أبرشية جنوب أوهايو الإنجيلية، ولجنة مشتركة من المسلمين والنصارى في الفترة: ٢ - ٣ ذي القعدة عام ١٤١٠هـ، الموافق ٢٧ - ٢٨ مايو عام ١٩٩٠م، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(٣).

مؤتمر: «السعي للحوار»:
عقد في مدينة «واشنطن، بمبادرة من مؤتمر الأساقفة الكاثوليك الوطني «NCCB»، والمجمع الإسلامي الأميركي، وجامعة العالم الإسلامي في الفترة: ١٣ - ١٤ ربيع الثاني عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢١ - ٢٢ أكتوبر عام ١٩٩١م. ويعد هذا اللقاء أول لقاء إسلامي - نصراني على مستوى الولايات المتحدة، وقد سبق بمؤتمرات محلية بين الجانبين منذ عام ١٩٨٦^(٤)، فقد شارك فيه مشاركون قدموا من شيكاغو

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.79.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٢٥).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٢٦).

(٤) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.108.

وديترويت ولوس أنجلوس ونيويورك وواشنطن، بهدف رفع التبادل الإسلامي - النصراني إلى مستوى قومي. وحدد البيان المشترك أهداف المؤتمر بما يلي:

■ (الانتباه إلى الحكمة الصادرة عن الحوارات المحلية.

■ مراعاة الاحترام والتفاهم.

■ العمل على وضع حد للصورة المشوهة والمبتذلة عن المعتقدات، بإعادة النظر في العرض الذي ينشره الآخرون في المنشورات الكاثوليكية الرسمية.

■ التطرق بالحوار إلى معنى الرسالة والدعوة وطرقهما وأهدافهما.

■ تبادل الوثائق التي تعبر عن كل تراث، وإلى البحث فيها.

■ ضم جهودهم لتحقيق القيم المشتركة، ولا سيما العدل والسلام واحترام الخليقة.

■ التعاون في الحصول على التعايش السلمي بين الجماعتين في الولايات المتحدة، وسائر أنحاء العالم.

■ اتفق المشاركون على مباشرة هذا الحوار انطلاقاً من القناعة بأنه مشيئة الله، وتحقيق أمين لتعاليم معتقداتهم^(١).

(مركز التفاهم الإسلامي المسيحي):

جاء في إحدى منشورات المركز التعريف التالي:

(تأسس مركز التفاهم الإسلامي المسيحي: تاريخ وقضايا عالمية في

١٩٩٣م، من قبل جامعة جورج تاون، و Fondation Pour L'Entente entre

Chrétiens et Muslmans في جنيف، لتعزيز الحوار بين الديانتين الكبيرتين.

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٨٠ - ١٨١).

إن المركز يركز على اللقاء التاريخي، واللاهوتي، والسياسي، والثقافي، بين الإسلام والمسيحية، والعالم الإسلامي والغرب، يضم المركز في مقره بمدرسة إدموند أ. والش للخدمات الأجنبية في جامعة جورج تاون: التعليم والبحث والقضايا العامة.

إن تأسيس مركز التفاهم الإسلامي المسيحي ينبع من دور الدين في النظام العالمي المعاصر. إن كلاً من الإرث اليسوعي الكاثوليكي لجورج تاون، وموقعها في واشنطن، قد شكّلا اهتمام الجامعة الملتزم بدراسة الدين والقضايا العالمية. إن الإسلام واحدٌ من كبريات القوى الروحية والاجتماعية في العالم اليوم، وتأثيره وأهميته سوف يمتدان وينموان في القرن الحادي والعشرين. ولذا فإن دراسة الإسلام في جورج تاون يشمل محتواه الديني، ومغزاه الثقافي، ودوره في القضايا العالمية، بالإضافة إلى الخبرة المسيحية في العالم الإسلامي.

إن تركيز نشاط المركز، معاً في المجال القومي والعالمي تتم من خلال التعليم والندوات، والمؤتمرات العالمية، والتغطية الشاملة للوسط، إن الكلية المركزية، وكلية الزيارات، تقدمان دوراتٍ في الإسلام، وتاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، لطلاب المرحلة الجامعية، والخريجين في الجامعة. إن منظومة عريضة من نشاط القضايا العامة، والمنشورات، تسعى لتفسير تفاعل العالم الإسلامي والغرب لمختلف الجمعيات، والحكومات، والأكاديميين، والإعلام، والجمعيات الدينية والعالم المشترك^(١).

ويدير المركز الدكتور جون. ل. اسبوزيتو، بروفيسور في الدين

(١) Christian - Muslim Relation In The Twenty First Century العلاقات المسيحية الإسلامية في القرن الحادي والعشرين. محاضرة من منشورات المركز - صفحة تعريفية.

والقضايا العالمية، ولجنة إدارية «قيادية» مكونة من: د. برباره ستوزر، مديرة الدراسات العربية المعاصرة، ود. أناتوني تابماسكو، أستاذ كرسي قسم اللاهوت. ود. جيفري فون أركس، من الجمعية اليسوعية S.I، قسم التاريخ. أما الكلية المركزية فيشارك في إلقاء الدروس فيها إلى جانب مدير المركز بعض النصارى، والنصارى العرب والمسلمين، وأما الأساتذة الزائرون والمشاركون في الأبحاث فمعظمهم من البلدان الإسلامية، ماليزيا، ولبنان، وبنجلاديش، وغيرها.

ويرعى برنامج المركز الجهات التالية:

- ١ - مؤسسة العلاقات المسيحية الإسلامية في جنيف.
- ٢ - نقابة الموارد الماليزية، الكرسي الماليزي للإسلام في جنوب شرق آسيا.

٣ - سناء صباغ لجناح حسيب صباغ.

٤ - مصانع زينل المحدودة، في العربية السعودية^(١).

وقد عقد المركز عام ١٩٩٤م جملة من الندوات ركزت على العناوين التالية:

القدس، النصارى في الدول الإسلامية، تحدي الإسلام السياسي^(٢).

ولا يزال المركز يمارس نشاطه حتى الآن.

نقد وتحليل:

ونلاحظ في محاولات التقريب بين الإسلام والأديان في الولايات المتحدة الأمريكية ما يلي:

- ١ - تأخر هذه المحاولات مقارنة بأوروبا الغربية، فجمعية

(١) انظر: المرجع السابق (١٧، ١٨).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.79.

الأصدقاء الأمريكيان للشرق الأوسط التي تأسست في حدود سنة ١٩٤٨م لم تكن تمارس نشاطها في الولايات المتحدة، مقرها، بل كانت تتخذ من الشرق الأوسط حقلاً لتجاربها التقريبية التي منيت بالفشل^(١).

أما مؤتمر مجلس الكنائس العالمي المنعقد في إيفانستون عام ١٩٤٨م، فقد كان ومضة عابرة، قدح زنادها حضور مندوبين من اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي المنبثقة عن مؤتمر بحمدون المنعقد في نفس العام^(٢)، ثم خبت.

ولم يظهر على السطح وجود ملموس لمحاولات التقريب إلا في أواخر عقد السبعينيات الميلادية، حين ابتكر «مركز كيندي» في واشنطن مصطلح «الحوار الثلاثي» «Trialogue»، لأول مرة في تاريخ الحوار الديني، بدءاً من عام ١٩٧٨م مروراً بعقد الثمانينيات، بتنظيم دورات للقيادات المثقفة من المسلمين والنصارى واليهود، لمناقشة موضوعات عقدية واجتماعية، بل وسياسية حساسة^(٣).

ولعل هذا الفارق الزمني الملحوظ بين أمريكا وأوروبا الغربية في الاهتمام بقضية التقريب يعود إلى الفاصل الجغرافي والتاريخي والاجتماعي بين العالم الإسلامي والعالم الجديد «الأمريكتين»، في مقابل الإرث التاريخي، والتواصل الجغرافي والاجتماعي بين أوروبا والعالم الإسلامي، فضلاً عن كون أوروبا محضن النصرانية الذي تآرز إليه منذ قرون، ومنها خرجت دعوة التقريب بين الأديان في ثوبها المعاصر.

(١) انظر: الحديث عن الجمعية ومؤتمراتها في مبحث «المحاولات المبكرة» من هذا الفصل.

(٢) انظر: الحديث عن المؤتمر في مبحث «محاولات مجلس الكنائس العالمي» من هذا الفصل.

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.103.

وتمَّ سبب مهم آخر، هو تأخر الهجرات الإسلامية المؤثرة إلى القارة الأميركية ففي حقبة الثمانينيات تضاعف عدد المسلمين المهاجرين، كما تقرر كارول. ل. ستون: (بالقياس إلى إجمالي عدد المهاجرين الذين وفدوا إلى الولايات المتحدة، فقد زاد عدد المهاجرين المسلمين على الضعف خلال العقدين الماضيين، حيث زاد من ٤٪ من إجمالي المهاجرين في عام ١٩٦٨ إلى ١٠,٥٪ في عام ١٩٨٦م)^(١). ولا شك أن هذه النسبة ظلت ترتفع في التسعينيات، ففي مطلع التسعينيات كان (١٤٪ من جملة المهاجرين إلى الولايات المتحدة مسلمون)^(٢).

٢ - معظم المحاولات والمبادرات النصرانية تمت من قبل مؤسسات دينية وكنائس كاثوليكية، بدءاً بمركز كيندي، ومروراً بجامعة فيلانوف الكاثوليكية، وأبرشية كولومبس الكاثوليكية، ومؤتمر الأساقفة الكاثوليك الوطني في الثمانينيات وانتهاء بجامعة جورج تاون ذات الإرث الكاثوليكي في التسعينيات.

وربما كان ذلك لأن الكاثوليك في الولايات المتحدة أقل من البروتستانت مما يجعلهم حريصين على إبراز التنوع الديني للمجتمع الأمريكي حتى لا تستبد به الأكثرية^(٣). إضافة إلى الارتباط بالفاتيكان الذي يتخذ موقفاً أكثر استقراراً وانضباطاً من الكنائس غير الكاثوليكية تجاه حوار الأديان.

٣ - تركزت معظم المحاولات في ولاية أوهايو، رغم أنها ليست من المناطق الآهلة بالمسلمين، مقارنة بالولايات الثلاث: كاليفورنيا،

(١) المسلمون في أمريكا (ص ٤٨).

(٢) شالوم - السلام (٨٣).

(٣) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.109.

ونيو يورك، وألينيوي^(١). ولعل ذلك عائدٌ إلى نشاطٍ محلي، ومبادرات خاصة، توفرت في أوهايو.

أما الأسباب التي دعت إلى إحياء فكرة التقريب بين الأديان، ومع الإسلام خاصة في المجتمع الأمريكي، فترجع إلى عوامل دولية وعوامل محلية؛ فالمناطق الإسلامية في العالم تعيش توترات مستمرة تجعل الولايات المتحدة الأمريكية، بوصفها أقوى دولة في العالم شديدة الحضور، وأحياناً تكون طرفاً مباشراً في تلك التوترات، مما يحمل الباحثين الأميركيين من مختلف التخصصات على دراسة الإسلام من جوانبه المتعددة، والسعي لاحتواء المسلمين. وأما العوامل المحلية فمبعثها الوجود الإسلامي المتنامي بقوة في المجتمع الأمريكي نفسه، من المهاجرين والسكان الأصليين، وتصور الدكتوراة إيفون حداد هذا بقولها: (تصاعد الاهتمام بمسلمي أمريكا، نظراً لتواجدهم المتزايد في المناطق الحضرية، بالإضافة إلى تطور مؤسساتهم المتميزة في طول البلاد وعرضها. وتضم مؤسساتهم أكثر من ٦٠٠ مسجد/ مركز إسلامي، وكليتين إسلاميتين، وعشرات من المدارس الدينية النهارية، ومئات من مدارس نهاية الأسبوع، ومنظمات نسائية، ومجموعات شبابية، وتنظيمات مهنية ومدنية، كما أن قيادة المجتمع الإسلامي يسيطر عليها المتطوعون من الناس العاديين، المهتمون بصيانة تراثهم، ونشر عقيدتهم، مع قدوم الجيل الجديد. ففي خلال العقد الأخير أمكنهم إقامة عددٍ من المطابع، ومراكز توزيع الكتب والمجلات الدينية القومية والإقليمية، للمعاونة في توجيه المؤمنين نحو التمسك بعقائدهم وبممارساتهم الإسلامية، داخل بيئة غريبة عنهم في أغلب مظاهرها.

وهناك برامج تلفزيونية وإذاعية منتظمة عن الإسلام والتراث

(١) المسلمون في أمريكا (٤٦، ٤٧).

العربي، علاوة على توزيع الأشرطة المسجلة - المسموعة والمرئية - للمواظ والخطب من خلال شبكات قومية^(١).

أما المحاولات الأمريكية على المستوى الدولي للتقريب بين الأديان فمنها:

١ - (مجمع السلام بين الأديان):

وقد أسسه المونسنيور الكاثوليكي الدكتور جوزيف غريميليون، مدير قسم العدالة والسلام في الفاتيكان، ثم تغير مسماه منذ عام ١٩٧٤م إلى:

٢ - المؤتمر: «الإسلامي اليهودي المسيحي» - «MJCC»:

وعقد مؤتمره الأمل في «بيلاجيو» عام ١٩٧٥م، وشغل منصب الرئيس فيه د. إسماعيل فاروقي أما المؤتمر الثاني فكان:

مؤتمر: «النظام العالمي المتغير، تحدي لإيماننا»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني اليهودي في «الشبونة» عاصمة البرتغال، في الفترة: ٢٥ - ٢٩ ذي القعدة عام ١٣٩٧هـ، الموافق ٧ - ١١ نوفمبر عام ١٩٧٧م، برعاية (مجمع السلام في الأديان) وشارك فيه ثمانية يهود، وسبعة مسلمين، وخمسة عشر نصرانياً، وتباحثوا في أسباب المصالحة والصداقة والتعاون^(٢).

ثم كان المؤتمر الثالث عام ١٩٧٩م.

٣ - «معيد التفاهم»:

أنشأت هذه الهيئة في نيويورك مسز ديكerman هولليستر عام ١٩٦٠م (هدفها الرئيسي هو تدعيم التفاهم بين الأديان العظمى، وتوجه برامجها لمن يتبعون أديان العالم، ولقادة هذه الأديان وفقهائها)^(٣). وقد عقدت مؤتمرات قمة روحية، منها مؤتمر جنيف في الفترة: ٣١ مارس - ٤ أبريل عام ١٩٧٠م.

(١) المسلمون في أمريكا (١٣، ١٤).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.103-104.

(٣) الحوار بين الأديان ولیم سليمان قلادة. (٢٤) هامش (٤).

المبحث السابع

محاولات التقريب بين الأديان في آسيا

تضم قارة آسيا معظم سكان العالم، كما تضم مختلف الأديان والملل الوثنية. ويعيش معظم المسلمين في هذه القارة، ففي شبه القارة الهندية «الهند، وباكستان وبنجلاديش» أكثر من ثلاثمائة وعشرة ملايين مسلم، وفي أندونيسيا وحدها يعيش أكثر من مائة وستين مليون مسلم.

ومعظم سكان الهند، الذين يبلغون مليار نسمة تقريباً، ينتمون إلى الهندوسية، في حين يعتنق أكثرية السكان في تايلند، وبورما، واليابان البوذية.

وتنتشر الكونفوشسية في الصين، أما النصرانية فإنها أقلية في جميع البلدان الآسيوية، باستثناء الفلبين، ومع ذلك، وربما لأجل ذلك، فإن النصارى، وخصوصاً الكاثوليك، ظلوا يأخذون بزمام المبادرة في محاولات التقريب بين الأديان، فقد سعت المؤتمرات الأسقفية لبلدان آسيا إلى تنسيق مناشطها لتعزيز الحوار منذ عام ١٩٧٢م، فكونت اتحاداً من مؤتمر أساقفة آسيا FABC، مع مكتب القضايا المسكونية وحوار الأديان OEIA، تمخض عن تأسيس سلسلة من (برامج الأساقفة لشؤون حوار الأديان BIRAS، لمنح الأساقفة الكاثوليك فرصة لدراسة ومناقشة الطرق لتشجيع الحوار بين الأديان، بالإضافة إلى المشاكل والمصاعب التي تطرأ في العلاقات مع أتباع مختلف الأديان. ومن أشهرها BIRAI عام ١٩٧٩م، في كوالالمبور،

ومؤتمر فاراناسي، في الهند عام ١٩٨٣م^(١)، ثم في الباكستان - ملتان - عام ١٩٩٢م، بعنوان «العمل معاً في سبيل انسجام العالم المخلوق». وبعض هذه المحاولات تتم بمبادرات حكومية من دول المنطقة لمعالجة قضايا التوترات القائمة أو المتوقعة، كما في الفلبين وأندونيسيا.

والمقصود هنا ذكر المحاولات الوطنية المحلية أو الإقليمية للتقريب بين الأديان في البلدان الآسيوية، دون تلك اللقاءات العالمية، أو حتى الإقليمية التي تبنتها جهات غير آسيوية مثل الفاتيكان، أو مجلس الكنائس العالمي، وعقدت في بعض الحواضر الآسيوية، فقد سبق التعريف بها ضمن محاولات تلك الجهات، بما أغنى عن إعادتها هنا.

١ - الباكستان:

يضم هذا البلد الإسلامي العريق، أقلية نصرانية نشأت خلال الاستعمار الإنكليزي لشبه القارة الهندية، وقد قام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة للباكستان عام ١٩٨١م، والتقى برئيسها إذ ذاك الجنرال محمد ضياء الحق. ومن أبرز محاولات الحوار في الباكستان:

(الجمعية الباكستانية للحوار بين الأديان - PAIRD):

عقدت مؤتمراً إسلامياً نصرانياً في لاهور يوم ٢٥ ربيع الأول عام ١٤٠٨هـ، الموافق ١٧ نوفمبر عام ١٩٨٧م بعنوان:

«العناصر المشتركة بين الإسلام والمسيحية»: شارك فيه سبعون شخصاً من الجانبين^(٢).

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.111.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٩٥).

(اللجنة الوطنية للعلاقات المسيحية الإسلامية):

وهي لجنة كنسية منبثقة عن مؤتمر أساقفة الباكستان، وقد عقدت مؤتمراً بعنوان:

«آفاق السلام والانسجام الجديدة في الباكستان»:

في مدينة «فيصل آباد» في الفترة: ١٤ - ١٨ ربيع الثاني عام ١٤١٢هـ، الموافق ٢٢ - ٢٦ أكتوبر عام ١٩٩١م، حضره ستون مشاركاً^(١).

وإلى جانب المنظمات الوطنية، تحتضن الباكستان في عاصمتها:

(مؤتمر العالم الإسلامي):

الذي شارك في العديد من مؤتمرات حوار الأديان على المستوى العالمي. وقد سبقت الإشارة إلى مؤتمرين هما:

مؤتمر: «مسيحيون ومسلمون، تعايش واستماع متبادل»: في وتن - ألمانيا عام ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

مؤتمر: «الإرساليات المسيحية لدى المسلمين»: في برلين - ألمانيا عام ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م^(٢). ومن مشاركاته أيضاً:

مؤتمر: «السلام في العالم»:

عقد هذا المؤتمر في طوكيو يوم ١٠ صفر عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٥ نوفمبر عام ١٩٨٤م مع المؤتمر الإسلامي الياباني. وقد ضم مختلف الأديان والطوائف^(٣).

ونظراً للضائقة النسبية في أعداد النصارى في الباكستان، وخوفهم

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٣٨).

(٢) انظر: عن هذين المؤتمرين محاولات التقريب في ألمانيا (١٢٨٤ - ١٢٨٥).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٤٥).

من الذوبان في المحيط الإسلامي من حولهم، فقد نشأت فكرة تكوين الجماعات «أو المشاعات النصرانية الأساسية» «Basic Christian Communities»، وهي عبارة عن مجموعات قليلة الأعداد تماماً، «مثل مشاعة داراهشان - النور» التي تأسست في السبعينيات في كراتشي بالباكستان، من طرف عددٍ من الفرنسيين، ويعرف أعضاؤها بعضهم البعض جيداً. يعيشون مجتمعين، ولا يضعون نصب أعينهم أي أهدافٍ وغايات تبشيرية محددة. أما هدفهم الأساسي فإنه يتمثل في العيش ببساطة وسط مواطنيهم المسلمين، دون ازدراء أي عمل، وبالمقابل الالتزام الذاتي بتقديم المساعدة الطوعية لأولئك الذين يعيشون بين ظهرائهم أو في أحيائهم، ويحتاجون إلى هذه المساعدة الإنسانية^(١).

وفي الوقت نفسه يدرسون الإسلام والثقافة الإسلامية، والفلكلور المحلي، والشعر الديني، ومع الالتزام بتحاشي كل ما يشكل إهانة لمشاعر المسلمين الدينية، والاستفزاز لمعتقداتهم وحياتهم السلوكية «مثل تناول لحم الخنزير، تعاطي المشروبات الروحية»^(٢) علناً. وبفضل هذا المسلك تمكنت مجموعة «داراهشان» من أن تجمع حولها عدداً من المتصوفة المسلمين، وتقيم معهم بعض الصلوات المشتركة في مناسبات معينة^(٣).

(١) وهل عامة النشاط التنصيري المخطط إلا من هذا القبيل، حيث يستندون عواطف الجهال المتكويين باسم المساعدات الإنسانية؟! وإن زعموا أنهم لا يضعون نصب أعينهم أهدافاً وغايات تنصيرية، فما تخفي صدورهم أكبر، كما يتبين من آخر الكلام.

(٢) هكذا يسمون الخمر بغير اسمها والحق أنها فساد الروح، إلا أن تكون أرواح النصاري والصوفية.

(٣) الإسلام والمسيحية إلكني جورافسكي (١٥٩).

٢ - بنجلاديش:

يوجد في بنجلادش ذات الأكثرية السكانية المسلمة تمثيل لمختلف الديانات، وقد نشطت فيها جمعيات الحوار متعددة الأطراف، وجمعيات الحوار الإسلامي النصراني.

ومن أبرز تلك الجمعيات:

(مجمع الأديان البنغالي من أجل السلام والعدالة) «BICDAJ».

وقد عقد أكثر من مائة وثلاثين لقاءً شهرياً، على مدى عشر سنوات، منذ عام ١٩٨٣م. ضم إلى جانب المسلمين النصارى والهندوس والبوذيين وأتباع الأديان التقليدية، ونشط بشكل مكثف عام ١٩٩٢م إثر هدم الهندوس للمسجد البابري في أيوديا، بهدف تحقيق الانسجام. ويرعى المجمع أكثر من ثلاثين مدرسة مهنية «حرفية» لتخريج البالغين، ويدرب المعلمين للعمل في البرامج المهنية، وتنظيم البرامج المتعاقبة لإعادة تأهيل الأطفال المعاقين، والمشردين والأيتام. كما يرتب المجمع حلقاتاً دراسية للأعياد الدينية كرمضان وعيد الميلاد، والذكرات السنوية، كإلقاء القنبلة على هيروشيما، والمناسبات التأييدية كيوم المهنة، واليوم العالمي للسلام^(١).

وقد عقد المجمع مؤتمراً بعنوان:

«السلام والعدالة»: في دكا في الفترة: ٢١ - ٢٣ شعبان ١٤٠٩هـ،

الموافق ٢٨ - ٣٠ مارس عام ١٩٨٩م، بحضور خمسة عشر ممثلاً عن الأديان المختلفة^(٢).

(الوكالة الأسقفية للحوار المسكوني وبين الأديان) «CEID».

وهي جماعة كنسية كاثوليكية ناشطة في مجال الحوار منذ عام ١٩٧٤م، معاً للوحدة بين النصارى، وللتفاهم فيما بين الأديان. فقد

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P.91

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢١٤).

أنجزت ست عشرة حلقة أسقفية دراسية واسعة في موضوعات حوار الأديان، وثلاثة وعشرين اجتماعاً وطنياً.

وتجري CEID كل شهرين مشاركات دينية، ولقاءات صلوات، لاتباع الديانات المختلفة، كما تجري كل شهرين حلقات دراسية للنساء، ومجموعات نقاش لتمكين المرأة من مختلف الأديان للمشاركة في الخبرة والصعوبات.

كما تصدر CEID رسالة إخبارية بعنوان Oikkotan، وأعمالاً أخرى في مجال العلاقات الإسلامية النصرانية^(١).

٣ - الهند:

بدأت محاولات التقريب في الهند بين المسلمين والنصارى منذ أواسط عقد الستينيات، وتتسم العلاقة بين الجانبين بالوثام والهدوء، نظراً لأن كلاهما يمثل أقلية بالنسبة إلى الوسط الوثني المتلاطم، ثم ظهرت محاولات التقريب الجماعية بين مختلف الأديان والملل في أواخر السبعينيات، واستمرت المحاولات الثنائية والمتعددة حتى الآن، ونسوق أدناه مسرداً بالمؤتمرات المعقودة حسب التسلسل الزمني:

المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الأول»:

عقد في مدينة «نجنور» عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، بمبادرة من معهد «هنري مارتن»، ومعهد الدروس الإسلامية في نيودلهي، ولم يحفظ عنه بيان مشترك^(٢).

مؤتمر: «التعايش الأفضل»:

عقد في مدينة «أليغاره» في الفترة: ٨ - ١٠ شوال عام ١٣٩٤هـ،

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.114, 115.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١١).

الموافق ٢٥ - ٢٧ أكتوبر عام ١٩٧٤م، بمبادرة من لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك. وشارك فيه ثلاثة عشر مسلماً، وعشرون نصرانياً، ولم يصدر عنه بيان مشترك^(١).

مؤتمر: «الكنيسة والجامع ومساهمتهما في انسجام الأديان والمصالحة بينهما»:

عقد في «نيودلهي» في الفترة ٧ - ٩ ذي القعدة عام ١٣٩٨هـ، الموافق ٩ - ١١ أكتوبر عام ١٩٧٨م، بمبادرة من ثلاث جهات:

■ لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك «CBCI».

■ معهد هنري مارتن في حيدر آباد.

■ المعهد الهندي للدراسات الإسلامية.

وحضره أربعون مشاركاً من الجانبين، ناقشوا فيه على مدى الأيام الثلاثة قضايا التعليم الديني المتبادل. (وقد تتوج الاجتماع الأخير، عفوياً، بصلاة مشتركة صامته... واقتراح المشاركون في اللقاء ضمن الاجتماع الأخير تأليف لجنة دائمة صغيرة من مسلمين ومسيحيين:

أ - تعمل للحفاظ على العلاقات الجيدة بين الجماعتين الدينيتين، وتصبح محكمة يُلجأ إليها عند حدوث خلافات بينهما.

ب - تُقرر وتُخطط للقاءات لاحقة مماثلة لهذا اللقاء، وتنشر المعلومات الهامة عن الجماعتين، بواسطة وسائل الإعلام.

ج - تشجع تعليم الإسلام في مؤسسات التعليم الديني المسيحي، والعكس بالعكس، وتقيم بطريقة علمية المواد التعليمية لجهة ملاءمتها التعاطي مع الموضوعات المتعلقة بالمسيحية والإسلام.

د - تُنشئ وتشجع التفكير اللاهوتي حول المسائل الأساسية التي

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٥٣).

تمس الإيمان والتعليم الأخلاقي في كلا الديانتين^(١).

وقد ذكرت مجلة Islamo - Christiana التي تصدر عن المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية أن عدداً من كليات اللاهوت والفلسفة المسيحية في الهند قد أنشأت دروساً أساسية عن الإسلام، في حين أن البرامج التقليدية في بعض المدارس الإسلامية توفر شيئاً من المعلومات، وبعض المناقشات حول المسيحية، لكن في إطار التفكير الإسلامي التقليدي ورؤيته.

وفي الجملة فإن نصارى الهند يبتغون تدريس الإسلام من خلال الرؤية الاستشراقية الحاقدة، وينقمون على المسلمين تدريس النصرانية وفق الرؤية الشرعية والعقيدة الإسلامية.

• «ملتقى معهد فادسا جيوتي»: في دلهي عام ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م. كما شارك المعهد المذكور في مؤتمر «القداسة في الإسلام والمسيحية» الذي نظمه المعهد البابوي للدراسات الإسلامية والعربية في روما عام ١٩٨٥ م، وسبق التعريف به^(٢).

مؤتمر: «تأسيس رابطة الدراسات الإسلامية (ISA):

نشأ من لقاء مجموعة كاثوليكية في «أكرا» Agra عام ١٩٧٩ م، بدعوى الحاجة إلى تعزيز أفضل لعلاقات التفاهم والانسجام بين النصارى والمسلمين في الهند. وينص ميثاق الرابطة على السعي لتشجيع الدراسات والبحوث والتعليم المهمة بالتاريخ، والثقافة الدينية، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية، والجوانب الأخرى للإسلام.

وتصدر الرابطة منذ تأسيسها مجلة ربع سنوية بعنوان «سلام». كما أصدرت كتاباً بعنوان: «مسلمو الهند: العقائد والممارسات»، لا يزال

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (١٢٧ - ١٢٨).

(٢) تقدم في محاولات الكنيسة الكاثوليكية.

مرجعاً واسع الاستعمال من قبل الكاثوليك، وكتاباً يتعلق بتساؤلات وصلوات المسلمين^(١).

مؤتمر: «التعايش والصلاة والتفكير معاً»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «أليغاره» في ربيع الأول عام ١٣٩٩هـ - فبراير عام ١٩٧٩م بمبادرة من:

■ جماعة تعددية الأديان.

■ لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك «CBCI»^(٢).

مؤتمر: «من أجل إنشاء جمعية للحوار بين الأديان»:

عقد في «عجبر - رجستان» يوم ٢٢ ذي القعدة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ٢ أكتوبر عام ١٩٨٠م، بمبادرة من الأب ليسير، والمزار الإسلامي «الدرجة»، ومشاركة مسلمين ونصارى وهندوس^(٣).

مؤتمر: «التربية الدينية»:

عقد في نيودلهي في الفترة: ٧ - ٩ ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ١٧ - ١٩ أكتوبر عام ١٩٨٠م، بمبادرة من معهد هنري مارتين في حيدر آباد، وفرع الدروس الإسلامية بجامعة «ميليّا»، وحضره ثلاثون مشاركاً من المسلمين والنصارى^(٤).

مؤتمر: «الحمد لله»:

عقد في «حيدر آباد» في الفترة: ١٣ - ١٥ ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ٢٣ - ٢٥ أكتوبر عام ١٩٨٠م، بمبادرة من معهد هنري مارتين، ولجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند CBCI، وفرع

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٩٦).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٣).

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٥).

الدروس الإسلامية بجامعة ميليا، وحضره أربعون مشاركاً^(١).

مؤتمر: «الدين قوة انسجام في المجتمع الهندي»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «أليغارة» يومي ١٢ - ١٣ صفر عام ١٤٠١هـ، الموافق ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٠، بمبادرة من جمعية أليغارة للحوار بين الأديان، وحضور شخصيات المدينة^(٢).

«احتفال لمناسبة الأعياد»:

جرى في مدينة «بنغلور» يوم ٢٦ ربيع الآخر عام ١٤٠٥هـ، الموافق ١٩ يناير عام ١٩٨٥م، من قبل فرقة طلاب مسلمين ونصاري^(٣).

مؤتمر: «حوار متعدد الأطراف»:

عقد في مدينة «أوتكموند» في الفترة: ٩ - ١١ شوال عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١٧ - ٢٠ يونيو عام ١٩٨٦م، بمبادرة من: جماعة ساتسنگ Satsang المتعددة الأديان، ولجنة الحوار لمجلس أساقفة الهند الكاثوليك CBIC، والرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان^(٤).

مؤتمر: «من أجل تعارف أفضل»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «إسكنديراباد» في الفترة: ١٨ - ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٢١ - ٢٣ نوفمبر عام ١٩٨٦م، بمبادرة من معهد هنري مارتين والمجلس المسيحي الدولي للهند، وحضره ثلاثون مشاركاً من المسلمين والنصارى والهندوس^(٥).

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٦).

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٠٨).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (١٤٨).

(٤) المرجع السابق. تسلسل (١٦٨).

(٥) المرجع السابق. تسلسل (١٨٠).

مؤتمر: «من أجل السلام والانسجام في الهند»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في «نيودلهي» يومي ٤ - ٥ شعبان عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٤ - ٥ أبريل عام ١٩٨٧م، بمبادرة من لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك CBCI، وحضره ثلاثمائة مشارك من مختلف الأديان والطوائف^(١).

مؤتمر: «الحياة معا بالتلاقي الديني»:

عقد هذا المؤتمر متعدد الأطراف في مدينة «كوثمبورة» في الفترة ٩ - ١١ رمضان عام ١٤٠٧هـ ٨ - ١٠ مايو عام ١٩٨٧م، بمبادرة من مركز كوثمبورة للتلاقي الديني، والرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان، ومشاركة سبعين شخصاً^(٢).

مؤتمر: «مساهمة الدين في نمو البشرية الكامل»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي النصراني في مدينة «تريفندروم» في الفترة: ١١ - ١٥ جمادى الثانية عام ١٤١١هـ، الموافق ٢٨ ديسمبر عام ١٩٩٠م - ١ يناير عام ١٩٩١م، بمبادرة من لجنة الحوار في مجلس كنائس ولاية «كيرلا»^(٣).

٤ - سيريلانكا:

شهدت جزيرة سيلان «سيريلانكا» ذات التعددية الدينية، حيث يمثل المسلمون والنصارى أقليتين بالنسبة لأكثرية السكان الهندوس والبوذيين، مؤتمرات عالمية بتنظيم مجلس الكنائس العالمي أهمها: مؤتمر السعي لتأسيس جماعة عالمية عام ١٩٧٤م، ومؤتمر: مسلمون

(١) المرجع السابق. تسلسل (١٨٦).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (١٨٨).

(٣) المرجع السابق. تسلسل (٢٣٢).

ومسيحيون يعيشون معاً ويعملون معاً. عام ١٩٨٣م^(١). وإلى جانب ذلك عقد مؤتمر على المستوى المحلي بعنوان:

مؤتمر: «نهار صلاة وسلام وتفاهم»:

في الخامس من رمضان عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١٤ مايو عام ١٩٨٦م، بمبادرة من «منظمة أديان الجزيرة الموحدة» دعيت إليه مختلف الأديان والطوائف^(٢).

٥ - إيران:

ترجع العلاقات بين الطائفة الشيعية المرتبطة بالمراجع الإيرانية مع الفاتيكان إلى وقت مبكر، فإثر إعلان قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥م قام ممثل الطائفة الشيعية في أوروبا، الدكتور: مهدي روحاني بزيارة البابا بولس السادس في شوال عام ١٣٨٥هـ فبراير ١٩٦٦م. وعلى مستوى الطائفة تم تبادل زيارات بين النائب البابوي «جون روب»، والشيخ الخالصي، في الكاظمية، جمادى الأولى عام ١٣٩٢هـ ١٤ يوليو عام ١٩٧٢م وروما في ٣ ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ ١٥ نوفمبر عام ١٩٧٧م.

وعلى مستوى السلطات الإيرانية، جرت زيارة في يونيو عام ١٩٧٦م من قبل الكاردينال بينيدولي، رئيس أمانة السر الفاتيكاني للعلاقات بغير المسيحيين، مصحوباً بالمونسieur روسانو، والأب أبو مخ، إلى طهران حيث التقوا الشاه والقادة الدينيين^(٣).

وقد ظل الحوار الإسلامي - النصراني في إيران مقصوراً على

(١) انظر: محاولات مجلس الكنائس العالمي في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٦٧).

(٣) انظر: Twenty Five Years of Dialogue. p.3.

الكنائس الأرثوذكسية، حيث شارك «المركز الإيراني للدراسات الثقافية الدولية C.I.C.S» في سلسلة من اللقاءات مع كنائس أرثوذكسية في اليونان، ومجموعات نصرانية أخرى^(١).

وكان أول لقاءٍ منظمٍ مع الكاثوليك هو:

«مؤتمر الحدائة»:

وقد عقد في طهران عام ١٩٩٤م، بين المركز الإيراني للدراسات الثقافية الدولية C.I.C.S، والمجمع البابوي للحوار بين الأديان P.C.I.D.^(٢).

٦ - أندونيسيا:

يمثل هذا البلد أكبر مراكز الثقل السكاني في العالم الإسلامي، إذ يعيش فوق جزره البالغة أكثر من ثلاث عشرة ألف جزيرة قرابة مائة وثمانين مليون نسمة. غالييتهم العظمى من المسلمين^(٣). وتشير إحصائية عام ١٩٩٠م إلى النسب المئوية التالية: المسلمون ٨٧,٢١٪، البروتستانت ٦,٠٤٪، الكاثوليك ٣,٥٨٪، الهندوس ١,٨٣٪، البوذيون ١,٠٣٪، ومذاهب أخرى. ٠,٣١٪^(٤).

وقد ارتفعت نسبة المسلمين في هذا العقد الأخير، بسبب معدل النمو السكاني المطرد، وحركة العائدين إلى الإسلام ممن وقعوا في عقود سابقة ضحايا لأعمال التنصير المكثف.

وقد خضعت هذه الجزر الإسلامية المنتشرة على جانبي خط

(١) Recognize The Spiritual Bonds. P.78 - 51.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: أطلس العالم: مجموعة من المتخصصين - مكتبة لبنان - بيروت. طبعة: ١٤١٧هـ (٩٦).

(٤) انظر: Aspiring For the Middle Path. Dr. Tarnizi Taher P.33.

الاستواء شرقي آسيا، لمختلف صنوف المستعمرين قرابة ثلاثة قرون ونصف، ابتداءً من البرتغاليين والأسبان الذين جلبوا معهم الكاثوليكية في مطلع القرن السادس عشر، ثم الهولنديين والإنجليز الذين جلبوا البروتستانتية في مطلع القرن السابع عشر، وحتى اليابانيين البوذيين أثناء الحرب العالمية الثانية، وباستسلامهم للحلفاء أعلنت أندونيسيا استقلالها في عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م. وقد تعرضت عام ١٩٦٥م لخطر الوقوع في براثن الشيوعية، ولكن الله سلّم، ففشلت محاولتهم الانقلابية الدموية.

وقد تمكن النصارى خلال هذه العهود المتناقضة، من تحقيق مكاسب كبيرة، ونفوذ واسع، والتغلغل في جميع مرافق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بما لا يتفق أبداً مع حجم تمثيلهم السكاني، وكان من أخطر أعمالهم الانتهازية استغلال فشل الانقلاب الشيوعي، وقيام حملة حكومية وشعبية للقضاء على فلول الشيوعيين ومطاردتهم، فكانت الكنائس تقوم بتنصير هؤلاء بدعوى أنها الوسيلة الوحيدة لحمايتهم وحقق دمائهم، وسجلت قفزات كبيرة في أعداد المعتقدن للنصرانية، فراراً من تهمة الشيوعية^(١)، زاعمين أن جميع معتنقيها من المسلمين، وحتى قرر الكاثوليك في جزيرة فلوريس (أن كل من لا ينتمي إلى الديانة الكاثوليكية يعتبر شيعياً يجب ذبحه، وهكذا ذبحوا ثمانية من أقطاب مسلمي «واي وايرنغ»... وبذلك اضطر بعضهم إلى اعتناق الكاثوليكية، وكانوا يطلقون سراح من اتهموه بالشيوعية من المسلمين إذا رضي باعتناق الكاثوليكية^(٢). وهذا ما يفسر عمليات التنصير الواسعة، التي أعقبت انقلاب الثلاثين من سبتمبر عام ١٩٦٥م، الشيوعي الفاشل.

(١) المرجع السابق (٤٠).

(٢) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا: أبو هلال الأندونيسي. دار الشروق. جدة. الطبعة الرابعة (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م). (٧٩، ٨٠).

وقد نقلت مجلة العربي عن مجلة «تايم» الأمريكية، في تلك الفترة الخبر التالي: (أصبحت أندونيسيا مسرحاً لأكبر حركة تبشيرية مسيحية في العصر الحديث... إن خطورة هذا الأمر تتجلى إذا ذكرنا أن أندونيسيا أمة إسلامية تكاد تكون خالصة، إذ أن نسبة المسيحيين الأصليين بين سكانها المائة وعشرة ملايين، نسبة لا تكاد تبلغ ١٠٪. ففي غضون الأشهر العشرين الأخيرة التي أعقبت ثورة أندونيسيا على الشيوعية، والتي نشطت فيها أعمال التبشير، بلغ عدد الأندونيسيين الذي تخلوا عن دينهم «الإسلام» واعتنقوا الدين المسيحي ٢٥٠,٠٠٠ نسمة، ويشمل هذا الرقم الذين التحقوا بالكنيسة الكاثوليكية، وبالكنيسة البروتستانتية على السواء...

ولقد بلغ من إقبال الأندونيسيين المتحولين، على الإنجيل أن نفذت كمياته في أندونيسيا^(١).

وفي بحثٍ تقدم به المنصّر ج. إيدرون أور لمؤتمر التنصير الشهير المنعقد في ولاية كولورادو عام ١٩٨٧م بعنوان: «الدعوة إلى التجديد الروحي» يتساءل الكاتب: (إذا طرح السؤال: في أي مكانٍ من العالم يتم تنصير المسلمين، وضمهم إلى عقيدة نصرانية حيوية بأعدادٍ كبيرة؟ فالإجابة ستكون بأن هذا يحدث في إندونيسيا... بينما كان المسلمون المسعورون يقومون بقتل ١٠٠,٠٠٠ شخص من أعدائهم الشخصيين والسياسيين، كان النصارى يتعاطفون مع الأصدقاء والأعداء على حدٍ سواء... في عام ١٩٦٧م أعلنت جمعية الكتاب المقدس الأندونيسية أنه قد تم تنصير ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، فيما وصف أنه تحول نحو النصرانية بمعدل لم يسبق له مثيل في العصور الحديثة. بينما أعلنت آنذاك وكالة

(١) مجلة العربي عدد (١٠٧) جمادى الثانية عام ١٣٨٧هـ أكتوبر عام ١٩٦٧م

يونييتدبرس العالمية بأنه تم تنصير ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة خلال ثلاث سنوات، لكن هذا كان تصريحاً غير مدعم بحقائق أو وثائق. في عام ١٩٦٦م وبفضل توفر وسائل الطباعة الحديثة باعت جمعية الإنجيل عدداً من النسخ في شهر واحد فاق ما باعته منذ عام ١٩٦١م. وقد طاف المنصرون أرجاء الجزر لتنظيم لقاءات جماهيرية تجلت فيها قدرة الرب^(١).

ويصف أحد الكتاب الأندونيسيين تلك الهجمة التنصيرية الشرسة التي وقعت على ذلك البلد المسلم الوداع إثر الانقلاب الشيوعي الفاشل قائلاً: (استطاع النصارى أن يحققوا أكبر الفوائد، ففتحوا الأبواب لدخول مختلف الطوائف المسيحية إلى أندونيسيا، بما في ذلك طائفة «شهود يهوه»، ولدخول آلاف المبشرين، وتوزيعهم على مختلف الأماكن والجزر، وشيدوا آلاف الكنائس الفخمة، والأديرة والبيع والمستشفيات ومعاهد الكهنوت والصروح البطركية، وتلقوا المعونات الضخمة الخارجية، نقدية وعينية، فقد كانت هناك بواخر ترسو في موانئ إندونيسيا حاملة إسمنت وخرسانة ومختلف مواد البناء الأخرى، ومعدات رياض الأطفال والمدارس التبشيرية، وكلها معونات من مختلف الهيئات الكنسية العالمية إلى نصارى أندونيسيا، معفاة من الضرائب والجمارك والمكوس).

كما تقاطرت أفواج المبشرين والمبشرات، والرهبان والراهبات، من شتى الجنسيات إلى أندونيسيا، «يكرزون» بالإنجيل في مختلف أصقاع أندونيسيا، دون معقبٍ أو رقيب، وحتى دون أن يعرف الكثيرون إلى أين ذهبوا، وماذا يعملون حيث يستقرون؟

وهكذا قامت خلال تلك الفترة كنائس ومعاهد وجامعات ودور

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (٦٢٧ - ٦٢٩).

أيتام وملاجئ ومستشفيات ومستوصفات في مختلف أنحاء العاصمة، ومدن الأقاليم وعواصمها، وحتى المناطق التي عرفت بنقائها الإسلامي من أتباع الأديان الأخرى. ومباني هذه المؤسسات تعتبر نماذج فخمة لفن المعمار الحديث، ومواقعها في المدن والأقاليم توحى وكأن أندونيسيا بلد نصراني صميم^(١).

وقد صاحب ذلك كله صلفٌ وغرور واستفزاز للمسلمين في عدة حالات، مما أثار حفيظة ذلك الشعب المتسامح. فجرت أحداث شغب وعنف بين الجانبين عام ١٩٦٧م^(٢)، مما حمل الحكومة العلمانية هناك على السعي في محاولة التقريب بين الأديان الخمسة المعترف بها، وهي: الإسلام، والكاثوليكية، والبروتستانتية - حيث تقدّم هاتان الطائفتان النصرانيتان نفسيهما منفصلتين لتحقيق مكاسب مزدوجة - والهندوسية والبوذية. فجرت عدة محاولات حكومية في هذا الصدد منذ عام ١٩٦٧م وحتى الآن، وكانت كما يلي:

مؤتمر: «ممثلي الأديان في أندونيسيا»:

دعت الحكومة عن طريق وزارة الشؤون الدينية جملةً من ممثلي الأديان الخمسة لعقد مؤتمر للأديان في جاكرتا - العاصمة - يوم ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧م، استهله رئيس الجمهورية، الجنرال سوهارتو ببيان سبب عقد هذا الاجتماع، وهي الأحداث التي وقعت في بعض المناطق (ويخشى أن تتسبب في قيام خلاف بين الأديان هنا)، وأكد على مبدئين من العناصر الخمسة التي قامت عليها جمهورية إندونيسيا بعد الاستقلال - ويسمونها - «البانتشاسيلا»^(٣) - وهما:

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا (ص ٢٧، ٢٨).

(٢) انظر: في المرجع السابق حوادث (ميلابوه) و«مكاسار» (٣٠، ٣١).

(٣) البانتشاسيلا: Pancasila. أي: الأعمدة الخمسة وهي: ١ - الربانية المتفردة. =

• الدولة قائمة على أساس الربانية المتفردة.

• تكفل الدولة لكل فرد من المواطنين الحرية التامة لاعتناق دينه، وممارسة شعائر ذلك الدين.

وليس للمسلمين أدنى وضع مميز، رغم كونهم عامة أهل البلاد، بل يعاملون على قدم المساواة معاملة النصارى والهندوس والبوذيين الذين لا يمثلون مجتمعين سوى عشر السكان!

وقد ضمن رئيس الجمهورية خطابه الافتتاحي مُقْتَرَحَيْنِ أساسيين:

(١) - الامتناع عن ممارسة التبشير تجاه أحد الأديان المعترف بها في أندونيسيا، وخاصة إذا كانت هذه الممارسات تتسم بشبهة من القسر أو الإكراه، وباستخدام وسائل الإغراء والإغواء أمام العوز والفاقة والحاجة. فقد ثبت أن التبشير مع المسلمين قد أحدث رد فعل بلغ في بعض الأحيان حداً من العنف، يخشى معه أن يتطور إلى مشاكل بل كوارث قومية.

٢ - إذا كان ولا بد من الاستمرار في التبشير، فليوجه إلى المجتمعات البيدائية التي لا تزال تعج بها المناطق الداخلية في كاليمتان وإيربان).

وقد قبل زعماء المسلمين بتلك المقترحات، ورفضها النصارى بشقيهم، مما يكشف صعوبة الموقف الإسلامي في تلك الحقبة، وقوة النصارى، حتى قال الدكتور تامبونان، وزير الشؤون الاجتماعية آنذاك، وأحد زعماء البروتستانت: إن المسيحيين رغم ارتباطهم بالدولة الإندونيسية، إلا إنهم مرتبطون أكثر بالأوامر الإلهية المذكورة في

= ٢ - الإنسانية العادلة. ٣ - القومية الإندونيسية. ٤ - الديمقراطية الشعبية.

٥ - العدالة الاجتماعية. انظر: قانون البانتشاسيلا في أندونيسيا، مجلة الأمة عدد ٧ عام ١٩٨١م (٤١).

الإنجيل، التي تطالبهم أن يكرزوا بالإنجيل، الخليقة كلها، ولذلك فهم مضطرون للقيام بهذا الواجب، ومستعدون للبذل والفداء من أجله^(١).

وفي مقابل ذلك جاء على لسان بعض القادة المسلمين ما يلي:

■ (... رغم من أن بعض مضامين الميثاق المقترح سوف يحد من نشاطنا نحن المسلمين أيضاً، إلا أننا رغبة في وحدة صفوف الأمة وفي تماسكها، أصرح بأنني أوافق من حيث المبدأ على هذا الميثاق المقترح)^(٢).

■ (إننا نحن المسلمون لدينا أوامر صريحة بنفس المعنى أيضاً، والمسلمون يحسون بواجب الامتثال لتلك الأوامر أيضاً. ولكن المعضلة تكمن في أن أداء هذه الواجبات في الوقت الحاضر قد أدى إلى حدوث مضاعفات خطيرة جداً، تقتضي منا جميعاً أعمال الفكر والعقل لتفادي أخطار تلك المضاعفات)^(٣).

ولم تُجدِ تنازلات المسلمين في عقر دارهم في ثني النصارى عن موقفهم المتصلب، والتراجع عن مهمتهم التنصيرية المسعورة. ففشل الاجتماع، ولم يخرج إلا بتوصية واحدة، وهي تكوين هيئة استشارية من ممثلي الطوائف الدينية عرفت باسم: (المنتدى الاستشاري بين الأديان Inter - Religious Consultation Forum).

وقد شرعت الحكومة من خلال المنتدى الاستشاري في إقامة سلسلة من اللقاءات متعددة الأطراف، بهدف إرساء قواعد الوفاق الديني، فعقدت العديد من المؤتمرات في مدن أندونيسيا المختلفة نذكر منها، حسب الترتيب الزمني:

(١) المرجع السابق (٣٩، ٥٣).

(٢) المرجع السابق (٥١).

(٣) المرجع السابق (٥٣).

مؤتمر: «من أجل حوار بين الأديان»: عقد في جاكارتا يوم ٧ ذي القعدة عام ١٣٩١هـ، الموافق ٢٩ نوفمبر عام ١٩٧١م، بمبادرة من وزير الشؤون الدينية إذ ذاك، الدكتور معطي علي، أثناء زيارة لاجتماع الأساقفة الكاثوليك الثاني والثلاثين لجنوب شرق آسيا.

مؤتمر: «الدين عامل إنمائي»: عقد في جاكارتا يومي ١٥ - ١٦ جمادى الأولى عام ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٧ - ٢٨ يونيو عام ١٩٧٢م، بمقر المعهد الدولي للشؤون الإسلامية.

مؤتمر: «كبيرون»: في ١٤ جمادى الثانية عام ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٦ يوليو عام ١٩٧٢م.

مؤتمر: «باندونغ»: في الفترة: ١٨ - ٢٣ رجب عام ١٣٩٢هـ، الموافق ٢٨ أغسطس - ٣ سبتمبر عام ١٩٧٢م. وقد حضره مائة وخمس وسبعون مشاركاً من مختلف الطوائف.

مؤتمر: «أهمية الدين»: في «سربايا» في الفترة: ٢ - ٦ ذي القعدة عام ١٣٩٢هـ، الموافق ٩ - ١٣ يناير عام ١٩٧٢م، بواقع عشرين ممثلاً لكل طائفة.

مؤتمر: «موانع الانسجام»: في يونيكرتا، في الفترة: ٣ - ٧ محرم عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٦ - ١٠ فبراير عام ١٩٧٣م، بواقع عشرين ممثلاً لكل طائفة.

مؤتمر: «الجهد من أجل الحوار»: في جاكارتا، في الفترة: ٥ - ٨ ربيع الأول عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٨ - ١١ أبريل عام ١٩٧٣م، بواقع خمسين ممثلاً لكل طائفة.

مؤتمر: «العناصر المشتركة»: في «ميدان»، في الفترة: ٢٥ - ٢٧ ربيع الأول عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٢٨ - ٣٠ أبريل عام ١٩٧٣م.

مؤتمر: «باندونغ»: في الفترة: ٢٥ أبريل إلى ١ مايو عام ١٩٧٣م.

مؤتمر: «المسؤولية المشتركة من أجل العدالة»: في «بونتياناك»، يومي ٥ - ٦ جمادى الأولى عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٦ - ٧ يونيو عام ١٩٧٣م، بين سبعة من العلماء، وستة قسس، وخمسة كهنة.

مؤتمر: «مينادو»: في ١٧ نوفمبر عام ١٩٧٣م.

مؤتمر: «أهمية الحوار الديني»: في بالمبانغ، في الفترة ١٤ - ١٧ ذي الحجة عام ١٣٩٣هـ، الموافق ٨ - ١١ يناير عام ١٩٧٤م.

مؤتمر: «من الحوار تنبع الحكمة»: في «دميسار» بجزيرة بالي ذات الأغلبية الهندوسية، في الفترة: ٢٧ ذي الحجة عام ١٣٩٣هـ - ١ محرم عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٢١ - ٢٥ يناير عام ١٩٧٤م، بواقع ثلاثين ممثلاً عن كل طائفة.

مؤتمر: «بنجرماسن»: في الفترة: ٢٩ - ٣١ مارس عام ١٩٧٤م.

مؤتمر: «التوفيق بين التسامح والتعاون على نشر الدين»: في كوبنغ في جزيرة «تيمور» ذات الأغلبية النصرانية، يومي ١١، ١٢ شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٢٨، ٢٩ أكتوبر عام ١٩٧٤م.

مؤتمر: «حول مؤتمر «كولومبو»: في «بونتياناك»، في الفترة: ٢٠ - ٢٣ شوال عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٦ - ٩ نوفمبر عام ١٩٧٤م، لتدارس نتائج مؤتمر «كولومبو» الذي نظمه مجلس الكنائس العالمي للأديان الخمسة الكبرى في العالم، للسعي لتأسيس جماعة عالمية في أبريل من العام نفسه^(١).

مؤتمر: «التعاون في سبيل الإنسان»: في سميرانغ، في الفترة: ١٤ - ١٧ محرم عام ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٧ - ٣٠ يناير عام ١٩٧٥م، بحضور ستين مشاركاً من مختلف الطوائف.

(١) تقدم في محاولات مجلس الكنائس العالمي في المبحث الثالث من هذا الفصل.

- (مؤتمر هل نتابع الحوار؟): في جاكرتا، في ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ، الموافق أبريل عام ١٩٧٥م، بمشاركة عشرين زعيماً دينياً.
- مؤتمر: «ميدان»: في الفترة: ٢٠ - ٢٣ نوفمبر عام ١٩٧٥م.
- مؤتمر: «باندونغ»: في فبراير عام ١٩٧٦م.
- مؤتمر: «ساميرانغ»: في الفترة ٢٤ - ٢٧ يناير عام ١٩٧٧م.
- مؤتمر: «كونغ»: في ٢١ أبريل عام ١٩٧٧م.
- مؤتمر: «بالنغ كاريتا»: في ٨ ديسمبر عام ١٩٧٧م.

تلك ثلاثة وعشرون مؤتمراً جرت خلال ست سنوات فقط^(١)، تكشف عن الحرص البالغ لدى وزارة الشؤون الدينية في الحكومة الأندونيسية على تفعيل قضية التقريب بين الأديان، في بلدٍ تسود فيه ديانة واحدة يعتنقها ٩٠٪ من الشعب. مما يوحي أن المراد هو الحفاظ على المكاسب التي حققتها الأقلية النصرانية في عقود خلت، ووضعها في مصاف الدين الرئيسي للأمة، باسم «الحريات الدينية».

وقد قوّم أحد أركان الحكومة الأندونيسية الأخيرة، وهو الدكتور ترمذي طاهر، وزير الشؤون الدينية، في كتاب صدر عام ١٩٩٧م، محاولات التقريب الوطنية بين الأديان خلال حقبة السبعينيات بقوله: (على الرغم من أن المنتدى الاستشاري بين الأديان فشل بادئ الأمر في حل المشكلات الدينية، إلا أنه نجح في عقد سلسلة لقاءات في السبعينيات. وفي تلك اللقاءات صيغت بعض فقرات الاتفاقات الأساسية، أضحت حجر الارتكاز لحوار إضافي، وفي غضون ذلك

(١) تم حصر المؤتمرات من كتاب: Maslah Hubungan Antar Umat Beragama Di

Indonesia باللغة الأندونيسية ط. (١٩٧٩) لمجموعة من المحررين، واللوحه

التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل الأرقام: (٢٧، ٢٩، ٣٢،

٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٥).

سنت الحكومة الأندونيسية من خلال وزارة الشؤون الدينية عدة تنظيمات، وقد كان أشدها أهمية قراري وزير الشؤون الدينية رقمي ٧٠، ٧٧ عام ١٩٧٨م^(١)، المؤيدين بالقرار الوزاري رقم ١ عام ١٩٧٩م... وخلاصة هذه الفقرات كما يلي:

أولاً: مناشط الوعظ الديني والتبشيري لا يجوز أن توجه لأولئك الذين اعتنقوا ديناً للتو.

ثانياً: مناشط الوعظ الديني والتبشيري لا يجوز أن تستخدم طرقاً جائرة، كاستعمال الغذاء، والكساء، والدواء، إلخ في سبيل إغراء الناس للتحويل إلى دين معين.

ثالثاً: مناشط الوعظ الديني والتبشيري لا يجوز أن تتم بأسلوب الزيارات من باب إلى باب.

وأخيراً: المساعدات المالية الأجنبية، والتسهيلات، ودعم الموارد الإنسانية لا يجوز توزيعها دون موافقة الحكومة^(٢).

لقد أدركت الحكومة الأندونيسية بعد ثلاثة وعشرين مؤتمراً من مؤتمرات الحوار بعض الحقائق، وتكشفت لها بعض نوايا النصارى ومخططاتهم لتنصير هذا البلد الإسلامي العريق، فأصدرت هذا القرار عام ١٩٧٩م، ونرجو أن يكون أخذ طريقه إلى التنفيذ لصد الهجمة التنصيرية الشرسة التي كانت تزعم عقد مؤتمر الجمعية العمومية الخامسة لمجلس الكنائس العالمي عام ١٩٧٥م في جاكرتا، عاصمة أكبر تجمع إسلامي على وجه الكرة الأرضية، إمعاناً في الكيد، واحتفالاً بتحقيق الانتصارات، في الوقت الذي يرحبون بالحوار ودعوات التقارب، كجزء

(١) نصوص هذه القرارات مثبتة في مطبوعة صادرة عن وزارة الشؤون الدينية

بعنوان: PEDOMAN PENYARAN - AGAMA DI INDONESIA

(٢) انظر: Aspiring For the Middle Path. Dr. Tarmizi Taher p.41

من استراتيجية عامة، صرح بها عتاة المنصّرين مثل ج. إيدون. أور في «الدعوة إلى التجدد الروحي» حيث يقول في توصياته: (يجب استبدال تشويه سمعة الإسلام، بالتعايش والحوار، دون إضعاف التنصير، على الرغم من زيف الإسلام وعجزه)^(١).

مجمع سوبود العالمي: World Subud Council:

ينسب هذا المجمع إلى رجلٍ أندونيسي يدعى: «محمد سوبود». ولد في عام ١٩٠١م، وشرع في عام ١٩٣٠م بعمل تدريبات «روحية» في مدينة «سميرانغ» في جاوه الوسطى، وطورها على مدى سبع عشرة سنة، بغرض إيجاد «وحدة دينية» بين أعضاء من انتماءات مختلفة من الأديان والمعتقدات والاتجاهات الاجتماعية والسياسية، يجمعهم - حسب زعمه - الاعتقاد بالوهية واحدة. وأطلق على محاولته تلك، عام ١٩٤٧م، اسم: «اجتماع الأخوة الروحية لذوي الأخلاق الطيبة والإحسان» ثم أعلن مبادئها بشكل واسع عام ١٩٥٧م، وظلت تنتشر حتى امتدت إلى ٧٦ دولة.

ولهؤلاء «السوبوديين» مجلسان؛ روحي، ومؤسسي، ويمارسون أنشطتهم في مقر سوبود نفسه، الذي أنشأه ليخدم فكرته في توحيد المعتقدات والأديان بشكل عملي معاشي، بصفة مجمع سكني في ضاحية «شيلاندا» بالعاصمة الأندونيسية جاكارتا، يتكون هذا المجمع من مبنى حراسة أمامي، وبيوت سكنية، ومبنى ذي أدوار، ومباني للضيافة، وقاعة كبيرة للتدريبات الروحية. وكل من يسكن هذا المجمع، من أعضاء هذه الجماعة^(٢).

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (٦٣٠).

(٢) عن دراسة صادرة عن وزارة الشؤون الدينية في أندونيسيا، عام ١٩٧٩م بعنوان:

Deskripsi Subud. (Susila Budhi Dharama) تأليف: Dr.S.M Yusuf Asri (١، ٢).

وتزعم هذه الجماعة أنها جاءت بإرادة الله لأجل التعايش السلمي بين الأديان كلها، حيث تمثل عائلة إنسانية واحدة، تسعى نحو هدفٍ واحدٍ لإلهٍ واحدٍ. ويقول سوبود أنه ليس من غرضه إبادة الأديان، وأنه لم يأت بدينٍ جديد، بل هي وسيلة لجمع الناس، فكل يعمل على شاكلته، وكل من عمل بمقتضى دينه فإنه يستحق الجنة^(١).

وتفشو هذه المزاعم الباطلة في أوساط المثقفين ثقافةً غربية، من الإسلاميين العصريين، وينادون بها على صفحات الجرائد والمجلات ومنابر الإعلام المتنوعة، ويتسمنون المناصب الدينية الرسمية، لإقرار هذه الضلالات وترسيخها في المجتمع الأندونيسي المسلم^(٢).

وقد طفت مظاهر التقارب الديني المصطنع في أندونيسيا إلى حد الاعتراف الرسمي بخمسة أديان، توصف جميعها بأنها «توحيدية»، بما في ذلك الهندوسية والبوذية، بالإضافة إلى إقامة مجمعات للمعابد الدينية ضمن إطار واحد، كما في «حديقة أندونيسيا المصغرة TAMAN MINI INDONESIA»، التي تمثل موقعاً وطنياً سياحياً لعرض التراث والثقافة الوطنية، حيث أقيم فيها مجمع لمعابد الأديان الخمسة المعترف بها، مسجد، وكنيسة كاثوليكية، وكنيسة بروتستانتية، ومعبد هندوسي، ومعبد بوذي، تنتصب جنباً إلى جنب، ولا يفصل أحدها عن الآخر سوى ممر صغير^(٣).

-
- (١) المرجع السابق. الباب الرابع «علاقة سوبود بالأديان والاعتقادات الروحية».
- (٢) انظر: على سبيل المثال مقالات مجموعة لطائفة من هؤلاء العصريين في كتاب Passing Over Melintasi Batas Agama تحرير: كرم الدين هداية، وأحمد جوزفا. بإشراف د. نور خالص مجيد. طبعة ١٩٩٨م،
- (٣) قد وقف المؤلف بنفسه على هذا المجمع يوم الخميس الموافق ١٦/٤/١٤٢٠هـ، ووثقه بالصور المرئية.

٧ - ماليزيا:

كانت بلاد الملايو «ماليزيا» من المواطنين الإسلامية الخالصة، حتى قام الاستعمار الإنجليزي في مطلع القرن العشرين الميلادي باستجلاب أعداد كبيرة من الصينيين والهنود للعمل في الزراعة وغيرها، وظلت أعدادهم تزداد - لا سيما الصينيون - حتى بلغت قرابة ثلث السكان في نهاية القرن، وفضلاً عن هذا، فقد أمسكوا بزمام الاقتصاد والإدارة في هذا البلد الإسلامي العريق، وكادوا أن يتسمنوا منصب الحكم والسياسة في أواخر الستينيات ١٩٦٩م، عبر انتخابات مزيفة، أسفرت عن فوز الأقلية الصينية بمعظم مقاعد البرلمان، ثم أعقبها انقلاب عسكري، وجرت حرب أهلية بين الملاويين والصينيين.

ومنذ ذلك الحين، والمسألة العرقية المرتبطة بالانتماء الديني ذات حساسية بالغة، وقد حرصت الحكومات المتعاقبة على ترسيخ مفهوم المواطنة، والدعوة إلى الوثام بين أتباع الديانات المختلفة، فتأسس:

المجلس الاستشاري الماليزي للأديان:

الذي عقد: مؤتمر: «القيم الدينية المشتركة في سبيل بناء الأمة»: في كوالالمبور، في الفترة من ١٤ إلى ١٥ جمادى الثانية عام ١٤٠٤هـ، الموافق ١٧، ١٨ مارس عام ١٩٨٤م، وحضره ستمائة شخص من جميع الأديان^(١).

وقد تكررت المحاولة في عقد التسعينيات، حيث عقد مؤتمران للتقريب بين الأديان، نظمهما البرفسور عثمان بكر، نائب مدير جامعة الملايو، تلميذ داعية التقريب بين الأديان، الشيعي، المقيم في

(١) انظر: اللوحة المرفقة بكتاب «البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة» تسلسل

الولايات المتحدة الأمريكية سيد حسين نصر^(١).

وتظهر بعض آثار دعوة التقريب بين الأديان في المجتمع الماليزي بوجود مسجد إلى جواره كنيسة أو معبد بوذي في بعض المدن، ووضع نسخ من القرآن الكريم، والإنجيل، وكتاب تعاليم بوذا في غرف بعض الفنادق.

٨ - الفلبين:

هو البلد الآسيوي الوحيد ذو الأغلبية السكانية النصرانية. ومرد ذلك إلى الاستعمار الأسباني الكاثوليكي الذي دام قرابة أربعة قرون (١٥٢١ - ١٨٩٨م)، ومارس فيه الأسبان وسائل التنصير القسري على شعوبه، بما فيهم المسلمين، واضطهدوهم، وأطلقوا عليهم اسم «المورو» الذي أطلقوه على بقايا المسلمين في الأندلس. ثم باع الأسبان جزر الفلبين عام ١٨٩٨م على الأمريكيين بمبلغ عشرين مليون دولار^(٢)، فاستمر النفوذ النصراني، والإقصاء المتعمد للمسلمين الذين حوصروا في الجزر الجنوبية مندناو، وسولو، وتمّ توطين مئات الآلاف من النصارى بين ظهرائهم بعد الاستقلال الرسمي عام ١٩٤٥م.

وقد ظل التوتر سائداً في المنطقة منذ أن وطئت أقدام الغزاة

(١) لم تتوفر لدي معلومات عن هذين المؤتمرين. وانظر في التعريف بسيد حسين نصر. المسلمون في أمريكا (١٠٣).

(٢) انظر: مسلمو الفلبين والمشكلات التي تواجه المنظمات الإسلامية. الحاج عبد الرحمن ر. ت لينزاج ضمن بحوث: الأقليات المسلمة في العالم. ظروفها المعاصرة. آملها، آمالها: أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٢ - ٧ يناير ١٩٨٦م. إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض. شركة العيكان للطباعة والنشر. الرياض (٥١٩/٢ - ٥٢٥).

النصارى بلاد الفلبين، خلال الحقبة الأسبانية المقيمة، ثم مخططات الاستدراج الأمريكية، وأخيراً محاولات الاستيعاب من قبل الحكومات الفلبينية المتعاقبة. وقد تفاقمت الصراعات الدموية بين المسلمين والنصارى في الجنوب في مطلع السبعينيات، مخلفةً وراءها آلاف القتلى والمشردين والقرى والمساجد المحروقة.

وبلغ عدد المسلمين في الفلبين وفق إحصائية عام ١٩٩٢م ٣,٨ مليون نسمة^(١)، من مجموع سكان الفلبين البالغ عددهم أكثر من ستين مليوناً.

وقد كانت الفلبين محلاً لعقد بعض المؤتمرات العالمية والإقليمية في مجال «الحوار الإسلامي المسيحي». ومن أشهر تلك المؤتمرات:

مؤتمر: «زامبونغا ستي»: عام ١٩٧٤، من قبل أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين.

مؤتمر: «مراوي ستي»: عام ١٩٧٦م، من قبل مجلس الكنائس العالمي.

مؤتمر: «باتايا الإقليمية»: عام ١٩٩٤م، من قبل المجمع البابوي للحوار بين الأديان^(٢).

أما على المستوى المحلي فقد سعت الحكومة، وبعض الجهات الأكاديمية إلى تفعيل قضية الحوار بغية تخفيف التوتر، وتحقيق بعض الأهداف، فعمدت السلطات الحاكمة ذات الأغلبية النصرانية المطلقة في وقت مبكر إلى إنشاء:

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٢) سبق التعريف بهذه المؤتمرات في هذا الفصل.

(الاتحاد المسكوني للسلطات الدينية):

في مانिला - العاصمة - عام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م^(١). وبعد اندلاع المواجهات القتالية بين المسلمين والنصارى في الجنوب في مطلع عقد السبعينيات دعمت الحكومة عقد المؤتمرات الوطنية التالية:

مؤتمر: «بناء الإرادة الحسنة»: في زامبونغا ستي عام ١٩٧٤م، للتشاور والتعاون حين وقوع النزاعات الأهلية^(٢).

مؤتمر: «الوحدة في التعددية»: في زامبونغا ستي، يومي ١٨ - ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٩٥هـ، الموافق ٢٩ - ٣٠ مارس عام ١٩٧٥م، بتنظيم من لجنة حوار حكومية^(٣).

مؤتمر: «تحقيق البرامج الحكومية»: في مراوي ستي، عام ١٩٧٦م، لدراسة مجموع الموظفين في الجيش والوظائف الرسمية، والفرص الاقتصادية للمسلمين وتحقيق تفاهم أفضل بين الحضارات^(٤).

مؤتمر: «الهدنة وإعادة التفاوض بين جبهة تحرير مورو الوطنية «MNLF» والحكومات الفلبينية»: في تاغايتي - قرب مانिला - عام ١٩٧٩م^(٥).

مؤتمر: «الأبعاد الخلقية والروحية في العلاقات الإسلامية المسيحية في الفلبين»^(٦): عقد في مراوي ستي، في الفترة: ٢ - ٧ صفر عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٣٠ نوفمبر - ٤ ديسمبر عام ١٩٨١م.

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٧).

(٢) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١١٤).

مؤتمر: «العلاقات الإسلامية المسيحية، على المستوى الجذري في يوليو»: عام ١٩٨٤م^(١).

مؤتمر: «القضايا القانونية للشريعة والنظام المدني والمحاكم: في كوتوباتو عام ١٩٨٦م^(٢).

مؤتمر: «الوجود الإسلامي بين المسيحيين، والوجود المسيحي بين المسلمين»: في زامبونغا ستي عام ١٩٨٧م^(٣).

مؤتمر: «العلاقات الإسلامية المسيحية في مندناو»: عقد في زامبونغا ستي في الفترة: ٢٦ - ٢٨ رجب عام ١٤٠٩هـ، الموافق ٣ - ٥ مارس عام ١٩٨٩م^(٤).

أما على المستوى الأكاديمي، فقد نشطت ثلاث مؤسسات علمية منذ أواخر الستينيات على عقد مؤتمر سنوي في شهر أغسطس غالباً، وهي:

١ - (جامعة الدروس لجنوب شرق آسيا «Silsilah»): في مدينة زامبونغا الإسلامية.

٢ - (مركز دنسلان للأبحاث): ومقره مدينة مراوي الإسلامية.

٣ - (معهد يوليو): في مدينة يوليو الإسلامية.

ويحضر هذه المؤتمرات المتتالية من الجانبين ما بين خمسين إلى مائة مشارك. وهي:

مؤتمر من أجل الانفتاح والتفاهم مع الإسلام المعاصر: مراوي. ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(١) انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.116.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب: البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢١١).

مؤتمر: «تقدم الإسلام في الفلبين»: مراوي. ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
مؤتمر: «اتجاه التباحث في (فرانو): مراوي. ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
مؤتمر: «اتجاه التباحث في مغندناوه»: كوتوباتو. ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

مؤتمر: «أهمية الدين» يوليو. ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
مؤتمر: «تدوين العادات الإسلامية، والشريعة القرآنية»: دفاوه.
١٣٩٣هـ - سبتمبر ١٩٧٣م.
مؤتمر: «أسس التفاهم الإسلامي - المسيحي الدينية»: كجايان -
أورو ١٣٩٤هـ - ديسمبر ١٩٧٤م.

مؤتمر: «لقاء الثقافات»: زامبونغا. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
مؤتمر: «من أجل تفاهم أعمق»: لاناوه. ١٣٩٦هـ - يونيو
١٩٧٦م.

مؤتمر: «لقاء وحوار»: مراوي ١٤٠١هـ - مايو ١٩٨١م^(١).
أما الكنيسة الفلبينية فلا نكاد نجد لها ذكراً إلا في مؤتمر واحد
هو:

«مخيم من أجل التعارف الأفضل»: الذي عقد في مدينة
«كوتوباتو»، في الفترة ٢٦ ربيع الثاني إلى ٣ جمادى الأولى عام
١٣٩٦هـ، الموافق ٢٦ أبريل إلى ٢ مايو عام ١٩٧٦م، بمبادرة من لجنة
الحوار الإسلامي المسيحي، ولجنة PACEM من أساقفة الفلبين^(٢).

(١) انظر: عن المؤتمرات العشرة السابقة، اللوحة التابعة لكتاب البيانات
المسيحية الإسلامية، تسلسل (١٥، ١٨، ٢٢، ٢٦، ٣٤، ٤٠، ٥٨، ٧٠،
٧٦، ١١٠).

(٢) المرجع السابق. تسلسل (٧٤).

وهذا يكشف عن درجة العداء والتوتر وانعدام الثقة الناتجة عن الاضطهاد النصراني للمسلمين، بخلاف الحال حين يكون النصراني أقلية في بلد مسلم، أو أقلية مماثلة للمسلمين في بلد وثني، حيث تبدي المنظمات الكنسية تقارباً ملحوظاً مع المسلمين، كما هو الحال في الهند مثلاً.

٩ - اليابان:

يعتق معظم سكان الجزر اليابانية، البالغ عددهم أكثر من مائة وثلاثة وعشرين مليون نسمة، البوذية، وقد دخل ممثلو هذه الديانة الوثنية معترك محاولات التقارب الديني في العالم بوصفها أحد الأديان الخمسة الكبرى في العالم من حيث عدد الأتباع.

وإثر البدعة الكاثوليكية الأخيرة المتمثلة بـ«يوم الصلاة من أجل السلام» في مدينة أسيزي الإيطالية، التي دعا لها البابا يوحنا بولس الثاني قادة الأديان العالمية في أكتوبر عام ١٩٨٦م، أعلن الراهب البوذي «إيتاي يامادا Etai Yamada»، رئيس دير «جبل هيي Mt. Hiei»، ورئيس «المؤتمر الياباني لممثلي الأديان J.C.R.R»، المشارك في يوم أسيزي، أعلن يوماً «للصلاة في روح أسيزي» يقام في جبل هيي في اليابان^(١)، في العالم التالي ١٩٨٧م، بمناسبة مرور ألف ومائتي عام على تأسيس أهم المعابد البوذية في اليابان على سفح ذلك الجبل قرب العاصمة القديمة «كيوتو».

(١) يمثل هذا الجبل الواقع قرب العاصمة العريقة «كيوتو»، المركز الثقافي والديني لليابان، أهمية تاريخية في تاريخ الديانة اليابانية، حيث أسس الراهب البوذي سايكو Saicho أول معبد بوذي على سفحه عام ٧٨٧م، وصار منطلقاً لانتشار البوذية في اليابان. انظر: Recognize The Spiritual Bonds. P.95.

«يوم الصلاة من أجل السلام في جبل هبي»:

انعقد هذا الملتقى العالمي للأديان، المنسوج على غرار يوم أسيزي في الرابع من أغسطس عام ١٩٨٧م. وقد شهدته ستمائة ممثل ديني من البوذيين، والنصارى، والكونفوشيين، والهندوس، واليهود، والمسلمين، والأديان الجديدة، والشتو، قدموا فيه نظرتهم نحو تحقيق السلام العالمي من خلال معتقداتهم الدينية.

ثم صعد ممثلو الأديان جبل هبي، وأداروا حلقة صلاة عند المعبد البوذي! وقد حضره هذه الطقوس الوثنية - وللأسف - من المسلمين: ممثل لشيخ الأزهر، ورابطة العالم الإسلامي، وعميد الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، والمدير العام لمركز البحوث في تركيا، والممثل الرسمي للمسلمين في الاتحاد السوفيتي^(١).

وهذا من شؤم مجارة أهل الكتاب وموافقتهم، حيث لم يكتفوا بمداهنة بعض المسلمين إياهم متعللين بالشُّبه الكثيرة، فما زالوا بهم حتى أوردوهم حياض الوثنية، وبيوت الأصنام. وصدق الله إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران].



(١) انظر: Regonize The Spiritual Bonds. P.95-96 وانظر: الإبطال لنظرية الخلط بين

دين الإسلام وغيره من الأديان. للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (٢٥).

رسائل جامعية ٢٠

مكتبة المسجد النبوي الشريف
رقم الكتاب: ٥٢٦٢٤
تاريخ التسجيل: ٢٠٠٢/٧/١٤هـ

دَعْوَةٌ

١٥
٢٠٠٢

التَّحْقِيقُ فِي بَيِّنَاتِ الْأَكْبَارِ

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

تأليف

الدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

وقد تم تسجيله

المجلد الرابع

دار ابن الجوزي

٢٠/١٨

المبحث الثامن

محاولات التقريب بين الأديان في العالم العربي

العالم العربي قلب العالم الإسلامي، من الناحيتين الجغرافية والمعنوية. والعرب وإن كانوا لا يمثلون سوى ٢٠٪ من مجمل مسلمي العالم، لكنهم يمثلون العمق الإسلامي حضارة وتاريخاً وواقعاً ومعاشاً. فلا عجب أن تتوجه إليهم المحاولات الغربية بصفة رئيسة في الدعوة إلى الحوار والتقارب، وكأن الناس لهم تبع. كما أن بعض البلدان العربية تضم بقايا نصارى منذ القدم، صاروا يرفعون لواء الحوار مع مواطنيهم المسلمين، ويقدمون أنفسهم أحياناً وسطاء بين العالم الإسلامي والعالم النصراني^(١). وفي أماكن عدة تقع بين الجانبين بعض التوترات.

وسنعرض هاهنا لمحاولات التقريب بين الأديان التي نشأت ابتداءً في بلدان عربية، بصفة مؤسسات متخصصة في هذا الشأن، دون تلك التي قامت على أسس مغايرة، ثم دُعيت للمشاركة في مبادرات خارجية. كما سنكتفي بالإشارة فقط، إلى ما سبق التعريف به من محاولات كانت المؤسسات العربية المتخصصة طرفاً فيها دفعاً للتكرار، مع الإحالة في الهامش إلى مواضعها السابقة.

١ - لبنان:

يمثل هذا البلد الصغير بمساحته (١٠,٤٥٢ كم^٢)، وسكانه (٢,٧٠١,٠٠٠) نسمة^(٢)، منطقة من أشد مناطق العالم حساسية في

(١) راجع مبحث حقيقة التقريب عند النصارى العرب في الباب الأول.

(٢) انظر: أطلس العالم ط١٤١٧هـ.

العلاقات الإسلامية النصرانية. فقد أدت حركة الهجرة الموجهة نحو جبال لبنان من قبل نصارى الشام والعراق إلى نشوء تكافؤ عددي بين المسلمين والنصارى، ساعد الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان منذ عام ١٩١٨م على تمكين النصارى، وقد تسبب ذلك في اندلاع حروب أهلية متعاقبة، كان أعنفها في العصر الحديث حرب ١٩٥٨م، وحرب ١٩٧٥م، التي دامت خمس عشرة سنة تقريباً. لقد حفز هذا الوضع المتوتر القيادات الدينية والفكرية في لبنان على تفعيل قضية الحوار، من منطلقين:

أحدهما: واقعي، وهو التعايش السلمي بين أتباع عديد من الديانات والطوائف ينتشرون على رقعة صغيرة من الأرض، أشبه بالفسيفساء ذات الألوان المتداخلة.

الثاني: التشوف المفرط في الأمل أن تكون التجربة اللبنانية السلمية أنموذجاً يحتذى للعلاقات الإسلامية - النصرانية، وأن يكون لبنان جسر الاتصال بين الشرق المسلم والغرب النصراني، عن طريق نصاراه الذين طالما تغنوا بهذه الخاصية^(١).

لقد نشأت محاولات التقريب بين الإسلام والنصرانية بمبادرات «إسلامية» غالباً، قبل الحرب الأهلية الأخيرة (١٩٧٥ - ١٩٩٠م)، ومبادرات نصرانية منظمة بعدها، بصورة معاهد بحوث ومراكز حوار.

١ - (الندوة اللبنانية):

هي عبارة عن منتدى ثقافي متعدد الأغراض؛ فكري، أدبي؛ اجتماعي، سياسي، يعتمد أسلوب المحاضرة، أنشأها «ميشال أسمر» في خريف عام ١٩٤٦م. وكان موسم المحاضرات الأسبوعية يمتد من

(١) راجع بواعث التقريب عند النصارى العرب.

أكتوبر حتى يونيو، إلى أن توقفت عام ١٩٧٤م^(١)، قبيل الحرب الأهلية الأخيرة، وقد أُلقي على منبرها قرابة خمسمائة محاضرة. ومن بين هذه المئين كانت سلسلة:

«محاضرات المسيحية والإسلام في لبنان»:

عقدت في موسم عام ١٩٦٥م، وتناوب عليها ثمانية محاضرين من الجانبين، وهم: صبحي الصالح، موسى الصدر، حسن صعب، نصري سلهب، يواكيم مبارك، جورج خضر، فرنسوا دوبره لاتور، ويوسف أبو حلقة، وكانت تلك المحاضرات محل اهتمام الرأي العام في تلك الحقبة، فعقد المحاضرون الثمانية عدة لقاءات لوضع بيان مشترك، ونشره على الملأ نقتطف منه:

■ (إن المحاضرين الثمانية الذين اشتركوا في سلسلة «المسيحية والإسلام في لبنان»... لعلّ يقين بأن لبنان هو الموطن المختار لمثل هذا الحوار المسيحي الإسلامي، وبأنه حين يجدد وعيه بتعاليم هاتين الرسالتين يسهم في تجديد طاقة الإنسان الروحية وصونها...

■ وإنهم ليعاهدون الله على تحقيق لقاء أخوي مستمر، ينهلون خلاله من معين الديانتين العالميتين، وتعمل فيه كل فئة بتعاليم دينها، جاهدة في تفهمها لما انطوت عليه الديانة الأخرى من عبر وعظات ونظم، تقرب الإنسان من أخيه الإنسان...

■ أن يسعوا لإنشاء معهد جامعي عالٍ للدراسات الدينية المقارنة، تشرق فيه المعرفة بحقائق المسيحية والإسلام...

ويحرص المحاضرون على تأكيد تقديرهم للمقامات الروحية من

(١) انظر تعريفاً مستفيضاً بالندوة ومؤسستها، ومحاضراتها في المدونة الضخمة الصادرة عن «دار النهار» - بيروت ١٩٩٧م، بعنوان: «عهد الندوة اللبنانية. خمسون سنة من المحاضرة».

مسلمة ومسيحية، آملين أن يلتقوا معها في هذا الحوار، ليكون أكثر إيجابية وأعمق تأثيراً...^(١) ٨ تموز ١٩٦٥ م. وقد تقدم عرض بعض الأفكار الواردة في محاضرتي صبحي الصالح، ويواكيم مبارك، في الباب الأول.

«محاضرات العدالة في المسيحية والإسلام»:

عقدت في موسم عام ١٩٦٦ م، وشارك فيها، ثمانية آخرون من الجانبيين.

ولإلى جانب هذه المحاضرات (انطلق التعاون بين «الندوة اللبنانية»، والخورى يواكيم مبارك في إطار المشروع الرامي إلى وضع الحوار المسيحي الإسلامي في سياقٍ علمي منظم في لبنان، واستمر متنوعاً حتى وفاة مؤسس الندوة، أواخر عام ١٩٨٤. من ثمراته صدور كتاب «الإسلام» عام ١٩٧٥، وكتاب «الخماسية المارونية» في سبعة مجلدات عام ١٩٨٤، في منشورات «الندوة اللبنانية»^(٢).

ويرى أحد المحللين النصارى لمواقف «الندوة اللبنانية» أن تفعيل قضية العلاقات بين المسيحية والإسلام في لبنان بهاتين السلسلتين من المحاضرات في منتصف الستينيات، لمحاولة إرساء تصور مستقل لفكرة «فصل الدين عن الدولة» تخالف التصورات القومية والاشتراكية السائدة منذ الخمسينيات، فيقول ناصيف نصار: (لم تكن فكرة الفصل بين الدين والدولة في أيديولوجيا «الندوة اللبنانية» متطابقة مع معناها في الأيديولوجيات القومية العلمانية... ولذلك لم ينبر محاضرو الندوة للتفكير في كيفية فصل الإسلام والمسيحية عن المجتمع السياسي في لبنان، بل انبروا للتفكير في كيفية إقامة التعاون بينهما، وفي كيفية

(١) البيانات المسيحية الإسلامية (٣٢ - ٣٤).

(٢) عهد الندوة اللبنانية (٢٨ - ٢٩) هامش رقم (٣١).

الارتكاز عليهما في سياسة الدولة اللبنانية، من دون وقوع في الدمج بين الدين والدولة...

أما الجوانب التطبيقية، فقد سعت إلى إيجادها تحت مفاهيم الحوار والتفاهم والمصالحة والقيم المشتركة، والمحاضرات الملقاة ضمن سلسلة «المسيحية والإسلام في لبنان»... وسلسلة «العدالة في المسيحية والإسلام»^(١).

في هذا السياق جاءت تلك المحاضرات لبعض الزعامات الدينية من الجانبين، في زخمٍ من «المواد» و«المجاملات» و«المداهنات»، سرعان ما ذهب دفؤها حين هبت رياح العصبية الدينية في السبعينيات.

وقد شهدت السنوات الست السابقة لاندلاع الحرب الأهلية عدداً من المبادرات الإسلامية، دعا إليها مفتي لبنان الشيخ حسن خالد - رحمه الله - مختلف الطوائف الدينية، وكانت على النحو التالي:

مؤتمر ١٤ شعبان عام ١٣٨٨هـ، الموافق ٢٦ أكتوبر عام ١٩٦٩م.

مؤتمر: «التعاون الروحي»: في ١٢ ذي القعدة عام ١٣٩٠هـ، الموافق ٩ يناير عام ١٩٧١م.

مؤتمر: «التعاون الروحي، والترابط بين جميع الطوائف»: في محرم ١٣٩١هـ، الموافق مارس ١٩٧١م.

مؤتمر ٢٠ رمضان عام ١٣٩٣هـ، الموافق ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٣م.

مؤتمر محرم ١٣٩٥هـ، الموافق فبراير عام ١٩٧٥م، بمناسبة الاحتفال بالسنة الهجرية^(٢).

(١) عهد الندوة اللبنانية (٢٤). مقالة تحليلية للندوة لناصيف نصار.

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل الأرقام (١٨، ٢٤، ٢٥، ٤١، ٦٣).

ولم يصدر عن هذه الملتقيات بيانات مشتركة. وبعد اندلاع الحرب: عقد مؤتمران:

مؤتمر: «التعايش والاتحاد الإسلامي-المسيحي عنصران أساسيان للبنان»: عقد في بيروت يوم ٢٨ رمضان عام ١٣٩٥هـ، الموافق ٤ أكتوبر عام ١٩٧٥م بين مختلف القيادات الدينية^(١).

مؤتمر: «التعايش الإسلامي - المسيحي في لبنان»: عقد في بيروت يوم ٢ جمادى الأولى عام ١٤٠٤هـ، ٢٢ فبراير عام ١٩٨٤م بدعوة من البطريرك إغناطيوس هزيم الأرثوذكسي لمختلف القيادات الدينية^(٢).

٢ - (مجلس كنائس الشرق الأوسط - «MECC»): رغم الاسم الإقليمي لهذا التنظيم الكنسي، إلا أنه في الحقيقة لبناني المولد والنشأة، ومعظم نصاراه الشرقيين من لبنان، وقد تأسس في أواخر مايو عام ١٩٧٤م، من تلاقي عدة حركات ناشطة، هي:

١ - مجلس كنائس الشرق الأدنى، الذي تأسس في بيروت من بعض الكنائس البروتستانتية الشرقية عام ١٩٣٢م.

٢ - حركة الشبيبة الأرثوذكسية، التي تأسست عام ١٩٤٢م، والتف شبابها حول المطران جورج خضر، مطران جبل لبنان للروم الأرثوذكس.

٣ - المكتب المسكوني لشبيبة وطلاب الشرق الأدنى، الذي تأسس عام ١٩٦٢م.

٤ - الفرع الشرقي لاتحاد الطلاب المسيحيين العالمي.

(١) المرجع السابق تسلسل (٧١).

(٢) المرجع السابق تسلسل (١٣٤).

وقد التقت هذه الحركات في مؤتمر عام في «نيقوسيا - قبرص»، وأعلنت تشكيل المجلس الذي كان مشعباً بالروح القومية، وتيار الثورة الفلسطينية. وتضمنت توصياته الدعوة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، وتكررت في جمعيته العمومية في برمانا عام ١٩٧٧م، نيقوسيا ١٩٨٠م^(١).

وقد كان للمجلس دورٌ في التحضير للمؤتمرات العالمية التي عقدت في لبنان، مثل:

مؤتمر: «الانفتاح والتعاون لإزالة التعصب وسوء التفاهم»: المعقود في برمانا عام ١٣٩٢هـ، - ١٩٧٢م، بمبادرة مجلس الكنائس العالمي^(٢).

مؤتمر: «الإيمان والعلم والتقنية»: المعقود في بيروت عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، بمبادرة من مجلس الكنائس العالمي أيضاً^(٣).

مؤتمر: «مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي»:

وقد عقد في بيروت في أتون الحرب الأهلية، بمبادرة من المجلس، والندوة اللبنانية، في الفترة: ٢٤ - ٢٦ ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ، الموافق ٣ - ٦ نوفمبر عام ١٩٨٠م، وضم خمسة وثلاثين مشاركاً من لبنان والمغرب وأوروبا. وصدر عنه بيان مقتضب لا يتضمن أي قضية موضوعية، بل مجرد توصيتين فئيتين بجمع وقائع اللقاء، واقتراح تكوين لجنة متابعة^(٤)، مما يكشف عن الوضع المتأزم خلال مرحلة المواجهة المسلحة.

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٦٩).

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي (١١٤٤).

(٣) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي (١١٦٤).

(٤) البيانات المسيحية الإسلامية (١٤٠ - ١٤١).

وكان المجلس قد عقد على المستوى الداخلي لأعضائه عدة مؤتمرات لدراسة مستقبل العلاقات الإسلامية المسيحية، في برمانا عام ١٩٧٥م، وأثينا عام ١٩٧٨م، وبيروت عام ١٩٨٠م. ثم شكل في ختام عام ١٩٨٤م فريق عمل استشاري في هذا الشأن عقد مؤتمرات مماثلة في قبرص - أثناء الحرب - كان أهمها:

مؤتمر: «الانتماء الديني والمواطنة»: في أبريل عام ١٩٨٥م.

مؤتمر: «الدين في المجتمع»: في أكتوبر ١٩٨٧م.

وفي مطلع عام ١٩٩٠م انضمت الكنائس الكاثوليكية الشرقية إلى المجلس^(١)، ليصبح بذلك أول رابطة نصرانية تجمع مختلف الطوائف النصرانية الكبرى: الأرثوذكس، والبروتستانت والكاثوليك، تحت سقف واحد، حفزها نحو تناسي الخلافات والعداوة والبغضاء التي أغراها الله بها، الخوف من الذويان في المحيط الإسلامي الذي دبّت في أوصاله بوادر صحوة إسلامية واعدة.

وفي حقبة التسعينيات شارك المجلس في العديد من محاولات التقريب والحوار كان منها:

مؤتمر: «الدين والمواطنة في أوروبا والعالم العربي»: في آيانابا - قبرص عام ١٩٩١م، بمبادرة من مركز سليّ أوك - برمنجهام - كما ذكر في موضعه^(٢).

كما شارك مجلس كنائس الشرق الأوسط في تشكيل:

• فريق العمل العربي للحوار الإسلامي المسيحي الذي تكون

من:

(١) انظر: الحوار الإسلامي - المسيحي. ضرورة المغامرة (ص ١٧١).

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية، (المملكة المتحدة) (١٢٠٩).

١ - الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار، يمثلها: سعود المولى، ومحمد السماك^(١).

٢ - هيئة مصغرة في القاهرة، من: محمد سليم العوا، وطارق البشري.

٣ - مجلس كنائس الشرق الأوسط، ويمثله: غبريال حبيب، جورج ناصيف، رياض جرجور، طارق متري. وكان من أبرز أعماله:

المؤتمر: «العالمي الإسلامي المسيحي حول القدس»: الذي عقد في القاهرة في مايو عام ١٩٩٦^(٢).

مؤتمر: «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس»:

عقد هذا المؤتمر في بيروت، في الفترة: ٢٨ - ٢٩ محرم عام ١٤١٧هـ، الموافق ١٤ - ١٥ يونيو عام ١٩٩٦م، بدعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط، حضره مائتان من رؤساء وممثلي الطوائف الإسلامية والنصرانية المشرقية، ومن أبرزهم: مفتي سوريا، ومفتي لبنان، ورئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وبعض العلماء. ومن النصارى بطاركة الأقباط، والروم الأرثوذكس، والكاثوليك، والسيان، واللاتين، والمارونيين. وقد (توزع المؤتمر في مناقشاتهم وخطبهم بين الدعوة إلى التأكيد على عروبة القدس ورفض تهويدها، وبين الدعوة إلى إعطاء المدينة الطابع العالمي)^(٣). كما اتسمت الخطب بالصيغة القومية التي تضع المسلمين والنصارى العرب في جبهة واحدة، في مواجهة الصهيونية واليهودية. ومن ذلك:

(١) ستأتي الإشارة إلى هذه الهيئة لاحقاً.

(٢) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٥).

(٣) جريدة الحياة العدد (١٢١٦٥) الأحد ٣٠ محرم ١٤١٧هـ - ١٦ يونيو ١٩٩٦م

(٢) شؤون عربية.

■ دعا الشيخ محمد مهدي شمس الدين، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان إلى: (ضرورة أن تبقى القدس على صفتها العربية، ونصل إلى المحافظة على المسيرة والهوية بدءاً من دعم الفلسطينيين، مسيحيين ومسلمين لكي يبقوا على أرضهم، وحماية كل مباني القدس التي تحمل سماتها، وإعادة الحياة إلى تراثها، وإنشاء أمانة عامة، إسلامية مسيحية، تتولى الترويج لحماية القدس على مستوى العالم بين المسلمين والمسيحيين).

■ وقال الشيخ يوسف القرضاوي: (هي ليست ملك الفلسطينيين وحدهم، بل هي ملك المسيحيين والمسلمين)!

وفي مقابل هذا التملق للنصارى الذي لم يحلموا به، ولا في حقبة الحروب الصليبية، جاءت تصريحات بطاركة النصارى في المؤتمر جريئة، تشي بما في نفوسهم من أطماع عجزوا عن تحقيقها طوال القرون، وها هي ذي تحظى بمباركة وإقرار من ممثلي هيئات إسلامية، فمن ذلك:

■ قال بطريرك الكاثوليك، مكسيموس الخامس حكيم: (النتيجة الحتمية الواضحة هي أن القدس لا يمكن أن تكون لدولة واحدة، أو دين واحد من الأديان الثلاثة، بل يجب أن تكون مدينة السلام، وللأديان الثلاثة).

■ قال الكاثوليكس آرام الأول: (بسبب الوجه الديني، والدعوة الخاصة، والصفة العالمية، يجب أن يكون للقدس وضع خاص... يجب أن يعلن عن وجهها العالمي، وصفتها الدينية. والأسرة العالمية يجب أن تكفل ثبوت هذا الوضع وديمومته).

وقد صدر عن هذا المؤتمر الذي وصف بأنه (أهم تظاهرة إسلامية مسيحية لأجل القدس) بيان ختامي، جاء فيه:

(... على مستوى العالم، وعلى المستوى العربي الإسلامي - المسيحي، فضلاً عن مستوى أية دولة على حدة، لا توجد سلطة، مهما كانت، لها حق التصرف في هوية القدس المسيحية - الإسلامية، وكل قرار من أية جهة محلية أو دولية يمس هذه الهوية باطل لا قيمة، له ولا مشروعية تستمد منه أو تبنى عليه...

ندعو مسلمي ومسيحيي العالم أجمع للوقوف إلى جانب الحقوق الفلسطينية المشروعة، والكنائس وكافة هيئات العالم الإسلامي ومنظماته جميعاً إلى أن يكون تحرير القدس شاغلها الشاغل...) (١).

ما كان أحوج المشاركين المسلمين إلى قراءة التاريخ حتى يتبينوا الطبيعة المزدوجة ذات الوجهين لجلسائهم، بل ما كان أحوجهم إلى قراءة القرآن العظيم، ليدركوا حقيقة التحالفات العارضة، والتحالفات الدائمة التي قررها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿بَقِيتُمْ أَزْوَاجًا بَعْضُكُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٣ - (اللجنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار):

كانت وثيقة الوفاق الوطني التي وقعتها مختلف الطوائف والأحزاب اللبنانية في مدينة «الطائف» بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٨٩م، إيذاناً بانتهاء الحرب الأهلية المروعة التي دامت قرابة خمسة عشر عاماً، ثم أعقبها إعلان دستور جديد للبنان عام ١٩٩٠م يعيد ترتيب التوازنات السياسية المعبرة عن الكتل الدينية والمذهبية في ذلك البلد.

وخلال السنوات الثلاث اللاحقة، كانت الأجواء غير مستقرة

(١) النقولات السابقة جميعاً من المرجع السابق. وانظر في تقويم المؤتمر أيضاً:

مجلة البيان عدد (١٠٨) (٦٠ - ٦٩).

تماماً بسبب حمى الانتخابات النيابية في بلدٍ لم تضمد جراحه بعد، وبسبب عدوانٍ إسرائيلي جوي على جنوبه، وعلى البقاع الغربي، وأخيراً بسبب حادث تفجير كنيسة سيدة النجاة، مما عرض الوفاق الوطني للخطر، فتنادت المراجع الدينية إلى توثيق الوحدة الوطنية، والعيش المشترك، عبر سلسلة من اللقاءات والمداولات على مدى عامين، كانت مادتها (مسوّدة ورقة تشخص الشكوى المسيحية). وتكونت لجنة وطنية - غير حكومية - تمثل مختلف المرجعيات الدينية والمذهبية في ذلك البلد الأمشاج^(١).

(إن اللجنة الوطنية هي هيئة مشتركة ممثلة للمرجعيات الروحية في لبنان. تأسست إثر القمة الروحية اللبنانية الجامعة في صرح بركي)^(٢) في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٣م. وكانت مهمة هذه اللجنة أوسع من قضية الحوار الإسلامي - المسيحي، إذ كانت مدعوة لتثبيت مبادئ سياسية واجتماعية راهنة، مبنية على ميثاق الطوائف والدستور الجديد، ومن ثم تضمنت ورقة اللجنة التي تمخضت عنها تلك اللقاءات على عناوين مثل: «لبنان العيش المشترك»، «العلاقات اللبنانية السورية»، «المقاومة الوطنية»، وأخيراً: «الحوار الإسلامي المسيحي». ومع ذلك فالحوار المسيحي الإسلامي المقصود هنا، الحوار اللاهوتي أو الفقهي، وإن كان من الخطأ تفاديه بالمطلق، أو استبعاده إلى ما لا نهاية، في الشأن الحياتي الذي يضم المسيحيين والمسلمين، والأصح أن الحوار المقصود يقوم اليوم بين المسيحيين والمسلمين، أو بين مسيحيين ومسلمين حول الصيغة السياسية الأفضل لقيام حياة وطنية

(١) انظر في هذا: ورقة اللجنة الوطنية الإسلامية - المسيحية للحوار. سليمان تقي الدين مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٢٦٧ - ٢٧٧).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٩٠). وضاحية «بركي» مقر البطريرك الماروني، حيث «الموارنة» أكبر الكتل النصرانية في لبنان.

مشتركة، في ظل كيان واحد، وتحت رعاية دولة واحدة^(١).

وقد جاء في نص ورقة اللجنة الوطنية الإسلامية - المسيحية للحوار التي وقعها كل من: سعود المولى «شيعي»، محمد السماك «سني»، عباس الحلبي «درزي»، حارس شهاب «ماروني»، كميل منسى «كاثوليكي»، غبريال حبيب «أرثوذكسي»، وجان سلمانيان «أرمني أرثوذكسي»، وأذيعت في الخامس من يناير عام ١٩٩٥م ما يلي:

(الحوار المسيحي الإسلامي: إن العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين بجميع طوائفهم هو قيمة لبنان الكبرى، وهو رسالة لبنان إلى العالم، من حيث إنه نموذج حياة، ومن حيث إنه علاقة حوار دائم بين العالمين المسيحي والإسلامي، وصلة تواصل لإغناء القيم الإنسانية التي تطبعها هاتان الرسلتان السماويتان بطابعهما...

إن التآخي الوطني بين المسيحيين والمسلمين في لبنان ليس مجرد التزام تفرضه مرتكزات العيش المشترك، وضرورة تجنب الفتنة، ولكنه قدر وخيار، ومهمة إنسانية نبيلة، تجعل من لبنان صاحب رسالة عالمية...

من أجل ذلك تدعو «اللجنة الوطنية الإسلامية - المسيحية للحوار» إلى اعتماد الأمرين التاليين:

الأول: وجوب إجراء مراجعة وطنية شاملة في ضوء المعطيات التي تجمعت خلال السنوات الأربع التي تلت تصديق وثيقة الوفاق الوطني...

الثاني: الدعوة لتحويل هذه اللجنة التي تمثل المرجعيات الروحية المسيحية والإسلامية كافة، إلى مؤسسة وطنية يكون هدفها: استباق أي

(١) ورقة اللجنة الوطنية. سليمان تقي الدين. مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٢٧٤).

خلل تتعرض له الحياة المسيحية - الإسلامية المشتركة داخل لبنان، واقتراح الحلول والمعالجات لمنع انعكاس أحداث خارجية ذات بعدٍ طائفي أو مذهبي على وحدة اللبنانيين، وإبراز الروح المدنية...

إن عالم الغد يبنى على حوار الحضارات، وحوار الحضارات يقوم أساساً على حوار الرسائل السماوية التوحيدية، وهذا ما يجسده لبنان عبر الحياة المشتركة بين أبنائه^(١).

إننا نسلم بالوضع المتميز للبنان، حيث المسلمون والنصارى متكافئون عددياً على رقعة جغرافية صغيرة، ولكننا نشك في الدعاوى العريضة التي تحملها الورقة عن «العيش المشترك»، و«رسالة لبنان إلى العالم»، و«مهمته الإنسانية النبيلة»، وما تنفثه هذه الكلمات العطرية التي لا تقوى على إخفاء رائحة البارود!

لقد كانت ورقة اللجنة الوطنية تعبيراً عن الخوف من انتكاس مشروع العيش المشترك، والعودة إلى كابوس الحرب التي اصطلى جميع الفرقاء بنارها. ومع ذلك لم تتمكن اللجنة من تفعيل الحوار الإسلامي - المسيحي، والارتقاء إلى مستوى مؤسسة وطنية جامعة، وعاد التشردم يرتدي ثوب الحوار، حيث سعت معظم الكتل الدينية إلى تأسيس مراكز ومعاهد للحوار، ذات صبغة بحثية علمية، تنتمي إلى مؤسسات طائفية معروفة، أو تطوير معاهد سابقة لتواكب مرحلة الحوار، والعيش المشترك في منتصف التسعينيات.

وفضلاً عن ذلك فقد جاء «النداء الأخير» الصادر عن سينودس الأساقفة الكاثوليك «المجمع الراعوي من أجل لبنان»، المنعقد في الفاتيكان - روما - في الفترة ٢٦/١١/١٩٩٥م - ١٤/١٢/١٩٩٥م

(١) انظر النص الكامل للورقة في: الحوار الإسلامي - المسيحي ضرورة المغامرة

(١٨٣ - ١٨٩)، ومجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢).

مسكوناً بروح التشاؤم والانكماش، والخوف من فقدان الهوية النصرانية، والاضمحلال الثقافي للكنائس الشرقية، من جراء الانخراط في المشاريع الوطنية الجامعة، والإلحاح على قضية الجماعات المتميزة منذ القدم، وتعدد ثقافاتهما، مما يشكك في دعاوى «العيش المشترك»، و«بلد الحوار»، فضلاً عن «رسالته إلى العالم»^(١).

٤ - (معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية):

ينتمي هذا المعهد إلى «جامعة القديس يوسف» في بيروت. وقد جاء في نشرة تعريفية صادرة عنه، ما يلي: (أنشئ معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية سنة ١٩٧٧، ليلبي الحاجات الناتجة عن المأساة التي ألمّت بלבنا آنذاك، ويرمي إلى التعاطي مع الإسلام والمسيحية تعاطياً جديداً، انطلاقاً من الحقائق الأساسية التي يمتاز بها هذان التراثان، وهو يسعى إلى عرض التراث الثقافي الإسلامي، والتراث الثقافي المسيحي عرضاً أميناً وداخلياً - أي كما يفهمها أبناؤهما - مع اعتماده أسلوباً عصرياً، وفضلاً عن ذلك يود المعهد أن يأخذ على عاتقه تعميق التفاهم بين الإسلام والمسيحية، من غير أدنى تحيز لجهة على أخرى...

يقدم المعهد مجموعة من الدروس السنوية أو الفصلية، ومن المحاضرات، التي يقدم فيها الأساتذة والمحاضرون، المسلمون أو المسيحيون، حصيلة إيمانهم، بين يدي موضوع مشترك، أو قضية مشتركة، ويتضمن برنامجهم حلقات دراسة وبحث تتناول موضوعات مشتركة بين التراثين الدينيين، وتنشر نتائج أبحاثها عند الاقتضاء^(٢).

(١) انظر في نقد بيان السينودس مجلة الاجتهاد (٧/٣٠ - ٢٢) الفضل شلق (٣١)، ٢٥/٣٢ - ٣٤ رضوان السيد.

(٢) نشرة صادرة عن المعهد (١، ٢) ورسالة جوابية لدى المؤلف.

وعلى سبيل المثال تضمن برنامج السنة الجامعية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ م للمعهد المواد التالية:

١ - دروس: مدخل إلى العقيدة المسيحية والعقيدة الإسلامية، يلقيها اثنان من الآباء اليسوعيين، و«شيخ» مسلم.

٢ - حلقات دراسية: تضم اثني عشر طالباً تمت مقابلتهم سلفاً مع الأستاذ وهي:

أ - الفلسفة الأخلاقية في القرنين العاشر والحادي عشر. مقارنة بين الغزالي، ويحيى بن عدي.

ب - شروط لـ«عيش مشترك».

٣ - محاضرات أسبوعية في القضايا الأخلاقية الحياتية.

٤ - مركز توثيق: مختص بالعلاقات الإسلامية المسيحية^(١).

وقد صدر عن المعهد كتابان يصبان في أهدافه في مجال الحوار، هما:

١ - طريقة التحليل البلاغي والتفسير. تحليلات نصوص من الكتاب المقدس، ومن الحديث النبوي الشريف. اشترك في تأليفه أربعة من منسوبي الجامعة والمعهد. طبع عام ١٩٩٣ م.

٢ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من ١٩٥٤ م/١٣٧٣ هـ إلى ١٩٩٢ م/١٤١٢ هـ نصوص مختارة. جمعتها جوليت حداد. طبع عام ١٩٩٥ م^(٢).

٥ - (مركز التراث العربي المسيحي للتوثيق والبحث والنشر) «CEDRAC»:

يتبع هذا المركز جامعة القديس يوسف، أيضاً، وقد شُرع في تأسيسه عام ١٩٨٦ م، ودُعي للاضطلاع بهذه المهمة الأب سمير خليل

(١) نشرة صادرة عن المعهد.

(٢) وقد أفدت منه كثيراً في مادة هذا الفصل.

اليسوعي^(١)، ولكن ظروف الحرب الأهلية حالت دون التنفيذ حتى عام ١٩٩١م. (أما الهدف من المشروع فيتمثل في إحياء التراث العربي، لاكتشاف الهوية المسيحية، العربية من جهة، وبناء مشروع مشترك إسلامي - مسيحي، يركز على الفكر العربي من جهة أخرى).

وحتى تظهر العلاقة بين هذين الهدفين؛ التراث، والحوار، يقول الأب سمير خليل: (إن كلمة «عربي» التصقت دوماً بالمفهوم الإسلامي في الغرب والشرق، فبان الفكر العربي مرادفاً للفكر الإسلامي، وهذا ينم عن جهل وعدم معرفة، وذلك في غياب معاهد وكليات تدرس التراث العربي المسيحي، الأمر الذي يؤدي إلى تحريف تاريخي خطير. فخلال القرون الأربعة الأولى للهجرة «حتى عام ١٠٥٠م» قامت الحضارة العربية الإسلامية على نتاج المسيحيين العرب، سواء في الطب أو الفلسفة أو الرياضيات. وتدرّب المسلمون شيئاً فشيئاً على أيدي المسيحيين وتفوقوا، فظهرت الحضارة الإسلامية. وحتى النتاج الفكري في العصر الذهبي في القرن العاشر، معظمه للمسيحيين، وكتاب «الفهرست» لابن النديم «١٩٩٦م» يُظهر أن غالبية المؤلفات تعود إلى مفكرين مسيحيين.

من هنا يتبين لنا أننا نعجز عن فهم الحضارة العربية الإسلامية،

(١) سمير خليل جريس. ولد في القاهرة عام ١٩٣٨م. تخصص بدراسة التراث العربي النصراني القديم منذ عام ١٩٦٣، وأصدر مجلة في هذا الصدد عام ١٩٧٦م، ثم أصدر بضعة مجلدات بعنوان «التراث العربي المسيحي». وقد شغل مناصب دينية وعلمية لدى الفاتيكان:

أستاذ اللاهوت العربي المسيحي في المعهد البابوي للدراسات الشرقية PIO.
أستاذ الدراسات الإسلامية في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية PISAI.
مستشار الأمانة الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين - المجمع البابوي للحوار بين الأديان - لاحقاً - عن وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (١٠٩).

من دون العودة إلى المسيحيين. فالتفاعل بين الحضارتين ولّد النهضة العربية العباسية التي نمت بفضل تفاعل الفكر المسيحي مع السلطة الإسلامية، وإلى حد ما مع نتاج المفكرين المسلمين. وكذلك في القرن ١٩ ارتكزت النهضة على نتاج المفكرين المسيحيين، وخصوصاً في لبنان والشام، الذين انفتحوا على الحضارات الغربية، وهذه ظاهرة واضحة تاريخياً لا يمكن إنكارها...

ويرمي المركز على المدى البعيد إلى خلق حوار مسيحي - إسلامي على الصعد الثقافية والعلمية والفكرية، باعتبار أن التوصل إلى تفاعل حضاري عميق يحقق النهضة التي نحتاج إليها اليوم بالبحاح^(١).

إن هذا التصريح لأحد أقطاب النصارى العرب، ليكشف عن أحد الأهداف المرحلية التي تسعى إليها هذه المؤسسات العلمية الحوارية، ومعاهد الدراسات والبحوث؛ إنها تحاول جاهدة أن تنفخ في صورة النصارى العرب الذين طواهم التاريخ الإسلامي حين لم يقبلوا ما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ من الهدى والعلم، ولم يرفعوا بذلك رأساً، كما صنع سائر العرب الذين أكرمهم الله بإيمانهم، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله. وهذه الخصال الثلاث - لعمر الله - عمدة الحضارة الإسلامية، فصاروا سادة الدنيا وأئمة الدين، وقبّع من لم تسبق له من الله الحسنى من نصارى العرب وغيرهم خدماً للمسلمين الفاتحين؛ ما بين منجم ونطاسي ونجار وحساب، فيما يصفه سليلهم الأب سمير خليل اليسوعي أساساً للحضارة الإسلامية. وليت شعري كيف لم تثمر هذه الحرف والصنائع حضارة نصرانية عربية للغساسنة ونصارى تغلب، حين كان يستعملهم علوج الروم والفرس على بعض الأقاليم؟

(١) جريدة النهار البيروتية، عدد ١٩٨٠٩/أغسطس ١٩٩٧. (مراكز الحوار المسيحي الإسلامي).

إن الحضارة الإسلامية الحقّة، هي حضارة عهد النبوة والقرون الثلاثة الفاضلة التي اعتمدت على الوحيين، الكتاب والسنة، ولم يدب الضعف والخور والفرقة في المسلمين إلا حين تسلل هؤلاء إلى مجالس الخلفاء، وزينوا لهم ترجمة كتب اليونان وفلسفتهم، وصرفوهم عن علوم الكتاب والسنة، فيما يسميه الأب سمير خليل «العصر الذهبي» وكذلك كان الحال في القرن التاسع عشر والعشرين، حين احتضن نصارى الغرب إخوانهم نصارى الشرق، من أمثال هذا الرجل، وصنعوهم على أعينهم في بلادهم، وأعادوا تصديرهم إلى بلاد المسلمين المتخلفة في الجوانب المدنية لينفثوا سموم المستشرقين وأفكارهم الحاقدة.

إن الهدف من تضخيم دور النصارى في تاريخ الحضارة الإسلامية - كما يحاول عبثاً - مدير مركز التراث العربي المسيحي هو محاولة وضع شراذم النصارى الشرقيين في موضع النديّة على مائدة الحوار الإسلامي المسيحي بدعوى أنهم عنصر الإبداع، وروح النهضة، ونحو هذه العبارات التي ما ملّ هؤلاء الأدعياء من تردادها، مع ما تحمله من ازدراء للسواد الأعظم من الأمة العربية المسلمة، حسداً من عند أنفسهم.

٦ - (مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي «CERDIC»):

ينتمي هذا المركز إلى معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت في لبنان - حريصاً - حيث أسند إليه المجمع العام للجمعية البولسية، الكاثوليكية الاتجاه، مهمة إنشائه عام ١٩٩٥م، تمشياً مع توجيهات المجمع الفاتيكاني الثاني. ويشرف على المركز مجلس مكون من:

١ - البرفسور: عادل تيودور خوري^(١).

(١) من مواليد جنوب لبنان عام ١٩٣٠م. درس الفلسفة واللاهوت في معهد =

٢ - الأب مشير باسيل عون، مدير المركز^(١).

٣ - مدير معهد القديس بولس.

ويحدد مدير المركز وظيفته بأنه (يعنى بتعزيز الحوار الفكري الأكاديمي البحث، الرامي إلى إظهار مواضع التعاون والتكاتف بين المسيحية والإسلام... - وأنه - منعتق في بنيته الفكرية من كل أيديولوجية سياسية، ومن كل تسلط خارج عن نطاق إلهامات الفكر الحر الذي يعضده روح الحق، وهو لذلك لا ينقاد إلا لما يمليه عليه إيمانه المسيحي، يحرص أن يختبره في أوسع مدلول له، وأعمق انتشار له، في مطاوي استفهامات البشر وتساؤلاتهم)^(٢).

وهو كلامٌ يمتح من بئر المجمع الفاتيكاني الثاني الذي وسع مفهوم الخلاص ليشمل عناصر لا تنتمي إلى الإيمان الكاثوليكي التقليدي، بدعوى أن روح القدس يعمل بطريقة خفية في الآخرين الذين

= القديس بولس. ورسم كاهناً عام ١٩٥٣م. وهو أستاذ في اللاهوت الكاثوليكي، وباحث في الإسلاميات، والعلاقات الإسلامية المسيحية. عمل أستاذاً في كلية اللاهوت الكاثوليكية بجامعة هونستر الألمانية، ومديراً لمعهد علوم الأديان المقارنة. ومستشاراً في المجمع البابوي للحوار بين الأديان، وعضواً في معهد القديس جبرائيل لللاهوت الأديان في مودلنغ - النمسا. ومن مؤلفاته: اللاهوتيون البيزنطيون والإسلام ٣ مجلدات، الساحة في الإسلام، الإسلام في عقيدته ونظامه ومطالبه، الأقليات في الخارج، هكذا تكلم النبي: مقتطفات من الحديث، ماذا يجري في العالم الإسلامي؟، الإسلام يقترب منا، وترجمة القرآن الكريم إلى الألمانية، وتفسير كبير للقرآن في عدة مجلدات. انظر مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٤١٢).

(١) كاهن كاثوليكي من لبنان. أستاذ الفلسفة في معهد القديس بولس، انظر مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/٤٢٣) ولد عام ١٩٦٤م، وسيم كاهناً عام ١٩٩٢م. له أربعة كتب معربة ومؤلفات بالفرنسية.

(٢) العدل في المسيحية والإسلام (٥، ٦).

يتلمسون الحقيقة الكاملة في مطاوي استفهاماتهم وتساؤلاتهم، كما يعبر الأب مشير باسيل عون.

أما البواعث المحلية والمرحلية لإنشاء المركز، فيبررها بقوله: (.. في حين شرع الإسلام في أوروبا وأمريكا في يقظته الفكرية الحديثة حيث يعي وعياً أشد تطلباً لهويته ودوره، بتنا نشهد في لبنان والشرق الأوسط ظهور مذاهب أصولية متزمتة، منكشمة على ذاتها، وأمام هذا التحدي صممت جمعية الآباء البولسيين على تخصيص قسط من طاقاتها وجهودها للبحث عن سبل جديدة للحوار تراعي تقلبات التاريخ، ومتطلبات الوضع الثقافي العالمي الحديث)^(١).

وأبرز مناشط «مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي» في حريصا - لبنان - إصدار سلسلة من الكتب تحت عنوان: «المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون» تهدف إلى إبراز جوانب التشابه والمقارنة، وتستكتب شخصيات نصرانية دينية، وإسلامية عصرية، صدر منها حتى الآن:

١ - العدل في المسيحية والإسلام. لمجموعة من الكتاب من الجانيين. طبع عام ١٩٩٦م.

٢ - الإسلام والغرب، الإسلام والعلمانية. لبولس الخوري. طبع عام ١٩٩٦م، ١٩٩٧م.

٣ - سلام للبشر. مجموع محاضرات ألقاها مسلمون ونصارى في مؤتمر مودلنغ. طبع عام ١٩٩٧م^(٢).

٤ - بين المسيحية والإسلام: بحث في المفاهيم الأساسية. لمشير باسيل عون. طبع عام ١٩٩٧م.

(١) جريدة النهار البيروتية. عدد (١٩٨٠٩) ١ أغسطس ١٩٩٧م.

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (النمسا).

٥ - الإصغاء إلى كلام الله في المسيحية والإسلام، مجموع محاضرات ألقاها مسلمون ونصارى في مؤتمر مودلنغ عام ١٩٩٠م^(١). طبع عام ١٩٩٧م.

٦ - الإسلام في عقيدته ونظامه، لعادل تيودور خوري.

٧ - مقالات لاهوتية في سبيل الحوار. لمشير باسيل عون. طبع عام ١٩٩٧م.

٨ - الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام. مجموع مقالات لكتاب من المسلمين والنصارى. طبع عام ١٩٩٩م.

٩ - تراث وحدانية - قراءة للفكر العربي العالمي لبولس الخوري. طبع عام ١٩٩٧م. وقد تمت طباعة هذه السلسلة في المكتبة البولسية - جونية - لبنان.

٧ - (مركز الدراسات المسيحية الإسلامية):

ينتمي هذا المركز إلى جامعة البلمند، التي تتبع الطائفة الأرثوذكسية في لبنان، وقد تأسس عام ١٩٩٥م، إثر حلقة استشارية دعت إليها الجامعة، والتأمت في الفترة: ٢٤ - ٢٧ مايو عام ١٩٩٥م، (شارك في الندوة عددٌ من ممثلي المراكز الجامعية التي تعنى بهذه الدراسات في لبنان والعالم العربي وأوروبا والولايات المتحدة، فضلاً عن بعض المختصين في لبنان والخارج، والأساتذة من جامعة البلمند)^(٢) بلغت عدتهم سبعة وثلاثين مشاركاً، قدموا من اثني عشر بلداً.

(١) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (النمسا).

(٢) دورٌ ورؤية: جامعة البلمند - مركز الدراسات المسيحية الإسلامية. المطبعة الكاثوليكية. حاريا - لبنان. طبعة ١٩٩٦م. (٧).

وقد تشكل للمركز مجلس إدارة مكون من نصارى ومسلمين، يتولى وضع خطة عمل سنوية ويتابع تنفيذها، ضمن أهداف المركز المعلنة:

١ - درس تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية وتطورها، والتركيز على خصوصيات العالم العربي، انطلاقاً من التجربة اللبنانية في هذا المجال.

٢ - تطوير الحوار الإسلامي المسيحي على كل الصعد.

٣ - تقديم منهج أكاديمي يؤدي إلى نيل شهادة الكفاءة في العلاقات المسيحية - الإسلامية.

٤ - فهم مبادئ العيش المشترك، وإغناؤها، انطلاقاً من التجربة اللبنانية، والتفاعل بين طريقتي التفكير الإسلامية والمسيحية^(١).

ويرى الأرثوذكس العرب أنهم أقرب الطوائف النصرانية إلى المسلمين بسبب التاريخ المشترك، ومعاناة العدوان الصليبي اللاتيني على حدٍ سواء، كما يردد ذلك المطران جورج خضر في طروحاته^(٢). ومن ثم يدلون بهذه الخصوصية في إنشاء هذا المركز، فيقول د. طارق متري، منسق أعمال الندوة الاستشارية في مسرد مبررات إنشائه:

(والجامعة معنية بوصفها مؤسسة ترعاها الكنيسة الأنطاكية الأرثوذكسية، بمساهمة المسيحيين الشرقيين العرب، إلى جانب المسلمين في بناء المجتمع والنهوض الثقافي. وهي تعي أهمية التجربة التاريخية للأرثوذكس العرب في علاقاتهم بالمسلمين)^(٣). ثم يخلص إلى القول (...). لعل أولى خصائص المركز أن يأتي من البداية إسلامياً

(١) مجلة النهار البيروتية عدد (١٩٨٠٩) ١ أغسطس ١٩٩٧م.

(٢) انظر الباب الأول، بحث النصارى العرب. (٤٣١).

(٣) دور ورؤية (٢٩ - ٣٠).

- مسيحياً، في التخطيط والتمويل والإشراف والتنفيذ^(١) يتضح ذلك بالمقارنة بسابقه.

وقد صدر عن المركز ثلاثة كتب:

١ - دور ورؤية: ويتضمن وقائع الندوة الاستشارية التي أنشأته. طبع عام ١٩٩٦م.

٢ - المسيحية والإسلام مرآيا متقابلة: ويحوي نصوص المحاضرات التي نظمها المركز عام ١٩٩٦م لكل من: د. رضوان السيد، الأب: سمير خليل، المطران كيرلس بسترس، الأستاذ: محمد السماك، د. طارق متري، حول: الفكر الإسلامي والمسيحية، والفكر المسيحي والإسلام. وقد طبع عام ١٩٩٧م.

٣ - نحو الجدل الأحسن: وهو تسجيل لمحاورات إسلامية نصرانية في مجال العقيدة والدعوة، بين الدكتور: محمود أيوب، من جامعة تمبل في ولاية فيلادلفيا الأميركية، والمطران جورج خضر. طبع عام ١٩٩٧م.

وقد عقد المركز حلقة دراسية شارك فيها مسلمون ونصارى حول «الدين والدنيا» عام ١٩٩٦م. كما عقد المركز حلقة دراسية في صيف عام ١٩٩٧م في الفترة: ١٨ - ٢٧ أغسطس. بعنوان: (النظرات المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين)، تضمنت تتبع هذه النظرات خلال عهود زمنية متعددة، وفي مواقع معينة، ومن خلال كتابات أدبية وقصصية وفقهية^(٢).

ويتبع المركز وحدة مستقلة تعنى برصد ظاهرة الطائفية في لبنان

(١) المرجع السابق.

(٢) عن نشرة صادرة عن المعهد بعنوان: «برنامج الحلقة الصيفية. النظرات المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين».

على الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تعرف بـ: «مقرب العيش المشترك»، يقوم عليها باحثون من الجانبين، يمثلون خلية بحث لتتبع حال العلاقات بين مختلف الطوائف الدينية في لبنان، وتحليل النتائج، دون أن يكون المقرب طرفاً في الحوار^(١).

أما على الصعيد الإسلامي في لبنان فلا يوجد مراكز متخصصة، أو معاهد بحوث متفرغة لدرس قضية الحوار، على غرار ما لدى الجانب النصراني، وإنما يوجد هيئات أو معاهد تعليمية تولي اهتماماً لقضية التقارب والحوار، وتضم أفراداً يمثلون مرجعيات مذهبية، أو مفكرين ليبراليين يتكررون في معظم التشكيلات التي تفتق في لبنان. فمن ذلك:

٨ - (المعهد العالي للدراسات الإسلامية):

وهو معهد ديني شرعي يتبع «جمعية المقاصد الخيرية» العتيقة، لأهل السنة في لبنان، وقد أنشئ المعهد عام ١٩٨١م، وتبعته كلية الدراسات الإسلامية عام ١٩٨٩م.

ويدير المعهد الدكتور: رضوان السيد، ويرتبط بعقد مع جامعة القديس يوسف، يقضي بتبادل الأساتذة، وتقرير دراسة الدين الآخر. فيقوم مثلاً الأب: سمير خليل اليسوعي بتدريس مادة «المسيحية» لطلاب المعهد، بل ويذهب طلاب المعهد إلى الجامعة لدراسة النصرانية، ويقوم بعض شيوخ المعهد مثل د. مروان قباني، ورفيق العجم، وعلي دحروج، بالتدريس في معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية التابع لجامعة القديس يوسف، كما أشرنا آنفاً.

(١) جريدة النهار البيروتية العدد (١٩٨٠٩) ١ أغسطس ١٩٩٧م.

٩ - (الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار):

تأسست بمبادرة من رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الذي أسس قبل ذلك: «الأمانة العامة الدائمة للقمة الروحية الإسلامية» عام ١٩٩٣م^(١)، في محاولة لتكوين موقف «إسلامي» لبناني موحد يمثل مختلف الطوائف المنتسبة إلى الإسلام في لبنان، في وقت كانت تجري فيه اجتماعات متزامنة للجنة الوطنية للحوار، واجتماعات للمجمع الراعوي من أجل لبنان «السينودس».

وهكذا فإن «المعهد العالي» يمثل ذروة المحاولات الإسلامية اللبنانية للتقارب على الصعيد العلمي، و«الهيئة» تمثل ذلك على الصعيد السياسي، وهي محاولات لا تقارن بما أنجزه الجانب النصراني. ويرى الدكتور رضوان السيد أن عدم حماس المسلمين لتأسيس المراكز ومعاهد الحوار يرجع إلى سببين:

■ (شكوكهم - المسلمون - في دعاة الحوار، لارتباط أذهانهم منذ أكثر من مائة عام بمسائل التبشير والاستعمار...
أن الحوار كحوار لم يصبح جزءاً مهماً من ثقافتنا...)^(٢).

وقبل أن نغادر هذا البلد الذي يمثل «أنبوبة اختبار» للعلاقات الإسلامية المسيحية في قلب الأمة الإسلامية، وتبارى فيه مراكز الحوار ومؤسساته، نثبت ملاحظات على مسيرة الحوار للأب جورج مسوح، مدير مركز الدراسات المسيحية الإسلامية بجامعة البلمند: (ومن غرائب الأمور أن يحكى عن الحوار الإسلامي المسيحي، أي الحوار بين ديانتين، أي بين عقيدتين، والموضوعات التي قلما تطرح هي الأمور

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٥).

(٢) جريدة النهار البيروتية. العدد السابق.

اللاهوتية العقائدية، فالكلام حالياً في موضوعات عقائدية مسيحية كالثالوث، وصيرورة الله إنساناً في شخص يسوع المسيح (أو عيسى ابن مريم)، وكيفية تقبل المسلمين هذه العقائد المسيحية، لأمر لا يتطرق إليه إلا عرضاً. كذلك الأمر في ما يعود إلى قضية نبوءة محمد ورسالته، وكيف يفهم المسيحيون هذه النبوءة، لأمر يعتبر من المحرمات التي لا يجوز الجهر بها.

ومن الملاحظ أيضاً أن الحوار الذي تم في «الندوة اللبنانية»، وهو حوار غير رسمي ولا تمثيلي، عام ١٩٦٥م، وقد تطرق إلى موضوعات لاهوتية عميقة، بينما اكتفى حوار اللجنة الوطنية، وهو حوار رسمي وتمثيلي للطوائف، بالشؤون الوطنية.

لا شك أخيراً أن الحوار الحقيقي لم يبدأ بعد، ذلك أن الهواجس والمخاوف التي تمنع التلاقي ما زالت تخيم في الأجواء، الخطاب السائد في البلاد اليوم خطاب ظاهره وطني، وباطنه طائفي متفوق^(١).

٢ - الأردن:

تجري في الأردن ذات الأربعة ملايين نسمة تقريباً، ٦٪ منهم نصارى، حركة نشطة للتقريب بين الإسلام والنصرانية، على المستوى المحلي والعالمي، تحظى باهتمام ودعم رسمي أدى إلى مشاركة فعالة من قبل بعض الهيئات الثقافية، وتأسيس هيئات أخرى متخصصة للحوار الإسلامي المسيحي، ومن أبرزها:

- ١ - (ميدان الفكر العربي) وقد شاركت مؤسسة آل البيت - الآتي ذكرها - ومركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في عقد:

(١) ملحق جريدة النهار ١٠/٥/١٩٩٧م.

مؤتمر: «اليقظة الإسلامية، وتساؤلات الأمة العربية»: الذي عقد في الفترة: ١٣ - ١٦ رجب عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٤ - ١٧ مارس عام ١٩٨٧م، بمشاركة خمسين مفكراً من المسلمين والنصارى^(١). كما شاركت كنيسة «وندسور» الإنجليكانية في عقد:

مؤتمر: «ممارسة البنوك وفقاً للإسلام والمسيحية»: في ماعين - الأردن - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م^(٢). ويبدو أن هذه المؤسسة تنتمي إلى حقبة القومية العربية المنصرفة. وقد برزت بعد ميدان الفكر العربي:

٢ - (مؤسسة آل البيت «مآب» المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية): ورئيسه الأعلى الأمير الحسن بن طلال، ولي عهد الأردن - سابقاً -، الذي يبدي اهتماماً ملحوظاً بالعلاقات الإسلامية النصرانية، ورئيسه المباشر الدكتور ناصر الدين الأسد.

وقد سبقت الإشارة إلى جملة من مشاركاته الفعالة مع الكنيستين الكاثوليكية والإنجليكانية، التي بلغت تسعة مؤتمرات^(٣). ونضيف هنا مشاركاته مع الأرثوذكس:

مؤتمر: «السلطة في المسيحية والإسلام»:

عقد في «شامبيزي - سويسرا» في الفترة: ١٤ - ١٦ ربيع الأول عام ١٤٠٧هـ، الموافق ١٧ - ١٩ نوفمبر عام ١٩٨٦م مع المتروبوليت «دمسكينوس»، والمطران جورج خضر.

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٨٥).

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية، (المملكة المتحدة) (١٢٠٥).

(٣) انظر: المبحث الثاني والثالث من هذا الفصل.

مؤتمر: «التعايش الإسلامي المسيحي، والقيم الإنسانية المشتركة»: عقد في عمان في الفترة: ٢٩ ربيع الأول - ٢ ربيع الآخر عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢١ - ٢٤ نوفمبر عام ١٩٨٧م، مع مركز «شامبيزي» الأرثوذكسي، بحضور ثمانين مشاركاً.

مؤتمر: «السلام والعدالة»:

عقد في «شامبيزي» في الفترة ٣ - ٦ جمادى الأولى عام ١٤٠٩هـ، الموافق ١٢ - ١٥ ديسمبر عام ١٩٨٨م.

مؤتمر: «التعددية الدينية»:

عقد في «إستنبول - تركيا» في الفترة: ٩ - ١٣ صفر عام ١٤١٠هـ، الموافق ١٠ - ١٤ سبتمبر عام ١٩٨٩م، بالاشتراك مع مركز شامبيزي المسكوني، وجامعة إنكلترا^(١).

وإلى جانب هذه المؤتمرات الإسلامية - النصرانية، قام المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية «مؤسسة آل البيت» بعقد مؤتمرات إسلامية ذات صلة، وبحوث متخصصة كان أهمها:

■ مشروع بحوث: (معاملة غير المسلمين في الإسلام) ١٤٠٣ - ١٤٠٩هـ/١٩٨٢ - ١٩٨٩م. وتضمن أحد عشر بحثاً، صدرت في مجلدين عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

■ مؤتمر: «المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر»:

الذي شغل الدورة العاشرة للمجمع في الفترة ٧ - ٩ صفر عام ١٤١٦هـ، الموافق ٥ - ٧ يوليو عام ١٩٩٥م. وقدمت إليه سبع وعشرون دراسة، صدرت في مجلد واحد عام ١٩٩٦م.

(١) انظر عن المؤتمرات الأربعة السابقة: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل الأرقام (١٧٨، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٦).

٣ - (المعهد الملكي للدراسات الدينية):

هو من أحدث مؤسسات الحوار في الأردن - وربما في العالم - حيث أسس في شهر يوليو عام ١٩٩٤م، بمبادرة، وإشراف الأمير الحسن بن طلال، وإدارة الدكتور: كمال الصليبي، و(هدفه الرئيسي: تعميق الفهم المتبادل بين الإسلام والمسيحية، عن طريق الأبحاث والحوار العلمي، وتوضيح أن المسيحية جزء من تاريخ العرب وحضارتهم، وتشجيع حوار الأديان بشكل عام). وقد جاء في نشرته التعريفية ما يلي:

(إن المعهد يوفر الوسائل والإمكانات لدراسة المسيحية، مع التركيز على المسيحية في البلاد العربية والإسلامية، وهو أيضاً يوفر الوسائل والإمكانات لدراسة اليهودية، والعلاقات اليهودية - الإسلامية. يتضمن برنامج المعهد أبحاثاً وإصدارات، وتنظيم محاضرات وندوات ومؤتمرات في حقل الدراسات المسيحية، والدراسات اليهودية، وعلاقتها المباشرة، وغير المباشرة بالعالمين العربي والإسلامي، إن المعهد، يشجع زيارات يقوم بها علماء مهتمين (هكذا) باختصاص المعهد لاطلاعهم على أعمال المعهد، وكذلك على معالم الأردن.

لقد تم استحداث برنامج للحوار يهدف إلى المحافظة على الزخم الذي سبق أن أطلق في مجالات العلاقات بين المسلمين والنصارى واليهود. ويشجع هذا البرنامج على إرساء قواعد التعاون بين الأديان مع المعاهد الأخرى التي لها توجهات مشابهة، ولإنجاح هذا التعاون والحوار تم تبني مقارنة وثيقة الصلة بحاجات المجتمعات الحديثة، ومتطلباتها الحالية والمستقبلية. ولهذا الهدف، فقد جرى التوكيد على النواحي المشتركة في الديانات الثلاث^(١).

(١) عن النشرة التعريفية الصادرة عن المعهد باللغتين العربية والإنكليزية.

لقد أنشئ المعهد ليواكب «حاجات المجتمعات الحديثة» التي لا تتسع لها طروحات ميدان الفكر العربي القومية الداعية إلى إلقاء إسرائيل في البحر، كما كان يردد أساطين الفكر القومي، ويهتفون ضد أوروبا وأمريكا النصرانيتين، ولا تتلائم معها أطر مؤسسة آل البيت، ومشاريع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية مهما قدمت من «تسامح» في معاملة غير المسلمين. فجاء هذا المعهد إثر توقيع معاهدات السلام مع إسرائيل ليساهم في عملية «التطبيع» بين شعوب المنطقة، في أخرج جوانب التطبيع وأشقها، وهو التطبيع الديني.

وفي سبيل تحقيق أهدافه، قام المعهد بجملة من المناشط المكثفة:

أولاً: برنامج حوار الأديان: ويعنى بعقد مؤتمرات بين مختلف الأديان، جرى منها:

مؤتمر: «النظرة المتبادلة بين الإسلام والمسيحية عبر التاريخ»: عقد في عمّان في الفترة: ٢١ - ٢٤ أغسطس عام ١٩٩٥م، بمشاركة عددٍ من الباحثين والأكاديميين، وقد نشرت بعض الأوراق المختارة في مجلة كليات سَلْي أوك في بيرمنغهام - Islam and Christian Muslim Relations في عديدها الأولين لعام ١٩٩٦م^(١).

مؤتمر: «علاقة اللاعنّف بالشرق الأوسط المعاصر، في ذكرى المهاتما غاندي»:

عقد في عمّان يومي ٤ - ٥ مايو عام ١٩٩٦م، بالتنسيق مع السفارة الهندية، والوكالة الثقافية الهندية^(٢).

(١) انظر: (النشرة) العدد الأول. سبتمبر عام ١٩٩٦م (٣).

(٢) عن: 1994 - Activities & Output 1996 «خطة نشاط».

مؤتمر: «الدين والهوية الشعبية»:

عقد في «تشارترج - إنكلترا» في الفترة: ١٢ - ١٤، أبريل عام ١٩٩٦م، بالتنسيق مع مؤسسة حوار الأديان في لندن^(١).

مؤتمر: «الخوف من السلام»:

عقد في عمان عام ١٩٩٧م، بمشاركة نخبة من الأكاديميين والمثقفين من عدة دول في المنطقة، قدمت فيه خمس عشرة ورقة عمل، تستند على أنه: (مع تطور المسيرة السلمية في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة ظهر بوضوح أن ثمة تخوف من السلام أيضاً)^(٢).

مؤتمر: «الحوار المشترك بين الإسلام والمسيحية»:

عقد في عمان في الفترة: ١ - ٣ أبريل عام ١٩٩٧م مع كنيسة السويد. وقد ناقشت فيه الموضوعات التالية: تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، العلاقة بين الدين والهوية الوطنية، المرأة والمجتمع والدين في الأردن، تجربة المسلمين المهاجرين في أوروبا، المسؤوليات المتبادلة بين المجتمعات المضيفة، والمجموعات المهاجرة، وعواقب التعايش السلمي في المجتمعات المتعددة الأديان^(٣).

مؤتمر: «الدين والوطنية والهوية، الشرق الأوسط في الإطار العالمي»:

عقد في عمان عام ١٩٩٧م، بالتعاون مع «معهد الحياة والسلام» في السويد، الذي يعقد مؤتمراً سنوياً في بلد معين. وقد تناول المؤتمر الموضوعات التالية:

الهوية الوطنية في المشرق العربي، الدين والسياسة في الشرق

(١) المرجع السابق.

(٢) (النشرة) العدد الثالث. مارس - يونيو عام ١٩٩٧م (٣).

(٣) انظر: (النشرة) العدد الرابع. يونيو - سبتمبر عام ١٩٩٧م (٣)،

الأوسط في إطار المفهوم الديني الإبراهيمي^(١).

مؤتمر: «القدس وما حولها في القرن التاسع عشر: المسيحيون، والمسلمون في بيئة متعددة الأديان»:

عقد في عمان صيف عام ١٩٩٧م. يفحص المؤتمر مختلف المجتمعات المسيحية والإسلامية، والمواقع المقدسة أثناء التغيرات الاجتماعية والسياسية في سياق الحياة المقدسية من عام ١٨٣٠م حتى ١٩٨١م^(٢).

ثانياً: الكتب والإصدارات:

صدر عن المعهد خلال مدة وجيزة العديد من الكتب، منها:

- ١ - المسيحية في العالم العربي للأمير الحسن بن طلال. باللغتين العربية والإنكليزية، عمان ١٩٩٤م ولاحقاً بالفرنسية والألمانية.
- ٢ - القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، للدكتور مصطفى الحيارى، باللغة العربية. عمان ١٩٩٤م.
- ٣ - رجل سابق لعصره: المعلم بطرس البستاني ١٨١٩ - ١٩٨٣، للدكتور يوسف قزما خوري. باللغة العربية. بيروت ١٩٩٥م.
- ٤ - الإرساليات التبشيرية، تقارير من سوريا العثمانية ١٨١٩ - ١٨٧٠ في خمسة مجلدات باللغة الإنكليزية، للدكتور كمال الصليبي، والدكتور يوسف قزما خوري. بيروت عام ١٩٩٥م.
- ٥ - عيسى ومريم في القرآن والتفاسير، لأربعة من باحثي المعهد بإشراف الدكتور يوسف قزما خوري باللغة العربية.
- ٦ - الإرساليات التبشيرية: تقارير من العراق (١٨١٩ - ١٨٧٠):

(١) المرجع السابق.

(٢) عن 1994 - Activities & Output 1996 «خطة نشاط».

في مجلدين باللغة الإنكليزية، للدكتور كمال الصليبي، والدكتور يوسف قزما الخوري بيروت ١٩٩٥م.

٧ - سيرة عيسى في تراجم المسلمين في القرن الثاني عشر، لابن عساكر الدمشقي (١١٠٥ - ١١٧٦)، للدكتور: سليمان مراد. باللغة العربية.

٨ - المسيحيون والمسيحية في القرآن والتفاسير لعدد من الباحثين في المعهد في مجلدين بالعربية.

٩ - السريان قديماً وحديثاً، لسمير عبده.

١٠ - الوثائق العثمانية المتعلقة بنصارى البلاد العربية. تأليف وترجمة عبد الرحيم أبو حسين. باللغة العربية.

١١ - اليهودية والعالم العربي، لحسان منيمه، باللغتين العربية والإنكليزية.

١٢ - نقابة الأشراف في إستانبول العثمانية، لصالح السداوي. باللغة العربية.

١٣ - الأرمن الفاطميون، لسيتا دادويان.

١٤ - معجم أعلام المسيحيين العرب في العصور الإسلامية. باللغة العربية، ثم بالإنكليزية ١٩٩٧م.

١٥ - قاموس عربي بالمصطلحات الكنسية واللاهوتية للمسيحية العربية. ١٩٩٧م.

١٦ - أهل الكتاب في القرآن والتفاسير.

١٧ - إسلاموفوبيا «الخوف من الإسلام»، لفواز جرجس.

١٨ - التبادل الإسلامي - المسيحي إثر سقوط بغداد. دراسة لمقابلات الألوسي الكرملية ودوره في إحياء الأدب العراقي، ل: هالة فتاح.

١٩ - مسرد المؤلفات الخاصة بالمسيحية في السودان، ل: جون قاي يو. (باحث زائر في المعهد).

وإلى جانب هذه الإصدارات المتعاقبة، يصدر المعهد الملكي للدراسات الدينية نشرتين فصليتين - كل ثلاثة أشهر -:

إحدهما: باللغة العربية عنوانها «النشرة»، تقع في ست عشرة إلى عشرين صفحة، تتضمن أخبار المعهد، وصفحتين ثابتتين لترجمة ثلاثة من أعلام الإسلام والنصرانية واليهودية، وتعريفاً بالكتب المتعلقة بالنصارى العرب، ومقالات أخرى.

الثانية: باللغة الإنجليزية، عنوانها: (Inter - Faith Quarterly) تغطي موضوعات عن الإسلام والنصرانية واليهودية، ومسألة حوار الأديان.

ويتضح بشكل جلي من مسرد الكتب التي أصدرها المعهد، وطبيعة المقالات المنشورة في الدورتين أن المعهد يهدف إلى إحياء «النصرانية» بكافة طوائفها بعد أن كادت تنقرض، بنفض الغبار عن تاريخها، وتبجيل أعلامها، والتقريب بينها وبين الإسلام، وبين اليهودية والإسلام - وإن بشكل أقل بسبب عدم استقرار الوضع في المنطقة - لمواكبة «حاجات المجتمعات الحديثة»، كما جاء في التعريف.

ثالثاً: الاستضافات:

في غضون ثلاث سنواتٍ فقط ١٩٩٤م - ١٩٩٧م، زار المعهد الملكي للدراسات الدينية أكثر من ثلاثين شخصية علمية أو سياسية أو دينية، من قساوسة، ومستشرقين، وممثلي هيئاتٍ دينية ودولية ومراكز حوار مماثلة. وألقى بعضهم محاضراتٍ مثل:

■ (العهد العُمري: تقييم تاريخي جديد)، للمستشرق الألماني البرفسور ألبرخت نوت. عام ١٩٩٤م.

■ (اليهود في الإسلام)، للمستشرق الشهير برنارد لويس. عام ١٩٩٤م.

■ (الإسماعيلية، ومؤسسات الإمامة)، للسيد سيف الدين القصير، أمين سر الهيئة الثقافية في المجلس الإسلامي الشيعي الإمامي لمؤسسة الأغاخان في سورية. عام ١٩٩٧م.

لقد أصبح المعهد إرساداً لمن حارب الله ورسوله من اليهود والنصارى والهندوس، من شتى أصقاع الأرض، حتى أصحاب الاتجاهات المتعصبة ضد المسلمين، فقد زاره في شهر أبريل من عام ١٩٩٧م الدكتور «جيمس اتكن»، رئيس شعبة القيادة الواعدة في المجلس العالمي للمسيحيين اليهود.

٣ - فلسطين:

يعيش المسلمون في هذا البلد الإسلامي السليب، محنة عظيمة منذ أن دخل القائد الإنكليزي الصليبي «اللنبي» القدس عام ١٩١٧م. وقد أسلمها النصارى لليهود عام ١٩٤٨م وفاءً بوعد «بلفور»^(١)، بعد أن وُظِنوا لهم أكناف الأرض، وسمحوا بتدفق سُذَّاذ الآفاق، من أهل لعنة الله وغضبه إلى الأرض المباركة، ومكَّنوهم من مقاليد الأمور، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد نشأت منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م جمعيات إسلامية - نصرانية مشتركة، من عرب فلسطين، تجمعها الرابطة القومية، وتنافح عن الحقوق الوطنية ضد الهجمة الصليبية - الصهيونية، فلم تكن الراية متميزة، ولا الأهداف خالصة.

(١) بلفور (آرثر جيمس) Balfour (١٨٤٨ - ١٩٣٠): سياسي إنكليزي، رئيس الوزراء (١٩٠٢)، ثم وزير الخارجية ١٩١٧م. أصدر وعد بلفور الذي ضمنه حق اليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين ١٩١٧م. المنجد في الأعلام (١٤١).

(اختارت الجمعيات شعاراً لها «الهلال وبداخله صليب». وحددت لنفسها مهمة: «المطالبة بحقوق عرب فلسطين في وطنهم، ومناهضة وعد بلفور، والوقوف في وجه الهجرة الصهيونية، والدفاع عن عروبة فلسطين، والحيلولة دون عزلها عن الحركة العربية»^(١)).

وكانت بعض مجالس تلك الجمعيات المشتركة مناصفة بين المسلمين والنصارى، رغم أن نسبة النصارى في فلسطين في تلك الحقبة ١٠٪ من مجموع السكان.

وبالجملة فقد كان هذا اللون من التقارب ذا بواعث وطنية اجتماعية ضد الغزاة. ثم انحلت تلك الجمعيات، وذهبت مطالبها أدراج الرياح أمام الاجتياح الصهيوني، وفي عقد الثمانينيات برز اسم معهد تنطور الفلسطيني أو:

(معهد تنطور المسكوني للأبحاث اللاهوتية):

ومقره ضاحية «تنطور» في القدس. وهو معهد نصراني نظم المؤتمرات التالية:

مؤتمر: «أسس الحوار مع المسلمين»:

وقد عقد في القدس في الفترة: ٢٨ أبريل - ٣ مايو عام ١٩٨٠م. وقد حضره المونسنيور روسانو، رئيس أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين إذ ذاك^(٢).

مؤتمر: «حوار وتعايش»:

عقد في القدس بمبادرة من الدكتور: جرجس الخوري، ولجنة إسلامية - نصرانية تابعة للمعهد في الفترة ١ - ٣ ذي الحجة عام

(١) العلاقات الإسلامية - المسيحية، فلسطين نموذجاً. فايز سارة. مجلة الاجتهاد. (١٥٦/٣٠).

(٢) انظر: Twenty Five Years of Dialogue. P.3.

١٤٠٣هـ، الموافق ٩ - ١١ سبتمبر عام ١٩٨٣م، وحضره أربعون مشاركاً من المسلمين والنصارى^(١).

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة»:

عقد في القدس من قبل اللجنة السابقة في الفترة: ٤ - ٦ ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق ٣١ أغسطس - ٢ سبتمبر عام ١٩٨٤م، بحضور مكثف بلغ مائتي مشارك^(٢).

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة»:

وهو امتداد لسابقه، وعقد في القدس في الفترة: ٢٠ - ٢٢ ذي الحجة عام ١٤٠٥هـ، الموافق ٦ - ٨ سبتمبر عام ١٩٨٥، وحضره تسعة وأربعون مشاركاً^(٣).

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة»:

وهو امتداد لسابقه، عقد في الفترة: ١١ - ١٣ ذي الحجة عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٨ - ٣٠ أغسطس عام ١٩٨٦م، وحضره خمسة وسبعون مشاركاً^(٤).

مؤتمر: «التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة»:

عقد في الفترة: ٢٩ ذي الحجة عام ١٤٠٧هـ - ٢ محرم عام ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٥ - ٢٧ أغسطس ١٩٨٧م^(٥)، وهو آخر هذه السلسلة من مؤتمرات التراث.

(١) انظر اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية - الإسلامية. تسلسل: (١٣١).

(٢) المرجع السابق (١٤٢).

(٣) المرجع السابق (١٥٣).

(٤) المرجع السابق (١٧١).

(٥) المرجع السابق (١٩١).

٤ - تونس:

يعيش في هذا البلد العربي المسلم الصغير - مساحته ١٦٤,٠٠٠ كم^٢ فقط - أكثر من ثمانية ملايين نسمة^(١)، كلهم، أو أكثرتهم الساحقة مسلمون، ويشاركونهم العيش أقلية من النصارى الذين خلفهم الاستعمار الفرنسي، والجماعات التنصيرية التي تعمل تحت رعايته، لا سيما إرساليات «الآباء البيض»، ومعظم هؤلاء النصارى من الكاثوليك حسب تقديرات المطران «فؤاد طوّال»، أسقف تونس^(٢)، حيث يقول: (يعيش في تونس اليوم حوالي ٢٠ ألف كاثوليكي «أي نسبة ٠,٣٪ من إجمالي السكان...»، و٤٠ كاهناً وراهباً، وأكثر من ١٥٠ راهبة من رهبانيات مختلفة... لدينا ١٧ مدرسة وعيادة طبية... - ثم يصف وضع كنيسة بقوله -:

إنّها كنيسة مكونة من أقلية لها حدود كثيرة، فلا وصول لنا إلى وسائل الإعلام، وليس لدينا أكليريكيات، ولا أكليروس محلي، ولا توجد لدينا جماعات مسيحية مكونة من أبناء البلاد الأصليين...: لقد بدأت دول أفريقيا الشمالية عملية تعريب ضخمة في كافة القطاعات تقريباً، وإن الجماعة المسيحية... باتت غير محظوظة بسبب الافتقار اللغوي والثقافي الخطير.

نحن في الواقع ننتمي إلى تقاليد وطنية وثقافية مختلفة، لا يزال التقليد الفرنسي متفوقاً بينها... نحن نعي كوننا أجنب، وكوننا قليلين، وكوننا لا شيء، ولكن، لنا رسالة علينا أن نؤديها في هذه الأراضي. وليست الرسالة والخدمة والشهادة موجهة إلى المسيحيين المعمّدين

(١) أطلس العالم (٩٦).

(٢) أردني المولد.

وحسب، بل أيضاً إلى العالم كله. فالرب يرسلنا إلى العالم كله...^(١).

ورغم هذا الحجم الذي لا يؤبه له للنصارى في هذا البلد الإسلامي العريق، فقد نشأت فيه محاولات مبكرة للتقريب بين الإسلام والنصرانية تمت على يد:

(المركز التونسي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية «CERES»):
ويتبع الجامعة التونسية. وقد تولى إدارته الأستاذ: عبد الوهاب بوحديبة، الذي وصف بـ«الأب»^(٢)! وشارك فيه بفاعلية أحد أقطاب الحوار الإسلامي - النصراني المستخدين للنصارى، وهو الأستاذ: محمد الطالبي^(٣)، الذي قدم للملتقى الأول بقول المعري:

إن الشرائع ألفت بيننا إحناً وأودعتنا أفانين العداوات

ومن تلك المحاولات التي شارك فيها المركز مشاركة أساسية:

١ - مؤتمر: «الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو»: في تونس عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م مع مجلس الكنائس العالمي^(٤).

٢ - مؤتمر: «معاني الوحي والتنزيل ومستوياتها»: في تونس، في الفترة: ٣ - ٧ جمادى الثانية عام ١٣٩٩هـ، الموافق ٣٠ أبريل - ٤ مايو عام ١٩٧٩م، بحضور ستين مشاركاً^(٥).

(١) مقتطفات من مقابلة أجراها معه دجوفاني كوييدو، المحرر في مجلة ٣٠ يوماً الإيطالية. عدد (٤ - ١ - ١٩٩٧/١٩٩٨م) (٤٢ - ٤٤).

(٢) انظر: وثائق عصرية في سبيل الحوار (١٣).

(٣) سبقت ترجمته وعرض بعض آرائه في مبحث: (الإسلاميون العصريون) من الباب الأول.

(٤) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي (١١٥٣).

(٥) انظر البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم (٩٩). ولم يصدر عنه بيان مشترك.

٣ - مؤتمر: «حقوق الإنسان»: في تونس، في الفترة: ٣٠ رجب - ٥ شعبان عام ١٤٠٢هـ، الموافق ٢٤ - ٢٩ مايو عام ١٩٨٢م، بحضور أربعين مشاركاً^(١).

٤ - مؤتمر: «الروحانية من متطلبات عصرنا»: في تونس عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، مع مؤسسة «أديناور» الألمانية^(٢).

٥ - مؤتمر: «مساهمة الأديان في السلام»: في تونس، في الفترة: ٢٧ ربيع الثاني - ٢ جمادى الأولى عام ١٤١٢هـ، الموافق ٤ - ٩ نوفمبر عام ١٩٩١م^(٣).

(مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات):

هي مؤسسة حادثة يديرها الدكتور عبد الجليل التميمي من «جامعة تونس». وقد عقدت مؤتمراً في العاصمة التونسية لمدة خمسة أيام، اعتباراً من يوم الجمعة ١٠ ذي القعدة عام ١٤١٦هـ، الموافق ٢٩ مارس عام ١٩٩٦م بعنوان:

«المسيحيون والمسلمون في عصر النهضة الأوروبية»:

وقد شارك فيها أكثر من أربعين باحثاً ومفكراً من أوروبا والعالم العربي، تناول فيها محاضرون من روسيا وبلغاريا ورومانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا ودول المغرب العربي، العلاقات السياسية في مواقع معينة، بين النصارى الأوروبيين والمسلمين، وظهور ذلك في الكتابات الأدبية في تلك الفترة. يقول الدكتور التميمي، منظم المؤتمر:

(إن العلاقات والتفاعلات بين المسلمين والمسيحيين كثيرة

(١) انظر البيانات المسيحية تسلسل رقم (١٢٢). ولم يصدر عنه بيان مشترك.

(٢) سبق التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (١٢٨٣).

(٣) انظر البيانات المسيحية الإسلامية تسلسل رقم (٢٣٩). ولم يصدر عنه بيان

وعميقة، استمرت عبرها، ومن خلالها، المخاوف والأفكار المسبقة التي كانت سائدة حتى عصر النهضة الأوربي، وانعكس ذلك في الأدب والفن والإنتاج الفكري للجانبين... يندرج عقد الندوة في إطار ترسيخ الاعتراف المتبادل، وتكريس الحوار واللقاء بين الثقافات^(١).

ولا شك أن للقرب الجغرافي لتونس، وغيرها من دول شمال أفريقيا العربية - ليبيا على وجه الخصوص^(٢) - من إيطاليا التي تحتضن عاصمتها روما، الفاتيكان، دوراً في تفعيل محاولات التقارب الديني بين ضفتي المتوسط، بالإضافة (إلى تأثير الآباء البيض من الأفارقة، ورئيسهم الكاردينال «لافيجيه»^(٣))، وإلى كون معظم العاملين في أمانة السر الفاتيكانية، أو المجلس البابوي للحوار درّسوا وعملوا في تونس وبلاد شمال أفريقيا فترة طويلة من حياتهم^(٤).

٥ - السودان:

يعاني هذا البلد الإسلامي الكبير - مساحته ٢,٥٠٦,٠٠٠ كم^٢ - مشكلة مزمنة في جنوبه، زرعا الاستعمار الإنكليزي قبيل رحيله عام ١٩٥٦م، تتمثل بالحرب الأهلية التي تندلع بين آونة وأخرى بين المسلمين والنصارى، بالرغم من أن هؤلاء الأخيرين أقلية لا تتجاوز العشرة في المائة من مجموع السكان البالغ عددهم ٢٥,٢٠٤,٠٠٠

(١) جريدة الحياة عدد (١٢٠٨٧) ٢٩ مارس ١٩٩٦م، ١٠ ذي القعدة ١٤١٦هـ.

(٢) تقدم عرض المحاولات الفاتيكانية - الليبية وتقويمها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) لافيجهيه أو لافيغري La vigerie (١٨٢٥ - ١٨٩٢) كاردينال فرنسي اهتم بشؤون الشرق. رئيس أساقفة الجزائر. أسس جمعية الآباء البيض (١٨٦٨). المنجد في الأعلام (٦٠٨).

(٤) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٧٤).

نسمة^(١)، كما أنهم ليسوا أكثرية في الجنوب، حيث يشاركونهم العيش المسلمون، والوثنيون الذين يمثلون عشرين بالمائة من مجموع السكان، إلا أنهم (استفادوا من السياسة البريطانية التي جعلت التعليم حكراً على الإرساليات التبشيرية. فأصبح معظم المتعلمين في تلك الفترة من المسيحيين، وهم الذين تولوا قيادة الجنوب فيما بعد)^(٢).

ومنذ عام ١٩٥٥م، إبان الحكم الإنكليزي، ونصارى الجنوب يقومون بثورات مسلحة ضد الحكومات المركزية المتعاقبة في السودان، بغية الانفصال التام أحياناً، أو مجرد الاستقلال الذاتي أحياناً أخرى، حسب قوة الدعم الإقليمي والعالمي من القوى النصرانية. ويزيد الأمر سوءاً عدم استقرار الوضع السياسي في الشمال، والأزمات الاقتصادية الخانقة، والجفاف، والمجاعات، والتشرد، التي تجعل الجنوب مسرحاً للهيئات والمنظمات العالمية المتنوعة، وما تحمله من توجهات تزيد المشكلة ولا تقضي عليها.

وكغيره من البلدان الإسلامية التي تحتضن أقلية نصرانية نشأت محاولات مبكرة لاحتواء الأزمة تحت شعار التقارب، كان أولها:

مؤتمر: «من أجل اللقاء مصادفة»:

عقد في العاصمة «الخرطوم» يوم ٢٥ شوال عام ١٣٨٨هـ، الموافق ١٥ يناير عام ١٩٦٩م، بمبادرة من مجلس الكنائس السوداني، ومشاركة مختلف الجهات الدينية السودانية^(٣).

ولم تخدم حرب الجنوب إلا عام ١٩٧٢م، إثر توقيع معاهدة

(١) انظر: أطلس العالم (٩٦).

(٢) الحوار الديني في السودان. خطة عمل إيجابي. محاضرة لـ د. الطيب زين العابدين محمد في مؤتمر حوار الأديان في الخرطوم عام ١٩٩٤م (٢).

(٣) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل رقم (١٦).

أديس أبابا، التي منحت الجنوبيين صلاحيات واسعة. ثم اندلعت حركة التمرد مرة أخرى عام ١٩٨٤م مضيئة إلى مسوغاتها المزعومة عنصراً جديداً، وهو معارضة إعلان تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الذي رفعته الحكومة في مطلع الثمانينيات، دون أن تطبقه.

ومع وصول «الجبهة القومية الإسلامية» بقيادة الدكتور حسن ابن عبد الله الترابي، لسدة الحكم إثر انقلاب عسكري عام ١٩٨٩م، صارت الحكومة تعيش تهمة «الأصولية» واستهداف الوجود النصراني في الجنوب، فقامت بتفعيل قضية التقريب بين الأديان، حتى الوثني منها، بشكل لم يسبق له مثيل حتى في البلدان الغربية، ووجد في منظري الجبهة من أصحاب الفكر العصري المتحرر، من يسوغ هذه الممارسات التي يتحرج من بعضها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، ونشأ في مطلع التسعينيات هيئات تستظل بظل الحكومة التي توصف بـ«الإسلامية»، أجرت محاولات جريئة، وقدمت طروحات منكرة لم تعهد في بلاد المسلمين. ومن ذلك:

(ملتقى السلام العالمي لرجال الأديان):

عقد في «الخرطوم» في جمادى الأولى عام ١٤١٢هـ، الموافق نوفمبر عام ١٩٩١م، بدعوة من مجلس الصداقة الشعبية العالمية، وهي منظمة شبه حكومية، وحضره وفود من مختلف الأديان والملل، حتى الهندوسية والبوذية والكونفوشسية والتقاليد الوثنية الأفريقية، في محاولة لإظهار الاتجاه المتحرر المتسامح للنظام الجديد.

مؤتمر: «من أجل مزيد من التعاون الديني على طريق النهضة»:

عقد «مؤتمر الأديان في السودان» تحت هذا الشعار في العاصمة الخرطوم، في الفترة: ٥ - ٩ ذي القعدة عام ١٤١٣هـ، الموافق ٢٦ - ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م. ويعد: (أول مؤتمر شعبي جامع للأديان، يعقد

في السودان بمباركة الدولة وتأييدها^(١). وقد شارك فيه وفودٌ كثيرة قدمت من إحدى وثلاثين دولة من العالمين الإسلامي والنصراني، بالإضافة إلى كوريا واليابان. وقد زار المؤتمر أثناء فترة انعقاد المؤتمر عدداً من الكنائس، والمساجد، ومقار الهيئات الدينية، والجمعيات التطوعية.

وقد تمت في المؤتمر عدة محاضرات منها^(٢):

١ - أخلاقيات الحوار الديني، والتنافس الديني بين الديانات ل د. يوسف الخليفة أبو بكر، الذي عدد محاور ورقته بـ (أخلاقيات الحوار حسب ما جاء في الإسلام، أهداف التبشير الإسلامي، والتنافس التبشيري لصالح الإنسان السوداني، ومؤشرات ميثاق الحوار الديني المقترح، وآفاق جديد لبيان تنافس تبشيري حر وعادل لخدمة البلاد دينياً واجتماعياً).

٢ - تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مجتمع متعدد الأديان. ل د. أحمد علي الإمام. وهو موضوع ذو حساسية بالغة لدى النصارى. وقد تضمنت المحاضرة الجمل التالية:

■ إن الواقع التطبيقي في الدولة والمجتمع يؤكد... حرية الاعتقاد والفكر، وحق المساواة القانونية والعدل... والإسلام دين الحرية الفكرية، وأنه لا حرج على أحد في حرية الفكر والتعبير...

■ ليس المقصود من عقد الذمة في الإسلام تحصيل المال، إنما هو في المشاركة في واجب الدفاع والحماية.

(١) من البيان الختامي لمؤتمر الأديان في السودان (٧ صفحات): ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م... و«المباركة» لا تضاف إلا إلى الله.

(٢) العرض أدناه مستخلص من تقرير صادر عن قسم التحقيقات بوكالة الأنباء السودانية.

■ يكفل نظام الحكم الإسلامي حق الحكم الذاتي، مع حق التميز الثقافي للأقاليم التي يكون فيها غير المسلمين في مكانٍ يخصهم، ويباشرون بأنفسهم إدارة شؤونهم، مع الاحتكام إلى محاكمهم بما كان يجعلهم في حكم الإقليم الآن.

ولا ندري بأي معيار «إسلامي» سوَّغ المحاضر حرية التعبير عن الشرك بالتثليث وعقيدة ألوهية المسيح وبنوته، وأن ذلك مما تكفله الدولة الإسلامية لمواطنيها؟! ولا كيف سوَّغ سابقه «التنافس التبشيري لصالح الإنسان السوداني»؟! ولكنه الفقه العصري الترابي الميكافيللي، الذي يعتمد قاعدة: «الغاية تبرر الوسيلة».

٣ - نحو حوار إسلامي - مسيحي في السودان. للأب: غبريال روج، وزير الدولة بوزارة الخارجية في الحكومة الإسلامية! ومما جاء في محاضراته:

■ إن من الديانات المعتمدة حالياً، وتدعو إلى المحبة، المسيحية والإسلام واليهودية والهندوسية والبوذية.

■ إن التعايش في السودان هو مثلاً لإرساء التعايش بين الأديان.

■ إن مشكلة الجنوب ليست مشكلة دينية، بل هي مشكلة سياسية.

٤ - الحوار الإسلامي - المسيحي في الشرق الأوسط. لغبريال حبيب، أمين عام مجلس كنائس الشرق الأوسط، الذي دعا إلى إعادة اكتشاف المسيحية العربية كشريك أساسي في الحوار الإسلامي - المسيحي العالمي...

٥ - الدين ودوره في السلام والتنمية «الجانب المسيحي» لـ زكري رزق جيد، مدير المدرسة الإنجيلية السودانية بأمر درمان، الذي قرر أن: الكتاب المقدس دستور وقانون معصوم للإيمان والأعمال، والمرجع الأعلى ذو السلطان للحق الإلهي...

٦ - دور المرأة المسيحية في التنمية. ل.د. كريستينا يعقوب إسحاق. جامعة الخرطوم.

٧ - دور المرأة المسيحية في تحقيق وإقرار السلام، للأستاذة هيلين كيلا وانقولا، رئيس دائرة السلام للاتحاد العام للمرأة السودانية.

٨ - دور سيدنا عيسى كحلقة وصل مهمة بين المسلمين والمسيحيين. للبرفسور: جمال بدوي، المحاضر بجامعة سانت ميري بكندا.

ولكن أهم محاضرة من بين الثمانية عشر محاضرة التي أقيمت على مدى خمسة أيام كانت محاضرة الدكتور: حسن بن عبد الله الترابي، الذي يمثل الجانب الفكري لحكومة الإنقاذ ويعبر عن توجهاتها^(١). (وكان معظم تركيز الدكتور الترابي في محاضراته منصباً على أن التبشير هو عمل إنساني يحترم إنسانية الإنسان، وأن على العالم احترام التنوع الديني... ودعا الترابي في محاضراته إلى ضرورة حفظ الديانات، وتنمية روح الدين المؤدية لتوحيد الأديان... وقال: إن العالم يتجه الآن نحو التوحد، الأمر الذي يستوجب تصنيف هذا العالم من حيث التدين، دون الأخذ بالتفاصيل)^(٢).

وهذا كلام لا يختلف في فحواه عن كلام زنادقة الصوفية من أهل وحدة الوجود، أو النحل الباطنية كالبهائية^(٣)، وربما زاد عليه بالثناء على التبشير.

(١) ورغم ذلك لم يتضمن تحقيق قسم التحقيقات بوكالة أنباء السودان أدنى إشارة لها، إمعاناً في التظاهر بعدم الارتباط بين الحكومة السودانية وشخصية الدكتور الترابي، في تلك الفترة.

(٢) جريدة «الشرق» القطرية تحقيق عن مؤتمر حوار الأديان، مشاهدات عائد من الخرطوم: يعقوب الزهير. الأحد ٢٣ ذي القعدة عام ١٤١٣هـ ١٦ مايو عام ١٩٩٣م.

(٣) انظر: فصل «الأصول التاريخية» من الباب الأول.

وقد كان النشاط التنصيري المكثف الذي يتعرض له السودان حتى انعقاد هذا المؤتمر يخضع لإشراف «لجنة المبشرين» المكونة من أعضاء مسلمين، فجاء كلام الترابي مسقطاً لها.

وقد صدر عن «مؤتمر الأديان في السودان» بيان ختامي مسهب، نقتطف من بنوده ما يلي:

■ (اعتماد الدين كأساس لنهضة البشرية، وتأكيد محاور الالتقاء، وإبراز القواسم المشتركة بين الأديان، والحض على ما يجمع الناس ويوحدهم، لا على ما يفرقهم.

■ إشاعة المساواة بين الناس، أيّاً كان دينهم أو معتقدتهم أو نظامهم الاجتماعي والأخلاقي، وتكريم الإنسان إنفاذاً لمشئته الله...

■ إن المفهوم الحقيقي للحوار الديني لا يقتصر على مجرد تبادل الآراء، وغرس روح التسامح، وإنما يجب إعماله إيجابياً في تغيير نوعية الحياة، وإحلال قيم العدل والقسط في التعامل بين الأفراد والجماعات والدول، وأن يُسعى به إلى خلق نظام عالمي يجعل العدل، وإعلاء قيمة الإنسان، وصون كرامته، وتأمين حقوقه، والاستجابة لحاجاته الأساسية العادلة^(١).

ولم يفت المؤتمرين أن ينوّهوا بزيارة البابا يوحنا بولس الثاني القصيرة للسودان، حين توقف لمدة يوم واحد فقط، في العاشر من فبراير عام ١٩٩٣م، بعد رحلته الرعائية ليوغندا، عائداً إلى روما، وكان بابا الفاتيكان قد ضمّن كلمته التي وجهها إلى القادة السودانيين في الخرطوم الدعوة إلى منح الأقليات في البلد حقوقهم في العيش بلغتهم الخاصة، وثقافتهم وتقاليدهم، وإعطائهم الفرصة لتحقيق انتمائهم،

(١) المواد: (٦، ٧، ٩) من البيان الختامي.

والتعبير عن ذواتهم^(١)، في إشارة واضحة إلى الحرب الدائرة في الجنوب مع المتمردين النصاري.

كما أبدى المؤتمر غبطتهم لعزم الحكومة السودانية «الإسلامية» على إعادة النظر في قانون الهيئات التبشيرية^(٢).

إن ما تحاول أن تقوله بعض مؤتمرات التقريب بين الأديان التي عقدت في عواصم غربية على وجل وتردد، يقال في الخرطوم في ظل حكومة «الإنقاذ» الإسلامية بملء الفم!

إن الحوار الديني يُطمح من ورائه - في الخرطوم - إلى خلق نظام عالمي يحمل مبادئ إنسانية عامة، كتلك التي تستر بها الماسونية، ويطمس خصوصية الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه.

ولا أدل على ذلك من «ميثاق الحوار الديني في السودان» الذي صدر عن المؤتمر، في سابقة خطيرة من نوعها لم تقع في أي بلد من بلدان المسلمين، ولم تجرؤ عليها حكومة شيوعية أو قومية أو علمانية، في السودان، ولكن صدر بمبادرة الدولة «الإسلامية» وتأييدها، ولخطورة هذا التوجه وتداعياته المستقبلية نورد نص الميثاق كاملاً:

(نحن المنتمين إلى الديانات السماوية^(٣) - الإسلام والمسيحية - في السودان، وقد التقينا في عاصمة وطننا الخرطوم، على اختلاف

(١) انظر تفاصيل الزيارة وكلماتها في 136 - 133 P. Recognize The Spiritual Bonds.

(٢) البيان الختامي. مادة (١٣). وقد أعيد النظر فعلاً في قانون منع التنصير في شمال السودان الذي سن في مطلع الستينيات في عهد الفريق إبراهيم عبود، فألغي في عهد حكومة التراي «الإسلامية»، وصار المنصرون يذرعون البلاد شمالها وجنوبها، وتفسح لهم منابر الإعلام في أجهزة الدولة الرسمية من إذاعة وتلفاز وصحف، وانشغل الدعاة بمحاربة التنصير في الشمال، مما أثر على مسيرة الدعوة الإسلامية.

(٣) راجع التمهيد بمبحث دين الإسلام. في بيان حكم هذا التعبير.

مللنا ومذاهبنا ولغاتنا وأعراقنا، في مؤتمر الأديان بالسودان على ملا من أهل الأديان^(١) الذين استجابوا لدعوتنا، فتوافدوا من أكثر من ثلاثين دولة أفريقية وآسيوية وأوربية وأمريكية، نعلن إيماننا الراسخ بالله خالقنا، وأننا جميعاً أبناء وطن واحد هو السودان، وقد عاهدنا الله على الوفاء بالآتي:

١ - أن نعمل على إعلاء راية الدين والقيم الروحية النبيلة، التي تحت على إرساء قواعد العدالة والمساواة، وصون كرامة الإنسان، من أجل نهضة بلادنا وتطورها.

٢ - أن نبذل كل ما في وسعنا لدعوة أبناء شعبنا أن يحرصوا على التمسك بما يجمعنا، وأن ينأوا عن نوازع الفرقة والشتات، فأصل الدين واحد، والأديان السماوية تعمر بالمبادئ والقيم والمثل المشتركة الكفيلة بجمعنا على الهدى وفعل الخيرات.

٣ - وأن نتعاون جميعاً لصياغة مجتمع سوداني موحد، تسوده المحبة، ويظله السلام. فالإسلام والمسيحية كلاهما يحثان على المحبة والفضيلة والتراحم والسلام والعدالة، واحترام الإنسان، ورعاية حقوقه وحرماته.

٤ - وأن نتجرد لعبادة الله مخلصين له الدين.

٥ - وأن نجعل الحوار والتفاهم بالتالي هي أحسن.

٦ - وألا نجعل من اختلاف الدين سبباً للفتنة والفرقة والشتات والاحتراب.

٧ - وأن يحترم كل منا عقائد الآخرين.

٨ - وأن نعمل على إزالة كل أسباب النزاعات والخلاف بين

(١) نعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. من ابتلي فليسترا!

جماعات أمتنا، بالحوار الموضوعي المخلص الأمين، عبر لجنة مشتركة من أهل الديانات بالسودان.

٩ - وأن نحرص على تربية ناشئتنا على التحلي بالفضائل، وعمل الصالحات، التي دعت إليها الأديان السماوية.

١٠ - وأن نوثق عرى التواصل والود، ونتبادل المعارف والمعلومات عن الأديان السماوية، وسيلة لتيسير الحوار والتفاهم والتعايش الرحيم.

ووفاء بما جاء في هذا الميثاق، نتعاهد على أن ندعو للآتي، ونعمل له:

أ - حرية الاعتقاد والتعبير عنه والعمل له.

ب - الاهتمام بدور العبادة، ورعاية حرمتها.

ج - حرية التربية الدينية، والحرص على تيسير سبلها، وإعداد معلمها وتدريبهم.

د - إدخال مادة الأديان المقارنة في مناهج التعليم العالي.

هـ - تشجيع قيام الجمعيات الطوعية الخيرية المشتركة.

و - الحث على التسامح، وعدم إكراه أحد على تغيير دينه وعقيدته.

ز - رعاية الفقراء، وعدم استغلال الفقر والعوز للتأثير على العقيدة.

ح - توجيه الطاقات الروحية إلى تحقيق الرقي الأخلاقي، والنهضة الشاملة والتقدم.

وإننا إذ نعاهد الله مسلمين ومسيحيين على السعي إلى تحقيق ما تقدم، ندعو أهل الديانات في قارتنا الأفريقية وفي قارات العالم

الأخرى أن يعملوا على إشاعة روح الحوار بين أهل الديانات والتقريب بينهم، وعلى رفع كل ضروب الظلم عنهم، وبسط معاني المحبة والتعاون وحسن التعايش. ونتعاهد على أن نسعى، بجهود كل أهل الديانات، إلى الإسهام الفاعل في صياغة نظام عالمي جديد يتحاكم إلى قيم الدين، ويشيع العدل والمساواة والاستقرار والسلام^(١) اهـ.

هذا ما تقاسم عليه القوم، وعاهدوا الله عليه، من دعاة التقريب من المسلمين والنصارى، وهو كما وصفه واضعوه، إسهام في صياغة نظام عالمي جديد.

إن التاريخ العلمي والسياسي للمسلمين طوال القرون لم يشهد مثل هذا اللون من «الاجتهاد» العصري، الذي فتح بابه على مصراعيه دون شرط أو قيد منظر الحركة الإسلامية في السودان الدكتور حسن بن عبد الله الترابي^(٢) وتلاميذه. إن روح الميثاق ومادته لتطبع في النفس أن ليس فرق بين دين الله الحق الخاتم «الإسلام»، والنصرانية المثلثة المشركة، وأنه يسوغ ويصح لمن شاء اعتناق ما شاء، وأن المقصود إعلان راية الدين - أيًا كان ذلك الدين - وبذل الوسع لدعوة الشعب للتمسك به، حتى ولو كان القول بالوهية المسيح، أو بنوته، أو أن الله سبحانه ثالث ثلاثة، وفوق ذلك حرية التعبير عنه والعمل له، وفوق هذا وذاك الالتزام باحترام عقائد الآخرين، حتى ولو كانت عين الكفر والشرك بصريح القرآن والسنة!!

فأين أصحاب العمام البيضاء في الخرطوم من قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وإنما

(١) ميثاق الحوار الديني في السودان صفحتان: ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م. وقد نشرته وكالة الأنباء السودانية ضمن تحقيقها عن مؤتمر الأديان.

(٢) انظر ترجمته وعرض موقفه الفكري من قضية التقريب بين الأديان في الباب الأول مبحث (الإسلاميون العصريون) في الفصل الثالث.

وصاهم بما تضمنه قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [١٥] [الأنبياء]، وقال في شأن النصراني خاصة: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَاتِبُ تَمَالُؤًا إِلَىٰ كَلِمَتِ سَوَاحٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْثَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [١٦] [آل عمران]، وقال أيضاً: ﴿يَتَّخِذِ الْكَاتِبُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ نَلِكُكُمْ أَنْتَهُمَا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [١٧] [النساء].

فهل علم هؤلاء أن محاورهم من نصراني السودان فهموا من المادة الرابعة من الميثاق (وأن نتجرد لعبادة الله مخلصين له الدين) ما دلت عليه الآيات المحكمات السابقة؟

قطعاً إنهم ما علموا عنهم ذلك، ولكنه الهوى والأذهان في دين الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد أراد الإسلاميون العصريون في السودان مهادنة النصراني وتملقهم، سعياً لاسترضاء الإعلام الغربي والحكومات الغربية، فلم ينالوا خيراً، وتعرضوا لسخط الله عليهم، وأسخط عليهم الناس. وكان أشدهم سخطاً أولئك النصراني الذين حاولوا إرضاءهم، ومن شواهد ذلك:

١ - قامت اللجنة التحضيرية للمؤتمر بدعوة الكاردينال آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان لحضور المؤتمر، وهو الكاردينال النيجيري الأصل، الذي ما ترك دولة في العالم إلا قصدها لإعزاز دينه، فامتنع عن الحضور! (حيث إن الحكومة السودانية اتصلت به دون استشارة «مجلس الكنائس السوداني»).

٢ - قام الأب «ميشال لولون» الكاثوليكي الفرنسي، وعضو المجمع البابوي للحوار، بالإعلان من منبر القاعة، (بأنه موجود شخصياً، وغيره من القساوسة الكاثوليك الموجودين في القاعة، بصفته الشخصية فقط، ولا يمثل أحد منهم الفاتيكان، ولا يمثل كنيسة أيضاً). مما سبب إحراجاً بالغاً لرئاسة المؤتمر.

٣ - قام مجلس الكنائس السوداني بإملاء شروطه على رئاسة المؤتمر، من حيث الإدلاء برأي موحد يمثل مجلسهم، دون أن تعبر كل كنيسة على حدة عن رأيها كما أرادت اللجنة، والتقدم بوثيقة - اعتبرتها اللجنة سلبية - تتضمن ذكر الاضطهادات التي تعرض لها النصارى منذ عام ١٩٨٣م، واستنكار محاولات التعريب والأسلمة وغير ذلك.

٤ - قاطع الكاثوليك - باستثناء القليل - حضور المؤتمر، وامتنعوا عن استقبال وفود المؤتمر في كنائسهم، أثناء الزيارات الميدانية في الخرطوم، وملكال، وجوبا.

أما سائر المدعوين من أصقاع العالم، فكان الأمر يبدو لهم مسألة محلية بالدرجة الأولى، وإنما جمعوا في تظاهرة سياسية، أكثر من كونها موضوعية.

ويطرح أحد الصحفيين ممن شهد وقائع المؤتمر السؤال التالي، ويجب عليه:

(هل حقق المؤتمر أهدافه؟.. إن السودان الذي يحاول أن يغير صورته في الإعلام الغربي، لا أعتقد أنه يفهم حقاً ذلك الإعلام تمام المعرفة، لأنه راح ينظر إلى رجال الدين المسيحي في الغرب من أجل التأثير على وسائل إعلامهم، وهم يفتقدون ذلك التأثير، وفاقد الشيء لا يعطيه^(١)).

(١) مجلة «الشرق» القطرية. مشاهدات عائد من الخرطوم. يعقوب الزهير. الأحد ٢٥ ذي القعدة ١٤١٣هـ، ١٦ مايو عام ١٩٩٣م.

فنعوذ بالله من الضلال والخسران، والركون إلى أعداء الرحمن.

وإثر زيارة البابا يوحنا بولس الثاني للسودان، سارع قادة ثورة الإنقاذ لتوثيق الصلة بالفاتيكان، فقصد الدكتور حسن بن عبد الله الترابي روما في أكتوبر عام ١٩٩٣م، وعقد مؤتمراً صحفياً، وألقى محاضرة في جمعية سانت إيجيديو^(١)، وتحدث فيهما عن الإسلام وعن السودان، و(أن العالم محتاج إلى نظام جديد لا يركز على القوة والتفوق المادي ليفرض قيماً معينة على الجميع، بل يركز على ما يشترك فيه الناس جميعاً من قيم عليا، يتم التراضي على احترامها وحمايتها)^(٢).

وفي اليوم الأخير طاف الترابي بالفاتيكان برفقة الكاردينال آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار بين الأديان، فزار المجمع، والمجلس البابوي للثقافة، وكان آخر المطاف زيارة البابا يوحنا بولس الثاني، واختلاته به، ووصف ذلك اللقاء بأنه (كان إيجابياً أكثر من بقية لقاءاته... وأنه - أي د. الترابي - قد ركز على قضية التفاهم بين المتدينين، وضرورة إقرار العدالة في النظام العالمي الدولي)^(٣).

(جمعية حوار الأديان في السودان):

أوحى بفكرة هذه الجمعية الكاردينال فرانسيس آرينزي، رئيس المجمع البابوي للحوار مع الأديان أثناء مرافقته للبابا يوحنا بولس الثاني، في زيارته الخاطفة للسودان في فبراير عام ١٩٩٣م، فراق زخرفها لدعاة التقريب، وطرحت فكرتها على القادة الرسميين للديانتين، وتم عقد الاجتماع التمهيدي الأول لتأسيس الجمعية في ٩ فبراير عام ١٩٩٤م، على رأس سنة من زيارة البابا تماماً، وشرعت في مزاولة محاولاتها التقريبية، ومن ذلك:

(١) انظر التعريف بها في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (إيطاليا).

(٢) جريدة «الإنقاذ الوطني» السودانية. عدد ٢٥ أكتوبر ١٩٩٣م.

(٣) المرجع السابق.

■ دعوة المطران سمير قفيعتي، مطران كنيسة القدس، وكبير أساقفة الشرق الأوسط (للتفاكر حول قضية الحوار بين الأديان، والقضايا التي تهم أهل الإيمان).

■ عقد عدد من المؤتمرات الفرعية بالولايات الجنوبية، وانتخاب اللجان التنفيذية لجمعيات الحوار بين الأديان في عدد من المدن الجنوبية.

■ تكوين اللجنة التحضيرية لعقد مؤتمر الحوار بين الأديان - الآتي ذكره - والقيام بالعديد من الاتصالات واللقاءات، ومكاتبة العديد من الزعماء وقادة الأديان في مختلف بقاع العالم. وقد تشكلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من:

● د. مصطفى عثمان إسماعيل. الأمين العام لمجلس الصداقة الشعبية العالمية، ورئيس اللجنة.

● الأب إزيكيل كوتجراك. سكرتير مجلس الكنائس السوداني.

● د. عبد الرحيم علي. مدير جامعة أفريقيا العالمية.

● الأب هنري بوما. الكنيسة الكاثوليكية.

● الشيخ الشريف مصطفى خالد. المجلس الصوفي العالمي.

● الأب القمص فيلوثاوس فرج، كاهن كنيسة الشهداء القبطية.

● الشيخ محمد بخيت البشير^(١). وكانت أبرز أعمال اللجنة:

مؤتمر: «الحوار بين الأديان: (سلام للجميع)»:

عقد هذا المؤتمر بقاعة الصداقة في الخرطوم في الفترة: ٨ - ١٠ أكتوبر عام ١٩٩٤م، بدعوة من «مجلس الصداقة الشعبية العالمية - جمعية حوار الأديان في السودان». وقد وجهت على نطاق عالمي

(١) من كلمة اللجنة التحضيرية للمؤتمر للدكتور: مصطفى عثمان إسماعيل.

واسع الهيئات ومنظمات إسلامية ونصرانية (ليشهدوا انطلاقة عمل هذه الجمعية). وحضر المؤتمر (أكثر من خمسين كنيسة ومنظمة إسلامية، ومؤسسات وهيئات دينية، وطرق صوفية، من حوالي ثلاثين دولة... وأداروا بينهم الرأي والحوار المخلص الصريح والصادق، حول المحاور الخمسة التالية:

□ المحور الأول: الخلفية التاريخية لحوار الأديان.

□ المحور الثاني: موضوعات وقضايا الحوار التي اشتملت على:

أ - الأساس الفقهي والنظري للحوار والتعايش بين الأديان.

ب - القواسم المشتركة بين الأديان.

ج - الدعوة إلى السلام والتعاون والتعايش.

د - التعاون بين الأديان في مواجهة النزعات المادية.

هـ - قضايا السلوك والأخلاق في منظور الأديان.

و - الدين والسياسة والقانون.

ز - موقف الأديان من القضايا الإنسانية.

□ المحور الثالث: حوار الأديان والتحديات ورؤى المستقبل.

□ المحور الرابع: الديانات والسلام العالمي.

□ المحور الخامس: جمعية حوار الأديان: التجربة السودانية.

وقدمت في إطار هذه المحاور تسعة عشر بحثاً، وكان استهلال عمل المؤتمر في الجلسة الافتتاحية بتلاوة من القرآن الكريم، وقراءة مباركة من الكتاب المقدس^(١).

(١) البيان الختامي لمؤتمر الحوار بين الأديان (سلام للجميع ١٩٩٤م): (١، ٢).

ومن البحوث التي طرحت في المؤتمر:

• الحوار الديني في السودان. خطة عمل إيجابي. د. الطيب زين العابدين محمد. ضمنه عرضاً تاريخياً عن أسباب التنوع الديني في السودان، وعوامل التأثير عليه من قبل الهجرات، والاستعمار الإنجليزي، والصحوة الإسلامية في عقدي السبعينيات والثمانينيات، ثم المنافسة الدينية بين الإسلام والكنائس الغربية على كسب الوثنيين في أفريقيا.

ثم تحدث عن ضرورات الحوار الديني، مركزاً على أن السودان مؤهل لكي يكون النموذج والمثال للحوار! مقدماً عدة أسباب منها: (أن السودان من أقل البلاد تأثراً بالتراث الفقهي التقليدي في العلاقات بين أهل الملل والنحل. ومن ثم فإن السودان يستطيع أن يحدث اجتهاداً جديداً في التعامل بين المسلمين والمسيحيين، يلائم مقتضيات العصر الحاضر)^(١).

وقد أحدث فعلاً. وكل محدثة في دين الله بدعة.

وفي آداب الحوار وموضوعاته وآليته، ردد ما يقوله دعاة التقريب من النصارى، من المعرفة والفهم المتبادل، والاحتراز من السعي نحو تغيير الدين، (وإن كانت حرية الدعوة والتبشير يجب أن تكفل لكل مسلم أو مسيحي) كما قال، مما يؤكد تحرره وأمثاله من التراث الفقهي التقليدي، المتمثل بالعهد العمري، وأحكام أهل الذمة، وتبرؤهم منها.

• قوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين في السودان. للقاضي بمحكمة الاستئناف السودانية، سمير ساوس، تحدث عن مصادر الشريعة المسيحية وطمان المؤتمرين إلى أن وضع الأقباط الأرثوذكس في السودان يتميز بالإنصاف والعدل والاستقرار، وقد أفاض في تقرير

العقائد النصرانية الكفرية، التي تقشعر منها جلود المؤمنين^(١).

• تجربة السودان في التعبير عن التنوع الديني في الحياة السياسية. د. إسماعيل الحاج موسى. قرر فيها أن (الإنسان السوداني هو حصيلة التمازج بين الثقافة العربية الإسلامية، والموروث الأفريقي)^(٢). وتغنى طويلاً بخصائص السودان. في التسامح والتعايش، والفهم الرحب لطبيعة الدين الإسلامي، مشدداً على أن جميع الخلافات والنزاعات لا تركز على أسس دينية.

• حقوق الإنسان في المسيحية. للأب القمص فيلوثاوس فرج. كاهن كنيسة الشهيدين. كانت أشبه بقدّاس كنسي منها بمحاضرة.

• سوسيولوجيا الأديان. المفهوم، الدلالة، الأبعاد، مدخل نظري حول الحوار بين الأديان د. حسن إسماعيل عبيد، تناول فيها «الظاهرة الدينية»! - على حد تعبيره - كما يتناولها علم الاجتماع الغربي بوصفها (نتاجاً للبيئة الاجتماعية بمفهومها الشامل، وتعبيراً عن الواقع الاجتماعي)^(٣).

وقال أيضاً: (إن الحوار يرفض مبدأ أي توجه إحلالي، يسعى إلى نسخ الديانات القائمة وتمثلها واستيعابها في دين ما، بحسبان أنه الأقوم أو الأفضل أو الأحسن. إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة، باختلاف منطلقاتها العقائدية، ورؤيتها للكون وللإنسان وللحياة)^(٤).

فما أعظم الفرق بين متحدثيهم الذين يرون أنهم يؤدون «شهادة»،

(١) نص المحاضرة (٧).

(٢) نص المحاضرة (٢).

(٣) نص المحاضرة (٦).

(٤) نص المحاضرة (١٠).

وبين هؤلاء العصرانيين الذين يزعمون أنهم إن أرادوا إلا إحساناً وتوفيقاً.

• الحوار بين الأديان «التحديات والآفاق» د. حسن بن عبد الله الترابي.

دعا فيها إلى إقامة «جبهة أهل الكتاب»^(١)، (وتكثيف الحوار، وتأسيس المنابر المشتركة، لا لمناقشة القضايا اللاهوتية، ولكن لمناقشة ما يمكن أن نفعله سوياً لإشاعة المثل والقيم الدينية... إن البعد عن عصبية الدين، والتحرر من التعصب المذهبي، هو الباب المفضي إلى حوار حقيقي بين الأديان. فإذا ترك أهل الأديان، التعصب كل لمذهبه وملته، وأقبل على دراسة الأديان بعقل متفتح كان أخرى أن ينكشف له الأصل الواحد لهذه الأديان، واشتراكها في القيم الأساسية التي تدعو له)^(٢).

إنها ذات المعاني التي أطلقها جمال الدين الأفغاني قبل مائة عام^(٣)، تتردد في جنبات قاعة الصداقة، في مؤتمر مجلس الصداقة الشعبية العالمية، على ألسنة العصرانيين من تلاميذه، وكلاهما؛ الأفغاني، والترابي، قد تلطخ بأفة الركون إلى الذين ظلموا، لتحقيق مكاسب سياسية، وها هو الترابي يقول: (إن الوحدة الوطنية تشكل واحدة من أكبر همومنا، وإننا في الجبهة الإسلامية نتوصل إليها بالإسلام على أصول الإبراهيمية، التي تجمعنا مع المسيحيين، بتراث التاريخ الديني المشترك، وبرصيد تاريخي من المعتقدات والأخلاق، وإننا لا نريد الدين عصبية عدا، ولكن وشيجة إخاء في الله الواحد)^(٤).

(١) راجع مبحث: الإسلاميون العصرانيون. من الباب الأول.

(٢) نص المحاضرة. (٥، ٦).

(٣) انظر: فصل الأصول التاريخية لدعوة التقريب. الباب الأول.

(٤) مجلة المجتمع. العدد (٧٣٦) في ٨/١٠/١٩٨٥م.

لقد تقرب هؤلاء الترابيون إلى النصارى بأصناف القرب والمجاملات:

■ فحضرُوا أعيادهم الدينية، وهنؤوهم على صفحات الجرائد والمجلات.

■ وشاركوهم صلواتهم في كنائسهم.

■ وتبرعوا بمئات الآلاف من الجنيئات السودانية لعمارة كنائسهم في مدينة «واو» الجنوبية^(١).

■ وفتحوا لهم وسائل الإعلام في يوم الأحد في الفترة الصباحية لإذاعة قُدَّاساتهم.

■ واستهلوا جلسات المجلس الوطني بآيات من القرآن الكريم، وترتيل من الإنجيل... إلخ^(٢).

فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، وما ازداد القوم إلا ازدراءً لهم، واستطالةً عليهم. واندلعت الثورات المسلحة في أقاليم الجنوب لا تطالب بالاستقلال فحسب، بل بإسقاط نظامهم. وصدق الله إذ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١]. فماذا يريدون منهم؟ ﴿أَيَبْنَفُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].



(١) جريدة الإنقاذ الوطني السودانية. عدد ١٩٩٢/١/٤ م.

(٢) انظر: مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي. الأمين الحاج محمد أحمد. (١٤٨).

المبحث التاسع

محاولات عالمية متفرقة

مؤتمر: «اللاجئون والمهجرون: (آفاق وعمل مشترك)»:

عقد هذا المؤتمر الإسلامي المسيحي في مدينة «فالييتا» بجزيرة مالطا، في الفترة: ٨ - ١٠ شوال عام ١٤١١هـ، الموافق ٢٢ - ٢٤ أبريل عام ١٩٩١م، بمبادرة مجموعة منظمات دولية إسلامية ونصرانية هي:

- ١ - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- ٢ - مؤسسة الدعوة الإسلامية العالمية.
- ٣ - المؤتمر الإسلامي العالمي.
- ٤ - اللجنة الدولية الكاثوليكية للاجئين.
- ٥ - الاتحاد اللوثري العالمي.
- ٦ - مجلس الكنائس العالمي.

وقد مثل هذه المنظمات أربعون شخصاً من المسلمين والنصارى، تباحثوا في مشكلة النزوح، والهجرة الجماعية، واللجوء، التي يعاني منها حوالي ثلاثين مليون نسمة في العالم، من بينهم مئات الآلاف من النصارى الذي يعملون في بلدان الشرق الأوسط المسلمة المنتجة للنفط، ومئات الآلاف من المسلمين الذين استوطنوا أوروبا وأمريكا المعلنّة، ذات الأكثرية النصرانية، كما جاء في صدر البيان الختامي للمؤتمر، وأنه (لا يزال النصارى في بعض البلدان الإسلامية يعانون من

معاملتهم كغرباء، حتى ولو كانوا مقيمين فيها منذ ألفي سنة! وفي الوقت ذاته ينظر إلى المسلمين كغرباء في أوروبا وسائر البلدان الغربية، حتى ولو كانوا مقيمين فيها منذ جيلين أو ثلاثة. لا تزال ممارسات عدوانية ظاهر كنبد اللاجئين تتكاثر في عدة بلدان...

وفي أغلب الأحيان نرى بعض السياسيين يركزون على اللاجئين والمهجرين جاعلين إياهم «كبش المحرقة»، وسبباً للمآسي الاجتماعية الداخلية، فيثيرون تجاههم العدائية^(١).

وقد تضمن البيان المسهب تحديد العناصر المشتركة - في نظر المؤتمرين - بين الديانتين في هذه القضية: (أ - الأرض ملك الله، قد عهد بمواردها للبشرية جمعاء، لكي تصبح في متناول الجميع بكل عدالة ورحمة.

ب - وقد دعانا الله لنحب بعضنا بعضاً كمحبتنا لذواتنا، ومن ثم لنخدم الجميع من دون أية أنانية أو تمييز عنصري أو طبقي أو اقتصادي أو ديني. يجب أن تقدم مساعداتنا في سبيل أهداف إنسانية محضة، ومن دون أي قصد لاجتذاب الآخرين دينياً.

ج - لقد نشأت المسيحية والإسلام في جوٍ من الاضطهادات، إذ أن عدداً كبيراً من المؤمنين في الديانتين اختبر مأساة التهجير^(٢).

وباستثناء العنصر التاريخي الأخير «ج»، فإن سابقه غير مُسلمين. فالأرض ملك الله، وقد استخلف فيها بني آدم، وسخر لهم ما فيها ليقوموا بعبادته وطاعته، فحينئذٍ تحل لهم زينتها وطيبتها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. (ومفهوم

(١) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية (١٦٩).

(٢) المرجع السابق (١٧٠).

الآية، أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة له ولا مباحة، بل يعاقب عليها، وعلى التنعم بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة^(١).

وأما العنصر الثاني «ب»، فإن الله دعانا لمحبة أوليائه وبغض أعدائه وجعل ذلك علامة على الإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وتوعد من قدم محبة القراية المشتركة، وما سواها من حظوظ الدنيا على محبة الله ورسوله وجهاد في سبيله، فقال: ﴿قَرَّبُوا حَتَّى يَأْتِيَكَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [التوبة: ٢٤]، وجعل نبيه ﷺ أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله^(٢). فكيف ساغ لممثلي ثلاث جمعيات دعوة إسلامية أن تقر هذا الباطل، وتنسب إلى «الكتب والعقائد المقدسة» - كما في البيان - هذه الفرية، وتسوي بين أهل التوحيد والإيمان، وأهل التثليث وعباد الصلبن، في المحبة والخدمة دون أدنى تمييز، وتوافق - مجارة للقوم - على التبرؤ من أي قصد لاجتذاب الآخرين دينياً؟! أين الدعوة إذًا؟! ومتى كان المنصرون الذين يذرعون مخيمات المهجرين المسلمين يرعون هذه المبادئ؟!

فلا عجب أن يخلص المؤتمر إلى النتيجة التالية:

(بناءً على تعاليمنا ومفاهيمنا واهتماماتنا المشتركة، توصلنا إلى المقولات التالية:

أ = يمكننا القول إنه حيث توجد حالات تهجير، لا تتم مشيئة الله على الأرض^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢١).

(٢) تقدم تخريجه (١٦٨).

(٣) بل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالمشيئة التي هي إرادة الله الكونية =

ب - حدثت صراعات وجراح عميقة في تاريخنا المشترك، تركت آثارها الدفينة، ومنها عدم الثقة الهائل. علينا أن نزيل الصراعات ونتخطى عدم الثقة، ونشفي الجراح وأن نبداً بخلق الثقة بيننا.

ج - علينا كمؤمنين، أن نتعهد بتكريم كل شخص واحترامه، من أي عرقٍ أو حضارة أو دين. وأن نؤكد واجب اقتسام خيرات الأكثر ثراءً مع الأقل ثراءً، وإننا مدعوون لنكوّن علامات رجاء من خلال تأكيدنا وجود الله، وننشر هذا الرجاء بمحبتنا المتبادلة^(١).

وبه يتبين أن الخلفية الحقيقية لمشاكل اللاجئين والنازحين والمهجرين من أتباع ديانة معينة، في مجتمع يعتنق ديانة مخالفة، ليست معيشية فحسب، بل الأهم من ذلك كما يتضح من التوصيات، الخلفية الدينية العقدية التي يسعى المؤتمرون إلى إذابتها بالشعارات الإنسانية الفضفاضة.

مؤتمر: «مجتمع الأرض الواحد»:

عقد هذا الاجتماع العالمي الذي يضم ممثلين من مختلف المنظمات الدينية في العالم، في مدينة «بوسي» بسويسرا، في الفترة: ٨ - ١٠ أغسطس عام ١٩٩١م، بتنظيم من مجموعة عمل من مختلف الطوائف الدينية، وقد التقى ما يقرب من خمسين زعيماً دينياً في المعهد

= القدريّة لا راد لها ولا بد من وقوعها ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل] ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. أما إرادة الله الشرعية التي بمعنى المحبة فقد تقع وقد لا تقع. كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وعليه، فحالات التهجير هذه لا ريب أنها وقعت بمشيئة الله وإرادته الكونية. وأما من حيث هي فإنها غالباً بسبب الظلم والفساد في الأرض، والله لا يحب الفساد، ولا يريده ولا يرضاه.

(١) المرجع السابق (١٧١).

المسكوني في «بوسي»، التابع لمجلس الكنائس العالمي. وهدف الاجتماع إعلان وبيان مبادئ لميثاق الأرض، لعرضه على الاجتماع التمهيدي الثالث لمؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية، ومعالجة المشاكل العاجلة التي سيعنى بها مؤتمر «قمة الأرض» عام ١٩٩٢م، لكون المشاركين في إعلان هذا البيان يعكسون آراء الملايين من المؤمنين الملتزمين^(١). فقد أعلنوا:

(إن مجتمع الأرض أعظم هبة لنا، ومسؤولية مقدسة. نحن ندرك نداءً يحثنا على أن نتلقى هذه الهبة مع الشكر والعرفان، وأن نقف من خيرات الأرض بعناية واهتمام، وأن نتقاسمه بالإنصاف والعدل... يجب أن يعترف ميثاق الأرض بأن لاستغلالنا غير العادل للبيئة وتدميرها، بالإضافة إلى احترامنا لها وحفاظنا عليها، أن يعترف بأن لكل ذلك أبعاد روحية وخلقية)^(٢).

وهذه الأبعاد - كما يشير إليها البيان - تتصل بالعدالة الاجتماعية، بتحديد النمو والمشاركة العامة في الموارد، وحقوق الأجيال القادمة، والإضرار بالبيئة وتلويثها، والشرء والفقر في شعوب العالم، وتأثير الحروب، وتهجير الناس بالقوة، والاستهلاك المفرط للطاقة لدى دول الشمال.

المؤتمر العالمي للدين والسلام World Conference On Religion

Peace - «WCRP»:

مقره الرئيسي جنيف، وله فروع متعددة في أنحاء العالم، وقد دأب منذ مطلع السبعينيات على عقد مؤتمرات عالمية واسعة النطاق، تضم مختلف الأديان، منها:

(١) كما جاء في تقرير حول المؤتمر لدى رابطة العالم الإسلامي - إدارة الدراسات والبحوث رقم (٧١٨/د) في ٢٠/٥/١٤١٢هـ (١، ٢).

(٢) المرجع السابق (٣، ٤).

- ١ - مؤتمر: «كيوتو»: في اليابان عام ١٩٧٠م^(١).
- ٢ - مؤتمر: «الدين من أجل حياة فضلى»:
عقد في «لوفان» - بلجيكا - في الفترة: ٩ - ١٥ شعبان عام ١٣٩٤هـ، الموافق ٢٨ أغسطس - ٣ سبتمبر عام ١٩٧٤م^(٢).
- ٣ - مؤتمر: «برنستاون»: الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٩م^(٣).
- ٤ - مؤتمر: «التعددية والتسامح»:
عقد في «نيروبي» - كينيا، في ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ، الموافق سبتمبر عام ١٩٨٤م^(٤).
- ٥ - مؤتمر: «باريس»:
في الفترة: ٢ - ٤ ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ، الموافق ١٥ - ١٧ نوفمبر عام ١٩٨٥م، وحضره مائة مشارك من اثني عشر بلداً^(٥).
- ٦ - مؤتمر: «السلام من خلال العمل والصلاة»:
عقد في بكين - الصين - يوم ١٧ شوال عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٥ يونيو عام ١٩٨٦م^(٦).
- ٧ - مؤتمر: «التجاسر على الحوار: تخطي الخوف والعنف بالحوار والثقة»:
عقد في «روفرينو» - إيطاليا في الفترة: ١ - ٤ رمضان عام ١٤٠٧هـ، الموافق ٣٠ أبريل - ٣ مايو عام ١٩٨٧م، بحضور مائة مشارك من ستة عشر بلداً أوريباً^(٧).

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).
 (٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٤٨).
 (٣) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (١٥٢).
 (٤) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٤٣).
 (٥) انظر: ضرورة المغامرة (١٥٢)،
 (٦) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٧٠).
 (٧) انظر: اللوحة لتابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (١٨٧).

٨ - مؤتمر: «مساهمة الدين في بنيان الثقة في المجتمعات التعددية الحديثة»:

عقد في «ملبورن - أستراليا» في الفترة: ١٥ - ٢١ جمادى الثانية ١٤٠٩هـ، الموافق ٢١ - ٢٧ يناير عام ١٩٨٩م^(١).

٩ - مؤتمر: «العلاقات بين دين منظم ودولة ديمقراطية»:

عقد في «جوهانسبرغ» - جنوب أفريقيا - في الفترة: ١٤ - ١٦ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ، الموافق ٢ - ٤ ديسمبر عام ١٩٩٠م، وحضره ثلاثمائة وخمسون مشاركاً^(٢).

١٠ - مؤتمر: «الأطفال العالمي»:

عقد هذا المؤتمر في مدينة «برنستون» بولاية نيوجيرسي الأمريكية، في الفترة: ٢٥ - ٢٧ يوليو عام ١٩٩٠م، في المدرسة اللاهوتية لبرنستون، إثر اجتماع للمجلس التنفيذي للمؤتمر العالمي للدين والسلام، في الثامن عشر من أبريل من نفس العام، بهدف إصدار إعلان من الأديان العالمية حول أطفال العالم. وقد جاء في مسودة الإعلان، تحت عنوان: «المسؤوليات الدينية والروحية» ما يلي: (بالنسبة للهندوس، فإن الطفل ليس تجسيداً فعلياً للإنسانية فحسب، بل هو تجسيد لجوهر الألوهية. كذلك الأمر الذي يلزمنا بوجوب توفير المعيشة المادية للطفل حتى يتمكن من النمو بكامل روحه.

أما بالنسبة للمسيحي، فإن كل طفلٍ يعتبر انعكاساً بطريقة فريدة للصورة الإلهية، ووسيلة للتذكير، بصفة خاصة، بأن كل الخلق عيال الله، وكل مسيحي مطالب بأن يستجيب بفعالية لأولئك الأطفال الضعفاء، سواء كانوا عزلاً أو جوعى أو مشردين أو مرضى أو عراة أو مسجونين أو يعانون من شتى المصائب.

(١) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٠٨).

(٢) انظر: اللوحة التابعة لكتاب البيانات المسيحية الإسلامية. تسلسل (٢٢٩).

أما بالنسبة للمسلم، فإن الإنسان هو خليفة الله في الأرض^(١)، وهو أعظم هدية للحياة، وحتى تعزز هذه الهدية الإلهية، وحتى يكون الإنسان مؤهلاً لخلافة الله في الأرض، فإن بقاء وحماية وتطوير الأطفال تعتبر مسائل ذات أسبقية، وحقيقة هي التزام على كل مؤسسة إنسانية.

أما بالنسبة للبوذيين، فإن الكبار والأطفال يملكون طبيعة بوذا حيث إنهم جميعاً أبناء أو عيال لبوذا. وبوذا يعهد بهؤلاء الأطفال إلى آبائهم، ويلزمهم بمسؤولية رعاية وتربية أولئك الأطفال كتجسيد للطبيعة، وحقوق الطفل مثل حقوق الكبار، لا يمكن نكرانها.

أما بالنسبة لليهودي، فإن إرادة الله قد أنزلت إلى الشعب اليهودي من أجل الأطفال، وبقاء الأطفال نفسه مرتبط بتنفس الأطفال الذين ينعمون بوجود الضوء الإلهي، والطفل وعدٌ مستقبلي من جيل لجيل آخر^(٢).

إن هذا النص الذي يبتغي «تأصيل» قضية فرعية، لدى مختلف ملل الكفر والشرك والوثنية، ويحشر معهم أهل الإسلام، ليكشف عن طبيعة هذه الملتقيات التي تجعل «العالمية» و«التقارب» فوق كل اعتبار، ولا ترى «الحق» و«الباطل» سوى «تعددية ثقافية».

-
- (١) هذا كلامٌ موهم؛ إذ أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أراد به آدم، قال ابن الجوزي: (وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه. وهذا قول ابن مسعود ومجاهد. والثاني أنه خلف من سلف في الأرض قبله. وهذا قول ابن عباس والحسن). زاد المسير (١/٦٠). فليس الخليفة هو الإنسان بإطلاق. قال الطبري: (ذلك الخليفة هو آدم، ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حق، فمن غير خلفائه، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله) جامع البيان (١/٢٠٠).
- (٢) مسودة إعلان اجتماع الأديان العالمية حول أطفال العالم (٦، ٧).

إن على أهل الإسلام أن يناووا بأنفسهم عن الخوض في هذه الممارسات، ويستحووا من خالقهم ومعبودهم، أن ينسب إليه الشريك ويكفر به ويستهزأ، بمرأى منهم ومسمع، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِئَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام]، وقال بعد ذلك مذكراً ومؤكداً: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ٦٩﴾ [النساء]. وأي كفر أشنع وأبشع من خرافات الهندوس والبوذيين، وشرك النصارى، ومزاعم اليهود.

وإلى جانب ذلك يطالب ممثلو الأديان العالمية - بمن فيهم من شهد المؤتمر من المسلمين - قائلين: (وكمجموعات دينية، نجد أنفسنا مطالبين بالآتي:

تأكيد الحقائق الروحية التي ورثناها من الماضي، وكذلك الالتزام بها...^(١)).

وثالثة الأثافي: (الابتهاال من أجل أطفال العالم: من الابتهاال هو صلاة أو دعاء يتكون من مجموعة من الابتهاالات، يرفعها أحد الكهنة، ويردها المصلون من بعده)^(٢). اللهم غفرأ.

ثم وجّه وليام إف. فندلي، الأمين العام المشارك للمؤتمر العالمي للدين والسلام، فرع الولايات المتحدة الأمريكية، مناشدة للزعماء الدينيين في العاشر من يونيو من العام التالي ١٩٩١م لـ«الوفاء بالوعد» الذي قطعتة الوفود الدينية المشاركة في قمة برنستون من خلال:

(١) - المعابد الدينية، أيام السبت والأحد والجمعة ٢٧ - ٢٩

(١) المرجع السابق (٨).

(٢) المرجع السابق (٩).

سبتمبر عام ١٩٩١م، بحيث تدرج المواعظ والقراءة والنشاطات في صلواتها العادية، لإحاطة المجتمعين علماً بالوعود التي قطعت في القمة، وما تستطيع أن تعمله للتأكد من أن الوعود يتم الوفاء بها.

٢ - الوفاء بالوعد: الأنشطة المدرسية، من ٣٠ سبتمبر إلى ٤ أكتوبر عام ١٩٩١م. إنّ أسبوعاً من الدروس والخطط والأنشطة لفصول المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والكليات، سيطلع المدرسين والتلاميذ والطلاب وأسرههم على الوعود التي قطعت في القمة، وما تستطيع أن تعمله للتأكد من أن الوعود يتم الوفاء بها^(١).

وهذا أسلوب جديد في محاولات الحوار والتقريب بين الأديان، يتجاوز القاعات المغلقة، والوفود الرسمية، ليصل إلى جميع الناس في مساجدهم ومدارسهم، مكرساً فكرة تقارب الأديان، مميعةً للحدود والفوارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

١١ - مؤتمر: «الأديان من أجل السلام في الشرق الأوسط»:

عقد هذا المؤتمر العالمي في اليابان في الفترة: ٦ - ٩ نوفمبر عام ١٩٩٢م، بتنظيم من المؤتمر العالمي للدين والسلام - فرع اليابان - وقد شاركت فيه منظمات دينية متنوعة. وكان لرابطة العالم الإسلامي دور كبير في بيان حقوق الشعب الفلسطيني، وفضح عدوان اليهود داخل إسرائيل وخارجها على العرب والمسلمين. ثم كان لها استدراك على البيان الختامي للمؤتمر الذي اقتصر على عبارة «يجب اجتناب العنف»، دون أن يدين الظالم، وينتصر للمظلوم^(٢).

(١) عن دراسة حول القمة العالمية لرعاية الطفل ٩١ الوفاء بالوعد «بتصرف يسير» رابطة العالم الإسلامي. إدارة الدراسات والبحوث رقم (١٣٧) في ٢/٢/١٤١٢هـ.

(٢) كما يتضح ذلك من رسالة موجهة عقب المؤتمر إلى رئيس فرع المؤتمر العالمي للدين والسلام في اليابان نيكيتو نيوانو، صورتها لدى المؤلف.



رَبَابُ الشَّامِ

نقد دعوة التقريب بين الأديان وتقويمها

ويتضمن فصلين:

* الفصل الأول: نقد دعوة التقريب بين الأديان في ضوء العقيدة الإسلامية.

* الفصل الثاني: المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب.



الفصل الأول

نقد دعوة التقريب بين الأديان في ضوء العقيدة الإسلامية

مر في غضون البابين السابقين تعليقات وتعقبات متفرقة اقتضاها السياق، وفرضها وجوب البيان وقت الحاجة، وعدم إرسال كلام المبطلين على عواهنه مفصلاً عن كشف عواره، ودفع شبهته. ونهدف في هذا الباب إلى نظم المتناثر، ورد الفرع إلى الأصل، والمثال إلى القاعدة، والكشف عن كليات تبلورت مادتها بعد ذاك العرض التفصيلي، في سبيل نقد هذه البدعة الحادثة في الأمة الإسلامية، التي ألقت بكلكلها، ووضعت جرانها بين ظهرائي المسلمين؛ دعوة التقريب بين الأديان.

ولا شك أن العروة الوثقى، والحجة الدامغة في نقد دعوة التقريب بين الأديان، بأشكالها المختلفة، التي جرى تحريرها وتمييزها في مطلع الباب الأول «حقيقة التقريب»، هي العلم أن دين الله واحد لا يتعدد، وهو الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وأن رسوله الواجب الاتباع الذي ختم به النبيين واحداً، هو محمد ﷺ، وأن كتابه المحفوظ الناسخ لما قبله من الكتب، المهيمن عليها واحد، هو القرآن.

فمن ثم فكل دين سوى الإسلام الذي ابتعث الله به محمداً ﷺ فهو إما باطل أو منسوخ، غير مقبول عند الله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران]. فليس على وجه الأرض دين حق يتعبد به الله سوى الإسلام، ولم يبق كتاب

منزل من عند الله يتعبد بتلاوته والعمل به سوى القرآن، ولا رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ. فلو بقي أحد من الأنبياء السابقين حتى زمن بعثته لم يسعه إلا أن يؤمن به، ويدخل في عقده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ءِصْرِي قَالُوا اقْرَئْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

وهذه الأصول العظيمة من المعلوم من الدين بالضرورة، لا ينكرها إلا كافر بالله ورسوله وكتابه. إذا تقرر هذا تهاوت فكرة التقريب بين دين الله الحق، الإسلام، وسائر الأديان المحرفة المنسوخة، فضلاً عن الوثنيات الشركية، بل لم يسغ أصلاً أن تخطر بالبال، أو تطوف في مجاري التفكير، إلا على سبيل الخطرات الشيطانية التي تستدفع بالاستعاذة، وتنقشع بالذكرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف].

جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، برئاسة الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز^(١) رحمه الله: (إن من يحدث

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، أبو عبد الله، ولد في الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وطلب العلم في صباه، وكان بصيراً فحفظ القرآن قبل البلوغ، ثم أصيب عيناه بمرض وهو ابن ست عشرة سنة، فضعف بصره حتى ذهب، وعوضه الله البصيرة في الدين، فتلقي العلم على مشاهير علماء الدعوة السلفية في نجد، مثل الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، قاضي الرياض، وسعد بن عتيق، وحمد بن فارس، وسعد بن وقاص البخاري في مكة، ثم لازم الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ منذ سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ، حيث ولي القضاء في منطقة الخرج أربعة عشر عاماً حتى نهاية عام ١٣٧١هـ. ثم درّس في المعهد العلمي في الرياض، وكلية الشريعة بالرياض، ثم عين عام ١٣٨١هـ نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية، ثم رئيساً عام ١٣٩٠هـ بعد وفاة =

نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية، كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان. وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان^(١)

وقد سبق في التمهيد بيان انحراف اليهود والنصارى عن التوحيد، ورغبتهم عن ملة إبراهيم، ووقوعهم في الكفر والشرك بالله، وتكذيب رسله، وتحريف كتبه، وتضييع شرائعه، في قديم عهدهم، ثم طبّقوا هذا

= شيخه محمد بن إبراهيم، حتى عام ١٣٩٥هـ، ثم عاد إلى الرياض رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. وإلى جانب ذلك عضوية المجالس التالية: هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ثم رئيساً دائماً لها، اللجنة الدائمة للإفتاء، ثم مفتياً عاماً للمملكة، رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، رئاسة المجلس الأعلى للمساجد، رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة التابع لرابطة العالم الإسلامي، المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة. وله مؤلفات تربو على العشرين منها: الفوائد الجليلة في المباحث الفرضية، التحقيق والإيضاح في المناسك، التحذير من البدع. (عن ترجمة الشيخ لنفسه). انظر مجموع فتاواه ج(٢)، (٩ - ١٢). بالإضافة إلى محاضرات عديدة، ومشاركات دائبة في المؤتمرات والندوات، وفتاوى في الإذاعة والصحافة لا حصر لها، وهمّ دائم في الدعوة إلى الله، وتفقد أحوال المسلمين في كل مكان، ونصح الله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، مع وريث نقي، وزهد في الدنيا، يزينه حلم واسع، وخلق كريم، وأدب جم، وعبادة دائبة، حتى طرح له القبول في الأرض، وأحبه الناس، وقد وافاه الأجل المحتوم، بعد مرضٍ ألم به ستة أشهر، لم يقطعه عن عوائده وبذله، صبيحة يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ في مدينة الطائف، وصلى عليه حشد هائل في المسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة. ﷺ

(١) انظر النص الكامل للفتوى في الملحق رقم (٢) في آخر الكتاب.

الكفر بالاستنكاف عن الإيمان برسوله محمد ﷺ الذي قال: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١). فكيف يتسلل إلى ذهن مؤمن حنيف التفكير في التقريب بين الإسلام الذي أكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، ورضيه لعباده ديناً، فيكفأ ما في إنائه، أو يشوبه بالأكدار والأخلاق الضارة؟!

ولهذا كان من دلائل بطلان هذه الدعوة الفاجرة نفرة عوام المسلمين، الباقيين على الفطرة السليمة، منها، واستهجانهم إياها. ولكن زيادةً في البيان، وتفصيلاً لهذه الجمل العامة، وإزالةً للشبهة العالقة ببعض النفوس، إما بسبب الجهل، أو الهوى، أو داعي المصلحة الملقية، نتناول نقد هذه الدعوة من خلال المباحث التالية:

- ١ - دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان.
- ٢ - دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان.
- ٣ - شبهات دعاة التقريب بين الأديان وكشفها.



المبحث الأول

دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان

نهدف في هذا المبحث إلى بيان بطلان فكرة التقريب بين الأديان، من حيث هي فكرة مجردة، ومناقضتها لأصول الإسلام في ذاتها، ولوازمها العلمية والعملية، وسوف نستدعي في هذا الصدد مقالات دعاة التقريب من الجانبين، وتنظيرهم للفكرة، والتزامهم بلوازمها، من خلال الفقرات التالية:

أولاً: أنها رغبة عن ملة إبراهيم ﷺ وحيدة عن «الصراط المستقيم»:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]. فمن رام القرب من اليهودية والنصرانية، فضلاً عن سائر الملل الوثنية، فقد رغب عن ملة إبراهيم، التي هي الحنيفية المسلمة^(١). وقد أمر الله عباده المؤمنين بلزومها، فقال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، أي فالزموها^(٢). وقال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وملته ﷺ هي ملة الأنبياء قبله وبعده، وهي الإسلام بمعناه العام^(٣)، الذي يعني إسلام الوجه لله تعالى بالإخلاص له وحده دونما سواه، ونبد الشرك، والإحسان في عبادته باتباع شرعه الذي شرعه على

(١) جامع البيان (١/٥٥٨).

(٢) جامع البيان (١٧/٢٠٧).

(٣) راجع مبحث: دين الإسلام في التمهيد (٣ - ١١).

لسان نبیه الذي بعث إليه، والإيمان بالمعاد، وذلك أحسن الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقد سَفِهَ اليهود والنصارى أنفسهم حين رغبوا عن ملة إبراهيم عليه السلام، بوقوعهم في أنواع الشرك والبدع، والكفر والفسوق والعصيان، كما قال قتادة رحمه الله: (رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعةً ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم^(١)). ومع ذلك فقد حاولوا انتحاله، والانتساب إليه، فأكذبهم الله، وأبطل دعواهم، وبرأ نبیه الكريم من كفرهم وضلالهم، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران]، وأنكر عليهم أن يكون أحد من أنبيائه من ذريته، على اليهودية أو النصرانية، فقال: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ مَا أَعْلَمُ بِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]. كما حاولوا استئلال المؤمنين في عهد النبوة إلى طريقهم، بدعوتهم إلى التهود أو التنصر، فرد الله دعوتهم في نحورهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]. قال ابن جرير رحمه الله: (احتج الله لنبيه محمد ﷺ بأبلغ حجة وأوجزها وأكملها. وعلمها محمداً نبیه ﷺ فقال: يا محمد: قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي تجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتبه وأمر به، فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وندع سائر

(١) جامع البيان (١/٥٥٨). وراجع مبحث: «أهل الكتاب» في التمهيد.

الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا، ويقرُّ بها بعضنا، فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا إلى الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم^(١). وامثل ﷺ أمر ربه فدعاهم إلى ملة إبراهيم، في خطة رشد، وكلمة سواء فقال: ﴿قُلْ يَتَّأَهِّلُ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ولكن أتباع عزرا - لا موسى - وبولس - لا المسيح - شرفوا بدعوته، ولجؤا في طغيانهم، واستنكفوا واستكبروا عن اتباع الهدى، ورغبوا عن ملة إبراهيم.

وتأسيساً على ما مضى، فإن الدعوة إلى التقارب مع اليهود والنصارى، بله سائر الملل، حيدة عن ملة إبراهيم، ورغبة عنها، واستجابة لمطلب قديم لدى أهل الكتاب ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]، فما عسى أن يجد المسلم الحنيف عند المغضوب عليهم والضالين، سوى مكر الليل والنهار في إخراج المسلمين عن ملة أبيهم إبراهيم، دون أن يحيدوا هم قيد أنملة عن باطلهم وشركهم، كما أخبر عنهم اللطيف الخبير بقوله: ﴿وَلَكِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَئِنِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة].

وقد أرشد الله عباده المؤمنين إلى طلب الهداية إلى الصراط المستقيم في كل ركعة يركعونها في صلواتهم، من فرض أو نفل، وعرفه لهم، وميَّزه عن غيره من سبل المجرمين، فقال في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

فَوَحَّدَ الصُّرَاطَ، ولم يعدده، كما في سائر المواضع في القرآن، كقوله: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٦]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤] وغيرها.

ووصفه في جميع المواضع بالاستقامة، فهو (الطريق الواضح الذي لا أعوجاج فيه)^(١).

وأضافه تارة إلى نفسه، وتارة إلى عباده الذين أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فإضافته إلى ذاته العلية لأنه هو الذي شرعه، وإضافته إلى عباده المنعم عليهم لأنهم سلكوه، فهم أهل الهداية والاستقامة.

وميزه سبحانه عما سواه من السبل، وميزهم عن سواهم من السالكين، أي: (غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين، وهم الذين فقدوا العلم، هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق. وقد أكد الكلام بلا، ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى)^(٢).

فعلم أن من تشوّف إلى مقارنة اليهود والنصارى، فقد حاد الاهتداء إلى الصراط المستقيم، ونزع إلى سلوك صراط المغضوب عليهم أو صراط الضالين. فما أخرى دعاة التقريب أن يتدبروا هذه الآيات البينات التي يرددونها في كل صلاة.

وقد تفتقت عقولهم في العصر الحديث لاستدراج المسلمين إلى شَرَك التقريب بين الأديان بالدعوة إلى «الإبراهيمية»، والالتقاء تحت

(١) جامع البيان (٧٣/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٤٠/١).

شعار إبراهيم عليه السلام، في زخرف من القول، وبهرج من المظاهر الجوفاء، تستخف عقول السذج من الصحفيين، والمفكرين العصريين، والمنسويين إلى العلم، غير الراسخين، كما جرى في ملتقى قرطبة الإبراهيمي، ومتحفها التضليلي الذي أدار رحاه الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي^(١) عام ١٩٨٧م، وما تلاه من مؤتمرات ضمت يهوداً ونصارى ومسلمين. وما شعر هؤلاء المشاركون من المسلمين أنهم ضووا تحت شعار «إبراهيم» التاريخي، وليس «إبراهيم» الموحد الحنيف، وأن أقرانهم من اليهود والنصارى قد رغبوا عن ملته، وانتحلوا اسمه الشريف لاقتناص ضحاياهم، ليكتسبوا من أهل الإسلام اعترافاً ضمناً، بل وصريحاً بأنهم على ملة إبراهيم.

وهذا في حد ذاته رغبة عن ملة إبراهيم.

أما من أوغل مع القوم في نفق التقريب، وجرى في دهاليزه المظلمة، فقد أوقفوه على حقيقة أمرهم، وخبيثة نفوسهم، وهي رفض ملة إبراهيم، والتصل من تبعاتها. ومن شواهد ذلك لدى دعاة التقارب من الجانبين:

■ يقول رايموندو بانيكار: (إن القضية التي تطرحها آسيا وأفريقيا أو أمريكا هي: إيضاح إن كانت المسيحية تريد أن تظل ديانةً توحيدية، ذات صبغة إبراهيمية أم أنها مستعدة للانفتاح)^(٢). ورغم أن النصرانية المحرفة ليست ديانة توحيدية إبراهيمية، لكن الرجل يريد أن يُسرّع في التخلص من هذه القشرة الرقيقة، والدعوى المزعومة في الانتماء لملة إبراهيم، التي يصفها بـ«المحجر البشري للأسرة الدينية». ويتساءل متبرماً

(١) راجع مبحث: (محاولات روجيه جارودي) في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) العقيدة للأمام (٣٧).

في موضع آخر: (إن كان العرق الإبراهيمي يقدم اللغة الوحيدة الممكنة للمسيحية)^(١).

■ يقول خيسوس أبيلينو دي لايندا: (إن التوحيد الذي يستبعد أي شيء غيره، والذي يسيطر على التقليد الإبراهيمي بحذافيره، شيء لا يقوم بذاته، ولا يمكن أن يستمر من وجهة النظر التحليلية، وهذا التوحيد الذي يستبعد كل ما سواه، هو جوهر عقدة التفوق التي تجرّجها أديان هذا التقليد. فينبغي على كل هذه الديانات الإبراهيمية أن تمتحن نفسها، وتمحص نفسها بنفسها ذاتياً من هذه الرذيلة التي ترتكبها ضد ديانات أخرى، وأن تنازل عن احتكارها الذي تزعمه)^(٢).

■ ويقول شريف عبد الرحمن جاه: (كي يكون المرء مسيحياً أو مسلماً، ليس من الضروري أن يكون من الناحية الروحية سامياً)^(٣). أي متمياً إلى ملة إبراهيم، أبي الساميين.

ثانياً: أنها ابتغاء لدين غير الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران). فمن لم تطب نفسه، وتقر عينه، بكل ما جاء به محمد ﷺ، وراح يتقرب إلى دين سواه، فقد ابتغى غير الإسلام ديناً، يلفقه من هنا وهناك، حسب ما يستحسنه عقله، ويميل إليه هواه. قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ودين الإسلام هو ما أرسل الله به رسوله محمداً ﷺ من الهدى، الذي هو العلم النافع، ودين الحق، الذي هو العمل الصالح. وقد

(١) إلى الجذر (٨١).

(٢) إلى الجذر (١١١).

(٣) المرجع السابق (١٠٥).

نسخ الله به سائر الأديان. فلا يوجد على وجه الأرض دينٌ صحيح يُتَعَبَدُ الله به، ويقبله، سوى ما جاء به محمد ﷺ. وقد دأب دعاة التقريب بين الأديان على نطح هذه الصخرة الراسية، ومحاولة اختراق هذه العقيدة المتينة، بالدعوة إلى ضرب من التدين العام الذي يتحلل من العقائد المحكمة، والشرائع العادلة، التي تميز دين الإسلام عن سائر الأديان المنسوخة والمبدلة. وسلخوا لبلوغ هذه الغاية مسلكين:

• أحدهما: تميع مفهوم الإيمان، بحيث يشمل كل من زعم أنه جمع خصالاً ثلاثاً: الإيمان بالله، الإيمان باليوم الآخر، العمل الصالح، ولو لم يكن مؤمناً برسالة محمد ﷺ، وما جاء به من عند الله، والحكم بنجاته في الآخرة.

وهذا مسلك كثير من الإسلاميين العصريين، ومن شواهد ذلك:

■ يقول محمد أبو رية: (إن النجاة من الخوف والفرع، ونيل المثوبة والأجر، أمران منعقدان بأن يؤمن الإنسان بالله واليوم الآخر، وأن يأتي من الأعمال ما هو لصلاح الدنيا والآخرة. فمن فعل ذلك فله أجره عند ربه، ولا خوف عليه ولا حزن، لا فرق في ذلك بين من كانوا على ملة إبراهيم، ومن كانوا على دين غيره من الأنبياء كموسى وعيسى، بل وغيرهم ممن لم يدينوا بشيء من تلك الأديان)^(١).

■ يقول عبد اللطيف غزالي: (الإسلام الذي لا يقبل غيره الله، هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن. وأي امرئ كان هذا حاله، فإنه مسلم سواءً كان مؤمناً بمحمد، أو كان من اليهود أو النصارى أو الصابئين، وإذن فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون... والركوع والسجود وما إليهما في الصلاة، وصيام نهار

رمضان، وشعائر الحج إلى بيت الله في مكة، ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد بذاتها إسلام^(١).

■ ويقول محمد عمارة: ولقد يحسب البعض - وتلك قضية هامة - أن هؤلاء المبشرين بالنجاة، من أتباع الشرائع السماوية غير المحمدية، هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية، أما من أدرك هذه البعثة أو جاء بعدها، فلن ينجيه الإيمان بالله والآخرة والعمل الصالح، إلا إذا هو آمن بشريعة محمد، عليه الصلاة والسلام، قد يحسب البعض هذا، ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية، لن يحول بين فرقائها الذين توزعتهم، وبين النجاة^(٢).

فهذا مسلكٌ يشرع ابتغاء دينٍ غير دين الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ، في سبيل تحقيق التقريب بين الأديان، وهو دين يقوم على إيمان مجمل بوجود الله وربوبيته، مع شوائب شركية، دون توحيد العبادة الذي بعث به الرسل، والالتزام ببعض القيم الخلقية والإنسانية فحسب!

المسلك الثاني: محاولة طمس الخصائص المميزة لدين الإسلام من النواحي التشريعية والتطبيقية، من عبادات ومعاملات وحدود، ومحاربة تطبيق الشريعة الإسلامية. وهو مسلك بعض الزنادقة المندسين بين المسلمين، من أمثال روجيه جارودي.

ومن شواهد ذلك:

(١) نظرات في الدين (١٦).

(٢) الإسلام والوحدة القومية (١٤١). وانظر المناقشة التفصيلية، والرد على هذه الدعاوي في مبحث «الإسلاميون العصرانيون» الفصل الثالث من الباب الأول.

■ يقول روجيه جارودي: (يكمن هذا المرض، على سبيل المثال، في إرادة مفادها تطبيق القانون الجزائي السائد في القرن السابع، كاليد المقطوعة، بسبب السرقة، أو الجلد، بالسوط بسبب الزنى - ويضيف إليها الفقهاء، ضد القرآن الكريم وباسم التقليد، الرجم حتى الموت - وفي إرادة مفادها تطبيق القانون المدني والأحوال الشخصية، اللذين كانا يتوافقان مع شروط القرن السابع التاريخية، على الزواج والطلاق والموارث.. إنها جريمة ضد الإسلام، وليس «تطبيق الشريعة» الحقيقي أي علاقة بهذه الحرفية الكسول)^(١).

■ ويقول شريف عبد الرحمن جاه: (الإسلام لديه رسالة عالمية، تذهب إلى ما وراء الصفات والمميزات الثقافية.. إن محاولة تطبيق المضمون الرسمي بصورة مماثلة في يومنا هذا، كما طبق في قرونٍ خلت، إنما هو تفسير غير ملائم. ويمكن أن يفسح المجال لمواقف متشددة غير مرنة، ويمكن أن تكون بعيدة عن الرسالة القرآنية الحقيقية)^(٢).

وهذا مسلك يرمي إلى سلخ المسلمين عن دينهم في أحوالهم الاجتماعية والتشريعية والاقتصادية وغيرها، بحسبان أن ذلك شريعة تاريخية استنفدت أغراضها، وأن عليهم أن يصطنعوا ديناً جديداً يتوافق مع عصرهم.

وهكذا يلتقي المسلكان على ابتغاء دين غير دين الإسلام، بإذابة الحد الفاصل بين الإيمان وأهله، والكفر وأهله من جهة، وطمس معالم الإسلام وخصائصه وتشريعاته من جهة أخرى. وهو أمر لا بد منه لدعاة التقريب بين الأديان.

(١) الإسلام (٨١، ١٢٦)، وانظر: تفنيد دعاويه في مبحث (محاولات روجيه جارودي) في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) إلى الجذر (١٠٥).

ثالثاً: أنها طعن في رسالة نبينا محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]. فمن سعى للتقريب بين رسالته ﷺ وسائر الأديان والملل، فقد طعن في شمولها، وعمومها وكفايتها، وختمها لسائر النبوات. فمن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وجوب الاعتقاد بأن محمداً ﷺ ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وأن رسالته إلى الناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَكَافَّةٍ لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، وأن سائر الخلق بعد بعثته، أمته؛ أمة الدعوة. سواء في ذلك المشركون وأهل الكتاب، قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(١).

ولا ريب أن ذلك يقتضي بدهاً أن الإيمان به شرط لصحة الإيمان، وأنه لا يسع كائناً من كان - ولو كان نبياً - إلا اتباعه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]. وعليه فمن جعل رسالة محمد ﷺ طرفاً على مائدة التقريب بين الأديان فقد تنقصها، وغمطها حقها، وطعن في صدق صاحبها ﷺ، وكان ذلك منه إقراراً ضمناً بتعدد الأديان، وتسويغاً لها، وتسليماً لأصحابها بإنكار نبوة محمد ﷺ، ولا يتم لدعاة التقريب أمرهم إلا بذلك، فمن ثم هونوا من شأن الإيمان برسالته ﷺ كشرط للإيمان، ومن شواهد ذلك:

(١) رواه مسلم (١/١٣٤).

■ يقول محمد عمارة: (إذا ما وقف أهل الكتاب، من أتباع شرائع الرسل الذين سبقوا محمداً ﷺ عند التصديق برسالة رسلهم، وأبوا التصديق برسالة محمد ونبوته - مع توحيدهم وعملهم الطاعات - فإن ذلك الوقوف، وهذا التوقف لا يخرجهم من إطار الدين الواحد، ولا حظيرة التدين بالإسلام - فموقفهم هذا هو انحراف. والفرق بين من يؤمن بمحمد، وبكل الرسل، وبين الذين يجحدون نبوته ورسالته - مع توحيدهم وطاعتهم - كمثل الفرق بين إيمان المؤمن الخالي من البدع، وبين إيمان من تشوب البدع إيمانه)^(١).

فدعاة التقريب مسوقون بهاجس الهيام بالتقريب، إلى تصحيح إيمان كفرة أهل الكتاب، وعباداتهم الشركية، حتى لا يشوبه سوى شائبة جحد نبوة محمد ﷺ ورسالته، التي لا تعدو في نظرهم دائرة البدعة داخل الدين الواحد!

وقد دأب داعية التقريب الفرنسي، روجيه جارودي، على التهوين من الحدث التاريخي الذي عظمه الله، وامتن به على عباده، وهو بعثة محمد ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزُكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزُكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة]. ففي مقابل هذه الآيات العظيمة الفخمة، يقول جارودي بعبارات باردة، مسكونة بروح الحسد لهذه الأمة التي امتن الله عليها بهذه النعمة:

■ (لم يزعم محمد ﷺ قط أنه جاء بدين جديد... إننا نضعف

(١) الإسلام والوحدة القومية (٦٤).

عقيدتنا لو زعمنا بأننا أفضل من الخلق لمجرد تجاهلنا من هم
سوانا^(١).

■ ليس الإسلام ديناً جديداً ولد مع نبوة النبي محمد ﷺ. ليس الله
إلهاً خاصاً، وفقاً على المسلمين^(٢).

فالنبي ﷺ عنده - في أحسن الأحوال - كأنبياء بني إسرائيل الذين
يجددون الدين، بالمعنى العام للدين، وعيسى موصوف بالقرآن - في
نظره - أفضل من محمد^(٣) ﷺ. - ودينه ﷺ مجرد «يقظة دينية»، لا ديناً
جديداً ذا معالم مستقلة، وخصائص مميزة، إلى حد زعمه أن رجال
الدين النصارى في إسبانيا، بعد مرور أكثر من قرن ونصف على الفتح
الإسلامي لم يكونوا يعرفون اسم «محمد» ﷺ، ولا اسم «القرآن»
الكريم! بل والإسلام ذاته لم يكن مميزاً عن الأريوسية طوال هذه
المدة^(٤).

وهذا الغض المتعمد من قيمة الرسالة الخاتمة، وصاحبها
عليه أفضل الصلاة والسلام، ضروري لدعاة التقريب لتخطي
الحواجز والعقبات أمام صهر الإسلام المتميز المتألق، الوارث لملة
إبراهيم، في صهريج الديانات المحرّفة والملل الوثنية، فلا عجب
إذاً أن تخلو بيانات المثات من مؤتمرات التقارب من ذكر
نبوته ﷺ.

(١) من أجل إسلام القرن العشرين «ميثاق إشييلية» (٥، ٦).

(٢) الإسلام (١٧).

(٣) نحو حرب دينية جدل العصر (٢٢ - ٢٣).

(٤) انظر الإسلام (٣٨). وانظر مناقشة هذه الدعاوى في الفصل الأول من الباب
الثاني، محاولات روجيه جارودي.

رابعاً: أنها طعنٌ في القرآن العظيم وهيمنته على الكتب السابقة:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وهذه قاصمة الظهر لدعاة التقريب! فلتن مضي شخص رسول الله ﷺ، فإن كتابه الذي أوحى إليه ماثل حاضر محفوظ إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقد أخبر الله تعالى أن الطائفتين من قبلنا قد حرفوا الكلم عن مواضعه، وكتبوا الكتاب بأيديهم، وقالوا: هو من عند الله، وما هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، وكتبوا بعض ما أنزل الله. وقد أسفرت الدراسات النقدية التي تمت على أيدي متأخريهم، على حصول التناقض، ووقوع التحريف، وفقدان الأسانيد في أسفارهم وأناجيلهم ورسائلهم المقدسة عندهم^(١).

وقد علم القاضي والداني من المسلمين، أن الله تعالى أوحى إلى نبيه محمداً ﷺ كلامه محضاً لم يُشَبَّ، قاضياً وحاكماً وناسخاً للكتب السابقة، فلم يبقَ فيها مستمسك لأحد، فكل ما بين أيديهم إما صحيح منسوخ، أو باطل محرف.

وقد شقي دعاة التقريب بهذا القرآن الذي ما أنزله الله على نبيه ليشقى. فطفقوا يتناولون عليه، ويتناشونه من كل مكان بعيد، بشبهاتهم الواهنة، وأننى لهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [فصلت]. وقد سلكوا لمحاولة تمرير باطلهم مسالك شتى:

١ - المناداة بإخضاع النص القرآني لمعاول النقد التاريخي، ورفع الحصانة الربانية عنه، يستوي في هذا الكفر البواح، دعاة التقريب من الجانبين. فمن شواهد ذلك:

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.

■ يقول طريف الخالدي: (أرى من بين تلك المشكلات التي يجب الخوض فيها من جديد مسألة «خلق القرآن». فالقول بخلق القرآن يعني أن القرآن تاريخي، وهذا أمرٌ هام جداً يتيح لنا أن ننظر من خلاله إلى الإسلام كظاهرة تاريخية، لا كنظام أزلي. كنصٍ ينبغي أن نعيد فهمه باستمرار على ضوء آخر ما استجد من العلوم البشرية، وآخر ما وصلنا إليه من فهم لتاريخ الحضارة الإسلامية)^(١).

■ ويقول محمد حسين فضل الله: (ويتساءلون - يريد علماء النصارى: هل يمكن أن نطبق النقد التاريخي على القرآن الكريم، كما نطبقه على الكتاب المقدس، ليكون الحوار حراً في الدائرة العلمية الدقيقة؟ نلاحظ في ذلك أن علماء المسلمين دخلوا في مناقشات علمية في مفاهيم القرآن، أكثر حدةً وقساوةً على الإيمان من المناقشة في الجانب التاريخي فيه... مما يجعل مناقشة التاريخ القرآني ممكنة في المنهج العقلي الإسلامي، الذي يعتمد إلى التأويل المنسجم مع السياق المجازي للقرآن، على أساس القواعد العربية البلاغية العامة)^(٢).

■ يقول هنري تيسير: (إن نقد مصادر التقليد الإسلامي... هو أمرٌ غير مقبول حتى الآن في المجتمعات الإسلامية)^(٣).

■ يقول موريس بورمانس: (أو من الممكن أن نخضع، على قدم المساواة، النصوص المقدسة «الكتاب المقدس، والقرآن» لنفس متطلبات النقد التاريخي؟)^(٤).

(١) المسيحيون العرب. دراسات ومناقشات (١٤٥).

(٢) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (١٩). وانظر في الرد التفصيلي على النصين السابقين مقدمة مبحث «الإسلاميون المعصرون» في الباب الأول.

(٣) العقيدة للأمام (١٥).

(٤) المرجع السابق (١١٧).

■ يقول جوسيت جيان غوينول: (في يومنا هذا، فإن النقد الذاتي غير معترف به حتى الآن، في الإسلام، كحاجة)^(١). وما أشبه حال هؤلاء بحال من قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

٢ - دعوى «تاريخية القرآن» التشريعية، بغرض تعطيل الحدود الجزائية، والأحكام الاجتماعية والاقتصادية، التي تميز المجتمع المسلم عن سائر المجتمعات، وتحول دون تقرب أهل القرآن من عبّاد الأوثان والصلبان. وممن تولى كبر هذه الفرية في العصر الحديث، روجيه جارودي، فمن مقولاته:

■ (إن كل آية قرآنية نزلت من الملأ الأعلى إلى التاريخ. فلا مجال لتطبيق نصوص آية تطبيقاً حرفياً بمعزل تام عن مضمونها التاريخي التي نزلت فيه)^(٢).

■ (ليست هذه «التاريخية» تاريخية القرآن الكريم، أكثر وضوحاً في أي نصٍ منها كما في النصوص الخاصة بالمرأة... كل ذلك مرتبط بشروط تاريخية معينة... وعلى عاتقنا تقع مسؤولية أن نجد الوسائل التاريخية في كل لحظة لتحقيق هذه الغايات المتعالية، كما يضرب لنا القرآن الكريم عليها مثلاً مجتمع المدينة، ويستبعد هذا التمييز القرآني الواضح كل حرفية، ويدعونا للتفكير في الأمثلة، ولا يدعونا لأن نطبق أحكاماً تشريعية تاريخية تطبيقاً أعمى، كل الأزمنة)^(٣).

٣ - التأويل المذموم (التحريف)، وذلك بليّ أعناق النصوص الدالة على كفر اليهود والنصارى، وحملها على محامل متعسفة، وهو

(١) المرجع السابق (١٤٩).

(٢) وثيقة إشبيلية (١٩).

(٣) الإسلام (١٠٣).

مسلك كثير من النصارى العرب حتى إنهم يجعلون ذلك شرطاً للتقارب، والحل الوحيد للخروج من مأزق التعارض الصريح بين «القرآن» و التقريب. ومن أبرز ما طالته محاولات التأويل:

أ - أن النصارى المذمومين المكفرين في القرآن فرقة منقرضة، لا تمثل عامة النصارى اليوم.

ب - أن التثليث المنسوب إلى النصارى في القرآن الكريم، يختلف عن الثالوث الذي قرره مجمع نيقية، إما لكونه ثالثاً عددياً، أو لكون أحد أركان الثالوث هو مريم، وهو ما لا يقول به عامة النصارى.

ج - أن الابنية المنسوبة إلى النصارى في القرآن، تختلف عن الابنية التي يقول بها النصارى، لكونها ابنية متجسدة.

وكل ذلك يتم بتأويلات باردة، ومماحكات لفظية، لا تغني عنهم شيئاً، بل تؤكد التهمة، وتؤيد استحقاقهم للحكم الذي وصمهم الله به في محكم التنزيل^(١).

كما ردد أصداء هذا التحريف روجيه جارودي، فدافع عن عقيدة التثليث، وبنوة المسيح، وألوهيته المزعومة، معتمداً مسلك التأويل الكلامي تارة، ومسلك التأويل الباطني الصوفي تارة أخرى^(٢).

واستدعى الأب الأسباني غاليندو هذه التحريفات في مؤتمره الثالث للتقريب، الذي أسفر فيه عن نيته المبيتة في التوحيد بين الأديان على أساس ألوهية المسيح^(٣).

(١) انظر: في هذا مقولات: الأب يوسف درة الحداد، والمطران جورج خضر،

والمطران سليم كيرلس في مبحث «النصارى العرب»، والرد على شبهاتهم.

(٢) انظر: نحو حرب دينية (٢٣ - ٢٧)، الإسلام ص (١٩، ١١٢).

(٣) راجع أعمال المؤتمر الثالث في «محاولات الأب غاليندو» في الفصل الأول من الباب الثاني.

وفي المنتسبين إلى الإسلام «سماعون لهم»، يشاركونهم الرغبة في الانفلات من إحكام النص القرآني الذي يحول بينهم وبين ما يشتهون. ومن شواهد ذلك:

■ يقول محمد حسين فضل الله: (إن الحوار لا بد أن يركز على مواجهة العقيدة المعاصرة للإسلام والمسيحية، وباعتبار أن الكثير من مفاهيم العقيدة لكل منهما، ربما تجاوزها الواقع الفكري لهذا أو ذاك، مما يجعل الدخول في مناقشتها حركة في الفراغ. كما نلاحظه في بعض الأفكار التي يثيرها القرآن عن التفكير النصراني في عصر النزول، مثل «الابنية المتجسدة»، أو «التثليث المادي العددي»، وأن نحو ذلك مما يقول بعض المسيحيين عنه، بأنه لا يمثل العقيدة المعاصرة لهم، بل يمثل لوناً من ألوان التفكير البائد لبعض فرقهم التي يرفضون خطها العقيدي، كما يرفضه المسلمون، فلا يجوز لهم أن يلزموهم به، كما لو كان يمثل الحقيقة الإيمانية للمسيحية في بعدها الفكري العقدي)^(١).

■ ويقول سميح دغيم: (إن المشكلة الرئيسية ليست في النصوص الإسلامية والمسيحية المنزلة، بل في قراءة وتفسير تلك النصوص، وغيرها من النصوص الدينية. وفي يومنا هذا لا توجد منهجية لقراءة النصوص القرآنية)^(٢).

وما أشبه حال هؤلاء «التقريبين» الذين يحاولون التوفيق بين كلام الله المحكم، وبين مقتضيات طاغوت التقريب، بحال من قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة (٣).

(٢) إلى الجذر ص (١٣٩).

وَالِى الرُّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١١﴾ فَكَيْفَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا
إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿١٢﴾ [النساء].

خامساً: أنها اتباع لغير سبيل المؤمنين، ومخالفة لإجماع المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء].

ولا ريب أن دعوة التقريب بين الأديان بدعة في الدين، ليس
عليها عمل سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وإنما
هي مُولدة خداج من عمل اليهود والنصارى، لقى على سبيل
المجرمين، ولا يُعلم وقوعها، أو تسويغها في تاريخ الإسلام إلا على
أيدي زنادقة الباطنية، كجمعية إخوان الصفا، وأهل وحدة الوجود من
الصوفية، والإسلام منهم براء، وأهله لهم أعداء. ثم نفص غبارها،
ومهد سبلها في مطلع القرن الرابع عشر الهجري جمال الدين الأفغاني،
وتلميذه محمد عبده التركمانى، ونسج على منوالهما، وسار على
خطاهما في اتباع غير سبيل المؤمنين، سائر العصرانيين^(١).

وقد دفع أهل الكتاب والسنة والجماعة من علماء المسلمين في
نحورهم، وأعلنوا النكير عليهم، والبراءة مما انزلقوا إليه، في مقامات
محمودة، وبيانات مشهورة، يأتي بيانها لاحقاً^(٢).

ومن المعلوم المشهور في السيرة النبوية بمرحلتها المكية
والمدينة، أنه ﷺ لم يسع إلى تقارب مع اليهود أو النصارى، رغم توفر

(١) راجع: فصل الأصول التاريخية في الباب الأول. «طلائع العصرانيين» (٣٣٥ - ٣٤٠).

(٢) انظر: قسم الملاحق هذا الكتاب.

الأسباب الداعية لذلك، حسب قانون دعاة التقريب، كمواجهة الشرك في الجزيرة العربية. فقد كان بمكة نفرٌ من أهل الكتاب، كما كان مهاجرة بالمدينة محفوفاً بثلاث قبائل كبار من قبائل اليهود؛ بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وقد أبرم معهم عقداً ذا صفة أمنية وتنظيمية، خلا من أي لونٍ من ألوان التقارب الديني الذي ينادي به دعاة التقريب اليوم، وكاتب ﷺ ملوك النصارى داعياً إياهم إلى الإسلام، ولم يعرض عليهم - وحاشاه - التقارب بين الإسلام والنصرانية لمواجهة الوثنيين من المجوس وغيرهم، أو التعاون على إرساء القيم المشتركة للديانتين، كما يلهج بذلك دعاة التقريب، وفاوض وفد نصارى نجران، ودعاهم إلى الإسلام، وجادلهم، وألجأهم إلى المباهلة، دون أن يرضى منهم بموافقة على بعض الكتاب والكفر ببعض، حتى أعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون^(١). وعلى هذا سار خلفاؤه الراشدون المهديون في البلاد المفتوحة، لم تزل بهم قدم، أو يتسلل إليهم وهن، أن يقاربوا أهل الكتاب في شيء من الدين^(٢).

ومن لوازم دعوة التقريب، تجهيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وتخطئتهم، حيث لم يسلكوا هذا السبيل، ولم يأذنوا به، بل منعه وحذروا منه. ودعاة التقريب يلتزمون بهذا اللازم عبر صور شتى، منها:

١ - مجارة النصارى بالدعوة إلى الاعتراف بمظالم الماضي، والاعتذار عن أخطائه. وهو معنى تولد في أحشاء المجمع الفاتيكاني الثاني^(٣)، ودأبت مؤتمرات التقريب على ترداده، وهو يصدق على

(١) انظر الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) راجع نبذة تاريخية في التمهيد.

(٣) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩).

التاريخ الأسود للأمم النصرانية الملطخ بدماء الأبرياء، ولكنه يحمل في طياته إدانة سبيل المؤمنين المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا، بالسيف والسنان، والحجة والبرهان.

٢ - نبز السلف الصالح، أئمة الهدى والدين بالقاب السوء، لحمايتهم جناب التوحيد، ومقارعة أهل البدع والملاحدة من دعاة وحدة الوجود، ووحدة الأديان، وقطع أطماعهم.

٣ - تمجيد زنادقة الصوفية والباطنية من الفلاسفة والشعراء والسلاطين، ووصف أعصارهم المنحطة، بالازدهار والانفتاح. كما يظهر ذلك جلياً في كتابات جارودي^(١).

سادساً: أنها موالاة لأعداء الدين:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١]. وإنما ينزع لمقاربة الكافرين رقة في الدين، وموالاة لأعداء الله، وأعداء أوليائه المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

ومن أبجديات دعوة التقريب بين الأديان، ومسلماته، وديباجات مؤتمراته، التأكيد على «المحبة» و«الأخوة» و«الصدقة» و«الثقة» و«الاحترام المتبادل» ونحوها من شعارات الولاء الظاهر والباطن، مما يفضي إلى تحطيم عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين، وشواهد ذلك كثيرة منها:

■ أقوال الشيخ أحمد كفتارو، مثل: (ليتحابب أهل الأديان السماوية، ويناصر بعضهم بعضاً)^(٢)، وقوله مخاطباً جمعاً من

(١) راجع «محاولات روجيه جارودي» في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) الدعاة والدعوة الإسلامية المنطلقة من مساجد دمشق (١/٥٢٩).

النصارى: (لقد عرفناكم من خلال قرآننا، وأوامر نبينا، فاعرفونا... وصافحناكم بأمر من نبينا وقرأنا فصافحونا... وعانقناكم فعانقونا... ودرسناكم دراسة أخوة وحب من خلال ديننا وفقهنا فادرسونا... ولا ينقصنا إلا أن نقرب ونقترب، وعندها لا بد وأن نرى أنفسنا إخوة متفاهمين. هذا اللقاء والتعاون سيكون قريباً بإذن الله وبجهد المؤمنين والمخلصين من أبناء كل دين سماوي^(١)).

وقوله: (إن العلاج، هو في الدعوة الصادقة إلى تلاقي الديانتين السماويتين الكبيرتين في العالم؛ الإسلام والمسيحية، وإلى وضع الإخاء والحب في ظل إيمان عقلاني، يتعاون فيه الجميع بصدق وإخلاص)^(٢).

■ ويقول د. يوسف القرضاوي في بيان أهداف الحوار: (تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلفتها الحروب الصليبية قديماً، والاستعمارية حديثاً، وإشاعة معاني الإخاء والإنسانية والمرحمة، وفتح صفحة جديدة لعلاقات أنقى وأصفى)^(٣).

■ ويقول عبد الرحمن شريف شيرغي: (إنني أحلم، وهذا من أحلامي الحميمة، أن يأتي يومٌ نتقارب فيه بعضنا من بعض... ونزرع معاً المحبة، وليس الكراهية)^(٤).

■ ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إن المودة ليست واجبةً بالنسبة لأبناء الأمة الواحدة، بل هي واجبة للمخالفين في الدين، ما داموا لم يعتدوا على المسلمين ولم يعادوهم... وإذا كانت المودة هي الرابطة

(١) المرجع السابق (٦٧١).

(٢) المرجع السابق (٦٩١/٢).

(٣) أولويات الحركة الإسلامية (١٧٦).

(٤) إلى الجذر (١٨٣).

التي تربط بني الإنسان، بحكم الإسلام وسائر الأديان، فإن الرحمة تنبعث منها^(١).

وهذا غيَضُ من فيض من موالاة أعداء الدين. ولا عجب وقد ائتم هؤلاء برائد التقارب في العصر الحديث، محمد عبده، القائل: (الأصل السابع للإسلام: مودة المخالفين في العقيدة)^(٢).

سابعاً: أنها فتنة عن بعض ما أنزل الله:

قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فأمر الله نبيه ﷺ في سياق الحديث عن اليهود والنصارى، والتوراة والإنجيل أن يحكم بينهم بما أنزل الله، والحكم هو فصل القضاء، ونهاه عن اتباع أهوائهم المقابلة لما أنزل الله، وحذره من فتنهم إياه عن بعض - فضلاً عن جميع - ما أنزل الله، ولم يأمره تعالى بالتقارب معهم، ومصانعتهم، والالتقاء معهم في منتصف الطريق، بالتنازل عن شيء مما أنزل الله، مهما كانت الدوافع والبواعث، بغرض التوصل إلى «إيمان مشترك»، أو البحث عن «مساحات مشتركة»، تجر معها أضعافها مما ليس بمشترك.

وفكرة التقريب تقتضي الوقوع في هذا المحذور الديني الذي حذر الله منه نبيه ﷺ، لأنها مؤسسة على الانحياز نحو المخالف، والتحرك نحوه للاقتراب منه، وهذا لا ينفك عن تفريط وتساهل ومماثلة وتنازل، كما يشهد بذلك الواقع، ونشير هاهنا إلى جمل عامة من انتهاك بعض حدود الله، والفتنة عن بعض ما أنزل الله، مما تحفل بها مؤتمرات التقريب، ونظرياته تحت مسميات وشعارات مستحدثة:

(١) تنظيم الإسلام والمجتمع، محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي ط (١٩٧٥م). (٥١ - ٥٢).

(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (٧٣).

١ - تصحيح دين اليهود والنصارى - وربما غيرهم - تحت مسمى «الاعتراف بالآخر». وهو شعارٌ لا يكاد يخلو منه مؤتمر من مؤتمرات التقريب نصاً أو فحوى، والمقصود منه انتزاع اعترافٍ من المسلمين بصحة دين المغضوب عليهم والضالين، الذين فارقوا ملة إبراهيم، واستنكفوا عن الإيمان بخاتم النبيين، وإقرارهم على وصف أنفسهم وأديانهم بـ «الأديان التوحيدية» أو «الأديان السماوية» أو «الأديان الإبراهيمية» ونحوها.

٢ - رفع الأحكام الشرعية القرآنية والنبوية بكفر اليهود والنصارى، تحت مسمى «التحرر من الأحكام المسبقة»، و«تعديل صورة الآخر»، و«فهم الآخر كما يريد»، ونحوها، ليتوصلوا إلى نفي وصمة «الشرك» التي دمغهم بها القرآن، عبر سلسلة طويلة من المماحكات والمخاتلات اللفظية المكشوفة، لإقناع المسلمين أنهم لا يقعون تحت وطأة تلك الأحكام، وتارة ينادون بذلك تحت مسمى «إزالة التشويه المتبادل في الكتب المدرسية والأدب والإعلام»، لتنشأ ناشئة من أبناء المسلمين، لا ترى فرقاً بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

٣ - إلغاء أحكام أهل الذمة، وإدانتها تحت مسمى «العدالة الاجتماعية»، و«العيش المشترك»، و«حقوق الإنسان». وهذه الأحكام العادلة الكريمة، وإن لم تكن في محل التطبيق والتنفيذ، بل قد هجرت منذ زمن بعيد، إلا أن القوم يسعون لاجتثاث أصلها، وإدانتها، حتى لا يبقى للمسلم - ولو نظرياً - شعورٌ بالتميز والخيرية.

٤ - إبطال حد الردة، والتمكين للكافرين في بلاد المسلمين، بالدعوة إلى دينهم، وبناء معابدهم، ونشر كتبهم، تحت مسمى «الحرية الدينية»، و«التعددية الدينية»، و«التعرف على الآخر»، و«الإصغاء المتبادل».

٥ - إلغاء الجهاد في سبيل الله، تحت مسمى «السلم العالمي»،

وإدانة حركة الفتح الإسلامي تحت مسمى «الاعتراف بمظالم الماضي». وهذه الفريضة المكتوبة، التي شرف الله بها أمة محمد ﷺ، وجعلها سبب رحمة للناس، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، رغم أنها قد انحسرت انحساراً بالغاً في العصور الأخيرة، إلا أن دعاة التقريب من النصارى يقتلون في الذروة والغارب لاقتلاعها من قلوب المسلمين، وتشويهها، واستدراج المسلمين لمقايضتهم، بإدانة الحملات الصليبية الفاجرة الظالمة، لقاء إدانة حركة الفتح الإسلامي، والتخلي عن مبدأ الجهاد، وتأويله بالتأويلات الباردة الساقطة.

٦ - التشكيك في الدين، وإضعاف اليقين بخبر الله وخبر رسوله ﷺ، تحت مسمى «النسبية»، ومهاجمة «امتلاك الحقيقة المطلقة». والكفار حين يعترفون بذلك على أنفسهم وأديانهم المدخولة المحرفة، يستنزلون المسلمين لمقابلتهم بالمثل، ويمجدون «أساتذة التشكك» من زنادقة الملحدين.

٧ - حل عقد الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله، والموالاتة في الله والمعاداة في الله، ورابطة الإخوة الإسلامية، تحت مسميات: «المحبة والاحترام المتبادل»، و«الأخوة الإنسانية»، و«الثقة»، و«نبذ التعصب»، و«نبذ الشك والارتياح بالآخر» ونحوها. وكلها شعارات شائعة باتت في حكم البدهيات والمسلمات لدى دعاة التقريب.

٨ - ترك الدعوة إلى الله، وهداية الخلق إلى الصراط المستقيم، مقابل إيقاف نشاط التنصير، بدعوى أن ذلك ينافي أدبيات الحوار والتقارب، والتفاهم الديني، والاقتران على الدعوة بين الأتباع فقط.

فكل هذه الأصول العقدية، والمقاصد الشرعية، عصفت بها رياح فتنة التقريب بين الأديان لاستئصال المسلمين عن بعض ما أنزل الله، تحت ستار هذه الشعارات البراقة التي نحتها دعاة التقريب، كما فعل

أشباعهم من المبطلين من قبل، حين يسمون الأشياء بغير أسمائها لدفع شناعتها، واستجلاب التأييد لها^(١).

وشواهد هذه الفتنة عما أنزل الله كثيرة مبثوثة في غضون ما تقدم من هذا البحث؛ في كتابات دعاة التقريب، وفي بيانات مؤتمراته وندواته.

ثامناً: أنها تسوية لأهل الإيمان بأهل الشرك وعباد الأوثان:

قال تعالى: ﴿أَفَجَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص]. ومن دعا إلى التقريب بين الأديان، فقد سوى بين من فرق الله بينهم، وقبل سلفاً بمبدأ الندية، والمساواة الدينية، وهذه غاية تشرب إليها أعناق الكافرين، وتنقطع دونها آمالهم وأطماعهم؛ أن يقبل المسلم الحنيف بالنزول عن مرتبته العلية التي أحله الله إياها بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، والتخلي عن الخيرية التي شرف الله بها أمة الإسلام بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فيقعد على مائدة مستديرة مع عباد الصليب والأوثان والأبقار، وإخوان القردة والخنازير، وهم يخوضون في آيات الله، ويشركون به، ويكفرون برسله. وقد نهى الله نبيه عن مثل هذا فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيهِ

(١) فالمعتزلة مثلاً بنوا مذهبهم على أصول خمسة ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها العذاب، وهي: التوحيد، وأرادوا به نفي الصفات عن الله، والعدل، وستروا به إنكار القدر. والوعد والوعيد، وأرادوا به نفي الشفاعة، وإنكار كون العصي الموحد تحت المشيئة والإرادة. والمنزلة بين المنزلتين، وقصدوا بها رفع اسم الإيمان عن مرتكب الكبيرة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز أو لزوم الخروج على أئمة الجور، انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٣).

ءَايَلُنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتْكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [الأنعام] ثم ذكره تعالى والمؤمنين بهذا الأمر مرة أخرى فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء].

وهذه المثلية هي التي يسعى إليها أعداء الإسلام، ويستجرون إليها محاوريههم من دعاة التقارب، ليحشروهم في زمرة المغضوب عليهم والضالين، والذين لا يعلمون من المشركين على قدم المساواة، ويعدون ذلك شرطاً مسبقاً للتقريب. ومن شواهد ذلك:

■ يقول بول خوري: (الحوار يفترض المساواة بين الأشخاص والجماعات)^(١).

■ تقول ماريا تسكانو وخورمان نكوتشيا: (الحوار يمكن أن يحدث فقط بين طرفين متساويين... أن نعترف بتجربة الآخر، كصاحب تجربة صحيحة بالمثل كتجربتنا)^(٢).

■ يقول غبريال عبود: (على أساس من الثالث: شعب الله المختار، لا خلاص خارج الكنيسة، وكنتم خير أمة أخرجت للناس، يرتكز هذا الاستثارة)^(٣).

■ يقول جوسيت جيان غوينول: (في هذه الحياة نعيش معاً متساوين، أهذا يكون أمراً متمشياً مع الإيمان الإسلامي؟ هذا هو السؤال الذي يفرض المستقبل، والذي لا نفتأ نشر إليه)^(٤).

(١) العقيدة للأمام (١٩٣).

(٢) إلى الجذر (١٣١).

(٣) العقيدة للأمام (١٦١).

(٤) العقيدة للأمام (١٤٩).

■ يقول روجيه جارودي: (إن مسلماً يعرف النصوص المقدسة في الهند والصين، نصوص زرادشت، والتوراة والتقاليد الروحية الكبيرة في أفريقية وأمريكا الهنود الحمر في الشمال، يمكنه ألا يفهم على نحو أفضل ماهية كلية التنزيل القرآني فحسب، - وهو تنزيل فريد في ذاته - بدلاً من الاعتقاد أنه فريد بمجرد «الغرور» و«الزهو» الساذج، لأننا نجهل أو نحقر إيمان الآخرين)^(١).

■ ويقول فهمي هويدي: (ليس صحيحاً أن المسلمين في هذه الدنيا صنفٌ متميز ومتفوق من البشر لمجرد كونهم مسلمين. وليس صحيحاً أن الإسلام يعطي أفضلية للمسلمين، ويخص الآخرين بالدونية. ليس صحيحاً أن ما كتبه أكثر الفقهاء في هذا الصدد هو دين ملزم، وحجج لا ترد، إنما هو اجتهادٌ يصيب ويخطئ. إن دعاوى التميز على الآخرين، وتكريس هذا التميز من جنب أكثر الفقهاء، إنما تستخدم لغةً ليست مقبولة ديناً، فضلاً عن أنها لغة باتت محل إدانة هذا العصر)^(٢).

تاسعاً: أنها مdahنة في دين الله:

قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم]. قال ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (معنى ذلك: ود هؤلاء المشركون يا محمد، لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك)^(٣). وهذا عين التقريب بين الأديان الذي يجترحه دعاة التقريب بملاينة مخالفيهم، وملاطفتهم، وعدم النكير عليهم في شركهم وكفرهم بالله العظيم، وموافقتهم على عدم الخوض في مسائل الاعتقاد الكبرى،

(١) الإسلام (٩٤).

(٢) المسلمون والآخرين، أشواك وعقد على الطريق. مجلة العربي عدد ٢٦٧ ربيع الأول ١٤٠١ هـ فبراير ١٩٨١ م (ص ٤٩).

(٣) جامع البيان (٢٩/٢١ - ٢٢).

ثم تصدير البيانات الختامية لملتقياتهم وندواتهم بعبارات المداينة والتملق من «المحبة والاحترام المتبادل»، و«الاعتراف بالآخر»، ونحوها، وربما خرج ذلك إلى ممارسات عملية شائنة، كما سنبينه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

وكما حذر الله تعالى نبيه ﷺ أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزل إليه، فيدع العمل به والحكم به - كما تقدم - حذره أيضاً من مداينة الكفار بممالئتهم وموافقتهم على قول أو فعل بعض ما يريدون، لقاء استجابة أو موافقة منهم على ما يدعوهم إليه. فإن القوم ليسوا على شيء، فلا يجدون حرجاً من المفاضة ببعض باطلهم. أما صاحب الحق فلا يسعه أن يتنازل عن أدنى شيء منه، لأن الدين لله. وقد تعرض ﷺ لنوع من ادهان الكافرين، علّة أن يوافقهم على بعض ما يشتهون، وربما وقع في نفسه ﷺ إجمالة نظير، وتقدير مصلحة، ولكن الله عصمه^(١)، وأنزل في ذلك آيات مغلظة، ووعيداً شديداً، فقال: ﴿وَلَنْ كَادُوا لِيَفْتَنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٦) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٧) إِذَا لَأَذْنُوكَ لِيَفْتَنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٨)﴾ [الإسراء].

فإذا كان هذا قد قيل لسيد ولد آدم ﷺ في شيء قليل، وقد كاد ولم يفعل، فكيف بمن يسعون بأقدامهم، ويكتبون بأقلامهم، ويعتلون المنابر، منادين بالتقريب بين الأديان، ممجدين شعار أهل الكفر وعباد الصليبان؛ من «التعددية الدينية»، و«تبادل الخبرة الدينية»، و«التجارب الروحية»، ونبذ دعوى «امتلاك الحقيقة المطلقة».

ومن شواهد قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (١)﴾ [القلم] في هذا العصر:

(١) انظر: جامع البيان (١٥/١٢٩ - ١٣١).

■ يقول موريس بورمانس: (أو من الممكن أن نخضع على قدم المساواة، النصوص المقدسة: الكتاب المقدس، والقرآن، لنفس متطلبات النقد التاريخي؟)^(١)، وقوله: (قد يكون من قبيل اللعب على المكشوف قبول حرية أن يغير المرء دينه... المسيحيون تنازلوا عن تطبيق أي عقوبة في حال الردة)^(٢).

■ يقول جوسيت جيان غوينول: (يجد المسلمون أمراً عادياً تماماً أن يعترف المسيحيون لإخوانهم بحق الانتقال للإسلام، وأقران المسلمين الذين قد يرغبون في التحول للمسيحية أليس بإمكانهم الحصول على نفس الحرية؟)^(٣). أي فهلّموا نتواضع على تسويغ الردة.

وغني عن القول أن هذه «الحرية الدينية» التي يتملق بها هؤلاء القسس أهل الإسلام، ليست مكرمة من «محاكم التفتيش»، بل هي من ضمانات المبادئ الإنسانية التي تكفلها الحكومات العلمانية الغربية، وإن رغم أنف الكنيسة.

ويقابل هذه المزايدات النصرانية في «سوق المداهنة» مزايدات التقاربين من المنسويين إلى الإسلام، الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على الدين، نظراء على تراثه، يبيعون به ويشترون كيفما شاءوا، ومن نماذج ذلك:

■ يقول طريف الخالدي: (إذا ألقينا نحن المسلمين نظرة على اللاهوت المسيحي لنرى ماذا يفرقنا عن بعضنا البعض، نرى أن التثليث، على عكس ما قد يتصوره البعض، هو أهون العوائق بيننا. أما أصعب العوائق فيما بيننا فهو، على عكس ما قد يظنه البعض، مسألة

(١) العقيدة للأمام (١١٧).

(٢) العقيدة للأمام (١١٧).

(٣) العقيدة للأمام (١٤٩).

صلب المسيح. فالصليب طريق الخلاص في المسيحية جمعاء، عربية كانت أو غربية، ونفي الصلب واضح وصريح في القرآن، ولكنني أرى أن حتى هذا العائق لا يشكل في الواقع عائقاً حقيقياً. فالمسلم أيضاً يحمل معه «صلبيه» الذي يؤدي به إلى الخلاص^(١).

■ ويقول محمد عمارة: (كما أن اعتراف المسلم بشريعة عيسى أو موسى، وبرسالتيهما، لا يلزم منه ترك شريعة محمد، واتخاذ العيسوية أو الموسوية طريقاً للتدين بالدين الإلهي الواحد، فكذلك الحال مع اعتراف المسيحي واليهودي بشريعة محمد ورسالته، لا يستلزم منه أن يدع شريعته ويستبدلها بشريعة الإسلام. فليحتفظ كل بشريعته)^(٢).

■ يقول الشيخ أحمد كفتارو: (ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرأة الصافية نور الشمس)^(٣)، وقال: (لا بد من الإسراع بالتعاون والتنسيق والتقارب بيننا. ليبقى كل واحد منا على دينه مسلماً أو مسيحياً... لكن ليتعرف كل منا على ما عند أخيه، من خبرة وتجربة. نتعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه من فروع، وفي هذا ما فيه من خير يعود على الجميع)^(٤).

ونختم هذه النماذج المتقابلة للمداينة، والمداينة بالمثل، من كل طرف على حدة، بنموذج جامع يرويه الشيخ كفتارو: (قال لي قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في أحد لقاءاتي الحوارية معه: إنني أقرأ

(١) المسيحيون العرب (ص ١٤٥).

(٢) الإسلام والوحدة القومية (٢١٨).

(٣) سلام للبشر (٥٨).

(٤) الدعاة والدعوة (٢/ ٦٩٤).

القرآن كل يوم. فكان جوابي له: وأنا أحفظ الإنجيل^(١).

عاشراً: أنها لبس للحق بالباطل، وصدّ عن سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]. ولا ريب أن طلب القربى من الكفار يورث فتنة في الأرض، وفساداً كبيراً، حيث يختلط الحق بالباطل وتتكرر مشاربه ويتعكر صفوه، من جراء الظهور أمام الكافة بمظهر التوافق والانسجام، لا المفاصلة والاستبيان، مما يؤدي إلى تبلبل الناس وتشوشهم، وعدم تمييزهم بين الحق والباطل، وهذا من أعظم الصد عن سبيل الله.

ولهذا أمر الله نبيه ﷺ، وعباده المؤمنين، بالتمييز عن الكافرين في كل شيء، لا سيما في مقام الدعوة والعبادة، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]. وقال: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وأمر نبيه أن يقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون]. قال ابن القيم رحمه الله: (إن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبداً، فإنه دين باطل فهو مختص بكم، لا نشركم فيه، ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق. فهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم)^(٢).

وقد صور الدكتور علي بن نفيع العلياني هذا الأثر السيء للبس الحق بالباطل، الناجم عن محاولات التقريب بين الإسلام وأهل الكتاب بالتحليل التالي:

(إن كثيراً من النصارى وبعض اليهود متعطشون إلى دين شامل كامل كالإسلام، وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية،

(١) المرجع السابق (٢/١٠٧٥).

(٢) الضوء المنير على التفسير (٦/٤٧٥). وانظر: بدائع الفوائد (١/١٤٠).

التي هي من صنع الأحرار والرهبان، وليستا الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام، فإذا سمع هؤلاء تلك الشنشة التي تصدر من أشخاص يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة، المتضمنة لاعترافهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين، وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود، والبحث عن مزاملته بأي ثمن، ومحاولة تقريبه من الإسلام، خاب ظنهم، وقالوا: لماذا ننتقل إلى الإسلام، وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسة، بل إن ديننا أفضل منه، بدلالة حرص أصحابه على تقريبنا إليهم، ليكسبوا بذلك شرفاً وعزاً^(١).

بل إن مجرد اللقاء ولو على قدم المساواة، ودون تشويق وحرص، بحد ذاته يؤدي إلى ذات النتيجة. يقول الأستاذ أنور الجندي: (إن هناك محاولات لحجب الإسلام بدعاوى الحوار. والحوار يهدف إلى حقيقة الحصول على اعترافات إسلامية من علماء مسلمين لامعين، بأنه لا توجد خلافات حقيقية بين الإسلام والمسيحية، وأن الخلافات بينهما هي خلافات أكاديمية. وذلك لتقديمها إلى الغربيين لإقناعهم بأن تطلعهم إلى الإسلام لا يفيد، بعد أن تبين لهم - كذباً وزوراً - أنه لا يوجد خلافاً بينه وبين المسيحية، ولذا عليهم ألا يلتفتوا إلى الإسلام)^(٢)، وهذا من أدهى وسائل الصد عن سبيل الله.



(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه. (٢٤٩).

(٢) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (٤١).

المبحث الثاني

دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان

لقد أدت الممارسة العملية الواسعة لدعوة التقريب في العقود الأربعة الأخيرة إلى انكشاف سوءاتها، وظهور آثارها السيئة على عقائد المتصلين بها وأعمالهم. ودلالة الواقع - لدى بعض الناس - أقوى في النفس من مجرد العلم النظري. كما أن الاستدلال بالواقع والآثار العملية منهج قرآني في إقناع المخالفين، وردهم إلى جادة الصواب. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام]. والآيات في معناهما كثيرة. وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَآمٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [التوبة].

ونهدف في هذا المبحث إلى بيان بطلان دعوة التقريب بين الأديان من خلال الممارسة العملية الميدانية، المتحققة فعلاً، خلافاً للمبحث السابق الذي يعتمد التأصيل الشرعي المجرد، ولذلك سوف نستدعي في هذا الصدد بعض التطبيقات العملية، ونصوص البيانات المشتركة التي تقاسم عليها دعاة التقريب من الجانبين، من خلال الفقرات التالية:

أولاً: إصرار النصارى على دينهم وعدم اقترابهم من الحق:

إن المتتبع لدعوة التقريب بين الأديان التي أطلقها النصارى في هذا العصر يجد عجباً! فرغم كل البيانات والشعارات والدعوات المنادية

بالتقارب، والتي تقتضي - بداهة - أن يتقدم كل جانب نحو الآخر خطوة، إلا أن الواقع يكشف بوضوح أن النصارى لم يحددوا قيد أنملة عن مواقفهم العقدية الأساسية، ولم يستجيبوا لبعض الدعوات الملحة، بالتزحزح عن مواقف عقدية تاريخية، حملهم عليها الهوى والعزة بالإثم. وحتى ما عده البعض تحولاً لاهوتياً في تاريخ الكنيسة بإمكان شمول الخلاص من هم خارجها، فسروه تفسيراً يقتضي أن يكون سبب الإمكان راجعاً إلى عمل الروح القدس بصورة خفية، وأن مهمة الحوار الأخذ بأيديهم إلى الحقيقة الكاملة^(١).

وحقيقة الحال أن النصارى يريدون من غيرهم أن يقتربوا منهم فحسب. ولا يقابلون ذلك إلا بمظاهر جوفاء، وبيانات إعلامية، يتسللون من خلالها إلى أتباع الديانات الأخرى. قال تعالى: ﴿هَتَأْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ لَا يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. ومن شواهد ذلك:

أ- إصرار النصارى على الجهر بالسوء من القول في ملتقيات التقارب:

لم تحمل المجاملة آباء الكنيسة على مراعاة محاورهم أو مضيفيهم من دعاة التقارب من المسلمين، بل صدعوا بكفرهم وتلثيهم بين ظهرائي المسلمين دون مواربة، ومن أمثلة ذلك:

■ كلمة البابا يوحنا بولس الثاني في الدار البيضاء بالمغرب، التي حشد له فيها عشرات الآلاف من الشبان والشابات المسلمين، الذين حملتهم الحافلات على حين غرة من مدارسهم وجامعاتهم، حتى غصت بهم مدرجات «الاستاد» الرياضي، في ١٩ أغسطس عام ١٩٨٥ م. ومما جاء فيها قوله: (إن الصراحة تقتضي أيضاً أن نعترف بتبايناتنا، وأن نحترمها، ومن البديهي أن أهم هذه التباينات هي نظرتنا إلى شخص

(١) راجع الباب الأول في حقيقة التقريب لدى النصارى. وثيقة «حوار وبشارة».

سيدنا يسوع الناصري وعمله. إنكم تعلمون أن سيدنا يسوع في اعتقاد المسيحيين هو الذي يدخلهم في معرفة حميمة للذات الإلهية التي تفوق كل إدراك بشري، وفي نوع من الاتحاد الابني بعطايا الله ومواهبه، ولذلك فهم يشهدون أنه هو الرب والمخلص^(١). ثم ختم كلمته الطويلة بابتهاال.

■ كلمة رئيس أساقفة أسبانيا الكاردينال الكاثوليكي، أنريكي ترانكون، في مؤتمر (التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى في المسيحية والإسلام) المعقود في قرطبة عام (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) حين خاطب جمهور أهل التقريب قائلاً: (إن عقيدتنا في التثليث لا تنقص شيئاً من ذلك التأكيد القاطع المطلق، من ذلك الإيمان الذي ينبغي لإخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به، فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم، ولا نرضى أن نتهم بأننا نشرك مع الله آلهة أخرى... بجانب ذلك نؤمن بأن لعيسى صبغة إلهية... تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الإنسان، هي بالنسبة لنا أيضاً سر لا يدرك، واستناداً إلى نصوصنا، وتقليدنا العقيدي، نعبر عن الوحدة الإلهية بالتثليث)^(٢).

■ لقد قال الأب موريس بورمانس في توجيهاته: (ليس أسوأ للحوار من السعي الكاذب إلى التكيف، وقوامه عند المسيحي، انتقاص إيمانه حين عرضه بحيث يجعله مقبولاً لدى المسلمين. إن الحوار يفقد كل معناه، إذا انتقص الفريق المسيحي إيمانه إلى حد جعله عموميات، وحجب عقائده التي تفترق عما يؤكده القرآن)^(٣).

(١) دراسات إسلامية مسيحية (٨). أو: وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين. (١٩٦).

(٢) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٦). وراجع التعليق على المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (أسبانيا والبرتغال) من الباب الثاني.

(٣) توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين (٥٧).

ب - إصرارهم على إنكار نبوة محمد ﷺ:

لئن كان نصارى القرون الوسطى مغيبون تحت ركام الخرافات والأساطير التي كان ينسجها خيال رهبانهم المريض، ويصمون فيها شخص نبينا ﷺ بأقذع السباب والفري، فما عذر هؤلاء النصارى المعاصرين الذين تكشف لهم حقائق هذا الدين، وتمكنوا بوسائلهم الخاصة من الوصول إلى مصادره الأصلية، ووقفوا على ما تتضمنه من حق وصدق وعدل وبر؟!!

لقد أبى النصارى الزاعمون أنهم يسعون إلى التقارب مع المسلمين مجرد التسليم بنبوة محمد ﷺ، حتى ولو لم يتبعوه، كما يؤمنون بعامة أنبياء بني إسرائيل. وقد تعرضت الكنيسة الكاثوليكية لحملة قوية أثناء انعقاد (ندوة الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس - ليبيا - عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦)، من قبل رئيس الجماهيرية الذي قال: (نقول لأهل الكتاب: هل يستمر نكران نبوة محمد؟ وطبعاً هذا خطأ في حق الله سبحانه وتعالى، وجهل كبير من قبل الناكرين لنبوة محمد)^(١). ومن قبل رئيس الجانب الإسلامي، الدكتور محمد أحمد الشريف، الذي أثنى على بيانات المجمع الفاتيكاني الثاني بشأن المسلمين، وأتبعه بالقول: (ويبقى تعرف المسيحيين على حقيقة نبوة محمد ﷺ الذي بشر المسيح برسالته، ضماناً فعلاً لانطلاق حقيقي في التعاون الإسلامي المسيحي)^(٢). وبعد الولادة المتعسرة للبيان المشترك، تمخض عن هذه الجملة: (يكرم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها)^(٣). وغاية ما فيها: تكريم كل جانب لمن يعتقده الجانب الآخر

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (٧٤).

(٢) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (٥٤). وراجع وقائع المؤتمر بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٣) المرجع السابق (١٤٦).

نبياً، فقط. وذلك لا يرتقي إلى النص على محمد ﷺ كما أراد الجانب الإسلامي - والإقرار بنبوته، وقد تركت هذه التجربة المريرة بالنسبة للكنيسة دروساً للمستقبل في معرفة مواطن أقدامها، والاشتراط المسبق على تحاشي موضوعاتٍ بعينها.

وحينما انعقد مؤتمر (التقدير الإيجابي لمحمد وعيسى في المسيحية والإسلام) في قرطبة عام (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، كان المتوقع من جهة غير كنسية «جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية» أن تعلن اعترافها بنبوة محمد ﷺ، ولكن «التقدير الإيجابي» لم يبلغ هذا الحد، وأفصح الأب جاك جوينيه عن السر الأثيم في ذلك بقوله: (إن الاعتراف بمحمد نبياً يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن، وبالتالي بأن محمداً خاتم المرسلين وخاتم الأديان. وهذا لا يعتبر سوى إلغاء لإنجيل المسيح)^(١).

وبعد هاتين الواقعتين طوي بساط البحث في هذه المسألة، وتحاشى «دعاة التقريب» إثارتها. وقد كتب سكرتير عام جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا إلى شيخ الأزهر عبد الحليم محمود ﷺ يدعوه إلى المشاركة في مؤتمر قرطبة الإسلامي المسيحي الثالث، حول موضوع: «محمد وعيسى ملهمان للقيم الاجتماعية المعاصرة»^(٢)، فلم يجبه إلى طلبه، وكتب له خطاباً جاء فيه: (إنه لا بد من الاعتراف بالدين الإسلامي، وبرسوله، حتى ينال المسلمون في أوروبا ما يناله اليهود من الاعتراف بأعيادهم وشعائهم.. وإنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحترمه المسلمون وهو عيسى ﷺ، وأتباع رسول لا يعترف به المسيحيون، وهو محمد ﷺ)^(٣). وذهبت المناشدة أدراج الرياح.

(١) مجلة العربي عدد (٢٢٣) يونيو ١٩٧٧م (٤٤).

(٢) راجع التعريف بالمؤتمر في الفصل الثاني من الباب الثاني (١١٨٤).

(٣) أوروبا والإسلام. د. عبد الحليم محمود. دار المعارف - القاهرة. الطبعة الثانية. (١٨٥) وانظر النص الكامل في قسم الملاحق رقم (٤).

ج - إصرار النصارى على إضلال الناس بما يسمونه «التبشير»:

لعل أهم قضية يثيرها المحاورون المسلمون في مؤتمرات التقارب، ويتمسكون بها، قضية المطالبة بوقف أعمال التنصير في المجتمعات الإسلامية الفقيرة، المضطرة إلى الطعام والكساء والدواء، مما تخلفه الحروب والفيضانات والمجاعات والأوبئة في دول العالم الثالث، ومعظمها «إسلامية». وربما أظهر النصارى الموافقة في حالات معينة، لكن دون أن يكون له أثر واقعي ملموس، وفي حالات أخرى يعلنون عن إصرارهم التام على ممارسة دورهم الإضلالي والابتزازي، دون مداراة. ومن شواهد ذلك:

■ في مؤتمر ممثلي الأديان في أندونيسيا الذي عقدته الحكومة الأندونيسية عام ١٩٦٧م، لمواجهة بعض الاضطرابات الداخلية الناجمة عن النشاط التنصيري الذي كان ينخر في جسم البلاد، في تلك الحقبة، اقترح رئيس الجمهورية الامتناع عن ممارسة التبشير تجاه أتباع أحد الأديان المعترف بها في أندونيسيا، والتوجه إلى المناطق البدائية من البلاد، فأجاب زعماء النصارى بالقول: (إن المسيحيين رغم ارتباطهم بالدولة الأندونيسية، إلا إنهم مرتبطون أكثر بالأوامر الإلهية المذكورة في الإنجيل، التي تطالبهم أن يكرزوا بالإنجيل الخليقة كلها، ولذلك فهم مضطرون للقيام بهذا الواجب، ومستعدون للبذل والفداء من أجله)^(١).

في المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة الذي نظمته جماعة «كريسلام»، قال: مورييس بورمانس: (إن الرجال القائمين على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين، فعليهم التزام بالاعتراف من كل طرفٍ للآخر

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا (٢٨).

بحقه في القيام بمهمته الرسولية، بل أيضاً واجب القيام بعمل تبشيري^(١).

يقول الأستاذ أنور الجندي: (الغرب يعرف وجوه القصور في دعاويه، ولكنه يحرص على أن لا يمسها المسلمون... وهو غير مستعد لأن يتنازل عن قيد شبر واحد في هذا الحوار لحساب الالتقاء على قاعدة أو أساس، وإنما هي في الحقيقة، محاولة تعرض الإسلام للذوبان، وتقديم التنازلات، عن طريق أسئلة مأكرة، ومحاورين غاية في الدهاء، وحسن الظن من الطرف الآخر)^(٢).

فأي اقتراب أبداه النصراني إذاً من المسلمين في باب الاعتقاد والدعوة إليه؟ ليس ثم إلا ما ذكر الله: ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨].

ثانياً: مساواة كتاب الله بما كتبوه بأيديهم وقالوا: هو من عند الله:

وهذا أمرٌ مسلمٌ في تراث دعاة التقريب، لا نزاع فيه ولا نقاش، فقد تواضع القوم من مختلف الأطراف على احترام الكتب الدينية لكل ملة، أيّاً كان مضمونها، وعدّوا ذلك من شروط التقارب، والنيل منه من نواقضه ومبطلاته. وطفقوا يطلقون على التوراة والإنجيل التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم، مع القرآن العظيم اسم: «الكتب السماوية»، و«الأسفار المقدسة»، و«الوحي»، ونحوها من الألقاب والأوصاف التي لا تصدق ولا تنطبق إلا على القرآن. وسلّم دعاة التقريب من المسلمين لأوليائهم من اليهود والنصارى بهذه القضية، ضاربين عرض الحائط بالآيات القرآنية القطعية الدلالة، والأحاديث النبوية الصحيحة

(١) العقيدة للأمام (١١٧).

(٢) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (١٧٢).

الثبوت^(١)، بل والاعترافات الصريحة لباحثي اليهود والنصارى ونقادهم بأن كتبهم مدخولة، امتدت إليها أيدي العبث والتحريف، وظهر عليها الاضطراب والتناقض، فضلاً عن انقطاع السند. وقبلوا مدعين خاضعين، في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ المسلمين أن يساووا ما كتبه أهل الكتاب بأيديهم، وقالوا هو من عند الله وما هو من عند الله، بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، والكتاب العزيز الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ خَلِيمٍ حَمِيدٍ ٤٧﴾... ﴿[فصلت]، أنزله الله على نبيه محمد ﷺ محضاً لم يشب، وتكفل - سبحانه - بحفظه بنفسه، ولم يكله إلى خلقه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩٦﴾ [الحجر].

ولم يقتصر الأمر على الكتب المحرفة، ذات الأصل السماوي؛ التوراة والإنجيل، فإن دعاة التقريب والوحدة من زنادقة أهل الكتاب لا يقنعون بذلك، بل جروا غيرهم إلى تعظيم كتب الوثنيين، ووحى الشياطين، ومن شواهد هذا الاستدراج:

■ يقول روجيه جارودي: الإسلام الحي ينبغي له أن يغتنى لدى كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلهية، من «الأوبانيشاد» في الهند، إلى «طاوية» تشوانغ تسو... وستكون النظرية اللاهوتية الإسلامية أغنى، بقدر ما تدمج أعماق المساهمات في تفسير الكتابين المنزليين السابقين ولاهوتيتهما..

فكيف يكون بوسع مسلم أن يحرم نفسه من التجربة الروحية الهندية، والصينية، ويجهل تعليم أنبياء الشعوب كلها، في حين أن القرآن الكريم يأمره أن يصدقهم...

أعتقد على سبيل المثال، أن تأملاً عميقاً مخلصاً في «الأرفائيتا»

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» حول كتبهم الدينية في التمهيد.

الفيدية... وتوحيد المسلمين... سيغني تصوري الوحدة لدى الجانبين، ويكشف عن التشابهات الواقعية، الفروق أيضاً، في عمل هندي حقيقي، ومسلم حقيقي، الناجمة عن التصور الخاص بكلٍ من الأرفائيتا والتوحيد...

إن مسلماً يعرف النصوص المقدسة في الهند والصين، نصوص زرادشت، والتوراة، والتقاليد الروحية الكبيرة في أفريقية، وأمريكا الهنود الحمر في الشمال، يمكنه أن لا يفهم على نحو أفضل ماهية كلية التنزيل القرآني فحسب.. بل يمكنه أن يياشر مع الناس القادمين من إيمانٍ آخر حواراً سمحاً وجريئاً، حواراً أسراً^(١).

■ نقل أ. تورنس. كوبيلو عن أحد رجال الدين الكاثوليك الصينيين قوله: (سيأتي اليوم الذي تكون فيه كتابات «كونفوشيوس»... معترفاً بها مثل «العهد القديم»)^(٢).

هذا ما رضىه النصارى لأنفسهم، ويريدون أن يستدرجوا إليه نظراءهم من دعاة التقريب من المسلمين.

ومن صور مساواة القرآن العظيم بقراطيس أهل الكتاب:

١ - الدعوة الظالمة إلى طباعة المصحف الشريف، والعهد القديم، والعهد الجديد في كتاب واحد بين دفتين، وقد نادى بها في أواخر السبعينيات الميلادية، مع فكرة مجمع الأديان في سيناء، بعض رواد التقارب والتطبيع مع اليهود، فلم يمهل الله حتى هلك مطلع الثمانينيات^(٣). ثم أحيا الدعوة إلى «طبع القرآن الكريم والتوراة

(١) الإسلام (٨٧، ٩١، ٩٣ - ٩٤). وانظر التعليق على كلام جارودي في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) إلى الجذر (١٣).

(٣) انظر مقالة: (البهائية في السياسة المعاصرة في مجلة المختار الإسلامي عدد ٤١ رجب ١٤٠٦هـ).

والإنجيل في غلافٍ واحدٍ» بعض من سار على دربه في التقارب مع اليهود والنصارى، بعد قرابة عشرين سنة، فعاجله الأجل^(١). ولعل هذا من تكفل الله بحفظ كتابه.

وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية ما نصه: (لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلافٍ واحد!! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلالٍ بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق «القرآن الكريم»، والمحرف أو الحق المنسوخ «التوراة والإنجيل»)^(٢).

وقال فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد^(٣): (كيف لا يستحي من المنتسبين إلى الإسلام من يدعو إلى طبع هذه الأسفار، والإصحاحات المحرفة المفترى فيها، مع كتاب الله المعصوم «القرآن الكريم». إن هذا من أعظم المحرمات، وأنكى الجنايات، ومن اعتقده صحيحاً فهو مرتد عن الإسلام)^(٤).

٢ - عقد المؤتمرات باسم الكتب الدينية، حيث يحشر «القرآن» مع غيره، مما يشعر بالاعتراف بها، وأنها والقرآن على حدٍ سواء. ومن تلك المؤتمرات المعقودة:

مؤتمر: «كلمة الله»: في دير سيننكا، ذي القعدة عام ١٣٩٧هـ، نوفمبر عام ١٩٧٧م.

(١) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) (١٢)، (٣٠، ٧٧).

(٢) فتوى رقم (١٩٤٠٢) في ٢٥/١/١٤١٨هـ. انظر النص الكامل في قسم الملاحق. ملحق رقم (١).

(٣) عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٤) الإبطال (٧٧).

مؤتمر: «الأسفار المقدسة»: في دير سيننكا - فرنسا - شعبان ١٣٩٨هـ، يوليو ١٩٧٩م.

مؤتمر: «قراءة الأسفار المقدسة»: في تونس. شوال عام ١٣٩٩هـ، سبتمبر عام ١٩٧٩م.

مؤتمر: «كلمة الله والكتب المقدسة» في الرباط. ذي القعدة عام ١٤٠١هـ، سبتمبر عام ١٩٨١م.

مؤتمر: «كلمة الله»: في تونس. ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ، سبتمبر عام ١٩٨٢م.

وقد تمخضت هذه اللقاءات التي رعتها «فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية...»^(١). عن إصدار بحوث تجمع أعمال هذه المؤتمرات طبعت في كتاب بعنوان: (تلك الكتب التي تسائلنا: الإنجيل والقرآن) الطبعة الفرنسية، أو: (تحدي الكتب المقدسة: الإنجيل والقرآن) الطبعة الإنجليزية.

مؤتمر: «التوراة والإنجيل والقرآن»: في «تولوز» - فرنسا - ربيع الآخر عام ١٤٠٤هـ، يناير عام ١٩٨٤م، برعاية جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية^(٢).

مؤتمر: «الكتابات المقدسة والكتابات الدنيوية»: في «تولوز». رجب عام ١٤١٠هـ، يناير ١٩٩٠م برعاية معهد تولوز الكاثوليكي^(٣).

إن أقل ما تعنيه هذه اللقاءات الاستعلان والمجاهرة بتوثيق ما أوهنه الله، وإعمال ما نسخه آخر كتبه، وأقربها عهداً به. ودعاة التقريب يمهررون البيانات المشتركة في تقرير ذلك. ففي لقاء هونغ كونغ

(١) راجع التعريف بهذه الفرقة ومناشطها في الفصل الثاني من الباب الثاني (١٢٤٧).

(٢) راجع التعريف بالجمعية في الباب الثاني (١٢٥٧).

(٣) راجع التعريف بالمعهد في الباب الثاني (١٢٥٨).

الشهير «المسلمون والمسيحيون في المجتمع»، المنعقد في ذي الحجة ١٣٩٤هـ، يناير ١٩٧٥م^(١)، جاء في الفقرة الثامنة من البيان الختامي: (لا شك أن المسلمين والمسيحيين لديهم عناصر مميزة في إيمانهم، ينظرون إليها ككنوز ثمينة. المسلمون لديهم القرآن، يؤمنون أنه وحي من الله، من خلال رسوله... والمسيحيون لديهم «الأخبار السارة» «الإنجيل»، لأعمال الله القديرة في المسيح يسوع، ومن خلاله، لأجل فداء البشرية، فعلاقة المحبة مع كائنات بشرية تقود المسلمين والمسيحيين إلى تقدير هذه الكنوز واحترامها)^(٢).

٣ - من أبشع صور التسوية بين كلام الله، وما زعموا أنه من عند الله، ما يوجد في بعض محافل التقريب من استهلال الحفل بالقرآن الكريم، ثم بالإنجيل، كما جرى في مؤتمر الحوار بين الأديان «سلام للجميع»، المنعقد في الخرطوم في أكتوبر عام ١٩٩٤م. فقد نص البيان الختامي على (استهلال عمل المؤتمر في الجلسة الافتتاحية بتلاوة من القرآن الكريم، وقراءة مباركة من الكتاب المقدس)^(٣). بل قد اتخذت هذه الفعلة الشنيعة صفة الديمومة لدى دعاة التقريب في ذلك البلد المسلم العريق، فصاروا يستهلون جلسات المجلس الوطني بآيات من القرآن الكريم، وترتيل من الإنجيل^(٤). قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا...﴾ [النساء: ٨٢]. وقال معجزاً إياهم عن مضاهاته: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]. وتنزل معهم في

(١) راجع التعريف بالمؤتمر في الباب الثاني (١١٥٤).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٧٧).

(٣) البيان الختامي (٢).

(٤) انظر: مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي (١٤٨).

الخطاب فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرِيهِ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾...﴾ [يونس]. ثم أيأسهم بقوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء].

ثالثاً: مساواة بيوت الله بمعابد الكفار:

لقد كان من الآثار لدعوة التقريب التسوية بين بيوت الله، المساجد التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٦١﴾﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٦٢﴾﴾ [النور]، بكنائس النصراني التي تغص بالتصاوير العارية، والصلبان الضخمة، ويجهر فيها بالتثليث، وتاليه عيسى ابن مريم، وبيع اليهود التي تتلى فيها أسفارهم الموضوعة، المتضمنة أذى الله سبحانه وتعالى وأنبيائه، ومعابد الكفار، من عبدة النار والأبقار والأصنام، بناءً على الأصل الفاسد لدعوة التقريب، التي ترى أن الكل أماكن عبادة. وفي ذلك يقول سلفهم، ابن الفارض:

وإن نارَ بالتنزيل محراب مسجدٍ	فما بار بالإنجيل هيكَل بيعة
وأسفار توراة الكلیم لقومه	يناجي بها الأحبارُ في كل ليلة
وإن خَرَّ للأحجار في البُذ عاكف	فلا وجه للإنكار بالعصبية
وما احتار من للشمس عن غرة صبا	وإشراقها من نور إشراق غرتي
وإن عبد النارَ المجوسُ وما انطفت	كما جاء في الأخبار في ألف حجة ^(١)

وقول نظيره، عبد الكريم الجيلي:

فطوراً تراني في المساجد راکعاً واني طوراً في الكنائس راتع^(٢)

(١) ديوان ابن الفارض. التائية الكبرى (٣٠٧ - ٣٠٨).

(٢) انظر: فصوص الحكم (٢١٢).

فلم يبق فرق بين مأوى الملائكة، ومأوى الشياطين، وبيوت الرحمة، وبيوت العذاب عند دعاة التقريب. ومن شواهد التسوية في العصر الحديث:

١ - البدعة الفاجرة ببناء مجمع لأماكن العبادة يضم مسجداً وكنيسةً وكنيساً، في «وادي الراحة» بصحراء سيناء، يسمى «مجمع الأديان». وقد تساءل الدكتور محمد البهي قائلاً: ما هو الهدف من «مجمع الأديان» الذي يعتزم إقامته في وادي الراحة؟ هل الهدف إقامة معابد ثلاثة في مبنى واحد ترمز إلى: الديانات السماوية: «اليهودية، والمسيحية، والإسلام»؟^(١).

أم الهدف من إقامته في سيناء ليكون بديلاً عن «القدس»، ويصبح مزاراً لأهل الأديان الثلاثة؟

وإذا كان الهدف منه أن يكون رمزاً إلى الديانات الثلاثة... لماذا يقام في سيناء بالذات؟ وهل بإقامته هناك عندئذٍ تسقط الفوارق في القيمة الدينية بين أنماط العبادة التي يباشرها اليهود في معبدهم هناك... والأخرى التي يباشرها المسيحيون في كنيستهم، وكذلك المسلمون في مسجدهم؟ ويصبح كل مباشر لعبادته في المكان الخاص بها، مقبولاً عند الله في نظر الآخر، على معنى أن يعتقد بذلك: اليهودي والمسيحي والمسلم؟.

هل الهدف من إقامة مجمع الأديان... بسيناء بوادي الراحة،

(١) جرى التنبيه على خطأ إطلاق مصطلح «الأديان السماوية»، وأنه لا دين سماوي سوى الإسلام. كما أن تسمية «النصرانية» بـ «المسيحية»، و«النصارى» بـ «المسيحيين» عدول عن التعبير القرآني والنبوي، وموافقة وإقرار على الانتساب للمسيح ﷺ وهو منهم براء. وكذلك تجنب التعبير بـ «الأديان الثلاثة» لما يشعره ذلك من المساواة. راجع التمهيد.

هدف سياسي وهو: تحويل أنظار المسلمين بالخصوص عن القدس، وما ارتبط بها من تاريخ الأديان الثلاثة؟ وعندئذ هل يصبح المكان الذي تقام فيه المساجد للمسلمين بسيناء وهو وادي الراحة، هو المكان الثالث الذي تُشد إليه الرحال؟^(١).

ومهما تكن الاحتمالات والإجابات عن هذه التساؤلات، فلنا نعلم أن هذه الفكرة جاءت في سياق معاهدة السلام مع اليهود عام ١٩٧٩م، المتضمنة تطبيع العلاقات بين المسلمين واليهود في المنطقة، لكسر حاجز النفرة والعداوة المتأصلة بين اليهود والذين آمنوا:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

[المائدة: ٨٢].

وقد أريد تعميم هذه البدعة الخطيرة في جميع المرافق، في «رحاب الجامعات»، و«المطارات»، و«الساحات العامة»^(٢)، ليقر في قلوب الناس أن الأديان كلها سواء، وأنها توصل إلى الله، وأن أماكن عباداتها على حد سواء، وتستحق جميعاً الإكرام والإجلال.

ولم يقتصر الأمر على إقامة المساجد والكنائس والبيع تحت سقف واحد، أو ضمن سور محيط فقط، بل ضُم إلى هذه الثلاث معابد الوثنيين. وقد عاين المؤلف في أكبر ساحات العاصمة الأندونيسية جاكرتا، المعروفة بـ (TAMAN MINI INDONESIA) مجمعاً لمعابد الأديان المعترف بها هناك وهي: الإسلام والنصرانية والبوذية والهندوسية، يضم مسجداً، وكنيسة كاثوليكية، وأخرى بروتستانتية،

(١) الإخاء الديني.. ومجمع الأديان وموقف الإسلام د. محمد البهي. دار العاصمة - الرياض. (٢٢ - ٢٥). وانظر مجلة «المختار الإسلامي» العدد ٤١ رجب ١٤٠٦هـ، أبريل ١٩٨٦. (٤٢ - ٥٠).

(٢) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام، وغيره من الأديان (١٣).

ومعبداً بوذياً، ومعبداً هندوسياً، تنتصب جنباً إلى جنب، داخل محيط واحد، لا يفصل أحدها عن الآخر سوى ممر صغير. كما وقف المؤلف على مخطط هندسي لإقامة مشروع معماري في إيطاليا يضم معابد للأديان الخمسة الكبرى في العالم، على هيئة صرح دائري يضم خمس وحدات معمارية، يحيط بساحة عامة، ليلتقي في رحبتها المصلون! ويقوم على المشروع من النواحي القانونية والمالية مسلمٌ ونصراني ويهودي^(١).

وقد أنكر علماء الإسلام هذه البدعة ذات اللوازم الكفرية، وحذروا منها، فمن ذلك ما جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية: (لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: «بناء مسجد وكنيسة ومعبد» في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم المساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال، لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم، والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى عن ذلك، كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس «بيوت الله»، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله، لأنها عبادة غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران) بل هي بيوت يكفر فيها بالله. نعوذ بالله من الكفر وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (١٦٢/٢٢): ليست - أي البيع والكنائس - بيوت الله، وإنما

(١) انظر في قسم الملاحق صورة مصغرة للمشروع. ملحق رقم (٨).

بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها وأهلها، كفار، فهي بيوت عبادة الكفار^(١).

وجميع هذه اللوازم الكفرية المذكورة في الفتوى السابقة حاصلة بدعوى التقريب بين الأديان، كما تقدم في المبحث الأول، ولكنها تظهر ظهوراً جلياً، وتنقدح آثارها في نفس العامة بصفة مباشرة، بوجود الدليل المادي المشاهد، كهذه المجمعات المضللة. وحينئذ يصبح «المسجد» الذي أسس ليكون أحد أركان الثالوث (مسجد، كنيسة، معبد) مسجد ضرار، لا يحل القيام فيه أبداً. يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: (هذه المساجد من شعائر الإسلام، فواجب تعظيمها، ورعاية حرمتها، وعمارتها، ومن تعظيمها ورعايتها، عدم الرضا بحلول كنائس الكفرة، ومعابدهم في حرمتها، وفي جوارها، وإقرار إنشائها في بلاد الإسلام، ورفض مساجد المضاربة بالإسلام، والضّرار بالمسلمين، في بلاد الكافرين. فإن «المسجد» والحال هذه، مسجد مضاربة للإسلام، لا يجوز إقراره ولا الصلاة فيه، ويجب على من بسط الله يده من ولاية المسلمين هدم هذا المجمع، فضلاً عن السكوت عنه، أو المشاركة فيه، أو السماح به، وإن كان - والحال ما ذكر - في بلاد كفر، وجب إعلان عدم الرضا به، والمطالبة بهدمه، والدعوة إلى هجره.

وانظر، كيف تشابهت أعمال المنافقين، ومقاصدهم، في قديم الدهر وحديثه، إذ بنى المنافقون مسجداً ضراراً بالمؤمنين، أما عملهم اليوم، فهو أشد ضراراً بالإيمان، والمؤمنين، والإسلام والمسلمين، وقد أنزل الله - سبحانه - قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقال الحكيم

(١) فتوى صادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية برقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ١٤١٨/١/٢٥هـ، برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله.

الخبير - سبحانه وتعالى -: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلْصَاقًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ لِمَنْهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [التوبة] (١).

٢ - ويلتحق بباب التسوية بين بيوت الله ومعابد الكفار، ما شاع بين دعاة التقريب من تبادل الزيارات بين عمّار المساجد، ومرتادي المعابد، وتنظيم زياراتٍ لدور العبادة، مما يزيل الجفوة الإيمانية بين المسلم والكافر، ويجلب المودة بين المسلمين، والمحادين لله ورسوله، ويشعر الدهماء بأن تلك البيوت المزورة جميعاً بيوت الله، وروادها أهل دينه على حدٍ سواء، ومن الوقائع العملية لهذا اللون من التسوية:

• حضور النصارى المشاركين في مؤتمر «لاغون» - غانا - رجب عام ١٣٩٤هـ، يوليو عام ١٩٧٤م، حفل افتتاح الجامع الجديد لجامعة غانا، ورد المسلمين الزيارة بالمثل (٢).

• جاء في أهداف «برنامج وستمنستر للتلاقي الديني» المنبثق عن الكنيسة الكاثوليكية في لندن، الذي يشمل جميع الأديان، والتقاليد الوثنية، والحركات الدينية الحديثة: (تنظيم زيارات متحضرة لبيوت العبادة، لتشجيع الفهم من خلال التجربة) (٣).

(١) الإبطال (٩٨ - ٩٩).

(٢) البيانات المسيحية الإنشائية المشتركة (٥٧).

(٣) Recognize The Spiritual Bonds. P.91-92.

• قام ممثلون لمؤسسة اسكندنافية للحوار الديني بين المسلمين والنصارى واليهود، بزيارة للبوستنة، وصلوا في مساجدها، وكنائسها، ومعابد اليهود بها^(١).

• ضمن فعاليات مؤتمر: «نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً والاستماع من بعضهم بعضاً» المنعقد في مدينة «فيتان - آنا با رور» في ألمانيا، مايو ١٩٨٤م^(٢)، جرت مسيرة مكونة من مسلمين ونصارى يقودها قسس وأئمة محليون، لزيارة الكنيسة التابعة للمدينة المذكورة، والمسجد^(٣).

• تخلل مؤتمر: «الأديان في السودان»: المنعقد في «الخرطوم» في ذي القعدة عام ١٤١٣هـ، أبريل عام ١٩٩٣م، الذي ضم ممثلين لمختلف الأديان في العالم، زياراتٍ لعددٍ من الكنائس والمساجد في الخرطوم، وملكال، وجوبا^(٤).

رابعاً: مشاركة أهل الكتاب والمشرّكين في الصلوات والابتهالات والمناسبات الدينية:

هذا باب خزي وعار في الدنيا، وحسرة وندامة في الآخرة، ولجه دعوة التقريب بين الأديان، وسيقوا إليه رغباً أو رهباً، بخطام قبولهم بمبدأ المداينة والتقريب الذي تقلدوه، وطوقوا به أعناقهم، فلم يملكوا

(١) عن ترجمة لمقالة في صحيفة «سفنسكا دا جبيلات» راجع محاولات التقريب في أوروبا الغربية (السويد).

(٢) راجع التعريف بالمؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (ألمانيا) الباب الثاني (١٢٨٤).

(٣) صرخة حق من ألمانيا (٩).

(٤) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في العالم العربي (السودان) الباب الثاني (١٣٩٢).

دفعه أو منعه، وإلا وصموا بالتعصب ونبذ الآخرين، وعدم القبول بالتعددية الدينية، ونحوها من شروط التقريب وأركانه.

وقد جرى في غضون العقود الثلاثة الأخيرة ما يندى له الجبين من ممارسات ومواقف ليس لها سابقة في تاريخ المسلمين، ولا تستقيم إلا على قانون الزنادقة والملحدين. وهذا مسردٌ بسجلّ العار، الموجب لسخط الجبار، سبحانه وتعالى حسب تسلسلها التاريخي:

١ - على هامش مؤتمر: «الإيمان بالله الواحد والجماعة الإنسانية. من أجل التعاون بين المسلمين والمسيحيين في أفريقيا على صعيد العمل والشهادة» المنعقد في «لاغون» - غانا - في رجب عام ١٣٩٤هـ، يوليو عام ١٩٧٤م^(١): (لبى المسيحيون دعوة المسلمين واشتركوا في صلاة الجمعة لمناسبة تدشين الجامع الجديد ضمن جامعة غانا، ثم حضروا في اليوم التالي حفلة تدشين هذا الجامع، كما أن المسلمين قبلوا دعوة المسيحيين، وحضروا صلاة الأحد)^(٢). وجاء في توصيات المؤتمر القيام بخطوات عملية للالتقاء بروحية المشاركة والتعاون، ما يلي: (الخطوة الأولى: يمكن إقامة صلوات مشتركة، من أجل تطور المجتمع ككل)^(٣).

٢ - ضمن فعاليات المؤتمر: «الإسلامي المسيحي الدولي الأول» المنعقد في «قرطبة» في شعبان عام ١٣٩٤هـ، سبتمبر عام ١٩٧٤م^(٤). (أقيم في المؤتمر حفل رمزي، ألا وهو إعادة فتح الجامع - الكاتدرائية

(١) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي من الباب الثاني (١١٤٩).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٥٧).

(٣) المرجع السابق (٥٩).

(٤) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (أسبانيا والبرتغال) من الباب الثاني (١١٨١).

في قرطبة، حيث أقيمت صلاة الجمعة، وفي اليوم التالي القُداس الإلهي^(١).

ولم تكن تلك «الجمعة» استهلالاً لاستئناف الصلاة الشرعية في رحاب المسجد المغتصب، بل كانت جمعة «يتيمة»، جمعة «رمزية» لمشروع التقريب بين الإسلام والنصرانية، كما وصف ذلك أحد كبار دعاة التقريب النصارى، ومؤسس جماعة «كريسلام»، الأب الأسباني «غاليندو» بقوله: (إن تلك الصلاة التاريخية في تلك الجمعة الموافقة ١٣ سبتمبر ١٩٧٤م، كانت بمثابة انفصام جديد لحجاب التاريخ، وصارت بمثابة معلم لبداية كيفية جديدة لرؤية بعضنا بعضاً، ولإقامة علاقات بيننا نحن المسلمين، والمسيحيين)^(٢). وجدير بالذكر أن تلكم الصلوات يشهدها طائفة من التقريبيين.

٣ - وفي اللقاء التخطيطي لمؤتمر: «الخطوات القادمة في الحوار الإسلامي - المسيحي» المنعقد في «كارتيني» - سويسرا - في شوال عام ١٣٩٦هـ، أكتوبر عام ١٩٧٦م^(٣). جاء في توصياته: (جميعنا مطلعون على التمييز الموجود لدى المسلمين بين «الصلاة الرسمية» و«الدعاء». إننا نشجع المشاركة المناسبة في الاحتفالات الدينية بعضنا لدى الآخر. ورغب بعضنا في أن يسمح له بالوجود الصامت في أوقات عبادة الجانب الآخر. كما أن بعضنا شارك في الصلوات والأدعية والتأملات، وصلى على نية بعضنا الآخر)^(٤).

ولا يُعلم كيف خرج «فقهاء» التقريب التعبد بالحضور الصامت،

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٦٨).

(٢) العقيدة للأمام (٧).

(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات مجلس الكنائس العالمي من الباب الثاني (١١٦٢).

(٤) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١١٣).

ولا كيف حرّروا مسألة «الاستنابة» في النية، في الصلاة الكنسية؟!

٤ - تكررت الصلاة المشهورة من الجانبين في جامع قرطبة، أثناء انعقاد مؤتمر: «الصدقة الإسلامي المسيحي الدولي الثاني» المنعقد في ربيع الأول عام ١٣٩٧هـ، مارس عام ١٩٧٧م^(١). (تجسيدا للاحترام المتبادل، الذي كانت صورته الواقعية - خارج قاعات المؤتمر - تتمثل في إقامة المسلمين لشعائر صلاة الجمعة... ثم في إقامة المسيحيين لقداس الأحد... وحرص المسلمون والمسيحيون على أن يشاركوا في الموقفين معاً)^(٢).

٥ - وفي آسيا، أثناء انعقاد مؤتمر: «الكنيسة والجامع، ومساهمتها في انسجام الأديان، والمصالحة بينهما» في نيودلهي في ذي القعدة عام ١٣٩٨هـ، أكتوبر عام ١٩٧٨م^(٣)، بلغ الانسجام والتصالح ذروته بين دعاة التقريب حتى (تتوج الاجتماع الأخير عفويًا، بصلاة مشتركة صامتة)^(٤). وليس في دين الإسلام صلاة صامتة، فضلاً عن أن تكون مشتركة مع أهل التثليث، فلا ريب أن تلك «الصلاة» جرت وفق طقوس النصارى الكهنوتية.

٦ - في سابقة مؤسفة خطيرة، شارك الشيخ أحمد كفتارو، مفتي سوريا، في يونيو عام ١٩٨٦م في الاحتفال بمرور ألف سنة على وجود وإنشاء الكنيسة الروسية^(٥). ولا يخفى ما يجري في احتفال كهذا في

(١) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (أسبانيا والبرتغال) من الباب الثاني (١١٨٤).

(٢) مجلة الفيصل عدد (٥) ذو القعدة ١٣٩٧هـ، أكتوبر ١٩٧٧م.

(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في آسيا (الهند) من الباب الثاني (١٣٢١).

(٤) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٢٧).

(٥) الدعاة والدعوة (٧٢٦/٢).

صنوف الشرك والكفر بالله العظيم، ونسبة الولد له، وأنه - سبحانه وتعالى - ثالث ثلاثة، فضلاً عن المعنى الشنيع المنطوي تحت الاحتفال بتأسيس «بيت عذاب» أمضى ألف سنة ينشر الكفر والشرك، ويصد عن سبيل الله، ويحيك المؤامرات ضد الخلافة الإسلامية العثمانية، أولاً، ثم يسوم مسلمي أواسط آسيا سوء العذاب، ويفتنهم عن دينهم.

٧ - «يوم الصلاة من أجل السلام»: في أسيزي:

لعل هذا الحدث المشين الذي دعا إليه البابا يوحنا بولس الثاني، مطلع عام ١٩٨٦م ممثلي جميع الأديان، وانعقد فعلاً في السابع من أكتوبر من العام نفسه، يعد أكبر تظاهرة دينية في تاريخ البشرية، يختلط فيها مسلمون مع أصناف كفرة أهل الكتاب، والمشركين، في يوم صلاة وصوم، تحت رعاية البابا والكنيسة الكاثوليكية، ونشبت أدناه وصفاً تفصيلياً لنشأة الفكرة وتنفيذها، كما وردت في المصادر الفاتيكانية ذاتها: (في يناير، ١٩٨٦م، أعلن البابا يوحنا بولس الثاني مبادرة، أخذت أناساً كثيرين بما فيهم الكاثوليك بالدهشة. فقد صرح أنه سوف يدعو قيادات من جميع أديان العالم إلى «أسيزي» في أكتوبر القادم، للمشاركة في يوم صلاة وصيام من أجل سلام العالم. وقد اختار بلدة أسيزي في وسط إيطاليا، لأنه مسقط رأس، ومقر القديس المسيحي «فرانسيس»، الذي ترمز حياته للعديدين، كنوع من القداسة المتواضعة، اللطيفة، المنفتحة على الآخرين، المتقبلة لكافة الإنسانية، إن المسيحيين والمسلمين سيتذكرون أنه في ذروة الحروب الصليبية، رفض فرانسيس النزعة المولعة بالقتال لكثير من معاصريه من المسيحيين، وبدلاً من ذلك رحل للقاء السلطان الملك الكامل بسلام وصدقة، في مصر. وفي سبيل تجنب أي شكل من «التلفيقية»، عرض البابا، أنه في يوم الصلاة من أجل السلام في أسيزي سوف تأخذ كل مجموعة دينية مكانها الخاص للصلاة، وبهذه الطريقة ستمكن كل مجموعة من الشعور بالحرية للتعبد بدقة، وفق تقاليدها الخاصة.

بعد الترحيب الأولي من البابا، أوصل مؤمنو كل مجموعة دينية إلى مكان صلاتها. فالمسيحيون، على اختلاف كنائسهم جعلوا في خدمة مسكونية في كاتدرائية القديس «روفينو» حيث يديرها البابا، أما الوفد الإسلامي، بمشاركة من اثني عشر بلداً، فقد أدوا صلاتهم الإسلامية (الصلاة الطقسية التي يفعلها المسلمون خمس مرات يومياً)، في دير القديس «أنطونيو»، مقر الطبقة الكهنوتية الاعتيادية الثالثة للفرنسيسكان.

أما المجموعات الدينية الأخرى - اليهود، البوذيون، الهندوس، الدينيون التقليديون، السيخ، الجينيون، البهائيون، الشنتويون، الزرادشتيون، فقد أدوا صلواتهم في مواقع مخصصة حول أسيزي، وخلال اليوم لوحظ الصوم.

وفي الطقس الأخير، التئم جميع المشاركين في ميدان قبالة باسيليكاً^(١) القديس فرانسيس، حيث رتل ممثلو كل مجموعة دينية صلاتهم بصوت عال، في حين أن الآخرين ينصتون بصمت بالغ الاحترام. وقد شكر البابا القادة الدينيين على حضورهم، وألقى الضوء على معنى ما أنجزوه سوياً ذلك اليوم في أسيزي، وقد ختم الطقس بإيماءات وإشارات السلام بين القادة الدينيين، وتهادي شتلات الزيتون، ليعاد غرسها في بيوت أوطانهم، ثم اشتركوا بأخوية، في وجبة طعام^(٢).

هذا وقد ظهر البابا يوحنا بولس الثاني في ذلك اليوم، كما تدل الصور الملتقطة لوقائع الاجتماع، واسطة العقد، وقطب الرحى، لجميع

(١) الباسيليك: Basilica مصطلح يطلق على كاتدرائية كاثوليكية ذات امتيازات خصها البابا. انظر: المورد (٩٠).

(٢) Recognize The Spiritual Bonds.P. 93-94

القادة الدينيين، لا بوصفه مضيفاً بل (قدم نفسه للعالم بأنه القائد الروحي للأديان جميعاً، وأنه حامل رسالة السلام للبشرية جمعاء)^(١). إن تجنب التلقيفية، كما جاء في النص السابق، بأداء كل مجموعة دينية صلاتها الخاصة على حدة، لا يخرج دعاة التقريب من المسلمين من الحرج العظيم الذي أوقعوا أنفسهم فيه، وأهانوا دينهم الذي ينتسبون إليه بسببه، من عدة أوجه:

أ - المشاركة في مناسبة كفرية بدعية، تولى كبرها رأس النصرانية في العالم.

ب - وسم تلك المناسبة بسمة واحدٍ من أعمدة الدين النصراني المحرف، وهو القديس - عندهم - فرانسيس الأسيزي، الذي بلغ به الحماس لدينه، والتفاني في التنصير أن يقصد أحد ملوك المسلمين، الملك الكامل الأيوبي، بغية تنصيره.

ج - إنزال المشاركين المسلمين في دير شركٍ وتثليث، يحمل اسم كبير من كبار النصارى، القديس أنطونيو، ليؤدوا صلاة التوحيد، وفي مقر طائفةٍ كانت ولا تزال، تجوب بلاد المسلمين حاملةً صليب الشرك لتنصير أبناء المسلمين، هي طائفة الفرنسيسكان، تسير على خطى مؤسسها فرانسيس الأسيزي.

د - الانخراط، ويا للخي والعار، مع أمم الشرك والوثنية، في طقوسٍ كفرية، وتراويل شيطانية، قبالة بيت عذاب تجلله الصلبان الضخمة، والتساوير المنحوتة، ويؤمها إمام ضلالة! فوا حسرتاه! هل تلي القرآن العظيم، والذكر الحكيم، مع شنشنت الكهان، وما تنزلت به الشياطين على كل أفاكٍ أئيم؟ يستمعها دعاة التقريب ببالغ الاحترام،

(١) سلسلة تقارير. وزادة الشؤون، الإسلامية والأوقاف بالكويت الرقم المسلسل

كما يصف التقرير. فلم يبقَ ما يتجنبه البابا من التلفيقية، إلا أن يتقلد المشاركون الصלבان، ويتناولوا العشاء الرباني «الأفخارستيا»، ضمن طقوس القداس الكنسي.

وقد أخذت جمعية سانت إيجيديو على عاتقها تكرار هذه السنة السيئة، فصارت تدعو إلى إقامة الصلاة المشتركة بين الأديان من أجل السلام كل عام، على غرار يوم الصلاة في أسيزي، مضيئةً إلى ذلك ملتقيات فكرية ذات موضوعات متنوعة، تعقد تلك الصلوات والملتقيات في مواقع متنوعة في أوروبا^(١).

٨ - انتقلت إمامة الصلاة المشتركة لممثلي الأديان، من الغرب إلى الشرق، من مناصب الصלבان إلى بيوت الأوثان، حين دعا الراهب البوذي «إيتاي يامادا» ممثلي الأديان المجتمعين في أسيزي عام ١٩٨٦م، إلى احتفال بوذي في الرابع من أغسطس عام ١٩٨٧م، بمناسبة مرور ألف ومائتي عام على تأسيس أهم المعابد البوذية، قرب العاصمة اليابانية القديمة «كيوتو». ورقى المشاركون في الاحتفال، بما فيهم ممثلون لمؤسسات إسلامية مرموقة^(٢) جبل «هيي»، ليشهدوا طقوس احتفال وثنى. والله المستعان.

٩ - في أثناء سلسلة محاضرات مؤتمر: «الإصغاء إلى كلام الله المسيحية والإسلام» المنعقد في «مودلنغ» قرب «فيينا» - سويسرا - في أبريل عام ١٩٩٠م^(٣) دعا مدير معهد القديس جبرائيل اللاهوتي، د.

(١) راجع التعريف بجمعية سانت إيجيديو، ومؤتمرات الصلاة من أجل السلام في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (إيطاليا) الباب الثاني (١٢١٢).

(٢) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان. للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (٢٥) وانظر أيضاً: P.95 Recognize The Spiritual Bonds.

(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (النمسا) من الباب الثاني (١٢٦٩).

أندرياس بشته، إلى «ساعة صلاة» قائلاً: (إن وقوفنا معاً أمام الله هو في الأعماق موهبةً منحت لكل واحد منا في شخصيته الفريدة، وكرامة حياته. ولذلك هو يحدونا أن نقيم هذه المشاركة الروحية في اختلاف مذاهبنا، ونعبر عنها بواسطة الصلاة...

فنستمع في الجزء الأول من ساعة الصلاة المسيحية الإسلامية هذه إلى تلاوة تفسير من القرآن والكتاب المقدس، ثم نوجه كل منا بلغة إيمانه الخاصة، وقلبه المؤمن، كمسلمين، ومسيحيين، نوجه صلاتنا إلى الله^(١).

وقد وعظ القوم المتقاربين أحد المسلمين، بتفسير «تقاربي» لقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]. كما وعظهم أحد النصارى، بنص من سفر أشعيا. تلا ذلك قراءة لسورة الفاتحة من قبل المسلمين، وقراءة المقطع (أبانا الذي في السماوات) من إنجيل متى (٩/٦ - ١٣) للنصارى، ثم تسييح مشترك شبيه بما في سفر المزامير^(٢).

١٠ - في مؤتمر: «الأطفال العالمي» المنعقد في «برنستون» - الولايات المتحدة الأمريكية - الذي ضم مسلمين ونصارى ويهود وبوذيين وهندوس، في يوليو عام ١٩٩٠م، فقرة بعنوان: «الابتهاال من أجل أطفال العالم» عُرِّفت بما يلي: (الابتهاال هو صلاة أو دعاء يتكون من مجموعة من الابتهاالات يرفعها أحد الكهنة، ويرددها المصلون من بعده). وقد صُدِّرت جمل الابتهاال بعبارتين: (أنقذوا أطفالنا)، و(احموا أطفالنا). فلا ندري هل الكاهن يرفع ابتهاالاته إلى الواحد القهار، أم إلى أرباب متفرقين، وآلهة شتى.

(١) الإصغاء إلى كلام الله (١٨٥ - ١٨٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٨٧ - ٢٠٠).

والتصارى لا يبالون - في دينهم - أن يفعلوا ذلك، كما تفعل أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات مع غير المسيحيين، ومن بعدها المجمع البابوي لحوار الأديان، من توجيه التهنة بعيد الفطر، سنوياً، للمسلمين، ليستدرجوا المسلمين لخطوات مماثلة: ﴿وَذُورًا لَّوْ تَذَرُهُنَّ فَيَكْفُرْنَ﴾ [القلم]. ولن يعدموا من دعاة التقريب ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما التهنة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق. مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك. أو: تهناً بهذا العيد، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة فقد تعرض لمقت الله وسخطه)^(١).

هذا كلامه رحمه الله، وهو يلحظ الجانب الشخصي لفرد من المسلمين، فكيف إذا لُحِظ الأمر الجلل، والخطب العظيم، وهو السعي للتقريب بين دين الله الإسلام، ومن رغب عن ملة إبراهيم؟!!

خامساً: إجراء الدراسات الدينية المشتركة، ومقارنة الأديان:

إن من آثار دعوة التقريب بين الأديان العملية، النزوع نحو تأسيس دراسات دينية، ومبادلات ثقافية، ومقارنة بين مختلف الأديان، لا بنية إظهار تفوق دين الإسلام وعلوه على الدين كله، بل بهاجس

(١) أحكام أهل اللمة (١/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

إبراز أوجه التوافق والتشابه، ومحاولة طمس وإقصاء أوجه الاختلاف. ولعل هذه النزعة بدأت أول الأمر تحت غطاء «علم مقارنة الأديان»، وهو ليس من العلوم الإسلامية أو الفنون الشرعية^(١). ثم نما وتطور حتى صار يصب في قناة تقريب الأديان. ولعل أول من تنبه إلى هذه العلاقة بين «مقارنة الأديان» و«تقريب الأديان»، الكاتب الإسلامي الفاضل الدكتور محمد محمد حسين رحمته الله حيث كشف في محاضرة ألقاها عام (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) في جامعة طرابلس - ليبيا - بعنوان «الإسلام والعالمية» على اندراج اتجاهات المقارنة في منظومة العالمية، أو ما يسمى حالياً بـ«العولمة» بمعنى جعل العالم واحداً^(٢). فقال: (وليست الدراسات الحديثة في الدين المقارن، والأدب المقارن، والقانون المقارن، وعلم اللغة المقارن... وأشباهاها إلا فروعاً من هذا التصور)^(٣).

ودعاة التقريب بين الأديان يحذرون من أن تتجه مقارنة الأديان إلى نوع من البحث والتمحيص في ذات المعتقدات لتمييز الخبيث من الطيب، بل يهدفون إلى تلمس وجوه الشبه فقط، ففي البيان الختامي لأحد مؤتمرات التقريب بين الإسلام والنصرانية المبكرة، عقد في «لاغون» - غانا - رجب ١٣٩٤هـ - يوليو ١٩٧٤م، جاء بعد تعريف

(١) يقول الأستاذ محمد خليفة التونسي في مقدمته الحافلة لترجمته لبروتوكولات حكماء صهيون: (وقل مثل ذلك في علم مقارنة الأديان، التي يحاول اليهود بدراسة تطورها، ومقارنة بعض أطوارها ببعض، ومقارنتها بمثلها في غيرها، أن يمحوا قداستها، ويظهروا الأنبياء مظهر الدجالين) الخطر اليهودي (٧٨). وبذلك يتبين الفرق بين هذا المنحى اليهودي، والتراث الإسلامي المتمثل في دراسة «الملل والنحل» و«الفرق» و«المقالات» الذي يهدف إلى إبطالها وكشف عوارها.

(٢) راجع حقيقة التقريب. الباب الأول.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية (١٨٠).

«الحوار» ووسائله وأهدافه، هذا الاحتراز: (خوفاً من أن يعتبر الحوار، خطأ، نوعاً من المقارنة بين الديانات، للتعرف إلى معتقداتها بطريقة أكاديمية، تصبح هدفاً لذاتها)^(١). فهو بالتالي اتجاه يستبعد أي صورة من صور «الدعوة» و«المجاملة» و«المناظرة» و«المحاججة» التي جاء بها الإسلام، ونطق بها القرآن.

أما المطلوب حقاً، والمنقذ فعلاً، من قبل دعاة التقريب فله شواهد ماثلة، ومؤسسات قائمة، ترفع لواء البحث المشترك بين الأديان، ومن ذلك:

١ - في ختام سلسلة محاضرات «المسيحية والإسلام في لبنان»، التي عقدتها الندوة اللبنانية^(٢) في موسم عام (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م)، جاء في البيان الذي وقعه المشاركون من المسلمين والنصارى التوصية التالية: (يرى الجميع لزماً عليهم أن يسعوا لإنشاء معهد جامعي عالٍ للدراسات الدينية المقارنة، تشرق فيه المعرفة بحقائق المسيحية والإسلام، ويصبح قبلةً لجميع الباحثين عن هذه الحقائق بحثاً علمياً)^(٣).

وكان ذلك قد ورد على لسان «يواكيم مبارك» في محاضراته، وأيده في ذلك «صبحي الصالح»^(٤). بل قد دعا يواكيم مبارك (أن يحتل أستاذ مسلم منبراً مختصاً بالمسيحية في الجامعة اللبنانية، وأن يحتل مقابل ذلك، أستاذ مسيحي المنبر المختص بالأنظمة

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٦١).

(٢) راجع التعريف بالندوة ومناشطها في محاولات التقريب في العالم العربي (لبنان) من الباب الثاني (١٣٥٠).

(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٣٤).

(٤) انظر: عهد الندوة اللبنانية (٤٧٧، ٤٩٠).

الإسلامية)^(١). وقد ترجمت هذه الدعوات والمسعاي إلى واقع قائم في لبنان، ترعاه مؤسسات أنشأت لهذا الغرض، وعامتها بمبادرات نصرانية، وهي:

أ = معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، التابع لجامعة القديس يوسف، المؤسس عام ١٩٧٧م. وجاء في تعريفه: (يرمي إلى التعاطي مع الإسلام والمسيحية تعاطياً جديداً، انطلاقاً من الحقائق الأساسية التي يمتاز بها هذان التراثان... يأخذ على عاتقه تعميق التفاهم بين الإسلام والمسيحية)^(٢). وحقق المعهد فعلاً هذا الاشتراك على مستوى الأساتذة والطلاب والدراسات^(٣). ومن نتاجه المطبوع في هذا السبيل كتاب (طريقة التحليل البلاغي والتفسير. تحليلات نصوص من الكتاب المقدس ومن الحديث النبوي الشريف) في أكثر من ثلاثمائة صفحة، اشترك في تأليفه مسلمان ونصرانيان.

ب = مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، التابع لمعهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت في حريصا. وهو (يعني بتعزيز الحوار الفكري الأكاديمي البحث، الرامي إلى إظهار مواضع التعاون والتكاتف بين المسيحية والإسلام)^(٤).

وقد نشط هذا المركز الذي لم ينشأ إلا في عام ١٩٩٥م في حقل التأليف، بغرض إبراز أوجه التشابه بين الإسلام والنصرانية في

(١) المرجع السابق (٤٧٧).

(٢) عن نشرة صادرة عن المعهد.

(٣) راجع التعريف بالمعهد ومناشطه في محاولات التقريب في العالم العربي (لبنان)، من الباب الثاني (١٣٦٣).

(٤) من مقدمة مدير المركز مشير باسيل عون لكتاب (العدل في المسيحية والإسلام) (٥).

موضوعات محددة، فأصدر تسعة كتب، في بحر أربع سنوات^(١).

ج - مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، التابع لجامعة البلمند للطائفة الأرثوذكسية، المؤسس عام ١٩٩٥م. ويعقد المركز حلقات دراسية مشتركة، تصدر موادها بصفة كتب^(٢).

د - المعهد العالي للدراسات الإسلامية، التابع لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. ويقوم بتبادل الأساتذة مع المؤسسات العلمية النصرانية^(٣).

٢ - في الأردن أنشئ (المعهد الملكي للدراسات الدينية) عام ١٩٩٤م، و(هدفه الرئيسي: تعميق الفهم المتبادل بين الإسلام والمسيحية، عن طريق الأبحاث والحوار العلمي)^(٤).

وقد أصدر عشرين كتاباً خلال خمس سنوات فقط.

٣ - في تونس أسست مؤخراً: (مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات)^(٥)، لنفس الأهداف.

٤ - في المملكة المتحدة «بريطانيا» أنشئ (مركز دراسة الإسلام، والعلاقات المسيحية الإسلامية: عام ١٩٧٦م، إثر مؤتمر استشاري

(١) راجع التعريف بالمركز وإصداراته في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٦٧).

(٢) راجع التعريف بالمركز، ومناشطه في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٧٠).

(٣) راجع التعريف بالمعهد، ومناشطه في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (٣٧٣).

(٤) من نشرة تعريفية بالمعهد.

(٥) راجع التعريف بها في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٨٩).

دعت إليه كليات «سلي أوك». (ويهدف المركز أن يكون مكاناً للبحث والتعليم والإعلام، من أجل استكشاف تقاليد الإيمان في أوروبا، وأي منطقة أخرى من العالم... إننا نعلق أهمية كبيرة على دور المركز كمكان للأبحاث على أعلى مستوياتها، أبحاث تتناول مختلف العلوم الإسلامية، ومختلف مناطق العالم الإسلامي... تقديم دروس إعدادية، أو متخصصة)^(١).

٥ - تضمن (برنامج وستمنستر للتلاقي الديني) المنبثق عن أسقفية وستمنستر الكاثوليكية: (تنظيم فصول دراسية صيفية، قاعدتها الإدارية مكونة من ممثلين من مختلف المجتمعات، وموادها تدرس من قبل أساتذة يعلنون عقائدهم)^(٢).

٦ - في الولايات المتحدة الأمريكية أنشئ (مركز التفاهم الإسلامي المسيحي) عام ١٩٩٣م^(٣)، تحت رعاية جامعة جورج تاون، (يركز على اللقاء التاريخي واللاهوتي والسياسي والثقافي بين الإسلام والمسيحية... إن الكلية المركزية، وكلية الزيارات، تقدمان دورات في الإسلام، وتاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية)^(٤).

وبالإضافة إلى هذه المراكز التي أنشئت بغرض القيام بدراسات مشتركة، ثم معاهد عريقة في التنصير، وجمعيات تنصيرية ركبت موجة الحوار والتقارب، لتحقيق أهدافها التاريخية الدينية من أشهرها:

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٩٠).

(٢) Recognize The Spiritual Bonds. P.91 - 92

(٣) راجع التعريف بالمركز في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني (١٣٠٨).

(٤) صفحة تعريفية بالمركز من مقدمة كتاب: Christaiy Muslims

- ١ - معهد القديس جبرائيل اللاهوتي في مودلنغ - النمسا - .
- ٢ - معهد هارتفورد بالولايات المتحدة الأمريكية .
- ٣ - جمعية سانت إيجيديو بإيطاليا .
- ٤ - مركز الحوار في أوغوس - الدنمرك .

إن هذه المؤسسات البحثية المشتركة، التي تحمل اسم الدينين معاً، لتؤثر تأثيراً بالغاً في إشاعة فكرة التقريب، ولبس الحق بالباطل، وحجب الحقيقة الكاملة، بل هي أشد تأثيراً من مؤتمرٍ يعقد هنا أو هناك يصاحبه زخم إعلامي مؤقت ثم ينقطع. إذ هي تمثل عملاً مدروساً، يسير وفق خطة زمنية، لبلوغ أهداف معينة، تجعل الزمان والمكان، وتغير الأحوال، جزءاً من مشروعها.

ومن أخطر هذه المشاريع البحثية المشتركة ما دعا إليه بيان قرطبة، الصادر عن المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول، في شعبان عام ١٣٩٤هـ، سبتمبر عام ١٩٧٤م، وفيه:

(الدعوة إلى التأليف في حقل العقيدة، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان... تنقية المناهج والكتب الدراسية في العالمين المسيحي والإسلامي من الأخطاء التي تسيء إلى أي من الدينين)^(١). فهل يحلم هؤلاء التقريبيون أن ينسخوا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]. وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. وقوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢) وأمثالها كثير؟

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٧٠).

(٢) رواه مسلم (٣٧٦/١).

سادساً: عرض الإسلام بصورة مشوهة:

لقد أدى منهج التقريب بين الإسلام وسائر الأديان والملل، إلى عرض الإسلام بصورة شائنة، لا تعبر تعبيراً صادقاً عن صراحة الحق، ويرد اليقين الذي يحمله إلى الناس كافة. لقد بخس دعاة التقريب من الإسلاميين، الدين حقه حين نظموا في سلك سائر الأديان المحرفة، بله النحل الوثنية، أولاً، وانتقصوه ثانياً، حين حجّبوا دعوة التوحيد المشرقة التي بادأ بها رسول الله ﷺ أمم الأرض كلها: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَمَآلَوْاْ ٓإِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقُودَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آدِبَآءَ لِمَن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وأساءوا إليه وظلموا، حين ألبسوه ملابس طرائق دخيلة عليه، ثالثاً، ليتواءم مع قانون التقريب.

ولعل أبشع ممارسة في هذا السبيل، تقديم الإسلام بثوب الصوفية التي يهيم بها النصارى، لما فيها من مذاهب الحلول والاتحاد، وتمجيد رموز المتصوفة الملحدين، بوصفهم أئمة الإسلام، ورواد الفكر والتوحيد، وذم أهل السنة والحديث والفقهاء، ونبزهم بالجمود والتعصب والانغلاق، فنشأ عن هذه العملية المضلة أثران سيئان:

أحدهما: انصراف الباحثين عن الحقيقة، عن اعتناق الإسلام وزهدهم به، حيث لم يروا فيه سوى فلسفة صوفية منحازة عن الحياة والنشاط الإنساني الطبيعي، شأنها شأن فلسفات الهندوسية والبوذية الوثنية.

الثاني: انخراط بعض المخدوعين، في هذا اللون من البدع الكفرية، بحسبان أنها الإسلام. ونجد هذا الاتجاه، محبذاً عند كثير من دعاة التقريب في هذا العصر، ومن أمثلة ذلك:

■ يقول جارودي: (إن تجريم الصوفية هو جريمة ضد الإسلام... الصوفية هي باطنية الإسلام، فلعل إسلاماً بلا باطنية، إسلاماً مقتصرأ على طقوسه... هو إسلام ميت. وكل إحياء للفكر الديني للإسلام يمر عبر إعادة الاعتبار للتصوف)^(١).

فمن ثم قدّم روجيه جارودي صورة مضللة لرواد متحفه في «القلعة الحرة» في قرطبة، البالغ عددهم مائة ألف زائر سنوياً، حين عرّف لهم الإسلام من خلال ابن عربي الصوفي الوجودي، وابن رشد الفيلسوف.

■ يقول غاليندو، مؤسس جماعة كريسلام: (إن الصوفية هي الطريق لتوحيد الأديان)^(٢).

وقد عقدت مؤتمرات عديدة لإبراز دور المتصوفة، وتمجيد ذكرهم، في سياق مؤتمرات التقريب بين الأديان، كان منها:

* مؤتمر: «صوفيو الصحراء»: في دير سنينكا في فرنسا عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

* مؤتمر: «التصوف الإسلامي، والتصوف المسيحي»: في بالرمو - صقلية - عام (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م).

* مؤتمر: «يونس إمره: تجربة روحية وثقافية»: في روما عام ١٩٩١م، إحياءً لذكرى الشاعر الصوفي الباطني، الاثني عشري، التركي يونس إمره، وقد عزفت موشحاته في القصر البابوي.

* مؤتمر: «الإنسان كمصنغ إلى كلمة الله» في مودلنغ عام ١٩٩٠م، طغت عليه المحاضرات الصوفية.

(١) الإسلام في الغرب (١٦).

(٢) راجع محاولاته في الفصل الأول من الباب الثاني.

* ممارسات مجموعة (دار هشان) النصرانية في الباكستان مع دراويش الصوفية^(١).

أما السر الكامن وراء هذا التقارب بين النصارى والصوفية، فيتضح من هذا النص الرخو لأحد الصوفية المعاصرين: (ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرأة الصافية نور الشمس، قال الشاعر العربي:

إذا سكن الغدير على صفاء وجنب أن يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم)^(٢)

فمن ثم قال داعية التقريب والوحدة بين الأديان والوثنيات المنتسب إلى الإسلام، روجيه جارودي: (لقد فتنني كثيراً أولئك المتصوفة، الذين أدركوا بعمق يثير الدهشة حقاً تلك المسافة اللاغية، أو لنقل: الحضور الغائب بين الأنا الإلهية، والأنا البشرية)^(٣).

إنها لجريمة عظيمة، وصدّ عن سبيل الله، وإضلالٌ للخلق، أن يعرض الإسلام من قبل بعض دعاة التقريب بثوب صوفي، مضاهاةً للنصرانية، وتقرباً إلى زعاماتها، ومداهنةً لهم. وهم بذلك لا يقلون خطراً عن يشوهون صورة الإسلام بطرق أخرى، كالعنف والعدوان، إن لم يزدوا عليهم.

لقد تولد من هذا التضليل مواليد خداج، تمثلت في جماعات

(١) راجع محاولات التقريب بين الأديان في آسيا «الباكستان» في الباب الثاني.

(٢) سلامٌ للبشر (٥٨).

(٣) من مقابلة مع مجلة العربي ديسمبر عام ١٩٨٧م.

اعتنقت الإسلام بعقد الصوفية، وبدعها العقدية والعملية، ووجد ذلك في أوربا، منطلق دعوة التقريب، بكثرة. ويجمع هذا اللون من جماعات «الإسلام الأوربي» خصائص مشتركة منها:

١ - سلوك الطرق الصوفية المعروفة في العالم الإسلامي، من قادرية، ونقشبندية، وترقاوية.

٢ - إقامة علاقات مشبوهة مع الكنائس المحلية، والتوغل في التقارب الديني مع النصارى.

٣ - نبذ الإسلام بصفته الشمولية، والاندماج التام في البنية الاجتماعية والقانونية الأوربية، عن رضى.

ومن أمثلة هذه المجموعات المضللة:

■ جمعية قريش: (الجماعة الدينية الإسلامية في إيطاليا) ومقرها ميلانو^(١).

■ الجماعة الإسلامية في أسبانيا^(٢).

■ جماعة أصدقاء الإسلام في ألمانيا، في برلين^(٣).

ويروي شاهد عيان وقائع مؤتمر من مؤتمرات التقارب بين المسلمين الألمان، الذين يغلب عليهم التوجه الصوفي، ومواطنيهم النصارى، وهو مؤتمر: (نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً، والسماع من بعضهم بعضاً)، الذي عقد في مدينة فيتان رور عام ١٩٨٤م، إثر محاضرة «نوح وقوس قزح»، الذي قصد بها إظهار التشابه بين الديانتين، فيقول: (ثم تبع ذلك قداس وتراتيل وترانيم كنسية، مع

(١) راجع محاولات التقريب في إيطاليا، في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٢) راجع محاولات التقريب في أسبانيا في الباب الثاني.

(٣) راجع محاولات التقريب في ألمانيا في الباب الثاني.

أنغام الأرغن، فخيم على الجميع الوجوم والصمت، كأنهم في كنيسة يتعبدون..

ثم قدم البرفسور د.ع. خوري كاسيت مسجل عليها أناشيد الذكر، لكي يسمعها النصارى والمسلمون، ولسان حاله يقول: هكذا يذكر المسلم ويتعبد، فبدأ صوت الدف والدق على الطبل، ومن خلالها يسمع كلمة الله، الله (أل ل اه)، ء ل ل ه.. وتواشيع باللغة التركية^(١). كما أشار إلى بعض المظاهر التي لاحظها على تلك الفئة من المسلمين الألمان، ذوي النزعة الصوفية، رافقت أعمال المؤتمر مثل:

■ عقد اجتماع للمسلمين الألمان، في مكان مخصص لسكنى الكهنة والقسس، معلق فيه الصليب.

■ عقد المؤتمر في صالة فيها صورٌ عارية.

■ التساهل في تقديم وجبة تحتوي على لحم الخنزير لأحد المسلمين.

■ تركهم أداء صلاة المغرب مع المسلمين الأتراك - الجالية الإسلامية الكبرى في ألمانيا - وانشغالهم بالتحدث وشرب الشاي مع القساوسة^(٢). إلى غير ذلك من المظاهر التي تنبئ عن حقائق مؤسفة.

وقد أشار الأستاذ أنور الجندي إلى وجود (جماعة من الراغبين في الدخول في الإسلام، ترى أن التصوف بالمفهوم الباطني القائم على الرقص والموسيقى والتراويل، هو مدخلٌ إلى الإسلام في الغرب)^(٣). وهذا عين التشويه للإسلام، وإضلال الخلق. وقال في موضع آخر:

(١) صرخة حق من ألمانيا (١٤).

(٢) المرجع السابق (٣، ٧، ١٠، ١٣)،

(٣) تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوة (٢٠١).

(والبواضح أن الغرب يريد أن يغطي الفراغ الموجود عنده بمفهوم منحرف من التصوف، وأن يأخذ مسائل التمايل والدخول والغناء، الذي يجيزه بعض الفرق الصوفية الغالية، بديلاً للرقص الإيقاعي، وكله تهويم وتمايل، ولكن نحن نرجو أن يعلم المسلمون في الغرب أن الطريق الصحيح ليس هذا، وأن مفهوم أهل السنة والجماعة وحده هو القادر على هدايتهم وشفاء نفوسهم، وإعطائهم السكينة والإيمان العميق، أما استبدال ضلال بضلال فهذا من مؤامرات أعداء الصحة الإسلامية^(١) .

سابعاً: استغلال النصارى شعار التقريب لنشر دينهم.

لقد استغل النصارى شعارات التقريب والحوار بين الأديان لتحقيق مكاسب جديدة، والوصول إلى مواقع متقدمة في مخاطبة مختلف شعوب الأرض، ودعوتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى «النصرانية». فالتنصير بالمعنى التقليدي المعهود بات منبوذاً، وإن كان لا يزال قائماً، واعتبر في مناسبات عديدة نوعاً من قهر الضمير، لا سيما إذا كان مصحوباً بالابتزاز الخدمي، من طعام وكساء ودواء وتعليم وتوظيف، وصار محل إدانة من قبل الجميع، حتى من بعض النصارى أنفسهم^(٢). وبرزت فكرة «الحوار» و«التقارب» بديلاً عصرياً مناسباً للوصول إلى ذات الأهداف، لقد كان البابا يوحنا بولس الثاني واضحاً في الإفصاح عن دور التقريب والحوار، حول قضية «الحوار والبشارة» والعلاقة بينهما، الذي شغل بالهم عقب المجمع الفاتيكاني الثاني^(٣).

(١) المرجع السابق (١٧٧ - ١٧٨).

(٢) وهو ما يسمى بـ(الدياكونيا) أي: تنظيم الخدمة بمعنى استغلالها لأغراض أخرى. انظر: البيانات الصادرة عن مؤتمر لاغون عام ١٣٩٤هـ، وهونغ كونغ ١٣٩٤هـ، وشامبزي ١٣٩٦هـ.

(٣) راجع حقيقة التقريب عند الكنيسة الكاثوليكية في الباب الأول. (٣٤٣).

يقول البابا: (بسبب متغيرات الزمن الحديث، وانتشار عددٍ من المفاهيم اللاهوتية الجديدة، يتساءل البعض: هل أن الرسالة إلى غير المسيحيين لا تزال قائمة؟ ألم تستبدل بالحوار بين الديانات؟ أليس الترقى هدفاً كافياً؟ هل إن احترام الضمير والحرية لا ينفي كل عرض للاهتداء؟ ألا يستطيع المرء أن يحقق خلاصه في أية ديانة كانت؟ إذاً لماذا الرسالة؟

• وفي صدد الإجابة على هذه التساؤلات، يقول:

أحد العوامل الأشد خطراً لفقدان الاهتمام بالالتزام بالرسالة، هو الذهنية المطبوعة باللامبالاة، الكثيرة الانتشار، ويا للأسف، بين المسيحيين، والمبنية غالباً على مفاهيم لاهوتية غير صحيحة، ومتأثرة بـ«كل الأديان متساوية»... إن ثمة أيضاً أعداءً واهية يمكن أن تحولنا عن البشارة. والأكثر خداعاً هي بالتأكيد تلك التي يتوهم البعض إسنادها إلى هذه أو تلك من تعاليم المجمع. ويخلص إلى القول:

إن الحوار بين الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية.. إنه مرتبط بها، بنوع خاص، وهو تعبير عنها... تريد الكنيسة من خلال «الحوار» أن تكتشف «بذور الكلمة»، وأشعة الحقيقة، التي تنير الناس أجمعين... إن الحوار هو الطريق إلى الملكوت^(١).

ومن أقدم الكتاب المسلمين الذين نهوا على استغلال النصراني لأسلوب التقارب عن طريق الحوار، الكاتبان: مصطفى الخالدي، وعمر فروخ في كتابهما الرائد الشهير: (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) الصادر عام ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م حيث قالوا: (يصعب على المبشرين أن يتصلوا بالناس، وخصوصاً بالمتقنين، وذوي المكانة الاجتماعية، فلجأوا إلى وسيلة جديدة سموها «الحوار» تقوم على جمع نفرٍ من المتقنين، ذوي الكلمة المسموعة في قومهم على مناقشات علنية،

(١) مقتطفات من رسالة الفادي (١١، ٥٥، ٨٨، ٩٠).

لا تمت بظاهرها إلى التبشير، وإن كانت غايتها الحقيقية زعزعة العقائد، بجر الناس إلى القول والرد، ثم النفوذ من خلال الأخطاء والجمل المتشابهة إلى التأثير على ذوي النفوس الضعيفة...

والحوار بين المبشرين وبين أتباع الأديان غير المسيحيين أمر قديم، فإن عدداً كبيراً من المؤسسات الغربية، كالمدارس، والنوادي، وجمعيات الشبان والشابات، وسائل لحوارٍ مستتر كثيراً أو قليلاً - وغاية هذا الحوار زعزعة العقائد على ألسنة أشخاص معروفين في قومهم، والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان أقوى يداً، وأرفع صوتاً.

ومما يؤسف له أن نفراً قد حملهم تيار هذا الحوار إلى حيث لا يريدون^(١).

ويقول الدكتور ظفر الإسلام: (هذه الحوارات لا تفيد أحداً، إلا المبشرين الذين فشلوا فشلاً ذريعاً في جهودهم الميدانية لتنصير المسلمين، وهم يأتون إلى هذه الحوارات ليتعلموا المزيد عن الإسلام والمسلمين، وبالتالي ليصلحوا كتاباتهم، ويتقنوا أساليبهم التبشيرية. والواضح أن هناك أشياء لا يمكن تعلمها من الكتب وحدها)^(٢).

ومن جملة «الغنائم الباردة» التي كسبها النصارى من التقريب:

١ - استلال اعترافات صريحة وضمنية من محاورهم المسلمين، من دعاة التقريب، بصحة دينهم، وسلامة كتبهم، وصواب معتقدتهم، نصحت بها البيانات الختامية لمؤتمرات التقريب، ولم يجد دعاة

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية. مصطفى الخالدي، عمر فروخ، المكتبة العصرية - بيروت. الطبعة الرابعة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) (٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) نظرة على ظاهرة الحوار المسيحي الإسلامي مجلة البعث الإسلامي. جمادى الثانية ١٤١٠هـ (٦٩).

التقريب من المسلمين بدأ، عن وعي أو غير وعي، من إقرارها، والتسليم لهم بها، وهو أمرٌ لم يكن يحلم به النصارى طوال القرون الخالية، من المسلمين ومن شواهد ذلك:

■ في مؤتمر «بحمدون» عام ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م: (نعتقد نحن المؤمنين بالله تعالى وبوصاياهم...) (١).

■ في الدستور المقترح على مؤتمر بحمدون ١٩٧٥هـ - ١٩٥٦م: (المادة الثانية... فقرة ٣: التعاون على العمل لصالح العقيدتين. فقرة ٤: تشجيع دراسة القرآن والإنجيل) (٢).

■ وفي لقاء الفاتيكان عام ١٣٩٠هـ بين وفدٍ من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وأمانة السر الفاتيكانيّة، دعا البلاغ المشترك إلى تعزيز العلاقات الجيدة (فتقوى هذه الأخوة بين مؤمنين يشتركون في احترام كل القيم الدينية، والإيمان بالله) (٣).

■ في مؤتمر هونغ كونغ عام ١٣٩٤هـ، ١٩٧٥م: (إن كلا الديانتين الإسلامية والمسيحية تجدان رسالتهما نابعة من الله الرحيم... إننا ننتمي جميعنا إلى أسرة إبراهيم الروحية) (٤).

■ في مؤتمر قرطبة عام ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م: (إقامة تعاون إسلامي مسيحي لتأكيد الإيمان بالله... الدعوة إلى التأليف في حقل العقيدة، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين والمسيحيين، لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان) (٥).

(١) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٥).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي (٤٧٨).

(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٤٣).

(٤) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٧٦، ٧٧).

(٥) المرجع السابق (٧٠).

■ في مؤتمر طرابلس ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م: (يؤكد الجانبان إيمانهما بالله الواحد الأحد... إن كلا الجانبين يشجع على ترجمة الكتب السماوية إلى جميع اللغات)^(١).

■ في لقاء عمّان حول «قيم الحياة العائلية» مع الكنيسة الإنجليكانية عام ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، جاء في البيان النهائي: (من المفيد تلخيص معتقداتنا المشتركة، إذ يمكننا أن نعبر عنها بطرق مختلفة، وأن نفسرها أيضاً تفاسير متنوعة)^(٢).

■ وفي البيان الختامي المنعقد في مدينة «إبادان» النيجيرية، برعاية الكنيسة الكاثوليكية عام ١٤١٢هـ، ١٩٩١م توصية بـ(توعية المسيحيين والمسلمين كي لا يعتبروا مؤمني الديانة الأخرى كأنهم كفار، بل يعاملونهم بكل احترام)^(٣).

وهذا قليلٌ من كثير مما تزخر به البيانات الختامية المشتركة لدعاة التقريب، وما يلفظونه من قول في كتبهم ومقالاتهم، لا يحيط به جمع.

٢ - بناء الكنائس، ونشر الكتب التنصيرية، والسماح بالنشاط التنصيري في بلاد المسلمين. وكل ذلك يتم تحت شعار «الحرية الدينية»، و«التعددية» التي تعد من شروط التقارب وفروضة، وقد استغلها الجانب النصراني استغلالاً بشعاً، وصار يندد بالبلدان التي لا تفسح الطريق أمام جحافل مبشريه، ويصفها بالتعصب. بينما يفتح دعاة التقريب من المسلمين الباب على مصراعيه لها. ومن شواهد ذلك:

■ بعد ندوة الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م قطف الجانب النصراني أولى الثمار بافتتاح كنيسة

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (١٤٦).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٥٣).

(٣) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٧٧).

كاثوليكية في مدينة بنغازي الليبية عام ١٩٧٧م، بينما جنى المسلمون خيبة الأمل في إعادة افتتاح جامع قرطبة العريق للمسلمين، كما تمناؤا في البيان الختامي للمؤتمر السالف الذكر، الذي أذان أيضاً كل محاولة ترمي إلى مصادرة الكتب الدينية، أو منع تداولها في أي جزء من أجزاء العالم^(١).

■ في مؤتمر شامبيزي، عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م: (عبر المشتركون في اللقاء عن الأسف إذ منعوا من حق تشييد أمكنة عبادتهم: فالمسلمون المشاركون في اللقاء يعتبرون أن ذلك مناقضٌ للشريعة الإسلامية، ولمبدأ الحرية الدينية)^(٢).

■ في مؤتمر الأديان في السودان عام ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، أكد الدكتور حسن الترابي على: (أن التبشير عمل إنساني يحترم إنسانية الإنسان، وأن على العالم احترام التنوع الديني)^(٣).

وألغي العمل بقانون الهيئات التبشيرية الذي سن في مطلع الستينيات، ويمنعها من العمل في شمال السودان. فصار المنصرون يجوبون البلاد طولاً وعرضاً تحت حماية حكومة الإنقاذ. وفسحت لهم أجهزة الإعلام بث برامجهم التنصيرية، ونقل صلواتهم من الكنائس في الإذاعة والتلفاز^(٤). وجاء في «ميثاق الحوار الديني في السودان»: حرية الاعتقاد، والتعبير عنه، والعمل له).

٣ - ظهور النصرانية بصورة «الدين الأفضل»، وزعيمها «البابا»

(١) انظر بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي (١٤٦).

(٢) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٠٦). وراجع التعليق على المؤتمر في الباب الثاني.

(٣) جريدة الشرق القطرية. الأحد ٢٣ ذي القعدة عام ١٤١٣هـ ١٦ مايو عام ١٩٩٣م.

(٤) راجع محاولات التقريب في العالم العربي (السودان) من الباب الثاني.

بصفة «القائد الروحي للأديان»، كما جرى في يوم الصلاة من أجل السلام في أسيزي عام ١٩٨٦م، وما تلاه، وحرصه على الخطابة الجماهيرية باتباع مختلف الأديان، في مختلف بقاع العالم، والالتقاء بممثلهم أينما حل، باسم الحوار والتقارب^(١)، مما أوقع فتنة في قلوب الضعفاء المبهورين.

٤ - إحياء مطامعهم التاريخية في القدس:

لقد أتاحت روح التقريب بين الأديان للنصارى أن يجددوا أحلامهم الصليبية القديمة في بيت المقدس، وأن يجاهروا علناً بأن أولى القبلتين، ومسرى رسول الله ﷺ، ومحل ثالث المساجد التي يشد إليها الرحال، ليست ملكاً لأحد، ولا تختص بدين معين، بل انتزعوا من نظرائهم من دعاة التقريب الإسلاميين تصريحات لم يكونوا يحلمون بها، منذ أن استعاد صلاح الدين الأيوبي ﷺ القدس منهم.

وقد جاءت هذه الدعاوى على السنة أذعياء التقارب منهم، منذ المجمع الفاتيكاني الثاني، في عهد البابا بولس السادس، وحتى الآن، وقد تهيئوا للألفية الثالثة، وشدوا الرحال من كل مكان في العالم، للاحتفال بالميلاد في القدس والناصره وبيت لحم:

■ قال البابا بولس السادس في رسالته الموجهة إلى المؤتمر الإسلامي لزعماء الدول الإسلامية المنعقد في الرباط عام ١٩٦٩م (إن تمثيل الأديان التوحيدية الثلاثة في الأراضي المقدسة، وخصوصاً القدس، يمكن أن يكون بداية التوحيد والانسجام والسلام)^(٢).

وكان «الفاتيكان» قد انتقد عام ١٩٨٠م قرار إسرائيل بجعل القدس عاصمة لها.

(١) راجع «الرحلات البابوية» في الباب الثاني.

(٢) Inter - religioe Dialogue. The officia Teaching. P.169

وقد عقد لفيفٌ من دعاة التقريب من الإسلاميين والنصارى العرب، مؤتمراً في محرم عام ١٤١٧هـ، يونيو ١٩٩٦م بعنوان: «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس» منح فيه المتحدثون المسلمون رصفاءهم النصارى حق الشراكة في القدس:

■ فقال الدكتور يوسف القرضاوي: (هي ليست ملك الفلسطينيين وحدهم، بل هي ملك المسيحيين والمسلمين).

■ ودعا محمد مهدي شمس الدين إلى (إنشاء أمانة عامة، إسلامية مسيحية، تتولى الترويج لحماية القدس على مستوى العالم بين المسلمين والمسيحيين).

وتنمر ممثلو الطوائف النصرانية الشرقية:

■ فقال البطريرك الكاثوليكي، مكسيموس الخامس حكيم: (النتيجة الحتمية الواضحة هي أن القدس لا يمكن أن تكون لدولة واحدة، أو دين واحد من الأديان الثلاثة، بل يجب أن تكون مدينة السلام، وللأديان الثلاثة).

■ وقال الكاثيلوكس آرام الأول: (بسبب الوجه الديني، والدعوة الخاصة، والصفة العالمية، يجب أن يكون للقدس وضع خاص.. يجب أن يعلن عن وجهها العالمي، وصفتها الدينية، والأسرة العالمية يجب أن تكفل ثوابت هذا الوضع وديمومته)^(١).

ما كان ينبغي لأهل الإسلام أن يركنوا إلى الذين ظلموا، ويمكنونهم من أنفسهم، ويطمعونهم في خالص حقهم، وإن كان مغصوباً من قبل آخرين، مهما كانت التعلات، ولكنه شؤم التقريب الذي يقود إلى التنازلات، والمواضعة على الدنية في الدين.

(١) التصريحات الأربعة السابقة منقولة عن جريدة الحياة. العدد (١٢١٦٥) الأحد

٣٠ محرم ١٤١٧هـ، ١٦ يونيو ١٩٩٦م (٢) «شؤون عربية».

ثامناً: موالة اليهود والنصارى بعضهم بعضاً من دون المسلمين:

حمل دعاة التقريب من المسلمين قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُهُ﴾ [المائدة: ٨٢]، على كفرة النصارى الذين أصروا على شركهم، وقولهم إن الله ثالث ثلاثة، وليس على من آمن منهم بنبوته محمد ﷺ وما أنزل إليه، واتبعه، كما دلت الآية نفسها، وما بعدها: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ وَمِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ [المائدة]، وظلوا يستشهدون بها في كل مناسبة من مناسبات التقريب، ليثبتوا رحماً وولاء خاصاً مع عبدة الصليبان وأهل التثليث، يدلون به ويلمزون به اليهود، وما علم هؤلاء أن الفريقين في جبهة مشتركة ضد أهل الإسلام، كما شهد الله بذلك، وحذر عباده من موالاتهما، على حد سواء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥) [المائدة]، وقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يحتمل معنيين لا تعارض بينهما:

أحدهما: أن بعض كل ملة منهما ولي بعضها الآخر. الثاني: أن اليهود أولياء النصارى والعكس. قال ابن جرير رحمته الله: (عنى بذلك أن بعض اليهود أنصار بعضهم على المؤمنين، ويد واحدة على جميعهم، وأن النصارى كذلك بعضهم أنصار بعض على من خالف دينهم وملتهم، معرفاً بذلك عبادة المؤمنين أن من كان لهم أو لبعضهم ولياً، فإنما هو وليهم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين، كما أن اليهود والنصارى لهم حرب، فقال تعالى ذكره للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضاً بعضكم أولياء بعض، وللإهودي والنصراني حرباً كما هو لكم حرب، وبعضهم لبعض أولياء، لأن من والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان

الحرب، ومنهم البراءة، وأبان قطع ولايتهم^(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله: «بعضهم أولياء بعض» يتناصرون فيما بينهم، ويكونون يداً على من سواهم^(٢). وهذا هو الواقع قديماً وحديثاً، وليس المقصود حشد دلائل ذلك من مسلك عامة اليهود والنصارى، فذلك له ديوان حافل، بل المقصود هنا إثبات وقوعه وصدوره من أدياء التقارب، على كلا المعنيين السابقين. فمن ذلك:

أ - موالاة النصارى لليهود في اغتصابهم أرض فلسطين، واضطهاد أهلها المسلمين بالقتل والسجن والتشريد، على مدى نصف قرن، بل يزيد، وامتناعهم عن الإدانة العلنية الصريحة لإسرائيل منذ إنشائها، ومن شواهد ذلك:

١ - في أول مؤتمر تشهده المنطقة العربية، من مؤتمرات التقريب، وهو مؤتمر بعمدون المنعقد عام ١٩٥٤م، أي بعد ست سنوات من إعلان دولة إسرائيل، وتشريد الفلسطينيين، وإيقاع المذابح المروعة بهم، يقول مدير الأبحاث والنشر في جمعية الأصدقاء الأمريكيان للشرق الأوسط، مجيباً على سؤالٍ عن «مشكلة الشرق الأوسط»: «إننا هنا نبحث أموراً علمية، ولن نتدخل في الأمور السياسية»^(٣). ثم صدر عن المؤتمر بيان لا يحمل أدنى إشارة إلى الوضع المأساوي، والعدوان الغاشم الظالم، الذي لا يبعد عن ضاحية بعمدون سوى عشرات الكيلومترات. وتحت الضغط والنقد الشديدين ألحق بالبيان «وصية» تتعاطف مع اللاجئين المطرودين، وتحيلهم على الأمم المتحدة، ولا تشير ببعض كلمة إلى من طردهم، وأخرجهم من ديارهم^(٤).

(١) جامع البيان ٢٧٦/٦ - ٢٧٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٢/٣٠٤).

(٣) هرطقات فريسية (٨).

(٤) انظر: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (١٥، ١٦).

٢ - في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في طرابلس - ليبيا - عام ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، نشب خلافٌ بين دولة ليبيا، ودولة الفاتيكان، صاحبتَي المبادرة في عقد المؤتمر، حول البندين (٢٠، ٢١) من البيان الختامي اللذين ينصان على إدانة الصهيونية - وليس اليهودية - باعتبارها حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين، وعلى تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في العودة إلى دياره، وعلى عروبة القدس ورفض التهويد. وتحفظ الوفد الفاتيكاني على البندين لحين بت الكرسي الرسولي في مضمونها، الذي امتنع عن التصديق عليهما لاحقاً، لتضمنها إشاراتٍ سلبية إلى الصهيونية^(١).

٣ - وظلت مؤتمرات التقريب تتجنب التعرض لوضع إسرائيل، باستثناء مؤتمر قرطبة الذي سبق مؤتمر طرابلس بستين^(٢)، بل قد بذلت جهود لتطبيع العلاقات بين إسرائيل وجيرانها المسلمين، وإحلال سلام يقر اغتصابها للأرض المسلمة، والمقدسات الإسلامية، بعضها دولية، وبعضها تحت مظلة تقارب الأديان كان منها:

■ مؤتمر: «سلمنكا للحوار الثلاثي عام ١٩٨٦م».

■ مؤتمر: «فهم الآخر في سان أوغسطين، قرب «بون» عام ١٩٨٨م»: ضم مسلمين ونصارى مقدسين ويهود إسرائيليين.

■ مؤتمر: «الحوار بين الأديان والسلام في الشرق الأوسط، في طليطلة عام ١٩٨٨م» وفي نفس العام اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل في الوجود. ثم كان مؤتمر «مدريد» عام ١٩٩٢م الذي أعطى اليهود الاعتراف التام، والشرعية المطلقة، من مختلف الفرقاء.

(١) بحوث ووثائق ندوة الحوار (١٥١).

(٢) انظر البيان الختامي للمؤتمر في البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (٧١)،

٤ - قامت الكنيسة الكاثوليكية، (الفاتيكان) بالاعتراف بإسرائيل عام ١٩٩٣م، وأقيمت علاقات دبلوماسية بين الكيانين الدينيين اليهود والنصارى^(١).

إن سر هذا التأييد الظاهر والخفي هو العداء المشترك للمسلمين من جهة، والعقيدة النصرانية الأصولية المبنية على تفسيرات حرفية لنصوص العهد القديم، تفيد بضرورة وجود دولة لليهود في الأزمنة الأخيرة، كعلامة على عودة المسيح في الألفية السعيدة التي تخيلها يوحنا في رؤياه، إثر معركة هرمجدون^(٢). ومن ثم تكونت النظرة الإنجيلية الأصولية، بضرورة مساعدة إسرائيل، وتأييد مشروع جعل «القدس» عاصمة موحدة لليهود، للتسريع بعودة المسيح. وظل هذا الشعور يتنامى في الأوساط النصرانية عامة، والبروتستانتية خاصة، في مطالع الثمانينيات، حتى بلغ مجموع المنظمات الإنجيلية الموالية لإسرائيل في الولايات المتحدة مائتين وخمسين منظمة، تعكس آراء ورغبات نحو سبعين مليون أمريكي إنجيلي^(٣).

(١) انظر مجلة ٣٠ يوماً عدد (٤٠١) عام (١٩٩٧ - ١٩٩٨م).

(٢) هرمجدون: ليس الحديث عن معركة «هرمجدون» مقتصرًا على النخب المتعصبة من اليهود والنصارى، بل هو حديث الصحف والمجلات والشركات السياحية. ففي استطلاع عن «إسرائيل» نشرته مجلة GEOGRAPHICAL SUPPLEMENT الإنجليزية، في عدد يونيو ١٩٩٩م، ورد ضمن فقرات لتذكير زوار إسرائيل، ما يلي: (إحدى المواقع الأثرية في شمال إسرائيل، مساحة المعركة للأرض المقدسة «ميجيدو». خمسة وعشرون ميلاً جنوب غرب حيفا، وتعرف أيضاً بـ«هرمجدون»، هو المكان الذي يواجه فيه جيش الخير ووصية الرب، قوى الشر، ليعجل «بالمجيء الثاني». الطوائف المسيحية، وغالباً من أمريكا، تعتقد أن الموعد بات قريباً: (٧٢).

(٣) من الجماعات المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة مجموعات Moral Majority «الأغلبية الأخلاقية» الذي بلغ عددهم سبعين مليوناً، وأهم مبادئها:

١ - أراضي فلسطين والأردن هي أرض إسرائيل، دون سواها.

ب - موالاة النصارى بعضهم بعضاً في العدوان على المسلمين:

لقد انطلقت حركة التقريب بين الإسلام والنصرانية من حاضرة الفاتيكان، ومقر مجلس الكنائس العالمي في «جنيف»، في الوقت الذي كانت كثير من بلاد المسلمين تزرع تحت الاستعمار النصراني الغربي، كما في الجزائر مثلاً، أو تعاني من اضطهاد المتنفيذين فيها من النصارى، كما في قبرص وبعض دول آسيا كالفلبين، وأفريقيا كالحبشة.

وربما اعتذر بعدم الصلة بين الكنيسة، والقيادات السياسية للحكومات الغربية أو المحلية في دولة ما. ولو سلمنا - جلاً - بذلك، فما الذي كان يمنع دعاة التقريب من النصارى من إدانة الظالم، والانتصار للمظلوم، ولو معنوياً.

والشواهد على هذا الانخزال، وذلك الصمت المعبر، كثيرة.

فمن ذلك:

١ - صمت مؤتمرات جمعية الأصدقاء الأمريكيان للشرق الأوسط الثلاثة، بحمدون ١٩٥٤م، الإسكندرية ١٩٥٥م، بحمدون ١٩٥٦م، عن المجازر التي تعرض لها المسلمون في الجزائر وقبرص والفلبين والحبشة «أثيوبيا» وتنزانيا. وظلت المؤتمرات اللاحقة تتجاهل المظالم الواقعة على الأرض اليوم، وتدعو إلى نسيان مظالم التاريخ!

٢ - لم يتغير هذا المسلك من قبل أدعاء التقارب من النصارى،

= ٢ - لا تكتمل الشروط والهيئات لقيام السيد المسيح وانبعائه، إلا بعد قيام إسرائيل، وبناء الهيكل على موقع المسجد الأقصى، وإقامة مملكة داود.

٣ - لا بد من قيام صراع عالمي مدمر Armageddon تهزم في نهايته القوى المعادية للسيد المسيح Antichrist انظر: د. موسى الكيلاني، رئيس المجلس الإسلامي العالمي من كلمة له محفوظة لدى المؤلف (٣).

وانظر: مقالة (حمى سنة ٢٠٠٠) عبد العزيز كامل. مجلة البيان عدد (١٣٨) صفر ١٤٢٠هـ، يونيو ١٩٩٩م (٩١).

في السكوت عن إدانة الظالم وتجريم المجرم من بني ملتهم، حتى في عقد التسعينيات الميلادية، التي كشفت فيه الحقائق والمعلومات أكثر من ذي قبل. فقد وقعت فاجعة المسلمين في البوسنة والهرسك في قلب أوروبا المتحضرة! على بعد بضعة مئات من الكيلومترات من مراكز التقريب، ومعاهد الحوار، في روما وجنيف وفيينا، ولم تشأ تلك الجهات التي دأبت على التغني بالشعارات الإنسانية، وحقوق الإنسان، والحريات الدينية، أن تعين الظالم وتوجه له الاتهام، بل اكتفت بعزاء المظلوم، ودعوته إلى الصبر والغفران، لقد عقد في مطلع هذه المأساة المروعة لقاءان هامان:

أحدهما: يوم الصلاة من أجل السلام في البوسنة، دعا إليه البابا يوحنا بولس الثاني، في بلدة أسيزي في يناير عام ١٩٩٣م، وقصره على ممثلين للمسلمين والنصارى، من البوسنة وكرواتيا ومقدونيا وألبانيا وسائر البلدان الأوربية، وغاب عنه ممثلو الكنيسة الصربية الأرثوذكسية^(١)، ولم يصدر عن الملتقى أي إدانة للصرب، بل كان جملةً من الهمهمات حول السلام، الغرض منه بالدرجة الأولى تبرئة النصرية، والتنصل من المسؤولية.

وقد قامت جمعية سانت إيجيديو المعنية بالتقريب بين الأديان لاحقاً، بعقد لقاء بين البابا يوحنا بولس الثاني، وبطريق الكنيسة الصربية في روما لتفقية الأجواء^(٢).

الثاني: مؤتمر: «سلام للبشر»: الذي عقد في أبريل من العام نفسه ١٩٩٣م، بتنظيم من معهد القديس جبريل اللاهوتي، ومبادرة من وزير الخارجية النمساوي، وشهده عددٌ من كبار الشخصيات الداعية إلى تقارب الأديان من الجانبين على المستوى الديني والسياسي، ولم يصدر

(١) Recognize The Spiritual Bonds.P.99 - 101

(٢) من تقرير صادر عن الجمعية.

عنه، في بيانه الختامي، أدنى إشارة لإدانة الصرب والكروات على جرائمهم في حق مسلمي البوسنة، واكتفى بالدعوة إلى نبذ الحرب وإحلال السلام^(١).

وحين وضعت الحرب أوزارها في البوسنة، وأرغمت الضحية على التوقيع بمدادٍ من دمهـا على اتفاقية «دايتون» المجحفة المذلة، بالتنازل عن أراضيها، وحقوقها، شخص رهبان السوء والنفاق برؤوسهم، ولبسوا مسوح الضأن على قلوب الذئاب، فدعت جمعية سانت إيجيديو، الذراع السياسي غير الرسمي للفاثيكان، إلى ملتقى حاشد في روما عام ١٩٩٦م، بعنوان (السلام اسم الرب)! وراحوا يتبجحون في بيانهم الختامي قائلين: (الأديان لا تبعث الضغينة والحرب. إنها لا تسوغ إراقة الدماء البريئة، الأديان لا تريد الحرب، وإنما السلام، لا محل للقداسة في الحرب، فقط السلام هو المقدس... إننا نأمل أن يغسل هذا التيار من السلام أراضي الحرب، ويطفئ الضغينة، ويغذي الآمال لعالم بلا صراع. لقد نذرنا أنفسنا أن ننمي محبة السلام بين ظهراني أتباعنا المؤمنين... الحديث عن حروبٍ دينية مجرد هراء)^(٢).

هذه طريقة القوم، كما أخبر الله عنهم «بعضهم أولياء بعض» فحين تواتيهم الفرصة ينقضوا على المسلمين، ضاربين عرض الحائط بسائر دعوات التقارب والمحبة والحوار، فإذا نالوا مقصودهم عادوا إلى تخدير ضحيّتهم بعبارات التسامح والسلام حتى يقتنع، من جانب واحد، أن الحروب الدينية (الجهاد) مجرد هراء.

ومن عجبٍ أن يحضر ممثلو الصرب هذا اللقاء، ويوقعوا على بيانه الختامي! فمتى يستفيق دعاة التقارب، ويعتصموا بثوابت الكتاب والسنة، ويتعلموا من تجارب الماضي، وشواهد الحاضر؟

(١) راجع وقائع المؤتمر والتعليق عليه في الفصل الثاني من الباب الثاني (١٢٧٢).

(٢) البيان الختامي. وراجع النص الكامل في الفصل الثاني من الباب الثاني.

المبحث الثالث

شبهات دعاة التقريب بين الأديان وكشفها

على الرغم من صراحة النصوص الشرعية على بطلان فكرة التقريب بين الأديان، ومعارضتها للمعلوم من الدين بالضرورة من أوجه عديدة، وعلى الرغم من دلالة الواقع المعاش الذي أفرزته هذه الدعوة من آثار ينفر منها كل مؤمن، وتآبها فطرته وعقيدته، كما أوضحنا في المبحثين السابقين، إلا أن هذه الدعوات استهوت نفراً من المسلمين العصريين، وأشربوا حبها، فاندفعوا إلى الانخراط في برامجها، وإحياء مجامعها، وترديد شعاراتها التي صاغتها الدوائر الكنسية الغربية. وطفقوا يتلمسون المسوغات الشرعية، ويتذرعون بالعلل المصلحية لتصحيح طريقهم البدعي الذي تنكّبوه، وفارقوا به سبيل السابقين الأولين من المؤمنين والتابعين لهم بإحسان.

وقد أوتي هؤلاء العصرانيون جدلاً، وقدرةً على تشقيق الكلام، وتحريف الكلم. وعامة ما يتشبهون به:

- * إما استدلال بنص شرعي على غير وجهه الصحيح.
- * وإما إعمالاً لنصوص شرعية، وإهمالاً لأخرى لا يتم الحق إلا بالأخذ بهما معاً.

* وإما اعتقاد مصلحة ما معتبرة، وهي في واقع الأمر ملغية.

وكل ذلك ناتج عن جهل بالشرع، وهوى متبع، وإعجاب بالرأي، ورقة في الدين. وإلا فقد «وضح الصبح لذي عينين».

وسوف نستعرض أدناه أهم الشبهات التي يزوق بها دعاة التقريب

بضاعتهم المزجاة، وبعضها مما ألمنا به سابقاً - عَرَضاً - في ذكر بواعثهم، أو في تبين حقيقة التقريب عندهم في الباب الأول. فنثبت أدنى كل شبهة بضع نقول كاشفة لمرادهم، ثم نتبعها بالمناقشة والرد. والله المستعان.

الشبهة الأولى: التقريب بين الأديان وسيلة لتحقيق «التعارف» المذكور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

■ يقول د. أحمد صدقي الدجاني: (والإسلام يقرر أن الله خلق الناس من ذكرٍ وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا... أحد الأهداف التي لها أولوية، هدف التعارف، الذي يتحقق من خلال معرفة الآخر على حقيقته، وتصحيح الصورة الذهنية عنه، الحافلة ببركाम من الأحكام المسبقة، وسوء الفهم، اللذين يفرقان بين أتباع الديانتين)^(١).

■ ويصف د. يوسف الحسن «الحوار» بأنه: (تقليد حضاري، وفعل ثقافي رفيع). ويعرب عن مدى حاجة البشرية إلى التعارف مستدلاً بآية الحجرات، ثم يقول: (هذه هي رسالة الحضارة القائمة على الإيمان بوحدة الأصل البشري، وعلى مبدأ التعارف، والتسامح الثقافي في مواجهة نفي الآخرين، وعلى الرغبة المشتركة في بلورة قيم إنسانية، تبطل المناخات المفعمة بالمخاوف)^(٢).

■ ويجعل د. عبد العزيز التويجري «التعارف» على رأس قائمة أهداف الحوار من منظور إسلامي ويفسر التعارف في آية الحجرات بقوله: (فالتعارف هنا يتسع ليشمل التعاون والتعايش، وكل ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر)^(٣).

(١) مجلة «الإسلام اليوم» عدد (١٢). مقالة: آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخرى واستشرافها بالحوار (٣٩).

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات (٣).

(٣) الحوار والتفاهل الحضاري من منظور إسلامي (٢٢).

وهذا تأويل عصري حادث لقوله تعالى «لتعارفوا». وهو معنى درج دعاة الحوار والتقريب على ذكره، وغالباً ما يستنسخ بعضهم من بعض، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع إلى التفاسير المعتبرة للكشف عن مراد الله منه، كما فهمه سلف الأمة. قال ابن جرير رحمته الله: (وقوله «لتعارفوا» يقول: ليعرف بعضهم بعضاً في النسب)^(١). وقال ابن كثير رحمته الله: (أي ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته)^(٢). وهذه طريقة عامة المفسرين.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نقل بعض دعاة التقريب معنى «التعارف» الذي حمله هؤلاء على التعرف على الآخر، والتعاون معه، وبلورة قيم مشتركة، إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو «الاعتراف»:

■ يقول د. موسى الكيلاني بعد استدلاله بالآية السابقة: (فالمعرفة هي محور الحوار، والاعتراف المتبادل هو ركنه وأسه)^(٣).

■ ويعدد د. شوقي أبو خليل بعض المواقف التاريخية لمعاملة المسلمين لأبناء البلدان المفتوحة (كشواهد على الاعتراف بالآخر واحترامه)^(٤). ويذكر منها دونما إحالة أو توثيق: (وفي مطلع القرن الثالث الهجري، عقد في مدينة مرو حواراً بين الأديان، من غير مجاملات أو مدهانات. جمع هذا الحوار الجاثليق كبير النصارى، ورأس الجالوت زعيم اليهود، والهريد الأكبر ممثل الزرادشتية، وعمران الصابئ قطب الصابئة، والفيلسوف قسطاس الرومي، وجمع من

(١) جامع البيان (٢٦/١٤٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/٣٨٥).

(٣) من كلمة له محفوظة لدى الباحث.

(٤) الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب. هاني المبارك، شوقي أبو خليل. دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ -

١٩٩٧م). (٦٥).

المتكلمين. حوارٌ سبقه الاعتراف بالآخر، والعيش معه بحرية وانفتاح^(١).

وعلى فرض ثبوت هذه الواقعة، فما من شك أنها كانت مجلس مناظرة ومجادلة - من غير مجاملاتٍ أو مDAHنات، كما وصف أبو خليل - وليست من ضرب الحوار السائد حالياً من تحاشي أوجه الخلاف العقدي، والاقتصار على أوجه الاتفاق. وعلى أي حال فهو مجلس لم يشهده أهل السنة والجماعة، بل حضره المتكلمون.

■ ثم تحول تأويل «لتعارفوا» من منح الاعتراف لغير المسلمين إلى طلب الاعتراف منهم واستجدائهم والتوق إلى ذلك، كما يقول د. رضوان السيد: (وبدا من ناحية أخرى توق المسلمين الشديد ليعترف بهم المسيحيون ديناً مستقلاً، كما اعترف بهم الإسلام باعتبارهم أهل كتاب)^(٢).

■ ويقول الأستاذ كامل الشريف في تعداده لمنطلقات الحوار في العصر الراهن: (إن الحوار من وجهة النظر الإسلامية، ينطلق من الاعتراف بالأديان السماوية السابقة وكتبها المقدسة ورسُلها الكرام، ويدعو الطرف الآخر لمثل هذا الاعتراف، حتى تكتمل قاعدة الحوار البناء)^(٣).

وقد تعقبه الدكتور محمد رشيد في نقده القيم لمقالته، بالقول: (في رأيي أن هذا المنطلق الثاني للحوار لا يمكن حدوثه. إن كلمة

(١) المرجع السابق (٧٦).

(٢) مجلة الاجتهاد (١٠/٢٨).

(٣) من كلمة له في اللقاء الإسلامي المسيحي الرابع عام (١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م) المنعقد في عمان بعنوان: آفاق المستقبل للتعايش الإسلامي المسيحي في ديار الإسلام في ضوء التجارب السابقة، وقد نشرت في مجلة أرض الإسماء عدد (١١٥) رجب ١٤٠٨هـ (٣٣).

«الاعتراف» لها معنى خاص. فالديانة اليهودية كانت صحيحة حتى نسختها الديانة المسيحية. والديانة المسيحية كانت صحيحة حتى نسخها الإسلام. فالاعتراف باليهودية معناه الاعتراف بها كدين أنزل قبل مجيء عيسى عليه السلام، والاعتراف بالمسيحية، معناه الاعتراف بها كدين جاء به عيسى عليه السلام ناسخاً لأمر وجدته في تعاليم اليهودية. ولا يتصور أن يعترف اليهود بالمسيحية، إلا بالدخول في المسيحية. كما لا يتصور أن يعترف المسيحي بالإسلام، إلا بدخوله في الإسلام^(١).

ولكن دعاة التقريب يطلقون الكلام على عواهنه في مسألة «الاعتراف» بالدينين السابقين بما يوهم أنهما لا يزالان دينين صحيحين باقيين لم ينسخا، وربما اعتقد بعضهم ذلك. ويفعلون هذا لعلهم أن يظفروا باعترافٍ مقابل، وأنّى لهم، كما أوضح الدكتور رشيدى.

إن التقرب من الأديان الباطلة أو المنسوخة بدعوى تحقيق هدف «التعارف» شبهة داحضة، وتأويل فاسد، وتفسير بالرأى لا يستند على بينة أو إثارة من علم.

يقول د. ظفر الإسلام خان: (لا تتعدى ظاهرة الحوار المسيحي الإسلامي الحاضرة أكثر من عقدين من الزمان. وكانت المواجهات الإسلامية المسيحية القديمة تختلف كثيراً عن هذه الحوارات، وكان الرسول الكريم ﷺ قد تحدث إلى نصارى نجران، كما كان الخليفة عمر بن الخطاب قد تحدث إلى رؤساء الكنيسة بالقدس، وقام المسلمون في القرون التالية بالمباحثة مع النصارى واليهود في مختلف أرجاء العالم الإسلامي. ولم تكن تلك المباحثات مناقشات ودية تهدف إلى «الاعتراف المتبادل»، بل كانت مناظرات تحاول دحض معتقدات

(١) النقد المذكور صادر عن مكتب رابطة العالم الإسلامي في جاكارتا في مذكرة

محفوظة لدى الباحث (٨).

الطرف الآخر. ولم يشعر المسلمون بضرورة «الحوار» العاجلة يوماً ما، وإنما جاءت المبادرة من الكنائس الغربية لعددٍ من الأسباب الدينية والسياسية... والإسلام في حقيقة الأمر، دين التبليغ والدعوة، وهو لا يسعى إلى الحصول على اعترافٍ به من قبل الأديان الأخرى أو المؤمنين بها^(١).

الشبهة الثانية: التقريب وسيلة للدعوة إلى الله، وتفهمها من قبل الغرب:

■ يضع الدكتور حسن الترابي على رأس دواعي «الحوار» ومبرراته، ما يلي:

■ (أ) - إنه ضرورة شرعية لتبليغ الرسالة، وحمل أمانة الدعوة، فالأصل هو التفاعل التبليغي، وعدم جواز السكون^(٢). وذاك لعمر الله هدف مشروع، ووسيلة شرعية معلومة، حين يكون الحوار «حوار الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن» لإظهار دين الله على الدين كله، بالحجة والبيان، فحيّلاً. وأما حين يكون «حوار التقريب بين الأديان» فلا، ولا كرامة. وهذا مثار الحذر والريبة، فإن كثيراً من دعاة التقريب يزفون دعواهم إلى التقارب بثوب الدعوة، ويزوقونها بجملة من المحسنات اللفظية ذات المدلولات الشرعية المعتبرة، ولكن ليس تحتها شيء من الحقيقة الشرعية فعلاً، كما يشهد واقع المثات من مؤتمرات الحوار التي لم تحقق شيئاً من مقاصد الدين الحنيف، بل لبّست الأمر على كثير من الناس.

ومما يدل على أن الحذر في محله، قول الترابي في ذات المحاضرة: (وكيفما كانت وسائل إدارة الحوار مع الغرب، فلا خطاب

(١) مجلة البعث الإسلامي الهندية. عدد جمادى الثانية ١٤١٠هـ (٦٥).

(٢) محاضرة: أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب، نشرة شؤون الأوساط عدد ٣٦ ديسمبر ١٩٩٤م (٩١).

بينهم وبين علمائنا التقليديين، الذين ليس لهم مع الغرب، بل ليس لهم معنا نحن الإسلاميين الذين نسعى لتنزيل الإسلام على الواقع المعاصر، من تفاهم على قضايا فكرية كثيرة. ذلك أنهم يحفظون فتاوى قديمة، أو نصوصاً نزلت على واقع قديم، تجاوزته مستجدات العصر^(١).

ترى هل عرف تاريخ الإسلام هذا التصنيف الذي يفرق بين «العلماء التقليديين» و«الإسلاميين»؟ وهل كان أهل الإسلام ودعائه إلا العلماء العاملون الذين حفظوا نصوص العلم، وطفقوا يدعون الناس إليه؟ ومن تلك الفئة المحدثّة التي حكم عليها الترابي بنفسه أنها لا تنتمي إلى أهل العلم، ولا تتفاهم مع أهله في قضايا فكرية كثيرة، ولا تحفظ نصوصه، وفي نفس الوقت تسعى لتنزيل الإسلام على الواقع المعاصر؟! وما هي مؤهلاتها إذاً لتنبري عن جدارة! بواجب تبليغ الرسالة، وحمل أمانة الدعوة؟ لقد أجاب الترابي عن هذه التساؤلات، ووَصَّف تلك الفئة بقوله: (أحسب أن المثقفين من الإسلاميين، سواء في أوروبا أو الذين درسوا هناك، وعاشوا في الغرب وخبروه، هم أقرب لأن يصلوا هذه الصلة، ويديروا الحوار)^(٢). فهل أتى الإسلام إلا من اتخاذ هؤلاء الجهال أئمة.

إن الدعوة إلى التقريب بين الأديان لا يمكن أن تكون بحالٍ من الأحوال دعوةً إلى الله، لأنها تحمل في ذاتها الحيدة عن دين الله، والتنصل عن بعض ما أنزل الله، سواء جرى ذاك التقريب في مجال العقائد والمفاهيم، الذي يخلط الحق بالباطل أو في مجال العلاقات بين أتباع الدينين الذي يقضي على الولاء والبراء.

وأين ثمار هذه الدعوة المزعومة وآثارها منذ أربعين سنة في نشر

(١) المرجع السابق (٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨١).

دين الله، ودخول الناس فيه أفواجاً؟ إنه لا يعلم أن أيّاً من ملتقيات الحوار التي يغشاها دعاة التقريب من الإسلاميين قد تمخضت عن إسلام شخص واحد. والسبب بسيط جداً، هو أن هؤلاء التقريبيين لا يعتمدون في خططهم «الدعوية» المزعومة أسلوب الدعوة المباشرة، ومبادأة الطرف المقابل بالجملة القرآنية التي يبتدئها جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤، المؤمنون: ٢٣، ٣٢] لأنها في نظرهم نصوص قديمة، نزلت على واقع قديم، تجاوزته مستجدات العصر، والعصرانيين^(١).

الشبهة الثالثة: التقريب وسيلة للتعاون بين أتباع الأديان لمواجهة الإلحاد والفساد:

■ يقول الشيخ أحمد كفتارو: (لقد جعل القرآن بين المسلمين والمسيحيين رابطة روحية يعيشون تحت ظلالها في سعادة، متكاتفين متعاونين... فلم لا نرى في عصرنا هذا مثل هذا التفتح والتعاون، والتلاقي فيما بيننا، ولا سيما أن الإلحاد يكاد يلف العالم بظلامه... ضمن هذه القاعدة: «نتعاون على ما نشترك فيه، ونتسامح فيما يختلف فيه من فروع»^(٢)).

■ يقول د. يوسف القرضاوي في مستهل تعدادة للأهداف المشروعة من الحوار بين الإسلام والنصرانية: (... الوقوف في وجه

(١) رسم الدكتور حسن الترابي ما أسماه استراتيجية منظومة شاملة للحوار مع الغرب، أدرج فيه اثنين وأربعين عنواناً في قضايا الحوار المقترحة في جميع الشؤون، حتى الفنون والألعاب الرياضية، ولم تتضمن عنواناً واحداً في التوحيد الذي دعت إليه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. انظر: المرجع السابق (٩١ - ٩٣).

(٢) الدعاة والدعوة (١/ ٥٦٠).

تيار الإلحاد والمادية، الذي يعادي كل الرسائل السماوية... وكذلك تيار الإباحية والانحلال الخلقي^(١).

■ ويقول الأستاذ كامل الشريف بعد عودته من ندوة جارودي الإبراهيمية في قرطبة عام ١٩٨٧م، تحت عنوان «التعاون ضد الفساد»: (.. بالنسبة للمسلمين - بالذات - فهم لا يملكون أن يكونوا على الحياد، أو يتصرفوا وكأن الأمر لا يعنيهم. ذلك أن أكثر الأفكار والتيارات التي تهدد قضية الإيمان والحياة والأخلاق تبرز في منطقة نفوذ الكنيسة، ابتداءً بشبح الحرب النووية، وانتهاءً بالأزياء التي ينقصها الاحتشام، مروراً بالجديد المبتكر من السموم والمخدرات. أما في ميدان الأفكار، فإن الشيوعية والوجودية والعلمانية بكل مدارسها هي صناعة أوربية ترعرعت هناك قبل أن تجد لها مرتعاً في الفراغ العقائدي الذي يخيم على ديارنا... ولعل من الإنصاف القول أن الكنيسة أخذت تحارب بذلك وشجاعة في كل هذه الميادين، إلا أن الطرف المتلقي يظل عندنا. ومن هنا تبدو أهمية التعاون المقترح في هذه الميادين. إنها معركة تدور في النبع وعند المصدر ومن صالحنا أن ندخل فيها. ولو لم تنهض الكنيسة للعمل لكان لزاماً علينا أن نحرضها على ذلك^(٢)).

لعل هذه الشبهة هي أقدم شبهات التي جلبت دعوة التقريب بين الأديان إلى بلاد الإسلام، حين وفدت بين يدي مؤتمر بحمدون عام ١٩٥٤م^(٣). وهي شبهة قديمة تتجدد بتجدد ألوان الإلحاد والفساد وصوره، فحتى بعد سقوط الشيوعية برزت «العولمة» خصماً جديداً تناط به دواعي التعاون والحوار لمجابهته.

(١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (١٧٥).

(٢) مقالة: (الحوار الإسلامي المسيحي) جريدة «الدستور» الأردنية. الاثنين ٢ / ٣ / ١٩٨٧م (٧).

(٣) راجع التعريف بهذا المؤتمر في الباب الثاني (١٠٨١).

ولا شك أن «أهل الكتاب» من اليهود والنصارى خير من «الذين لا يعلمون»، من الوثنيين، والملحدين القدامى والمحدثين، كما أنه من دواعي فرح المؤمنين أن ينتصر «أهل الكتاب» على الوثنيين والملحدين، كما فرح المؤمنون الأوائل بغلبة الروم النصارى للفرس المجوس، بعد أن بشرهم الله بذلك. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ ۖ غَلَبَتِ الرُّومُ ۖ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَرْتَبِعُونَ ۚ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ قَبْلَ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [الروم]. ولكن التمييز بين أصناف الكفرة شيء، والتقارب معهم والتعاون بدعوى مواجهة الإلحاد والفساد شيء آخر، ولا يجوز الربط بينهما. ذلك أن للإسلام دعوته الخاصة ومنهجه المتفرد في هداية الخلق، وانخراط دعاة التقريب في برامج مشتركة مع اليهود والنصارى يفضي إلى تصويب اليهودية والنصرانية، وبالتالي نقل البشر من ركن من أركان النار إلى ركن آخر، ليس غير. والتعاون معهم لدفع مفسدة جزئية، كالإجهاض والمخدرات، قد يؤدي إلى مفسدة كلية تمس الاعتقاد، فربما توهم الناس أن ليس لدى اليهود والنصارى والمشركون انحراف سوى ذلك.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (وسداجة أي سذاجة، وغفلة أي غفلة، أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين. إذا كانت المعركة مع المسلمين!!!)

وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان، وفي كل زمان، حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب للوقوف في وجه المادية والإلحاد بوصفنا جميعاً أهل دين! - ناسين تعليم القرآن كله، وناسين تعليم التاريخ كله. فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين «هؤلاء أهدي

من الذين آمنوا سبيلاً».. وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة، وكانوا لهم درعاً وردءاً. وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شردوا العرب المسلمين في فلسطين، وأحلوا اليهود محلهم، متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية! أهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان... في الحبشة والصومال وأريتريا والجزائر، ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند، وفي كل مكان!

إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعاً على أساس العقيدة. فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة.. ومن ثم فلا يمكن أن يقوم الولاء - وهو التناصر - بين المسلم وغير المسلم؛ إذ أنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة.. ولا حتى أمام الإلحاد مثلاً - كما يتصور بعض السذج منا، وبعض من لا يقرأون القرآن، ولا يعرفون حقيقة الإسلام، وبعض المخدوعين أيضاً.. يتصورون أن الدين كله دين! كما أن الإلحاد كله إلحاد! وأنه يمكن إذاً أن يقف «التدين» بجملته في وجه الإلحاد. لأن الإلحاد ينكر الدين كله، ويحارب التدين على الإطلاق...

ومن ثم فليس هناك جبهة تدئين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هنا «دين» هو الإسلام.. وهناك «لا دين» هو غير الإسلام.. ثم يكون هذا اللادين.. عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة، أو عقيدة أصلها وثني باقية على وثنيتها، أو إلحاداً ينكر الأديان.. تختلف فيما بينها كلها. ولكنها تختلف كلها مع الإسلام. ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء.. فكيف يمكن إذاً أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع من لا يؤمن بالإسلام ديناً ومنهجاً ونظاماً وشرعية، ومن يتجه في

سعيه إلى أهدافٍ أخرى - إن لم تكن معادية للإسلام وأهدافه، فهي على الأقل ليست أهداف الإسلام - إذ الإسلام لا يعترف بهدفٍ ولا عملٍ لا يقوم على أساس العقيدة، مهما بدا في ذاته صالحاً - «والذين كفروا أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف»^(١).

الشبهة الرابعة: التقريب وسيلة لإبراز التسامح الإسلامي، وتحسين صورة الإسلام المشوهة في الغرب:

■ يقول محمد حسن الحمصي في طليعة تعداده لمآثر دعاة التقريب بين الإسلام والنصرانية أنهم: (أبرزوا لرجال الدين المسيحي، ولجماهير النصارى هناك، الموقف الإسلامي النبيل الذي يدعو إلى التسامح مع أبناء الديانات السماوية الأخرى)^(٢). ثم طفق يستشهد بمواقف المداهنة، وعبارات الاستخذاء للنصارى، المجافية للتوجيه القرآني، الراغبة عن المنهج النبوي.

■ يقول د. موسى الكيلاني: (المسلمون والمسيحيون يرزأون تحت إرث من التاريخ الدامي الذي يعرقل الحوار. وكلاهما يثن تحت عبءٍ إيديولوجي من مخلفات القرون الماضية، ويحول دون إشراع أبواب المستقبل المتسامح الزاهر للأجيال الجديدة)^(٣).

■ يقول د. يوسف الحسن: (هناك حاجة ماسة لوضع أسس صحيحة من أجل حوار حقيقي، لأن الإسلام في المرحلة الراهنة، هو موضع حملة ضارية في الغرب، دأبت على خلط الأوراق بين الإرهاب من ناحية، والإيمان والدين من ناحية أخرى، وبالتالي فإن الحوار يجب أن يكون متوازناً، بمعنى أن يساهم الغرب نفسه في إعطاء مساحة

(١) في ظلال القرآن (٢/٩١٠، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦).

(٢) الدعاة والدعوة (١/٥٥٤)، وما بعدها.

(٣) من كلمة له محفوظة لدى الباحث (٢).

من المكان والزمان، لعرض الوجه الحقيقي للإسلام^(١).

إن مفهوم «التسامح» الذي يتكئ عليه دعاة التقريب مفهوم فضفاض يتضمن حقاً وباطلاً، يحتم ضرورة الاستفصال عن المدلول المراد:

■ فإن أريد بالتسامح، العفو والصفح في المعاملة، بالتنازل عن بعض الحقوق الشخصية مالية أو معنوية، أو ما يحيله الشرع الإسلامي إلى اجتهاد ولاية أمور المسلمين في معاملة الحربيين من المن أو الفداء، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية، أو منح الذميين والمعاهدين والمستأمنين في المجتمع الإسلامي حقوقاً مدنية، وإذنناً في البقاء على دينهم وعباداتهم، من غير إكراه لهم على اعتناق الإسلام، فهو حق جاء به الإسلام، وحفل به تاريخه، وفاق به جميع الأنظمة القديمة والحديثة، وقد شهد له بذلك الأعداء^(٢). فهو بهذا المدلول فضيلة خلقية، ومنهج نبيل في العلاقات الدولية، والتنظيم الاجتماعي، لا يثلم عقيدة، ولا يهدر كرامة، ولا يضيع حقاً.

■ وإن كان «التسامح» يعني المداينة، وإعطاء الدنية في الدين، وتسوية المسلمين بالمجرمين، وإدانة سبيل السابقين الأولين من المؤمنين، وإباحة جناب المجتمع المسلم لجحافل المنصرين والملحدين لإشاعة الفاحشة الفكرية والخلقية في الذين آمنوا، باسم «الحرية الدينية»، و«التعددية الثقافية»، و«التنوع الحضاري»، وما شابهها من زخرف القول، بحجة تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين، فما هذا بتسامح، بل خنوع واستخذاء، ونزع للباس التقوى.

(١) الحوار الإسلامي المسيحي، الفرص والتحديات (٢٣).

(٢) انظر نبذاً من صور التسامح هذا في كتيب: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب.

يقول أحد دعاة التقريب: (إن التسامح يعد خطأ حضارياً يقضي بمنح الآخرين حرية التعبير عن الآراء والأفكار التي تغاير الآخرين، كما يسمح بالعيش وفقاً للمبادئ والمعتقدات التي لا ندين بها سوية. إن التسامح أصبح إذاً مسألة لا يمكن فصلها عن الحرية وحقوق الإنسان... إن التسامح يجب أن يشمل الجميع، وكل الأديان على وجه الأرض. إن العالم العربي مدعو في المستقبل القريب إلى أن لا يواصل تجاهله لوجود عدة بلايين من البشر على وجه البسيطة، من الذين لا يدعون الانحدار من إبراهيم، ولا يعني ذلك أبداً أن حضاراتهم وأنماط تفكيرهم غير جديرة بالتقدير والاحترام، مثلما هو الشأن لحضارتنا ونمط تفكيرنا. بل يجب علينا إذاً نحن المسلمين أن نطبق على الآخرين ما نطالب به لأنفسنا)^(١).

هذا مؤدى مفهوم التسامح الذي ينادي به دعاة التقريب، يضيفي عباءة الفضفاضة على كل مشرك وثني، فضلاً عن اليهودي والنصراني، ويمنحه التقدير والاحترام من جهة حضارته وعقيدته، ويتيح له أن يجهر بالسوء من القول!

إن الغرب الذي يخطب هؤلاء التقريبيون وده، لا يكف ليل نهار عن تشويه الإسلام في وسائل الإعلام والسخرية من أهله^(٢)، ولا يعوزه

(١) مقالة التسامح الإسلامي - المسيحي، والتقارب العربي الأوربي ليسا بالمستحيلين. عبد الجليل التميمي. جريدة الحياة عدد (١٢٣٩٨) الخميس ٢٨ رمضان ١٤٢٧هـ، ٦ فبراير ١٩٩٧م.

(٢) انظر في هذه الدراسة الجادة والمنصفة: (التغطية الإعلامية للإسلام) لإدوارد سعيد، أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا. وانظر كتاب: (تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر) دراسة نقدية في ضوء الإسلام. تأليف عبد اللطيف إبراهيم الحسين - أطروحة ماجستير - دار ابن الجوزي. الدمام. الطبعة الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

للقيام بهذا الصد عن سبيل الله وجود تصرفات طائشة مرفوضة تتسم بالعنف والعدوان من بعض المنتسبين إلى الإسلام، كما لن يوقفه بالمقابل اطراح هؤلاء التقريبيين بين أيديهم في ضعة وانخزال، فتلك عقيدة راسخة، وطبيعة متأصلة في نفوسهم، منذ فجر الإسلام ﴿وَلَنْ تَرَوُنَّ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِلْتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

إن كل جريمة ترتكبها مجموعة دينية أو عرقية أو ثورية في أنحاء العالم، لا تنسب في لغة الإعلام الغربي إلى الدين الذي تنتمي إليه تلك المجموعة، أو حتى الفرد، إلا حين تصدر عن مسلمين، فيقال رأساً: (الإرهاب الإسلامي) و(الإرهابيون المسلمون)، ولا يقال لجرائم الصرب الفظيعة في البوسنة وكوسوفا (إرهاب أرثوذكسي)، ولا لعمليات الألوية الحمراء في إيطاليا (إرهاب كاثوليكي)، ولا لتفجيرات الجيش السري الإيرلندي (إرهاب بروتستانت)، ولا لأعمال القمع التي يمارسها الجيش الإسرائيلي يومياً (إرهاب يهودي)، بل لا يقال لمجازر الهنود القوميين، وهدمهم لمساجد المسلمين (إرهاب هندوسي)، ولا لعمليات الجيش الأحمر الياباني (إرهاب بوذي). كما لا توصف حملات التشويه والتشهير الإعلامي ضد الإسلام في الغرب بالتطرف وعدم التسامح. ودعاة التقريب، بحكم ثقافتهم الغربية غالباً، يدركون هذه الحقائق جيداً فلا يزيدهم ذلك إلا تقرباً إلى الخصم الذي لا يمل من الابتزاز.

إن تحسين صورة الإسلام في أذهان الغربيين، والناس جميعاً، وإبراز محاسن الإسلام، لا يكون إلا بالتمسك به، والتأدب بأدابه، والدعوة إليه، ولا يكون أبداً بانتقاصه، واجتزائه، والتخلي عن شيء منه قرباناً إلى الكافرين، وموالة لهم من دون المؤمنين.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (إن الذين يحاولون تمييع هذه

المفاصلة الحاسمة باسم «التسامح» و«التقريب بين الأديان السماوية»، يخطئون فهم معنى الآيات، كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي^(١).

الشبهة الخامسة: التقريب ضرورة يفرضها الواقع العالمي الجديد:

■ يقول د. موسى الكيلاني: (خلال العقدين القادمين سيحتاج المسلمون والمسيحيون إلى جسور كبيرة توثق ما بينهما، وتكون كبيرة بحجم الأخدود الكبير من عدم الفهم الذي يفصل بيننا. لقد تقلص العالم الفسيح الواسع، وأصبحنا نعيش كل يوم، وقد فقدنا استقلاليتنا المطلقة، وغداً كل يزداد اعتماداً على غيره... حيث أصبح الكون قرية صغيرة تجوبها الأفواج من السياح، ويختلط بها العديد من الأعراق والأجناس)^(٢).

■ ويصف د. حسن الترابي الحوار مع الغرب بأنه (ضرورة عملية يفرضها الواقع العالمي القائم على الاتصال، والتفاعل، والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات والحركات، مما يوجب علينا فهم الآخرين، وتفهم واقعهم، ومعرفة الحقائق للتعامل معها)^(٣).

■ يقول الفضل شلق: (إن علينا أن نعترف بالأمر الواقع، ونعمل كي نتجاوزه، ولن يكون هذا التجاوز ممكناً دون الأخذ بثقافة الغرب، والانخراط بالعالم)^(٤).

(١) في ظلال القرآن (٢/٩١٢).

(٢) من كلمة له محفوظة لدى الباحث.

(٣) محاضرة أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب. نشرة شؤون الأوساط عدد ٣٦ (٩١).

(٤) مجلة الاجتهاد (٣١، ٣٢/١١).

إن هذه المقدمات محل قبول وتسليم من كل أحد، فوسائل الاتصال الحديثة ألغت مفهوم «البعد»، وبات كل شيء قريباً. فما لم تبلغه الأقدام، تأتي به وسائل الإعلام، قبل أن يقوم المرء من مقامه، بل قبل أن يرتد إليه طرفه، عبر التقنيات الحديثة. ولكن ما رتبته دعاة التقريب من نتائج على تلكم المقدمات محل رفض، وإلزام بما لا يلزم. فليس من مقتضى هذا التواصل العالمي الذوبان في بوتقة الأممية، والانسلاخ من الهوية، والانخراط في ثقافة الغير، وإن بدعوى تجاوزها.

ينبغي أن يكون أسعد الناس بهذه التيسيرات الحضارية التي تنقل الكلمة، وتبث الدعوة، أهل الإسلام، وأمة الخير التي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، مستفيدة من هذه الوسائل الحديثة التي تختصر المسافات، وتعمم الخطاب، وتطلق كلمة التوحيد واضحة قوية لاشية فيها، ولا لبس بباطل، وترسم الصورة الحقيقية المشرقة لأهل الإسلام، دون تشويش أو غيش، فتقرع الأسماع وتملأ العيون، وتقيم الحجة، لا أن يطوّع الدين الحق، بدعوى تفهّم الآخرين الذين يهجمون علينا بثقافتهم، فقيم لهم «الجسور الكبيرة» ليعبروا إلينا.

الشبهة السادسة: التقريب وسيلة لتحاشي النزاعات والحروب، وصدام الحضارات:

■ يقول د. محمد عثمان صالح: (من دواعي الحوار أيضاً الرغبة العامة في العيش في سلام وأمن، بعيداً عن التوترات والمنازعات والحروب. إذ أن الحوار كما أدرك الكثيرون يقارب بين الأفكار، أو على الأقل يستل سخائم النفوس)^(١).

(١) تحديات الحوار بين الأديان وضوابطه. ورقة مقدمة إلى مؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم عام ١٩٩٤م (٢).

■ يقول د. يوسف الحسن: (إنه بدون سلام بين الأديان، ستكون هناك حروب تملأ الكرة الأرضية، وتأكل روح الإنسان، ولا سلام بين الأديان بدون حوار صادق ومخلص)^(١).

■ يقول د. موسى الكيلاني: (ليس من الصحيح أن الحوار الإسلامي المسيحي ضرب من الكماليات التي يتمتع بخدمتها المترفون، فقد أصبح له في قرننا العشرين أولوية تتجاوز كل ما أدرج على الأجندة^(٢) السياسية. أقول هذا نظراً لوجود بعض النبرات العالية بين المسلمين والمسيحيين، تحاول إقناعنا أن العداء والصراع أبديين تاريخيين^(٣)، وأن مجال التعاون والتعايش، وهم)^(٤).

إن التلويح بخطر النزاعات والحروب، سلاحٌ يشهره بعض دعاة التقريب بين الأديان لتمرير فكرتهم، وضرب من الإرجاف لتوهين النفوس وزلزلتها عن التمسك بأهداب الدين. ويعلم هؤلاء جميعاً أن الذي يملك الآلة العسكرية المتطورة الجبارة ويصنعها، هم النصارى وغيرهم من أمم الكفر، وليس المسلمين، وأن مثيري النزاعات والحروب غالباً هم الطامعون المتحرشون بالأمم الضعيفة المسالمة التي لا تضاهيهم عدّة وعتاداً. فمحصلة دعواهم أن على المسلمين إذأ، لتحاشي تلك النزاعات والحروب والصدامات الحضارية، مسيرة الأمم التي تملك الترسانة العسكرية، والاقتراب منها، بالتخلي عن مقومات قوتها الذاتية، المتمثلة بعقيدتها المتفردة، التي تشيع في نفوس معتنقيها معاني الاستعلاء والتميز، والتطلع لإظهار دين الله على الدين كله.

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات.

(٢) الأجندة: Agenda: كلمة إنجليزية معناها برنامج، أو جدول أعمال.

(٣) هكذا في الأصل، والصواب: أديان تاريخيان.

(٤) من كلمة له محفوظة لدى المؤلف.

كما يعلم هؤلاء التقريبيون أن النبرات العالية بحتمية الصراع بين الإسلام والنصرانية تنبعث من المعسكر المقابل بكل بجاجة، وتصميم، وليس من الصف الإسلامي. فإن الحروب والخصومة ليستا هدفاً للإسلام، ولا شهوةً للمسلمين، كما يزعم المستشرقون، بل هو دين المرحمة، ونبيه نبي الرحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ومن سابغ رحمته أنه يخرج العباد، من رق العبودية للعباد، إلى فسحة العبودية لرب العباد، ويكشف الفتنة التي يتخطب بها البشر، بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فإن حال أحد بين الناس وتبليغ دين الله كان حرياً أن يقاتل ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ومع ذلك فهو ينزع إلى السلم في غير مذلة: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، والتاريخ شاهد على أن المسلمين أرحم الفاتحين، وأرفق المظفرين، وأن خصومهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١١].

أما الغرب النصراني المعاصر الذي يدعى أهل الإسلام للاقترب الديني معه، فإنه يطلق على السنة كبار منظريه، ومنجميه السياسيين نذر الحظر، وشارات التحفز والتوثب لمنازلة الإسلام وأهله، ومن شواهد ذلك:

١ - كتاب «نهاية التاريخ وخاتم البشر»، للأمريكي، الياباني الأصل، فرانسيس فوكوياما^(١).

وقد أراد فوكوياما أن يقلد الديمقراطية الغربية إكليل النصر النهائي والحاسم، مأخوذاً بنشوة سقوط الاتحاد السوفيتي، وانهايار

(١) كان نائباً سابقاً لمدير مجموعة تخطيط السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية، ومستشاراً لمؤسسة «راند كوربوريشن» في واشنطن حالياً.

الشيوعية، بوصفها آخر خصوم الديمقراطية الغربية المظفرة، ويعلن بذلك «نهاية التاريخ» بتريع الحضارة الغربية، ذات الأصول النصرانية، على عرش البشرية الختامي، مهدراً بذلك سائر الأيديولوجيات والأديان، مع اعترافه بما يتمتع به الإسلام من خصائص ومزايا، فيقول: (صحيح أن الإسلام يشكل أيديولوجيا متسقة ومتماسكة شأن الليبرالية والشيوعية^(١))، وأن له معايير الأخلاقية الخاصة به، ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية، كذلك فإن للإسلام جاذبية يمكن أن تكون عالمية، داعياً إليه البشر كافة باعتبارهم بشراً، لا مجرد أعضاء في جماعة عرقية أو قومية معينة. وقد تمكن الإسلام في الواقع من الانتصار على الديمقراطية الليبرالية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، وشكل بذلك خطراً على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية بصورة مباشرة^(٢).

٢ - مقالة البروفسور صموئيل هانتنغتون^(٣)، المنشورة في مجلة Foreign Affairs، الشؤون الخارجية، بعنوان: «صدام الحضارات»، ضمن دراسة مطولة بعنوان: «المصالح الأمريكية ومتغيرات الأمن»، في يونيو عام ١٩٩٣م، ويرشح فيها الحضارة الإسلامية أن تكون أبرز خصوم الحضارة الغربية في القرن الحادي والعشرين، ويحدد زمن

(١) حاشا دين الله أن يشبه بهذه النظم الأرضية الوضعية المتناقضة والمختلة، قال تعالى عن القرآن العظيم: ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

(٢) نهاية التاريخ وخاتم البشر. فرانسيس فوكوياما. ترجمة: حسين أحمد أمين. مركز الأهرام للترجمة والنشر: مؤسسة الأهرام - القاهرة. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م). (٥٦).

(٣) أستاذ العلوم السياسية، ومدير مؤسسة جون أولين للدراسات بجامعة «هارفارد» الأمريكية، ومدير أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية، ومسؤول سابق في مجلس الأمن القومي عن التخطيط.

الصدام ومكانه؛ فيرى أن العقدين، الأول والثاني من القرن الحادي والعشرين الميلادي سيشهدان صراعاً على خطوط التماس، شمال البحر الأبيض المتوسط بإزاء جنوبه، وجمهوريات الاتحاد السوفيتي النصرانية مع المسلمة، وباختصار فهو يرى أن للإسلام حدوداً دموية، على حد تعبيره^(١).

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة «المجلة»، بعد أربع سنواتٍ من نشر مقالته الشهيرة وما أعقبها من انتقاداتٍ وتداعياتٍ، أكد هنتغتون أفكاره السابقة بثقة وجزم لمحاورة المسلم، الذي بدا وكأنه يستجديه في التخلي عنها، ونقتطف من تلك المقابلة الصريحة ما يلي:

* (لماذا أنت متشائم حول مستقبل العلاقات بين الغرب والإسلام؟

* ما دام الإسلام سيبقى إسلاماً، وليس هناك أي شك في ذلك، وما دام الغرب سيبقى غرباً، ولا يتوقع أحدٌ أن يصبح الغرب شرقاً، سيظل الصراع قائماً بينهما، كما ظل قائماً لأربعة عشر قرناً...

* لماذا تقول دائماً «الإسلام والغرب»؟ ولا تقول «الإسلام والمسيحية»؟ لماذا، تخلط بين الدين هنا، والقومية هناك؟

* هذا سؤال معقول. وأعتقد أنني فعلت ذلك لأن العادة جرت على وصف الغرب بالغرب. قبل مئات السنين كان الناس يستعملون عبارة «الغرب المسيحي» لكن لا أحد يفعل ذلك الآن.

(١) لقد أثارت مقالة هانتغتون ردود فعلٍ واسعة في الشرق والغرب ما بين منتقد ومؤيد ومعتدل، وانظر في ذلك: ترجمة المقالة، وبعض الردود والتعقيبات في كتاب «صدام الحضارات» الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق. بيروت ١٩٩٥م، وعدد خاص من مجلة «الهلال» المصرية نوفمبر عام ١٩٩٣م، والإسلام والغرب والديمقراطية. جودت سعيد، عبد الواحد العلواني. دار الفكر ١٩٩٦م، والإسلام وصراع الحضارات. د. أحمد القديدي. كتاب الأمة رقم (٤٤). قطر ١٩٩٥م.

* قلت إن المشكلة بالنسبة للغرب ليست الإسلاميين المتطرفين، إنما الإسلام كله؟

* نعم قلت ذلك. الإسلام بكل طوائفه وأقسامه في مختلف الدول، عبارة عن حضارة كاملة، تشمل الدين والدنيا، وكل مظاهر الحياة اليومية، ولهذا قلت إن الإسلام ونظام الدول الغربية لن يلتقيا. بالإضافة إلى هذا فإن المسلمين يعلنون في وجه كل غربي أن دينهم هو الأحسن، وأن عاداتهم وتقاليدهم هي الأفضل. كلهم يقولون ذلك: المتطرفون والمعتدلون والليبراليون^(١).

هذه تقارير خبير متمرس تبوأ أعلى المواقع الاستشارية والتخطيطية، وليست انفعالات طائشة من زعيم قومي، إنها خلاصة تجارب أئمة الكفر الذين خبروا خصائص الإسلام عن دراسة ودراية، واستيقنتها أنفسهم، فلم تقدم تلك المعرفة المجردة إلى نصح أنفسهم وشعوبهم، ليدخلوا في السلم كافة، بل حملتهم عاطفة العصبية والعزة بالائتم أن يطلقوا صيحات الخطر بحتمية الصراع بين نقيضين لا يجتمعان؛ الهدى والهوى.

وكلما زاد هؤلاء النصارى صراحة ووضوحاً، زاد دعاة التقريب من بني جلدتنا تعامياً وإغماضاً عن الحقائق الثابتة بالكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيزيد أولئك إمعاناً في طلب التنصل من عرى الدين، فلا يطفئ غلتهم إلا أن يفارق المسلمون دينهم، عياداً بالله، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(١) مجلة المجلة عدد ٨٩٦ في ١٣/٤/١٩٩٧م أجرى المقابلة: محمد علي الصالح.

إن استدفاع ويلات الحروب وآثارها المدمرة لا يكون بالمقايضة على أمور الدين الاعتقادية، أو التشريعية، فليس ذلك لأحد من الخلق، وإنما يكون بموالة الله ورسوله والمؤمنين، واتخاذ الأسباب المعنوية والمادية لدفع الشر والعيش بكرامة وعزة. ولا يليق أن يغدو التلويح بالصراع من قبل دهاقنة النصارى المحنكين^(١) مثار هلع أهل الإسلام وخورهم، فيستجيبوا لدعوتهم إلى التقريب بين الأديان والحضارات، فلا والله لن يرضيهم ذلك عنا، ولن يكف شرهم، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ بِلْتَمِهِمْ قُلُوبُكَ إِنَّكَ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة]

الشبهة السابعة: التقريب وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف طوائف الأمة:

أسس محمد عمارة كتابه «الإسلام والوحدة القومية» على شفا هذا الجرف الهاري، إثر أحداث عنفٍ طائفية جرت بين المسلمين والأقباط في مصر. فأثبت للنصارى وصف الإيمان، وجعل كفرهم برسالة محمد ﷺ مجرد بدعة داخل الدين الواحد، ووصف «الجزية» بأنها «ضريبة» وليست حكماً شرعياً، وخلص إلى القول: (ما بال البعض

(١) تمثل هذه القضية مادة خصبة لكتاب من اليهود والنصارى، ومن أمثلة ذلك: مقالة: (تحدي الإسلام الراديكالي) ل: جوديث ميلر، مقالة: ما هو الخطر الأخضر؟ ل: ليون ت. هدار. وهما معربان في نشرة مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، مقالات معربة رقم (١٨)، مقالة: (حتمية الصراع بين الإسلام والغرب) ل: برنادر لويس في مجلة The Monthly سبتمبر ١٩٩٠م. ومقالة (الإسلام والغرب) ل: بريان بيدهام المنشورة في صحيفة الإيكونوميست في ٦ أغسطس عام ١٩٩٤م. انظر عرضاً لها في: الإسلام والغرب والديموقراطية. (٣٧ - ٩٧).

يتعلق بثباتها سبيلاً للشقاق الديني، وتمزيق وحدة الأمة، تحت ستار زائف من الدين^(١).

■ يقول سعود المولى: (إن المطلوب في هذا السياق بلورة الوعي المسيحي العربي بأنه شريك في الحوار، وليس ملحفاً بالكنائس العالمية، وبأنه شريك في المشروع النهضوي الحضاري، وبأن المسيحية العربية هي إسلام حضاري وتاريخي)^(٢).

يقول د. يوسف الحسن: (عاش المسلمون والمسيحيون العرب، فهماً مشتركاً للمبادئ الإيمانية السماوية، وإسلام النفس لله، فكانوا جميعاً أبناء حضارة واحدة، معتمدين العقل، ووحدة العيش، وشراكة المصير، ورابطة الثقافة والفكرة الوطنية، سبلاً للتفاهم والتقارب في شؤون الدين والدنيا على حد سواء)^(٣).

وهذه النزعة التي تقدم رابطة «الوطن» على رابطة الدين نزعة نفاق، لم يزل أهل الإسلام يعرفون ذلك من أهل النفاق بلحن القول، مذ كان الإسلام محاصراً في المدينة. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَهُمْ بَتًا ذَلَّ يَتَرَبَّ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: ١٣]. (فقال هذه الطائفة: «يا أهل يثرب» يريدون: «يا أهل المدينة» فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن التسمية فيه، إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية ليس لهما في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك مجرد الخور الطبيعي)^(٤).

(١) الإسلام والوحدة القومية (٩٦). والكتاب يعج بمثل هذه الدعاوي. راجع مبحث «الإسلاميون العصريون».

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي. ضرورة المغامرة (٢٢٥).

(٣) الحوار الإسلامي المسيحي، الفرص والتحديات (٢٠)، وراجع التعليق على النصوص السابقة في الباب الأول.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (٢٠٣/٦).

من عجب أن يساوم دعاة التقريب على دينهم، من أجل حفنة من أهل الكتاب عاشوا آمنين مطمئنين في كنف المجتمع المسلم طوال القرون، وتمتعوا بحقوق مدنية ودينية لا تكفلها الأنظمة الوضعية، فينفخون في صورتهن وقد أقمتهن الله، ويقدمونهن وقد أخرهن الله، متلفعين بمرط من دعوى الجاهلية؛ القومية، والوطنية ونحوها، إن تحقيق الوحدة الوطنية تكون بالقيام لله بالقسط، وإرساء معالم الشرع الشريف، ورفع مناره، وحفظ حقوق أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين من أي عدوان يقع عليهم، دون أن يتضمن ذلك تنازلاً عن شيء من الدين، عقيدة أو شريعة. وهم منذ صدور «الخط الهمايوني»^(١)، يهدبون الإعفاءات، والاختصاصات، من الحكومات المتعاقبة، حتى تنمروا وسمنوا، وغدوا من أثرى طبقات المجتمع، وأكثرها رعاية في العديد من البلدان الإسلامية، ثم لا يرفعون حتى يطالبوا برفع الأوصاف القرآنية، والأحكام الشرعية الثابتة المحكمة في شأنهم، باسم التقارب والحوار والعيش المشترك، ﴿فَقَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشُوهُ أَنْ نَصِيبًا دَآئِرَةً﴾ [المائدة: ٥٢].

الشبهة الثامنة: التقريب وسيلة لتحسين أوضاع الأقليات الإسلامية في الغرب:

■ يقول د. محمد الحسن: (هناك تحديات أخرى أمام الحوار، تستدعي عزيمة وتعاوناً لمواجهة، من بينها... ضغوط الهجرة الخارجية إليه، حيث صور المسلمون المهاجرون ككبش فداء، أو خيال

(١) هو المرسوم الذي أصدره السلطان عبد المجيد العثماني عام ١٨٣٩م، تحت ضغط الدول الكبرى لتنظيم أوضاع رعايا الدولة العثمانية، ويعرف بـ«خط شريف غولخانه». ثم أعقبه الخط الهمايوني الثاني عام ١٨٥٦م إثر حرب القرم، الذي اعترف فيه السلطان عبد المجيد بالمساواة بين الرعايا المسلمين وغير المسلمين. راجع نبذة تاريخية في التمهيد.

مآة Scarecrows، فألقي اللوم عليهم، كسبب لهذه الأزمات، وانصبت عليهم بالتالي مشاعر عنصرية وكراهية وتعصب... وكذلك إشكاليات أخرى تتعلق بمسلمين أوروبيين مواطنين، وآخرين مهاجرين، لهم حقوق الاعتراف بدينهم في مجتمعاتهم الأوروبية، ويقوانين للأحوال الشخصية لهم «من زواج وطلاق وإرث وعادات وتقاليد وطعام وملابس». إن تعاون بني البشرية لمواجهة كل هذه التحديات وغيرها قادر على حشد الطاقات، وإن الحوار بين المسيحيين والمسلمين، هو أحد السبل الراشدة للوصول إلى هذا التعاون^(١).

ونسجل في هذا المقام الحقائق التالية:

١ - إن حركة «التقريب بين الأديان» التي تتولاها جهات كنسية وشبه كنسية في الغرب لا علاقة لها - عملياً - بتحسين أوضاع المسلمين المهاجرين والمقيمين في تلك البلاد، وما ناله هؤلاء من حقوق، هي أدنى مما يستحقون، كفلته لهم الأنظمة المدنية العلمانية، وليست المراجع الدينية. وهذا فرقٌ أصيل في مقام التنظير والمقارنة مع وضع أهل الذمة ومن شابههم في المجتمع الإسلامي.

٢ - أن الكنائس المحلية في أوروبا وأمريكا، التي أبدت تعاطفاً ظاهرياً مع المهاجرين في السبعينيات وأوائل الثمانينيات، كانت تتشبث بأدنى مخالفة دينية لمواجهة تيار الإلحاد والحدائث الذي فضّ الناس من حول الكنائس وزهدهم فيها، فاعتضدت بهذه المحاولات التقاربية لتعزيز مكانتها، وتثبيت الأرضية التي تميد بها من جهة، وإطفاء وهج الندية التي يحملها الإسلام إلى أراضٍ جديدة من جهة أخرى، وذلك بالالتحام معه ظاهرياً لصرف جمهور الكنيسة الناشز، عن الوافد الجديد. وانكبت تدرس هذه الظاهرة الإسلامية وآثارها على المجتمع

(١) الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات. (٥١ - ٥٢، ٥٤).

الأوروبي عبر مؤسسات متخصصة ترصد حركة الإسلام، تبلورت في عام ١٩٨٦م بصورة: (لجنة الإسلام في أوروبا)^(١) وغيرها.

٣ - أن وضع الأقليات الإسلامية المهاجرة للعمل في الغرب، أدنى بكثير من حال الطوائف النصرانية المقيمة بين ظهراني المسلمين في أوروبا، وتعاني كثيراً من صنوف التمييز العنصري والأذى والقسر المنظم للذوبان في المجتمعات الغربية، وعدم تمكينها من نيل حقوقها الاجتماعية والدينية، ويتضح الفرق الهائل بمقارنة ذلك بوضع الأقلية اليهودية التي لا تنسب من الناحية العددية إلى المسلمين، ومع ذلك فهي محل الرعاية والاعتبار في الأعياد الدينية والعادات وشؤون الطعام والخدمات. يقول السيد علي الصوري: (إن معظم الأقليات الإسلامية في أوروبا تعيش في محنة حقيقية. ومحتتهم أمرٌ قائم متحرك، يعيش في حياة الناس أو على الأقل في وجداناتهم وأحاسيسهم. ولا تقتصر المحنة على الاضطهاد فقط، بل قد تكون محنة إهمال أكثر منها محنة اضطهاد)^(٢).

ومع ذلك فإن نبرة الإدلال والمنة تنبعث دون انقطاع من مختلف الدوائر الغربية السياسية والدينية، كما يتضح من الفقرة التالية.

٤ - أن الذي يحكم وضع الأقليات الإسلامية في الغرب ليس التقدم في التقارب الديني، فهذا يتم مجاناً دون مقابل، وإنما درجة المقايضة بتمكين الأقليات النصرانية في المجتمع الإسلامي، ومنحها الحريات الكاملة لممارسة النشاطات الدينية والتنصيرية، وإلجاء المسلمين إلى القبول بمبدأ الردة وتغيير الدين بمنتهى الحرية.

(١) راجع التعريف بهذه اللجنة، وأصل نشأتها في محاولات التقريب في أوروبا الغربية في الفصل الثاني من الباب الثاني (ص ١١٧٧).

(٢) مقالة: (الإسلام في أوروبا.. الاحترام قبل الحوار) السيد علي الصوري. جريدة العالم الإسلامي. الاثنين ٧ - ١٣ رجب ١٤١٧ هـ (٢).

ومن الشواهد الصارخة على ذلك:

١ - ندوة (تعايش الإسلام مع الفكر الغربي) التي نظمتها المجموعة البرلمانية لحزب الشعب الأوروبي «الديموقراطيين المسيحيين PPE» وهو ثاني تكوين برلماني ويضم ١٢١ عضواً في البرلمان بروكسل في ديسمبر عام ١٩٩٢ م.

(ومن أهم الموضوعات التي تم... طرحها في الندوة:

■ عدم توافق الإسلام مع الديمقراطية الغربية.

■ إعادة النظر في الحرية المعطاة للمسلمين في أوروبا.

■ الحذر مما يقوله بعض المسلمين دفاعاً عن الإسلام، مثل التبريرات المقدمة منهم والتي تقول بأنه يجب التفريق بين الدين الإسلامي، ومن يستغله لأسبابٍ دعائية، كذلك موضوع المتطرفين..

■ أن العالم المتحضر لا يسمح بالممارسات والتجاوزات التي ينتهجها العالم الإسلامي ضد الديانة المسيحية..

هذا وقد طالب المعلقون في الندوة أن تعامل الجالية الإسلامية في أوروبا بالمثل، حيث أكد غالبية المشاركين بأن الدول الأوروبية التي تعتمد على الديمقراطية في تعاملها اليومي، وتقبل بمبدأ حرية الأديان، لا تستطيع السكوت على المعاملة القاسية التي يعامل بها المسيحيون في بلاد الإسلام^(١). وقد استشهد نائب البرلمان بافلوس سارليس بخطاب ألقاه أسقف ديمترياس أمام القضاة والمحامين في اليونان، تضمن هجوماً على بلدين إسلاميين محافظين.

٢ - في مؤتمر: «عالم واحد للجميع. أسس التعددية الاجتماعية

(١) تقرير صادر عن سفارة دولة الكويت في بروكسل برقم (٩٢/٣٠٤) بتاريخ ١٣/١١/١٩٩٢ م.

والسياسة والثقافية في نظر المسيحية والإسلام». المنعقد في فيينا في محرم عام ١٤١٨هـ، مايو عام ١٩٩٧م^(١) قالت وزيرة خارجية السويد في حفل الافتتاح: (إننا حين نرحب بالمسلمين في أوروبا فإننا نريد أن نؤكد على الحاجة لحماية وحقوق الأقليات، مسيحيين أو سواهم، لتكون موضع احترام في البلدان الإسلامية. نفس المبادئ التي تنطبق على الأقليات الإسلامية في أوروبا تكون للأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية).

فعبثاً يحاول دعاة التقريب تحقيق مكاسب للجاليات الإسلامية في الغرب عن طريق الحوار الديني، وبذل المزيد من المقاربة العقدية والعملية. إن الأقلية المسلمة في الغرب ورقة ضغط ومقايضة في سوق الفتنة عن بعض ما أنزل الله.

٣ - في المقابلة التي أجرتها مجلة المجلة مع صموئيل هنتغتون، جاء ما يلي:

■ (إذا تطورت المواجهة بين الإسلام والغرب، ماذا سيكون مصير المسلمين في الدول الغربية؟ في أمريكا وحدها حوالي خمسة ملايين مسلم؟

■ المسلمون في الدول الغربية أقلية، مثلما أن المسيحيين في الدول الإسلامية أقلية. وهذا الأمر الواقع يفرض اعتبارات وظروفاً خاصة.

■ إذا حصلت مواجهة بين الإسلام والغرب، هل سيقف المسلمون في الغرب إلى جانب هذا أم ذاك؟

■ كل شيء يعتمد على نظرة مسلمي الغرب لأنفسهم، هل هم

(١) راجع التعريف بالمؤتمر في محاولات التقريب في أوروبا الغربية (النمسا) الباب الثاني.

من الغرب الذي يعيشون فيه؟ أم هم مع البلاد الإسلامية التي جاءوا منها؟

■ هل يمكنهم أن يكونوا مسلمين، وفي نفس الوقت جزءاً من الحضارة الغربية «المسيحية»؟ أليس الدين من أسس الحضارة؟

■ نعم، الدين مهم في التكوين الحضاري، ولكن الحضارة تؤثر على الممارسات الدينية أحياناً. انظر ماذا حصل للدين الكاثوليكي في أمريكا. الحضارة الأمريكية أساسها الدين البروتستانتي. لكن الكاثوليك الذين هاجروا إلى هنا تأقلموا، وتأمركوا، وأصبحوا مختلفين عن الكاثوليك في إيطاليا، مثلاً^(١).

إن هذه الإجابة الأخيرة مراوغة مكشوفة، فالكاثوليك والبروتستانت فرعان لدين واحد، بخلاف الإسلام مع النصرانية. وهنتنغتون يدرك جيداً أنه حين تصل الأمور إلى هذه المستويات فلن يكون حال مسلمي أوروبا بأفضل من حال المورييسكيين في الأندلس أمام التعصب النصراني الأعمى.



الفصل الثاني

المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب

تبين من كل ما سبق أن «دعوة التقريب بين الأديان» دعوة باطلة من أساسها، وأنها بدعةٌ محدثة في الدين، ليس عليها عمل المسلمين، ولا هي من سبيل المؤمنين، بل هي مضاهاة لليهود والنصارى والملحدين.

وليس من لازم هذا القول أن الإسلام يوصد أبوابه، ويرخي أستاره، ويقطع الجسور بينه وبين أمم الأرض، إما بدافع الاستعلاء أو بدافع الخوف من الاختراق الخارجي، كلا! بل الأمر على نقيض ذلك تماماً فإن إيمان المؤمن، بحد ذاته، وخيرية الأمة بمجموعها، لا يتمان إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة مختلف الأجناس والشعوب، لتحقيق هدف نبيل، وغاية سامية، هي هداية الخلق ونفع البشرية. إن التقوقع والانكماش والانكفاء على الذات، صفات لا تتفق مع طبيعة النفس المؤمنة، ولا مع مشروع الأمة المسلمة ودورها في إصلاح البشرية. والنصوص الشرعية في بيان فضيلة الدعوة إلى الله، وهداية الخلق، كثيرة متوافرة تكشف عن روح الإيجابية والعطاء والمبادرة البناءة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال في شأن الأمة جميعاً: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ثم امتدحها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير - رحمه الله -: (والمعنى أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس... فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الشئاء عليهم، والمدح لهم، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها - رأى من الناس سرعة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها^(١). فأنى لهذه الأمة التي شهد لها رب العالمين بالخيرية، وقام سوقها على دعوة الخلق إلى سبيل الرشاد، من الانغلاق والتقوقع والسلبية؟!

ولكن انفتاح هذه الأمة الراشدة على سائر الملل والنحل انفتاح مبصر، وليس تقحماً أعمى. انفتاح من يحمل المفتاح، ويرفع شعلة النور أمام الناس، قال تعالى: ﴿أَوْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي يَوْمَ فِي الْآثَارِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وليس انفتاح «التعرف على الآخر»، فقد استبان سبيل المجرمين، وليس انفتاح البحث المشترك عن الحقيقة، فالحقيقة محفوظة لم تغب: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧]. فقيم الخطب في التيه، والضرب في العماء؟!

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٩٣، ١٠٣).

إن للإسلام منهجه المستقل، وطريقه المتميز في تحديد مسار العلاقة بأهل الكتاب. وقد تحدد هذا المسار منذ بزوغ شمس الإسلام، بالوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويهدي رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وأجمعت عليه أمته قولاً وعملاً على مر القرون، ولم تفتقر يوماً من الأيام إلى عقد (مجمع مسكوني) لأئمة العلم والدين، لوضع صيغة جديدة، ومنظومة محدثة، لإعادة رسم العلاقة مع أهل الكتاب وغيرهم. وذلك المنهج هو الدعوة الصريحة المباشرة إلى دين الإسلام، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أما «التقريب بين الأديان» فليس من منهج الإسلام في شيء، مهما زوّقه أهله، وستروا سواته بأنواع الألقاب، ومن أشهرها في العقود الأخيرة لقب «الحوار»^(١)، الذي هو في الأعم الأغلب «حوار التقارب»، وليس «حوار الدعوة»، ولا «حوار المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن»، كما يشهد الواقع العملي. وبالتالي فهو حوار مرفوض، أشبه بالخوض في آيات الله منه ببيان آيات الله، وبطمس الحجة منه بإقامة الحجة. يقول الدكتور ظفر الإسلام خان: (من نتائج الحوار إسباغ القبول على دين قد عفى عليه الزمن... ويمكن الإسلام - كما رأينا علماءنا عبر القرون - أن يناظر ويناقش المسيحية واليهودية، ولكن لا سبيل إلى الحوار معهما، فالمناظرة والنقاش يهدفان إلى كشف عيوب الآخر وإبرازها، بينما الحوار يهدف إلى التكيف والتوفيق والاعتراف بالطرف الآخر كند... ومثل الحوار من أفضل السبل للقضاء على ديناميكية الإسلام، ونهضته الحاضرة. إننا لا نحتاج إلى تفاهم أو تسوية مع الكنيسة، بل إلى الإجهار بحقنا الأبدي، والإصرار

(١) راجع فصل حقيقة التقريب في الباب الأول.

على ذلك. ولنا هداية واضحة في القرآن ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهكذا فإن الحوار الديني الوحيد الذي يمكن مع الآخرين، بما فيهم المسيحيون، هو لأجل الدعوة، وليس للاسترضاء، والاعتراف المزيف^(١).

لقد واجه رسول الله ﷺ أهل الكتاب؛ يهوداً ونصارى، في العهد المكي وفي العهد المدني، في حال الضعف وفي حال القوة، في حال السلم وفي حال الحرب، في داخل الجزيرة العربية وفي خارجها، والقرآن ينزل، ولم يتغير مضمون الخطاب العقدي أبداً، بل بقي ثابتاً مطرداً واضحاً، إنه خطاب الدعوة وحسب. ولم يكن يوماً ما حوار التقارب بشقيه العقدي والعملي.

ونهدف في هذا الفصل الأخير إلى استجلاء المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب بوصفه المنهج الأصيل، ولا نقول البديل عن دعوة التقريب بين الأديان، فقد كان ولا يزال وسيبقى إن شاء الله، شعار هذه الأمة وفرعها الشامخ الذي تتوارى إلى جواره كل نابتة قميئة تخرج من شق من شقوق الأرض. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٤﴾ تُوَفَّقُ أَكْلُهَا كُلُّ حَيٍّ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيُغْزَرُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٦﴾﴾ [إبراهيم].

وقد سبق في التمهيد بيان حكم الإسلام في أهل الكتاب من الناحية العقدية، والعملية، ونعرض ها هنا للناحية الدعوية من خلال:

المبحث الأول: مضمون الخطاب الدعوي لأهل الكتاب.

المبحث الثاني: أسلوب دعوة أهل الكتاب.

(١) مجلة البعث الإسلامي الهندية. عدد (٩) المجلد (٣٤) جمادى الثانية

المبحث الأول

مضمون الخطاب الدعوي لأهل الكتاب

الأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، فلا بد أن يكون مضمون دعوة أهل الكتاب وغيرهم، (سبيل الله) لا سبيل غيره. وعبارات المفسرين في معنى هذا السبيل متطابقة:

• قال ابن جرير رحمته الله:

(إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام)^(١).

• وقال القرطبي^(٢) رحمته الله:

(إلى دين الله وشرعه)^(٣).

• وقال الشوكاني^(٤) رحمته الله:

(سبيل الله هو الإسلام)^(٥).

(١) جامع البيان (١٤/١٩٤).

(٢) سبق ترجمته (ص ٧١٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري. تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني. دار إحياء التراث العربي - بيروت. طبعة (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م). (١٠/٢٠٠).

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه محدث مجتهد، ومحدث حافظ، من كبار علماء اليمن، ولد سنة ١١٧٣هـ، ولي القضاء بصنعاء، وله ما يقرب من ١١٤ مؤلفاً منها: «نيل الأوطار»، و«البدر الطالع»، و«إرشاد الفحول»، و«فتح القدير»، و«السليل الجرار»، وغيرها. توفي سنة ١٢٥٠.

الأعلام (٦/٢٩٨)، البدر الطالع (٢/٢١٤)، نيل الوطر (١/٣).

(٥) فتح القدير (٣/٢٠٣).

• وقال السعدي رحمته الله: (ليكن دعاؤك للخلق، مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع، والعمل الصالح)^(١).

فكل أي الكتاب، وكل هدي محمد ﷺ تفصيلٌ لهذا الإجمال. وقد اختصت كل طائفة من طوائف الكفر بجملة من الآيات، تكشف شبهاتهم الخاصة، كالمشركين في الربوبية، والمشركون في الألوهية، ومنكري البعث والمعاد، وغيرهم من مشركي العرب، وكفرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب خطاباً صريحاً مباشراً، بصيغة النداء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾^(٢) ست مرات، ومسبوقه بفعل الأمر لنبيه ﴿قُلْ﴾^(٣) مثلهن، ومرة بصيغة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(٤)، ومثلها مسبوقه بـ ﴿قُلْ﴾^(٥)، وثلاث مرات بصيغة ﴿يَبْنَئِ إِنْ شِئَ رَبِّي﴾^(٦) المعاصرين لظهور الإسلام، فصار مجموع هذه النداءات: سبعة عشر خطاباً في كتاب الله، مع ما عطف عليه من آياتٍ أخرى، أو جاء على غير صيغة النداء. وذلك يدل على مزيد العناية بأهل الكتاب لأنهم أقرب نسباً وسبباً بالمؤمنين. فحري بأهل الإسلام في كل زمانٍ ومكان أن يترسموا هدي القرآن، ويدعوا إلى ما دعا إليه القرآن، ويعظمو ما عظمه، ويقدموا ما قدمه، وألاً يلتفتوا إلى مسالك أخرى ليست من هديه ودله.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/٢٥٤).

(٢) سورة آل عمران: الآيات ٦٥، ٧٠، ٧١ - النساء: ١٧١ - المائدة: ١٥، ١٩.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ٦٤، ٩٨، ٩٩ - المائدة: ٥٩، ٦٨، ٧٧.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٢٠.

(٦) سورة البقرة: الآيات ٤٠، ٤٧، ١٢٢.

ونستخلص من تلك الآيات المحكمات الدعوة إلى:

أولاً: التوحيد الخالص ونبذ الشرك:

• قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران].

فهذه الآية العظيمة هي ميثاق الوفاق الوحيد بين المسلمين وأهل الكتاب، فإما أن يدخلوا في عقدها فيكونون والمسلمين سواء، أمة واحدة، وإما الافتراق الذي لا تلاقي معه ولا اقتراب، ولا سبيل ثالث. وهذا الخطاب القرآني من الوضوح والبيان بحيث لا يشبه إلا على من في قلبه زيغ. ومن صور هذا الزيغ:

١ - تحريف معنى ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ عن المعنى الذي فُسِّرَ به في الآية ذاتها، إلى معانٍ أخرى، بحسبان هذه «الكلمة السواء» هي القدر المشترك المتفق عليه سلفاً، وليس أمراً يُدعى إليه أهل الكتاب، وهو التوحيد، الخالص من شوائب الشرك، الذي تلبسوا به ووقعوا فيه فعلاً.

■ يقول محمد حسين فضل الله: (إن هناك أكثر من قضية مشتركة يلتقي فيها المسلمون والمسيحيون في كل الساحات، وهي الكلمة السواء في التوحيد، ورفض الشرك، ووحدة الإنسانية، ورفض الاستكبار والاستعباد الإنساني)^(١). فمتى حصل هذا الالتقاء يا ترى بين المسلمين والنصارى في التوحيد ورفض الشرك؟ وهل كان خطاب القرآن تحصيل حاصل؟ وهل جرى هذا الاتفاق، على مفهوم أهل السنة والجماعة للتوحيد، أم على قانون أهل البدع الشركية؟

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. المقدمة.

■ يقول محمد الحسن: (هدف الحوار مع المسيحية هو الوصول إلى «كلمة سواء» لعمل الصالحات والنافعات للبشرية، ولمواجهة الطغيان، وتحقيق معرفة كل طرفٍ بالآخر، وإزالة سوء الفهم، والتعاون على البر والتقوى... على ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرف لعقيدة الآخر)^(١). إنه لا يكفي بتحريف الآية عن مضمونها العقدي الصريح، حتى يشترط أن لا تفسر به أيضاً، ليسلم له حوار من مسائل الاعتقاد الذي يחדش عقائد المشركين من أهل التثليث.

■ يقول حسن الترابي: (هذه هي دعوتنا اليوم: أن نقيم جبهة «أهل الكتاب». والكتاب عندما يطلق في القرآن يقصد به كل كتاب جاء من عند الله. وميثاق هذه الجبهة: ألا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. ونفهم من ذلك: ألا نقبل أي فكر ينقض الهدى الإلهي، وألا نقبل الدعوات اللادينية التي ترمي إلى هدم المثل والأخلاق الدينية)^(٢). فيا لها من جبهة جديدة، ويا لها من كلمة سواء، كلاهما نقيض مراد الله.

■ وأقبح من ذلك تحريف محمد عمارة حيث يقول: (هل يستطيع جميع الفرقاء أن يتفقوا على كلمة سواء: أن يتخذ أبناء كل شريعة، شريعتهم طريقاً ونهجاً خاصاً لتدينهم بالعقائد الأصلية للدين الإلهي الواحد.. فليحتفظ كل بشريعته... وليعترف الجميع بكل الشرائع)^(٣).

٢ - التهوين من شأن ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾:

■ يقول الأستاذ كامل الشريف: (إن الحوار يقنع باللقاء على

(١) الحوار الإسلامي. الفرص والتحديات (٤٣).

(٢) الحوار بين الأديان: التحديات والآفاق (٥).

(٣) الإسلام والوحدة القومية (٢١٧، ٢١٨).

الحد الأدنى بافتراض أن الاتفاق مهما كان صغيراً في البداية، إلا أنه يخلق ديناميكية خاصة ترتاد به آفاقاً جديدة في طريق الوفاق ﴿قُلْ يَتَّاهِلْ أَلْكُتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّاهٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(١) فهل هذا اتفاق صغير يتعزى المتحاورون بقبوله مبدئياً طمعاً بما هو أكبر؟

ولما كان شأن هذه الآية عظيماً، وكانت فرقان ما بين المسلمين وأهل الكتاب - والنصارى خاصة - كان النبي ﷺ يكتب بها إلى ملوكهم، مقرونة بالدعوة إلى الإسلام، لأن مضمونها الإسلام بعينه، كما في كتابه ﷺ إلى هرقل، عظيم الروم: (أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم اليرسسين، ﴿قُلْ يَتَّاهِلْ أَلْكُتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّاهٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آيَاتِنَا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]^(٢)).

ثانياً: النهي عن الغلو في الدين، والقول على الله بغير الحق:

• قال تعالى: ﴿يَتَّاهِلْ أَلْكُتَبِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

• ﴿قُلْ يَتَّاهِلْ أَلْكُتَبِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

والغلو: مجاوزة الحد. ومن صور غلو أهل الكتاب، وقولهم

على الله غير الحق:

(١) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي على ضوء التجارب السابقة. مجلة الإسرائ عدد (١١٥) رجب ١٤٠٨ (٣٣).

(٢) صحيح البخاري (٦/١) من حديث أبي سفيان الطويل. وسيأتي الكلام على فقهه في المبحث الثاني.

- دعوى ألوهية المسيح ﷺ وربوبيته.
- دعوى أن الله سبحانه ثالث ثلاثة.
- دعوى بنوة المسيح والعزير لله سبحانه وتعالى.
- اتخاذ التماثيل والتماثيل لـ «قديسيهم»، وخاصة النصارى.
- التشدد في أحكام الطهارات والعبادات والمطعومات، من قبل اليهود... الخ^(١).

فهذا الغلو في الدين هو الذي أوقعهم في الشرك والقول على الله بغير علم. فلا بد من مبادئهم بالدعوة إلى ترك الغلو والشرك، وإخلاص العبادة، لله والقصد في جميع الأمور. وإن من أعظم ما يرتكبه دعاة التقريب، ويحادون به الله ورسوله، ويكذبون خبره، تسويغ شرك أهل الكتاب؛ من الغلو والشرك بالتثليث، وتأليه المسيح، ودعوى البنوة لله، وصرف ذلك كله إلى طوائف قد انقرضت بزعمهم، وبالتالي يسبغون عليهم اسم الإيمان، ويرفعون عنهم وصمة الكفر، وأنهم ليسوا من أصحاب النار^(٢).

فالواجب على المسلمين الصدع بما أمروا به، ومصارحة اليهود والنصارى بأن ما هم عليه إما باطل، أو حق منسوخ، وعدم مداونتهم في دين الله، كل ذلك مع الحكمة والموعظة الحسنة، على نحو ما سنبين في المبحث الثاني.

ثالثاً: الإيمان برسالة محمد ﷺ واتباعه:

• قال تعالى: ﴿يَتَأْخَذَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

(١) راجع مبحث «أهل الكتاب» في التمهيد.

(٢) تقدم ذكر هذه الشبهات في مواضع عديدة. انظر مثلاً: مبحث (الإسلاميون العصريون) من الباب الأول.

رِضْوَانَكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾ [المائدة].

• ﴿يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن
تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣﴾﴾ قُلْ يَتَأَمَّلُوا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
الَّذِي لَمْ يَمْلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأعراف].

• ﴿يَتَأَمَّلُوا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَيْنِ مِّن
رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾﴾
[الحديد]. قال ابن جرير رحمته: (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من
أهل الكتابين: التوراة والإنجيل خافوا الله بأداء طاعته، واجتناب
معاصيه، وآمنوا برسوله محمد عليه السلام... يعطكم ضعفين من الأجر،
لإيمانكم بعيسى عليه السلام والأنبياء قبل محمد عليه السلام، ثم بإيمانكم بمحمد عليه السلام
حين بعث نبياً^(١)).

فلا يجوز لأهل الإسلام بأي مسوغ تجاوز هذه الدعوة الأصلية،
وإهمالها وإرجائها، أو موازنة أهل الكتاب على اعتراف عام بنبوته عليه السلام
دون تصديقه واتباعه، واعتقاد أن شريعته ناسخة لشرائعهم، وأن رسالته

للناس كافة، عربهم وعجمهم، بل للإنس والجن جميعاً، وأنه لا يسع أحداً من الخلق التعبد لله بعد بعثة رسوله ﷺ إلا بما شرع عن طريقه.

رابعاً: الإيمان بالقرآن:

• قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلْزَمْنَا بِنَايَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝﴾ [النساء].

﴿يَبْنَىٰ إِنَّمَا أَدْكُرُوا نَعْبَقِ أَلْقَىٰ أُنْمَتْ عَلَيَّكَ وَأَوْفُوا بِهَدْيِ أَوْفٍ بِهَدْيِكُمْ وَإِنِّي فَازَهُبُونَ ۝﴾ وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ۝﴾ [البقرة].

• ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

• ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [آل عمران].

فلا بد من دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالقرآن العظيم بوصفه كلام الله حقيقة، نزل به جبريل على قلب محمد ﷺ، وأنه مصدق للتوراة والإنجيل مهيمن عليهما، ناسخ لشرائعهما، يقص عليهما أكثر الذي هم فيه يختلفون. ولا يحل بحالٍ من الأحوال مساواة الكتب التي بأيديهم به، وحسابها جميعاً على حدٍ سواء.

هذه أصول الإيمان التي يجب البداءة بها في مخاطبة أهل الكتاب، تأسيساً بالكتاب العزيز، وتقديماً لما قدمه الله، وتعظيماً لما عظمه، وبه يتبين إفلاس دعاة التقريب بين الأديان، حين يشيخون بوجوههم عن هذه الأصول، ويشتغلون بالترهات، أو الفروع بعد أن يخلعوا عليها ألقاب الجلال، ويضفوا عليها صفات الجمال، ويعدوا الحديث عنها من الجهر بالحق الذي يتطلب الشجاعة الأدبية، في حين يتواصون بتحاشي الحوار في أصول الإيمان ومسائل الاعتقاد. كما يتضح من المثال التالي:

■ يقول أحمد صدقي الدجاني: (يجب أن ينأى هذا الحوار، والحوار بين الأديان بعامة، عن استهداف التوحيد بين دينين أو أكثر. وهذا يعني ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرفٍ لعقيدة الآخر، والتسليم بمبدأ الاختلاف، ومبدأ حرية الاختيار... هدفٌ رئيس لهذا الحوار أن يجهر بالحق في المسائل والأمور التي تهم الناس، وأن يذكر بالمبادئ والقيم العليا التي يجب الالتزام بها، منهم، ومن السلطان، ومن بيدهم مقاليد الأمور... فمنها ما يتعلق بالموقف العقيدي المبدئي من قضايا بعينها، في مقدمتها قضية مقاومة العنصرية والتمييز العنصري، وقضية العدل الاجتماعي، وقضية الحرية والمسؤولية وقضية السلام القائم على العدل^(١)).

هذه وللأسف أمهات القضايا العقدية التي ينبغي دعاء التقريب للذود عن حياضها، ويتواصلون بالجهر بها، والصبر على ما يصيبهم من أذى في سبيلها، ويهجرون الدعوة إلى أركان الإسلام، ومعاهد الإيمان، متوهمين أو مُوهمين أن البحث فيها يفضي إلى توحيد دينين أو أكثر حيناً، أو يقطع حبل الاتصال والحوار أحياناً.

ولعمر الله، إن كان البحث في مسائل الاعتقاد يفضي إلى رجوع أهل الكتاب إلى الحق فيتحدون بأهل الإسلام فهذا غاية المطلوب، ومنتهى الآمال. وإن كان الحوار في مسائل الاعتقاد يستهدف إيجاد عقيدة ملفقة من دينين، فذلك عين الكفر والإلحاد، فكيف يظن أنه من لازم الدعوة إلى أصول الإيمان؟! ومن ظن ذلك فقد أغرب وأبعد النجعة. ومن تخوف أن ينقطع حبل الاتصال من جراء البحث في مسائل الاعتقاد، فإننا نقول: وهل كان موصولاً حتى ينقطع؟ وهل الحوار إلا وسيلة لغاية هي تصحيح العقيدة؟ فإذا انتفت الغاية فقيم التوسل إذاً؟!

(١) آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخرى، واستشرافها بالحوار. مجلة الإسلام اليوم عدد ١٢ (٤٠).

المبحث الثاني

أسلوب دعوة أهل الكتاب

كما بين الله سبحانه وتعالى مضمون دعوة أهل الكتاب، بيّن أيضاً أسلوب دعوتهم ودعوة وغيرهم من أصناف الناس بوجه عام، فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّ لَهُمُ الْيُلَىٰ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ [النحل]. وأرشد عباده المؤمنين إلى أسلوب مجادلة أهل الكتاب، بوجه خاص، فقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [المنكوت]. فهاتان الآيتان عمدة هذا الباب، والمرجع في كل ما يأتي الداعي ويذر، في دعوة أهل الكتاب.

وقد فصل هذا الإجمال المذكور في الآيتين، النسق القرآني في مخاطبتهم، والتطبيق العملي من لدن رسول الله ﷺ، في دعوتهم بالأساليب المتنوعة، وما سارت عليه الأمة الإسلامية المهدية عبر القرون. وستناول في الصفحات التالية:

١ - بيان معنى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٢ - الأساليب القرآنية في دعوة أهل الكتاب.

٣ - الوسائل النبوية في دعوة أهل الكتاب.

٤ - عمل الأمة الإسلامية، وسبيل المؤمنين.

أولاً: بيان معاني: (الحكمة) و(الموعظة الحسنة) و(المجادلة بالتي هي أحسن):

أ - الحكمة:

- قال ابن منظور: (الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم)^(١).
 - وقال الراغب^(٢): الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل^(٣).
 - قال ابن جرير: «الحكمة» يقول بوحى الله الذي يوحى إليك، وكتابه الذي ينزل عليك^(٤).
 - وقال ابن الجوزي: (وفي المراد بالحكمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن... والثاني: الفقه... والثالث: النبوة)^(٥).
 - وقال الشوكاني: (أي بالمقالة المحكمة الصحيحة. قيل: وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين)^(٦).
- فمجموع هذه العبارات يدل على صفة تجمع الحجة البالغة،

(١) لسان العرب (٣/ ٢٧٠).

(٢) الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصبهاني (أو الأصفهاني) المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، من أهل أصفهان. سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي، من كتبه: «محاضرات الأدباء»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«الأخلاق» و«المفردات في غريب القرآن»، و«حل متشابهات القرآن» توفي سنة ٥٠٢ هـ.

انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٥)، الذريعة (٥/ ٤٥)، كشف الظنون (١/ ٣٦)، سفينة البحار (١/ ٥٢٨)، آداب اللغة (٣/ ٤٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن (١٢٧).

(٤) جامع البيان (١٤/ ١٩٤).

(٥) زاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٦) فتح القدير (٣/ ٢٠٣).

والقول الفصل، والفعل الرشيد، مستمدة من الشرع الصحيح والعقل الصريح، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ب - الموعظة الحسنة:

• قال ابن منظور: (الوعظ، والعظة، والعظة والموعظة: النصيح والتذكير بالعواقب؛ قال ابن سيده^(١): هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب)^(٢).

• وقال الراغب: (الوعظ: زجرٌ مقترنٌ بتخويف. قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب)^(٣).

• قال ابن جرير: (بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه)^(٤).

• وقال البغوي^(٥): (يعني مواعظ القرآن، وقيل: الموعظة الحسنة

(١) ابن سيده (٣٩٨ - ٤٥٨هـ) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن، إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية، وانتقل إلى دانية فتوفي بها، كان ضريراً. صنف: «المخصص»، و«المحكم والمحيط الأعظم»، و«شرح ما أشكل من شعر المتنبي»، و«الأنيق» في شرح حماسة أبي تمام. انظر: الأعلام (٢٦٣/٤).

(٢) لسان العرب (٣٤٥/١٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن (٥٢٧).

(٤) جامع البيان (١٩٤/١٤). سورة النحل.

(٥) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي، فقيه محدث مفسر، ولد سنة ٤٣٦هـ، في «بغا» من قرى خراسان، له: «شرح السنة»، و«التهذيب»، و«مصابيح السنة»، و«الجمع بين الصحيحين»، و«الباب التأويل في معالم التنزيل». توفي سنة ٥١٠هـ. الأعلام (٢٥٩/٢)، وفيات الأعيان (١٤٥/١)، تهذيب ابن عساكر (٣٤٥/٤)، دائرة المعارف الإسلامية (٢٧/٤).

هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب. وقيل: هو القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف^(١).

• وقال ابن الجوزي: (في «الموعظة الحسنة» قولان: أحدهما: مواعظ القرآن... والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه)^(٢).

• وقال ابن كثير: (أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى)^(٣).

• وقال الشوكاني: («الموعظة الحسنة»: وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة، باعتبار انتفاع السامع بها قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية، الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة)^(٤).

ومجموع هذه العبارات يدل على صفة تستخدم المؤثرات العاطفية الوجدانية، المستمدة من آيات الله في النفس والآفاق، وسنن الله الكونية، بما يشير في النفس الرغبة والرغبة، والاستجابة لدعاء الحكمة. إذ أن بعض الناس يقتنع بالدعوة المحكمة، لكن لا يقع منه الإيمان والقبول التام، كما حكى الله عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلُوا بِهَا أَسَافَةً أَنفُسِهِمْ ظُلُمًا وظُلُومًا﴾ [النمل: ١٤]. وعن فرعون نفسه أن موسى عليه السلام جبهه بالقول: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَزَلَّ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. كما أن من الناس من يتأثر تأثراً عاطفياً سطحياً لا يبلغ اليقين والاعتقاد الجازم، فربما انقاد لظاهر الأمر برهة من الزمن ثم

(١) معالم التنزيل، البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود. تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. دار طيبة - الرياض. الطبعة الثانية (٤١٤هـ - ١٩٩٣م). (٥٢/٥).

(٢) زاد المسير (٥٠٦/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦١٣/٤).

(٤) فتح القدير (٢٠٣/٣).

انتكس. فكان لا بد للدعوة التامة من مخاطبة العقل بالحكمة، والقلب بالموعظة الحسنة.

ج - المجادلة بالتي هي أحسن:

- قال ابن منظور: (الجدل: وهو شدة الخصومة... الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة)^(١).
- وقال الراغب: (الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)^(٢).

• قال ابن جرير: (وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها. أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك).

- ثم روى بسنده عن مجاهد: (أعرض عن أذاهم إياك)^(٣). وقال في آية العنكبوت: ﴿إِلَّا يَأْتِيَنَّ أَحْسَنُ﴾: (يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه)^(٤).

• وقال البغوي: (وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن، أي: أعرض عن أذاهم، ولا تقصر في تبليغ الرسالة، والدعاء إلى الحق)^(٥).

- وقال القرطبي: (على معنى الدعاء لهم إلى الله ﷻ، والتنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة)^(٦).

(١) لسان العرب (٢/٢١٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن (٨٩).

(٣) جامع البيان (١٤/١٩٤).

(٤) جامع البيان (١/٢١).

(٥) معالم التنزيل (٥/٢٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٥٠).

• وقال ابن الجوزي: (في قوله ﴿يَأْتِي مِنْ أَحْسَنُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: جادلهم بالقرآن. والثاني: بـ «لا إله إلا الله»... والثالث: جادلهم غير فِظ ولا غليظ، وألن لهم جانبك^(١).

• وقال السعدي: (ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت عن غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك. وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة، وحب العلو، بل يكون القصد، بيان الحق، وهداية الخلق)^(٢).

• وقال الشنقيطي^(٣): (أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة - أن يجادل خصومه بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من إيضاح الحق بالرفق واللين. ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أحسن: قوله لموسى وهارون في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَمَلَكٌ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه] ومن ذلك القول للين: قول موسى له: ﴿نَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكُ﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَ رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات].

ومجموع هذه العبارات من أهل اللغة والتفسير يدل على أن «المجادلة بالتي هي أحسن» وصف يتضمن ثلاثة أمور:

(١) زاد المسير (٤/٥٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦/٩٢).

(٣) الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر، مدرس، من علماء شنقيط. ولد وتعلم بها. وحج سنة ١٣٦٧هـ، واستقر مدرساً في المدينة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة ١٣٨١هـ. وتوفي بمكة. من مصنفاته: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، و«منع جواز المجاز»، و«منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» انظر الأعلام: ٤٥/٦.

١ - المخاصمة والمناظرة لكشف الشبهات بالحجج والبيانات، وأنواع الاستدلالات لمغالبة الخصم، بغية هدايته، وحصول البلاغ التام رجاء إيمانه.

٢ - أن تكون تلك المجادلة بالقرآن والتوحيد والطرق الشرعية في الاستدلال.

٣ - أن تنضبط بالآداب الشرعية من اللطف وحسن الخلق والرفق واللين والصبر على الأذى، والبعد عن الغلظة والمخاشنة والفظاظة في القول والفعل.

وهذا سر تقييد «المجادلة» بـ «التي هي أحسن»، لأن الجدل في حد ذاته أقرب إلى الذم منه إلى المدح، ولهذا جاء استعماله في القرآن العظيم في سياق الذم غالباً، ووردت النصوص النبوية الكثيرة في ذم «الجدل» و«المجادلين»^(١). فلما كانت دلالاته تنقسم إلى: محمود، ومذموم، بل كان المذموم منه أكثر، احتيج لتقييد المأمور به «بالتي هي أحسن»، واستثناء المنهي عنه بما كان «بالتي هي أحسن».

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن استعمال إحدى هذه الطرق الثلاث يتنوع بتنوع المدعويين. فلكل طائفة من الخلق مرتبة تليق بها، وتدعى بها. قال الفخر الرازي: (اعلم إنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة، وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن.. ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقاً متغايرة متباينة...).

(١) من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا صَرَفُوهُ لَكَ إِلَّا جِدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وقوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)، وقوله: (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)، رواه البخاري (١٥٩/٥)، رواه مسلم (٢٠٥٤/٤).

واعلم أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينة. والمقصود من ذكر الحجة، إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين، وإما أن يكون المقصود إلزام الخصم وإفحامه.

أما القسم الأول: فينقسم أيضاً إلى قسمين، لأن الحجة إما أن تكون حجة حقيقية يقينية قطعية مبرأة عن احتمال النقيض، وإما أن لا تكون كذلك، بل تكون حجة تفيد الظن الظاهر والإقناع الكامل^(١)، فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج في هذه الأقسام الثلاثة: أولها: الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وذلك هو المسمى بالحكمة. وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات، وهي التي قال الله في صفتها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وثانيها: الأمارات الظنية: والدلائل الإقناعية، وهي الموعظة الحسنة. وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل. ثم هذا الجدل على قسمين:

■ القسم الأول: أن يكون دليلاً مركباً من مقدمات مسلمة في المشهور عند الجمهور، أو من مقدمات مسلمة عند ذلك القائل، وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن.

■ والقسم الثاني: أن يكون الدليل مركباً من مقدمات باطلة فاسدة، إلا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب، والحيل الباطلة، والطرق الفاسدة، وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل، إنما اللائق بهم هو القسم الأول، وذلك هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ﴾. فثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل والحجج في هذه الأقسام الثلاثة المذكورة في هذه الآية.

(١) هكذا في الأصل. وربما كان صوابها: (لا الإقناع الكامل).

إذا عرفت هذا فنقول: أهل العلم ثلاث طوائف: الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية، والعلوم اليقينية، والمكاملة مع هؤلاء لا يمكن إلا بالدلائل القطعية اليقينية، وهي الحكمة، والقسم الثاني: الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة، لا طلب المعرفة الحقيقية، والعلوم اليقينية، والمكاملة اللاتقة بهؤلاء المجادلة التي تفيد الإفحام والإلزام. وهذان القسمان هما الطرفان. فالأول: هو طرف الكمال. والثاني: طرف النقصان.

وأما القسم الثالث فهو الواسطة، وهم الذين ما بلغوا في الكمال إلى حد الحكماء المحققين، وفي النقصان والردالة إلى حد المشاغبين المخاصمين. بل هم أقوامٌ بقوا على الفطرة الأصلية، والسلامة الخلقية، وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية، والمعارف الحكمية، والمكاملة مع هؤلاء لا يمكن إلا بالموعظة الحسنة. وأدناها المجادلة، وأعلى مراتب الخلائق الحكماء المحققون، وأوسطهم عامة الخلق، وهم أرباب السلامة، وفيهم الكثرة والغلبة^(١).

فهذا ترتيب للطرق الثلاث من الأعلى إلى الأدنى بحسب حال المدعويين، فتخاطب كل طبقة بما يناسبها من إحدى هذه الطرق. وعكس الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله، فجعل هذه المراتب تدرج من الأدنى إلى الأعلى بالنظر إلى الشخص الواحد، من جهة الداعي فقال: «الحكمة» أي كل أحدٍ على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده. ومن الحكمة، الدعوة بالعلم، لا بالجهل، والبداة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم. وبما يكون قبوله أتم، وبالفارق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فيتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. الرازي. فخر الدين، محمد بن عمر. دار الفكر - بيروت. الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) (١٠/١٤٠ - ١٤١).

الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها. وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقيم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد الله للعاصين من العقاب العاجل والآجل.

فإن كان المدعو، يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً. ومن ذلك، الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها^(١).

فالفخر الرازي جعل هذه الأوصاف الثلاثة مراتب متغايرة متباينة بحسب حال المدعويين؛ أعلاها الحكمة، وأوسطها الموعظة، وأدناها المجادلة، يقابل كل مرتبة طائفة من الناس. والسعدي جعلها أحوالاً للداعي يترقى بها مع المدعو من الأسهل إلى الأصعب لتبليغ الدعوة، دون أن يتعلق ذلك بحال المدعويين من الكمال أو النقصان.

والأقرب للسياق القرآني أن تجتمع الدعوة بالحكمة، والدعوة بالموعظة الحسنة في حق المدعو الواحد، لأن الله جمع بينهما، وعلقهما معاً بالفعل «ادع»، لتنوع تأثيرهما في الإقناع، فيعضد أحدهما الآخر. أما الجدل فيحتاج إليه أحياناً إذا وجدت دواعيه من شبه عالقة، أو تشبيه وتلييس للصد عن سبيل الله. فلهذا قطع تعلق المجادلة بباب الدعوة المباشرة، فلم يقل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بل جعلها من باب آخر، وإن كان يحصل بها ضمناً دعوة وبيان، ودفع عدوان.

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٢٥٤ - ٢٥٥).

ولما كان أهل الكتاب أخرى أن يقع منهم الجدل، لما يرون عليه أنفسهم من ميراث الكتاب، وآثار النبوة السابقة، ولما ورثوه أيضاً من ركाम الجدل الذي ضلوا به عبر القرون، خصهم الله بالذكر، ونبه عباده المؤمنين على الالتزام بمنهج الأدب الشرعي في مجادلتهم فقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقد اختلف المفسرون في هذه الآية من جهتين: إحداهما: في المراد بالذين ظلموا، والذين لم يظلموا من أهل الكتاب، والثاني: في كونها منسوخة أو محكمة. والحق في المسألتين ما ذهب إليه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمته الله حيث قال: (وأولى الأقوال بالصواب، قول من قال: عني بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب. فإن قال قائل: أو غير ظالم من أهل الكتاب، إلا من لم يؤد الجزية؟ قيل: إن جميعهم، وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله محمداً ﷺ ظلمة، فإنه لم يعن بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ظلم أنفسهم. وإنما عني به: إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب بغير الذي هو أحسن، بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فمعلوم إذا كان قد أذن لهم في جدالهم، أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم، وأنهم غير المؤمن، لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحق، لأنه إذا جاء بغير الحق، فقد صار في معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحق^(١)، فإذا كان ذلك كذلك، تبين أن لا معنى

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن كان قصده العناد، يعلم أنه على باطل، =

لقول من قال: عنى بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أهل الإيمان منهم^(١)، وكذلك لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال وزعم أنها منسوخة^(٢)، لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل^(٣).

وقد ادّعي النسخ أيضاً في آية النحل^(٤) التي لا تختص بأحد دون أحد، قال القرطبي: (هي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار، ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة)^(٥). وهذا الأخير هو الحق، لأن الغاية من بعثة الرسل هداية الخلق، لا وضع السيف على رقابهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (وإذا كان النبي ﷺ يحتاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه، والمراد بذلك تبليغه رسالات الله وإقامة الحجة عليه، وذلك قد لا يتم إلا بتفسيره له الذي تقوم به الحجة، ويجاب به عن المعارضة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، علم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقاً)^(٦).

= ويجادل عليه، فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن، لكن قد نجادله بطرق أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاء له بموجب عمله). الجواب الصحيح (٢١٩/١).

(١) انظر: جامع البيان (٢/٢١)، وتوجيه هذا القول في الجامع لأحكام القرآن (٣٥٠/١٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٢/٢١)، معالم التنزيل للبغوي (٢٤٨/٦)، وزاد المسير (٢٧٧/٦).

(٣) جامع البيان (٢/٢١)، (٣).

(٤) انظر: معالم التنزيل (٥٢/٥)، وزاد المسير (٥٠٦/٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/١٠).

(٦) الجواب الصحيح (٢٣١/١ - ٢٣٢).

وقال: (ما ذكره الله تعالى من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا، محكم لم ينسخه، وكذلك ما ذكره تعالى من مجادلة الخلق مطلقاً بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] فإن من الناس من يقول: آيات المجادلة والمحااجة للكفار منسوخات بآية السيف، لا اعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط، فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ... فهذا لا يناقضه الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم، ولكن الأمر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة.

فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به، والقتال المأمور به، فلا منافاة بينهما، وإذا لم يتنافيا بل أمكن الجمع، لم يجز الحكم بالنسخ. ومعلوم أن كلا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر، وأن استعمالهما جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق^(١). ثم شرع ﷺ في بيان ذلك من تسعة أوجه.

فإذا كان الأمر بالمجادلة بالتي هي أحسن محكم لم ينسخ، حتى والغلبة والظهور للمسلمين على أهل الكتاب في القرون الخوالي، فلا ريب أنه يتأكد الأخذ به في هذا الزمان الذي انعكس فيه الحال.

ثانياً: الأساليب القرآنية في دعوة أهل الكتاب:

خير ما فسر به القرآن هو القرآن. فإن ما أجمل في موضع منه، قد فسر في موضع آخر. فهذه الجمل الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، قد فصلت بأساليب شتى في مثاني القرآن العظيم، وتنوعت هذه الأساليب تنوعاً كثيراً لعلمهم يتقون

(١) الجواب الصحيح (١/ ٢١٧ - ٢١٩).

أو يحدث لهم ذكراً، ولتكون منهجاً للدعاة إلى الله في كل زمانٍ ومكان في مخاطبة أهل الكتاب، تغنيهم عن الأساليب المستحدثة، والطرق المبتدعة، التي تطيل الطريق، وتبيل السالك، وتطمس نضاعة المنهج ووضوح الخطاب، وتضيع الجهود، وتهدر الأوقات في غير ما طائل، كما يحصل للمشتغلين بالحوار مع أهل الكتاب، على غير سنة واتباع، ودون ترسم لهدي الكتاب المبين.

وفيما يلي ثمانية أساليب مستنبطة من الخطاب القرآني لأهل الكتاب، مبنية على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، إلا لمن ظلم، فيتعين على من تصدى لدعوة أهل الكتاب ومحاورتهم الأخذ بها، والنسج على منوالها، وألا يعدل بها شيئاً من أساليب أهل الأهواء والبدع.

١ - أسلوب المبادرة الواضحة:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران].

إن أخذ زمام المبادرة في مخاطبة أهل الكتاب ينبغي أن ينشأ من الجانب المسلم، فينادي غيره، ويجمعهم ليلقي عليهم دعوته الواضحة الصادقة، كما يدل النداء في هذه الآية. ولطالما شكا المشتغلون بالحوار الإسلامي - النصراني - بصيغته المعاصرة من كون المبادرة تأتي غالباً من الجانب النصراني، وأن المحاورين المسلمين يساقون دون تخطيط مسبق، وأهداف واضحة، من جانبهم، عبر قنواتٍ ومسالك، رسمها لهم سلفاً محاوروهم من أهل الكتاب. وهذا في الواقع ليس بمستغرب، لأن دعاة التقارب من المسلمين جفوا المنهج الشرعي القائم على دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء، فلم يبق لهم ما يدلون به على

الآخرين. فأهل الإسلام لا يستقيم أمرهم، ولا يعبرون بصدق عن دينهم، إلا أن يكونوا أصحاب مبادرة للقيام بأمر الله، وغاية واضحة في الدعوة إلى الله، وخطة بينة بالالتزام بمنهج الله، كما دلت عليه هذه الآية العمدية، وإلا تقاذفتهم الأعياب الذين كفروا من أهل الكتاب، ومبادراتهم العبثية الموسومة بالتقارب والحوار ونحوها.

٢ - أسلوب العبرة والتذكير:

• قال تعالى: ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة].

• ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٥٠﴾﴾ فَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة].

• ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا آلُوحُلَّ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ إِلَيْنَا فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُسْطَلُونَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٦﴾﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء].

وقد تضمن القرآن العظيم ثلاثاً وعشرين واقعة مصدرة بكلمة (وإذ) الظرفية، تذكّر أهل الكتاب من يهود ونصارى بما جرى من أسلافهم مع أنبيائهم، وعواقب ذلك، لا لمجرد القصص، وإنما للتذكير والاعتبار والاستبصار، حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه، وتحل بهم المثالات. فينبغي اعتماد هذا الأسلوب القرآني في مخاطبة أهل الكتاب، لأن الاستشهاد بحقائق التاريخ - وعامتها موجودة في كتبهم، والتذكير بدروسه وعبره، من أقوى وسائل التأثير.

٣ - أسلوب الإغراء والترغيب:

• قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِقَاتِيهِمْ وَلَدَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة]. قال ابن جرير رحمته الله: (لو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل... وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم من الفرقان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم... لأنزل عليهم من السماء قطرها، فأنبت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارها)^(١).

• ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠].

• ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم مَسْبُورٌ أَلْسَلِمَ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

• ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

[المائدة].

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد].

قال ابن جرير: (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم... يعطكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم

بعيسى ﷺ، والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم إيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبياً... يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله الذي آتاكم وخصكم به، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضلهم على جميع الخلق، فأعلمهم الله جل ثناؤه أنه قد أتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة ما لم يؤتهم^(١).

فهذا الأسلوب من أنجح الأساليب وأدعاهها إلى قبول الحق والاعتباط به. ففيه من الترغيب والإغراء ما يحفز أصحاب الهمم العالية، والنفوس التواقّة إلى الكمالات، إلى استشراق الهدى بنفس مستبشرة طامعة بفضل الله ورحمته. كما أنه لا يهدر الماضي بإطلاق، ويسفه بالكلية، ويحطم سائر أعماله، بل يجعل الحاضر امتداداً لصواب الماضي، ونوراً وهدى ورحمة وفضلاً وخروجاً من الظلمات إلى النور، وعفواً ومغفرة عن خطئه وانحرافه، ويعدّهم خير الدنيا بالأكمل من فوقهم ومن تحت أرجلهم وسائر التوسعات، وخير الآخرة بالفوز بكفيلين من رحمة الله.

٤ - أسلوب التحذير والترهيب:

• قال تعالى: ﴿أَفَذَكَّرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا تَالُفٌ مِّنْ آلِهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ [المائدة].

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلْكَتَبَ مَا تَزَلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿٤٧﴾ [النساء].

• ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ سَبِّحْهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[البقرة].

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشَدُّونَ بِهِ نَمْنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

• ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُوا ﴿١٧٣﴾﴾ [التوبة].

فهذه الآيات وأمثالها، المتضمنة للتهديد والوعيد والتحذير، ترتجف لها القلوب التي فيها أدنى حياة، فتحملها على إعادة النظر فيما تعتقد وتقول وتعمل، فإذا لم يحفزها حافز الترغيب، ردعها رادع التهيب، وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

• - أسلوب التوبيخ والنكير:

• قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٧﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَسْمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران].

• ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران].

• ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة].

ولا يزال أهل الكتاب مقيمين على ما وبخهم الله فيه، وأنكره عليهم من الكفر بآيات الله كفاحاً مع قيام الحجة، ولبس الحق بالباطل، والصد عن سبيل الله، والنقمة على أولياء الله، فيما ينفثونه من سموم ودعايات مضللة في وسائل الإعلام، وما ينفقونه من أموال طائلة، وجهود مضية لتنصير الناس وصرفهم عن دين الله الحق. فلا بد

من استمرار النكير عليهم وتبكيتهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد،
تأسيًا بكتاب الله .

٦ - أسلوب المحاجة والنقض:

• قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة].
• ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ قُلْ أَنتُمْ أَغْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

• ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَّهُمْ عَنِ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

• ﴿يَتَأَخَذُ الْكِتَابَ لِمَ تَعَاجَزُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَدْوٍ أَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ هَاتَمٌ هَوْلَاءَ حَجَبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُعَاجِزُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران].

• ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ الْبَيْتِ وَإِلَادِي قُلْتُمْ قَلِمًا قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة].

وهذا في كتاب الله كثير. فإن المبطلين يتشبثون بخيط العنكبوت لمجادلة أهل الإيمان، والتشويش عليهم، والصد عن سبيل الله، فلا بد من هتك أستارهم، وبيان تهافت حججهم ودعائهم، إقامة لحجة الله عليهم، ورفعاً لِلْبَسِّ عن الناس.

ولم يزل هذا منهج المؤمنين المهتدين بالقرآن العظيم، من سلف هذه الأمة وتابعيهم بإحسان، من تصنيف الكتب، وعقد المناظرات، وندبيج المقالات في نقض هذا المسلك، دون البحث عن مواضع الاتفاق، وإقصاء مواضع الافتراق لتحقيق «التقارب الديني» كما يزعمون، وما ذاك من سبيل المؤمنين. قال ابن القيم رحمته الله في فقه قصة وفد نجران: (ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه، إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم. ولا يهرب عن مجادلته إلا عاجزاً عن إقامة الحجة، فليؤل ذلك إلى أهله، وليحل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها)^(١).

ويا ليت هؤلاء العصرانيين من أهل التقريب بين الأديان لما قصرُوا عن هذه المرتبة خلوا بين أهل الإسلام وخصومهم، ووكلوا الأمر لأهله، لكنهم أذاعوا دعوة التقريب وأفشوها بين المسلمين، ورددوا أصدقاء شبهات أهل الكتاب، وسفهاوا طريقة السابقين الأولين، وزعموا أنها من سجال الماضي ومظالمه وجراحاته، التي يجب أن تندمل وتمحى. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

٧ - أسلوب المباهلة:

• قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَلَرِ فَقُلْ مَا تَقَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران]. قال ابن جرير رحمته الله: (فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى ابن مريم... فقل تعالوا: هلموا فلندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل يقول: ثم نلتعن: فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في آية عيسى^(١)).

وهذه درجة متقدمة في سلم مخاطبة أهل الكتاب، يصار إليها عند الإصرار وكمال الإعذار، وانقطاع الخصم، وتقشع الشبه بالحجة والبيان. فإذا أعيت الحيلة، وتبين عناد الخصم الجيء إلى المباهلة. وهي وسيلة مفيدة من جهتين:

١ - إظهار التحدي، والثقة التامة، بأن الداعي إلى المباهلة على الحق.

٢ - إرهاب المعاند، وحمله على الجد والحزم، بالتعرض للعنة الله، فينتقل من حالة المنازعة الجدلية النظرية، إلى مقام المواجهة العملية المخيفة، فربما نزع واستغفر واستعتب.

قال ابن القيم رحمته الله في فقه قصة وفد نجران: (ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصرروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك... وهذا من تمام الحجة^(٢)).

(١) جامع البيان (٣/ ٢٩٧ - ٢٩٨).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٤٣).

٨ - أسلوب المفاصلة:

- قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].
- ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٧٧].
- ﴿فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصَوِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٨٥].

إن المنهج الشرعي يقوم على الصدق والبيّنة، فكما أنه يهتبل الفرصة، ويبادئ غيره بالدعوة الواضحة إلى أصول الاعتقاد، فإنه لا يدع الأمر معلقاً لا ينتهي إلى حد واضح، بل يحزم أمره، ويحمل غيره على تحديد موقفه، بعد البيان التام، وكشف الشبهة، وإقامة الحجة. فإما الإسلام وإما التولي. وحينئذ فلا بد من الجهر والإعلان والإشهاد، بعد المحاورات والمفاوضات المنتهية بالتولي والإعراض، بأننا مسلمون، ومن سوانا ليسوا كذلك. وهكذا ينبغي أن يكون «البيان الختامي» من طرف واحد، لا أن يكون بحثاً عن «قضايا مشتركة» يعلنها الطرفان، فيكسب أهل الكتاب تنازل المسلمين عن دعواهم الأساسية: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ثالثاً: الوسائل النبوية في دعوة أهل الكتاب:

كانت سيرته ﷺ ترجماناً للقرآن، وبياناً له، فامتثل أمر ربه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّ لَهُمُ الْبَالِغِي أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وانتهى عما نهى بقوله: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْقِيَمَةِ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وكلاهما آية مكية، فدعا النبي ﷺ كل من لقيه إلى دين الله دون استثناء، ولم يدر بخلده يوماً أن ما جاء به من عند الله

استمراراً لليهودية والنصرانية المحرفتين، أو أن يسعى للحصول على اعترافٍ منهما، أو أراد مزاملتهما، كما زعم بعض دعاة التقريب^(١)، بل أدرك ﷺ منذ الوهلة الأولى أنه ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾ [البينة]، وأوقفه الله على انحرافاتهم وضلالاتهم، وأخبره: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ﴾ [النمل]. وقد كان أهل الكتاب في تخوم الجزيرة العربية، وفي يثرب ونجران، وأفراد قلائل في مكة، فدعاهم جميعاً ﷺ إلى دين الله في العهدين المكي والمدني، وتوسل بعدة وسائل، منها:

١ - غشيانهم في محافلهم ومجتمعاتهم وبيوتهم، ومن شواهد ذلك:

• (عن أبي هريرة رضي الله عنه) قال: بينما نحن في المسجد، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريد. ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله^(٢).

• (عن عوف بن مالك رضي الله عنه) قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر يهود، أروني اثني عشر رجلاً

(١) انظر مجلة الاجتهاد (٥/٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/٦٥)، (٨/٥٧، ١٥٦)، صحيح مسلم (٣/١٣٨٧) ومدراس اليهود: كنيستهم... والإضافة في بيت المدراس إضافة العام للخاص، وفسروه بموضع قراءة التوراة. حاشية على صحيح البخاري (٨/٥٧)، وانظر: فتح الباري (١٢/٢٨٣).

يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه، قال: فأسكتوا ما جاوبه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد. فقال: أبيتم. فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى، آمنتكم أو كذبتكم. ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج، نادى رجل من خلفنا: كما أنت محمد. قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمون فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد له بالله إنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة. قالوا: كذبت ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً. قال رسول الله ﷺ: كذبتكم لن يقبل قولكم، أما أنفأ فتثنون عليه من الخير ما أثنتم، ولما آمن كذبتموه وقتلتم فيه ما قتلتم، فلن يقبل قولكم. قال فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام. وأنزل الله ﷻ فيه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ لِكُلِّ آلِهَةٍ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحاف] (١).

• (وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار) (٢).

فدلت هذه الأحاديث الصحيحة على ما يلي:

(١) مسند الإمام أحمد (٥٢/٦)، ورواه الحاكم في المستدرك (٤١٥/٣، ٤١٦) وسكت عنه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: ورجاله رجال الصحيح (١٠٥/٧، ١٠٦).

(٢) صحيح البخاري (٩٧/٢).

١ - أن من هديه ﷺ غشيان أهل الكتاب في مجتمعاتهم الدينية، وفي زمن أعيادهم، في أماكن عبادتهم وتعليمهم، رجاء كثرتهم، كما صنع كلیم الله موسى، حين قال: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝﴾ [طه] وكذلك زيارتهم، وعيادة مريضهم في بيوتهم، لدعوتهم إلى الإسلام.

٢ - مبادأة أهل الكتاب بالدعوة الصريحة إلى الإسلام: «أسلموا»، وعدم الاشتغال بشيء سوى ذلك، وتكرار الدعوة ثلاثاً دون خلطها بدعوة سواها.

٣ - استعمال أسلوب الترغيب والإغراء أولاً، كما في قوله: «أسلموا تسلموا»، وقوله: «يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء والغضب الذي غضب عليه».

٤ - استعمال أسلوب التهيب والوعيد ثانياً حين الإباء، كما في قوله: «أبيتم. فوالله إني لأنا الحاشر^(١) وأنا العاقب^(٢)»، وقوله: «اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم».

٥ - استعمال أسلوب التوبيخ والنكير، لقوله: «كذبتُم، لن يقبل قولكم، أما آنفاً ففتنون عليه من الخير ما أثنتُم، ولما آمن كذبتُموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم».

٦ - المجادلة بالتي هي أحسن. فإن اليهود لما دعاهم ﷺ إلى الإسلام، قالوا: قد بلغت، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقولهم: «قد بلغت»، كلمة مكرٍ ومداجاة، ليدافعوه بما يوهمه ظاهرها. ولذلك

(١) الحاشر: الذي يُحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره. النهاية في غريب الحديث (١/٣٨٨).

(٢) العاقب: هو آخر الأنبياء، والعاقب والعقوب: الذي يخلف من كان قبله في الخير. المرجع السابق (٣/٢٦٨).

قال ﷺ: ذلك أريد، أي التبليغ^(١). ونقل في موضع آخر عن المهلب^(٢) وجه مناسبة الحديث للترجمة في باب (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، من كتاب التوحيد في صحيح البخاري: (وجه ذلك: أنه بلغ اليهود، ودعاهم إلى الإسلام والاعتصام به، فقالوا: بلغت، ولم يدعونا لطاعته، فبالغ في تبليغهم وكرره، وهذه مجادلة بالتي هي أحسن)^(٣).

٢ - دعاؤهم إلى دار الإسلام:

• روى أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث قدوم النبي ﷺ المدينة مهاجراً - الطويل -: (... فلما جاء نبي الله ﷺ، جاء عبد الله بن سلام، فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنت جئت بحق، وقد علمت يهود أنني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ. فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا، فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا. قالوا: ما نعلمه. قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مرار. قال: فأني رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى الله، ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى الله، ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشى الله، ما كان ليسلم. قال: يا ابن سلام اخرج عليهم. فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي

(١) فتح الباري (١٩٥/٦).

(٢) المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي الأندلسي، مصنف «شرح صحيح البخاري» توفي سنة ٤٣٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٥٧٩/١٧).

(٣) فتح الباري (٢٦٥/١٣).

لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا له: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ^(١).

• ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن سعد أنه روى من طريق سعيد بن جبير قال: (جاء ميمون بن يامين، وكان رئيس اليهود إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، ابعث إليهم فاجعلني حكماً، فإنهم يرجعون إلي، ثم أرسل إليهم فأتوه فخطبوه فقال: اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم. قالوا: قد رضينا ميمون بن يامين. فقال: اخرج إليهم فأبوا أن يصدقوه)^(٢).

فيستفاد من هاتين الواقعتين:

١ - أن من هديه ﷺ دعوة أهل الكتاب إلى مجلسه لعرض الإسلام عليهم إذا طمع في ذلك، وتجددت أسباب توجب ذلك، كإسلام بعض عظمائهم.

٢ - أن من وسائل دعوة أهل الكتاب حكاية إسلام من أسلم منهم، لا سيما أهل العلم والفضل والسيادة منهم، لحفزهم على الإسلام، وإذهاب الوحشة من ذلك ولم يزل - بحمد الله - في كل جيل وقبيل شاهد من بني إسرائيل يؤمن بالله، ويشهد شهادة الحق ممن يشار إليه بالبنان، ليكون حجة عليهم.

٣ - لا بأس باستعمال الحيلة وسيلة للإلزام المدعو بالحق، وحمله على القبول فيؤمن، أو النكوص فيفتضح أمره، وذلك بعد دعوتهم دعوة صريحة إلى الإسلام.

(١) صحيح البخاري (٤/٢٦٠ - ٢٦١).

(٢) فتح الباري (٧/٢١٣ - ٢١٤).

٣ - الكتابة إلى ملوكهم:

عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه ﷺ^(١). فهذا نوع من البلاغ الذي أمره الله تعالى به: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿فَاتِّمِمْنَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وأمثالها كثير وقد بلغ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، فمن لم تبلغه قدمه، ويصله صوته، بعث إليه رسله، وحملهم كتبه، وأقام عليه الحجة، وضمَّنه من تحت إمرته.

وقد حكى أهل السير كتباً كثيرة بعث بها رسول الله ﷺ إلى ملوك النصارى وعظمائهم، وهم:

■ هرقل، قيصر الروم وعظيمها.

■ النجاشي ملك الحبشة، وهو الذي وليهم بعد أصحابه رضي الله عنه، سنة تسع.

■ المقوقس، عظيم القبط ملك مصر.

■ الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك غسان. وغيرهم^(٢).

وعامة هذه الكتب من أخبار أهل التواريخ، التي لا تستقيم على قانون المحدثين، ومعارهم في الثبوت، والصحيح الثابت منها كتابه ﷺ لهرقل عظيم الروم، الذي رواه البخاري ومسلم في حديث أبي سفيان

(١) صحيح مسلم (٣/١٣٩٧).

(٢) ختم الزيلعي رحمه الله كتابه «نصب الراية» بمسرد بنصوص «كتب النبي ﷺ إلى عظماء الأمم» (٤/٤١٩ - ٤٢٥): ولم يتكلم عليها. وانظر: «وفاء الوفاء» لابن سيد الناس (٢/٢٦٢ - ٢٧١)، وانظر: الجواب الصحيح (١/٢٨٧ - ٣٠٠) وانظر: «شرح المواهب اللدنية» لابن زنجويه (٣/٣٤٠ - ٣٥٧)، وانظر زاد المعاد (٣/٦٨٨ - ٦٩٧).

الطويل مع هرقل، وفيه: (ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين. ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوْلَمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبَذَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] ^(١).

وهذا الكتاب عمدة وأصل في دعوة أهل الكتاب، مضموناً وأسلوباً، وفيه من الفوائد ما يلي:

١ - أن من هديه ﷺ استعمال وسيلة الكتابة في تبليغ دين الله حيث لا تبلغ المشافهة، ولا تحصل المواجهة. وعلى أساس هذه السنة المحكمة حرر المسلمون الرسائل، وصنفوا الكتب في دعوة أهل الكتاب ومجادلتهم.

٢ - مبادأة أهل الكتاب بالدعوة الصريحة المباشرة إلى الدخول في دين الإسلام؛ دعوة لا لبس فيها ولا غموض؛ ناجزة غير مؤجلة، خالصة غير مشوبة.

٣ - استعمال أسلوب الترغيب والإغراء بقوله: «تسلم»، وقوله: «يؤتك الله أجرك مرتين».

٤ - استعمال أسلوب التهيب والوعيد، كما في قوله: «فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين»، قال الخطابي ^(٢) ﷺ: (والمعنى أنك إن

(١) صحيح البخاري (٦/١)، (١٣٩٦/٣)، وراجع مبحث «موقف أهل الكتاب من الإسلام» في التمهيد.

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، ولد سنة ٣١٩ هـ. =

لم تُسلم، وأقمت على دينك، كان عليك إثم الزَّراعين والأجراء الذين هم خَوَلٌ وأتباع لك^(١). وقال ابن حجر رحمته الله: (وفي الكلام حذف دل المعنى عليه، وهو: فإن عليك مع إثمك إثم الأريسيين، لأنه إذا كان عليه إثم الأتباع بسبب أنهم تبعوه على استمرار الكفر، فلأن يكون عليه إثم نفسه أولى)^(٢).

٥ - استعمال أسلوب الخطاب الرفيع، الذي لا ينحط إلى دركات المداهنة، والمجاملات الكاذبة، والتملق المستهجن، ولا يتعالى إلى حد يورث النفرة والجفاء، كما يتضح من وصفه رحمته الله لـ «هرقل» بـ «عظيم الروم»، ومن تحيته البديعة التي صدر بها كتابه: «السلام على من اتبع الهدى». قال الخطابي: (فأما قوله في كتابه «إلى عظيم الروم»، فمعناه: من تعظم الروم وتقدمه عليها. ولما يكتب إلى ملك الروم، لما يقتضيه هذا الاسم من المعاني التي لا يستحقها من ليس من أهل دين الإسلام، ولو فعل ذلك لكان فيه التسليم لملكه، وهو بحكم الدين معزول، ومع ذلك فلم يخله من نوع من الإكرام في المخاطبة، ليكون آخذاً بأدب الله تعالى في تليين القول لمن يبتدئه بالدعوة إلى دين الحق)^(٣).

= فقيه محدث، من أهل بستان، توفي سنة ٣٨٨هـ، من تصانيفه: «معالم السنن» و«إصلاح غلط المحدثين» و«غريب الحديث» و«أعلام الحديث». انظر: الأعلام (٢/٢٧٣)، وفيات الأعيان (١/١٦٦)، إنباء الرواة (١/١٢٥)، خزانة الأدب (١/٢٨٢).

(١) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري. الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد. تحقيق: الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. جامعة أم القرى. معهد البحوث العلمية. مركز إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م). (١/١٣٨).

(٢) فتح الباري (١/٣٦).

(٣) أعلام الحديث (١/١٣٥ - ١٣٦).

وهذا ملحوظٌ منهم يجب أن يتنبه له الذين يتصدون لخطاب النصارى، فلا يخضعون بالقول، ويستخذون لأعداء الله، ويمنحوهم قيادهم، وينزعون هيبتهم بأنفسهم، كقول بعضهم: «إخواننا النصارى»، أو مخاطبة كبيرهم بـ «يا قداسة البابا». كما لا ينبغي لهم أن يقعوا في الجفاء والمخاشنة بترك التحية المناسبة للمقام، وعدم تنزيل الناس منازلهم، ومخاطبتهم بما يليق بمكانتهم عند قومهم، من غير أن يقع المتكلم في الكذب.

قال النووي رحمته الله في فوائد هذا الكتاب النبوي: (ومنها: التوقي في المكاتبة، واستعمال الورع فيها، فلا يفرط ولا يفرط. ولهذا قال النبي ﷺ: إلى هرقل عظيم الروم. فلم يقل: ملك الروم، لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ، أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة. ولم يقل: إلى هرقل، فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة، فقال: عظيم الروم، أي الذي يعظمونه ويقدمونه. وقد أمر الله بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، وقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا﴾^(١).

إن المنطق عنوان المرء، ومظهره المنبئ عن مخبره، المقتضي لما يترتب عليه من هبة وإجلال وقبول، أو أضدادها. هذا بالنسبة إلى الشخص من حيث هو، فكيف إذا كان يمثل الإسلام والمسلمين في نظر محاوريه؟

٦ - بيان معنى «كلمة سواء» بالتفسير النبوي القاطع لتأويلات الجاهلين، وتحريفات المبطلين، وأنها عين دين الإسلام، ليس غير؛ لا

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٠٨).

القدر المشترك الذي كان متفقاً عليه سلفاً بزعمهم، ولا بحسبانه حداً أدنى واتفاقاً صغيراً^(١)، أو مجرد إطار خارجي لتحقيق تكافؤ طرفي الحوار، على حد تفسير أحدهم للآية بقوله: (لست رباً لي، ولست عبداً لك، كلنا عبيد لرب واحد)^(٢).

فقد عين النبي ﷺ دعوته بوضوح فقال: (فإني أدعوك بدعاية الإسلام)، وفي رواية لمسلم: (بداعية الإسلام)^(٣)، قال الخطابي: (وبيان الدعاية في قوله: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾^(٤)، وقال ابن حجر: (أي بالكلمة الداعية إلى الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)^(٥). ثم أدرج ﷺ الآية مستدلاً بها على هذه الدعوة، ومتمثلاً أمر ربه امتثالاً دقيقاً حين قال له: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فقال: ﴿يَٰ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. فما أحوج المسلمين اليوم إلى فقه هذا الكتاب النبوي العظيم، ولزوم غرضه، قال ابن حجر: (وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على الأمر بقوله: أسلم، والترغيب بقوله: تسلم، ويؤتلك، والزجر بقوله: فإن توليت، والترهيب بقوله: فإن عليك، والدلالة بقوله: يا أهل الكتاب. وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى وكيف لا، وهو كلام من أوتي جوامع الكلم ﷺ)^(٦).

وقد كان هذا الكتاب العظيم في زمن الهدنة التي أعقبت صلح الحديبية، فبعث به النبي ﷺ آخر سنة ست، وكان وصوله إلى هرقل في

(١) راجع مبحث «الإسلاميون العصرانيون» في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) الإسلام والغرب مع الدكتور يوسف القرضاوي (١٦، ١٧).

(٣) صحيح مسلم (٣/١٣٩٧).

(٤) أعلام الحديث (١/١٣٦).

(٥) فتح الباري (١/٣٥).

(٦) فتح الباري (١/٣٧).

المحرم سنة سبع على ما حرره الحافظ ابن حجر^(١). وقد روى الإمام أحمد رحمه الله ما يدل على أنه عليه السلام كتب إلى هرقل كتاباً آخر في السنة التاسعة من الهجرة، في غزوة تبوك التي كانت موجهة إلى الروم. ففي حديث التنوخي^(٢) الطويل: (قدم رسول الله عليه السلام تبوك فبعث دحية الكلبي إلى هرقل، فلما أن جاء كتاب رسول الله عليه السلام، دعا قسيسي الروم وبطارقتها، ثم أغلق عليه وعليهم باباً، فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني إلى أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب، ليأخذن ما تحت قدمي، فهلم تتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم... الخ)^(٣).

فبين الكتابين النبويين لهرقل، سنتان ونصف، والأول صدر في حال سلم، ومواعدة، والثاني في حال غزو وجهاد، ولم يدع النبي عليه السلام الدعوة إلى الإسلام في أي من الحالين، ولم يكتف بدعوته الأولى لهرقل عن عرض الخصال الثلاث في الثانية، وعلى رأسها الإسلام. قال النووي في شرح كتاب النبي عليه السلام الأول: (في هذا الكتاب جمل من القواعد، وأنواع من الفوائد - منها: دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم، وهذا الدعاء واجب، والقتال قبله حرام، إن لم تكن بلغتهم دعوة الإسلام. وإن كانت بلغتهم فالدعاء مستحب)^(٤).

(١) انظر: فتح الباري (١/٣٥).

(٢) التنوخي: أحد قبيلة تنوخ، وكان رسول هرقل إلى النبي عليه السلام.

(٣) المسند: (٣/٤٤١ - ٤٤٢)، (٤/٧٤، ٧٥). وقد ذكره الهيثمي في مجمع

الزوائد، وقال: رواه عبد الله بن أحمد، وأبو يعلى ورجال أبي يعلى ثقات،

وكذلك رجال عبد الله بن أحمد (٨/٢٣٩).

(٤) صحيح مسلم شرح النووي (١٢/١٠٧). وقال شيخ الإسلام: (وأخبر غير=

٤ - استقبال وفودهم:

• (عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد، صاحبا نجران، إلى رسول الله ﷺ يريدن أن يلاعنا. قال فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعناً لا نفلح نحن ولا عقبننا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقاً أمين. فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة ابن الجراح. فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة^(١)).

وقصة قدوم وفد نصارى نجران معلومة مشهورة في كتب التفسير والسنة والسير. وقد نزل صدر سورة آل عمران بشأن محاجتهم للنبي ﷺ، وما ذكر في الصحيح أنفاً نزر يسير بجنب ما أفاض فيه أهل التواريخ والسير من أخبار لا تخلو أسانيدھا من مقال^(٢)، ونختار منها ما رواه ابن إسحاق: قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير^(٣)، قال: لما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات: جبب وأردية، في جمال رجال بني الحرث بن كعب، قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد

= واحد أن هذا الكتاب باقي إلى الآن عند ألفنش صاحب قشتالة وبلاد الأندلس، يفتخرون به، وهذا أمر مشهور معروف) يريد ألفونسو. الجواب الصحيح (١/٢٨٨ - ٢٨٩).

(١) صحيح البخاري (٥/١٢٠).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٣٥٧ - ٣٥٨)، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام (٢/٢٠٤ - ٢١٦)، وانظر: الجواب الصحيح (١/١٧٧) وزاد المعاد (٣/٦٢٩ - ٦٤٦).

(٣) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي، المدني، ثقة من السادسة. تقريب التهذيب. (٢/١٥٠). لكن روايته هنا منقطعة، وتقدمت ترجمته (١٨٤).

رسول الله ﷺ يصلون، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»، فصلوا إلى المشرق..

فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، قال: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما، قال: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. قال: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ، فلم يجبهما. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها..^(١) ثم شرع ابن إسحاق في تفسير الآيات حتى قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ثم ذكر قصة المباهلة وبعث أبي عبيدة بن الجراح بنحو حديث البخاري السابق.

٥ - دعوتهم حال الغزو والجهاد:

• عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تَغْلُوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على

(١) سيرة النبي ﷺ (٢/٢٦). وقد صحح ابن القيم رحمه الله القصة والصلاة في

أحكام أهل الذمة (١/١٨٧).

المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم... الحديث^(١).

• وعن سهل بن سعد رضي الله عنه - في قصة فتح خيبر - أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب، وقد أعطاه الراية: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)^(٢). وفي رواية: (قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها. وحسابهم على الله)^(٣).

فلا شك أن دعوة أهل الكتاب وغيرهم من المشركين في ظل بارقة السيوف مدعاة لأن يتبصروا في حالهم ومآلهم بعين الجدد، بعد أن تنكسر عزتهم بالإثم، وتسقط عن قلوبهم وعقولهم حجب اللامبالاة والإعراض، فيكون للدعوة حينئذ وقع مؤثر، فيحملهم الرغبة أو الرهب على قبولها والإذعان لها، وإن لم يدخل الإيمان في قلوبهم بعد. وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (عجب الله ﷻ من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)^(٤). قال النووي رحمته الله: (معناه: يؤسرون، ويقيدون، ثم يسلمون، فيدخلون الجنة)^(٥). فكذلك إذا دعوا حال الإرهاب بالسيوف، فأسلموا، ثم حسن إسلامهم.

ويستفاد من هذه الوفاة ما يلي:

- (١) رواه مسلم: (١٣٥٧/٣).
- (٢) متفق عليه. واللفظ لمسلم (١٨٧٢/٤).
- (٣) متفق عليه. واللفظ لمسلم (١٨٧٢/٤).
- (٤) رواه البخاري: (٢٠/٤).
- (٥) رياض الصالحين ٥٣٨.

١ - أن من هديه ﷺ - استقبال وفود أهل الكتاب، بغرض دعوتهم إلى الإسلام أولاً، أو مفاوضتهم على صلح ونحوه. وقد كان ﷺ يعرض الإسلام على وافد أهل الكتاب، حتى ولو كان رسول قومه، كما قال للتخوي رسول هرقل: (هل لك في الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم، قلت: إني رسول قوم، وعلى دين قوم، ولا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥١) [الفصل] (١)، ودعا الجارود بن عمرو، أخا عبد القيس وكان نصرانياً، حين وفد إليه على رأس قومه، ورغبه في الإسلام (فقال يا محمد إني قد كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه) (٢)، ودعا عدي بن حاتم إلى الإسلام - وكان نصرانياً - فأسلم (٣).

٢ - أن من وسائل الدعوة، بل هي أعظمها، إسماع المدعو كلام الله، القرآن. وقد ذكر ابن سعد في طبقاته أنه ﷺ (دعاهم إلى الإسلام، فأبوا، وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم القرآن) (٤).

(١) مسند الإمام أحمد (٤٤٢/٣) وسبق تخريجه.

(٢) سيرة النبي ﷺ (٢٤٢/٤ - ٢٤٣).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٥٧/٤، ٣٧٨).

(٤) الطبقات الكبرى: (٣٥٨/١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه. إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي وجب أن يترجم له ما يقوم به عليه الحجة. ولو كان عربياً وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست لغته، وجب أن يبين له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى، وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك. وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه). الجواب الصحيح (١/٢٢١ - ٢٢٢).

وأهل الكتاب أولى بسماعه من المشرك الذي قال فيه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝١﴾ [التوبة]. ولهذا كان من حال بعضهم ما قص الله في كتابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة]، وقوله: ﴿وَإِذَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝٢٨﴾ [القصر].

٣ - أن في دين الإسلام - بحمد الله - سعة في معاملة وفود أهل الكتاب، ترفع الحرج، وتؤلف القلوب. فمن ذلك:

أ - تمكينهم من دخول مساجد المسلمين للحاجة.

ب - الإذن لهم بإقامة صلاتهم فيها، بمشهد من المسلمين. ففي رواية ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير أن وفد نجران (دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال النبي ﷺ: دعوهم). قال ابن القيم في فقه هذه القصة: (وفيها: تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين، وفي مساجدهم أيضاً، إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك)^(١).

وقال: (وأما دخول الكفار مسجد النبي ﷺ فكان ذلك لما كان بالمسلمين حاجة إلى ذلك، ولأنهم كانوا يخاطبون النبي ﷺ في عهودهم، ويؤدون إليه الرسائل ويحملون منه الأجوبة، ويسمعون منه الدعوة، ولم يكن النبي ﷺ ليخرج من المسجد لكل من قصده من الكفار، فكانت المصلحة في دخولهم إذ ذاك أعظم من المفسدة التي فيه... وأما الآن فلا مصلحة للمسلمين في دخولهم مساجدهم

(١) زاد المعاد (٣/٦٣٨).

والجلوس فيها. فإن دعت إلى ذلك مصلحة راجحة جاز دخولها بلا إذن، والله أعلم^(١).

ج - تمكينهم من التعبير عن معتقداتهم، والمحااجة عنها، والمجادلة فيها دون ضغط أو ترهيب، مع أولي الأمر، وأصحاب الشأن، من العلماء الراسخين، وليس أمام العامة السالمين من سماع الشبهات، الباقيين على الفطرة الأصلية، خلافاً لما ينادي به دعاة التقريب اليوم من «الحرية الدينية» لإفشاء ضلالتهم.

٤ - استعمال أسلوب المجادلة والمحااجة مع أهل الكتاب، وإن طالت، لاستفراغ حججهم، ودحض شبهاتهم، واحتمال سماع الأذى في هذا السبيل، حتى ولو كان طعناً في القرآن. ففي الصحيح عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألتوني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سأله عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا السؤال الذي هو سؤال الطاعن في القرآن لما أورده أهل نجران على رسول الله ﷺ ولم يجبه عنه، أجاب عنه النبي ﷺ ولم يقل لهم ليس لكم عندي إلا السيف، ولا قال: قد نقضتم العهد)^(٣).

وقد صبر عليهم رسول الله ﷺ، في وفادتهم هذه، واحتمل مماراتهم، وكثرة مجادلتهم، واختلافهم عليه، حتى روى ابن جرير قال: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: وحدثني ابن لهيعة، عن

(١) أحكام أهل الذمة: (١/١٩١).

(٢) صحيح مسلم (٣/١٦٨٥).

(٣) الجواب الصحيح (١/٢٢٦ - ٢٢٧٧).

سليمان بن زياد الحضرمي عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليت بيني وبين أهل نجران حجاباً، فلا أراهم ولا يروني»، من شدة ما كانوا يمارون النبي ﷺ^(١).

٥ - استعمال «المباهلة» إذا لم تثمر المجادلة، واستنفدت أغراضها المشروعة وتقدم ذكر فائدتها.

٦ - أنه لا يكفي في مجادلة، أهل الكتاب أن يعترفوا بنبوة محمد ﷺ دون أن يتبعوه، وينخلعوا مما هم عليه، ويدخلوا في السلم كافة، خلافاً لما يتوهمه بعض دعاة التقريب فتحاً مبيناً، ونصراً مؤزرأ؛ أن يظفروا بكلمة ثناء من أحد القسوس والكهان عن رسول الله ﷺ، واعتراف مجرد بأنه نبي^(٢).

قال ابن القيم في فقه هذه القصة: (وفيها: أن إقرار الكاهن الكتابي لرسول الله ﷺ بأنه نبي، لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته)^(٣). وكذا قال ابن حجر في فوائدها: (أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام، حتى يلتزم أحكام الإسلام)^(٤).

وكذلك لو زعم الكتابي بنوع تأويل، كأن يعد ما هو عليه من الدين إسلاماً، لم يقبل منه، حتى يقبل الإسلام الخاص الذي جاء به محمد ﷺ. ولهذا قال ﷺ للحبرين حين قالوا: قد أسلمنا قبلك،

(١) جامع البيان (٣/٢٩٨)، ورجال إسناده: يونس بن عبد الأعلى: ثقة (التقريب ٣٨٥/٢)، عبد الله بن وهب: ثقة حافظ (التقريب ١/٤٦٠)، ابن لهيعة: صدوق خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما. (التقريب ١/٤٤٤)، سليمان بن زياد الحضرمي: ثقة (التقريب ١/٣٢٤).

(٢) راجع محاولات الشيخ أحمد كفتارو في الفصل الأول من الباب الثاني

(٣) زاد المعاد (٣/٦٣٨).

(٤) فتح الباري (٨/٧٤).

(كذبتما. يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير)، فرد عليهما مراوغتهما، لكونهما لم يفارقا نواقض الإسلام العقدية، والتزامهما بشعائر غيره الظاهرة. وفي هذا ردٌ بين على دعاة التقريب من أمثال جارودي المنادي بالإسلام الأزلي، الداعين إلى التحلل من رسوم الإسلام الظاهرة، وعلاماته الفارقة^(١).

رابعاً: عمل الأمة الإسلامية، وسبيل المؤمنين:

هذا هو المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب مضموناً وأسلوباً ووسيلة، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّ لَهُمُ الْبَالِغَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وكما هدى إليه القرآن الحكيم بأساليبه المتنوعة التأثير، التي لا يعدلها فضلاً أن يساميتها أسلوب، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ﴾ [الإسراء: ٩]، وكما بينته سنة نبينا محمد ﷺ القولية والعملية في دعوة أهل الكتاب، القائل: (من رغب عن سبيلي فليس مني)^(٢).

وعلى هذا المسلك القويم، والمهيج الرشيد، سارت الأمة الإسلامية على مر القرون، واختلاف الأحوال السياسية، من ضعف وقوة، وسلم وحرب، وقلّة وكثرة، ملتزمة بما جاء به القرآن، وترجمته السنة والسيرة النبوية اعتقاداً وعملاً، أو اعتقاداً حين لا تحصل القدرة. ولم يخامرها شك قط في استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، واستحداث عقائد جديدة، وابتداع أساليب شاذة، وارتكاب وسائل ليست من سبيل المؤمنين، كالدعوة إلى التقريب بين الأديان.

والتاريخ العلمي والحضاري للأمة الإسلامية زاخر بالأمثلة الناطقة على لزوم هذا المنهج الشرعي، في حقل الدعوة والتصنيف، وفي

(١) راجع محاولات روجيه جارودي في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) صحيح البخاري (١٦/٦)، صحيح مسلم (١٢٠/٢).

التطبيق الميداني. وما هذه الملايين من البشر الذين يعتنقون الإسلام اليوم، وينتشرون في جميع بقاع المعمورة من مختلف الأعراف والأجناس، إلا ثمرة ذلك المنهج الذي أخرج أسلافهم من الظلمات إلى النور، وأسبغ عليهم وعلى ذراريهم النعمة، وأتمها لهم. ولو سلك المسلمون الأولون - وحاشاهم - مسلك التقريب بين الأديان، والتلفيق بين العقائد لاندحت رسوم الإسلام. وطوي ذكره.

وسنختار ثلاثة أمثلة من تاريخ الإسلام القديم والوسيط والحديث، في مواقع شتى وأحوال متنوعة تكشف عن إطباق الأمة الإسلامية على سلوك منهج الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

أحدها: محاوره جعفر بن أبي طالب وإخوانه المهاجرين إلى الحبشة، مع النجاشي.

الثاني: كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سرجوان النصراني ملك قبرص.

الثالث: مناظرة الشيخ رحمت الله الهندي مع القس البروتستاني فنذر.

المثال الأول: جعفر بن أبي طالب ﷺ مع النجاشي:

• عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى. فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية. فلما دخلا على النجاشي سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفرأ من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالوا: هم في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم.

فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم. فاتبعوه. فسلم ولم يسجد. فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ. قال وما ذاك؟ قال: إن الله ﷻ بعث إلينا رسوله ﷺ، وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر، ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوي هذا. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده. أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم. والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته، حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضئه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما. ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدران، وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته^(١).

قال ابن كثير ﷻ (وهذا إسنادٌ جيد قوي، وسياق حسن)^(٢). وقد رويت هذه الواقعة الإيمانية العظيمة بروايات متعددة عن شهدائها من المهاجرين كجعفر بن أبي طالب ﷺ، نفسه، وعن خصمه من الكفار - حينذاك - عمرو بن العاص أيضاً، وكانا طرفي الحوار أمام النجاشي، وعن أم سلمة ﷺ، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود ﷺ.

(١) مسند الإمام أحمد (٤٦١/١) والبيهقي في دلائل النبوة (٢٩٨). ولعل آخره من كلام عبد الله بن عتبة، الراوي عن ابن مسعود. وقد ثبت في الصحيحين أنه ﷺ (نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم، وكبر عليه أربعاً). صحيح البخاري (٩١/٢)، صحيح مسلم (٢/٦٥٦).

(٢) البداية والنهاية (٦٩/٣).

كما تقدم، بسياقات مطولة، تتفق في مضمونها على الجوانب التالية:

١ - الصدق مع الله ﷻ قولاً وعملاً، طلباً لرضاه، وإظهاراً لدينه، حتى مع القلة، والغربة، والخصم المترصد. كما يتضح في جهرهم بمعتقدهم الذي يخالف أعظم معتقدات مضيفهم من النصارى، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يقيمون وزناً للحسابات الدنيوية، والدعاوى المصلحية في جنب الله، ففي رواية ابن إسحاق عن أم سلمة رضي الله عنها: (فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول، نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ، كائن من ذلك ما كان)^(١).

٢ - البعد عن صور المجاملات الزائفة؛ القولية والفعلية، التي يسارع فيها دعاة التقريب بين الأديان، إرضاءً لأعداء الله، وسقوطاً في فتنة المداينة، كحضور أعياد الكفار الدينية، ومشاركتهم في صلواتهم وطقوسهم الوثنية. فقد أبى جعفر وأصحابه رضي الله عنهم أن يخضعوا لأعراف الكفار الشركية فيسجدوا للملك، رغم رهبة الموقف، ودهشة المفاجأة، وزجر الحاشية. ففي رواية البيهقي وأبي نعيم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (فانتهينا إلى النجاشي، وهو جالسٌ في مجلسه، وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سماطين. وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. تحقيق: عبد المعطي قلعجي. دار الرياض للتراث - القاهرة. الطبعة الأولى (٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) (٣٠٢)، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس. دار النفائس - بيروت. الطبعة الأولى (٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (٢٤٨/١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧/٦) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله ﷻ^(١).

فله درهم ما أثبت قلوبهم، وأصدق أستمهم، وما أعظم إيمانهم بالله وتوكلهم عليه!

٣ - الحكمة وفصل الخطاب وحسن البيان، في خطبة جعفر ﷻ بين يدي النجاشي ويطارقه، حيث لم يشرع في الخصومة والجدل، ولم يضع نفسه وإخوانه في موضع التهمة والغموض. بل تكلم بروية وأناة وترتيب بديع، فبين حالهم قبل بعثة محمد ﷺ وبعدها، وقدم أركان الإيمان، وثنى بسرائع الإسلام الحسان، ومبانيه العظام، الدينية والخلقية والاجتماعية، ثم أفضى بتلطفٍ عظيم، وحسن تأتٍ إلى سبب قدومهم الحبشة. ففي رواية ابن إسحاق عن أم سلمة ﷺ: (فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب ﷻ). فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية. فقال له جعفر: أيها الملك: كنا قومًا على الشرك نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، نستحل المحارم بعضنا من بعض، في سفك الدماء وغيرها. لا نحل شيئاً ولا نحرمة. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الأرحام، ونحرم الجوار، ونصلي الله ﷻ، ونصوم له، ولا نعبد غيره... فعدوا عليه أمور الإسلام، فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا، ويردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٢٥٢).

نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال النجاشي: هل معك شيء مما جاء به؟ فقرأ عليه صدرأ من «كهيعص»، فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله، لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا^(١). يخاطب بعث قريش.

فقد جمعت هذه الحادثة من الفوائد الإيمانية، والمناهج الشرعية في مخاطبة أهل الكتاب، ما ينبغي أن تكون بحق زاداً لكل مؤمن، ومرجعاً لمن أراد ترسم هدي السلف الصالح، وسبيل المؤمنين، الجامع بين الصدق مع الله، والعزة الإيمانية، وحسن التصرف، والأدب الرفيع، والاعتراف بالفضل لأهله دون تزئيد، ولا سيما المسلمين الذين يعيشون اليوم بين ظهرائي النصارى في بلاد الغرب، من المهاجرين للعمل وغيره، والمقيمين والعابرين.

ب - المثال الثاني: شيخ الإسلام ابن تيمية مع سرجوان ملك قبرص:

كتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية رحمته الله، كتاباً جليلاً فخماً إلى أحد ملوك النصارى في زمانه، وهو «سرجوان» ملك قبرص، يدعوه ومن معه إلى الإسلام، ويبين محاسنه، ويحضه على فكاك أسرى المسلمين في بلاده، وعدم العدوان. والكتاب مثالاً نادر لمنهج العلماء الربانيين الذين يقبسون من نور التنزيل، ويستضيئون من مشكاة النبوة، جمع فيه رحمته الله الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣٠٢ - ٣٠٣)، دلائل النبوة لأبي نعيم (٢٤٨/١) -

(٢٤٩) وتقدم الكلام على سنده.

هي أحسن، واستعمل فيه مختلف وسائل التأثير الإيجابي من الأدب، والتلطف، وإظهار الشفقة، ومحبة الخير، في غير ما ضعة، مع البيان الشافي، والجهر بالحق، وهتك أستار الشرك الوثني والكتابي دون مDAHنة، والترغيب والترهيب في أمر الإيمان، وفي شأن أسرى المسلمين.

فينبغي لعلماء المسلمين، والناطقين باسمه في المحافل والمنتديات أن ينسجوا على منواله، ويتشربوا منهجه، وترفعا عن الممارسات البدعية الدنية الحادثة.

ونبرز فيما يلي مقتطفاتٍ من هذا الكتاب تنبئ عما سواها مما تضمنه من منهج مخاطبة أهل الكتاب:

١ - أسلوب التحية وتاليف القلوب:

• (بسم الله الرحمن الرحيم. من أحمد بن تيمية إلى سرجوان، عظيم أهل ملته، ومن تحوط به عنايته، من رؤساء الدين، وعظماء القسيسين، والرهبان، والأمراء، والكتاب، وأتباعهم. سلام على من اتبع الهدى)^(١).

• (وإنما نبه الداعي لعظيم ملته وأهله، لما بلغني ما عنده من الديانة، والفضل، ومحبة العلم، وطلب المذاكرة. ورأيت الشيخ أبا العباس المقدسي شاكراً من الملك: من رفقته ولطفه وإقباله عليه، وشاكراً من القسيسين ونحوهم.

ونحن قومٌ نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة؛ فإن أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه)^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٦٠١/٢٨). وقارن بكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل.

(٢) المرجع السابق (٦١٥/٢٨).

• (ولما كان أمر الدنيا خسيساً، رأيت أن أعظم ما يهدى لعظيم قومه، المفاتيح في العلم والدين، بالذاكرة فيما يقرب إلى الله... وإن رأيت من الملك رغبة في العلم والخير كاتبت، وجاوبته عن مسائل يسألها. وقد كان خطر لي أن أجيء إلى قبرص لمصالح في الدين والدنيا. لكن إذا رأيت من الملك ما فيه رضى الله ورسوله عاملته بما يقتضيه عمله)^(١).

• (وأبو العباس، حامل هذا الكتاب، قد بث محاسن الملك وإخوته عندنا، واستعطف قلوبنا إليه، فلذلك كاتبت الملك لما بلغتني رغبته في الخير، وميله إلى العلم والدين. وأنا من نواب المسيح وسائر الأنبياء، في مناصحة الملك وأصحابه، وطلب الخير لهم؛ فإن أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، يريدون للخلق خير الدنيا والآخرة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعونهم إلى الله، ويعينونهم على مصالح دينهم ودنياهم)^(٢).

• (والله المسؤول أن يعين الملك على مصلحته التي هي عند الله المصلحة، وأن يخير له من الأقوال ما هو خير له عند الله، ويختتم له بخاتمة خير، والحمد لله رب العالمين. وصلواته على أنبيائه المرسلين. ولا سيما محمد خاتم النبيين والمرسلين، والسلام عليهم أجمعين)^(٣).

والم تأمل في هذه العبارات المسبوكة من العلم والحكمة، يدرك أن في دين الإسلام سعة ورحابة ومرونة، يتمكن بها أهله من مخاطبة المخالف الذي يرجى إيمانه ودعوته، بأدب ولطف وشفقة، دون الوقوع فيما حرم الله من المودة، والمداهنة، والخروج عن سمت الإيمان.

(١) المرجع السابق (٦١٦/٢٨).

(٢) المرجع السابق (٦٢٨/٢٨).

(٣) المرجع السابق (٦٣٠/٢٨).

٢ - الدعوة إلى توحيد الله، والإيمان برسوله محمد ﷺ:

• (إن الناس كانوا بعد آدم ﷺ، وقبل نوح ﷺ على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه أبوه آدم، أبو البشر ﷺ، حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأصنام...

فابتعث الله نبيه نوحاً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه... فبعث الله تعالى إمام الحنفاء، وأساس الملة الخالصة، والكلمة الباقية: إبراهيم خليل الرحمن، فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص...

ثم بعث الله المسيح ابن مريم رسولاً قد خلت من قبله الرسل... ودعا إلى الله وإلى عبادته، متبعاً سنة إخوانه المرسلين، مصداقاً لمن قبله، ومبشراً بمن يأتي بعده...

فلما اختلف الأحزاب من بينهم، هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فبعث النبي الذي بشر به المسيح، ومن قبله من الأنبياء، داعياً إلى ملة إبراهيم، ودين المرسلين قبله وبعده، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله لله... وأمر الله ذلك الرسول بدعوة الخلق إلى توحيدِهِ بِالْعَدْلِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عَمَلُهُمْ سَبِيلًا وَيَتَّخِذُ الْمُسْلِمُونَ سَبِيلًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُهُمْ آيَاتُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران] (١).

٣ - قول الحق في عيسى ابن مريم عليه السلام، وبيان ضلال النصارى:

• (تفرق الناس في المسيح ﷺ، ومن اتبعه من الحواريين، ثلاثة أحزاب.

• قومٌ كذبوه وكفروا به، وزعموا أنه ابن بغي، ورموا أمه بالفرية، ونسبوه إلى يوسف النجار...

(١) المرجع السابق (٢٨/٦٠٣ - ٦١٣).

• وقوم غلوا فيه، وزعموا أنه الله، أو ابن الله، وأن اللاهوت تدرع الناسوت، وأن رب العالمين نزل، وأنزل ابنه ليصلب ويقتل، فداءً لخطيئة آدم ﷺ. وجعلوا الإله الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، قد ولد، واتخذ ولداً...

وتفرقوا في التثليث والاتحاد تفرقاً، وتشتتوا تشتتاً، لا يقر به عاقل، ولم يجيء نقل إلا كلمات متشابهات في الإنجيل وما قبله من الكتب، قد بينتها كلمات محكمات في الإنجيل وما قبله، كلها تنطق بعبودية المسيح، وعبادته لله وحده ودعائه وتضرعه^(١).

• (فأرباب التثليث في الوجدانية، والاتحاد في الرسالة، قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بين بفطرة الله التي فطر الناس عليها، ويكتب الله التي أنزلها.

ولهذا كان عامة رؤسائهم من القسيسين والرهبان، وما يدخل فيهم من البطارقة والمطارنة والأساقفة، إذا صار الرجل منهم فاضلاً مميزاً، فإنه ينحل عن دينه، ويصير منافقاً لملوك أهل دينه، وعامتهم رضي بالرياسة عليهم، وبما يناله من الحظوظ...

وأما الرهبان فأحدثوا من أنواع المنكرات والحيل بالعامة، ما يظهر لكل عاقل، حتى صنف الفضلاء في حيل الرهبان كتباً. - ثم ذكر أمثلة..

ثم إن هؤلاء عمدوا إلى الشريعة التي يعبدون الله بها، فناقضوا الأولين من اليهود فيها؛ مع أنهم يأمرّون بالتمسك بالتوراة، إلا ما نسخه المسيح... - وذكر أمثلة (-)^(٢).

• (فمن كان لا يؤمن بالله، بل يسب الله، ويقول إنه ثالث ثلاثة،

(١) المرجع السابق (٢٨/٦٠٧ - ٦٠٨).

(٢) المرجع السابق (٢٨/٦٠٨ - ٦١٠).

وأنه صلب. ولا يؤمن برسله... ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين، ويحرف نصوص التوراة والإنجيل، فإن في الأناجيل الأربعة من التناقض والاختلاف بين ما أمر الله به وأوجهه، ما فيها، ولا يدين دين الحق... فمن هذا حاله، فقد أمر الله ورسوله بجهاده، حتى يدخل في دين الله، أو يؤدي الجزية. وهذا دين محمد ﷺ^(١).

هذا منطلق العلماء الربانيين، الموقعين عن رب العالمين، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يروغون روغان الثعالب مداراة للمغضوب عليهم أو الضالين، فيكتمون ما أخذ الله عليهم العهد والميثاق ببيانه، ويغشون عباد الله.

٤ - الترغيب والموعظة:

• (وقد آمن جماعات من أهل الكتاب قديماً وحديثاً، وهاجروا إلى الله ورسوله...) ^(٢).

• (والإسلام في عز متزايد، وخير مترافد فإن النبي ﷺ قد قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»^(٣). وهذا الدين في إقبال وتجديد. وأنا ناصح للملك وأصحابه، والله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة والإنجيل والفرقان)^(٤).

• ثم ذكر وفد نجران، وكتاب النبي ﷺ إلى قيصر، وإسلام النجاشي.

(١) المرجع السابق (٢٨/٦٢١).

(٢) المرجع السابق (٢٨/٦١٢).

(٣) رواه أبو داود (٤/٤٨٠)، والحاكم في مستدركه (٤/٥٢٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/٦١) وصححه جمع من الأئمة منهم: ابن حجر، والسيوطي، والعراقي، والألباني. انظر في تخريجه وفقهه مجلة البيان، الأعداد ١ - ١٣.

(٤) المرجع السابق (٢٨/٦١٩).

• (وأنا ما غرضي الساعة إلا مخاطبتكم بالتي هي أحسن، والمعاونة على النظر في العلم، واتباع الحق، وفعل ما يجب، فإن كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديان. ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النصارى المقلدين، الذين لا يسمعون ولا يعقلون؛ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. وأصل ذلك أن تستعين بالله، وتسأله الهداية، وتقول: اللهم أرني الحق حقاً، وأعني على اتباعه، وأرني الباطل باطلاً، وأعني على اجتنابه، ولا تجعله مشتبهاً علي فاتبع الهوى فاضل)^(١)، وذكر له دعوات أخر.

٥ - الترهيب والزجر عن العدوان على المسلمين:

• (فيا أيها الملك: كيف تستحل سفك الدماء، وسبي الحرير، وأخذ الأموال بغير حجة من الله ورسوله. ثم أما يعلم الملك أن بديارنا من النصارى، أهل الذمة والأمان، ما لا يحصي عددهم إلا الله، ومعاملتنا فيهم معروفة. فكيف يعاملون أسرى المسلمين بهذه المعاملات التي لا يرضى بها ذو مروءة، ولا ذو دين؟! لست أقول عن الملك وأهل بيته ولا إخوته، فإن أبا العباس شاعر للملك ولأهل بيته كثيراً، معترفاً بما فعلوه معه من الخير، وإنما أقول عن عموم الرعية. أليس الأسرى في رعية الملك؟ أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصي بالبر والإحسان، فأين ذلك؟ ثم إن كثيراً منهم أخذوا غدرًا، والغدر حرام في جميع الملل والشرائع والسياسات، فكيف تستحلون أن تستولوا على من أخذ غدرًا؟! أفتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا، وتكونون مغدورين؟! والله ناصرهم ومعينهم؛ لا سيما في هذه الأوقات، والأمة قد امتدت للجهاد، واستعدت للجلاد. ورجب الصالحون وأولياء الرحمن في طاعته. وقد تولى الثغور الساحلية أمراء ذوو بأس شديد، وقد ظهر بعض أثرهم، وهم في ازدياد.

(١) المرجع السابق (٦١٩/٢٨).

ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية، الذي يغتالون الملوك في فرشها، وعلى أفراسها، من قد بلغ الملك خبرهم، قديماً وحديثاً. وفيهم الصالحون الذين لا يرد الله دعواتهم، ولا يخيب طلباتهم، الذين يغضب الرب لغضبهم، ويرضى لرضاهم^(١).

(وأما ما عندنا في أمر النصارى، وما يفعل الله بهم من إدالة المسلمين عليهم، وتسليطه عليهم: فهذا مما لا أخبر به، الملك؛ لثلا يضيق صدره. ولكن الذي أنصح به، أن كل من أسلف إلى المسلمين خيراً، ومال إليهم، كانت عاقبته معهم حسنة، بحسب ما فعله من الخير، فإن الله يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة]، والذي أختتم به الكتاب الوصية بالشيخ أبي العباس، وبغيره من الأسرى، والمساعدة لهم، والرفق بمن عندهم من أهل القرآن، والامتناع عن تغيير دين واحد منهم. وسوف يرى الملك عاقبة ذلك كله)^(٢).

هذا منهج إمام رباني، وعالم أمة، في مخاطبة أهل الكتاب، مقتفياً آثار نبي هذه الأمة ﷺ في دعوة الناس، كل الناس، إلى الخير، ودفع غائلة الشر عن المسلمين.

المثال الثالث: الشيخ رحمت الله الهندي والقس فنذر:

عاث المنصرون الغربيون في بلاد الهند فساداً، متدرعين بحماية النفوذ الإنجليزي، المتمثل بشركة الهند الشرقية أولاً، ثم بالاستعمار العسكري السافر منذ عام (١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م) الذي أنهى حكم الإمبراطورية المغولية الإسلامية، التي دامت قرابة ثلاثة قرون ونصف: (٩٣٢ هـ - ١٢٧٤هـ، ١٥٢٦م - ١٨٥٧م).

(١) المرجع السابق (٢٨/٦٢٢ - ٦٢٣).

(٢) المرجع السابق (٢٨/٩٢٦).

وكان من أشد هؤلاء المنصرين خطراً، وأذلقتهم لساناً، وأسحروهم بياناً، وأجراهم على الطعن في الإسلام، وكتابه، ونبية ﷺ، مع الحركة الدائبة في الخطابة والتأليف، المستشرق الأمريكي، الذي كان كاثوليكياً ثم تحول إلى البروتستانتية، القس فندر - أو بفندر - G.G. Pfander. وقد صنف هذا المنصر كتاباً جمع فيه ما تفرق في غيره من المطاعن والشبهات والتشكيك بدين الإسلام، أسماه «ميزان الحق»، ظل مرجعاً أساسياً لسائر المنصرين العاملين في أوساط المسلمين، بالإضافة إلى كتب أخرى. وقد ترجم فندر (كتابه «ميزان الحق» من الفارسية إلى الأوردية، وزاد عليه ترجمة كتاب «طريق الحياة» و«مفتاح الأسرار». وبهذا أثار بفندر مجادلات شديدة مع علماء الإسلام في «دهلي» و«أكرا» و«لكنو»، وزلزل بذلك إيمان كثير من المسلمين، وإن يكن الذين تنصروا منهم قليلاً عددهم. وأعان المبشرين في هذه المجادلات المسلمون المنتصرون^(١).

وإضافة إلى النشاط الكتابي فقد (تزعّم فندر الحملة التنصيرية داخل الهند، بإلقاء المواعظ والخطب، في الاجتماعات العامة، والمآتم والأفراح الإسلامية والهندوسية، والتهجم على العقائد غير النصرانية، وتقديم النصائح للمستمعين، بالإيمان بالمسيح الذي هو فداء للمصدقين به. وأن من يموت غير مصدّق بالمسيح يموت مملوءاً بالخطيئة^(٢).

وقد بلغت به الجرأة أنه كان يتخذ من درج الجامع الكبير بدلهي، قرب القلعة الحمراء، منصة لإلقاء خطبه من فوقها، بين العصر

(١) الغارة على العالم الإسلامي أ.ل شاتليه. تلخيص وتعريب: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي. المطبعة السلفية ومكتبها - القاهرة. الطبعة الرابعة (١٣٩٨هـ) (٣٢).

(٢) مراد فندر بالإيمان بالمسيح: الإيمان بأنه إله وأحد أقانيم الثالوث وأنه ابن الله، كما يعتقد هو.

والمغرب، بل وكان يقوم تحت حراسة قوات الأمن الإنجليزية بتجميع الناس في الشوارع الرئيسية، والأسواق العامة المزدهمة، وإلزامهم بالوقوف والاستماع لخطبه ومواظبه. وكان من نشاطه القيام بجولات كثيرة في مختلف أنحاء الهند يعقد خلالها الندوات، ويلقي المحاضرات في كل مكان يحل فيه، طاعناً في عقيدة الإسلام، ومشككاً في القرآن الكريم، وفي رسول الإسلام ﷺ، وداعياً النصرانية، ومتحدياً علماء المسلمين علناً، مثيراً المجادلات الدينية معهم^(١).

فلما بلغ السيل الزبى، ودب الشك إلى ضعاف الإيمان، ولم يرتفع للحق صوت مدوي، انبرى له الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الله الكيرانوي العثماني، المولود عام ١٢٣٣هـ - ١٨٨٨م. وهو من أهل بيت علم ودين وفضل، ينتهي نسبهم المحفوظ إلى ذي النورين عثمان بن عفان ؓ، فقصده محل إقامته في أكبر آباد «أكرا» في جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ مارس ١٨٥٤م، لِمنازلته في مناظرة علنية على رؤوس الأشهاد، ولما لم يجده في بيته، وجه إليه كتاباً جاء فيه: (إني وصلت إلى هذا البلد لأمر ما، وحصل لي الفراغ من هذا الأمر، الذي كنت مشغلاً فيه، وأريد أن أرجع إلى دهلي. وارتسم في قلبي إلى الآن بفضل الله بالأدلة القطعية، أن الكتب المقدسة منسوخة ومحرقة، وأن الدين الأحمدى حق، ارتساماً لا يخطر ببالي خلافه على سبيل الوهم الضعيف أيضاً. وطالعت مطالعة كثيرة في كتبكم، وكتبت جوابها أيضاً، ولكم توجه تام في رد الملة الإسلامية.. وأريد لأجل الأمور التي مر ذكرها أن أستفيد من تقريركم بحضور الأشخاص المعدودين من أهل العلم من المسلمين والمسيحيين، وأظهر مكنوناتي، ليحصل لكل من الحاضرين اطلاع على إفادتكم... فإن كان هذا الأمر

(١) مقدمة إظهار الحق. للدكتور محمد أحمد ملكاوي (٢٣).

مقبولاً عندكم فعينوا يوماً ومكاناً، ثم أخبروني لأقيم في هذا البلد إلى أن أفرغ من هذا الأمر، وإلا أرجع إلى دهلي، إذ لا مطلوب لي في الإقامة بهذا البلد. فأرجو من لطفكم تخبروني في جواب هذا المكتوب عن أحد الأمرين^(١).

ولعل الشيخ رحمته الله كان يخشى أن يتهرب فندر من المناظرة العلنية، فتفوت مصلحة فضحه على الملأ -، فلأجل هذا تلطف في العرض. وبالفعل فقد صدق ظن الشيخ، فأدرك فندر مراده، وأعرب عن ضيقه، ولكنه اضطر للقبول بشروط فقال في جوابه: (ظهر من مكتوبكم أن مقصودكم المباحثة العلانية في مجمع الأشخاص من الفريقين هذه الطريقة وإن لم تكن عندي مفيدة إفادة كثيرة، لكنني لست بخارج عن إطاعة أمركم. أشاور أولاً في تعيين اليوم والوقت اثنين أو ثلاثة من أمراء الإنكليز، ثم أخبركم، وينعقد محفل المناظرة بعده. والمستحسن أن يراعى في هذه المباحثة هذه الأمور:

الأمر الأول: أن تكون المناظرة في النسخ والتحريف، كما استدعيتهم.

والثاني: يتكلم في أمر يكون مختار الطرفين.

والثالث: أن لا يذكر أمر خارج عن المبحث في أثناء المناظرة.

والرابع: أن يكون واحدٌ حكماً يقال له: جرمن Chairman في عرف الإنكليز^(٢).

(١) وقائع المناظرة التي جرت بين الشيخ رحمت الله الهندي والقسيس فندر الإنكليزي كتب محاضر جلساتها باللغة الأوردية: السيد عبد الله الهندي. وترجمها إلى العربية: رفاعي الخولي الكاتب. دار البشائر الإسلامية - بيروت، الجفان والجابي. ليماسول - قبرص. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م). (٩٥ - ٩٦).

(٢) المرجع السابق (٩٩ - ١٠٠).

وقد رد الشيخ بالقبول بشرطيه الأول والثالث، وطلب توضيحاً للثاني. وتحفظ على الرابع بحجة عدم رضى أحد من الطرفين بكون الحكم من ملة الآخر، (فلا ترتفع شبهة رعاية الحَكَم عن قلوب الخلق، سواء كان مسيحياً أو محمدياً، فأرى ألا يكون هذا الأمر مشروطاً)^(١).

وبعد مداولات ومكاتبات بلغت تسعة مكاتيب من كل طرف، تمكن الشيخ رحمته الله من التغلب على مماطلات فندر، وتحديد موعدٍ للمناظرة الكبرى، يومين متواليين؛ الاثنين والثلاثاء ١٢، ١١ من رجب عام ١٢٧٠هـ - ١١، ١٠ أبريل عام ١٨٥٤م في مسائل أربع^(٢): النسخ والتحريف، وألوهية المسيح، والتثليث، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويتكرر اللقاء في كل أسبوع حتى يستوفى البحث.

وبالفعل تمت الجولة الأولى من المناظرة الكبرى في الموعد المذكور. وقد حضر يومها الأول زهاء ستمائة شخص من أكابر المسلمين والنصارى والهندوس. وحضرها في اليوم الثاني ما يزيد على ألف شخص. وتم تدوين وقائعها على يد السيد عبد الله أكبر آبادي الهندي، الذي يشغل منصب المترجم الثاني في دار الحكومة في أكبر آباد. وقد كشفت المناظرة عن واسع علم الشيخ واطلاعه على تاريخ العهدين القديم والجديد، ومواضع الخلل والتفاوت فيهما، وأظهرت قوة حجته، وإلزامه خصمه بالإلزامات الثقيلة، وكذلك مساعده الدكتور محمد وزير خان، مع الأدب الجم والمحافظة على السمات، والجدال

(١) المرجع السابق (١٠١).

(٢) هكذا ذكر كل من الشيخ، وفندر في مکتوبيهما الأخيرين، المرجع السابق (١٢١، ١٢٢). وذكر الدكتور ملكاوي أنها خمسة، بإضافة موضوع إعجاز القرآن، بناءً على ما ذكره الشيخ رحمت الله لاحقاً في خطبة إظهار الحق انظر: مقدمة إظهار الحق (٣٤)، وإظهار الحق (٦/١).

بالتي هي أحسن. كما فضحت هذه المناظرة عدو الله ورسوله «فندر»، وصاحبه القس «فرنج» حيث انقطعا، وسكتا عدة مرات، ولم يحيرا جواباً. وأقرا واعترفا بحصول التحريف في كتبهما الدينية، مع حصول قدر من الانفعال والتحكم المستهجن من جانبيهما. ونقتطف جملاً مما جرى في ذلك اليومين المشهودين:

أ - في إثبات نسخ القرآن للإنجيل: (قال الفاضل النحرير^(١)): إن قول المسيح في حق الحواريين في الباب العاشر من إنجيل متى هكذا «إلى طريق الأمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». وفي الباب الخامس عشر من إنجيل متى، وقع قوله في حق نفسه هكذا: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». فأقر بخصوص نبوته إلى بني إسرائيل. ووقع قولهم في خطابهم في الآية الخامسة عشرة من الباب السادس عشر من إنجيل مرقس، هكذا: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة». فالقول الثاني ناسخ للأول.

قال القسيس: إن المسيح نفسه نسخ الحكم الأول.

قال الفاضل النحرير: قد ثبت أن هذا القدر في كلام المسيح ﷺ جائز، وإن نسخ هو بنفسه. وإذا ثبت قدرته على النسخ فأبوه^(٢) أقدر، لأنه أعظم منه، على اعترافه في الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا، قول عيسى ﷺ، هكذا: «إن أبي أعظم مني». وأهل الإسلام يقولون: إن أبا المسيح الذي هو أعظم منه بشهادته، نسخ أحكام الإنجيل بالقرآن. ولا يقولون: إن محمداً نسخها بنفسه.

(١) يقصد بهذا اللقب الشيخ رحمت الله.

(٢) وقع هذا على سبيل مجازاة الخصم على اصطلاحه، وليس إقراراً. فحاشاه سبحانه أن يكون أباً لأحد.

فلا بد أن لا يكون بعدها^(١) في نسخ أحكام الإنجيل بالقرآن، وأن يكون تمسككم بقول المسيح: «أن السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول» باطلاً قطعاً^(٢).

ب - في مسألة التحريف: أورد الشيخ رحمت الله، وصاحبه الحكيم محمد وزير، على القس فندر وصاحبه فرنج، نماذج من تناقض الأناجيل واضطرابها، ثم: (قال القسيس: الغلط أمر والتحريف أمر آخر.

قال الحكيم: إن كان الإنجيل كله إلهامياً، ولا مجال للغلط في الإلهام، فلا شك أنه يكون لسبب التحريف فيما بعد، وإن لم يكن إلهامياً يثبت مطلب آخر: وهو أن هذا الإنجيل ليس بكتاب إلهامي على رأيكم أيضاً.

قال القسيس: إن التحريف لا يثبت إلا إذا ثبت أن عبارة لا توجد في النسخ القديمة، وتوجد في النسخ الجديدة.

فأحال الحكيم إلى الآية السابعة والثامنة من الباب الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا.

قال القسيس: إن التحريف وقع ههنا، وكذا في موضع أو موضعين آخرين...

ثم التفت القسيس فرنج إلى الحكيم، وقال له في لسان أوردو: إن القسيس فندر أيضاً يسلم أن التحريف قد وقع في سبعة أو ثمانية مواضع. فقال الفاضل قمر الإسلام، إمام الجامع الكبير في أكبر آباد، للكاتب خادم علي مهتم «مطلع الأخبار»^(٣): اكتبوا أن القسيس أقر

(١) يظهر أنه سقطت هنا كلمة، ربما تكون «شك» ليستقيم المعنى.

(٢) وقائع المناظرة (١٣٢ - ١٣٣).

(٣) أي مراسل صحيفة «مطلع الأخبار».

بالتحريف في سبعة أو ثمانية مواضع. قال القسيس بعد استماعه: نعم اكتبوا.

ثم قال: ما لزم النقصان في الكتب المقدسة، وإن وقع التحريف بهذا القدر. وقد اختلفت العبارات يقيناً بسهو الكاتبين.

قال الحكيم: إن اختلافات العبارة عند البعض مائة ألف وخمسون ألفاً. وعند البعض ثلاثون ألفاً. فمختاركم أي قولٍ من هذين القولين؟

قال القسيس فرنج: التحقيق أن هذه الاختلافات أربعون ألفاً...

ثم قال المفتي^(١): إذا كان اختلاف العبارات مسلماً عندكم، فإذا وجدت العبارتان مختلفتين فهل تقدر أن تعينوا إحداهما، أن هذا كلام الله جزماً، أم لا؟

قال القسيس: لا نقدر أن نعين إحداهما جزماً.

قال المفتي: إن دعوى أهل الإسلام هذه، أن هذا المجموع الموجود المستعمل الآن من كتب العهدين ليس كله كلام الله جزماً. وقد ثبت بإقراركم هذا المعنى أيضاً.

قال القسيس: زاد على الوقت الموعود نصف ساعة. فتكون المباحثة غداً.

قال الفاضل المناظر النحرير: أقررتم بالتحريف في ثمانية مواضع. ونحن نثبت إن شاء الله في خمسين أو ستين موضعاً، بإقرار علماء المسيحية^(٢).

وفي اليوم التالي لم يكن حظ هذين القسيسين المخذولين بأفضل من الأمس، بل زاد تعريهما وانكشافهما، حتى خرجا عن أصول آداب

(١) الحافظ رياض الدين.

(٢) وقائع المناظرة (١٤٥ - ١٤٧).

المناظرة الحرة - لا سيما فنذر نفسه - إلى ضرب من التحكم والتعسف، وكأنما هي هذيانات محموم، أو حركات مذبوح، أو من يريد سد باب المناظرة. ففي آخر مناظرة اليوم الثاني كرر القول: (أجيوني باختصار، أتسلمون المتن أم لا؟ فإن سلمتم تكون المباحثة في الأسبوع الآتي، لأننا لا نستدل في المباحثة الباقية إلا بالأدلة النقلية من هذا الكتاب، ونعلم أن العقل محكوم الكتاب. لا أن الكتاب محكوم العقل^(١)).

قال الفاضل: لما ثبت الزيادة والنقصان في هذه الكتب على اعترافكم أيضاً، وثبت التحريف فيها، صارت مشتبهة عندنا بهذا السبب، ولا نعتقد البتة أن الغلط لم يقع في المتن. لا يصح لكم أن توردوا دليلاً من هذه الكتب علينا في المباحثة الآتية في مسألتنا التثليث والبنوة، لأنه لا يكون حجة علينا^(٢).

وقبل أن ينفض الجمع، أعلن الشيخ رحمت الله قائلاً على سبيل التحدي: نحن حاضرون إلى شهرين للمباحثة، بلا عذر. إلا إن هذا الكتاب لا يكون حجة علينا، والدليل المنقول عنه لا يكون كافياً لإلزامنا؛ نعم إن كان عندكم دليل آخر في مسألتنا التثليث والبنوة فأوردوه^(٣).

ولكن فنذر نكص على عقبيه، وحنق عليه أهل ملته، وخضد الله شوكته. وذفف عليه الشيخ بعدة مكاتيب بعد هذه الجولة من المناظرة،

(١) قد يأتي في النقل ما لا يستقبل العقل بإثباته، لكن يمتنع أن يأتي النقل الصحيح بما يحيله العقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات، كإحالة العقل الجمع بين التثليث والوحدة.

(٢) وقائع المناظرة (١٦٥).

(٣) وقائع المناظرة (١٦٦).

يستدرجه إلى مثلها^(١)، ولكن الباغي حزم أمتعته ورحل عن الهند بكاملها، مذؤوماً مدحوراً، بعد المناظرة بمدّة يسيرة^(٢). ولكنه زور وقائع ما جرى ونشره، فانتدب السيد عبد الله أكبر آبادي إلى نشر محاضره ممهورة بتوثيق وتوقيع أعيان الحضور من قضاة ومفتين وأدباء وصحفيين، فعاد تزوير فندر وبالأعلى عليه. ثم إنه أعاد الكرة حين عينته الإرسالية الكنسية بلندن، في منصب المنصر الأول في القسطنطينية، عام ١٢٧٤هـ - ١٨٥٨م، فأوهم السلطان عبد العزيز، الخليفة العثماني أنه ناظر أحد علماء الهند الكبار وأفحمه، مما حمل السلطان على التحري عن الشيخ رحمت الله، والعثور عليه مجاوراً في البلد الحرام^(٣)، فاستدعاه عام ١٢٨٠هـ واستخبره، ووقف على حقيقة الحال، وسر سروراً عظيماً، وطلب منه أن يدون تلك المناظرة. أما فندر فإنه لم يكذب يسمع بقدم الشيخ إلى إستانبول حتى بادر بالهرب.

وقد أدت هذه الفرية الأخيرة لفندر لدى السلطان إلى نتيجة علمية عظيمة؛ وهي تأليف كتاب «إظهار الحق» في أربعة مجلدات، بسط فيه

(١) انظر: نصوصها في المرجع السابق (١٦٨ - ١٩٤).

(٢) مقدمة إظهار الحق (٤٣).

(٣) كما شارك الشيخ رحمت الله الهندي ﷺ في جهاد النصارى بالحجة والبيان، شارك أيضاً بجهادهم بالسيف والسنان، فقاتلهم مع إخوانه من العلماء والمجاهدين عام ١٢٧٤هـ، مما حمل المستعمر الإنكليزي على طلبه، وتفتيش منطقة كرائه بيتاً بيتاً للقبض عليه وشنقه، ولكن الله سلم، وتمكن الشيخ من الفرار بدينه عبر البحر مهاجراً إلى مكة، مجاوراً بيت الله، فوصلها عام ١٢٧٨هـ، وبقي فيها حتى وفاته عام ١٣٠٨هـ، سوى فترة ذهابه لمقابلة السلطان عبد العزيز ١٢٨٠هـ، ثم السلطان عبد الحميد ١٢٩٩هـ، ١٣٠٤هـ. وقد أسس الشيخ في مكة المدرسة الشهيرة (المدرسة الصولتية) عام ١٢٩٠هـ، وصنف العديد من المؤلفات.

انظر ترجمته في مقدمة إظهار الحق للدكتور محمد ملكاوي (١٥ - ٢٢).

ومقدمة وقائع المناظرة لبسام الجابي (٣ - ٣٥).

الشيخ الرد على المنصرين والمستشرقين، واستوفى الحديث على المسائل التي نكص فندر عن المناظرة فيها، لما ظهر خزيه وعجزه في الجولة الأولى. فجاء هذا السفر الجليل مرجعاً لأهل الإسلام في مجادلة أهل الكتاب. وقد رتبته ترتيباً بديعاً على أبواب وفصول ومقاصد. فكانت أبوابه:

- الباب الأول: في بيان كتب العهد العتيق والجديد.
- الباب الثاني: في إثبات التحريف.
- الباب الثالث: في إثبات النسخ.
- الباب الرابع: في إبطال التثليث.
- الباب الخامس: في إثبات كون القرآن كلام الله، ومعجزاً، ورفع شبهات القسيسين.
- الباب السادس: في إثبات نبوة محمد ﷺ، ودفع مطاعن القسيسين.

وقد تلقت الأمة الإسلامية هذا الكتاب بالقبول، فترجم إلى مختلف لغات المسلمين وطبع طبعات شتى^(١)، ونفع الله به نفعاً عظيماً.

لقد كانت هذه الواقعة الإيمانية، التي جرت في فوعة الهجمة التنصيرية والاستعمارية على بلاد المسلمين في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، مثلاً يحتذى للسير على السنن الأولى والمجادلة بالحسنى. ورغم حال الضعف والاضطهاد التي كان يعانيها أهل الإسلام في تلك

(١) ومن أحسن طبعاته العربية، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بدراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي.

الحقبة العصبية، إلا إنهم، أي أهل العلم والإيمان منهم، لم تفارقهم عزة الإيمان واليقين بظهور هذا الدين وعلوه، ولم يخامرهم أدنى خاطر - ولا على سبيل الوهم الضعيف، كما عبر الشيخ رحمت الله آنفاً - أن يسلكوا مع خصمهم المتنمر المتسلط مسلك المداينة في الدين، والتقريب بين الأديان، والحوار الأعمى الضارب في التيه بلا خطام ولا زمام.

كما أن هذه التجربة الإيمانية حفزت كثيراً من المسلمين لمناظرة النصارى علانية، ودحض شبهاتهم، عن طريق التأليف، وأنعشت فيهم روح الجهاد بالكلمة والدعوة، وأرهبت عدو الله وعدوهم المتطاولين على دين المسلمين، وقرآنهم، ونبيهم ﷺ، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً. فلم يزل بحمد الله في هذه الأمة الخيرة، والطائفة المنصورة من ينهد لمقارعة الحجة بالحجة، ودحض الشبهة، والمجادلة بالتي هي أحسن. ونشير في هذا المقام إشاراتٍ عابرة إلى بعض هذه المجاهدات في العصر الحاضر:

١ - المناظرة التي جرت بين نخبة من علماء المسلمين، وبعض القساوسة والمنصرين في الخرطوم في الفترة من ٢٣/١/١٤٠١هـ إلى ٢٩/١/١٤٠١هـ في مسائل التثليث والصلب والفداء والأبوة والبنوة. وقد أسفرت المناظرة عن إسلام هؤلاء القساوسة والمنصرين^(١).

٢ - مناظرات الشيخ الداعية أحمد ديدات مع كبار القساوسة النصارى من أمثال: القس «جيمي سواجارت»، والقس الدكتور: «أنيس شروش» وغيرهما، في محافل مشهودة، ووقائع محفوظة بالوسائل

(١) وقد قامت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية في المملكة العربية السعودية بطبع محاضر هذه المناظرات ونتائجها في مجلدٍ فاخر بعنوان: (مناظرة بين الإسلام والنصرانية) عام ١٤٠٧هـ.

السمعية والبصرية، في حواضر العالم الغربي، وشاهدها عشرات الآلاف من البشر، ودونت في الكتب^(١)، فكانت - بحمد الله - حجة على المغضوب عليهم والضالين، ونصراً وفرحاً وتأيداً للمؤمنين.

٣ - محاورات الدكتور عبد الله أحمد قادري الأهدل، في الدعوة إلى الله مع غير المسلمين. وهي محاورات شخصية مع أفراد من ديانات شتى، تعتمد أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، للدخول في الإسلام^(٢).

كما يجدر التنبيه، بالمقابل على جداليات ليست من سبيل المؤمنين، ولا تمثل الإسلام وأهله في القديم والحديث، إما لكونها منحولة مزيفة، أو لكون الطرف الذي اتخذ ممثلاً للإسلام، من العصرانيين التقاربين، الذين لا ينجون منهج سلف الأمة.

ونشير أيضاً إلى ثلاثة أمثلة، اثنين تاريخيين، يكثر دعاة التقارب من النصارى العرب الاستشهاد بهما، ويردد صداهم - بغباء - دعاة التقريب من المسلمين، والثالث معاصر، وهي:

١ - الحوار المزعوم بين الجاثليق «طومثاوس» من الكنيسة الشرقية، والخليفة العباسي «المهدي»، الذي تم بزعمهم سنة ٧٨١ م. وفيه يظهر الخليفة المهدي بصورة السائل الساذج، سطحي العلم، قصير النفس، سهل الانقياد للجاثليق، الواصل من معتقده، الثابت في موقفه، الذي لا يجمال ولا يدهن في إجاباته لمليكه، حتى حين يسأله عن نبيه

(١) انظر على سبيل المثال: المناظرة الحديثة بين الشيخ أحمد ديدات والقس سواجارت. ترجمة: جمال نادر. طبعة: دار الإسرائ - عمان - عام ١٩٩٥م، مناظرة العصر. بين العلامة أحمد ديدات، والقس الدكتور: أنيس شروش. ترجمة على الجوهري. طبعة دار الفضيلة. القاهرة ١٩٩٢م.

(٢) انظر كتابه: حوارات مع أوروبيين غير مسلمين. طبعة الدار الشامية. بيروت، ودار القلم. دمشق ١٤١٠هـ.

محمد ﷺ يكتفي بالقول إنه «سلك في طريق الأنبياء»^(١).

وقد حاول الأب سمير خليل^(٢) توثيق النص، ضمن خطته الساعية لإبراز دور النصارى العرب في الحضارة الإسلامية، وقربهم من الخلفاء، والنفخ في صورتهم وتضخيم أثرهم. وحاشا خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، المهدي، الذي قال فيه الذهبي رحمه الله: (كان.. قصباً في الزنادقة، باحثاً عنهم)^(٣) أن يُصغي لنصراني ضال، فضلاً عن أن يسأله مسألة التلميذ الخفيض، ويقبل منه إنكار نبوة محمد ﷺ.

٢ - الرسالة المصنوعة، المعنونة بـ «رسالة الهاشمي إلى الكندي». وهي رسالة منسوبة إلى شخص وهمي يدعى: عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، ويوصف بأنه ابن عم الخليفة الأموي! إلى صديقه النسطوري المسمى: عبد المسيح بن إسحاق الكندي، يدعو فيها إلى اعتناق الإسلام، ويرد النصراني عليه.

ويحتفي نصارى العرب، من أمثال الأب يوسف درة الحداد بهذه الرسالة المزعومة، فيقول: (ولنا في الحوار الصحيح بين المسلمين والمسيحيين مثلاً رائعاً في «رسالة الهاشمي إلى الكندي»)^(٤).

أما سر هذه الحفاوة فيرجع إلى كونها (تمتدح... أخلاق المسيحيين وسلوكهم، وكثرة علمهم وزهدهم، وتأخذ عليهم برفق تلك الاعتقادات التي لا يتناسب الإيمان بها، مع علمهم الغزير، وأخلاقهم الحميدة. أما المسلمون فتركز الرسالة - كما يركز الرد - على استخدام

(١) انظر مقالة: (التراث العربي المسيحي القديم والإسلام) للأب سمير خليل. في كتاب: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة (٨٧ - ٩٠، ٩٣ - ١٠٨).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٠١/٧).

(٤) مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي (٤٩).

السيف عندهم، وعلى مادية ولذائذ ومخاوف الجنة والنار، وصولاً للاستنتاج - وبرقي أيضاً - أن هذه الأمور لا تتفق والأصل الإبراهيمي الذي يعتبره المسلمون جامعاً مشتركاً بينهم وبين المسيحيين. وهكذا لا يصح - وبطريقة مواربة أيضاً - اعتبار نبي الإسلام إبراهيمياً، كما لا يصح اعتبار الإسلام إكمالاً للمسيحية، فضلاً عن أن يكون ناسخاً لها^(١).

ولكن التزييف طغى إلى درجة لا تخفى، بحيث يستنتج قارئها رأساً أنها مصنوعة من كاتب نصراني، نظراً لهشاشة الرسالة، بحيث وضعها ليسهل عليه نقضها، واتخذ لكاتبها اسماً منحولاً بقصد إضفاء صبغة واقعية على الحوار الموضوع^(٢). وحتى تاريخ تحريرها الموسوم بمطلع القرن الثالث الهجري، يرى الباحثون أنه مزيف، وأنها ترجع في الحقيقة إلى القرن الرابع الهجري^(٣).

٣ - محاورات (نحو الجدل الأحسن)، التي عقدها مركز الدراسات المسيحية الإسلامية^(٤) بجامعة البلمند بלבnaan، التابع للطائفة الأرثوذكسية بين المطران جورج خضر، رئيس أساقفة جبل لبنان للروم الأرثوذكس، والدكتور محمود أيوب، من جامعة تمبل بولاية فلادلفيا الأمريكية. وهي عبارة عن مداينات علنية، لا مناظرات ولا مجادلات،

(١) مقالة: التفكير الإسلامي في المسيحية ١. لرضوان السيد. في كتاب: المسيحية والإسلام مرايا متقابلة (١٣).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي لعبد المجيد الشرفي. طبعة: الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٦ م.

(٣) التفكير الإسلامي في المسيحية (١٢).

(٤) راجع التعريف بالمركز في محاولات التقريب في العالم العربي من الباب الثاني.

فضلاً عن أن توصف بالحسن، بلّه الأحسن. إنها نمط من مناجاة دعاة التقريب من النصارى والإسلاميين العصرانيين المتحررين، إلا من العقلية الغربية. جرت على مدى ثلاثة أيام ٢٠، ٢١، ٢٢ مايو ١٩٩٦م، ونشرها المركز في كتاب عام ١٩٩٧م.

وقد لخص الأب الدكتور جورج مسّوح، مدير المركز، منحى كل من طرفي الحوار بقوله: (ما طرحه الدكتور محمود أيوب يدور حول نقطتين أساسيتين، هما: «الشركة الإيمانية» و«التعددية الدينية» فقد دعا المحاضر إلى العمل من أجل «الشركة الإيمانية» بين المسيحيين والمسلمين. وهي شركة تتخطى فكرة التسامح المتبادل إلى ما هو أسمى. فتقوم أساساً على مبدأ الاستفادة المشتركة من الروحانيتين المسيحية والإسلامية، ذلك أنه يمكن المسيحي الاستفادة من التراث الروحي الإسلامي، ويمكن المسلم الاستفادة من التراث الروحي المسيحي، من دون أن يضطر أي منهما إلى إجحاد دينه^(١). كما دعا إلى قبول «التعددية الدينية» كنتيجة لـ «الحكمة الإلهية»، ذلك أن الله نفسه يرضى بهذه التعددية^(٢)، ومن الخطأ القول «إن التعددية عمل من

(١) قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [الفاتحة] ومحمود أيوب هذا معروف بنزعه الصوفية الغالبة، كما يتضح من محاضراته في مؤتمر: الإصغاء إلى كلمة الله، بعنوان: (الكلمة والطريق. بحث الإنسان عن الله في التصوف الإسلامي) انظر كتاب: الإصغاء إلى كلام الله في المسيحية والإسلام (٢٠١ - ٢٢١).

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَوْنَ لِبَآدٍ الْكَفَرُ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهذه الدعوى التي يرددها العصرانيون من جراء خلطهم الأعمى بين الشرع والقدر، فيسلكون مسلك الجبرية، وضلال الصوفية. راجع مبحث: (الإسلاميون العصرانيون) في الفصل الثالث من الباب الأول.

أعمال الشيطان». لا ريب أن طرح الدكتور أيوب في ما يخص «الشركة الإيمانية»، و«التعددية الدينية»، قد سجل فتحاً جديداً في تاريخ العلاقات الإسلامية - المسيحية.

أما المطران جورج خضر فشدد على مبدأ المعرفة الحقيقية المبنية على المصادر الرئيسية للعقائد الإسلامية والمسيحية. ذلك أن المعرفة الحقيقية هي وحدها التي تؤدي إلى الحوار الحقيقي. ودعا إلى احترام الحرية الدينية، وإرادة الإنسان في اختيار الإيمان الذي يتناسب واقتناعه. كما طرح المطران خضر مشكلة العلاقة في المسيحية والإسلام بين الإلهي والزمني، والتقائهما في التاريخ، معدداً أمثلة على ذلك كتجسد المسيح، واجتماع الطبيعتين الإلهية والإنسانية في شخصه، وارتباط نزول القرآن بحياة نبي الإسلام^(١).

فستان بين الرجلين! رجلٌ هان عليه دينه الذي يُنسب إليه، فطفق يتقرب إلى النصارى مبتغياً إبرام شراكة روحانية معهم، مسبغاً الصفة الشرعية على التعددية الدينية، دون أن يطالب بشيء لدينه، ولو على سبيل المقايضة التي تحفظ له ماء وجهه، وإن كان لا يملك ذلك، فالدين لله، ورجلٌ استغل هوان صاحبه فجعل يقرر معتقده الشركي الكفري بتأليه المسيح وتجسده، ويحجر عقائد الإسلام وشرائعه، ودلالات القرآن بالعصر النبوي فقط. وكل ذلك يتم باسم (الجدال الأحسن).

وهذا اللون من الحوار، وإن سموه «جدالاً بالتّي هي أحسن»،

(١) نحو الجدال الأحسن. محاورات إسلامية مسيحية. المطران: جورج خضر، الدكتور: محمود أيوب. تحقيق: جورج مسوح، وكاترين سرور. مركز الدراسات المسيحية الإسلامية. جامعة البلمند - لبنان. المطبعة الكاثوليكية - عاريا. الطبعة الأولى (١٩٩٧م) (٦، ٧).

هو ما يريده النصارى من وراء إنشاء مراكز الدراسات المشتركة، وهو ما عبر عنه مدير المركز، الأنف الذكر، الأب «جورج مسّوح» حين قال: (ومن غرائب الأمور أن يحكى عن الحوار الإسلامي المسيحي، أي الحوار بين ديانتين، أي بين عقيدتين. والموضوعات التي قلما تطرح هي الأمور اللاهوتية العقائدية. فالكلام حالياً في موضوعات عقائدية مسيحية كالثالوث، وصيرورة الله إنساناً في شخص يسوع المسيح «أو عيسى ابن مريم»، وكيفية تقبل المسلمين هذه العقائد المسيحية، لأمر لا يُتطرق إليه إلا عرضاً^(١)).

فلا غرابة حينئذ أن يعد مسّوح طرح محمود أيوب فتحاً جديداً. وإنما الغريب كل الغرابة أن يجرؤ النصارى على المطالبة بالحوار العقدي، على تهافت عقائدهم واضطرابها، بينما يؤكد دعاة التقريب بين الأديان من الإسلاميين في كل وإد وناد على ضرورة اجتناب البحث في مسائل الاعتقاد، وهم - لو فقهوا - أسعد الناس بهذا الباب!!

أما المتبعون سبيل المؤمنين، فمستمسكون بالحجة، سائرون على المحجة لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي وعد الله. والله لا يخلف الميعاد.



(١) ملحق جريدة النهار البيروتية ١٠ مايو ١٩٩٧م (محطات الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان).

الخاتمة

وتتضمن:

- أولاً: نتائج البحث.
- ثانياً: التوصيات.

أولاً: النتائج

١ - دين الله واحدٌ من لدن آدم إلى محمد ﷺ، وهو الإسلام بمعناه العام، الذي هو الاستسلام لله بالطاعة، وإفراده بالعبادة، والخلوص من الشرك.

وهذا هو المعنى الوحيد الصحيح لـ «وحدة الأديان». أما الشرائع الإلهية فمتعددة.

٢ - أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد رغبوا عن ملة إبراهيم، وفارقوا الدين الحق الذي جاءت به أنبياءهم، وحرفوا كتب الله المنزلة عليهم؛ بالزيادة والنقصان، والتحريف اللفظي والمعنوي. فاليهودية تقوم على «توراة عزرا»، و«تلمود الحاخامات». والنصرانية تقوم على «الأنجيل المحرفة»، و«رسائل بولس» الذي أدخل عليها التثليث، وتأليه المسيح، وبنوته، وسائر البدع العقدية والعملية، وأبطل الشريعة، وقد آلوا جميعاً إلى جملة من الأوضاع الشركية، والرسوم البدعية، والأخلاق الذميمة.

٣ - أن الإسلام بمعناه الخاص، هو ما بعث الله به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق، وأنزل به كتابه وكلامه؛ «القرآن»، مصداقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيماً عليه. فنسخ الله بالإسلام جميع الأديان السابقة، وختم بنبيه النبوات، وأرسله للناس كافة، فلا يقبل الله ديناً سواه، ولا يتعبد لله بعبادة سوى ما شرع على لسان نبيه الخاتم ﷺ.

٤ - أن من آمن من أهل الكتاب بمحمد ﷺ واتبعه، آتاه الله أجره مرتين، ومن أصر على دينه، فهو كافر مشرك ضال فاسق،

محكوم عليه باللعن والغضب، والخلود بالنار. ولا يحل لأهل الإسلام مادة أهل الكتاب واتخاذهم بطانةً من دون المؤمنين، ولا التشبه بهم في شيء مما يختصون به، من العقائد والعبادات والعادات. ويتعين على أهل الإسلام، - عند القدرة - جعل الدين كله لله بدعوتهم إلى الإسلام، أو بذلهم الجزية عن يد وهم صاغرون، أو قتالهم، إظهاراً لدين الله، وتمييزاً لأوليائه من أعدائه. ومع ذلك فلا يجوز إكراههم على اعتناق الإسلام، وتحرم أذية ذمهم ومعاهدتهم ومستأنهم. ولا يجوز ظلمهم وخفر ذمتهم، ويجب الوفاء بعهدهم وعقدهم، واستعمال العدل معهم. ويشرع الإحسان إليهم بالقول والعمل؛ من هدية وعطية وزيارة وعبادة ونحوها، لا سيما إذا قارنها نية تأليف قلوبهم على الإسلام. ويحل طعامهم المذكى، ونساؤهم المحصنات. وسر ذلك: التفريق بين قاعدة حفظ الدين وتميز المسلمين، المقتضية تحريم موالاتهم وموادتهم والتشبه بهم، وقاعدة العدل والإحسان، المقتضية جواز برهم، وحفظ حقوقهم، ومنع ظلمهم. ومن لم يدرك الفرق وقع في الغلط من إحدى الجهتين.

٥ - كان النصارى أقرب مودة للذين آمنوا، فاعتنق كثير منهم الإسلام. وكان اليهود أشد عداوة للذين آمنوا، فاستكبروا عن قبول الإسلام، وجحدوا نبوة محمد ﷺ، وكادوا له المكائد. واستنكفت الزعامات الدينية والسياسية لأهل الكتاب عن توقيع البشارات الواضحة المذكورة في كتبهم بمبعث محمد ﷺ عليه، ضناً بملكهم ورياستهم. وأكل كثير من الأحرار والرهبان أموال الناس بالباطل، وصدوا عن سبيل الله.

٦ - اتسم تاريخ العلاقات الإسلامية - الكتابية، وخاصة مع النصارى، لكون الملك في أيديهم، بالعداء، والجهد المستمر، الذي كان فتحاً مبيناً في القرون الفاضلة الأولى، وسجلاً في العصور

الوسيلة، وانحساراً في العصور الحديثة، مع بعض الشذوذات التي لا تلغي القاعدة. وكان النصر والتمكين متناسباً تناسباً طردياً مع التزام المسلمين بدينهم، وأخذهم بأسباب القوة المعنوية والمادية، عبر مراحل تاريخية متميزة، دون أن تشهد على الإطلاق أي لونٍ من «الوفاق الديني»، أو «التقارب العقدي». إنَّ هي إلا المفاوضات، والعهود، والصالح المؤقت. وستظل هذه السمة باقية، والجهد ماضٍ إلى قيام الساعة، كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة.

٧ - خلا التاريخ اليهودي من وجود بذور لفكرة التقريب بين الأديان، لما طبع عليه اليهود من الكبر وازدراء الآخرين، واعتقادهم أنهم شعب الله المختار. ولكنهم دعوا إلى هذه الفكرة من خلال الحركة الماسونية، المتفرعة من الشجرة اليهودية الخبيثة، بهدف حلحلة الروابط الدينية الأخرى، وهدم الأديان سوى اليهودية.

وقد ظل التراث النصراني ينضح بالحقد والتشويه والتضليل، لا الموضوعية، فضلاً عن المقاربة، تجاه الإسلام حتى قيام الحملات الصليبية المتتابة منذ ٤٩٠هـ - ١٠٩٦م، حيث قارنه أسلوب المجادلة العقلية وإثارة الشبهات، ثم التنصير. وإثر سقوط القسطنطينية عام ٨٥٧هـ، ١٤٥٣م، نشأت محاولات لفهم الإسلام بعيداً عن الموروث الكنسي المضلل. وتخلل ذلك ظهور كتابات متفرقة تصوِّب التدين بجميع صوره، وتدعو إلى التقارب مع الإسلام، بلغت ذروتها على يد فلاديمير سولوفيفوف (١٨٥٣ - ١٩٠٠م)، ولويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢م)، الذي حاول أن يقيم جسراً بين الإسلام والنصرانية، من خلال التصوف الحلولي، عبَّر على منته دعاة التقريب فيما بعد.

وفي حواشي التاريخ الإسلامي نبتت نوابت شاذة، خارجة عن الإسلام سوغت وحدة الأديان، تمثلت في غلاة الصوفية أرباب القول بوحدة الوجود، والفرق الباطنية السرية كإخوان الصفا، ثم تسللت إلى

الفرق الباطنية اللاحقة، كالبهائية، حتى تحمّل فكرة التقريب بين الأديان آخر القرن الثالث عشر الهجري، مؤسس المدرسة العصرانية الحديثة جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٥هـ)، وتلميذه محمد عبده التركماني (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، بمعاونة نفرٍ من النصارى الإنجليز، والرافضة.

٨ - خرجت دعوة التقريب بين الأديان من حيز الكمون إلى الاستعلان، ومن نطاق الفكرة إلى التنفيذ، في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، من خلال مؤتمرات إسلامية - نصرانية متفرقة. ثم أطلق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) الفكرة من عقالها، وفتح الباب للنصارى على مصراعيه للتقارب مع المسلمين وغيرهم، بالتخلي عن عقيدتهم العتيقة «لا خلاص خارج الكنيسة»، وإعلان أن «الخلاص» يمكن أن يشمل سواهم، وخاصة المسلمين. ودعا إلى التقارب مع المسلمين واليهود، ونسيان الماضي، والتفاهم، والتعاون.

٩ - تتدرج حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث عبر ثلاثة مستويات:

أ - التقريب دون التوفيق أو التلفيق، بأن يبقى لكل دين خصائصه العقيدية والتعبدية المميزة، لكن مع اعتقاد إيمان الآخرين، واحترام عقائدهم وشعائهم، والدعوة للتعرف عليهم، وإبراز أوجه التشابه والاتفاق، وإقصاء أوجه الاختلاف والافتراق، وتحاشي البحث في مسائل الاعتقاد، والاعتذار عن أخطاء الماضي، والتعاون على تحقيق القيم المشتركة، وإشاعة المحبة والمودة والمجاملات الدينية. وهذا الاتجاه هو السائد، وتمثله قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني.

ب - وحدة الأديان: باعتقاد صواب جميع صور الدين، وانتمائها إلى حقيقة واحدة، وإن تنوعت مظاهر العبادة. فهذه المرتبة تستلزم

المرتبة السابقة، وتزيد عليها الدعوة إلى التخفف من الخصائص العقدية والتشريعية، في سبيل الانضواء تحت وحدة صغرى كالإبراهيمية، أو كبرى كالإنسانية. ويمثل هذا الاتجاه محاولات المفكر الفرنسي روجيه جارودي.

ج - توحيد الأديان: بجعل الدين واحداً، إما بالالتقاطية التي تستمد عناصر الدين الجديد من مصادر شتى، كما هو الحال في «المونية»، أو بالسعي لاجتذاب الآخرين نحو عقيدة معينة لأحد الأديان، كمحاولات جماعة «كريسلام»، الرامية إلى التوحد حول «تأليه المسيح».

ولا ريب أن الصورة الوحيدة الصحيحة لتوحيد الأديان، أن يتحد أتباع جميع الأديان والملل والنحل على الدين الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ، دين الإسلام، الذي لا يقبل الله ديناً سواه.

١٠ - مصطلح «الحوار»، قد يراد به (حوار التقريب) بين الأديان، وقد يراد به (حوار التعايش) بين أتباع الأديان، لتحقيق مصالح مشتركة من أمور المعاش. فهو بالمعنى الأول مذموم مطلقاً، وبالمعنى الثاني يخضع للسياسة الشرعية للأمة.

١١ - نشأت دعوة التقريب بين الأديان في العصر الحديث، وترعرعت في حجر النصارى الغربيين، على اختلاف طوائفهم. وانطلقت المبادرات الأولى من المرجعتين الكبيرين لنصارى العالم: الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي، وذلك لبواعث شتى: تنصيرية، وعالمية، وسياسية، ولصد المد الإسلامي أمام العالم المفتوح في أعقاب الحربين العالميتين. وأسس كل منهما دائرة مستقلة للحوار مع غير النصارى.

وقد دار في أروقة الفاتيكان، واجتماعات الجمعية العمومية

لمجلس الكنائس العالمي جدلاً عميقاً، حول معضلة الجمع بين الحوار والبشارة، انعكس على فاعلية واتجاه حركة التقريب. ويمكن تمييز مراحل ثلاث في موقف النصارى من حوار التقريب:

أ - مرحلة تجربة الحوار: وقد سادت منذ نهاية المجمع الفاتيكاني الثاني حتى أواخر السبعينيات الميلادية، وكانت متأثرة بقرارات المجمع التقريبية، وشخصية البابا بولس السادس، وسيادة الاتجاه الاشتمالي الاحتوائي في مجلس الكنائس العالمي. وامتازت بعقد العديد من المؤتمرات العالمية والإقليمية، وإعداد الدراسات.

ب - مرحلة تقويم الحوار: وقد امتدت من أواخر السبعينيات إلى أواسط الثمانينيات الميلادية، وانحسرت فيها مؤتمرات الحوار بشكل ملحوظ.

ج - مرحلة البشارة من خلال الحوار: وقد أعقبت المرحلة السابقة، بعد أن تغلب التيار المحافظ في الكنيسة الكاثوليكية، والتيار الحصري الضيق في مجلس الكنائس العالمي، الداعيان إلى تدعيم التنصير، واستغلال الحوار للأغراض التنصيرية. وقد واكب ذلك تسنم البابا يوحنا بولس الثاني سدة البابوية، وقيامه بنشاط دؤوب في تعزيز مكانة الكنيسة في شتى أرجاء العالم، مع الحفاظ على شعار الحوار إعلامياً.

١٢ - تأخرت دعوة التقريب بين الأديان لدى النصارى العرب، من أتباع الكنائس الشرقية، والاتحادية الغربية، إلى ما بعد انتهاء الحرب اللبنانية، باستثناء شواهد قليلة، وظلت مفتقدة بالنسبة لأكبر طائفة نصرانية في البلاد العربية، القبط. وركزت محاولات النصارى العرب، لبواعت أمنية واجتماعية، على قضيتين: هما:

■ محاولة إثبات أن النصارى المذمومين في القرآن، فرقة

منقرضة، وأن أحكام الكفر لا تطالهم، ومحاولة فلسفة عقيدة التثليث والبنوة بما يرفع عنهم وصمتها.

■ حوار التعايش، وتحقيق مكاسب اجتماعية، وحرية دينية، والقيام بدور الوسيط في الحوار الإسلامي - النصراني مع الغرب، تعويضاً عن الفراغ الناجم عن تراجع القومية العربية.

١٣ - تتناقض فكرة التقريب بين الأديان مع اليهودية الأرثوذكسية بشقيها: التقليدي العنصري، والأصولي السياسي في إسرائيل. وتقبلها اليهودية الإصلاحية في دول الشتات، لبواعث مصلحة بحتة: اجتماعية، وسياسية، كما في الولايات المتحدة الأمريكية.

١٤ - نشأت محاولات محلية واسعة، في العديد من مناطق العالم التي تقطنها جماعات دينية متنوعة، للتقريب بينها، وإشاعة المبادئ الفكرية التي نادى بها دعوة التقريب بين الأديان، إما لتخفيف حدة التوتر والعنف الطائفي، كما في لبنان، والسودان، والفلبين، أو لتحقيق مكاسب تنصيرية كما في شبه القارة الهندية (الهند، باكستان، بنجلاديش، بالإضافة إلى سيريلانكا)، وأرخبيل الملايو (ماليزيا وأندونيسيا)، أو لاستيعاب المهاجرين الجدد من المسلمين، ودمجهم في المجتمعات النصرانية المضيفة، كما في أوروبا وأمريكا. وتشرف على هذه المحاولات المحلية جهات حكومية وأهلية ودينية.

١٥ - استجاب لدعوة التقريب بين الأديان نفر من المسلمين ذوي الثقافة العصرية، المتحررين من ضوابط العقيدة الإسلامية، فضاهتوا النصراني، ومalthوهم وداهنوهم، وأقروا لهم - غالباً - بوصف الإيمان، ورددوا أصداً قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني. وقد أعوزهم ذلك إلى اعتساف الأدلة، وتأويل الثوابت العقدية، ولي أعناق النصوص، إما لبواعث انهزامية أمام الاتجاهات الفكرية الحديثة، أو لبواعث قومية وطنية مراعاة للنصارى العرب، أو بدعوى مواجهة الإلحاد، أو حتى لمجابهة إسرائيل.

١٦ - برزت محاولات فردية متميزة في العصر الحديث، لتعزيز فكرة التقريب بين الأديان والدعوة إليها، جمعت بين الجانب النظري، والنشاط العملي، منها:

أ - محاولات المفكر الفرنسي روجيه جارودي، الذي زعم الانتساب إلى الإسلام، ثم نادى بتاريخية الشريعة الإسلامية، وما تقوم عليه من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وهاجم علماء الإسلام، ودعا المسلمين إلى الانخراط أولاً في «الإبراهيمية» مع اليهود والنصارى، ثم إلى «الإنسانية» ثانياً، مع سائر ملل الملاحدة والوثنيين، وابتدع قراءة شاذة للتاريخ الإسلامي وتقويم أعلامه، ومشروعاً مستقبلياً للتحلل من الإسلام عقيدة وشريعة. وبذل في سبيل ذلك جهوداً فكرية وعملية.

ب - محاولات الأب الأسباني، المنصر في جماعة الآباء البيض، أميليو غاليندو، مؤسس مجموعة كريسلام، الذي يسعى لجعل الإيمان بالوهية المسيح محوراً لالتقاء الأديان.

ج - محاولات المتنبيء الكذاب المليونير الكوري صن مون، الداعي إلى انخراط الأديان تحت دعوته، والذي ينفق نفقات باهظة على عقد المؤتمرات العالمية لتوحيد الأديان.

د - محاولات الشيخ أحمد كفتارو العلنية للتقارب مع النصرانية خاصة، والملل الأخرى عامة، تحت مسمى «الروحانية»، والقيام بالرحلات والكتابات في هذا السبيل.

١٧ - دلت النصوص الشرعية القاطعة على بطلان «دعوة التقريب بين الأديان»، لأن دين الله واحد هو الإسلام الذي ابتعث الله به محمداً ﷺ، وما سواه إما باطل أو منسوخ. فمن رام التقريب بينه وبين غيره، فقد رغب عن ملة إبراهيم، وابتغى ديناً غير دين الإسلام، وطعن في صدق محمد ﷺ وعموم رسالته، وأنكر هيمنة القرآن على الكتب

السابقة، ونسخه لأحكامها، وخالف إجماع المسلمين، واتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، ووالى أعداء الدين، واتبع أهواءهم، وسقط في الفتنة عن بعض ما أنزل الله، وداهن في دين الله، ولبس الحق بالباطل، ووقع في الصد عن سبيل الله. وكلها لوازم لا محيد لدعاة التقريب عنها. وفسادها معلوم من الدين بالضرورة. وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، وبطلان الفرع يعود على الأصل بالإبطال.

١٨ - دل الواقع العملي المشاهد، خلال فوعة دعوة التقريب بين الأديان في العقود الأربعة المنصرمة على ظهور بعض النتائج والآثار الملموسة، الناجمة عن تجربة التقريب، كالتسوية بين كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن، والكتب المحرفة المنسوبة إلى أنبياء الله، التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم، ووصفها جميعاً بـ «مقدسة» و«سماوية» و«كلام الله». وكذلك التسوية بين بيوت الذكر والرحمة؛ المساجد، وبيوت العذاب والشرك، من معابد اليهود والنصارى والمشركين، ومشاركتهم في صلواتهم، واحتفالاتهم الدينية والفكرية، وإقامة المؤسسات البحثية المشتركة بين الأديان، بغرض تنقية المناهج الدراسية، والوسائل الإعلامية من النقد المتبادل، ورفع الأحكام العقيدية والشرعية في شأن أهل الكتاب، واستلال اعترافات صريحة وضمنية من نظرائهم المسلمين على صحة دينهم وكتبهم، وإعادة عرض الإسلام بصورة مشوهة خداج، كالنصوف الباطني. ومع ذلك كله، لم يحد النصارى قيد أنملة عن معتقداتهم، فلم ينتهوا عن قولهم «ثلاثة»، ولا عن غلوهم في الدين، وأصروا على إنكار نبوة محمد ﷺ، وعلى المضي في تضليل الخلق بما يسمونه «التبشير»، مستغلين الفاقة المعيشية، والصحية، والأمنية، لكثير من شعوب العالم الثالث - وغالبيتهم مسلمون - ولتحقيق مكاسب جديدة، ومواطء أقدام لمنصرهم، وإقامة كنائسهم، تحت شعار التقارب والحوار والتسامح.

وفي الوقت ذاته لا يكفون عن موالاة بعضهم بعضاً وموالاة اليهود والمشركين على الظلم والعدوان ضد المسلمين، وإحياء مطامعهم القديمة في القدس. وكل هذه الآثار والنتائج الواقعية، ثمار فجة لدعوة التقريب، شواهدا ماثلة لا يمكن إنكارها.

١٩ - (إن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب. وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان. وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً، بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع..

وتأسيساً على ما تقدم: فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها^(١).

٢٠ - إن المنهج الشرعي في مخاطبة أهل الكتاب هو دعوتهم إلى سبيل الله المتضمن:

أ - تحقيق توحيد العبادة، ونبذ الشرك بجميع صورته. وهذا هو المراد بـ: «كلمة سواء».

ب - ترك الغلو في الدين، والقول على الله بغير الحق، من التثليث، وتأليه المسيح، ودعوى بنوة المسيح وعزير الله تعالى، وتعظيم الصور والتماثيل... الخ.

ج - الإيمان بنوة محمد ﷺ واتباعه.

(١) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية رقم (١٩٤٠٢) في ٢٥/١/١٤١٨هـ انظر: النص الكامل في قسم الملاحق رقم (١).

د - الإيمان بالقرآن، ونسخه لما سبقه من الكتب.

أما أسلوب هذه الدعوة فيقوم على ثلاثة أوصاف: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما جاءت مبينة في القرآن، وفي هدي رسول الله ﷺ.

وأما وسائل ذلك فمتعددة، وأشرفها الوسائل النبوية التي دلت عليها سيرته العطرة، كغشيانهم في محافلهم ومناسباتهم، لدعوتهم دعوة صريحة مباشرة إلى الإسلام، واستدعائهم إلى دار الإسلام لهذا الغرض، ومكاتبة زعمائهم الدينيين وغيرهم، واستقبال وفودهم استقبالا حسنا لدعوتهم وم حاجتهم، وجهادهم بالسيف حتى يقبلوا الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وفي عمل الأمة الإسلامية عبر القرون، وطريقة السلف الصالح، ترجمة لهذه المقاصد الإيمانية، والوسائل الشرعية، وبيان لسبيل المؤمنين، والصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.



ثانياً: التوصيات

ليس من لازم النتائج السابقة، القاضية ببطلان دعوة التقريب بين الأديان، منع اقتراب المسلمين من غيرهم، وقطع خطوط التواصل مع مختلف أمم الأرض، وانكماشهم وتقوقعهم، بل إبطال هذا المسلك البدعي المتشابه، والعودة إلى المنهج الشرعي المحكم، الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران].

والأصل في الأمة الإسلامية، كما دلت الآية السابقة، وغيرها من النصوص الشرعية، وكما نطق بذلك التاريخ العملي لحركة الدعوة والجهاد في سبيل الله، أن تأخذ بزمام المبادرة، وتبادىء الناس بمشروعها الإيماني الرباني في إقامة بناء الدنيا على قواعد الدين، وتعبيد الناس لرب العالمين، وتحريرهم من رق الهوى وعبودية الشياطين. وحيث قد آلت حال الأمة في العصور الأخيرة إلى ضرب من التخلف والضعف والتبعية لغير المسلمين، في العديد من مناحي الحياة، واستلمت دفة التوجيه والتأثير والمبادرة تيارات الضلال العقدي والمسلكي، تفرق البشرية بأمواج الشبهات والشهوات، كان لا بد لأهل الإسلام، وحملة الدين من العمل على صعيدين:

- أحدهما: مواجهة هذه التيارات، ودفعها بالنقد الرصين البناء، المؤسس على الأصول العقدية الصحيحة، وكشف عوارها، وبيان خطرها على مسيرة الأمة.

• **والثاني:** الاشتغال بالبناء الذاتي، والإعداد الصحيح لجميع مناحي القوة المستطاعة، وأعظمها القوة الإيمانية، التي تستدعي وتقتضي بقية المناحي.

وحين هجمت «دعوة التقريب بين الأديان» على الأمة الإسلامية في حملتها العنيفة في العقود الأربعة المنصرمة، اضطربت مواقف، وتزلزلت قلوب، وهاجت أقلام، واهتزت منابر، بما يُعرف وما لا يعرف. وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وثبتهم بالقول الثابت، فلا يمكن القول - بحمد الله - أن الأمة بمجموعها، ولا بأكثرها، قد رضيت بهذه الدعوة واطمأنت إليها، بل السواد الأعظم باقون على الفطرة القويمة، في النفرة من دعاوى التقريب واستهجانها. فهذه الأمة أمة مهيبة، منصور، مرحومة، حرة بكل خير، قريبة من كل رشد، لا تجتمع على ضلالة.

وعلى أساس هذه الدراسة النقدية لدعوة التقريب بين الأديان في ضوء العقيدة الإسلامية يتقدم المؤلف بهذه التوصيات، مستنيراً بالمنهج الشرعي الذي سبق تقريره في الباب الثالث.

١- عقد المؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية للدعوة إلى كلمة سواء:

■ امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ آلِ كُتَيْبٍ تَمَالَوْا إِلَيَّ كَلِمَةً سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَيَبْئُكُمُ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران].

■ وتأسيساً بهديه ﷺ في مخاطبة أهل الكتاب مشافهةً؛ بالجدال والمحاجة والمناظرة، ومكاتبةً لعظماء أهل الملل.

■ واستغلالاً للفرصة النادرة، والإمكانات المتاحة في كثير من الدول الغربية، التي تسودها أنظمة ديموقراطية، تسمح بحرية التعبير عن

الرأي، ومخاطبة الجمهور بالوسائل الأدبية اللائقة، دون إثارة أو اعتداء. وأسعد الناس بذلك هم المسلمون المتأدبون بآداب الدعوة إلى الله، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

فينبغي للهيئات الإسلامية الموثوقة، أن تسعى في هذا السبيل القاصد، والمحجة البيضاء، وألا تضيع جهودها وإمكاناتها، وجهود العاملين معها، فيما لا طائل من ورائه، أو ما فائدته قليلة، بجنب مشاريع الدعوة الإسلامية الصريحة.

وقد جاء في توصيات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة عام ١٣٩٦هـ، البند الثامن عشر، تحت عنوان: «المؤتمر الإسلامي»، ما يلي: (يوصي المجلس أن تقوم الرابطة بعقد مؤتمر يسمى «المؤتمر الإسلامي»، الغرض منه دعوة غير المسلمين إلى كلمة سواء بيننا وبينهم بالمجادلة والموعظة الحسنة. على أن تفتح لهم الأبواب لمعرفة الإسلام، وتدعى لحضور هذا المؤتمر الأديان الأخرى)^(١).

كما أن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي قد اقترحت في مجال «الحوار بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى» ما يلي:

١ - إنشاء هيئة خاصة تضم العلماء المتخصصين في الحوار مع النصراني وغيرهم من الأديان الأخرى.

٢ - الإكثار من عقد ندوات إسلامية، يدعى إليها هؤلاء النصراني واليهود، ويكون ذلك بمبادرة من جهات إسلامية معروفة)^(٢).

إن الأخذ بهذه التوصيات والمقترحات، كفيل بإذن الله أن يقدم

(١) محضر قرارات وتوصيات الدورة الثامنة عشر. بند (١٨).

(٢) من تقرير صادر عن الأمانة العامة للرابطة: (٢) الحوار بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى (٣٤٧).

التعريف الصحيح، والبلاغ المبين، بالإسلام وعقائده وشرائعه، إلى أمم الأرض النائية، المتعطشة إلى الحقيقة، التي بها انبلاج النور، وانبلاج الصدور. ويمكن التوصل في سبيل إيصال الدعوة إلى كافة بجميع وسائل الإعلام والتبليغ. ومن صور ذلك:

• استئجار بعض القنوات التلفزيونية العالمية والمحلية، للتعريف بالإسلام ومحاسنه، في برامج دورية، مع الحذر من الظهور بمظهر المشاركة على حدٍ سواء مع سائر الملل، بما يُقر في قلوب الناس أن هذه الأديان والملل طرائق متساوية إلى عبادة الله.

• إنتاج مختلف أنواع الأوعية الإعلامية، من أشرطة تسجيل صوتي «كاسيت»، ووضوئي «فيديو»، ونشرات، وكتب، للتعريف الحق بالإسلام، وإقامة الحجة البالغة.

• المشاركة في المناظرات التلفزيونية من قبل الأكفاء المؤهلين، حول مختلف الموضوعات المتصلة بالإسلام، وربطها بالأصل العظيم؛ توحيد الله، ونبذ الشرك. وهذه المناظرات والمحاوير المفتوحة، ظاهرة واسعة الانتشار في الإعلام الغربي، وتحظى بمتابعة واسعة وجاذبية من قبل المشاهدين.

٢ - المشاركة الإيجابية في المؤتمرات والمنتديات الدينية، بالصفة الشرعية المتميزة:

ثم موقفان من المسلمين حيال المشاركة في ملتقيات الحوار الديني التي تدعو إليها جهات كنسية، أو منظمات دينية نصرانية - غالباً - وهما:

أ - الرفض المطلق، والإعراض التام، بل وإدانة جميع صور المشاركة، بحسبانها لونها من ألوان المداينة، والاستدراج والفتنة عما أنزل الله. لصدور تلك المبادرات من جهات لا تألوا جهداً في صد المسلمين عن دينهم، والكيد لهم.

وقد تبلور هذا الموقف إثر الممارسات الأولى، التي كشفت الغبن والغرر الذي حاق بالمسلمين، دون تحقيق شيء من المقاصد الشرعية، في مقابل المكاسب والغايات التي جناها الطرف الآخر.

ب - القبول المطلق، والاسترسال التام مع داعي هذه المؤتمرات والندوات، دون قيد أو شرط، والتساهل والمجاملة الزائدة مع المخالفين، وموافقتهم على رسومهم التي رسموها لسير الحوار، والحدود التي أقاموها، وأقنعوا رصفاءهم بعدم تخطيها، كالبحث في مسائل الاعتقاد، وعدم الجهر بكلمة الحق، وكشف الباطل، ضمن تعليقات مصلحية فاسدة.

ولا شك - والحال هذه - أن الموقف الأول هو الحق الذي يجب لزومه، والعض عليه بالنواجذ، حرصاً على نقاء الدعوة، وسلامة المنهج، والبعد عن مواطن الريب. ولكن لا تجوز الصيرورة إليه حتى يثبت ثبوتاً أكيداً تعذر البلاغ، وإقامة الحجة، في مثل هذه المنتديات، ورفض الجهات الداعية المنظمة السماح للمحاورين المسلمين من إعلان ما يريدون، ونقد ما يسمعون.

ذلك أن الرفض والامتناع موقف سلبي. ويمكن أن يتخذه أعداء الإسلام مغمزاً أو مطعنأ في الإسلام وأهله، من وصفهم بالجبن والتخاذل عن المواجهة، أو وصفهم بالشعور بالنقص، وعدم القدرة على التعايش مع مستجدات العصر، أو رميهم زوراً وبهتاناً بالتعصب ونبذ الآخرين، وعدم اعتماد أسلوب المحاوراة بالحجة، وعدم احتمال سماع «الرأي الآخر»، وأنه لم ينتشر سابقاً إلا بحد السيف والإكراه.

وقد اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله هذا المحذور، في معرض رده على من قال إن: (آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف) فقال: (الوجه الثامن: إن كثيراً من أهل الكتاب يزعم أن محمداً صلوات الله عليه وأمته، إنما أقاموا دينهم بالسيف، لا بالهدى والعلم

والآيات، فإذا طلبوا العلم والمناظرة، فقليل لهم: ليس لكم جواب إلا السيف، كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب، وكان هذا من أعظم ما يحتاجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام، وأنه ليس دين رسول من عند الله، وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف^(١).

فلما كان اتقاء هذا المحذور مطلوباً عند من يحتاجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام، فكيف بمن يحتاجون به عند غيرهم من سائر أمم الأرض، بل ويشبهون به على ضعف العلم والإيمان، من المسلمين؟!

كما أن هذه المنابر والمنتديات إذا اعتلاها الراسخون في العلم والمؤمنون، تكون حجة على فئام عظيم من الخاصة والعامة، وبلاغاً للناس، إذا وقعت على الصفة الشرعية، والغاية الإيمانية، الذي تضمنها قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل]، وترفعت عن مظاهر المداينة القولية والعملية، والانحناس عن قول كلمة الحق. وفي سيرة رسول الله ﷺ العملية - كما تقدم - دلائل كالشمس - على ذلك، من غشيانه محافل اليهود في أعيادهم الدينية، وأماكن عبادتهم^(٢).

وقد جاء في قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة عام ١٣٩٦هـ، البند التاسع عشر، ما يلي: (درس المجلس الدعوة التي تلقفتها الأمانة العامة، للاشتراك في المؤتمر المسيحي الإسلامي، الذي ينظمه مجلس الكنائس العالمي في جنيف في يناير ١٩٧٧م^(٣)، وقرر:

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٢٤٤).

(٢) راجع الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٣) لعل المقصود مؤتمر الحوار الإسلامي - المسيحي المعقود في كارثيني - قرب =

١ - الموافقة على الاشتراك في هذا المؤتمر، وغيره من المؤتمرات المماثلة، بشرط أن يكون المقصود من ذلك بيان الحق الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ، وبطلان ما سواه من الأديان.

٢ - أن يتولى تمثيل الرابطة فيها العلماء المختصون بالمواضيع المطروحة في جدول أعمالها^(١).

وأحسب أنه لو جرى الالتزام بهذين الشرطين لتحقيق نفع عظيم، ولأفضى الحال إلى بيئة من الأمر؛ فإما القبول بالحق والرضى بالإسلام، وإما النكوص، والكف عن الدعوة إلى مثل هذه المتتديات، واستغلالها في أغراض الصد عن سبيل الله، وتغطية أعمال التنصير.

ولكن السائد - وللأسف - كما تبين من استعراض عشرات، بل مئات، المؤتمرات في الباب الثاني، الإعراض عن الشرط الأول بالكلية، وعدم الشهادة لله، والقيام بالقسط، في بيان الحق الذي بعث به نبيه محمداً ﷺ، وبطلان ما سواه من الأديان، والاشتغال بموضوعات جانبية، والتأكيد على الاحترام المتبادل، وتجنب الخوض في مسائل الاعتقاد، وحسبان ذلك تشويهاً وتجريحاً. وأيضاً، التساهل في تطبيق الشرط الثاني - بالنظر إلى عموم المؤتمرات - فلا يتحدث باسم الإسلام أهل العلم والاختصاص، المتمسكين بالكتاب، الممسكين بالكتاب، بل طائفة من المثقفين ثقافة عصرية، ممن قد تتوفر فيهم العاطفة الإسلامية أحياناً، ويقصرون في باب العلم الشرعي الرصين، مع غلبة مجاملة، ورقة في الدين.

= جنيف - في أكتوبر عام ١٩٧٦م وليس يناير ١٩٧٧م، وشاركت فيه الرابطة فعلاً. فليس لمجلس الكنائس العالمي مؤتمر في يناير ١٩٧٧م، فربما تقدم عن مواعده المشار إليه.

(١) محضر قرارات الدورة الثامنة عشرة (١٤) - لدى المؤلف.

كما ينبغي التنبيه في مقام الدعوة إلى المشاركة الإيجابية في ملتقيات الحوار الديني إلى جوانب أخرى.

أ - أن لا يقتصر اللقاء بإحياء مناسبة دينية أو وثنية لدى الطرف المُضيف، أو بدعة كفرية يساق إليها المحاورون المسلمون، بما يحشرهم في زمرة المغضوب عليهم، والضالين، والذين لا يعلمون، أمام وسائل الإعلام، وجماهير المسلمين. ومن أمثلة ذلك:

■ المشاركة في الاحتفال بمرور سني معينة على إنشاء كنيسة، أو معبد بوذي، ونحوه.

■ المشاركة في يوم الصلاة المشتركة من أجل السلام ونحوه، تحت رعاية البابا.

ب - عدم الاستجابة للمشاركة في مؤتمرات تدعو صراحة إلى فكرة باطلية شرعاً، مثل «وحدة الأديان»، أو صادرة عن جهات مشبوهة، تقصد الإيقاع بالمسلمين في خطط دعائية خاصة، مثل الحركة المونية، التي استدرجت عدداً من علماء ومفكرين مسلمين إلى مؤتمر عقدته في استانبول عام (١٩٨٥م)، وأعلن المنظمون له، والممولون لنفقاته، نبوة الكذاب الدعي، صن مون^(١). وقد جاء في قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته التاسعة والعشرين المنعقدة في الفترة - ٦ ربيع الثاني عام ١٤٠٩هـ، الفقرة (٤) من (ثانياً) ما يلي: (وجوب التحذير من الحوار الذي تدعو إليه بعض المنظمات غير الإسلامية المشبوهة، مثل الكنيسة المتحدة التي يترأسها القس الكوري المتنبئ، صون ميونج مون، والهيئات والتنظيمات المنبثقة عنها، والعمل على كشف النقاب عن أباطيل تعاليمها للمسلمين خاصة، وللعالم عامة)^(٢).

(١) راجع التعريف به في الفصل الأول من الباب الثاني. (٩٠١).

(٢) محضر قرارات الدورة التاسعة والعشرين. (ثانياً) فقرة (٤).

وأمثال هذه المنظمة، مما يحمل توجهاً مسبقاً، كثير، كالمجموعات الصوفية الباطنية التي ترمي إلى جر المسلمين إلى النصرانية بحبل التصوف الباطني، مثل جماعة «كريسلام»^(١)، أو التي تقصد إذابة المسلمين في الوحدة العالمية، أو الإبراهيمية مثل مؤتمرات جارودي^(٢)، أو المنظمات التي تصر على مواصلة أعمال التنصير في صفوف المسلمين، مستغلة فقرهم ومرضهم وتشردهم، وفي ذات الوقت تنادي بالحوار.

ج - يجب أن يكون للجانب الإسلامي في هذه الملتقيات دورٌ فعال في التخطيط، والاختيار، والتنفيذ، في جميع المراحل، وألا يكون دوره حضورياً فقط، أو بصفة مراقب حتى لا يستغفل أو يستدرج إلى مواقف، إعلامية تضليلية، غير مقصودة له.

وقد وضع المجلس الأعلى العالمي للمساجد، في دورته التاسعة عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، شروطاً «فنية»، لمراعاتها عند عقد أي حوار مع الهيئات النصرانية، وهي:

١) - وضع قائمة المدعوين للحوار، بحيث تكون محل اتفاق الجانبين.

٢ - وضع جدول الأعمال باتفاق الطرفين.

٣ - ألا ينشر تقرير أو وثيقة أو كتاب عن موضوع الحوار إلا باتفاق الطرفين.

٤ - أن يتم تسجيل الحوار في محضر، وجعله في يد أمينة.

٥ - لا يتولى الحوار إلا المختصون من علماء المسلمين.

(١) راجع محاولات الأب غاليندو في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) راجع محاولات روجيه جارودي في الفصل الأول من الباب الثاني.

٦ - أن تبلغ جميع المؤسسات الإسلامية في العالم بنص هذا الحوار، أو خلاصته إن أمكن).

ولو أن المحاورين المسلمين التزموا بالشروط الموضوعية والفنية السالفة، لحصل خيرٌ كثير، ودُفع شر كثير، ولوجد المسلمون أنفسهم أمام تجربة صريحة حاسمة في هذا الموضوع المثير للجدل، ﴿لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

٣ - إسناد قضايا حوار «التعايش» إلى المتخصصين من أفراد ومنظمات، وليس إلى الأفراد والهيئات ذات الصفة الشرعية: ذلك أن قطاعاً واسعاً مما تلتئم حوله مؤتمرات الحوار الإسلامي - النصراني يدور حول مسائل حياتية، تتعلق بالبيئة، والهجرة، واللاجئين، والمعوقين، ومكافحة الجريمة والأمراض... الخ. فينبغي أن يكون التمثيل الإسلامي فيها على يد متخصصين في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة والطب، من ذوي الفضل والالتزام الشرعي، وأن يبينوا إلى جانب الطرح الموضوعي، المتخصص، محاسن الشريعة، وأثر العقيدة في ذلك. وتشارك فيها هيئات ومنظمات معنية بهذه الشؤون المعيشية.

وليس في الإسلام بحمد الله فصل بين الدين والدنيا، وليس فيه رجال دين، وعلمانيون. فالإسلام دين متكامل، شامل لمصالح العباد في الدنيا والآخرة، وأهله على اختلاف مواقعهم وتخصصاتهم أمة واحدة، تجمعهم عقيدة واحدة، وشريعة واحدة وإنما يتفاضلون بالتقوى.

لكن ثم محذورٌ من إقحام أهل العلم والدين، والهيئات الدينية والشرعية العريقة، في بحث هذه القضايا الجانبية، يتمثل في نظري - في توهين الدعوة الأصلية إلى كلمة سواء؛ بتوحيد الله ونبذ الشرك، بالاشتغال بمسائل فرعية، لا يليق أن ينتقل إليها من يحملون شارة العلم والدين، ويتجاوزون أهم القضايا التي أخذ الله عليهم العهد

والميثاق ببيانها للناس. ومن الطبيعي أن يكون أثر مشاركتهم سلبياً على العامة، حيث يهون في نفوسهم الفرق العظيم الذي جاء به الإسلام، من دعوة الخلق إلى خلع ما هم عليه من العقائد الباطلة، والرسوم البالية، والانتقال قلباً وقالباً إلى حال جديد، هو دين الله الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه. ومن ثم فانصراف أهل الدين والعلم إلى هذه المسائل، وحضورهم مؤتمراتها يوهن تلك الدعوة، ويقرب المسافة بين الدين الحق والملل الباطلة في نفوس الناس، ويفقده جاذبيته وتميزه.

وفي نقد الدكتور محمد رشيد لمقالة الأستاذ كامل الشريف حول «مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي» المتضمنة اقتراحه (تركيز الحوار على القضايا «الحياتية») قال: (أرى أن لا يقام ذلك بين الكنائس، والمؤسسات الدينية الإسلامية، ولكن بين زعماء المسلمين من الساسة والاقتصاديين، مع زعماء المسيحيين، بحيث يمنع ذلك الاتفاق أن يجذب تأثيرات أخرى في حياتنا الدينية يجب علينا أن نفرق بين التسامح بين الأديان، وبين الاعتقاد بأن الأديان متساوية. والحوار له ضرر عكسي يهاجم المسلمين، وينشر الاعتقاد أمام الخاصة والعوام بأن الأديان متساوية)^(١).

ويجب أن لا يتجاوز هذا الضرب من حوار التعايش، الحدود والغايات المرسومة له، ولا أن يخرج إلى أنماط من المجاملات المحرمة، شأنه في ذلك شأن المعاهدات والاتفاقات التي يبرمها ولاية الأمر من المسلمين، مع غير المسلمين، من معاهدين ونحوهم.

أما الحوار في مسائل الاعتقاد والدين، فليس له إلا صيغة واحدة، هي صيغة الدعوة إلى كلمة سواء، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ولا يمكن أن يخضع لأسلوب

(١) نقد على مقالة معالي الأستاذ كامل الشريف (٢٢). محفوظة لدى المؤلف.

المفاوضات، والتنازلات، والمقايضات، التي تتسع لها السياسة الشرعية في المسائل الحياتية المشتركة، التي تتعلق بها مصالح الطرفين. وبالتالي فليس هناك «حوار ديني» بهذا الاعتبار بين الإسلام وغيره، ولا تقارب ديني بين الإسلام وغيره، ولكن يمكن أن يكون هناك حوار معيشي، وتقارب معيشي بين المسلمين وغيرهم، لا بين الإسلام وغيره، لتحقيق مصالح معيشية مشتركة.

٤ - التقويم المستمر لمسيرة الحوار، وتبادل الخبرات بين الجهات الإسلامية:

إن من الضرورة بمكان في غياب مرجعية واحدة تتولى شؤون أهل الكتاب، أن يتلاقى المعنيون من الجهات والهيئات الإسلامية المعتبرة للتشاور حول جدوى الحوار وتقويم مسيرته. وتبادل الخبرات، وثمرات التجارب السابقة، ثم اتخاذ القرارات حول المضي فيه إن كان يحقق المقاصد الشرعية، أو التوقف إن كانت الأخرى، وأن يتم ذلك في ضوء العقيدة الإسلامية، والسياسة الشرعية.

والملاحظ أن الجانب الآخر، النصراني غالباً، يقوم بعملية مزدوجة:

■ الاتصال بجهات إسلامية متعددة، كل على حدة، متعللاً بعدم وجود هرمية كهنوتية في الإسلام.

■ التنسيق مع الجهات النصرانية المماثلة، التي تتبع مرجعية كنسية أخرى. كما يتضح بالتنسيق الدائم بين أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، المجمع البابوي للحوار بين الأديان، لاحقاً، والوحدة الفرعية للحوار مع أصحاب المعتقدات والمثل الحية، التابعة لمجلس الكنائس العالمي.

وبالمقابل، فإن مستوى التخطيط، والتنسيق، وتبادل الخبرات،

بين الجهات الإسلامية خلال العقود الماضية أقل من الحد الأدنى. ولا ريب أن لبعض الجهات، الإسلامية المعتبرة، مثل رابطة العالم الإسلامي، والأزهر، ووزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في العديد من البلدان الإسلامية تجاربها الخاصة، وتوصياتها، ولكنها لم ترتقِ بعد إلى درجة الموقف الموحد، والنضج التام، من أصل القضية وتضاعيفها. وذلك يحتم أن تلتئم هذه الجهات، مسترشدة بالمنهج الشرعي الرصين، مستفيدة من تجارب الماضي، وتصدر عن رؤية شرعية واحدة.

ومن الخطوات الحديثة في هذا الصدد انعقاد ندوة في القاهرة في الفترة: (١٥ - ١٦ شوال ١٤١٨هـ - ١٣ - ١٤ فبراير ١٩٩٨م) بعنوان: (ندوة تقويم وتأصيل منهجية الحوار الإسلامي المسيحي)، بدعوة من المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وحضور أكثر من عشرين منظمة إسلامية معنية بالحوار. وقد تم الاتفاق على:

(أولاً: تشكيل لجنة لوضع مشروع خطة منهاج عام للنهوض بالحوار، وتحديد منطلقاته وأهدافه، وضوابطه وآلياته، وتحديد أسس التنسيق والتعاون بين المنظمات والجهات التي تمارس الحوار، لتكون في متناول الجميع)^(١).

هذا وقد رسمت الندوة - سلفاً - بعض الضوابط للجنة المكلفة بوضع خطة المنهاج العام، تضمن الفقرة التالية: (مع الارتياح للحوار في الموضوعات العامة، إلا إنه لا مانع من الحوار في العقائد، إذا كان ذلك مفيداً)^(٢). وهي فقرة توحى - فعلاً - بالحاجة الماسة إلى ترشيد مسيرة الحوار وتأصيلها، بحيث يصبح الحوار في العقائد على

(١) محضر اجتماع لجنة الحوار الإسلامي المسيحي (٤). محفوظة لدى المؤلف.

(٢) المرجع السابق (٥).

رأس قائمة الأولويات والمهمات التي يتعين البدء بها وجوباً، لا مجرد الإذن بها جوازاً، مشروطاً بالفائدة.

إن أهل الإسلام، بأمس الحاجة في هذا الزمان - وفي كل زمان - إلى التمسك بالمنهج الشرعي المستمد من الوحيين، كتاب الله، وسنة نبيه محمد ﷺ، ففيهما الغناء والشفاء وحسن العاقبة، وأن يردوا جميع ما اختلف فيه إلى الله والرسول: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، مسترشدين بفقهاء العلماء الربانيين الذين يستنبطونه منهم، من هذين المصدرين الثابتين.

٥ - الاهتمام بالأقليات الإسلامية في أنحاء العالم:

لا يكاد يخلو موطن تطلع عليه الشمس في هذا العصر من وجود مسلمين. فإن حركة الهجرة، والاتصال المستمر، واعتناق الإسلام من قبل أبناء الشعوب الأخرى، قد أدى إلى انتشار الإسلام في جميع أنحاء المعمورة. فحيثما حل المسافر في مدينة من مدن العالم، فلن يعدم مسجداً، أو مركزاً إسلامياً، يؤوي إليه مسلمو تلك الأصقاع، من مواطنين أصليين، أو مهاجرين للعمل أو الدراسة. وهؤلاء في الحقيقة رسل للإسلام إلى أهالي تلك البلاد، بحكم استعلانهم باعتناق هذا الدين، ومرايا عاكسة لعقيدته وشريعته في سلوكهم الشخصي، ووضعهم الاجتماعي. ولكم كان هؤلاء سبباً مباشراً، أو غير مباشر لاعتناق آخرين دين الإسلام. إما بالدعوة الصريحة، أو بالقدوة الحسنة، والسلوك الحميد.

وكثير من هؤلاء المسلمين القلة في بلاد الكفار، يعانون من الجهل والقطيعة من بقية إخوانهم المسلمين، مع معاناتهم الأصلية من العيش بين ظهرائي الكافرين، والتأثر والخضوع لأعرافهم الاجتماعية، وقوانينهم المدنية^(١).

(١) نشير في هذا المقام إلى بعض الجهود المبذولة لدراسة أوضاع الأقليات =

إن توجيه العناية لهذه الأقليات القاطنة في مشارق الأرض ومغاربها، يمكن أن يكون فتحاً جديداً في باب الدعوة إلى الله، والتعريف الصادق بالإسلام وأهله، الملتزمين بهديه. فينبغي للمؤسسات الإسلامية، الدعوية والخيرية، التواصل مع تجمعات المسلمين في سائر دول العالم، في الجوانب التالية:

أ - توعيتهم وتعليمهم أمور دينهم، عن طريق بعث الدعاة إلى الله، وإقامة الدورات الشرعية، وتزويدهم بالكتب وغيرها من أوعية العلم، باللغات التي يحسنون، ومنح الفرص لأبنائهم لتلقي الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] (١).

ب - عمارة المساجد لهم، والمدارس الإسلامية لأبنائهم، والمراكز التي تقوي رابطتهم، وتحول - بإذن الله - دون ذوبانهم في المجتمعات التي يعيشون فيها.

ج - السعي لدى حكوماتهم، لمنحهم كامل حقوقهم المدنية، وحررياتهم الدينية، في اللباس والأعياد وغيرها، والاعتراف بمؤسساتهم، وروابطهم، ومدارسهم، ودعمها أسوة ببقية الطوائف، وتسهيل أمورهم المدنية والحقوقية.

= المسلمة في العالم، فمنها: المؤتمر العالمي للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في مدينة الرياض، بالمملكة العربية السعودية في الفترة من ١٢ - ١٧ جمادى الأولى عام ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٢ - ٢٧ يناير عام ١٩٨٦م، تحت عنوان: (الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة، آلامها، وآمالها)، وملتقى (فقه الأقليات) المصاحب لافتتاح مسجد الملك فهد في أدنبره في سكوتلندا، برعاية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، في أغسطس عام ١٩٩٨م.

(١) على أحد التفسيرين في معنى الآية: (ليتفقه هؤلاء الذين ينفرون، ولينذروا قومهم المتخلفين) زاد المسير (٣/٥١٧).

وقد استنبط الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله فائدة مناسبة للمقام، من مقالة قوم شعيب عليه السلام: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَكَ﴾ [هود: ٩١]، فقال: (إن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها. وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، وأهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين، لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك. لأن الإصلاح مطلوبٌ على حسب القدرة والإمكان.

فعلى هذا لو سعى المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية «جمهورية»، يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية، لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية، وتحرص على إبادةها، وجعلهم عملة أو خدماً لهم.

نعم إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام، فهو المتعين. ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة^(١).

هذا، وعامة دول الغرب الآن تنتهج الديمقراطية، وإتاحة الحريات لمختلف الاتجاهات والطوائف والأديان، مما يمكن أن يفيد منه المسلمون فائدة عظيمة في نشر دينهم والدعوة إليه. وبعض هذه الأقليات من أهل البلاد الأصليين، فيمكنهم الحصول على امتيازات خاصة، كما أنهم أدري بقومهم وطرائق التأثير عليهم، فينبغي الاستفادة منهم ومشورتهم. يقول الدكتور الداعية، عبد الله أحمد قادري الأهدل: (الحقيقة أن المسلمين إذا أرادوا للدعوة إلى الله تعالى أن تنتشر في

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ٤٥٧).

أوروبا، فإن عليهم أن يستنصحووا المسلمين الأوربيين المخلصين، الذين هم أدري بنفسيات أبناء بلدانهم، وبالطرق والأساليب النافعة في نشر الدعوة، وبالقوانين التي يمكن من خلالها اغتنام الفرص لإقامة المشروعات القريبة والبعيدة، لتثبيت هذا الدين في أوروبا، وجعله راسخاً في نفوس أبنائه الذين وفدوا إلى أوروبا من خارجها، وكذلك في نفوس الداخلين فيه من جديد، وأجيالهم القادمة. فاقترحات المسلمين الجدد من أهل أوروبا، التي يمكن أن يؤدي بها الواجب، جديرة بالدراسة والاهتمام، والمتابعة والتخطيط والتنظيم، ثم التنفيذ، مع إضافة آراء دعاة الإسلام، من أهل المراكز الإسلامية النشيطة في الدعوة^(١).

ويلتحق بهذا الجانب أيضاً، العناية بالطلاب المبتعثين من البلاد الإسلامية للدراسة، وتأهيلهم وتحسينهم بالعلم النافع، الكاشف للشبهات، الباعث على الدعوة إلى سبيل الله.

٦ - قيام الجامعات الإسلامية، والمعاهد الشرعية بإحياء فن المناظرات، والمجادلة بالتي هي أحسن، وتأهيل الدعاة والمحاورين للقيام بواجب الدعوة والبلاغ: فمما يلاحظه المتتبع أن كثيراً من الجامعات الغربية، وكليات اللاهوت، والمعاهد التنصيرية العريقة، تضم أقساماً للدراسات الإسلامية، ومراكز للحوار الديني، وتقوم بعقد المؤتمرات المتتالية، بل ثم مراكز ومعاهد مستقلة أنشئت في مواقع عدة من العالم لهذا الغرض^(٢). فحري بالجامعات الإسلامية أن تولي هذا الأمر حقه من الاهتمام والرعاية، وفق المناهج الشرعية المعتمدة، دون محاكاة الأنماط الغربية.

(١) حوارات مع أوربيين غير مسلمين (١٠).

(٢) انظر قائمة المراكز والمعاهد والمؤسسات المعنية بالحوار. في قسم الجداول والفهارس. جدول رقم (٢).

ومن المشاريع المقترحة في هذا الصدد:

أ - إحياء التراث الإسلامي الحافل في باب المناظرة والجدل مع أهل الكتاب، تحقيقاً ودراسةً، في أقسام الدراسات العليا، ومراكز البحوث.

ب - رصد المستجدات من الاتجاهات الحديثة داخل الملل الأخرى، وأهدافها ووسائلها.

ج - تأسيس أقسام للدعوة، وتخريج الدعاة المؤهلين لمحاورة أهل الكتاب وغيرهم.

وبهذه الوسائل وأمثالها، يمكن للأمة الإسلامية أن تقوم بالمهمة التي شرفها الله بها، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وإخراج العباد، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، بما من الله به عليها من إكمال الدين، وإتمام النعمة، والرضى لها بالإسلام ديناً.

وهذا هو المسار الصحيح، والإطار الرشيد، لأي «عولمة» تنشدها البشرية لتتوحد من خلالها، وما سوى ذلك فوسواس الشياطين، وسبيل المجرمين. فما أخرى أهل الإسلام باطراح الضعف والخور، والأخذ بأسباب القوة الإيمانية والمادية، والإعداد الجاد المدروس لامتحان أمر الله، وقيادة البشرية إلى سبل السلام، وإخراجها من الظلمات إلى النور. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

الملاحق

وتتضمن:

ملحق (١): فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (١٩٤٠٢) حول الدعوة إلى (وحدة الأديان).

ملحق (٢): فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٧٨٠٧) حول الدعوة إلى (التقارب بين الأديان).

ملحق (٣): قطعة من خطبة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - حول (التقريب بين الأديان).

ملحق (٤): الرسالة الجوابية لشيخ الأزهر د. عبد الحلیم محمود علی سكرتير عام جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا حول المشاركة في مؤتمر (قرطبة العالمي الإسلامي المسيحي الثالث).

ملحق (٥): أنموذجان من رسائل التهنية التي يوجهها الفاتيكان للمسلمين بمناسبة عيد الفطر.

ملحق (٦): صورة لمخطط هندسي لمشروع مجمع معابد الأديان في إيطاليا.

فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ١٤١٨/١/٢٥ هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات، بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء: مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات، والمطارات، والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات، في الشرق والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: أن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يَنْقَ على وجه الأرض دين يُتَعْبَدُ الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران). والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى: (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل، من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يُتَعْبَدُ الله به سوى: (القرآن الكريم)

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثاً: يجب الإيمان بأن (التوراة والإنجيل) قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل، بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِنْهُمْ لَعْنُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسَةً يَجْمَعُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله جل وعلا: ﴿قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران].

ولهذا، فما كان منها صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي». رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعاً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب]. فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ. ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حياً لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وأنه لا يسع أتباعهم

إلا ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران]. ونبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابِعاً لمحمد ﷺ، وحاكماً بشريعته، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سبا]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهُمُ النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامساً: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام، من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار كما قال تعالى: ﴿لَهُ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾﴾ [البينة]، وغيرها من الآيات. وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار».

ولهذا: فمن لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر، طرداً لقاعدة الشريعة: (من لم يكفر الكافر فهو كافر).

سادساً: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى: (وحدة الأديان)، والتقارب بينها، وصهرها في قالب

واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام، وتقويض دعائمه، وجُرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصادق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظْنَمُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله جل وعلا: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

سابعاً: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة، إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة]، ويقول جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩٠﴾﴾ [التوبة].

ثامناً: أن الدعوة إلى (وحدة الأديان)، إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام، لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناءً على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١ - فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليقها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢ - لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد!! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم)، والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣ - كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة: لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم المساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال، لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله)، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله، لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران]. بل هي: بيوت يكفر فيها بالله. نعوذ بالله من الكفر وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (١٦٢/٢٢): «ليست - أي: البيع والكنائس - بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار».

عاشراً: ومما يجب أن يُعلم، أن دعوة الكفار بعامّة، وأهل الكتاب بخاصة، إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم

ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران]. أما مجادلته، واللقاء معهم، ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض غرى الإسلام، ومعاهد الإيمان، فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون. قال تعالى: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

* وإن اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس، فإنها توصي المسلمين بعمامة، وأهل العلم بخاصة، بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعائه، والكفر وأهله، وتحذيرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبالها، ونعيز بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم، نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی أن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

نائب الرئيس

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عضو

عضو

بكر بن عبد الله أبو زيد

صالح بن فوزان الفوزان

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٧٨٠٧) (١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد:

أولاً: أصول الإيمان التي أنزل الله بها كتبه على رسله، التوراة والإنجيل والزيور والقرآن، والتي دعت إليها رسله عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم وموسى وعيسى، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، كلها واحدة، بشر سابقهم بلاحقهم، وصدق لاحقهم سابقهم، وأيده ونوّه بشأنه، وإن اختلفت الفروع في الجملة، حسب مقتضيات الأحوال والأزمان ومصلحة العباد، حكمة من الله وعدلاً، ورحمة منه سبحانه وفضلاً، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝١٨٥﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٥٢﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ۝٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُوثُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [آل عمران] ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسٰى وَعِيسٰى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْمُنْكَرِ ۝٨٥﴾

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن

عبد الرزاق الدويش (٨٠/١ - ٨٧). مكتبة العيكان. الرياض. الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

الْعَصِيرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران]، وقال تعالى بعد ذكره دعوة خليله إبراهيم إلى التوحيد، وذكر من معه من المرسلين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَقْبَدَهُ قُلْ لَا أَشْتَكِيكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]، وقال ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴿٩٠﴾ [الصف: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ قُلُوبَهُمْ يَتَّبِعُهُمْ بِمَا أَرْسَلْنَا اللَّهُ وَلَا تَلْبِغْ أَعْيُنَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٩١﴾ [المائدة: ٤٨] الآيات.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة. الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». رواه البخاري.

ثانياً: حرف اليهود والنصارى الكلم عن مواضعه، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم. فغيروا بذلك أصول دينهم، وشرائع ربهم. من ذلك قول اليهود عزير ابن الله، وزعمهم أن الله مسه لغوب، وأصابه تعب، من خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فاستراح يوم السبت، وزعمهم أنهم صلبوا عيسى ﷺ وقتلوه، ومن ذلك أنهم أحلوا الصيد يوم السبت بحيلة، وقد حرمه الله عليهم، وأنهم ألغوا حد الزنا في حق المحصن، ومن ذلك قولهم أن الله فقير ونحن أغنياء، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة]، إلى غير ذلك من التحريف والتبديل القولي والعملي عن علم، اتباعاً للهوى، ومن ذلك زعم النصارى أن المسيح عيسى ﷺ ابن الله، وأنه إله مع الله، وتصديقهم اليهود في زعمهم

أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه، وزعم كل من الفريقين أنهم أبناء الله وأحباؤه، وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وحقدهم عليه وحسدهم إياه من عند أنفسهم، وقد أخذ عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه، وأقروا على أنفسهم بذلك، إلى غير ذلك من فضائح الفريقين وتناقضهم. وقد حكى الله الكثير من كذبهم وافترائهم وتحريفهم وتبديلهم ما أنزل إليهم من العقائد والشرائع، وفضحهم، وردَّ عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة]. الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨١﴾﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ الْيَسْتَنَّهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرَ وَمَنْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران] الآيات، وقال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ نَبِّئُهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بَيَّاتٍ اللَّهُ وَقَلِيلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَىهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ يَهْتِنَا عَظِيمًا ﴿٨٥﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٨٦﴾﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْ لَّهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤفَكُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَبَّهُنَّهْم أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَٰهَا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [النسبة] الآيات، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة] إلى غير ذلك مما لا ينقصي منه العجب من افتراءهم وتناقضهم ومخازيهم وفضائحهم. والقصد ذكر نماذج من أحوالهم، ليبنى عليها الجواب فيما يأتي:

ثالثاً: مما تقدم يتبين أن أصل الديانات التي شرعها الله لعباده واحد لا يحتاج إلى تقريب. كما يتبين أن اليهود والنصارى قد حرفوا وبدلوا ما نزل إليهم من ربهم، حتى صارت دياناتهم زوراً وبهتاناً، وكفراً وضلالاً. من أجل ذلك أرسل إليهم رسول الله محمد ﷺ ولغيرهم من الأمم عامة، ليبين ما كانوا يخفون من الحق، ويكشف لهم عما كتموه، ويصحح لهم ما أفسدوا من العقائد والأحكام، ويهديهم وغيرهم إلى سواء السبيل. قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥٠﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥١﴾﴾ [المائدة]، وقال: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٢﴾﴾ [المائدة].

لكنهم صدوا وأعرضوا عنه بغياً وعدواناً وحسداً من عند أنفسهم، من بعد ما تبين الحق. قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِمُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ قَوْمٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٩١] والآيات، وقال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [١] رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ [البينة: الآيات].

فكيف يرجو عاقل يعرف إصرارهم على الباطل، وتماديهم في غيهم، عن بينة وعلم، حسداً من عند أنفسهم، واتباعاً للهوى، التقارب بينهم وبين المسلمين الصادقين. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْمَعُونَ وَبُذِّلَتْ لَهُمُ الشُّجُورُ وَأَعْطُوا الدَّرَجَاتُ كُلُّهُمْ فِيهَا يَخِرُّونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَصْعَقُونَ﴾ [٧٥] [البقرة: الآيات، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [٧٦] وَلَنْ رَّضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَدَّ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [٧٧] [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [٨١] [آل عمران: الآيات، بل هم إن لم يكونوا أشد من إخوانهم المشركين كفراً وعداوة لله ورسوله والمؤمنين، فهم مثلهم. وقد قال الله تعالى لرسوله في المشركين: ﴿فَلَا تَطْعَمُ النَّكْدِيَّةَ﴾ [٨] وَدُّوا لَوْ تَذَرُهُنَّ يَذَّهَبْنَ ﴿٩﴾ [الفلم: الآيات، وقال له: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [١] لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [١] [الكافرون].

إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية، كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان

رابعاً: لو قال قائل: هل تمكن الهدنة بين هؤلاء، أو يكون بينهم عقد صلح حقناً للدماء، واتقاء لويلات الحروب، وتمكيناً للناس من الضرب في الأرض، والكد في الحياة لكسب الرزق وعمارة الدنيا، والدعوة إلى الحق وهداية الخلق، إقامة للعدل بين العالمين - لو قيل ذلك، لكان قولاً متجهاً، وكان السعي في تحقيقه سعياً ناجحاً، والقصد إليه قصداً نبيلاً، له مكانه وعظيم أثره، لكن مع المحافظة على إحقاق الحق ونصره، فلا يكون ذلك على سبيل مداينة المسلمين للمشركين، وتنازلهم عن شيء من حكم الله، أو شيء من كرامتهم وهوانهم على أنفسهم، بل مع الإبقاء على عزتهم، والاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، عملاً بهدي القرآن، واقتداء بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]. وقد فسر ذلك النبي ﷺ عملياً، وحققه بصلحه مع قريش عام الحديبية، ومع اليهود في المدينة قبل الخندق، وفي غزوة خيبر، ومع نصارى الروم في غزوة تبوك، فكان لذلك الأثر العظيم، والنتائج الباهرة، من الأمن، وسلامة النفوس، ونصرة الحق، والتمكين له في الأرض، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، واتجاه الجميع للعمل في الحياة لدينهم ودنياهم، فكان الرخاء والازدهار، وقوة السلطان، وانتصار الإسلام، والسلام، وفي التاريخ وواقع الحياة أقوى دليل وأصدق شهيد على ذلك لمن أنصف

من نفسه، أو ألقى سمعه، واعتدل مزاجه وتفكيره، وبرئ من العصبية والمراء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق]، والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل)...

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	نائب رئيس اللجنة	عضو	عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان	عبد الله بن قعود



قطعة من خطبة

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -
يوم الجمعة الموافق ١٥/١/١٤٢٠هـ

(إني لأعلم أن من الناس من انخدع، وظن أن دين اليهود والنصارى دين قائم، ولكنه ليس بشيء، إن هذا الدين الذي عليه اليهود والنصارى دين منسوخ، نسخه الذي شرعه لهم، وهو أحكم الحاكمين. فمن زعم أنهم اليوم على دين يرضاه الله، وأن أديانهم كالدين الإسلامي، وحاول أن يقول أن هذه الأديان الثلاثة كلها صحيحة، فإنه كافر مرتد عن دين الإسلام، يجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله، لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. هؤلاء المخدوعون الذين يريدون أن يداهنوا أعداء الله، إنما هم مغرورون، سفهاء في العقول، ضلال في الدين. إنه لا يمكن أن يجتمع دين صحيح مع أديان باطلة أبداً.

أيها الإخوة: إنه قد يسمع ما بين حين وآخر كلمة «الأديان الثلاثة»، حتى يظن السامع أنه لا فرق بين هذه الأديان الثلاثة، كما أنه لا فرق بين المذاهب الأربعة، ولكن هذا خطأ عظيم، إنه لا يمكن أن يحاول التقارب بين اليهود والنصارى والمسلمين، إلا كمن يحاول أن يجمع بين الماء والنار. إن دين اليهود ليس بشيء، ولا ينفعهم، بل هو مصيرهم إلى النار إن تمسكوا به. وإن دين النصارى ليس بشيء، ولن ينفعهم، وإنما يقودهم إلى النار إن تمسكوا به، لأن الواجب على الجميع أن يؤمنوا بالنبي ﷺ. وقد أقسم ﷺ وهو البار الصادق بدون قسم فقال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بما جئت به، إلا كان من أصحاب النار». ومن المعلوم أن النصارى واليهود، ولا سيما كبراؤهم من

علمائهم وأمرائهم ورؤسائهم، لا شك أنهم قد سمعوا بهذا الدين الإسلامي، فإذا لم يؤمنوا به كانوا من أصحاب النار، بشهادة أصدق الشهاد من الخلق رسول الله ﷺ).

وقال فضيلته في فوائد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم، ما نصه:

(إن اليهود والنصارى الآن، أكثرهم سامع ببعثة الرسول ﷺ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل باسمه صلوات الله وسلامه عليه. قد بشر به عيسى عليه الصلاة والسلام ومع ذلك لم يؤمنوا، وعاندوا، فهم كفار، موسى بريء من اليهود، وعيسى بريء من النصارى، ومحمد بريء من الجميع، ولا علاقة بيننا وبينهم، ولا صلة بيننا وبينهم، ومن ادعى أن دينهم مقبول عند الله، فهو كافر مرتد، إما أن يرجع عن قوله، وإما أن تضرب عنقه. وإذا ضربت عنقه، فإنه يرأس في حفرة بعيد عن المباني، لأنه مكذب لله عز وجل، فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩] فقط. فالذي يدعي أن اليهود اليوم على دين، والنصارى على دين، ويحاول أن يجمع بين الأديان الثلاثة، لا شك أنه كافر وإن صلي وإن صام وحج، كافر لأنه مكذب لله ورسوله، فلا تغتروا عباد الله بما لوث هؤلاء الصحف، بما كتبوا من سوادهم الذي سود وجوههم، بمحاولة التقريب بين الأديان^(١).

الرسالة الجوابية لشيخ الأزهر، الدكتور عبد الحليم محمود رحمته الله على طلب سكرتير عام (جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية) للمشاركة في مؤتمر قرطبة العالمي الإسلامي المسيحي الثالث^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد المحترم:

تحية طيبة، وبعد:

فإنني أشكر لكم هذه الرغبة في التفاهم بين المسلمين والمسيحيين، وإثراء الفكر المسيحي المعاصر بالحلول التي أوحاها الله تعالى إلى محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم، وذلك فيما يتعلق بالمشاكل المعاصرة.

وقد وصلتني أخبار المؤتمرين السابقين.

وأحب أن أنبه، في مودة^(٢)، ومن أجل تفاهم عميق، إلى بعض الأمور:

١ - أن الإسلام - منذ أن بدأ - خالف الجو العالمي: اليهودي والوثني... في أمر عيسى عليه السلام، لقد أعلن الإسلام مباشرة تقديره واحترامه لعيسى وأمه، أما عيسى عليه السلام فهو وجيه في الدنيا والآخرة. وأما أمه فهي صديقة^(٣). ووجاهة عيسى عليه السلام جزء من إيمان المسلم،

(١) نشرت في مجلة الأزهر، عدد يونيو ١٩٧٨م وكتاب... أوروبا والإسلام... للشيخ عبد الحليم محمود (١٨٤ - ١٨٧).

(٢) لا يخفى ما في هذا التعبير من تجوُّز ومعارضة لقوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. وفي الأسلوب النبوي في مخاطبة الكفار سعة وغنية. راجع الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٣) يتعين في هذا المقام الصدق بالحق، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وبراءة أمه وطهرها جزء من إيمان المسلم. ولم يقف الإسلام من عيسى ﷺ ومن أمه موقف اليهود الذين ما زالوا على موقفهم إلى الآن وأمه، لقد افتروا - وما زالوا - على عيسى وأمه، ورموهما ببهتان شنيع... أما الإسلام فإنه مجدهما، وما زال مستمراً في تمجيده لهما.

فماذا لقي المسلمون من المسيحيين في مقابل ذلك؟

٢ - أنه لا بد من الاعتراف بالدين الإسلامي وبرسوله، حتى ينال المسلمون في أوربا ما يناله اليهود، من الاعتراف بأعيادهم وبشعائيرهم... وأنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحترمه المسلمون، وهو عيسى ﷺ، وأتباع رسول لا يعترف به المسيحيون، وهو محمد ﷺ.

٣ - إن المسلمين والمسيحيين يعملون على مقاومة الانحراف والانحلال والمادية والإلحاد. وكان يجب أن يسيرا في خط متعاون متساند ضد التيارات المنحرفة.. ولكن - للأسف - يسير المسيحيون في طريق تنصير المسلمين بقوة: فهم يعملون ليل نهار على أن ينصروا المسلمين في كل مكان في العالم، وكل الدول الغربية، وأمريكا، ترسل إرساليات لتنصير المسلمين بأسلوب مكشوف واضح، أو بأسلوب خفي مستور، ويضيق المسلمون بذلك ضيقاً شديداً. وبرغم ذلك فإن ملايين الجنيهات تنفق في سعة للتنصير بكل الطرق.

ومما هو ملاحظ أن الدول الإسلامية ليس لها إرساليات تبشيرية.. وقد أرسل المسيح ﷺ لهداية خراف بني إسرائيل الضالة، ومع ذلك فإن المسيحيين تركوا خراف بني إسرائيل الضالة، وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين.. تساعدهم الثروة، وتساعدهم وسائل الحضارة الحديثة.

ولو حصروا نشاطهم على تنصير الوثنيين لما أثار ذلك ضيق

المسلمين الشديد، وكراهيتهم للأسلوب، ولموضوع التنصير نفسه^(١).

٤ - والمسلمون أقلية في بعض الأقطار المسيحية مثل الفلبين، وهذه الأقليات المسلمة ينكل بها باسم المسيحية: تؤخذ أرضها، ويتم أطفالها، وترمل نساؤها، ولا تجد إلا ارتياحاً في نفوس الأغلبية المسيحية. ونحب أن ينتهي التنكيل بالمسلمين في الأقطار التي بها الأغلبية المسيحية: نحن نحب أن ينتهي ذلك إنسانية، ونحب أن ينتهي ديناً.

٥ - وفي المؤتمرات التي تعقد في إسبانيا وغيرها هناك أسلوبان للحديث:

أ - التزام العقل. وهنا يتحلل المسلمون من مبادئ دينهم، فيتناولون المسيح ﷺ وأمه بالأسلوب العقلي، فيكون موقفهم منهما موقف اليهود^(٢)، يقولون على مريم وعلى ابنها ما يضيق به المسيحيون ضيقاً شديداً، ويقولون على المسيحية نفسها ما يضيق به المسيحيون ضيقاً شديداً.

ولكن المسلمين في هذه المؤتمرات يتبعون مبادئ دينهم، فيحترمون المسيح ﷺ وأمه... أما المسيحيون فإن البعض منهم لا يبالي، فيتحدث عن رسول الإسلام بما يضيق به صدر المسلمين، فلا تكون هذه المؤتمرات وسائل تفاهم، وإنما تكون وسائل تنافر، وذلك كما حدث في المؤتمرين السابقين من بعض المسيحيين.

ب - التزام ما تمليه روح التفاهم: فلا يساء إلى المسلمين في مقدساتهم.

(١) في هذا الكلام إيهام بصحة ما عليه النصارى من الدعوة إلى دينهم الباطل.

(٢) شتان بين موقف المسلمين من عبد الله ورسوله، عيسى ابن مريم، وأمه العذراء الطاهرة البتول، وموقف اليهود. وليس للمسلمين موقف عقلي يخالف الموقف الديني الشرعي. وفي عبارة شيخ الأزهر بعض الخفاء.

٦ - ونحن من جانبنا قد قدّمنا أسس التفاهم واضحة سافرة:
احترام المسيح ﷺ، واحترام أمه ﷺ...

فماذا قدم المسيحيون؟... لا شيء.

بل على العكس من ذلك، لقد هاجموا وما زالوا يهاجمون رسول
الإسلام، ومبادئ الإسلام، فهل يمكن مع ذلك التفاهم؟

٧ - وأحب أن أقول: إن الإسلام هو العامل الأكبر في تثبيت
المسيحية حين اعترف بوجود المسيح ﷺ وحين برّ أمه. ومع ذلك فقد
قوبل بجحود لا مثيل له، وما زال يقابل بهذا الجحود من المسيحيين
على أكبر خدمة أدت للمسيح ﷺ.

وبعد: فإنني أحب صادقاً أن نتعاون في صدّ كل انحراف، وأحب
أن أقول إنه لولا تقديري لكم لما كتبت لكم هذا. وإنني يسرني أن أقرأ
لكم.

وسأتحدث إليكم عن رأيي في موضوع المؤتمر في المستقبل إن
شاء الله.

ولكم تحيتي وتقديري.

د. عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر



SECRETARIATUS PRO NON CHRISTIANIS

00126 CITTA DEL VATICANO

رسالة سكرتارية الفاتيكان لشؤون العلاقات الدينية الى المسلمين

بمناسبة عيد الفطر المبارك ١٤٠٨/٥/١٩٨٨م

أيها الأصدقاء المسلمون الأعزاء ، الإخوة والأخوات في الله

بمناسبة عيد الفطر المبارك يُسعد أمانة سرّ الفاتيكان للعلاقات مع مؤمني الأديان الأخرى أن تحيّيكم في كل عام وتقدّم لكم أخلص التهاني .

لقد عبّرتم طوال شهر رمضان بالصوم والصلاة عن الإيمان بالله والطاعة لإرادته المقدسة . هذا الإيمان بالإله الواحد الأحد الحيّ القيّوم ، تراث جميع الأبناء المتّحدين بالروح لإبراهيم أبي المؤمنين ، يجمعنا إخوة وأخوات في الله ويحفّضنا على العمل منبّه في سبيل التضامن والعدل والسلام بين الناس .

ومن بين المؤمنين الصادقين الذين انتعشوا بروح الله وعاشوا وفقاً لطاعة إبراهيم نخسّ بالذكر مريم أمّ المسيح التي بكرّمها المسيحيون والمسلمون قدوةً للمؤمنين ، وإن اختلفوا في اعتبارات تتعلق بدورها وبعض صفاتها . ولما كان قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بلغت انتباه المؤمنين الكاثوليك طوال سنة ١٩٨٧ - ١٩٨٨ إلى سيرة مريم الروحية ، بدا لنا مناسباً أن نستدعي وجهها الجذاب في رسالتنا إليكم اليوم .

لقد حظيت مريم بنعمة فريدة من لدن ربّها فاصطفاهما على نساء العالمين وطهرهما وعصمها من مسّة الشيطان الذي لم يجد إليها سبيلاً . أصغت مريم الى صوت الربّ القدير وصدّقت كلمته ووهبت ذاتها لعبادته وكانت نعمّ الخادمة القانتة المتواضعة فأصبحت لنا قدوةً في الإيمان والعبادة والتوكّل على الله ونموذجاً جيّداً في الإحسان والطهارة والقداسة . إن مريم لمهي بالخفيّة رمزٌ لكل امرئٍ على الحرّيّة الحقيقيّة والكرامة الروحيّة ولاسيما للمرأة التي طالما أساء التاريخ تقييمها .

نسأل الله أن يمنّ علينا بالنعم الروحيّة التي يرونها إليها البشر والتي صلّينم وصنم من أجلها طوال الشهر الكريم وأن يمنحكم في هذا العيد بركاته ويُدبّكم في الطمأنينة والبهجة والسعادة .

James Cardinal Amigo
President

كردينال فرانسيس آمينزي



PONTIFICIUM CONSILIUM
PRO
DIALOGO INTER RELIGIONES
00120 CITTÀ DEL VATICANO

المجلس البابوي للحوار بين الاديان

رسالة لمناسبة عيد الفطر السعيد
في ختام شهر رمضان المبارك ١٤١٥-١٩٩٥

اصدقائنا المسلمين ،

سلام عليكم وبركة لكم من لدن الله ،

١. يسرّني ان اتيكم باسم اعضاء الكنيسة الكاثوليكية ، وقد أشرف شهر رمضان على نهايته . ولكون الصوم زمن زهد وصلاة ومقاسمة ، فإنه يساعد على تقوية الروابط مع الله تعالى ومع الناس ، خلائقه .
٢. فمن أجل الله يبذل الصائم هذا الجهد ، الذي به يعلن عن جلال الله ويتضع امامه ويسأله سبحانه وتعالى غفران خطاياه . إنه عمل ينقي الانسان ويجعله أكثر قربا من الله ، القدوس الواحد .
٣. وإن يجتهد الانسان في التقرب من الله ، فإنه يقترب في الوقت نفسه من اخوته ويصبح أكثر مودة تجاههم . فمن تقرب الى الله ، أصبح دون شك أكثر انتباها لضرورة اقترابه نحو اخيه الانسان ، الخليقة الاحب الى الاله الرحيم الحنون . عندما يرى الناس ذواتهم موضوع رحمة الله ، فإنهم يشعرون بقوة تدفعهم الى التصرف بالطريقة عينها نحو قريبهم . نقرأ في الانجيل المقدس قول السيد المسيح ، في معرض كلامه عن يسعف الذين هم في ضيق : «كلما فعلتم هذا لأحد اخوتي هؤلاء الصغار ، فلي قد فعلتموه» (انجيل متى ٢٥ ، ٤٠) .
٤. نشكر الله معكم على هذه الايام المباركة ، ونهنئكم على الجهد المبذول والنتائج المحيطة ، متمنين لكم من اعماق قلوبنا عيداً مباركاً .
٥. ان الصوم يعلمنا ، ضمن ما يعلم ، حسن استخدام الخيرات الارضية . هذا موضوع يعنيننا جميعا ، بوصفنا سكان هذا الكوكب ، وعلى وجه الخصوص بوصفنا مؤمنين بـ «واحد خالق السماء والارض» ، والذي «له ما في السموات وما في الارض» والذي جعل الانسان «خليفته» وشريكاً له في ادارة امور العالم .
٦. اننا لسوء الحظ لا نحترم دوما الدور الذي أوكله الينا الخالق . كثيرا ما نستعمل

موارد الأرض دون حساب وبلا حكمة ، خلافا لما أقره الله تعالى . والنتائج السلبية لذلك السلوك واضحة للعيان : التدمير التدريجي لطبقة الأوزون ، تلوث التربة والماء والهواء ، تناقص الأشجار وتراجع الغابات ، زوال أنواع نباتية وحيوانية ... عالمنا مقرر كذلك لخطر نفاذ بعض موارده الطبيعية ، فضلا عن خطر النفايات الصناعية والذرية . ولا نبالغ إذا قلنا بوجود أزمة بيئية وانعدام الأمن البيئي ، مما يؤدّي الاضطراب والخوف . والازمة البيئية هي في الواقع ازمة اخلاقية .

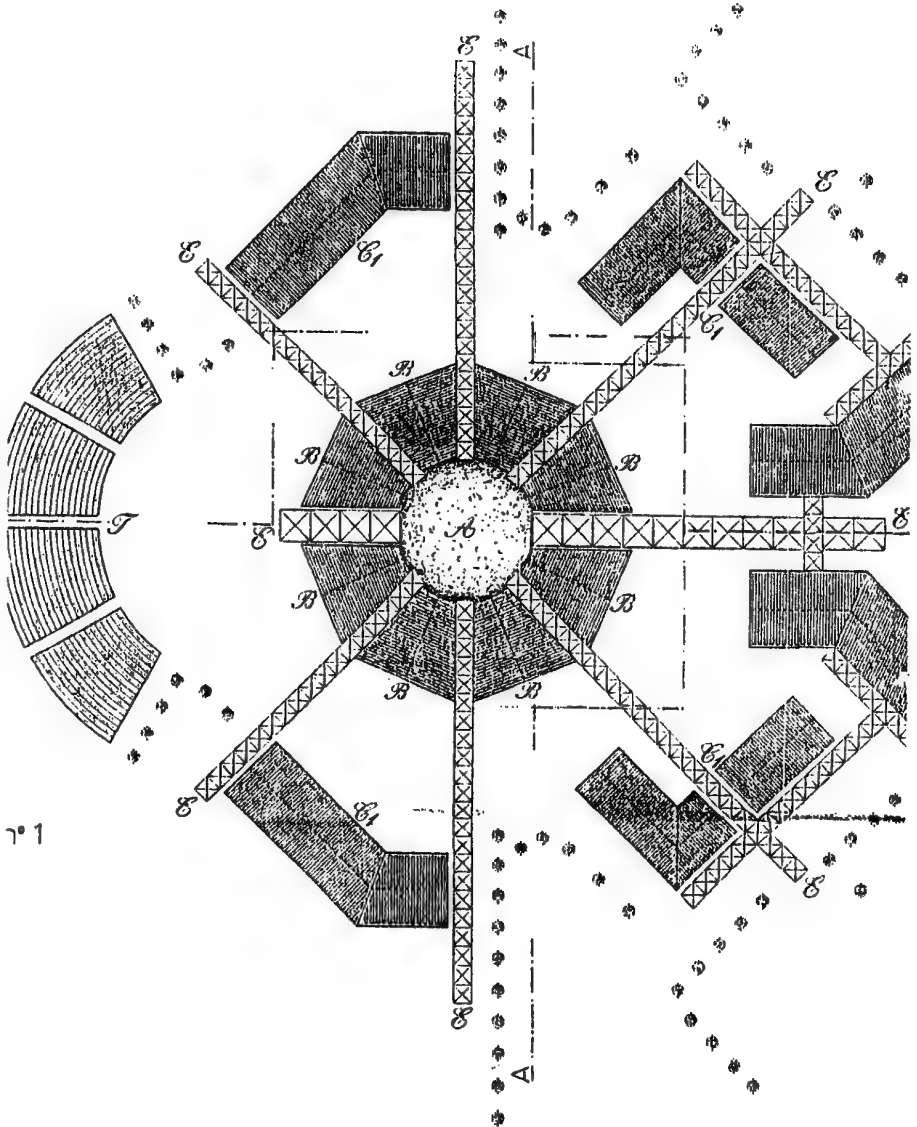
٧ . لا يجوز لسكان الأرض ان يظلوا مكتوفي الايدي حيال الوضع السائد . ان ما يجري ليس خطرا على الانسان فحسب ، انما هو امانة للخالق جلّ جلاله كذلك . المؤمنون كافة وذوو الارادة الصالحة مدعوون الى تدبّر الامر . والتزام المؤمن بحماية البيئة ينبع من ايمانه بالله الخالق ويتطلب تغييرا في التفكير والسلوك . فللركض وراء المتعة وللنزعة الاستهلاكية نتائج سلبية على أسلوب المعيشة وعلى البيئة . ولكي نغير أسلوب حياتنا ، نحتاج الى ممارسة الزهد والاعتدال وروح التضحية . والصوم يساعد على تنمية هذه الفضائل .

٨ . ان حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية هما من واجبات الأسرة البشرية بكاملها ، أفرادا ومؤسسات ودولا ومنظمات ، حكومية كانت او غير حكومية . الا يوجد هنا ايضا قيمة مشتركة بين مؤمني سائر الديانات على وجه العموم ، وبين المسلمين والمسيحيين على وجه الخصوص ؟ الا يمكننا العمل معا لخير الاجيال القادمة ، للحفاظ على الأرض نظيفة ، والهواء نقياً ، والماء صافياً وموارد الأرض بعيدة عن خطر النفاذ ؟ ليس من المناسب ، بل ومن الضروري ، توعية الرأي العام ، وبخاصة اولي الامر ، في هذا الشأن ؟ ان التربية على الاحساس بالمسؤولية البيئية واحترام الحياة في الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام من شأنها ان تكون عوناً ثميناً للشبيبة على اختلاف اديانها . سيجد بذلك الشبان والشابات مجالاً للتفكير ودافعا الى العمل وفرصة لتنمية ضمير بيئي . وسيسهم هذا التكاثر الجديد في تدعيم السلام العالمي ، لأنّ الكثير من القيم الاخلاقية المرتبطة باحترام البيئة علاقة متينة مع بناء مجتمع يسوده السلام .

٩ . هذه هي ، اصدقائي المسلمين ، الافكار التي ارغب في ان اشاطركم ايها . أكرر تهانتي بالعيد السعيد ، متمنياً لكم السعادة ودوام التقدم .

James Cardinal Arinze
President

الكاردينال فرنسيس ارينزي
رئيس المجلس البابوي للحوار بين الاديان



1 - questa è una realizzazione "ideale" della proposta in oggetto

الجداول والفهارس

وتتضمن:

- ١ - مسرد بالمؤتمرات المعقودة للتقريب بين الأديان.
- ٢ - قائمة بالجمعيات والمؤسسات والمراكز المعنية بقضية التقريب بين الأديان.
- ٣ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٤ - فهرس الآثار.
- ٥ - فهرس الأعلام.
- ٦ - فهرس الفرق والطوائف.
- ٧ - فهرس المراجع.
- ٨ - فهرس الموضوعات.

١ - مسرد بالمؤتمرات المعقودة للتقريب بين الأديان مرتبة حسب وقوعها الزمني

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١ - تاريخ الأديان الدولي ١٩٣٥م	بروكسل - بلجيكا	١٦ - ٢٠ / ٩ / ١٩٣٥م		١٠٧٤
٢ - المؤتمر العالمي للأديان ١٩٣٦م	لندن	٣ - ١٨ / ٧ / ١٩٣٦م	المجلس العالمي للأديان	١٠٧٥
٣ - المؤتمر العالمي للأديان ١٩٣٧م	باريس - فرنسا	١٩٣٧م	المجلس العالمي للأديان	١٠٧٧
٤ - القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية	بحمدون - لبنان	١٩ - ٢٦ / ٨ / ١٣٧٣هـ ٢٢ - ٢٩ / ٤ / ١٩٥٤م	جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط	١٠٨١
٥ - نداء للتعاون الإسلامي المسيحي	إيفانستون - الولايات المتحدة الأمريكية	ذي الحجة ١٣٧٣هـ أغسطس ١٩٥٤م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٠
٦ - مؤتمر لجنة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي	الإسكندرية - مصر	١٦ - ٢١ / ٤ / ١٣٧٤هـ ٩ - ١٤ / ٢ / ١٩٥٥م	جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط	١٠٨٤
٧ - الإسلام والحضارة الغربية	البندقية - إيطاليا	١ - ٦ / ٢ / ١٣٧٥هـ ١٩ - ٢٤ / ٩ / ١٩٥٥م	مؤسسة جوفاني ستي	١٠٨٧
٨ - مؤتمر لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي	بحمدون - لبنان	٦ - ٩ / ١١ / ١٣٧٥هـ ١٥ - ١٨ / ٦ / ١٩٥٦م	جمعية الأصدقاء الأميركان للشرق الأوسط	١٠٨٥
٩ - محاضرات المسيحية والإسلام	بيروت	١٩٦٥م	الندوة اللبنانية	١٣٥١
١٠ - المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول	نجبور - الهند	١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م	معهد هنري مارتن	١٣٢٠
١١ - محاضرات العدالة في المسيحية والإسلام	بيروت - لبنان	١٩٦٦م	الندوة اللبنانية	١٣٥٢
١٢ - ممثلي الأديان في أندونيسيا	جاكرتا - أندونيسيا	٣٠ / ١١ / ١٩٦٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣١
١٣ - لقاء تحضيري	جنيف - سويسرا	٤ - ٧ / ٣ / ١٩٦٨م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤١
١٤ - من أجل الانفتاح والتفاهم مع الإسلام المعاصر	مراوي ستي - الفلبين	١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م	جهات أكاديمية	١٣٤٤

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٥ - من أجل اللقاء مصادفة	الخرطوم - السودان	١٣٨٨/١٠/٢٥ هـ ١٩٦٩/١/١٥ م	مجلس الكنائس السوداني	١٣٩١
١٦ - المؤتمر الدولي للأديان	زاغورسك - الاتحاد السوفيتي	١٩٦٩/٧/١ م		١٣٠١
١٧ - المؤتمر الإسلامي المسيحي الاستشاري	كارتيني - سويسرا	١٣٨٨/١٢/١٦ - ١٢ ١٩٦٩/٣/٦ م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤١
١٨ - مؤتمر إسلامي مسيحي	بيروت - لبنان	١٣٨٨/٨/١٤ هـ ١٩٦٩/١٠/٢٦ م	الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان)	١٣٥٣
١٩ - تقدم الإسلام في الفلبين	مراوي مستي - الفلبين	١٣٨٩ - ١٩٦٩ م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٢٠ - حوار بين متبعي الديانات الحجة	عجلتون - لبنان	١٣٩٠/١/٧ - ٤ هـ ١٩٧٠/٣/١٥ - ١٢ م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٣
٢١ - مؤتمر معبد التفاهم	جنيف - سويسرا	١٩٧٠/٤/٤ - ٣/٣١ م	معبد التفاهم في نيويورك	١٣١٤
٢٢ - لقاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة بأمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	الفاتيكان	١٣٩٠/١٠/٢١ - ١٧ هـ ١٩٧٠/١٢/٢٠ - ١٦ م		١١٠٨
٢٣ - اتجاه التباحث في «فرانو»	مراوي مستي - الفلبين	١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٢٤ - مؤتمر كيوتو	كيوتو - اليابان	١٩٧٠ م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
٢٥ - التعاون الروحي	بيروت - لبنان	١٣٩٠/١١/١٢ هـ ١٩٧١/١/٩ م	الشيخ حسن خالد «مفتي لبنان»	١٣٥٣
٢٦ - من أجل حوار بين الأديان	جاكرتا - أندونيسيا	١٣٩١/١١/٧ هـ ١٩٧١/١١/٢٩ م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٢٧ - التعاون الروحي والترابط بين جميع الطوائف	بيروت - لبنان	محرم ١٣٩١ هـ - مارس ١٩٧١ م	الشيخ حسن خالد «مفتي لبنان»	١٣٥٣
٢٨ - اتجاه التباحث في «مغندناو»	كوتريانو - الفلبين	١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م	جهات أكاديمية	١٣٤٥

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٩ - أهمية الدين	سربايا - أندونيسيا	١٣٩٢/١١/٦ - ٩ ١٩٧٢/١/١٣ - ٩م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٠ - الدين عامل إنمائي	جاكرتا - أندونيسيا	١٣٩٢/٥/١٦ - ١٥ ١٩٧٢/٦/٢٨ - ٢٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣١ - تحقيق التفاهم والتعاون الإنساني	برمانا - لبنان	١٣٩٢/٦/٦ - ٣٠/٥ ١٩٧٢/٧/١٨ - ١٢م	مجلس الكنائس العالمي	١١٤٤ ، ١٣٥٥
٣٢ - مؤتمر كيرون	كيرون - أندونيسيا	١٣٩٢/٦/١٤ ١٩٧٢/٧/٢٦م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٣ - مؤتمر باندونغ ١	باندونغ - أندونيسيا	١٣٩٢/٧/٢٣ - ١٨ ١٩٧٢/٩/٣ - ٨/٢٨م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٤ - أهمية الدين	جولو - الفلبين	١٣٩٢ - ١٩٧٢م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٣٥ - اتحاد المؤمنين لمجابهة الإلحاد	باريس - فرنسا	ربيع الثاني ١٣٩٢ يونيو ١٩٧٢م	الأزهر، الفاتيكان، جامع باريس	١١٠٩
٣٦ - موانع الانسجام	يونيكرتا - أندونيسيا	١٣٩٣/١/٧ - ٣ ١٩٧٣/٢/١٠ - ٦م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٧ - الجهد من أجل الحوار	جاكرتا - أندونيسيا	١٣٩٣/٣/٨ - ٥ ١٩٧٣/٤/١١ - ٨م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٨ - العناصر المشتركة	ميدان - أندونيسيا	١٣٩٣/٣/٢٧ - ٢٥ ١٩٧٣/٤/٣٠ - ٢٨م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٣٩ - مؤتمر باندونغ ٢	باندونغ - أندونيسيا	١٣٩٣/٥/١ - ٤/٢٥م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٤
٤٠ - المسؤولية المشتركة من أجل العدالة	بونتيانك - أندونيسيا	١٣٩٣/٥/٦ - ٥ ١٩٧٣/٦/٧ - ٦م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٤١ - مؤتمر مينادو	مينادو - أندونيسيا	١٣٩٣/١١/١٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٤٢ - تدوين العادات الإسلامية والشرعة القرآنية	دفاوه - الفلبين	١٣٩٣ سبتمبر ١٩٧٣م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٤٣ - مؤتمر إسلامي مسيحي	بيروت - لبنان	١٣٩٣/١٠/٢٠ ١٩٧٣/١٠/١٧م	الشيخ حسن خالد «مفتي لبنان»	١٣٥٣
٤٤ - أهمية الحوار الديني	بالمبانغ - أندونيسيا	١٣٩٣/١٢/١٧ - ١٤ ١٩٧٤/١/١١ - ٨م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١٣٣٥	وزارة الشؤون الدينية	١٣٩٣/١٢/٢٧ هـ - ١٣٩٤/١/١ هـ ٢١-٢٥/١/١٩٧٤ م	ديسار - أندونيسيا	٤٥ - من الحوار تنبع الحكمة
١٣٣٥	وزارة الشؤون الدينية	١٩٧٤/٣/٣١ م	بنجرمان - أندونيسيا	٤٦ - مؤتمر بنجرمان
١١٤٩	مجلس الكنائس العالمي	١٣٩٣/٤/٣-٣/٢٤ هـ ١٧-١٦/٤/١٩٧٤ م	كولومبو - سيرلانكا	٤٧ - نحو جماعة عالمية: الوسائل والمسؤوليات للعيش معاً
١١٤٩، ١٤٧٨	مجلس الكنائس العالمي	١٣٩٤/٧/١-٦/٢٦ هـ ١٧-٢١/٧/١٩٧٤ م	لاغون - غانا	٤٨ - وحدانية الله، والجماعة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين الأفارقة على صعيد العمل والشهادة
١٢٤٦	دير سينكا	١٣٩٤/٧/١٢-٥ هـ ٢٥-٧/٨/١٩٧٤ م	سينكا - فرنسا	٤٩ - صوفيو الصحراء
١٤١٥	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٣٩٤/٨/١٥-٩ هـ ٢٨-٨/٩/١٩٧٤ م	لوفان - بلجيكا	٥٠ - الدين من أجل حياة فضلى
١١٠٨		١٣٩٤/٨/٢٩-٢٢ هـ ٩-١٦/٩/١٩٧٤ م	القاهرة - مصر	٥١ - لقاء أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
١١٨١، ١٤٧٨	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا	١٣٩٤/٨/٢٨-٢٣ هـ ١٠-١٥/٩/١٩٧٤ م	قرطبة - إسبانيا	٥٢ - المؤتمر الإسلامي المسيحي الدولي الأول
١١١٤	وفد من علماء المملكة العربية السعودية والفاتيكان	١٣٩٤/١٠/٩ هـ ٢٥/١٠/١٩٧٤ م	الفاتيكان	٥٣ - حقوق الإنسان في الإسلام والمسيحية
١٣٢٠	لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك	١٣٩٤/١٠/١٠-٨ هـ ٢٥-٢٧/١٠/١٩٧٤ م	أليغاره - الهند	٥٤ - التعايش الأفضل
١٣٣٥	وزارة الشؤون الدينية	١٣٩٤/١٠/١٢-١١ هـ ٢٨-٢٩/١٠/١٩٧٤ م	كوبنغ «تيمور» - أندونيسيا	٥٥ - التوفيق بين التسامح والتعاون على نشر الدين

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٥٦ - نظرة الأديان السماوية إلى الإنسان وإلى تطلعه نحو السلام	جنيف - سويسرا	١٣ - ١٤/١٠/١٣٩٤هـ ٣٠ - ٣١/١٠/١٩٧٤م	وفد من علماء المملكة العربية السعودية ومجلس الكنائس العالمي	١١٥٣
٥٧ - حول مؤتمر كولومبو	بونتياناك - أندونيسيا	٢٠ - ٢٣/١٠/١٣٩٤هـ ٦ - ٩/١١/١٩٧٤م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٥٨ - الضمير المسيحي، والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو	قرطاج - تونس	٢٥/١٠ - ٢/١١/١٣٩٤هـ ١١ - ١٧/١١/١٩٧٤م	مجلس الكنائس العالمي، ومركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية	١١٥٣، ١٣٨٨
٥٩ - مؤتمر زامبونغاستي التحضيري	زامبونغاستي - الفلبين	شعبان ١٣٩٤هـ سبتمبر ١٩٧٤م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	١١١٧، ١٣٤٢
٦٠ - بناء الإرادة الحسنة	زامبونغاستي - الفلبين	١٩٧٤م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣
٦١ - أسس التفاهم الإسلامي - المسيحي الدينية	كجايا - أورو - الفلبين	١٣٩٤هـ ديسمبر ١٩٧٤م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٦٢ - المسلمون والمسيحيون في المجتمع: لأجل الإرادة الحسنة، والتشاور والعمل معاً في جنوب شرق آسيا	هونغ كونغ	٢٠ - ٢٦/١٢/١٣٩٤هـ ٤ - ١٠/١/١٩٧٥م	مجلس الكنائس العالمي ولجنة الحوار الإسلامي المسيحي لجنوب شرق آسيا والمؤتمر المسيحي في آسيا	١١٥٤، ١٤٧٠
٦٣ - التعاون في سبيل الإنسان	سميرانغ - أندونيسيا	١٤ - ١٧/١/١٣٩٥هـ ٢٧ - ٣٠/١/١٩٧٥م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٥
٦٤ - أصداء لقاء هونغ كونغ	مانايلا - الفلبين	٤/٢/١٣٩٥هـ ١٦/٢/١٩٧٥م	مجلس الكنائس العالمي	١١٥٧
٦٥ - الوحدة في التعددية	زامبونغاستي - الفلبين	١٨ - ١٩/٥/١٣٩٥هـ ٢٩ - ٣٠/٣/١٩٧٥م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٦٦ - تطور التفكير الديني في الأديان الموحدة الثلاثة	سينكا - فرنسا	١٦ - ٢٣ / ٧ / ١٣٩٥ هـ ٢٥ / ٧ - ١٠ / ٨ / ١٩٧٥ م	دير سينكا	١٢٤٦
٦٧ - التعايش والاتحاد الإسلامي المسيحي عنصران أساسيان للبنان	بيروت - لبنان	٢٨ / ٩ / ١٣٩٥ هـ ٤ / ١٠ / ١٩٧٥ م	القيادات الدينية المحلية	١٣٥٤
٦٨ - مؤتمر ميدان	ميدان - أندونيسيا	٢٠ - ٢٣ / ١١ / ١٩٧٥ م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٦٩ - مؤتمر إسلامي مسيحي	بيروت - لبنان	محرم ١٣٩٥ هـ - فبراير ١٩٧٥ م	الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان)	١٣٥٣
٧٠ - لقاء الثقافات	زامبونغاستي - الفلبين	١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٧١ - هل نتابع الحوار؟	جاكرتا - أندونيسيا	ربيع الأول ١٣٩٥ هـ - أبريل ١٩٧٥ م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٧٢ - المؤتمر الإسلامي اليهودي المسيحي	بيلاجو - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٧٥ م	مجمع السلام بين الأديان	١٣١٤
٧٣ - الحوار الإسلامي المسيحي	مراوي - الفلبين	١٣ - ١٧ / ١ / ١٣٩٦ هـ ١٥ - ١٩ / ١ / ١٩٧٦ م	مجلس الكنائس العالمي	١١٥٨، ١٣٤٢
٧٤ - ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	طرابلس - ليبيا	٢ - ٢ / ٦ / ١٣٩٦ هـ ١ - ٥ / ٢ / ١٩٧٦ م	الفايكان، والجمهورية الليبية	١١١٨
٧٥ - مخيم من أجل التعارف الأفضل	كوتوباتو - الفلبين	٢٦ - ٤ / ٣ / ١٣٩٦ هـ ٢٦ - ٤ / ٢ / ١٩٧٦ م	لجنة الحوار الإسلامي المسيحي ولجنة PACEM	١٣٤٥
٧٦ - التبشير والدعوة الإسلامية	شاميزي - سويسرا	٢٨ - ٦ / ٤ / ١٣٩٦ هـ ٢٦ - ١ / ٦ / ١٩٧٦ م	مجلس الكنائس العالمي، والمؤسسة الإسلامية في ليستر، ومركز الدراسات الإسلامية في كليات سلي أوك	١١٥٨
٧٧ - الصلاة	توسكراي - فرنسا	١٣ - ٢٠ / ٨ / ١٣٩٦ هـ ٩ - ١٦ / ٨ / ١٩٧٦ م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام	١٢٥٢

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٧٨- التخطيط للحوار الإسلامي المسيحي: الأشكال الراهنة والمستقبلية	كارتيني - سويسرا	٢٥-٢٨/١٠/١٣٩٦م ١٩-٢٢/١٠/١٩٧٦م	مجلس الكنائس العالمي	١١٦٢، ١٤٧٩
٧٩- أسماء الله، للإنسان المعاصر	ميتنكا - فرنسا	١٩-٢٢/١١/١٣٩٦م ١١-١٤/١١/١٩٧٦م	دير ميتنكا	١٢٤٧
٨٠- الكنيسة والمسلمون في أوروبا	فيينا «مودلنغ» - النمسا	١٩-٢١/١١/١٩٧٦م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	١٢٦٨
٨١- تحقيق البرامج الحكومية	مراوي سني - الفلبين	١٩٧٦م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣
٨٢- من أجل تفاهم أعمق	لاناوه - الفلبين	١٣٩٦م يونيو	جهات أكاديمية	١٣٤٥
٨٣- مؤتمر باندونغ ٣	باندونغ - أندونيسيا	فيراير ١٩٧٦م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٨٤- ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	بالرمو - صقلية (إيطاليا)	١٩٧٦م		١١٢٥
٨٥- ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	كاتانيا - صقلية (إيطاليا)	نوفمبر ١٩٧٦م		١١٢٥
٨٦- ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	مالطا (الأولى)	١٩٧٦م		١١٢٥
٨٧- مؤتمر الصداقة الإسلامي المسيحي الثاني	قرطبة - أسبانيا	٣٠/٣-٤/٤/١٣٩٧م ٢١-٢٧/٣/١٩٧٧م	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في أسبانيا	١١٨٤، ١٤٨٠
٨٨- مؤتمر كوبنغ	كوبنغ - أندونيسيا	٢١/٤/١٩٧٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٨٩- إله المسيحية والإسلام	فيينا «مودلنغ» - النمسا	١٢-١٦/٦/١٣٩٧م ٣١/٥-٦/٦/١٩٧٧م	معهد القديس جبريل اللاهوتي	١٢٦٩
٩٠- التعاون الديني من أجل السلام ونزع السلاح	موسكو - الاتحاد السوفيتي	١٨-٢٢/٢/١٣٩٧م ٦-١٠/٦/١٩٧٧م	بطيريك موسكو الأرثوذكسي (يمن)	١٣٠٢
٩١- النظام العالمي المتغير: تحدي لإيماننا	لشبونه - البرتغال	٢٥-٢٩/١١/١٣٩٧م ٧-١١/١١/١٩٧٧م	مجمع السلام بين الأديان	١٣١٤

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٩٢ - كلمة الله	سينكا - فرنسا	١١/٢٩ - ١٠/١٢/١٣٩٧م	دير سينكا	١٢٤٧، ١٤٦٨
٩٣ - الإيمان، والعلم، والتقنية ومستقبل الإنسانية	بيروت - لبنان	٢-٦/١٢/١٣٩٧م ١٤-١٨/١١/١٩٧٧م	مجلس الكنائس العالمي	١١٦٤، ١٣٥٥
٩٤ - مؤتمر ساميرانغ	ساميرانغ - أندونيسيا	٢٤-٢٧/١/١٩٧٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٩٥ - مؤتمر بالنغ كاريّا	بالنغ كاريّا - أندونيسيا	٨/١٢/١٩٧٧م	وزارة الشؤون الدينية	١٣٣٦
٩٦ - في سبيل المصالحة والسلام والعدالة في لبنان	جنيف - سويسرا	جمادى الثانية ١٣٩٧م يونيو ١٩٧٧م	مجلس الكنائس العالمي، ومنظمة سوباكس	١١٦٤
٩٧ - من أجل تفاهم أعمق	القاهرة - مصر	٣-٦/٥/١٣٩٨م ١١-١٤/٤/١٩٧٨م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين، وإدارة جامعة الأزهر	١١١٠
٩٨ - ندوة تعريف الإسلام بطريقة أفضل في كتب التعليم الديني	ملريد - إسبانيا	١٤/٧/١٣٩٨م ٢٠/٦/١٩٨٧م	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا، مكتب الإعلام التابع لجامعة الدول العربية	١١٩٥
٩٩ - الأسفار المقدسة	سينكا - فرنسا	٢٦-٢٨/٨/١٣٩٨م ١-٣/٧/١٩٧٨م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٨، ١٤٦٩
١٠٠ - الإيمان والثقافة في الإسلام والمسيحية الأمس واليوم	شانتيلي - فرنسا	١٣-١٦/٨/١٣٩٨م ١٩-٢٢/٧/١٩٧٨م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام ومركز البنائيع الثقافي	١٢٥٢
١٠١ - الكنيسة والجامع، ومساهمتهما في انسجام الأديان والمصالحة بينهما	نيودلهي - الهند	٧-٩/١١/١٣٩٨م ٩-١١/١٠/١٩٧٨م	لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك، معهد هنري مارتن، المعهد الهندي للدراستات الإسلامية	١٣٢١، ١٤٨٠

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٠٢ - ملتقى معهد فادسا جيوتي	دلهي - الهند	١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م		١٣٢٢
١٠٣ - التعايش الإسلامي المسيحي	شاميزي - سويسرا	١٣ - ١٥/٤/١٣٩٩هـ ١٢ - ١٤/٣/١٩٧٩م	مجلس الكنائس العالمي	١١٦٤
١٠٤ - معاني الوحي والتنزيل ومستوياتها	تونس	٣ - ٦/٧/١٣٩٩هـ ٣٠ - ٤/٤/١٩٧٩م	المركز التونسي للدراسات والأبحاث	١٣٨٨
١٠٥ - الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر	شانتيلي - فرنسا	١٧ - ٢٠/٨/١٣٩٩هـ ١٢ - ١٥/٧/١٩٧٩م	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام ومركز التبايع الثقافي	١٢٥٣
١٠٦ - قراءة الأسفار المقدسة	تونس	١٨ - ٢١/١٠/١٣٩٩هـ ١٠ - ١٣/٩/١٩٧٩م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩، ١٤٦٩
١٠٧ - الهدنة وإعادة التفاوض بين جبهة تحرير موررو الوطنية والحكومات الفلبينية	تاغايي - الفلبين	١٩٧٩م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٣
١٠٨ - التعايش والصلاة والتفكير معاً	أليغاره - الهند	ربيع الأول ١٣٩٩هـ فبراير ١٩٧٩م	جماعة تعددية الأديان، لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك	١٣٢٣
١٠٩ - تأسيس رابطة الدراسات الإسلامية ISA	أكرا - الهند	١٩٧٩م		١٣٢٢
١١٠ - الحوار الثلاثي بين الأديان الإبراهيمية	نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية	نوفمبر ١٩٧٩م		١٣٠٥
١١١ - مؤتمر الصداقة الإسلامي المسيحي الثالث	قرطبة - إسبانيا	١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م	جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا	١١٩٦
١١٢ - ندوة الحوار الإسلامي المسيحي	باريس	١٩٧٩م	اليونسكو	١١٢٥
١١٣ - مؤتمر برنستاون	برنستاون - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٧٩م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١٣٨٥	معهد تنطور المسكوني	١٩٨٠/٥/٣ - ٤/٢٨م	القدس - فلسطين	١١٤ - أسس الحوار مع المسلمين
١٣٢٣	معهد هنري مارتن، ولجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك وفرع الدروس الإسلامية بجامعة ميليا	١٤٠٠/١٢/١٥ - ١٣ ١٩٨٠/١٠/٢٥ - ٢٣م	حيدر أباد - الهند	١١٥ - الحمد لله
١٣٢٣	معهد هنري مارتن، فرع الدروس الإسلامية بجامعة ميليا	١٤٠٠/١٢/٩ - ٧ ١٩٨٠/١٠/١٩ - ١٧م	نيودلهي - الهند	١١٦ - التربية الدينية
١٣٢٣	الأب ليسير والمزار الإسلامي «الدرجة»	١٤٠٠/١١/٢٢ ١٩٨٠/١٠/٢م	عجير - الهند	١١٧ - من أجل إنشاء جمعية للحوار بين الأديان
١٣٥٥	مجلس كنائس الشرق الأوسط والسندوة اللبنانية	١٤٠٠/١٢/٢٦ - ٢٤ ١٩٨٠/١١/٦ - ٣م	بيروت - لبنان	١١٨ - مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي
١٣٢٤	جمعية البغاره للحوار بين الأديان	١٤٠١/٢/١٣ - ١٢ ١٩٨٠/١٢/٢١ - ٢٠م	البغاره - الهند	١١٩ - الدين قوة انسجام في المجتمع الهندي
١١٢٥		١٩٨٠م	مالطا (الثانية)	١٢٠ - ندوة الحوار الإسلامي المسيحي
١٢٨٣	مؤسسة أديناور	١٤٠١/٥/٢٠ - ١٧ ١٩٨١/٣/٢٦ - ٢٣م	بون - ألمانيا	١٢١ - دور الإيمان في الشفاعة والحقوق السياسية
١٢٥٧	جمعية الكتب المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٤٠١/٨/١٥ - ١٣ ١٩٨١/٦/٢٧ - ٢٥م	شانتيلي - فرنسا	١٢٢ - التربية الدينية
١٢٤٩، ١٤٦٩	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٤٠١/١١/١٢ - ٩ ١٩٨١/٩/١١ - ٨م	الرباط - المغرب	١٢٣ - كلمة الله والكتب المقدسة
١٢٣١	المنظمة الدولية للتقدم	١٤٠٢/١/١٧ - ١٥ ١٩٨١/١١/١٩ - ١٧م	روما - إيطاليا	١٢٤ - مفهوم التوحيد
١٣٤٣	الحكومة الفلسطينية	١٤٠٢/٢/٧ - ٢ ١٩٨١/١٢/٤ - ١١/٣٠م	مراوي سني - القليين	١٢٥ - الأبعاد الخلقية والروحية في العلاقات الإسلامية المسيحية في القليين
١٣٤٥	جهات أكاديمية	١٤٠١ - ١٩٨١م	مراوي سني القليين	١٢٦ - لقاء وحوار

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١٢٥٤	مركز الجبل العالي	١١-١٢/٤/١٤٠٢م ٦-٧/٢/١٩٨٢م	موفو - فرنسا	١٢٧ - المؤمنون إزاء حقوق الإنسان
١٢٥٤	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام	١٩-٤/٤/١٤٠٢م ١٤-١٦/٢/١٩٨٢م	باريس - فرنسا	١٢٨ - المسيحيون والمسلمون إزاء المرض والألم
١٢٥٦	مركز الينايع الثقافي	١٦-١٧/٥/١٤٠٢م ١٣-١٤/٣/١٩٨٢م	شانتيلي - فرنسا	١٢٩ - يقظة الإسلام السياسية
١١٦٨	مجلس الكنائس العالمي، والمؤتمر الإسلامي العالمي (كراتشي)	٣-٥/٦/١٤٠٢م ٣٠-٣/٤/١٩٨٢م	كولومبو - سيرلانكا	١٣٠ - المسيحيون والمسلمون العائشون والعاملون معاً: المبادئ الأخلاقية والممارسات في حقل البرامج الإنسانية والتنمية
١٢٥٧	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	٦-٨/٧/١٤٠٢م ٣٠-٤/٥/١٩٨٢م	شانتيلي - فرنسا	١٣١ - الإيمان عند إبراهيم
١٣٠٢	بطريرك موسكو الأرثوذكسي (بيمن)	١٦-٢٠/٧/١٤٠٢م ١٠-١٤/٥/١٩٨٢م	موسكو - الاتحاد السوفيتي	١٣٢ - المؤتمر العالمي لرجال الأديان في سبيل إنقاذ الحياة البشرية من الكارثة النووية
١٣٨٩	المركز التونسي للدراسات والأبحاث	٣٠-٧/٨/١٤٠٢م ٢٤-٢٩/٥/١٩٨٢م	تونس	١٣٣ - حقوق الإنسان
١٢٤٩، ١٤٦٩	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٣-١٩/١١/١٤٠٢م ٢-٨/٩/١٩٨٢م	تونس	١٣٤ - كلمة الله
١٢٣٠	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٤٠٢-١٩٨٢م	بالرمو - صقلية	١٣٥ - في سبيل مخرج من أزمتنا عصرنا
١٢٨٣	مؤسسة أديناور	٨-١١/٤/١٤٠٣م ٢١-٢٤/٢/١٩٨٣م	ياوندي - الكمرون	١٣٦ - الإنماء والتعاون بين الشعوب
١٢٥٥	مركز الجبل العالي	٢٠-٢١/٥/١٤٠٣م ٥-٦/٣/١٩٨٣م	موفو - فرنسا	١٣٧ - مؤتمر إسلامي مسيحي
١٣٠٥	جمعية العمل من أجل العلاقات المسيحية	١٦-١٧/٧/١٤٠٣م ٢٩-٣٠/٤/١٩٨٣م	ملووكي - الولايات المتحدة الأمريكية	١٣٨ - في سبيل الحوار
١٢٥٤	أمانة السر للعلاقات مع الإسلام	١٥-١٩/١٠/١٤٠٣م ٢٦-٢٧/٧/١٩٨٣م	ليون - فرنسا	١٣٩ - كيف نؤمن نحن المسيحيين والمسلمين في عالم تعددي ومتعلم؟

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٤٠ - العلمنة	سيتكا - فرنسا	١١/٢٩ - ١٤٠٣/١٢/٣ ١٩٨٣/٩/١١-٧م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩
١٤١ - حوار وتعايش	القدس - فلسطين	١-١٤٠٣/١٢/٣ ١٩٨٣/٩/١١-٩م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦
١٤٢ - التصوف الإسلامي، والتصوف المسيحي	بالرمو - صقلية	١٤-١٤٠٤/١/١٥ ١٩٨٣/١٠/٢٢-٢١م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣٠
١٤٣ - من أجل السلام والتآخي بني الشعوب	نشيكنت - الاتحاد السوفيتي	شعبان ١٤٠٣هـ مايو ١٩٨٣م		١٣٠٢
١٤٤ - التوراة والإنجيل والقرآن	تولوز - فرنسا	١٧-١٤٠٤/٤/١٨ ١٩٨٤/١/٢٢-٢١م	جمعية الكتب المؤمنين الناطقين بالفرنسية ومعهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٧، ١٤٦٩
١٤٥ - التعايش الإسلامي المسيحي في لبنان	بيروت - لبنان	١٤٠٤/٦/٢ ١٩٨٤/٢/٢٢م	البطريرك إغناطيوس هزيم الأرثوذكسي	١٣٥٤
١٤٦ - حقوق الإنسان والأديان	شانتيلي - فرنسا	٧-١٤٠٤/٦/٨ ١٩٨٤/٣/١١-١٠م	مركز الينايع الثقافي، ومعهد روبرت شومان لأوروبا IRSG	١٢٥٦
١٤٧ - كيف نعيش نحن المسلمين والمسيحيين ونشهد لإيماننا في عالم تغرب عن الله؟	موفو - فرنسا	١٤-١٤٠٤/٦/١٥ ١٩٨٤/٣/١٨-١٧م	مركز الجبل	١٢٥٥
١٤٨ - القيم الدينية المشتركة في سبيل بناء الأمة	كوالالمبور - ماليزيا	١٤-١٤٠٤/٦/١٥ ١٩٨٤/٣/١٨-١٧م	المجلس الاستشاري الماليزي للأديان	١٣٤٠
١٤٩ - الصلاة عند اليهودية والمسيحية والإسلام	شانتيلي - فرنسا	١٨-١٤٠٤/٧/٢٠ ١٩٨٤/٤/٣٠-٢٨م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٨
١٥٠ - نصارى ومسلمون: العيش مع بعضهم بعضاً والاستماع من بعضهم بعضاً	فيتان - آنا/رور - ألمانيا	١٠-١٩٨٤/٥/١٣	السلطات المحلية الألمانية ومؤتمر العالم الإسلامي - كراتشي	١٢٨٤، ١٤٧٧

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٥١ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ١	القدس - فلسطين	٤-١٢/٦/١٤٠٤م ٣١-٨/٢/١٩٨٤م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦
١٥٢ - العلمنة ٢	الرباط - المغرب	٢٩-١١/٥/١٤٠٤م ٢٦-٨/١/١٩٨٤م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٤٩
١٥٣ - حرية الدين أو العقيدة أساس السلام	روما - إيطاليا	٧-١٠/١٢/١٤٠٤م ٣-٩/٦/١٩٨٤م	الجمعية الدينية الدولية	١٢٣١
١٥٤ - مؤتمر السلام في العالم	طوكيو - اليابان	١٠/٢/١٤٠٥م ٥/١١/١٩٨٤م	مؤتمر العالم الإسلامي المؤتمر الإسلامي الياباني	١٣١٧
١٥٥ - الحوار	وندسور - المملكة المتحدة	٢٠-٢٣/٣/١٤٠٥م ١٥-١١/١٨/١٩٨٤م	كنيسة وندسور الإنجيلكانية ومؤسسة آل البيت	١٢٠٣
١٥٦ - الله والإنسان والطبيعة	بالرمو - صقلية	٢٨-٣/١-٤/١٤٠٥م ٢٣-١١/٢٥/١٩٨٤م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣٠
١٥٧ - التعددية والتسامح	نيروبي - كينيا	١٤-١٤٠٤م سبتمبر ١٩٨٤م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
١٥٨ - العلاقات الإسلامية المسيحية على المستوى الجذري	جولو - الفلبين	١٩٨٤م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٤
١٥٩ - الإله الواحد والإنسان المعاصر		١٥-٨/١٦/١٤٠٥م ٦-٥/٧/١٩٨٥م	بلدية مونيليه	١٢٦٥
١٦٠ - القداسة في الإسلام والمسيحية	الفاتيكان - المعهد البابوي للدراسات العربية والإنسانية	١٥-٨/١٦/١٤٠٥م ٦-٥/٧/١٩٨٥م	أمانة السر الفاتيكانية للعلاقات بغير المسيحيين	١١٢٩
١٦١ - التربية والقيم	المحمدية - المغرب	١٧-٨/٢١/١٤٠٥م ٨-١٢/٥/١٩٨٥م	مؤسسة أديناور	١٢٨٣
١٦٢ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ٢	القدس - فلسطين	٢٠-١١/٢٢/١٤٠٥م ٦-٨/٩/١٩٨٥م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٦٣ - العلاقة بين الروحانيات والزمانيات	الفاتيكان	٢١-٢٦/١٢/١٤٠٥هـ ٧-١٢/٩/١٩٨٥م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥٠
١٦٤ - اتحاد العالم الإسلامي	إستانبول - تركيا	١٩-٢٢/٩/١٩٨٥هـ	المجلس العالمي للأديان، كلية الإلهيات، بجامعة مرمرية.	١٠٣٣
١٦٥ - قيم الحياة العائلية في المجتمع الحالي	عمّان - الأردن	١٣-١٥/١/١٤٠٦هـ ٢٨-٣٠/٩/١٩٨٥م	كنيسة ونلسون الإنجليكانية ومؤسسة آل البيت	١٢٠٣
١٦٦ - الإنسان ومصيره	بالرمو - صقلية	١٠-١٢/٢/١٤٠٦هـ ٢٥-٢٧/١٠/١٩٨٥م	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٢٣٠
١٦٧ - مؤتمر باريس	باريس - فرنسا	٢-٤/٣/١٤٠٦هـ ١٥-١٧/١١/١٩٨٥م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
١٦٨ - الإرساليات المسيحية لدى المسلمين	برلين - ألمانيا	٨-١١/٣/١٤٠٦هـ ٢١-٢٣/١١/١٩٨٥م	جمعية أصدقاء الإسلام في برلين مؤتمر العالم الإسلامي - كراتشي -	١٢٨٥، ١٣١٧
١٦٩ - التلاقي	نونسلو - المملكة المتحدة	١٢/٣/١٤٠٦هـ ٢٤/١١/١٩٨٥م	برنامج وستمنستر	١٢٠٢
١٧٠ - الفاتيكان والإسلام والشرق الأوسط	فيلانوفيا - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٨٥م	جامعة فيلانوفيا الكاثوليكية	١٣٠٥
١٧١ - الإيمان في سبيل السلام وإيماء الإنسان	سونهول - المملكة المتحدة	١٤٠٦هـ أكتوبر عام ١٩٨٥م	برنامج وستمنستر	١٢٠٢
١٧٢ - البحث عن الله	تولوز - فرنسا	١٤-١٥/٥/١٤٠٦هـ ٢٥-٢٦/١/١٩٨٦م	معهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٨
١٧٣ - الحوار الإسلامي المسيحي حول الدين والسلام في الشرق الأوسط	براغ - تشيكوسلوفاكيا	١-٣/٢/١٩٨٦م		١٣٠٠

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٧٤ - الدين والمسؤولية	بورتونوفو - بنين	٢٠-٢٤/٦/١٤٠٦ هـ ٣-٧/٣/١٩٨٦ م	مجلس الكنائس العالمي	١١٧٠
١٧٥ - العيد	موفو - فرنسا	٢٧/٦/١٤٠٦ هـ ٩/٣/١٩٨٦ م	مركز الجبل العالي	١٢٥٥
١٧٦ - الإيمان والإصغاء إلى الآخر	شانتيلي - فرنسا	٨-١٠/٨/١٤٠٦ هـ ١٨-٢٠/٤/١٩٨٦ م	جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٨
١٧٧ - الروحانية من متطلبات عصرنا	تونس - الجمهورية التونسية	١١-١٦/٨/١٤٠٦ هـ ٢١-٢٦/٤/١٩٨٦ م	مؤسسة أديناور والمركز التونسي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية CERES	١٢٨٣، ١٣٨٩
١٧٨ - نهار صلاة وسلام وتفاهم	سيريلانكا	٥/٩/١٤٠٦ هـ ١٤/٥/١٩٨٦ م	منظمة أديان الجزيرة الموحدة	١٣٢٦
١٧٩ - حوار متعدد الأطراف	أوتكموند - الهند	٩-١١/١٠/١٤٠٦ هـ ١٧-٢٠/٦/١٩٨٦ م	جماعة ساتسنگ لتعددية الأديان ولجنة الحوار بمجلس أساقفة الهند الكاثوليك الرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان	١٣٢٤
١٨٠ - اللقاء التحضيري للمؤتمر المسيحي الإسلامي	ساليزي جورن - بولندا	١٥-١٨/١٠/١٤٠٦ هـ ٢٣-٢٦/٦/١٩٨٦ م	الجمعية المسيحية الاجتماعية CHSS	١٢٩٨
١٨١ - السلام من خلال العمل والصلاة	بكين - الصين	١٧/١٠/١٤٠٦ هـ ٢٥/٦/١٩٨٦ م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
١٨٢ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ٣	القدس - فلسطين	١١-١٣/١٢/١٤٠٦ هـ ٢٨-٣٠/٨/١٩٨٦ م	معهد تنطور المسكوني	١٣٨٦
١٨٣ - الدين والدولة	الحمامات - تونس	٢٧/١٢/١٤٠٦ هـ ١/١/١٤٠٧ هـ ٢-٦/٩/١٩٨٦ م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥٠

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١١٩٧	اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى والمركز الإسلامي في أسبانيا التابع لرابطة العالم الإسلامي	١٤٠٧/٢/٩-٦ ١٩٨٦/١٠/١٤-١١م	قرطبة - أسبانيا	١٨٤ - المؤتمر الإسلامي المسيحي بمناسبة الاحتفال بمرور اثني عشر قرناً على تأسيس جامع قرطبة
١٢٨٦		١٤٠٧/٢/١٤-١٠ ١٩٨٦/١٠/١٩-١٥م	مارل - ألمانيا	١٨٥ - مسلمون ومسيحيون معاً في العمل وفي الفراغ وفي الاستراحة
١٢٩٩	الجمعية المسيحية الاجتماعية CHSS	١٩٨٦/١٠/١٨-١٧م	وارسو - بولندا	١٨٦ - المؤتمر الدولي للحوار الإسلامي المسيحي
١١٧١	مجلس الكنائس العالمي، ومنظمة إيمان وشعوب حية	١٤٠٧/٤/٩-٤ ١٩٨٦/١٢/١١-٦م	فيانابورا - أندونيسيا	١٨٧ - الدين والدولة، الدين والتربية
١٣٧٦	مؤسسة آل البيت والمترولوجيا دمسكينوس (مركز شاميبي)	١٤٠٧/٣/١٦-١٤ ١٩٨٦/١١/١٩-١٧م	شاميبي - سويسرا	١٨٨ - السلطة في المسيحية والإسلام
١٢٣١	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٤٠٧/٣/٢٠-١٨ ١٩٨٦/١١/٢٣-٢١م	بالرمو - صقلية	١٨٩ - العلم والتقدم والدين
١٣٢٤	معهد هنري مارتين المجلس المسيحي الدولي للهند	١٤٠٧/٣/٢٠-١٨ ١٩٨٦/١١/٢٣-٢١م	اسكندرياباد - الهند	١٩٠ - من أجل تعارف أفضل
١٤٨١	البابا يوحنا بولس الثاني	أكتوبر ١٩٨٦م	أسيبي - إيطاليا	١٩١ - يوم الصلاة من أجل السلام
١٣٤٤	الحكومة الفلسطينية	١٩٨٦م	كوتوباتو - الفلبين	١٩٢ - القضايا القانونية للشريعة والنظام المدني والمحاكم
١٢٨٤	مؤسسة أديناور	١٩٨٦م	سلمنكا - أسبانيا	١٩٣ - مؤتمر سلمنكا للحوار الثلاثي

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
١٩٤ - الدين والمجتمع	كلمباري - جزيرة كريت	١٤٠٨/٢/٧-٣ ١٩٨٧/١٠/١-٩/٢٧م	مجلس الكنائس العالمي	١١٧١
١٩٥ - الملتقى الإبراهيمي	قرطبة - أسبانيا	١٤٠٧/٦/١٥-١٢ ١٩٨٧/٢/١٥-١٢م	مؤسسة روجيه جارودي	٩٠٧
١٩٦ - من أجل كون تحرر من جميع الأسلحة النووية في سجل حياة البشر	موسكو - الاتحاد السوفيتي	١٤٠٧/٦/١٦-١٤ ١٩٨٧/٢/١٦-١٤م		١٣٠٣
١٩٧ - الضيافة	موفو - فرنسا	١٤٠٧/٧/١٤-١٣ ١٩٨٧/٣/١٥-١٤م	مركز الجبل العالي	١٢٥٥
١٩٨ - البقطة الإسلامية وتساؤلات الأمة العربية		١٤٠٧/٧/١٦-١٣ ١٩٨٧/٣/١٧-١٤م	ميدان الفكر العربي مؤسسة آل البيت مركز الأهرام للدراسات السياسية	١٣٧٦
١٩٩ - من أجل السلام والانسجام في الهند	نيودلهي - الهند	١٤٠٧/٨/٥-٤ ١٩٨٧/٤/٥-٤م	لجنة الحوار لمؤتمر أساقفة الهند الكاثوليك	١٣٢٥
٢٠٠ - التجاسر على الحوار: تخطي الخوف والعنف بالحوار والثقة	روفرينو - إيطاليا	١٤٠٧/٩/٤-١ ١٩٨٧/٥/٣-٤/٣٠م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٥
٢٠١ - الحياة معاً بالتلاقي الديني	كثمتوره - الهند	١٤٠٧/٩/١١-٩ ١٩٨٧/٥/١٠-٨م	مركز كوئمتبوره للتلاقي الديني الرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان	١٣٢٥
٢٠٢ - الأخلاقيات وإدارة الأعمال	وندسور - المملكة المتحدة	١٤٠٧/١٠/٢-٩/٢٩ ١٩٨٧/٥/٣١-٢٩م	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومؤسسة آل البيت	١٢٠٥
٢٠٣ - الرجاء انتظار خلاق	شانتيلي - فرنسا	١٤٠٧/١٠/٨-٧ ١٩٨٧/٦/٦-٥م	جمعية الكتب المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٢٥٨
٢٠٤ - يوم الصلاة من أجل السلام	جبل هي - اليابان	١٩٨٧/٨/٤م	الراهب البوذي إيتاي يامادا	١٣٤٧

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١٣٨٦	معهد تنطور المسكوني	١٤٠٧/١٢/٢٩ هـ - ١٤٠٨/١/٢ هـ ١٩٨٧/٨/٢٧ - ٢٥ م	القدس - فلسطين	٢٠٥ - التراث العربي، المسيحي والإسلامي في الأراضي المقدسة ٤
١٢٥٠	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٤٠٧/١٢/٢٩ هـ - ١٤٠٨/١/٤ هـ ١٩٨٧/٨/٢٩ - ٢٥ م	بروكسل - بلجيكا	٢٠٦ - الإيمان والعدالة ١
١٢٣٢	الحركة الإيطالية «شركة وتحرير»	١٤٠٨/٢/٣ هـ - ١٩٨٧/٩/٢٧ - ٢٥ م	أثينا - اليونان	٢٠٧ - التقاليد الدينية والعصر الحالي
١٣١٦	الجمعية الباكستانية للحوار بين الأديان	١٤٠٨/٣/٢٥ هـ - ١٩٨٧/١١/١٧ م	لاهور - باكستان	٢٠٨ - العناصر المشتركة بين الإسلام والمسيحية
١٢٣١	نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	١٤٠٨/٣/٣٠ هـ - ١٩٨٧/١١/٢٢ - ٢٠ م	بالرمو - صقلية	٢٠٩ - العمل والتأمل في النظرة المسيحية والإسلامية
١٣٧٧	مؤسسة آل البيت ومركز شامبيزي الأرثوذكسي	١٤٠٨/٤/٢ - ٣/٢٩ هـ - ١٩٨٧/١١/٢٤ - ٢١ م	عمّان - الأردن	٢١٠ - التعايش الإسلامي المسيحي، وتقييم الإنسانية المشتركة
١١٧١	مجلس الكنائس العالمي	١٤٠٨/٤/٦ - ٣/٣٠ هـ - ١٩٨٧/١١/٢٨ - ٢٢ م	نيودلهي - الهند	٢١١ - التعددية الدينية
١٣٤٤	الحكومة الفلبينية	١٩٨٧ م	زامبونغاستي - الفلبين	٢١٢ - الوجود الإسلامي بين المسيحيين والوجود المسيحي بين المسلمين
١٢١٧	جمعية سانت إيجيديو	١٩٨٧ م	روما	٢١٣ - الصلاة كمصدر للسلام
١٢٥٩	معهد تولوز الكاثوليكي	١٤٠٨/٦/١١ - ١٠ هـ - ١٩٨٨/١/٣١ - ٣٠ م	تولوز - فرنسا	٢١٤ - الغفران
١٢٥٥	مركز الجبل العالي	١٤٠٨/٧/٢٤ - ٢٣ هـ - ١٩٨٨/٣/١٣ - ١٢ م	موفو - فرنسا	٢١٥ - استيقاظ الإيمان في الشبيبة
١١٩٧	مجمع أديان المسكونة	١٤٠٨/٧/٢٨ - ٢٦ هـ - ١٩٨٨/٣/١٧ - ١٥ م	طليطلة - إسبانيا	٢١٦ - الحوار بين الأديان والسلام في الشرق الأوسط
١٢٥٨	جمعية الكتب المؤمنين الناطقين بالفرنسية	١٤٠٨/٩/٢٨ - ٢٧ هـ - ١٩٨٨/٥/١٥ - ١٤ م	شانتيلي - فرنسا	٢١٧ - اليهودية والمسيحية والإسلام أمام روحانيات الشرق الأقصى

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢١٨ - فهم الآخر	سان أوغسطين - ألمانيا -	١٤٠٨/١٠/١٦/١٢ ١٩٨٨/٦/٢٠-٥/٢٩م	مؤسسة أديناور والمجلس المسيحي اليهودي العالمي	١٢٨٤
٢١٩ - الإيمان والعدالة ٢	الرباط - المغرب	١٤٠٩/١/٢١-١٧ ١٩٨٨/٩/٣-٨/٣٠م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٠٥
٢٢٠ - ممارسة البنوك وفقاً للإسلام والمسيحية	ماعين - الأردن	١٤٠٩/٢/٦-٥ ١٩٨٨/٩/١٨-١٧م	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومتدى الفكر العربي	١٢٠٥، ١٣٧٦
٢٢١ - السلام والعدالة	شامبيزي - سويسرا	١٤٠٩/٥/٦-٣ ١٩٨٨/١٢/١٥/١٢م	مؤسسة آل البيت ومركز شامبيزي الأرثوذكسي	١٣٧٧
٢٢٢ - مؤمنون يسرون ويعملون معاً	أسيزي - إيطاليا	أكتوبر - ١٩٨٨م	المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٣٥
٢٢٣ - العقيدة للأمام: المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة		١٩٨٨م	كريسلام	٩٥٣
٢٢٤ - المصلون في بحث عن السلام	روما	١٩٨٨م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٧
٢٢٥ - مساهمة الدين في ببناء الثقة في المجتمعات التعددية الحديثة	ملبورن - أستراليا	١٤٠٩/٦/٢١-١٥ ١٩٨٩/١/٢٧-٢١م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٦
٢٢٦ - قيم الإسلام الروحية	تورنتو - إيطاليا	١٤٠٩/٦/٢٢-٢٠ ١٩٨٩/١/٢٨-٢٦م	معهد تورنتو للعلوم الدينية	١٢٣٢
٢٢٧ - لنعش فوارقنا معاً	موفو - فرنسا	١٤٠٩/٦/٢٣-٢٢ ١٩٨٩/١/٢٩-٢٨م	مركز الجبل العالي	١٢٥٦
٢٢٨ - العلاقات الإسلامية المسيحية في متدناو	زامبونغاستي - الفلبين	١٤٠٩/٧/٢٨-٢٦ ١٩٨٩/٣/٥-٣م	الحكومة الفلبينية	١٣٤٤
٢٢٩ - تحديات الحوار	بندرف - ألمانيا	١٤٠٩/٨/١٣-٦ ١٩٨٩/٣/٢٠-١٣م		١٢٨٦
٢٣٠ - السلام والعدالة	دكا - بنجلاديش	١٤٠٩/٨/٢٣-٢١ ١٩٨٩/٣/٣٠-٢٨م	مجمع الأديان البنغالي من أجل السلام	١٣١٩

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١٢٥٠	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	٢٣-٢٩/١/١٤١٠هـ ٢٥-٣١/٨/١٩٨٩م	غروثا - إيطاليا	٢٣١ - الإيمان والعدالة ٣
١٣٧٧	مؤسسة آل البيت ومركز شامبيزي الأرثوذكسي وجامعة إنكلترا	٩-١٣/١٢/١٤١٠هـ ١٠-١٤/٩/١٩٨٩م	أستانبول - تركيا	٢٣٢ - التعددية الدينية
١١٣٢	الفاتيكان، ومؤسسة آل البيت	٧-٩/٥/١٤١٠هـ ٦-٨/١٢/١٩٨٩م	الفاتيكان	٢٣٣ - التربية الدينية في المجتمع المعاصر
١٢٠٥	كنيسة وندسور الإنجليكانية ومتدى الفكر العربي	٩-١١/٦/١٤١٠هـ ٨-١٠/١٢/١٩٨٩م	وندسور - المملكة المتحدة	٢٣٤ - الأخلاقيات وإدارة الأعمال ٢
١٢٣٢	مؤسسة جوفاني أنيلي	مايو ١٩٨٩م	تورينو - إيطاليا	٢٣٥ - المسلمون الأوروبيون
١٢١٧	جمعية سانت إيجيديو	١٩٨٩م	وارسو «بيركناو» - بولندا	٢٣٦ - الحرب بلا عودة
١١٣١	جامعة أنقرة، والجامعة الجريجورية (الفاتيكان)	١٩٨٩م	روما	٢٣٧ - إيصال القيم الدينية إلى شباب اليوم
١٣٠٦		٧-١٠/٦/١٤١٠هـ ٤-٧/١/١٩٩٠م	ستون مونتين - الولايات المتحدة الأمريكية	٢٣٨ - مفهوم الوعي ومضموناته
١٢٦٥	مركز خدمة العلاقات الإسلامية SRCM	٣٠/٦/١-١٤١٠هـ ٢٧-٢٨/١/١٩٩٠م	ستراسبورغ - فرنسا	٢٣٩ - المسيحيون والمسلمون في المجتمع الفرنسي في سبيل الحوار الديني
١٢٥٩، ١٤٦٩	معهد تولوز الكاثوليكي	٣٠/٦/١-١٤١٠هـ ٢٧-٢٨/١/١٩٩٠م	تولوز - فرنسا	٢٤٠ - الكتابة المقدسة والكتابة الدنيوية
١١٢٦	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبية) والمجمع البابوي للحوار بين الأديان	١٨-١٩/٧/١٤١٠هـ ١٤-١٥/٢/١٩٩٠م	الفاتيكان	٢٤١ - الرسالة والدعوة

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٤٢ - السعي معاً للعدالة والسلام	موفو - فرنسا	٢٧-٢٨/٨/١٤١٠هـ ٢٤-٢٥/٣/١٩٩٠م	مركز الجبل	١٢٥٦
٢٤٣ - مسلمون ومسيحيون موضوعات مشتركة وهويات متميزة	كولومبوس - الولايات المتحدة الأمريكية	٢٨/٨/١٤١٠هـ ٢٥/٣/١٩٩٠م	المؤسسة الإسلامية في أوهايو وأبرشية كولومبوس الكاثوليكية ومكتب المتروبوليت	١٣٠٦
٢٤٤ - الإنسان كمصغ إلى كلام الله في نظر المسيحية والإسلام	فيينا «مودلنغ» - النمسا	١٧-٢٠/٤/١٩٩٠م	معهد القديس جبريل اللاهوتي	١٢٦٩، ١٤٨٤
٢٤٥ - مسيحيون ومسلمون على عتبة القرن الحادي والعشرون	هيستون - الولايات المتحدة الأمريكية	١٦-١٨/١٠/١٤١٠هـ ١١-١٣/٥/١٩٩٠م		١٣٠٧
٢٤٦ - مؤتمر إسلامي مسيحي	أكسفورد - الولايات المتحدة الأمريكية	٢-٣/١١/١٤١٠هـ ٢٧-٢٨/٥/١٩٩٠م	أبرشية جنوب أوهايو الإنجيلية ولجنة مشتركة من المسلمين والنصارى	١٣٠٧
٢٤٧ - مؤتمر الأطفال العالمي	برنستون - أمريكا	٢٥-٢٧/٧/١٩٩٠م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٦
٢٤٨ - الإيمان والعدالة ٤	الحمامات - تونس	٥-١٠/٢/١٤١١هـ ٢٦-٣١/٨/١٩٩٠م	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٢٥١
٢٤٩ - التعايش بين الأديان: الواقع والآفاق	لافلتا - مالطا	٤-٥/٥/١٤١١هـ ٢٢-٢٣/١١/١٩٩٠م	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (اليبية)، المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٢٦
٢٥٠ - العلاقات بين دين منظم ودولة ديمقراطية	جوهانسبرغ - جنوب أفريقيا	١٤-١٦/٥/١٤١١هـ ٢-٤/١٢/١٩٩٠م	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٤١٦
٢٥١ - حقوق الطفل وتربيته في الإسلام والمسيحية	عمّان - الأردن	٢٦-٢٨/٥/١٤١١هـ ١٣-١٥/١٢/١٩٩٠م	الفاثيكان، ومؤسسة آل البيت	١١٣٣
٢٥٢ - المؤتمر العالمي للحوار الإسلامي المسيحي	ستراسبورغ - فرنسا	٣-٥/٥/١٤١١هـ ٢٠-٢١/١٢/١٩٩٠م	جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	١٢٦٠

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١٣٢٥	لجنة الحوار في مجلس كنائس كيرلا	١١-١٥/٦/١٤١١ هـ ٢٨/١٢/١٩٩٠ م - ١/١/١٩٩١ م	تريفندرم - الهند	٢٥٣ - مساهمة الدين في نمو البشرية الكامل
١٣٠٧	مركز دانكن بلاك ماكدولاند للدراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية	١٩٩٠ م	الولايات المتحدة الأمريكية	٢٥٤ - مؤتمر معهد هارتفورد
١٢١٧	جمعية سانت إيجيديو	١٩٩٠ م	مالطا	٢٥٥ - الأديان في سبيل بحر من السلام
١٢١٧	جمعية سانت إيجيديو	١٩٩٠ م	باري	٢٥٦ - من الشرق إلى الغرب بحر من السلام
١١٣١	جامعة أنقرة، والجامعة الجرجورية	١٩٩٠ م	أنقرة - تركيا	٢٥٧ - الأديان، والشقافات، والتسامح
١١٣٥	المجمع البابوي للحوار بين الأديان	٢٤-٢٨/١/١٤١٢ هـ ٤-٨/٤/١٩٩١ م	إبادان - نيجيريا	٢٥٨ - التعاون في التنمية الإنسانية
١٢٠٩، ١٣٥٦	مركز دراسة الإسلام، والعلاقات المسيحية الإسلامية لكليات سلي أوك	٧-١٣/١٠/١٤١١ هـ ٢١-٢٧/٤/١٩٩١ م	أيانا - قبرص	٢٥٩ - الدين والمواطنة في أوروبا والعالم الغربي
١٤١٠	منظمات دولية إسلامية ومسيحية	٨-١٠/١٠/١٤١١ هـ ٢٢-٢٤/٤/١٩٩١ م	فالتا - مالطا	٢٦٠ - اللاجئون والمهجرون: آفاق وعمل مشترك
١٢٢٣	جمعية سانت إيجيديو	٢٩-٣٠/٤/١٩٩١ م	روما - إيطاليا	٢٦١ - السلام بين الأديان، والسلام بين المجتمعات
١٤١٣	مجموعة عمل متعددة الأديان	٨-١٠/٨/١٩٩١ م	بوسي - سويسرا	٢٦٢ - مجتمع الأرض الواحد
١٢٥١	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٤-٢٠/٢/١٤١٢ هـ ٢٤-٣٠/٨/١٩٩١ م	الرباط - المغرب	٢٦٣ - الإيمان والعائلة: مستقبل الجماعة

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٦٤ - السعي للحوار	واشنطن - الولايات المتحدة الأمريكية	١٣-١٤/٤/١٤١٢ هـ ٢١-٢٢/١٠/١٩٩١ م	مؤتمر الأساقفة الكاثوليك الوطني NC CB وجامعة العالم الإسلامي	١٣٠٧
٢٦٥ - آفاق السلام والانسجام الجديدة مع الباكستان	فيصل آباد - الباكستان	١٤-١٨/٤/١٤١٢ هـ ٢٢-٢٦/١٠/١٩٩١ م	اللجنة الوطنية للعلاقات المسيحية الإسلامية	١٣١٧
٢٦٦ - مساهمة الأديان في السلام	تونس	٢٧-٤/٥/١٤١٢ هـ ٤-٩/١١/١٩٩١ م	المركز التونسي للأبحاث والدراسات	١٣٨٩
٢٦٧ - العدالة الاجتماعية	أنقرة	١٩٩١ م	الجامعات التركية، المجلس البابوي للعدالة والسلام	١١٣٢
٢٦٨ - ملتقى السلام العالمي لرجال الأديان	الخرطوم - السودان	جمادى الأولى - ١٤١٢ هـ نوفمبر - ١٩٩١ م	مجلس الصداقة الشعبية العالمية	١٣٩٢
٢٦٩ - يونس إمره؛ تجربة روحية وثقافية	الجامعة الجريجورية - روما	١٩٩١ م	جامعة أنقرة، الجامعة الجريجورية	١١٣١
٢٧٠ - أهمية الحوار الإسلامي المسيحي في تعليم وحماية الشباب	رووان - فرنسا	٥-٧/٧/١٤١٢ هـ ١٠-١١/١/١٩٩٢ م	جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	١٢٦٤
٢٧١ - من هو قريبك؟	تولوز - فرنسا	٢-٧/٧/١٤١٢ هـ ٢٥-٢٦/١/١٩٩٢ م	معهد تولوز الكاثوليكي	١٢٥٩
٢٧٢ - المسيحيون والمسلمون: مسؤوليتهم تجاه العالم	فرانكفورت - ألمانيا	٢٥-٢٦/٧/١٤١٢ هـ ٣٠-٣١/١/١٩٩٢ م		١٢٨٦
٢٧٣ - التعايش	مرسيليا - فرنسا	٢٧/٨/١٤١٢ هـ ١/٣/١٩٩٢ م	جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	١٢٦٥
٢٧٤ - لتصبح كائنات حرة في نظر الله	موفو - فرنسا	١٨-١٩/٩/١٤١٢ هـ ٢٢-٢٣/٣/١٩٩٢ م	مركز الجبل العالي	١٢٥٦

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١١٣٣	الفاتيكان، ومؤسسة آل البيت	١٤١٢/١٢/٢٤-٢٤ ١٩٩٢/٦/٢٦-٢٤م	الفاتيكان	٢٧٥- دور المرأة في المجتمع حسب الإسلام والمسيحية
١٢٥١	فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية	١٤١٣/٣/٢-٢/٢٧ ١٩٩٢/٨/٣١-٢٦م	بروكسل - بلجيكا	٢٧٦- الخطيئة والمسؤولية الخلقية
١٤١٩	المؤتمر العالمي للدين والسلام	١٩٩٢/١١/٩-٦م	اليابان	٢٧٧- الأديان من أجل السلام في الشرق الأوسط
١١٧١	مجلس الكنائس العالمي	١٤١٣/٦/١٨-١٤ ١٩٩٢/١٢/١٣-٩م	جنيف - سويسرا	٢٧٨- الدين والشريعة والمجتمع
١٢١٧	جمعية سانت إيجيديو	١٩٩٢م	بروكسل - بلجيكا	٢٧٩- أوروبا والأديان والسلام
١١٩٨	اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى والمركز الإسلامي في مدريد التابع لرابطة العالم الإسلامي	١٤١٣/١٠/١-٤ ١٩٩٣/٣/٢٨-٢٦م	مدريد - أسبانيا	٢٨٠- المسلمون والمسيحيون أمام مشاكل العالم الحالية
١٢٧٢، ١٥١١	معهد القديس جبريل اللاهوتي	١٩٩٣/٤/٢-٣/٣٠م	فيينا «مودلنغ» - النمسا	٢٨١- سلام للبشر
١٣٩٢، ١٤٧٧	مجلس الصداقة الشعبية العالمية	١٤١٣/١١/٩-٥ ١٩٩٣/٤/٣٠-٢٦م	الخرطوم - السودان	٢٨٢- من أجل مزيد من التعاون الديني على طريق النهضة «مؤتمر الأديان في السودان»
١٢٢٦	جمعية سانت إيجيديو	يناير ١٩٩٣م	روما - إيطاليا	٢٨٣- اللقاء الثنائي بين وفد رابطة العالم الإسلامي وجمعية سانت إيجيديو
١٢١٧	جمعية سانت إيجيديو	١٩٩٣م	ميلانو - إيطاليا	٢٨٤- أرض البشر، ابتهاجات إلى الله
١٢١٠	مركز دراسة الإسلام، والعلاقات المسيحية الإسلامية التابع لكليات سلي أوك	١٩٩٣م	تتارستان - روسيا الاتحادية	٢٨٥- الحقل المسيحي الإسلامي من آسيا الوسطى إلى أوروبا

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٢٨٦ - وسائل الإعلام وعرض الدين	طرابلس - ليبيا	أكتوبر ١٩٩٣ م	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (البابية) والمجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٢٧
٢٨٧ - سلام للجميع «الحوار بين الأديان»	الخرطوم - السودان	٨ - ١٠ / ١٠ / ١٩٩٤ م	مجلس الصداقة الشعبية العالمية جمعية حوار الأديان في السودان	١٤٠٤
٢٨٨ - الحدائق	طهران - إيران	١٩٩٤ م	المركز الإيراني للدراسات الثقافية الدولية C.I.C.S والمجمع البابوي للحوار بين الأديان P.C.I.D	١٣٢٧
٢٨٩ - الأصدقاء في الله، شهادة السلام	أسيزي - إيطاليا	١٩٩٤ م	جمعية سانت إيجيديو	١٢١٨
٢٩٠ - الانسجام بين المؤمنين من مختلف العقائد	باتايا - تايلند	أغسطس ١٩٩٤ م	المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١١٣٦ ، ١٣٤٢
٢٩١ - القومية اليوم: مشاكل وتحديات	عمّان	يناير ١٩٩٤ م	الفاتيكان، ومؤسسة آل البيت	١١٣٤
٢٩٢ - إلى الجذر: البحث عن لغة مشتركة من أجل حوار مشترك بين الأديان	مدريد - أسبانيا	١٩٩٤ م	كريسلام	٩٧٦
٢٩٣ - المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر	عمّان - الأردن	٧ - ٩ / ٢ / ١٤١٦ هـ ٥ - ٧ / ٧ / ١٩٩٥ م	مؤسسة آل البيت	١٣٧٧
٢٩٤ - النظرة المتبادلة بين الإسلام والمسيحية عبر التاريخ	عمّان - الأردن	٢١ - ٢٤ / ٨ / ١٩٩٥ م	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٣٧٩
٢٩٥ - الأديان الثلاثة من أجل السلام لأورشليم	القدس - فلسطين	أغسطس ١٩٩٥ م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٥

الصفحة	الجهة المنظمة	تاريخ انعقاده	مكان انعقاده	المؤتمر
١٢١٨	جمعية سانت إيجيديو	١٩٩٥م	فلورنسا - إيطاليا	٢٩٦ - المأوى والسعادة في السلام
١٣٨٩	مؤسسة التميمي للبحث العلمي	١٤١٦/١١/١٠م ١٩٩٦/٣/٢٩م	تونس	٢٩٧ - المسيحيون والمسلمون في عصر النهضة الأوربية
١٣٨٠	المعهد الملكي للدراسات الدينية، شبكة حوار الأديان في لندن	١٩٩٦/٤/١٤ - ١٢م	تشارترج - إنكلترا	٢٩٨ - الدين والهوية الشعبية
١٣٧٩	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٩٩٦/٥/٥ - ٤م	عمّان - الأردن	٢٩٩ - علاقة اللاعنّف بالشرق الأوسط المعاصر في ذكرى المهاتما غاندي
١٣٥٧	مجلس كنائس الشرق الأوسط	١٤١٧/١/٢٩ - ٢٨م ١٩٩٦/٦/١٥ - ١٤م	بيروت - لبنان	٣٠٠ - مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس
١٣٥٧	مجلس كنائس الشرق الأوسط	مايو ١٩٩٦م	القاهرة - مصر	٣٠١ - المؤتمر العالمي الإسلامي المسيحي حول القدس
١٣٧٧	مؤسسة آل البيت	١٤١٦/٢/٩ - ٧م ١٩٩٦/٧/٧ - ٥م	عمّان - الأردن	٣٠٢ - المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر
١٢١٨	جمعية سانت إيجيديو	١٩٩٦/١٠/١٠ - ٧م	روما - إيطاليا	٣٠٣ - السلام اسم الرب
١٣٧٢	مركز الدراسات الإسلامية المسيحية	١٩٩٦م	البلند - لبنان	٣٠٤ - المسيحية والإسلام: مزايا متقابلة
١٢٣٩	جمعية قرش	١٩٩٦م	سان ريمو - إيطاليا	٣٠٥ - المطالبة بحقوق المسلمين في إيطاليا
١٣٨٠	المعهد الملكي للدراسات الدينية، كنيسة السويد	١٩٩٧/٤/٣ - ١م	عمّان - الأردن	٣٠٦ - الحوار المشترك بين الإسلام والمسيحية
١١٢٧	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبية)، المجمع البابوي للحوار بين الأديان	١٩٩٧/٤/٣٠ - ٢٧م	الفاتيكان - المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية	٣٠٧ - الدعوة الإسلامية والرسالة المسيحية في القرن القادم

المؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاده	الجهة المنظمة	الصفحة
٣٠٨ - عالم واحد للجميع: أسس التعددية الاجتماعية والسياسية والثقافية في نظر المسيحية والإسلام	فيينا «مودلنغ» - النمسا	٧ - ١٠/١/١٤١٨ هـ ١٣ - ١٦/٥/١٩٩٧ م	وزارة الخارجية الاتحادية النمساوية، ومعهد القديس جبريل اللاهوتي	١٢٧٥، ١٥٤١
٣٠٩ - إيطاليا والإسلام	بالرمو - صقلية	٦ - ٧/٦/١٩٩٧ م	جمعية قرش	١٢٣٩
٣١٠ - الأديان تدعو إلى أوروبا بلا عنصرية	فرانكفورت - ألمانيا	١٨ - ٢٠/٨/١٩٩٧ م		١٢٨٧
٣١١ - النظرات المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين	البلمند - لبنان	١٨ - ٢٧/٨/١٩٩٧ م	مركز الدراسات الإسلامية المسيحية	١٣٧٢
٣١٢ - نحو الجدل الأحسن	البلمند - لبنان	١٩٩٧ م	مركز الدراسات الإسلامية المسيحية	١٣٧٢
٣١٢ - الخوف من السلام	عمّان - الأردن	١٩٩٧ م	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٣٨٠
٣١٣ - الدين والمواطنة والهوية - الشرق الأوسط في الإطار العالمي	عمّان - الأردن	١٩٩٧ م	المعهد الملكي للدراسات الدينية (الأردن)، معهد الحياة والسلام في السويد	١٣٨٠
٣١٤ - القدس وما حولها في القرن التاسع عشر المسيحيون والمسلمون في بيئة متعددة الأديان	عمّان - الأردن	١٩٩٧ م	المعهد الملكي للدراسات الدينية	١٣٨١
٣١٥ - السبيل إلى حياة إسلامية في مجتمع غير مسلم «المعاملات»	روما - إيطاليا	١٩٩٧ م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٧
٣١٦ - الصراع أو اللقاء: الأديان والثقافات على مفترق طرق	بادوا - إيطاليا	١٩٩٧ م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٣
٣١٧ - من أنا في قولكم أنتم؟ المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة	مدريد - إسبانيا	١٩٩٧ م	كريسلام	٩٩٨
٣١٨ - الإسلام في الغرب	بيروجيا - إيطاليا	٧/٦/١٩٩٨ م	جمعية قرش	١٢٤٠
٣١٩ - المحافظة على الهوية الإسلامية في مجتمع غير مسلم	روما - إيطاليا	١٩٩٨ م	جمعية سانت إيجيديو	١٢٢٧

٢ - قائمة بالجمعيات والمؤسسات والمراكز المعنية بقضية التقريب بين الأديان - مرتبة هجائياً

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
١ - اتحاد تحسين العلاقات الإسلامية المسيحية	شيكاغو - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٨٦ م	١٣٠٥
٢ - الأخوية الإبراهيمية	فرنسا		١٢٦٦
٣ - أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين SNC	الفاتيكان	١٩٦٤ م	١٠٨٩
٤ - أمانة السر للعلاقات مع الإسلام SRI	فرنسا		١٢٥٢
٥ - الأيام الآراسية	آراس - فرنسا	١٩٨٠ م	١١٧٩
٦ - اتحاد الجاليات اليهودية في إيطاليا	روما - إيطاليا		١٢٣٦
٧ - اتحاد الجمعيات اليهودية (UAHC)	نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية		٦٠٧
٨ - الاتحاد المسكوني للسلطات الدينية	الفلبين	١٩٦٢ م	١٣٤٢
٩ - برنامج وستمنستر للتلاقي الديني	لندن		١٢٠١
١٠ - بلدية مونييه	فرنسا		١٢٦٥
١١ - جامعة الدروس لجنوب شرق آسيا Silsilah	زامبونغاستي - الفلبين		١٣٤٤
١٢ - جماعة تعددية الأديان	الهند		١٣٢٣
١٣ - جماعة كريسلام مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية	ملريد	١٩٨٤ م	٩٤٣
١٤ - جمعية «أليغاره» للحوار بين الأديان	الهند		١٣٢٤
١٥ - جمعية «قريش» الجماعة الدينية الإسلامية في إيطاليا	ميلانو - إيطاليا		١٢٣٨
١٦ - جمعية الإخاء الديني	القاهرة	١٩٤١ م	١٠٧٧
١٧ - جمعية الأصدقاء الأمريكيان للشرق الأوسط	الولايات المتحدة الأمريكية	حدود سنة ١٩٤٨ م	١٠٧٩
١٨ - الجمعية الباكستانية للحوار بين الأديان PAIRD			١٣١٦
١٩ - جمعية الحوار الإسلامي المسيحي A.D.I.C	فرنسا	١٩٨٧ م	١٢٥٩
٢٠ - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية	طرابلس - ليبيا		١١١٨
٢١ - الجمعية الدينية الدولية	روما - إيطاليا		١٢٣١
٢٢ - جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية في إسبانيا	إسبانيا	١٩٦٦ م	١١٨١

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
٢٣ - جمعية العمل من أجل العلاقات المسيحية الإسلامية	الولايات المتحدة الأمريكية		١٣٠٥
٢٤ - جمعية الكتبة المؤمنين الناطقين بالفرنسية	فرنسا		١٢٥٧
٢٥ - جمعية حوار الأديان في السودان	السودان	١٩٩٤م	١٤٠٣
٢٦ - جمعية سانت إيجيديو	روما	١٩٦٨م	١٢١٢
٢٦ - الحركة الإيطالية شركة وتحرير			١٢٣٢
٢٨ - الحملة الخاصة TASK FORCE	الولايات المتحدة الأمريكية		١٣٠٦
٢٩ - دير سينتكا	فرنسا		١٢٤٦
٣٠ - رابطة البشر والأديان «جمعية سانت إيجيديو»	روما	١٩٨٦م	١٢١٦
٣١ - الرابطة العالمية للمجامع المتعددة الأديان	الهند		١٣٢٥
٣٢ - شبكة الحوار الديني	المملكة المتحدة		١٢٠٠
٣٣ - فرقة الأبحاث الإسلامية المسيحية GRIC		١٩٧٧م	١٢٤٧
٣٤ - كليات سلي أوك	برمنجهام - المملكة المتحدة		١٢٠٧
٣٥ - الكنيسة الكاثوليكية الرومانية	الفاتيكان		١٢٠٠
٣٦ - كنيسة وندسور الإنجليكانية	وندسور - المملكة المتحدة		١٢٠٢
٣٧ - اللجنة الأسقفية الأسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى			١١٩٧
٣٨ - لجنة الإسلام في أوروبا		١٩٨٦م	١١٧٧
٣٩ - لجنة الحوار بين مطرانية لوس أنجلوس والمركز الإسلامي	لوس أنجلوس الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٩٧م	١٣٠٥
٤٠ - لجنة الحوار في مجلس كنائس كيرلا	الهند		١٣٢٥
٤١ - لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند الكاثوليك CBCI	الهند		١٣٢١
٤٢ - لجنة الحوار مع أصحاب العقائد والمثل الحية (مجلس الكنائس العالمي)	جنيف - سويسرا	١٩٦٩م	١١٤٠
٤٣ - لجنة السلام العالمي	سبورغ - الدنمرك		١٢٩٤
٤٤ - لجنة الصداقة الإسلامية المسيحية «جمعية سانت إيجيديو»	روما - إيطاليا	١٩٨٥م	١٢٢٥
٤٥ - لجنة العلاقات مع أتباع المعتقدات الأخرى التابع لمجلس الكنائس البريطاني		١٩٧٧م	١٢٠٠

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
٤٦ - اللجنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار	لبنان	١٩٩٣ م	١٣٥٩
٤٧ - اللجنة الوطنية للعلاقات الإسلامية المسيحية	(مؤتمر أساقفة باكستان)		١٣١٧
٤٨ - لجنة توافيقنا للحوار المسكوني بين الأديان	برلونيا - إيطاليا		١٢٣٣
٤٩ - المؤتمر الإسلامي اليهودي المسيحي MJCC		١٩٧٤ م	١٣١٤
٥٠ - مؤتمر العالم الإسلامي	كراتشي - باكستان		١٣١٧
٥١ - المؤتمر العالمي للدين والسلام WCRP	جنيف		١٤١٤
٥٢ - المؤتمر الياباني لممثلي الأديان J.C.R.R			١٣٤٦
٥٣ - مؤسسة أديناور	ألمانيا		١٢٨٢
٥٤ - مؤسسة آل البيت	عمّان - الأردن		١١٣٢
٥٥ - مؤسسة آل البيت «مأب» المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية	عمّان - الأردن		١٣٧٦
٥٦ - مؤسسة إسكندنافية للحوار الديني الثلاثي	جوتنبيرغ - السويد		١٢٩٥
٥٧ - مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات	تونس		١٣٨٩
٥٨ - المؤسسة العالمية المتحدة للأديان IRF	نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية		١٠٣٢
٥٩ - مؤسسة جوفاني أنيلي	تورينو - إيطاليا		١٢٣١
٦٠ - مؤسسة روجيه جارودي . المركز الثقافي في القلعة الحرة	قرطبة		٩٢٥
٦١ - المائدة المستديرة بين المسلمين والنصارى اليهود	ديترويت - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٨٦ م	١٣٠٦
٦٢ - المجلس الاستشاري الماليزي لشؤون الأديان	كوالا لمبور - ماليزيا		١٣٤٠
٦٣ - مجلس الصداقة الشعبية العالمية	السودان		١٣٩٢
٦٤ - المجلس العالمي للأديان	نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية		١٠٣٢
٦٥ - مجلس الكنائس البريطاني BCC	المملكة المتحدة	١٩٧٧ م	١٢٠٠
٦٦ - مجلس كنائس الشرق الأوسط MECC		١٩٧٤ م	١٣٥٤
٦٧ - مجمع أديان المسكونة			١١٩٧
٦٨ - مجمع الأديان البنغالي من أجل السلام والعدالة BICDAJ	دكا - بنغلاديش		١٣١٩
٦٩ - المجمع البابوي للحوار بين الأديان	الفاتيكان	١٩٨٨ م	١٠٨٩

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
٧٠ - مجمع السلام بين الأديان	الولايات المتحدة الأمريكية		١٣١٤
٧١ - مجمع سويود العالمي	جاكرتا	١٩٥٧م	١٣٣٨
٧٢ - مجموعات الصداقة الإسلامية المسيحية GAIC & AMIC	فرنسا		١٢٦٦
٧٣ - المجموعة الدراسية للأبحاث الإسلامية	ستراسبورغ - فرنسا		١٢٦٦
٧٤ - مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي CERDIC «معهد القديس بولس»	حريصا - لبنان	١٩٩٥م	١٣٦٧
٧٥ - المركز الإيراني للدراسات الثقافية الدولية C.I.C.S	طهران - إيران		١٣٢٧
٧٦ - مركز التراث العربي المسيحي للتوثيق والبحث والنشر CEDRAC «جامعة القديس يوسف»	بيروت - لبنان	١٩٨٦م	١٣٦٤
٧٧ - مركز التفاهم الإسلامي المسيحي	واشنطن - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٩٣م	١٣٠٨
٧٨ - المركز التونسي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية CERES	الجامعة التونسية - تونس		١٣٨٨
٧٩ - مركز الجبل العالي	فرنسا		١٢٥٤
٨٠ - مركز الحوار	أوغوس - الدنمرك		١٢٩٣
٨١ - مركز الدراسات المسيحية الإسلامية «جامعة البلنند»	البلنند - لبنان	١٩٩٥م	١٣٧٠
٨٢ - مركز البناييع الثقافي	شانتيلي - فرنسا		١٢٥٦
٨٣ - مركز خدمة العلاقات الإسلامية المسيحية SRCM	ستراسبورغ - فرنسا		١٢٦٥
٨٤ - مركز دانكن بلاك ماكديولاند لدراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية	الولايات المتحدة الأمريكية		١٣٠٧
٨٥ - مركز دراسة الإسلام، والعلاقات المسيحية الإسلامية C.S.I.C	برمنجهام - المملكة المتحدة	١٩٧٦م	١٢٠٩
٨٦ - مركز دنسلان للأبحاث	مراوي ستي - القليلين		١٣٤٤
٨٧ - مركز كونيتمتوره للتلاقي الديني	كونيتمتوره - الهند		١٣٢٥
٨٨ - معهد التفاهم	نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية	١٩٦٠م	١٣١٤
٨٩ - معهد الأديان بجامعة كونيهاجن	الدنمرك		١٢٩٤
٩٠ - المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية P.I.S.A.I	الفاتيكان		١٠٩٥

الجمعية	مكانها	تاريخ إنشائها	الصفحة
٩١ - معهد الدراسات الإسلامية المسيحية «جامعة القديس يوسف»	بيروت - لبنان	١٩٧٧م	١٣٦٣
٩٢ - المعهد العالي للدراسات الإسلامية «جمعية المقاصد الخيرية»	بيروت - لبنان	١٩٨١م	١٣٧٣
٩٣ - معهد القديس جبريل اللاهوتي	فيينا - النمسا		١٢٦٨
٩٤ - المعهد الملكي للدراسات الدينية	عمّان - الأردن	١٩٩٤م	١٣٧٨
٩٥ - المعهد الهندي للدراسات الإسلامية	الهند		١٣٢١
٩٦ - معهد تنظور المسكوني للأبحاث اللاهوتية	القدس - فلسطين		١٣٨٥
٩٧ - معهد تورنتو للعلوم الدينية	تورنتو - إيطاليا		١٢٣٢
٩٨ - معهد تولوز الكاثوليكي	تولوز - فرنسا		١٢٥٨
٩٩ - معهد جولو	جولو - الفلبين		١٣٤٤
١٠٠ - معهد دراسة الأديان	أمستردام - هولندا		١٢٩٤
١٠١ - معهد هنري مارتن	حيدر أباد - الهند		١٣٢١
١٠٢ - المنتدى الاستشاري بين الأديان	أندونيسيا	١٩٦٧م	١٣٣٣
١٠٣ - منظمة (سودباكس) SODEPAX			١١٦٤
١٠٤ - منظمة أديان الجزيرة الموحدة	سيريلانكا		١٣٢٦
١٠٥ - المنظمة الدولية للتقدم	روما		١٢٣١
١٠٦ - منظمة: (إيمان وشعوب حية)			١١٧١
١٠٧ - ميدان الفكر العربي	عمّان - الأردن		١٣٧٥
١٠٨ - نادي بالرمو الثقافي المتوسطي	بالرمو - صقلية		١٢٣٠
١٠٩ - الندوة اللبنانية	بيروت - لبنان	١٩٤٦م	١٣٥٠
١١٠ - الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار	بيروت - لبنان		١٣٧٤
١١١ - الوكالة الأسقفية للحوار المسكوني وبين الأديان CEID	دكا - بنجلاديش		١٣١٩
١١٢ - وكالة الكنيسة والإسلام «الاتحاد البروتستانتي الفرنسي»	فرنسا		١٢٦٦

٣ - فهرس الأحاديث

- أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ١٥٦٢
- أتدرون ما يقول؟ قال: السَّامُ عليك ٢١٩
- أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتائب من قبلكم: سمعنا وعصينا ٤٦
- أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب ١٧٧
- إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم ١٧٢
- إذا وقع الذباب في إناء أحدكم ٦٣١
- أريت في المنام أني أنزع يدلُّو بكرة على قلب ٢٤٠
- الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ ٣٥، ٦٤٧
- اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه ١٨٦
- أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة ٢٣٣
- أشعرت يا عائشة أن الله قد أفناني ٢١٧
- اعدد ستاً بين يدي الساعة ٢٣٦
- اعلموا أن الأرض لله ورسوله وأني أريد أن أجليكم ١٤١، ١٥٧٨
- اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ١٥٥، ١٥٩٠
- افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ٤٧
- ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب، افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ٤٧
- أليست نفساً؟ ١٨٤
- أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ١٧١
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ٣٧
- إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة ١٩٩
- إن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة ١٦٠٦
- إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحدٌ عنده ٢٢٣
- أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ٣٦
- إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية ١٥١
- أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ١٨٧

رقم الصفحة

الحديث

- ١٩٨ إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة
- ٣٦ أن يسلم قلبك لله عز وجل
- ٤٠ أنا أغنى الشركاء عن الشرك (حديث قدسي)
- ١٧٣ إنا غادون إلى يهود فلا تبدؤوهم بالسلام
- ٧٠٨ إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة
- ١٠٦٣ ، ٨٦١ ، ٢٦ الأنبياء إخوة من علات، وأمهااتهم شتى، ودينهم واحد
- ٥ إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين (حديث قدسي)
- ١٥٧٨ انطلقوا إلى يهود
- ١٦٨ أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله
- ٢١١ أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟
- بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم.
- ١٥٨٤ ، ٧٣٤ سلامٌ على من اتبع الهدى
- بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً أو تبعية،
- ١٥٦ ومن كل أربعين مسنة
- ٦٤٦ ، ٣٥ بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
- ١٨٥ تصدق صدقة على أهل بيت من اليهود
- ٢٢١ تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر
- ٢٣٣ تقوم الساعة والروم أكثر الناس
- ٢٠٤ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنيه
- ٢١٨ جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي
- ٧٠٥ جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه
- ١٥٧٩ ، ١٨٣ الحمد لله الذي أنقذه من النار
- ٨٩٥ خير أمتي القرن الذين يلوني
- ٨٩٥ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
- ١٨٤ دعوهم فاستقبلوا المشرق. فصلوا صلاتهم
- ٥٥٢ زينوا القرآن بأصواتكم
- ٢٣٦ ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم
- ٢١٣ سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما آخذ يعقوب على بنيه
- ٧١٤ عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل

رقم الصفحة

الحديث

- فأبطل رسول الله ﷺ دمها ٢١٩
- فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ١٧٢
- قاتل الله يهود حرّمت عليهم الشحوم ٥٨
- كانت اليهود تعاطس عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لها: يرحمكم الله ١٨٨
- كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار ١٥٨٣
- كذب، قد علم أنني من أتقاهم لله وأداهم للأمانة ٢١٨، ١٨٧
- لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلماً ١٧٦
- لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام ١٧٣
- لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون ٢٢١، ٦٢٥
- لا يترك بجزيرة العرب دينان ١٧٦
- لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ٢٣٤
- لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ٦٦٢
- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٦٩١
- لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع ٤٥
- لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ١٤٧، ١٤٩٣
- لو آمن بي عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض ٢١٠، ٢٢٢
- لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن بي اليهود ٢١٠
- ما أدري أنا بفتح خبير أفرح أم بقدوم جعفر ٢٢٦
- ما أنا عليه وأصحابي ٨٨٠
- مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة ٢٢٦
- ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت ١٨٣
- ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه ١٥٦٢
- ما لكم أمسكتكم؟ قال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ٢١٠
- مثلكم ومثل أهل الكتابين، كمثل رجل استأجر أجراً ٤٥، ٤٦
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ٤٠
- من تشبه بقوم فهو منهم ١٦٩
- من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ٤٠
- من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ١٧٩
- من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله ٢١٨

الحديث	رقم الصفحة
نقركم بها على ذلك ما شئنا	١٧٧
نقركم ما أقركم الله	١٧٧
نهى ﷺ أن يُوردَ المُمرض على المُصحح	١٠٢٣
هذا أوان ذهاب العلم	٤٦
وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه	٧٠٥
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة - ٢٨ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٦٥٦ ،	
١٤٣٦ ، ١٤٢٦ ، ١٠٦٣	
والذي نفس محمد بيده! لو بدا لكم موسى، فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم	
عن سواء السبيل	٨٩٥ ، ١٧٢
والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً	٨٥
وهدة تكون بينكم وبين بني الأصفر، ليجمعون لكم تسعة أشهر	٢٣٧
يا معشر اليهود: أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأني	
محمدًا رسول الله	١٥٧٨ ، ٢١١
يا معشر يهود أسلموا تسلموا	١٥٧٨ ، ١٧٦
اليهود مغضوبٌ عليهم والنصارى ضالون	٦٤٢

٤ - فهرس الآثار

الأثر	رقم الصفحة
أن من سأل عن مواضع الفيء، فهو ما حكم فيه (عمر بن الخطاب)	٧٠٥
أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه (ابن عباس)	٢٠٩
إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا (علي بن أبي طالب)	١٨٠
أوصيكم بذمة الله، فإنهم ذمة نبيكم (عمر بن الخطاب)	٧٠٥
رغب عن ملته اليهود والنصارى (قتادة)	١٤٢٨
فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل	١٨٦
قالوا: فينا والله وفيهم؛ يعني في الأنصار وفي اليهود الذي كانوا جيرانهم	٢٠٨
كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك (عمر بن عبد العزيز) ...	٢٥٢
لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول: إن ربها عيسى (ابن عمر)	٦٩٤
وأوصيه بأهل ذمة المسلمين خيراً، أن يوفي لهم بعدهم (عمر بن الخطاب)	١٨٠
يا أعداء الله: تطعموني السحت، والله لقد جئتكم من أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير (عبد الله بن رواحة)	٦٩٧
يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء (ابن عباس)	٦٧١
يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد (معاذ بن جبل وبشر بن البراء)	٢٠٩
يا معشر يهود، والله إنكم أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي أن أحيف عليكم (عبد الله بن رواحة)	٦٩٧

٥ - فهرس الأعلام

المترجم لهم في الحواشي

أحمد محرم: ٨٢١	آرثر جيمس: بلفور: ١٣٨٤
الإدريسي: ٨٨٣	إبراهيم باشا: ٣١٥
أديناور: ١٢٨٢	إبراهيم يتسحاق كوك: ٥٩٥
أرسطوطاليس: ٢٦٥	أبو أيوب الأنصاري: ٢٤٥
أرنولد: سير أرنولد تالبوث ويلسون: ٨٠٥	أبو بصرة: حُمَيْل وقيل جُمَيْل بن بصرة بن وقاص: ١٧٣
أسامة بن زيد: ٢٤٠	أبو بكر الأجري: ٢٥٢
إسرائيل شاحاك: ٥٨٤	أبو الحسن الأشعري: ٨٧٤
إسكندر الخوري: ٧٩٥	أبو حنيفة: النعمان بن ثابت: ١٧٥
إسماعيل صبري باشا: ٨٢٠	أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي: ٤٧
أم سلمة: ٢٢٣	أبو ذر الغفاري: ١٦٨
أندروس توريس كيروجا: ٩٩٥	أبو سعيد الخدري: ٤٥
أنس بن مالك: ٢١٠	أبو عبيد القاسم بن سلام: ١٨٥
أنلسمو تيتيان سانون: ٩٨١	أبو نملة الأنصاري: ١٧٢
أنطونيو بينيرو ساينت: ١٠٠٩	أبو هريرة: ٢٨
أنطونيو كاسترو ثافر: ٩٦١	أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري صاحب أبي حنيفة: ١٨١
ابن إسحاق: ١٨٤	أبو عبيدة بن الجراح: ١٥٧
ابن الأثير: علي بن محمد: ٢٨٢	أحمد بن حنبل: ٤٦
ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد: ٧٠٣	أحمد حسين ديدات: ٢٠٠
ابن الجوزي: ٣٧٧	أحمد زيني دحلان: ٣٠٦
ابن باجه: ٩٢٦	أحمد شوقي: ٨٢١
ابن باديس: ٨٨٤	أحمد لطفى السيد: ٥٥٥
ابن تيمية: ٢٦	
ابن حجر: ٢١٦	

- ابن حزم: ١٨٠
ابن خلدون: ٨٨٤
ابن رشد: ٩٢٦
ابن سبعين: ٣٧٦
ابن سيده: ١٥٥٨
ابن سينا: ٨٧٦
ابن الطفيل: ٩٢٦
ابن عباس: ٤٤
ابن عربي: ٣٣٩
ابن العلقمي الرافضي: ٣٥٧
ابن الفارض الحموي المصري: ٣٨٤
ابن القيم: ١١٩
ابن قدامة: عبد الرحمن بن محمد: ١٨٠
ابن قدامة: عبد الله بن أحمد: ١٨٠
ابن كثير: ٥٠
ابن ماجه: ٧٠٤
ابن مردويه: ٢١٦
ابن مسرة القرطبي: ٨٨٠
ابن مسعود: ٢١٠
ابن الهيثم: ٨٨٣
إسماعيل الصفوي: ٣١٠
البابا شنودة الثالث: ٥٤٥
باشلار غاستون: ٩٢٢
باولو ماريللا: ١٠٩٠
البخاري أبو عبد الله: ٤٥
بخت نصر: ٦١
برنارد لويس: ٢٤٧
برهان الدين البقاعي: ٣٨٤
بشر بن البراء: ٢٠٩
البشير الإبراهيمي: ٨٤٢
- بطرس البستاني: ٣٩١
بطرس غالي باشا: ٥٤٢
بكر بن عبد الله أبو زيد: ١٤٦٨
بول خوري: ٩٦٨
بييرس البندقداري: ٢٨٧
البيهقي: ٦٩٦
بيير كلافري: ٩٥٩
الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة: ٧٠٤
تشوانغ تسو: ٩٢٣
تورنس كويلو: ٩٧٩
توما الإكويني: ٣٧٠
تيمورلنك: ٣٠٠
جابر بن عبد الله: ١٧١
جان جادوت: ١٠٩٢
جبران خليل جبران: ٣٤٠
جعفر بن أبي طالب: ٢٢٤
جلال الدين الرومي: ٣٨٨
جواد نوربخش: ١٠١٥
جورج قناتوي: ٩٦٢
جوسيت جيان غوينول: ٩٦٦
جولدتسيهر: ٣٨٥
الجوهري: إسماعيل بن حماد: ١٦٤
حسن بن عبد الله الترابي: ٧٣٢
حسن خالد: ٥٧٥
الحسين بن منصور الحلاج: ٣٧٥
حسين علي المازندراني: ٣٩٥
حليم بن إبراهيم دقوس: ٧٩٥
خابيير بيكازا إيرونندو: ١٠١٤
الخالصي الإمامي: ١١٠٠

سعد زغلول: ٥٤٢
 سعد غراب: ٦٦١
 السعدي: عبد الرحمن ناصر: ٥٠
 سعود المولى: ٧٠٢
 سعيد بن المسيب: ١٨٥
 سعيد بن منصور بن كمونة اليهودي:
 ٣٥٧
 السلطان الأشرف خليل: ٢٨٨
 السلطان منصور قلاوون: ٢٨٧
 سلمان الفارسي: ٢٠٣
 سليمان بن عبد الملك: ٢٤٢
 سليمان بن يسار: ٦٩٧
 السموأل بن يحيى: ٦٠
 سميح محمود دغيم: ٩٩١
 سمير خليل: ١٣٦٥
 سمير خوري: ١٠١١
 سهل بن حنيف: ١٨٣
 السيد أحمد خان: ٦٨٠
 سيرجيو بينيدولي: ١٠٩٠
 سيريل سليم بطرس: ١٠٠٢
 سيفريد فون ثيميل: ٩٦٥
 سيف الدولة الحمداني: ٢٥٨
 الشافعي: ١٧٥
 الشريف حسين بن علي: ٣١٨
 شريف عبد الرحمن جاء: ٩٨٦
 شعبة بن الحجاج: ٤٧
 شكري القوتلي: ١٠٤٢
 شلومو أفينر: ٥٩٧
 الشنقيطي: ١٥٦١
 الشوكاني: ١٥٤٧

الخدوي عباس الثاني: ٦٨٨
 الخطابي: ١٥٨٤
 الخطيب البغدادي: ٧٥٢
 الخوارزمي: ٨٨٣
 خورمان أنكوتشيا: ٩٩٠
 خوسيه إغناثيو غونثالث فاوس: ١٠٠٥
 خيسوس آييلينودي لايندا: ٩٨٨
 خيسوس رامون إتغشاري: ٩٩٧
 خيسوس سألز مارتينيث: ١٠٠٠
 الدارمي: ٧٠٤
 دحية بن خليفة بن فضالة الكلبي: ٢٢٨
 دستوفسكي: ٩٢٣
 الذهبي: ٦٩٧
 ذي النون المصري: ٨٨١
 ذي مخبر: ٢٣٦
 ر. ١. نيكلسون: ٣٨٥
 الراضي بالله: ٢٦٥
 الراغب الأصفهاني: ١٥٥٧
 رامون لول: ٣٧١
 رايمنونو بانيكار: ٩٥٧
 الربيع بن أنس: ٤٨
 رحمت الله الهندي: ١٦١٧
 رشيد سليم الخوري: ٧٩٤
 رضوان السيد: ٥٧٥
 رفائيل إيستبان بيراستيغي: ٩٥٨
 الزمخشري: ٨٩٢
 الزهري: ٦٩٧
 زياد بن ليلى: ٤٦
 سارتر (جان بول): ٨٧٢
 السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن: ٤٥

عز الدين القسام: ٣١٩
 عزرا: ٦١
 عكرمة مولى ابن عباس: ١٥٧
 علي بن عبد العزيز الجرجاني: ١٠٦٧
 علي بن محمد الشيرازي: ٣٩٥
 عماد الدين زنكي: ٢٧٣
 عمر بن عبد العزيز: ٢٤٣
 عمر بن قتادة الأنصاري: ٢٠٨
 عمرو بن أمية الضمري: ٢١٧
 عمرو بن العاص: ٢٢٤
 عمرو بن عبسة: ٣٦
 عوف بن مالك: ٢١١
 غازان: محمود بن أرغون أحد ملوك
 التتر: ١٨١
 غبريال عبود أوزون: ٩٦٧
 الغزالي: محمد محمد: ٣٩٠
 فؤاد طوال: ١٣٨٧
 الفارابي: ١٠١٦
 فخر الدين المعني: ٣١٠
 الفخر الرازي: ١٩٥
 الفراء: ١٥٥٨
 فرانسيس آرينزي: ١٠٩٢
 الفضل شلق: ٧٤٠
 فولتير: ٣٧٣
 فيديريكو بيروني: ٩٦٢
 الفيروزآبادي: ٥١٩
 فيلون اليهودي: ٨٨١
 قتادة بن دعامة السدوسي: ٤٥
 القرافي، أبو العباس: ١٨٨
 القرطبي: ٧١٣

صبحي الصالح: ٧٥٠
 صفية بنت حيي: ٢١٢
 صلاح الدين الأيوبي: ٢٧٧
 طارق متري: ٤٥٧
 الطباطبائي: ٦٧٧
 طه حسين: ٥٥٦
 عادل تيودور خوري: ١٣٦٧
 عباس عبد البهاء: ٣٩٧
 عبد الأحد داود: ١٩٦
 عبد الحليم محمود: ١١١٢
 عبد الحميد الثاني: ٣١٧
 عبد الرحمن الغافقي: ٢٣٩
 عبد الرحمن بن أبي ليلى: ١٨٣
 عبد الرحمن بن غنم: ١٦٠
 عبد الرحمن شريف شيرغي: ٩٦٠
 عبد الرزاق بن همام الصنعاني: ٢١٦
 عبد العزيز بن عبد الله بن باز: ١٤٢٤
 عبد القادر الجزائري: ٨٤٣
 عبد القاهر البغدادي: ٣٩٠
 عبد الكريم الجيلي: ٣٨٨
 عبد الله ابن الإمام أحمد: ١٦٠
 عبد الله بن سلام: ٢١٠
 عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٣٥
 عبد الله بن عمرو بن العاص: ٣٦
 عبد الله بن هارون الرشيد: ٢٥٥
 عبد المؤمن بن علي القيسي: ٢٩٠
 عبد الوهاب بوحدية: ٩٦٤
 عبد بن حميد: ٢١٦
 عبده سلام: ٦٩٠
 عرابي باشا: ٣١٦

محمد عمارة: ٦٤٧
 محمد محمد حسين: ٣٣٤
 محمد مصطفى المراغي: ١٠٧٥
 محمد مهدي شمس الدين: ٣٣٨
 محمد بن هارون الرشيد: ٢٥٥
 محمود أبو رية: ٦٤٣
 محمود بن سبكتكين: ٢٦١
 محمود شكري الألوسي: ٥٠٠
 محمود محمد شاكر: ٢٩
 المستعين بالله العباسي: ٢٥٦
 المستورد القرشي: ٢٣٣
 مسلم بن الحجاج: ٢٣٣
 مسلمة بن عبد الملك: ٢٤٥
 مشير باسيل عون: ١٣٦٨
 مصطفى كامل باشا: ٥٤٢
 مصطفى كمال: ٣٢٠
 معاذ بن جبل: ١٥٦
 معاوية بن أبي سفيان: ٤٧
 معروف الرصافي: ٨٢٢
 المعتمد على الله: ٢٥٧
 الملك الصالح أيوب: ٢٨٦
 الملك العادل = محمد بن أيوب بن شادي
 الملك العادل = نور الدين محمود زنكي
 الملك الكامل الأيوبي: ٢٨٤
 الملك المعظم: توران شاه: ٢٨٥
 الملك المغولي الإمبراطور أكبر: ٣٥٣
 الملك الناصر = صلاح الدين الأيوبي
 مناحم كاشر: ٥٩٧

كالفن: ١٠٢٦
 كرومر أفلين بارينغ: ٦٨٧
 كيركجارد: ٩١١
 لويس عوض: ٥٥٦
 لويس ماسينيون: ٣٧٥
 الماراني الشافعي: ٢٧٩
 مارتن لوثر: ٣٧٢
 ماركس: ٨٥٣
 ماريّا تسكانو: ٩٩٠
 مالك بن أنس: ٨٧٩
 الماوردي: ١٥٨
 المتوكل على الله: ١٦٦
 مجاهد بن جبر: ٤٥
 محمد أبو زهرة: ١٠٦
 محمد أركون: ٧٦٤
 محمد الحسن: ٣٥٧
 محمد الطالبي: ٦٥٧
 محمد الناصر: ٢٩٢
 محمد بن أيوب بن شادي: ٢٨٣
 محمد بن جرير الطبري: ٤٣
 محمد بن جعفر بن الزبير: ١٨٤
 محمد بن صالح العثيمين: ٣١
 محمد بن صفدر: ٣٩٨
 محمد بن عبد الوهاب: ٣٠٩
 محمد بن بهجة البيطار: ١٠٨٠
 محمد حسين فضل الله: ٦٣٨
 محمد رشيد رضا: ٤٠٢
 محمد عبده: ٤٠٠
 محمد علي الحركان: ١١١٤
 محمد علي باشا: ٣١٤

- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| هارون الرشيد: ١٨٢ | المنتصر العباسي: ٢٥٦ |
| هشام بن عبد الملك: ٢٣٩ | المهدي العباسي: ٢٥٤ |
| هنري تيسير: ٩٥٥ | المهلب بن أحمد الأندلسي: ١٥٨١ |
| هولاكو: ٢٩٦ | موريس بورمانس: ٣٧٦ |
| الوليد بن عبد الملك: ٢٤٢ | موريس بوكاي: ٦٢ |
| يعقوب بن عبد الحق المريني: ٢٩٣ | موسى بن عقبة: ٢٢٠ |
| يعقوب بن يوسف الموحد: ٢٩١ | موسى بن ميمون: ٥٩٨ |
| يهوذا الإسخريوطي: ١٣٣ | موسى بن نصير: ٢٤٦ |
| يوحنا الدمشقي: ٣٦٥ | الميرزا حسين علي المازدراني: ٣٩٥ |
| يوسف بن أيوب بن شادي = | ميشال المغربي: ٧٩٥ |
| صلاح الدين الأيوبي | ميغيل كروت إيرناندث: ٩٨٢ |
| يوسف الحسن: ٦٧٤ | ميلاد حنا: ٥٤٩ |
| يوسف بن تاشفين: ٢٨٩ | نابليون بوناپرت: ٣١٢ |
| يوسف بن عبد المؤمن: ٢٩١ | نور الدين ريسوني: ١٠١٧ |
| يونس إمره: ١١٣١ | نور الدين محمود زنكي: ٢٧٥ |
| | هارولد فيش: ٥٩٧ |

٦ - فهرس الفرق والطوائف المعترف بها

الصوفية (الغلاة): ٣٨٣	الإثنية: ٧٩٨
الطاوية: ٩٢٣	إخوان الصفا: ٣٩١
الغنوسية: ٩٤	الأدفتست: ١٠٢٥
كونفوشية: ١٣١٥	الأرثوذكسية: ٤٦٣
الليبرالية: ٥٩٢	الأريوسية: ١٢٥
الماسونية: ٣٥٩	الأسكيناز: ٦٢٦
المعتزلة: ١٤٥١	الإنجليكانية: ٤٦٣
الملكية: ٤٢٢	الإنجليون النصارى: ٦٢٤
المورمون: ١٠٢٥	الباطنية: ٣٩٠
المتوديون: ٧٨٦	البكتاشية: ١١٣١
النسطورية: ٤٢٢	البهائية: ٣٩٥
النصرانية: ٨٣	الدوغماتية: ٨٧٦
اليقونية: ٤٢٢	الشتوية: ١٠٦٠
اليهودية: ٥٥	شهود يهوه: ١٠٢٥

٧ - فهرس المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ١ - أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ٢ - أبحاث في الفكر اليهودي: د. حسن ظاظا، دار القلم - دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣ - الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ٤ - أحكام أهل الذمة: ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.
- ٥ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تخريج وتعليق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب، بيروت.
- ٦ - الإخاء الديني.. ومجمع الأديان وموقف الإسلام: محمد البهي، دار العاصمة، الرياض.
- ٧ - أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته: الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٨ - الأديان الحية: نشوؤها وتطورها: أديب صعب، دار النهار، بيروت.
- ٩ - أوروبا والإسلام: عبد الحليم محمود. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ١٠ - الإسلام: روجيه جارودي، ترجمة: وجيه أسعد، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م.
- ١١ - الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر، روجيه جارودي، ترجمة: د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- ١٢ - الإسلام والغرب: برنارد لويس، دار الرشيد - دمشق - بيروت، مؤسسة الإيمان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٣ - الإسلام والغرب: مع د. يوسف القرضاوي، حسن علي دَبَا، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٤ - الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم: أليكسي جورافسكي، ترجمة: د. خلف محمد الجراد، مراجعة: أ.د: محمود حمدي زقزوق، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت طبعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٥ - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده، مطبعة المنار، القاهرة - مصر.
- ١٦ - الإسلام والوحدة القومية: د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- ١٧ - الإصغاء إلى كلمة الله في المسيحية والإسلام: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم (٥)، اندراوس بشته، وعادل تيودور خوري، وآخرون، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، جونيه - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٨ - أصول الأصوليات والتعصبات السلفية: روجيه جارودي، مكتبة الشروق، القاهرة، طبعة يناير ١٩٩٦م.
- ١٩ - الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الرب والأرض: إيان لوستك، ترجمة: حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- ٢٠ - أطلس العالم: مجموعة من المتخصصين - مكتبة لبنان - بيروت، طبعة: ١٤١٧هـ.
- ٢١ - إظهار الحق: الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٢٢ - الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.
- ٢٣ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني: د. محمد عمارة، القاهرة، ١٩٦٨م.

- ٢٤ - الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود: غازي السعدي، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ٢٥ - إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق وتعليق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - مكتبة الخاني - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٦ - إفحام اليهود: وقصة إسلام السماأل ورؤياه النبي ﷺ: السماأل بن يحيى المغربي، تحقيق وتعليق: د. محمد بن عبد الله الشرقاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ٢٧ - الأقباط في مصر في العصر العثماني: د. محمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، طبعة ١٩٩٢م.
- ٢٨ - الأقباط في وطن متغير: د. غالي شكري، دار الشروق، القاهرة - مصر، طبعة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٩ - الأقباط والقومية العربية: أبو سيف يوسف، مركز دراسات الوحدة العربية.
- ٣٠ - الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة: آلامها: آمالها: أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ - ٢٧ يناير ١٩٨٦م، إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، شركة العيكان للطباعة والنشر، الرياض.
- ٣١ - الإمام محمد عبده: جدلية العقل والنهضة: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٢ - إنجيل برنابا: ترجمة: د. خليل سعادة، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٣ - أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه: د. علي بن نفيح العلياني، دار طيبة، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٣٤ - أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- ٣٥ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٣٦ - الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء: إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت - لبنان، الطبعة العربية الرابعة ١٩٩٥م.
- ٣٧ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٨ - بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي - طرابلس: إعداد ونشر: المكتب الشعبي للاتصال الخارجي الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، تنفيذ: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس - ليبيا.
- ٣٩ - البداية والنهاية: ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، مكتبة المعارف - بيروت، مكتبة النصر - الرياض، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
- ٤٠ - بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة وتقديم: د. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٤١ - بلاط الشهداء: شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤٢ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألوسي، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجة الأثري، المكتبة الأهلية - مصر، الطبعة الثانية ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.
- ٤٣ - بلوغ المرام من أدلة الأحكام: ابن حجر، أحمد بن علي، العسقلاني، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٤ - البيان الختامي لمؤتمر الأديان في السودان (٧ صفحات)، ٣٠ أبريل عام ١٩٩٣م.
- ٤٥ - البيان الختامي لمؤتمر الحوار بين الأديان سلام للجميع ١٩٩٤م.
- ٤٦ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة. نصوص مختارة: جمع: جوليت حداد، إشراف: الأب أوغسطين دوبره لاتور، د. هشام نشابة، جامعة القديس يوسف، بيروت، معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

- ٤٧ - تأصيل اليقظة، وترشيد الصحوه: أنور الجندي، دار الاعتصام.
- ٤٨ - تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.
- ٤٩ - تاريخ الحركة المسكونية: الأب: روبر كليمان اليسوعي، ترجمة الأب: صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- ٥٠ - تاريخ الكنيسة: جون لوريمر، ترجمة فهم عزيز، دار الثقافة، القاهرة، طبعة ١٩٨٢م.
- ٥١ - تاريخ الكنيسة الشرقية، وأهم أحداث الكنيسة الغربية: المطران ميشيل يستيم، الأرشمندريت اغناطيوس ديك، معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، حريصا، المكتبة البولسية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩١م.
- ٥٢ - تاريخ الكنيسة المسيحية: أفغراف سميرنوف، تعريب: الكسندروس جحا، مطرانية الروم الأرثوذكس بحمص - سوريا، طبعة ١٩٦٤م.
- ٥٣ - التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية. وطأة ثلاثة آلاف سنة: إسرائيل شاحاك، ترجمة: صالح علي سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ٥٤ - تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، دار الجيل - بيروت.
- ٥٥ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: مصطفى الخالدي، عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ٥٦ - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٥٧ - تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: د. أحمد بن عبد الله الزهراني، د. حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، مكتبة دار طيبة، مكتبة دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٥٨ - التفسير الكبير: الفخر الرازي، محمد بن عمر، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- ٥٩ - التلمود. تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٠ - تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي: برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، طبعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٦١ - تنصير العالم: (مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني)، د. زينب عبد العزيز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٦٢ - التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي: ترجمة كتاب: الإنجيل والإسلام، إعداد: دون ماكري، نشر دار مارك MARC الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
- ٦٣ - تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، طبعة ١٩٧٥م.
- ٦٤ - توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين: الأب: مورييس بورمانس، أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين، ترجمة: المطران يوحنا منصور، المكتبة البولسية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
- ٦٥ - التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام: د. محمد الشاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٦٦ - التوراة. تاريخها وغاياتها: ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٦٧ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة السعيدية، الرياض - السعودية، مطابع الدجوي - القاهرة طبعة عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٦٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٦٩ - الجامع الصغير من حديث البشير النذير: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحلبوني، دمشق.
- ٧٠ - جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للمكتبات (دار الكتاب العالمي) بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- ٧١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية: أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. علي بن حسن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٧٢ - الحساسية الدينية: جمال البناء، الزهراء للإعلام العربي.
- ٧٣ - الحضور المسيحي في الشرق. شهادة ورسالة: مجلس بطارقة الشرق الكاثوليك، المطبعة البولسية، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- ٧٤ - حقيقة البابية والبهائية: د. محسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٧٥ - الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتحديات: د. يوسف الحسن، المجمع الثقافي - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ٧٦ - الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة: د. سعود المولى، دار المنهل اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٧٧ - الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي: د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٨ - حوارٌ وبشارة: تأملاتٌ وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل، المجمع البابوي للحوار بين الأديان، تعريب دائرة الترجمة في المكتبة البولسية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- ٧٩ - خطبة الحاجة: الألباني، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.
- ٨٠ - الخطر اليهودي. بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٦١م.
- ٨١ - خلق أفعال العباد: البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- ٨٢ - الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق: إعداد د. محمد حسن الحمصي، دار الرشيد، دمشق - بيروت، مؤسسة الإيمان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٨٣ - دورٌ ورؤية: جامعة البلمند - مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، المطبعة الكاثوليكية، عاريا - لبنان، طبعة ١٩٩٦م.

- ٨٤ - دين الله واحد: محمود أبو رية، عالم الكتب.
- ٨٥ - رسالة إلى البابا والفاتيكان ذي الألف وجه: د. عبد الودود شلبي، المختار الإسلامي، القاهرة.
- ٨٦ - رسالة القادي: البابا يوحنا بولس الثاني، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، جل الديب - لبنان، صدرت في روما ١٩٩٠م.
- ٨٧ - روجيه جارودي، من الإلحاد إلى الإيمان، لقاءات ومحاضرات: إعداد: رامي كلاًوي، دار قتيبة، بيروت - دمشق، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٨٨ - روجيه جارودي، والمشكلة الدينية: محسن الميلي، تقديم: روجيه جارودي، دار قتيبة، بيروت - دمشق، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٨٩ - زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٩٠ - الزلافة: شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٩١ - سلامٌ للبشر: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون رقم (٣)، أندراوس بشته، وعادل تيودور خوري، وآخرون، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، جونبة - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ٩٢ - سلسلة تقارير المعلومات، مركز المعلومات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت: تاريخ: ١٩٨٧/٢/٥م موضوع: تساؤل حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية، رقم مسلسل (٨٧/١٤) تاريخ: ١٩٨٧/٧/٢١م. موضوع: اللقاء الإبراهيمي لجارودي.
- ٩٣ - سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.
- ٩٤ - سنن ابن ماجه: ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

- ٩٥ - سنن النسائي: النسائي، أحمد بن شعيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٩٦ - السيرة النبوية: ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة - بيروت، طبعة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٩٧ - السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ٩٨ - سيرة النبي ﷺ: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- ٩٩ - شالوم/السلام، أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية: الحاخام: جاري م. بریتون جرانثور، والحاخام أندريا ل. ويس. ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تعليق: أحمد علي الكردي، تقديم: فتحي محمد حجازي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية - مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ١٠٠ - الشخصية الإسرائيلية: د. حسن ظاظا، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٠١ - الشعوب الإسلامية: د. عبد العزيز سليمان نوار دار النهضة العربية، بيروت، طبعة عام ١٩٧٣م.
- ١٠٢ - الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل: سمير أبو حمدان، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٠٣ - الصحاح: الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٠٤ - صحوة الرجل المريض: د. موفق بني المرجة، دار البيارق - بيروت، الطبعة الثامنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٠٥ - صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل المكتب الإسلامي، استانبول، طبعة ١٩٧٩م.
- ١٠٦ - صحيح الترمذي: بشرح الإمام بن العربي المالكي، الترمذي، أبو عيسى، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٠٧ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- ١٠٨ - صرخة حق من ألمانيا: سامي عادل طيارة أوسنابروك - ألمانيا D 4500 Osnabruck جمهورية ألمانيا الاتحادية، بحث من محفوظات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية رقم (٢١٠٢٢).
- ١٠٩ - صلة الإسلام بإصلاح المسيحية: أمين الخولي، من سلسلة الأعمال الكاملة رقم (٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.
- ١١٠ - الصوفية في الإسلام: د. ر. ا. نيكلسون، ترجمة وتعليق: نور الدين شريه، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، طبعة ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.
- ١١١ - العثمانيون في التاريخ والحضارة: د. محمد حرب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ١١٢ - العدل في المسيحية والإسلام: من سلسلة: المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون ١. عادل تيودور خوري، ومشير باسيل عون، وآخرون، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، جونبة - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ١١٣ - العرب النصارى: حسين العودات، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- ١١٤ - التعريفات: الجرجاني علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١١٥ - العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١١٦ - العصريون، معتزلة اليوم: يوسف كمال، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - مصر، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١١٧ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد بن طاهر التنير البيروتي، تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار عمران - بيروت، مكتبة الزهراء - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١١٨ - عقيدة التوحيد في العالم المعاصر: الكاردينال: فرنسيس كوينج، ترجمة: د. محمد محمود غالي، مراجعة: محمد علوي عبد الهادي، جامعة الأزهر، الموسم الثقافي لعام ١٣٨٤هـ - ١٣٨٥هـ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٦م.
- ١١٩ - العلاقات الإسلامية - المسيحية، قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل: مجموعة من المفكرين، المشرف على المشروع: سمير سليمان، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

- ١٢٠ - العلاقات الاجتماعية الدينية في المجتمع المصري المعاصر، د. عبد الوهاب إبراهيم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- ١٢١ - عهد (الندوة اللبنانية) خمسون سنة من المحاضرة، دار النهار - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٢٢ - العهد الجديد: دار المشرق - بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق - بيروت، الطبعة الثالثة.
- ١٢٣ - العهد القديم: دار المشرق - بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.
- ١٢٤ - العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط، مفاهيم عصر قادم: سيار الجميل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٢٥ - غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، أبو هلال الأندونيسي، دار الشروق - جدة، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٢٦ - غوش إيمونيم، الوجه الحقيقي للصهيونية: داني روبنشتاين، ترجمة: غازي السعدي، دار الجليل للنشر - عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ١٢٧ - غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ١٢٨ - فتح الباري، شرح صحيح البخاري: ابن حجر، شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية.
- ١٢٩ - فتح صقلية: شوقي أبو خليل دار الفكر - دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٣٠ - الفتوحات الإسلامية: دحلان، أحمد زيني، مطبعة السعادة - مصر، طبعة ١٣٣٠هـ.
- ١٣١ - الفرق بين الفرق: عبد القادر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٣٢ - الفروق: القرافي، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، دار المعرفة، بيروت.
- ١٣٣ - الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم: غازي التوبة، دار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

- ١٣٤ - الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه: د. حسن ظاظا، دار القلم - دمشق، دار العلوم والثقافة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٣٥ - فلسطين أرض الرسالات الإلهية: روجيه جارودي، ترجمة وتعليق وتقديم: د. عبد الصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، طبعة ١٩٨٦م.
- ١٣٦ - في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي: آية الله السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٣٧ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ١٣٨ - القرآن دعوة نصرانية: الأب: يوسف درة الحداد.
- ١٣٩ - القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د. موريس بوكاي، ترجمة: قسم الترجمة بالدار، مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ١٤٠ - القرآن والكتاب: الأب: يوسف درة الحداد.
- ١٤١ - كتاب الأموال: أبو عبيد، القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٤٢ - كتاب الخراج: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ.
- ١٤٣ - كتاب الرد على المنطقيين: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٤٤ - الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى: القس: ويسلي أرياراجا، تعريب: الخوري بولس الصباح، المكتبة البولسية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ١٤٥ - الكتب المقدسة: العهد العتيق، والعهد الجديد، جمعية ترقية المعارف المسيحية: طبعها وليم واطس، لندن، ١٨٥٧م، مكتبة السائح طرابلس - لبنان، ١٩٨٣م.
- ١٤٦ - كلمة اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحوار بين الأديان: د. مصطفى عثمان إسماعيل.
- ١٤٧ - الكنز المرصود في قواعد التلمود: ترجمة كتابي: اليهودي على حسب التلمود د. روهنج، تاريخ سوريا لسنة ١٨٤٠م، شارل لوران، ترجمة: د. يوسف نصر الله، دار القلم - دمشق، دار العلوم - بيروت، طبعة دار القلم الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- ١٤٨ - لسان العرب: ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم الأنصاري، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- ١٤٩ - مؤتمر الأديان في السودان: تحقيق: في (٧ صفحات) صادر عن قسم التحقيقات بوكالة السودان للأنباء.
- ١٥٠ - مؤتمر الأديان في السودان ١٩٩٣م، تحقيق صادر عن: قسم التحقيقات بوكالة السودان للأنباء.
- ١٥١ - المؤتمر الدولي الأول للمسلمين الأوروبيين: ١٩ - ٢١ يوليو ١٩٨٥م.
- ١٥٢ - الماسونية تحت المجهر: د. إبراهيم فؤاد عباس، دار الرشاد - جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٥٣ - ماهية الحروب الصليبية: د. قاسم عبدة قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، طبعة ١٩٩٣م.
- ١٥٤ - المجمع الفاتيكاني الثاني دساتير - قرارات - بيانات، ترجمة الأب حنا فاخوري - معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت حريصا، المكتبة البولسية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- ١٥٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، وابنه محمد، الطبعة الأولى - صورة ١٣٩٨هـ.
- ١٥٦ - محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ.
- ١٥٧ - محمد في الكتاب المقدس: عبد الأحد داود، ترجمة: فهمي شما، مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٥٨ - مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي: الأب يوسف درة الحداد.
- ١٥٩ - مراتب الإجماع: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٦٠ - المستدرك على الصحيحين: الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٦١ - المسلمون في ألمانيا أصولاً وهجرات: مصطفى دسوقي كسبه، مجمع البحوث الإسلامية - مجلة الأزهر، طبعة جمادى الآخرة عام ١٤١٨هـ القاهرة.

- ١٦٢ - المسلمون في أمريكا: إيفون يزيك حداد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، طبعت لأول مرة بالإنجليزية بمطابع جامعة أكسفورد عام ١٩٩١م.
- ١٦٣ - المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية: طارق البشري، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٦٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني تحقيق: أبو عاصم، حسن بن عباس بن قطب وآخرون، مؤسسة قرطبة - القاهرة، مكتبة الخراز - جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٦٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: ابن حنبل، أحمد بن محمد، الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٦٦ - المسيحية في العالم العربي: الحسن بن طلال، المعهد الملكي للدراسات الدينية، مكتبة عمان - عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ١٦٧ - المسيحية والإسلام، مرايا متقابلة: مجموعة من المؤلفين، مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، جامعة البلمند، الطبعة الكاثوليكية، عاريا - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٦٨ - المسيحيون العرب، دراسات ومناقشات: تحرير: إلياس الخوري، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت - لبنان.
- ١٦٩ - المسيحيون في لبنان والمشرق (رؤى مستقبلية): الأباتي: بولس نعمان، د. كمال الصليبي، د. فريد الخازن، دير سيدة النصر، نسيبة - غوسطا - لبنان، طبعة ١٩٩٦م.
- ١٧٠ - المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي: فيليب فارغ، ويوسف كريباج، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ١٧١ - معاً أمام الله، في سبيل الإنسان والمجتمع: مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، نشر الأمانة العامة - بركي - لبنان، طبعة ١٩٩٥م.
- ١٧٢ - مفاهيم معاصرة في ضوء الإسلام، د. محمد هلال، دار البشير - عمان الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٧٣ - مقارنة لاهوتية من خلال الحوار بين الأديان (إيمان جاري وإيماني): مجلس الكنائس العالمي - قسم الحوار مع الأديان الحية، ترجمة: طارق متري، نشر: مجلس كنائس الشرق الأوسط - بيروت - لبنان، طبعة ١٩٨٨م.

- ١٧٤ - المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف: موفق الدين ابن قدامة، وشمس الدين ابن قدامة، وعلاء الدين المرداوي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٧٥ - الملتقى الإسلامي المسيحي (الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو): الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة الدراسات الإسلامية ٥ (١٩٧٦م)، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- ١٧٦ - الملل المعاصرة في الدين اليهودي: د. إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة هبة - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٧٧ - الملل والنحل: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، الطبعة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ١٧٨ - من أجل إسلام القرن العشرين (ميثاق إشبيلية): روجيه جارودي.
- ١٧٩ - من أجل حوار بين الحضارات: روجيه جارودي، ترجمة: د. ذوقان قرقوط، دار النفائس - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٨٠ - المنجد في اللغة والأعلام: لويس معلوف اليسوعي، دار المشرق، بيروت - لبنان، الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م.
- ١٨١ - المورد: قاموس إنكليزي - عربي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت طبعة ١٩٧٦م الطبعة العاشرة.
- ١٨٢ - الموسوعة العربية الميسرة: إشراف: محمد شفيق عطا غريال، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى عام ١٩٦٥م.
- ١٨٣ - الموسوعة الفلسفية: د. عبد المنعم الحفني، دار ابن زيدون - بيروت، مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الأولى.
- ١٨٤ - مواقف أحد: المطران جورج خضر، دار النهار للنشر - بيروت - لبنان، طبعة ١٩٩٢م.
- ١٨٥ - ميثاق الحوار الديني في السودان: (صفحتان)، ٣٠ إبريل عام ١٩٩٣م.
- ١٨٦ - نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام: محمود باشا الفلكي، ترجمة: أحمد زكي أفندي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ١٨٧ - نحو حرب دينية، جدل العصر: روجيه جارودي، تقديم: ليوناردو بوف، ترجمة: صيَّاح الجهيم، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

- ١٨٨ - ندوات علمية، حقوق الإنسان في الإسلام: دار البلاد للطباعة والنشر، جدة، السعودية.
- ١٨٩ - النصرانية تاريخاً وعقيدة.. وكتباً ومذاهب: د. مصطفى شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، طبعة ١٩٩١م.
- ١٩٠ - النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، طبعة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ١٩١ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ابن قيم الجوزية تحقيق: مصطفى أبو النصر الشبلي، مكتبة السوادي - جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٩٢ - هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.
- ١٩٣ - هرطقات فرّسية: د. جورج حنا، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، طبعة ١٩٥٤م.
- ١٩٤ - اليهود تاريخ وعقيدة: د. كامل سعفان، دار الاعتصام - القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- ١٩٥ - يوحنا بولس الثاني والإسلام: د. زينب عبد العزيز.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

١ - باللغة الإنجليزية:

- 198 - Towards a Dialogue With Islam. Louis Gardet.
- نحو حوار مع الإسلام: تأليف: لويس جاردت.
- 199 - Crossing The Threshold of Hope.
- عبور عتبة الرجاء: تأليف: البابا يوحنا بولس الثاني.
- 200 - Cordoba - CALAHORRA. bridge From East to West.
- قرطبة، القلعة الحرة، جسر من الشرق إلى الغرب: مؤسسة روجيه جارودي.
- 201 - The Meaning of Life in Andalusia.
- معنى الحياة في الأندلس.
- 202 - Recognize The Spiritual Bonds Which Unite Us.
- التعرف على الروابط التي تجمعنا: المجمع البابوي للحوار بين الأديان..

203 - Dialogue Between Christians and Muslims.

- الحوار بين النصارى والمسلمين: المؤسسة الإسلامية في ليستر، بريطانيا.

204 - Twenty-Five Years Of Dialogue. Michael Fitzgerald.

- خمسة وعشرون عاماً من الحوار: تأليف: ميشيل فيتزجيرالد.

205 - Inter- Religious Dialogue. The Official Teaching of the Catholic Church (1963 - 1995).

- الحوار بين الأديان: التعاليم البابوية للكنيسة الكاثوليكية (١٩٦٣ - ١٩٩٥م).

206 - Christian-Muslim Relations In The Twenty First Century.

- العلاقات الإسلامية النصرانية في القرن الحادي والعشرين.

207 - Aspiring For the Middle Path. Dr. Tarmizi Taher.

- التشوف للطريق الوسط: تأليف: ترمذي طاهر.

٢ - باللغة الإندونيسية:

208 - Maslah Hubungan Antar Umat Beragama Di Indonesia.

- مجموعة من المحررين.

209 - PEDOMAN PENYARAN- AGAMA DI INDONESIA.

- وزارة الشؤون الدينية.

210 - Deskripsi Subud. (Susila Budhi Dharama).

- تأليف: Dr. S.M Yusuf Asri.

٣ - باللغة الإيطالية:

211 - IN Dialogo Can L'Islam. Unita Ix Dossier.

٤ - باللغة الأسبانية:

212 - PLIEGOS DE ENCUENTRO ISLAMO-CHRISTIAN.

- نشرة لقاء إسلامي مسيحي: تنظيم كرسلام.

213 - FE ADELANTE.

- العقيدة إلى الأمام.

214 - A LA RAIZ.

- إلى الجذر.

215 - QUIEN DECIS QUE SOY YO?

- من أنا في قولكم أنتم؟

ثالثاً: المجلات والدوريات:

- ١ - جريدة الأخبار.
- ٢ - جريدة الإنقاذ الوطني السودانية.
- ٣ - جريدة الأهرام. جريدة الأهرام الدولي.
- ٤ - الجريدة الإيطالية Mercoledì.
- ٥ - جريدة البعث السورية.
- ٦ - جريدة الحياة اللبنانية.
- ٧ - جريدة الدستور الأردنية.
- ٨ - جريدة الشرق الأوسط.
- ٩ - جريدة الشرق القطرية.
- ١٠ - جريدة العالم الإسلامي.
- ١١ - جريدة النهار اللبنانية.
- ١٢ - جريدة تشرين السورية.
- ١٣ - جريدة عكاظ.
- ١٤ - نشرة شؤون الأوسط.
- ١٥ - مجلة (٣٠ يوماً) الإيطالية.
- ١٦ - مجلة (تقرير أورشليم).
- ١٧ - مجلة أرض الإسرائ.
- ١٨ - مجلة الاجتهاد اللبنانية.
- ١٩ - مجلة الأزهر المصرية.
- ٢٠ - مجلة الإسرائ الأردنية.
- ٢١ - مجلة الإسلام اليوم.
- ٢٢ - مجلة الإصلاح الإماراتية.
- ٢٣ - مجلة الأمة القطرية.
- ٢٤ - المجلة الإيطالية: Vifa Trentina.
- ٢٥ - مجلة البعث الإسلامي الهندية.
- ٢٦ - مجلة البيان اللندنية.
- ٢٧ - مجلة الدراسات الفلسطينية.
- ٢٨ - مجلة الدعوة السعودية.
- ٢٩ - المجلة الدولية الإسلامية المسيحية.
- ٣٠ - مجلة الشرق البريطانية.
- ٣١ - مجلة الشهاب اللبنانية.
- ٣٢ - مجلة العالم السعودية.
- ٣٣ - مجلة العربي الكويتية.
- ٣٤ - مجلة العروة الوثقى.
- ٣٥ - مجلة الفيصل السعودية.
- ٣٦ - مجلة المجتمع الكويتية.
- ٣٧ - مجلة المجلة.
- ٣٨ - مجلة المختار الإسلامي.
- ٣٩ - مجلة المسلم المعاصر.
- ٤٠ - جريدة المسلمون.
- ٤١ - مجلة المعارج البيروتية.
- ٤٢ - مجلة الموقف العربي.
- ٤٣ - مجلة الهلال المصرية.
- ٤٤ - مجلة لواء الإسلام.
- ٤٥ - مجلة A GEOGRAPHICAL SUPPLEMENT الإنجليزية.
- ٤٦ - مجلة: داخل الفاتيكان Inside The Vatican.

٨ - فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٩ - ٥
التمهيد	٢١
المبحث الأول: دين الإسلام:	٤٢ - ٢٣
الإسلام العام	٢٤
الإسلام الخاص	٣٤
المبحث الثاني: أهل الكتاب:	١٤٠ - ٤٣
اليهودية:	٥٥
الكتب المقدسة عند اليهود	٦٠
العقائد اليهودية	٦٩
الشرعية اليهودية	٧٩
النصرانية:	٨٣
الكتب المقدسة عند النصارى	٩٨
العقائد النصرانية	١٠٩
المجامع النصرانية	١٢٤
الشرعية عند النصارى	١٢٨
الطقوس البدعية الكهنوتية عند النصارى	١٣١
إنجيل برنابا	١٣٢
المبحث الثالث: حكم الإسلام في أهل الكتاب:	١٩١ - ١٤١
من الناحية الاعتقادية	١٤٣
من ناحية المعاملة	١٥٤
المبحث الرابع: موقف أهل الكتاب من الإسلام:	٢٣٧ - ١٩٢
قبل البعثة النبوية:	١٩٣
بعد البعثة النبوية	٢٠٤
أ - موقف اليهود من الإسلام	٢٠٨
ب - موقف النصارى من الإسلام	٢٢١

رقم الصفحة

الموضوع

٣٣٠ - ٢٣٨	المبحث الخامس: لمحة تاريخية عن العلاقات بين المسلمين وأهل الكتاب:
٢٣٩	المرحلة الأولى: (١١ - ١١٤هـ)
٢٥٣	المرحلة الثانية: (١١٥ - ٤٩٠هـ)
٢٦٩	المرحلة الثالثة: (٤٩٠ - ٦٩٠هـ)
٢٩٨	المرحلة الرابعة: (٦٩٠ - ١٢١٣هـ)
٣١١	المرحلة الخامسة: (١٢١٣ - ١٣٦٨هـ)

الباب الأول

حقيقة التقريب بين الأديان وأصوله وبواعثه

٣٥٠ - ٣٣٣	الفصل الأول: حقيقة التقريب بين الأديان:
٣٣٥	أولاً: التقريب بين الأديان
٣٣٩	ثانياً: وحدة الأديان
٣٤٣	ثالثاً: توحيد الأديان
٣٤٧	- الحوار بين الأديان
٤٠٤ - ٣٥١	الفصل الثاني: الأصول التاريخية لدعوة التقريب بين الأديان
٣٦١ - ٣٥٦	المبحث الأول: عند اليهود
٣٥٩	الماسونية
٣٨٠ - ٣٦٢	المبحث الثاني: عند النصارى. أساليبهم في مواجهة الإسلام:
٣٦٥	أولاً: أسلوب التشويه والتضليل
٣٦٧	ثانياً: أسلوب المجادلة العقلية وإثارة الشبهات
٣٧٠	ثالثاً: أسلوب التبشير
٣٧١	رابعاً: أسلوب التقارب والحوار
٤٠٤ - ٣٨١	المبحث الثالث: عند المسلمين:
٣٨٣	أولاً: غلاة الصوفية، القائلون بوحدة الوجود
٣٩٠	ثانياً: الفرق الباطنية
٣٩١	إخوان الصفا
٣٩٥	البهائية
٣٩٨	ثالثاً: طلائع العصرائيين
٣٩٨	جمال الدين الأفغاني
٤٠٠	محمد عبده التركماني
٧٦٦ - ٤٠٥	الفصل الثالث: حقيقة التقريب بين الأديان في العصر الحديث:
٤٦١ - ٤٠٦	المبحث الأول: الكنيسة الكاثوليكية:

رقم الصفحة

الموضوع

- ٤٠٧ المجمع الفاتيكاني الثاني
- ٤١٥ الكتب والوثائق الكاثوليكية المتعلقة بقضية التقريب
- ٤١٥ أ - بيان: (نحو حوار مع الإسلام) - لويس جاردت
- ب - كتاب: (توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين)
- ٤٢٠ موريس بورمانس
- ج - وثيقة: (حوار وبشارة: تأملات وتوجيهات في شأن الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل) - المجمع البابوي للحوار بين الأديان
- ٤٣١ موقف البابا يوحنا بولس الثاني من قضية التقريب بين الأديان
- ٤٤٢ خلاصة وتحليل
- ٤٥٥ المبحث الثاني: مجلس الكنائس العالمي: ٤٦٣ - ٤٩٩
- مواقف الجمعيات العمومية لمجلس الكنائس العالمي من قضية التقريب بين الأديان
- ٤٦٦ الكتب والبيانات الصادرة عن بعض منسوبي المجلس:
- ٤٧٧ ١ - دراسة (إيمان جاري وإيماني) - قسم الحوار -
- ٤٧٧ ٢ - كتاب: (الكتاب المقدس ومؤمنو الأديان الأخرى) ويسلي أرياراجا
- ٤٨٢ ٣ - محاضرة: (تحديات العلاقات بين الأديان الكبرى) جورج ليونارد كاري
- ٤٨٩ خلاصة وتحليل
- ٤٩٥ المبحث الثالث: النصارى العرب: ٥٠٠ - ٥٧٧
- ٥٠٥ أولاً: الأرثوذكس العرب
- ٥٢٣ ثانياً: الكاثوليك العرب
- ٥٤٠ ثالثاً: القبط
- ٥٥٧ رابعاً: الكتاب الجدلين من النصارى العرب (يوسف درة الحداد)
- ٦٢٨ - ٥٧٨ المبحث الرابع: اليهود: ٥٨١
- ٥٨١ موقف الحركات اليهودية من «الأغيار»
- ٥٨١ ١ - الحركة اليهودية الأرثوذكسية (المحافظون)
- ٥٨٨ ٢ - الحركة اليهودية الإصلاحية
- ٥٩٢ ٣ - الحركة الصهيونية العنصرية
- ٥٩٣ ٤ - الحركة الأصولية الدينية. (غوش إيمونيم)
- ٦٠٧ ٥ - الحركة اليهودية التقاربية: (شالوم/السلام)
- ٦٢٤ خلاصة وتحليل
- ٧٦٦ - ٦٢٩ المبحث الخامس: الإسلاميون العصرانيون:

رقم الصفحة

الموضوع

- أولاً: الشبهات العقدية لدعوة التقريب عند الإسلاميين العصرانيين ٦٣٥
- ١ - التليس بأن أهل الكتاب اليوم مشمولون بـ«الإسلام العام» ٦٤١
- ٢ - التهمين من شأن الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ٦٦٢
- ٣ - التلاعب بالفاظ الدين والإيمان ٦٦٥
- ٤ - الاعتذار عن كفر أهل الكتاب بالتأويلات الباطلة ٦٧٢
- ثانياً: التطبيقات العملية في معاملة أهل الكتاب عند الإسلاميين
- العصرانيين ٦٨٠
- ١ - موادة أهل الكتاب وموالاتهم ٦٨٢
- ٢ - التنصل من «أحكام أهل الذمة» والاعتذار عنها ٦٩٨
- ٣ - المناداة بـ«الرابطة الوطنية» و«الحرية الدينية» وإنكار تميز المسلمين ٧٠٧
- ثالثاً: مفهوم «التقريب» ومنهجيته عند الإسلاميين العصرانيين ٧١٦
- ١ - الغلو في تمجيد «الحوار» ٧١٧
- ٢ - توضيح أهمية (معرفة الآخر) ٧٢٠
- ٣ - تحريف معنى الدعوة إلى (كلمة سواء) عن مدلولها العقدي إلى مضامين أخرى ٧٢٥
- ٤ - الدعوة إلى إيقاف الدعوة إلى الله تعالى ٧٤٨
- ٥ - الدعوة إلى الانخراط في العالم الغربي والأخذ بثقافته ٧٦٠
- الفصل الرابع: بواعث الدعوة إلى التقريب بين الأديان: ٧٦٧ - ٨٣٣
- المبحث الأول: بواعث التقريب لدى النصارى الغربيين: ٧٦٨ - ٧٩١
- ١ - الباعث العالمي ٧٦٨
- ٢ - الباعث التنصيري ٧٧٧
- ٣ - باعث الصد عن سبيل الله ٧٨٥
- ٤ - الباعث السياسي ٧٨٩
- المبحث الثاني: بواعث التقريب لدى النصارى العرب ٧٩٢ - ٨٠٩
- ١ - الباعث القومي الوطني ٧٩٤
- ٢ - الباعث الأمني ٧٩٦
- ٣ - الباعث الاجتماعي ٨٠٥
- ٤ - باعث القيام بدور الوسيط في الحوار الإسلامي - النصراني ٨٠٨
- المبحث الثالث: بواعث التقريب لدى اليهود: ٨١٠ - ٨١٥
- ١ - الباعث السياسي ٨١٠
- ٢ - الباعث الاجتماعي ٨١٣

رقم الصفحة

الموضوع

- ٣ - باعث الصد عن سبيل الله ٨١٣
- المبحث الرابع: بواعث التقريب لدى الإسلاميين العصرانيين: ٨١٦ - ٨٣٣
- ١ - الباعث العالمي ٨١٦
- ٢ - الباعث القومي والوطني ٨١٩
- ٣ - باعث التصدي للإلحاد والانحلال الخلقي والمادية ٨٢٤
- ٤ - الباعث الدعوي ٨٢٥
- ٥ - باعث الرغبة في الحصول على اعتراف من أهل الكتاب ٨٢٨
- ٦ - باعث التحالف مع النصارى لمجابهة اليهود ٨٣١

الباب الثاني

محاولات التقريب بين الأديان في العصر الحديث ونقدها

- الفصل الأول: المحاولات الفردية ٨٣٧
- المبحث الأول: محاولات روجيه جارودي للتقريب بين الأديان: ٨٣٩ - ٩٣٧
- أولاً: السيرة الذاتية لروجيه جارودي ٨٤١
- ثانياً: مشروع روجيه جارودي الفكري للتقريب بين الأديان: ٨٥٧
- ١ - إرساء المدلول العام للإسلام، وإقصاء المدلول الخاص ٨٦١
- ٢ - التفسير التاريخي للإسلام من منظور التقريب بين الأديان
- والحضارات ٨٦٤
- ٣ - تقويم الحضارة الإسلامية وتراثها من منظور التقريب بين الأديان
- والحضارات ٨٧٢
- ٤ - الفصل بين الشريعة والتشريع ٨٨٥
- ٥ - مضاهاة النصرانية ٨٩٦
- ٦ - تمجيد ملل الكفر، ودعوة المسلمين إلى الانفتاح عليها والتلاقي معها ٩٠٣
- ثالثاً: محاولات روجيه جارودي العملية للتقريب بين الأديان
- والحضارات: ٩٠٧
- أ - المعهد الدولي للحوار بين الحضارات ٩٠٧
- ب - الملتقى الإبراهيمي ٩١٠
- ح - مؤسسة روجيه جارودي، المركز الثقافي في القلعة الحرة ٩٢٥
- المبحث الثاني: محاولات الأب إيميليو غاليندو أغيلار للتقريب بين الأديان: ٩٣٩ - ١٠٢٣
- أولاً: سيرة ذاتية، وتعريف موجز ٩٤٠
- ثانياً: محاولات غاليندو العملية للتقريب بين الأديان: ٩٤١
- جماعة (كريسلام) مجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية ٩٤٣

رقم الصفحة

الموضوع

- ثالثاً: محاولات غاليندو الفكرية للتقريب بين الأديان: ٩٥٣
- ١ - المؤتمر الدولي الأول بالمراسلة: (العقيدة للأمام) ٩٥٣
- ٢ - المؤتمر الدولي الثاني بالمراسلة: (إلى الجذر) ٩٧٦
- ٣ - المؤتمر الدولي الثالث بالمراسلة: (من أنا في قولكم أنتم؟) ٩٩٨
- المبحث الثالث: محاولات «صن مون» لتوحيد الأديان ١٠٣٥ - ١٠٢٤
- أولاً: السيرة الذاتية ١٠٢٦
- ثانياً: مزاعم «صن مون» في سبيل توحيد الأديان ١٠٢٨
- ثالثاً: المحاولات العملية لـ «صن مون» لتوحيد الأديان ١٠٣١
- المبحث الرابع: محاولات الشيخ أحمد كفتارو للتقريب بين الأديان ١٠٣٦ - ١٠٦٩
- أولاً: تعريف موجز، وسيرة ذاتية ١٠٣٧
- ثانياً: محاولاته العلمية والعملية للتقريب بين الأديان: ١٠٣٨
- أ - على الصعيد الداخلي ١٠٣٨
- ب - على الصعيد العالمي ١٠٤٣
- ثالثاً: المعالم الفكرية والمنهجية لمحاولاته للتقريب بين الأديان ١٠٦٠
- الفصل الثاني: المحاولات الجماعية ١٠٧٠
- المبحث الأول: المحاولات المبكرة (قبل المجمع الفاتيكاني الثاني): ١٠٧٤ - ١٠٨٧
- المبحث الثاني: محاولات الكنيسة الكاثوليكية: ١٠٨٨ - ١١٣٩
- أولاً: أمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين SNC ١٠٨٩
- ثانياً: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية P.I.S.A.I ١٠٩٧
- ثالثاً: الرحلات البابوية: ١٠٩٧
- البابا بولس السادس ١٠٩٨
- البابا يوحنا بولس الثاني ١١٠١
- رابعاً: المؤتمرات والندوات: ١١٠٧
- نقد وتحليل ١١٣٧
- المبحث الثالث: محاولات مجلس الكنائس العالمي ١١٤٠ - ١١٧٣
- المؤتمرات والندوات ١١٤٠
- نقد وتحليل ١١٧٢
- المبحث الرابع: محاولات التقريب في أوروبا الغربية ١١٧٤ - ١٢٩٧
- ١ - إسبانيا والبرتغال ١١٨٠
- ٢ - المملكة المتحدة (بريطانيا) ١١٩٩
- ٣ - إيطاليا ١٢١٠

رقم الصفحة

الموضوع

- ٤ - فرنسا ١٢٤٥
- ٥ - النمسا ١٢٦٦
- ٦ - ألمانيا ١٢٨٢
- ٧ - الدنمرك ١٢٩٣
- ٨ - هولندا ١٢٩٤
- ٩ - السويد ١٢٩٥
- نقد وتحليل ١٢٩٦
- المبحث الخامس: محاولات التقريب في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي
(سابقاً): ١٢٩٨ - ١٣٠٣
- ١ - بولندا ١٢٩٨
- ٢ - تشيكوسلوفاكيا (سابقاً) ١٣٠٠
- ٣ - الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ١٣٠١
- المبحث السادس: محاولات التقريب في الولايات المتحدة الأمريكية: ١٣٠٤ - ١٣١٤
- نقد وتحليل ١٣١٠
- المبحث السابع: محاولات التقريب في آسيا: ١٣١٥ - ١٣٤٧
- ١ - باكستان ١٣١٦
- ٢ - بنجلاديش ١٣١٩
- ٣ - الهند ١٣٢٠
- ٤ - سريلانكا ١٣٢٥
- ٥ - إيران ١٣٢٦
- ٦ - إندونيسيا ١٣٢٧
- ٧ - ماليزيا ١٣٤٠
- ٨ - الفلبين ١٣٤١
- ٩ - اليابان ١٣٤٦
- المبحث الثامن: محاولات التقريب في العالم العربي: ١٣٤٩ - ١٤٠٩
- ١ - لبنان ١٣٤٩
- ٢ - الأردن ١٣٧٥
- ٣ - فلسطين ١٣٨٤
- ٤ - تونس ١٣٨٧
- ٥ - السودان ١٣٩٠
- المبحث التاسع: محاولات عالمية متفرقة: ١٤١٠ - ١٤١٩

الباب الثالث

نقد دعوة التقريب بين الأديان وتقويمها

الفصل الأول: نقد دعوة التقريب بين الأديان في ضوء العقيدة الإسلامية ١٤٢٣ - ١٥٤٢

المبحث الأول: دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان ١٤٢٧ - ١٤٥٨

أولاً: أنها رغبة عن ملة إبراهيم ﷺ وحيدة عن الصراط المستقيم ١٤٢٧

ثانياً: أنها ابتغاء لدين غير الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ ١٤٣٢

ثالثاً: أنها طعن في رسالة نبينا محمد ﷺ ١٤٣٦

رابعاً: أنها طعن في القرآن العظيم وهيئته على الكتب السابقة ١٤٣٩

خامساً: أنها اتباع لغير سبيل المؤمنين، ومخالفة لإجماع المسلمين ١٤٤٤

سادساً: أنها موالاة لأعداء الدين ١٤٤٦

سابعاً: أنها فتنة عن بعض ما أنزل الله ١٤٤٨

ثامناً: أنها تسوية لأهل الإيمان بأهل الشرك وعباد الأوثان ١٤٥١

تاسعاً: أنها مdahنة في دين الله ١٤٥٣

عاشراً: أنها لبس للحق بالباطل وصد عن سبيل الله ١٤٥٧

المبحث الثاني: دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان: ١٤٥٩ - ١٥١٢

أولاً: إصرار النصارى على دينهم وعدم اقترابهم من الحق ١٤٥٩

أ - إصرار النصارى على الجهر بالسوء من القول في ملتقيات

التقارب ١٤٦٠

ب - إصرار النصارى على إنكار نبوة محمد ﷺ ١٤٦٢

ج - إصرار النصارى على إضلال الناس بما يسمونه «التبشير» ١٤٦٤

ثانياً: مساواة كتاب الله بما كتبوه بأيديهم وقالوا: هو من عند الله ١٤٦٥

ثالثاً: مساواة بيوت الله بمعابد الكفار ١٤٧١

رابعاً: مشاركة أهل الكتاب المشركين في الصلوات والابتهالات

والمناسبات الدينية ١٤٧٧

خامساً: إجراء الدراسات الدينية المشتركة ومقارنة الأديان ١٤٨٦

سادساً: عرض الإسلام بصورة مشوهة ١٤٩٣

سابعاً: استغلال النصارى شعار التقريب لنشر دينهم ١٤٩٨

ثامناً: موالاة اليهود والنصارى بعضهم بعضاً من دون المسلمين ١٥٠٦

المبحث الثالث: شبهات دعاة التقريب بين الأديان وكشفها ١٥١٣ - ١٥٤٢

الشبهة الأولى: أنها وسيلة لتحقيق «التعارف» ١٥١٤

الشبهة الثانية: أنها وسيلة للدعوة إلى الله وتفهمها من قبل الغرب ١٥١٨

الموضوع

رقم الصفحة

- الشبهة الثالثة: أنها وسيلة للتعاون بين أتباع الأديان لمواجهة الإلحاد والفساد ١٥٢٠
- الشبهة الرابعة: أنها وسيلة لإبراز التسامح الإسلامي وتحسين صورة الإسلام المشوهة في الغرب ١٥٢٤
- الشبهة الخامسة: أنها ضرورة يفرضها الواقع العالمي الجديد ١٥٢٨
- الشبهة السادسة: أنها وسيلة لتحاشي النزاعات والحروب وصدام الحضارات ١٥٢٩
- الشبهة السابعة: أنها وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف طوائف الأمة ١٥٣٥
- الشبهة الثامنة: أنها وسيلة لتحسين أوضاع الأقليات الإسلامية في الغرب ١٥٣٧
- الفصل الثاني: المنهج الشرعي: في مخاطبة أهل الكتاب ١٥٤٣
- المبحث الأول: مضمون الخطاب الدعوي لأهل الكتاب ١٥٤٧ - ١٥٥٥
- أولاً: التوحيد الخالص، ونبد الشرك ١٥٤٩
- ثانياً: النهي عن الغلو في الدين، والقول على الله بغير الحق ١٥٥١
- ثالثاً: الإيمان برسالة محمد ﷺ وأتباعه ١٥٥٢
- رابعاً: الإيمان بالقرآن ١٥٥٤
- المبحث الثاني: أسلوب دعوة أهل الكتاب ١٥٥٦
- أولاً: بيان معاني: (الحكمة) و(الموعظة الحسنة) و(المجادلة) والتي هي أحسن ١٥٥٧
- أ - الحكمة ١٥٥٧
- ب - الموعظة الحسنة ١٥٥٨
- ج - المجادلة والتي هي أحسن ١٥٦٠
- ثانياً: الأساليب القرآنية في دعوة أهل الكتاب ١٥٦٨
- ١ - المبادأة الواضحة ١٥٦٩
- ٢ - العبرة والتذكير ١٥٧٠
- ٣ - الإغراء والترغيب ١٥٧١
- ٤ - التحذير والترهيب ١٥٧٢
- ٥ - التوبيخ والنكير ١٥٧٣
- ٦ - المحاججة والنقض ١٥٧٤
- ٧ - المباهلة ١٥٧٦
- ٨ - المفاصلة ١٥٧٧

رقم الصفحة

الموضوع

- ثالثاً: الوسائل النبوية في دعوة أهل الكتاب ١٥٧٧
- ١ - غشيانهم في محافلهم ومجتمعاتهم وبيوتهم ١٥٧٨
- ٢ - دعاؤهم إلى دار الإسلام ١٥٨١
- ٣ - الكتابة إلى ملوكهم ١٥٨٣
- ٤ - استقبال وفودهم ١٥٨٩
- ٥ - دعوتهم حال الغزو والجهاد ١٥٩٠
- رابعاً: عمل الأمة الإسلامية، وسبيل المؤمنين ١٥٩٦
- المثال الأول: جعفر بن أبي طالب عليه السلام والنجاشي رضي الله عنه ١٥٩٧
- المثال الثاني: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وسرجوان ملك قبرص ١٦٠١
- المثال الثالث: الشيخ رحمت الله الهندي رحمته الله والقس فندر ١٦٠٨
- الخاتمة ١٦٢٧
- أولاً: النتائج ١٦٢٩
- ثانياً: التوصيات ١٦٤٠
- الملاحق: ١٦٥٩
- ١ - ملحق (١) فتوى رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ١٤١٨/١/٢٥ هـ ١٦٦١
- ٢ - ملحق (٢) فتوى رقم (٧٨٠٧) ١٦٦٧
- ٣ - ملحق (٣) قطعة من خطبة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله يوم الجمعة الموافق ١٤٢٠/١/١٥ هـ ١٦٧٤
- ٤ - ملحق (٤) الرسالة الجوابية لشيخ الأزهر. الدكتور عبد الحليم محمود رحمته الله على طلب سكرتير عام (جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية) للمشاركة في (مؤتمر قرطبة العالمي الإسلامي المسيحي الثالث) ١٦٧٦
- ٥ - ملحق (٥) رسالة سكرتارية الفاتيكان لشؤون العلاقات الدينية إلى المسلمين بمناسبة عيد الفطر المبارك (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ١٦٨٠ - ١٦٨٢
- ٦ - ملحق (٦) مخطط هندسي لمشروع مجمع معابد الأديان - إيطاليا ١٦٨٣
- الجدول والفهارس ١٦٨٥
- ١ - المؤتمرات المعقودة للتقريب بين الأديان ١٦٨٧
- ٢ - الجمعيات والمؤسسات والمراكز المعنية بقضية التقريب بين الأديان ١٧١٤
- ٣ - فهرس الأحاديث النبوية ١٧١٩
- ٤ - فهرس الآثار ١٧٢٣
- ٥ - فهرس الأعلام ١٧٢٤
- ٦ - فهرس الفرق والطوائف ١٧٣٠

رقم الصفحة

الموضوع

٧ - فهرس المراجع ١٧٣١

٨ - فهرس الموضوعات ١٧٤٩

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات